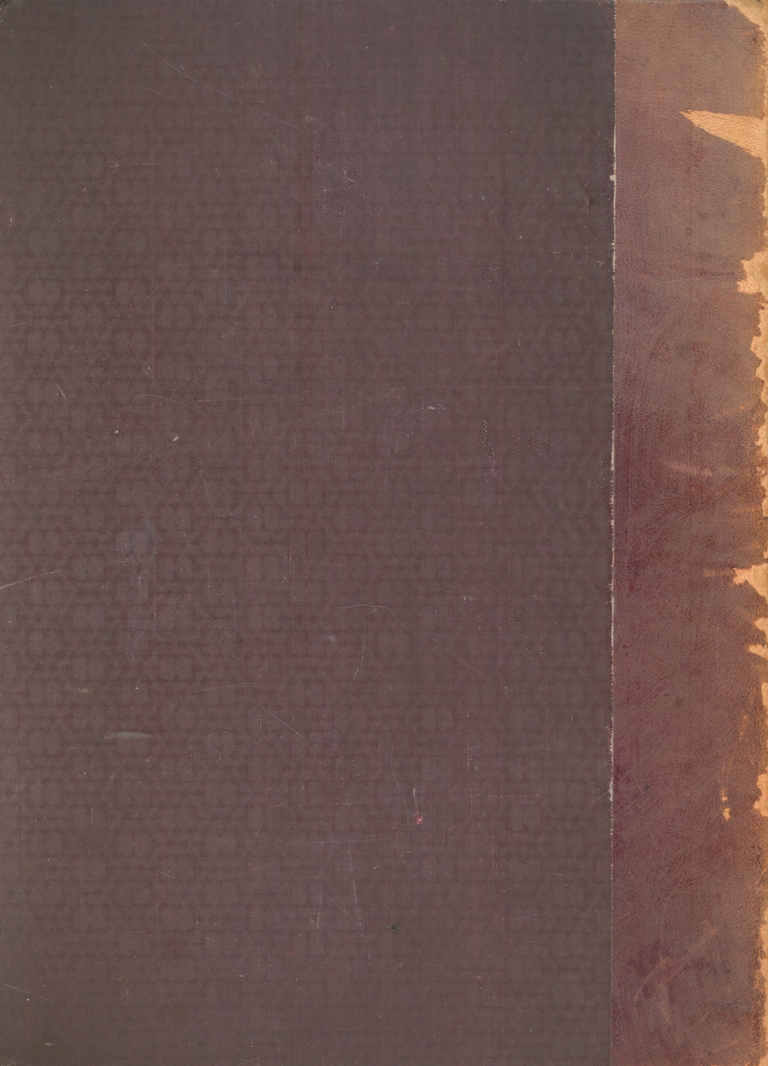
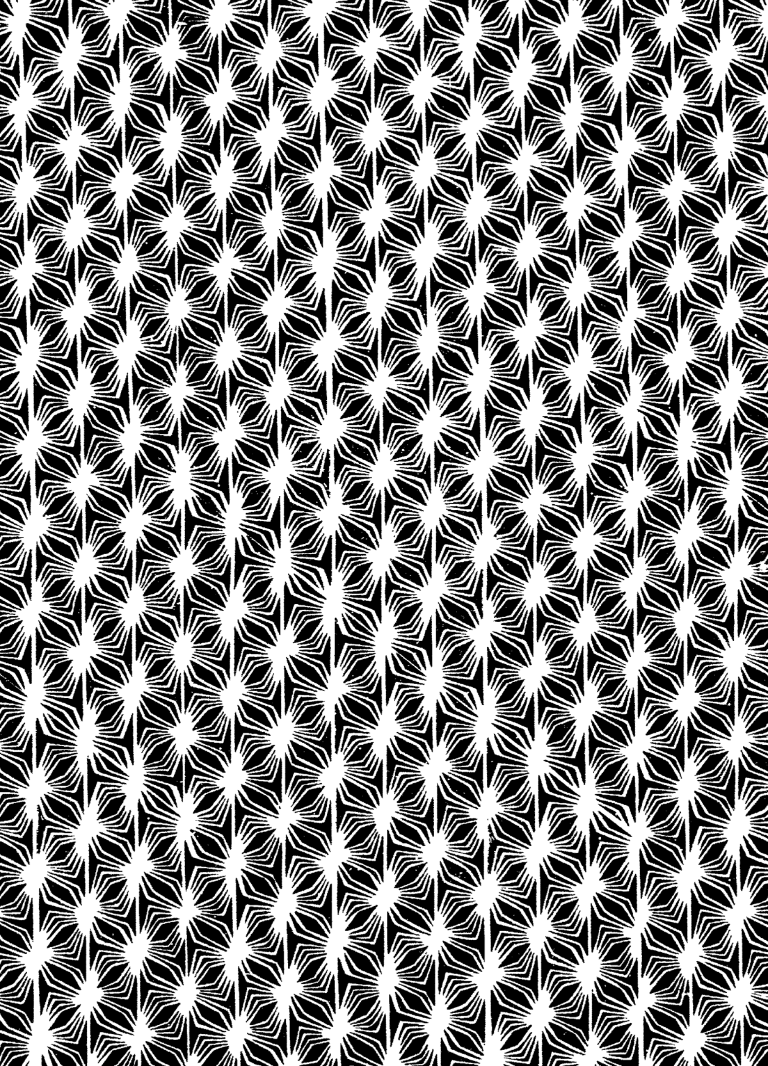
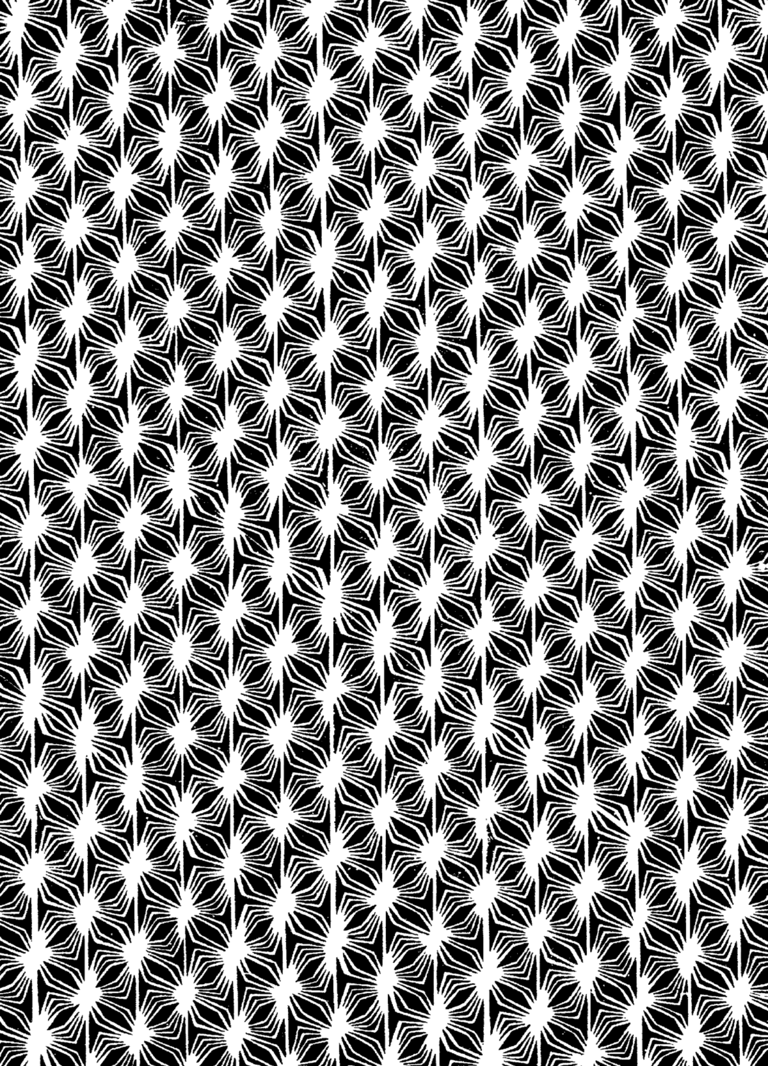
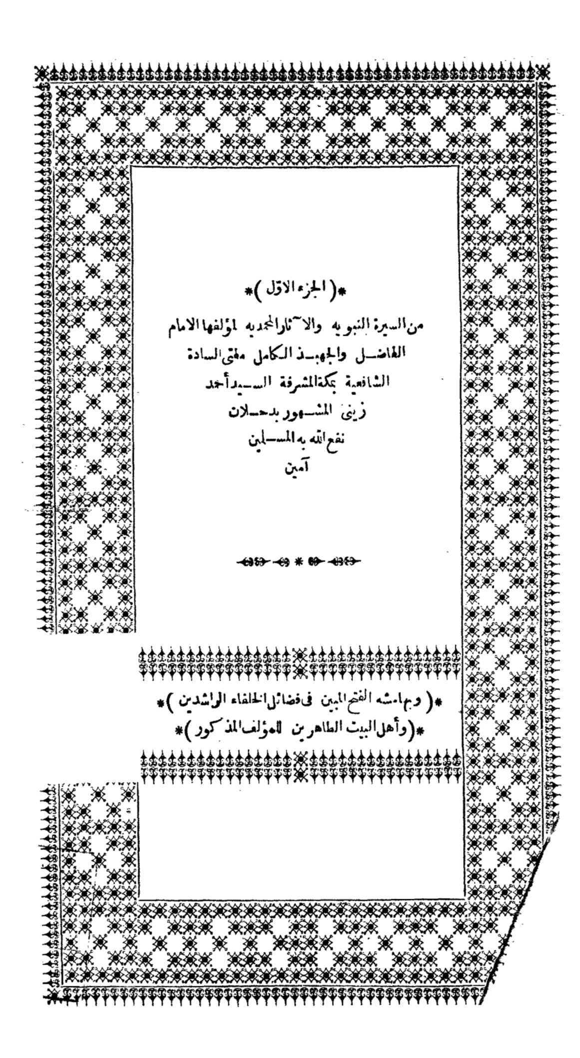






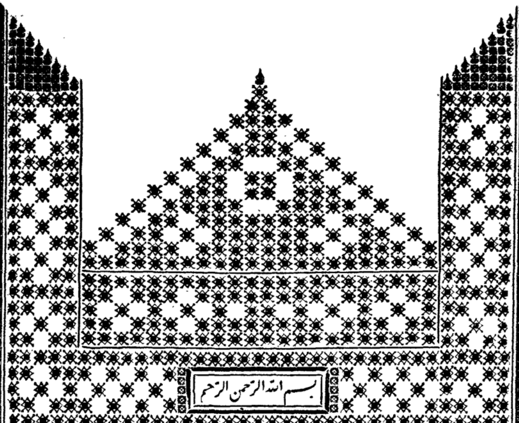
(فهرست الجزء الأول من السيرة النبوية)



(الجزء الاول)

من السيرة النبويه والآثار المحمديه لمؤلفها الامام
الفاضل والمجتهد الكامل مفتي السادة
الشافعية بمكة المشرفة السيد أحمد
زيني المشهور بدحلان
نفع الله به المسلمين
آمين

(وبهامشه الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين)
(وأهل البيت الطاهرين للمؤلف المذكور)



الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين * (أما بعد) * فيقول العبد الفقير المرتجي من ربه الغفران أحمد بن زيني بن احمد دحلان غفر الله له ولوالديه ولأشياخه ومحبيه والمسلمين أجمعين انه لما من الله تعالى على بقراءة الشفا في حقوق النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بمدينته المنورة في عام الثامن والسبعين بعد المائتين والألف يسر الله لي مطالعة جملة من شروح الشفا مع مراجعة المواهب وشرحها للعلامة الزرقاني ومع مراجعة شيء من كتب السير كسيرة ابن سيد الناس وسيرة ابن هشام والسيرة الشامية والسيرة الحلبية وهذه الكتب هي أصح الكتب المؤلفة في هذا الشان فأحببت أن ألخص ما احتوت عليه من سيرته صلى الله عليه وسلم ومن المعجزات وخوارق العادات الدالة على صدق أشرف المخلوقات صلى الله عليه وسلم لاني رأيتها منتشرة في تلك الكتب مخلوطة بمباحث لها تعلق بها لا أنها زائدة على المراد بحيث يعسر على القاصرين في هذه الازمان أن يفهموها ويقفوا على حقيقتها لصعوبتها وطولها وانتشارها فيحملهم ذلك على اهمالها وعدم قراءتها فلا يكون عندهم علم ولا اطلاع عليها ولا يكاد يعلم ذلك ويطلع عليه الا الراسخون في العلم مع أن الاطلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته من أعظم الاسباب التي يحصل بها قوة الايمان ورسوخه في القلوب لما في ذلك من التبصر والاعتبار حتى تصير أطوار النبي صلى الله عليه وسلم وأحواله كأنها مشاهدة للنظار * قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وهو أول من ألف في السير وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعلم بنيه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ومغازيه وسراياه ويقول يا بني هذه شرف آبائكم فلا تنسوا ذكرها وفي ذكر السير أيضا معرفة فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وكمالاته وفضائل الصحابة وقريش وسائر العرب وكل ذلك من الاسباب المقوية للايمان وفيها معرفة معاني كثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الى غير ذلك من الفضائل التي لا يمكن حصرها * وينبغي قبل الشروع في ذلك التبرك بذكر شيء من فضائل قريش وفضائل سائر العرب ويعلم من ذلك فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وأصحابه بالاولى لان العرب انما فضلوا بسببه صلى الله عليه وسلم والاحاديث الواردة في ذلك كثيرة * (فمن ذلك) ماروى عن سعد بن أبي

وقاص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي زين الوجود بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشرفه على كافة الانام واختار له أصحابا وفضلهم على جميع الخلق بعد الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصلاة والسلام على سيدنا محمد شمس الهداية الذي أذهب الله به ظلمة الكفر والضلال وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتداء ووسيلة القرب والوصال * (أما بعد) * فيقول خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنوب والآثام يرجى المر

وقاص رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله قتل فلان لرجل من ثقيف فقال أبعده الله انه كان يبغض قريشا وفي الجامع الصغير مرفوعا قريش صلاح الناس ولا يصلح الناس الا بهم كما أن الطعام لا يصلح الا بالملح قريش خاصة الله تعالى فمن نصب لها حربا سلب ومن أرادها بسوء خزي في الدنيا والآخرة وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من يرد هوان قريش أهانه الله وعن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم النبوة فيهم والخلافة فيهم والحجابة فيهم والسقاية فيهم ونصروا على أصحاب الفيل وعبدوا الله سبع سنين لم يعبده أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم * لئلاف قريش * قوله وعبدوا الله سبع سنين في رواية عشر سنين قال بعضهم المراد منها السنون التي كانت في أول بعثته صلى الله عليه وسلم فان أول المؤمنين الذين اتبعوه كانوا من قريش وصبروا معه على كثير من الاذى الحاصل من بقية قريش الذين لم يسلموا واستمر الاسلام يتقوى بمن أسلم منهم حتى فشا وظهر باسلام الاوس والخزرج وذلك القدر يبلغ عشر سنين وعن أنس رضي الله عنه حب قريش ايمان وبغضهم كفر * وعن أبي هريرة رضي الله عنه الناس تبع لقريش مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال صلى الله عليه وسلم العلم في قريش وقال أيضا الائمة في قريش وقال أيضا لا تسبوا قريشا فان عالمها علا طباق الارض علما قال جماعة منهم الامام أحمد رضي الله عنه هذا العالم هو الشافعي رضي الله عنه لانه لم ينتشر في طباق الارض من علم عالم من قريش من الصحابة وغيرهم ما انتشر من علم الشافعي رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم قدموا قريشا ولا تقدموها وفي رواية ولا تعلموها أي لا تغالبوها ولا تكاثروها فيه وفي رواية ولا تعالوها أي لا تعلوا عليها في لا تجعلوها في المقام الادنى الذي هو مقام التعلم والقصد أن لا تحتقر وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا قريشا فان من أحبهم أحبه الله وقال صلى الله عليه وسلم لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بالذي لها عند الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم يوما يا أيها الناس ان قريشا أهل أمانة من بغاها العواثر أي من طلب لها المكايد كبه الله لمنخريه أي كبه الله على وجهه قال ذلك ثلاث مرات وقال صلى الله عليه وسلم خيار قريش خيار الناس وشرار قريش خيار شرار الناس وفي رواية وشرار قريش شرار الناس والرواية الاولى أصح وأثبت وقال صلى الله عليه وسلم قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم * وروى الترمذي عن سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله قال تبغض العرب فتبغضني وروى الطبراني عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبغض العرب الا منافق وروى الترمذي عن عثمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي وقال صلى الله عليه وسلم أحبوا العرب لثلاث لاني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي وقال صلى الله عليه وسلم ان لواء الحمد بيدي يوم القيامة وان أقرب الخلائق من لوائي يومئذ العرب وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذلت العرب ذل الاسلام وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا خير العرب مضر وخير مضر عبد مناف وخير عبد مناف بنو هاشم وخير بني هاشم بنو عبد المطلب والله ما افترق فرقتان منذ خلق الله آدم الا كنت في خيرهما وأفتى بعض العلماء بقتل من سب العرب وفي الصحيحين آية الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وروى الطبراني حب قريش ايمان وبغضهم كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم من الكفر ومن أحب العرب فقد أحبني ومن أبغض العرب فقد أبغضني * وروى ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حب أبي بكر وعمر من الايمان وبغضهما كفر وحب الانصار من الايمان وبغضهم كفر وحب العرب من الايمان وبغضهم كفر ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله ومن حفظني فيهم فأنا أحفظه يوم القيامة قال بعض شراح الشفا والاحاديث كثيرة

من ربه الغفران أحمد ابن زيني دحلان غفر الله له ولوالديه ومشايخه ومحبيه والمسلمين أجمعين هذه نبذة يسيرة جمعت فيها شيأ من الفضائل الواردة في حق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين وختمتها بذكر فضائل أهل البيت الطاهرين وجعلتها وسيلة الى الله تعالى في نيل المغفرة والرضوان والفوز مع المقربين في أعلى الجنان والحمد لله الذي جعلنا من أهل السنة والجماعة فانهم

فى هذا الباب وبالجملة من أحب شيأ أحب كل شئ يحبه وهذه سيرة السلف فيجب على كل أحد أن يحب أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم وجميع الصحابة من العرب والعجم لاسيما جنسه صلى الله عليه وسلم ولا يكون من الخوارج فى بغض أهل البيت فانه لا ينفعه حينئذ حب الصحابة ولا من الروافض فى بغض الصحابة فانه لا ينفعه حينئذ حب أهل البيت ولا من الاروام الذين يكرهون العرب بالطبع اللام ويرمونهم بسوء الكلام فانه يخشى منه سوء الخاتم

* (باب فيما ورد على لسان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من التنويه بشأنه صلى الله عليه وسلم مع ماورد من ذلك على لسان آبائه) *

يروى من طرق شتى ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام ألهمه الله ان قال يارب لم كنيتنى أبا محمد قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد صلى الله عليه وسلم فى سرادق العرش فقال يارب ما هذا النور قال هذا النور نور نبى من ذريتك اسمه فى السماء أحمد وفى الارض محمد لولاه ماخلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا * وروى الحاكم فى صحيحه عن عمر رضى الله عنه مرفوعا أن آدم عليه السلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وأن الله تعالى قال لآدم عليه السلام لولا محمد ماخلقتك وفى المواهب ان آدم عليه السلام رأى مكتوبا على ساق العرش وعلى كل موضع فى الجنة من قصر وغرفة ونحور الحور العين وورق شجرة طوبى وورق سدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقرونا باسم الله تعالى وهو لا اله الا الله محمد رسول الله فقال آدم يارب هذا محمد من هو فقال الله له هذا ولدك الذى لولاه ماخلقتك فقال يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودى يا آدم لو تشفعت الينا بمحمد صلى الله عليه وسلم فى أهل السماء والارض لشفعناك وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا ماغفرت لى فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه قال يارب لانك لما خلقتنى بيدك أى من غير واسطة أم وأب ونفخت فى من روحك أى من الروح المبتدأة منك المتشرفة بالاضافة اليك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لأحب الخلق الى واذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ماخلقتك رواه البيهقى فى دلائله * وروى أبو الشيخ والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا أوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ماخلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسكن صححه الحاكم وروى الديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا أتانى جبريل فقال ان الله تعالى يقول لولاك ماخلقت الجنة ولولاك ماخلقت النار * وروى ابن سبع عن على رضى الله عنه ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم من أجلك أسطح البطحاء وأموج الموج وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب قال العلامة الزرقانى وهذا ليس لغيره من نبى ولا ملك ولله در من قال

ومن يحب اكرام ألف لواحد * لعين تفدّى ألف عين وتكرم

وقال آخر

وكان لدى الفردوس فى زمن الصبا * وأثواب شمل الانس محكمة السدى
يشاهد فى عدن ضياء مشعشعا * يزيد على الانوار فى الضوء والهدى
فقال الهى ما الضياء الذى أرى * جنود السما تعشو اليه ترددا
فقال نبى خير من وطئ الثرى * وأفضل من فى الخيرراح أواغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا * وألبسته قبل النبيين سوددا
وأعددته يوم القيامة شافعا * مطاعا اذا ما الغير حاد وحيدا
فيشفع فى انقاذ كل موحد * ويدخله جنات عدن مخلدا

قد أسعدهم الله بمحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل بيته أجمعين وقد أشقى الله أقواما بارتكاب أهويتهم فى الخوض فى أمرهم بما لا يعنيهم فكانوا من الخاسرين حيث حكموا بالفسق من رضى الله عنهم وجعلوهم غرضا لبهتانهم العظيم وذموهم وقد مدحهم الله بآيات القرآن الكريم قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم

وان له أسماء سميته بها * ولكنني أحببت منها محمدا
فقال الهي امنن على بتوبة * تكون على غسل الخطيئة مسعدا
بحرمة هذا الاسم والزلفة التي * خصصت بها دون الخليقة أحمدا
أقلني عثاري يا الهي فان لي * عدو العين جار في القصد واعتدى
فتاب عليه ربه وجاه من * جناية ما أخطاه لا متعمدا

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى خلق حواء من ضلع آدم الايسر وهو نائم فلما استيقظ ورآها سكن ومال اليها فمد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم تر يد بذلك نهيه فقال ولم وقد خلقها الله لي فقالوا حتى تؤدي مهرها قال وما مهرها قالوا أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وفي رواية ان آدم عليه السلام لما طلب منه المهر قال يارب وما أعطيها قال يا آدم صل على حبيبي محمد بن عبد الله عشر ين مرة * وروى ابن عساكر عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال هبط جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول لك ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا وما خلقت خلقا أكرم علي منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا وما أحسن قول العارف بالله سيدي علي وفا رضي الله عنه

سكن الفؤاد فعش هنيئا يا جسد * ذاك النعيم هو المقيم الى الابد
أصبحت في كنف الحبيب ومن يكن * جار الكريم فعيشه عيش الرغد
عش في أمان الله تحت لوائه * لاخوف في هذا الجناب ولانكد
لاتخشى فقرا وعندك بيت من * كل المنى لك من أياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن * هو في المحاسن كلها فرد أحد
قطب النهى غوث العوالم كلها * أعلى على صار أحد من جحد
روح الوجود حياة من هو واجد * لولاه ماتم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم * هم أعين هو نورها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره * في وجه آدم كان أول من سجد
أولو رأى النمروذ نور جماله * عبد الجليل مع الخليل ولا عند
لكن جمال الله جل فلا يرى * الا بتخصيص من الله الصمد
فابشر بمن سكن الجوانح منك يا * أنا قدملأت من المنى عينا ويد
عين الوفا معنى الصفا سر الندى * نور الهدى روح النهى جسد الرشد
هو الصلاة من السلام المرتضى * الجامع المخصوص مادام الابد

روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما نفخ في آدم الروح صار نور محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبهته كالشمس قال بعض العارفين لكن ابليس لم يبصر ذلك لخذلانه ولما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم كان استقبالهم لذلك النور فالمسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم عليه السلام كالقبلة وتلك القبلة المقصد الاعظم منها انما هو النور المحمدي الذي في جبهته ولما جاءت حواء عليها السلام بشيث انتقل ذلك النور اليها ثم لما وضعته عليه السلام ظهر ذلك النور في جبهته وكان هو وصي آدم عليه السلام على ذريته وأوصاه آدم أن لا يضع ذلك النور الا في المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية بينهم تنتقل من قرن الى قرن الى ان وصل ذلك النور الى جده عبد المطلب ثم الى ابنه عبد الله ثم الى أمه آمنة وطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية (روى البيهقي) في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماولدني من سفاح الجاهلية شئ ماولدني الانكاح الاسلام أي نكاح كنكاح الاسلام يعني بعقد صحيح وروى أبو نعيم في الدلائل عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال

ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار * أتراهم خرجوا من هذا الوصف أوخرج عنهم كلا والله بل هم متصفون بما أخبر الله عنهم لاسيما العشرة المبشرين فانهم أول الصحابة دخولا في كل ثناء ومدح جاء في الكتاب

قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم أر رجلا أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ولم ار بني آب أفضل من بني هاشم وفي الشفاء أن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي وتقبل توبتي فتاب الله عليه وغفر له وهذا تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وقيل ان الكلمات هي ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فاغفر لي فانك خير الغافرين وقيل اللهم لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك اني ظلمت نفسي فتب علي انك أنت التوّاب الرحيم قال بعضهم ولا مانع من كون آدم عليه السلام أتى بالجميع وصح في أحاديث كثيرة انه صلى الله عليه وسلم كان في صلب نوح عليه السلام حين ركب السفينة وفي صلب ابراهيم عليه السلام حين قذف به في النار وانه هو المراد من قول ابراهيم عليه السلام ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى عليه السلام * وأما ما نقل عن آبائه من ذكره عليه السلام والتنويه بشأنه فكثير (فمن ذلك) ما روى عن جده كعب بن لؤي فانه كان يجمع قومه يوم العروبة وهو المسمى بيوم الجمعة ويعظهم ويذكرهم ببعث النبي صلى الله عليه وسلم ويخبرهم بانه من ولده ويأمرهم باتباعه فمما كان يقوله لهم سيأتي حرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد أبياتا آخرها

على غفلة يأتي النبي محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

وينشد أيضا يا ليتني شاهد فحواء دعوته * حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

ومن خطبه التي كان يخطبها أما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا الليل داج ونهار صاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام والاولون كالآخرين فصلوا أرحامكم واحفظوا أصهاركم وثمروا أموالكم الدار أمامكم والظن غير ما تقولون وكان بينه وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون سنة وقيل وعشرون وكانوا يؤرخون بموته حتى كان عام الفيل فارخوا به ثم بموت عبد المطلب ثم كان التاريخ في الاسلام بالهجرة ومن ذلك ما نقل عن جده صلى الله عليه وسلم كنانة بن خزيمة انه كان شيخا عظيما تقصده العرب لعلمه وفضله وكان يقول قد آن خروج نبي من مكة يدعى أحمد يدعو الى الله تعالى والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تفندوا أي لا تكذبوا ما جاء به فهو الحق وتواتر أن جده صلى الله عليه وسلم الياس كان يسمع من صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة في الحج وكان كبيرا عند العرب يدعونه سيد العشيرة ولا يقضون أمرا دونه وهو أوّل من أهدى البدن الى البيت وجاء في الحديث لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وكان في العرب مثل لقمان الحكيم في قومه وجاء في الحديث أيضا لا تسبوا ربيعة ولا مضر فانهما كانا مؤمنين وفي رواية لا تسبوا مضر فانه كان على دين اسمعيل ومن كلامه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة وجاء أن خزيمة ومدركة ونزارا كل منهم كان يرى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه وان نزارا لما ولد ونظر أبوه الى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه فرح فرحا شديدا ونحر وأطعم وقال ان هذا كله نزر أي قليل بحق هذا المولود فسمى نزارا لذلك وكان أجل أهل زمانه وأكبرهم عقلا وجاء ان الله لما سلط بختنصر على العرب أمر الله أرمياء عليه السلام أن يحمل معه معد بن عدنان على البراق كي لا تصيبه النقمة وقال فاني سأخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل ففعل أرمياء ذلك واحتمله معه الى أرض الشام فنشأ مع بني اسرائيل ثم عاد بعد أن هدأت الفتن بموت بختنصر وحكى الزبير بن بكار أن أوّل من وضع أنصاب الحرم عدنان قيل وهو أوّل من كسا الكعبة أو كسيت في زمنه وجاء انه انما سمى عدنان من العدن وهو الاقامة لان الله أقام ملائكة لحفظه وسبب ذلك ان أعين الجن والانس كانت اليه وأرادوا قتله وقالوا لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس فوكل الله به من يحفظه روى أبو جعفر في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان عدنان ومعد وربيعة وخزيمة وأسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم الا بخير وجاء أيضا أن مضر انما سمى بذلك لانه كان

المبين وهل يمكن أن يدعى انهم لم يشدوا على الكفار أو لم ينصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم آناء الليل وأطراف النهار وقد قال الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم أترى خفي عن علمه تعالى ما يزعمونه من فسقهم أو ردتهم حاشاهم الله من ذلك وقال تعالى والسابقون الاوّلون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم

بمضر القلوب اى يأخذها الحسنه وجماله ولم يره أحد الا أحبه لما كان يشاهد فى وجهه من نور النبى صلى الله عليه وسلم ومن كلامه شر الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق وهو ما بين الحلبتين وهو أول من حدا الابل وذلك انه سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال يا يداه يا يداه فأتت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا وكان من أحسن الناس صوتا وقيل بل كسرت يد مولى له فصاح فاجتمعت اليه الابل فوضع الحداء وزاد الناس فيه ويقال المضر مضر الحمراء وسبب ذلك انه لما اقتسم هو وأخوه ربيعة مال والدهما نزار أخذ مضر الذهب فقيل له مضر الحمراء وأخذ ربيعة الخيل فقيل له ربيعة الفرس قيل ان قبر مضر بالروحاء وجاء أن معدا سمى بذلك لانه كان صاحب حروب وغارات على بنى اسرائيل ولم يحارب أحدا الا رجع بالنصر بسبب نور النبى صلى الله عليه وسلم الذى فى جبهته وخزيمة قيل انه تصغير خزمة وانما سمى بذلك لانه خزم أى جمع فيه نور النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان فى آبائه ومدركة سمى بذلك لانه ادرك كل عز وفخر بسبب نور النبى صلى الله عليه وسلم وكان ظاهرا بينا فيه والنضر انما لقب بذلك لنضارة وجهه واشراقه وجماله من نور النبى صلى الله عليه وسلم قيل ان أم النضر برة بنت أد بن طابخة تزوجها أبوه كنانة بعد أبيه خزيمة فولدت له النضر على ما كان عليه أهل الجاهلية اذا مات رجل خلف على زوجته أكبر بنيه من غيرها ولذا قال تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وهذا كله غلط فاحش قال أبو عثمان الجاحظ ان كنانة خلف على زوجة أبيه فماتت ولم تلد له ذكرا ولا انثى فنكح بنت أخيها وهى برة بنت مر بن أد بن طابخة فولدت له النضر قال وانما غلط كثير لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمى الزوجتين وتقارب النسب قال وهذا هو الذى عليه مشايخنا من أهل العلم والنسب ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح مقت وقد قال صلى الله عليه وسلم ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن قال غير هذا فقد أخطأ وشك فى هذا الخبر والحمد لله الذى طهره من كل وصم تطهيرا * قال الدميرى وهذا أرجو به الفوز للجاحظ فى منقلبه وانه يتجاوز عنه فيما سطره فى كتبه * قال الحافظ الشامى وهو من النفائس التى يرحل اليها وهو الذى ينثلج له الصدر ويذهب وحره ويزيل الشك ويطفئ شرره انتهى وقد أجمع العلماء على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب ينتهى الى عدنان ولم يتجاوزه ويقول كذب النسابون وذلك لانه اختلف فيما بين عدنان واسمعيل اختلافا كثيرا ومن اسمعيل الى آدم متفق على أكثره وفيه خلف يسير فى عدد الآباء وفى ضبط بعض الاسماء وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وقيل أقل وقيل أكثر وقال عروة بن الزبير ما وجدت أحدا يعرف بعد معد بن عدنان وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك وقال على سبيل الانكار من أخبره بذلك فينبغى لمن أراد أن يذكر نسب النبى صلى الله عليه وسلم أن يوصله الى عدنان بن أد ويقف اقتداء به صلى الله عليه وسلم وأجمعوا على أن عدنان ينتهى نسبه الى اسمعيل عليه السلام فهو صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ولله در القائل

ونسبة عزها اشم من أوليها * ومحتدها المرضى أكرم محتد
سمت رتبة عليا وأعظم بقدرها * ولم تسم الا بالنبى محمد

ورحم الله آخر حيث قال

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمرى ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بابن ذرى شرف * كما علا برسول الله عدنان

قال الماوردى فى كتاب أعلام النبوة واذا اختبرت حال نسبه صلى الله عليه وسلم وعرفت طهارة مولده علمت انه سلالة آباء كرام ليس فيهم مسترذل بل كلهم سادة قادة وشرف النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وفهر اسمه قريش واليه تنتهى وتجتمع قبائل قريش وما فوقه كنانى وسمى قريشا لانه كان يقرش أى يفتش على

ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار أتراه أعدها لهم مع علمه بما عنهم منها وأى فائدة فى الاعلام بها مع ثبوت صرفهم عنها معاذ الله أن يكون الامر كذلك وحاشى لله أن يختار لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم غير من اصطفاهم لصحبته ونصرته كيف وقد شهد لهم صلى الله عليه وسلم بالجنة وتوفى وهو راض عنهم وأما ما وقع بينهم من الاختلاف فانما كان باجتهاد يوجب الاجر

حاجة الحاج فيسد بها عياله وقيل كان بنوه يقرشون أهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم وكلاب اسمه حكيم
سمي بكلاب لانه كان يكثر الصيد بالكلاب وقيل من المكالبة أى المضايقة لمضايقته على أعدائه وقيل من
الكلاب جمع كلب كأنهم يريدون الكثرة وسئل أعرابي لم تسمون أبناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب
وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو رزق ومرزوق ورباح فقال انما نسمى أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد
أن الابناء عدة للاعداء وسهام فى نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء وقصى اسمه زيد أو يزيد ويقال له
مجمع به جمع الله القبائل من قريش فى مكة بعد تفرقها قال الشاعر

أبوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

وهذا البيت من قصيدة مدح بها حذافة بن غانم عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم حيث أنجده من كربة
وقعت له فوجده مربوطا ربطه ركب من جذام ادعوا عليه قتيلا قتل بمكة ففداه عبد المطلب بمال وأطلقه
وكان مع عبد المطلب حين أطلقه ابنه أبو لهب فقال يمدح عبد المطلب وبنيه

بنو شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضئ ظلام الليل كالقمر البدر

الى أن قال
أبوكم قصى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

ومن كلام قصى من أكرم لئيما شاركه فى لؤمه ومن استحسن قبيحا ترك الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة
أصلحه الهوان ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان والحسود هو العدو الخفى ولما احتضر قال لبنيه
اجتنبوا الخمرة فانها تصلح الابدان وتفسد الاذهان وتزوج قصى من خزاعة حبى بنت حليل الخزاعى
فولدت له عبد مناف وكانت ولاية الحرم لخزاعة وانتهت الى حليل الخزاعى فاوصى بها لابنته زوج قصى
فقالت لاقدرة لى على فتح البيت واغلاقه فجعل أبوها ذلك لابى غبشان الخزاعى فاشترى منه قصى أمر البيت
وأمر مكة بزق من خمر ثم زاده أذوادا من الابل وأثوابا فنازعته خزاعة فدعا قريشا وبنى كنانة لاعانته
فأعانوه حتى أزاح بخزاعة وذلك بعد ان اقتتلوا أيام منى بعد ان ذكرتهم قريش الظلم والبغى
وذكرتهم ما صار اليه جرهم حين ألحدوا فى الحرم بالظلم فأبت خزاعة فاقتتلوا اقتتالا شديدا وكثر القتل
والجراح فى الفريقين الا انه فى خزاعة أكثر ثم تداعوا الى الصلح واتفقوا على انهم يحكمون بينهم رجلا من
العرب فحكموا يعمر بن عوف وكان رجلا عربيا فقال لهم موعدكم فناء الكعبة غدا فلما اجتمعوا
قام يعمر فقال ألا انى قد شدخت ما كان بينكم من دم تحت قدمى هاتين فلا تباعة لاحد على أحد وقضى
لقصى بأنه أولى بولاية مكة فتولاها وكانت خزاعة قد أزالت جرهم عن ولاية البيت فان مضاض بن عمرو
الجرهمى الاكبر ولى أمر البيت بعد نابت بن اسمعيل عليه الصلاة والسلام لانه كان جد النابت
وغيره من أولاد اسمعيل لامهم لان اسمعيل تزوج من جرهم فجاءه الاولاد منهم فاخذ ولاية البيت بعد نابت
ابن اسمعيل مضاض بن عمرو الجرهمى واستمرت جرهم ولاة البيت والحكام لاتنازعهم ولد اسمعيل فى ذلك
لخؤولتهم واعظاما لان يكون بمكة بغى ثم ان جرهما بغوا بمكة وظلموا من يدخلها من غير أهلها وأكلوا مال
الكعبة الذى يهدى لها فاجمعت خزاعة لحربهم واخراجهم من مكة ففعلوا ذلك بعد أن سلط الله على
جرهم دواب تشبه النغف بالغين المعجمة والفاء وهو دود يكون فى أنوف الابل والغنم فهلك منهم ثمانون
كهلا فى ليلة واحدة سوى الشباب وقيل سلط الله عليهم الرعاف فافنى غالبهم وذهب من بقى الى اليمن مع عمرو
ابن الحرث الجرهمى آخر من ملك أمر مكة من جرهم وحزنت جرهم على ما فارقوا من أمر مكة وملكها
حزنا شديدا وقال عمرو بن الحرث أبياتا منها

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
بلى نحن كنا أهلها فابادنا * صروف الليالى والدهور البواتر

للعموم وما أرادوا بذلك
الا أن يكون للدين تمكين
ومقام رفيع فيجب تحسين
الظن بهم والتماس لهم
أكمل الاعذار وحمل
ما وقع بينهم على أحسن
المحامل وما يخالف فى ذلك
الا معاند جاهل يؤل
الامر به الى تكذيب كثير
من الآيات القرآنية
والاحاديث النبوية فالحمد
لله الذى حفظ أهل السنة
من هذه البلية الموجبة
للبوار والخسران وغضب
رب البرية والله أعلم

ثم استمر الامر فى خزاعة الى أن تزوج قصى منهم وحصل ماتقدم ذكره فازاح بنى خزاعة و ولى أمر مكة
وشرفها فكان بيده السقاية والرفادة والحجابة والندوة واللواء والقيادة وكان عبد الدار أكبر أولاد قصى
وأحبهم اليه وكان عبد مناف أشرفهم لانه شرف فى زمن أبيه وذهب شرفه كل مذهب وكانت قريش
تسميه الفياض لكرمه فاعطى قصى تلك الوظائف ولده عبد الدار لمحبته له وقال أما والله يابنى لالحقنك بالقوم
يعنى بقية اخوته و بنى عمه وان كانوا قد شرفوا عليك لايدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها
ولا يعقد لقريش لواء الحرب الا أنت تعقده أنت ولا يشرب رجل بمكة الا من سقايتك ولا يأكل أحد من أهل
الموسم الا من طعامك وهذا هو المراد من الرفادة ولا تقطع قريش أمرا من أمورها الا فى دارك يعنى دار
الندوة ولا يكون احد قائد القوم فى قتال الا أنت فلما مات عبد الدار وأخوه عبد مناف اختلف أبناؤهم
فاراد بنو عبد مناف وهم هاشم والمطلب وعبد شمس ونوفل أن يأخذوا تلك الوظائف من بنى عمهم عبد الدار
وأجمعوا على المحاربة وأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوأة طيبا فوضعوها لمن أراد أن يحالفهم و يكون معهم
فى المسجد عند باب الكعبة فغمس جماعة من قريش أيديهم فيها للاشارة الى انهم معهم وتحالفوا بعد أن
تطيبوا انهامعهم فسموا المتطيبين وهم بنو عبد مناف وبنو زهرة وبنو أسد بن عبد العزى بن قصى وبنو تيم
ابن مرة وبنو الحرث بن فهر فالمطيبون قبائل خمسة وتعاقد بنو عبد الدار مع أحلافهم وهم بنو مخزوم
وبنو سهم وبنو جمح وبنو عدى بن كعب على أن لايتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فالتحالفهم بعد أن أخرجوا
جفنة مملوأة دما من دم جزور نحروها ثم قالوا من أدخل يده فى دمها فاعلق منها فهو منا ففعلوا ذلك ولذا سموا
لعقة الدم ثم اصطلحوا على أن تكون الرفادة والقيادة والسقاية لبنى عبد مناف والحجابة واللواء لبنى عبد الدار
ودار الندوة بينهم بالاشتراك وقيل ان دار الندوة بقيت فى يد بنى عبد الدار حتى باعها بعض من أبنائهم على
حكيم بن حزام بن أسد بن عبد العزى بن قصى فاشتراها بزق خمر ثم باعها فى الاسلام بمائة ألف درهم فقال
له عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ما أتبيع مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى
والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف وأشهدكم أن ثمنها فى سبيل الله فاينا المغبون
وكانت دار الندوة لقريش يجتمعون فيها للمشاورة ولا يدخلها الا من بلغ الاربعين وكانت الجارية اذا حاضت
تدخل دار الندوة ثم يشق عليها بعض ولد عبد الدار درعها ثم يدرعها اياه و ينقلب بها فتحجب وكانوا لايعقدون
عقد نكاح الا فى دار قصى أعنى دار الندوة ولا يعقد لواء حرب الا فيها وأما القيادة وهى امارة الركب فقام بها
من أبناء عبد مناف عبد شمس ثم ابنه أمية ثم ابنه حرب ثم ابنه أبو سفيان فكان يقود الناس فى غزواتهم قاد
الناس يوم أحد و يوم الاحزاب وأما يوم بدر فقاد الناس عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لانه أكبر من أبى سفيان
اذ هو ابن عم أبيه وأيضا كان أبو سفيان مع العير ولم يكن حاضرا بمكة وقت خروج النفير وأما الرفادة وهى
اطعام الحاج أيام الموسم حتى يتفرقوا فان قريشا كانت على زمن قصى تخرج من أموالها فى كل موسم
فتدفعه الى قصى فيصنع به طعاما للحاج يأكله من لم يكن معه سعة ولا زاد ثم قام بذلك بعد قصى ابنه عبد مناف
ثم ابنه هاشم ثم ابنه عبد المطلب ثم ابنه أبو طالب ثم أخوه العباس واستمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم
و زمن الخلفاء بعده الى أن انقرضت الخلافة من بغداد ومن مصر وأما السقاية فقام بها أيضا عبد مناف ثم
ابنه هاشم ثم ابنه المطلب ثم لما كبر عبد المطلب بن هاشم فوض عمه المطلب السقاية اليه فلما مات المطلب
وثب أخوه نوفل بن عبد مناف على ابن أخيه عبد المطلب واغتصبه أركاحا أى أفنية ودورا فسأل عبد المطلب
رجالا من قومه النصرة على عمه نوفل فابوا وقالوا لاندخل بينك و بين عمك فكتب الى أخواله بنى النجار بالمدينة
بما فعل له عمه نوفل فلما وقف خاله أبو سعد بن عدى النجارى على كتابه بكى وسار من المدينة فى ثمانين راكبا
حتى قدم مكة فنزل الابطح فتلقاه عبد المطلب وقال له المنزل ياخال فقال لا والله حتى ألقى نوفلا فقال تركته فى
الحجر جالسا فى مشايخ قريش فاقبل أبو سعد حتى وقف عليهم فقام نوفل قائما وقال يا أبا سعد أنعم صباحا فقال له
أبو سعد لا أنعم الله لك صباحا وسل سيفه وقال ورب هذه البنية لئن لم ترد على ابن أختى أركاحه لأملأن منك

تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بما سيكون بينهم فصرح
بالنهى عن سبهم وحرض
على ترك الخوض فيهم
وأمر بحبهم والاقتداء بهم
فالجاهل الغبى ولهم وقد
أخبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بانهم مغفور لهم
وان الله راض عنهم وتوفى
صلى الله عليه وسلم وهو
راض عنهم وخطب الناس
قبل وفاته وذكر فضائلهم
ونوه بشانهم فالمتعامى
وتحريف ذلك بعد قوله
صلى الله عليه وسلم لو أنفق
أحدكم مثل أحد ذهبا
مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه
* فالحمد لله الذى حفظنا
من هذه الورطة العظيمة
والجرءة التى ليس مثلها

هـذا السيف فقال قد ورددتها عليه فاشهد عليه مشايخ قريش ثم نزل على عبد المطلب فاقام عنده ثلاثا ثم اعتمر ورجع الى المدينة وبعد ان جرى ذلك حالف نوفل وبنوه بني أخيه عبد شمس على بني هاشم وحالف بنو هاشم بني المطلب وخزاعة على بني نوفل وبني عبد شمس أي فان خزاعة قالت نحن أولى بنصرة عبد المطلب وقالوا له ان أم عبد مناف حبي بنت حليل الخزاعي فهلم فلنحالفك فدخلوا دار الندوة وتحالفوا وتعاقدوا وكتبوا بينهم كتابا باسمك اللهم هذا ماتحالف عليه بنو هاشم ورجالات عمرو بن ربيعة من خزاعة على النصرة والمواساة مابل بحر صوفة وما أشرقت الشمس على ثبير وهب أي قام بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان والمراد من ذلك الابد وقيل ان السقاية انتقلت من أبي طالب الى أخيه العباس في حياة أبي طالب وسبب ذلك ان أبا طالب كان يقذف في الماء التمر والزبيب تبعا لأبيه عبد المطلب فاتفق انه أملق أي افتقر في بعض السنين فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم الى الموسم الآخر فصرفها أبو طالب في الحج عامه ذلك فيما يتعلق بالسقاية فلما كان العام المقبل لم يكن مع أبي طالب شئ فقال لأخيه العباس أسلفني أربعة عشر ألفا الى العام المقبل لاعطيك جميع مالك فقال العباس بشرط ان لم تعطني تترك السقاية لا كفاها فقال نعم فلما جاء العام الآخر لم يكن مع أبي طالب مايعطيه لأخيه العباس فترك له السقاية فصارت الى العباس ثم لولده عبد الله وهكذا وأما الحجابة فكانت في بني عبد الدار حتى جاء الاسلام فلما كان فتح مكة طلبها العباس من النبي صلى الله عليه وسلم فاراد أن يعطيه مفتاح الكعبة لتكون الحجابة عنده مع السقاية فانزل الله تعالى ان الله يامركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فردّه صلى الله عليه وسلم الى عثمان بن طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار الحجبي ثم صارت بعده لاخيه شيبة ثم بقيت في بني شيبة وكذلك اللواء كان بيدهم فكانوا يحملون لواء قريش في حروبها ولهذا قتل منهم جماعة يوم أحد كلما قتل واحد أخذ اللواء بعده واحد آخر منهم *(وأما عبد مناف بن قصي)* فاسمه المغيرة وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله ووجد على بعض الاحجار كتابة منها أنا المغيرة بن قصي أوصي قريشا بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يضيء في وجهه وكان في يده لواء نزار وقوس اسمعيل واياه عنى القائل بقوله

كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف

(وابنه هاشم) اسمه عمرو ويقال له عمرو العلا لعلو رتبته وهو أخو عبد شمس وكانا توأمين وكانت رجل هاشم أي اصبعها ملصقة بجبهة عبد شمس ولم يمكن نزعها الا بسيلان دم فكانوا يقولون سيكون بينهما دم فكان بين ولديهما الى أن اشتد الامر بين بني العباس وبني أمية سنة مائة وثلاث وثلاثين من الهجرة وأول العداوة وقعت بين هاشم وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس لان هاشما لما ساد قومه بعد أبيه عبد مناف حسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس فتكلف أن يصنع كما يصنع هاشم فعجز فعيرته قريش وقالوا له أتتشبه بهاشم ثم دعا أمية هاشما للمنافرة فأبى هاشم ذلك لسنه وعلو قدره فلم تدعه قريش فقال هاشم لأمية أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق تنحر بمكة والجلاء عن مكة عشر سنين فرضي أمية بذلك وجعلا بينهما الكاهن الخزاعي وكان بعسفان فخرج كل منهما في نفر فنزلوا على الكاهن فقال قبل أن يخبروه بخبرهم والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام الماطر ومابالجو من طائر وما اهتدى بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاخر فنفر هاشم على أمية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل وأطعم الناس وخرج أمية الى الشام فاقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية وتوارثت ذلك بنوهما وكان يقال لهاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل أقداح النضار أي الذهب ويقال لهم المجبرون لكرمهم وفخرهم وسيادتهم على العرب ووقعت مجاعة شديدة في قريش بسبب جدب شديد حصل لهم فخرج هاشم الى الشام فاشترى دقيقا وكعكا وقدم به مكة في الموسم فهشم الخبز والكعك ونحر جزرا وجعل ذلك ثريدا وأطعم الناس حتى أشبعهم فسمي بذلك هاشما وكان يقال له أبو البطحاء وسيد البطحاء ولم تزل مائدته منصوبة لاترفع في السراء والضراء قال الامام أبو سهل الصعلوكي في قوله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء

بحرية ثم الحمد لله أن ألهم جمع شئ في مناقبهم والاعلام بما وجب من التعريف بشريف قدرهم وعلو مراتبهم منتخبا ذلك من الكتب الصحيحة المؤيدة بالادلة الواضحة والنصوص الصريحة * (وسميتها بالفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين)* ورتبتها على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة (المقدمة) في ذكر شئ من الادلة الدالة على فضلهم عموما والنهي عن تنقيص أحد منهم (الباب الاول) في فضل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبيان حقية خلافته (الباب الثاني) في فضل سيدنا عمر

كفضل الثريد على سائر الطعام أراد فضل ثريد هاشم الذى عظم نفعه وقدره وعم خيره وبره وبقى له ولعقبه ذكره وقال ابن الصلاح الاولى حمل الحديث على العموم وأن المراد تفضيل الثريد من الطعام على باقى الطعام لان سائر بمعنى باقى فالمراد أى ثريد وهذا لا ينافى بقاء المزية لثريد هاشم على غيره من أنواع الثريد ولبعضهم

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مرملون عجاف

ولآخر

عمرو العلا ذو الندا من لا يسابقه * مر السحاب ولا ريح تجاريه
جفانه كالجوابى للوفود اذا * لبوا بكعبة ناداهم مناديه
أو أمحلوا أخصبوا منها وقد ملئت * قوتا الحاضر منهم وباديه

ولآخر

قل للذى طلب السماحة والندى * هلا مررت بآل عبد مناف
الرائشون وليس يوجد رائش * والقائلون هلم للاضياف

وعن بعض الصحابة رضى الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه على باب بنى شيبة فمر رجل وهو يقول

يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد الدار
هبلتك أمك لو نزلت رحالهم * منعوك من عدم ومن اقتار

فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر رضى الله عنه وقال أهكذا قال الشاعر قال لا والذى بعثك بالحق لكنه قال

يا أيها الرجل المحول رحله * ألا نزلت بآل عبد مناف * هبلتك أمك لو نزلت رحالهم
منعوك من عدم ومن اقراف * الخالطين غنيهم بفقيرهم * حتى يعود فقيرهم كالكافى

فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هكذا سمعت الرواة ينشدونه وفى المواهب وشمر وجهها نور النبى صلى الله عليه وسلم كان يتوقد شعاعه فى وجه هاشم ويتلألأ ضياؤه ولا يراه حبر الا قبل يده ولا يمر بشئ الا خضع له تغدو اليه قبائل العرب ووفود الاحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه أن يتزوج بهن حتى بعث اليه هرقل ملك الروم وقال ان لى ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجها فاقدم الى حتى أزوجكها فقد بلغنى جودك وكرمك وانما أراد بذلك نور المصطفى صلى الله عليه وسلم الموصوف عندهم فى الانجيل فأبى هاشم ذلك وكان هاشم يحمل ابن السبيل ويؤدى الحق ويؤمن الخائف وكان اذا أهل هلال ذى الحجة قام صبيحته وأسند ظهره الى الكعبة من تلقاء بابها ويخطب ويقول فى خطبته يا معشر قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوها وأعظمها أحلاما أى عقولا وأوسط العرب أى أشرفها انسابا وأقرب العرب بالعرب أرحاما يا معشر قريش انكم جيران بيت الله أكرمكم الله بولايته وخصكم بجواره دون بقية بنى اسماعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأحق من أكرم أضياف الله أنتم فاكرموا ضيفه وزواره بيته فورب هذه البنية لو كان لى مال يحتمل ذلك لكفيتكموه وأنا مخرج من طيب مالى وحلاله مالم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل وأسألكم بحرمة هذا البيت أن لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا فكانوا يجتهدون فى ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضعونه فى دار الندوة ومما نقل من شعر أبى طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم قوله فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها * وان حصلت انساب عبد منافها
ففى هاشم أشرافها وقديمها * وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها

(وأما عبد المطلب بن هاشم) فكان من حلماء قريش وحكمائها وكان مجاب الدعوة محرما الخمر على نفسه وهو أول من تحنث بحراء والتحنث التعبد الليالى ذوات العدد كان اذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين وكان صعوده للتخلى عن الناس يتفكر فى جلال الله وعظمته وكان يرفع من مائدته للطير

ابن الخطاب رضى الله عنه وبيان حقية خلافته (الباب الثالث) فى فضل سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وبيان حقية خلافته (الباب الرابع) فى فضل سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه وبيان حقية خلافته (الخاتمة) فى فضل سيدنا الحسن رضى الله عنه وحقية خلافته مع بيان فضل سيدنا الحسين رضى الله عنه وبقية أهل البيت وما يتبع ذلك * والله أسأل أن يجعل ذلك وسيلة الى غفرانه وذريعة الى درك رضوانه ويخلص المقصد فيه لوجهه الكريم ويجعله قائدا الى جنات النعيم بمنه وكرمه انه جواد كريم قال

والوحوش في رؤس الجبال ولذلك كان يقال له مطعم الطير ويقال له الفياض ولدوفي رأسه شيبة فقيل له شيبة الحمد ولعل وجه اضافته الى الحمد رجاء انه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لانه كان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الامور وشريفهم وسيدهم كمالا وفعالا عاش مائة وأربعين سنة قيل انما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما قال لأخيه المطلب حين حضرته الوفاة أدرك عبدك يعني شيبة الحمد بيثرب وقيل ان هاشما تزوج بالمدينة من بني عدي بن النجار من الخزرج فولد له شيبة الحمد ومات أبوه وبقي عند أمه فمر رجل على غلمان وهم يلعبون أي ينتضلون بالسهام واذا غلام فيهم اذا أصاب قال أنا ابن سيد البطحاء فقال له الرجل ممن أنت يا غلام فقال أنا شيبة الحمد بن هاشم بن عبد مناف فلما قدم الرجل مكة وجد المطلب جالسا بالحجر فقص عليه ما رآى فذهب المطلب الى المدينة فعرف شبه أبيه فيه ففاضت عيناه وضمه اليه خفية من أمه وقال له يا ابن أخي أنا عمك وقد أردت الذهاب بك الى قومك وأناخ راحلته فجلس على عجز الناقة فانطلق به ولم تعلم أمه حتى كان الليل فقامت تدعو فأخبرت أن عمه قد ذهب به وقيل انه استاذن أمه وقال لها ان ابن أخي غريب في غير قومه ونحن أهل بيت شرف في قومنا وقومه وعشيرته وبلده خير من الاقامة في غيرهم فاذنت له فارد فه خلفه وكساه حلة يمانية فلما قدم به مكة قالت قريش هذا عبد المطلب وقيل ان الشمس أثرت في شيبة الحمد فقالت قريش هذا عبد المطلب فقال المطلب لهم ويحكم انما هو ابن أخي هاشم وقيل انما قيل له عبد المطلب لانه تربى يتيما في حجر المطلب وكانوا يسمون اليتيم عبد المن تربى في حجره فنشأ عبد المطلب على أكمل الصفات وانتهت اليه الرياسة بعد عمه المطلب وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور وكان يقول لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه وتصيبه عقوبة الى أن هلك رجل ظلوم من أرض الشام ولم تصبه عقوبة فقيل لعبد المطلب في ذلك ففكر وقال والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب المسيء باساءته أي فالظلوم شأنه أن تصيبه عقوبة فاذا خرج من الدنيا ولم تصبه عقوبة فهي معدة له في الآخرة ورفض عبد المطلب في آخر عمره عبادة الاصنام ووحد الله ويؤثر عنه سنن جاء القرآن باكثرها وجاءت السنة بها منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل الموؤدة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان نقله الحلبي في السيرة عن ابن الجوزي وزاد في المواهب وشرحها كان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك الاذفر وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم يضيء في غرته وفيه يقول القائل

على شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدر

وكانت قريش اذا أصابها قحط شديد تاخذ بيد عبد المطلب فتخرج به الى جبل ثبير يستسقي الله لهم لما جربوه من قضاء الحوائج على يديه ببركة نور النبي صلى الله عليه وسلم ولما جعله الله فيه من مخالفة ما كان عليه الجاهلية بالهام من الله تعالى فكان يسال الله لهم الغيث فيغيثهم ولما وجد النبي صلى الله عليه وسلم كان يحضره عبد المطلب معه في الاستسقاء فيسقون به وأمر أبا طالب ان يحضر النبي صلى الله عليه وسلم معه في الاستسقاء ولما قدم أصحاب الفيل مكة هلكوا بدعاء عبد المطلب ومما نقل عنه في ذلك اليوم

لاهم ان المرء * نع رحله فامنع رحالك * وانصر على آل الصليب * وعابديه اليوم آلك

وقال يا معشر قريش لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ومن شعره حين أراد ذبح ابنه عبد الله وكان يضرب بالقداح عليه قوله

يارب أنت الملك المحمود * وأنت رب الملك المعبود * من عندك الطارف والتالد

وكان نديمه في الجاهلية حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف والد أبي سفيان وكان في جوار عبد المطلب يهودي فاغاظ ذلك اليهودي القول على حرب في سوق من أسواق تهامة فاغرى عليه حرب من قتله فلما علم عبد المطلب بذلك ترك منادمة حرب ولم يفارقه حتى أخذ منه مائة ناقة دفعها لابن عم اليهودي ثم نادم عبد الله بن جدعان التيمي ويروى ان حربا كان لا يلتقي مع أحد من رؤساء قريش أو غيرهم في عقبة أو مضيق الا تأخروا

الله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا وأخرج الخطيب البغدادي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا ظهرت البدع وسبت أصحابي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله له صرفا ولا عدلا وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ظهر أهل بدعة الا أظهر الله فيهم حجته على لسان من شاء من خلقه

وتقدم

وتقدمه ولا يستطيع أحد أن يتقدم عليه فالتقى حرب مع رجل من بني تميم في عقبة فتقدمه التميمي فقال حرب أنا حرب بن أمية فلم يلتفت اليه التميمي ومر قبله فقال حرب موعدك مكة فبقي التميمي دهرا ثم أراد دخول مكة فقال من يجيرني من حرب بن أمية فقيل له عبد المطلب بن هاشم فأتى التميمي ليلا دار الزبير بن عبد المطلب فدق الباب فقال الزبير لاخيه الغيداق قد جاءنا رجل اما مستجير أو طالب حاجة أو طالب قرى وقد أعطيناه ما أراد فخرج الزبير فانشد الرجل

لاقيت حربا في الثنية مقبلا * والصبح أبلج ضوءه للساري * فدعا بصوت واكتنى ليروعني ودعا بدعوته يريد فخاري * فتركته كالكلب ينبح وحده * وأتيت أهل معالم وفخار ليثا هزبرا يستجار بقربه * رحب المنازل مكرما للجار * ولقد حلفت بمكة وبزمزم والبيت ذي الاحجار والاستار * ان الزبير لمانعي من خوفه * ما كبر الحجاج في الامصار

فقال الزبير للتميمي تقدم فانا لا نتقدم على من نجيره فتقدم التميمي ودخل المسجد فرآه حرب فقام اليه فلطمه فعدا عليه الزبير بالسيف فعدا حرب حتى دخل دار عبد المطلب فقال أجرني من الزبير فاكفأ عليه جفنة كان أبوه هاشم يطعم الناس فيها فبقي تحتها ساعة ثم قال له عبد المطلب أخرج فقال كيف أخرج وسبعة من ولدك قد اجتمعوا بسيوفهم على الباب فالقى عليه عبد المطلب رداء فخرج عليهم فعلموا انه أجاره فتفرقوا والى هذه القصة أشار ابن عباس رضي الله عنهما حين دخل على معاوية رضي الله عنه في أيام خلافته وعنده وفود العرب فذكر كلاما فيه افتخار وذكر في كلامه حرب بن أمية فقال له ابن عباس رضي الله عنهما من أكفأ عليه اناءه وأجاره برداءه فسكت معاوية رضي الله عنه وكان عبد المطلب يكرم النبي صلى الله عليه وسلم ويعظمه وهو صغير ويقول ان لابني هذا الشأنا عظيما وذلك مما كان يسمعه من الكهان والرهبان قبل مولده وبعده وكان عبد المطلب معظما في قريش وكانوا يفرشون له حول الكعبة فيجلس ويجتمع حوله رؤساء قريش ولا يستطيع أحد أن يجلس على فراشه ولا يطاه بقدمه وكان النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير يزاحم الناس فيدخل حتى يجلس بجنب جده عبد المطلب وربما جاء قبل جده عبد المطلب فجلس على فراشه فاذا أراد أحد من اعمامه أن ينحيه زجره جده عبد المطلب ويقول دعوه ان له لشأنا ثم يجلسه عليه معه ويمسح ظهره ويسره ما يراه يصنع وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن عبد المطلب كان يقول لهم دعوا ابني يجلس فانه يحس من نفسه بشئ أي بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده وفي رواية دعوا ابني انه ليؤنس ملكا أي يعلم من نفسه ان له ملكا وفي رواية ردوا ابني الى مجلسي فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شان وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا قال سمعت أبي يقول كان لعبد المطلب مفرش في الحجر يجلس عليه لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن أمية فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله دون المفرش فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو غلام لم يبلغ الحلم فجلس على الفرش فجذبه رجل فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد المطلب مالابني يبكي قالوا أراد أن يجلس على الفرش فمنعوه فقال عبد المطلب دعوا ابني يجلس عليه فانه يحس من نفسه بشرف وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده فكانوا بعد ذلك لا يردونه عنه حضر عبد المطلب أو غاب وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وأبهة الاشراف *(ومما أكرم الله به عبد المطلب)* وكان من الارهاصات لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم حفر بئر زمزم وحاصل القصة أن عمرو بن الحارث الجرهمي لما أحدث قومه جرهم بحرم الله تعالى الحوادث خاف نزول العذاب بهم فعمد الى أنفس الاموال وهي غزالان من ذهب وسيوف وأدراع وحجر الركن وقيل حجر المقام فجعلها في زمزم وبالغ في طمسها وفر الى اليمن بقومه فلم تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة الى أن رفعت الحجب عنها ورآها عبد المطلب دلته على حفرها بامارات عليها روى ابن اسحق بسنده الى علي رضي الله عنه قال قال عبد المطلب اني لنائم في الحجر اذ أتاني آت فقال احفر طيبة فقلت وما طيبة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى

(المقدمة في ذكر شئ من الادلة الدالة على فضل الصحابة عموما والنهي عن تنقيص أحد منهم) (أما الآيات) القرآنية الدالة على فضلهم رضي الله عنهم فكثيرة منها قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر الآية ومنها قوله تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ومنها قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين

مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فجاءني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت فيه فجاءني فقال احفر زمزم قلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تذم تسقي الحجيج الاعظم بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل فلما كان الغد ذهب عبد المطلب وولده الحرث فوجد قرية النمل بين أساف ونائلة أعني الصنمين اللذين يذبحون عندهما ووجد الغراب ينقر عندها بين الفرث والدم أي في محلهما وقوله برة بفتح الموحدة وتشديد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها وهو اسم صادق عليها لانها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار وسميت أيضا المضنونة لانها ضن بها على غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق وفي الحديث مرفوعا من شرب من زمزم فليتضلع فانها فرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون أن يتضلعوا منها رواه الدارقطني وروى الزبير بن بكار أن عبد المطلب قيل له احفر المضنونة ضننت بها على الناس الا عليك وقوله لا تنزف أي لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها وقوله ولا تذم أي لا توجد قليلة الماء من قول العرب بئر ذمة أي قليل ماؤها والغراب الاعصم فسره النبي صلى الله عليه وسلم بانه الذي احدى رجليه بيضاء رواه ابن أبي شيبة فلما بين لعبد المطلب شانها ودل على موضعها وعرف أنه صدق غدا بمعوله ومعه ولده الحرث ليس له يومئذ ولد غيره فجعل يحفر ثلاثة أيام فلما بدا له الطي كبر وقال هذا طي اسمعيل فقاموا اليه فقالوا انها بئر أبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فيها فقال ما أنا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة سعد بن هذيم قال نعم وكانت باشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتى اذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام ظمئ عبد المطلب وأصحابه حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا وقالوا انا بمفازة نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فلما رأى ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال ماذا ترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فرنا بما شئت فامرهم فحفروا قبورهم وقال من مات واراه أصحابه حتى يكون الآخر فضيعته أيسر من ركب وقعدوا ينتظرون الموت عطاشا ثم قال والله ان القاءنا بايدينا للموت عجز لنضربن في الارض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد وركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش فقال هلم الى الماء فقد سقانا الله فاستقوا وشربوا ثم قالوا قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك في زمزم أبدا ان الذي أسقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي أسقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبين زمزم ثم آذاه عدي بن نوفل بن عبد مناف وقال له يا عبد المطلب أتستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال أبالقلة تعيرني فوالله لئن آتاني الله عشرة من الولد ذكورا لأنحرن أحدهم عند الكعبة وقيل سفه عليه وعلى ابنه ناس من قريش ونازعوهما وقاتلوهما واشتد بذلك بلواه وكان معه ولده الحرث ولم يكن له ولد سواه فنذر لئن جاءه عشرة بنين وصاروا له أعوانا ليذبحن أحدهم قربانا لله عند الكعبة واحتفر عبد المطلب زمزم في عامه ذلك هو وابنه الحرث قال ابن اسحق فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين اساف ونائلة التي كانت قريش تنحر عندهما اذ بائحها فجاء بالمعول وقام يحفر حيث أمر فقالت قريش والله ما نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال لابنه ردعني حتى أحفر فوالله لامضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير تارك خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطي فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد الغزالين والاسياف والادراع التي دفنتها جرهم فقالت قريش انا معك في هذا شركاء فقال لا ولكن هلم الى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها القداح قالوا كيف نصنع قال اجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وأسودين له وأحمرين لقريش فخرج الاصفران على

أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * وكفاهم فخرا اخبار الله عنهم بانهم هم الصادقون وشهادة الله لهم بانهم خير الناس حيث قال كنتم خير أمة أخرجت للناس فهم أول داخل في هذا الخطاب (وقد شهد) لهم النبي صلى الله عليه وسلم بانهم خير القرون في الحديث المتفق على صحته وهو قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ولا مقام أعظم من مقام قوم ارتضاهم الله عز وجل لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصرته وقال تعالى

الغزالين للكعبة والاسودان على الاسياف والادراع له وتخاف قدحا قريش فضرب الاسياف بابا للكعبة
وضرب بالباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة ثم أتم حفر زمزم وأقام سقايتها للحاج
فكانت له فخرا وعزا على قريش وعلى سائر العرب قال الزهري انه اتخذ عليها حوضا يستقى منه فكان يخرب
بالليل حسدا له فلما أهمه ذلك قيل له في النوم قل لا أحلها لمغتسل وهي لشارب حل وبل فلما أصبح قال ذلك
فكان من أرادها بمكروه رمي بداء في جسده حتى انتهوا عنه وقوله حل بكسر الحاء المهملة ضد الحرام وبل
بكسر الباء مباح وقيل شفاء قال ابن اسحق فعفت زمزم على آبار كانت قبلها وانصرف الناس اليها لمكانها
من المسجد الحرام وفضلها على ما سواها ولانها بئر اسمعيل وافتخر بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى
سائر العرب فكان منها شرب الحاج وكان لعبد المطلب ابل كثيرة يجمعها في الموسم ويسقي لبنها بالعسل في
حوض من أدم عند زمزم ويشتري الزبيب فينبذه بماء زمزم ويسقيه الحاج ليكسر غلظها وكانت اذ ذاك
غليظة فلما توفي قام بالسقاية أبو طالب ثم العباس وكان له كرم بالطائف فكان يحمل زبيبه اليها ويسقيه
الحاج أيام الموسم فلما دخل صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح قبض السقاية منه ثم ردها اليه ولما تكامل بنو
عبد المطلب عشرة بعد حفر زمزم بثلاثين سنة وهم الحرث والزبير وحجل وضرار والمقوم وأبو لهب والعباس
وحمزة وأبو طالب وعبد الله وأقر الله عينه بهم نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى في المنام قائلا يقول يا عبد
المطلب أوف بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم
نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى أن قرب ما هو أكبر من ذلك
فانتبه وقرب جملا وأطعمه للمساكين ثم نام فنودي ان قرب ما هو أكبر من ذلك فقال وما هو أكبر من ذلك
قال قرب أحد أولادك الذي نذرته فاغتم غما شديدا وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء بالنذر
فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا والقدح بكسر القاف السهم قبل أن يراش
ويوضع فيه النصل ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتوني به ففعلوا وأخذوا قداحهم ودخلوا على هبل وهو اسم لصنم
عظيم كان في جوف الكعبة وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده وكان له قيم يدفعون القداح له
فيضرب بها فدفع عبد المطلب الى القيم تلك القداح وقام يدعو الله تعالى ويقول اللهم اني نذرت نحر أحدهم
واني أقرع بينهم فاصب بذلك من شئت ثم ضرب السادن القدح فخرج على عبد الله وكان أحبهم اليه فقبض
عبد المطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة ثم أقبل الى اساف ونائلة صنمين عند الكعبة تذبح وتنحر
عندهما النسائك واصلهما رجل وامرأة الرجل من جرهم يقال له اساف بن يعلى والمرأة نائلة بنت زيد من
جرهم أيضا وكان اساف يتعشقها في أرض اليمن فحجا فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة من
البيت ففجر بها فيه فمسخا فاصبحوا فوجدوهما ممسوخين فوضعوهما موضعهما ليتعظ بهما الناس فلما
طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها فلما جاء عبد المطلب بابنه ليذبحه قام اليه سادات قريش فقالوا ما تريد
أن تصنع والله لا ندعك تذبحه حتى نعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه فيذبحه فما بقاء الناس على
هذا وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عبد الله بن أخت القوم والله لا نذبحه أبدا حتى نعذر فيه
فان كان فداؤه بأموالنا فديناه وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة فلعلها أن تأمرك بأمر فيه فرج لك فانطلقوا
حتى أتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت لهم ارجعوا عني حتى يأتيني تابعي فاسأله فرجعوا من
عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله تعالى ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم دية الرجل
عندكم قالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم أي احضروه الى موضع ضرب القداح
ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليها وعليه القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا في الابل
عشرة ثم اضربوا أيضا وهكذا حتى يرضى ربكم فخرج القوم عنها ورجعوا الى مكة وقربوا عبد الله وعشرة
من الابل وقام عبد المطلب يدعو فخرجت القداح على ولده عبد الله فلم يزل يزيد عشرا عشرا وهي تخرج على
عبد الله حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضا ربك

لا يستوي منكم من أنفق
من قبل الفتح وقاتل أولئك
أعظم درجة من الذين
أنفقوا من بعد وقاتلوا
وكلا وعد الله الحسنى وقال
تعالى ان الذين سبقت لهم
منا الحسنى أولئك عنها
مبعدون فهاتان الآيتان
صريحتان في انهم كلهم
من أهل الجنة وأخرج
الطبراني والحاكم عن
عويمر بن ساعدة رضي
الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله
اختارني واختار لي أصحابا
فجعل لي منهم وزراء وأنصارا
وأصهارا فمن سبهم فعليه
لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين لا يقبل الله منه يوم
القيامة صرفا ولا عدلا

يا عبد المطلب فزعموا أنه قال لا والله حتى أضرب عليها القداح ثلاث مرات فضربوا على عبد الله وعلى الابل فقام عبد المطلب يدعو فخرجت على الابل ثم عادوا الثانية وهو قائم يدعو فضربوا فخرجت على الابل ثم الثالثة وهو قائم فخرجت على الابل فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان ولا طائر ولا سبع ولهذا روى انه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين وروى الحاكم فى المستدرك عن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابى فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة والماء يابسا وخلفت المال عابسا هلك المال وضاع العيال فعد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال معاوية رضى الله عنه فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه ويعنى بالذبيحين عبد الله واسمعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وفى هذا الحديث دلالة على أن الذبيح هو اسمعيل لا اسحق وفى ذلك خلاف مشهور ومما يدل على أن الذبيح اسمعيل عليه السلام أن الذبح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار تذكيرا لشان اسمعيل وأمه ومعلوم أنهما هما اللذان كانا بمكة دون اسحق وأمه ولو كان الذبح بالشأم كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة وأيضا مما يدل على أنه اسمعيل عليه السلام ظاهر القرآن الكريم فان الله سمى الذبيح حليما فى قوله تعالى فبشرناه بغلام حليم لانه لا أحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه مع كونه مراهقا ابن ثمان سنين أو ثلاث عشرة سنة ولما ذكر اسحق عليه السلام سماه عليما فى قوله انا نبشرك بغلام عليم وبشروه بغلام عليم وأيضا فان الله بعد ان قص فى كتابه قصة الذبح قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فهذا يدل على تقدم قصة الذبح فتكون مع اسمعيل وأيضا فان الله تعالى أجرى العادة البشرية أن أكبر الاولاد أحب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم عليه السلام لما سأل الله الولد ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته فامر بذبح المحبوب فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله عنده أعظم من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم يبق فى الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هى العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الامر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا عليهما الصلاة والسلام ولبعضهم

ان الذبيح فديت اسمعيل * نطق الكتاب بذاك والتنزيل
شرف به خص الاله نبينا * وأبانه التفسير والتاويل

وروى فيما ذكره المعافى بن زكريا أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه سال رجلا أسلم من علماء اليهود أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود ليعلمون أنه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر العرب أن يكون الذبيح أباكم فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحق واعلم أن بعض العلماء ذكر ان أعمام النبى صلى الله عليه وسلم اثنا عشر فزادوا على العشرة السابقين الغيداق وقثم وعبد الكعبة فيكون أولاد عبد المطلب ثلاثة عشر وان حمزة والعباس تاخرت ولادتهما عن قصة الذبح فيكون الموجود وقت الذبح عشرة غير عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل الغيداق هو حجل وعبد الكعبة هو المقوم وقثم لا وجود له فالاعمام تسعة فقط وعبد الله تمام العشرة ولما انصرف عبد الله مع أبيه من نحر الابل مر على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى وهى عند الكعبة فقالت له حين نظرت الى وجهه وفيه نور المصطفى صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله أحسن رجل رؤى فى قريش لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن فقال لها

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فاستبينه
يحمى الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذى تبغينه

وفى السيرة الحلبية من شعر عبد الله والد النبى صلى الله عليه وسلم

لقد حكم البادون فى كل بلدة * بأن لنا فضلا على سادة الارض
وان أبى ذو المجد والسودد الذى * نشابه ما بين نشز الى خفض

أى ارتفاع وانخفاض وروى أبو نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما لما خرج عبد المطلب بعد نحر الابل بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر الخثعمية وكانت

وأخرج الخطيب عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختارنى واختار لى أصحابا واختار لى منهم أهلا وأنصارا فمن حفظنى فيهم حفظه الله ومن آذانى فيهم آذاه الله وزاد فى رواية للعقيلى وسياتى قوم يسبونهم وينقصونهم فلا تجالسوهم ولا تشاربوهم ولا تؤاكلوهم ولا تناكحوهم وأخرج أبو الخير القزوينى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربى عز وجل لا صهارى الجنة فاعطانيها وأخرج ابن عساكر عن عياض الانصارى رضى الله عنه

من أجل النساء وأعفهن فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فعرضت نفسها عليه فلما أبى قالت

انى رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت بحناتم القطر * فيها الهانور يضىء به
ماحوله كاضاءة الفجر * و رأيت سقياها حيا بلد * وقعت به وعمارة القفر
و رأيتها شرفا ينوء به * ما كل قادح زنده يورى
لله مازهرية سلبت * منك الذى سلبت وماتدرى

وقد روى عن العباس رضى الله عنه أنه لما بنى عبد الله بآمنة رضى الله عنهما أحصوا مائتى امرأة من بنى مخزوم و بنى عبد مناف متن ولم يتزوجن أسفا على مافاتهن من عبد الله وانه لم تبق امرأة فى قريش الا مرضت ليلة دخل عبد الله بآمنة * (ومن الارهاصات) * التى وقعت قبل وجود النبى صلى الله عليه وسلم قصة أصحاب الفيل وما حصل لهم من العذاب الوبيل ببركة دعاء عبد المطلب وتأليفا لقريش وتمهيد المولد النبى صلى الله عليه وسلم وبعثته وأمر أبرهة سايس الفيل أن يحضر فيله الاعظم بين يديه ليرهب عبد المطلب لما حضر اطلب اطلاق ابله التى أخذها جنود ابرهة فلما نظر الفيل الى عبد المطلب برك كما يبرك البعير وخر ساجدا وكان ابرهة قبل ذلك أرسل رجلا من قومه الى أهل مكة ليدخل الرعب فى قلوبهم فلما دخل مكة ورأى عبد المطلب خضع وتلجلج لسانه وخر مغشيا عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه فلما أفاق خر ساجدا لعبد المطلب وقال أشهد أنك سيد قريش حقا وكان هذا الرسول قد قال له أبرهة اسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم ثم قل له ان الملك يقول لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم فان هو لم يرد حربا فأتنى به فدخل فسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم فقالوا له عبد المطلب فقال ما أمره به ابرهة بعد أن أوفى من غشيته فقال عبد المطلب والله مانريد حربه ومالنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام و بيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه و بينه فوالله ما عندنا دفع عنه ثم ذهب معه الى أبرهة واستأذن له وقال أيها الملك هذا سيد قريش يستاذن عليك وهو صاحب عير مكة ويطعم الناس فى السهل والجبل والوحوش والطير فى رؤس الجبال فاذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجملهم وأعظمهم فعظم فى عين ابرهة فاجله وأكرمه وكره أن يجلس تحته وأن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له حاجتى أن يرد الملك على مائتى بعير أصابها فقال لترجمانه قل له كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك أتكلمنى فى مائتى بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه فقال عبد المطلب انى أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان يمتنع منى قال أنت وذاك فرد عليه ابله فقلدها وأشعرها وجللها وجعلها هديا للبيت و بثها فى الحرم وانصرف الى قريش وأخبرهم الخبر ثم جاءهم الى البيت ودعا الله تعالى ثم أمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى رؤس الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبشة ثم أقبل الحبشة يريدون دخول الحرم فارسل الله عليهم طيرا أبابيل وأهلكهم كما قص ذلك فى كتابه سبحانه وتعالى فكانت تلك القصة ارهاصا له صلى الله عليه وسلم والصحيح أن قصة الفيل كانت قبل ميلاده صلى الله عليه وسلم وكانت فى عام الولادة على الصحيح أيضا وجاء فى بعض الروايات أن نور النبى صلى الله عليه وسلم استدار فى وجه عبد المطلب لما أقبل على أبرهة مع ان النور كان قد انتقل الى ابنه عبد الله بل الى آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم لانها فى ذلك الوقت كانت حاملا به على الصحيح وأجاب المحققون عن ذلك بان النور وان كان قد انتقل عن عبد المطلب فى ذلك الوقت الا انه كان يستدير فى وجهه مثل ذلك النور الذى كان قبل انتقاله و يكون ذلك عند الاحتياج اليه كما فى هذه القصة وذلك من جملة الارهاصات أيضا ومن ذلك رؤيا جده عبد المطلب روى أبو نعيم من طريق أبى بكر بن عبد الله بن أبى الجهم عن أبيه عن جده قال سمعت أبا طالب يحدث عن عبد المطلب قال بينما أنا نائم فى الحجر اذ رأيت رؤيا هالتنى ففزعت منها فزعا شديدا فأتيت كاهنة قريش فقلت لها انى رأيت الليلة كأن شجرة نبتت من ظهرى قد نال

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احفظونى فى أصحابى وأصهارى فمن حفظنى فيهم حفظه الله فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وأخرج الطبرانى عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب الانبياء قتل ومن سب أصحابى جلد وأخرج الترمذى عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد

ورأسها السماء وضربت باغصانها المشرق والمغرب ومارأيت نورا أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورأيت العرب والعجم لها ساجدين وهي تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ساعة تخفى وساعة تظهر ورأيت رهطا من قريش قد تعلقوا باغصانها وقوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسن منه وجها ولا أطيب ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدي لا تناول منها نصيبا فلم أنل فقلت لمن النصيب فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك فانتبهت مذعورا فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس فقال عبد المطلب لابي طالب لعلك أن تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبي صلى الله عليه وسلم قد خرج أي بعث ويقول كانت الشجرة والله أبا القاسم الامين فيقال له ألا تؤمن به فيقول السبة والعار أي أخشى أو يمنعني وروى أبو علي القيرواني في كتاب البستان ان عبد المطلب رأى في منامه كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الارض وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق والمغرب كانهم يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود يكون من صلبه ويتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض وقد صح في أحاديث كثيرة انه صلى الله عليه وسلم قال لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وفي رواية لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الحسيبة الى الارحام الطاهرة وعلى هذا حمل بعضهم قوله تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين وروى البخاري بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت في القرن الذي كنت فيه * وفي السيرة الحلبية قال الحافظ السيوطي الذي تلخص أن أجداده صلى الله عليه وسلم من آدم الى مرة بن كعب مصرح بايمانهم أي في الاحاديث وأقوال السلف وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة أجداد لم أظفر فيهم بنقل وقد ذكر في عبد المطلب ثلاثة أقوال الاشبه انه لم تبلغه الدعوة لانه مات وسن النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقيل انه كان على ملة ابراهيم عليه السلام أي لم يعبد الاصنام وقيل ان الله أحياه له بعد البعثة حتى آمن به ثم مات قال بعضهم وقوله صلى الله عليه وسلم من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات دليل على أن آباء النبي صلى الله عليه وسلم وأمهاته الى آدم وحواء ليس فيهم كافر لان الكافر لا يوصف بانه طاهر وقد أشار الى ذلك صاحب الهمزية حيث قال

لم تزل في ضمائر الكون تختا * ر لك الامهات والآباء

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الامم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة وفي رواية خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدني أبي وأمي ولم يصبني من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا نكاح أهل الاسلام ولما أراد الله انتقال النور من جده عبد المطلب تزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو ابن مخزوم فولدت له أبا طالب وعبد الله والد النبي صلى الله عليه وسلم فانتقل النور الى عبد الله وكان قد تزوج قبلها زوجات قيل أول زوجة تزوجها قيلة بنت جندب ويقال صفية بنت جندب وهي أم ولده الحارث وأن سبب تزوجه أنه بعد ان بلغ الحلم نام يوما في الحجر فانتبه مكحولا مدهونا قد كسي حلة البهاء والجمال فبقي متحيرا لا يدري من فعل ذلك به فأخذ بيده عمه المطلب ثم انطلق به الى كهنة قريش فاخبرهم بذلك فقالوا ان اله السماء قد أذن لهذا الغلام أن يتزوج فزوجه قيلة بنت جندب فولدت له الحارث ثم لما تزوج فاطمة بنت عمرو المخزومية وولدت له عبد الله انتقل النور اليه وكان أي عبد الله أحسن رجل في قريش خلقا وخلقا وفي رواية كان أكمل بني أبيه وأحسنهم وأعفهم وأحبهم الى قريش وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم بينا في وجهه وفي رواية يرى في وجهه كالكوكب الدري وفي شرح المواهب كان يتلالأ نورا في قريش وكان أجملهم فشغفت به نساء قريش وكدن أن تذهل عقولهن * قال أهل السير فلقي عبد الله في زمنه من النساء من العناء مثل ما لقي يوسف في زمنه من امرأة العزيز وقد هدى الله والده فسماه بأحب الاسماء الى الله ففي الحديث

آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وأخرج الخطيب عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الذين يسبون أصحابي فقولوا لعنة الله على شركم وروى ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان شرار أمتي أجرؤهم على أصحابي وروى ابن ماجه عن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وروى الشيرازي في الالقاب عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احفظوني في أصحابي فمن حفظني فيهم كان عليه من الله حافظ ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه وروى

أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن وهو الذبيح كما تقدم وكان ذا عفة وكرم وسماحة ولما بلغ من العمر ثمان عشرة سنة خرج مع أبيه ابزوجه آمنة بنت وهب فمر على جملة من النساء فصارت كل واحدة تعرض نفسها عليه وهو يأبى لديانته وعفته فاتى عبد المطلب عم آمنة وهو وهب بن عبد مناف بن زهرة بن قصى وقيل ان وهبا المذكور أبوها الاعم فازوج آمنة لعبد الله وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا فدخل بها عبد الله حين أملك عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم وانتقل ذلك النور اليها وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أجرى فرسه مع أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه فسبقته فرس المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن العواتك انه لهو الجواد البحر يعنى فرسه وقال فى بعض غزواته

* أنا النبى لا كذب * أنا ابن عبد المطلب * أنا ابن العواتك وجاء أنا ابن العواتك من سليم والعاتكة فى الاصل المتلطخة بالطيب أو الطاهرة وعن بعض الطالبيين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى يوم أحد أنا ابن الفواطم واختلف الناس فى عدد العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم فمن مكثر ومن مقل * وقد نقل الحافظ ابن عساكر ان العواتك من جداته صلى الله عليه وسلم أربع عشرة وقيل احدى عشرة وأولهن أم لؤى بن غالب واللواتى من سليم منهن عاتكة بنت هلال أم عبد مناف وعاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال أم هاشم وعاتكة بنت مرة بن هلال أم أبى أمه صلى الله عليه وسلم وهب وقيل أراد بالعواتك من سليم ثلاثة من بنى سليم أبكارا أرضعنه كل واحدة منهن تسمى عاتكة وأما الفواطم من جداته فقيل عشر وقيل خمس وقيل ست وقيل ثمان منهن فاطمة أم عبد الله وفاطمة أم قصى وقيل لم يرد خصوص الامهات التى فى عمود نسبه بل أراد الاعم حتى يشمل فاطمة أم أسد بن هاشم وفاطمة بنت أسد التى هى أم على بن أبى طالب رضى الله عنه وفاطمة أمها وهؤلاء الفواطم غير الثلاث الفواطم اللاتى قال صلى الله عليه وسلم فيهن لعلى وقد دفع اليه ثوبا حريرا اقسم هذا بين الفواطم الثلاث فان هؤلاء فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت أسد ومن جداته الفواطم أم عمرو بن عائذ وفاطمة بنت عبد الله بن رزام وأمها فاطمة بنت الحارث وفاطمة بنت نصر بن عوف أم أم عبد مناف والله أعلم * (والسبب) * الذى دعا عبد المطلب لاختيار بنى زهرة أنه قدم اليمن مرة فنزل على حبر من اليهود فقال ممن الرجل فقال من بنى هاشم قال أتأذن لى أن أنظر بعضك قلت نعم ما لم يكن عورة ففتح احدى منخرى فنظر فيها ثم نظر فى الاخرى فقال أشهد أن فى احدى يديك ملكا وفى الاخرى نبوة وانما نجد ذلك أى كلا من الملك والنبوة فى بنى زهرة فكيف ذلك قلت لا أدرى قال هل لك من شاعة أى زوجة من بنى زهرة قلت أما اليوم فلا فقال اذا تزوجت فتزوج منهم فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب بن عبد مناف أم حمزة وصفية قيل وأم العباس أيضا وقيل غير ذلك وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب رجاء لما أخبره به الحبر وقيل الذى دعا عبد المطلب لاختيار آمنة من بنى زهرة لولده عبد الله أن سودة بنت زهرة الكاهنة عمة وهب والد آمنة أمه صلى الله عليه وسلم كان من أمرها انها لما ولدت رآها أبوها سوداء وكانوا يئدون من البنات من كانت على هذه الصفة أى يدفنونها حية ويمسكون من لم تكن على هذه الصفة فامر أبوها بوأدها وأرسلها الى الحجون لتدفن هنالك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبيه وخلها البريه فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يسجع بسجع آخر فى ذلك المعنى فرجع الى أبيها وأخبره بما سمع فقال ان لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبنى زهرة فيكم نذيرة أو تلد نذيرا له شأن وبرهان وقيل ان الكاهن الذى فى اليمن قال له أرى نبوة وملكا وأراهما فى المنافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة ولما حملت به أمه صلى الله عليه وسلم ظهر لها كثير من خوارق العادات ارهاصا لنبوته صلى الله عليه وسلم منها أنها لم تشك لحمله ثقلا وأتاها آت فى المنام فقال لها انك حملت بسيد هذه الامة ونبيها وتوفى أبوه وأمه حامل به وكانت وفاته بالمدينة وكان قد رجع ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة فتخلف عند بنى عدى بن النجار وهم اخوال أبيه عبد المطلب لان أمه منهم فاقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا

الخطيب عن جابر والدارقطنى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الناس يكثرون وأصحابى يقلون فلا تسبوا أصحابى فمن سبهم فعليه لعنة الله وروى الحاكم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه امانه لا يدرك قوم بعدكم مدكم ولا صاعكم وأخرج ابن عساكر عن الحسن مرسلا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما شانكم وشان أصحابى ذروا لى أصحابى ذروا لى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مثل عمل أحدهم يوما واحدا وفى رواية فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره وأخرج الامام أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وابن ماجه عن أبى

تخلفناه مريضا عند أخواله فبعث عبد المطلب اليه أخاه الحرث وقيل الزبير فوجده قد توفى بالمدينة ودفن بها فقالت آمنة زوجته ترثيه

عفا جانب البطحاء من آل هاشم * وجاور لحدا خارجا في الغمائم
دعته المنايا دعوة فاجابها * وما تركت في الناس مثل ابن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره * تعاوره أصحابه في التزاحم
فان تك غالته المنون وريبها * فقد كان معطاء كثير التراحم

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما توفي عبد الله قالت الملائكة يا الهنا وسيدنا بقي نبيك يتيما لا أب له فقال الله تعالى لهم أنا له حافظ ونصير وفي رواية أنا وليه وحافظه وحاميه وربه وعونه ورازقه وكافيه فصلوا عليه وتبركوا باسمه وقيل لجعفر الصادق رضي الله عنه لم يتم النبي صلى الله عليه وسلم أي ما حكمة ذلك قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق والمراد الحقوق الثابتة بعد البلوغ لان أمه ماتت وعمره ست سنين وليعلم أن العز بزمن أعزه الله وأن قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال بل قوته من الله تعالى وأيضا ليرحم الفقير واليتيم * ولما دنت ولادتها أتاها آت في المنام فقال لها قولي اذا ولدتيه أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا وفي السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة التي حمل فيها وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا ومثل هذا لا يقال من قبل الرأي انتهى ومن علامات حمل آمنة به صلى الله عليه وسلم انتقال النور الذي كان في عبد الله اليها وعن كعب الاحبار أن في صبيحة تلك الليلة أصبحت أصنام الدنيا منكوسة ووقع ذلك أيضا عند ولادته صلى الله عليه وسلم وروى الحاكم باسناد صحيح ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له يا رسول الله أخبرنا عن نفسك فقال أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام وصح أيضا أنها رأت ذلك عند الولادة قيل ان الذي عند الحمل كان مناما والذي عند الولادة كان يقظة وكانت تلك السنة التي حمل فيها برسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الفتح والابتهاج فان قريشا كانت قبل ذلك في جدب وضيق عيش عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم الرغد والمطر من كل جانب في تلك السنة وأذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكورا كرامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وولد صلى الله عليه وسلم مختونا أي على صورة المختون مكحولا نظيفا ما به قذر ولبعضهم

وفي الرسل مختون لعمرك خلقة * ثمان وتسع طيبون أكارم
وهم زكريا شيث ادريس يوسف * وحنظلة عيسى وموسى وآدم
ونوح شعيب سام لوط وصالح * سليمان يحيى هود يس خاتم

وقيل ختنه جده وقد يجمع بانه تمم ختانه جريا على المعتاد * ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على الارض مقبوضة أصابع يده يشير بالسبابة كالمسبح بها وفي رواية عن أمه أنها قالت فلما خرج من بطني نظرت اليه فاذا هو ساجد قد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل وفي رواية شاخصا ببصره الى السماء وفي رواية أنه قبض قبضة من تراب فبلغ ذلك رجلا من بني لهب فقال لصاحبه لئن صدق هذا الغلام ليغلبن هذا المولود أهل الارض أي لانه قبض عليها وصارت في يده وروى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأت أمي حين وضعتني أنه سطع منها نور أضاء له قصور بصرى وفي رواية أنها قالت لما وضعته خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب فأضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت أعناق الابل ببصرى ولذلك قال عمه العباس رضي الله عنه في قصيدة مدحه بها لما رجع من تبوك

وأنت لما ولدت أشرقت الار * ض وضاءت بنورك الافق
فنحن في ذلك الضياء وفي النو * ر وسبل الرشاد نخترق

هريرة رضي الله عنه لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو ان أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وأخرج الدارقطني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في أصحابي لم يرد على الحوض ولم يرني وروى الترمذي عن بريدة رضي الله عنه ما من أحد من أصحابي يموت بارض الا بعث قائدا لهم ونورا يوم القيامة وروى الديلمي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا أراد الله برجل من أمتي خيرا ألقى حب أصحابي في قلبه وروى أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل أصحابي مثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح وروى الامام أحمد ومسلم عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه النجوم أمنة

وقال البوصيري في الهمزية   وتراءت قصور قيصر بالرو * م يراها من داره البطحاء

قال في المواهب وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى ما يجيء به من النور الذي اهتدى به أهل الارض وزالت به ظلمة الشرك كما قال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم * وروى السهيلي انه صلى الله عليه وسلم لما ولد تكلم فقال جلال ربي الرفيع وروى أيضا أنه قال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وعن عثمان بن أبي العاص عن أمه رضي الله عنها أنها قالت شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا قالت فلم أنظر من البيت الا نورا واني لانظر الى النجوم تدنو حتى اني لاقول ليقعن علي وقولها ليلا أي قرب الفجر جمعا بين الروايات * قال بعض المفسرين ان الله أقسم بالليلة التي ولد فيها في قوله تعالى والضحى والليل وقيل المراد ليلة الاسراء وعن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنها قالت لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي فسمعت قائلا يقول رحمك الله والى ذلك يشير قول البوصيري في الهمزية

شمتته الاملاك اذ وضعته * وشفتنا بقولها الشفاء

قال بعضهم لعله عطس فحمد الله فشمتته الملائكة ويدل لهذا الحديث الذي فيه أنه قال حين خر وجها الحمد لله كثيرا وعن آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها أنها قالت لما أخذني ما ياخذ النساء أي عند الولادة رأيت نسوة كالنخل طولا كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بي ما رأيت أضوأ منهن وجوها وكأن واحدة من النساء تقدمت الي فاستندت اليها وأخذني المخاض واشتد علي الطلق وكأن واحدة منهن تقدمت الي وناولتني شربة من الماء أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من الشهد فقالت لي اشربي فشربت ثم قالت الثانية ازدادي فازددت ثم مسحت بيدها على بطني وقالت بسم الله اخرج باذن الله فقلن لي أي تلك النسوة نحن آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين قال بعضهم لعل ذلك كان قبل وجود الشفاء وأم عثمان عندها ولعل الحكمة في شهود مريم وآسية كونهما تصيران زوجتين له صلى الله عليه وسلم في الجنة مع كلثم أخت موسى عليه السلام وقد حمى الله هؤلاء النسوة أن يطأهن أحد فقد روي أن آسية لما زفت الى فرعون أخذه الله عنها وكان هذا حاله معها وقد رضي عنها بالنظر اليها قالت أمه صلى الله عليه وسلم ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة ولما ولد صلى الله عليه وسلم وضعت عليه جفنة فانفلقت عنه فلقتين لان عادتهم اذا ولد لهم مولود في الليل وضعوه تحت الاناء لا ينظرون اليه حتى يصبحوا فلما ولد صلى الله عليه وسلم وضعوه في رواية تحت برمة ضخمة فلما أصبحوا أتوا البرمة فاذا هي قد انفلقت ثنتين وعيناه الى السماء وهو يمص ابهامه يشخب أي يسيل لبنا ولما ولد صلى الله عليه وسلم أرسلت الى جده وكان يطوف بالبيت تلك الليلة فجاء اليها فقالت له يا أبا الحرث ولد لك مولود له أمر عجيب فذعر عبد المطلب وقال أليس بشرا سويا فقالت بلى ولكن سقط ساجدا ثم رفع رأسه وأصبعيه الى السماء فاخرجته له ونظر اليه وأخذه ودخل به الكعبة ودعا الله تعالى ثم خرج فدفعه اليها وعن عكرمة أن ابليس لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى تساقط النجوم قال لجنوده قد ولد الليلة ولد يفسد علينا أمرنا فقال له جنوده لو ذهبت اليه فخبلته فلما دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الله جبريل فركضه برجله ركضة فوقع بعدن وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الشياطين كانوا لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ياتون باخبارها مما سيقع في الارض فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام حجبوا عن ثلاث سموات وعن وهب عن أربع سموات ولما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم حجبوا عن الكل وحرست السماء بالشهب فما يريد أحد منهم استراق السمع الا رمي بشهاب وازداد ذلك عند المبعث وقد أخبرت الاحبار والرهبان بليلة ولادته صلى الله عليه وسلم فعن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال اني لغلام يفعة أي غلام مرتفع ابن سبع أو ثمان أعقل ما رأيت وسمعت اذا يهودي بيثرب يصرخ ذات غداة على أطمة أي محل مرتفع يا معشر يهود فاجتمعوا اليه وأنا أسمع وقالوا ويلك مالك قال طلع نجم

للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأصحابي أمنة لامتي فاذا ذهبت اصحابي أتى أمتي ما يوعدون وأخرج الترمذي والحاكم أنه صلى الله عليه وسلم قال خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وأخرج خيثمة بن سليمان عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وسلام على عباده الذين اصطفى قال أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصطفاهم لنبيه صلى الله عليه وسلم وأخرج السدي عن أبي صالح في قوله عز وجل الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة قال محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأخرج نظام الملك عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت ربي فيما اختلف فيه أصحابي من بعدي فاوحى الله الي يا محمد أصحابك عندي بمنزلة النجوم بعضهم أضوأ من

أحمد الذي ولد به في هذه الليلة أي الذي طلوعه علامة على ولادته صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة في بعض الكتب القديمة وعن كعب الاحبار قال رأيت في التوراة ان الله تعالى أخبر موسى عن وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم أي من بطن أمه وموسى أخبر قومه أن الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم وصار ذلك مما يتوارثه العلماء من بني اسرائيل وعن عائشة رضي الله عنها ترويه عمن كان موجودا وقت ولادته صلى الله عليه وسلم قالت كان يهودي يسكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش هل ولد فيكم الليلة مولود فقال القوم والله ما نعلمه فقال احفظوا ما أقول لكم ولد هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة وهو منكم معاشر قريش على كتفه شامة فيها شعرات متواترات أي متتابعات كأنهن عرف فرس أي وتلك العلامة هي خاتم النبوة أي علامتها والدليل عليها الا يرضع ليلتين وذلك في الكتب القديمة من دلائل نبوته وعند قول اليهودي ماذكر تفرق القوم من مجالسهم وهم متعجبون من قوله فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا قد ولد الليلة لعبد الله بن عبد المطلب غلام سموه محمدا فالتقى القوم حتى جاؤا اليهودي فأخبروه الخبر أي قالوا له أعلمت ولد فينا مولود فقال اذهبوا معي حتى أنظر اليه فخرجوا حتى أدخلوه على أمه فقالوا اخرجي الينا ابنك فأخرجته وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فخر مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال والله ذهبت النبوة من بني اسرائيل أفرحتم به يا معشر قريش أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب وعن الواقدي انه كان بمكة يهودي يقال له يوسف لما كان اليوم أي الوقت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يعلم به أحد من قريش قال يا معشر قريش قد ولد نبي هذه الامة هذه الليلة في بحرتكم أي ناحيتكم هذه وجعل يطوف في أنديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فقال هو نبي والتوراة وكان بمر الظهران راهب من أهل الشأم يدعى عيص وكان قد آتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له ويدخل مكة فيلقى الناس ويقول يوشك أي يقرب أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة تدين له العرب أي تذل وتخضع ويملك العجم أي أرضها وبلادها هذا زمانه فمن أدركه أي أدرك بعثته واتبعه أصاب حاجته أي ما يؤمله من الخير ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته فكان لا يولد مولود بمكة الا ويسأل عنه فيقول ما جاء بعد أي الآن فلما كان صبيحة اليوم أي الوقت الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيص فوقف على أصل صومعته فناداه فقال من هذا فقال أنا عبد المطلب فقال كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم به وان نجمه طلع البارحة وعلامة ذلك أيضا أنه وجع فيشتكي أي لا يرضع ثلاثا ثم يعافى فاحفظ لسانك لا تذكر ما قلته لك لاحد من قومك فانه لم يحسد أحد حسده ولم يبغ على أحد كما يبغى عليه قال فما عمره قال ان طال عمره لم يبلغ السبعين يموت في وتر دونها وذلك جل أعمار أمته وتنكست الاصنام عند ولادته صلى الله عليه وسلم وتقدم أنها تنكست أيضا عند الحمل وعن عبد المطلب قال كنت في الكعبة فرأيت الاصنام سقطت من أماكنها وخرت سجدا وسمعت من جدار الكعبة قائلا يقول ولد المصطفى المختار الذي تهلك بيده الكفار ويطهره من عبادة الاصنام ويأمر بعبادة الملك العلام وفي السيرة الحلبية أن نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمرو ابن نفيل وعبيد الله بن جحش كانوا يجتمعون الى صنم فدخلوا عليه ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوه منكسا على وجهه فانكروا ذلك فأخذوه فردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الثالثة فقالوا ان هذا الامر حدث ثم أنشد بعضهم أبياتا يخاطب بها الصنم ويتعجب من أمره ويسأله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم بصوت جهير أي مرتفع يقول

تردى لمولود أنارت بنوره * جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

قال في الهمزية

وتوالت بشرى الهواتف أن قد * ولد المصطفى وحق الهناء

وتزلزلت الكعبة واضطربت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ولم تسكن ثلاثة أيام ولياليهن وكان ذلك أول

بعض فمن أخذ بشئ مما هم عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى وأخرج ابن سعد عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن القول في أصحابي فقد برئ من النفاق ومن ساء القول فيهم كان مخالفا لسنتي ومأواه النار وبئس المصير وأخرج الحافظ الدمشقي عن سهل بن مالك عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها الناس احفظوني في أختاني وأصهاري ولا يطالبنكم الله بظلم أحد منهم فانه ليس مما توهب وأخرج ابن عرفة العبدي عن عبد الرحمن بن زيد السعمي قال أخبرني أبي قال أدركت أربعين شيخا من التابعين كلهم حدثوني عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحب جميع أصحابي وتولاهم واستغفر لهم جعله الله معهم

علامة رأت قريش من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وارتجس أي اضطرب وانشق ايوان كسرى أنوشروان وكان مبنيا بناء في غاية الاحكام بحيث لا تعمل فيه الفؤس وسمع لشقه صوت هائل وسقط منه أربع عشرة شرافة وليس ذلك لخلل في بنائه وانما أراد الله أن يكون ذلك آية لنبيه صلى الله عليه وسلم باقية على وجه الارض يروى أن الرشيد أراد هدم الايوان فقال له وزيره يحيى بن خالد البرمكي يا أمير المؤمنين لا تهدم بناء هو آية الاسلام وخمدت نار فارس أي مع ايقاد خدامها لها أي وكتب صاحب فارس لكسرى أن بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت أي غارت بحيرة ساوة بحيث صارت يابسة كان لم يكن بها شيء من الماء مع شدة اتساعها أي وكتب لكسرى عامله بذلك أيضا والى ذلك يشير البوصيري في الهمزية بقوله

وتداعى ايوان كسرى ولولا * آية منك ما تداعى البناء * وغدا كل بيت نار وفيه

كربة من خمودها وبلاء * وعيون للفرس غارت فهل كان لنيرانهم بها اطفاء

ورأى الموبذان وهو القاضي الكبير وقيل خادم النيران الكبير ورئيس الاحكام في منامه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها وكان كسرى قد رأى ما أهاله وأفزعه من ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات فلما أصبح تصبر ولم يظهر الانزعاج لهذا الامر الذي رآه تشجعا ثم رأى انه لا يدخر هذا الامر عن مرازبته أي فرسانه وشجعانه فجمعهم ولبس تاجه وجلس على سريره ثم بعث اليهم فلما اجتمعوا قال تدرون فيم بعثت اليكم قالوا لا الا أن يخبرنا الملك فبينما هم كذلك اذ ورد عليه كتاب بخمود النيران وكتاب من صاحب ايليا يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة وورد عليه كتاب صاحب الشام يخبره أن وادي سماوة انقطع تلك الليلة وكتاب صاحب طبرية ان الماء لم يجر في بحيرة طبرية فازداد غما الى غمه ثم أخبرهم بما رأى وما هاله من ارتجاس الايوان وسقوط الشرفات فقال الموبذان فانا أصلح الله الملك رأيت في هذه الليلة رؤيا ثم قص عليه رؤياه في الابل فقال أي شيء هذا يا موبذان قال حدث يكون في ناحية العرب فابعث الى عاملك بالحيرة يوجه اليك رجلا من علمائهم فانهم أصحاب علم بالحدثان فكتب كسرى عند ذلك من كسرى ملك الملوك الى النعمان بن المنذر أما بعد فوجه الي رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه فوجه اليه بعبد المسيح الغساني وهو معدود من المعمرين عاش مائة وخمسين سنة فلما ورد عليه قال ألك علم بما أريد أن أسألك عنه قال ليسألني الملك عما أحب فان كان عندي علم منه أعلمته والا أخبرته بمن يعلمه فاخبره بالذي وجه اليه فيه قال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام أي أعاليها وهي الجابية المدينة المعروفة يقال له سطيح قال فائته فاسأله عما سألتك عنه ثم ائتني بتفسيره فخرج عبد المسيح حتى انتهى الى سطيح وقد أشفى على الضريح أي الموت وعمره اذ ذاك ثلثمائة سنة وقيل سبعمائة سنة وكان جسدا ملقى لا جوارح له وكان لا يقدر على الجلوس الا اذا غضب فانه ينتفخ فيجلس وكان وجهه في صدره ولم يكن له رأس ولا عنق وفي كلام غير واحد لم يكن له عظم سوى رأسه وفي لفظ لم يكن له عظم ولا عصب الا الجمجمة والكفين ولم يتحرك منه الا اللسان وكان لسطيح سرير اذا أريد نقله من مكان الى مكان يطوى من رجليه الى ترقوته كما يطوى الثوب ويوضع على السرير فيذهب به الى حيث يشاء واذا أريد استخباره ليخبر عن المغيبات يحرك كما يحرك سقاء اللبن الذي يمخض ليخرج زبده فينتفخ ويمتلئ ويعلوه النفس فيخبر عما يسأل عنه وكانت جمجمته اذا مست أثر اللمس فيها للينها فسلم عبد المسيح على سطيح وكلمه فلم يرد عليه سطيح جوابا فانشأ يقول عبد المسيح الابيات المشهورة التي أولها

* أصم أم يسمع غطريف اليمن * فلما سمع سطيح شعر عبد المسيح رفع رأسه وقال عبد المسيح على جمل مشيح أي سريع جاء الى سطيح * وقد وافى الضريح بعثك ملك ساسان * لارتجاس الايوان وخمود النيران * ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وغاضت بحيرة ساوة وخمدت نار فارس فليست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطيح شاما علك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم مات سطيح من ساعته وذكر الطبري أن برويز ابن هرمز جاءه جاء في المنام فقيل له سلم ما في يدك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا حتى كتب له النعمان

يوم القيامة في الجنة وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما من أحب أصحابي وأزواجي وأهل بيتي ولم يطعن في أحد منهم وخرج من الدنيا على محبتهم كان معي في درجتي يوم القيامة وأخرج أيضا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر أصحابي فامسكوا قال المحب الطبري في الرياض النضرة فالسعيد من تولى جميعهم واهتدى بهديهم وتمسك بحبلهم والشقي من تعرض للخوض فيما شجر بينهم واقتحم خطار التفريق واتبع نفسه هواها ثم سب أحدا منهم * فلله الحمد والمنة اذ أعاذنا من ذلك ونسأله دوام نعمته واتمامها (وروى) الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير أمتي

بظهور النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة وعند موت سطيح نهض عبد المسيح الى رحله وهو يقول أبياتا منها

شمر فانك ماضي العزم شمير * ولا يغرنك تفريق وتغيير
والخير والشر مقرونان في قرن * والخير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره بما قال سطيح قال كسرى الى أن يملك منا أربعة عشر ملكا كانت أمور وأمور فملك منهم بعضهم في خلافة عمر رضي الله عنه وملك الباقون في خلافة عثمان رضي الله عنه وكان مدة ملكهم ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربعة وستين سنة ومن ملوك بني ساسان سابور ذو الاكتاف قيل له ذلك لانه كان يخلع أكتاف من ظفر به من العرب ولما جاء لمنازل بني تميم فروا منه ومن جيشه وتركوا عمير بن تميم وهو ابن ثلثمائة سنة وكان معلقا في قفة لعدم قدرته على الجلوس فأخذ وجيء به اليه واستنطقه فوجد عنده أدبا ومعرفة فقال للملك أيها الملك لم تفعل فقال هذا بالعرب فقال يزعمون أن ملكا سيصير اليهم على يدي نبي يبعث في آخر الزمان فقال له عمير فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هذا الامر باطلا فلن يضرك وان يكن حقا ألفوك ولم تتخذ عندهم يدا يكافئونك عليها ويعظمونك بها في دولتهم فانصرف سابور وترك تعرضه للعرب وعن العباس رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قال يارسول الله دعاني الى الدخول في دينك اشارة أي علامة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر أي تحدثه وتشير اليه باصبعك فحيثما أشرت اليه مال قال كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء واسمع وجبته أي سقطته حين يسجد تحت العرش وكان مهده صلى الله عليه وسلم يتحرك بتحريك الملائكة وتقدم أن أمه رأت من يقول لها فسميه اذا ولدتيه محمدا وعن أبي جعفر محمد الباقر رضي الله عنه قال أمرت أمه آمنة في المنام وهي حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسميه أحمد ولا مانع من رؤية الامرين فاخبرت جده فسماه وقيل ألهم ذلك أيضا ولا مانع منهما ولما سماه بمحمد قيل له ما حملك على أن تسميه محمدا وليس من أسماء آبائك ولا قومك فقال رجوت أن يحمد في السماء والارض وقد حقق الله رجاءه *(فائدة)* جرت العادة أن الناس اذا سمعوا ذكر وضعه صلى الله عليه وسلم يقومون تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام مستحسن لما فيه من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وقد فعل ذلك كثير من علماء الامة الذين يقتدى بهم قال الحلبي في السيرة فقد حكى بعضهم أن الامام السبكي اجتمع عنده كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصري في مدحه صلى الله عليه وسلم

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب * على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الاشراف عند سماعه * قياما صفوفا أو جثيا على الركب

فعند ذلك قام الامام السبكي وجميع من بالمجلس فحصل أنس كبير في ذلك المجلس وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك مستحسن قال الامام أبو شامة شيخ النووي ومن أحسن ما ابتدع في زماننا ما يفعل كل عام في اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه في قلب فاعل ذلك وشكر الله تعالى على ما من به من ايجاد رسوله صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين قال السخاوي ان عمل المولد حدث بعد القرون الثلاثة ثم لازال أهل الاسلام من سائر الاقطار والمدن الكبار يعملون المولد ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات ويعتنون بقراءة مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم وقال ابن الجوزي من خواصه أنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية والمرام وأول من أحدثه من الملوك الملك المظفر أبو سعيد صاحب أربل وألف له الحافظ بن دحية تأليفا سماه التنوير في مولد البشير النذير فأجازه الملك المظفر بالف دينار وصنع الملك المظفر المولد وكان يعمله في ربيع الاول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا وطالت مدته في الملك الى أن مات وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة قال سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان حكى لي بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد فذكر أنه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين

أولها وآخرها وفي وسطها كدر وأخرج أبو ذر الهروي والذهبي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام وأخرج أبو ذر الهروي أيضا عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر في أمتي قوم يسمون الرافضة يرفضون الاسلام وأخرج الدارقطني عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيأتي من بعدي قوم يقال لهم الرافضة فان أدركتهم فاقتلهم قلت يارسول الله ما العلامة فيهم قال يقرظونك بما ليس فيك ويطعنون على السلف وفي رواية أخرى عن علي رضي الله عنه ينتحلون حبنا أهل البيت وليسوا كذلك وآية ذلك انهم يسبون أبابكر وعمر رضي الله عنهما وأخرج مثله عن فاطمة

ألف صحن حلوى وكان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور وكان يصرف على المولد ثلثمائة ألف دينار واستنبط الحافظ ابن حجر تخريج عمل المولد على أصل ثابت فى السنة وهو ما فى الصحيحين أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ونحن نصومه شكرا فقال نحن أولى بموسى منكم وقد جوزى أبو لهب بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب اعتاقه ثويبة لما بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم وأنه يخرج له من بين أصبعيه ماء يشرب به كما أخبر بذلك العباس فى منام رأى فيه أبا لهب ورحم الله القائل وهو حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر حيث قال

اذا كان هذا كافر جاء ذمه * وتبت يداه فى الجحيم مخلدا * أتى انه فى يوم الاثنين دائما

يخفف عنه للسرور بأحمدا * فما الظن بالعبد الذى كان عمره * بأحمد مسرورا ومات موحدا

(باب فى ذكر شئ من الخوارق التى ظهرت فى زمن رضاعه صلى الله عليه وسلم)

أول من أرضعه صلى الله عليه وسلم أمه ثم ثويبة الاسلمية مولاة أبى لهب التى أعتقها حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم واختلفوا فى أنها أدركت البعثة وأسلمت أم لا وكان من عادة العرب اذا ولد لهم مولود يلتمسون له مرضعة من غير قبيلتهم ليكون أنجب للولد وأفصح له فجاء نسوة من بنى سعد الى مكة يلتمسون الرضعاء ومعهم حليمة السعدية فكل امرأة أخذت رضيعا الا حليمة قالت حليمة فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل لها يتيم فلما أجمعنا الانطلاق أى عزمنا عليه قلت لصاحبى أعنى زوجها والله انى لاكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك ولآخذنه فقال لا بأس عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة فذهبت اليه فأخذته وفى رواية قالت فاستقبلنى عبد المطلب فقال من أنت فقلت امرأة من بنى سعد فقال ما اسمك فقلت حليمة فتبسم عبد المطلب وقال بخ بخ سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الابد يا حليمة ان عندى غلاما يتيما وقد عرضته على نساء بنى سعد فأبين أن يقبلن وقلن ما عند اليتيم من الخير انما نلتمس الكرامة من الآباء فهل لك أن ترضعيه فعسى أن تسعدى به فقلت الا تذرنى حتى أشاور صاحبى قال بلى فانصرفت الى صاحبى فأخبرته فكأن الله قذف فى قلبه فرحا وسرورا فقال لى يا حليمة خذيه فرجعت الى عبد المطلب فوجدته قاعدا ينتظرنى فقلت هلم الصبى فاستهل وجهه فرحا فأخذنى وأدخلنى بيت آمنة فقالت لى أهلا وسهلا وأدخلتنى فى البيت الذى فيه محمد صلى الله عليه وسلم فاذا هو مدرج فى ثوب صوف أبيض من اللبن وتحته حريرة خضراء راقدا على قفاه يغط تفوح منه رائحة المسك فأشفقت أى خفت أن أوقظه من نومه لحسنه وجماله فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه الى فخرج منهما نور حتى دخل عنان السماء وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وحلته وما حملنى على أخذه أى فى ابتداء الامر الا انى لم أجد غيره والاقتصار على ما ذكرته من أوصافه مقتض لاخذه وفى شرح الزرقانى على المواهب أنهم المادخات عليه صلى الله عليه وسلم سمع جده هاتفا يقول

ان ابن آمنة الامين محمدا * خير الانام وخيرة الاخيار * ما ان له غير الحليمة مرضع

نعم الامينة هى على الابرار * مأمونة من كل عيب فاحش * ونقية الاثواب والاوزار

لا تسلمنه الى سواها انه * أمر وحكم جاء من جبار

قالت حليمة ثم أعطيته ثديى الايمن فأقبل عليه بما شاء من لبن ثم حولته الى الايسر فأبى وكانت تلك حاله بعد قال أهل العلم ألهمه الله أن له شريكا فعدل وفى رواية ان أحد ثديى حليمة كان لا يدر اللبن فلما وضعته فى فم رسول الله صلى الله عليه وسلم در اللبن منه قالت وشرب أخوه معه حتى روى ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك أى لعدم نومه من الجوع قالت وقام زوجى الى شارفنا فاذا هى حافل أى ممتلئة الضرع من اللبن فحلب منها ما شرب وشربت حتى انتهينا ريا وشبعا وبتنا بخير ليلة يقول صاحبى حين أصبحنا والله يا حليمة لقد أخذنا نسمة مباركة فقلت والله انى لارجو ذلك ثم خرجنا وركبت أتانى وحملته معى عليها فوالله انها قطعت بالركب ما يقدر

الزهراء وأم سلمة رضى الله عنهما والرواية عن فاطمة رضى الله عنها رواها الامام أحمد قالت نظر النبى صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فقال هذا فى الجنة وان من شيعته قوما يلفظون الاسلام يسمون الرافضة من لقيهم فليقتلهم فانهم مشركون قال الدارقطنى ولهذا الحديث عندنا طرق كثيرة * فهذه نبذة من فضائل الصحابة على العموم رضى الله عنهم وبقيت أحاديث كثيرة لم نذكرها خوفا من التطويل وفى هذا القدر كفاية فتأمل ذلك تجد من قبح ما اختلقته الرافضة والخوارج على الصحابة مما هم بريئون منه فالحذر الحذر من اعتقاد أدنى شائبة من شوائب النقص فى أحد منهم أعاذهم الله من ذلك فان الله لم يختر لاكمل أنبيائه الا أكمل خلقه كما يرشد الى ذلك قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس (ومما

على مرافقتها اشتى من حرهم حتى أن صواحبى يقلن لى يابنت أبى ذؤيب وعكنار بعى علينا أى اعطفى علينا بالرفق وعدم الشدة فى السير أليست هذه أتانك التى كنت عليها تخفضك طورا وترفعك طورا آخر فأقول لهن بلى والله انها هى فيقلن والله ان لها لشأنا قالت حليمة وكنت أسمع أتانى تنطق وتقول والله ان لى لشأنا ثم شأنا شأنى بعثنى الله بعد موتى وردلى سمنى بعد هزالى ويحكن يانساء بنى سعد انكن لفى غفلة وهل تدرين من على ظهرى على ظهرى خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين ذكره فى السيرة الحلبية وذكر انها لما أرادت فراق مكة رأت تلك الاتان سجدت أو خفضت رأسها نحو الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء ثم مشت قالت ثم قدمنا منازلنا بنى سعد ولا أعلم أرضا من أراضى الله أجدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا شباعا لبنا أى غزيرات اللبن فنحلب ونشرب وفى رواية نحلب ماشاء الله وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان المقيم فى المنازل من قومنا يقول لرعاتهم ويحكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب يعنونى فتروح أغنامهم جياعا ما تبض بقطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فلم نزل نعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفطمته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يقطع سنتيه حتى كان غلاما جفرا أى غليظا شديدا وعن حليمة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ شهرين يحبى الى كل جانب وفى ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه وفى أربعة كان يمسك الجدار ويمشى وفى خمسة حصلت له القدرة على المشى فلما بلغ ثمانية أشهر كان يتكلم بحيث يسمع كلامه ولما بلغ تسعة أشهر كان يتكلم بالكلام الفصيح ولما بلغ عشرة أشهر كان يرمى بالسهام مع الصبيان وعن حليمة أيضا رضى الله عنها قالت انه فى حجرى اذ مرت بنا غنيمات فاقبلت واحدة منهن حتى سجدت له وقبلت رأسه ثم ذهبت الى صواحبها قالت رضى الله عنها وكان ينزل عليه كل يوم نور كنور الشمس ثم ينجلى عنه والى قصة ارضاعه صلى الله عليه وسلم يشير صاحب الهمزية حيث يقول

و بدت فى رضاعه معجزات * ليس فيها عن العيون خفاء * اذ أبته ليتمه مرضعات
قلن ما فى اليتيم عنا غناء * فأتته من آل سعد فتاة * قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها * وبنيها ألبانهن الشاء * أصبحت شولا عجافا وأمست
ما بها شائل ولا عجفاء * أخصب العيش عندها بعد محل * اذ غدا للنبى منها غذاء
بالهامنة لقد ضوعف الاجـ * ـر عليها من جنسها والجزاء * واذا سخر الاله أناسا
* لسعيد فانهم سعداء *

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال كان أول كلام تكلم به صلى الله عليه وسلم حين فطم الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وتكلم بهذا أيضا عند خروجه من بطن أمه كما تقدم وفى رواية أول كلام تكلم به فى بعض الليالى وهو عند حليمة لا اله الا الله قدوسا قدوسا نامت العيون والرحمن لا تأخذه سنة ولا نوم وكان لا يمس شيأ الا قال بسم الله وعن حليمة رضى الله عنها قالت لما دخلت به الى منزلى لم يبق منزل من منازل بنى سعد الا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته واعتقاد بركته فى قلوب الناس حتى ان أحدهم كان اذا نزل به أذى فى جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله تعالى سريعا وكذا اذا اعتل لهم بعير أو شاة قالت حليمة رضى الله عنها فقدمنا مكة على أمه أى بعد ان بلغ سنتين ونحن أحرص شئ على مكثه فينا لما نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت ابنى عندى حتى يغلظ وفى رواية قلنا ارجع به هذه السنة الاخرى فانى أخشى عليه وباء مكة أى مرضها ونحوها فلم نزل بها حتى ردته معنا وقيل ان أمه آمنة رضى الله عنها قالت لحليمة رضى الله عنها ارجعى بابنى على الفور فانى أخاف عليه وباء مكة أى كما تخافين أنت أيضا عليه ذلك قالت حليمة فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة مع أخيه تعنى من الرضاع لفى بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتى أخوه يشتد أى يعدو فقال لى ولابيه ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه أى يدخلان يديهما فى بطنه قالت

بشدك) الى ان ما نسبه اليهم الخوارج والرافضة وأهل البدع كذب مختلق عليهم أنهم لم ينقلوا شيأ من ذلك باسناد عرفت رجاله ولا عدلت نقلته انما هو شئ من افكهم وحمقهم وجهلهم وافترائهم على الله تعالى فاياك ان تترك النقول الصحيحة التى حررها أئمة أهل السنة والجماعة وتتبع السقيم ميلا الى الهوى والعصبية وقد جاء عن على رضى الله عنه وأكابر أهل البيت من تعظيم الصحابة سيما الشيخان وعثمان وعلى وبقية العشرة ما فيه مقنع لمن آلهم رشده من ذلك ما تواتر عن على رضى الله عنه من قوله خير هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ومنها ما رواه الطبرانى وغيره عن على رضى الله عنه الله الله فى أصحاب نبيكم صلى الله عليه وسلم فانه أوصى بهم خيرا وسيتلى عليك شئ كثير من ذلك عن على رضى

نفرجت

فرجعت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه أي متغير اللون مما ناله من رؤية الملائكة لا من الشق لأنه بغير ألم قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا مالك يا بني قال جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فاقبلا يبتدراني فأخذاني فأضجعاني فشقا بطني فالتمسا فيه شيئا فوجداه وأخذاه وطرحاه ولا أدري ما هو قالت حليمة فرجعنا به إلى خبائنا وقال لي أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب يعني بشيء من الجن فألحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به وأخرجي من أمانتك وفي رواية قالت قال زوجي أرى أن ترديه على أمه لتعالجه والله إن أصابه ما أصابه إلا حسدا من آل فلان لما يرون من عظيم بركته قالت فحملناه وقدمنا به مكة على أمه قيل وهو ابن أربع وقيل خمس وقيل سنتين وأشهر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن حليمة رضي الله عنها كانت تحدث أنه صلى الله عليه وسلم لما ترعرع كان يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم فقال لي يا أماه مالي لا أرى إخوتي بالنهار يعني إخوته من الرضاع وهم أخوه عبد الله وأختاه أنيسة والشيماء أولاد الحارث قالت فدتك نفسي إنهم يرعون غنما لنا فيروحون من ليل إلى ليل قال ابعثيني معهم فكان يخرج مسرورا ويعود مسرورا قالت فلما كان يوم من ذلك خرجوا فلما انتصف النهار أتاني أخوه وفي رواية ابني ضمرة يعدو فزعا وجبينه يرشح عرقا باكيا ينادي يا أمه ويا أبت الحقا أخي محمدا فما تلحقانه إلا ميتا قلت وما قصته قال بينا نحن قيام إذ أتاه رجل فاختطفه من وسطنا وعلا ذروة الجبل ونحن ننظر إليه حتى شق صدره إلى عانته ولا أدري ما فعل به قالت حليمة فانطلقت أنا وأبوه نسعى سعيا شديدا فإذا نحن به قاعدا على ذروة الجبل شاخصا ببصره إلى السماء يتبسم ويضحك فأكببت عليه وقبلته بين عينيه وقلت فدتك نفسي ما الذي دهاك قال خيرا يا أماه بينا أنا الساعة قائم إذ أتاني رهط ثلاثة بيد أحدهم إبريق فضة وفي يد الآخر طست من زمردة خضراء فأخذوني وانطلقوا بي إلى ذروة الجبل فعمد أحدهم فأضجعني إلى الأرض ثم شق من صدري إلى عانتي وأنا أنظر إليه فلم أجد لذلك حسا ولا ألما إلى آخر القصة وفي رواية أنها لما قدمت به مكة لترده بعد هذه القصة أضلته في أعالي مكة فقالت إني قدمت بمحمد في هذه الليلة فلما كنت بأعالي مكة أضلني فوالله ما أدري أين هو فقام عبد المطلب يدعو الله أن يرده عليه وأنشد

يا رب رد ولدي محمدا * أردده ربي واصطنع عندي يدا

فسمع هاتفا من السماء يقول أيها الناس لا تضجوا إن لمحمد ربا لن يخذله ولن يضيعه فقال عبد المطلب من لنا به فقال إنه بوادي تهامة عند الشجرة اليمنى فركب عبد المطلب نحوه وتبعه ورقة بن نوفل فوجداه صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يجذب غصنا من أغصانها فقال له جده من أنت يا غلام فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال وأنا جدك فدتك نفسي واحتمله وعانقه وهو يبكي ثم رجع إلى مكة وهو قدامه على قربوس فرسه ونحر الشاء والبقر وأطعم أهل مكة وعلى هذه القصة حمل بعض المفسرين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى قيل إن هذه القصة تكررت وإنه حصل له ضياع مرة أخرى فوجده أبو جهل فأركبه بين يديه على ناقته وجاء به إلى جده وقال ما تدري ما وقع من ابنك فسأله فقال أنخت الناقة وأركبته من خلفي فأبت أن تقوم فأركبته أمامي فقامت قالت حليمة فلما قدمت به قالت أمه ما أقدمك به ولقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت قد بلغ الله وقضيت الذي علي وتخوفت الأحداث فأديته عليك كما تحبين قالت ما شأنك فاصدقيني خبرك قالت فلم تدعني حتى أخبرتها قالت فتخوفت عليه الشيطان قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإن لابني هذا شأنا ألا أخبرك خبره قلت بلى قالت رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت أي علمت من حمل قط كان أخف منه ولا أيسر ووقع حين ولدته وإنه لواضع يده بالأرض رافع رأسه إلى السماء دعيه عنك وانطلقي راشدة وعن حليمة رضي الله عنها أنه مر بها جماعة من اليهود فقالت ألا تحدثوني عن ابني هذا حملته أمه كذا ووضعته كذا ورأت عند ولادته كذا وذكرت لهم كل ما سمعته من أمه وكل ما رأته هي بعد أن أخذته وأسندت الجميع إلى نفسها كأنها هي التي حملته ووضعته فقال أولئك اليهود بعضهم لبعض اقتلوه فقالوا أيتيم هو فقالت لا هذا أبوه وأنا أمه فقالوا

الله عنه وأكابر أهل البيت فكيف يسوغ للمتمسك بحبلهم أن يعدل عما تواتر عن إمامهم وأهل بيته أخرج أبو نعيم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أهل البدع شر الخلق والخليقة قيل المراد من الأول البهائم ومن الثاني الناس وقيل هما مترادفان بمعنى واحد وأخرج أبو حاتم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أصحاب البدع كلاب النار وأخرج الرافعي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وأخرج الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام وأخرج البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يتوب من بدعته وأخرج الديلمي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا مات صاحب بدعة فقد فتح في الإسلام فتح وروى البيهقي

لو كان يتيما اقتلناه لان ذلك عندهم من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم وعن حليمة أيضا رضي الله عنها انها نزلت به صلى الله عليه وسلم بسوق عكاظ وكان سوقا للجاهلية بين الطائف ونخلة المحل المعروف كانت العرب اذا قصدت الحج أقامت بهذا السوق شهر شوال يتفاخرون ويتناشدون الاشعار ويبيعون ويشترون وانما سمي عكاظ لان المعاكظة المفاخرة يقال عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه في المفاخرة قيل كان سوق عكاظ لثقيف وقيس عيلان فلما وصلت حليمة به سوق عكاظ رآه كاهن من الكهان فقال يا أهل عكاظ اقتلوا هذا الغلام فان له ملكا فزاغت أي مالت به وحادت عن الطريق فانجاه الله *(وفي الوفاء للسيد السمهودي)* لما قامت سوق عكاظ انطلقت حليمة برسول الله صلى الله عليه وسلم الى عراف من هذيل يريه الناس صبيانهم فلما نظر اليه صاح يا معشر هذيل يا معشر العرب فاجتمع الناس من أهل الموسم فقال اقتلوا هذا الصبي فانسلت به حليمة فجعل الناس يقولون أي صبي هذا فقال هذا الصبي فلا يرون أحدا فيقال له ماهو فيقول رأيت غلاما والآلهة ليقتلن أهل دينكم وليكسرن آلهتكم وليظهرن أمره عليكم فطلب فلم يوجد عنها رضي الله تعالى عنها انها لما رجعت به مرت بذي المجاز وهو سوق للجاهلية على فرسخ من عرفة أي وهذا السوق قبله سوق مجنة كانت العرب تنتقل اليه بعد انقضائهم من سوق عكاظ فتقيم به عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل الى هذا السوق الذي هو سوق ذي المجاز فتقيم به الى أيام الحج وكان بهذا السوق عراف أي منجم يأتون اليه بالصبيان ينظر اليهم فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي نظر الى خاتم النبوة والى الحمرة في عينيه صاح يا معشر العرب اقتلوا هذا الصبي فليقتلن أهل دينكم وليكسرن أصنامكم وليظهرن أمره عليكم ان هذا لينتظر أمرا من السماء وجعل يغري بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يلبث أن وله فذهب عقله حتى مات وفي السيرة الشامية ان نفرا نصارى من الحبشة رأوه مع أمه السعدية حين رجعت به الى أمه بعد فطامه فنظروا اليه وقبلوه ورأوا خاتم النبوة بين كتفيه وحمرة في عينيه وقالوا لها هل يشتكي عينيه قالت لا ولكن هذه الحمرة لا تفارقه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا وبلدنا فان هذا الغلام كائن له شأن نحن نعرف أمره فابت وأتت به الى أمه *وقصة شق الصدر جاءت بروايات كثيرة ففي بعضها عنه صلى الله عليه وسلم بعد أن ذكر القصة قال بينا نحن كذلك اذا بالحي قد أقبلوا بحذافيرهم أي بجمعهم واذا بظئري أي مرضعتي امام الحي تهتف أي تصيح باعلى صوتها وتقول واضعيفاه فاكبوا علي يعني الملائكة وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من ضعيف ثم قالت ظئري واوحيداه فاكبوا علي وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت بوحيد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من أهل الارض ثم قالت ظئري وايتيماه استضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك فاكبوا علي وضموني الى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني وقالوا حبذا أنت من يتيم ما أكرمك على الله لو تعلم ما أريد بك من الخير لقرت عينك فوصلوا يعني الحي الى شفير الوادي فلما أبصرتني أمي وهي ظئري قالت لا أراك الا حيا بعد فجاءت حتى أكبت علي وضمتني الى صدرها فوالذي نفسي بيده اني في حجرها قد ضمتني اليها ويدي في أيديهم يعني الملائكة والقوم لا يعرفونهم أي لا يبصرونهم فاقبل بعض القوم يقول ان هذا الغلام قد أصابه لمم أي طرف من الجنون أو طائف من الجن وهي اللمة فانطلقوا به الى كاهن حتى ينظر اليه ويداويه فقلت يا هؤلاء ما بي مما تذكرون شئ ان آرابي أي أعضائي سليمة وفؤادي صحيح وليس بي قلبة أي علة فقال أبي وهو زوج ظئري ألا ترون كلامه صحيحا اني لارجو أن لا يكون بابني بأس واتفقوا على أن يذهبوا بي الى الكاهن فلما انصرفوا بي اليه نقصوا عليه قصتي فقال اسكتوا حتى أسمع من الغلام فانه أعلم بامره منكم فسالني فقصصت عليه أمري من أوله الى آخره فوثب الي وضمني الى صدره ثم نادى باعلى صوته يا للعرب من شر قد اقترب اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه فادرك مدرك الرجال ليبدلن دينكم وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله فعمدت ظئري فنزعتني من حجره وقالت لانت أعته وأجن ولو علمت أن هذا قولك ما أتيتك به فاطلب

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله احتجر التوبة على كل صاحب بدعة وروى الطبراني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الاسلام يشيع ثم تكون له فترة فمن كانت فترته الى غلو وبدعة فاولئك أهل النار وروى البيهقي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا حجا ولا عمرة ولا جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الاسلام كما تخرج الشعرة من العجين وسيتلى عليك من الاحاديث والآثار ما تعلم به علما قطعيا ان الرافضة والشيعة والخوارج ونحوهم من أكابر أهل البدعة يتناولهم هذا الوعيد الذي في هذه الاحاديث مع ما ورد من الاحاديث فيهم بخصوصهم وقد تقدم لك بعض ما ورد في الرافضة (وأما الخوارج) فورد فيهم أيضا أحاديث كثيرة في صحيح البخاري

لنفسك من يقتلك فاناغير قاتلى هذا الغلام ثم احتملونى الى أهلهم ثم أصبحت وزعامي فعلوا بى الملائكة وأصبح اثر الشق مابين صدرى الى منتهى عانتى ولعل الحكمة فى بقاء أثر التئام الشق الدلالة على وجود الشق وقد أشار الى هذه القصة صاحب الهمزية بقوله

وأتت جدة وقد فصلته * وبها من فصاله البرحاء * اذ أحاطت به ملائكة الله فظنت بأنهم قرناء * ورأى وجدها به ومن الوجد لهيب تصلى به الاحشاء * فارقته كرها وكان لديها * ثاويا لا يمل منه الثواء * شق عن قلبه وأخرج منه مضغة عند غسله سوداء * ختمته يمنى الامين وقد أو * دع مالم يدع له أنباء * صان أسراره الختام فلا الفض ملم به ولا الافضاء

* وقد تكرر شق الصدر هذه المرة الاولى لينشأ على أكمل الحالات وأتم الصفات والمرة الثانية عند بلوغه عشر سنين أو عشرين سنة وفى الدر المنثور عن زوائد مسند الامام أحمد عن أبى بن كعب عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قلت يارسول الله ما أول مارأيت من أمر النبوة فاستوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وقال لقد سألت ياأباهريرة انى لفى صحراء وأنا ابن عشرين سنة وأشهر اذا بكلام فوق رأسى واذا رجل يقول أهو هو فاستقبلانى بوجوه لم أرها للخلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فاقبلا الى يمشيان حتى أخذ كل منهما بعضدى لا أجد لاحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه اضجعه فاضجعنى بلاقصر ولاهصر أى من غير تعاب فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره ففلقه فيما أرى بلادم ولاوجع فقال له أخرج الغل والحسد فاخرج شيأ كهيئة العلقة ثم نبذها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فاذا الذى أدخله يشبه الفضة ثم قرابهام رجلى اليمنى وقال اغدواسلم فرجعت وعندى رأفة على الصغير ورحمة على الكبير قيل ان الصواب ان ذلك وعمره عشر سنين وان ذكر العشرين غلط من بعض الرواة والمرة الثالثة عند ابتداء الوحى والمرة الرابعة عند المعراج والحكمة فى الشق الثانى الذى كان وعمره عشر سنين قال فى السيرة الشامية ان العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتى لا يلتبس بشئ مما يعاب على الرجال والشق الثالث قال الحافظ ابن حجر الحكمة فيه زيادة الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوى فى أكمل الاحوال من التطهير والحكمة فى الرابع الزيادة فى الكرامة ليتأهب للمناجاة * وعن حليمة رضى الله تعالى عنها أنها كانت بعد رجوعها به صلى الله عليه وسلم من مكة لاتدعه يذهب مكانا بعيدا فغفلت عنه يوما فى الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته من الرضاع وهى الشيماء وكانت تحضنه مع أمها ولذلك تدعى أم النبى صلى الله عليه وسلم أيضا وكانت ترقصه وتقول

هذا أخ لى لم تلده أمى * وليس من نسل أبى وعمى * فأنمه اللهم فيمن تنمى

ومما كانت ترقصه به أخته الشيماء

يار بنا أبق لنا محمدا * حتى أراه يافعا وأمردا * ثم أراه سيدا مسودا
واكبت أعاديه معا والحسدا * وأعطه عزا يدوم أبدا

قال الازدى ما أحسن ما أجاب الله به دعاءها فقالت حليمة فى هذا الحر أى ما ينبغى أن يكون الخروج والوقوف فى هذا الحر فقالت أخته يا أمه ما وجد أخى حرا رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت حتى اذا انتهى الى هذا الموضع فجعلت تقول حقايا بنية فقالت أى والله فجعلت تقول أعوذ بالله من شر ما تحذر على ابنى وفى كلام بعضهم أن حليمة رضى الله عنها فى بعض الاوقات رأت الغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت و وفدت عليه حليمة رضى الله عنها بعد تزوجه بخديجة رضى الله عنها تشكو اليه ضيق العيش فكلم لها خديجة رضى الله عنها فاعطتها عشرين رأسا من غنم وبكرات من الابل وفى رواية أربعين شاة وبعيرا و وفدت عليه يوم حنين فبسط لها رداءه فجلست عليه وفى رواية قدمت مع زوجها وولدها فبسط لهم رداءه وفى رواية وأجلسهم على ثوبه وفى كلام القاضى عياض ثم جاءت أبا بكر فبسط لها رداءه ثم جاءت عمر ففعل ذلك قال فى السيرة الحلبية نقلا عن ابن الاثير فتكون قد عمرت دهرا طويلا وعن أبى

ومسلم وبقية كتب السنن الصحيحة وهى مروية عن كثير من الصحابة منهم على ابن أبى طالب وأبو سعيد الخدرى وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وسهل ابن حنيف وغيرهم من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ووصفهم النبى صلى الله عليه وسلم بصفات منها انهم أحداث الاسنان سفهاء الاحلام أى العقول يقولون من قول خير البرية لايجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فان فى قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة وفى رواية للبخارى عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول يخرج فى هذه الامة ولم يقل من هذه الامة قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم يقرؤن القرآن لايجاوز حلوقهم أو قال

الطفيل قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لحما بالجعرانة بعد رجوعه من حنين والطائف وأنا غلام شاب فاقبلت امرأة فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه فقيل من هذه فقيل أمه التي أرضعته وفي رواية استأذنت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم قد كانت ترضعه فلما دخلت عليه قال أمي أمي وعمد الى ردائه فبسطه لها فقعدت عليه قال ابن حجر في شرح الهمزية من سعادة حليمة توفيقها للاسلام هي وزوجها وبنوها وغلط من أنكر اسلامها بل أسلمت وهاجرت وتوفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع وقبرها معروف يزار رضي الله عنها وفي السيرة الحلبية أن بنتها الشيماء أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع كانت في السبي يوم حنين فلما أخذها المسلمون قالت أنا أخت صاحبكم فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت له يا رسول الله أنا أختك قال وما علامة ذلك قالت عضة عضضتنيها في ظهري وأنا متوركتك فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة فقام لها قائما وبسط لها رداءه وأجلسها عليه ودمعت عيناه وكلام المواهب يقتضي انهما قضيتان في كل منهما قام وبسط رداءه واحدة عند مجيء أخته وواحدة عند مجيء أمه خلافا لمن وهم في ذلك وأنكر مجيء الام وقال بل هي الاخت فقط قال ابن عبد البر في الاستيعاب حليمة السعدية أم النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع جاءت اليه يوم حنين فقام اليها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عنه وروى عنها عبد الله بن جعفر ثم قال حذافة أخت النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاع يقال لها الشيماء أغارت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم على هوازن فأخذوها فيمن أخذوا من السبي الحديث وقد ألف الحافظ مغلطاي تأليفا في اسلام حليمة رضي الله عنها ردا على من أنكره

(باب وفاة أمه صلى الله عليه وسلم)

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع سنين وقيل خمسا وقيل ستا وقيل أكثر من ذلك توفيت أمه روى الزهري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه الى أخوال جده وهم بنو عدي بن النجار بالمدينة تزورهم ومعه أم أيمن بركة الحبشية فأقامت به عندهم شهرا وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يذكر أمورا كانت في مقامه ذلك ونظر الى الدار فقال ههنا نزلت بي أمي وأحسنت العوم في بئر بني عدي بن النجار وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الي قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته ثم رجعت به أمه الى مكة وفي رواية أبي نعيم قال صلى الله عليه وسلم فنظر الي رجل من اليهود يختلف ينظر الي فقال يا غلام ما اسمك قلت أحمد ونظر الى ظهري فسمعته يقول هذا نبي هذه الامة ثم راح الى اخوانه فأخبرهم فأخبروا أمي فخافت علي فخرجنا من المدينة فلما كانت بالابواء توفيت ودفنت فيها وقيل بالحجون وقيل جمعا بين الروايتين انها دفنت أولا بالابواء ثم نبشت ونقلت الى مكة ودفنت بالحجون والابواء موضع من أعمال الفرع بين مكة والمدينة وكان عمرها حين توفيت في حدود العشرين سنة *(وروى أبو نعيم)* في دلائل النبوة من طريق الزهري عن أسماء بنت رهم عن أمها قالت شهدت آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم في علتها التي ماتت بها ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام يفع أي مرتفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت أمه الى وجهه ثم قالت

بارك فيك الله من غلام * يا ابن الذي من حومة الحمام * نجا بعون الملك العلام
فودي غداة الضرب بالسهام * بمائة من ابل سوام * ان صح ما أبصرت في المنام
فأنت مبعوث الى الانام * تبعث في الحل وفي الحرام * تبعث في التحقيق والاسلام
دين أبيك البر ابراهام * فالله أنهاك عن الاصنام * أن لا تواليها مع الاقوام

ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكري باق وولدت طهرا قالت فكنا نسمع نوح الجن عليها فحفظنا من ذلك

تبكي الفتاة البرة الامينه * ذات الجمال العفة الرزينه * زوجة عبد الله والقرينه
أم نبي الله ذي السكينه * وصاحب المنبر بالمدينه * صارت لدى حفرتها رهينه

مناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية وفي رواية لابن عمر رضي الله عنهما انه ذكر عنده الحرورية فقال قال النبي صلى الله عليه وسلم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية * والحرورية قوم من الخوارج نسبوا الى حروراء قرية بالكوفة نزلوا بها وكان ابن عمر يقول انهم شرار الخلق انطلقوا الى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين ووصفهم بانهم سفهاء شرار الخلق جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية أبي ذر وعائشة رضي الله عنهما فقد أخرج البزار عن عائشة رضي الله عنها قالت ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الخوارج فقال هم شرار أمتي يقتلهم خيار أمتي وروى مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في وصف الخوارج هم شر الخلق

لوفوديت لفوديت ثمينه * وللمنايا شفرة متينه * لا تبق ظعانا ولا ظعينه
الا أتت وقطعت وتينه * اما دلالت أيها الحزينه * عن الذي ذو العرش يعلي دينه
فكلنا والهة حزينه * نبكيك للعطلة أو للزينه * أو للضعيفات وللمسكينه

قال الزرقاني في شرح المواهب نقلا عن الجلال السيوطي بعد ذكر أبياتها السابقة وهذا القول منها صريح في انها موحدة اذ ذكرت دين ابراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وسلم بالاسلام من عند الله ونهيه عن الاصنام وموالاتها وهل التوحيد شيء غير هذا فان التوحيد هو الاعتراف بالله والاهيته وانه لا شريك له والبراءة من عبادة الاصنام ونحوها وهذا القدر كاف في التبرى من الكفر وثبوت صفة التوحيد في زمن الجاهلية قبل البعثة وانما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة ولا يظن بكل من كان في الجاهلية انه كان كافرا على العموم فقد تحنف فيها جماعة فلا بدع أن تكون أمه صلى الله عليه وسلم منهم كيف وأكثر من تحنف منهم انما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وسلم من انه قرب بعث نبي من الحرم صفته كذا وأمه صلى الله عليه وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها وشاهدت في حمله وولادته من آياته الباهرة ما يحمل على التحنف ضرورة ورأت النور الذي خرج منها أضاءت له قصور الشام حتى رأتها وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شق صدره أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شأن في كلمات أخر من هذا النمط وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت كلام اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت به الى مكة فهذا كله مما يؤيد انها تحنفت في حياتها وأما أبوه رضي الله عنه فنقل عنه كلمات واشعار تدل على توحيده أيضا كقوله حين عرضت المرأة نفسها عليه

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فاستبينه
يحمي الكريم عرضه ودينه * فكيف بالامر الذي تبغينه

مع ما كان عليه من العفة حتى افتتن به النساء ولم ينلن منه شيأ وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يضيء في وجهه كالكوكب وقد قال صلى الله عليه وسلم لم أزل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات فالكافر لا يوصف بانه طاهر ففيه دليل على طهارة آبائه وأمهاته من الكفر قال في المواهب وقد روى ان آمنة آمنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها فروى الطبراني وابن شاهين عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون كئيبا حزينا وفي رواية وهو باك حزين فاقام به ماشاء الله ثم رجع مسرورا قال يخاطب عائشة رضي الله عنها سألت ربي فاحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها أي الى ما كانت عليه من الموت وروى السهيلي من حديث عائشة رضي الله عنها أيضا احياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به ولفظه بسنده الى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فاحياهما له فآمنا به ثم اماتهما قال السهيلي والله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ونبيه صلى الله عليه وسلم أهل ان يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته ورواه الخطيب البغدادي وقد جزم بعض العلماء بان أبويه صلى الله عليه وسلم ناجيان وليسا في النار بل في الجنة تمسكا بهذا الحديث ونحوه قال السيوطي مال الى ان الله احياهما حتى آمنا به طائفة من الأئمة وحفاظ الحديث واستندوا الى هذا الحديث وادعى بعضهم انه موضوع وهذا مردود والحق انه ضعيف لا موضوع والضعيف يعمل به في الفضائل ولقد أحسن الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدمشقي حيث قال

حبا الله النبي مزيد فضل * على فضل وكان به رؤفا * فاحيا أمه وكذا أباه
لايمان به فضلا منيفا * فسلم فالقديم بذا قدير * وان كان الحديث به ضعيفا

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني بغي قط منذ خرجت من صلب آدم ولم تزل تتنازعني الأمم كابرا عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب هاشم وزهرة قال الزرقاني في شرح المواهب بعد ذكر حديث احيائهما وقد جعل هؤلاء الائمة هذا الحديث ناسخا للاحاديث الواردة

والخليقة (وكان) أول خروجهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنكروا عليه التحكيم الذي كان بينه وبين معاوية رضي الله عنه وكانوا ثمانية آلاف وقيل أكثر من عشرة آلاف وفارقوه فارسل اليهم أن يحضروا فامتنعوا حتى يشهد على نفسه بالكفر لرضاه بالتحكيم وأجمعوا على ان من لا يعتقد معتقدهم يكفر ويباح دمه وماله وأهله وانتقلوا الى الفعل فكانوا يقتلون من مر بهم من المسلمين فقتلوا عبد الله بن الارت وبقروا بطن سريته فخرج علي رضي الله عنه عليهم فقتلهم بالنهروان فلم ينج منهم الا دون العشرة ولم يقتل ممن معه الا دون العشرة ثم انضم اليهم من مال الى رأيهم ولما ولي عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما الخلافة ظهروا بالعراق مع نافع بن الازرق وباليمامة

عليخالفه ونصوا على انه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها وقال الشهاب ابن حجر في مولده وفي شرح الهمزية ان الحديث غير ضعيف بل صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لطاعن فيه وعلى ذلك قول بعضهم

أيقنت أن أبا النبي وأمه * احياهما الرب الكريم البارى * حتى له شهدا بصدق رسالة
سلم فتلك كرامة المختار * هذا الحديث ومن يقول بضعفه * فهو الضعيف عن الحقيقة عار

قال الزرقاني الذي يظهر لي أن المراد صححوا العمل به في الاعتقاد وان كان ضعيفا لكونه في مرتبته فيرجع الكلام السيوطي وقال التلمساني روي اسلام أمه بسند صحيح وكذا روي اسلام أبيه وكلاهما بعد الموت تشريفا له وسيذكر في المواهب في المعجزات ان الله أحيا على يده صلى الله عليه وسلم خمسة منهم الابوان قال القرطبي في التذكرة ان فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع الى حين مماته فيكون احياؤهما مما فضله الله به وأكرمه ولا يرد ذلك اجماع ولا قرآن وليس احياؤهما وايمانهما بممتنع عقلا ولا شرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرائيل واخباره بقاتله كما قص الله ذلك في سورة البقرة وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله على يده جماعة من الموتى قال لزرقاني فأحيا ابنة الرجل الذي قال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فجاء الى قبرها وناداها فقالت لبيك وسعديك رواه البيهقي في الدلائل وأباه وأمه وتوفى شاب من الانصار وله أم وهي عجوز عمياء بم هجرتها لله ورسوله فاحياه الله رواه البيهقي وابن عدي وغيرهما ولما مات زيد بن حارثة الانصاري من سراة الانصار كشفوا عنه فسمعوا على لسانه قائلا يقول محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت (وأخرج) ابن الضحاك ان أنصاريا توفي فلما كفن وحمل قال محمد رسول الله هذا ملخص ما ذكره المصنف يعني صاحب المواهب في المعجزات قال القرطبي بعد ذكر ما تقدم عنه واذا ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضا بانهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة التي عم الجهل فيها وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصا وقد ماتا في حداثة السن فان والده صلى الله عليه وسلم عاش نحو ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت وهي في حدود العشرين تقريبا ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في ذلك الزمان وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد أطبقت الائمة الاشاعرة من أهل الاصول والشافعية من الفقهاء على أن من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا ويدخل الجنة قال الجلال السيوطي هذا مذهب لا خلاف فيه بين الشافعية في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص على ذلك الشافعي في الام والمختصر وتبعه سائر الاصحاب فلم يشر أحد منهم لخلاف واستدلوا على ذلك بعدة آيات منها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهي مسألة فقهية مقررة في كتب الفقه وهي فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند الاشاعرة وهي قاعدة شكر المنعم واجب بالسمع لا بالعقل ومرجعها الى قاعدة كلامية هي التحسين والتقبيح العقليان وانكارهما متفق عليه بين الاشاعرة وترجع مسئلة من لم تبلغه الدعوة الى قاعدة ثانية أصولية وهي ان الغافل لا يكلف وهذا هو الصواب في الاصول لقوله تعالى ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ثم اختلفت عبارة الاصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فاحسنها من قال انه ناج واياها اختار السبكي ومنهم من قال كأهل الفترة ومنهم من قال مسلم قال الغزالي والتحقيق أن يقال في معنى المسلم وقد مشى على هذا في والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من العلماء فصرحوا بانهما لم تبلغهما الدعوة قال السيوطي وكان شيخنا شيخ الاسلام شرف الدين المناوي يقول به ويجيب به اذا سئل عنهما قال وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم موقوفون الى أن يمتحنوا يوم القيامة فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار وهي كثيرة ومعانيها متقاربة والصحيح منها ثلاثة (الاول) حديث الاسود بن سريع وأبي هريرة معا مرفوعا أربعة يمتحنون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيأ ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة الحديث أخرجه الامام أحمد وابن راهويه والبيهقي وصححه وفيه وأما الذي مات في الفترة

مع نجدة بن عامر فزاد نجدة على مذهبهم ان من لم يخرج لمحاربة المسلمين فهو كافر وتوسعوا حتى أبطلوا رجم المحصن وقطعوا يد السارق من الابط وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال الحيض وغير ذلك من ضلالاتهم قال ابن العربي الخوارج صنفان أحدهما يزعم ان عثمان وعليا وأصحاب الجمل وصفين وكل من رضي بالتحكيم كفار والصنف الآخر يزعم ان كل من أتى كبيرة فهو كافر مخلد في النار أبدا (واختلف العلماء في تكفيرهم) فاستدل القاضي أبو بكر ابن العربي على تكفيرهم بقوله في الحديث يمرقون من الاسلام وبقوله في بعض الروايات أولئك شرار الخلق وكذلك غلاة الروافض كفرهم كثيرون قال الشيخ تقي الدين السبكي في فتاويه احتج من كفر الخوارج وغلاة الروافض

فيقول

فيقول رب ما أتانى لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها سحب اليها (والثانى) حديث أبى هريرة رضى الله عنه موقوفا وله حكم المرفوع لان مثله لا يقال من قبل الرأى أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر فى تفاسيرهم واسناده صحيح على شرط الشيخين (والثالث) حديث ثوبان مرفوعا أخرجه البزار والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى قال الحافظ ابن حجر والظن بآبائه صلى الله عليه وسلم كلهم الذين ماتوا فى الفترة ان يطيعوا عند الامتحان لتقر بهم عينه صلى الله عليه وسلم قال القاضى عياض فى الاحاديث التى فيها انه صلى الله عليه وسلم جاء قبر أمه فبكى بكاءها ثلا بكاؤه صلى الله عليه وسلم ليس لتعذيبها وانما هو أسف على مافاتها من ادراك أيامه والايمان به قال الزرقانى وقد رحم الله بكاءه فاحياها له حتى آمنت به ثم قال وما ألطف هذه العبارة من القاضى عياض فانها صريحة فى ان البكاء انما هو لكونها لم تحز شرف الدخول فى هذه الامة لا لكونها على غير الحنيفية وقال الفخر الرازى فى تفسيره ان أبوى النبى صلى الله عليه وسلم كانا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام كما كان زيد بن عمرو بن نفيل واضرابه بل ان آباء الانبياء كلهم ما كانوا كفارا تشريفا لمقام النبوة وكذلك أمهاتهم وان آزر لم يكن أبا لابراهيم عليه السلام بل كان عمه ويدل لذلك قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين مع قوله صلى الله عليه وسلم لم أزل أنقل من اصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركا وقد ارتضى كلامه هذا أئمة محققون منهم العلامة المحقق السنوسى والتلمسانى محشى الشفاء فقالا لم يتقدم لوالديه صلى الله عليه وسلم شرك وكانا مسلمين لانه عليه الصلاة والسلام انتقل من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة ولا يكون ذلك الامع الايمان بالله تعالى وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب وهذا لازم فى جميع الآباء وقد أيد الجلال السيوطى كلام الفخر الرازى بادلة كثيرة وألف فى ذلك رسائل فجزاه الله خيرا وشكر سعيه فمن تلك الادلة حديث البخارى بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه مع ماثبت أن الارض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعدا يدفع الله بهم عن أهل الارض وأخرج عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن على رضى الله عنه قال لم يزل على وجه الارض سبعة مسلمون فصاعدا ولولا ذلك هلكت الارض ومن عليها وأخرج الامام أحمد فى الزهد بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ماخلت الارض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الارض واذا قرنت بين هاتين المقدمتين أعنى بعثت من خير قرون بنى آدم الخ وأن الارض لم تخل من سبعة مسلمين الخ أنتج ما قاله الامام لانه ان كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين فى زمانهم ففيه المدعى وان كانوا غيرهم فاما أن يكونوا على الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام فهو المدعى واما أن يكونوا على الشرك فيلزم أحد أمرين اما أن يكون غيرهم خيرا منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح واما أن يكونوا خيرا وهم على الشرك وهو باطل بالاجماع وقال تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك فثبت أنهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الارض فى زمانهم وساق نصوصا وأدلة كثيرة فى ايمان الآباء الطاهرين من آدم الى ابراهيم عليهما السلام ثم قال وقد صحت الاحاديث فى البخارى وغيره وتظافرت نصوص العلماء بان العرب من عهد ابراهيم على دينه لم يكفر منهم أحد الى أن جاء عمرو بن عامر الخزاعى الذى يقال له عمرو بن لحى فهو أول من عبد الاصنام وغير دين ابراهيم وكان قريبا من كنانة جد النبى صلى الله عليه وسلم ثم ساق أدلة تشهد بان عدنان ومعدا وربيعة ومضر وخزيمة وأسدا والياس وكعبا على ملة ابراهيم ثم قال فتلخص من مجموع ماسقناه أن أجداده من آدم الى كعب وولده مرة مصرح بايمانهم الا آزر فانه مختلف فيه فان كان والد ابراهيم فانه يستثنى وان كان عمه كما هو أحد القولين فهو خارج عن الاجداد وسلمت سلسلة النسب قال الحافظ ابن ناصر رحمه الله

تنقل أحمد نورا عظيما * تلألأ فى جباه الساجدينا

تنقل فيهم قرنا فقرنا * الى أن جاء خير المرسلينا

بتكفيرهم اعلام الصحابة لتضمنه تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم فى شهادته لهم بالجنة قال وهو عندى احتجاج صحيح وذهب الاكثرون الى انهم فساق وان حكم الاسلام يجرى عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على أركان الاسلام وانما فسقوا بتكفيرهم المسلمين مستندين الى تأويل فاسد وجرهم ذلك الى استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك وقال القاضى عياض كادت هذه المسئلة أن تكون أشد اشكالا عند المتكلمين من غيرها حتى سأل الفقيه عبد الحق الامام أبا المعالى عنها فاعتذر بان ادخال كافر فى الملة واخراج مسلم منها عظيمة فى الدين قال وقد توقف قبله القاضى أبو بكر الباقلانى قال ولم يصرح القوم بالكفر وانما قالوا أقوالا تؤدى الى

قال السهيلي ان عبد المطلب لم تبلغه الدعوة وجاءت أدلة كثيرة تشهد بان عبد المطلب كان على الحنيفية والتوحيد وذكر ابن سعد الناس ان الله أحياه حتى آمن به صلى الله عليه وسلم لكن هذا لم يرد به حديث صحيح ولا ضعيف فالاكثرون على انه لم تبلغه الدعوة أو انه كان على الحنيفية ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم يبعث جدي عبد المطلب في زي الملوك وأبهة الاشراف ذكره في السيرة الحلبية عن ابن عباس رضي الله عنهما ويؤيده أيضا ما اتصل به من المبشرات التي بشر بها على ألسنة الاحبار والكهان مع ما رآه من المنامات والاشارات حتى تبين له أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو النبي الموعود به آخر الزمن حتى ذكره بعضهم في الصحابة منهم الحافظ ابن حجر في الاصابة وابن السكن لما جاء عنه انه ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم سيبعث كما ذكروا بحيرا الراهب وأنظاره ممن مات قبل البعثة من الصحابة وان كان الصحيح عند المحققين عدم ثبوت الصحبة لانها متوقفة على الاجتماع بعد البعثة وقد روى عن عبد المطلب أخبار كثيرة تقتضي أنه عرف بها نبوة النبي صلى الله عليه وسلم فمن ذلك أن قوما من بني مدلج وهم القافة المعروفون بالآثار والعلامات قالوا له في حق النبي صلى الله عليه وسلم احتفظ به فانا لم نر قدما أشبه بالقدم الذي في المقام منه أي وهي قدم ابراهيم عليه السلام وبينا عبد المطلب يوما في الحجر وعنده أسقف نجران والاسقف رئيس النصارى في دينهم وذلك الاسقف يحدثه ويقول انا نجد صفة نبي بقي من ولد اسماعيل وهذا البلد مولده ومن صفته كذا وكذا فأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه والى عينيه والى ظهره وقدميه فقال هو هو ماهذا منك قال هذا ابني قال ما نجد أباه حيا قال هو ابن ابني وقد مات أبوه وأمه حبلى به قال صدقت قال عبد المطلب لبنيه تحفظوا بابن أخيكم ألا تسمعون ما يقال فيه وعن أم أيمن رضي الله عنها قالت كنت أحضن النبي صلى الله عليه وسلم أي أقوم بتربيته وحفظه فغفلت عنه يوما فلم أدر الا بعبد المطلب قائما على رأسي يقول يا بركة قلت لبيك قال أتدرين أين وجدت ابني قلت لا أدري قال وجدته مع غلمان قريبا من السدرة لا تغفلي عن ابني فان أهل الكتاب يزعمون انه نبي هذه الامة وأنا لا آمن عليه منهم وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما الا يقول علي بابني أي أحضروه ويجلسه بجنبه وربما أقعده على فخذه ويؤثره بأطيب طعامه وعن رقيقة بنت أبي صيفي بن هاشم ابن عبد مناف قيل أدركت الاسلام ولها صحبة قالت تتابعت على قريش سنون أي أزمنة قحط وجدب ذهبت بالاموال وأشفين أي أشرفن على الانفس فسمعت قائلا يقول في المنام يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم هذا ابان أي وقت خروجه وبه يأتيكم الحيا والخصب فانظروا رجلا من أوساطكم أي أشرافكم نسبا طوالا عظاما أي طويلا عظيما أبيض مقرون الحاجبين أهدب الاشفار أي طويل شعر الاجفان أسيل الخدين أي لا شعر بهما رقيق العرنين أي الانف فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن رجل فيتطهروا ويتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى رأس أبي قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي وتؤمنون فانكم تسقون فاصبحت وقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد المطلب فاجتمعوا عليه وأخرجوا من كل بطن رجلا وفعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبي قبيس ومعهم النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب فقال لاهم هؤلاء عبيدك واماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف والحافر أي البقر والابل والخيل والبغال والحمير فاشفت على الانفس أي أشرفت على ذهابها فاذهب عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية قالت وسمعت شيخان قريش وهي تقول لعبد المطلب هنيئا لك يا أبا البطحاء بك عاش أهل البطحاء وفي هذه القصة تقول رقيقة

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا * وقد عدمنا الحيا واجلوذ المطر
فجاء بالماء جونى له سبل * دان فعاشت به الانعام والشجر
منا من الله بالميمون طائره * وخير من بشرت حقا به مضر
مبارك الاسم يستسقى الغمام به * ما في الانام له عدل ولا خطر

ولما سقوا لم يصل المطر الى بلاد قيس ومضر فاجتمع عظماؤهم وقالوا قد أصبحنا في جهد وجدب وقد سقى الله

الكفر وقال الغزالي في كتاب التفرقة بين الايمان والزندقة الذي ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد اليه سبيل فان استباحة دماء المسلمين المصلين المقرين بالتوحيد خطأ والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم مسلم واحد انتهى وفي صحيح البخاري ومسلم في وصف الخوارج آيتهم أي علامتهم رجل احدى يديه أو قال ثدييه وفي رواية احدى عضديه مثل ثدي المرأة أو قال مثل البضعة أي القطعة من اللحم تدردر وفي رواية لمسلم عن علي رضي الله عنه وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد ليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض يخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أشهد اني سمعت أي هذا الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم

الناس بعبد المطلب فاقصدوه ولعله يسأل الله فيكم فقدموا مكة ودخلوا على عبد المطلب فحيوه بالسلام فقال لهم أفلحت الوجوه وقام خطيبهم فقال قد أصابتنا سنون مجدبات وقد بان لنا أثرك وصح عندنا خبرك فاشفع لنا عند من شفعك وأجرى الغمام لك فقال عبد المطلب سمعا وطاعة موعدكم غدا عرفات ثم أصبح غاديا اليها وخرج معه الناس وأولاده ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صغير فنصب لعبد المطلب كرسي فجلس عليه وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم قام عبد المطلب ورفع يديه وقال اللهم رب البرق الخاطف والرعد القاصف رب الارباب وملين الصعاب هذه قيس ومضر من خير البشر قد تشعثت رؤسها وحدبت ظهورها تشكو اليك شدة الهزال وذهاب النفوس والاموال اللهم فأتح لهم سحابا خواره وسماء خراره لتضحك أرضهم ويزول ضرهم فما استتم كلامه حتى نشأت سحابة وكفاء لها دوي وقصدت نحو بلادهم فقال عبد المطلب يا معشر قيس ومضر انصرفوا فقد سقيتم فرجعوا وقد سقوا وذكر ابن الجوزي أنه صلى الله عليه وسلم في سنة سبع من مولده أصابه رمد شديد فعولج بمكة فلم يفد فقيل لعبد المطلب ان في ناحية عكاظ راهبا يعالج الاعين فركب اليه فناداه وديره مغلق فلم يجبه فتزلزل ديره حتى خاف أن يسقط عليه فخرج مبادرا فقال يا عبد المطلب ان هذا الغلام نبي هذه الامة ولولم أخرج اليك لخرب على ديري فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب ثم عالجه وأعطاه ما يعالج به وفي الرواية أن الراهب أخرج صحيفة وجعل ينظر اليها والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هو والله خاتم النبيين ثم قال يا عبد المطلب هذا رمد قال نعم قال ان دواءه معه خذ من ريقه وضعه على عينيه فاخذ عبد المطلب من ريقه صلى الله عليه وسلم ووضعه على عينيه صلى الله عليه وسلم فبرأ لوقته ثم قال الراهب يا عبد المطلب وتالله هذا الذي أقسم على الله به فابرئ المرضى وأشفي الاعين من الرمد وتقدم جملة من مناقب عبد المطلب وفيها ما يدل على توحيده منها أمره لبنيه بمكارم الاخلاق وتحننه بغار حراء واطعامه المساكين حتى كان يرفع للطير والوحوش في رؤس الجبال من مائدته وقطعه يد السارق ووفاؤه بالنذر وتحريمه الخمر على نفسه ومنعه من الزنا ومن نكاح المحارم وقتل الموؤدة وأن لا يطوف بالبيت عريان ومن ذلك قوله والله ان وراء هذه الدار دارا يجزى فيها المحسن باحسانه ويعاقب فيها المسيء باساءته ومن ذلك قوله حين دعائه لاهل مكة عند مجيء أصحاب الفيل

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك * وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

ومن ذلك قوله حين أراد ذبح ابنه عبد الله فكان يضرب القداح ويقول يارب أنت الملك المحمود وأنت ربي الملك المعبود من عندك الطارف والتليد فهل التوحيد شيء غير هذا كلا والله وأما فروع الشريعة فانها متوقفة على البعثة بالاجماع فلا يكلف أحد بها قبل ذلك وتقدم انه كان يوضع له فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد غيره ويحدق به أشراف قريش فيجيء النبي صلى الله عليه وسلم ويجلس معه فاراد بعض أعمامه أن يمنعه فقال عبد المطلب ردوا ابني الى مجلسي فانه تحدثه نفسه بملك عظيم وسيكون له شان وأرجو أن يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربي قبله ولا بعده ولما مات كان صلى الله عليه وسلم يبكي خلف سريره * وروى أبو نعيم في الحلية والبيهقي أن سيف بن ذي يزن الحميري لما ولي على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين أتاه وفود العرب وأشرافها وشعراؤها التهنئه بهلاك ملوك الحبشة وبولايته عليهم لان ملك اليمن كان لحمير فانتزعته الحبشة منهم واستمر في يد الحبشة سبعين سنة ثم ان سيف بن ذي يزن الحميري استنقذ ملك اليمن من الحبشة واستقر فيه على ما كان عليه آباؤه فجاءت العرب تهنئه من كل جانب وكان من جملتهم وفد قريش وفيهم عبد المطلب وأمية بن عبد شمس وغالب رؤسائهم كعبد الله بن جدعان التيمي وأسد بن عبد العزى ووهب بن عبد مناف بن زهرة وقصي بن عبد الدار فاخبر بمكانهم وكان في قصره بصنعاء وهو مضمخ بالمسك وعليه بردان والتاج على رأسه وسيفه بين يديه وملوك حمير عن يمينه وشماله فاذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب وفي الوفاء للسيد السمهودي وجدوه جالسا على سرير من الذهب وحوله أشراف اليمن على كراسي من الذهب فوضعت لهم كراسي من الذهب فجلسوا عليها الا عبد المطلب فانه قام بين يديه واستاذنه

وأشهد أن عليا رضي الله عنه قتلهم بالنهروان وأنا معه وجيء بالرجل الذي في احدى يديه مثل ثدي المرأة على النعت الذي نعته النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية عند الطبراني من طريق زيد بن وهب فقال علي رضي الله عنه أي بعد القتال اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فوجدوه في وهدة من الارض عليه ناس من القتلى فاذا رجل على يده مثل سبلات السنور فكبر علي والناس انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب الاول في بيان فضل سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه وحقية خلافته)

(اعلم) رحمك الله انه ورد في فضل أبي بكر رضي الله عنه كثير من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية * اما الآيات فمنها قوله تعالى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وما لاحد عنده

في الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك فقال ان الله أحلك أيها الملك محلا رفيعا شامخا
وأنبتك نباتا طالت أرومته وعظمت جرثومته وأنت ملك العرب الذي له تنقاد وعمودها الذي عليه العماد
وكهفها الذي يلجأ اليه العباد سلفك خير سلف وأنت فيهم خير خلف فلن يهلك ذكر من أنت خلفه ولن
يخمل ذكر من أنت سلفه نحن أهل بيت حرم الله وسدنة بيته أشخصنا اليك الذي أبهجنا من كشف الكرب
الذي أثقلنا فنحن وفد التهنئة لا وفد المرزئة أي التعزية فلما سمع ذلك قال له الملك من أنت أيها المتكلم قال
عبد المطلب بن هاشم قال ابن أختنا لان أم عبد المطلب من الخزرج وهم من اليمن قال نعم قال ادن ثم
أقبل عليه وعلى القوم وقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا ربحلا أي كثير العطاء قد
سمع مقالتكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فانكم أهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما أقمتم والحباء
أي العطاء اذا ظعنتم ثم امرهم بالنهوض الى دار الضيافة والوفود وأجرى عليهم الارزاق فأقاموا بذلك شهرا
لا يصلون اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب فادناه ثم قال يا عبد
المطلب اني مفض اليك من سر علمي لو غيرك يكون لم ابح له به ولكن رأيتك معدنه فاطلعتك طلعه أي عليه
فليكن عندك مخبأ حتى يأذن الله عز وجل فيه اني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي ادخرناه
لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس عامة
ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر وبر فما هو فداك أهل الوبر زمرا بعد زمر
قال اذا ولد غلام بتهامة بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال له عبد
المطلب أيها الملك أبت بخير ما آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك واعظامه لسألته من مساره اياي أي مسارته
اياي بما ازداد به سرورا فقال له الملك هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد اسمه محمد يموت أبوه وأمه ويكفله
جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا أنصارا يعز بهم أولياءه ويذل بهم أعداءه
ويضرب بهم الناس عن عرض أي جميعا ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحض الشيطان أي
يزجره ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر
ويبطله قال له عبد المطلب جد جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك سارى بافصاح فقد وضح لي
بعض الايضاح قال والبيت ذي الحجب والعلامات على النقب انك لجده يا عبد المطلب غير كذب ثلج
صدرك وعلا كعبك فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك قال نعم أيها الملك انه كان لي ابن وكنت به معجبا
وعليه رفيقا واني زوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجاء بغلام فسميته
محمدا مات أبوه وأمه وكفلته أنا وعمه يعني أبا طالب فقال له الملك ان الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ من ابنك
واحذر عليه اليهود فانهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا أي فحفظه والخوف عليه منهم من باب
الاحتياط والاعلام بقدره ثم قال له واطو ما ذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست آمن أن
تداخلهم النفاسة في أن تكون لهم الرسالة فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل وهم فاعلون ذلك
وأبناؤهم من غير شك ولولا أعلم أن الموت مجتاحي أي مهلكي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير بيثرب
دار ملكه فاني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان يثرب استحكام أمره وأهل نصرته وموضع قبره
ولولا اني أقيه الآفات وأحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه أمره وأعليت على أسنان العرب
كعبه ولكن سأصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وأمر لكل واحد منهم بعشرة أعبد
سود وعشرة اماء سود وحلتين من حلل البرود وعشرة أرطال ذهبا وعشرة أرطال فضة ومائة من الابل
وكرسيا مملوأ عنبرا وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال اذا جاء الحول فائتني بخبره وما يكون
من أمره فمات الملك قبل أن يحول الحول وكان عبد المطلب كثيرا ما يقول لمن معه لا يغبطني رجل منكم
بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره فاذا قيل له ما هو قال سيعلم ما أقول ولو بعد
حين قال الزرقاني في شرح المواهب وما ذكره الفخر الرازي من تفسير قوله تعالى وتقلبك في الساجدين

من نعمة تجزى الا ابتغاء
وجه ربه الاعلى ولسوف
يرضى قال الامام ابن الجوزي
رحمه الله أجمعوا على انها
نزلت في أبي بكر رضي الله
عنه وفيها التصريح بانه اتقى
من سائر الامة والاتقى هو
الاكرم عند الله تعالى لقوله
تعالى ان أكرمكم عند
الله أتقاكم والاكرم عند
الله هو الافضل فنتج انه
الافضل من بقية الامة وذلك
مطابق لما جاء في الاحاديث
الصحيحة وأخرج الحاكم
والطبراني ان أبا بكر رضي
الله عنه أعتق سبعة كلهم
يعذب في الله تعالى فانزل
الله قوله تعالى وسيجنبها
الاتقى الى آخر السورة بل
جاءت أحاديث كثيرة
مصرحة بان سورة والليل
اذا يغشى نزلت في أبي بكر
رضي الله عنه وأمية بن
خلف وذلك ان أمية بن
خلف كان يعذب بلالا رضي
الله عنه فاشتراه أبو بكر رضي
الله عنه وأعتقه فانزل الله
السورة فقوله تعالى ان

بتنقله في أصلاب الطاهرين وأرحام الطاهرات هو وجه من وجوه في تفسير الآية وليس مراده الحصر في هذا الوجه ولكن هذا الوجه هو الاولى بالقبول فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبراني وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي ومن نبي الى نبي حتى أخرجتك نبيا ففسر تقلبه في الساجدين بتقلبه في أصلاب الانبياء ولو مع الوسائط وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا في ذرية ابراهيم أوضح وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله تعالى رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي قال فلن تزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد في قوله تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه أنها لا اله الا الله باقية في عقب ابراهيم عليه السلام وعن قتادة في الآية قال هي شهادة أن لا اله الا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده قال الشهاب ابن حجر الهيتمي ان أهل الكتابين والتاريخ أجمعوا على ان آزر لم يكن أبا لابراهيم حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمي العم أبا كما جزم به الفخر بل في القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسماعيل مع انه عم يعقوب وقد سبق الرازي على ذلك جماعة من السلف فقد روي بالاسانيد عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وابن جريج والسدي قالوا ليس آزر أبا ابراهيم انما هو ابراهيم بن تارخ ووقفت على أثر في تاريخ ابن المنذر صرح فيه بانه عمه قال الزرقاني وبه يعلم عدم صحة ما تحامل به بعض المتأخرين جدا الخطامن قال انه عمه وزعم انه تبع الشيعة وانه مخالف للكتاب والسنة وأهلها وغيرهم وزعم اتفاق المفسرين وغيرهم على ان والد ابراهيم كان كافرا وانما الخلاف في اسمه وأطال في بيان ذلك بما لا طائل تحته وحاصله انه احتجاج فقيه بجهل النزاع وتخطئته هي الخطا وحصره القول به للشيعة باطل كيف وقد قال اوائك السلف انه عمه وحكاه الرازي ونقله حافظ السنة في عصره وأقره وأيده بما لا محيص عنه ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار وقد وافق الرازي على الاستدلال بهذه الآية لهذا المعنى الماوردي من أئمة الشافعية وناهيك بهما وأما الاخبار الواردة في تعذيب بعض أهل الفترة المعارضة للقول بنجاتهم فقد أجاب العلماء عنها بأجوبة كثيرة منها انها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا مع ضعف أكثر تلك الاخبار وقبول صحيحها للتاويل أو انها منسوخة بما ورد في الابوين مما يخالفها (فمن الاحاديث المعارضة) مارواه ابن ماجه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو قال في النار فكانه وجد من ذلك فقال أين أبوك أنت فقال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار فاسلم الاعرابي بعد فقال لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا مامررت بقبر كافر الا بشرته بالنار وأجل صلى الله عليه وسلم الجواب بقوله حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار جريا على عادته اذا سأله اعرابي وخاف من افصاح الجواب له فتنة واضطراب قلب اجابه بجواب فيه تورية وابهام فهنا لم يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه لابيه في المحل الذي هو فيه خشية ارتداده لما جبلت عليه النفوس من كراهة الاستشارة عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فاورد له جوابا موهما تطييبا لقلبه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره مما غيره الرواة ورووه بالمعنى كرواية مسلم ان رجلا قال يارسول الله أين أبي قال في النار فلما قفا دعاه فقال ان أبي وأباك في النار فهذه الرواية منكرة وللعلماء فيها كلام كثير لخصه الزرقاني في شرح المواهب وأحسن ما يقال فيها ان الرواة تصرفوا فيها واختلفت رواياتهم وان الصواب هي الرواية الاولى فهي في غاية الاتقان تبين بها ان اللفظ العام هو الصادر من النبي صلى الله عليه وسلم ورآه الاعرابي بعد اسلامه أمرا مقتضيا للامتثال فلم يسعه الا امتثاله ثم لو فرض اتفاق الرواة على رواية مسلم كان معارضا بالادلة القرآنية والادلة الواردة في أهل الفترة والحديث الصحيح اذا عارضته أدلة أخرى وجب تاويله وتقديم تلك الادلة عليه كما هو مقرر في الاصول * (فان قيل) * حيث قررت ان أهل الفترة لا يقضى عليهم بشئ حتى يمتحنوا فكيف حكم صلى الله عليه وسلم على أبي السائل بأنه في النار أجاب السيوطي بجواز انه يعصي عند الامتحان وأوحي اليه صلى الله عليه وسلم بذلك

سعيكم لشتى أي ان سعي أبي بكر وأمية لمفترق فرقا عظيما فشتان ما بينهما وقوله فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى هو أبو بكر رضي الله عنه وقوله وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى هو أمية ابن خلف وكذا قوله تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى وقوله لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى كل هذه الآيات في أمية بن خلف وختمت السورة بقوله وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذلك أبو بكر رضي الله عنه كما تقدم * ومنها قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها أجمع المسلمون على ان المراد بالصاحب هنا أبو بكر رضي الله عنه ومن ثم من أنكر صحبته كفر اجماعا * ومنها قوله تعالى

فحكم بانه من أهل النار وبان حديثهم متقدم على أحاديث أهل الفترة فيكون منسوخا بها وبجواز انه عاش
حتى أدرك البعثة وبلغته وأصر ومات في عهده وهذا لا عذر له البتة قال الزرقاني وفي الثالث نظر لانه لو كان
كذلك لما كان لسؤاله عن الاب الكريم وجه اذ الفرق لائح لان اباه بلغته البعثة والاب الشريف لم تبلغه
اللهم الا أن يجاب بان الاعرابي توهم انه لا يكفي بلوغ البعثة حتى يشاهد النبي ولا ينكر هذا منه لانه لم يكن
حينئذ تفقه في الدين بل لم يكن أسلم كما صرح به في حديث سعد وابن عمر رضي الله عنهما وبعضهم روى هذه
القصة بان السؤال عن الام وجمع بانه سال مرة عن أبيه ومرة عن أمه * (ومن الاحاديث المعارضة للنجاة) *
حديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا استاذنت ربي أن أستغفر لامي فلم يأذن لي واستاذنته ان أزور
قبرها فاذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة وأجيب كما في الزرقاني بان حديث عدم الاذن في الاستغفار
لا يلزم منه الكفر بدليل انه صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا في أول الاسلام من الصلاة على من عليه دين لم يترك
له وفاء ومن الاستغفار له مع انه من المسلمين وعلل بان استغفاره مجاب على الفور فمن استغفر له وصل ثواب
دعائه الى منزله في الجنة والمديون محبوس عن مقامه الكريم حتى يقضي دينه فقد تكون أمه مع كونها متحنفة
محبوسة في البرزخ عن الجنة لامور أخرى غير الكفر اقتضت أن لا يؤذن له في الاستغفار لها الى أن أذن الله
فيه بعد ذلك قال وأما حديث أمي مع أمكما على ضعف اسناده فلا يلزم منه كونها في النار لجواز انه أراد بالمعية
كونها معها في دار البرزخ أو غير ذلك وعبر بذلك تورية وابهاما تطييبا لقلوبهما قال وأحسن منه انه صدر
ذلك منه قبل أن يوحى اليه أنها من أهل الجنة كما قال في تبع لا أدري تبعا لعينا كان أم لا أخرجه الحاكم
وابن شاهين عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال بعد أن أوحى اليه في شأنه لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم
أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ وعن سهل وابن عباس رضي الله عنهما فكانه أولا لم يوح اليه في
شأنها بشيء ولم يبلغه القول الذي قالته عند موتها ولا تذكره فاطلق القول بانها مع أمهما جريا على قاعدة
أهل الجاهلية ثم أوحى اليه أمرها بعد قال ويمكن الجواب بانها كانت موحدة غير انها لم يبلغها شأن البعث
والنشور وذلك أصل كبير فاحياها الله له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما في شريعته ولذا تأخر احياؤها الى حجة
الوداع حتى تمت الشريعة ونزل اليوم أكملت لكم دينكم فاحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه وهذا
معنى نفيس بليغ وتقدم عن القاضي عياض ان الاحاديث التي فيها البكاء عند قبر أمه تحمل على أن بكاءه
ليس لتعذيبها وانما كان أسفا على ما فاتها من ادراك أيامه أي بعثته والايمان به وقد رحم الله بكاءه فاحياها
حتى آمنت * (ومن الاحاديث المعارضة للنجاة) * ما رواه الحاكم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أومأ الى المقابر أي أشار الى أنه يريد الذهاب اليها فاتبعناه فجاء حتى جلس الى
قبر منها فناجاه طويلا ثم بكى فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال
ما أبكاكم فقلنا بكينا لبكائك فقال ان القبر الذي جلست عنده قبر آمنة واني استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي
واني استاذنته في الدعاء وفي رواية في الاستغفار لها فلم يأذن لي وأنزل علي ما كان للنبي والذين آمنوا ان
يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى فاخذني ما ياخذ الولد للوالد أي من الرقة والشفقة والجواب عنه
انه حديث ضعيف ضعفه ابن معين وغيره قال الذهبي فيه أيوب بن هانئ ضعيف قال السيوطي فهذه
علة تقدح في صحته فلا عبرة بتصحيح الحاكم له مع انه معارض بالاحاديث التي فيها ان الآية نزلت في أبي طالب
وأما ما يذكره بعض المفسرين من أن قوله تعالى انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم
نزلت في الابوين فذلك باطل لا أصل له بل الآية نزلت في اليهود والنصارى قال أبو حيان في البحر وسوابق
الآيات ولواحقها تدل على ذلك وقيل انها نزلت في أبي طالب وسياتي الكلام عليه فان قلت قد صحت أحاديث
بتعذيب بعض أهل الفترة كحديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا رأيت عمرو بن لحي يجر
قصبه في النار وكحديث مسلم رأيت صاحب المحجن في النار وهو الذي يسرق الحاج بمحجنه فاذا بصر به أحد قال
انما تعلق بمحجني وان غفل عنه ذهب به وأجيب عن ذلك باجوبة أحدها انها أخبار آحاد تفيد الظن

والذي جاء بالصدق وصدق
به أولئك هم المتقون أخرج
البزار وابن عساكر عن علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه
قال في تفسيرها الذي جاء
بالصدق هو سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم والذي
صدق به أبو بكر قال ابن
عساكر الرواية التي جاءت
عن علي رضي الله عنه الذي
جاء بالحق بدل بالصدق
ولعلها قراءة لعلي رضي الله
عنه * ومنها قوله تعالى ولمن
خاف مقام ربه جنتان أخرج
ابن أبي حاتم انها نزلت في أبي
بكر رضي الله عنه ومنها
قوله تعالى وشاورهم في
الامر أخرج الحاكم عن
ابن عباس رضي الله عنهما
أنها نزلت في أبي بكر وعمر رضي
الله عنهما ويؤيده الخبر
الآتي ان الله أمرني ان
استشير أبا بكر وعمر رضي
الله عنهما * ومنها قوله تعالى
فان الله هو مولاه وجبريل
وصالح المؤمنين أخرج
الطبراني عن ابن عباس

فلا تعارض القطع بانهم غير معذبين المأخوذ من الآيات القرآنية فوجب تقديم الآيات عليها وان صحت الثانى قصر التعذيب المذكور فى هذه الاحاديث على هؤلاء اتباعا للوارد ولا نقيس عليهم غيرهم فلا تنافى القاطع والله أعلم بالسبب الموقع لهم فى العذاب وان كنا نحن لا نعلمه الثالث قصر التعذيب المذكور فى هذه الاحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة كعمرو بن لحى فانهم فعلوا من الضلال والاضلال مالا يعذرون به كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع وقد قسم العلماء أهل الفترة ثلاثة أقسام *(القسم الاول)* من أدرك التوحيد وعرف الله ببصيرته أى بعلمه وخبرته فمنعه هذا التبصر عن عبادة غير الله ثم من هؤلاء من لم يدخل فى شريعة كقس بن ساعدة الايادى فانه آمن بالبعثة فى زمن الجاهلية وعرف الله بعقله وكان يقول سيعلم حق من هذا الوجه ويشير الى مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل من ولد لؤى بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش الابد ونعيم لا ينفد فان دعاكم فاجيبوه ولو علمت انى أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه فى كلام آخر وروى اليعمرى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا رحم الله قسا انى أرجو أن يبعثه الله أمة وحده وسيأتى شئ من اخباره وكزيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة وعم عمر بن الخطاب فانه كان ممن طاب التوحيد وخلع الاوثان وجانب الشرك ومات قبل البعثة وكان يقول انى خالفت قومى واتبعت ملة ابراهيم واسمعيل وما كانا يعبدان وكانا يصليان الى هذه القبلة وأنا أنتظر نبيا من بنى اسمعيل يبعث ولا أرانى أدركه وأنا أؤمن به وأصدقه وأشهد أنه نبى وقال لعامر بن ربيعة ان طالت بك حياة فاقرئه منى السلام قال عامر فلما أعلمت النبى صلى الله عليه وسلم بخبره رد عليه السلام وترحم عليه وقال رأيته فى الجنة يسحب ذيولا ومن هذا القسم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فانه ما كان يفعل ما يفعلون فى الجاهلية وما سجد لصنم قط ولذا قال بعض المحققين كل من أبى بكر وعلى رضى الله عنهما يلقب بالصديق وانه يقال فيه كرم الله وجهه لكن اشتهر الصديق فى أبى بكر وكرم الله وجهه فى على رضى الله عنهما وكل منهما لم يسجد لصنم قط ومنهم من دخل فى شريعة حق قائمة الرسم كتبع وقومه من حمير وأهل نجران وورقة بن نوفل فانهم تنصروا فى الجاهلية قبل نسخ دين النصرانية قال الزرقانى ولا بدع أن يكون الابوان الشريفان كالقسم الاول أعنى زيد بن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة بل الابوان أولى بذلك كما تقدم *(القسم الثانى)* من أهل الفترة من غير وبدل وأشرك ولم يوحد وشرع لنفسه وحلل وحرم وهم الاكثر من العرب كعمرو بن لحى بن قمعة بن الياس بن مضر أول من سن للعرب عبادة الاصنام وغير دين ابراهيم وجده قمعة بن خندف أبو خزاعة وخندف زوج الياس بن مضر وقد ذكر ابن اسحق فى سبب تغيير عمرو بن لحى وتبديله واشراكه انه خرج الى الشام وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الاصنام فاستوهبهم واحدا منها وجاء به الى مكة فنصبه الى الكعبة وهو هبل وقيل كان له تابع من الجن يقال له أبو ثمامة جاءه ليلة فقال أجب أبا ثمامة فقال لبيك من تهامه أدخل بلا ملامة فقال ائت سيف جدة تجد آلهة معدة فخذها ولا تهب وادع الى عبادتها تجب قال فتوجه الى جدة فوجد الاصنام التى كانت تعبد زمن نوح فحملها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الاصنام فى العرب وكانت التلبية من زمن ابراهيم عليه السلام لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحى فبيناهو يلبى تمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبى معه فقال عمرو لبيك لا شريك لك فقال الشيخ الا شريكا هو لك فانكر ذلك عمرو فقال ما هذا فقال قل تملكه وما ملك فانه لا بأس به فقالها عمرو فدانت بها العرب وشرع لهم الاحكام فبحر البحيرة وسيب السوائب ووصل الوصيلة وحمى الحامى فكانوا اذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب ولا تطرد من ماء ولا مرعى وسموها البحيرة وكان الرجل منهم يقول ان شفيت من مرضى أو قدمت من سفرى فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم أو ذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى أخاها فلا يذبح الذكر لآلهتهم واذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا

وان عمر رضى الله عنهم انها نزلت فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما * ومنها قوله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور أخرج عبد بن حميد عن مجاهد قال لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ما أنزل الله عليك خيرا الا أشركنا فيه فانزل الله تعالى هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور * ومنها قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى ان أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وان أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك

قد حتى ظهره وكل هذه الاقسام يحملونه الطواغيتهم وتبعته العرب فى غير ذلك أيضا باطولة كره كعبادة الجن والملائكة وخرق البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها سدنة وحجاب يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومناة *(القسم الثالث)* وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل فى شريعة نبى ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا اخترع دينا بل بقى مدة عمره على حين غفلة عن هذا كله وفى الجاهلية من كان على ذلك واذا انقسم أهل الفترة الى الثلاثة الاقسام فيحمل من صح تعذيبه على القسم الثانى لاجل كفرهم بما تعدوا به من الخبائث وقد سمى الله هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال أحد منهم سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى فى مقام الرد والانكار لما ابتدعوه ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون واذا قيل لهم لا يعقلون لانهم قلدوا فيه الآباء وهذا شأن أكثرهم بخلاف القليل منهم فانه تباعد عن ذلك ووحد الله وهم أهل القسم الاول وأما القسم الثالث فهم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين اتفاقا اذا علمت ذلك تعلم أن والدى النبى صلى الله عليه وسلم اما أن يكونا من أهل القسم الاول كما دلت على ذلك أشعارهم وأقوالهم المنقولة عنهم فيما تقدم واما أن يكونا من القسم الثالث لم تبلغهما دعوة لتأخر زمنهما وبعد ما بينهما وبين الانبياء السابقين وكونهما فى زمن جاهلية عم الجهل فيها شرقا وغربا وفقد فيها من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها لا نفرا يسيرا من أحبار أهل الكتاب مفرقين فى أقطار الارض كالشام وغيرها وما عهد لهما تقلب فى الاسفار سوى المدينة ولا أعطيا عمرا طويلا يسع الفحص عن المطلوب مع زيادة أن أمه صلى الله عليه وسلم مخدرة مصونة محجبة فى البيت عن الاجتماع بالرجال لا تجد من يخبرها واذا كان النساء اليوم مع فشو الاسلام شرقا وغربا لا يدرين غالب أحكام الشريعة لعدم مخالطتهن الفقهاء فما ظنك بزمان الجاهلية والفترة الذى رجاله لا يعرفون ذلك فضلا عن نسائه ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم تعجب أهل مكة وقالوا أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك وربما كانوا يظنون أن ابراهيم عليه السلام بعث بما هم عليه فانهم لم يجدوا من يبلغهم شريعته على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها اذ كان بينهم وبينها أزيد من ثلاثة آلاف سنة وأما أهل القسم الاول كقس بن ساعدة وزيد بن عمرو فقد قال عليه الصلاة والسلام فى كل منهما انه يبعث أمة وحده واستغفر لهما وترحم عليهما وأخبر بانهما كانا على دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وذلك بهداية وتوفيق من الله تعالى واذا صح ذلك لمثل هذين فلا مانع من حصول مثله لآبائه الكرام وأمهاته الفخام واختلفوا فى ثبوت الصحبة لقس ابن ساعدة وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل والاكثرون على عدم ثبوت الصحبة لان اجتماعهم بالنبى صلى الله عليه وسلم كان قبل بعثته وارساله الى الخلق فهم مؤمنون به بالغيب قبل ظهوره ولذا جاء عنه عليه الصلاة والسلام انهم يبعثون بينه وبين عيسى عليه السلام وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم أهل الدين الذى دخلوا فيه ما لم يلحق أحدهم الاسلام الناسخ لكل دين لكن تبع لم يدرك الاسلام قطعا وقال فيه صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه فيه لا أدرى تبعا لعينا كان أم لا ثم لما أوحى الله فيه قال لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أى وحد الله وصدق بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال لم يمت تبع حتى صدق بالنبى صلى الله عليه وسلم لما كانت يهود يثرب يخبرونه قال الامام جلال الدين السيوطى انى لم أدع أن مسئلة الابوين اجماعية بل هى مسئلة اختلافية فحكمها حكم سائر المسائل المختلف فيها غير انى اخترت أقوال القائلين بالنجاة لانه الانسب بهذا المقام والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بانه اذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه أو وصف بوصف قائم به وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة كيف وقد روى ابن منده وغيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاءت سبيعة بنت أبى لهب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان الناس يقولون أنت

وانى من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ذلك جميعه نزل فى أبى بكر رضى الله عنه ومن تأمل ذلك وجد فيه من عظيم المنقبة له والمنة عليه ما لم يوجد نظيره لاحد من الصحابة رضوان الله عليهم *ومنها قوله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه كما فى صحيح البخارى كان أبو بكر رضى الله عنه ينفق على مسطح ابن أثاثة لقرابته منه وفقره فلما خاض مسطح مع أهل الافك قطع النفقة عنه فانزل الله تعالى ولا يأتل أولو الفضل الآية فقال أبو بكر لما سمع

بلت

بنت حطاب النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغضب فقال ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي من آذاني فقد آذى الله وروى الطبراني والامام أحمد والترمذي عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء ولا ريب ان أذاه صلى الله عليه وسلم كفر يقتل فاعله ان لم يتب وعند المالكية يقتل وان تاب فاذا سئل العبد عن الابوين الشريفين فليقل هما ناجيان في الجنة امالانهما أحييا حتى آمنا به كما جزم به الحافظ السهيلي والقرطبي وناصر الدين بن المنير وغيرهم من المحققين واما لانهما ماتا في الفترة قبل البعثة ولا تعذيب قبلها كما جزم به الابي في شرح مسلم واما لانهما كانا على الحنيفية والتوحيد لم يتقدم لهما شرك كما قطع به الامام السنوسي والتلمساني محشي الشفاء فهذه خلاصة أقوال المحققين ولا تلتفت الى قول من خالف شيأ من ذلك وقد نقل العلامة الطحطاوي من علماء الحنفية المتأخرين في حواشيه على الدر المختار في كتاب النكاح جملة من أقوال المحققين وذكر أن المحققين من الحنفية على هذا الاعتقاد ولا عبرة بمخالفة من خالف في ذلك قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب وسئل القاضي أبو بكر بن العربي أحد أئمة المالكية عن رجل قال ان أبا النبي صلى الله عليه وسلم في النار فأجاب بانه ملعون لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا ولا أذى أعظم من أن يقال أبوه في النار وأخرج ابن عساكر وأبو نعيم أن رجلا من كتاب الشام استعمل على كورة من كوره رجلا كان أبوه يزن بالمنانية فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال له ما حملك على أن تستعمل على كورة من كور المسلمين رجلا كان أبوه يزن بالمنانية فقال أصلح الله أمير المؤمنين وما على من كان أبوه كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم مشركا فقال عمر آه ثم سكت ثم رفع رأسه ثم قال أأقطع لسانه أأقطع يده ورجله أأضرب عنقه ثم قال لا تل لي شيأ ما بقيت وعزله عن الدواوين واقد أطنب الجلال السيوطي رضي الله عنه في الاستدلال لاعتام ما فالله يثيبه على قصده الجميل وجملة مؤلفاته في ذلك ستة منها تأليف سماه مسالك الحنفا في نجاة آباء المصطفى صلى الله عليه وسلم قال في مسالك الحنفا وقد سئلت ان أنظم في هذه المسئلة أبياتا أختم بها هذا التأليف فقلت

ان الذي بعث النبي محمدا *	أنجى به الثقلين مما يجحف
ولامه وأبيه حكم شائع *	أبداه أهل العلم فيما صنفوا
فجماعة أجروهما مجرى الذي *	آباته خبر الدعاة المسعف
والحكم فيمن لم تجئه دعوة *	أن لا عذاب عليه حكم مؤلف
فبذاك قال الشافعية كلهم *	والاشعرية ما بهم متوقف
وبسورة الاسراء فيه حجة *	وبنحو ذا في الذكر آي تعرف
ولبعض أهل الفقه في تعليله *	معنى أرق من النسيم وألطف
ونحا الامام الفخر رازي الورى *	منحى به للسامعين تشنف
اذ هم على الفطر الذي ولدوا ولم *	يظهر عناد منهم وتخلف
قال الألى ولدوا النبي المصطفى *	كل على التوحيد اذ يتحنف
من آدم لأبيه عبد الله ما *	فيهم أخو شرك ولا مستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة *	نجس وكلهم بطاهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلب *	في الساجدين فكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين في *	أسراره هبطت عليه الذرف
فجزاه رب العرش خير جزائه *	وحباه جنات النعيم تزخرف
فلقد تدين في زمان الجاهلية *	فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا *	الصديق ما شرك عليه يعكف
قد فسر السبكي بذاك مقالة *	للاشعري وما سواه مزيف
اذ لم تزل عين الرضا منه على *	الصديق وهو بطول عمر أحنف
عادت عليه صحبة الهادي فما *	في الجاهلية للضلالة يعرف
فلأمه وأبوه أحرى سيما *	ورأت من الآيات ما لا يوصف
وجماعة ذهبوا الى احيائه *	أبويه حتى آمنا لا تحرفوا
وروى ابن شاهين حديثا مسندا *	في ذاك لكن الحديث مضعف
هذي مسالك لو تفرد بعضها *	لكفى فكيف بها اذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته *	أدبا ولكن أين من هو منصف
صلى الاله على النبي محمد *	

ألا تحبون ان يغفر الله لكم بلى والله اني لأحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفقها عليه وكفر عن يمينه وقال والله لا أنزعها منه أبدا وتأمل كيف صدر الله الآية بقوله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة فيكفيه شهادة الله تعالى له بانه من أولي الفضل والسعة * ومنها قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين الآية أخرج ابن عساكر عن ابن عيينة قال عاتب الله المسلمين كلهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أبا بكر وحده فانه خرج من المعاتبة ثم قرأ ان لا تنصروه فقد نصره الله وأخرج الواحدي وأبو الفرج في أسباب النزول عن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية نزلت في أبي بكر رضي

ماجـد دالدين الحنيف محنف * وعلى صحابته الكرام وآله * أوفى رضاه يدوم لا يتوقف

(باب في وفاة جده عبد المطلب ووصيته لابي طالب)

كان جده عبد المطلب هو الكافل له صلى الله عليه وسلم بعد وفاة أبيه وأمه وكان يرق عليه رقة لا يرقها على ولده وكان يدنيه ويقربه ويدخله عنده اذا خلا كما تقدم الكلام على ذلك مستوفى وكانت وفاة جده وعمر النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين وقيل أكثر وقيل أقل وكان عمر عبد المطلب حين توفي مائة وأربعين سنة وقيل مائة وعشرة وقيل أقل ودفن بالحجون عند قبر جده قصي ولما حضرته الوفاة أوصى به الى عمه شقيق أبيه أبي طالب وكان أبو طالب ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية كابيه عبد المطلب واسمه على الصحيح عبد مناف وزعمت الروافض ان اسمه عمران وانه المراد من قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين قال الحافظ ابن كثير وقد أخطأوا في ذلك خطأ كثيرا ولم يتأملوا القرآن قبل أن يقولوا هذا البهتان فقد ذكر بعد هذه قوله تعالى رب اني نذرت لك ما في بطني محررا وحين أوصى به جده لابي طالب أحبه حبا شديدا لا يحبه أحدا من ولده فكان لا ينام الا الى جنبه وكان يخصه باحسن الطعام وقيل اقترع أبو طالب هو والزبير شقيقه فيمن يكفله منهما فخرجت القرعة لابي طالب وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم اختار أبا طالب لما كان يراه من شفقته عليه ومولاته له وقيل انه كان مشاركا لعبد المطلب في كفالته وقيل كفله الزبير حين مات عبد المطلب ثم كفله أبو طالب يوم موت الزبير وهو مردود عند المحققين وكفالة جده وعمه له صلى الله عليه وسلم بعد موت أبيه وأمه مذكورة في الكتب القديمة فهي من علامات نبوته ففي خبر سيف ذي يزن يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ولما مات عبد المطلب بكى الناس عليه بكاء كثيرا قال بعضهم لم يبك على أحد بعد موته ما بكى على عبد المطلب وكان صلى الله عليه وسلم يسعى خلف سريره ويبكي وهو ابن ثمان ولم يقم لموته سوق بمكة أياما كثيرة ومما رثته به ابنته أميمة قولها

أعيني جودا بدمع درر * على ماجد الخير والمقتصر * على ماجد الجد وارى الزناد
جميل المحيا عظيم الخطر * على شيبة الحمد ذي المكرمات * وذي المجد والعز والمفتخر
وذي الحلم والفضل في النائبات * كثير المفاخر جم الفخر

وكان أبو طالب مقلا من المال فكان عياله اذا أكلوا وحدهم جميعا أو فرادى لم يشبعوا واذا أكل معهم النبي صلى الله عليه وسلم شبعوا فكان أبو طالب اذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول لهم كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأكل معهم فيشبعون فيفضلون من طعامهم واذا كان لبنا شرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أولهم ثم تناول العيال القعب أي القدح من الخشب فيشربون منه فيروون من عند آخرهم أي جميعهم من القعب الواحد وان كان أحدهم وحده يشرب قعبا واحدا فيقول أبو طالب انك لمبارك وكان أبو طالب يقرب الى الصبيان أول بكرة النهار شيأ يأكلونه فيجلسون وينتهبون فيكف رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ولا ينتهب معهم تكرما منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعاما على حدته ولا ينافي ما قبله لانه يجوز أن يكون ذلك خاصا بما يحضر في البكرة الذي يقال له الفطور دون الغداء والعشاء فانه كان يأكل معهم وهو المتقدم والله أعلم وكان الصبيان يصبحون شعثا رمصا مصفرة ألوانهم ويصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم دهينا كحيلا صقيلا كأنه في أنعم عيش لطفا من الله به قالت أم أيمن ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا قط ولا عطشا لا في صغره ولا في كبره وكان يغدو واذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول أنا شبعان وهذا في بعض الاوقات فلا ينافي ما سبق وكان يوضع لابي طالب وسادة يجلس عليها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عليها فقال ان ابن اخي ليحس بنعيم أي بشرف عظيم وكان أبو طالب يحبه حبا شديدا لا يحب أولاده كذلك ولذا لا ينام الا الى جنبه ويخرج به متى خرج *وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط وشدة من احتباس المطر عنهم فقائل منهم يقول اعمدوا اللات والعزى وقائل منهم يقول اعمدوا لمناة

الله عنه دعا ابنه يوم بدر الى البراز فقال يا رسول الله دعني أكون في الرعيل الاول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري فهذه بعض الآيات التي نزلت فيه وهي غير الآيات التي فيها الاشارة الى خلافته وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى (وأما الاحاديث الدالة) على فضله فكثيرة جدا منها ما أخرجه البخاري في صحيحه عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال قلت لابي يعني علي بن أبي طالب رضي الله عنه أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر قلت ثم من قال عمر فخشيت أن يقول ثم عثمان قلت ثم أنت قال ما أنا الا واحد من المسلمين وتواتر عن علي رضي الله عنه قوله خير الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وكان يقول لا يفضلني أحد

الثالثة الأخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأى أنى تؤفكون وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسماعيل قالوا كأنك عنيت أبا طالب فقال ايها فقاموا باجمعهم فقمت معهم فدققنا الباب عليه فخرج الينا فثاروا اليه فقالوا يا أبا طالب أقحط الوادى وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام وهو النبى صلى الله عليه وسلم كأنه شمس دجن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فالصق ظهر الغلام بالكعبة ولاذ الغلام أى أشار باصبعه الى السماء كالمتضرع الملتجئ وما فى السماء قزعة فاقبل السحاب من ههنا وههنا واغدق الوادى أى أمطر وكثر قطره وأخصب النادى والبادى وفى هذا يقول أبو طالب يذكر قريشا حين تمالؤا على أذيته صلى الله عليه وسلم بعد البعثة يذكرهم يده وبركته عليهم من صغره

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده فى نعمة وفواضل

فهذا الاستسقاء شاهده أبو طالب فقال البيت بعد مشاهدته وقد شاهده مرة أخرى قبل هذه فروى الخطابى حديثا فيه ان قريشا تتابعت عليهم سنو جدب فى حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضره من قريش أبا قبيس فقام عبد المطلب واعتضده صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قرب ثم دعا فسقوا فى الحال فقد شاهد أبو طالب ما دله على ما قال أعنى قوله وأبيض يستسقى البيت وهو من أبيات من قصيدة طويلة نحو ثمانين بيتا لابى طالب على الصواب خلافا لمن قال انها لعبد المطلب فقد أخرج البيهقى عن أنس رضى الله عنه قال جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا الجدب والقحط وأنشد أبياتا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فما رد يديه حتى التفت السماء بابراقها ثم بعد ذلك جاؤا يضجون من المطر خوف الغرق فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبى طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال على رضى الله عنه كأنك تريد قوله وأبيض يستسقى وذكر أبياتا فقال صلى الله عليه وسلم أجل فهذا نص صريح من الصادق صلى الله عليه وسلم بان أبا طالب منشئ البيت وأول القصيدة

ولما رأيت القوم لا ود عندهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل * وقد جاهرونا بالعداوة والاذى

وقد طاوعوا أمر العدو المزايل * وقد حالفوا قوما علينا أظنة * يعضون غيظا خلفنا بالانامل

صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة * وأبيض عضب من تراث المقاول * أعبد مناف أنتم خير قومكم

فلا تشركوا فى أمركم كل واغل * فقد خفت ان لم يصلح الله أمركم * تكونوا كما كانت أحاديث وائل

أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء أو ملح بباطل * ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة

ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول * وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه * وراق لبر فى حراء ونازل

وبالبيت حق البيت فى بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل * كذبتم وبيت الله نبزى محمدا

ولما نطاعن دونه ونناضل * ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

قال الزرقانى وما أحلى قوله فى ختامها عن ابن اسحق

لعمرى لقد كلفت وجدا باحمد * وأحببته دأب المحب المواصل * فمن مثله فى الناس أى مؤمل

اذا قاسه الحكام عند التفاضل * حليم رشيد عاقل غير طائش * يوالى الها ليس عنه بغافل

فوالله لولا أن أجئ بسبة * تجر على أشياخنا فى المحافل * لكنا اتبعناه على كل حالة

من الدهر جدا غير قول التهازل * لقد علموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل

فاصبح فينا أحمد فى أرومة * تقصر عنها سورة المتطاول

حدبت بنفسى دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

قال الامام عبد الواحد السفاقسى فى شرح البخارى ان فى شعر أبى طالب هذا دليلا على انه كان يعرف نبوة النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث لما أخبره به بحيرا الراهب وغيره من شأنه مع ما شاهده من أحواله ومنها

على أبى بكر وعمر الاجلدته حد المفترى أخرجه ابن عساكر وأخرج الترمذى والحاكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرج ابن عساكر ان عمر رضى الله عنه صعد المنبر ثم قال ألا ان أفضل الامة بعد نبيها ابو بكر فمن قال غير هذا فهو مفتر عليه ما على المفترى وأخرج عبد بن حميد وأبو نعيم وغيرهما من طرق كثيرة عن أبى الدرداء رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر الا أن يكون نبى وفى رواية ما طلعت الشمس بعد النبيين والمرسلين على أحد أفضل من أبى بكر وفى رواية لجابر رضى الله عنه ما طلعت الشمس على أحد منكم أفضل منه وأخرج الطبرانى

الاستسقاء به في صغره ومعرفة أبي طالب بنبوته صلى الله عليه وسلم جاءت في كثير من الاخبار زيادة على أخذها من شعره وتمسك بهذا الشيعة في انه كان مسلما وألف علي بن حمزة البصري الرافضي جزأ جمع فيه شعر أبي طالب وقال انه كان مسلما وانه مات على الاسلام وان الحشوية تزعم أنه مات كافرا وانهم بذلك يستجيزون لعنه ثم بالغ في سبهم والرد عليهم قال الحافظ ابن حجر وقد أكثر في هذا الجزء من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام ابي طالب ولا يثبت شئ من ذلك واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه والحاصل أن مذهب أهل السنة من المذاهب الاربعة عدم اسلامه وانقياده على حسب مانطق به القرآن وجاءت به السنة وان كان عنده تصديق قلبي بنبوته فان ذلك غير نافع بدون انقياد ظاهري روى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته قبل الغرغرة ياعم قل لا اله الا الله كلمة أستحل لك بها الشفاعة وفي رواية أحاج وفي رواية أشهد لك بها عند الله وفي رواية يوم القيامة فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانه قال له يا ابن أخي لولا مخافة قول قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها ولو قلتها لا أقولها الا لاسرك بها وجاء في بعض الروايات عند غير البخاري فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر اليه العباس فرآه يحرك شفتيه فاصغى اليه باذنه فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها ولم يصرح العباس بلفظ لا اله الا الله لكونه لم يكن أسلم حينئذ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع وفي رواية قال العباس انه أسلم عند الموت وبهذا احتج الرافضة ومن تبعهم على اسلامه لكن أجاب عنه القائلون بعدم اسلامه بان شهادة العباس لابي طالب بالاسلام مردودة لكون العباس شهد بها في حال كفره قبل أن يسلم مع أن الاحاديث الصحيحة الثابتة في البخاري وغيره قد أثبتت لابي طالب الوفاة على الكفر فقد روى البخاري من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه ان أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي فقال أي عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يردانه حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم به هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك مالم أنه عنك فأنزل الله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى وقوله على ملة عبد المطلب لا ينافي ماتقدم ان المحققين على نجاة عبد المطلب لانه أراد حكاية ظاهر الحال لهم مع ان عبد المطلب له عذر وهو عدم ادراكه البعثة وقد تقدم الكلام عليه مستوفى وأنزل الله أيضا في أبي طالب خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وفي صحيح البخاري ومسلم عن العباس رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وهو مارق من الماء على وجه الارض الى نحو الكعبين فاستعير للنار وفي رواية لولا أنا لكان في الدرك الاسفل من النار قال الزرقاني لو كانت تلك الشهادة عند العباس لم يسأل عنه لعلمه بحاله ففيه دليل على ضعف تلك الرواية وقال الحافظ ابن حجر لو كانت طريقه يعني حديث العباس السابق صحيحة لعارضه هذا الحديث الذي هو أصح منه فضلا عن أنه لا يصح وروى أبو داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة عن علي رضي الله عنه قال لما مات أبو طالب اخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بموته فبكى وقال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه وهذا قبل نزول ما كان للنبي الآية وفي رواية لما مات أبو طالب قلت يارسول الله ان عمك الشيخ الضال قد مات قال اذهب فواره قلت انه مات مشركا قال اذهب فواره فلما واريته رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اغتسل وروى مسلم عنه صلى الله عليه وسلم ان أهون أهل النار عذابا أبو طالب وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم ذكر عنده عمه أبو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه زاد في رواية حتى يسيل على قدميه قال البيهقي ان هذا الحديث يخصص قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين فمن خصائصه صلى الله عليه وسلم هذه الشفاعة لعمه أبي طالب

عن أسعد بن زرارة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان روح القدس جبريل أخبرني أن خير أمتك بعدك أبو بكر رضي الله عنه وأخرج الطبراني وابن عدي عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر خير الناس الا أن يكون نبي وأخرج أبو داود والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل فأخذ بيدي فاراني باب الجنة الذي يدخل منه أمتي فقال أبو بكر رضي الله عنه وددت اني كنت معك حتى انظر اليه فقال أما انك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي وأخرج البخاري ومسلم عن عمرو بن العاص رضي الله عنه انه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أحب اليك قال عائشة فقلت من الرجال فقال أبوها قلت

ويؤخذ

ويؤخذ من الحديث أنه يجوز أن الله يضع عن بعض الكافرين بعض جزاء معاصيهم تطييبا لقلب الشافع
قال السهيلي ان أبا طالب كان مع النبي صلى الله عليه وسلم بجملته متحيزا ناصرا له الا أنه كان مثبتا لقدميه على
ملة قريش حتى قال عند الموت انه على ذلك فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيتهما اياهما على تلك الملة فيكون
من مشاكلة الجزاء للعمل ثبتنا الله على الصراط المستقيم قال القرافي في قوله السابق * لقد علموا أن ابننا
لا مكذب * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل * تصريح باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يذعن وكان يقول انى
لاعلم أن ما يقوله ابن أخي حق ولولا أخاف أن يعيرني نساء قريش لاتبعته وفي شعره من هذا النحو كثير كقوله
حين اجتمعت قريش وجاؤه بعمارة بن الوليد وقالوا له خذه بدل محمد ويكون كالابن لك وأعطنا محمدا نقتله
فقال ما أنصفتموني يامعشر قريش آخذ ابنكم أربيه وأعطيكم ابني تقتلونه ثم قال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي * ولقد دعوت وكنت ثم أمينا
لولا المسبة أو حذار ملامة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وروى أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما
لما اشتكى أبو طالب وبلغ قريشا ثقله قال بعضها لبعض ان حمزة وعمر قد أسلما وفشا أمر محمد فانطلقوا بنا
الى أبي طالب يأخذ لنا على ابن أخيه ويعطه منا فانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شئ يعنون القتل
للنبي صلى الله عليه وسلم فتعيرنا العرب يقولون تركوه حتى اذا مات عمه تناولوه فمشى اليه عتبة بن ربيعة وشيبة
ابن ربيعة وأبو جهل وأمية بن خلف وأبو سفيان بن حرب في رجال من أشرافهم فاخبره بما جاؤا له فبعث
أبو طالب اليه صلى الله عليه وسلم فجاءه فاخبره بمرادهم وقال يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك وقد اجتمعوا لك
ليعطوك وليأخذوا منك أعط سادات قومك ما سألوك فقد أنصفوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك
والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتكم ان أعطيتكم ما سألتم هل تعطوني كلمة واحدة تملكون
بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لنعطيكها وعشر امعها فاهي قال تقولوا لا اله الا الله وتخلعون
ما تعبدون من دونه فصفقوا بايديهم وقالوا يا محمد أتريد أن تجعل الآلهة الها واحدا ان أمرك لعجيب فانزل
الله ص والقرآن ذي الذكر الآيات وفي رواية قالوا يسع لحاجاتنا جميعا اله واحد سلنا غير هذه الكلمة
وقال أبو طالب يا ابن أخي هل من كلمة غير هذه الكلمة فان قومك قد كرهوها قال ياعم ما أنا بالذي يقول
غيرها ثم قال لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها فقال بعضهم لبعض والله ما هذا
الرجل يعطيكم شيأ مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه ثم قالوا عند قيامهم
والله لنشتمنك والهك الذي يأمرك بهذا وفي رواية لتكفن عن سب آلهتنا أو لنسبن الذي يأمرك بهذا وقال
أبو طالب عند ذلك والله يا ابن أخي ما رأيتك سألتهم شططا أي أمرا بعيدا فلما قال ذلك طمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيه فجعل يقول أي عم فانت قلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة فلما رأى حرص رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال له والله يا ابن أخي لولا مخافة السب عليك وعلى بني أبيك من بعدي وأن يظن قريش
انى انما قلتها جزعا من الموت لاقررت بها عينك لما أرى من شدة وجدك لكني أموت على ملة الاشياخ فانزل
الله تعالى انك لا تهدي من أحببت الآية وفي رواية ان أبا طالب قال عند موته يامعشر بني هاشم أطيعوا
محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياعم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك
قال فما تريد يا ابن أخي قال أريد أن تقول لا اله الا الله أشهد لك بها عند الله فقال يا ابن أخي قد علمت انك
صادق لكني أكره أن يقال الخ الحديث واجتمعوا مرة أخرى عند أبي طالب فاوصاهم أبو طالب فقال
يا معشر العرب أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع
الباع واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا احرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم بذلك على

ثم من قال عمر بن الخطاب وأخرج البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمته بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان زاد الطبراني فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكره وفي رواية لابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما كنا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفضل أبا بكر وعمر وعثمان وعليا وأخرج ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن متوافرون نقول أفضل هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت وأخرج الديلمي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر مني وأنا منه وأبو بكر أخي في الدنيا والآخرة وأخرج الامام

الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية يعنى الكعبة فان فيه مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطاءة صلوا أرحامكم فان فى صلة الرحم منسأة أى فسحة فى الاجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعى وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وأوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاءنا بامر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله كانى أنظر الى صعاليك العرب وأهل الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأعطته قيادها يا معشر قريش كونوا له ولاة ولحزبه حماة وفى رواية دونكم ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسى مدة ولاجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى ثم هلك على كفره وقال لهم مرة لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فاطيعوه ترشدوا قال الزرقانى فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة وكيف هذه المعرفة التامة بالحق ومع ذلك سبق فيه قدر القهارات فى ذلك لعبرة لاولى الابصار ولهذا الحب الطبيعى كان أهون أهل النار عذابا كما فى صحيح مسلم والحاصل أن ظاهر النصوص الشرعية من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية كلها تدل على أنه مات على كفره وانه كان عنده تصديق بالنبى صلى الله عليه وسلم ولكن عنده عدم انقياد واستسلام فلم ينفعه تصديقه وأما حديث العباس رضى الله عنه الذى فيه أنه نطق بالشهادتين عند وفاته فانه حديث ضعيف لا يعارض تلك النصوص وقالت الشيعة باسلامه تمسكا بذلك الحديث وبكثير من اشعاره لكن مذهب أهل السنة على خلافه ونقل الشيخ السحيمى فى شرحه على شرح جوهرة التوحيد عن الامام الشعرانى والسبكى وجماعة أن ذلك الحديث أعنى حديث العباس ثبت عند بعض أهل الكشف وصح عندهم اسلامه وان الله تعالى أبهم أمره بحسب ظاهر الشريعة تطييبا لقلوب الصحابة الذين كان آباؤهم كفارا لانه لو صرح لهم بنجاته مع كفر آبائهم وتعذيبهم لنفرت قلوبهم وتوغرت صدورهم كما تقدم نظيره فى حديث الذى قال ان ابى وايضا لو ظهر لهم اسلامه لعادوه وقاتلوه مع النبى صلى الله عليه وسلم ولما تمكن من حمايته والدفع عنه فجعل الله ظاهر حاله كحال آبائهم وانجاه فى باطن الامر لكثرة نصرته للنبى صلى الله عليه وسلم وحمايته له ومدافعته عنه ولكن هذا القول أعنى القول باسلامه عند بعض أهل الحقيقة مخالف لظاهر الشريعة فلا ينبغى التكلم به بين العوام بل لا ينبغى كثرة الخوض فى شانه وانما يفوض الامر فيه الى الله تعالى فانه أعلم بالعبد قال فى السيرة الحلبية نقلا عن الهدى النبوى لابن القيم وكان من حكمة أحكم الحاكمين بقاؤه على دين قومه لما فى ذلك من المصالح التى تبدو لمن تاملها وكذلك أقرباؤه وبنو عمه الذين تاخر اسلام من أسلم منهم ولو أسلم أبو طالب وبادر اقرباؤه وبنو عمه الى الاسلام به لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له فلما بادر اليه الاباعد وقاتلوا على حبه من كان منهم حتى أن الشخص منهم يقتل أباه وأخاه علم أن ذلك انما هو على بصيرة صادقة ويقين ثابت ولما مات أبو طالب نالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع فيه فى حياة أبى طالب حتى أن بعض سفهاء قريش نثر على رأس النبى صلى الله عليه وسلم التراب فدخل صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكى يا بنية فان الله مانع أباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت منى قريش شيأ أكرهه حتى مات أبو طالب ولما رأى قريشا تهجموا على أذيته قال يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ أبا لهب ذلك قام بنصرته أياما وقال له يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا اذ كان أبو طالب حيا فاصنعه لا واللات والعزى لا يصلون اليك حتى أموت واتفق أن ابن العيطلة

أحمد والبخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال انه ليس فى الناس أحد أمن على فى نفسه وماله من أبى بكر بن ابى قحافة ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن خلة الاسلام أفضل سدوا كل خوخة فى هذا المسجد غير خوخة أبى بكر وأخرج عبد الرزاق عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرحم أمتى بامتى أبو بكر وفى رواية عن أبى أمامة أرحم الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر رضى الله عنه وأخرج الترمذى عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر أنت عتيق من النار وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر رضى الله عنه أنت صاحبى على الحوض وصاحبى فى الغار وأخرج سعيد بن منصور عن

سب النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه أبو لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش صبا أبو عتبة يعني أبا لهب فاقبلت قريش على أبي لهب وقالوا له فارقت دين عبد المطلب فقال ما فارقته وفي لفظ قالوا له أصبوت قال ما فارقت دين عبد المطلب ولكن أمنع ابن أخي أن يضام حتى يمضي لما يريد قالوا قد أحسنت وأجملت ووصلت الرحم فمكث صلى الله عليه وسلم أياما لا يتعرض له أحد من قريش وهابوا أبا لهب الى أن جاء أبو جهل وعقبة بن أبي معيط الى أبي لهب فقالا له أخبرك ابن أخيك أين مدخل أبيك يزعم أنه في النار فقال أبو لهب يا محمد أين مدخل عبد المطلب قال مع قومه فخرج أبو لهب الى أبي جهل وعقبة فقال قد سألته فقال مع قومه فقالا يزعم أنه في النار فقال يا محمد أيدخل عبد المطلب النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وفي رواية من مات على عبادة غير الله فهو في النار فترك أبو لهب نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وجماعته وتقدم الكلام على عبد المطلب مستوفى وانه مات في الفترة أو انه كان موحدا وانما أجل عليه الصلاة والسلام لهم الجواب مجاراة لهم لانهم كانوا يعتقدون انهم على ما كان عليه عبد المطلب ولو أراد أن يبين لهم الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لربما كان سببا لزيادة كفرهم وعنادهم وبقائهم على عبادة أصنامهم وهو صلى الله عليه وسلم يريد تنفيرهم عن عبادة الاصنام فالالائق بالمقام أن يجعل الكلام عاما وأن يكون التعذيب لكل من عبد غير الله على العموم من غير أن يفصل لهم و يظهر الفرق بين أهل الفترة وغيرهم لان ذلك أبلغ في تنفيرهم ومن تامل اجماله الجواب لهم يعلم سر ذلك فانه قال لهم نعم وفي رواية من مات على عبادة غير الله فهو في النار وجاء في رواية من مات على مثل ما مات عليه عبد المطلب فهذه يحتمل أنها من تصرف الرواة و يحتمل أنها مجاراة لهم ولم يقل لهم صراحة عبد المطلب في النار وهكذا كانت عادته صلى الله عليه وسلم في اجابة الجاهلين يجيب كل انسان على حسب حاله اللائق به و بفهمه وعقله و ياتي بالكلام محتملا تحريا للصدق ومن تامل الحديث السابق في سؤال الرجل الذي قال له أين أبي يعلم سر ذلك ولا يشكل عليه شيء من أمثاله فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أعقل العالمين وأعلمهم فيخاطب كل واحد على حسب حاله وكانت وفاة أبي طالب سنة عشر من النبوة وانما قدمنا الكلام عليه لمناسبة الكلام له وانجراره من نجاة آبائه الى ذكر الكلام على أبي طالب والاختلاف فيه فله مناسبة تامة بما نحن فيه والله أعلم *(ومن الارهاصات)* التي ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم وهو صغير أنه كان مع عمه أبي طالب بذي المجاز وهو موضع على فرسخ من عرفة كان سوقا للجاهلية فعطش عمه أبو طالب فشكا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخي قد عطشت فاهوى بعقبه الى الارض وفي رواية الى صخرة فركضها برجله وقال شيأ قال أبو طالب فاذا أنا بالماء لم أر مثله فقال اشرب فشربت حتى رويت فركضها فعادت كما كانت وسافر صلى الله عليه وسلم الى اليمن وعمره بضع عشرة سنة وكان معه في ذلك السفر عمه الزبير فمروا بواد فيه فحل من الابل يمنع من يجتاز فلما رآه الفحل برك وحك الارض بصدره فنزل صلى الله عليه وسلم عن بعيره وركب ذلك الفحل حتى جاوز الوادي ثم خلى عنه فلما رجعوا من سفرهم مروا بواد مملوء ماء يتدفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتبعوني ثم اقتحمه فاتبعوه فايبس الله الماء فلما وصلوا الى مكة تحدثوا بذلك فقال الناس ان لهذا الغلام شأنا * وفي السيرة الهشامية أن رجلا من لهب كان قائفا وكان اذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم و يقتاف لهم فيهم فاتى أبو طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام مع من يأتيه فنظر اليه ثم شغل عنه فلما فرغ قال علي بالغلام وجعل يقول و يلكم ردوا علي الغلام الذي رأيت آنفا فوالله ليكونن له شان فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه وانطلق به ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة سنة وقيل تسع سنين سافر عمه أبو طالب الى الشام فصب به النبي صلى الله عليه وسلم من الصبابة وكثرة الشوق وفي رواية فضبث بالضاد والباء والثاء أي لزمه وقبض عليه وفي رواية مسك بزمام ناقة أبي طالب وقال يا عم الى من تكلني لا أب لي ولا أم فاخذه معه وأردفه خلفه فنزلوا على صاحب دير فقال صاحب الدير ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون له أب حي لان من كانت هذه الصفة صفته فهو نبي أي النبي المنتظر بدليل قوله

أبي هريرة رضي الله عنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكان بذي طوى فقال يا جبريل ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق وأخرج الحاكم عن النزال ابن سبرة قال قلنا لعلي رضي الله عنه أخبرنا عن أبي بكر قال ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لانه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا وفي رواية عن حكم ابن سعيد قال سمعت عليا رضي الله عنه يحلف لانزل الله اسم أبي بكر من السماء الصديق وأخرج الحاكم عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما صحب النبيين والمرسلين أجمعين ولا صاحب يس أفضل من أبي بكر رضي الله عنه وأخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

ومن علامة ذلك النبي في الكتب القديمة أن يموت أبوه وأمه حامل به وأن تموت أمه وهو صغير قال أبو طالب لصاحب الدير وما النبي قال الذي يأتيه الخبر من السماء فينبئ أهل الارض قال أبو طالب الله أجل مما تقول قال فاتق عليه اليهود ثم خرج حتى نزل براهب أيضا صاحب دير فقال ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون له أب حي قال ولم قال لان وجهه وجه نبي وعينه عين نبي أي النبي الذي يبعث لهذه الامة الاخيرة لان ما ذكر علامته في الكتب القديمة قال أبو طالب سبحان الله الله أجل مما تقول ثم قال أبو طالب للنبي صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ألا تسمع ما يقول قال أي عم لا تنكر لله قدرة فلما نزل الركب بصرى وبها راهب يقال له بحيرا واسمه جرجيس أو سرجيس في صومعة له وكان قد انتهى اليه علم النصرانية يتوارثونها كابرا عن كابر عن أوصياء عيسى عليه السلام وقيل كان بحيرا من أحبار اليهود وكان قد سمع مناديا قبل وجوده صلى الله عليه وسلم ينادي ويقول الان خير أهل الارض ثلاثة رئاب بن البراء وبحيرا وآخر لم يأت بعد وفي رواية والثالث المنتظر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وكانت قريش كثيرا ما تمر على بحيرا فلا يكلمهم حتى كان ذلك العام صنع لهم طعاما كثيرا وقد كان رأى وهو بصومعته رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم ثم لما نزلوا في ظل شجرة نظر الغمامة قد أظلت الشجرة ومالت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان وجدهم سبقوه صلى الله عليه وسلم الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ثم أرسل اليهم اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش وأحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم يا بحيرا ان لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وكنا نمر عليك كثيرا فما شأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه في رحال القوم أي تحت الشجرة فلما نظر بحيرا في القوم ولم ير في أحد منهم الصفة التي هي علامة النبي المبعوث آخر الزمان التي يجدها عنده ولم ير الغمامة على أحد من القوم ورآها متخلفة على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر قريش لا يتخلف أحد منكم عن طعامي فقالوا يا بحيرا ما تخلف أحد عن طعامك ينبغي له أن يأتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الغلام معكم فما أقبح أن تحضروا ويتخلف رجل واحد مع اني أراه من أنفسكم فقال القوم هو والله أوسطنا نسبا وهو ابن أخي هذا الرجل يعنون أبا طالب وهو من ولد عبد المطلب وما تخلف عن طعام من بيننا ثم قام اليه عمه الحارث بن عبد المطلب فاحتضنه وجاء به وأجلسه مع القوم وقيل الذي قام اليه وجاء به أبو بكر رضي الله عنه لانه كان مع القوم لكن هذا مشكل من حيث انه أصغر من النبي صلى الله عليه وسلم فالظاهر هو الاول ولما سار به من احتضنه لم تزل الغمامة تسير على رأسه فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده كان يجدها عنده من صفته صلى الله عليه وسلم حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتني عما أسألك عنه وانما قال له بحيرا بحق اللات والعزى لانه سمع قومه يحلفون بهما وقال في الشفاء انه اختبره بذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسألني باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغض شيئا قط بغضهما فقال بحيرا فبالله الا ما أخبرتني عما أسألك عنه فقال له سلني عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فيخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفة النبي المبعوث آخر الزمن التي عنده ثم كشف عن ظهره فرأى خاتم النبوة على الصفة التي عنده فقبل موضع الخاتم فقالت قريش ان لمحمد عند هذا الراهب لقدرا فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابني قال ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخي قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت ثم قال فما فعلت أمه قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلاده واحذر عليه اليهود لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم نجده في كتبنا ورويناه عن آبائنا واعلم أني قد أديت اليك النصيحة فاسرع

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما لاحد عندنا يد الا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ألا وان صاحبكم أي محمدا صلى الله عليه وسلم خليل الله وأخرج الحافظ الدمشقي في معجمه عن سهل بن مالك عن أبيه عن جده قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس ان أبا بكر لم يسؤني قط فاعرفوا له ذلك يا أيها الناس اني راض عن عمر وعثمان وعلي وطلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام وسعد بن مالك وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الاولين فاعرفوا لهم ذلك وأخرج ابن السماك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى

به الى بلده وفي رواية لما قال له ابن أخي قال له بحيرا أشفيق عليه أنت قال نعم قال فوالله لئن قدمت به الشام اى جاوزت هذا المحل ووصلت الى داخل الشام الذى هو محل اليهود لتقتله اليهود فرجع به الى مكة و يقال انه قال له ذلك الراهب ان كان الامر كما وصفت فهو فى حصن من الله ثم تخوف عليه عمه على ما جرت به العادة من طلب التوقى فبعثه عمه مع بعض غلمانه وفي رواية فخرج به عمه أبو طالب حتى أقدمه مكة وفي رواية ان بحيرا قال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال الاشياخ من قريش ما أعلمك فقال انكم حين أشرفتم على العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجد الا لنبى وان الغمامة صارت تظله دونهم وانى لاعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه وفي رواية أن سبعة من الروم عرفوه صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله فردهم بحيرا وقال لهم أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا فبايعوا بحيرا على مسالمة النبى صلى الله عليه وسلم وعدم أخذه وأذيته وجاء فى بعض الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم رجع الى مكة ومعه أبو بكر و بلال فقيل ان هذه الزيادة خطأ وقيل انها صحيحة وان بلالا كان مع أمية بن خلف فى تلك العير وكذا كان فى العير أبو بكر رضى الله عنه مع بعض أقاربه فرجعوا مع النبى صلى الله عليه وسلم لتقاربهما له فى السن وجاء فى بعض الروايات حتى اذا نزلوا منزلا وهو سوق بصرى من أرض الشام وفى ذلك المحل سدرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظلها ومضى أبو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شئ فقال من الذى فى ظل السدرة فقال له محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقال له والله هذا نبى هذه الامة ما استظل تحتها بعد عيسى بن مريم الا محمد أى وقد قال عيسى لا يستظل تحتها بعدى الا النبى الهاشمى قال الحافظ ابن حجر يحتمل أن يكون سفر أبى بكر رضى الله عنه معه صلى الله عليه وسلم فى سفرة أخرى وهى سفرته مع ميسرة غلام خديجة وأن ذلك الراهب ليس هو بحيرا بل نسطورا فاشتبه الامر على بعض الرواة *واختلف العلماء فى بحيرا ونسطورا ونحوهما ممن صدق بنبوته صلى الله عليه وسلم هل يعدون فى الصحابة والتحقيق أن من لم يدرك الرسالة لا يعد من الصحابة و بحيرا هذا غير بحيرا الذى قدم من الحبشة مع جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فان ذلك صحابى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا فى التحذير من شرب الخمر وقد حفظ الله النبى صلى الله عليه وسلم مما كان عليه الجاهلية من أقذارهم ومعايبهم بحسب ما آل اليه شرعه لما يريد الله تعالى به من كرامته حتى صار أحسنهم خلقا وأعظمهم تنزها من الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال وأفضل قومه مروأة وأكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا وأكثرهم حلما وأحفظهم أمانة وأصدقهم حديثا فسموه الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الجيدة والفعال السديدة من الحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروأة (فمن ذلك) ماذكره فى السيرة الحلبية عن ابن اسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد رأيتنى أى رأيت نفسى فى غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان وكلنا قد تعرى وأخذ ازاره وجعله على رقبته يحمل عليها الحجارة فانى لاقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمنى لاكم أى من الملائكة ما أراها لكمة وجيعة وفى لفظ لكمنى لكمة شديدة لم تكن وجيعة ثم قال شد عليك ازارك فأخذته فشددته على ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وازارى على من بين أصحابى ووقع له مثل ذلك عند اصلاح أبى طالب بئر زمزم فعن ابن اسحق وصححه أبو نعيم قال كان أبو طالب يعالج زمزم وكان النبى صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فأخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشى عليه فلما أفاق سأله أبو طالب فقال أتانى آت عليه ثياب بيض فقال لى استتر فما رؤيت عورته من يومئذ ووقع له مثل ذلك عند بنيان قريش الكعبة *(ومن ذلك)* ما جاء عن على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما هم به أهل الجاهلية حتى أكرمنى الله بالنبوة الا مرتين من الدهر كلتاهما عصمنى الله عز و جل من فعلهما قلت لفتى كان معى من قريش بأعلى مكة فى غنم لاهله يرعاها وفى رواية قلت لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا أبصر لى غنمى حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان قال نعم وأصل السمر الحديث لبلا فخرجت فلما

الله عليه وسلم قال له يا على ان الله أمرنى أن أتخذ أبا بكر وزيرا وعمر مشيرا وعثمان سندا واياك ظهرا أنتم أربعة قد أخذ الله ميثاقكم فى أم الكتاب لا يحبكم الا مؤمن ولا يبغضكم الا فاجر أنتم خلائف نبوتى وعقدة ذمتى وحجتى على أمتى وفي رواية عن أبى هريرة رضى الله عنه لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا فى قلب مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وفي رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما محبوهم يعنى الاربعة أولياء الله ومنقصوهم أعداء الله وأخرج ابن السمان عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه خطب خطبة طويلة وقال فى آخرها واعلموا ان خير الناس بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم أنا وقد رميت بها فى رقابكم

جئت أدنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت من هذا قالوا فلان تزوج فلانة فلهوت بذلك الصوت حتى غلبتني عيناي فنمت فما أيقظني الامس الشمس فرجعت الى صاحبي فقال مافعلت فاخبرته ثم فعلت الليلة الاخرى مثل ذلك *(ومن ذلك)* ماجاء عن أم ايمن قالت كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيدا عند بوانة وهو صنم تعبده قريش وتعظمه وتنسك أي تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل في كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحضر ذلك العيد معه فيابى ذلك قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وماتريد يا محمد أن تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزعا مرعوبا فقلن مادهاك فقال اني أخشى أن يكون بي لمم أي لمة وهي المس من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير مافيك فما الذي رأيت قال اني كلما دنوت من صنم منها أي من تلك الاصنام التي عند ذلك الصنم الكبير الذي هو بوانة تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي وراءك يامحمد لاتمسه قالت فما عاد الى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم *(ومن ذلك)* مارويه عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يعيب كل ما ذبح لغير الله فكان يقول لقريش الشاة خلقها الله وأنزل لها الماء من السماء وأنبت لها من الارض الكلأ ثم تذبحونها على غير اسم الله قال فما ذقت شيأ ذبح على النصب أي الاصنام حتى أكرمني الله تعالى برسالته أي فكان ما سمعه من زيد سببا التركه ماذبح على الاصنام أي مؤكدا لما عنده فلا ينافي أن السبب الاصلي حفظ الله له مما كانت عليه الجاهلية وزيد بن عمرو وهذا كان قبل النبوة زمن الفترة على دين ابراهيم عليه السلام فانه لم يدخل في يهودية ولا نصرانية واعتزل الاوثان والذبائح التي تذبح للاوثان ونهى عن الوأد وكان يحييها أي اذا أراد أحد ذلك أخذ الموؤدة من أبيها وكفلها وكان اذا دخل الكعبة يقول لبيك حقا تعبدا ورقا عذت بما عاذ به ابراهيم ويسجد مستقبلا للكعبة قال ولده سعيد رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم يوما يارسول الله ان زيدا كان كما قد رأيت وبلغك فاستغفر له قال نعم واستغفر له وقال انه يبعث يوم القيامة أمة وحده أي يقوم مقام جماعة وزيد بن عمرو بن نفيل رابع أربعة تركوا الاوثان والميتة وما يذبح للاوثان حتى أن قريشا كانوا يوما في عيد لصنم من أصنامهم ينحرون عنده ويعكفون عليه ويطوفون به في ذلك اليوم فقال بعض هؤلاء الاربعة لبعض تعلمون والله ماقومكم على شئ لقد أخطؤا دين أبيهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام فما حجر يطوف به لايسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ثم تفرقوا في البلاد يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام وهؤلاء الاربعة هم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش ابن عمته صلى الله عليه وسلم أميمة وعثمان بن الحويرث فاما زيد بن عمرو بن نفيل فهو ابن أخي الخطاب والد سيدنا عمر رضي الله عنه ولم يدرك البعثة وكذا ورقة بن نوفل على الصحيح وأما عثمان بن الحويرث فلم يدرك البعثة أيضا وقدم على قيصر ملك الروم وتنصر عنده وأما عبيد الله بن جحش فادرك البعثة وأسلم وهاجر الى الحبشة مع من هاجر من المسلمين ثم تنصر هنالك ومات على نصرانيته وهو الذي كان متزوجا بام حبيبة بنت أبي سفيان قبل النبي صلى الله عليه وسلم وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول لقريش والذي نفس زيد بن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيري حتى أن عمه الخطاب أخرجه من مكة وأسكنه بحراء ووكل به من يمنعه من دخول مكة كراهة أن يفسد عليهم دينهم ثم خرج يطلب الحنيفية دين ابراهيم ويسال الاحبار والرهبان عن ذلك حتى وصل الموصل ثم أقبل الى الشام فجاء الى راهب به كان انتهى اليه علم النصرانية فساله عن ذلك فقال انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد أظلك زمان نبي يخرج من بلادك التي خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق به فانه مبعوث الآن هذا زمانه فخرج سريعا يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه وقتلوه ودفن بمكان يقال له ميفعة وقيل دفن باصل جبل حراء يروى أنه قال لعامر بن ربيعة أنا انتظر نبيا من ولد اسمعيل ولا أرى اني أدركه وانا أدين به واصدقه واشهد أنه نبي وان طالت بك حياة فرأيته فسلم مني

و وراءظهوركم فلاحجة لكم علي" وأخرج البخاري ومسلم والامام أحمد والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من انفق زوجين في سبيل الله نودي من أبواب الجنة ياعبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة نودي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة قال أبو بكر وهل يدعى أحد من تلك الابواب كلها قال نعم وارجو أن تكون منهم وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر ان يؤمهم غيره وأخرج عبدان المروزي وابن قانع عن مهران رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس

عليه

عليه قال عامر فلما أسلمت بلغته صلى الله عليه وسلم السلام عن زيد فرد السلام عليه وترحم عليه وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت الجنة فوجدت لزيد بن عمرو دوحتين أي شجرتين عظيمتين *(ومن ذلك)* ما روي عن علي رضي الله عنه قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم هل عبدت وثنا قط قال لا قالوا هل شربت خمرا قال لا ومازلت أعرف أن الذي هم عليه كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الايمان أي كيفية الدعوة اليهما وعنه صلى الله عليه وسلم قال لما نشأت بغضت الى الاصنام وبغض الى الشعر

(باب رعايته صلى الله عليه وسلم الغنم)

لزيادة الرحمة في قلبه *عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله نبيا الا رعى الغنم قال له أصحابه وأنت يا رسول الله قال وأنا رعيتها لاهل مكة بالقراريط أي وهي من أجزاء الدراهم والدنانير يشترى بها الحوائج الحقيرة وقيل القراريط هنا اسم موضع بمكة وفي رواية بالقراريط بأجياد فالاول لبيان الاجرة والثاني لبيان المكان ومن حكمة الله أن الرجل اذا استرعى الغنم التي هي أضعف البهائم سكن قلبه الرأفة واللطف فاذا انتقل من ذلك الى رعاية الخلق كان قد هذب أولا من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون في أعدل الاحوال ووقع الافتخار بين أصحاب الابل وأصحاب الغنم عند النبي صلى الله عليه وسلم فاستطال أصحاب الابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث موسى وهو راعي غنم وبعث داود وهو راعي غنم وبعثت أنا وأنا راعي غنم أهلي بأجياد وهو موضع بأسفل مكة من شعابها وقال صلى الله عليه وسلم الغنم بركة والابل عز لاهلها وقال في الغنم منها معاشنا وصوفها رياشنا ودفؤها كساؤنا وفي رواية سمنها معاش وصوفها رياش وفي الحديث الفخر والخيلاء في أصحاب الابل والسكينة والوقار في أهل الغنم وعن جابر رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نجني الكباث وهو النضيج من ثمر الاراك فقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالاسود من ثمر الاراك فانه أطيبه فاني كنت أجتنيه اذ كنت أرعى الغنم قلنا وكنت ترعى الغنم يا رسول الله قال نعم وما من نبي الا وقد رعاها ولا ينبغي لاحد غيره برعاية الغنم أن يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرعى الغنم فان قال ذلك أدب لان ذلك كمال في حق الانبياء عليهم الصلاة والسلام دون غيرهم فلا ينبغي الاحتجاج به ويجري ذلك في كل ما يكون كمالا في حق النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره كالامية فمن قيل له أنت أمي فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم أميا أدب *وحضر النبي صلى الله عليه وسلم حرب الفجار وكان له من العمر أربع عشرة سنة وكان يقول حضرته مع عمومتي ورميت فيه بأسهم وما أحب اني لم أكن فعلت وقيل لم يرم وانما كان يناول عمومته السهام وسببه ان بدر بن معشر الغفاري كان له مجلس يجلس فيه بسوق عكاظ ويفتخر على الناس فبسط يوما رجله وقال أنا أعز العرب فمن زعم انه أعز مني فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فأسقطها وقيل جرحه فقط فاقتتلوا أربعة أيام وكان أبو طالب يحضر ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غلام فاذا جاء هزمت هوازن واذا لم يجئ هزمت كنانة فقالوا لا أبالك لا تغب عنا ففعل ذلك ويروى انه صلى الله عليه وسلم طعن في تلك الحروب أبا براء ملاعب الاسنة وكان رئيس بني قيس وحامل رايتهم والطعن يحتمل أن يكون برمح أو بسهم وسميت حرب الفجار لان العرب فجرت فيه لانه وقع في الشهر الحرام ويسمى الفجار الاول ولهم حروب تسمى حرب الفجار غيره وكلها أربعة وفي اليوم الثالث من حرب الفجار قيد أمية وحرب ابنا أمية بن عبد شمس وأبو سفيان بن حرب أنفسهم كيلا يفروا فسموا العنابس أي الاسود وحرب والد أبي سفيان وأمية أخوه ماتا على الكفر وأبو سفيان أسلم كما سيأتي ثم تواعدوا العام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤا للوعد وكان أمر قريش وكنانة الى عبد الله بن جدعان التيمي وقيل كان الى حرب بن أمية والد أبي سفيان لانه كان رئيس قريش وكنانة يومئذ وكان عتبة بن ربيعة بن عبد شمس يتيما في حجره وهو ابن عمه فضن أي بخل به حرب وأشفق أي خاف من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعر الا وهو على بعير بين الصفين ينادي يا معشر مضر علام تفانون فقالت له هوازن ما تدعو اليه قال الصلح على ان ندفع لكم دية قتلاكم ونعفو عن دمائنا فان قريشا وكنانة كان لهم الظفر على هوازن

احفظوني في أبي بكر فانه لم يسؤني منذ صحبني وأخرج الطبراني عن معاذ رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يكره ان يخطأ أبو بكر رضي الله عنه وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحد عندي أعظم يدا من أبي بكر واساني بنفسه وماله وأنكحني ابنته وأخرج الطبراني عن معاذ رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت اني وضعت في كفة وأمتي في كفة فعدلتها ثم أبو بكر في كفة وأمتي في كفة فعدلها ثم وضع عمر في كفة وأمتي في كفة فعدلها ثم وضع عثمان في كفة وأمتي في كفة فعدلها وأخرج البخاري عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت فقال

يقتلونهم قتلا ذريعا قالوا وكيف قال ندفع لكم رهنا منا الى أن نوفى لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا قال أنا قالوا ومن أنت قال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به هوازن وكنانة وقريش ودفعوا الى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام وهو ابن أخي خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأت هوازن الرهن في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار وقيل ودت قريش قتلى هوازن ووضعت الحرب أوزارها وعتبة بن ربيعة قتل يوم بدر كافرا وهو والد هند أم معاوية زوج أبي سفيان رضي الله عنهم وكان يقال لم يسد مملق أي فقير الا عتبة بن ربيعة وأبو طالب فانهما سادا بغير مال وفي كلام بعضهم ساد عتبة بن ربيعة وأبو طالب وكانا أفلس من أبي المزلق وهو رجل من بني عبد شمس لم يكن يجد مؤنة ليلته وكذا أبوه وجده وجد جده كلهم يعرفون بالافلاس * وحضر صلى الله عليه وسلم حلف الفضول وهو أشرف حلف في العرب والحلف اليمين والعهد وكان عند منصرف قريش من حرب الفجار وأول من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع اليه بنو هاشم وزهرة وبنو أسد بن عبد العزى وذلك في دار عبد الله بن جدعان التيمي كان بنو تيم في حياته كأهل بيت واحد يقوتهم وكان يذبح في داره كل يوم جزورا وينادي مناديه من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ عنده الفالوذج ويطعمه قريشا وكان قبل ذلك يطعم التمر والسويق ويسقي اللبن فاتفق ان أمية بن أبي الصلت مر على بني عبد المدان فرأى طعامهم لباب البر والشهد فقال أمية

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت أكرمهم بني المدان
البر يلبك بالشهاد طعامهم * لا ما يعللنا به بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فأرسل الى بصرى الشام يحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل ينادي مناديه ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان ومن مدح أمية بن أبي الصلت في ابن جدعان قوله

أأذكر حاجتي أم قد كفاني * حياؤك ان شيمتك الوفاء
كريم لا يغيره صباح * عن الخلق الجميل ولا مساء
يباري الريح مكرمة وجودا * اذا ما الضب أجحره الشتاء

وكان عبد الله ذا شرف وسن وهو من جملة من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية بعد ان كان مغرما بها وسبب ذلك أنه سكر ليلة فصار يمد يده ويقبض على ضوء القمر ليمسكه فضحك منه جلساؤه ثم أخبروه بذلك حين صحا فحلف لا يشربها أبدا وممن حرمها على نفسه في الجاهلية عثمان بن مظعون الجمحي وقال لا أشرب شيئا يذهب عقلي ويضحك بي من هو أدنى مني ويحملني على أن أنكح كريمتي من لا أريد فلما أرادوا حلف الفضول صنع لهم عبد الله بن جدعان طعاما وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم حتى يؤدي اليه حقه ما بل بحر صوفة وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقري الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا لانه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين رواه مسلم أي لم يكن مسلما لان القول المذكور لا يصدر الا من مسلم وكان يكنى أبا زهير وقال صلى الله عليه وسلم في اسرى بدر لو كان أبو زهير حيا فاستوهبهم لوهبتهم له وقد ذكر ان جفنة ابن جدعان كان يأكل منها الراكب على البعير وازدحم النبي صلى الله عليه وسلم مرة هو وأبو جهل وهما غلامان على مائدة لابن جدعان فدفع النبي صلى الله عليه وسلم أبا جهل فوقع على ركبته فجرحه جرحا أثر فيها وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كنت أستظل بجفنة عبد الله بن جدعان في صكة عمي أي في الهاجرة وسميت الهاجرة بذلك لان عمي تصغير أعمى على الترخيم رجل من العماليق أوقع بالعدو القتل في مثل ذلك الوقت وكان عبد الله بن جدعان في ابتداء أمره صعلوكا وكان مع ذلك شريرا فاتكا لا يزال يجني فيعقل عنه أبوه حتى أبغضته عشيرته وطرده أبوه وحلف لا يؤويه أبدا فخرج هائما في شعاب مكة يتمنى الموت فرأى شقا في جبل فدخل فاذا ثعبان عظيم له عينان تتقدان كالسراج فلما قرب منه حمل عليه الثعبان فلما تأخر انساب أي رجع عنه فلا زال كذلك حتى غلب على ظنه ان هذا مصنوع فقرب منه ومسكه بيده فاذا هو من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره ثم دخل

أبو بكر صدقت وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركو لي صاحبي فهل أنتم تاركو لي صاحبي وفي رواية أخرجها ابن عدي عن ابن عمر رضي الله عنهما لا تؤذوني في صاحبي فان الله بعثني بالهدى ودين الحق فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت ولولا ان الله سماه صاحبا لاتخذته خليلا ولكن اخوة الاسلام وأخرج ابن عساكر عن المقدام قال اختصم مرة عقيل بن أبي طالب وأبو بكر رضي الله عنه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال ألا تدعون لي صاحبي ما شأنكم وشأنه فوالله ما منكم رجل الا على باب بيته ظلمة الا باب أبي بكر فان على بابه النور ولقد قلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت وأمسكتم الاموال وجادلني أبو بكر بماله وخذلتموني فواساني واتبعني وأخرج ابن أبي حاتم وأبو نعيم عن

المحل الذي كان هذا الثعبان على بابه فوجد فيه رجالا من الملوك موتى ووجد في ذلك المحل أموالا كثيرة من الذهب والفضة وجواهر من الياقوت واللؤلؤ والزبرجد فاخذ منه ما أخذ ثم علم ذلك الشق بعلامة وصار ينقل منه شيئا فشيئا ووجد في ذلك الكنز لوحا من رخام مكتوبا عليه أنا نفيلة بن جرهم بن قحطان بن هود نبي الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض ظاهرها وباطنها في طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجي من الموت ثم بعث عبد الله بن جدعان الى أبيه بالمال الذي دفعه في جناياته ووصل عشيرته كلهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف وفي رواية تحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها ولا يعز ظالم على مظلوم وحينئذ فالمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما أراد بعضهم ما بل بحر صوفة وما رساحرا وثبير مكانهما والمراد الابد وكان معهم في ذلك الحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول ما أحب ان لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النعم أي الابل واني أغدر به بالغين المعجمة والدال المهملة أي لا أحب الغدر به وان أعطيت حمر الابل في ذلك وفي رواية لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب ان لي حمر النعم أي بفواته ولو دعي به في الاسلام لاجبت أي لو قال قائل من المظلومين يا آل حلف الفضول لاجبت لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم ووقع في بعض الروايات أنه حضر حلف المطيبين وذلك خطأ لان حلف المطيبين كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم لانه وقع بين بني عبد مناف بن قصي وهم هاشم واخوته عبد شمس والمطلب ونوفل وبني زهرة وبني أسد بن عبد العزى وبني تيم وبني الحرث بن فهر وهم المطيبون مع بني عمهم عبد الدار بن قصي وأحلافهم بني مخزوم وبني سهم وبني جمح وبني عدي ويقال لهم الاحلاف وأجيب بأن الذين تعاقدوا في حلف الفضول جل المطيبين وهم أهل العقد الاول فاطلق عليه أنه هو والسبب في هذا الحلف أعني حلف الفضول الواقع في دار عبد الله بن جدعان والحامل عليه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصي بن وائل السهمي وكان من أهل الشرف والقدر بمكة فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي الاحلاف بني عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدي بن كعب فابوا أن يعينوا على العاصي وانتهروه أي أظهروا له الشر فرقي على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فقال باعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائي الدار والنفر * ومحرم أشعث لم يقض عمرته
يا للرجال وبين الحجر والحجر * ان الحرام لمن تمت مكارمه * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وعبد الله بن جدعان ومن معهم وقيل قام فيه العباس وأبو سفيان وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يردوا اليه حقه شريفا أو وضيعا ثم مشوا الى العاصي ابن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها اليه وذكر السهيلي أن رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له من أوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد جردوا أسيافهم يقولون جاءك الغوث فمالك فقال ان نبيها ظلمني في بنتي فانتزعها مني قسرا فساروا اليه فقالوا ارددها فقال أفعل ولكن متعوني بها الليلة فقالوا والله ولا شخب لقحة أي مقدار زمن ذلك فاخرجها اليهم وفي سيرة الحافظ الدمياطي قال كان بين الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان منازعة في مال يتعلق بالحسين فقال الحسين للوليد احلف بالله لتنصفني من حقي أو لآخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لأدعون لحلف الفضول أي الحلف كحلف الفضول وهو نصرة المظلوم على من ظلمه ووافقه على ذلك جماعة منهم عبد الله بن الزبير لانه كان اذ ذاك بالمدينة فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي والله أعلم

(باب سفره صلى الله عليه وسلم الى الشام ثانيا مع ميسرة غلام خديجة رضي الله عنها)

وذلك لما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة وسبب ذلك ان عمه أبا طالب قال له يا ابن أخي أنا رجل

سعيد بن جبير قال قرئ عند النبي صلى الله عليه وسلم يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فقال أبو بكر رضي الله عنه ان هذا لحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان الملك سيقولها لك عند الموت وأخرج ابن أبي حاتم عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله لو أمرتني ان اقتل نفسي لفعلت قال صدقت وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه غديرا فقال ليسبح كل رجل الى صاحبه فسبح كل رجل منهم الى صاحبه حتى بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر حتى اعتنقه

لا مال لى وقد اشتد علينا الزمان وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون فى مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت أكره أن تأتى الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بدا فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل الىّ فى ذلك فقال أبو طالب انى أخاف أن تولى غيرك فتطلب أمرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقد علمت قبل ذلك صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه فقالت ما علمت أنه يريد هذا وأرسلت اليه وقالت دعانى الى البعثة اليك ما بلغنى من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطى رجلا من قومك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لعمه فقال ان هذا لرزق ساقه الله اليك فخرج ومعه ميسرة غلام خديجة رضى الله عنها فى تجارة لها وقالت لميسرة لا تعص له أمرا ولا تخالف له رأيا وجعل عمومته يوصون به أهل العير ومن حين مسيره صلى الله عليه وسلم ظللته الغمامة وكانت خديجة تاجرة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فتكون عيرها كعامة قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع اليهم المال مضاربة وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن منهم تاجرا فليس عندهم بشئ فسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سوق بصرى فنزل تحت ظل شجرة قريبة من صومعة نسطورا الراهب فاطلع نسطورا الى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذى تحت هذه الشجرة فقال رجل من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة بعد عيسى عليه السلام الا نبى وفى رواية أن الراهب دنا اليه صلى الله عليه وسلم بعد ان عرف العلامات الدالة على نبوته المذكورة فى الكتب القديمة كحمرة عينيه وقبل رأسه وقدميه وقال آمنت بك وأنا أشهد انك الذى ذكر الله فى التوراة فلما رأى الخاتم قبله وفى رواية قال يا محمد قد عرفت فيك العلامات كلها الدالة على نبوتك المذكورة فى الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فأوضح لى عن كتفك فأوضح له فاذا هو بخاتم النبوة يتلألأ فأقبل عليه يقبله ويقول أشهد انك رسول الله النبى الامى الذى بشر بك عيسى فانه قال لا ينزل بعدى تحت هذه الشجرة الا النبى الامى الهاشمى العربى المكى صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد ولا بعد فى بقاء الشجرة من زمن عيسى الى زمنه صلى الله عليه وسلم لاحتمال أن بقاءها معجزة أو أنها كانت شجرة زيتون لان شجر الزيتون يعمر ثلاثة آلاف سنة ولا مانع أيضا أن الله صرف الخلق عن النزول تحتها حتى نزل صلى الله عليه وسلم أو المراد ينزل تحتها فيميل ظلها اليه فهذا لم يكن لغيره وفى رواية قال لميسرة أفى عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه أبدا قال هو هو وهو آخر الانبياء ويا ليتنى أدركه حين يؤمر بالخروج فوعى ذلك ميسرة ثم حضر صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التى خرج بها وكان بينه وبين رجل اختلاف فى سلعة فقال الرجل احلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال الرجل لميسرة وخلا به هذا نبى والذى نفسى بيده انه الذى تجده أحبارنا منعوتا فى كتبهم فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعا وكان ميسرة يرى فى الهاجرة ملكين يظلانه فى الشمس ولما رجعوا الى مكة فى ساعة الظهيرة وخديجة فى علية أى غرفة عالية لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعير وملكان يظلانه رواه أبو نعيم وزاد غيره فأرته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها صلى الله عليه وسلم فأخبرها بما ربحوا فسرت فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت فقال قد رأيت هذا منذ خرجنا وأخبرها بقول نسطورا وقول الآخر الذى حالفه فى البيع وقدم صلى الله عليه وسلم بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح وأضعفت له ما كانت سمته له وفى رواية باعوا متاعهم وربحوا ربحا ما ربحوا مثله قط حتى قال ميسرة يا محمد اتجرنا لخديجة أربعين سنة ما رأينا ربحا قط أكثر من هذا الربح على وجهك وقبل أن يصلوا الى بصرى عيى بعيران لخديجة وتخلف معهما ميسرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول الركب فخاف ميسرة على نفسه وخاف على البعيرين فانطلق يسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البعيرين ووضع يده على أخفافهما وعوذهما فانطلقا فى أول الركب ولهما رغاء وألقى الله محبة النبى صلى الله عليه وسلم فى قلب ميسرة

وقال لو كنت متخذا خليلا حتى ألقى الله لاتخذت أبا بكر خليلا ولكنه صاحبى وأخرج ابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم قال خصال الخير ثلثمائة وستون اذا أراد الله بعبد خيرا جعل الله فيه خصلة منها بها يدخل الجنة فقال أبو بكر يا رسول الله هل فىّ شئ منها قال كلها فيك فهنيئا لك يا أبا بكر وأخرج ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب أبى بكر وشكره واجب على كل أمتى وأخرج أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كلمت أحدا فى الاسلام الا أبى علىّ وراجعنى الكلام الا ابن أبى قحافة فانى لم أكلمه فى شئ الا قبله واستقام عليه وفى رواية ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كان عليه كبوة وتردد ونظر

حتى كأنه عبده ولما بلغوا مر الظهران أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالتقدم قبله ليخبرها بربح تلك التجارة ويعجل البشرى لها وفي رؤية ميسرة الملائكة الذين يظلونه عليه الصلاة والسلام دليل على جواز رؤية الملك ووقع رؤية جبريل عليه السلام لجمع من الصحابة رضي الله عنهم قال الغزالي في كتابه المسمى المنقذ من الضلالة ان الصوفية يشاهدون الملائكة في يقظتهم لحصول طهارة نفوسهم وتزكية قلوبهم وقطعهم العلائق وحسمهم مواد أسباب الدنيا من الجاه والمال واقبالهم على الله بالكلية علما دائما وعملا مستمرا انتهى ونقله الحلبي في السيرة وذكر فيها أن خديجة رضي الله عنها استأجرت النبي صلى الله عليه وسلم أيضا سفرتين الى جرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين وهو موضع باليمن وهو المراد بقول بعضهم سوق حباشة وذلك يفيد أنه صلى الله عليه وسلم سافر لها سفرات *(وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك بشهرين وعشرين يوما)* وكانت تدعى في الجاهلية والاسلام بالطاهرة لشدة عفتها وصيانتها وتسمى أيضا سيدة نساء قريش وكانت تحت النباش ويكنى بابي هالة بن زرارة التميمي ومات في الجاهلية وكانت ولدت له هند بن أبي هالة وهو من الصحابة رضي الله عنه كان يروي عنه الحسن بن علي رضي الله عنه ويقول حدثني خالي لانه أخو فاطمة رضي الله عنها لامها وقتل رضي الله عنه مع علي يوم الجمل وولدت له أيضا ذكرا آخر يسمى هالة فهند وهالة ذكران ثم بعد موت أبي هالة تزوجها عتيق بن عابد بالباء المخزومي فولدت له بنتا اسمها هند أسلمت وصحبت النبي صلى الله عليه وسلم ولم تروشيأ وقيل ان عتيقا تزوجها قبل النباش وكان لها حين تزوجها بالنبي صلى الله عليه وسلم من العمر أربعون سنة وبعض أخرى وكانت عرضت نفسها عليه فقالت يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك ووساطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك * وعن نفيسة بنت منية قالت كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال فارسلتني دسيسا الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد ان رجع في عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك أن تتزوج فقال ما بيدي ما أتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال وكيف لي بذلك فذهبت فاخبرتها فارسلت اليه ان ائت لساعة كذا وأرسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لاعمامه وسبب عرضها نفسها ما حدثها به غلامها ميسرة مع ما رأته من الآيات وقد ذكرت ما رأته من الآيات وما حدثها به ميسرة لابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تدين بشريعة عيسى عليه السلام قبل نسخها فقال لها ان كان هذا حقا يا خديجة فان محمدا نبي هذه الامة وقد عرفت أنه كائن لهذه الامة نبي منتظر وهذا زمانه وذكر ابن اسحق أنه كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودي فقال يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبي فايتكن استطاعت أن تكون فراشا له فلتفعل فحصبنه بالحجارة وقبحنه وأغلظن له وأغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك في نفسها فلما أخبرها ميسرة بما رأى من الآيات مع ما رأته هي قالت ان كان ما قال اليهودي حقا ماذاك الا هذا فلما أخبر أعمامه بذلك فرحوا وخرج معه أبو طالب وحمزة حتى دخلا على خويلد أبيها وقيل على عمها عمرو بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب فخطبها أبو طالب من خويلد أو عمرو للنبي صلى الله عليه وسلم فرضي وأصدقها عشرين بكرة وقيل اثنتي عشرة أوقية ونشا والنش نصف أوقية وقيل على أربعمائة دينار وخطب أبو طالب وحضر رؤساء مضر وحضر أبو بكر رضي الله عنه ذلك العقد فقال أبو طالب الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا فان كان في المال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من قد عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها ما آجله وعاجله كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم فلما أتم أبو

الا أبا بكر رضي الله عنه ما تردد فيه حين ذكرته له وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل فقال ان الله يأمرك ان تستشير أبا بكر وأخرج الحاكم وابن عدي والخطيب عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أبا بكر وعمر خير الاولين والآخرين وخير أهل السموات والارضين الا النبيين والمرسلين وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتدوا باللذين من بعدي أبو بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود ومن تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم

طالب الخطابة تكلم ورقة بن نوفل فقال الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي معاشر قريش باني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد ابن عبد الله على كذا ثم سكت فقال أبو طالب قد أحببت أن يشركك عمها فقال عمها اشهدوا علي يا معشر قريش اني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد وقبل النبي صلى الله عليه وسلم النكاح وشهد على ذلك صناديد قريش والمحققون على ان الذي أنكحها عمها عمرو بن أسد وان أباها خويلدا مات قبل حرب الفجار وقيل لما تزوجها صلى الله عليه وسلم ذهب ليخرج فقالت له الى أين يا محمد اذهب وانحر جزورا أو جزورين وأطعم الناس ففعل وهي أول وليمة أولمها صلى الله عليه وسلم وفي رواية فأمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن بالدفوف وقالت مر عمك يخر بكرا من بكراتك وأطعم الناس وهلم فقل مع أهلك فأطعم الناس ودخل صلى الله عليه وسلم فقال معها فأقر الله عينه وفرح أبو طالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم جاء يوما عند خديجة قبل أن تتزوج به فأخذت بيده وضمته الى صدرها ثم قالت بابي أنت وأمي ما أفعل هذا الشيء ولكن ارجو أن تكون أنت النبي الذي سيبعث فان تكن هو فاعرف حقي ومنزلتي وادع الاله الذي سيبعثك لي فقال لها والله لئن كنت أنا هو لقد اصطنعت عندي مالا أضيعه أبدا وان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا لاجله لا يضيعك أبدا وقد أشار صاحب الهمزية لبعض ما تقدم بقوله

ورأته خديجة والتقى والزهد فيه سجية والحياء * وأتاها أن الغمامة والسر * ح أظلته منهما أفياء * وأحاديث أن وعد رسول الله بالبعث حان منه الوفاء

فدعته الى الزواج وما أحـ * سن ما يبلغ المنى الاذكياء

قال بعضهم وتظليل الغمام له صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة تأسيسا لها وانقطع ذلك بعد النبوة (وحضر) صلى الله عليه وسلم بنيان قريش الكعبة وكان عمره خمسا وثلاثين سنة وذلك انه جاء سيل ودخل الكعبة وصدع جدرانها بعد توهينها من حريق أصابها بسبب أن امرأة أجمرتها فطارت شرارة في باب الكعبة فاحترقت جدرانها فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الاسود واختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة فكان صلى الله عليه وسلم أول من خرج فحكم بينهم أن يجعلوه في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل وفي رواية أنهم قالوا نحكم أول من يدخل من باب بني شيبة فكان صلى الله عليه وسلم أول من دخل منه فأخبروه فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ من قبائل قريش ان يأخذ بطائفة من الثوب فرفعوه ثم أخذه فوضعه بيده وذكر ابن اسحق ان الذي أشار عليهم أن يحكموا أول داخل أبو أمية المخزومي أخو الوليد بن المغيرة واسم أبي أمية حذيفة وكان أسن قريش وهو والد أم سلمة وعبد الله ابن أبي أمية وكان أحد رجال قريش المشهورين بالكرم وكان يعرف بزاد الراكب لانه اذا سافر لا يتزود معه أحد بل يكفي كل من سافر معه الزاد ثم انه مات على دين قومه ولم يدرك الاسلام ولما مات أبو أمية رثاه أبو طالب وغيره ورثاه أبو أحيحة بقوله

ألا هلك الماجد الرافد * وكل قريش له حاسد

ومن هو عصمة أيتامنا * وغيث اذا فقد الراعد

وذكر السهيلي أن ابليس كان معهم في صورة شيخ نجدي فصاح باعلى صوته يا معشر قريش أقد رضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوي اسنانكم فكاد يشتبر شر بينهم ثم سكتوا وحضر صلى الله عليه وسلم معهم بناءها وكان ينقل معهم الحجارة من أجياد وكانوا يضعون أزرهم على عواتقهم ويحملون الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك من الحجارة ففعل فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السماء فنودي يا محمد غط عورتك فلم ير عريانا بعد ذلك وبقي بنيان قريش هذا الى أن هدمها عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وبناها على قواعد ابراهيم ثم لما قتله الحجاج ردها على بناء قريش

قال ما من نبي الا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الارض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الارض فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأخرج الامام أحمد والترمذي وابن ماجه والطبراني عن جابر بن سمرة وابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب في أفق السماء وان أبا بكر وعمر منهما وأنعما وأخرج ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أهل عليين ليشرف أحدهم على الجنة فيضيء وجهه لاهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لاهل الدنيا وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما وأخرج الامام أحمد والترمذي وابن ماجه

وهو على الهيئة الموجودة الآن *(فائدة)* لما حوصر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه قاتل قتالا شديدا وثبت معه أناس ثم اشتد الامر عليهم فانصرفوا وأخذوا لانفسهم ذمة من الحجاج ولم يبق أحد معه الا عبد الله ابن صفوان بن أمية فقاتل معه أشد القتال فاذن له عبد الله في الانصراف وان يأخذ لنفسه عهدا وذمة من الحجاج فابى وقال انى أقاتل على دينى فلم يزل يقاتل حتى قتل وهو متمسك بالكعبة ووقع لعبد الله بن الزبير مثله رضي الله عنهما فقتل وهو متعلق بالكعبة بعد ان أصيب بنيف وتسعين ما بين ضربة سيف وطعنة رمح رضي الله عنه

(باب ما جاء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم)

عن أحبار اليهود وعن الرهبان من النصارى وعن الكهان من العرب على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش ومن بعض الاشجار ومن طرد الشياطين من استراق السمع عند مبعثه بكثرة تساقط النجوم وما وجد من ذكره وصفته في الكتب القديمة وما وجد فيه اسمه مكتوبا من النبات والاحجار وغيرهما * قال ابن اسحق كانت الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب قد تحدثوا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب زمنه أما الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى فلما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وأما الكهان من العرب فجاءتهم به الشياطين فيما تسترق من السمع اذ كانت لا تحجب عن ذلك كما حجبت عند الولادة والبعث وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره ولا تلقى العرب لذلك بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التي كانوا يذكرونها فعرفوها وفي هذا تصريح بان الملائكة كانت تذكره صلى الله عليه وسلم في السماء قبل وجوده فاما أخبار الاحبار من اليهود فمنها ما تقدم ذكره ومنها ما جاء عن سلمة بن سلامة رضي الله عنه وكان من أصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود بنى عبد الاشهل فذكر عند قوم أصحاب أوثان القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار فقالوا له ويحك يا فلان أو ترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها باعمالهم قال نعم والذى يحلف به ويود الشخص أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطبقون عليه أي وينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك وما آية ذلك قال نبي يبعث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن قالوا ومن يراه فنظر الى وأنا من أحدثهم سنا فقال ان يستكمل هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة والله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وهو أي ذلك اليهودى بين أظهرنا فآمنا به وكفر بغيا وحسدا فقلنا له ويحك يا فلان ألست الذى قلت لنا ما قلت قال بلى ولكن ليس به *(ومن ذلك)* ما جاء عن عمرو بن عبسة السلمى رضي الله عنه قال رغبت عن آلهة قومى في الجاهلية أي تركت عبادتها قال فلقيت رجلا من أهل الكتاب من أهل تيماء وهى قرية بين المدينة والشام فقلت انى امرؤ ممن يعبد الحجارة فنرى الرجل منهم ليس معه اله فيخرج فيأتى باربعة أحجار فيعين ثلاثة لقدره أي يستنجى بها ويجعل أحسنها الها يعبده ثم لعله يجد ما هو أحسن منه شكلا قبل أن يرتحل فيتركه ويأخذ غيره واذا نزل منزلا سواه ورأى ما هو أحسن منه تركه وأخذ ذلك الاحسن فرأيت أنه اله باطل لا ينفع ولا يضر فدلنى على خير من هذا فقال يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فاذا رأيت ذلك فاتبعه فانه يأتى بافضل الدين فلم يكن لى همة منذ قال لى ذلك الا مكة آتى فاسأل هل حدث حدث فيقال لا ثم قدمت مرة فسألت فقيل لى حدث رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو الى غيرها فشددت راحلتى برحلها ثم قدمت منزلى الذى كنت أنزله بمكة فسألت عنه فوجدته مستخفيا ووجدت قريشا عليه أشداء فتلطفت له حتى دخلت عليه فسألته أي شئ أنت قال نبي قلت من نبأك قال الله قلت وبم أرسلك قال بعبادته وحده لا شريك له وبحقن الدماء وكسر الاوثان وصلة الرحم وأمان السبيل فقلت نعم ما أرسلك به قد آمنت بك وصدقتك أتأمرنى أن أمكث معك وانصرف فقال ألا ترى كراهة الناس ما جئت به فلا تستطيع أن تمكث معى كن في أهلك فاذا سمعت بى قد خرجت مخرجا فاتبعنى فكنت في أهلى حتى خرج الى المدينة فسرت اليه فقلت يا نبي الله أتعرفنى قال نعم أنت السلمى الذى أتيتنى بمكة *(ومن ذلك)* ما حدث

وأبو يعلى عن على بن أبي طالب وابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدرى رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذان سيدا كهول أهل الجنة من الاولين والآخرين الا النبيين والمرسلين يعنى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وأخرج الترمذى والحاكم والطبرانى عن عبد الله ابن حنظلة وعبد الله عن عمر وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال هذان السمع والبصر وفي رواية عن ابن عباس وجابر رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر وعمر منى بمنزلة السمع والبصر من الرأس وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي خاصة من أصحابه وان

به عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا انما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله أو هداه ما نسمع من
أحبار يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم
شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا انه قد تقارب زمان نبي يبعث يقتلكم قتل عاد وارم أي
يستأصلكم بالقتل فكان كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا
الى الله عز وجل وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا ففي ذلك نزلت هذه الآية
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين *(ومن ذلك)* ما حدث به شيخ من بني قريظة أن
رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبل الاسلام بسنين فحل بين أظهرنا فوالله
ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه أي لا نظن أحدا من غير المسلمين أفضل منه لان المسلمين يصلون الخمس
فلا نافية لا زائدة فأقام عندنا فكنا اذا قحط المطر أي حبس قلنا اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله
حتى تقدموا بين يدي نجواكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر ومدين من شعير فنخرجها ثم يخرج
بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح من محله حتى يمر السحاب ونسقى قد فعل ذلك غير مرة أي لا مرة
ولا مرتين ولا ثلاثا بل أكثر من ذلك ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف أنه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه
أخرجني من أرض الخمر بالتحريك الشجر الملتف الى أرض البؤس والجوع فقلنا أنت أعلم قال انما قدمت
هذه الارض أتوكف أي أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه أي أقبل وقرب كأنه لقربه أظلهم أي ألقى عليهم
ظله وهذه البلاد مهاجره وكنت أرجو أن يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه
يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله
عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال لهم نفر من هذه الاخوة بني قريظة وهم ثعلبة بن سعيد وأسد بن سعيد ويقال
اسيد بالتصغير وأسد بن عبيد وكانوا شبابا أحداثا يا بني قريظة والله انه لهو بصفته فنزلوا وأسلموا فأحرزوا
دماءهم وأموالهم وأهليهم *(ومن ذلك)* خبر العباس رضي الله عنه قال خرجت في تجارة الى اليمن
في ركب فيه أبو سفيان بن حرب فورد كتاب حنظلة بن أبي سفيان ان محمدا قائم في أبطح يقول أنا رسول الله
أدعوكم الى الله ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن فجاءنا حبر من اليهود فقال بلغني أن فيكم عم هذا الرجل
الذي قال ما قال قال العباس فقلت نعم قال نشدتك الله هل كان لابن أخيك صبوة قلت لا والله ولا كذب ولا خان
وما كان اسمه عند قريش الا الامين قال هل كتب بيده فأردت ان أقول نعم فخشيت من أبي سفيان أن
يكذبني ويرد علي فقلت لا يكتب فوثب الحبر وترك رداءه وقال ذبحت اليهود وقتلت اليهود قال العباس
فلما رجعنا الى منزلنا قال أبو سفيان يا أبا الفضل ان يهود تفزع من ابن أخيك فقلت قد رأيت لعلك تؤمن به
قال لا أومن به حتى أرى الخيل في كداء أي بالفتح والمد قلت ما تقول قال كلمة جاءت على فمي الا اني أعلم أن الله
لا يترك خيلا تطلع على كداء قال العباس فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ونظر أبو سفيان الى
الخيل قد طلعت من كداء قلت يا أبا سفيان تذكر تلك الكلمة قال اي والله اني لاذكرها *(ومن ذلك)*
ما جاء عن أمية بن أبي الصلت الثقفي قال لابي سفيان اني لاجد في الكتب صفة نبي يبعث في بلادنا فكنت
أظن اني هو وكنت أتحدث بذلك ثم ظهر لي أنه من بني عبد مناف فنظرت فلم أجد من هو متصف بأخلاقه
الا عتبة بن ربيعة الا أنه قد جاوز الاربعين ولم يوح اليه فعرفت أنه غيره قال أبو سفيان فلما بعث محمد صلى الله
عليه وسلم قلت لامية فقال أمية أما انه حق فاتبعه فقلت له فما يمنعك قال الحياء من نساء ثقيف اني كنت
أخبرهن أني هو فكيف الآن أتبع فتى من عبد مناف *(وأما الاحبار الرهبان)* *من النصارى فمنها ما تقدم
ذكره ومنها خبر طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول
سلوا أهل فيكم أحد من أهل الحرم فقلت نعم أنا قال هل ظهر أحمد قلت ومن أحمد قال ابن عبد الله بن عبد
المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه أي يبعث فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى نخل وحرة
وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ما قال الراهب فلما قدمت مكة حدثت أبا بكر رضي الله

خاصتي من أصحابي أبو بكر
وعمر رضي الله عنهما
وأخرج ابن عساكر عن
أبي ذر رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان لكل نبي وزيرين
ووزيراي وصاحباي أبو بكر
وعمر رضي الله عنهما وأخرج
ابن عساكر عن علي بن
أبي طالب والزبير رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال خير أمتي
بعدي أبو بكر وعمر رضي
الله عنهما وأخرج الخطيب
في تاريخه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سيدا
كهول أهل الجنة أبو بكر
وعمر وان أبا بكر في الجنة
مثل الثريا في السماء
وأخرج البخاري عن أنس
رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما قدمت أبا بكر وعمر
ولكن الله قدمهما وأخرج
ابن قانع عن الحجاج التيمي
ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من رأيتموه
يذكر أبا بكر وعمر بسوء

عنه فخرج أبو بكر حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فسر بذلك وأسلم طلحة فأخذ نوفل بن العدوية أبا بكر وطلحة فشدهما فى حبل فلذلك سميا القرينين *(ومنها)* ما حدث به سعيد بن العاص بن سعيد قال لما قتل أبى العاص يوم بدر كنت فى حجر عمى أبان بن سعيد وكان يكثر السب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج تاجرا الى الشام فمكث سنة ثم قدم فأول شئ سأل عنه ان قال ما فعل محمد قال له عمى عبد الله ابن سعيد هو والله أعز ما كان وأعلاه فسكت ولم يسبه كما كان يسبه ثم صنع طعاما وأرسل الى سراة بنى أمية أى أشرافهم فقال لهم انى كنت بقرية فرأيت بها راهبا يقال له بكالم ينزل الى الارض منذ أربعين سنة أى من صومعته فنزل يوما فاجتمعوا ينظرون اليه فجئت فقلت ان لى حاجة فقال ممن الرجل فقلت انى من قريش وان رجلا هنالك يزعم أن الله أرسله قال ما اسمه فقلت محمد قال كم منذ خرج فقلت عشرين سنة فقال ألا أصفه لك قلت بلى فوصفه فما أخطأ فى صفته شيأ ثم قال لى هو والله نبى هذه الامة والله ليظهرن ثم دخل صومعته وقال اقرأ عليه السلام وكان ذلك فى زمن الحديبية لانها كانت سنة ست من الهجرة فالعشرون تقريب *(ومنها)* ما حدث به حكيم بن حزام رضى الله عنه قال دخلنا الشام لتجارة قبل أن أسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأرسل الينا ملك الروم فجئناه فقال من أى العرب أنتم من هذا الذى يزعم أنه نبى قال فقلت يجمعنى واياه الجد الخامس فقال هل أنتم صادقى فيما أسألكم عنه فقلنا نعم فقال هل أنتم ممن اتبعه أم ممن رد عليه فقلنا ممن رد عليه وعاداه فسألنا عن أشياء مما جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه ثم نهض واستنهضنا معه فأتى محلا فى قصره وأمر بفتحه وجاء الى ستر فأمر بكشفه فاذا صورة رجل قال أتعرفون من هذه صورته قلنا لا قال هذه صورة آدم ثم تتبع أبوابا يفتحها ويكشف عن صور الانبياء ويقول هذا صاحبكم فنقول لا فيقول هذه صورة فلان حتى فتح بابا وكشف عن صورة فقال أتعرفون هذا قلنا نعم هذه صورة محمد بن عبد الله صاحبنا قال أتدرون متى صورت هذه الصورة قلنا لا قال منذ ألف سنة وان صاحبكم لنبى مرسل فاتبعوه ولوددت أنى عنده فأشرب غسالة قدميه *(ووقع)* نظير ذلك لجبير بن مطعم وانه رأى صورة أبى بكر رضى الله عنه آخذة بعقب تلك الصورة وكذا صورة عمر آخذة بعقب أبى بكر فقال هل تعرفون الذى أخذ بعقبه قلنا هو أبو بكر فقال هل تعرفون الذى أخذ بعقبه قلنا هو عمر بن الخطاب قال أشهد ان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان هذا هو الخليفة من بعد هذا *(ومنها)* ما حدث به سلمان الفارسى رضى الله عنه قال كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من قرية يقال لها جى بفتح الجيم وشد الياء وفى لفظ من قرية من قرى الاهواز يقال لها رامهرمز وفى لفظ ولدت برامهرمز وبها نشأت وأما أبى فمن أصبهان وكان أبى دهقان قريته أى كبير أهل قريته وكنت أحب خلق الله الى أبى لم يزل حبه اياى حتى حبسنى فى بيت كما تحبس الجارية وأجهدت فى المجوسية حتى كنت قطن النار أى قاطنها يعنى خادمها الذى يوقدها لا يتركها تخبو أى تطفأ ساعة وكانت لابى ضيعة عظيمة فشغل عنها فى بنيان له يوما فقال لى يا بنى انى قد شغلت فى بنيان هذا اليوم فاذهب الى الضيعة وأمرنى فيها ببعض ما يريد ثم قال لى ولا تحتبس عنى فانك ان احتبست عنى كنت أهم الى من ضيعتى وشغلتنى عن كل شئ من أمرى فخرجت أريد ضيعته التى أمرنى بها و بعثنى اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى اياى فى بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ماذا يصنعون فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم وقلت والله هذا خير من الذى نحن فيه فوالله ما برحت عنهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آتها ثم قلت لهم أين أهل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال أى بنى أين كنت ألم أكن عهدت اليك ما عهدت قلت يا أبت مررت بأناس يصلون فى كنيسة لهم فأعجبنى ما رأيته من دينهم فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس قال أى بنى ليس فى ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه فقلت له كلا والله انه لخير من ديننا فخافنى أن أهرب فجعل فى رجلى قيدا ثم حبسنى فى بيته وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبرونى بهم فقدم عليهم تجار من النصارى فأخبرونى

فانما يرتد عن الاسلام وأخرج ابن عساكر عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال القائم بعدى فى الجنة والذى يقوم بعده فى الجنة والثالث والرابع فى الجنة وأخرج ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعة لا يجتمع حبهم فى قلب منافق ولا يحبهم الا مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم وأخرج الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن سعيد بن زيد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عشرة فى الجنة النبى فى الجنة وأبو بكر فى الجنة وعمر فى الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير بن العوام فى الجنة وسعد بن مالك فى الجنة وهو ابن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة وفى رواية ليس فيها

فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة فاخبروني بهم فاخبروني فالقيت الحديد من رجلي ثم قدمت معهم الى الشام فلما قدمتها قلت من أفضل هذا الدين علما قالوا الاسقف في الكنيسة والاسقف بتخفيف الفاء وتشديدها هو عالم النصارى ورئيسهم في الدين فجئته فقلت له اني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك فاخدمك في كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك قال أدخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيأ منها اكتنزها لنفسه ولم يعطها المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق فابغضته بغضا شديدا لما رأيت منه ثم مات فاجتمعت النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيأ فقالوا لي وما أعلمك بذلك فقلت أنا أدلكم على كنزه فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا وفي رواية وجدوا ثلاثة قماقم فيها نصف اردب فضة فلما رأوها قالوا والله لاندفنه أبدا فصلبوه ورموه بالحجارة ولم يصلوا عليه صلاتهم مع أن هذا الراهب كان يصوم الدهر وكان نقيا من الشهوات ومن ثم قال في الفتوحات المكية أجمع أهل كل ملة على أن الزهد في الدنيا مطلوب وقالوا ان الفراغ من الدنيا أحب لكل عاقل خوفا عليه من الدنيا التي حذرنا الله منها بقوله انما أموالكم وأولادكم فتنة قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ومن قواعد الرهبان انهم لا يدخرون قوتا لغد ولا يكنزون ذهبا ولا فضة وقال رأيت شخصا قال للراهب انظر لي هذا الدينار هو من ضرب أي الملوك فلم يرض وقال النظر الى الدينار منهي عنه عندنا قال ورأيت الرهبان مرة وهم يسحبون شخصا ويخرجونه من الكنيسة ويقولون له أتلفت علينا الرهبان فسألت عن ذلك فقالوا رأوا نصفا مربوطا على عاتقه فقلت ربط الدرهم مذموم فقالوا نعم عندنا وعند نبيكم صلى الله عليه وسلم قال سلمان وعند ذلك جاؤا برجل آخر وجعلوه مكانه فما رأيت رجلا لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه أي لا أظن أحدا من غير المسلمين أفضل منه ولا أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلا ونهارا فاحببته حبا شديدا لم أحبه شيأ قبله فاقمت معه زمانا حتى حضرته الوفاة فقلت له يا فلان اني كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيأ قبلك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصي بي قال أي بني والله ما أعلم أحدا على ما كنت عليه ولقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان فهو على ما كنت عليه فلما مات ودفن لحقت بصاحب الموصل فاخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال أقم عندي فاقمت عنده فوجدته على أمر صاحبه فاقمت عنده خير رجل فلما احتضر قلت يا فلان ان فلانا أوصى بي اليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصي بي وبم تأمرني قال يا بني والله ما أعلم رجلا على ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبري وما أمرني به صاحبي فقال أقم عندي فاقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فاقمت مع خير رجل فوالله ما لبثت أن نزل به الموت فلما احتضر قلت له يا فلان ان فلانا أوصى بي الى فلان ثم ان فلانا أوصى بي اليك فالى من توصي بي والى من تأمرني فقال يا بني والله ما أعلم بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان أحببت فأته فلما مات ودفن لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري فقال اقم عندي فاقمت عند خير رجل على هدى اصحابه وأمرهم فاكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله تعالى فلما احتضر قلت له يا فلان اني كنت مع فلان فاوصى بي الى فلان ثم أوصى بي فلان الى فلان ثم اوصى بي فلان اليك فالى من توصي بي وبم تأمرني فقال أي بني والله ما أعلم أصبح على ما كان عليه أحد من الناس آمرك أن تأتيه ولكنه قد أظل أي أقبل وقرب زمان نبي مبعوث بدين ابراهيم يخرج بارض العرب مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل له علامات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ثم مات ودفن وهذا السياق يدل على أن الذين اجتمع بهم من النصارى على دين عيسى عليه السلام أربعة وفي كلام السهيلي أنهم ثلاثون وقيل أربعة وعشرون قال سلمان ثم مر بي نفر من كلب تجار فقلت لهم احملوني الى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنمي هذه

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر تمام العشرة أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم أجمعين وأخرج الترمذي عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فلا يرفع اليه أحد منهم بصره الا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وأخرج الترمذي والحاكم والطبراني عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بايديهما قال هكذا نبعث يوم القيامة وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال

فقالوا نعم فاحملنا معهم فحملونى حتى اذا بلغوا بى وادى القرى وهو محل من أعمال المدينة المنورة ظلمونى فباعونى من رجل يهودى فكنت عنده فرأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ولم أتحقق ذلك فبينا أنا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بنى قريظة من المدينة فابتاعنى منه فحملنى الى المدينة فوالله ما هو الا أن رأيتها فعرفتها أى تحققتها بصفة صاحبى فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفى عذق أى نخل لسيدى أعمل فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يا فلان قاتل الله بنى قيلة أى وهم الاوس والخزرج لان قيلة أمهم والله انهم الآن مجتمعون بقباء على رجل قدم من مكة اليوم يزعمون أنه نبى قال سلمان فلما سمعتها أخذتنى العرواء وهى الحمى النافض حتى ظننت أنى ساقط على سيدى فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ما تقول فغضب سيدى ولكمنى لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عملك فقلت لا شئ انما أردت أن أستثبته فيما قال قال سلمان وقد كان عندى شئ جمعته وهو محتمل لان يكون تمرا ولان يكون رطبا فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له انى قد بلغنى انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شئ كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وأمسك يده فلم يأكل فقلت فى نفسى هذه واحدة أى من العلامات أعنى كونه لا يأكل الصدقة قال سلمان ثم انصرفت عنه فجمعت شيأ وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمدينة فجئته فقلت انى رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت فى نفسى هاتان ثنتان ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد وقد تبع جنازة رجل من أصحابه وهو كلثوم بن الهدم الذى نزل عليه النبى صلى الله عليه وسلم بقباء لما قدم المدينة قال سلمان وكان عليه صلى الله عليه وسلم شملتان فجلس مع أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت انظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى فألقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فانكببت عليه أقبله وأبكى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت بين يديه فقصصت عليه حديثى قال ابن عباس رضى الله عنهما فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى شواهد النبوة لما جاء سلمان الى النبى صلى الله عليه وسلم لم يفهم النبى صلى الله عليه وسلم كلامه فطلب ترجمانا فأتى بتاجر من اليهود كان يعرف الفارسية والعربية فمدح سلمان النبى صلى الله عليه وسلم وذم اليهود بالفارسية فغضب اليهودى وحرف الترجمة فقال النبى صلى الله عليه وسلم هذا الفارسى جاء ليؤذينا فنزل جبريل وترجم كلام سلمان فقال النبى صلى الله عليه وسلم لليهود ذلك أى الذى ترجمه جبريل لليهودى فقال اليهودى يا محمد ان كنت تعرف الفارسية فما حاجتك الى فقال صلى الله عليه وسلم ما كنت أعلمها قبل والآن علمنى جبريل أو كما قال فقال اليهودى يا محمد قد كنت قبل هذا أتهمك والآن تحقق عندى انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام علم سلمان العربية فقال قل له ليغمض عينيه ويفتح فاه ففعل سلمان فتفل جبريل فى فيه فشرع سلمان يتكلم بالعربى الفصيح وهذا الذى قدمه سلمان للنبى صلى الله عليه وسلم صرح فى بعض الروايات بانه سأل سيده أن يهب له شيأ فوهبه له فجاء به للنبى صلى الله عليه وسلم فلا يشكل ذلك بانه مملوك لا ملك له ثم أسلم سلمان وصحب النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال له صلى الله عليه وسلم كاتب يا سلمان صاحبك قال فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة ودية وهى الصغيرة أحييها له بالتفقير بالفاء ثم القاف أى الحفر أى أحفر لها وأغرسها بتلك الحفر وتصير حية وأتعهدها الى أن تثمر وعلى أربعين أوقية من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعينوا أخاكم فأعانونى بالنخل الرجل بستين والرجل بعشرين ودية فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفقر أى احفر لها فاذا فرغت فائتنى أكن أنا أضعها بيدى قال ففقرت لها وأعاننى أصحابى حتى اذا فرغت جئته صلى الله عليه وسلم فخرج معى اليها فجعلنا نقرب اليه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما وأخرج الطبرانى والبزار عن البراء ابن عازب رضى الله عنهما قال أقبل أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى أيدنى بكما وأخرج عبد الله ابن الامام أحمد فى زوائد المسند عن أنس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لارجو لامتى فى حبهم لابى بكر وعمر ما أرجو لهم فى قول لا اله الا الله وأخرج أبو يعلى عن عمار بن ياسر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل آنفا فقلت يا جبريل حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ مالبث نوح فى قومه مانفدت فضائل عمر وان عمر لحسنة من حسنات أبى بكر رضى

الودى فيضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فقامت منها ودية واحدة وفي رواية فغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل كله الا نخلة غرسها عمر رضي الله عنه فاطعم النخل كله الا تلك النخلة التي غرسها عمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرسها قالوا عمر فقلعها وغرسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فاطعمت من عامها وقيل الا نخلة غرسها سلمان بيده قال الحلبي يحتمل ان كلا من عمر وسلمان غرس هذه النخلة أحدهما قبل الآخر أو اشتركا في غرسها قال سلمان فاديت النخل وبقي على المال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل البيضاء أى بيضة الدجاج أو الحمام من الذهب فقال ما فعل الفارسي فدعيت له فقال خذ هذه فادها مما عليك يا سلمان قلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما على فقلبها على لسانه صلى الله عليه وسلم ثم قال خذها فان الله سيؤدى بها عنك فاخذتها فوزنت لهم منها والذى نفس سلمان بيده أربعين أوقية فاوفيتهم حقهم وبقي عندى مثل ما أعطيتهم والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

وفى قدر بيضة من نضار * دين سلمان حين حان الوفاء
كان يدعى قنا فاعتق لما * أينعت من نخيله الاقناء
أفلا تعذرون سلمان لما * أن عرته من ذكره العرواء

قال سلمان وشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ثم لم يفتني معه مشهد وقيل شهد بدرا وأحدا قبل أن يعتق أى وهو مكاتب فيكون أول مشاهده الخندق بعد عتقه وقيل شغل عما قبله بالرق ووقع في بعض الروايات في قصة سلمان زيادة ونقص والذى تقدم هو أصح الروايات قال الحلبي في السيرة ونقل بعضهم الاجماع على أن سلمان عاش مائتين وخمسين سنة وكان حبرا عالما فاضلا زاهدا متقشفا وكان يأخذ من بيت المال في كل سنة خمسة آلاف وكان يتصدق بها ولا يأكل الا من عمل يده وكان له عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها قال بعضهم دخلت عليه وهو أمير على المدائن وهو يعمل الخوص فقلت له تعمل الخوص وأنت أمير وهو يجرى عليك رزقك فقال انى أحب ان آكل من عمل يدى وربما اشترى اللحم وطبخه ودعا المجذومين فاكلوا معه *(وأما اخبار الكهان)* لا على ألسنة الجان فكثيرة منها ما تقدم في ليلة ولادته وفي أيام رضاعه ومنها أيضا خبر عمرو بن معد يكرب رضي الله عنه قال والله لقد علمت أن محمدا رسول الله قبل أن يبعث فقيل وكيف ذاك قال فزعنا الى كاهن لنا في أمر نزل بنا فقال الكاهن أقسم بالسماء ذات الابراج والارض ذات الادراج والريح ذات العجاج ان هذا الامر آج ولقاح ذات نتاج قالوا وما نتاجه قال ظهور نبي صادق بكتاب ناطق وحسام فالق قالوا ومن أين يظهر والى ماذا يدعو قال يظهر بصلاح ويدعو الى فلاح ويعطل القداح وينهى عن الراح والسفاح وعن الامور القباح قالوا ممن هو قال من ولد الشيخ الاكرم حافر زمزم وعزه سرمد وخصمه مكمد *(ومنها)* خبر قس بن ساعدة الايادى وهو أول من قال البينة على المدعى واليمين على من أنكر وأول من اتكأ على عصا أو قوس أو سيف عند الخطبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم وفد عبد القيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيكم يعرف قس بن ساعدة الايادى قالوا كلنا يا رسول الله نعرفه قال فما فعل قالوا هلك قال ما أنساه بعكاظ على جمل أحمر وهو يقول أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا مهاد موضوع وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لا تغور أقسم قس قسما حاتما لئن كان الامر رضا ليكونن سخطا ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه مالى أرى الناس يذهبون ولا يرجعون * أرضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هناك فناموا ثم قال صلى الله عليه وسلم أيكم يروى قوله فانشدوه

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر * لما رأيت مواردا
للموت ليس بها مصادر * ورأيت قومى نحوها * تسعى الاصاغر والاكابر
لا يرجع الماضى الى * ولا من الباقين غابر
أيقنت أنى لا محا * لة حيث صار القوم صائر

وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم الجارود بن عبد الله وكان سيد قومه على رسول

الله عنهما وأخرج الامام أحمد عن عبد الرحمن بن غنم رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر وعمر لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما وأخرج الطبرانى عن سهل بن سعد الساعدى رضي الله عنه قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس ان أبا بكر لم يسؤنى قط فاعرفوا له ذلك أيها الناس انى راض عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ابن عوف والمهاجرين الاولين فاعرفوا لهم ذلك وأخرج ابن سعد عن بسطام بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر رضي الله عنهما لا يتأمر عليكما أحد بعدى وأخرج ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حب أبي

الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله فآمن هو وكل سيد من قومه فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له النبي صلى الله عليه وسلم ياجارود هل في جماعة وفد عبد القيس من يعرف لنا قسا قال كلنا نعرفه يارسول الله وأنا كنت بين يدي القوم أقفو اثره كان من أسباط العرب عمر سبعمائة سنة وقيل تسعمائة وهو أول من ترك عبادة الاصنام من العرب وأول من قال أما بعد وأول من كتب من فلان الى فلان قال الجارود كأني أنظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب أجله وليوفين كل عامل عمله ثم انشأ يقول

هاج للقلب من هواه ادّكار * وليال خلالهن نهار * وجبال شوامخ راسيات
وعيون مياههن غزار * ونجوم تلوح في ظلم الليل تراها في كل يوم تدار
والذي قد ذكرت دل على الله نفوسا لها هدى واعتبار

فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك ياجارود فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل أورق وهو يتكلم بكلام له حلاوة ولا أحفظه فقال أبو بكر رضي الله عنه فاني أحفظه يارسول الله كنت حاضرا ذلك اليوم بسوق عكاظ فقال في خطبته يا أيها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت مطر ونبات وأرزاق وأقوات وآباء وأمهات وأحياء وأموات وجمع وأشتات وآيات بعد آيات ان في السماء لخبرا وفي الارض لعبرا ليل داج وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فقاموا أم تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما حاتما لا حانثا فيه ولا آثما ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذي أنتم عليه ونبيا قد حان حينه وأظلكم زمانه فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه فعصاه ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يامعشر اياد أين الآباء والاجداد وأين المريض والعواد وأين الفراعنة الشداد أين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد أين من طغى وتمرد وبغى وجمع فأوعى وقال أنا ربكم الاعلى ألم يكونوا أكثر منكم أموالا وأطول منكم آجالا وأبعد منكم آمالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود ثم أنشأ يقول الابيات المتقدمة وفي رواية زيادة ان الصعب ذا القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان كلحظة عين وفي رواية قال في خطبته سيأتيكم حق من هذا الوجه وأشار بيده الى نحو مكة قالوا له وما هذا قال رجل أبلج أحور من ولد لؤي بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش ونعيم لا ينفد فاذا دعاكم فاجيبوه ولو علمت اني أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وقد رويت هذا القصة من طرق متعددة يقوي بعضها بعضا كما قال الحافظ ابن كثير والحافظ ابن حجر ولا التفات لقول ابن الجوزي ببطلان هذا الحديث ثم ان بعض طرقه يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان حافظا لكلامه وبعضها على أنه نسي فيحتمل أنه كان ناسيا ثم لما ذكره أبو بكر رضي الله عنه أوغيره تذكره فرواه بعد ذلك واختلاف روايات الوفد تدل على تعدد مجيء وفد عبد القيس ففي كل مرة ذكر شيأ وقد جاء في الحديث رحم الله قسا انه كان على دين اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقيل انه أدرك الحواريين وكان على دين عيسى عليه السلام ومن شعره

الحمد لله الذي * لم يخلق الخلق عبث * أرسل فينا أحمدا
خير نبي قد بعث * صلى عليه الله ما * حج له ركب وحث

والجارود المتقدم ذكره كان متصلبا في الاسلام أدرك زمن الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وكفر من لم يشهد وله أشعار كثيرة منها قوله

شهدت بأن الله حق وسامحت * بنات فؤادي بالشهادة والنهض

بكر وعمر ايمان وبغضهما كفر وأخرج الملا في سيرته ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج وأخرج الحافظ النسفي عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حب أبي بكر واجب على أمتي * فهذه نبذة من الاحاديث الواردة في فضل أبي بكر وبقية العشرة رضي الله عنهم وبقيت أحاديث كثيرة تركتها خوفا من التطويل وستأتي أحاديث أخر في فضل عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فنسأل الله تعالى ان يملأ قلوبنا بحبهم وان يرزقنا اتباعهم ويحشرنا في زمرتهم آمين * (وأما حقية خلافة أبي بكر رضي

فابلغ رسول الله عنى رسالة * بانى حنيف حيث كنت من الارض

وسكن البصرة وقتل بنهاوند سنة احدى وعشرين من الهجرة (ومن ذلك) خبر نافع الجرشى نسبة الى جرش بضم الجيم وفتح الراء و بالشين المعجمة قبيلة من حمير وتسمى به بلدهم أن بطنا من اليمن كان لهم كاهن فى الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب جاؤا الى كاهنهم واجتمعوا اليه فى أسفل جبل فنزل اليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس فرفع طرفه الى السماء طويلا ثم قال أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل (وألحق) بعضهم بهذا الباب مانقل عن تبع من ذكره للنبى صلى الله عليه وسلم فى أشعاره يروى أن الانصار شكوا الى تبع مايلقون من اليهود من الاذى فاراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فجاء حتى نزل بهم فقال له رجل معمر من علماء اليهود الملك أجل من أن يطرقه فرق أو يستخفه غضب وامره أعظم من أن يضيق حلمه أو يخرم صفحه وهذه البلدة مهاجر نبى يبعث بدين ابراهيم عليه الصلاة والسلام فآمن تبع بالنبى صلى الله عليه وسلم ورجع وكسا الكعبة ومن شعر تبع قوله

شهدت على أحمد أنه * نبى من الله بارى النسم * فلو مد عمرى الى عمره
لكنت وزيرا له وابن عم * وجاهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره كل غم
له أمة سميت فى الزبور * وأمته هى خير الامم

ومن ذلك قوله أيضا

و يأتى بعدهم رجل عظيم * نبى لا يرخص فى الحرام
يسمى أحمدا ياليت أنى * أعمر بعد مبعثه بعام

وهذا الذى منع تبعا من تخريب المدينة اسمه شامول وكان عالما من علماء اليهود وقال لتبع فى رواية أيها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبى من بنى اسمعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه دار هجرته وأن منزلك الذى أنت به سيكون فيه من القتلى من أصحابه وأعدائه أمر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبى قال له قومه قال وأين قبره قال بهذه البلدة قال واذا قوتل لمن تكون النصرة قال له مرة وعليه أخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه أحد ثم ساله عن صفته فاخبره بها ولما قال له شامول ماذكر وقص القصة كان معه أحبار فقالوا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه أو أبناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا بالمدينة وأعد دارا للنبى صلى الله عليه وسلم قيل هى دار أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه التى نزل بها صلى الله عليه وسلم حين هجرته فانزل الاف داره وكتب كتابا أبقاه عندهم للنبى صلى الله عليه وسلم فصاروا يتوارثونه و يستحفظون عليه حتى بعث صلى الله عليه وسلم وهاجر فاخرجوه اليه والقصة مبسوطة فى الوفاء تاريخ المدينة للسيد السمهودى رحمه الله وسيأتى التعرض لها مع زيادة على ماهنا عند ذكر نزوله صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة فى دار أبى أيوب الانصارى رضى الله عنه (وألحق بذلك) بعضهم اخبار كعب بن لؤى جد النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان يخطب الناس يوم العروبة أعنى يوم الجمعة و يذكر فى خطبته النبى صلى الله عليه وسلم و يبشر به فمن ذلك قوله أما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا الليل داج ونهار وهاج والارض مهاد والسماء بناء والجبال أوتاد والنجوم أعلام الى أن قال حرمكم زينوه وعظموه فسيأتى له نبأ عظيم وسيخرج منه نبى كريم وأنشد

نهار وليل كل يوم بحادث * سواء علينا ليلها ونهارها * منوبان بالاحداث حين تناوبا
و بالنعم الضافى علينا سرورها * على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

(ومن ذلك) خبر سفيان بن مجاشع التميمى جد الفرزدق كان قد احتمل عن قومه ديات فخرج لحى من تميم فاذا هم مجتمعون عند كاهنة فأتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول العزيز من والاه والذليل من لاحاه والموفور من والاه والموتور من عاداه فقال سفيان من تذكرين لله أبوك فقالت صاحب هدى وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم ورأس رؤس ورابض شموس وماحن بؤس وماهد رغوس وناعس ومنعوس فقال سفيان لله أبوك من هو قالت نبى مؤيد قد أتى حين يوجد ودنا أوان يولد يبعث الى الاحمر والاسود

الله عنه) * فقد نزلت آيات قرآنية فيها الاشارة الى خلافته وجاءت أحاديث كثيرة تصرح وتشير الى ذلك * فمن الآيات قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى باس شديد تقاتلونهم أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما أخرج ابن أبى حاتم وابن قتيبة ان هذه الآية حجة على خلافة الصديق رضى الله عنه والقوم المذكورون فى الآية هم بنو حنيفة الذين ارتدوا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وتبعوا مسيلمة الكذاب وأبو بكر الصديق رضى الله عنه هو الذى دعا الناس الى قتالهم (قال) الشيخ أبو الحسن الاشعرى امام أهل السنة سمعت أبا العباس بن سريج يقول خلافة الصديق رضى الله

بكتاب لا يفند اسمه محمد قال سفيان الله أبوك أعربي أم عجمي فقالت أما والسماء ذات العنان والشجر ذات الافنان انه لمن معد بن عدنان فاسلت عن سؤال الهاشم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا رجاء أن يكون هو النبي المذكور وهو أحد من تسمى باسم النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وتقدمت قصة سيف بن ذي يزن أحد ملوك اليمن وتكلامه مع عبد المطلب و بشارته بالنبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لعبد المطلب أيضا أشهد أن في احدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية (ومن ذلك) خبر زيد بن عمرو بن نفيل أنه لقي راهبا بالجزيرة فسأله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رأيته من الاحبار والرهبان في ضلال وانك لتسأل عن دين الله وقد خرج في أرضك أو هو خارج نبي يدعو اليه فارجع اليه فصدقه فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته فقال يا عم مالي أرى قومك قد أبغضوك فقال أما والله ان ذلك لغير نائرة مني اليهم ولكني أراهم على ضلالة فخرجت أبتغي هذا الدين ثم أخبره بما عرفه به الراهب من أمره صلى الله عليه وسلم وان كان لا يعلم أنه هو النبي الموعود به (ومن ذلك) ما أخرجه ابن عساكر عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عسكلان الحميري وكان شيخا كبيرا وكنت أنزل عليه اذا جئت اليمن فسألني مرة عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم أحد خالف دينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده وأخبروه بمكاني فشد عليه عصابة واستند وقعد وقال لي انتسب يا أخا قريش فقلت أنا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة قال حسبك يا أخا زهرة ألا أبشرك ببشارة هي خير لك من التجارة قلت بلى قال أنبئك وأبشرك ان الله قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا وارتضاه صفيا وأنزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام ويأمر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثماله ولا من السرف ولا تباله هو من بني هاشم وأنتم أخواله يا عبد الرحمن أخف الوقعه وعجل الرجعه ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

أشهد بالله ذي المعالي * وفالق الليل والصباح * أنك ذو السر من قريش
يا ابن المفدى من الذباح * أرسلت تدعو الى يقين * يرشد للحق والفلاح
أشهد بالله رب موسى * انك أرسلت بالبطاح * فكن شفيعي الى مليك
* يدعو البرايا الى الفلاح *

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضي الله عنه وأخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فأته فلما أتيت بيت خديجة رضي الله عنها رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لي أرى وجها خليقا أن أرجو له خيرا فما وراءك فقلت وديعة فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها فأخبرته وأسلمت فقال أخو حمير مؤمن مصدق بي وما شاهدني أولئك من اخواني حقا (ومن ذلك) خبر مخيريق اليهودي كان عالما حبرا بالمدينة كثير المال وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته الا أنه غلبه الف دينه فلما كانت غزوة أحد وكانت يوم السبت قال يا معشر يهود انكم تعلمون أن نصر محمد حق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال انكم لا سبت لكم ثم أخذ سلاحه وخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه باحد وعهد الى قومه ان مت هذا اليوم فاموالي لمحمد يصنع بها ما أراه ثم أسلم على يد النبي صلى الله عليه وسلم وقاتل حتى قتل فجعل النبي صلى الله عليه وسلم ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود (ومن ذلك) ما رواه كعب الاحبار في صفاته صلى الله عليه وسلم فانه كان من أحبار اليهود فاسلم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ثنتين وثلاثين من الهجرة وكان يذكر أخبارا كثيرة في صفات النبي صلى الله عليه وسلم حفظها من الكتب القديمة المنزلة وسأله عمر رضي الله عنه مرة عن صفته صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد آدم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومنبت القرظ من الوادي المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فتكون

عنه في القرآن في هذه الآية قال لان أهل العلم أجمعوا على انه لم يكن بعد نزولها قتال دعوا اليه الا والداعي اليه أبو بكر رضي الله عنه وأول ما دعى اليه قتال أهل الردة ومانعي الزكاة فدل ذلك على وجوب خلافة أبي بكر وافتراض طاعته اذ أخبر الله تعالى بقوله فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان المتولي عن ذلك يعذب عذابا أليما قال ابن كثير ومن فسر القوم بانهم فارس والروم فابو بكر الصديق رضي الله عنه هو الذي جهز الجيوش اليهم وتمام أمرهم كان على يد عمر وعثمان رضي الله عنهما وهما فرعا أبي بكر رضي الله عنهما (فان قلت) يمكن ان يراد بالداعي في الآية النبي صلى الله عليه وسلم (قلت) لا يمكن ذلك مع قوله تعالى قبل ذلك قل لن تتبعونا ومن ثم لم يدعوا الى محاربة في

حروبه وآبائه بها ثم يقبض ويدفن بها (ومن ذلك) خبر ضغاطر وهو أسقف من كبار الروم أسلم على يد دحية الكلبي لما أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر ملك الروم قال دحية لما خرج عظماء الروم من عند هرقل أدخلني عليه وأرسل الى أسقف كان صاحب أمرهم فسأله عن أمر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هذا الذي كا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام أما أنا فصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكي قال دحية فقال لي الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام وأخبره انى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وانى قد آمنت به وصدقته ثم ألقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية لى هرقل قال له أما قلت لك انا نخافهم على أنفسنا فضغاطر كان أعظم عندهم مني وأخبار الاحبار والكهان وتصريحهم بصفاته صلى الله عليه وسلم وتصديقه لا يمكن حصره واستقصاؤه وما أنكر ذلك منهم من أنكره الاحسدا او بغيا والله الهادى الى سواء السبيل (وأما اخبار الكهان) على ألسنة الجان فكثيرة منها خبر سواد بن قارب رضى الله عنه وكان من دوس قوم أبي هريرة رضى الله عنه كان يتكهن فى الجاهلية وكان شاعرا ثم أسلم فعن محمد بن كعب القرظى قال بينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذات يوم جالس اذ مر به رجل فقيل له يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المار قال ومن هذا قال سواد بن قارب الذى أتاه رئيه أى تابعه من الجن الذى يتراءى له أتاه بظهور النبي صلى الله عليه وسلم وكان هذا القول لعمر رضى الله عنه بعد أن قال وهو على المنبر أى منبر النبي صلى الله عليه وسلم أيها الناس فيكم سواد بن قارب فلم يجبه أحد فلما كانت السنة المقبلة زمن مجيء الناس للزيارة من الآفاق قال أيها الناس فيكم سواد بن قارب كان بدء اسلامه شيأ عجيبا قال البراء فبينما نحن كذلك اذ طلع سواد بن قارب فقالوا لعمر رضى الله عنه هذا سواد فارسل اليه عمر رضى الله عنه فجاء فقال له أنت سواد بن قارب قال نعم قال أنت أتاك رئيك بظهور النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم قال فانت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب سواد ابن قارب وقال ما استقبلني بهذا أحد منذ أسلمت يا أمير المؤمنين فقال عمر سبحان الله ما كنا عليه من الشرك أعظم أى ما كنا عليه من عبادة الاصنام أعظم مما كنت عليه من كهانتك وفى رواية أن عمر رضى الله عنه قال اللهم غفرا قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام والاوثان حتى أكرمنا الله برسوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام وفى كلام السهيلى أن عمر رضى الله عنه مازح سوادا رضى الله عنه فقال مافعلت كهانتك يا سواد فغضب وقال له سواد قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الاصنام وأكل الميتات أفتعيرني بامر قد تبت منه فقال عمر رضى الله عنه اللهم غفرا ثم قال يا سواد حدثنا ببدء اسلامك كيف كان قال نعم يا أمير المؤمنين بينا أنا ذات ليلة بين النائم واليقظان اذ أتانى رئيي وضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب واسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى دين الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها * تهوى الى مكة تبغي الهدى
ماصادق الجن ككذابها * فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كأذنابها

فقلت دعني أنام فاني أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

عجبت للجن وتخبارها * وشدها العيس باكوارها * تهوى الى مكة تبغي الهدى
ما مؤمن الجن ككفارها * فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها وأحجارها

فقلت دعني أنام فاني أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي واعقل ان كنت تعقل انه بعث رسول من لؤى بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم أنشأ يقول

سبحانه صلى الله عليه وسلم وأما على رضى الله عنه فلم يتفق له فى خلافته قتال لطلب الاسلام أصلا بل لطلب الامامة ورعاية حقوقها فتعين ان ذلك الداعي الذى يجب باتباعه الاجر الحسن وبعصيانه العذاب الاليم أحد الخلفاء الثلاثة وحينئذ فيلزم عليه حقية خلافة أبي بكر رضى الله عنه على كل تقدير لان حقية خلافة الآخرين فرع عن حقية خلافته اذ همافرعاها الناشئان عنها والمترتبان عليها * ومن الآيات الدالة على خلافته أيضا قوله تعالى واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا الآية أخرج الواحدى وأبو الفرج عن ابن عباس رضى الله عنهما قال والله ان امارة أبي بكر وعمر لفي كتاب الله تعالى واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا قال لحفصة أبوك وأبو عائشة أولياء الناس بعدى فاياك

عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس باحلاسها * تهوى الى مكة تبغى الهدى
ما خير الجن كانجاسها * فارحل الى الصفوة من هاشم * وأوم بعينيك الى رأسها

فقمت فقلت قد امتحن الله قلبي فرحلت ناقتي حتى أتيت مكة وفي رواية المدينة قال البيهقي والرواية الاولى أصح فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله فلما رآني قال مرحبا بك يا سواد بن قارب قد علمنا ما جاء بك قلت يا رسول الله قد قلت شعرا فاسمع مقالتي فقال هات فانشأت أقول

أتاني رئيي بعد ليل وهجعة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت عن ساقي الازار ووسطت * بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فاشهد أن الله لا رب غيره * وانك مأمون على كل غائب
وانك أدنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فرنا بما يأتيك يا خير مرسل * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

ففرح النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمقالتي فرحا شديدا حتى رؤي الفرح في وجوههم وضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال أفلحت يا سواد قال البراء فرأيت عمر رضي الله عنه التزمه وقال لقد كنت أشتهي أن أسمع هذا الحديث منك فهل يأتيك رئيك اليوم فقال منذ قرأت القرآن فلا ونعم العوض كتاب الله تعالى من الجن وهذا السياق يدل على أن سيدنا عمر رضي الله عنه لم يكن حاضرا عند النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبره سواد ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وخشي سواد على قومه الردة قام فيهم خطيبا وقال يا معشر دوس من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن شقاوتهم أن لا يتعظوا الا بانفسهم وان من لا تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما أسلمتم به أمس ولا ينبغي لاهل البلاء الا أن يكونوا أذكر من أهل العافية للعافية ولست أدري لعله يكون للناس جولة فان لم تكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فاحبوها فاجابه القوم بالسمع والطاعة (ومن ذلك) أن امرأة كانت كاهنة بالمدينة يقال لها حطيمة كان لها تابع من الجن فجاءها يوما ووقف على جدار هافقالت له مالك لا تدخل تحدثنا ونحدثك فقال انه قد بعث نبي بمكة يحرم الزنا فحدثت بذلك فكان أول خبر تحدث به بالمدينة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأما ما سمع) من جوف الاصنام فكثير أيضا فمنها خبر عباس بن مرداس رضي الله عنه قال كان لابيه مرداس السلمي وثن يعبده يقال له ضمار بكسر الضاد المعجمة وبالميم المخففة بعدها ألف ثم راء مهملة فلما حضرت مرداسا الوفاة قال للعباس ولده أي بني اعبد ضمارا فانه ينفعك ولا يضرك فبينا عباس يوما عند ضمار اذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول

من للقبائل من سليم كلها * أودى ضمار وعاش أهل المسجد * ان الذي ورث النبوة والهدى
بعد ابن مريم من قريش مهتدى * أودى ضمار وكان يعبد مرة * قبل الكتاب الى النبي محمد

فحرق عباس ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ أن عباس بن مرداس كان في لقاح له نصف النهار اذ طلع عليه راكب على نعامة بيضاء وعليه ثياب بيض فقال يا عباس ألم تر الى السماء قد تعب حراسها وأن الحرب قد حرقت أنفاسها وأن الخيل وضعت أحلاسها وأن الذي نزل عليه البر والتقوى صاحب الناقة القصوا قال العباس فراعني ذلك فجئت وثنا لنا يقال له الضمار كانعبده ونكلم من جوفه فكنست حوله ثم تمسحت به فاذا صائح يصيح من جوفه

قل للقبائل من قريش كلها * هلك الضمار وفاز أهل المسجد * هلك الضمار وكان يعبد مرة
قبل الصلاة على النبي محمد * ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدى

قال عباس فخرجت مع قومي بني حارثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت المسجد فلما رآني صلى الله عليه

ان تخبري أحدا وأخرج الواحدي أيضا وأبو الفرج والملا في سيرته وذكره كثير من المفسرين في قوله تعالى واذا أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا أنه صلى الله عليه وسلم أتى جاريته مارية القبطية في بيت حفصة وقد ذهبت في بعض شأنها فجاءت والنبي صلى الله عليه وسلم معها فاخذت تبكي وتقول يا رسول الله في بيتي وفي يومي ما صنعت هذا بي من بين نسائك الا من هواني عليك فقال صلى الله عليه وسلم لا رضينك واني مسر اليك سرا فاحفظيه أشهدك ان هذه على حرام رضاك وأبشرك ان أبا بكر هو الخليفة من بعدي وان اباك هو الخليفة من بعده فانزل الله قوله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك وقوله تعالى واذا أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا الآيات * ومن الآيات

وسلم تبسم وقال يا عباس كيف اسلامك فقصصت عليه القصة فقال صدقت وأسلمت أنا وقومي * (ومن ذلك) خبر مازن بن الغضوبة قال كنت أسدن أي أخدم صنما بقرب عمان يدعى سمائل وسمال يقال له باجر وفي لفظ باحر بالحاء المهملة فعترنا عنده ذات يوم عتيرة وهي الذبيحة مطلقا وقيل في رجب خاصة فسمعنا صوتا من جوف الصنم يقول

يا مازن اسمع تسر * ظهر خير وبطن شر * بعث نبي من مضر
بدين الله الاعز الاكبر * فدع نحيتا من حجر * تسلم من حر نار سقر

قال مازن ففزعت لذلك الصنم فسمعت صوتا منه يقول

أقبل الى أقبل * تسمع ما لا تجهل * هذا نبي مرسل * جاء بحق منزل
آمن به كي تعدل * عن حر نار تشعل * وقودها بالجندل

فقلت ان هذا العجب وانه لخير يراد بي قال مازن فبينما نحن كذلك اذ قدم رجل من أهل الحجاز فقلنا له ما الخبر وراءك قال قد ظهر رجل يقال له أحمد يقول لمن أتاه أجيبوا داعي الله فقلت هذا نبأ ما سمعته فنزلت الى الصنم فكسرته جذاذا وركبت راحلتي وأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرح لي الاسلام فاسلمت وقلت

كسرت باجر أجذاذا وكان لنا * ربا نطيف به ضلا بتضلال
بالهاشمي هدانا من ضلالتنا * ولم يكن دينه شيأ على بال
يا راكبا بلغا عمرا واخوتها * انى لما قال ربي باجر قالي

قال مازن فقلت يا رسول الله اني مولع بالطرب أي مغرى به وبشرب الخمر وبالهلوك الفاجرة من النساء التي تتمايل وتتثنى عند جماعها وألحت أي دامت علينا السنون أي أعوام القحط والجدب فذهبن بالاموال وهزلن الذراري والعيال وليس لي ولد فادع الله أن يذهب عني ما أجد ويأتيني بالحيا ويهب لي ولدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن وبالحرام الحلال وبالخمر ريا لا اثم فيه وبالعهر أي الزنا العفة وأته بالحيا وهب له ولدا قال مازن فاذهب الله عني ما كنت اجده وتعلمت شطر القرآن وحججت حججا واخصب عمان يعني قريته وما حولها من قرى عمان وتزوجت اربع حرائر ووهب الله لي حيان يعني ولده وانشأت اقول

اليك رسول الله خبت مطيتي * تجوب الفيافي من عمان الى العرج
لتشفع لي يا خير من وطئ الحصى * فيغفر لي ذنبي وأرجع بالفلج
الى معشر خالفت في الله دينهم * ولا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي
وكنت امرأ بالعهر والخمر مولعا * شبابي حتى آذن الجسم بالنهج
فبدلني بالخمر خوفا وخشية * وبالعهر احصانا فحصن لي فرجي
فاصبحت همي في الجهاد ونيتي * فلله ما صومي ولله ما حجي

قال مازن فلما رجعت الى قومي أنبوني أي عنفوني وشتموني ولاموني وأمروا شاعرهم فهجاني فقلت ان هجوتهم فانما أهجو نفسي فتنحيت عنهم وبنيت مسجدا أتعبد فيه فكان لا يأتي هذا المسجد أحد مظلوم فيتعبد فيه ثلاثا ويدعو على من ظلمه الا استجيب له ولا دعا ذو عاهة من برص أو غيره الا عوفي ثم ان القوم ندموا وطلبوا مني الرجوع اليهم فاسلموا كلهم ذكره الحلبي في السيرة (وأما ما سمع) من أجواف الذبائح فمنه ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كنا يوما في حي من قريش يقال لهم آل ذريح بالحاء المهملة وقد ذبحوا عجلا لهم والجزار يعالجه فسمعنا صوتا من جوف العجل ولا نرى شيأ يقول يا آل ذريح أمر نجيح صائح يصيح بلسان فصيح يشهد أن لا اله الا الله والمراد بالذريح العجل الذي ذبح لانه ملطخ بالدم الاحمر يقال احمر ذريحي أي شديد الحمرة والذي في البخاري يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله والمراد بالجليح العجل المذبوح أيضا لانه قد جلح جلده أي كشف عنه جلده * (وأما ما سمع) * من الهواتف ولم يجئ على ألسنة الكهان ولا سمع من جوف الاصنام ولا من جوف الذبائح فكثير من ذلك ما حدث به بعضهم وذكره للنبي صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله لقد رأيت من قس عجبا خرجت أطلب بعيرا لي حتى

الدالة على خلافته أيضا قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ قال ابن كثير هذه الآية منطبقة على خلافة الصديق رضي الله عنه وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن عبد الرحمن بن عبد الحميد المهري قال ان خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما في كتاب الله تعالى في قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض الآية * ومن الآيات الدالة على خلافته أيضا قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله

اذا عسعس الليل أى أدبر وكاد الصبح أن يتنفس هتف بى هاتف يقول

يا أيها الراقد فى الليل الاحم * قد بعث الله نبيا بالحرم
من هاشم أهل الوفاء والكرم * يجلو دجنات الليالى والبهم

فادرت طرفى فما رأيت شخصا فانشأت أقول

يا أيها الهاتف فى داجى الظلم * أهلا وسهلا بك من طيف ألم
بين هداك الله فى لحن الكلام * من ذا الذى تدعو اليه يغتنم

فاذا بنحنحة وقائل يقول ظهر النور وبطل الزور وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالحبور صاحب النجيب الاحمر والتاج الاقمر والطرف لاحور صاحب قول شهادة أن لا اله الا الله فذاك محمد المبعوث الى الاسود والاحمر أهل المدر والوبر ثم أنشأ يقول

الحمد لله الذى * لم يخلق الخلق عبث * أرسل فينا أحمدا
خير نبى قد بعث * عليه صلى الله ما * حج له ركب وحث

والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

قال فلاح الصباح واذا بالفنيق أى الفحل الكريم من الابل يشقشق أى يهدر الى النوق فأمسكت خطامه وعلوت سنامه حتى لغب أى تعب فنزلت فى روضة خضراء فاذا أنا بقس بن ساعدة فى ظل شجرة وبيده قضيب من أراك ينكت به فى الارض وهو يقول

يا ناعى الموت والملحود فى جدث * عليهم من بقايا بزهم خرق * دعهم فان لهم يوما يصاح بهم
فهم اذا انتبهوا من نومهم فرقوا * حتى يعودوا الحال غير حالهم * خلقا جديدا كما من قبله خلقوا
منهم عراة ومنهم فى ثيابهم * منها الجديد ومنها المنهج الخلق

قال فدنوت منه فسلمت عليه فرد على السلام فاذا بعين خرارة ومسجد بين قبرين وأسدين عظيمين يلوذان به واذا بأحدهما قد سبق الآخر الى الماء فتبعه الآخر وطلب الماء فضربه بالقضيب الذى بيده وقال ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذى قبلك فرجع ثم ورد بعده فقلت ما هذان القبران قال هذان قبران لاخوين لى كانا يعبدان الله عز وجل فى هذا المكان لا يشركان بالله شيأ اسم احدهما سمعون والآخر سمعان فادركهما الموت فقبرتهما وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ثم نظر اليهما وأنشد أبياتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا انى أرجو أن يبعثه الله أمة وحده أى يقوم مقام جماعة ولما مات قس قبر عندهما وتلك القبور الثلاثة بقرية يقال لها أم روحين من أعمال حلب وعليها بناء والناس يزورونهم وعليهم وقف ولهم خدام *(ومن ذلك)* ما ذكره الواقدى باسناده قال كان أبو هريرة رضى الله عنه يحدث أن قوما من خثعم كانوا عند صنم لهم جلوسا وكانوا يتحاكمون الى أصنامهم فبينما هم عند صنمهم اذ سمعوا هاتفا يقول

يا أيها الناس ذوو الاحكام * ومسندو الحكم الى الاصنام * أما ترون ما أرى أمامى
من ساطع يجلو دجى الظلام * ذاك نبى سيد الانام * من هاشم فى ذروة السنام
مستعلن بالبلد الحرام * جاء يهدم الكفر بالاسلام

قال أبو هريرة فامسكوا ساعة حتى حفظوا ذلك ثم تفرقوا فلم يمض بهم ثالثهم حتى فجأهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد ظهر بمكة أى جاءهم ذلك بغتة (وأما خبر) زميل بن عمرو العذرى فهو أنه قال كان لبنى عذرة وهى قبيلة من اليمن صنم يقال له خمام وكانوا يعظمونه وكان فى بنى هند بن حرام وكان سادنه رجلا يقال له طارق وكانوا يعترون أى يذبحون الذبائح عنده فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم سمعنا صوتا يقول

يا بنى هند بن حرام * ظهر الحق وأودى خمام * أى هلك ورفع منا الشرك الاسلام

قال زميل ففزعنا لذلك وهالنا فمكثنا أياما ثم سمعنا صوتا يقول

ورسوله أولئك هم الصادقون ووجه الدلالة ان الله تعالى سماهم الصادقين ومن شهد الله له بالصدق لا يكذب فلزم ان ما أطبقوا عليه من قولهم لابى بكر رضى الله عنه يا خليفة رسول الله صادقون فيه فحينئذ كانت الآية نصا على خلافته أخرجه الخطيب البغدادى عن أبى بكر بن عياش قال ابن كثير وهو استنباط حسن * ومن الآيات الدالة على خلافته رضى الله عنه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم أخرج البيهقى عن الحسن البصرى انه قال هو والله أبو بكر لما ارتدت العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه

يا طارق يا طارق * بعث النبي الصادق * بوحي ناطق * صدع صدعه بأرض تهامه
لناصريه السلامه * ولخاذليه الندامه * هذا الوداع مني الى يوم القيامه

فوقع الصنم لوجهه فان كان ذلك الصوت من جوف الصنم ويرشد اليه قوله هذا الوداع مني الى يوم القيامة فهو من غير هذا النوع وان لم يكن فهو من هذا النوع قال زميل فاشتريت راحلة ورحلت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع نفر من قومي وأنشدته

اليك رسول الله أعملت نصها * أكلفها حزنا وقوزا من الرمل * لانصر خير الناس نصرا مؤزرا
وأعقد حبلا من حبالك في حبلي * وأشهد أن الله لا شئ غيره * أدين له ما أثقلت قدمي نعلي

(ومن هذا النوع خبر تميم الداري الآتي) ويكنى أبا رقية اسم ابنته لم يولد له غيرها وقد روى له صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة مع الدجال فقال حدثني تميم الداري الى آخر القصة المذكورة في غير هذا الكتاب وهذا أولى ما خرجه المحدثون في رواية الكبار عن الصغار ومن رواية الكبار عن الصغار أيضا ما ذكر ان أبا بكر رضي الله عنه مر يوما على ابنته عائشة رضي الله عنها فقال هل سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء كان يعلمناه وذكر ان عيسى بن مريم عليهما السلام كان يعلمه أصحابه ويقول لو كان على أحدكم جبل دين قضاه الله عنه قالت نعم يقول اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما أنت ترحمني فارحمني برحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك قال أبو بكر رضي الله عنه فكان على دين وكنت له كارها فدعوت به فلم ألبث الا يسيرا حتى قضيته *(رجعنا الى خبر تميم الداري)* قال رضي الله عنه كنت بالشام حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجت الى بعض حاجاتي فادركني الليل فقلت أنا في جوار عظيم هذا الوادي فلما أخذت مضجعي اذ منادينادي عذ بالله فان الجن لا تجير أحدا على الله قال فقلت أيما أي شئ تقول فقال قد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلينا خلفه بالحجون وأسلمنا واتبعناه وذهب كيد الجن رميت بالشهب فانطلق الى محمد وأسلم فلما أصبحت ذهبت الى دير أيوب فسألت راهبه وأخبرته فقال صدقوك تجده يخرج من الحرم أي مكة ومهاجره الحرم أي المدينة وهو خير الانبياء فلا تسبق اليه قال تميم فطلبت الشخوص حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية فسرت الى مكة فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم وكان مستخفيا فآمنت به وقيل ان ما ذكر غلط وان مسيره انما كان الى المدينة بعد الهجرة لان اسلامه كان سنة تسع من الهجرة والله أعلم *(ومن ذلك)* ما حدث به سعيد بن جبير رضي الله عنه أن رجلا من بني تميم حدث عن بدء اسلامه قال اني لاسير برمل عالج ذات ليلة اذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت وتعوذت قبل نومي فقلت أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجن فرأيت في منامي رجلا بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي فانتبهت فزعا فنظرت يمينا وشمالا فلم أر شيأ فقلت هذا حلم ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت واذا بناقتي ترعد ثم غفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب فالتفت فاذا أنا برجل شاب كالذي رأيته في منامي وبيده حربة ورجل شيخ يمسك بيده ويرده عن ناقتي وبينهما نزاع فبينما هما يتنازعان اذا طلعت ثلاثة أثوار من الوحش فقال الشيخ للفتى قم فخذ أيها شئت فداء لناقة جاري الانسي فقام الفتى فأخذ منها ثورا وانصرف ثم التفت الى الشيخ وقال يافتى اذا نزلت واديا من الاودية فخفت هوله فقل أعوذ بالله رب محمد من هول هذا الوادي ولا تعذ بأحد من الجن فقد بطل أمرها فقلت له ومامحمد قال نبي عربي لا شرقي ولا غربي قلت أين مسكنه قال يثرب ذات النخل فركبت ناقتي وحثثت السير حتى أتيت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثني قبل أن أذكر له شيأ بما وقع لي ودعاني الى الاسلام فاسلمت *(ونظير هذا)* ما حدث به بعض الصحابة رضي الله عنهم قال خرجت في طلب ابل لي فادركتها ثم أردت النوم وكنا اذا نزلنا بواد قلنا نعوذ بعزيز هذا الوادي فتوسدت ناقتي وقلت أعوذ بعزيز هذا الوادي فاذا هاتف يقول

ويحك عذ بالله ذي الجلال * ومنزل الحرام والحلال * ووحد الله ولا تبال
ما كيد ذي الجن من الاهوال * اذ تذكر الله على الاحوال * وفي سهول الارض والجبال

حتى ردهم الى الاسلام وأخرج يونس بن بكير عن قتادة قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب بجهادهم أبو بكر وأصحابه حتى ردهم للاسلام فكنا نتحدث ان هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه * ومن الآيات الدالة على خلافته أيضا قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم قال الفخر الرازي هذه الآية تدل على خلافة أبي بكر رضي الله عنه لان قوله صراط الذين أنعمت عليهم تقديره اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم والله تعالى قد بين في الآيات الاخرى ان الذين أنعم عليهم من هم بقوله تعالى أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولا شك ان رأس الصديقين ورئيسهم أبو بكر رضي الله عنه فكان

قد صار كيد الجن في سفال * الا النبي وصالح الاعمال

فقلت له يا أيها القائل ما تقول * أرشد عندك أم تضليل

فقال جاء رسول الله ذو الخيرات * جاء بيس وحاميمات * وسور بعد مفصلات

يامر بالصلاة والزكاة * ويزجر الاقوام عن مناة * قد كن في الاسلام منكرات

فقلت اما انه لو كان لي من يؤدي ابلي هذه الى أهلي لاتيته حتى أسلم فقال أنا أؤديها فركبت بعيرا منها ثم قدمت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وفي رواية فوافيت الناس في صلاة الجمعة فبينما أنا أنيخ راحلتي اذ خرج الي أبو ذر فقال لي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخلت فلما رآني قال ما فعل الرجل وفي رواية ما فعل الشيخ الذي ضمن لك أن يؤدي ابلك أما انه قد أداها سالمة وقد قص الله على نبيه ما كان عليه الناس قبل بعثته من ان الانسان اذ نزل منزلا مخوفا قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهائه بقوله تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن أي حين ينزلون في أسفارهم بمكان مخوف يقول كل رجل أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه فزادوهم رهقا أي زادوا الجن باستعاذتهم بهم طغيانا فيقولون سدنا الانس والجن *(ومن ذلك)* ما حكاه وائل بن حجر الحضرمي ويكنى أبا هنيدة كان أبوه من الملوك قال وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد بشر أصحابه بقدومي فقال يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت راغبا في الله عز وجل وفي رسوله صلى الله عليه وسلم وهو بقية أبناء الملوك قال وائل فما لقيني أحد من الصحابة الا قال بشرنا بك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومك بثلاث فلما دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحب بي وأدناني من نفسه وقرب مجلسي وبسط لي رداءه فأجلسني عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده ثم صعد المنبر وأقامني بين يديه ثم قال أيها الناس هذا وائل بن حجر أتاكم من أرض بعيدة من حضرموت راغبا في الاسلام فقلت يا رسول الله بلغني ظهورك وأنا في ملك عظيم فمن الله علي أن رفضت ذلك كله وآثرت دين الله قال صدقت اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده قال وسبب وفودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لي صنم من العقيق فبينما أنا نائم في الظهيرة اذ سمعت صوتا منكرا من المخدع الذي به الصنم فأتيت الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدري وهو ليس يدري

ماذا يرجى من نحيت صخر * ليس بذي نفع ولا ذي ضر * لو كان ذا حجر أطاع أمري

قال فقلت أسمعت أيها الهاتف الناصح فماذا تأمرني قال

ارحل الى يثرب ذات النخل * تدين دين الصائم المصلي * محمد النبي خير الرسل

ثم خر الصنم لوجهه فاندقت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتا ثم سرت مسرعا حتى أتيت المدينة فدخلت المسجد الحديث *(وأما ما سمع من بعض الوحوش)* فمنه ما حدث به أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينا راع يرعى بالجزيرة اذ عرض الذئب لشاة من شياهه فحال الراعي بين الذئب وبين الشاة فاقعى الذئب على ذنبه وقال ألا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله الي فقال الراعي واعجبا من ذئب يكلمني بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك بأعجب مني رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين وفي رواية بيثرب يحدث الناس بانباء ما قد سبق وفي رواية يخبركم بما مضى وما هو كائن بعدكم فساق الراعي شياهه فاتى المدينة فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه بما قال الذئب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الراعي ان من اشراط الساعة كلام السباع للانس والذي نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل شراك نعله أي وهو أحد سيورها الذي يكون على وجهها وعذبة سوطه أي طرفه ويخبره بما فعل أهله وفي لفظ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودي بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابي اخبرهم فاخبرهم وفي رواية أن راعي الغنم كان يهوديا وفي رواية أن الذئب قال له أنت أعجب مني واقف على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله قط أعظم قدرا منه وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم ما بينك و بينه

معنى الآية ان الله تعالى أمر ان تطلب الهداية التي كان عليها أبو بكر رضي الله عنه وسائر الصديقين ولو كان أبو بكر ظالما لما جاز الاقتداء به فثبت بما ذكرناه دلالة الآية على امامة أبي بكر رضي الله عنه *(وأما الاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم التي فيها الاشارة بل التصريح في بعضها بالخلافة فكثيرة جدا)* منها ما أخرج البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال أتت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها ان ترجع اليه فقالت أرأيت ان جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال ان لم تجديني فائت أبا بكر رضي الله عنه وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم تسأله شيأ فقال لها تعودين فقالت يا رسول الله ان عدت

الا هذا الشعب فتصبر من جنود الله تعالى فقال له الراعي من لي بغنمي فقال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فسلم اليه غنمه ومضى اليه صلى الله عليه وسلم وأسلم وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح للذئب منها شاة * (وأما ما سمع من بعض الأشجار) * فكثير فمن ذلك ما روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قيل له هل رأيت قبل الاسلام شيأ من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا قاعد في ظل شجرة في الجاهلية اذ تدلى على غصن من أغصانها حتى صار على رأسي فجعلت أنظر اليه وأقول ما هذا اذ سمعت صوتا من الشجرة يقول هذا النبي يخرج من وقت كذا وكذا فكن أنت أسعد الناس به * (وأما اخبار تساقط النجوم) * وطرد الجن بها عن استراق السمع وما جاء عن العرب فيه فكثير فمن ذلك خبر ابن اسحق قال لما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد فيها فرموا بالنجوم فعرف الجن أن ذلك لامر حدث من الله في العباد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حين بعثه يقص عليه خبرهم اذ حجبوا وأنا لمسنا السماء أي طلبنا استراق السمع منها فوجدناها ملئت حرسا شديدا أي ملائكة أقوياء يمنعون عنها وشهبا وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع أي صالحة للسمع لخلوها عن الحرس والشهب فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا أي أرصد له ليرمى به ومن يخطف الخطفة منهم بخفة حركته تبعه شهاب ثاقب يقتله أي أو يحرق وجهه أو يخبله قبل أن يلقيها للكاهن وذلك لئلا يلتبس أمر الوحي بشيء من خبر الشياطين مدة نزوله وبعد انقضائه بموته صلى الله عليه وسلم لئلا تدخل الشبهة على ضعفاء العقول فربما توهموا عود الكهانة التي سببها استراق السمع وان أمر رسالته صلى الله عليه وسلم تم فاقتضت الحكمة حراسة السماء في حياته صلى الله عليه وسلم وبعد موته ومن ثم قال لا كهانة بعد اليوم وقد حدث بعضهم ان أول العرب فزعا من الرمي بالنجوم حين رمى بها ثقيف وانهم جاؤا الى رجل يقال له عمرو بن أمية وكان أدهى العرب وأنكرها رأيا أي أدهاها رأيا وكان ضريرا وكان يخبرهم بالحوادث فقالوا يا عمرو ألم تر أي تعلم ما حدث في السماء من الرمي بهذه النجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم هي التي يرمى بها فهو والله طي هذه الدنيا وهلاك هذا الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهو لامر أراده الله لهذا الخلق ونبي يبعث في العرب فقد تحدث بذلك وقوله معالم النجوم أي النجوم المشهورة التي يهتدى بها في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الشتاء والصيف * لا يقال قد رجمت الشياطين بالنجوم قبل ذلك عند مولده صلى الله عليه وسلم لانا نقول رجمت عند مبعثه بأكثر مما كان قبل ذلك وصارت تصيب ولا تخطئ ومن ثم حدث بعضهم قال لما بعث صلى الله عليه وسلم أي قرب زمن بعثه رجمت الشياطين بنجوم لم تكن ترجم بها قبل فاتوا عبد ياليل بن عمرو الثقفي وكان أعمى فقالوا ان الناس قد فزعوا وقد أعتقوا رقيقهم وسيبوا أنعامهم فقال لهم لا تعجلوا وانظروا فان كانت النجوم التي تعرف وهي التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء فهو فناء الناس وان كانت لا تعرف فهي من حدث فنظروا فاذا النجوم لا تعرف فقالوا هذا من حدث فلم يلبثوا حتى سمعوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وفي لفظ فما مكثوا لا يسيرا حتى قدم الطائف أبو سفيان بن حرب فقال ظهر محمد بن عبد الله يدعي أنه نبي مرسل وقوله فيما تقدم انظروا فان كانت النجوم التي تعرف الخ يؤيده هذا ما جاء في الحديث مما رواه مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال النجوم أمنة السماء فاذا ذهبت النجوم أتى أهل السماء ما يوعدون وأنا أمنة لاصحابي فاذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لامتي فاذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون ولا منافاة في سؤال ثقيف فلا مانع من تكرر سؤالهم مرة لعمرو بن أمية ومرة لعبد ياليل وان كلا منهما كان أعمى ويحتمل اتحاد الواقعة ووقع الاختلاف في اسم الذي سألوه فسماه بعضهم عمرو بن أمية وسماه بعضهم عبد ياليل بن عمرو وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما كان اليوم أي الوقت الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء بالشهب * (ومن ذلك) * خبر أبي لهب أو لهيب بن مالك وكان من بني لهب قال حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبي أنت وأمي نحن أول من عرف

فلم أجدك تعرض بالموت فقال ان جئت فلم تجدني فأت أبا بكر فانه الخليفة من بعدي وأخرج الامام أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأخرجه الطبراني من حديث أبي الدرداء والحاكم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه وأخرج الحاكم وصححه عن أنس رضي الله عنه قال بعثني بنو المصطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى من ندفع صدقاتنا بعدك فأتيته فسألته فقال الى ابي بكر رضي الله عنه ومن لازم دفع الصدقة كونه خليفة اذ هو المتولي قبض الصدقات ومن أعظم أدلة استخلافه رضي الله عنه قصة أمره بالصلاة بالناس وقد علم من

حراسة السماء ومنع الجن من استراق السمع وذلك انا اجتمعنا الى كاهن يقال له خطر بالخاء المعجمة والطاء المهملة ابن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من اعلم كهاننا فقلنا له ياخطر هل عندك علم بهذه النجوم التي يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخفنا سوء عاقبتها فقال ائتوني بسحر أي قبيل الفجر أخبركم الخبر لخير أم ضرر أولأمن أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وقت السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه شاخص الى السماء بعينيه فناديناه ياخطر ياخطر فأومأ الينا أن أمسكوا فانقض نجم عظيم من السماء فصرخ خطر رافعا صوته بقوله أصابه أصابه وخامره عقابه عاجله عذابه أحرقه شهابه زايله جوابه ياويله ماحاله بلبله بلباله عاوده خباله تقطعت حباله وغيرت أحواله ثم أمسك طويلا ثم قال يامعشر بني قحطان أخبركم بالحق والبيان أقسم بالكعبة والاركان والبلد المؤتمن السدان قد منع السمع عتاة الجان بثاقب من ذي سلطان لاجل مبعوث عظيم الشان يبعث بالتنزيل والفرقان وبالهدى وفاضل القرآن تبطل به عبادة الاوثان فقلنا له ويلك ياخطر انك لتذكر أمرا عظيما فماترى لقومك قال أرى لقومي ماأرى لنفسي ان يتبعوا خير الانس برهانه مثل شعاع الشمس يبعث بمكة دار الحمس بحكم التنزيل غير اللبس فقلنا له ياخطر ومن هو قال والحياة والعيش انه لمن قريش مافي حكمه طيش ولا في خلقه هيش فقلنا بين لنا من أي قريش فقال والبيت ذي الدعائم والركن ذي الاحائم انه لمن نسل هاشم من معشر أكارم يبعث بالملاحم وقتل كل ظالم ثم قال هذا هو البيان أخبرني به رئيس الجان ثم قال الله أكبر جاء الحق فظهر وانقطع عن الجن الخبر ثم سكت وأغمي عليه فما أفاق الا بعد ثلاثة أيام فقال لا اله الا الله فلما سمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبحان الله لقد نطق عن مثل نبوة أي وحي وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده أي يقوم مقام جماعة كما تقدم نظيره وقوله الحمس بضم الحاء المهملة واسكان الميم وبالسين هم قريش من الحماسة وهي الشدة سموا بذلك لتشددهم في دينهم ولذلك تركوا الغزو لمافيه من استحلال الاموال والفروج ومالوا للتجارة * (ومن ذلك) * مارواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن نفر من الانصار قال بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رمي بنجم فظهر نوره فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به في الجاهلية أي قبل المبعث قالوا يارسول الله كنا نقول حين نراه يرمى به مات ملك وولد مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله سبحانه كان اذا قضى في خلقه أمرا سمعته حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم لتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك فلا يزال التسبيح يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض لم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا الامر الذي يكون في الارض فيهبط به من سماء الى سماء أي يقول أهل كل سماء لمن يليهم حتى ينتهي الى السماء الدنيا فتسترقه الشياطين بالسمع على توهم واختلاس ثم يأتون به الى الكهان فيخطئون بعضا ويصيبون بعضا * وفي البخاري اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلي الكبير فتسمعها مسترقوا السمع فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها الى صاحبه فيحرقه الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم يرمى بها في الجاهلية صريح في انه كان يرمى بالنجوم للحراسة في زمن الفترة بينه صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام قبل مولده صلى الله عليه وسلم وربما يعارضه ماروى عن أبي بن كعب رضي الله عنه لم يرم بالنجوم بعد رفع عيسى عليه السلام حتى تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمي بها فلما رأت قريش أمرا لم تكن تراه فزعوا لعبد ياليل الحديث وكذا حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم منعت الشياطين من خبر السماء ورموا بالشهب فذكرت الشياطين ذلك لابليس فقال لعله بعث نبي عليكم بالارض المقدسة أي لانها محل الانبياء فذهبوا ثم رجعوا فقالوا ليس بها أحد فخرج ابليس لطلبه بمكة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء منحدرا ومعه جبريل وفي رواية أن ابليس قال لما أخبروه بأنهم منعوا من خبر السماء

أحواله صلى الله عليه وسلم في بعث السرايا مع أصحابه ان الامير هو الذي يصلي بالناس وقصة أمر أبي بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس متواترة لا يمكن جحدها ولا انكارها ولا التشكك فيها رواها البخاري ومسلم وبقية أصحاب السنن عن كثير من الصحابة منهم علي بن أبي طالب وابن عباس وعائشة وحفصة وابن مسعود وابن عمر وأبو موسى الاشعري وعبد الله بن زمعة وأبو سعيد الخدري (وحاصل تلك القصة) ان النبي صلى الله عليه وسلم لما مرض مرض الوفاة قال مروا أبا بكر فليصل بالناس قالت عائشة رضي الله عنها يارسول الله انه رجل رقيق اذا قام مقامك لم يستطع ان يصلي بالناس فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فعادت فقال مري أبا بكر فليصل بالناس فانكن صواحب يوسف فأتاه الرسول فصلى

قال ان هذا الحدث حدث في الارض فاتوني من تربة كل أرض فاتوه بذلك فجعل يشمها فلما شم تربة مكة قال من ههنا الحدث فنضوا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وأجيب بان الرمي قبل الولادة والمبعث كان قليلا جدا وعند الولادة كثرا رهاصا ونحو ذلك وعند المبعث ازدادت كثرته وكان من كل جانب فلما كان مخالفا للرمي به قبل فزعوا من ذلك فهذا هو الذي أراده أبي بن كعب رضي الله عنه وابن عمر رضي الله عنهما فانه لم يكن معهودا من قبل وهو الذي أراده سبحانه وتعالى بقوله فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وصار الرمي بعد المبعث لا يخطئ أبدا فنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله أي يصيره غولا يضل الناس في البراري فكان ذلك سببا لفزع العرب لانه قبل ذلك لم يكن من كل جانب ولم يكثر وكان يخطئ فيعود الشيطان الى محله ومكانه فيسترق السمع ويأتي بما يسترقه الى كاهنه فلم تنقطع الكهانة قبل مبعثه بالمرة بل كانت موجودة الى زمن مبعثه وعنده بعثه انقطعت بالمرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لا كهانة اليوم وكانت قبل المبعث يرمى بها من جانب واحد وبعد المبعث من كل جانب والى هذا الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا فهذا سبب الفزع حتى انقطعت الكهانة ولما انقطعت الكهانة بعدم اخبار الجن قالت العرب هلك من في السماء فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر يذبح كل يوم بقرة وصاحب الغنم كل يوم شاة حتى أسرعوا في اتلاف أموالهم فقالت ثقيف بعد سؤال كاهنهم كما تقدم أيها الناس أمسكوا عن أموالكم فانه لم يمت من في السماء ألستم ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر كذلك والمحققون على أن الذي يرمى به شعلة نار تنقض من الكوكب والكوكب كما هو وقد أشار صاحب الهمزية الى هذه الآيات بقوله

بعث الله عند مبعثه الشهب حراسا وضاق عنها الفضاء * تطرد الجن عن مقاعد للسمع كما تطرد الذئاب الرعاء * فمحت آية الكهانة آيا * ت من الوحي ما لهن امحاء

(فائدة) وقع في سنة تسع وتسعين من القرن السادس أن النجوم تساقطت وماجت وتطايرت تطاير الجراد ودام ذلك الى الفجر وفزع الخلق فلجؤا الى الله بالدعاء ولم يعهد ذلك الا عند ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلبي في السيرة أقول وقد وقع نظير ذلك في سنة احدى وأربعين من القرن الثالث ماجت النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل فكان أمرا عجيبا لم ير مثله ووقع في سنة ثلثمائة تناثر النجوم تناثرا عجيبا الى ناحية المشرق والله أعلم *(وأما ما جاء من ذكره)* صلى الله عليه وسلم أي ذكر اسمه وصفته وصفة أمته في الكتب القديمة كالتوراة المنزلة على موسى والانجيل المنزل على عيسى عليهما الصلاة والسلام وغيرهما قال تعالى وانه لفي زبر الاولين وقال الامام السبكي في تائيته

وفي كل كتب الله نعتك قد أتى * يقص علينا ملة بعد ملة

وقال آخر

من قبل مبعثه جاءت مبشرة * به زبور وتوراة وانجيل

فمن ذلك أنه قد جاء أن اسمه في التوراة أحيد يحمده أهل السماء والارض وقد قيل في سبب نزول قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه أحمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وأبى مهاجر فانزل الله تعالى الآية واسمه في التوراة أيضا حياطا أي يحمي الحرم من الحرام وقد وميا أي الاول السابق وأحيد وقيل أريد أي يمنع نار جهنم عن أمته وطاب طاب أي طيب وفيها أيضا محمد حبيب الرحمن ووصفه فيها بالضحوك أي طيب النفس وفيها أيضا محمد بن عبد الله مولده بمكة ومهاجره الى طابة وملكه بالشام والتوراة كلها عبرية مأخوذة من التورية وهي كتمان السر بالتعريض لان أكثرها تعاريض من غير تصريح واسمه في الانجيل المنحمنا ومعناه بالسريانية محمد وعن سهل مولى خيثمة قال كنت يتيما في حجر عمي فأخذت الانجيل فقرأته حتى مرت بي ورقة ملصقة بغراء ففتقتها فوجدت فيها وصف محمد صلى الله عليه وسلم فجاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال

بالناس في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية انهما لما راجعته قلن مري أبا بكر فليصل بالناس فلم يرجع اليهما قالت لحفصة قولي له يأمر عمر فقالت له فأبى حتى غضب فقال أنتن أو انكن صواحب يوسف مروا أبا بكر وفي بعض طرق الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت لقد راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وما حملني على كثرة مراجعته الا أنه لم يقع في قلبي ان يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ولا كنت أرى انه لم يقم أحد مقامه الا تشاءم الناس به فأردت ان يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر رضي الله عنه وفي حديث ابن زمعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يصلي أبو بكر كان غائبا فتقدم عمر واراد أن يصلي بالناس فعلم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا لا يأبى الله والمسلمون الا أبا

مالك وفتح هذه الورقة وقرأتها فقلت فيها وصف النبي أحمد فقال انه لم يأت بعد الى الآن وفي الانجيل أيضا اسمه فارقليط أي يفرق بين الحق والباطل ووصفه بانه صاحب المدرعة ويركب الحمار والبعير وفي الانجيل ان أحببتموني فاحفظوا وصيتي وأنا اطلب ربي فيعطيكم بارقليط والبارقليط لا يجيئكم مالم أذهب فاذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ولكنه ما يسمع يكلمهم به ويأتيهم بالحق ويخبرهم بالحوادث والغيوب أي وما جاء بذلك وأخبر بالحوادث والغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم *(ومن ذلك)* ما جاء عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك بالمتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله يفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا قال عطاء ثم لقيت كعب الاحبار فسألته فما أخطأ في حرف وفي رواية عن كعب وأعطى المفاتيح ليبصر به أعينا عورا ويسمعن به آذانا صما ويقيم به سنة معوجة يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل عليه الا حلما *(وعن بعض أحبار اليهود)* أنه قال وقفت على جميع ما وصف به في التوراة الا هذين الوصفين وكنت أشتهي الوقوف عليهما فجاءه صلى الله عليه وسلم شخص يطلب منه ما يستعين به فذكر له أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن عنده ما يعينه به فقلت هذه دنانير تدفعها له وتكون على كذا من التمر ليوم كذا ففعل فجئت قبل الاجل بيومين أو ثلاث فاخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ وقلت ألا تقضيني يا محمد حقي انكم يا بني عبد المطلب أهل مطل فقال لي عمر أي عدو الله تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وهو ينظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سكون وتؤدة وتبسم وقال أنا وهو أحوج الى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن الطلب اذهب فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما روعته فاسلم اليهودي وذكر القصة *(وفي التوراة)* لا يزال الملك في يهودا الى أن يجيء الذي اياه تنتظره الامم أي لا يزال أمرهم ظاهرا الى أن يجيء الذي تنتظره الامم أي المرسل اليهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي التوراة أيضا سوف أقيم نبيا مثلك من اخوتهم وأجعل كلامي في فيه وأيما انسان لم يطع كلامه أنتقم منه وفي قوله من اخوتهم رد على النصارى الزاعمين أن الرسول المذكور في التوراة هو المسيح عليه السلام ووجه الرد أن المسيح ليس من اخوتهم بل منهم لانه من نسل داود ومثل هذا يرد على بعض اليهود الزاعمين أن النبي المذكور في التوراة هو يوشع بن نون عليه السلام وقد قيل في تفسير قوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل انهم يجدون نعته يأمرهم بالمعروف وهو مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات وهي الشحوم التي حرمت على بني اسرائيل والبحيرة والسائبة والوصيلة والحامي التي حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبائث التي كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول وأن يقطعوا ما أصابه البول (ومن ذلك) ما جاء عن النعمان السبائي رضي الله عنه وكان من أحبار يهود اليمن قال لما سمعت بذكر النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه وسألته عن أشياء ثم قلت له ان أبي كان يختم على سفر ويقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبي قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال النعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه أنت خير الانبياء وأمتك خير الامم واسمك أحمد صلى الله عليه وسلم وأمتك الحامدون يحمدون الله في السراء والضراء قربانهم دماؤهم أي يتقربون الى الله سبحانه وتعالى باراقة دمائهم في الجهاد وأناجيلهم في صدورهم أي يحفظون كتابهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله اليهم كتحنن الطير على فراخه ثم قال لي يعني أباه اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدقه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ

بكر وفي رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال رضي الله عنه أخرج وقل لابي بكر يصلي بالناس فخرج فلم يجد على الباب الا عمر رضي الله عنه في جماعة ليس فيهم أبو بكر رضي الله عنه فقال يا عمر صل بالناس فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يأبى الله والمسلمون لا أبا بكر يأبى الله والمسلمون الا أبا بكر وفي رواية فاطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه مغضبا فقال أين ابن أبي قحافة قال العلماء هذا الحديث أوضح دلالة على ان الصديق رضي الله عنه أفضل الصحابة على الاطلاق وأعلمهم وأحقهم بالخلافة وأولاهم بالامامة (قال) الامام أبو الحسن الاشعري امام أهل السنة قد علم بالضرورة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الصديق رضي الله عنه ان يصلي بالناس مع حضور

النعمان الحديث من أوله فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال أشهد انى رسول الله ثم ان النعمان قتله الاسود العنسى الذى ادعى النبوة وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم أحرقه بالنار فلم يحترق كما وقع للخليل وقيل الذى أحرقه الاسود العنسى بالنار ولم يحترق ذؤيب بن كليب أو ابن وهب ولما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك أخبر أصحابه فقال عمر رضى الله عنه الحمد لله الذى جعل من أمتنا مثل ابراهيم الخليل وفى التوراة فى صفة أمته صلى الله عليه وسلم دويهم فى مساجدهم كدوى النحل وفى رواية أصواتهم بالليل فى جو السماء كأصوات النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار واذا هم أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة فان عملها كتبت له عشرا واذا هم بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت عليه سيئة واحدة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول أى بجنس الكتب السابقة والكتاب الآخر وهو القرآن وروى الامام أحمد وغيره باسناد صحيح ان الله تعالى قال لعيسى عليه السلام ياعيسى انى باعث بعدك أمة ان أصابهم مايحبون حمدوا وشكروا وان أصابهم مايكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال كيف يكون لهم هذا ولا حلم ولا علم قال أعطيهم من حلمى وعلمى وحينئذ يكون المراد ولا حلم ولا علم لهم كامل وان الله تعالى يكمل علمهم وحلمهم من علمه وحلمه ويدل لذلك ماذكره بعضهم أن هذه الامة آخر الامم فكان الحلم والعلم الذى قسم بين الامم كما شهد به حديث ان الله قسم بينكم أخلاقكم قل ودق جدا نصيب هذه الامة منه فلم تدرك الا اليسير من ذلك مع قصر أعمارهم فاعطاهم الله من حلمه وعلمه وجاء أنهم يسمون فى التوراة صفوة الرحمن وفى الانجيل حلماء علماء أبرارا أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء وروى الدارقطنى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار كيف تجدنى يعنى فى التوراة قال خليفة قرن من حديد أمير شديد لا تخاف فى الله لومة لائم ثم الخليفة من بعدك تقتله أمة ظالمون له ثم يقع البلاء بعد (وفى صحف شعيا) اسمه صلى الله عليه وسلم ركن المتواضعين وفيها انى باعث نبيا أميا أفتح به آذانا صما وقلوبا غلفا وأعينا عميا مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام رحيما بالمؤمنين يبكى للبهيمة المثقلة ويبكى لليتيم فى حجر الارملة لو مر الى جانب السراج لم يطفئه من سكينته ولو يمشى على القضب الرعراع يعنى اليابس لم يسمع من تحت قدميه وشعيا عليه السلام كان بعد داود وسليمان عليهما السلام وقبل زكريا ويحيى عليهما السلام ولما نهى بنى اسرائيل عن ظلمهم وعتيهم طلبوه ليقتلوه فهرب منهم فمر بشجرة فانفلقت له ودخل فيها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة ثوبه فابرزها فلما رأوا ذلك جاؤا بالمنشار فوضعوه على الشجرة فنشروها ونشروه معها وكان من جملة الرسل الذين عناهم الله بقوله وقفينا من بعده بالرسل وهم سبعة وهو ثالث تلك الرسل السبعة وهو المبشر بعيسى وبمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يخاطب بيت المقدس لما شكى له الخراب والقاء الجيف فيه ابشرى يأتيك راكب الحمار يعنى عيسى وبعده راكب الجمل يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولعل ذلك باعتبار الاغلب فى حقه صلى الله عليه وسلم من ركوبه الجمل فلا ينافى ذلك وصفه أيضا بانه يركب الحمار والجمل واسمه صلى الله عليه وسلم فى الزبور حاط حاط والفلاح الذى يمحق الله به الباطل والفارق أى يفرق بين الحق والباطل وهو معنى فارقليط أو بارقليط وقيل معناه الذى يعلم الاشياء الخفية وذكر صاحب الدر المنظم باسناده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضى الله عنه ياعمر أتدرى من أنا أنا الذى بعثنى الله فى التوراة لموسى وفى الانجيل لعيسى وفى الزبور لداود ولا فخر أى لا أقول ذلك على سبيل الافتخار بل على سبيل التحدث بالنعمة ياعمر أتدرى من أنا اسمى فى التوراة أحيد وفى الانجيل البارقليط وفى الزبور حماط وفى صحف ابراهيم طاب طاب ولا فخر وجاء فى الزبور انى أنا الله لا اله الا أنا ومحمد رسولى ووصف بانه يقوى الضعيف الذى لا ناصر له ويرحم المسكين ويبارك عليه فى كل وقت ويدوم ذكره الى الابد ووصف بالجبار فى الزبور تقلد أيها الجبار سيفك فان قيل قال الله تعالى وما أنت عليهم بجبار أجيب بان الاول هو الذى يجبر الخلق الى الحق والثانى هو المتكبر وفى الزبور أيضا ياداود سيأتى من بعدك نبى اسمه أحمد ومحمد لا أغضب عليه أبدا ولا يعصينى أبدا وقد غفرت له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة يأتون يوم القيامة

المهاجرين والانصار مع قوله صلى الله عليه وسلم يؤم القوم اقرؤهم لكتاب الله تعالى أى أعلمهم بالقرآن فدل على انه كان اقرأهم وأعلمهم بالقرآن وقد استدل الصحابة أنفسهم بهذا على انه أحق بالخلافة منهم عمر وعلى رضى الله عنهما فقد أخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه قال لقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر ان يصلى بالناس وانى لشاهد وما أنا بغائب ومابى مرض فرضينا لدنيانا مارضيه النبى صلى الله عليه وسلم لديننا وأخرج الدارقطنى وغيره من طرق كثيرة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه لما قيل له هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لو عهد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدا لجاهدت عليه ولولم أجد الا ردائى ولم أترك ابن

ونورهم مثل نور الانبياء وقوله وقد غفرت له الخ أي على فرض وقوع ذنب منه أو المراد بالذنب خلاف الاولى من باب حسنات الابرار سيآت المقربين أي ما يعد حسنة بالنسبة لمقام الابرار قد يعد سيئة بالنسبة لمقام المقربين لعلو مقامهم وارتفاع شأنهم وفي بعض ما جاء عن داود عليه السلام ان الله أظهر من صهيون اكليلا محمودا وصهيون اسم مكة والا كليل الامام الرئيس وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي صحف شيث أخنوخ ومعناه صحيح الاسلام وفي بعض الكتب المنزلة انى باعث رسولا من الاميين أشدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم وأجعل الحكمة منطقه والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والحق شريعته والعدل سيرته والاسلام ملته أرفع به من الوضيعة وأهدي به من الضلالة وأؤلف به بين قلوب متفرقة وأهواء مختلفة وأجعل أمته خير الامم وأما ما جاء مما يدل على وجود اسمه الشريف أعني لفظ محمد مكتوبا على الاحجار والنبات والحيوان وغير ذلك بقلم القدرة فكثير ومن ذلك ما جاء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان بن داود عليهما السلام لا اله الا الله محمد رسول الله وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان فص خاتم سليمان ابن داود عليهما السلام كان سماويا أي من السماء ألقي اليه فوضعه في خاتمه وكان به انتظام ملكه وكان نقشه أنا الله لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي فعلى هذا يكون ما تقدم عن جابر رضي الله عنه مرويا بالمعنى وكان سليمان عليه السلام ينزعه اذا دخل الخلاء واذا جامع وكان عند نزعه يتنكر عليه أمر الناس ولم يجد من نفسه ما كان يجده قبل نزعه ووجد على بعض الحجارة القديمة مكتوبا محمد تقي مصلح وسيد أمين وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لكعب الاحبار أخبرنا عن فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مولده قال نعم يا أمير المؤمنين قرأت ان ابراهيم الخليل عليه السلام وجد حجرا مكتوبا عليه أربعة أسطر الاول أنا الله لا اله الا أنا فاعبدوني والثاني أنا الله لا اله الا أنا محمد رسول الله طوبى لمن آمن به واتبعه والثالث أنا الله لا اله الا أنا الحرم لي والكعبة بيتي من دخل بيتي أمن من عذابي قال الحلبي ولينظر الرابع ثم نقل عن بعضهم أن في سنة أربعة وخمسين وأربعمائة عصفت ريح شديدة بخراسان كريح عاد انقلبت منها الجبال وفرت منها الوحوش فظن الناس أن القيامة قد قامت وابتهلوا الى الله تعالى فنظروا واذا نور عظيم قد نزل من السماء على جبل من تلك الجبال ثم تأملوا الوحوش فاذا هي منصرفة الى ذلك الجبل الذي سقط فيه ذلك النور فساروا معها اليه فوجدوا فيه صخرة طولها ذراع في عرض ثلاثة أصابع وفيها ثلاثة أسطر سطر فيه لا اله الا الله فاعبدون وسطر فيه محمد رسول الله القرشي وسطر ثالث فيه انذروا وقعة المغرب انها تكون من سبعة أو تسعة والقيامة قد أزفت أي قربت وجاء أن آدم عليه السلام قال طفت السموات فلم أر في السموات موضعا الا رأيت اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا عليه ولم أر في الجنة قصرا ولا غرفة الا واسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب عليه ولقد رأيت اسمه صلى الله عليه وسلم على نحور الحور العين وورق آجام الجنة وشجرة طوبى وسدرة المنتهى والحجب وبين أعين الملائكة *قيل ان أول شئ كتبه القلم في اللوح المحفوظ بسم الله الرحمن الرحيم انى أنا الله لا اله الا أنا محمد رسولي من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر على نعمائي ورضي بحكمي كتبته صديقا وبعثته يوم القيامة من الصديقين وفي رواية مكتوب في صدر اللوح المحفوظ لا اله الا الله دينه الاسلام محمد عبده ورسوله فمن آمن بهذا أدخله الله الجنة وفي رواية لما أمر الله القلم أن يكتب ما كان وما يكون كتب على سرادق العرش لا اله الا الله محمد رسول الله قال الجلال السيوطي في الخصائص الكبرى ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم كتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وفيها أيضا قال الله تعالى ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن ومكتوب اسمه صلى الله عليه وسلم على سائر الملكوت أي من السماء والجنان وما فيها وسائر ما في الملكوت وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل أنه قال يا محمد وعزتي وجلالي لولاك ما خلقت أرضا ولا سماء ولا رفعت هذه الخضراء ولا بسطت هذه الغبراء وفي رواية عنه ولا خلقت سماء ولا أرضا ولا طولا ولا عرضا ولله در القائل

أبي قحافة تصعد درجة واحدة من منبره صلى الله عليه وسلم ولكنه صلى الله عليه وسلم رأى موضعي وموضعه فقال له قم فصل بالناس وتركني فرضيناه لدنيانا كما رضيه صلى الله عليه وسلم لديننا وأخرج الدارقطني وابن عساكر والذهبي وغيرهم ان عليا رضي الله عنه لما قام بالبصرة قام اليه رجلان فقالا له أخبرنا عن مسيرك هذا الذي سرت فيه لتتولى على هذا الامر أو على الامة تضرب بعضهم ببعض أعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده اليك فحدثنا فانت الموثوق به والمأمون على ما سمعت فقال أما أن يكون عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم عهده الي في ذلك فلا والله لئن كنت أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه ولو كان عندي من عهد في ذلك ما تركت

(ومن ذلك) ما حدث به بعضهم قال غزونا الهند فوقفت في غيضة فاذا فيها شجرة عليه ورق أحمر مكتوب عليه بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله وعن بعضهم قال رأيت في جزيرة شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض في الخضرة كتابة بينة واضحة بديعها الله بقدرته ثلاثة أسطر الاول لا اله الا الله والثاني محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام وعن بعضهم أيضا قال دخلت بلاد الهند فرأيت في بعض قراها شجر ورد أسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط أبيض لا اله الا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الفاروق فشككت في ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة أخرى لم تفتح بعد فرأيت فيها كما رأيت في سائر الورد وفي البلد شئ كثير وأهل تلك البلد يعبدون الحجارة ونقل ابن مرزوق في شرح البردة عن بعضهم قال عصفت بنا ريح ونحن في لجج بحر الهند فأرسينا في جزيرة فرأينا وردا أحمر زكي الرائحة مكتوبا عليه بالاصفر براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا اله الا الله محمد رسول الله (ومن ذلك) ما حكاه بعضهم قال رأيت في بلاد الهند شجرة تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشران فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية مكتوب عليها بالحمرة لا اله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية وهم يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا منعوا الغيث وحكى الحافظ السلفي عن بعضهم أن شجرة ببلاد الهند لها أوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخط أشد خضرة من لون الورقة لا اله الا الله محمد رسول الله وكان أهل تلك البلد أهل أوثان وكانوا يقطعونها ويعفون آثارها فترجع الى ما كانت عليه في أقرب زمن فاذابوا الرصاص وجعلوه في أصلها فخرج من حول الرصاص أربع فروع كل فرع مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فصاروا يتبركون بها ويستشفون بها من المرض اذا اشتد ويخلقونها بالزعفران وأحسن الطيب (ومن ذلك) أنه وجد في سنة سبع أو تسع وثمانمائة حبة عنب مكتوب عليها بخط بارع بلون أسود محمد ومنه ما ذكره بعضهم أنه اصطاد سمكة مكتوبا على جنبها الايمن لا اله الا الله وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله قال فلما رأيتها ألقيتها في النهر احتراما لها وعن بعضهم قال ركبت بحر المغرب ومعنا غلام معه صنارة فادلاها في البحر فاصطاد سمكة قدر شبر بيضاء فاذا مكتوب بالاسود على احدى أذنيها لا اله الا الله وعلى الاخرى محمد رسول الله فقذفناها في البحر وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بطائر في فمه لؤلؤة خضراء فالقاها فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فوجد فيها دودة خضراء مكتوبا عليها بالاصفر لا اله الا الله محمد رسول الله ذكره الحلبي في السيرة ومنه أيضا ما حكاه بعضهم انه كان بطبرستان قوم يقولون لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا يقرون لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة وحصل منهم افتتان ففي يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشأ حتى أخذت ما بين الخافقين وأحالت بين السماء والبلد فلما كان وقت الزوال ظهر بخط واضح لا اله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر فتاب كل من كان افتتن وأسلم أكثر من كان في البلد من اليهود والنصارى (ومن ذلك) ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بلغني في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوح من ذهب وقيل لوح من رخام مكتوب فيه عجبا لمن أيقن بالموت أي بأنه يموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالحساب أي بأنه يحاسب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بالقضاء والقدر كيف يحزن عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وروى البيهقي وغيره عن علي رضي الله عنه أن الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب أي يتعب عجبت لمن ذكر النار ثم يضحك عجبت لمن ذكر الحساب كيف يغفل لا اله الا الله محمد رسول الله وفي لفظ لا اله الا أنا محمد عبدي ورسولي * قال الحلبي أقول قد يقال يجوز أن يكون ما ذكر أولا في أحد وجهي ذلك اللوح وما ذكرناه في الوجه الثاني وان بعض الرواة زاد وبعضهم نقص وبعضهم روى بالمعنى وحفظ ذلك الكنز لاجل صلاح أبيهما وكان تاسع أب لهما وقد قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعته التي هو فيها والدور حوله فلا يزالون في حفظ الله وستره ويذكر أن هرون الرشيد همّ بقتل

أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يثبان على منبره واقاتلتهما بيدي ولولم أجد الا بردتي هذه ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل قتلا ولم يمت فجاءة مكث في مرضه أياما وليالي يأتيه المؤذن أو قال بلال يؤذنه بالصلاة فيأمر أبا بكر فيصلي بالناس وهو يرى مكاني ولقد أرادت امرأة من نسائه تصرفه عن أبي بكر رضي الله عنه فأبى وغضب وقال انتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمورنا فاخترنا لدنيانا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وكانت الصلاة أعظم الاسلام وقوام الدين فبايعنا أبا بكر رضي الله عنه وكان لذلك أهلا لم يختلف عليه منا اثنان فأديت الى أبي بكر حقه وعرفت طاعته وغزوت معه في جنوده وكنت آخذ اذا أعطاني وأغزو اذا أغزاني

بعض العلوية فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بماذا دعوت حتى نجاك الله منه فقال قلت يامن حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظني منه لصلاح آبائي رضي الله عنهم (ومن ذلك) ماجاء عن جابر رضي الله عنه قال مكتوب بين كتفي آدم عليه السلام محمد رسول الله خاتم النبيين وقد ذكر بعضهم انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا على أحد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله ومنه ماحكاه بعضهم قال ولد عندي في عام أربعة وسبعين وتسعمائة جدي أسود غرته بيضاء على شكل الدائرة ومكتوب فيها محمد بخط في غاية الحسن والبيان وماحكاه بعضهم أيضا قال شاهدت في بلدة من بلاد افريقية بالمغرب رجلا مكتوبا في بياض عينه اليمنى الاسفل بعرق أحمر كتابة مليحة محمد رسول الله وذكر الشيخ الشعراني نفعنا الله ببركاته في كتاب لواقح الانوار القدسية في قواعد السادة الصوفية قال وفي يوم كتابتي لهذا الموضع رأيت علما من أعلام النبوة وذلك أن شخصا أتاني برأس خروف شواه اوأكلها وأراني مكتوبا فيها بخط الهي على الجبين لا اله الا الله محمد رسوله أرسله بالهدى ودين الحق يهدي به من يشاء من يشاء قال الشيخ عبد الوهاب وتكرر ذلك لحكمة فان الله لا يسهو وقد يقال لعل الحكمة التأكيد لمقام الهداية كيف وهو الجانب للضلالة والغواية وعن الزهري قال شخصت الى هشام بن عبد الملك فلما كنت بالبلقاء رأيت مكتوبا على حجر بالعبراني فارشدت الى شيخ يقرؤه فلما قرأه ضحك وقال أمر عجيب مكتوب عليه باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربي مبين لا اله الا الله محمد رسول الله وكتبه موسى بن عمران

(باب سلام الشجر والحجر عليه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة)

عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث واني لاعرفه الآن قيل انه الحجر الاسود وقيل انه الذي في زقاق بمكة يعرف بزقاق الحجر *روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى يفضي الى الشعاب و بطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر الا قال الصلاة والسلام عليك يارسول الله وكان يلتفت عن يمينه وشماله فلا يرى أحدا ولله در القائل

لم يبق من حجر صاب ولا شجر * الا وسلم بل هناه ماوهبا

وقال في الهمزية

والجمادات أفصحت بالذي أخرس عنه لاحمد الفصحاء

وعن علي رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله جبل ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله والى ذلك أشار السبكي في تائيته بقول

وماجزت بالاحجار الا وسلمت * عليك بنطق شاهد قبل بعثة

وفي كلام السبكي يحتمل أن يكون نطق الشجر والحجر كلاما مقرونا بحياة وعلم و يحتمل أن يكون صوتا مجردا غير مقرون بحياة وعلى كل هو علم من أعلام النبوة وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجمادات انها لاتعقل فوقفوا عند بصرهم والامر عندنا ليس كذلك بل سر من الحياة سار في جميع العالم وقد ورد أن كل شئ سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له ولا يشهد الا من علم وأطال في بيان ذلك وقال وقد أخذ الله بابصار الانس والجن عن ادراك حياة الجماد الا من شاء الله كنحن وأضرابنا فانا لانحتاج الى دليل في ذلك لكون الحق تعالى كشف لنا عن حياتها عيانا وأسمعنا تسبيحها ونطقها وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي انما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل ولولا ما عنده من العظمة ما اندك كذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(باب بيان خبر المبعث وعموم بعثته صلى الله عليه وسلم)

قال ابن اسحق لما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله رحمة للعالمين وكافة للناس أجمعين وكان الله قد أخذ له الميثاق على كل نبي بعثه الله قبله بالايمان به والتصديق له والنصر على من خالفه وان يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم فهم وامهم من جملة أمته صلى الله عليه وسلم وأول مابدئ به صلى الله عليه

وأضرب بين يديه في الحدود بسوطي فلما قبض ولاها عمر فاخذتها بسنة صاحبه ومايعرف من أمره فبايعنا عمر لم يختلف عليه منا اثنان فاديت له حقه وعرفت له طاعته وكنت آخذ اذا أعطاني واغزو اذا أغزاني وأضرب بين يديه في الحدود بسوطي فلما قبض تذكرت في نفسي قرابتي وفضلي وأنا أظن أن لا يعدل بي ولكن خشي أن لا يعمل الخليفة بعده شيأ الا لحقه في قبره فاخرج منها نفسه وولده ولو كانت محاباة لآثر ولده بها ولم يرض منها الرهط أنا أحدهم وظننت ان لا يعدل بي فاخذ عبد الرحمن بن عوف مواثيقنا على ان نسمع ونطيع لمن ولاه الله أمرنا ثم بايع عثمان فنظرت فاذا طاعتي قد سبقت بيعتي واذا ميثاقي قد أخذ لغيري فبايعنا عثمان فاديت له حقه وعرفت له طاعته وكنت آخذ اذا أعطاني واغزو اذا

وسلم من النبوة حين أراد الله تعالى اكرامه ورحمة العباد به الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح أي كضيائه وانارته فلا يشك فيها أحد كما لا يشك أحد في وضوح ضياء الصبح ونوره وفي لفظ فكان لا يرى شيأ في المنام الا كان أي وجده في اليقظة كما رأى فالمراد بالصالحة الصادقة وانما بدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك الذي هو جبريل بالنبوة أي الرسالة فلا تحملها القوى البشرية لان القوى البشرية لا تحمل رؤيا الملك وان لم يكن على صورته التي خلقه الله عليها ولا على سماع صوته ولا على ما يجيء به لا سيما الرسالة فكانت الرؤيا تأنيسا له والمراد بالملك جبريل عليه السلام ومن لطف الله بنا عدم رؤيتنا الملائكة على الصورة التي خلقوا عليها لانهم خلقوا على أحسن صورة فلو كنا نراهم لطارت أعيننا وأرواحنا لحسن صورتهم وعن علقمة بن قيس قال أول ما يؤتى به الانبياء في المنام أي ما يكون في المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحي في اليقظة لان رؤيا الانبياء وحي وصدق وحق لا أضغاث أحلام ولا تخييل من الشيطان اذ لا سبيل له عليهم لان قلوبهم نورانية فما يرونه في المنام له حكم اليقظة فجميع ما ينطبع في عالم مثالهم لا يكون الا حقا ومن ثم جاء نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر ثم أوحي اليه في اليقظة وفي البخاري الرؤيا الحسنة أي الصادقة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة قال بعضهم معناه أن النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث أقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشر سنين يوحى اليه فمدة الوحي اليه في اليقظة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحي اليه في المنام التي هي الرؤيا ستة أشهر فمدة الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ وحينئذ يكون المعنى ورؤياي جزء من ستة وأربعين جزأ من نبوتي ولكن المراد مطلق الرؤيا ومطلق النبوة لا خصوص رؤياه ونبوته صلى الله عليه وسلم وغاية ما هي أصل جعل غيرها مقيسا عليها وشبيها بها والحديث فيه روايات كثيرة أصحها رواية ستة وأربعين جزأ وحملوا الروايات الأخر على اعتبار الاشخاص لتفاوتهم في مراتب الرؤيا ففي بعضها جزء من خمسين وفي بعضها تسعة وأربعين أو ستة وسبعين وغير ذلك (وجاء عن عمرو) بن شرحبيل رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة اذا خلوت سمعت نداء يا محمد يا محمد وفي رواية أرى نورا أي يقظة لا مناما وأسمع صوتا وقد خشيت أن يكون والله لهذا أمر وفي رواية والله ما أبغضت بغض هذه الاصنام شيأ قط ولا الكهان واني لأخشى أن أكون كاهنا أي فيكون الذي يناديني تابعا من الجن لأن الاصنام كانت الجن تدخل فيها وتخاطب سدنتها والكاهن يأتيه الجني بخبر السماء وفي رواية وأخشى أن يكون بي جنون أي لمة من الجن فقالت كلا يا ابن عم ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث وفي رواية ان خلقك الكريم فلا يكون للشيطان عليك سبيل استدلت رضي الله عنها بما فيه من الصفات العلية والاخلاق السنية على أنه لا يفعل به الا خيرا لان من كان كذلك لا يجزى الا خيرا ونقل الماوردي عن الشعبي أن الله تعالى قرن اسرافيل بنبيه صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه فعلمه الشيء بعد الشيء ولا يذكر له القرآن فكان في هذه المدة بشرى بالنبوة وأمهل هذه المدة ليتأهل لوحيه وفي رواية انه مكث خمس عشرة سنة يسمع الصوت أحيانا فلا يرى شخصه وسبع سنين يرى نورا ولم ير شيأ غير ذلك وأن المدة التي بشر فيها بالنبوة كانت ستة أشهر من تلك المدة التي هي اثنتان وعشرون سنة (وبعد ذلك) حبب الله اليه صلى الله عليه وسلم الخلوة قال الابوصيري رحمه الله في الهمزية

أألف النسك والعبادة والخلوة طفلا وهكذا النجباء

واذا حلت الهداية قلبا * نشطت في العبادة الاعضاء

وقوله طفلا أي حين كان عند حليمة رضي الله عنها فقد قالت لما ترعرع صلى الله عليه وسلم كان يخرج الى الصبيان وهم يلعبون فيجتنبهم ولما قرب الزمن الذي أراد الله أن يرسله فيه ازداد محبة في الخلوة لان الخلوة يكون بها افراغ القلب والانقطاع عن الخلق فهي تفرغ القلب عن أشغال الدنيا لدوام ذكر الله تعالى فيصفو وتشرق عليه أنوار المعرفة فلم يكن شيء أحب اليه من أن يخلو وحده وكان يخلو بغار حراء بالمد والقصر

أغزاني واضرب بين يديه في الحدود بسوطي فلما أصيب عثمان نظرت فاذا الخليفتان اللذان أخذاها بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهما بالصلاة قد مضيا وهذا الذي أخذ له ميثاقي قد أصيب فبايعني أهل الحرمين وأهل هذين المصرين يعني الكوفة والبصرة فوثب فيها من ليس مثلي ولا قرابته كقرابتي ولا علمه كعلمي ولا سابقته كسابقتي وكنت أحق بها منه يعني معاوية رضي الله عنه وأخرج ابن سعد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قد قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا فقدمنا أبا بكر رضي الله عنه وأخرج في الطيوريات بسند صحيح عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رجل

فكان صلى الله عليه وسلم يتحنث فيه أي يتعبد الليالي ذوات العدد أي مع أيامها وغلب الليالي لأنها أنسب بالخلوة وأبهم العدد لاختلافه بالنسبة للمدد فتارة كان ثلاث ليال وتارة سبع ليال وتارة تسع ليال وتارة شهر رمضان أو غيره فالليالي ذوات العدد محمولة على القدر الذي يتزوّده فاذا فرغ زاده رجع الى مكة وتزوّد الى غيرها وكانت خديجة رضي الله عنها تزوّده الكعك والزيت لانه من شجرة مباركة ولبقاء الكعك بخلاف غيره لان اللبن واللحم سريع الفساد وكان أول من تحنث بحراء من قريش جده عبد المطلب كان اذا دخل شهر رمضان صعد حراء وأطعم المساكين ثم تبعه على ذلك من كان يتعبد كورقة بن نوفل وأبي أمية بن المغيرة قال السراج البلقيني في شرح البخاري لم يجئ في الاحاديث التي وقفنا عليها كيفية تعبده صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم كان يطعم من جاءه من المساكين لانه كان من نسك قريش في ذلك المحل أن يطعم الرجل من جاءه من المساكين مع الانقطاع عن الناس وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم التفكر مع الانقطاع عن الناس لاسيما ان كانوا على باطل لان في الخلوة يخشع القلب وينسى المألوف من مخالطة أبناء الجنس المؤثرة في البنية البشرية ومن ثم قيل الخلوة صفوة الصفوة والتفكر لا يختص بذلك المحل الا انه أتم فيه من التفكر في غيره لعدم وجود شاغل وقيل كان تعبده صلى الله عليه وسلم بالذكر وصححه بعضهم وقيل كان يتعبد قبل النبوة بشرع ابراهيم عليه السلام وقيل بشرع موسى عليه السلام وفي كلام الشيخ محيي الدين بن العربي رضي الله عنه تعبد صلى الله عليه وسلم قبل نبوّته بشريعة ابراهيم عليه السلام حتى فجأه الوحي وجاءته الرسالة فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير الى ارشاد الخلق وكان صلى الله عليه وسلم اذا قضى جواره من شهره ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل بيته الكعبة فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله ثم يرجع الى بيته حتى اذا جاء الشهر الذي أراد الله به ما أراد من كرامته وذلك شهر رمضان وقيل ربيع الاوّل خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره حتى اذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها وتلك الليلة ليلة سبع عشرة من ذلك الشهر أعني شهر رمضان وقيل ثامن ربيع وقيل السابع والعشرين من رجب أتاه جبريل مناما ليلة السبت أو ليلة الاحد ثم ظهر له بالرسالة يوم الاثنين فقال اقرأ قال صلى الله عليه وسلم فقلت ما أنا بقارئ أي أنا أمي لا أحسن القراءة وكنت نائما بنمط وهو نوع من البسط فغطني به أي غمني بذلك النمط بان جعله على فمه وأنفه قال حتى ظننت أنه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ماذا أقرأ وفي رواية فقلت والله ماقرأت شيأ قط وما أدري شيأ أقرأه قال اقرأ باسم ربك وفي رواية أنه فعل ذلك به ثلاثا ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم فقرأتها وانصرف عني وقد استقر ذلك في قلبي وفي رواية فكانما كتب في قلبي كتابا أي حفظته فرجع الى خديجة فاخبرها وقال قد خشيت على نفسي فقالت كلا فوالله لا يخزيك الله أبدا قال الحافظ الشامي ومن اللطائف أن هذه الكلمة أي كلمة كلا التي ابتدأت خديجة النطق بها عقب ماذكر لها من القصة هي التي وقعت عقب الآيات المذكورة من هذه السورة فجرت على لسانها اتفاقا لانها لم تنزل الا بعد في قصة أبي جهل على المشهور وفي بعض الروايات أنه قبل نزول اقرأ عليه سمع صوت جبريل عليه السلام في الافق ورآه وهو يقول له يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فاخبر خديجة رضي الله عنها فجمعت عليها ثيابها التي تتجمل بها عند الخروج ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل فاخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ورقة قدوس قدوس والذي نفسي بيده لئن كنت صدقت ياخديجة لقد جاء الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى يعني جبريل وانه لنبي هذه الامة فقولي له يثبت وفي رواية قال وما جبريل يذكر في هذه الارض التي تعبد فيها الاوثان جبريل أمين الله بينه وبين رسله لئن كنت صدقت ياخديجة الخ فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ورقة وفي رواية أن ورقة بعد ان أخبرته خديجة بذلك لقي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت فقال له يا ابن أخي أخبرني بما رأيت وسمعت فاخبره

لعلي رضي الله عنه نسمعك تقول في الخطبة اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين فمن هم فاغرورقت عيناه ثم قال هما حبيباي أبو بكر وعمر اماما الهدى وشيخا الاسلام ورجلا قريش المقتدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتدى بهما عصم ومن تبع آثارهما هدي الى صراط مستقيم ومن تمسك بهما فهو حزب الله (وروى) البخاري في صحيحه عن محمد ابن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه سئل عن خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم فقال خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وفي رواية قلت لابي يعني عليا رضي الله عنه أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر قلت ثم من قال عمر ثم خشيت ان يقول ثم عثمان فقلت ثم أنت فقال ما أنا الا واحد من المسلمين وصحح الذهبي وغيره

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذى نفسى بيده انك لنبى هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى عليه السلام ولتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه ولتخرجنه ولئن أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى ورقة رأسه صلى الله عليه وسلم وقبل يافوخه أى وسط رأسه ثم انصرف صلى الله عليه وسلم الى منزله (وقد جاء) أن أبا بكر رضى الله عنه دخل على خديجة رضى الله عنها وليس عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له ياعتيق اذهب بمحمد الى ورقة أى بعد أن أخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أبو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة بن نوفل وذهب به الى ورقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لورقة اذا خلوت وحدى سمعت نداء يامحمد فانطلق هاربا فقال له لاتفعل اذا أتاك فاثبت حتى تسمع مايقول ثم ائتنى أى وهذا كان قبل أن يرى جبريل ويجتمع به ويجيء اليه بالقرآن وحينئذ يكون تكرر سؤال ورقة فلا تنافى بين الروايات فيحمل سؤال ورقة الذى على يد أبى بكر رضى الله عنه على أنه كان قبل أن يرى جبريل والذى وقع فى المطاف كان حين سمع صوت جبريل ورآه ولم يجتمع به والمرة الثالثة بعد مجىء جبريل له يقظة بالقرآن فذهبت اليه خديجة ثم أخذت النبى صلى الله عليه وسلم وذهبت به اليه فكل راو اقتصر على شىء وقد اشتملت آية اقرأ على براعة الاستهلال وهى أن يشتمل أول الكلام على مايناسب الحال المتكلم فيه ويشير الى ماسيق الكلام لاجله فانها اشتملت على الأمر بالقراءة والقراءة فيها باسم الله الى غير ذلك مما ذكره الجلال السيوطى فى الاتقان قال فيه ومن ثم قيل انها جديرة أن تسمى عنوان القرآن لأن عنوان الكتاب مايجمع مقاصده بعبارة موجزة فى أوله وكرر جبريل الغط ثلاثا للمبالغة وأخذ منه القاضى شريح أن المعلم لايضرب الصبى على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات وذكر السهيلى أن فى لفظ الغط اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يحصل له شدائد ثلاث ثم يحصل له الفرج بعد ذلك فكانت الأولى ادخال قريش الشعب والتضييق عليه والثانية اتفاقهم على الاجتماع على قتله والثالثة خروجه من أحب البلاد اليه وجاءه صلى الله عليه وسلم جبريل وميكائيل قبل قول جبريل له اقرأ فشق جبريل بطنه وقلبه الى آخر ما تقدم فى الكلام على الرضاع ولما قرأ صلى الله عليه وسلم تلك الآية رجع بها ترجف بوادره جمع بادرة وهى اللحمة التى بين المنكب والعنق تتحرك عند الفزع وفى رواية يرجف بها فؤاده أى قلبه ولا مانع من الامرين حتى دخل صلى الله عليه وسلم على خديجة فقال زملونى زملونى أى غطونى بالثياب فزملوه حتى ذهب عنه الروع ثم أخبرها الخبر وقال لقد خشيت على نفسى وفى رواية على عقلى فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لايخزيك الله أبدا أى لايفضحك انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل أى الشىء الذى يحصل منه التعب والاعياء لغيرك وتكسب المعدوم بضم التاء والمعدوم الذى لامال له لأن من لامال له كالمعدوم أى توصل اليه الخير الذى لايجده عند غيرك وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق أى على حوادثه فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل فقالت له اسمع من ابن أخيك قال ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى أى هذا صاحب الوحى وهو جبريل عليه السلام ياليتنى فيها جذعا أى ياليتنى أكون فى زمن الدعوة الى الله أى اظهارها شابا حتى أبالغ فى نصرتها ياليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك قال صلى الله عليه وسلم أومخرجىّ هم قال ورقة نعم لم يأت رجل بما جئت به الاعودى أى فتكون المعاداة سببا لاخراجه وقد جاء أن كل نبى اذا كذبه قومه خرج من بين أظهرهم الى مكة يعبد الله عز وجل حتى يموت وفى رواية قال ورقة وان أدركت يومك انصرك نصرا مؤزرا أى شديدا قويا من الازر وهو الشدة وفى رواية قال لخديجة ان ابن عمك لصادق وان هذا البدء نبوة وقوله صلى الله عليه وسلم لخديجة لقد خشيت على نفسى ليس معناه الشك فيما آتاه الله تعالى من النبوة ولكنه لعله خشى أن لاتحمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحى بناء على أنه قال ذلك بعد لقاء الملك وارساله اليه بالنبوة فان للنبوة أثقالا لايستطيع حملها الا أولوا العزم من الرسل وفى كلام الحافظ ابن حجر اختلاف العلماء فى هذه الخشية على اثنى عشر قولا وأولاها

بالصواب

من طرق كثيرة عن على رضى الله عنه انه قال ألا وانه بلغنى أن رجالا يفضلونى عليهما يعنى أبا بكر وعمر فمن وجدته فضلنى عليهما فهو مفتر عليه ما على المفترى ألا ولو كنت تقدمت فى ذلك لعاقبته الا وانى أكره العقوبة قبل التقدم وأخرج الدارقطنى عن على رضى الله عنه لا أجد أحدا فضلنى على أبى بكر وعمر الا جلدته حد المفترى وأخرج أبو بكر الآجرى عن أبى جحيفة وكان من أصحاب على رضى الله عنه قال سمعت عليا رضى الله عنه على منبر الكوفة يقول ان خير هذه الامة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر وأخرج الحافظ أبو ذر الهروى والدارقطنى وغيرهما من طرق كثيرة عن أبى جحيفة أيضا قال دخلت على على رضى الله عنه فى بيته فقلت ياخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مهلا

بالصواب وأسلمها من الارتياب أن المراد بها الموت أو المرض أو دوام المرض وقال الحافظ الاسماعيلى ان هذه الخشية كانت قبل أن يحصل له العلم الضرورى بان الذى جاءه ملك من عند الله وأما بعد حصوله فلا وجاء فى بعض الروايات أن خديجة رضى الله عنها قبل أن تذهب به الى ورقة ذهبت به الى عداس وكان نصرانيا من أهل نينوى قرية سيدنا يونس عليه السلام فقالت له ياعداس أذكرك الله الا ما أخبرتنى هل عندك علم من جبريل أى فان هذا الاسم لم يكن معروفا بمكة ولا بغيرها من أرض العرب فقال عداس قدوس قدوس ماشأن جبريل يذكر بهذه الارض التى أهلها أهل أوثان فقالت أخبرنى بعلمك فيه قال هو أمين الله تعالى بينه و بين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام وعداس هذا كان راهبا وكان شيخا كبير السن وقد وقع حاجباه على عينيه من الكبر وهو غير عداس غلام عتبة بن ربيعة الذى اجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فى الطائف وأسلم على يديه يروى أن خديجة رضى الله عنها حين جاءت عداسا قالت له أنعم صباحا ياعداس فقال كأن هذا الكلام كلام خديجة سيدة نساء قريش قالت أجل قال أدنى منى فقد ثقل سمعى فدنت منه ثم قالت له ماتقدم يروى أنه قال لها حين أخبرته بالخبر ياخديجة ان الشيطان ربما عرض للعبد فاراه أمورا فخذى كتابى هذا وانطلقى به الى صاحبك فان كان مجنونا فانه سيذهب عنه وان كان من الله فلن يضره فانطلقت بالكتاب معها فلما دخلت منزلها اذا هى برسول الله صلى الله عليه وسلم مع جبريل يقرئه هذه الآيات ن والقلم ومايسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر و يبصرون بايكم المفتون فلما سمعت خديجة قراءته اهتزت فرحا ثم قالت للنبى صلى الله عليه وسلم فداك أبى وامى امض معى الى عداس فلما رآه عداس كشف عن ظهره فاذا خاتم النبوة يلوح بين كتفيه فلما نظر عداس اليه خر ساجدا يقوله قدوس قدوس أنت والله النبى الذى بشر بك موسى وعيسى قال بعضهم الصواب أن هذه القصة بعد ذهابها به الى ورقة لأن اقرأ سابقة فى النزول على ن والحاصل أن خديجة رضى الله عنها كانت فى بدء الوحى تتردد بين ورقة وعداس وغيرهما ممن له علم بالكتاب لتتثبت فى الامر لشدة اعتنائها به صلى الله عليه وسلم وتثبتها فى أمره صلى الله عليه وسلم ولتقوى قلبه وتعينه على الحق فنعم الوزير كانت له صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها وذكر ابن دحية أنه صلى الله عليه وسلم لما أخبرها بجبريل ولم تكن سمعت به قط كتبت الى بحيرا الراهب وقيل سافرت بنفسها اليه فسألته عن جبريل فقال لها قدوس قدوس ياسيدة نساء قريش أنى لك بهذا الاسم فقالت بعلى وابن عمى أخبرنى بانه يأتيه فقال لها انه السفير بين الله و بين أنبيائه وان الشيطان لايجترئ أن يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه (وفى أسباب النزول) للواحدى عن على رضى الله عنه وكرم وجهه قال لما سمع النداء صلى الله عليه وسلم يامحمد قال لبيك قال قل أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قل الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين حتى فرغ من السورة فلما بلغ ولا الضالين فقال قل آمين كما هو رواية وكيع وابن أبى شيبة فاتى صلى الله عليه وسلم ورقة فذكر له ذلك فقال له ورقة أبشر فانى أشهد انك الذى بشر بك عيسى بن مريم عليهما السلام فانك على مثل ناموس موسى عليه السلام وانك نبى مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك ولئن أدركنى ذلك لاجاهدن معك وهذا يدل على أن الفاتحة أول مانزل قال فى الكشاف وعليه أكثر المفسرين واستبعده بعضهم فيحتمل أن المعنى انها من أول مانزل لا انها أول على الاطلاق وأما ماروى من انها نزلت بالمدينة فيحتمل تكرر نزولها مبالغة فى شرفها لأن ذلك أول نزولها اذ كثير من الآيات تكرر نزوله بحسب الوقائع وأيضا فان الصلاة فرضت بمكة ومانقل ولا عرف أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه صلوا صلاة بغير الفاتحة قال الجلال السيوطى لم يحفظ أنه كانت صلاة فى الاسلام بغير الفاتحة فالحق أنها من أول القرآن نزولا وان الاول على الاطلاق اقرأ باسم ربك فيندفع التدافع الحاصل بين ظواهر الاحاديث وفى الحديث لو أن فاتحة الكتاب جعلت فى كفة الميزان والقرآن فى الكفة الاخرى لفضلت فاتحة الكتاب القرآن سبع مرات وفى حديث آخر فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وفى لفظ فاتحة الكتاب تعدل ثلثى القرآن (ثم لم يلبث) أن توفى ورقة قال سبط ابن الجوزى وهو آخر

ياأباجحيفة ألا أخبرك بخير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر ويحك ياأباجحيفة لايجتمع بغضى وحب أبى بكر وعمر فى قلب مؤمن وفى رواية لايجتمع حبى وبغض أبى بكر وعمر فى قلب مؤمن *والاخبار عن على رضى الله عنه بصحة خلافة أبى بكر وعمر وكونهما خير الامة بعد النبى صلى الله عليه وسلم ثبتت عنه من طرق كثيرة برواية ابنه محمد بن الحنفية وغيره بحيث يجزم من تتبعها بصدور ذلك القول من على رضى الله عنه جزما قاطعا ليس فيه شك ولا ارتياب قال الذهبى تواتر ذلك عن على رضى الله عنه ورواه عنه نيف وثمانون من أصحابه وصرح بذلك فى الخلوة والملا وخطب بذلك على منبر الكوفة مع حضور الجمع العظيم ولهذا اتفق الائمة الاربعة وأئمة الحديث مثل البخارى

من مات في الفترة وقد أدرك النبوة وصدق بنبوته ولم يدرك الرسالة بناء على تأخرها والراجح عند المحققين أنه لم يعد من الصحابة لعدم ادراكه الرسالة ولما توفي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس يعني ورقة في الجنة وعليه ثياب الحرير والقس بفتح القاف وكسرها رئيس النصارى وفي رواية أبصرته في بطنان الجنة وعليه ثياب السندس وفي رواية لا تسبوا ورقة فاني رأيت له جنة أو جنتين لانه آمن بي وصدقني وجزم ابن كثير باسلامه قال بعضهم وهو الراجح عند جهابذة الائمة بناء على انه أدرك الدعوة الى الله تعالى التي هي الرسالة فقد روى أنه مات في السنة الرابعة من المبعث ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لانه آمن بي وصدقني وفي فتح الباري أن في سيرة ابن اسحق أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب وذلك يقتضي أنه تأخر الى زمن الدعوة والى أن دخل بعض الناس في الاسلام يروى أن ورقة قال لخديجة في أول ابتداء الوحي قبل نزول شئ من القرآن وقيل بعد نزول اقرأ اذهبي الى المكان الذي رأى فيه ما رأى فاذا رآه فتحسري فان يكن من عند الله لا يراه فتراءى له جبريل يوما وهو في بيت خديجة وكانت قد قالت للنبي صلى الله عليه وسلم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك اذا جاءك قال نعم فلما رأى جبريل قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل قد جاءني أي قد رأيته قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم فالقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله انه الملك ما هذا شيطان والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأتاه في بيتها جبرئيل * ولذي اللب في الامور ارتياء
فاماطت عنها الخمار لتدري * أهو الوحي أم هو الاغماء
فاختفى عند كشفها الرأس جبريل * فما عاد أو أعيد الغطاء
فاستبانت خديجة أنه الكنز الذي حاولته والكيمياء

وفي السيرة الحلبية روى ابن اسحق عن شيوخه أنه صلى الله عليه وسلم كان يرقى من العين وهو بمكة قبل أن ينزل عليه القرآن فلما نزل عليه القرآن أصابه ما كان يصيبه قبل ذلك فقالت له خديجة أوجه اليك من يرقيك قال أما الآن فلا وهذا يدل على أنه كان يصيبه قبل نزول القرآن ما يشبه الاغماء بعد حصول الرعدة وتغميض عينيه وتربد وجهه ويغط كغطيط البكر ولعل ذلك كان تأهيلا ليتحمل أعباء الوحي حين نزوله عليه وانما كانت خديجة رضي الله عنها تفعل هذه الاشياء لتتثبت في الامر ويصير عندها ضروريا وأماه وصلى الله عليه وسلم فكان الامر ملتبسا عليه قبل ظهور الملك وأما بعد ظهوره له فانه صار عنده علم ضروري بانه جبريل وأن الله أرسله اليه وأنه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم بعد نزول) اقرأ أي نزول أول السورة كما تقدم فتر الوحي ليذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان يجده من الرعب وليحصل له الشوق الى العود فحزن حزنا شديدا حتى غدا مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما اوفى ذروة جبل كي يلقى نفسه منها تبدى له جبريل عليه السلام فقال يا محمد انك رسول الله حقا فيسكن لذلك جأشه أي قلبه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فاذا اوفى لذروة جبل تبدى له مثل ذلك وفي فتح الباري جزم ابن اسحق بان مدة فترة الوحي كانت ثلاث سنين وجزم السهيلي بانها كانت سنتين ونصفا وقيل خمسة عشر يوما وقيل غير ذلك وكان صلى الله عليه وسلم في مدة فترة الوحي يتردد الى غار حراء ويجاور فيه كما كان يصنع قبل رجاء لقاء الملك ونزول الوحي وعن يحيي بن بكير قال سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن ابتداء الوحي أي بعد فترته فقال لا أحدثك الا ما حدثنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا فنظرت عن شمالي فلم أر شيئا فنظرت من خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا بين السماء والارض وفي رواية فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي فرعبت منه فأتيت خديجة فقلت دثروني دثروني وفي رواية زملوني زملوني وصبوا على ماء باردا فنزلت هذه الآية يا أيها المدثر أي المتلفف بثيابه قم فانذر وربك فكبر ولم يقل بعد قوله فانذر وبشر مع أنه كما بعث بالنذارة بعث بالبشارة لان البشارة انما تكون لمن آمن ولم يكن أحد

ومسلم وبقية أصحاب الكتب الستة وغيرهم وأئمة السلف وبقية أهل السنة والجماعة على هذا الاعتقاد (وأما) الرافضة ونحوهم فانهم لما لم يمكنهم انكار صدور هذا القول من علي رضي الله عنه لظهوره وانتشاره عنه بحيث لا ينكره الا جاهل بالآثار أو مباهت مكابر قالوا انما قال ذلك تقية ومداراة وذلك منهم كذب وافتراء وأحسن ما يقال في هذا المحل ألا لعنة الله على الكاذبين وكيف يتوهم من له أدنى عقل أو فهم صدور ذلك من علي تقية ومداراة مع ما أعطاه الله من كمال الايمان وعظيم الشجاعة والاقدام حتى انه لا يهاب أحدا ولا يخشى في الله لومة لائم وكيف يتوهم عاقل أن يقول ذلك في الخلاء وعلى رؤس الملا وفي زمن خلافته وعلى منبر الكوفة وهو في ذلك الوقت أقوى ما كان أمرا وانفذ حكما وذلك بعد مدة طويلة من

آمن من قبل وهذا يدل على تقدم نبوّته على رسالته وأن نبوّته كانت بنزول اقرأ ورسالته بيا أيها المدثر وقيل انهما مقترنان والمتأخر انما هو اظهار الدعوة يعني أنه حصلت له النبوّة والرسالة بنزول اقرأ ولكنه ما أمر باظهار الدعوة الا بنزول يا أيها المدثر فيها حصل الجهر بالدعوة الى الله ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في قوله تعالى يا أيها المدثر اعلم أن التدثر انما يكون من البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك أن الملك اذا ورد على النبي صلى الله عليه وسلم بعلم أو حكم تلقى ذلك الروح الانساني وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه لذلك وتنتقل الرطوبات الى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فاذا سري عنه ذلك سكن المزاج وقبل الجسم الهواء من خارج فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتزداد عليه الثياب ليسخن وذكر السهيلي أن من عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمي المخاطب باسم مشتق من الحالة التي هو عليها فلاطفه الحق بقوله يا أيها المدثر قم فانذر فبذلك علم رضاه الذي هو غاية مطلوبه وبه كان يهون عليه تحمل الشدائد ومن هذه الملاطفة قوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد نام وقد ترب جبينه قم أبا تراب وقوله صلى الله عليه وسلم لحذيفة وقد نام الى الاسفار قم يا نومان

(باب في مراتب الوحي وأقسامه)

قد كمل الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم مراتب الوحي وأنواعه فاحدى تلك المراتب الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وروى ابن اسحق أن جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة النبوّة وغطه ثلاثا وقرأ عليه أوّل سورة اقرأ مناما ثم أتاه وفعل ذلك معه يقظة بل روى أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يأتيه شئ يقظة الا وقد أري به قبل ذلك في منامه وفي كلام الشيخ محيي الدين ما يدل على أنه صلى الله عليه وسلم وجميع من يأتيه الوحي من الانبياء كان اذا جاءه الوحي يستلقي على ظهره حيث قال سبب اضطجاع الانبياء على ظهورهم عند نزول الوحي اليهم أن الوارد الالهي الذي هو صفة القيومية اذا جاءهم شغل الروح الانساني عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه وقعوده فرجع الى أصله وهو لصوقه بالارض (الثانية) ما كان يلقيه الملك في قلبه من غير أن يراه ويخلق الله فيه علما ضروريا بأنه وحي لا مجرد الهام (الثالثة) خطاب الملك له حين كان يتمثل له رجلا فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول فقد ثبت أنه كان يأتيه في صورة دحية بن خليفة الكلبي وكان جميلا وسيما أي حسن الوجه اذا قدم لتجارة خرجت النساء لتراه قال السراج البلقيني يجوز أن الآتي جبريل بشكله الاول الا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل ومثل ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب قال في فتح الباري والحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلا بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيسا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائي فقط وقال العلامة القونوي يجوز أن الله خصه بقوة ملكية يتصرف فيها بحيث تكون روحه في جسده الاصلي مدبرة له ويتصل أثرها بجسم آخر يصير حيا بما اتصل به من ذلك الاثر أي ان جسم الملك الاصلي باق بحاله لم يتغير وقد أقام ذلك الملك شبحا آخر من عالم المثال وروحه متصرفة فيهما جميعا في وقت واحد وقد قيل انما سمي الابدال أبدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون في مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلي بدلا عنه وأثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الاجساد والارواح سموه عالم المثال وقالوا انه ألطف من عالم الاجساد وأكثف من عالم الارواح وبنوا على ذلك تجسد الارواح وظهورها في صور مختلفة وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا والجواب بانه كان يندمج الى أن يصغر حجمه بقدر دحية ثم يعود كهيئته الاولى تكلف وما ذكره الصوفية أحسن (الرابعة) كان يأتيه مخاطبا له بصوت في مثل صلصلة الجرس والجرس مثال يشبه الجلجل الذي يعلقه الجهال في رؤس الدواب والصلصلة المذكورة قيل صوت الملك بالوحي وقيل صوت أجنحة الملك والحكمة في تقدمه أن يقرع سمعه الوحي وليس فيه مكان لغيره وكان هذا النوع أشده عليه لانه يرد فيه من الطباع البشرية الى الاوضاع الملكية فيوحى اليه كما يوحى الى الملائكة ولان الفهم من كلام مثل الصلصلة أثقل من كلام الرجل بالتخاطب والوحي كله شديد وهذا أشده وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى ورفع الدرجات ولان الكلام العظيم له

موت أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فما أحق ان يقال فيها افتر وسبحانك هذا بهتان عظيم (قال) بعض أئمة أهل البيت النبوي بعد ان ذكر ذلك فكيف يتصور وقوع مثل هذه التقية المشؤمة التي أفسدوا بها عقائد أكثر أهل البيت النبوي لاظهارهم لهم كمال المحبة والتعظيم فمال كثير منهم الى تقليدهم حتى قال بعض الناس أعز شئ في الدنيا شريف سني فلقد عظمت مصيبة أهل البيت بهؤلاء وعظم عليهم أمرهم أوّلا وآخرا (ومن قبيح افترائهم) زعمهم ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه وان الصحابة رضي الله عنهم خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم وان عليا رضي الله عنه انما سكت عن النزاع في أمر الخلافة لان النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه ان لا يوقع بعده فتنة ولا يسل

مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به وفى حديث لابن عباس رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة قال بعضهم وانما كان شديدا عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع لا يقال ان صوت الجرس مذموم منهى عنه فكيف يشبه الوحى به لانا نقول ان للصوت جهتين جهة قوة وبها وقع التشبيه وجهة طنين ومنها وقع التنفير ولا يلزم من التشبيه تساوى المشبه والمشبه به فى الصفات كلها بل يكفى اشتراكهما فى صفة ما ولما كان الوحى من المسائل العويصة التى لا يماط نقاب التعوّر عن وجهها لكل أحد ضرب لها مثل فى الشاهد فمثلت بالصوت الذى يسمع ولا يفهم منه شئ تنبيها على أن الوحى يرد على القلب فى هيئة الجلال وأبهة الكبرياء فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب وتلاقى من ثقل القول ما لا علم له به مع وجود ذلك فاذا سرى عنه وجد القول المقول بينا ملقى فى الروع واقعا موقع المسموع وهذا الضرب من الوحى شبيه بما يوحى الى الملائكة على ما رواه ابو هريرة مرفوعا اذا قضى الله فى السماء أمرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير وقد روى الامام أحمد والحاكم وصححه والترمذى والنسائى عن عمر رضى الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى يسمع عنده دوى كدوى النحل فافهم قوله عنده ان ذلك بالنسبة للصحابة ولذا قال الحافظ انه لا يعارض صلصلة الجرس لان سماع الدوى بالنسبة للحاضرين كما شبهه به عمر رضى الله عنه والصلصلة بالنسبة اليه كما شبهه به صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقامه وجزم بعضهم بان سماعه كدوى النحل حين يتمثل له رجلا وبه تعلم الصفة التى كان عليها حين خطابه بذلك الصوت وجاء فى بعض الروايات وصف هذا القسم الرابع بان جبينه صلى الله عليه وسلم يتفصد عرقا أى يسيل عرقا مبالغة فى كثرة معاناة التعب والكرب عند نزوله لطارقه على طبع البشر وذلك ليبلو صبره فيرتاض لما كلفه من أعباء النبوة ويحصل ذلك له فى اليوم الشديد البرد فضلا عن غيره وان راحلته اذا أوحى عليه وهو عليها تبرك به فى الارض ولقد جاءه الوحى مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت الانصارى رضى الله عنه فثقلت عليه حتى كادت ترضها وفى مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى لم يستطع أحد منا يرفع طرفه اليه حتى ينقضى الوحى وفى لفظ كان اذا نزل عليه الوحى استقبلته الرعدة وفى رواية كرب لذلك وتربد وجهه وغمض عينيه وربما غط كغطيط البكر وعن زيد بن ثابت رضى الله عنه كان اذا نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة الشديدة أخذه من الكرب والشدة على قدر شدة السورة واذا نزل عليه السورة اللينة أصابه من ذلك على قدر لينها (الخامسة) أن يرى جبريل فى صورته التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح كل جناح منها يسد أفق السماء حتى ما يرى فى السماء شئ فيوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه اليه وهذا وقع له مرتين احداهما فى الارض حين سأله أن يريه نفسه فى الافق وكانت هذه فى أوائل البعثة بعد فترة الوحى والثانية عند سدرة المنتهى ليلة المعراج (السادسة) ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها بسماع الكلام الازلى الذى ليس بحرف ولا صوت من غير واسطة مع الرؤية للذات المقدسة (السابعة) ما أوحاه اليه بلا واسطة أيضا بل بسماع الكلام الازلى لكن بلا رؤية كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام وزاد بعضهم ثامنة فقال وكل به اسرافيل عليه السلام قبل تتابع مجىء جبريل عليه السلام فكان يتراءى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة والشئ ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن وبعضهم نازع فى هذه الصورة وزاد بعضهم تاسعة وهى العلم الذى يلقيه الله تعالى فى قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد فى الاحكام لا بواسطة ملك وبذلك فارق النفث فى الروع وزاد بعضهم عاشرة وهى مجىء جبريل فى صورة رجل غير دحية كما فى الحديث الذى فيه بيان الاسلام والايمان والاحسان والحق أن هذه داخلة فى المرتبة الثالثة لان القصد منها التمثل فى صورة رجل وان كان الغالب أن يكون بصورة دحية وهذا لا ينافى أنه قد يأتى بصورة غيره كما فى الحديث المذكور فانه ذكر فيه أنه جاءهم فى صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منهم أحد ودحية كان معروفا عندهم وبالغ بعضهم فى تعديد أنواع الوحى حتى أوصلها الى ستة وأربعين نوعا والتحقيق أنها تعود الى

...فيها وهذا انهم كذب وافتراء وحمق وجهالة مع عظيم الغباوة عما يترتب على ذلك اذ كيف يعقل هذا الذى زعموه وكيف يعقل انه جعله اماما ووليا على الامة بعده ونهاه عن سل السيف على من امتنع من قبول الحق ولو كان ما زعموه صحيحا لما سل السيف فى حرب صفين وغيرها وقاتل هو بنفسه وقاتل معه أهل بيته وأصحابه وجالد وبارز الالوف من مقاتليه وحده أعاذه الله من مخالفة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا كيف يعقل انه يوصيه بعدم سل السيف على قوم زعم فيهم الرافضة انهم كفار مرتدون تجاهروا باقبح أنواع الكفر مع ما أوجب الله من جهاد الكفار (قال) بعض أئمة أهل البيت النبوى والعترة الطاهرة قد تأملت كلام هؤلاء الضالين المفترين فرأيته كلام قوم أعمى

ماذكر وقد روى أن جبريل ظهر له صلى الله عليه وسلم في أول ما أوحى اليه في أحسن صورة وأطيب رائحة وهو بأعلى مكة وفي رواية بجبل حراء فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك أنت رسولي الى الجن والانس فادعهم الى قول لا اله الا الله أي ومحمد رسول الله ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيفية الطهور للصلاة ثم أمره أن يتوضأ كما رآه يتوضأ ثم قام جبريل يصلي مستقبلا نحو الكعبة وأمره أن يصلي معه فصلى ركعتين ثم عرج الى السماء ورجع صلى الله عليه وسلم الى أهله فكان لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله فسار صلى الله عليه وسلم حتى أتى خديجة رضي الله عنها فأخبرها فغشي عليها من الفرح ثم أخذ بيدها وأتى بها الى العين فتوضأ ليريها الوضوء ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل عليه السلام فكانت أول من صلى وفي رواية أنها قالت حين شاهدت ذلك أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله ثم توضأت وصلت فكان ذلك أول فرض الصلاة من حيث هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي واليها الاشارة بقوله تعالى وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ثم نسخت بالصلوات الخمس ولا يرد على هذا ان آية الوضوء مدنية لاحتمال أن النبي صلى الله عليه وسلم تعلم الوضوء قبل نزول الآية بتعليم جبريل وعلمه لاصحابه ثم نزلت الآية ببيانه وقال بعضهم ان الوضوء فرض مع الصلوات الخمس قبل الهجرة بسنة وأنه قبل ذلك كان مطلوبا على وجه السنة والندب ونزلت الآية ببيانه بالمدينة وبهذا يحصل الجمع بين الاقوال

(ذكر أول من آمن بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم)

قال في المواهب اللدنية أول من آمن بالله وصدق برسوله صلى الله عليه وسلم صديقة النساء خديجة رضي الله عنها فقامت بأعباء الصديقية وكانت تقول للنبي صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا واستدلت على ذلك بما فيه من الصفات الحميدة كقرى الضيف وحمل الكل وعرفت أن من كان كذلك لا يخزى أبدا وهو من بديع علمها رضي الله عنها قال ابن اسحق وآزرته صلى الله عليه وسلم على أمره فخفف الله بذلك عنه فكان لا يسمع شيأ يكرهه من رد وتكذيب لا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ولهذا السبق وحسن المعروف جزاها الله سبحانه فبعث جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بغار حراء وقال له اقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته وهذا من وفور فقهها رضي الله عنها حيث جعلت مكان رد السلام على الله الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق به وما يليق بغيره قال ابن هشام والقصب هنا اللؤلؤ المجوف وأبدى السهيلي لنفي النصب لطيفة هي أنه صلى الله عليه وسلم لما دعاها الى الايمان أجابت طوعا ولم تحوجه لرفع صوت ولا منازعة ولا نصب بل أزالت عنه كل تعب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب أن تكون منزلتها التي بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها رضي الله عنها واقراء السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها وتميزت أيضا بأنها لم تسؤه صلى الله عليه وسلم ولم تغاضبه قط وقد جازاها فلم يتزوج عليها مدة حياتها وبلغت منه ما لم تبلغه امرأة قط من زوجاته وولدت له صلى الله عليه وسلم من الذكور القاسم وعبد الله ويلقب بالطاهر والطيب ومن الاناث زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنها وعنهن

(وأول ذكر آمن بعدها صديق الامة وأسبقها الى الاسلام أبو بكر رضي الله عنه)

وكان رضي الله عنه مصدقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يكثر غشيانه في منزله ومحادثته وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال كنت أنا وأبو بكر على هذا الامر كفرسي رهان فسبقته فتبعني ولو سبقني لتبعته ففيه اشارة الى أن كلا منهما مجبول على التوحيد ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم كان أشد الناس تصديقا له أبو بكر رضي الله عنه روى الطبراني برجال ثقات أن عليا رضي الله عنه كان يحلف بالله أن الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة فغيره النبي صلى الله عليه وسلم الى

الهوى بصائرهم فما يبالون بما يترتب على مقالاتهم من المفاسد ألا ترى الى قولهم ان عمر رضي الله عنه قاد عليا بحمائل سيفه وحصر فاطمة رضي الله عنها فهابت وأسقطت ولدا اسمه المحسن فقصدوا ابغار الصدور على عمر رضي الله عنه بهذه الفرية القبيحة والغباوة التي أورثتهم العار والفضيحة ولم يبالوا بما ترتب على ذلك من نسبة علي رضي الله عنه الى الذل والعجز والخور بل ونسبة جميع بني هاشم الى ذلك العار اللاحق بهم الذي لا أقبح منه وبنو هاشم أهل النخوة والنجدة والشجاعة والانفة بل يلزمهم أيضا نسبة جميع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين الى ذلك وكيف يتوهم مؤمن عاقل ان الصحابة يطلعون على النص على خلافة علي رضي الله عنه فلا يعملون به ولا يرجعون اليه وهم الطوع

عبد الله وقيل كان اسمه عبد الله وغلب عليه عتيق وقيل ان أمه استقبلت به البيت وقالت اللهم هذا عتيقك
من الموت لانه كان لا يعيش لها ولد وقيل سمي عتيقا لان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بان الله أعتقه من النار
وقيل لانه ليس في نسبه ما يعاب به وقيل لقدمه في الخير وسبقه الى الاسلام وكني بابي بكر لابتكاره الخصال
الحميدة قال الزرقاني ولم أقف على من كناه به هل هو المصطفى صلى الله عليه وسلم أو غيره فلما أسلم آزر النبي
صلى الله عليه وسلم في نصر دين الله تعالى بنفسه وماله وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان أبا بكر رضي الله
عنه أول الناس اسلاما واستشهد بقول حسان رضي الله عنه

اذا تذكرت شجوا من أخي ثقة * فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها * بعد النبي وأوفاها بما حملا
والثاني التالي المحمود مشهده * وأول الناس قدما صدق الرسلا

وقوله والثاني التالي أي الثاني للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار ففيه تلميح الى قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما
في الغار وقوله التالي أي التابع له صلى الله عليه وسلم باذلا نفسه مفارقا أهله ورياسته في طاعة الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وملازمته ومعاديا للناس فيه جاعلا نفسه وقاية عنه وغير ذلك من سيره الحميدة التي
لا تحصى بحيث قال صلى الله عليه وسلم ان من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر وقال ما أحد أعظم
عندي يدا من أبي بكر واساني بنفسه وماله وقال ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر زوجني ابنته وواساني بماله
قال الشعبي عاتب الله أهل الارض جميعا في هذه الآية أي آية الا تنصروه غير أبي بكر وقد جرى بصحبة الغار
الصحبة على الحوض كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر أنت
صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار فيا نعم الجزاء وقوله المحمود مشهده أي الممدوح مكان حضوره من
الناس لانه كان رجلا مؤالفا ومحببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بها وبما كان فيها من
خير وشر وكان تاجرا وفي السيرة الحلبية كان أبو بكر رضي الله عنه صدرا معظما في قريش على سعة من المال
وكرم الاخلاق وكان من رؤساء قريش ومحط مشورتهم وكان من أعف الناس رئيسا مكرما سخيا يبذل
المال محببا في قومه حسن المجالسة وكان أعلم الناس بتعبير الرؤيا وبعلم الانساب وكذا عقيل بن أبي طالب
الا ان أبا بكر كان يعلم خيرهم وشرهم ولا يعد مساويهم فلذا كان محببا اليهم بخلاف عقيل فانه كان يعد
مساويهم وكان أبو بكر رضي الله عنه ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال من قومه يأتونه ويألفونه لعلمه
وتجارته وحسن مجالسته فلما أسلم وتبع النبي صلى الله عليه وسلم وآزره وشد عضده جعل يدعو الى الاسلام
من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فاسلم بدعائه فضلاء الصحابة رضي الله عنه وعنهم وسيأتي ذكر
بعض من أسلم بدعائه وكان رضي الله عنه يتوقع ظهور نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لما سمعه من ورقة ومن
غيره من الاحبار والرهبان والكهان حتى انه أول من بادر الى التصديق به صلى الله عليه وسلم يروى ان أبا بكر
رضي الله عنه كان يوما عند حكيم بن حزام اذ جاءت مولاة لحكيم فقالت ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم
أن زوجها نبي مرسل مثل موسى عليه السلام فانسل أبو بكر حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن
خبره فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له وأخبره بان الله أرسله فقال صدقت بابي وأمي أنت وأهل
الصدق أنت أنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فسماه يومئذ الصديق بوحي من الله ولما سمعت
خديجة رضي الله عنها مقالة أبي بكر رضي الله عنه خرجت وعليها خمار أحمر فقالت الحمد لله الذي هداك يا ابن
أبي قحافة وقد جاء في تفسير قوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به أن الذي جاء بالصدق رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه قال ابن اسحق بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان من أبي بكر رضي الله عنه ما عكم عنه
حين ذكرته له أي أنه بادر به قال السهيلي وكان من أسباب توفيق الله انه رأى القمر نزل بمكة ثم تفرق
على جميع منازلها وبيوتها فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كان جميعه في حجره فقصها على بعض الكتابيين

لله وأشد الناس وقوفا عند
حدود الله وأبعد عن اتباع
حظوظ النفس وقد قال
فيهم صلى الله عليه وسلم
خير القرون قرني ثم الذين
يلونهم كيف يكون ذلك
وفيهم العشرة المبشرون
بالجنة ومنهم أبو عبيدة أمين
هذه الامة بنص قوله صلى
الله عليه وسلم في الحديث
الصحيح لكل أمة أمين
وأمين هذه الامة أبو عبيدة
وكيف يتوهم فيهم شيء من
ذلك وهم بهذه الاوصاف
الجليلة معاذ الله ان يتركوا
العمل بما ثبت عندهم عن
النبي صلى الله عليه وسلم لان
ذلك خيانة في الدين فلا يجوز
عليهم ذلك شرعا ولا عادة
ولا عقلا لانه يلزم من وقوع
ذلك منهم تكذيب النبي
صلى الله عليه وسلم في شهادته
لهم بالخير وثنائه عليهم
وتكذيب النبي صلى الله
عليه وسلم محال لثبوت
صدقه بالمعجزات فما أدى
اليه محال أيضا كيف يكون

فعبرها له بان النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه تتبعه وتكون أسعد الناس به فلما دعاه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام لم يتوقف وذكر ابن الاثير في أسد الغابة عن ابن مسعود رضي الله عنه ان أبا بكر رضي الله عنه خرج الى اليمن قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم قال فنزلت على شيخ قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس كثيرا فقال أحسبك حرميا قلت نعم قال واحسبك قرشيا قلت نعم قال واحسبك تيميا قلت نعم قال بقيت لي فيك واحدة قلت وماهي قال تكشف لي عن بطنك قلت لا أفعل أو تخبرني لم ذاك قال أجد في العلم الصحيح الصادق أن نبيا يبعث في الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل أما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات وأما الكهل فابيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه الايسر علامة وما عليك أن تريني ما سألتك فقد تكاملت لي فيك الصفة الا ماخفي علي قال فكشفت له بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي فقال أنت هو ورب الكعبة واني أوصيك بما هو في أمره قلت وماهو قال اياك والميل عن الهدى وتمسك بالطريق الوسطى وخف الله فيما خولك وأعطاك فقضيت باليمن أربي ثم أتيت الشيخ لاودعه فقال أحامل أنت مني أبياتا الى ذلك النبي قلت نعم فذكر أبياتا فقدمت مكة وقد بعث صلى الله عليه وسلم فجاءني صناديد قريش فقلت نابكم أو ظهر فيكم أمر قالوا أعظم الخطب يتيم أبي طالب يزعم أنه نبي ولولا أنت ما انتظرنا به والكفاية فيك فصرفتهم على أحسن شئ وذهبت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرعت عليه الباب فخرج الي فقلت يا محمد فقدت منازل أهلك وتركت دين آبائك فقال اني رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله قلت وما دليلك قال الشيخ الذي لقيته باليمن قلت وكم لقيت من شيخ باليمن قال الذي أفادك الابيات قلت ومن أخبرك بهذا يا حبيبي قال الملك المعظم الذي يأتي الانبياء قبلي قلت مد يدك فانا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله صلى الله عليك وسلم فانصرفت وقد سر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامي وفي رواية فانصرفت ومابين لابتيها أشد سرورا مني باسلامي ولا أشد سرورا باسلامي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزرقاني يمكن الجمع بينه وبين ماتقدم من انه بلغه أمر النبي صلى الله عليه وسلم عند اجتماعه بحكيم بن حزام بان سفره لليمن قبل البعثة كما صرح به ورجوعه بعد اسلام خديجة وتحقق الامر عندها فلقي صناديد قريش عند وصوله ثم اجتمع مع حكيم بن حزام وسمع الخبر عنده من الجارية فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وأظهر اسلامه بين يديه ولما أسلم أظهر اسلامه للناس ودعا الى الله ورسوله وفي السيرة الحلبية ان أبا بكر رضي الله عنه لم يسجد لصنم قط وكان نقش خاتمه رضي الله عنه نعم القادر الله وخاتم عمر كفى بالموت واعظا ياعمر وخاتم عثمان آمنت بالله مخلصا وخاتم علي الملك لله وخاتم أبي عبيدة الحمد لله وفي المواهب وشرحها روى عن الحسن أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاءه رجل فقال يا أمير المؤمنين كيف سبق المهاجرون والانصار الى بيعة أبي بكر رضي الله عنه وأنت أسبق سابقة الى الاسلام وأورى منه منقبة فقال له علي رضي الله عنه ويلك ان أبا بكر رضي الله عنه سبقني الى أربع لم أوتهن ولم اعتض منهن بشئ سبقني الى افشاء الاسلام وقدم الهجرة ومصاحبته في الغار وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب يظهر اسلامه وأخفيه تستحقرني قريش وتستوفيه والله لو أن أبا بكر زال عن مزيته مابلغ الدين العبرين أي الجانبين ولكان الناس كرعة ككرعة طالوت ويلك ان الله ذم الناس ومدح أبا بكر فقال الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وقوله سبقني الى افشاء الاسلام يدل على أسبقية اسلام علي رضي الله عنه وان أبا بكر رضي الله عنهما انما سبقه الى الافشاء والتحقيق ان كلا من أبي بكر وعلي رضي الله عنهما بادر بالتصديق والاسلام وعلي رضي الله عنه كان عند النبي صلى الله عليه وسلم وفي بيته فيحتمل أنه أسلم مع اسلام خديجة رضي الله عنها ويحتمل أنه قارن اسلامه اسلام ابي بكر رضي الله عنه ومثل ذلك زيد بن حارثة رضي الله عنه فانه كان مولى النبي صلى الله عليه وسلم وكان من السابقين في الاسلام وكذا بلال رضي الله عنه كان من السابقين في الاسلام ففي بعض الاحاديث أن أول الناس اسلاما خديجة رضي الله عنها وفي بعضها أبو بكر رضي الله عنه وفي بعضها علي رضي الله عنه وفي بعضها زيد بن حارثة رضي الله

هذا وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على ضلالة ولو جاز وقوع مثل ذلك منهم لارتفع الامان والثقة في كل مانقلوه عن النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن والاحكام ولم يحصل الجزم بشئ من أمور الدين مع ان جميع الدين أصوله وفروعه انما أخذ عنهم ووصل الينا بواسطتهم وفي نسبة الرافضة سيدنا عليا رضي الله عنه الى الكتمان للنص غاية النقص لما يلزم عليه من نسبته الى الجبن والظلم والخيانة والكتمان حاشاه الله من ذلك وبمقالة الرافضة هذه المقالة القبيحة توصل بعض الملحدة الى تكفير علي رضي الله عنه اعتمادا على قولهم انه كتم النص وكل ذلك زور وبهتان وكيف يسع من له أدنى ايمان ان ينسب عليا وبقية الصحابة الى الكتمان مع مااستفاض وتواتر عنهم

عنه وفي بعضها بلال رضي الله عنه قال الحافظ ابن الصلاح والاورع أن لا يطلق القول في تعيين أول المسلمين بل يقال أول من أسلم من الرجال البالغين الاحرار أبو بكر ومن الصبيان علي ومن النساء خديجة ومن الموالي زيد بن حارثة ومن العبيد بلال وقال المحب الطبري الاولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال أول من أسلم مطلقا خديجة لم يتقدمها رجل ولا امرأة باجماع المسلمين وأول ذكر أسلم علي بن أبي طالب وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان مستخفيا باسلامه وأول رجل عربي بالغ أسلم وأظهر اسلامه أبو بكر وأول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة الكلبي وروى ابن منده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أبا بكر رضي الله عنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة وهم يريدون الشام في تجارة فسمع أبو بكر رضي الله عنه كلام بحيرا الراهب وسؤاله حبر قال من هذا الذي تحت الشجرة فاجابوه بانه محمد بن عبد الله فقال هذا نبي الى آخر ما تقدم فوقع في قلب أبي بكر اليقين حينئذ وفي رواية لقد آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان اللغوي وهو اليقين بصدقه وهو ما وقر وثبت في قلبه فلهذا كان يتوقع بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ولا ينافي أنه أول المسلمين أو ثانيهم أو ثالثهم بعد النبوة كما تقدم قال الحلبي في السيرة وبنات النبي صلى الله عليه وسلم كن موجودات عند البعثة فيبعد تأخر ايمانهن فهن من أول الناس ايمانا بل هن ممن لم يتقدم لهن اشراك فلم يذكرن مع أول من آمن اكتفاء بذلك ولا يمان أمهن ولذلك قال الحافظ ابن كثير ان أهل بيته صلى الله عليه وسلم آمنوا به قبل كل أحد خديجة وبناتها وزيد وزوجته وعلي رضي الله عنهم وأما فاطمة رضي الله عنها فما ولدت الا بعد البعثة فلا يحتاج الى التنبيه عليها وقد روى ابن اسحق عن عائشة رضي الله عنها قالت لما أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبوة أسلمت خديجة وبناته صلى الله عليه وسلم وكان أبو العاص زوج زينب عظيما في قريش فكلمته قريش في فراقها على أن يتزوج من أحب نساءهم فابى ولا يشكل تزويجه بزينب ولا تزويج رقية وأم كلثوم بولدي أبي لهب مع صيانة النبي صلى الله عليه وسلم من قبل البعثة عن الجاهلية لان تحريم المسلمة على الكافر لم يكن حينئذ حتى نزل قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار بعد صلح الحديبية وقد كفاه الله ولدى أبي لهب فطلقاهما قبل الدخول ثم تزوجتا بعثمان رضي الله عنه واحدة بعد واحدة وأما أبو العاص فأسلم وهاجر وبقيت زينب رضي الله عنها عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما كلمت أحدا الا راجعني في الكلام وأبى علي الا ابن أبي قحافة فاني لم أكلمه في شيء الا قبله واستقام عليه ومن ثم كان أسد الصحابة رأيا وأتمهم عقلا لخبر أتاني جبريل فقال ان الله أمرك أن تستشير أبا بكر ونزل فيه وفي عمر رضي الله عنهما وشاورهم في الامر فكان أبو بكر رضي الله عنه بمنزلة الوزير من رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يشاوره في أموره كلها وقد جاء أن الله أيدني بار بعة وزراء اثنين من أهل السماء جبريل وميكائيل واثنين من أهل الارض أبي بكر وعمر وفي حديث صحيح ان الله يكره أن يخطأ أبو بكر وأما ورقة بن نوفل فقد تقدم الكلام عليه وأن بعضهم عده في الصحابة وجعله أول من أسلم وبعضهم قال انه مات على ما كان عليه من شريعة عيسى عليه السلام وبعضهم جعله من أهل الفترة وأما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فسيأتي ذكر اسلامه في باب بيان تعذيب قريش للمستضعفين بعد ذكر هجرة الناس الى الحبشة وسيأتي أيضا ان اسلامه انما كان بعد الهجرة الاولى وقيل الثانية في السنة السادسة من المبعث وأما عثمان بن عفان رضي الله عنه فيأتي ذكر اسلامه قريبا في عداد من أسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه وأما حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فسيأتي ذكر قصة اسلامه عند ذكر ما وقع له صلى الله عليه وسلم من كفار قريش من الأذايا لأن بعض تلك الأذايا كان سبب اسلامه رضي الله عنه وسيأتي أيضا أن اسلامه كان في السنة الثانية من النبوة وقيل في السادسة

من غيرتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم وشدة غضبهم عند انتهاك حرماته حتى قاتلوا دونه وقتلوا الآباء والابناء في طلب مرضاته فلا يتوهم مؤمن بالله تعالى لحوق أدنى نقص أو سكوت على باطل لهذه العصابة الذين طهرهم الله من كل رجس ودنس ونقص وقد شهد الله لهم بقوله أولئك هم الصادقون وبقوله رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وبقوله وكلا وعد الله الحسنى وشهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بكل خير وتوفي وهو راض عنهم فلا يقدم على شيء مما افتراه الرافضة وأمثالهم الاعداء أضلهم الله وخذله فباء بعظيم الخسار والبوار وأحله الله تعالى نار جهنم وبئس القرار نسأل الله السلامة مما وقع فيه هؤلاء

(ثم أسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه) وتقدم أن بعضهم جعل اسلامه أسبق من اسلام أبي بكر رضي الله عنه وتقدم الجمع بين الاقوال بانه أول من أسلم من الصبيان وان أبا بكر أول من أسلم من

الاحرار البالغين وعن سلمان رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أوّل الناس ورودا على الحوض أوّلها اسلاما على بن أبى طالب رضى الله عنه ولما زوّجه النبى صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها قال لها زوّجتك سيدا فى الدنيا والآخرة وانه لأوّل أصحابى اسلاما وأكثرهم علما وأعظمهم حلما وكان حين أسلم لم يبلغ الحلم كان سنه ثمان سنين وكان عند النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه يطعمه ويقوم بامره لان قريشا كان أصابهم قحط شديد وكان أبو طالب كثير العيال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضى الله عنه ان أخاك أبا طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله تاخذ أنت واحدا وأنا واحدا فجاآ اليه وقالا له انا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما أبو طالب اذا تركتما لى عقيلا وطالبا فاصنعا ما شئتما فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه وتركا له عقيلا وطالبا فلم يزل على مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تولى تسميته النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه وغذاه أياما من ريقه المبارك يمصه لسانه فعن فاطمة بنت أسد أم على رضى الله عنها أنها قالت لما ولدته سماه صلى الله عليه وسلم عليا وبصق فى فيه ثم انه ألقمه لسانه فمازال يمصه حتى نام قالت فلما كان من الغد طلبنا له مرضعة فلم يقبل ثدى أحد فدعونا له محمدا فالقمه لسانه فنام فكان كذلك ما شاء الله تعالى وعنها رضى الله عنها أنها أرادت فى الجاهلية أن تسجد لهبل وهى حامل بعلى رضى الله عنه فتقوّس فى بطنها ومنعها من ذلك وكان على رضى الله عنه أصغر اخوته فكان بينه وبين أخيه جعفر عشر سنين وبين جعفر وأخيه عقيل كذلك وبين عقيل وأخيه طالب كذلك فكل واحد أكبر من الذى بعده بعشر سنين فاكبرهم طالب ثم عقيل ثم جعفر ثم على وكلهم أسلموا الا طالبا فانه اختطفته الجن فذهب ولم يعلم اسلامه وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل رضى الله عنه أحبك حبين حبا لقرابتك وحبا لما كنت اعلم من حب عمى اياك

(وسبب اسلام على رضى الله عنه) انه دخل على النبى صلى الله عليه وسلم ومعه خديجة رضى الله عنها وهما يصليان سواء فقال ما هذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دين الله الذى اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فادعوك الى الله وحده لا شريك له والى عبادته والى الكفر باللات والعزى فقال على رضى الله عنه هذا امر لم اسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرا حتى احدث ابا طالب وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفشى عليه سره قبل ان يستعلن امره فقال له يا على اذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث على ليلته ثم ان الله تبارك وتعالى هداه للاسلام فاصبح غاديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم على يديه وذلك فى اليوم الثانى من صلاته صلى الله عليه وسلم هو وخديجة رضى الله عنها وهو يوم الثلاثاء كما فى سيرة الدمياطى لأن صلاته صلى الله عليه وسلم مع خديجة رضى الله عنها كانت آخر يوم الاثنين وكان على رضى الله عنه يخفى اسلامه خوفا من أبيه الى ان اطلع عليه وأمره بالثبات عليه فاظهره حينئذ وفى أسد الغابة لابن الاثير ان أبا طالب رأى النبى صلى الله عليه وسلم وعليا رضى الله عنه يصليان وعلى على يمينه فقال لجعفر صل جناح ابن عمك فصل على يساره فاسلم جعفر رضى الله عنه وكان اسلامه بعد اسلام أخيه على رضى الله عنه بقليل وكان اسلام على رضى الله عنه قبل بلوغه الحلم بل قيل ان عمره حينئذ ثمان سنين وقيل عشر ومما كتبه على رضى الله عنه لمعاوية رضى الله عنه

محمد النبى أخى وصهرى * وحمزة سيد الشهداء عمى
وجعفر الذى يضحى ويمسى * يطير مع الملائكة ابن امى
وبنت محمد سكنى وعرسى * مشوب لحمها بدمى ولحمى
وسبطا أحمد ابناى منها * فمن منكم له سهم كسهمى
سبقتكم الى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت أوان حلمى

قال البيهقى هذا الشعر مما يجب على كل متوان فى على رضى الله عنه حفظه ليعلم مفاخره فى الاسلام وزعم المازنى وصوّبه الزمخشرى أن عليا رضى الله عنه لم يقل غير بيتين هما

تلكم قريش تمنانى لتقتلنى * فلا وربك ما بروا ولا ظفروا

الاشرار فما أقبح قولهم ان الصحابة علموا النص على خلافة على رضى الله عنه فلم ينقادوا له عنادا ومكابرة بالباطل وأقبح من ذلك قولهم ان عليا ترك ذلك تقية كل ذلك كذب وزور توصلوا به الى تكفير الصحابة رضوان الله عليهم وقد أخرج البيهقى عن الامام أبى حنيفة رضى الله عنه انه قال أصل عقيدة الشيعة تضليل الصحابة رضوان الله عليهم وانما نبه على الشيعة لانهم أقل فحشا فى عقائدهم من الرافضة وذلك لان الرافضة يقولون بتكفير الصحابة رضى الله عنهم لانهم على زعمهم عاندوا بترك العمل بالنص على خلافة على رضى الله عنه بل زاد أبو كامل وكان من رؤسهم فكفر عليا رضى الله عنه زاعما انه أعان الكفار على كفرهم وعلى كتمان الامر بامامته وستر مالا يتم الدين الا به وذلك لان عليا رضى الله عنه لم يدعه

فان هلكت فرهن ذمتي لهم * بذات ودقين لا يعفو لها أثر

ذكره في القاموس قال الزرقاني وهو مردود بما في مسلم في غزوة خيبر من قول علي رضي الله عنه مجيبا لمرحب اليهودي

أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره * أوفيهم بالصاع كيل السندره

وروى الزبير بن بكار في عمارة المسجد النبوي عن ام سلمة رضي الله عنها انها قالت قال علي رضي الله عنه

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا

ولم يتقدم من علي رضي الله عنه شرك أبدا لانه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في كفالته كاحد أولاده تبعه في جميع أموره وفي الحديث ثلاثة ما كفروا بالله قط مؤمن آل يس وعلي بن أبي طالب وآسية امرأة فرعون وفي حديث آخر سباق الاسلام ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم والمراد من عدم كفره أنه لم يسجد لصنم قط وتقدم ان أبا بكر رضي الله عنه كذلك ولما علم أبو طالب باسلام علي رضي الله عنه وصلاته مع النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه اي بني ما هذا الذي انت عليه فقال يا أبت آمنت بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به ودخلت معه واتبعته فقال له اما انه لم يدعك الا الى الخير فالزمه ويذكر عنه أنه كان يقول اني لاعلم ان ما يقوله ابن اخي لحق ولولا اني اخاف ان تعيرني نساء قريش لاتبعته وعن ابن اسحق ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب رضي الله عنه مستخفيا من قومه فيصليان فيها فاذا أمسيا رجعا كذلك ثم ان أبا طالب عثر أي اطلع عليهما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ما هذا الذي أراك تدين به قال هذا دين الله وملائكته ورسله ودين أبينا ابراهيم بعثني الله به رسولا الى العباد وأنت أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابني الى الله تعالى وأعانني عليه فقال له أبو طالب اني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه وفي رواية أنه قال له ما بالذي تقول من باس ولكن والله لا تعلوني أستي أبدا وهذا ينبغي أن يكون صدر منه قبل أن يقول لابنه جعفر صل جناح ابن عمك وصل على يساره لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وعليا على يمينه لكن يروى عن علي رضي الله عنه أنه ضحك يوما وهو على المنبر فسئل عن ذلك فقال تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة يعني الركعتين بالغداة والركعتين بالعشي ورآني أصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الفعل الذي أرى فلما أخبرناه قال هذا حسن ولكن لا أفعله أبدا لاني لا أحب أن تعلوني أستي فلما تذكرته الآن ضحكت وتقدم الكلام على أبي طالب فارجع اليه ان شئت ومناقب علي وفضائله رضي الله عنه أفردت بالتآليف كبقية العشرة فلا حاجة الى التطويل *(ثم أسلم بعد اسلام علي رضي الله عنه زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهبته له خديجة رضي الله عنها لما تزوج بها وكان اشتراه لها ابن أخيها حكيم بن حزام بن خويلد ممن سباه من الجاهلية لان عمته خديجة رضي الله عنها أمرته أن يبتاع لها غلاما ظريفا عربيا فلما قدم سوق عكاظ وجده يباع وعمره ثمان سنين وقد أسر من اخواله طي قال السهيلي ان أمه خرجت به تريد أهلها فاصابتها خيل فاخذته فباعوه فاشتراه حكيم وقيل اشتراه من سوق حباشة بار بعمائة درهم ويقال بستمائة درهم فلما رأته خديجة رضي الله عنها أعجبها فاخذته ولعل هذا مراد من قال فباعه من عمته خديجة أي اشتراه لها فلما تزوج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عندها أعجب به فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه قبل الوحي وقيل ان الذي اشتراه لخديجة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم فانه جاء الى خديجة رضي الله عنها فقال رأيت غلاما بالبطحاء قد أوقفوه ليبيعوه ولو كان لي ثمن لاشتريته قالت وكم ثمنه قال سبعمائة درهم قالت خذ سبعمائة درهم فاشتره فاشتراه فجاء به اليها وقال انه لو كان لي لاعتقته قالت هو لك فاعتقه قال أبو عبيدة لم يكن اسمه زيد ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سماه بذلك حين تبناه وهو

قط انه احتج بنص على امامته بل تواتر عنه الاعتراف بحقية خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وانهما أفضل الامة وقبل من عمر رضي الله عنه ادخاله اياه في الشورى بل تواتر عنه أيضا لاعتراف بحقية خلافة عثمان رضي الله عنه كما تقدم ذلك عنه وقد اتخذ الملحدون كلام الرافضة والشيعة وأمثالهم ذريعة للطعن في الدين والقرآن لان ذلك انما وصل الينا من طريق الصحابة رضي الله عنهم ومن جملة ما قاله أولئك الملحدون كيف يقول الله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس وقد ارتدوا بعد وفاة نبيهم الا نحو ستة أنفس منهم وجعل سبب الارتداد على زعمه امتناعهم من قبول النص بتقديم علي رضي الله عنه * فانظر الى كلام هذا الملحد تجده مأخوذا مما اختلقه الرافضة وأمثالهم قاتلهم الله أنى يؤفكون بل هم أشد ضررا

اسم جده قصي ثم انه خرج بابل لابي طالب الى الشام فمر بارض قومه فعرفه عمه فقام اليه فقال من أنت يا غلام قال غلام من أهل مكة قال من أنفسهم قال لا قال فحر أنت أم مملوك قال مملوك قال عربي أنت أم عجمي قال عربي قال ممن أهلك قال من كلب قال من أي كلب قال من بني عبد ودّ قال ويحك ابن من أنت قال ابن حارثة بن شرحبيل قال وأين أصبت قال في أخوالي قال من اخوالك قال طيئ قال ما اسم أمك قال سعدى فالتزمه وقال ابن حارثة ودعا أباه فقال يا حارثة هذا ابنك فأتاه حارثة فلما نظر اليه عرفه وقال كيف صنع مولاك اليك قال يؤثرني على أهله وولده ورزقت منه حبا فلا أصنع الا ما شئت فركب معه أبوه وعمه وأخوه وفي رواية أن ناسا من قومه حجوا فرأوا زيدا فعرفوه وعرفهم فانطلقوا فأعلموا أباه ووصفوا له مكانه فجاء أبوه وعمه قال الحلبي وقد يقال لا مخالفة لجواز أن يكون اجتماعه بعمه وأبيه كان بعد اخبار أولئك الناس فلما جاء أهله في طلبه ليفدوه خيره رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المكث عنده والرجوع الى أهله فاختار المكث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ لما قدم أبوه وعمه في فدائه سألا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو في المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه أنتم أهل حرم الله وجيرانه تفكون الأسير العاني وتطعمون الجائع جئناك في ولدنا عندك فامنن علينا وأحسن في فدائه فانا سندفع لك فقال وما ذاك قالوا زيد بن حارثة قال أو غير ذلك قالوا وما هو قال ادعوه فخيروه فان اختاركم فهو لكم من غير فداء وان اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على الذي اختارني فداء قالوا زدتنا على النصف وأحسنت فدعاه فقال أتعرف هؤلاء قال نعم أبي وعمي ولم يذكر أخاه لاستصغاره ولأن الخطاب كان معهما وفي رواية ذكرها السهيلي أن زيدا لما جاء قال صلى الله عليه وسلم من هذان قال هذا أبي حارثة بن شرحبيل وهذا عمي كعب بن شرحبيل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا من علمت وقد رأيت صحبتي فاخترني أو اخترهما فقال زيد ما أنا بالذي أختار عليك أحدا أنت مني مكان الأب والعم فقالا ويحك يا زيد تختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك قال نعم ما أنا بالذي أختار عليه أحدا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى أخرجه الى الحجر الذي هو محل جلوس قريش فقال ان زيدا ابني أرثه ويرثني فطابت أنفسهما وانصرفا قال ابن عبد البر ان سنه حين تبناه النبي صلى الله عليه وسلم كان ثمان سنين وانه حين تبناه طاف به على حلق قريش يقول هذا ابني وارثا وموروثا ويشهدهم على ذلك وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل يقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وأرثك تطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف ثم لما استقر أمر الاسلام وظهر نسخ الله ذلك بالمواريث وفي أسد الغابة أن حارثة أسلم وقيل لم يثبت اسلامه الا المنذري ولما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا كان يقال له زيد بن محمد ولم يذكر في القرآن من الصحابة أحد باسمه الا هو رضي الله عنه في قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا قال ابن الجوزي الا ما روي في بعض التفاسير أن السجل الذي في قوله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب اسم رجل كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم وقد أبدى السهيلي حكمة لذكر زيد باسمه في القرآن وهي أنه لما نزل قوله تعالى ادعوهم لآبائهم وصار يقال له زيد بن حارثة ولا يقال له زيد بن محمد ونزع عنه هذا التشريف شرفه الله تعالى بذكر اسمه في القرآن دون غيره من الصحابة ولم يذكر في القرآن امرأة باسمها الا مريم رضي الله عنها ولزيد أخ اسمه جبلة أسلم رضي الله عنه وكان أسن منه سئل جبلة من أكبر أنت أم زيد فقال زيد أكبر مني وأنا ولدت قبله أي لأن زيدا أفضل منه لسبقه الى الاسلام * وأول من أسلم من النساء بعد خديجة رضي الله عنها أم الفضل زوج العباس وهي لبابة بنت الحارث الهذلية أخت ميمونة رضي الله عنها * ومن السابقات الى الاسلام أسماء بنت أبي بكر وأم جميل فاطمة بنت الخطاب أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنها وأم أيمن بل ينبغي أن تكون سابقة على أم الفضل * (بيان من أسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه) * لما أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه دعا الى الله فأسلم بدعائه خلق كثير منهم عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال عثمان رضي الله عنه أخبرتني خالتي سعدى بنت كريز الصحابية العبشمية رضي

على الدين من اليهود والنصارى وسائر فرق الضلال وقد جاء التصريح بذلك عن علي رضي الله عنه في قوله تفترق هذه الامة على ثلاثة وسبعين فرقة شرها من ينتحل حبنا ويفارق أمرنا ووجه ما اشتمل عليه كلامهم من افتراء الكذب وارتكاب قبائح البدع والعناد حتى تسلطت الملحدة بسبب ذلك على الطعن في الدين وأئمة المسلمين بل قال القاضي أبو بكر الباقلاني ان فيما ذهبت اليه الرافضة مما ذكروه ابطالا للاسلام رأسا لانه اذا أمكن اجتماع الصحابة على الكتمان للنصوص أمكن فيهم نقل الكذب والتواطؤ عليه لغرض فيمكن ان سائر ما نقلوه من الاحاديث كذب وزور وحاشاهم من ذلك وكذا ما ذكره سائر الامم عن جميع الرسل يجوز الكذب فيه والزور والبهتان لانهم اذا ادعوا ذلك في هذه

الله عنها ان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحثني على اتباعه وكان لي مجلس من الصديق رضي الله عنه فتنة فاصبته وحده وصرت متفكرا فسالني عن تفكري فاخبرته بما سمعت من خالتي فحثني أبو بكر رضي الله عنه ورغبني في الاسلام قال فما كان بأسرع من أن مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي رضي الله عنه يحمل له ثوبا فقام أبو بكر رضي الله عنه فسار النبي صلى الله عليه وسلم فقعد ثم أقبل علي فقال أجب الله تعالى الى جنته فاني رسول الله اليك والى جميع خلقه قال فما تمالكت حين سمعته أن قلت أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله ثم لم ألبث أن زوجني رقية رضي الله عنها وكانت من أجمل خلق الله وكان عثمان رضي الله عنه كذلك وكان يغني التزوج بها من قبل قال رضي الله عنه كنت بفناء الكعبة فقيل أنكح محمد عتبة بن أبي لهب بنته رقية فدخلتني حسرة أن لا أكون سبقت اليها فانصرفت الى منزلي فوجدت خالتي سعدى بنت كريز فاخبرتني ان الله أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وذكر قصة اسلامه ثم لم ألبث أن تزوجت رقية أي بعد ان فارقها عتبة قبل أن يدخل بها كما يأتي ثم بعد ان توفيت تزوج باختها أم كلثوم ولذا لقب بذي النورين ولم يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره رضي الله عنه وكان يختم القرآن كل ليلة في الوتر وقال صلى الله عليه وسلم في حقه لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان ولما أسلم عثمان رضي الله عنه أخذه عمه الحكم ابن أبي العاص بن أمية والد مروان فاوثقه كتافا وقال ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد والله لا أحلك أبدا حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه وقيل عذبه بالدخان ليرجع فما رجع وقيل ان المعذب بالدخان الزبير رضي الله عنه ليرجع عن الاسلام ولا مانع من تعداد ذلك ومن أسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن ثمان سنين أو اثنتي عشرة سنة وكان عمه يؤذيه ويدخن عليه بالنار ويقول ارجع فيقول لا أكفر أبدا *(وأسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه أيضا عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحرث بن زهرة)* وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن قال وكان أمية بن خلف صديقا لي فقال لي يوما أرغبت عن اسم سماك به أبواك فقلت نعم فقال أنا لا أعرف الرحمن ولكن أسميك بعبد الاله فكان يناديني بذلك * وسبب اسلام عبد الرحمن بن عوف الزهري المذكور رضي الله عنه ما حدث به قال سافرت الى اليمن غير مرة وكنت اذا قدمت نزلت على عسكلان بن عواكن الحميري فكان يسألني هل ظهر فيكم رجل له نبأ له ذكر هل خالف أحد منكم عليكم في دينكم فاقول لا حتى كانت السنة التي بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا علم لي بذلك وقدمت اليمن فنزلت عليه الى آخر القصة المتقدم ذكرها في أخبار الكهان التي ليست على ألسنة الجان وفي آخرها فلما قدمت مكة لقيت أبا بكر رضي الله عنه وأخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فاته فلما أتيت بيت خديجة رضي الله عنها رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لي أرى وجها خليقا أن أرجو له خيرا فما وراءك قلت وديعة فقال أرسلك مرسل برسالة هاتها فاخبرته وأسلمت فقال أخو حمير مؤمن مصدق بي وما شاهدني أولئك من اخواني حقا وعن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنت أمين في أهل الارض أمين في أهل السماء وهو من العشرة المبشرين بالجنة وجاء وصفه بالصادق الصالح البار *ومن أسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه أيضا سعد بن أبي وقاص الزهري أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنه لقيه أبو بكر رضي الله عنه فدعاه الى الاسلام ورغبه فيه وجاء به فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وساله عن أمره فاخبره به فاسلم وكان عمره تسع عشرة سنة وهو من بني زهرة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم وقد أقبل عليه سعد هذا خالي فليرني امرؤ خاله وفي كلام السهيلي انه عم آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم وكرهت أمه اسلامه وكان بارا بها فقالت ألست تزعم أن الله يامرك بصلة الرحم وبر الوالدين قال فقلت نعم فقالت والله لا آكلت طعاما ولا شربت شرابا حتى تكفر بما جاء به محمد وتمس أسافا ونائلة وكانوا يفتحون فاها أعني أم سعد في مدة حلفها ثم يلقون فيه الطعام والشراب فابى أن يمتثل قولها وفيه أنزل الله تعالى ووصينا الانسان

الامة التي هي خير أمة أخرجت للناس فادعاؤهم اباه في باقي الامم أحرى وأولى *فتأمل هذه المفاسد التي ترتبت على ما أصله هؤلاء الملحدة قاتلهم الله انى يؤفكون (وقد أخرج) البيهقي عن الامام الشافعي رضي الله عنه انه قال ما من أهل الاهواء أشد بالزور من الرافضة وكان اذا ذكرهم عابهم أشد العيب وأخرج الدارقطني عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال من قال ان عليا رضي الله عنه كان أحق بالولاية من أبي بكر رضي الله عنه فقد خطأ أبا بكر وعمر والمهاجرين والانصار قال النووي نقلا عن سفيان الثوري وما أرى معتقد ذلك يرتفع له عمل الى السماء (وأخرج) أبو ذر الهروي والدارقطني من طرق كثيرة ان بعض أصحاب علي رضي الله عنه مر بنفر يقعون في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فاخبر

بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما الآية وفي رواية أنها مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب فأصبحت وقد جهدت ثم مكثت يوما وليلة لا تأكل ولا تشرب قال سعد فلما رأيت ذلك قلت لها تعلمين والله يا أمه لو كان لك مائة نفس تخرج نفسا نفسا ما تركت دين محمد فكلي ان شئت أولا تأكلي فلما رأت ذلك أكلت وفي الانساب للبلاذري عن سعد رضي الله عنه قال أخبرت أمي اني كنت أصلي العصر يعني الركعتين اللتين كانوا يصلونهما بالعشي فجئت فوجدتها على بابها تصيح ألا أعوان يعينوني عليه من عشيرتي أو عشيرته فاحبسه وأطبق عليه بابه حتى يموت أو يدع هذا الدين المحدث فرجعت من حيث جئت وقلت لا أعود اليك ولا أقرب منزلك فهجرتها حينا ثم أرسلت الى أن عد الى منزلك ولا تتضيفن الناس فيلزمنا عار فرجعت الى منزلي فمرة تلقاني بالبشر ومرة تلقاني بالشر وتعيرني بأخي عامر وتقول هو البر لا يفارق دينه ولا يكون تابعا فلما أسلم عامر لقي منها ما لم يلق أحد من الصياح والأذى حتى هاجر الى الحبشة ولقد جئت يوما والناس مجتمعون على أمي وعلى أخي عامر فقلت ما شأن الناس فقالوا هذه أمك قد أخذت أخاك عامرا وهي تعطي الله عهدا لا يظلها نخل ولا تأكل طعاما ولا تشرب شرابا حتى يدع صبأته فقلت لها والله يا أمه لا تستظلين ولا تأكلين ولا تشربين حتى تتبوئي مقعدك من النار* ومن أسلم بدعاية أبي بكر رضي الله عنه أيضا طلحة ابن عبيد الله التيمي رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة لقيه أبو بكر رضي الله عنه فدعاه الى الله تعالى ورغبه في الاسلام فلما استجاب له أخذه فجاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وله قصة كانت هي السبب الاول في اسلامه رضي الله عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب في صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم هل ثم من أهل الحرم أحد فقلت نعم أنا فقال هل ظهر أحمد قلت ومن أحمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذي يخرج فيه وهو آخر الانبياء مخرجه من الحرم ومهاجره الى أرض ذات نخل وسباخ فاياك أن تسبق اليه قال طلحة فوقع في قلبي ما قال فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد بن عبد الله الامين يدعو الى الله تعالى وقد تبعه ابن أبي قحافة فخرجت حتى دخلت على أبي بكر رضي الله عنه فأخبرته بما قال الراهب فخرج أبو بكر رضي الله عنه حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فسر به فأسلمت ولما تظاهر أبو بكر وطلحة رضي الله عنهما بالاسلام أخذهما نوفل بن العدوية وكان يدعى أسد قريش فشدهما في حبل يريد أن يفتنهما ويرجعا عن الاسلام ولم يمنعهما بنو تيم ولذلك سمي أبو بكر وطلحة القرينين ولشدة ابن العدوية وقوة شكيمته كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفنا شر ابن العدوية وقد شارك طلحة رجل آخر في اسمه واسم أبيه وقبيلته وهو طلحة بن عبد الله التيمي فالاول أحد العشرة المبشرين بالجنة وهذا ليس كذلك وهو الذي نزل فيه قوله تعالى وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا قال لئن مات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأتزوجن عائشة رضي الله عنها وفي لفظ يتزوج محمد بنات عمنا ويحجبهن عنا لئن مات لأتزوجن عائشة من بعده فنزلت الآية قال الحافظ السيوطي وقد كنت في وقفة شديدة من صحة هذا الخبر لان طلحة أحد العشرة أجل مقاما أن يصدر عنه ذلك حتى رأيت أنه رجل آخر شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبه نقله عنه الحلبي في السيرة والحاصل أنه أسلم على يد أبي بكر رضي الله عنه من العشرة المبشرين بالجنة خمسة وهم عثمان وطلحة بن عبيد الله ويقال له طلحة الفياض وطلحة الجود والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم وزاد بعضهم سادسا وهو أبو عبيدة عامر بن الجراح وكان كل من أبي بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف وطلحة بزازا وكان الزبير جزارا وكان سعد بن أبي وقاص يصنع النبل ثم دخل الناس في الاسلام أرسالا من الرجال والنساء* ومن السابقين الى الاسلام سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي أحد العشرة المبشرين وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل أخت عمر رضي الله عنه فهي ثانية النساء اسلاما وقيل الثانية أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية زوج العباس رضي الله عنهما ومن السابقات أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما وأما عائشة رضي الله عنها فما ولدت الا بعد البعثة ومن السابقين عبيدة بن الحرث بن

عليا رضي الله عنه فقال أعوذ بالله من ذلك رحمهما الله تعالى ثم نهض وأخذ بيد ذلك الخبر وأدخله المسجد وأمر باجتماع الناس وصعد المنبر ثم قبض على لحيته وهي بيضاء فجعلت دموعه تتحادر على لحيته وجعل ينظر للبقاع حتى اجتمع الناس ثم خطب خطبة بليغة من جملتها ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه وسيدي قريش وأبوي المسلمين وانا بريء مما يذكرون بريء وعليه معاقب لقد صحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجد والوفاء والجد في أمر الله يأمران وينهيان في أمر الله فقبض وهو عنهما راض والمسلمون راضون فما تجاوزا في أمرهما وسيرتهما رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره في حياته وبعد موته فقبضا على ذلك رحمهما الله تعالى فو الذي فلق الحبة

المطلب بن عبد مناف المستشهد يوم بدر ومنهم أبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم أسلم بعد تسعة أنفس وقيل هو الحادي عشر ومنهم عثمان بن مظعون الجمحي وأخواه قدامة وعبد الله والارقم بن أبي الارقم المخزومي وهو الذي ينسب اليه دار الارقم ومن السابقين الى الاسلام عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه وسبب اسلامه ما حدث به قال كنت في غنم لآل عقبة ابن أبي معيط فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل عندك من لبن فقلت نعم ولكني مؤتمن قال هل عندك من شاة لم ينز عليها الفحل قلت نعم فأتيته بشاة شصوص وهي التي لا ضرع لها وقيل لا لبن لها فمسح النبي صلى الله عليه وسلم مكان الضرع فاذا ضرع حافل مملوء لبنا فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم بصخرة منقورة فاحتلب النبي صلى الله عليه وسلم فسقى أبا بكر وسقاني ثم شرب ثم قال للضرع اقلص فرجع كما كان والى ذلك أشار السبكي في تائيته بقوله

ورب عناق ما نزا الفحل فوقها * مسحت عليها باليمين فدرت

فلما رأى ابن مسعود هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وقال يا رسول الله علمني فمسح رأسه وقال بارك الله فيك فانك غلام معلم وكان صلى الله عليه وسلم يكرم عبد الله بن مسعود ويدنيه ولا يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم وكان يمشي أمامه صلى الله عليه وسلم ويستره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما في ذراعيه ولذلك كان مشهورا عند الصحابة أيضا بانه صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشره صلى الله عليه وسلم بالجنة وقال رضيت لامتي ما رضي لها ابن أم عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن أم عبد * ومن السابقين الى الاسلام أبو ذر الغفاري رضي الله عنه واسمه جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما وسبب اسلامه ما حدث به قال صليت قبل أن ألقى النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين لله أتوجه حيث يوجهني ربي فبلغنا أن رجلا خرج بمكة يزعم أنه نبي فقلت لاخي أنيس انطلق الى هذا الرجل فكلمه واتني بخبره فلما رجع أنيس قلت له ما عندك قال والله رأيت رجلا يأمر بخير وينهى عن شر ويزعم ان الله أرسله ورأيته يأمر بمكارم الاخلاق قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقلت اكفني حتى أذهب فانظر قال نعم وكن على حذر من أهل مكة فحملت جرابا وعصا حتى أتيت وأتيت مكة فجعلت لا أعرفه وأكره أن أسأل عنه فكنت في المسجد ثلاثين ليلة ويوما وما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما وجدت على كبدي سخفة جوع والسخفة بالتحريك حرارة يجدها الانسان من الجوع ففي ليلة لم يطف بالبيت أحد واذا برسول الله صلى الله عليه وسلم جاء فطاف بالبيت ثم صلى فلما تمت صلاته أتيته فقلت السلام عليك يا رسول الله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فرأيت الاستبشار في وجهه ثم قال من الرجل فقلت من غفار بكسر المعجمة قال متى كنت قال كنت هنا من ثلاثين بين يوم وليلة قال فمن كان يطعمك قلت ما كان لي من طعام الا ماء زمزم فسمنت حتى تكسرت عكن بطني وما أجد على بطني سخفة جوع قال مبارك انها طعام طعم وشفاء سقم ماء زمزم لما شرب له ان شربته لتشفي شفاك الله وان شربته لتشبع أشبعك الله وان شربته لانقطاع ظمائك قطعه الله وهي همزة جبريل وسقاية الله اسماعيل وجاء التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق وجاء آية ما بيننا وبين المنافقين أنهم لا يتضلعون من ماء زمزم وجاء ان أبا ذر أول من قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك التي هي تحية الاسلام فهو أول من حيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتحية الاسلام وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا تأخذه في الله لومة لائم وعلى أن يقول الحق ولو كان مرا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظلت الخضراء أي السماء ولا أقلت الغبراء أي الارض أصدق من أبي ذر رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم في حقه أبو ذر يمشي في الارض على زهد عيسى بن مريم عليه السلام وفي الحديث أبو ذر زاهد أمتي وأصدقها وقد هاجر أبو ذر رضي الله عنه الى الشام بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه واستمر بها الى أن ولي عثمان رضي الله عنه فاستقدمه من الشام

ويرى النصب لا يحبهما الا مؤمن فاضل ولا يبغضهما الا منافق مارق وحبهما قربة وبغضهما مروق ثم ذكر أمر النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر بالصلاة وهو يرى مكان علي ثم ذكر انه بايع أبا بكر ثم ذكر استخلاف أبي بكر لعمر ومبايعته اياه ثم قال ألا لا يبلغني عن أحد انه يبغضهما الا جلدته حد المفتري وفي رواية انهم ذكروا لعلي رضي الله عنه ان من أولئك النفر الذين يقعون في الشيخين عبد الله ابن سبأ وكان أول من أظهر ذلك فلعن علي رضي الله عنه من أظهرهما غير الحسن والجميل ثم أرسل الى ابن سبأ وسيره الى المدائن وقال لا تساكني في بلدة أبدا قال الائمة وكان ابن سبأ يهوديا فأظهر الاسلام وكان كبير طائفة من الروافض الذين أخرجهم علي رضي الله عنه لما ادعوا فيه الالوهية وأخرج الدارقطني ان عليا رضي

اشكوى معاوية رضى الله عنه وأسكنه الربذة فكان بها حتى مات وذلك ان أباذر صار يغلظ القول لمعاوية ويكلمه بالكلام الخشن وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان لقيا أبى ذر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بدلالة على رضى الله عنه وأنه قال له ما أقدمك هذا البلد فقال له أبوذر ان كتمت على أخبرتك وفى رواية ان أعطيتنى عهدا وميثاقا أن ترشدنى أخبرتك ففعل قال أبوذر فاخبرته فارشدنى وأوصلنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلمت وفى رواية أن عليا رضى الله عنه استضافه أبوذر رضى الله عنه ثلاثة أيام لايساله عن شئ وهو لايخبره ثم فى الثالث قال له ما أمرك وما أقدمك هذه البلدة قال ان كتمت على أخبرتك قال فانى أفعل قال له بلغنا أنه خرج ههنا رجل يزعم انه نبى فارسلت اليه أخى ليكلمه فرجع ولم يشفنى من الخبر فاردت ان ألقاه فقال أما انك قد رشدت هذا وجهى أى خروجى اليه فاتبعنى ادخل حيث أدخل فان رأيت أحدا أخافه عليك قمت الى الحائط كانى أصلح نعلى وفى رواية كانى أريق الماء فامض أنت قال أبوذر فمضى ومضيت حتى دخل ودخلت معه على النبى صلى الله عليه وسلم فقلت له أعرض على الاسلام فاعرضه على فاسلمت مكانى الحديث ثم ان أبابكر قال يارسول الله ائذن لى فى طعامه الليلة قال أبوذر رضى الله عنه فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه فانطلقت معهما ففتح أبو بكر رضى الله عنه بابا فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف فكان ذلك أول طعام أكلته أى من الزبيب فلا ينافى اضافة على رضى الله عنه له ويمكن التوفيق بين رواية دخوله على النبى صلى الله عليه وسلم مع على رضى الله عنه فاسلم ورواية اجتماعه به فى الطواف فاسلم بان يكون أبوذر دخل عليه أولا مع على ثم لقيه فى الطواف ويكون المراد حينئذ باسلامه الثانى الثبات عليه بتكرير الشهادتين وعذره فى عدم اجتماعه به فى المسجد مدة ثلاثين يوما عدم خلو المطاف كما يرشد له قوله ففى ليلة لم يطف بالبيت أحد الخ والافيبعد أن يكون صلى الله عليه وسلم لم يدخل المسجد للطواف فى مدة ثلاثين يوما وقوله من الرجل زيادة فى الاستفهام عنه لطول المدة ولان لقيه كان بالليل وهو يظن أنه قد سافر ولم يمكث هذه المدة وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر اكتم هذا الامر وارجع الى قومك فاخبرهم يأتونى فاذا بلغك ظهورنا فاقبل قلت والذى بعثك بالحق لاصرخن بها بين ظهرانيهم قال وكنت فى الاسلام خامسا وفى رواية رابعا أى من الاعراب فلا ينافى زيادة من أسلم غيره على خمسة قال أبوذر فلما اجتمعت قريش فى المسجد ناديت باعلى صوتى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا قوموا الى هذا الصابى فمال على أهل الوادى بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا على فاكب على العباس وقال ويلكم ألستم تعلمون أنه من غفار وأن طريق تجارتكم عليهم فخلوا عنى قال فجئت زمزم فغسلت عنى الدماء فلما أصبحت الغداة رجعت الى مثل ذلك فصنع بى مثل ماصنع بالامس وأدركنى العباس وخلصنى فخرجت وأتيت أنيسا فقال ماصنعت فقلت قد أسلمت وصدقت فقال مالى رغبة عن دينك فانى قد أسلمت وصدقت فاتينا أمنا فقالت مالى رغبة عن دينكما فانى أسلمت وصدقت فاتينا قومنا غفارا فاسلم نصفهم وقال بعضهم اذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أسلمنا فلما جاء المدينة أسلم نصفهم الثانى لانه صلى الله عليه وسلم قال لابى ذر انى قد وجهت الى أرض ذات نخل لا أراها الا يثرب فهل أنت مبلغ قومك عسى الله أن ينفعهم بك ويؤجرك فيهم وقد ذكر أن أباذر رضى الله عنه وقف يوما عند الكعبة فى حجة حجها أو عمرة اعتمرها فاكتنفه الناس فقال لهم لو أن أحدكم أراد سفرا أليس يعد زادا فقالوا بلى فقال سفر القيامة أبعد مما تريدون فخذوا مايصلحكم فقالوا ومايصلحنا قال حجوا حجة لعظائم الامور وصوموا يوما شديدا حره ليوم النشور وصلوا فى ظلمة الليل لوحشة القبور * ومن السابقين للاسلام خالد ابن سعيد بن العاص وهو أول من أسلم من اخوته فيحمل عليه قول ابنته أم خالد أول من أسلم أبى أى من اخوته وسبب اسلامه أنه رأى فى النوم النار ورأى من فظاعتها وأهوالها أمرا مهولا ورأى انه على شفيرها وان أباه يريد أن يلقيه فيها ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بحجزته يمنعه من الوقوع فيها فقام من نومه فزعا وعلم أن نجاته من النار تكون على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم

الله عنه بلغه ان رجلا يعيب أبابكر وعمر رضى الله عنهما فاحضره وساله فانكر فقال له أما والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق لو سمعت منك الذى بلغنى عنك أو ثبت عليك ببينة لافعلن بك كذا وكذا (ومن الادلة) التى فيها الاشارة الى خلافة ابى بكر رضى الله عنه ما أخرجه ابن حبان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وضع فى البناء حجرا ثم قال لابى بكر ضع حجرك الى جنب حجرى ثم قال لعمر ضع حجرك الى جنب حجر ابى بكر ثم قال لعثمان ضع حجرك الى جنب حجر عمر وروى مسلم فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى توفى فيه ادعى لى أبابكر وأخاك حتى اكتب كتابا فانى أخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ثم قال

فاتى أبابكر رضى الله عنه فذكر له ذلك فقال له أبو بكر رضى الله عنه أريد بك خيرا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعه فاتاه فقال يا محمد ما تدعو اليه قال أدعو الى الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع فاسلم خالد وفى الوفاء للسيد السمهودى عن أم خالد بنت خالد بن سعيد أنها قالت كان خالد بن سعيد ذات ليلة نائما قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رأيت كأنه غشيت مكة ظلمة حتى لا يبصر امرؤ كفه فبيناهو كذلك اذ خرج نور من زمزم ثم علا فى السماء فاضاء فى البيت ثم أضاء مكة كلها ثم تحول الى يثرب فاضاءها حتى انى لأنظر الى البسر فى النخل فاستيقظت فقصصتها على أخى عمرو بن سعيد وكان جزل الرأى فقال يا أخى ان هذا الامر فى بنى عبد المطلب ألا ترى انه خرج من حفر أبيهم ثم انه ذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه فقال يا خالد أنا ذلك النور وأنا رسول الله وقص عليه ما بعثه الله به فاسلم خالد وعلم بذلك أبوه وهو سعيد أبو أحيحة وكان من عظماء قريش وكان اذا اعتم لم يعتم قرشى اعظاماله ومن ثم قال فيه القائل

أبا أحيحة من يعتم عمته * يوماوان كان ذا مال وذا عدد

وعند اسلام ولده خالد أرسل فى طلبه فانتهره وضربه بمقرعة كانت فى يده حتى كسرها على رأسه ثم قال أتبعت محمدا وأنت ترى خلافه لقومه وما جاء به من عيب آلهتهم وعيب من مضى من آبائهم فقال والله تبعته على ما جاء به فغضب أبوه وقال اذهب يا لكع حيث شئت وقال والله لامنعنك القوت قال ان منعتنى فالله يرزقنى ما أعيش به فاخرجه وقال لبنيه ولم يكونوا أسلموا لا يكلمه أحد منكم الا صنعت به مثله فانصرف خالد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يلزمه ويعيش معه ويغيب عن أبيه فى نواحى مكة حتى خرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة فى الهجرة الثانية فكان خالد أول من خرج اليها وذكر عن والده سعيد أنه مرض فقال ان رفعنى الله من مرضى هذا لا يعبد اله ابن أبى كبشة بمكة فقال خالد عند ذلك اللهم لا ترفعه فتوفى فى مرضه ذلك وخالد هذا أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأسلم أخوه عمرو بن سعيد بن العاص قيل وسبب اسلامه أنه رأى نورا خرج من زمزم أضاءت منه نخيل المدينة حتى رأى البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بنى عبد المطلب وهذا النور منهم يكون فكان سببا لاسلامه وتقدم قريبا ان هذه الرؤية وقعت لأخيه خالد وكانت سبب الاسلامه وأنه قصها على أخيه عمرو والمذكور فهو من خلط بعض الرواة الا أن يقال لا مانع من تعدد هذه الرؤية لخالد ولأخيه عمرو وانها كانت سبب الاسلامهما وأسلم من بنى سعيد أبان بن سعيد والحكم بن سعيد الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله * ومن السابقين للاسلام صهيب رضى الله عنه كان أبوه عاملا لكسرى فاغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشأ فى الروم حتى كبر ثم ابتاعه جماعة من العرب وجاؤا به الى سوق عكاظ فابتاعه منهم عبد الله بن جدعان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مر صهيب على دار رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى عمار بن ياسر فقال عمار ابن ياسر أين تريد يا صهيب قال أريد أن ادخل على محمد فاسمع كلامه وما يدعو اليه قال عمار وأنا اريد ذلك فدخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهما بالجلوس فجلسا وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما من القرآن فتشهدا ثم مكثا عنده يومهما حتى أمسيا ثم خرجا مستخفيين فدخل عمار على امه وأبيه فسألاه اين كان فاخبرهما باسلامه وعرض عليهما الاسلام وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن فاعجبهما فاسلما على يده وكان اسلام صهيب وعمار تكملة بضع وثلاثين رجلا * ومن السابقين للاسلام حصين والد عمران بن حصين رضى الله عنهما وكان اسلامه بعد اسلام ابنه عمران وسبب اسلامه أن قريشا جاءت اليه وكانت تعظمه وتجله فقالوا له كلم لنا هذا الرجل فانه يذكر آلهتنا ويسبها فجاؤا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبى صلى الله عليه وسلم فدخل حصين فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال أوسعوا للشيخ وعمران ولده مع الصحابة فقال حصين ما هذا الذى بلغنا عنك انك تشتم آلهتنا وتذكرها فقال يا حصين كم تعبد من اله قال سبعة فى الارض وواحد فى السماء قال فاذا اصابك الضر من تدعو قال الذى فى السماء قال فاذا هلك المال قال الذى فى السماء قال

يا بى الله والمؤمنون الا أبا بكر وأخرجه الامام أحمد من طرق وفى بعضها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه ادعى لى عبد الرحمن بن أبى بكر اكتب لابى بكر كتابا لا يختلف عليه أحد ثم قال معاذ الله ان يختلف المؤمنون فى ابى بكر رضى الله عنه (وأخرج) البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت كأنى انزع بدلو على قليب فنزعت منها ما شاء الله ثم أخذها أبو بكر فنزع ذنوبا أو ذنوبين وفى نزعه ضعف والله يغفر له ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غربا فلم أر عبقريا يفرى فريه حتى ضرب الناس بعطن قال النووى فى شرح مسلم فى هذا الحديث اشارة الى خلافة أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وكثرة الفتوح وظهور الاسلام فى زمن عمر رضى الله عنه وفى قوله فى

يستجيب لك وحده وتشرك معه أرضيته في الشرك يا حصين اسلم تسلم فاسلم فقام اليه ولده عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بكيت من صنع عمران دخل حصين وهو كافر فلم يقم اليه عمران ولم يلتفت ناحيته فلما أسلم وفى بحقه فدخلني من ذلك الرقة فلما أراد حصين الخروج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه شيعوه الى منزله فلما خرج من سدة الباب أى عتبته رأته قريش فقالوا قد صبا وتفرقوا عنه * ولما دخل الناس فى الاسلام ارسالا اى جماعات متتابعين من الرجال والنساء أمر الله رسوله أن يصدع بالحق و يواجه المشركين بالجهر بالقرآن فى الصلاة وأنزل عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فشق ذلك عليهم وكانوا قبل ذلك لم يبعدوا منه ولم يردوا عليه بل كانوا كما قال الزهرى غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم فى مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها وذلك أنه دخل عليهم المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال أبطلتم دين أبيكم ابراهيم فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم وكان ذلك فى سنة أربع من النبوة وقيل فى سنة خمس فاجمعوا على خلافه وعداوته الا من عصم الله منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحدب بكسر الدال أى عطف عليه عمه أبو طالب وقام دونه حاجزا بينه و بينهم فاشتد الامر وتضارب القوم وأظهر بعضهم لبعض العداوة وأخذوا يعذبون من أسلم و يفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه أبى طالب و بنى هاشم بن عبد مناف ماعدا أبا لهب منهم وبنى المطلب بن عبد مناف أخيه ثم وكانوا معهم بطالب من أبى طالب بخلاف بنى أخويهم نوفل وعبد شمس ابنى عبد مناف فانهم كانوا من أشد الناس عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق كان صلى الله عليه وسلم يدعو الناس خفية بعد نزول يا أيها المدثر ثلاث سنين فكان من أسلم اذا أراد الصلاة اى صلاة لركعتين بالغداة و بالعشى يذهب الى بعض الشعاب يستخفى بصلاته من المشركين فبينما سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه رجلا منهم بلحى بعير فشجه فهو أول دم أهريق فى الاسلام ثم ظهرت العداوة بعد ذلك بينهم واشتد الامر فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه مستخفين فى دار الارقم المعروفة الآن بدار الخيزران لان المنصور لما اشترى الدار المذكورة وهبها لولده المهدى العباسى فوهبها المهدى المذكور لجاريته الخيزران وهى أم ولديه موسى الهادى وهارون الرشيد فوقفتها مسجدا وقد روت الخيزران عن زوجها المهدى عن أبيه المنصور عن جده عن ابن عباس رضى الله عنهما من اتقى الله وقاه كل شئ فكان صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقيمون الصلاة بدار الارقم ويعبدون الله تعالى واختلفوا فى مدة استخفائه فقيل أربع سنين وقيل أقاموا فى تلك الدار شهرا فقط وهم تسعة وثلاثون وخرجوا بعد أن كملوا أربعين باسلام عمر وحمزة رضى الله عنهما * ولما نزل عليه صلى الله عليه وسلم وأنذر عشيرتك الاقربين وهم بنو هاشم وبنو المطلب و بنو عبد شمس وبنو نوفل أولاد عبد مناف اشتد ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم وضاق به ذرعا اى عجز عن احتماله فمكث صلى الله عليه وسلم نحو شهر جالسا فى بيته حتى ظن عماته أنه شاك اى مريض فدخلن عليه عائدات فقال ما اشتكيت شيأ لكن الله أمرنى بقوله وأنذر عشيرتك الاقربين فاريد أن أجمع بنى عبد المطلب لادعوهم الى الله فقلن له ادعهم ولا تجعل عبد العزى فيهم يعنون عمه أبا لهب قيل كنى بابى لهب لشدة احمرار خديه فانه غير مجيبك الى ما تدعوا اليه وخرجن من عنده فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى بنى عبد المطلب فحضروا وكان فيهم أبو لهب فلما أخبرهم صلى الله عليه وسلم بما أنزل الله عليه أسمعه أبو لهب ما يكره فقال تبالك ألهذا جمعتنا وأخذ حجرا ليرميه به وقال ما رأيت أحدا جاء بنى أبيه وقومه باشر مما جئتهم به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتكلم فى ذلك المجلس قيل ان أبا لهب ظن فى أول الامر أنه صلى الله عليه وسلم يريد أن ينزع عما يكرهون الى ما يحبون فقال هؤلاء عمومتك فتكلم بما تريد واترك الصباة واعلم أنه ليس للعرب بقومك طاقة وأن احق من أخذك

أبى بكر فنزع ذنوبا أوذنوبين وفى نزعه ضعف اشارة الى قصر مدة ولايته وقوله والله يغفر له ليس فيه اشارة الى نقص أو تقصير او ذنب وقع منه وانما هى كلمة تقولها العرب عند الاعتناء بالامر وقوله ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غربا اى دلوا عظيما الى آخر الحديث اشارة الى طول مدته وكثرة انتفاع الناس بها واتساع دائرة الاسلام بكثرة الفتوحات وتمصير الامصار وتدوين الدواوين وقوله عبقريا اى رجلا قويا شديدا من الناس يفرى فريه اى يعمل عمله حتى ضرب الناس بعطن أى رووا وضربوا بعطن والعطن ما تناخ به الابل اذا رويت (وأخرج) الامام أحمد وابن حبان عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا

وحسبك أسرتك وبنو أبيك ان أقمت على امرك فهو أيسر عليك من ان تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رأيت يا ابن اخي احدا قط جاء بني ابيه وقومه باشر مما جئتهم به فلما سمع مقالة النبي صلى الله عليه وسلم قال تبالك الهذا جمعتنا فانزل الله تبت يدا ابي لهب وتب تعني خسرت وهلكت يداه والمراد جملته عبر عنها باليد من مجاز اولما سمع ابولهب تبت يدا ابي لهب وتب قال ان كان ما يقول محمد حقا افتديت منه بمالي وولدي فنزل ما أغنى عنه ماله وما كسب ومن جملة ما كسب الولد الى آخر السورة وفي رواية الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم دعا قريشا فاجتمعوا فخص وعم فقال يابني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يابني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يابني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يابني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يابني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يابني زهرة أنقذوا أنفسكم من النار يابني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يافاطمة أنقذي نفسك من النار ياصفية عمة محمد انقذي نفسك من النار فاني لا أملك لكم من الله شيأ وفي لفظ فاني لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا أن تقولوا لا اله الا الله أي لا تبقوا على الكفر تتكلا على القرابة فهو حث لهم على الاسلام وصالح الاعمال وترك الاتكال قال بعضهم ان ذكر فاطمة رضي الله عنها هنا من خلط الرواة بدليل قوله الا ان تقولوا لا اله الا الله وانما ذكرت في حديث آخر وقع بالمدينة جمع فيه الزوجات والبنات وقال لهن لا أغني عنكن من الله شيأ أحثهن على صالح الاعمال ثم مكث صلى الله عليه وسلم أياما ونزل عليه جبريل عليه السلام وأمره بامضاء أمر الله تعالى فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانيا وخطبهم ثم قال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوأ وانها الجنة أبدا او لنار أبدا يابني عبد المطلب ما أعلم شابا جاء قومه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بامر الدنيا والآخرة فتكلم القوم كلاما لينا غير أبي لهب فانه قال يابني عبد المطلب هذه والله السوأة خذوا على يديه أي اقبضوا وامنعوه عن هذا الامر بحبس أو غيره قبل أن ياخذ على يده غيركم فان اتمسوه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له أخته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنها وهي أم الزبير رضي الله عنه أي أخي أيحسن بك خذلان ابن أخيك فوالله ما زال العلماء يخبرون أنه يخرج من ضئضئ أي اصل عبد المطلب نبي فهو هو قال أبو لهب هذا والله الباطل والاماني وكلام النساء في الحجال فاذا قامت بطون قريش وقامت العرب معها فاقوتنا بهم فوالله مانحن عندهم الا أكلة رأس فقال أبو طالب والله لنمنعنه ما بقينا ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم جميع قريش وهو قائم على الصفا وقال ان أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم أكنتم تكذبوني قالوا والله ما جربنا عليك كذبا فقال يامعشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فاني لا أغني عنكم من الله شيأ اني لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد وفي رواية ان مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشي أن يسبقوه الى أهله فجعل يهتف ياصباحاه ياصباحاه أتيتم اتيتم أنا النذير العريان اي الذي ظهر صدقه من قولهم عرى الامر اذا ظهر وقيل الذي جرده العدو فاقبل عريانا ينذر بالعدو فانه لا يتهم بخلاف الذي لم يجرد فانه قد يتهم والمعنى أنا النذير الذي لا أتهم وفي رواية أنه وقف على الصفا وفي أخرى على أبي قبيس وفي أخرى على أضمة من جبل فعلا أعلاها حجرا يهتف ياصباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه قال ابن عباس رضي الله عنهما فجعل الرجل اذا لم يستطع أن ياتي أرسل رسولا الحديث وفي رواية صاح يا آل عبد مناف اني نذير وفي أخرى جمع بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون وفي رواية خمسة وأربعون وامرأتان فصنع لهم طعاما وهي شاة مع مد من البر وصاع من اللبن فقدمت لهم الجفنة وقال كلوا باسم الله فأكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا أي رووا وفي رواية قال أدنوا عشرة عشرة فدنا القوم عشرة عشرة ثم تناول القعب الذي فيه اللبن فجرع منه ثم ناولهم وكان الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس من الشراب في مقعد واحد فلما رأوا كفاية

عضوضا قال العلماء لم يكن في الثلاثين بعده صلى الله عليه وسلم الا الخلفاء الاربعة وكملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما المدة التي مكث فيها الى ان سلم الخلافة لمعاوية رضي الله عنه ووجه الدلالة من هذا الحديث انه حكم بحقية الخلافة عنه هذه المدة فيكون ذلك دليلا واضحا على حقية خلافة كل من الخلفاء الاربعة * فهذه الاحاديث كلها تدل على صحة خلافة ابي بكر كالاحاديث والآيات السابقة وقد اشتهر بين العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا ومرادهم بذلك انه لم يستخلف صراحة عند وفاته بان يذكر واحدا بعينه ويسميه لهم ويقول هو الخليفة من بعدي وانتفاء التصريح بذلك عند الوفاة لا يدل على انتفاء الاشارة قبل الوفاة فان ذلك غير منتف بل هو ثابت موجود

ذلك الطعام القليل والشراب لهم بهتوا وقهرهم ذلك فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم بدره أبو لهب بالكلام فقال لقد سحركم صاحبكم سحرا عظيما وفي رواية سحركم محمد وفي رواية ما رأينا كالسحر اليوم فتفرقوا ولم يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد قال يا علي عد لنا بمثل ما صنعت بالامس من الطعام والشراب قال علي رضي الله عنه ففعلت ثم جمعتهم له فاكلوا حتى شبعوا وشربوا حتى نهلوا فقال لهم يا بني عبد المطلب ان الله قد بعثني الى الخلق كافة وبعثني اليكم خاصة فقال وأنذر عشيرتك الاقربين وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان شهادة أن لا اله الا الله وأني رسول الله فمن يجيبني الى هذا الامر ويوازرني أي يعاونني على القيام به قال علي رضي الله عنه أنا يا رسول الله وكان أحدثهم سنا وسكت القوم قال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثانيا فصمتوا فقام علي وقال أنا يا رسول الله فقال اجلس ثم أعاد القول على القوم ثالثا فلم يجبه أحد منهم فقام علي وقال أنا يا رسول الله قال اجلس فانت أخي قال الامام أبو العباس بن تيمية زاد في الحديث بعض أهل الضلال زيادات لا أصل لها وهي كذب باطل قالوا قال فمن يجيبني الى هذا الامر يكن أخي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي فقام علي الخ وزادوا في آخر الحديث قال اجلس فانت أخي ووزيري ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي فتلك الزيادات كلها كذب من افتراء الرافضة الذين يريدون الطعن على أهل السنة والقدح في خلافة الخلفاء قبل علي رضي الله عنه وفي رواية عن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خديجة فصنعت طعاما ثم قال ادع لي بني عبد المطلب فدعوت أربعين رجلا الحديث ولا مانع من تكرر فعل ذلك ويجوز أن يكون علي فعل ذلك عند خديجة رضي الله عنهما وجاء به الى بيت أبي طالب ولعل جمعهم هذا كان متأخرا عن جمعهم المتقدم ذكره ويشهد له السياق وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك حرصا على اسلام أهل بيته فلما دعا قومه ولم يردوا عليه ولم يجيبوه صار كفار قريش غير منكرين لما يقول فكان اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه أن غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء وكان ذلك دأبهم حتى عاب آلهتهم وسفه عقولهم وضلل آباءهم فتنا كروه وأجمعوا على خلافه وعداوته وجاؤا الى أبي طالب وقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا أي عقولنا ينسبنا الى قلة العقل وضلل آباءنا فاما أن تكفه عنا واما أن تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه لا يرده عن ذلك شئ والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

ثم قام النبي يدعو الى الله وفي الكفر نجدة واباء
أمما أشربت قلوبهم الكفر فداء الضلال فيهم عياء

ثم كثر الشر وتزايد وانتشر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا أي أضمروا العداوة والحقد وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وحض بعضهم بعضا على حربه وعداوته ومقاطعته ثم مشوا الى أبي طالب مرة أخرى فقالوا يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا أي عقولنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا بأن يخذل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخي ان قومك جاؤني فقالوا لي كذا وكذا فابق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الامر ما لا أطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمه خاذله وأنه ضعيف عن نصرته والقيام معه فقال يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أي حصلت له العبرة التي هي دمع العين فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخي فاقبل عليه فقال اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت والله لا أسلمك ثم أنشأ يقول

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد في التراب دفينا * فاصدع بامرك ما عليك غضاضة

فاكتفى الصحابة رضي الله عنهم بذلك واجمعوا على استخلاف الصديق رضي الله عنه ويدل لذلك ما أخرجه ابن سعد عن علي رضي الله عنه قال لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم نظرنا في أمرنا فوجدنا النبي صلى الله عليه وسلم قدم أبا بكر في الصلاة فرضينا لدنيانا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لديننا فقدمنا أبا بكر فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم ان يكون الامر بعده باعلام الله تعالى وترك الكتابة معولا على ان المسلمين لا يعدلون عن أبي بكر رضي الله عنه ولم يؤمر من الله تعالى بتبليغ الامة التصريح بذلك ولو أمر بذلك ما كتمه ولو وجب على الامة مبايعة غير أبي بكر رضي الله عنه لبالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبليغ ذلك الواجب اليهم بان ينص عليه نصا جليا ينقل عنه باشتهار حتى

وأبشر وقر بذاك منك عيونا * ودعوتني وزعمت أنك ناصحي * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لا محالة أنه * من خير أديان البرية دينا * لولا الملامة أو حذار مسبة
* لوجدتني سمحا بذاك مبينا *

وحكمة تخصيصه صلى الله عليه وسلم الشمس والقمر بالذكر وجعل الشمس في اليمين والقمر في اليسار لا تخفى لان الشمس النير الاعظم واليمين أليق به والقمر النير المحو واليسار أليق به وخص النيرين حيث ضرب المثل بهما لان الذي جاء به نور قال الله تعالى يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره فلما أن عرفت قريش ان أبا طالب غير خاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد انهد أي اشد وأقوى فتى في قريش وأجمله فخذه فلك ولده فاتخذه ولدا فهو لك وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينه ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فقال لهم أبو طالب بئس ما تسومونني أتعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه هذا والله لا يكون أبدا أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها فقال المطعم بن عدي والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما أراك تريد أن تقبل شيئا منهم فقال له أبو طالب والله ما أنصفوني ولكن قد أجمعت أي قصدت خذلاني ومظاهرة القوم أي معاونتهم علي فاصنع ما بدا لك وعمارة بن الوليد هذا قد مات على كفره بأرض الحبشة بعد أن سحر وتوحش وسار في البراري والقفار ومات المطعم بن عدي على كفره أيضا فعند عدم قبول أبي طالب اشتد الامر ولما رأى أبو طالب من قريش ما رأى دعا بني هاشم وبني المطلب الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فأجابوه الى ذلك غير أبي لهب فكان من المجاهرين بالظلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل من آمن به وتوالى الاذى من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى من أسلم معه فمما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عمه العباس رضي الله عنه قال كنت يوما في المسجد فأقبل أبو جهل فقال لله علي ان رأيت محمدا ساجدا أن أطأ عنقه فخرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بقول أبي جهل فخرج غضبان حتى دخل المسجد فعجل أن يدخل من الباب فاقتحم من الحائط وقرأ اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق الى أن بلغ آخر السورة فسجد فقال انسان لابي جهل يا أبا الحكم هذا محمد قد سجد فأقبل اليه ثم نكص راجعا فقيل له في ذلك فقال أبو جهل ألا ترون ما أرى وفي رواية رأيت بيني وبينه خندقا من نار وسيأتي أن قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة نزل في أبي جهل ومن ذلك ما حدث به بعضهم قال ذكر لنا أن أبا جهل قال يوما لقريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب دينكم وشتم آلهتكم وتسفيه أحلامكم وسب آبائكم واني أعاهد الله لاجلس له يعني النبي صلى الله عليه وسلم غدا بحجر لا أطيق حمله فاذا سجد في صلاته رضخت به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله لا نسلمك لشئ أبدا فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى الصلاة وكان يصلي بين الركن اليماني والحجر الاسود وقريش جلوس في أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه أي متغيرا بالصفرة مع الكدرة من الفزع قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده بعد أن عالجوا فكه منها فلم يقدروا وقامت اليه رجال من قريش وقالوا ما لك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي فحل من الابل ما رأيت مثله قط هم أن يقتلني فلما ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لاخذه والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأبو جهل اذ رأى عنق الفحل اليه كأنه العنقاء

وفي رواية ان أبا جهل قال رأيت بيني وبينه خندقا من نار ولا مانع من وجود الامرين معه وذكروا في سبب نزول قوله تعالى انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون أي رافعون رؤسهم لا يستطيعون

يبلغ الامة لزمهم كما بلغ سائر التكاليف وبالجملة لو فرض عدم وجود نص على استخلاف أبي بكر رضي الله عنه فاجماع الصحابة على استخلافه دليل قطعي أقوى من كل دليل وارد من طريق الآحاد كيف وقد حصل مع اجماعهم النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة كما تقدم بيان ذلك (وأما ما تقوله الشيعة) من الاكاذيب التي سودوا بها صحفهم وصحائفهم من ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه ونص عليه فعدل الصحابة عن ذلك وخالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم فذلك كله كذب وزور لم يثبت شئ منه بل ثبت عن علي رضي الله عنه خلاف ما يزعمون وتواتر ذلك عنه كما تقدم بيانه وفي البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه لما سئل هل خصكم النبي صلى الله عليه وسلم بشئ فقال

ثم ضربها من أقمح البعير رفع رأسه وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون أن الآية الاولى نزلت في أبي جهل فانه لما حمل الحجر ليرضخ به رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعه اثبتت يداه الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد الى اصحابه اخبرهم فلم يفكوا الحجر من يده الا بعد تعب شديد والآية الثانية نزلت في آخر لما رأى ما وقع لابي جهل قال أنا أقتل هذا الحجر عليه فذهب اليه فلما اقترب منه عمي بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع اليهم فاخبرهم بذلك وعن الحكم بن أبي العاص وهو أبو مروان بن الحكم ان ابنته قالت له ما رأيت قوما كانوا أسوأ رأيا واعجز في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم يا بني أمية فقال لا تلومينا يا بنية اني لا أحدثك الا ما رأيت لقد أجمعنا الليلة على اغتياله فلما رأيناه يصلي ليلا جئناه من خلفه فسمعنا صوتا ظننا أنه ما بقي بتهامة جبل الا تفتت علينا أي ظننا أنه يتفتت ويقع علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى أهله ثم تواعدنا ليلة أخرى فلما جاء نهضنا اليه فرأينا الصفا والمروة التصقت احداهما بالاخرى فحالتا بيننا وبينه وفي رواية كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فجاءه أبو جهل فقال ألم أنهك عن هذا فانزل الله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من صلاته زبره أبو جهل أي انتهره وقال انك لتعلم أن ما بها أكثر ناديا مني فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس رضي الله عنهما لو دعا ناديه لاخذته زبانية الله وقال يوما للنبي صلى الله عليه وسلم لقد علمت اني أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم فانزل الله فيه ذق انك أنت العزيز الكريم قال الواحدي أي تقول له الزبانية عند تعذيبه في النار ما ذكر توبيخا له ومن ذلك أنه لما أنزل الله تعالى سورة تبت يدا أبي لهب جاءت امرأة أبي لهب وهي أم جميل قال بعضهم الاولى بها أم قبيح واسمها العوراء وقيل أروى بنت حرب أخت أبي سفيان ولها ولولة وبيدها فهر أي حجر ملء الكف فيه طول تدق به الهاون الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه فلما رآها قال يا رسول الله انها امرأة بذية أي تأتي بالفحش من القول فلو قمت كي لا تؤذيك فقال انها لن تراني فجاءت فقالت يا أبا بكر صاحبك هجاني وفي لفظ ما شأن صاحبك ينشد في الشعر قال لا والله وما يقول الشعر أي ينشئه وفي لفظ لا ورب هذا البيت ما هجاك والله ما صاحبي شاعر أي لا يحسن انشاءه فقالت له أنت عندي لصادق وانصرفت وهي تقول قد علمت قريش أني بنت سيدها تعني عبد مناف جد أبيها أي ومن كان عبد مناف أباها لا ينبغي لاحد أن يتجاسر على ذمه قال أبو بكر رضي الله عنه قلت يا رسول الله لم ترك قال لم يزل ملك يسترني بجناحيه وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر قل لها هل ترين عندي أحدا فسألها أبو بكر فقالت أتهزأ بي والله ما أرى عندك أحدا وفي رواية أنها جاءت وهو صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وفي يدها فهر فلما وقفت على النبي صلى الله عليه وسلم أخذ الله على بصرها فلم تره ورأت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فاقبلت على أبي بكر رضي الله عنه فقالت له أين صاحبك قال وما تصنعين به قالت بلغني أنه هجاني والله لو وجدته لضربته بهذا الحجر فقال عمر رضي الله عنه ويحك انه ليس بشاعر فقالت اني لا أكلمك يا ابن الخطاب لما تعلمه من شدته ثم أقبلت على أبي بكر رضي الله عنه لما تعلمه من لينه فقالت والثواقب أي النجوم انه لشاعر واني لشاعرة أي فكما هجاني لاهجونه وانصرفت فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انها لم تراك فقال انها لن تراني جعل بيني وبينها حجاب أي لانه قرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وفي رواية أقبلت ومعها فهر وهي تقول مذمما أبينا * ودينه قلينا * وأمره عصينا * فقالت أين الذي هجاني وهجا زوجي والله لئن رأيته لاضربنه بهذا الفهر بين قال أبو بكر يا أم جميل والله ما هجاك ولا هجا زوجك قالت والله ما أنت بكذاب وان الناس ليقولون ذلك ثم ولت ذاهبة فقلت يا رسول الله انها لم تراك فقال النبي صلى الله عليه وسلم حال بيني وبينها جبريل ولعل مجيئها قد تكرر فلا منافاة بين الروايات وكما يقال في الحمد محمد يقال في الذم مذمم لانه لا يقال ذلك الا لمن ذم مرة بعد أخرى كما أن محمدا لا يقال الا لمن حمد مرة بعد أخرى وقد جاء انه صلى الله عليه وسلم قال كيف صرف الله عني شتم قريش ولعنهم يشتمون مذمما ويلعنون مذمما وأنا محمد وفي الدر المنثور للجلال

ما خصنا بشيء الا ما في هذه الصحيفة أو فهما يعطاه الرجل في كتاب الله تعالى وكان في تلك الصحيفة شيء من الاحكام الشرعية ليس في شيء منها التعرض لامر الخلافة وتقدم ذكر قوله رضي الله عنه لو كان عندي عهد في ذلك ما تركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يثبان على منبره صلى الله عليه وسلم ولقاتلتهما بيدي ولو لم أجد الا بردتي وصح من طرق كثيرة ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ابسط يدك أبايعك فلا يختلف عليك اثنان فابى علي رضي الله عنه ولو علم وجود نص لقبل ذلك ولم يتأخر عنه لا سيما ومعه العباس والزبير وبنو هاشم وغيرهم * وأقبح من كل قبيح قول الشيعة انه علم النص وكتمه حاشاه الله من ذلك وأخرج الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما

السيوطي أنها أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في الملأ فقالت يا محمد علام تهجوني قال والله اني ماهجوتك ماهجاك الا الله قالت أرأيتني أحمل حطبا أو رأيت في جيدي حبلا من مسد وهذا يؤيد ما قاله بعض المفسرين ان الحطاب عبارة عن النميمة يقال فلان يحطب على أي ينم لانها كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتغري زوجها وغيره بعداوته صلى الله عليه وسلم وتبلغهم عنه أحاديث تحثهم بها على عداوته وان الحبل عبارة عن حبل من نار محكم وعن عروة بن الزبير مسد النار سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا والله اعلم والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

وأعدت حمالة الحطب الفهر * وجاءت كأنها الورقاء * يوم جاءت غضبى تقول أفي مثـ

ـلي من أحمد يقال الهجاء * وتولت وما رأته ومن أيـ * ـن ترى الشمس مقلة عمياء

وقيل معنى كونها حمالة الحطب انها كانت تحمل الشوك والحسك وتطرحه في طريقه صلى الله عليه وسلم ولا مانع من اجتماع الاوصاف فيها وقوله كأنها الورقاء يعني أنها جاءت وهي في غاية السرعة والعجلة كأنها في شدة السرعة والعجلة الحمامة الشديدة الاسراع يروى أنها لما بلغتها سورة تبت يدا أبي لهب جاءت الى أخيها ابي سفيان أي بناء على ان امرأة أبي لهب هي أروى بنت حرب كما تقدم فدخلت في بيته وهي مضطرمة أي محترقة غضبا فقالت له ويحك يا أحمس أي شجاع أما تغضب ان هجاني محمد فقال سأكفيك اياه ثم أخذ سيفه وخرج ثم عاد سريعا فقالت له هل قتلته فقال لها يا أختي أيسرك ان رأس أخيك في فم ثعبان قالت لا والله فقال كاد ذلك يكون الساعة أي فانه رأى ثعبانا لو قرب أبو سفيان من النبي صلى الله عليه وسلم لالتقم ذلك الثعبان رأسه ولما نزلت هذه السورة التي هي تبت يدا أبي لهب قال أبو لهب لابنه عتيبة بصيغة التكبير وقد أسلم عام الفتح مع أخيه معتب رضي الله عنهما رأسك من رأسي حرام ان لم تفارق ابنة محمد يعني رقية رضي الله عنها فانه كان تزوجها ولم يدخل بها ففارقها وكان أخوهما عتيبة بالتصغير متزوجا بابنته صلى الله عليه وسلم أم كلثوم ولم يدخل بها أيضا وكان نكاح المشرك للمسلمة غير ممنوع في صدر الاسلام ثم حرمه تعالى بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وبقوله تعالى في صلح الحديبية فلا ترجعوهن الى الكفار الآية فقال عتيبة وقد أراد الذهاب الى الشام لآتين محمدا فلاوذينه في ربه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم وفي رواية برب النجم اذا هوى وبالذي دنى فتدلى ثم بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته أي طلقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم سلط وفي رواية ابعث عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها أبو طالب وقال ما أغناك يا ابن أخي عن هذه الدعوة فرجع عتيبة الى أبيه فأخبره بذلك ثم خرج هو وأبوه الى الشام في جماعة فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من دير فقال لهم ان هذه الارض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه انكم قد عرفتم نسبي وحقي فقالوا أجل يا أبا لهب فقال أعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني أخاف على ابني دعوة محمد فاجمعوا امتاعكم الى هذه الصومعة ثم افرشوا لابني عليه ثم افرشوا لكم حوله ففعلوا ثم جمعوا جمالهم وأناخوها وأحدقوا بعتيبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتيبة فقتله وفي رواية فضخ رأسه وفي رواية ثنى ذنبه ووثب وضربه بذنبه ضربة واحدة فخدشه فمات مكانه وفي رواية فضغمه ضغمة كانت اياها فقال وهو بآخر رمق ألم أقل لكم ان محمدا أصدق الناس لهجة ومات فقال أبوه قد عرفت والله ما كان لينفلت من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم والاسد يسمى كلبا في اللغة ومما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم من الاذية ما حدث به عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وهو يصلي وقد نحر بعض الناس جزورا وبقي فرثه أي روثه وكرشه فقال أبو جهل ألا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد وفي رواية ألا تنظرون الى هذا المرائي أيكم يقوم الى جزور بني فلان فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه وفي رواية أيكم يأخذ سلا جزور بني فلان لجزور ذبحت من يوم أو ثلاثة فيضعه بين كتفيه اذا سجد فقام شخص من المشركين وفي لفظ أشقى القوم وهو عقبة بن أبي معيط وجاء بذلك الفرث فألقاه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فضحكوا وجعل بعضهم يميل الى بعض

ان أبا بكر رضي الله عنه لما أراد قتال أهل الردة أراد أن يخرج اليهم بنفسه فلما برز واستوى على راحلته أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بزمامها وقال الى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا فيك لا يكون للاسلام نظام أبدا فرجع وبعث خالد بن الوليد رضي الله عنه لقتال أهل الردة (وأخرج) البيهقي عن الشافعي رضي الله عنه قال ان الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر فولوه رقابهم وذلك ان الصحابة رضي الله عنهم لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم خافوا الافتراق وتفرق الكلمة فأحبوا أن يبايعوا خليفة ترجع كلمة

من شدة الضحك قال ابن مسعود رضي الله عنه فهبنا أي خفنا أن نلقيه عنه وفي لفظ وأنا قائم أنظر لو كانت لي
منعة اطرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها بعد أن ذهب اليها انسان
وأخبرها بذلك واستمر صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته عنه واستمراره عند من يقول بنجاسة ذلك لعدم
علمه بنجاسة الموضوع ولما ألقته أقبلت عليهم تشتمهم فقام صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول وهو قائم يصلي
اللهم اشدد وطأتك أي عقابك الشديد على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف اللهم عليك بأبي
الحكم بن هشام يعني أبا جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن
الوليد وأمية بن خلف وفي رواية فلما قضى صلاته صلى الله عليه وسلم قال اللهم عليك بقريش ثم سمى اللهم
عليك بعمرو بن هشام الى آخر ما تقدم وفي رواية فلما قضى صلاته رفع يديه ثم دعا عليهم وكان اذا دعا دعا ثلاثا ثم
قال اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته ثم قال اللهم
عليك بأبي جهل بن هشام الحديث قال ابن مسعود والله لقد رأيتهم وفي رواية لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم
بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر والمراد أنه رأى أكثرهم لان عمارة بن الوليد مات بأرض الحبشة كافرا
مسحورا مجنونا وعقبة بن أبي معيط أخذ أسيرا يوم بدر وقتل بعرق الظبية وأمية بن خلف قتل يوم بدر ولكنه لم
يطرح في القليب بل أهالوا التراب عليه في مكانه لانتفاخه وتقطعه ولا مانع أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم
كرر هذا الدعاء وأتى به وهو قائم يصلي وبعد الفراغ من الصلاة فلا منافاة والمراد بسني يوسف القحط والجدب
فاستجاب الله دعاءه فاصابتهم سنة أكلوا فيها الجيف والجلود والعظام والعلهز وهو الوبر والدم أي يخلط الدم
بأوبار الابل ويشوى على النار وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء كالدخان من الجوع وجاءه صلى الله
عليه وسلم جمع من المشركين فيهم أبو سفيان وقالوا يا محمد انك تزعم أنك بعثت رحمة وأن قومك قد هلكوا
فادع الله لهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقوا الغيث فاطبقت السماء عليهم سبعا فشكا الناس كثرة
المطر فقال اللهم حوالينا ولا علينا فانحدرت السحابة وجاءانهم قالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون
أي لا نعود لما كنا فيه فلما كشف عنهم عادوا وقال بعضهم ان هذا انما كان بعد الهجرة فانه صلى الله عليه وسلم
مكث شهرا اذا رفع رأسه من ركوع الركعة الثانية من صلاة الفجر بعد قوله سمع الله لمن حمده يقول اللهم انج
الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين بمكة اللهم اشدد وطأتك على
مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف وربما فعل ذلك بعد رفعه من الركعة الاخيرة من العشاء قال
البيهقي قد روي في قصة أبي سفيان ما دل على ان ذلك كان بعد الهجرة ولعله كان مرتين مرة قبل الهجرة
ومرة بعدها لصحة كل من الروايتين وفي البخاري لما استعصت قريش على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم
بسنين كسني يوسف فبقيت السماء سبع سنين لا تمطر وفي رواية في البخاري أيضا لما أبطؤا على النبي صلى
الله عليه وسلم بالاسلام قال اللهم اكفنيهم بسبع سنين كسبع يوسف فاصابتهم سنة حصت كل شئ وفي رواية
اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى
السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فانزل الله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين
يغشى الناس هذا عذاب أليم فاتى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله استسق
لمضر فانها قد هلكت فدعا لهم صلى الله عليه وسلم فسقوا فلما أصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم فانزل الله يوم
نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون يعني يوم بدر ومن ذلك ما حدث به عثمان بن عفان رضي الله عنه
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالبيت ويده على يد أبي بكر رضي الله عنه وفي الحجر ثلاثة نفر
جلوس عقبة بن أبي معيط وأبو جهل بن هشام وأمية بن خلف فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حاذاهم
أسمعوه بعض ما يكره فعرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فدنوت منه ووسطته أي جعلته وسطا فكان
بيني وبين أبي بكر فادخل أصابعه في أصابعي وطفنا فلما حاذاهم قال أبو جهل والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة
وأنت تنهى أن نعبد ما يعبد آباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا على ذلك ثم مشى عنهم فصنعوا به في

المسلمين اليه فاجتمع جماعة
من المهاجرين والانصار في
سقيفة بني ساعدة فاراد بعض
الانصار ان يبايعوا سعد بن
عبادة سيد الخزرج رضي
الله عنه فاحتج عليهم
المهاجرون بقول النبي صلى
الله عليه وسلم الائمة من
قريش ثم قال رجل من
الانصار يا معشر المهاجرين
ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا استعمل
الرجل منكم يقرن معه
رجلا منا فنرى ان يلي هذا
الامر رجلان منا ومنكم
فتتابع جماعة منهم على
ذلك يقولون منا أمير ومنكم
أمير فقام زيد بن ثابت
الانصاري رضي الله عنه
فقال أتعلمون ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان
من المهاجرين وخليفته
من المهاجرين ونحن كنا
أنصار رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنحن أنصار

الشوط الثالث مثل ذلك حتى اذا كان الشوط الرابع فاموا له صلى الله عليه وسلم ووثب أبو جهل يريد أن يأخذ بمجامع ثوبه فدفعت في صدره فوقع على أسته ودفع أبو بكر أمية ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عقبة بن أبي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف ثم قال أما والله لا تنتهون حتى يحل عليكم عقابه أي ينزل عليكم عاجلا قال عثمان رضي الله عنه فوالله ما منهم رجل الا وقد أخذته الرعدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف الى بيته وتبعناه حتى انتهى الى باب بيته ثم أقبل علينا بوجهه فقال أبشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ومتم كلمته وناصر نبيه ان هؤلاء ترون من يذبح منهم على أيديكم عاجلا ثم انصرفنا الى بيوتنا فوالله لقد ذبحهم الله بأيدينا يوم بدر أي بأيدي الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر بالنظر الى غالبهم فلا ينافي كون عثمان رضي الله عنه تأخر بالمدينة لاجل مرض رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمها الى أن توفيت فهو معدود من أهل بدر لانه في حاجة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا ينافي أيضا كون عقبة بن أبي معيط حمل أسيرا من بدر وقتل بعرق الظبية صبرا أي ضربت عنقه بعد حبسه وهم راجعون من بدر وجاء أيضا أن عقبة بن أبي معيط وطئ على رقبته الشريفة صلى الله عليه وسلم وهو ساجد حتى كادت عيناه تبرزان وفي رواية دخل عقبة بن أبي معيط الحجر فوجده صلى الله عليه وسلم يصلي فوضع ثوبه على عنقه صلى الله عليه وسلم وخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وفي البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بفناء الكعبة اذ أقبل عقبة بن أبي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل أبو بكر وأخذ بمنكبيه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال ما رأيت قريشا أصابت من عداوة أحد ما أصابت من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد حضرتهم يوما وقد اجتمع ساداتهم وكبراؤهم في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما صبرنا لامر قط كصبرنا لامر هذا الرجل ولقد سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم فبينا هم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر عليهم لمزوه ببعض القول فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرفنا ذلك في وجهه ثم مر بهم الثالثة فوقف عليهم وقال أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح فارتعبوا لكلمته تلك وما بقي رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون يا أبا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغه منكم وما بلغكم منه حتى اذا نادأكم بما تكرهون تركتموه فبينا هم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به وهم يقولون أنت الذي تقول كذا وكذا يعنون عيب آلهتهم ودينهم فقال نعم أنا الذي أقول ذلك فاخذ رجل منهم بمجمع ردائه صلى الله عليه وسلم فقام أبو بكر رضي الله عنه وهو يبكي ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله فاطلقه الرجل ووقعت الهيبة في قلوبهم فانصرفوا فذلك أشد ما رأيتهم نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية قالوا ألست تقول في آلهتنا كذا وكذا قال بلى فتشبثوا به باجمعهم فاتى الصريخ الى أبي بكر رضي الله عنه فقيل له أدرك صاحبك فخرج أبو بكر رضي الله عنه حتى دخل المسجد فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس مجتمعون عليه فقال ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبلوا على أبي بكر رضي الله عنه يضربونه وقالت بنته اسماء رضي الله عنها فرجع الينا فجعل لا يمس شيأ من غدائره الا أجابه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال والاكرام وجاء انهم مرة اجتمعوا عليه صلى الله عليه وسلم وجذبوا رأسه الشريف ولحيته حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو يبكي ويقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله فقال

خليفته كما كان أنصاره ثم أخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال هذا صاحبكم فبايعه عمر ثم بايعه المهاجرون والانصار رواه بهذا السياق الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وصح من طرق كثيرة انهم لما اجتمعوا في السقيفة واحتج المهاجرون على الانصار بقوله صلى الله عليه وسلم الائمة من قريش قال أبو بكر رضي الله عنه رضيت لكم أحد هذين الرجلين وأخذ بيد عمر وأبي عبيدة بن الجراح فلم يقبل عمر وكان يقول والله لان أقدم فتضرب عنقي أحب الي من ان أقام على قوم فيهم أبو بكر فقال الحباب ابن المنذر الانصاري رضي الله عنه منا أمير ومنكم أمير وكثر اللغط وارتفعت الاصوات قال عمر رضي الله عنه فخشيت الاختلاف

رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهم يا أبا بكر فوالذى نفسى بيده انى بعثت اليهم بالذبح فانفرجوا عنه وعن فاطمة رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم قالت اجتمع مشركو قريش فى الحجر يوما فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل منا بسيفه ضربة فنقتله فسمعتهم فدخلت على أبى وأنا أبكى فقلت له تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا فى الحجر حلفاء واباللات والعزى ومنات واساف ونائلة اذا هم رأوك يقومون اليك فيضربونك باسيافهم فيقتلونك فقال يا بنية اسكتى وفى لفظ لا تبكى ثم خرج بعد أن توضأ فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤسهم ثم نكسوا فأخذ قبضة من تراب فرمى بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما رجل منهم أصابه ذلك الا قتل ببدر وكان بجواره صلى الله عليه وسلم جماعة يؤذونه منهم أبو لهب والحكم بن أبى العاص وأمية والد مروان وعقبة بن أبى معيط فكانوا يطرحون عليه الاذى فى داره فاذا طرحوا عليه أخذه وخرج به ووقف به على بابه ويقول يا بنى عبد مناف أى جوار هذا ثم يلقيه ولم يسلم منهم الا الحكم وكان فى اسلامه شئ ونفاه النبى صلى الله عليه وسلم الى الطائف وأشار صاحب الهمزية الى أن هذه الاذايا ليست منقصة له صلى الله عليه وسلم بل هى مما تزيده رفعة وهى دليل على فخامة قدره وعلو مرتبته وعظم رفعته ومكانته عند ربه لكثرة صبره واحتماله مع علمه باستجابة دعائه ونفوذ كلمته عند الله تعالى وقد قال صلى الله عليه وسلم أشد الناس بلاء الانبياء وذلك سنة من سنن النبيين السابقين صلى الله عليه وعليهم أجمعين بقوله

لا تخل جانب النبى مضاما * حين مسته منهم الاسواء * كل أمر ناب النبيين
فالشدة فيه محمودة والرخاء * لو يمس النضار هون من النار * لما اختير للنضار الصلاء

ومما وقع لابى بكر رضى الله عنه من الاذية ما ذكره بعضهم كما فى السيرة الحلبية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل دار الارقم ليعبد الله هو ومن معه من أصحابه سرا أى كما تقدم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلا ألح أبو بكر رضى الله عنه فى الظهور أى الخروج الى المسجد فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر انا قليل فلم يزل به حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الصحابة رضى الله عنهم وقام أبو بكر فى الناس خطيبا ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس ودعا الى الله ورسوله فهو أول خطيب دعا الى الله تعالى فثار المشركون على أبى بكر رضى الله عنه وعلى المسلمين يضربونهم فضربوهم ضربا شديدا ووطئ أبو بكر رضى الله عنه بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة لعنه الله يضرب أبا بكر رضى الله عنه بنعلين مخصوفتين أى مطبقتين ويحرفهما الى وجهه حتى صار لا يعرف أنفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فاجلت المشركين عن أبى بكر رضى الله عنه الى أن أدخلوه منزله ولا يشكون فى موته أى ثم رجعوا فدخلوا المسجد فقالوا والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى أبى بكر وصار والده أبو قحافة وبنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان آخر النهار تكلم وقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه والله مالى علم بصاحبك فقال اذهبى الى أم جميل بنت الخطاب أخت عمر رضى الله عنه اى فانها كانت أسلمت وهى تخفى اسلامها فاسأليها عنه فخرجت اليها وقالت لها ان أبا بكر يسأل عن محمد بن عبد الله فقالت لا أعرف محمدا ولا أبا بكر ثم قالت لها أتريدين أن أخرج معك قالت نعم فخرجت معها الى أن جاءت أبا بكر رضى الله عنه فوجدته صريعا فصاحت وقالت ان قوما نالوا هذا منك لاهل فسق وانى لارجو أن ينتقم الله منهم فقال لها أبو بكر رضى الله عنه ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له هذه أمك تسمع قال فلا عين عليك منها اى انها لا تفشى سرك قالت سالم قال أين هو قالت فى دار الارقم فقال والله لا أذوق طعاما ولا أشرب شرابا أو آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت أمه فامهلناه حتى اذا هدأت الرجل وسكن الناس خرجنا به يتكئ على حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك فقال بابى أنت وأمى يا رسول الله مابى من باس الا ما نال الناس من وجهى وهذه أمى برة بولدها فعسى الله أن يستنقذها بك من النار فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها الى الاسلام فاسلمت وذكر الزمخشرى فى كتاب خصائص العشرة أن هذه الواقعة حصلت لابى بكر رضى الله عنه لما أسلم وأخبر قريشا باسلامه فليتامل

فقالت لابى بكر رضى الله عنه ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم الانصار قال عمر رضى الله عنه أما والله ما وجدنا فيما حضرنا أمرا هو أوفق من مبايعة أبى بكر رضى الله عنه خشينا ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة ان يحدثوا بعدنا بيعة فاما ان نبايعهم على ما لا نرضى واما ان نخالفهم فيكون فيه فساد (وأخرج) النسائى وأبو يعلى والحاكم باسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الانصار منا أمير ومنكم أمير فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا معشر الانصار ألستم تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أبا بكر ان يؤم الناس وأيكم تطيب نفسه ان يتقدم أبا

فان تعدد الواقعة بعيد ومما وقع لعبد الله بن مسعود رضى الله عنه من الاذية ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا يوما فقالوا والله ما سمعت قريش القرآن جهرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن منكم يسمعهم القرآن جهرا فقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنا فقالوا نخشى عليك منهم انما نريد رجلا له عشيرة تمنعه من القوم فقال دعونى فان الله سيمنعنى منهم ثم انه قام عند المقام وقت طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم فقال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا صوته الرحمن علم القرآن واستمر فيها فقالوا ما بال ابن أم عبد فقال بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر فى قراءتها حتى قرأ غالب السورة ثم انصرف الى أصحابه وقد أدمت قريش وجهه فقال له أصحابه هذا الذى خشينا عليك منه فقال والله ما رأيت أعداء الله أهون على منهم اليوم ولو شئتم لأتيتهم بمثلها غدا قالوا لا قد أسمعتهم ما يكرهون ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية أنه كان اذا قرأ القرآن تقف له جماعة عن يمينه وجماعة عن يساره ويصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار لانهم تواصوا بذلك وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه حتى كان من أراد منهم سماع القرآن أتى خفية واسترق السمع خوفا منهم ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ما كان سببا لاسلام عمه حمزة رضى الله عنه وهو ما حدث به ابن اسحاق قال حدثنى رجل من أسلم ان أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا وقيل عند الحجون فآذاه وشتمه ونال منه ما يكرهه وقيل انه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهناك مولاة لعبد الله بن جدعان فى مسكن لها تسمع ذلك وتبصره ثم انصرف أبو جهل الى نادى قريش أى محل تحدثهم فى المسجد فجلس معهم فلم يلبث حمزة أن أقبل متوشحا بسيفه راجعا من قنصه أى من صيده وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى أهله الا بعد أن يطوف بالبيت فمر على تلك المولاة فأخبرته الخبر فقالت له يا أبا عمارة وهى كنية لحمزة رضى الله عنه ويكنى أيضا بابى يعلى لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم بن هشام تعنى أبا جهل وجده ههنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد وقيل التى أخبرته مولاة أخته صفية بنت عبد المطلب قالت له انه صب التراب على رأسه وألقى عليه فرثا ووطئ برجله على عاتقه فقال لها حمزة أنت رأيت هذا الذى تقولين قالت نعم وفى رواية لما رجع حمزة من صيده اذا امرأتان تمشيان خلفه فقالت احداهما لو علم ماذا صنع أبو جهل بابن أخيه أقصر عن مشيته فالتفت اليهما فقال ما ذاك قالت أبو جهل فعل بمحمد كذا وكذا ولا مانع من تعدد الاخبار من المرأتين والمولاتين فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فرأى أبا جهل جالسا فى القوم فأقبل نحوه حتى قام على رأسه ورفع القوس وضربه به فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول فرد على ذلك ان استطعت وفى لفظ ان حمزة لما قام على رأس أبى جهل بالقوس صار أبو جهل يتضرع اليه ويقول سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن أسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقامت رجال من بنى مخزوم عشيرة أبى جهل لينصروا أبا جهل فقالوا لحمزة ما نراك الا قد صبأت فقال حمزة وما يمنعنى وقد استبان لى منه أنه رسول الله والذى يقول حق والله لا أنزع فامنعونى ان كنتم صادقين فقال لهم أبو جهل دعوا أبا عمارة فانى والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا وبقى حمزة على اسلامه بعد أن وسوس له الشيطان فقال لنفسه لما رجع الى بيته أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك الموت خير لك مما صنعت ثم قال اللهم ان كان رشدا فاجعل تصديقه فى قلبى والا فاجعل لى مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انى وقعت فى أمر لا أعرف المخرج منه واقامة مثلى على ما لا أدرى أرشد هو أم غى شديدة فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله فى قلبه الايمان بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أنك لصادق فاظهر يا ابن أخى دينك فوالله ما أحب أن لى ما أظلته السماء وأنا على دينى الاول وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الواقعة سبب نزول قوله تعالى

بكر فقالت الانصار نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر (وأخرج) ابن سعد ان أبا عبيدة رضى الله عنه لما قال أبو بكر رضى الله عنه رضيت لكم أحد هذين الرجلين قال أبو عبيدة رضى الله عنه أتبايعونى وفيكم الصديق وثانى اثنين ولما انعقدت البيعة فى السقيفة كان على رضى الله عنه فى بيت فاطمة رضى الله عنها وعنده جماعة من بنى هاشم فصعد أبو بكر رضى الله عنه المنبر من الغد بعد بيعة السقيفة وبايعه الناس ونظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير رضى الله عنه فدعا به فجاء فقال قلت ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فبايعه ثم نظر

أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس يعني حمزة كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها يعني اباجهل وسر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة سرورا كثيرا لانه كان اعز فتى في قريش واشدهم شكيمة اى اعظامهم في عزة لنفس وشهامتها ومن ثم لما عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز كفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه وأقبلوا على بعض أصحابه بالاذية سيما المستضعفين منهم الذين لاجوار لهم اى لاناصر لهم فان كل قبيلة غدت على من أسلم منها تعذبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك حتى ان الواحد منهم لا يقدر ان يستوى جالسا من شدة الضرب الذي به وكان ابو جهل يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع بان رجلا اسلم له شرف ومنعة جاء اليه وبخه وقال له ليغلبن رايك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال والله لنكسدن تجارتك او يهلك مالك وان كان ضعيفا غرى به حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحرث بن ربيعة بن الاسود وابى القيس بن الوليد بن المغيرة وعلى بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج وكل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر ومنهم من ثبت على دينه كبلال وعمار وخباب وغيرهم وكان اسلام حمزة رضي الله عنه في السنة الثانية من النبوة على الصحيح وقيل في السنة السادسة وقال حمزة رضي الله عنه بعد ان أسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي * الى الاسلام والدين الحنيف * لدين جاء من رب عزيز
خبير بالعباد بهم لطيف * اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها * بآيات مبينة الحروف * وأحمد مصطفى فينا مطاع
فلا تغشوه بالقول العنيف * فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع * عليها الطير كالورد العكوف * وقد خبرت ما صنعت ثقيف
به فجزى القبائل من ثقيف * اله الناس شر جزاء قوم * ولا أسقاهم صوب الخريف

وحين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأى المشركون زيادة الصحابة اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة وأبو سفيان بن حرب ورجل من بني عبد الدار وأبو البختري والاسود بن المطلب وزمعة والوليد بن المغيرة وأبو جهل وعبد الله بن أبي أمية المخزومي وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج فاتوا منزل أبي طالب وسألوه أن يحضر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يأمره بازالة شكواهم وان يجيبهم الى امر فيه الالفة والصلاح فاحضره وقال يا ابن اخي هذا الملأ من قومك فاشكهم اى ازل شكواهم وتألفهم فقالوا يا محمد ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة فما من قبيح الاوقد جلبته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الامر الذي يأتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا أموالنا في طلب الطب أي العلاج لك حتى نبرئك منه أو نعذر فقال لهم عليه الصلاة والسلام ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني ان أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوا علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم وفي رواية اجتمع نفر من قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليات هذا الرجل الذي فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه قالوا ما نعلم غير عتبة بن ربيعة وفي رواية أن عتبة قال يوما وكان جالسا في نادي قريش والنبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا قالوا بلى فقام حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم

في وجوه القوم فلم ير علي بن أبي طالب رضي الله عنه فدعا به فجاء فقال قلت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته أردت ان تشق عصا المسلمين فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام فبايعه هكذا رواه الحاكم والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفي رواية رواها الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ان عليا والزبير رضي الله عنهما اعتذرا عن التاخر بانا ما تأخرنا الا انا أخرنا عن المشورة وانا نرى أبا بكر احق الناس بها انه لصاحب الغار وانا لنعرف شرفه وخيره ولقد امره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي واعتذر ابو بكر وعمر رضي الله عنهما عن عدم احضارهما وقت المشورة

وكفرت به من مضى من آبائهم وفي رواية لقد فضحتنا في العرب حتى طار فيهم أن في قريش ساحرا وان في قريش كاهنا ما تريد الا ان يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتى نتفانى فاسمع اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد اسمع قال يا ابن اخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا اي فيصير لك الامر والنهي وان كان هذا الذي يأتيك رئيا من الجن يقرئك لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع منه قال له أقد فرغت ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده الرحم ان يكف ثم انتهى الى السجدة فسجد ثم قال قد سمعت ابا الوليد فانت وذاك ثم ان عتبة لم يرجع الى القوم بل ذهب الى داره فظنوا اسلامه فذهبوا اليه وفي رواية رجع اليهم فقال لهم ابو جهل أرى ابا الوليد رجع اليكم بوجه غير الذي ذهب به ثم قالوا له ما وراءك فقال قد عرضت على محمد كذا وكذا فسمعت منه كلاما ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة وقد علمتم انه لا يكذب فخفت نزول العذاب عليكم فاطيعوني واعتزلوه فان يصبه غيركم كفيتموه وان ظهر فملكه ملككم وعزه عزكم وفي رواية فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به فقالوا سحرك بلسانه والله يا أبا الوليد فقال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم وفي رواية لما أكثروا عليه حلف باللات والعزى لا يكلم محمدا أبدا وفي رواية أن عتبة لما قام من عند النبي صلى الله عليه وسلم أبعد عنهم ولم يعد اليهم فقال أبو جهل والله يا معشر قريش ما أرى عتبة الا قد صبا الى محمد وأعجبه كلامه فانطلقوا بنا اليه فاتوه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما جئناك الا انك قد صبوت الى محمد وأعجبك أمره فقص عليهم القصة وقال والله الذي نصبها بنية يعني الكعبة ما فهمت شيأ مما قال غير أنه أنذركم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسكته بفيه وناشدته الرحم أن يكف وقد علمت ما أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل عليكم العذاب فقالوا له ويلك يكلمك الرجل بالعربية ولا تدري ما قال فقال والله ما هو بالشعر الى آخر ما تقدم فقالوا والله سحرك يا أبا الوليد فقال هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم ولا مانع أن يكون القوم جاؤه مرة مجتمعين وعرضوا عليه تلك الاشياء وأرسلوا له مرة عتبة بن ربيعة وحده وفي رواية لابن عباس رضي الله عنهما أن القوم لما عرضوا عليه الاشياء السابقة قالوا له أيضا فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهارا كالشام والعراق ويبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيهم قصي فانه كان شيخ صدق فنسالهم عما تقول أهو حق أم باطل وسله يبعث معك ملكا يصدقك ويراجعنا عنك ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عن المشي في الاسواق والتماس المعاش فان لم تفعل فاسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل ذلك فانا لن نؤمن لك الا أن يفعل ذلك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقالوا له مرة أيضا ارجع الى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل بكل ما تحتاج اليه في دنياك وآخرتك وقالوا له مرة أيضا ان تفعل فانا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح قال وما هي قالوا نعبد آلهتنا اللات والعزى سنة ونعبد الهك سنة فنشترك نحن وأنت في الامر فان كان الذي نعبده خيرا مما تعبده أنت كنت أخذت منه بحظك وان كان الذي تعبده أنت خيرا كنا قد أخذنا منه بحظنا فقال لهم حتى أنظر ما يأتيني من ربي فجاء الوحي بقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولي دين وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أن المشركين قالوا له اعبد معنا آلهتنا يوما ونعبد معك الهك عشرة واعبد معنا آلهتنا شهرا نعبد معك الهك سنة فنزلت أي لا أعبد ما تعبدون

في السقيفة بانهما خشيا من تأخير الامر فيحصل الاختلاف والافتراق فقبل كل منهم عذر صاحبه (وأخرج) الدارقطني ان ابابكر رضي الله عنه قال لعلي والزبير رضي الله عنهما والله ما كنت حريصا على الامارة يوما قط ولا ليلة ولا كنت فيها راغبا ولا سألتها الله عز وجل في سر ولا في علانية ولكني أشفقت من الفتنة ومالي في الامارة من راحة ولقد قلدت امرا عظيما فقبلا عذره * فهذه الروايات كلها تدل على ان عليا رضي الله عنه ما تأخر عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه وجاء في بعض الروايات انه تأخرت مبايعته الى ستة اشهر قال البيهقي ان الروايات التي جاءت عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان عليا والزبير رضي الله عنهما بايعا من أول الامر هي

يوما ولا أنتم عابدون ما أعبد عشرة ولا أنا عابد ما عبدتم شهرا ولا أنتم عابدون ما أعبد سنة روى ذلك التقدير عن جعفر الصادق رضي الله عنه ردا على بعض الزنادقة حيث قالوا طعنا في القرآن لو قال امرؤ القيس

* قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل *

وكرر ذلك مرتين أو أكثر في نسق أما كان عيبا فكيف وقع في القرآن قل يا أيها الكافرون الى آخر السورة وهي مثل ذلك وقوله لكم دينكم ولي دين نسخ بآية القتال وبقوله تعالى أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ولما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ائت بقرآن غير هذا حين غاظهم مافي القرآن من ذم عبادة الاوثان والوعيد الشديد أنزل الله ردا عليهم ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآيات وأنزل الله أيضا ما يكون لي ان أبدله من تلقاء نفسي الآية وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مجلسا فيه ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم أليس حسنا ما جئت به فقالوا بلى والله وفي لفظ هل ترون بما أقول بأسا فقالوا لا فجاء عبد الله بن أم مكتوم وهو ابن خال خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها وكان رجلا أعمى وهو ممن أسلم بمكة والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بأولئك القوم وقد رأى منهم مؤانسة وطمع في اسلامهم فصار يقول يا رسول الله علمني مما علمك الله وأكثر عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك فأعرض عن ابن أم مكتوم ولم يكلمه وفي رواية أشار الى قائد ابن أم مكتوم أن يكفه عنه حتى يفرغ من كلامه فكفه القائد فدفعه ابن أم مكتوم فعبس صلى الله عليه وسلم وأعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله في ذلك بقوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى الآيات فكان بعد ذلك اذا جاءه يقول مرحبا بمن عاتبني الله فيه ويبسط له رداءه وكان كفار قريش يقترحون على النبي صلى الله عليه وسلم آيات كثيرة يريدون أن يأتيهم بها وكان ذلك منهم تعنتا وعنادا وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الرغبة في اسلامهم رجاء أن يسلم الناس باسلامهم فكان يسأل الله تعالى ويتضرع اليه في اعطائهم ما يسألون واظهار تلك الآيات لهم وقد علم الله أنهم لو جاءتهم لا يؤمنون كما قال تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله وكانت جرت عادة الله القديمة المستمرة في خلقه ان أقوام الانبياء اذا اقترحوا الآيات وجاءتهم ولم يؤمنوا أخذوا بعذاب الاستئصال وكان في علم الله ان هذه الامة لا تؤخذ بعذاب الاستئصال تشريفا لها بنبيها صلى الله عليه وسلم فكان تأخر تلك الآيات التي يقترحونها رحمة وشفقة بهم أن يؤخذوا بعذاب الاستئصال قال تعالى وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون أي فأخذوا بعذاب الاستئصال فلو جاءت الآيات هؤلاء ولم يؤمنوا لاخذوا كما أخذ الاولون ثم ان منهم من هداه الله ومنهم من بقي على كفره وبعض الآيات التي اقترحوها جاءتهم كانشقاق القمر وبعد ذلك منهم من آمن ومنهم من كفر ومما سألوه واقترحوه قولهم له صلى الله عليه وسلم سل ربك يسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويجري فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسأله عما تقول أحق هو أم باطل وفي رواية فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا منزلتك من الله وانه بعثك الينا رسولا كما تقول فقال لهم صلى الله عليه وسلم ما بهذا بعثت لكم انما جئتكم من الله بما بعثني به وقالوا له مرة سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويراجعنا وفي لفظ قالوا له لم لا تنزل عليك الملائكة فتخبرنا بان الله أرسلك فنؤمن حينئذ بك وقال آخر منهم يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا واسأله أن يجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة تغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فلا بد أن تتميز عنا حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا وفي لفظ قالوا ان محمدا يأكل الطعام كما نأكل نحن ويمشي في الاسواق ويلتمس المعاش كما نلتمسه نحن فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة ولما قالوا له صلى الله عليه وسلم سل ربك أن يبعث معك ملكا ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة قال لهم صلى الله عليه وسلم ما أنا بالذي يسأل ربه هذا

الصحيحة التي صححها ابن حبان وغيره واما الروايات التي فيها انا تأخر بيعته هو وغيره من بني هاشم فضعيفة وقال بعض المحدثين يمكن الجمع بينهما بان عليا رضي الله عنه بايع اولا ثم انقطع لعذر عن أبي بكر رضي الله عنه ثم بايعه مرة اخرى فتوهم من لا يعرف باطن الامر ان تخلفه انما هو لعدم رضاه ببيعته وليس الامر كذلك وجاء في بعض الروايات ان عليا رضي الله عنه لما انقطع عن أبي بكر رضي الله عنه لقيه أبو بكر يوما فقال أكرهت امارتي فقال لا ولكن آليت ان لا أرتدي بردائي الا الصلاة حتى أجمع القرآن فقالوا ان هذا سبب انقطاعه فكتب القرآن على ترتيب نزول آياته فانظر الى هذا العذر الواضح منه رضي الله عنه وجاء في بعض الروايات انه انما تأخر

يروى أن كثيرا من هذه الاشياء خاطبوه بها فى آخر المجلس الذى كان مقبلا عليهم فيه حين جاءه ابن أم مكتوم وأبدلوا اللين الذى كان منهم فى أول المجلس بالغلظة فايس صلى الله عليه وسلم حينئذ منهم وقام حزينا أسفا على مافاته من هدايتهم التى طمع فيها وممن آذاه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أمية المخزومى وكان ابن عمته صلى الله عليه وسلم وهو أخو أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأمه عاتكة بنت عبد المطلب وكان من أشد الناس عليه وهذا كله قبل اسلامه ثم أسلم رضى الله عنه عام الفتح واستشهد فى غزوة الطائف قال للنبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم يا محمد قد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبل ثم سالوك أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول و يصدقوك و يتبعوك فلم تفعل ثم سالوك أن تعجل عليهم بعض ماتخوفهم به من العذاب فلم تفعل والله لن نؤمن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ثم تأتى معك بصك أى كتاب معه أربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك ماظننت أنى أصدقك فنزل الله تعالى عليه الآيات التى فيها شرح هذه المقالات فى سورة الاسراء فى قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الآيات وفيها الاشارة الى أن الله تعالى خيره بين أن يعطيهم جميع ما سالوا وانهم ان كفروا بعد ذلك استأصلهم الله بالعذاب كالامم السابقة وبين أن يفتح لهم باب الرحمة والتوبة لعلهم يتوبون واليه يرجعون فاختار الثانى لانه صلى الله عليه وسلم يعلم من كثير منهم العناد وانهم لا يؤمنون وان حصل ماسالوا فيستأصلوا بالعذاب لان الله تعالى يقول واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وقد حكى الله تعالى فى كتابه العزيز كثيرا من مقالاتهم وأجابهم عن كل شبهة خالجت قلوبهم قال تعالى حكاية عنهم وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها فاجاب الله عن ذلك بقوله وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام و يمشون فى الاسواق ولما استعظموا أن يكون الرسول بشرا وقالوا الله أعظم أن يكون رسوله بشرا مثلنا أنزل الله تعالى وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وأنزل الله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم ورد الله عليهم سؤالهم رؤية الملائكة بانهم لا يستطيعون رؤيتهم ولو جعل الملك على صورة البشر لالتبس الامر عليهم ولو بقى على صورته لقضى الامر عليهم باخذهم بالاستئصال أو لعدم ثباتهم عند رؤيته ولو أنزل الله الملائكة بكتاب من السماء وهم شاهدونهم كما سالوا لقالوا ان ذلك سحر أو قالوا انما سكرت أبصارنا كما حكى الله ذلك بقوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون وقال تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون وقال تعالى ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وقال تعالى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى أى فانهم لا يؤمنون وقال تعالى فى الرد عليهم حين صاروا يسالون كتابا فيه خطابهم وأسماؤهم وأسماء آبائهم فمالهم عن التذكرة معرضين كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة وقال تعالى حكاية عنهم واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله وقال تعالى فى الرد عليهم فى قولهم أو يلقى اليه كنز الآية تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجرى من تحتها الانهار و يجعل لك قصورا ولما أنكروا عليه التزوج بالنساء وطلب الذرية كغيره من البشر رد الله عليهم بقوله ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية والحاصل أن الله لم يبق لهم شبهة يتمسكون بها وكلما أتوا بشبهة يوهمون أنها حجة لهم ردها الله عليهم باحسن الرد كما قالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فرد الله عليهم بقوله كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا أى نزلناه كذلك أى مفرقا بحسب الوقائع لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ومما قالوه له أسقط علينا السماء كسفا

لما كان بين أبى بكر وفاطمة رضى الله عنهما فى طلب الميراث وسياتى بيان ذلك و بالجملة فقد وقع اتفاق الصحابة رضى الله عنهم على بيعة أبى بكر رضى الله عنه و انعقد اجماعهم عليها وصح من طرق كثيرة ان عليا رضى الله عنه بعد وفاة فاطمة رضى الله عنها أرسل الى أبى بكر رضى الله عنه ان ائتنا فأتاهم أبو بكر رضى الله عنه فتشهد على رضى الله عنه ثم قال انا قد عرفنا فضلك وما أعطاك الله ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله اليك ولكنك استبددت بالامر علينا فى المشورة وكنا نرى لقرابتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لنا نصيبا فى المشورة ففاضت عينا أبى بكر رضى الله عنه ثم تكلم فقال والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الى من

أي قطعا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل ذلك فرد الله عليهم بقوله وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وقالوا مرة بلغنا أن الذي يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لن نؤمن بالرحمن أبدا وقد عنوا بالرحمن مسيلمة وقيل عنوا كاهنا كان لليهود باليمامة وقد رد الله تعالى عليهم بان الرحمن المعلم له هو الله تعالى فقال تعالى قل هو أي الرحمن ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب وقال تعالى رد السؤالهم رؤية ربهم وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة اونرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وعن محمد بن كعب القرظي أن الملأ من قريش أقسموا للنبي صلى الله عليه وسلم بالله عز وجل أنهم يؤمنون به اذا صار الصفا ذهبا فقام يدعو الله أن يعطيهم ما سالوا فاتاه جبريل فقال له ان شئت كان ذلك ولكني لم آتهم بآية اقترحوها فلم يؤمنوا بها الا أمرت بعذابهم وفي رواية أتاه جبريل فقال له يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول ان شئت أن يصبح لهم الصفا ذهبا فعلت فان لم يؤمنوا به أنزلت عليهم عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين وان شئت أن لا يصير لهم الصفا ذهبا فتحت لهم باب التوبة والرحمة وفي رواية وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال بل حتى يتوب تائبهم وانما وافق صلى الله عليه وسلم على فتح باب التوبة والرحمة لأنه صلى الله عليه وسلم علم أن سؤالهم لذلك جهل منهم لانهم خفيت عليهم حكمة ارسال الرسل وهي امتحان الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل ليكون ايمانهم عن نظر واستدلال فيحصل الثواب لمن فعل ذلك ويحصل العقاب لمن أعرض عنه اذ مع كشف الغطاء يحصل العلم الضروري فلا يحتاج الى ارسال الرسل ويفوت الايمان بالغيب وأيضا لم يسالوا ما سالوا من تلك الآيات الا تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك اذ قد جاءتهم آيات أعظم مما اقترحوا فلم يؤمنوا بها وذلك كالقرآن العزيز المشتمل على الاخبار بالمغيبات وأخبار الامم السالفة كما قال تعالى أولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون وقد اشتمل كثير من السور على جملة من الآيات كسورة الانعام والنحل والشعراء وقال فيها عقب كل آية ان في ذلك لآية وقال في آخرها أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وهم يعلمون أن الذي جاءهم به لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم ولم ينتقل من بين أظهرهم وما جاء بذلك الا بعد أن بلغ أربعين سنة قال تعالى ردا عليهم فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون وقال تعالى عقب قصة موسى عليه السلام وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكنا أنشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك وقال تعالى في قصة مريم وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون وقال تعالى في قصة يوسف واخوته عليهم السلام وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون وقال في شان آدم عليه السلام ما كان لي من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون ان يوحى الي الا انما أنا نذير مبين ثم بين قصة الملأ الأعلى بقوله اذ قال ربك للملائكة الخ وقال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون وكانوا كلما سمعوا منه قصة من اخبار الانبياء والامم السالفة يسالون عنها علماء اليهود والنصارى فيجدون الامر كما أخبر صلى الله عليه وسلم ولم يجدوا عليه خلالا في كلمة قط قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وهذا لم يجدوا فيه اختلافا قليلا ولا كثيرا فهذه كلها آيات وكان أبو جهل لعنه الله يقول تزاحمنا نحن وبنو عبد المطلب الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبدا الا أن ياتينا وحي كما ياتيه فانزل الله تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله والحاصل أنهم انحيرت عقولهم فيما جاء به صلى الله عليه وسلم فمن طبع الله على قلبه منهم قال انه سحر وكهانة وأساطير الاولين ومنهم من قال انما يعلمه بشر يعنون عبد ابن الحضرمي نصرانيا كان النبي صلى الله عليه وسلم يجالسه رجاء هدايته وكان

ن أصل من قرابتي واما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الاموال فاني لم آل فيها عن الخير ولم أترك أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيها الا صنعته فقال علي لابي بكر رضي الله عنهما موعدك العشية للبيعة فلما صلى أبو بكر رضي الله عنه الظهر رقي على المنبر وتشهد وذكر شان علي وتخلفه عن البيعة وذكر عذره ثم تشهد علي رضي الله عنه وعظم حق أبي بكر رضي الله عنه وحدث انه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على أبي بكر رضي الله عنه ولا انكار للذي فضله الله به قال ولكنا نرى ان لنا في هذا الامر نصيبا يعني المشورة في أمر البيعة كما يدل عليه بقية الروايات فاستبد علينا فوجدنا في أنفسنا فسر المسلمون بذلك وقالوا أصبت

لسانه أعجميا فرد الله عليهم بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين وقد أشار صاحب الهمزية الى كثير من ذلك بقوله

عجبا للكفار زادوا ضلالا * بالذى فيه للعقول اهتداء * والذى يسألون منه كتاب
منزل قد أتاهم وارتقاء * أولم يكفهم من الله ذكر * فيه للناس رحمة وشفاء
أعجز الانس آية منه والجن فهلا تأتى به البلغاء * كل يوم تهدى الى سامعيه
معجزات من لفظه القراء * تتحلى به المسامع والافواه فهو الحلى والحلواء
رق لفظا وراق معنى لجاءت * فى حلاها وحليها الخنساء * وأرتنا فيه غوامض فصل
رقة من زلاله وصفاء * انما تجتلى الوجوه اذا ما * جليت عن مرآتها الاصداء
سورمنه أشبهت صورا منا ومثل النظائر النظراء * والاقاويل عندهم كالتماثيل
فلا يوهمنك الخطباء * كم أبانت آياته من علوم * عن حروف أبان عنها الهجاء
فهى كالحب والنوى أعجب الزراع منها سنابل وزكاء * فأطالوا فيه التردد
والريب فقالوا سحر وقالوا افتراء * واذا البينات لم تغن شيأ * فالتماس الهدى بهن عناء
واذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله الفصحاء

وقال الوليد بن المغيرة يوما أينزل القرآن على محمد وأترك أنا وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود الثقفى وهو عروة بن مسعود سيد ثقيف ونحن عظماء القريتين يعنى مكة والطائف فأنزل الله تعالى وقالوا لولا نزل أى هلا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فرد الله عليهم بقوله أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون وفى رواية قال بعضهم كان الأحق بالرسالة الوليد بن المغيرة من أهل مكة أو عروة بن مسعود الثقفى من أهل الطائف ثم ان كفار قريش بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن أبى معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهما اسألاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم أهل الكتاب الاول أى التوراة وعندهم علم ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة وسألا احبار اليهود وقالا لهم أتيناكم لامر حدث فينا من غلام يتيم حقير يقول قولا عظيما يزعم أنه رسول الله وفى لفظ رسول الرحمن قالوا صفوا لنا صفاته فوصفوا فقالوا من تبعه منكم قالوا سفلتنا فضحك حبر منهم وقال هذا النبى الذى نجد نعته ونجد قومه أشد الناس له عداوة ثم قالت لهم احبار اليهود سلوه عن ثلاث فان أخبركم بهن على ما هى عليه فان بين اثنين منها وسكت عن الثالث فهو نبى مرسل وان لم يفعل فمتقول سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول يعنون بذلك أهل الكهف فانه كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وما كان من نبئه يعنون بذلك ذا القرنين وسلوه عن الروح ما هى فاذا أخبركم بحقيقة الاولين وبعارض من عوارض الثالث وهو كونها من أمر الله فاتبعوه فرجع النضر وعقبة الى قريش وقالا لهم قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد وأخبراهم الخبر فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم وسألوه عن ذلك فقال لهم عليه الصلاة والسلام أخبركم غدا ولم يستثن أى لم يقل ان شاء الله تعالى وانصرفوا فمكث صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوما وقيل ثلاثة أيام لا يأتيه الوحى وتكلم قريش فى ذلك فقالوا ان محمدا قلاه ربه وتركه ومن جملة من قال ذلك أم قبيح امرأة عمه أبى لهب قالت له ما أرى صاحبك الا قد ودعك وقلاك أى تركك وأبغضك وفى رواية قالت امرأة من قريش أبطأ عليه شيطانه وشق عليه صلى الله عليه وسلم ذلك منهم ثم جاءه جبريل بسورة الكهف وفيها خبر الفتية الذين ذهبوا وهم أهل الكهف وخبر الرجل الطواف وهو ذو القرنين وجاءه بالجواب عن الروح المذكور فى سورة الاسراء وهو أن الروح من أمر الله قال تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى أى من علمه لا يعلمه الا هو وكان فى كتب أهل الكتاب أن الروح من أمر الله أى مما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه وقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم

فتأمل هذه وقوله انه لم ينفس على أبى بكر خيرا ساقه الله اليه وانه لا ينكر ما فضله الله به وغير ذلك مما اشتمل عليه هذا الحديث تجده بريئا مما نسبته له الرافضة وأمثالهم فقاتلهم الله ما أحمقهم وأجهلهم وقد تقدم لك ما فيه الكفاية من الآثار المنقولة عن على رضى الله عنه فى الثناء على أبى بكر رضى الله عنه والاعتراف بفضله وحقية خلافته وصح من طرق ان أبا بكر رضى الله عنه قال للناس لما حضر على رضى الله عنه هذا على ولا بيعة لى فى عنقه وهو بالخيار فى أمره وأنتم بالخيار جميعا فى بيعتكم فان رأيتم لها غيرى فأنا أول من يبايعه فقال على رضى الله عنه لا نرى لها أحدا غيرك وبايعه هو وسائر المتخلفين وانعقد اجماعهم على بيعته رضى

لما هاجر الى المدينة سأله اليهود عن الروح فنزلت عليه هذه الآية فهي مما تكرر نزوله وعاتب الله النبي صلى الله عليه وسلم في سورة الكهف على تركه ذكر التعليق على المشيئة بقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وأنزل الله سورة الضحى ردا لقولهم قلاه ربه وأبغضه فكبر صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول الوحي واستمر على ذلك التكبير في بقية السور بعدها الى آخر القرآن ولما أجابهم صلى الله عليه وسلم عما سألوا ازدادوا بغيا وكفرا ونسبوه في ذلك الى السحر والكهانة ومن الآيات التي ظهرت منه صلى الله عليه وسلم لهم وهي من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قصة الزبيدي قال الحلبي في السيرة بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد هو ومن معه من الصحابة اذا رجل من زبيد يطوف على حلق قريش حلقة بعد أخرى وهو يقول يا معشر قريش كيف يدخل عليكم الميرة أو يجلب اليكم جلب أو يحل أي ينزل بساحتكم تاجر وأنتم تظلمون من دخل عليكم في حرمكم وما زال يطوف على حلقهم حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ظلمك فذكر أنه قدم بثلاثة أجمال حسان فساومها منه أبو جهل بثلث أثمانها ثم لم يسمها لاجله سائم قال فاكسد على سلعتي فظلمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين أجمالك قال هذه هي بالحزورة فقام صلى الله عليه وسلم فنظر الى أجماله فرأى جمالا حسانا فساوم صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل حتى ألحقه برضاه وأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعيرا باعه وأعطى أرامل بني عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وأبو جهل جالس في ناحية من السوق ينظر ولا يتكلم هيبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال صلى الله عليه وسلم لابي جهل اياك يا عمرو وأن تعود لمثل ما صنعت بهذا الرجل فترى مني ما تكره فجعل يقول لا أعود يا محمد لا أعود يا محمد فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل على أبي جهل أمية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا له ذللت في يد محمد فاما أن تكون تريد أن تتبعه واما رعب دخلك منه فقال لهم لا أتبعه أبدا ان الذي رأيتم مني لما رأيته رأيت معه رجالا عن يمينه ورجالا عن شماله معهم رماح يشرعونها الى لو خالفته لاتوا على نفسي ونظير ذلك ان أبا جهل كان وصيا على يتيم فاكل ماله وطرده فاستعان اليتيم بالنبي صلى الله عليه وسلم على ابي جهل بعد ان بعثه كفار قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا له استهزاء ما يخلصك من ابي الحكم الا هذا يعنون النبي صلى الله عليه وسلم فمشى معه صلى الله عليه وسلم ورد اليه ماله فقيل لابي جهل في ذلك فقال خفت من حربة عن يمينه وحربة عن شماله لو امتنعت أن أعطيه لطعنني ونظير ذلك بل أعجب منه قصة الاراشي وحاصلها ان أبا جهل ابتاع من شخص يقال له الاراشي بكسر الهمزة نسبة الى اراشة بطن من خثعم أجمالا فمطله بأثمانها فدلته قريش على النبي صلى الله عليه وسلم لينصفه من أبي جهل استهزاء منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لزعمهم أنه لا قدرة له على أبي جهل وكان ذلك بعد ان وقف على ناديهم وقال يا معشر قريش من يعينني على أبي الحكم بن هشام فاني غريب وابن سبيل وقد غلبني على حقي فقالوا له أترى ذلك الرجل يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب اليه فهو يعينك عليه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له حاله مع أبي جهل فقال مخاطبا للنبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله ان أبا الحكم بن هشام غلبني على حق لي قبله وأنا غريب وابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذ لي بحقي منه فاشاروا اليك فخذ لي حقي منه يرحمك الله فقام النبي صلى الله عليه وسلم مع الرجل الى أبي جهل وضرب عليه بابه فقال من هذا قال محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه أي تغير وصار كلون النقع الذي هو التراب وهو الصفرة مع كدرة فقال أعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذي له فدخل وأخرج ما هو لذلك الرجل فدفعه اليه قال ثم ان الرجل أقبل حتى وقف على أهل ذلك المجلس الذين بعثوه الى النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء فقال جزاه الله خيرا يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقد والله أخذ لي بحقي وقد كانوا ارسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا انظر ماذا يصنع فلما رجع الرجل قالوا له ماذا رأيت فقال رأيت عجبا من أعجب العجب والله ما هو الا أن ضرب عليه بابه فخرج اليه فزعا مرعوبا وكأنه ليس معه روحه فقال

الله عنه (قال) المحب الطبري وعلى الجملة لا اختلاف بين طوائف المسلمين ان أبا بكر رضي الله عنه توفي يوم توفي ولا تخالف عليه من اهل الاسلام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم توفي وقد قامت حجة التبليغ وبلغ ذلك القاصي والداني وقامت كلمة الشهادتين طوعا وكرها ولما بويع أبو بكر رضي الله عنه بيعة السقيفة خطب الناس من الغد من يوم المبايعة وبايعه الناس ثانيا في المسجد وقال في خطبته بعد ان حمد الله واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم أما بعد أيها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فاعينوني وان أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح عليه حقه ان شاء

أعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فاعطاه اياه فعند ذلك قالوا لابي جهل ما رأينا مثل ما صنعت فقال ويحكم والله ما هو الا أن ضرب على بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسي فحلا من الابل ما رأيت مثله قط لو أبيت أو تأخرت لأكلني والى هذه القصة أشار صاحب الهمزية بقوله

واقتضاه النبي دين الاراشي وقد ساء بيعه والشراء * ورأى المصطفى أتاه بما لم
ينج منه دون الوفاء النجاء * هو ما قد رآه من قبل لكن * ما على مثله يعد الخطاء

وقوله هو ما قد رآه من قبل وذلك لما أراد عدو الله ان يلقي الحجر على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فيبس الحجر في يده ورجع القهقرى وهو ممتقع اللون كما تقدم وأخبر بانه رأى عنق الفحل لو تقدم لاختطفه عضوا عضوا وأبو جهل كان من أكبر أعداء النبي صلى الله عليه وسلم وهو من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم انا كفيناك المستهزئين وما تقدم بعض من استهزائه ومن استهزائه أيضا أنه سار في بعض الاوقات خلف النبي صلى الله عليه وسلم يخلج بانفه وفمه يسخر به فاطلع عليه صلى الله عليه وسلم فقال كن كذلك فكان كذلك الى أن مات قال ابن عبد البر كان المستهزئون الذين قال الله فيهم انا كفيناك المستهزئين خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قال البغوي وكان رأسهم والعاصي بن وائل السهمي والحرث بن قيس بن عدي السهمي ابن عم العاصي كان أحد أشراف قريش في الجاهلية قيل انه أسلم وهاجر الى الحبشة وقيل بقي على كفره حتى هلك والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة الزهري ابن خاله صلى الله عليه وسلم والاسود بن المطلب بن عبد العزى ولم يذكر فيهم أبا جهل فهو وان كان من المستهزئين لكنه لم يقصد من الآية أعني انا كفيناك المستهزئين لانه انما هلك كافرا يوم بدر وفي رواية أنهم كانوا ثمانية فزادوا أبا لهب وعقبة بن أبي معيط والحكم بن العاص بن امية وزاد بعضهم مالك بن الطلاطلة ومن استهزاء عقبة بن أبي معيط به صلى الله عليه وسلم أنه كان يلقي القذر على بابه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جار بن أبي لهب وعقبة بن أبي معيط ان كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي ومن استهزائه ايضا أنه بصق في وجه النبي صلى الله عليه وسلم فعاد بصاقه على وجهه وصار برصا قال الحلبي في السيرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر مجالسة عقبة بن أبي معيط فقدم عقبة من سفر فصنع طعاما ودعا الناس من أشراف قريش ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرب اليهم الطعام أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل وقال ما أنا بآكل طعامك حتى تشهد أن لا اله الا الله فقال عقبة أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله فأكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وانصرف الناس وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فاخبر الناس أبيا بمقالة عقبة فاتى اليه وقال يا عقبة صبوت فقال والله ما صبوت ولكن دخل منزلي رجل شريف فابى أن يأكل طعامي الا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال له أبي وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأه وتبزق في وجهه وتلطم عينيه فقال له عقبة لك ذلك ثم ان عقبة لقي النبي ففعل به ذلك قال الضحاك لما بزق عقبة لم تصل البزقة الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بل وصلت الى وجهه هو كشهاب نار فاحترق مكانها وكان أثر الحرق في وجهه الى الموت وحينئذ يكون المراد بصيرورة بصاقه برصا في وجهه أنه صار كالبرص وأنزل الله في حقه ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا قيل المراد من قوله يعض أنه يأكل في النار احدى يديه الى المرفق ثم يأكل الاخرى فتنبت الاولى وهكذا ومن استهزاء الحكم بن ابي العاص أنه كان صلى الله عليه وسلم يمشي ذات يوم وهو خلفه يخلج بانفه وفمه يسخر بالنبي صلى الله عليه وسلم فالتفت اليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له كن كذلك فكان كذلك كما تقدم نظير ذلك لابي جهل واستمر الحكم بن ابي العاص يخلج بانفه وفمه بعد ان مكث شهرا مغشيا عليه وبقي ذلك الاختلاج به حتى مات وقد أسلم يوم فتح مكة وكان في اسلامه شيء وكان يجالس المنافقين وينقل أخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اليهم فنفاه صلى الله عليه وسلم الى

الله تعالى والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله تعالى لا يدع القوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله (وأخرج) الحاكم عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ان أبا بكر رضي الله عنه قال في خطبته والله ما كنت حريصا على الامارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت راغبا فيها ولا سألتها الله في سر ولا علانية ولكن أشفقت من الفتنة ومالي في الامارة من راحة لقد قلدت أمرا عظيما ما لي به من طاقة ولا يد الا بتقوية الله تعالى فقال علي والزبير رضي الله عنهما ما تأخرنا الا أنا أخرنا عن المشورة وانا نرى

الطائف واطلع على رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعنزة وقيل بمدرى في يده والمدرى كالمسلة يفرق به شعر الرأس وقال من عذيرى من الوزغة لو أدركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وبعد أن نفاه صلى الله عليه وسلم الى الطائف وبقى به الى خلافة ابن أخيه عثمان بن عفان رضى الله عنه فرده الى المدينة وكان قد تشفع عنده صلى الله عليه وسلم فوعده بارجاعه ولما مرض صلى الله عليه وسلم مرضه الذى توفى فيه طلب عثمان رضى الله عنه وأخبره باشياء تقع له وقال له انهم يقمصونك قميصا ويريدون منك خلعه فاحذر أن تخلعه حتى تلقانى على الحوض يريد بذلك الخلافة وأخبره بالبلوى التى تصيبه وأمره بالصبر قيل انه فى ذلك المجلس استأذن من النبى صلى الله عليه وسلم فى ارجاع عمه الحكم الى المدينة اذا صار الامر اليه فاذن له فلما كانت خلافة أبى بكر رضى الله عنه سأل عثمان أبا بكر رضى الله عنه أن يرجعه وأخبره بان النبى صلى الله عليه وسلم وعده بذلك فقال أبو بكر رضى الله عنه لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سأل عمر رضى الله عنه لما ولى الخلافة أن يرجعه فقال مثل مقالة أبى بكر رضى الله عنه ولما أدخله عثمان رضى الله عنه نقم عليه بعض الصحابة بسبب ذلك وقال انا كنت تشفعت فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعدنى برده وكان فى رجوعه تأسيس للبلوى التى وقعت لعثمان رضى الله عنه فانّ منشأها انما كان من مروان بن الحكم فسبحان الحكيم فى افعاله الذى لا يسئل عما يفعل ولذا قال بعضهم كما فى بعض شراح الشفاء

فليت عثمان لم يحكم بعودته ❊ رضا بما حكم الصديق فى الحكم

قال الشهاب الخفاجى بعد ان صح أن عثمان رضى الله عنه استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فلا وجه فى التشنيع عليه بذلك والطعن فى خلافته كزعم الشيعة مع أن عثمان رضى الله عنه علم أنه تاب وخلصت طويته وكان رده له باجتهاد منه رضى الله عنه فى ذلك والامور الاجتهادية لا اعتراض بها وعن هند بن خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بالحكم فجعل الحكم يلمز بالنبى صلى الله عليه وسلم فرآه فقال اللهم اجعل به وزغا فرجف وارتعش مكانه والوزع الارتعاش وفى رواية فما قام حتى ارتعش وعن الواقدى استأذن الحكم ابن أبى العاص على رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرف صوته فقال ائذنوا له لعنه الله ومن يخرج من صلبه الا المؤمنين منهم وقليل ماهم ذوو مكر وخديعة يعطون الدنيا ومالهم فى الآخرة من خلاق وكان لا يولد لاحد بالمدينة ولد الا أتى به الى النبى صلى الله عليه وسلم فأتى بمروان لما ولد فقال هو الوزغ ابن الوزغ الملعون ابن الملعون وعلى هذا فهو صحابى ان ثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم رآه لانه يحتمل انه اتى به اليه صلى الله عليه وسلم فلم يأذن بادخاله عليه بل مما يدل لذلك قوله هو الوزغ الخ وفى كلام بعضهم أنه ولد بالطائف بعد ان نفى ابوه الى الطائف ولم يجتمع بالنبى صلى الله عليه وسلم فهو ليس بصحابى ومن ثم قال البخارى مروان بن الحكم لم ير النبى صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت لمروان نزل فى أبيك ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وقالت له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى أبيك وجدك أى الذى هو ابو العاص بن أمية انهم الشجرة الملعونة فى القرآن وقد ولى مروان الخلافة تسعة أشهر ولما امتنع عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما من المبايعة ليزيد بن معاوية قال له مروان أنت الذى أنزل الله فيك والذى قال لوالديه أف لكما أتعدانى أن أخرج فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت كذب والله ماهو به ثم قالت له أما أنت يا مروان فاشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أباك وأنت فى صلبه تشير الى ماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر الحكم بن أبى العاص فقال النبى صلى الله عليه وسلم ويل لامتى مما فى صلب هذا وعن عمران بن جابر الجعفى رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويل لبنى أمية ثلاث مرات وقد ولى منهم الخلافة أربعة عشر رجلا أولهم معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما وآخرهم مروان بن محمد وكانت مدة ولايتهم ثنتين وثمانين سنة وهى ألف شهر والاحاديث الواردة فى ذمهم يجب أن يخرج منها عثمان

أبا بكر أحق الناس بها انه لصاحب الغار وانا لنعرف شرفه وخيره ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حى (وأخرج) الامام أحمد ان أبا بكر رضى الله عنه لما خطب يوم السقيفة لم يترك شيأ أنزل فى الانصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم والثناء عليهم الا ذكره وقال لقد علمتم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو سلك الناس واديا وسلك الانصار واديا لسلكت وادى الانصار وقال لسعد بن عبادة الذى أراد الانصار مبايعته ولقد علمت يا سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنت قاعد قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم فقال له سعد صدقت نحن الوزراء وأنتم

ومعاوية رضي الله عنهما لفضيلة صحبة النبي صلى الله عليه وسلم مع ما ورد فيهما من الفضائل وان كان يصدر منهما شيء من الظلم وانما صدر ممن بعدهما ولذلك قال القاضي عياض رحمه الله في الشفاء وأخبر صلى الله عليه وسلم بولاية معاوية رضي الله عنه وملك بني أمية فغاير بين الحالتين في التعبير لان الملك هو السلطنة مع التغلب والخلافة ما كان ببيعة أهل الحق والولاية أعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلافة وأوصى صلى الله عليه وسلم معاوية رضي الله عنه اذا تملك بالعدل والرفق قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضي الله عنه فما زلت أطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن معاوية رضي الله عنه قال ما حملني على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم يا معاوية اذا ملكت فاحسن وروى أنه رضي الله عنه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاوية ان وليت أمرا فاتق الله واعدل فكان رضي الله عنه على غاية من الحلم والصبر والتحمل حتى قال أبو الدرداء رضي الله عنه ان معاوية سمع كلاما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفعه الله بها وأما ذم بني أمية من بعده فجاءت فيهم أحاديث كثيرة منها ما رواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا اذا بلغ بنو أبي العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا ومال الله دولا وهو ما يتداول أي يأخذه واحد بعد واحد والمراد أنهم استأثروا به ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وقال صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي كانوا يرون أنه الوليد بن عبد الملك ثم رأوا أنه ابن أخيه الوليد بن يزيد ابن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر وأخبر صلى الله عليه وسلم بانه رأى في المنام بني أمية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له سورة الكوثر وسورة القدر لان ملك بني أمية كان ألف شهر فاعطى الله أمته في كل سنة ليلة تعدل ملكهم وتزيد على الاعصى من العجائب قال في السيرة الحلبية نقلا عن ابن الجوزي كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ابن يقال له خبيب ضربه عمر بن عبد العزيز بامر الوليد بن عبد الملك مائة سوط فمات منها وذلك أن خبيبا حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا وفي رواية اذا بلغ بنو أمية أربعين رجلا اتخذوا عباد الله خولا أي عبيدا ومال الله دولا ودين الله دغلا وفي رواية بدل دين الله كتاب الله فلما بلغ الوليد ما ذكر خبيب كتب لابن عمه عمر بن عبد العزيز وهو والى المدينة أن يضرب خبيبا مائة سوط ففعل ثم برد ماء في جرة وصبه عليه في يوم شات وحبسه فلما اشتد وجعه أخرجه وندم على ما فعل فلما مات وسمع بموته سقط الى الارض واسترجع واستعفى من ولاية المدينة فكان عمر بن عبد العزيز اذا قيل له أبشر قال كيف أبشر وخبيب على الطريق عائق لي وفي دلائل النبوة للبيهقي عن بعضهم قال كنت عند معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ومعه ابن عباس رضي الله عنهما على السرير فدخل عليه مروان بن الحكم فكلمه في حاجته وقال اقض حاجتي يا أمير المؤمنين فوالله ان مؤنتي لعظيمة فاني أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة فلما أدبر مروان قال معاوية لابن عباس رضي الله عنهم أشهدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله بينهم دولا وكتاب الله دغلا فاذا بلغوا تسعة وتسعين وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من لوك تمرة فقال ابن عباس رضي الله عنهما اللهم نعم ثم ذكر مروان حاجته فبعث ولده عبد الملك الى معاوية رضي الله عنه فكلمه فيها فلما أدبر قال معاوية رضي الله عنه أنشدك الله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا فقال أبو الجبابرة الاربعة فقال ابن عباس رضي الله عنهما اللهم نعم وقد ولى الخلافة من ولده أربعة الوليد وسليمان وهشام ويزيد بن عبد الملك وليس في الحديث دلالة على أن عبد الملك صحابي لاحتمال أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم ذكره قبل وجوده فهو من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ومن استهزاء العاص بن وائل السهمي والد عمرو بن العاص رضي الله عنه فعمرو ابنه صحابي وأما هو فانه هلك على كفره انه كان يقول غر محمد نفسه وأصحابه ان وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر ومرور الايام والاحداث ومن استهزائه أن خباب بن الارت رضي الله عنه كان قينا بمكة أي حدادا

الامراء * ويؤخذ من هذا ضعف ما حكاه ابن عبد البر ان سعد بن عبادة أبى أن يبايع أبا بكر حتى لقي الله تعالى وأخرج الامام أحمد أيضا ان أبا بكر رضي الله عنه اعتذر عن قبول البيعة بخشية فتنة تكون بعدها ردة وروى ابن اسحق ان رجلا قال لابي بكر رضي الله عنه ما حملك على أن تلي أمر الناس وقد نهيتني أن أتأمر على اثنين قال لم أجد من ذلك بدا خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة وأخرج الامام أحمد ان أبا بكر رضي الله عنه بعد شهر من خلافته نادى في الناس الصلاة جامعة وهي أول صلاة نودي لها بذلك ثم خطب فقال أيها الناس وددت ان هذا كفانيه غيري ولئن أخذتموني بسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم ما أطيقها ان كان

يعمل السيوف وقد كان باع للعاص سيوفا فجاءه يتقاضى ثمنها فقال يا خباب أليس يزعم محمد هذا الذى أنت على دينه أن فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم أو ولد قال خباب بلى قال فانظرنى الى القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فاقضيك هنالك حقك والله لا تكون أنت وصاحبك أبر عند الله ولا أعظم حظا فى ذلك وفى لفظ أن العاص قال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقال والله لا أكفر بمحمد حتى يميتك اللهـ ثم يبعثك قال فذرنى حتى أموت ثم ابعث فسوف أوتى مالا وولدا فاقضيك فانزل الله تعالى فيه أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ومن استهزاء الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن زهرة وهو ابن خال النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا رأى المسلمين قال لاصحابه استهزاء بالصحابة قد جاءكم ملوك الارض الذين يرثون كسرى وقيصر أى لان الصحابة رضى الله عنهم كانوا متقشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول للنبى صلى الله عليه وسلم ما كلمت اليوم من السماء يا محمد وما أشبه هذا القول ومن استهزاء الاسود بن مطلب بن أسد بن عبد العزى أنه كان هو وأصحابه يتغامزون بالنبى صلى الله عليه وسلم وباصحابه ويصفرون اذا رأوهم ومن استهزاء الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم والد خالد وعم أبى جهل وكان من عظماء قريش وكان فى سعة من العيش ومكنة من السيادة كان يطعم الناس أيام منى حيسا وينهى أن توقد نار لاجل طعام غير ناره وينفق على الحاج أيام الموسم نفقة واسعة وكانت الاعراب تثنى عليه وكانت له البساتين من مكة الى الطائف وكان من جملتها بستان لا ينقطع نفعه شتاء ولا صيفا ثم انه أصابته الجوائح والآفات فى أمواله حتى ذهبت بأسرها ولم يبق له فى أيام الحج ذكر وكان هو المقدم فى قريش فصاحة وكان يقال له ريحانة قريش ويقال له الوحيد أى فى الشرف والسودد والجاه والرياسة واياه عنى سبحانه بقوله ذرنى ومن خلقت وحيدا الآيات فى سورة المدثر قال بعضهم بل هو الوحيد فى الكفر والخبث والعناد انه رمى النبى صلى الله عليه وسلم بالسحر مع اعترافه بانه برىء من السحر لكنه لعنه الله لما ضاقت عليه المذاهب قال انه أقرب القول فيه تنفيرا للناس عنه وتبعه على ذلك قومه بعد التشاور فيما يرمونه به فعند ابن اسحق والحاكم والبيهقى باسناد جيد أنه اجتمع فى بعض المواسم الى الوليد نفر من قريش وكان ذا سن فيهم فقال لهم يا معشر قريش قد حضرتم هذا الموسم وأن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بامر صاحبكم فاجمعوا فيه رأيا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا قالوا فانت أقم لنا رأيا نقوله فيه قال بل أنتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه قالوا فنقول مجنون قال والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا وسوسته قالوا شاعر قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه قالوا ساحر قال ما هو بساحر لقد رأينا السحرة وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده قالوا فما تقول أنت قال والله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناة وما أنتم بقائلين من هذا شيأ الا أعرف أنه باطل وان أقرب القول فيه أن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون فى سبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره فصدرت العرب من ذلك الموسم تحدث بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها بل فى جميع الآفاق وانقلب مكرهم عليهم حتى كان من اسلام الانصار وأمر الهجرة ما كان وقدم عليه صلى الله عليه وسلم عشرون من نجران فاسلموا فبلغ أبا جهل فسبهم فقالوا له سلام عليكم وفيهم نزل واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآيات قال العلامة الزرقانى فانظر هذا اللعين يعنى الوليد بن المغيرة كيف تيقنت نفسه الحق وحمله البطر والكبر على خلافه وقد ذمه الله ذما بليغا فى قوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم الآيات وفى قوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم

لمعصوما من الشيطان وان كان لينزل عليه الوحى من السماء وفى رواية لابن سعد أما بعد فانى وليت هذا الامر وأنا له كاره والله لوددت ان بعضكم كفانيه ألا وانكم ان كلفتمونى أن أعمل فيكم بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أقم به كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا أكرمه الله بالوحى وعصمه به انما أنا بشر ولست بخير من أحدكم فراعونى أى راقبونى فان رأيتمونى استقمت فاتبعونى واذا رأيتمونى زغت فقومونى واعلموا ان لى شيطانا يعترينى فاذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى لا أؤثر فى أشعاركم وابشاركم وأخرج الخطيب البغدادى ان أبابكر رضى الله عنه قال فى خطبته أيضا انى قد وليت أمركم ولست بخيركم لكنه نزل القرآن وسن النبى صلى الله عليه

عبس و بسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر ومن استهزاء أبي لهب به صلى الله عليه وسلم أنه كان يطرح القذر على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يوم من الايام رآه أخوه حمزة رضي الله عنه وقد فعل ذلك فأخذه وطرحه على رأسه فجعل أبو لهب ينفضه ويقول صابئ أحمق ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يطوف على الناس في أول امره في منازلهم يقول ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأبو لهب وراءه يتبعه اذا مشى يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم وذلك عار عليكم قال العلامة الزرقاني فانظر هذا الابتلاء في الله فلو كان من غير قريب كان أسهل لان العرب كانت تقول قوم الرجل أعلم به ولذا قال صلى الله عليه وسلم ما أوذي أحد ما أوذيت لانه صلى الله عليه وسلم اصيب من قومه بأكبر البلاء آذوه اشد الايذاء ورموه بالسحر والشعر والكهانة والجنون وبرأه الله من جميع ذلك بالبراهين القاطعة في كتابه العزيز ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه صلى الله عليه وسلم ويجعل الدم على بابه وسلا الجزور على ظهره كما تقدم فلما بالغوا في الايذاء والاستهزاء أتى جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت وقال له أمرت أن أكفيكهم فلما مر الوليد بن المغيرة قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فأومأ الى ساق الوليد وقال قد كفيته فمر بنبال يريش نبله ويصلحها فتعلق بثوبه سهم فعرضت له شظية من نبل فلم ينعطف لاخذه تكبرا وتعاظما فأصاب عرقا في عقبه فمرض فمات كافرا ثم مر العاص بن وائل السهمي فقال كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ الى أخمصه وقال كفيته فخرج يتنزه فنزل شعبا فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى وفي رواية كعنق البعير فمات ثم مر الحرث بن قيس السهمي فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى بطنه وقال قد كفيته وقيل أشار الى أنفه فامتخط قيحا فمات وقيل أكل حوتا مملوحا فما زال يشرب عليه حتى انقد بطنه ثم مر الاسود بن عبد يغوث فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى رأسه وقال كفيته وقيل أشار اليه وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات على كفره وقيل أشار جبريل الى بطنه باصبعه فاستسقى بطنه فمات وقيل خرج في رأسه قروح فمات قال الزرقاني ويمكن أنها بسبب نطحه الشجرة وقيل خرج من عند أهله فأصابته السموم حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه فأغلقوا دونه الباب فرجع وصار يطوف بشعاب مكة حتى مات عطشا ويمكن الجمع باحتمال وقوع جميع ذلك له ثم مر الاسود بن مطلب فقال كيف تجد هذا يا محمد قال عبد سوء فأومأ الى عينيه وقال قد كفيته قال ابن عباس رضي الله عنهما رماه بورقة خضراء فعمي بصره كما عميت بصيرته فلم يميز بين الحسن والقبيح ووجعت عينه فضرب برأسه الجدار حتى هلك وهو يقول قتلني رب محمد وفي رواية أنه خرج ليستقبل ولده وقد قدم من الشام فلما كان ببعض الطريق جلس في ظل شجرة فجعل جبريل يضرب وجهه وعينيه بورقة من ورقها حتى عمي فجعل يستغيث بغلامه فقال له غلامه لا أحد يصنع بك شيأ وقيل ضربه بغصن فيه شوك فسالت حدقتاه وصار يقول من هذا طعن بالشوك في عيني فيقال له ما نرى شيأ وقيل أتى شجرة فجعل ينطحها برأسه حتى خرجت عيناه وكان يقول دعا على محمد بالعمى فاستجيب له وزاد بعضهم وهلاك أبي لهب بالعدسة يعني الجدري وهي ميتة شنيعة وعتبة بن أبي معيط قتل صبرا بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من بدر والى الخمسة المشهورين المعنيين بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين أشار صاحب الهمزية بقوله

وكفاه المستهزئين وكم سا * ء نبيا من قومه استهزاء
خمسة كلهم أصيبوا بداء * والردى من جنوده الادواء
فدهى الاسود بن مطلب أى * عمى ميت به الاحياء
ودهى الاسود بن عبد يغوث * أن سقاه كاس الردى استسقاء
وأصاب الوليد خدشة سهم * قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا * ص فلله النقعة الشوكاء
وعلى الحارث القيوح وقد سا * ل بها رأسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الار * ض فكف الاذى بهم شلاء

وسلم السنن فعليك فاعلموا أيها الناس ان ا كيس الكيس التقى وأعجز العجز الفجور وان أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه وان أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق أيها الناس انما أنا متبع ولست بمبتدع فان أحسنت فأعينوني وان أنا زغت فقوموني (قال) الامام مالك رحمه الله تعالى لا يكون أحد اماما أبدا الا على هذا الشرط قال الامام الشافعي رحمه الله أجمعت الناس على خلافة أبي بكر رضي الله عنه وذلك انهم أجمعوا قولا على حقية امامة أحد الثلاثة أبي بكر وعلي والعباس رضي الله عنهم ثم ان عليا والعباس بايعا أبا بكر ولم ينازعاه فتم بذلك الاجماع على امامته دونهما اذ لو لم يكن أحق لنازعاه كما نازع علي معاوية رضي الله عنهما مع قوة

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان هؤلاء الخمسة هلكوا في ليلة واحدة فعلم أن هؤلاء هم المرادون
بقوله تعالى انا كفيناك المستهزئين كما ذكر وان كان المستهزؤن غير منحصرين فيهم فلا ينافي أن منهما
ونبيها ابني الحجاج منهم فقد قيل انهما ممن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يلقيانه فيقولان له أما وجد
الله من يبعثه غيرك ان ههنا من هو أسن منك وأيسر فان كنت صادقا فائتنا بملك يشهد لك ويكون معك واذا
ذكراه ما رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا معلم مجنون يعلمه أهل الكتاب ما يأتي به ولا ينافي أيضا عد أبي
جهل وغيره منهم كما تقدم وفي السيرة الحلبية نقلا عن سيرة ابن المحدث من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله تعالى
عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه ومن استهزاء أبي جهل أيضا بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
يوما لقريش يا معشر قريش يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر
وأنتم أكثر الناس عددا أفيعجز كل مائة رجل منكم عن واحد منهم وفي رواية أن رجلا من قريش وكان
شديدا قوي الباس بلغ من شدته أنه كان يقف على جلد البقرة ويجذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدمه فيتمزق
الجلد ولا يتزحزح قال له أنا أكفيك سبعة عشر واكفوني أنتم اثنين وقيل ان هذا الرجل دعا النبي صلى الله
عليه وسلم الى المصارعة وقال يا محمد ان صرعتني آمنت بك فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن وفي
رواية ان أبا جهل قال لهم أنا أكفيكم عشرة فاكفوني تسعة فأنزل الله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا
ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا والى آخر ما ذكره فيهم أي لا ينبغي أن تقولوا لم كانوا تسعة عشر
وماذا أراد الله بهذا العدد لان ذلك العدد لحكمة استأثر الله بعلمها وقد أبدى بعض المفسرين حكما لذلك
تراجع وقد جاء في وصف تلك الملائكة أن أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي أي القرون ما بين
منكبي أحدهم مسيرة سنة وفي رواية ما بين منكبي أحدهم كما بين المشرق والمغرب لاحدهم قوة كقوة
الثقلين نزعت الرحمة منهم وأخرج العتبي في عيون الاخبار عن طاوس ان الله خلق لمالك أصابع على عدد
أهل النار وما من أحد في النار الا ومالك يعذبه باصبع من أصابعه فوالله لو وضع مالك أصبعا من أصابعه
على السماء لاذابها وهؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء ولكل واحد منهم اتباع لا يعلم عدتهم الا الله تعالى قال
تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو وعن كعب قال يؤمر بالرجل الى النار فيبتدره مائة ألف ملك أي والمتبادر
أن هؤلاء من خزنتها قال بعضهم ان عدد حروف بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر على عدد الزبانية التسعة
عشر فيقرأها هو ومن دفع الله تعالى عنه بكل حرف منها واحدا منهم ومن استهزاء أبي جهل أيضا أنه
قال يوما لقريش يا معشر قريش يخوفنا محمد بشجرة الزقوم يزعم أنها شجرة في النار مع أن النار تأكل الشجر
انما الزقوم التمر والزبد فأنزل الله تعالى انها شجرة تخرج في أصل الجحيم أي منبتها في أصل جهنم ولا تسلط لجهنم
عليها أما علموا ان من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجرة في النار وحفظه
لها من الاحتراق بها وقد قال ابن سلام انها تحيا باللهب كما تحيا شجر الدنيا بالمطر وثمر تلك الشجرة مر له زفرة
وأخرج الترمذي وصححه النسائي والبيهقي وابن حبان والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم
فكيف بمن تكون طعامه ومن استهزاء أبي جهل قوله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذي تعبد
فأنزل الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فكف عن سب آلهتهم وجعل
يدعوهم الى الله عز وجل وفي الدر المنثور للجلال السيوطي في تفسير انا كفيناك المستهزئين قيل نزلت في
جماعة مر النبي صلى الله عليه وسلم بهم فجعلوا يغمزون في قفاه ويقولون هذا الذي يزعم أنه نبي ومعه جبريل
فغمز جبريل عليه السلام باصبعه في أجسادهم فصارت جروحا وأنتنت فلم يستطع احد أن يدنو منهم حتى ماتوا
قال الحلبي فلينظر الجمع أي بين هذا وما تقدم ثم قال وقد يدعى أنهم طائفة آخرون غير من ذكر لانهم
المستهزؤن ذلك الوقت أي فيكون نزول الآية قد تكرر والله أعلم ومن استهزاء النضر بن الحرث أنه كان
اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يحدث فيه قومه ويحذرهم ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة

شوكة معاوية عدة وعددا
على شوكة أبي بكر رضي الله
عنه فاذا لم يبال علي بشوكة
معاوية ونازعه فكانت
منازعته لابي بكر أولى
وأحرى وحيث لم ينازعه دل
على اعترافه بحقية خلافته
بل تواتر عنه الاعتراف بذلك
ولقد سأله العباس ان
يبايعه فلم يقبل ولو علم نصا
على ان الخلافة له لقبل سيما
ومعه الزبير مع شجاعته
وبنو هاشم وغيرهم (ولما)
استخلف أبو بكر رضي الله
عنه قاتل أهل الردة الذين
ارتدوا بعد وفاة النبي صلى
الله عليه وسلم حتى أعادهم
الى الاسلام وأخرج البيهقي
وابن عساكر عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال
والله الذي لا اله غيره لولا ان
أبا بكر استخلف ما عبد الله
وكرر ذلك ثلاثا (وأخرج)
البزار في مسنده عن علي
رضي الله عنه انه قال يوما
لاصحابه أخبروني عن

الله تعالى خلفه في مجلسه ويقول لقريش هلموا فانى والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثم يحدثهم عن ملوك فارس لانه كان يعلم أحاديثهم ويقول ما حديث محمد الا أساطير الاولين ويقال انه قال سأنزل مثل ما أنزل الله لانه ذهب الى الحيرة واشترى منها أحاديث الاعاجم ثم قدم بها مكة فكان يحدث بها ويقول هذه كأحاديث محمد عن عاد وثمود وغيرهم ويقال ان ذلك سبب نزول قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث والمشهور أنها في شراء المغنيات ولا بعد أن تكون الآية نزلت فيهما معا المحققه فيهما وقوله تعالى واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا يناسب النضر ولما تلا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نبأ الاولين قال النضر بن الحرث لو شئنا لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين وأنزل الله تكذيبا له قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أى معينا له وجاء أن جماعة من بنى مخزوم ومنهم أبو جهل والوليد بن المغيرة تواصوا على قتله صلى الله عليه وسلم فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلى اذ سمعوا قراءته فارسلوا الوليد ليقتله فانطلق حتى أتى المكان الذى يصلى فيه فجعل يسمع قراءته ولا يراه فانصرف اليهم وأعلمهم بذلك فاتوه فلما سمعوا قراءته قصدوا الصوت فاذا الصوت من خلفهم فذهبوا اليه فسمعوه من امامهم ولا زالوا كذلك حتى انصرفوا خائبين فانزل الله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وقيل في نزولها غير ذلك ولا مانع من أن تكون نزلت للكل وجاء أن النضر بن الحرث رأى النبي صلى الله عليه وسلم منفردا أسفل من ثنية الحجون فقال لا أجده أبدا أخلى منه الساعة فاغتاله فدنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتاله فرأى اسودا تضرب بانيابها على رأسه فاتحة أفواهها فرجع على عقبه مرعوبا ولقى أبا جهل فقال من أين فاخبره النضر الخبر فقال أبو جهل هذا بعض سحره ومما تعنتوا به أنه لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أى وقودها وحصب بالزنجية حطب أى حطب جهنم وقد قرأتها عائشة رضى الله عنها كذلك أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون شق على كفار قريش وقالوا العبد الله بن الزبعرى قد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا حصب جهنم فقال ابن الزبعرى أنا أخصم لكم محمدا أدعوه لى فدعوه له فقال يا محمد هذا شئ لآلهتنا خاصة أم لكل من عبد من دون الله فقال بل لكل من عبد من دون الله فقال ابن الزبعرى خصمت ورب هذه البنية يعنى الكعبة ألست تزعم أن عيسى عبد من دون الله وكذا عزيرا والملائكة عبدت النصارى عيسى واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فضج الكفار وفرحوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن الزبعرى ما أجهلك بلغة قومك ما لما لا يعقل يعنى ما فى قوله تعالى وما تعبدون وأنزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون كعيسى وعزيرا والملائكة وهذا الحديث ان صح كان نصا من الشارع لقول النحويين ما لما لا يعقل * ومن تعنتهم واستهزائهم سؤالهم انشقاق القمر قيل انهم سألوا آية غير معينة فانشق القمر وقيل بل سألوه آية معينة وهى انشقاق القمر فانشق وجمع بين الروايتين بانهم سألوا آية غير معينة أولا ثم عينوها بانشقاق القمر قال ابن عباس رضى الله عنهما اجتمع المشركون على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين نصفها على أبى قبيس ونصفها على قعيقعان وكانت ليلة أربعة عشر وهى ليلة البدر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعطيه ما سألوا فانشق القمر فرقتين نصفا على أبى قبيس ونصفا على قعيقعان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا اشهدوا وفى رواية فانشق القمر نصفين نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل ينظر اليه ثم غاب وفى رواية أنه عاد بعد غروبه وفى رواية فانشق مرتين والمراد فرقتين جمعا بين الروايات وعند ذلك قال كفار قريش سحركم محمد فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر بالنسبة اليكم فانه لا يبلغ من سحره أن يسحر الارض كلها أى جميع أهل الارض فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر فسألوا القادمين من كل فج هل رأوا هذا فاخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك فعند ذلك قالوا هذا سحر مستمر أى مطرد وهذا الكلام صريح فى أن رؤية

أشجع الناس قالوا أنت قال أما انا فما بارزت أحدا الا انتصفت منه ولكن أخبرونى باشجع الناس قالوا لا نعلم فمن قال أبو بكر انه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش لئلا يهوى اليه أحد من المشركين فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر شاهرا سيفه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه فهذا أشجع الناس قال على ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذته قريش يعنى بمكة قبل الهجرة فهذا يجره وهذا يتلتله وهم يقولون أنت الذى جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر يضرب هذا ويتل هذا وهو يقول أتقتلون رجلا ان يقول

الا انشقاق حصلت لجميع أهل الآفاق لا أنها اختصت باهل مكة وهو كذلك وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا و يقولوا سحر مستمر وستأتي ان شاء الله هذه القصة بابسط مما هنا عند ذكر المعجزات في آخر الكتاب ومن الآيات التي ظهرت على يديه صلى الله عليه وسلم في أول البعثة بمكة قصة ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي الصحابي المكي أسلم رضي الله عنه عام الفتح وتوفي بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنتين وأربعين من الهجرة وكان شديد البأس قويا جسيما معروفا بالقوة في المصارعة بحيث أنه لم يصرعه أحد قط ولا مس جنبه الارض مغلوبا قط وقد صح أنه صلى الله عليه وسلم صارعه فصرعه وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنما له بوادي وهو من أفتك الناس وأشدهم فخرج صلى الله عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادي فلقيه ركانة وليس ثمة أحد غيرهما فقال له أنت الذي تشتم آلهتنا وتدعو الهك العزيز ولولا رحم بيني وبينك قتلتك ولكن ادع الهك أن ينجيك مني اليوم وأنا أدعوك لامر وهو أن تصارعني وتدعو الهك وأدعو اللات والعزى فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله عليه وسلم فغلبه فقال لم تصرعني وانما غلبني الهك وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي على الارض أحد قبلك ولكن عد فان صرعتني فلك عشرة أخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال أولا ثم عاد ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمي تختارها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا أريد ذلك ولكن أدعوك الى الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا أن تريني آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها اقبلي باذن الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه وسلم و يدي ركانة فقال أريتني أمرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فامرها فرجعت والتامت بقضبانها وفروعها مع نصفها الآخر فقال له أسلم فقال أكره أن يتحدث نساء المدينة يعني مكة وصبيانها باني أجبتك لرعب قلبي منك ولكن الغنم لك فقال له لا حاجة لي بها وانطلق صلى الله عليه وسلم فلقيه أبو بكر رضي الله عنه فقال للنبي صلى الله عليه وسلم تخرج الى هذا الوادي وبه ركانة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر أبا بكر رضي الله عنه بالقصة فتعجب أبو بكر رضي الله عنه وتقدم انه لم يسلم ركانة الا عام الفتح رضي الله عنه

(باب في بيان تعذيب كفار قريش للمستضعفين من المؤمنين)

قال في المواهب وشرحها مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا هو والمسلمون في دار الارقم حتى نزل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر فجهر هو وأصحابه بالدعوة الى الله تعالى فكان ذلك في السنة الثالثة من النبوة وهي المدة التي أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أمره الى أن أمره الله باظهاره فبادأ قومه بالاسلام وكرر ذلك وأكده وبالغ في اظهار الحجة حتى كانه صدع قلوبهم بما أورده عليهم من الحجج والبراهين التي عجزوا عن دفعها كما أمره الله تعالى ومع ذلك لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه بل قال الزهري كانوا غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم في مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من في السماء واستمروا على ذلك حتى ذكر آلهتهم وعابها لما دخل المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال أبطلتم دين أبيكم ابراهيم فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله تعالى فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم فاجمعوا على مخالفته وعداوته الا من عصم الله بالاسلام وهم قليلون مستخفون وحدب أي عطف عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه كما تقدم واشتد الامر بين القوم وضرب بعضهم بعضا وأظهر بعض لبعض العداوة وتذامرت أي تشاورت قريش على من أسلم منهم يعذبونهم و يفتنونهم عن دينهم وكان ذلك باغراء من أبي جهل لعنه الله كان اذا سمع برجل أسلم وله شرف ومنعة لامه وقال تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنغلبن رأيك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وان كان ضعيفا ضرب به فمن عذب في الله لاجل أن يفتتن في دينه فثبت عمار بن ياسر رضي الله عنهما كان يعذب بالنار وكان صلى الله عليه وسلم يمر به وهو يعذب فيمر يده على رأسه و يقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار

ربي الله ثم رفع علي رضي الله عنه بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ثم قال أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر فسكت القوم فقال ألا تجيبون فوالله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم ايمانه وهذا رجل أعلن ايمانه * ومن باهر شجاعة أبي بكر رضي الله عنه ثباته يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مع ذهول جميع الصحابة رضي الله عنهم وحصول الدهشة والحيرة لهم حتى ان بعضهم أخرس وبعضهم اقعد و بعضهم اختلط عقله وما زال ذلك عنهم الا بتثبيت أبي بكر رضي الله عنه لهم حين خطب الناس فرجعت اليهم عقولهم وعرفوا حقيقة الامر (قال) بعض علماء أهل البيت النبوي رضي الله عنهم مقررا الشجاعة أبي بكر رضي الله عنه لما تلي

كما كنت على ابراهيم عليه السلام وكشف من ظهر عمار فوجد أثر النار به أبيض كالبرص ولعل حصول ذلك كان قبل دعائه له صلى الله عليه وسلم بان النار تكون عليه بردا وسلاما وعن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت ان عمار بن ياسر وأباه وأخاه عبد الله وسمية أم عمار رضي الله عنهم كانوا يعذبون في الله فمر بهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة وفي رواية صبرا يا آل ياسر اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت فمات ياسر في العذاب وأعطيت سمية أم عمار لابي جهل يعذبها أعطاها له عمه أبو حذيفة بن المغيرة فانها كانت مولاته فاخذها أبو جهل وعذبها تعذيبا شديدا رجاء أن تفتتن في دينها فلم تجبه لما سأل ثم طعنها في فرجها بحربة فماتت وكان يقول لها ما آمنت بمحمد الا انك عشقتيه لجماله قيل انها أول شهيد في الاسلام رضي الله عنها وعن بعضهم كان أبو جهل يعذب عمار بن ياسر وأمه ويجعل لعمار درعا من حديد في اليوم الصائف وفيه نزل أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وجاء أن عمارا رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال النبي صلى الله عليه وسلم صبرا أبا اليقظان ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تعذب أحدا من آل عمار بالنار وكانت أم عمار سابعة سبعة في الاسلام وقتلت وهي عجوز كبيرة ورؤي مرة في ظهر عمار رضي الله عنه أثر كالمخيط فسئل عنه فقال هذا ما كانت تعذبني قريش في رمضاء مكة وجاء أنهم بعد ان قتلوا أباه وأمه تلفظ لهم بالكفر ظاهرا فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قد كفر عمار فقال كلا والله ان الايمان قد خالط بشاشة قلبه وفيه أنزل الله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم وروى أنه كان يعذب حتى لا يدري ما يقول ثم فرج الله عنه بعد طول تعذيبه حتى عاش الى خلافة علي رضي الله عنه وقتل بصفين ووردت في فضائله أحاديث كثيرة رضي الله عنه وممن كان يعذب في الله خباب بن الارت رضي الله عنه ففي البخاري عن خباب بن الارت رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة في ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بامشاط الحديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه وعن خباب بن الارت أيضا رضي الله عنه يحكي عن نفسه قال لقد رأيتني يوما وقد أوقدوا لي نارا ووضعوها على ظهري فما أطفاها الا ودك ظهري أي دهنه وكان خباب رضي الله عنه قينا أي حدادا وكان قد سبي من أهله في الجاهلية فاشترته امرأة تسمى أم أنمار فلما أسلم صارت مولاته تعذبه تأخذ الحديدة وقد أحمتها في النار فتضعها على رأسه فشكا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم انصر خبابا فاشتكت مولاته رأسها فكانت تعوي مع الكلاب فقيل لها اكتوي فكانت تأمر خبابا فيأخذ الحديد فيكوي به رأسها وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اذا مر بأحد من العبيد يعذب اشتراه وأعتقه وهم كثيرون منهم بلال رضي الله عنه وكان مولى لامية بن خلف الجمحي واشترى حمامة أم بلال رضي الله عنها وعامر بن فهيرة رضي الله عنه وأبا فكيهة رضي الله عنه وجارية بني المؤمل وتسمى لبينة تصغير لبنة والنهدية وبنتها وزنيرة وأمة بني زهرة فمما كان يعذب به بلال رضي الله عنه ما رواه ابن اسحق ان أمية بن خلف كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد أن يجيعه ويعطشه ليلة ويوما فيطرحه على ظهره في الرمضاء أي الرمل اذا اشتدت حرارته ولو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعبد اللات والعزى فيابى ذلك وقيل ان بلالا رضي الله عنه كان لعبد الله بن جدعان من جملة مماليكه فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم أمر عبد الله بن جدعان بهم فاخرجوا من مكة خوف اسلامهم فاخرجوا الا بلالا رضي الله عنه فانه كان يرعى غنمه ويكتم اسلامه فجاء يوما الى الاصنام التي حول الكعبة وصار يبصق عليها ويقول خاب وخسر من عبدك فشعرت به قريش فشكوه الى عبد الله بن جدعان قالوا له أصبوت

قال

عنه وعن علي رضي الله عنه فقال ان عليا رضي الله عنه أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بقتله على يد ابن ملجم لعنه الله وكان علي رضي الله عنه يعرفه ويقول انه قاتلي فقالوا له ألا تقتله فقال كيف أقتل قاتلي فكان علي رضي الله عنه اذا دخل الحرب ولاقى الخصم في غاية الاطمئنان لعلمه ان خصمه لا قدرة له على قتله لمعرفته بقاتله فهو مع خصمه الملاقي له كالنائم على فراشه وأما أبو بكر رضي الله عنه فلم يخبر بقاتله فكان اذا دخل الحرب لا يدري هل يقتل أولا فمن يدخل الحرب وهو لا يدري ذلك يقاسي من الكر والفر والفزع ما يقاسي بخلاف من يدخلها كأنه نائم على فراشه وأما كونه لم يشتهر عنه في الحروب مثل ما اشتهر عن علي رضي الله عنه فلانه كان النبي

قال ومن الى يقال له هذا فقالوا له ان أسودك صنع كذا وكذا فاعطاهم مائة من الابل ينحرونها للاصنام وبكتهم من تعذيب بلال رضى الله عنه ويجوز أن يكون ابن جدعان بعد ذلك ملكه لامية بن خلف فكان يتولى تعذيبه فلا ينافى ما تقدم وقد مر عليه ورقة بن نوفل وهو يقول أحد أحد فقال ورقة نعم أحد أحد والله يا بلال ثم ان ورقة بن نوفل قال لامية والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا أى لاتخذن قبره منسكا ومترحما يروى أن بلالا رضى الله عنه حين اشتراه الصديق كان يعذب تحت الحجارة وهانت نفسه عليه فى الله عز وجل فلم يبال بتعذيبهم وكانوا يعطونه للولدان فيربطونه بحبل ويطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له أيضا عند موته كانت امرأته تقول واكرباه وهو يقول واطرباه غدا ألقى الاحبه محمدا وحزبه فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله در أبى محمد الشقراطى حيث قال فى قصيدته المشهورة

لاقى بلال بلاء من أمية قد * أحله الصبر فيها أكرم النزل
اذ أجهدوه بضنك الاسر وهو على * شدائد الازل ثبت الازر لم يزل
ألقوه بطحا برمضاء البطاح وقد * عالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت * بظهره كندوب الطل فى الطلل
ان قد ظهر ولى الله من دبر * قد قد قلب عدو الله من قبل

يعنى ان كان ظهر ولى الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده فقد جوزى عدو الله أمية بقد قلبه يوم بدر لانه قتل يومئذ كافرا وكان قد وصل السيف الى قلبه وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قد أسره يومئذ وأراد استبقاءه لصداقة كانت بينهما فى الجاهلية فرآه بلال معه فصاح باعلى صوته يا أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا رأس الكفر أمية بن خلف لانجوت ان نجا قال عبد الرحمن رضى الله عنه فتسابقوا اليه فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه عليا لاشغلهم به يقتلونه دونه فقتلوه ثم تبعونا وكان أمية رجلا ثقيلا فلما أدركونا قلت له ابرك فبرك فالقيت نفسى عليه لامنعه فنهسوه باسيافهم حتى قتلوه أى ضربوه باسيافهم فشبه ضربهم بالنهس وهو أخذ اللحم بمقدم الاسنان فعلم أن النصر مع الصبر لما صبر بلال على تعذيبه كان قتله على يديه تحقيقا لقول الله تعالى وان جندنا لهم الغالبون ألا ان حزب الله هم المفلحون والعاقبة للمتقين قيل ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه هنأ بلالا بابيات منها قوله

هنيئا زادك الرحمن خيرا * لقد أدركت ثارك يا بلال

وأخرج الحاكم عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال قال أبو قحافة والد أبى بكر رضى الله عنهما أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك فقال يا أبت انما أريد ما عند الله تعالى فانزل الله تعالى فاما من أعطى واتقى الى آخر السورة قال فى السيرة الحلبية مر أبو بكر رضى الله عنه ببلال وهو يعذب على صدره صخرة عظيمة فقال أبو بكر رضى الله عنه لامية بن خلف ألا تتقى الله فى هذا المسكين قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى قال أبو بكر رضى الله عنه عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به قال قبلت هولك فاعطاه أبو بكر رضى الله عنه غلامه ذلك وأخذ بلالا فاعتقه وفى تفسير البغوى قال سعيد بن المسيب بلغنى ان أمية بن خلف قال لابى بكر الصديق رضى الله عنه فى بلال حين قال أتبيعنيه قال نعم أبيعه بقسطاس يعنى عبدا لابى بكر رضى الله عنه كان تحت يده لابى بكر رضى الله عنه عشرة آلاف دينار للتجارة وغلمان وجوار وكان مشركا يابى الاسلام فاشترى أبو بكر رضى الله عنه بلالا به ويروى أنه لما ساوم أبو بكر رضى الله عنه أمية بن خلف فى بلال قال أمية لاصحابه لالعبن بابى بكر لعبة ما لعبها أحد باحد ثم تضاحك وقال اعطنى عبدك قسطاس قال أبو بكر رضى الله عنه ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت ذلك فتضاحك وقال لا والله حتى تعطينى معه امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت فتضاحك وقال لا والله حتى تعطينى ابنته مع امرأته قال ان فعلت تفعل قال نعم قال قد فعلت قال لا والله حتى تزيدنى مائتى دينار فقال أبو بكر رضى

صلى الله عليه وسلم يمنعه من مبارزة الشجعان ويقول اما علمت انك منى بمنزلة السمع والبصر (أخرج) الواحدى وأبو الفرج فى أسباب النزول عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر رضى الله عنه فى يوم بدر وقد أراد ان يتقدم فى أول الخيل فمنعه وقال اما تعلم انك عندى بمنزلة سمعى وبصرى ومن باهر شجاعته رضى الله عنه ثباته وتصميمه على قتال أهل الردة ومانعى الزكاة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله والله لاجاهدنهم ما استمسك السيف فى يدى وان منعونى عقالا ولقد كان عنده صلى الله عليه وسلم وعند الصحابة رضى الله عنهم من العلم بشجاعته وثباته فى الامر ما أوجب تقدمه للصلاة التى هى أساس التقديم

الله عنه أنت رجل لا تستحي من الكذب قال واللات والعزى لئن أعطيتني لافعلن قال هي لك فاخذها وأخذ أبو بكر رضي الله عنه بلالا فاعتقه وقيل اشتراه بسبع آواق وقيل برطل من ذهب وقيل غير ذلك يروى أن سيده قال لابي بكر رضي الله عنه بعد شرائه لو أبيت الا باوقية لبعناكه أي لو قلت لا أشتريه الا باوقية لاخذته فقال له أبو بكر رضي الله عنه لو طلبت مائة أوقية لاخذتها به ولما قال المشركون ما أعتق أبو بكر بلالا الا ليد كانت له عنده فكافاه بها أنزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى آخر السورة فقوله فاما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فهو أبو بكر رضي الله عنه وقوله وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فهو أمية بن خلف وقوله لا يصلاها الا الاشقى هو أمية وقوله وسيجنبها الاتقى هو أبو بكر وفي قوله الاتقى تصريح بانه اتقى البرية اذ التقدير الاتقى من كل احد لان الحذف يفيد العموم والمراد من كل احد غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان ابا بكر رضي الله عنه اشترى بلالا قال له الشرك يا ابا بكر فقال قد اعتقته يارسول الله أي لان بلالا رضي الله عنه قال لابي بكر رضي الله عنه حين اشتراه ان كنت اشتريتني لنفسك فامسكني وان كنت انما اشتريتني لله عز وجل فدعني لله تعالى فاعتقه وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم اتى ابا بكر رضي الله عنه فقال لو كان عندي مال اشتريت بلالا فانطلق العباس رضي الله عنه فاشتراه فبعث به الى ابي بكر رضي الله عنه اي ملكه له بثمنه فاعتقه فليتامل الجمع بين هذه الاقوال ويمكن ان يقال ان العباس رضي الله عنه رغب امية في بيع بلال فلما ظهر له الرضا ببيعه ارسل الى ابي بكر رضي الله عنه لعلمه برغبة ابي بكر في شرائه وعتقه فاطلق على ذلك ان العباس اشتراه والله سبحانه وتعالى اعلم وقد اشترى ابو بكر رضي الله عنه جماعة آخرين ممن كان يعذب في الله منهم حمامة ام بلال رضي الله عنهما ومنهم عامر بن فهيرة فانه كان يعذب في الله حتى لا يدري ما يقول وكان لرجل من بني تيم من قرابة ابي بكر رضي الله عنه ومنهم ابو فكيهة وكان عبدا لصفوان بن امية اسلم حين اسلم ابو بكر رضي الله عنه فربه ابو بكر رضي الله عنه وقد اخذه صفوان بن امية واخرجه نصف النهار في شدة الحر مقيدا الى الرمضاء فوضع على بطنه صخرة فاخرج لسانه وابي بن خلف عم صفوان يقول زده عذابا حتى يأتي محمد فيخلصه بسحره فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه واعتقه وممن كان يعذب فاشتراها ابو بكر رضي الله عنه أم عنيس وكانت أمة لبني زهرة كان الاسود بن عبد يغوث الزهري يعذبها فاشتراها أبو بكر رضي الله عنه وأعتقها وكذا اشترى ابنتها واسمها الطيفة قيل كانت بنتها للوليد بن المغيرة وكذا اشترى أخت عامر بن فهيرة أو أمه وكانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يسلم وكان يعذبها فمر أبو بكر رضي الله عنه عليه وهو يضربها فضربها حتى مل فاستامها منه أبو بكر رضي الله عنه ثم اشتراها وأعتقها وكذا اشترى لبينة جارية المؤمل بن حبيب وأعتقها واشترى أيضا الزنيرة على وزن سكينة وقيل بتشديد النون وكانت أمة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يسلم فكان يعذبها ومعه جماعة من قريش فتأبى الا الاسلام وكان أبو جهل لعنه الله يقول ألا تعجبوا الى هؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى به محمد خيرا وحقا ما سبقونا اليه أفتسبقنا زنيرة الى رشد وكان كفار قريش يقولون أيضا لو كان خيرا ما سبقتنا زنيرة أي ومن كان مثلها فانزل الله في شأنها وقال الذين كفروا للذين آمنوا أي مشيرين اليهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ولما اشتد الضرب والعذاب على زنيرة عميت وذهب بصرها فقال المشركون ما أصاب بصرها الا اللات والعزى وجاءها أبو جهل لعنه الله وقال لها انما فعل بك ما ترين اللات والعزى وتبعه كفار قريش على ذلك فقالت لهم والله ما هو كذلك وما يدري اللات والعزى من يعبدهما ولكن هذا أمر من السماء وربي قادر على أن يرد على بصري فرد الله عليها بصرها صبيحة تلك الليلة فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر رضي الله عنه فاعتقها وكان من تعذيب قريش لهؤلاء المسلمين أن يلبسوهم أدراع الحديد ويطرحوهم في الشمس لتؤثر حرارتها فيهم وأما النبي صلى الله عليه وسلم فمنعه الله بعمه أبي طالب وبما كان يظهره الله لاعدائه من الآيات وخوارق العادات كبعث جبريل في صورة فحل ليلتقم أبا جهل وأما أبو بكر رضي الله عنه فمنعه الله بقومه من توالي الاذى وشدته وكان يناله بعض الاذى

للامامة العظمى اذ الشجاعة والثبات في الامر هما الاهمان في أمر الامامة لا سيما في ذلك الوقت المحتاج فيه الى قتال أهل الردة وغيرهم وكان رضي الله عنه أكمل الصحابة عقلا وعلما وقد أخرج ابن عساكر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل فقال ان الله يأمرك ان تستشير أبا بكر رضي الله عنه وأخرج الطبراني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يكره ان يخطأ أبو بكر * فهذا دليل أي دليل على انه أكملهم عقلا وعلما ولا مرية في ذلك وان كان علي رضي الله عنه في غاية من العقل والعلم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم أنا مدينة العلم وعلي بابها (وقد أخرج) الديلمي في مسند الفردوس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انا مدينة العلم وأبو بكر

وسيأتي أنه أراد الهجرة الى الحبشة مع من هاجر اليها ثم جلس وأما المستضعفون فصار وا يعذبونهم بانواع العذاب ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى الحبشة وروى ابن اسحاق أن سبب الهجرة الى الحبشة أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم قال لهم لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرجوا اليها مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة في الاسلام وذلك في رجب سنة خمس من النبوة فهاجر اليها ناس ذو وعدد منهم من هاجر بنفسه وحده ومنهم من هاجر باهله فمن هاجر باهله عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه هاجر ومعه زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم رضي عنهما وأبو سلمة بن عبد الاسد هاجر ومعه زوجته أم سلمة رضي الله عنهما وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة هاجر ومعه زوجته سهلة بنت سهيل بن عمرو مراغما لكل منهما لابيه فارا بدينه فولدت له سهلة بالحبشة محمد بن أبي حذيفة وممن هاجر باهله عامر بن أبي ربيعة هاجر ومعه زوجته ليلى العدوية وهاجرت أم أيمن مع السيدة رقية رضي الله عنهما ويقال لها بركة الحبشية وهاجرت معها لتخدمها وتقوم بشأنها لانها ولدتها هي وأبوها وهو النبي صلى الله عليه وسلم وممن هاجر بلا زوجة عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ومصعب بن عمير وعثمان بن مظعون وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبي رهم وحاطب بن عمرو العامريان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم وخرجوا مشاة متسللين سرا ثم استأجروا سفينة بنصف دينار وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤا الى البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدا وكان أول من خرج عثمان بن عفان رضي الله عنه مع امرأته رقية رضي الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم ان عثمان لاول من هاجر باهله بعد نبي الله لوط عليه السلام ثم أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال صلى الله عليه وسلم صحبهما الله وكانت رقية رضي الله عنها ذات جمال بارع وكذا عثمان رضي الله عنه ومن ثم كان النساء يغنينهما بقولهن

أحسن شئ قد يرى انسان * رقية وبعلها عثمان

ويروى أنه صلى الله عليه وسلم أرسل رجلا الى عثمان ورقية رضي الله عنهما في حاجة وقيل بطعام يحمله اليهما فأبطأ عليه الرسول فلما جاء قال له صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية وتعجب من حسنهما قال نعم والذي بعثك بالحق وكان ذلك قبل نزول آية الحجاب ويذكر أن نفرا من الحبشة كانوا ينظرون رقية رضي الله عنها فتأذت من ذلك فدعت عليهم فهلكوا جميعا وقد جاء في وصف عثمان رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل عليه السلام ان أردت أن تنظر في أهل الارض شبيه يوسف عليه السلام فانظر الى عثمان رضي الله عنه وجاء في فضله رضي الله عنه أن لكل نبي رفيقا في الجنة ورفيقي فيها عثمان بن عفان رضي الله عنه ولما وصلوا الحبشة أكرمهم النجاشي وأقاموا عنده آمنين وقالوا جاورنا بها خير جار على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه ولما هاجر الناس الى الحبشة اشتد البلاء على بقية المسلمين بمكة فاراد أبو بكر رضي الله عنه الهجرة الى الحبشة فخرج حتى بلغ برك الغماد وهو موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن فلقيه ابن الدغنة سيد القارة وهي قبيلة مشهورة من بني الهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس وكانوا حلفاء لبني زهرة من قريش فقال ابن الدغنة لابي بكر رضي الله عنه أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر رضي الله عنه أخرجني قومي فاريد أن أسيح في الارض وأعبد ربي فقال ابن الدغنة مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف عشية في أشراف قريش فقال ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم ينكروا شيئا من ذلك وأجاز واجواره وقالوا مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به

أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلي بابها فهذه الرواية صريحة في ان أبا بكر اعلمهم رضي الله عنه * ويجب على المؤمن عند ورود شئ من فضائل الصحابة رضي الله عنهم ان يعتقد ذلك الفضل في حق من ورد في حقه مع اعتقاد غاية الكمال لغيره من الصحابة من غير ملاحظة نقص في أحد منهم رضي الله عنهم أجمعين (وأخرج) ابن عدي عن أبي بكر بن عياش قال قال لي هرون الرشيد يا أبا بكر كيف استخلف الناس أبا بكر رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين سكت الله تعالى وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكت المؤمنون فقال والله ما زدتني الا غما قال يا أمير المؤمنين مرض النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية أيام فدخل عليه بلال فقال يا رسول الله

فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ابن الدغنة لابي بكر رضي الله عنه ما قالوه له واشترط ذلك عليه فلبث أبو بكر رضي الله عنه يعبد ربه في داره ولا يستعلن به مدة ثم ابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقصف عليه أي يزدحم عليه نساء المشركين وأبناؤهم حتى يسقط بعضهم على بعض ويعجبون من قراءته وبكائه وكان أبو بكر رضي الله عنه رجلا بكاء اذا قرأ لا يملك عينيه فشق ذلك على أشراف قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا له انا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره وهو قد بنى له مسجدا وأعلن بالصلاة والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل وان أبى الا أن يعلن فسله أن يرد عليك ذمتك فانا قد كرهنا أن نخفرك أي نغدرك فأتى ابن الدغنة الى أبي بكر رضي الله عنه وقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما أن تقتصر على ذلك واما أن ترد على ذمتي وجواري فاني لا أحب أن تسمع العرب اني أخفرت في رجل عقدت له ذمة فقال أبو بكر رضي الله عنه لابن الدغنة فاني أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله تعالى أي حمايته قال الحافظ ابن حجر رحمه الله وفي الحديث من فضائل الصديق رضي الله عنه أشياء كثيرة قد امتاز بها عمن سواه ظاهرة لمن تأملها كموافقة ابن الدغنة في وصف الصديق رضي الله عنه لخديجة رضي الله عنها فيما وصفت به النبي صلى الله عليه وسلم عند ابتداء نزول الوحي عليه كما تقدم وذلك يدل على عظيم فضل الصديق رضي الله عنه واتصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال وجاء في بعض الاحاديث كنت أنا وأبو بكر كفرسي رهان فسبقته الى النبوة فتبعني ولو سبقني اتبعته يعني لو جاءته النبوة لتبعته وجاء في بعض الاحاديث أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما خلقوا من طينة واحدة ثم في شهر شوال سنة خمس من البعثة قدم نفر من مهاجرة الحبشة الى مكة لانه بلغهم أن كفار قريش أسلموا كلهم وسبب شيوع هذا الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ بحضرة قريش سورة والنجم من أولها الى آخرها وسجد في آخرها فلما سجد سجد معه المشركون الا رجلا واحدا وهو أمية بن خلف أخذ كفا من تراب ووضع جبهته عليه استكبارا من أن يسجد وقال يكفيني هذا والصحيح في سبب سجودهم أنهم توهموا أنه ذكر آلهتهم بخير حين سمعوا ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقيل ان الشيطان ألقى في أسماعهم في خلال القراءة بعد قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وهذه الكلمات أعني تلك الغرانيق الخ أثبتها بعض المحدثين والمفسرين ونفاها آخرون وقالوا انها كذب لا أصل لها وطعنوا في الاحاديث التي فيها ذكر ذلك وقالوا سبب سجودهم انما هو توهمهم مدح آلهتهم فقط والذين أثبتوها اختلفوا فيها اختلافا كثيرا والمحققون على تسليم ثبوتها انها ليست من كلام النبي صلى الله عليه وسلم بل الشيطان ألقاها الى أسماعهم ليفتنهم ولم يسمعها أحد من المسلمين وهذا هو المراد من قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته الآيات وقيل ان بعض الكفار هم الذين نطقوا بذكر تلك الكلمات في خلال قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فانهم كانوا يكثرون اللغط والصياح عند قراءته صلى الله عليه وسلم ويتكلمون بالفحش خوفا من اصغاء الناس الى القراءة وسماعهم لها وكان ذلك كله باغراء من الشيطان وقد حكى الله عنهم ذلك في قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ولما تبين الامر أنزل الله تعالى وما أرسلنا من قبلك الآيات ولا اشكال حينئذ في الآية والله سبحانه وتعالى أعلم ولما بلغ أرض الحبشة خبر اسلام أهل مكة فرح المسلمون الذين بأرض الحبشة وقالوا ان المسلمين قد أمنوا بمكة من الاذى فاقبلوا من أرض الحبشة سراعا حتى اذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركبا من كنانة فسألوهم عن قريش فقالوا ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم عاد يشتم آلهتهم فعادوا له بالشر فتركناهم على ذلك فائتمر القوم أي تشاوروا في الرجوع الى الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة ندخل فننظر ما فيه قريش ونحدث عهدا باهلنا ثم نرجع فدخلوها ولم يدخل أحد منهم الا بجوار الا ابن مسعود رضي الله عنه فانه دخل بلا جوار ومكث قليلا ثم أسرع الرجوع الى الحبشة وعن عثمان بن مظعون رضي الله عنه أنه لما رجع من

الحبشة

من يصلي بالناس فقال مروا أبا بكر يصلي بالناس فصلى أبو بكر ثمانية أيام والوحي ينزل فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسكوت الله تعالى وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعجبه ذلك فقال بارك الله فيك وأخرج البيهقي عن الزعفراني قال سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول اجمع الناس على خلافة أبي بكر رضي الله عنه وذلك انه اضطرب الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبي بكر فولوه رقابهم (ونقل الامام الشعراني في المنن عن المحب الطبري وكان مفتي الحرمين في زمن الشريف أبي نمي بن بركات أمير مكة رحمه الله تعالى ان الشريف أبا نمي قال للمحب الطبري بأي طريق قدمتم أبا بكر على

الحبشة مع من رجع دخل مكة فى جوار الوليد بن المغيرة المخزومى فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين المستضعفين الذين ليس لهم من يجيرهم ولا يدفع وهو آمن لا يؤذيه أحد رد على الوليد جواره وقال أكتفى بجوار الله فبينما هو فى مجلس من مجالس قريش اذ وفد عليهم لبيد بن ربيعة قبل اسلامه رضى الله عنه فقعد ينشدهم من شعره فقال لبيد * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * فقال عثمان بن مظعون رضى الله عنه صدقت فقال * وكل نعيم لا محالة زائل * فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد يا معشر قريش متى كان يؤذى جليسكم فقام رجل منهم فلطم عثمان بن مظعون فاخضرت عينه فلامه الوليد على رد جواره وقال له قد كنت فى ذمة منيعة فقال عثمان ان عينى الاخرى الى ما أصاب أختها لفقيرة وقال الوليد عد الى جوارك فقال لا بل أرضى بجوار الله تعالى وكان من جملة من رجع من الحبشة بعد الهجرة الاولى عند بلوغهم خبر اسلام قريش أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومى زوج أم سلمة رضى الله عنها قبل أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو سلمة من السابقين للاسلام وهو ابن عمة النبى صلى الله عليه وسلم لان أمه برة بنت عبد المطلب ولما رجع الى مكة مع من رجع دخل فى جوار خاله أبى طالب فمشى الى أبى طالب رجال من مخزوم أى جاؤا اليه وقالوا يا أبا طالب منعت منا ابن أخيك فمالك ولصاحبنا عثمان يدون أخذه وتعذيبه فقال لهم أبو طالب انه استجار بى وانه ابن أختى وأنا ان لم أمنع ابن أختى لم أمنع ابن أخى وقام أبو لهب مع أبى طالب على أولئك الرجال وقال لهم يا معشر قريش لا تزالون تعارضون هذا الشيخ فى جواره من قومه لتنتهن أولا قومن معه فى كل مقام يقوم فيه حتى يبلغ ما أراد فقالوا ننصرف عما تكره يا أبا عتبة وأجازوا ذلك الجوار خوفا من أن يكون أبو لهب مع أبى طالب فى نصرة النبى صلى الله عليه وسلم وذلك لان أبا لهب كان مع قريش فى منابذة النبى صلى الله عليه وسلم ومعاداته فكان أبو لهب لقريش وليا وناصرا فخافوا من خروجه من بينهم ولما انتصر أبو لهب أبا طالب فى هذه القصة طمع أبو طالب فى أن يكون أبو لهب معه فى نصرة النبى صلى الله عليه وسلم وأنشأ أبياتا يحرضه فيها على نصرة النبى صلى الله عليه وسلم فلم يفعل ثم لما تبين للمسلمين الذين رجعوا من الحبشة أن قريشا لم يسلموا رجعوا الى الحبشة وتسمى هذه الرجعة بالهجرة الثانية الى الحبشة فهاجر عامة من آمن بالله ورسوله أى غالبهم فكانوا عند النجاشى ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن أبى طالب ومعه زوجته أسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد الله بالتصغير بن جحش ومعه زوجته أم حبيبة بنت أبى سفيان فتنصر زوجها هنالك ثم مات على النصرانية وبقيت أم حبيبة رضى الله عنها على اسلامها وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وعن أم حبيبة رضى الله عنها قالت رأيت فى المنام آتيا يقول يا أم المؤمنين ففزعت وأولتها بان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوجنى فكان كذلك وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه أنه بلغه مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو باليمن فخرج هو ونحو خمسين رجلا فى سفينة مهاجرين اليه صلى الله عليه وسلم فالقتهم السفينة الى النجاشى بالحبشة فوجدوا جعفر بن أبى طالب وأصحابه فامرهم جعفر بالاقامة فاستمروا كذلك حتى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم عند فتح خيبر كما سيأتى ان شاء الله وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم مقيمين عند النجاشى على أحسن مقام بخير دار عند خير جار فبعثت قريش خلفهم عمرو بن العاص ومعه عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى وعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومى ولكن المحققون على ان عبد الله بن أبى ربيعة لم يكن مع عمرو فى هذه السفرة وانما كان معه فى سفرة أخرى وهى التى بعد وقعة بدر كما سيأتى وأما هذه السفرة فالرسولان فيها عمرو وعمارة فقط وعمارة هذا هو الذى أرادت قريش دفعه لابى طالب يربيه بدلا عن النبى صلى الله عليه وسلم ويعطيهم النبى صلى الله عليه وسلم يقتلونه وبعثت قريش مع أولئك النفر هدية للنجاشى فرسا وجبة ديباج وأهدوا هدايا لعظماء الحبشة ليعينوهم فى قضاء مطالبهم وهو أن يردوا من جاء اليهم من المسلمين فدخل على النجاشى عمرو بن العاص وعمارة ابن الوليد فلما دخلا عليه سجدا له وقعد واحد عن يمينه والآخر عن شماله وقيل أجلس عمرو بن العاص معه على سريره وقبل هديته ما فقالا له ان نفرا من بنى عمنا نزلوا أرضك فرغبوا عنا وعن آلهتنا ولم يدخلوا فى دينكم

على عدم غزارة علمه وقربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا سيدى لم نقدم أبا بكر برأينا ومالنا فى ذلك أمر وانا جدك صلى الله عليه وسلم قال مروا أبا بكر فليصل بالناس وقرأنا هذا الحديث بالسند الصحيح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الصحابة رضى الله عنهم من رضيه رسول صلى الله عليه وسلم لديننا ضيناه لدنيانا فقال الشريف أبو نمى نعم فعمر فقال المحب الطبرى وأما عمر فان أبا بكر رضى الله عنه عند موته اختاره للمسلمين فقال الشريف أبو نمى نعم فعثمان فقال المحب الطبرى ان عمر رضى الله عنه جعل الامر شورى بين من توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فقدموا عثمان رضى الله عنه فقال الشريف أبو نمى فمعاوية فقال المحب

بل جاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قريش ليردهم اليهم قال وأين هم قالوا بأرضك فأرسل في طلبهم وقال له عظماء الحبشة ادفعهم اليهم فهم أعرف بحالهم فقال لهم لا والله حتى أعلم على أي شيء هم فقال عمرو هم لا يسجدون لك وفي رواية لا يخرون لك ولا يحيونك كما يحييك الناس اذا دخلوا عليك رغبة عن سنتكم ودينكم فلما جاؤا له قال لهم جعفر رضي الله عنه أنا خطيبكم اليوم وفي رواية لما جاءهم رسول النجاشي يطلبهم اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه فقال جعفر رضي الله عنه أنا خطيبكم اليوم وانما نقول ما علمنا وما أمرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون ما يكون وقد كان النجاشي دعا أساقفته وأمرهم بنشر مصاحفهم حوله فلما جاء جعفر وأصحابه صاح جعفر وقال جعفر بالباب يستأذن ومعه حزب الله فقال النجاشي نعم يدخل بأمان الله وذمته فدخل عليه ودخلوا خلفه فسلم فقال الملك لا تسجدوا فقال عمرو لعمارة ألا ترى كيف يكتنون بحزب الله وما أجابهم به الملك وفي رواية أخرى لم يذكر فيها أن الملك قال لهم لا تسجدوا وذكر بدله أن عمرو بن العاص قال للنجاشي ألا ترى أيها الملك انهم مستكبرون ولم يحيوك بتحيتك يعني السجود فقال النجاشي ما منعكم أن تسجدوا لي وتحيوني بتحيتي التي أحيا بها فقال جعفر انا لا نسجد الا لله عز وجل قال ولم ذلك قال لان الله تعالى أرسل فينا رسولا وأمرنا أن لا نسجد الا لله عز وجل وأخبرنا ان تحية أهل الجنة السلام فحييناك بالذي يحيي به بعضنا بعضا وأمرنا بالصلاة يعني ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي لان الصلوات الخمس لم تكن فرضت ذلك الوقت وأمرنا بالزكاة أي مطلق الصدقة لان زكاة المال لم تفرض الا بالمدينة وقيل المراد من الزكاة الطهارة قال عمرو بن العاص للنجاشي فانهم يخالفونك في ابن مريم العذراء يعني عيسى عليه الصلاة والسلام ولا يقولون انه ابن الله قال النجاشي فما تقولون في ابن مريم وأمه قال جعفر نقول كما قال الله تعالى روح الله وكلمته ألقاها الى مريم فقال النجاشي يا معشر الحبشة والقسيسين ما يزيدون على ما تقولون اشهد انه رسول الله وأنه المبشر به عيسى في الانجيل ومعنى كونه روح الله أنه حاصل عن نفخة روح القدس الذي هو جبريل ومعنى كونه كلمة الله أنه قال له كن فكان وفي رواية أن النجاشي قال لمن عنده من القسيسين والرهبان أنشدكم بالله الذي أنزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا صفته ما ذكر هؤلاء قالوا اللهم نعم قد بشر به عيسى فقال من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فعند ذلك قال النجاشي والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتبعته فأكون أنا الذي أحمل نعليه وأوضيه اي أغسل يديه وقال للمسلمين انزلوا حيث شئتم من أرضي آمنين بها وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق وقال من نظر الى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصاني وفي رواية قال لهم اذهبوا فانتم آمنون من سبكم غرم قالها ثلاثا أي غرم أربعة دراهم أضعفها وأمر بهدية عمرو ورفيقه فردها عليهما وفي رواية أن النجاشي قال ما أحب أن يكون لي دبر من ذهب أي جبل وأن أوذي رجلا منكم ردوا عليهم هداياهم فلا حاجة لي بها فوالله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه وكان النجاشي أعلم النصارى بما أنزل على عيسى عليه السلام وكان قيصر يرسل اليه علماء النصارى ليأخذوا العلم عنه وقد بينت عائشة رضي الله عنها السبب في قول النجاشي ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي وهو أن والد النجاشي كان ملكا للحبشة فقتلوه وولوا أخاه الذي هو عم النجاشي فنشأ النجاشي في حجر عمه لبيبا حازما وكان لعمه اثنا عشر ولدا لا يصلح واحد منهم للملك فلما رأت الحبشة نجابة النجاشي خافوا أن يتولى عليهم فيقتلهم بقتلهم لابيه فمشوا لعمه في قتله فأبى وأخرجه وباعه ثم لما كان عشاء تلك الليلة مرت على عمه صاعقة فمات فلما رأت الحبشة أن لا يصلح أمرها الا النجاشي ذهبوا وجاؤا به من عند الذي اشتراه وعقدوا له التاج وملكوه عليهم فسار فيهم سيرة حسنة وفي رواية ما يقتضي أن الذي اشتراه رجل من العرب وأنه ذهب به الى بلاده ومكث عنده مدة ثم لما مرج أمر الحبشة وضاق عليهم ما هم فيه خرجوا في طلبه وأتوا به من عند سيده ويدل لذلك ما سيأتي أنه عند وقعة بدر أرسل وطلب من كان عنده من المسلمين فدخلوا عليه فاذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال انا نجد في الانجيل ان الله سبحانه

الطبري هو مجتهد كما أن عليا رضي الله عنه كان مجتهدا فقال الشريف فمع من تقاتل لو كنت أدركتهما فقال مع علي رضي الله عنه فقال الشريف جزاك الله عنا خيرا قال الشعراني فانظر يا أخي الى هذا الكلام النفيس من هذا العالم الذي ما خرج عن الاتباع في شيء (وأما ما ورد) عن أكابر علماء أهل البيت من الثناء على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم والاعتراف بحقية خلافتهم فشيء كثير لا ينحصر ولا ينضبط فمن ذلك ما أخرجه أبو نعيم عن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضي الله عنهما انه قيل له ان قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه نص في امامة علي رضي الله عنه فانكر ان يكون ذلك نصا وقال لو عنى بذلك النبي صلى

وتعالى اذا أحدث لعبده نعمة وجب عليه أن يحدث لله تواضعا وان الله تعالى قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهي أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه التقوا مع أعدائه وأعدائهم واقتتلوا بواد يقال له الاراك كنت أرعى فيه الغنم لسيدي من بني ضمرة وأن الله تعالى قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه وذكر السهيلي أنه كان اذا قرئ عليه القرآن يبكي حتى تخضل لحيته وهذا يدل على طول مكثه ببلاد العرب حتى تعلم من لسان العرب ما يفهم به معاني القرآن وعن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا خير جار أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيأ نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا أن يبعثوا رجلين جلدين وان يهدوا للنجاشي هدايا مما يستطيعون من متاع مكة وكان اعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له ادما كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا اهدوا اليه هدية أي هيؤا له هدية ولا يخالف ما تقدم من ان الهدية كانت فرسا وجبة ديباج لانه يجوز ان يكون بعض الادم ضم الى تلك الفرس والجبة للملك وبقية الادم فرق على اتباعه ليعاونوهما على مطلوبهما والاقتصار على الفرس والجبة في الرواية السابقة لان ذلك خاص بالملك ثم بعثوا عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص يطلبون من النجاشي ان يسلمنا لهم أي قبل أن يكلمنا وحسن له بطارقته ذلك لانهما لما وصلا هدايا هم اليهم قالوا لهم اذا نحن كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه ان يسلمهم اليهما قبل ان يكلمهم موافقة لما وضب عليه قريش فقد ذكرانهم قالوا لهما ادفعوا لكل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم ثم قدما للنجاشي هدايا ه ثم اسالاه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم فلما جاآ الى الملك قالا له أيها الملك قد صبا الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنت جاءهم به رجل كذاب خرج فينا يزعم أنه رسول الله ولم يتبعه منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم ليردوهم اليهم فهم أعلم بما عابوا عليهم فقال بطارقته صدقوا أيها الملك قومهم أعلم بهم فاسلمهم اليهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي وقال لاها الله أي لا والله لا أسلمهم ولا يكادون من قومهم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي حتى أدعوهم فاسألهم عما يقول هذان من أمرهم فان كان كما يقولان سلمتهم اليهما والا منعتهم عنهما وأحسنت جوارهم ما جاوروني قال جعفر رضي الله عنه ثم أرسل الينا ودعانا فلما دخلنا سلمنا فقال من حضره مالكم لا تسجدون للملك قلنا لا نسجد الا لله تعالى فقال النجاشي ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين احد من الملوك قلنا أيها الملك كنا قوما اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الارحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع أي نترك ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الاحجار والاوثان وأمرنا أن نعبد الله وحده وأمرنا بالصلاة أي ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي والزكاة أي مطلق الصدقة والصيام أي ثلاثة أيام من كل شهر لان صوم رمضان انما فرض بالمدينة وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء أي ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعدا علينا قومنا ليردونا الى عبادة الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك فقال النجاشي لجعفر هل عندك شيء مما جاء به قلت نعم قال فاقرأ علي فقرأت عليه صدرا من كهيعص أي لكونها فيها قصة مريم وعيسى عليهما السلام فبكى والله النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى أساقفته وفي رواية هل عندك مما جاء به عن الله شيء فقال جعفر نعم قال فاقرأه علي قال البغوي فقرأ عليه سورة العنكبوت والروم ففاضت عيناه وأعين أصحابه بالدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث فقرأ عليهم سورة الكهف فقال النجاشي هذا والله الذي جاء به موسى وفي رواية ان هذا والذي جاء به موسى ليخرجان من مشكاة واحدة وهذا يدل على ان عيسى عليه السلام كان مقررا لما جاء به موسى وفي رواية بدل موسى عيسى ويؤيده ما في رواية أنه قال ما زاد

الله عليه وسلم الامارة والسلطان لافصح لهم كما أفصح عن الصلاة والزكاة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أنصح الناس للمسلمين ولقال يا أيها الناس هذا ولي أمري والقائم عليكم بعدي فاسمعوا وأطيعوا اما كان من هذا شيء فوالله لئن كان الله ورسوله اختارا عليا لهذا الامر والقيام به للمسلمين من بعده ثم ترك علي أمر الله ورسوله ان يقوم به أو يعذر فيه للمسلمين لكان أعظم الناس خطيئة وحاشاه من ذلك (وأخرج) الدارقطني عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه انه لما قدم المدينة سأل ابا جعفر محمد الباقر رضي الله عنه عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فترحم عليهما فقال له أبو حنيفة يقولون عندنا بالعراق انك تبرأ

هـذا على ما في الانجيل لا هذا العود مشيرا العود كان في يده أخذه من الارض وأنزل الله في النجاشي وأصحابه واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول الآيات في سورة المائدة وفي رواية أن جعفرا قال للنجاشي سلهما أعبيد نحن أم أحرار فان كنا عبيدا أبقنا من أربابنا فارددنا اليهم فقال عمرو بل أحرار فقال جعفر سلهما هل أرقنا دما بغير حق فيقتص منا هل أخذنا أموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤه فقال عمرو لا فقال النجاشي لعمرو وعمارة هل لكما عليهم دين قالا لا قال انطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما أبدا ولو أعطيتموني دبرا من ذهب أي جبلا من ذهب ثم غدا عمرو الى النجاشي أي أتى اليه في غد ذلك اليوم وقال له انهم يقولون في عيسى قولا عظيما أي يقولون انه عبد الله وانه ليس ابن الله وفي لفظ أن عمرا قال للنجاشي أيها الملك انهم يشتمون عيسى وأمه في كلامهم فاسألهم فذكر له جعفر ذلك أي أجابه بما تقدم في الرواية الاولى هذا وعن عروة بن الزبير انما كان يكلم النجاشي عثمان بن عفان وهو حصر عجيب فليتامل ويمكن أن يقال ان مجالسهم تلك تكررت فمرة كان الكلام فيها مع جعفر ومرة مع عثمان رضي الله عنهما وروى الطبراني عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه باسناد فيه رجال الصحيح أن عمرو بن العاص مكر بعمارة بن الوليد أي للعداوة التي وقعت بينهما في سفرهما أي من ان عمرو بن العاص كان مع زوجته وكان قصيرا دميما وكان عمارة رجلا جميلا ففتن امرأة عمرو وهوته فنزل هو وهي في السفينة فقال عمارة لعمرو مر امرأتك فلتقبلني أي تقبل معي فقال له عمرو ألا تستحي فاخذ عمارة عمرا ورمى به في البحر فجعل عمرو يسبح وينادي أصحاب السفينة ويناشد عمارة حتى أدخله السفينة فاضمرها عمرو في نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلي ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو فقال أنت رجل جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لزوجة النجاشي لعلها أن تشفع لنا عنده ففعل عمارة ذلك وكرر تردده اليها حتى أهدت اليه من عطرها ودخل عندها يوما فلما تحقق ذلك عمرو أتى النجاشي وأخبره بذلك فقال ان صاحبي هذا صاحب نساء وانه يريد أهلك وانه عندها الآن فبعث النجاشي فاذا عمارة عند امرأته فقال لولا أنه جاري لقتلته ولكن سافعل به ما هو شر من القتل فدعا بساحر فنفخ في احليله نفخة صار منها هائما على وجهه مسلوب العقل حتى لحق بالوحوش في الجبال الى أن مات على تلك الحال ومن شعر عمرو بن العاص يخاطب به عمارة بن الوليد

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما
قضى وطرا منه وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

ولازال عمارة مع الوحوش الى ان كانت خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وان بعض الصحابة وهو ابن عمه عبد الله بن أبي ربيعة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استاذنه في المسير اليه لعله يجده فاذن له عمر رضي الله عنه فسار عبد الله الى أرض الحبشة واكثر النشدة والفحص عن أمره حتى اخبر انه في جبل يرد مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فجاء اليه وامسكه فجعل يقول ارسلني والا موت الساعة فلم يرسله فمات من ساعته وسيأتي بعد غزوة بدر ان شاء الله انهم ارسلوا للنجاشي عمرو بن العاص أيضا وعبد الله بن أبي ربيعة هذا وكان اسمه بحيرا فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وأبو ربيعة هذا هو أبو عبد الله كان يقال له ذو الرمحين وأم عبد الله هي أم أبي جهل بن هشام فهو أخو أبي جهل لامه فارسلوهما اليه ليدفع اليهما من عنده من المسلمين ليقتلوهم فيمن قتل ببدر وذكر بعضهم ان ارسال قريش لعمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ومعهما عمارة بن الوليد كان في الهجرة الاولى للحبشة والصواب أن ارسال عمرو وعمارة في الهجرة الثانية وان ابن أبي ربيعة انما كان مع عمرو بعد بدر كما علمت وان كان يمكن أن يكون عبد الله بن أبي ربيعة أرسلته قريش مرتين

(ذكر اسلام عمر رضي الله عنه)

قد انجر الكلام من الهجرة الاولى الى الهجرة الثانية واسلام عمر رضي الله عنه انما كان بعد الهجرة الاولى وقبل الهجرة الثانية قال ابن اسحاق أسلم عمر رضي الله عنه عقب الهجرة الاولى الى الحبشة سنة ست من

منهما فقال معاذ الله كذبوا ورب الكعبة (وأخرج) الدارقطني عن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضي الله عنهم انه سئل عن المسح على الخفين فقال للسائل امسح فقد مسح عمر رضي الله عنه فقال له السائل انما أسألك أنت تمسح فقال ذلك أعجز لك أخبرك عن عمر وتسألني عن رأيي فعمر خير مني وملء الارض مثلي فقيل له هذا تقية فقال نحن بين القبر والمنبر اللهم هذا قولي في السر والعلانية فلا تسمع قول أحد بعدي ثم قال من هذا الذي يزعم ان عليا كان مقهورا وان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بامر فلم ينفذه فكفى بهذا ازدراء ومنقصة وحاشا عليا رضي الله عنه من ذلك فانظر الى كلام هذا الامام واسناده مسح الخفين الى عمر مع ان المسح

المبعث وقيل سنة خمس وقيل أسلم بعد حمزة بثلاثة أيام وكان اسلامه بسبب استجابة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيه فانه قال اللهم اعز الاسلام باحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام وهو أبو جهل وكان المسلمون تسعة وثلاثين رجلا فكمل الله به الاربعين وكان عمر رضي الله عنه يحدث عن اسلامه قال بلغني اسلام أختي فاطمة بنت الخطاب زوج سعيد بن زيد قال وكنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيني رجل من قريش فقال أين تذهب انك تزعم انك هذا أي انك الصلب القوي في دينك وقد دخل عليك هذا الامر في بيتك قال وما ذاك قال أختك قد صبات فرجعت مغضبا وقد كان صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا اسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج أختي رجلين فجئت حتى قرعت الباب فقيل من هذا فقلت ابن الخطاب قال وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتي تبادروا واختفوا ونسوا الصحيفة من أيديهم فقامت المرأة ففتحت لي فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغني عنك انك صبات أي خرجت عن دينك ثم ضربتها وفي رواية أن عمر وثب على ختنه سعيد بن زيد وأخذ بلحيته وضرب به الارض وجلس على صدره فجاءت أخته لتكفه عن زوجها فلطمها لطمة شج بها وجهها فسال الدم فلما رأت الدم بكت وغضبت وقالت أتضربني يا عدو الله على أن أوحد الله لقد أسلمنا على رغم انفك يا ابن الخطاب فما كنت فاعلا فافعل قال عمر رضي الله عنه فاستحييت حين رأيت الدم فقمت وجلست على السرير وانا مغضب فنظرت فاذا كتاب في ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب اعطينيه انظره وكان عمر قارئا فقالت له لا اعطيكه لست من اهله انت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر ولا يمسه الا المطهرون قال فلم ازل بها حتى اعطتنيه وفي رواية قال اعطوني هذه الصحيفة فاقرأها وكان عمر رضي الله عنه يقرأ الكتب قالت اخته لا افعل قال ويحك وقع في قلبي مما قلت فاعطيني انظر اليها واعطيك من المواثيق ان لا اخونك حتى تحوزيها حيث شئت قالت انك رجس فانطلق فاغتسل أو توضأ فانه كتاب لا يمسه الا المطهرون فخرج ليغتسل فخرج خباب اليها فقال أتدفعين كتاب الله الى كافر قالت نعم اني أرجو ان يهدي الله أخي فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعته اليه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي وجعلت أفكر من أي شئ اشتق أي أخذ ثم رجعت الى نفسي وأخذت الصحيفة فاذا فيها سبح لله ما في السموات والارض فجعلت اقرأ وأفكر حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وفي رواية فاخرجوا الى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أسماء طيبة طاهرة طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فعظمت في صدري وقلت من هذا فرت قريش فلما بلغ فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى تشهد وفي رواية كان مع سورة طه اذا الشمس كورت وأن عمر انتهى الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ويمكن الجمع بانه وجد السور الثلاث في صحيفة أو صحيفتين فقرأ وتشهد عقب بلوغ كل من الآيتين ولما بلغ انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري قال ما ينبغي لمن يقول هذا ان يعبد معه غيره دلوني على محمد صلى الله عليه وسلم فخرج القوم الذين كانوا عند أخته يعني زوجها سعيد بن زيد وخباب بن الارت أحد الرجلين اللذين ضمهما المصطفى صلى الله عليه وسلم الى سعيد وكان خباب يقرئهم القرآن والرجل الثالث لم يعرف اسمه يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه مني وحمدوا الله تعالى ثم قالوا يا ابن الخطاب ابشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم أعز الاسلام بعمر أو بعمرو وانا نرجو أن تكون دعوته لك فابشر فلما عرفوا مني الصدق قلت أخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو في أسفل الصفا فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت في أسفل الصفا وهي دار الارقم كان صلى الله عليه وسلم مختفيا فيها ومعه من

أيضا ثابت عن علي رضي الله عنه كما في صحيح البخاري فلم يسنده الى علي رضي الله عنه بل أسنده الى عمر رضي الله عنه ليرد على من يزعم تنقيصه (وأخرج) الدارقطني أيضا عن محمد النفس الزكية بن عبد الله المحض انه قال لما سئل عن الشيخين رضي الله عنهما انهما عندي أفضل من علي رضي الله عنه وأخرج أيضا عن محمد الباقر ابن زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم انه قال اجمع بنو فاطمة رضي الله عنها على ان يقولوا في الشيخين أحسن ما يكون من القول (وأخرج أيضا) عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر رضي الله عنهما ان رجلا جاء الى أبيه زين العابدين ابن الحسين بن علي رضي الله عنهم فقال له اخبرني عن أبي بكر فقال عن الصديق فقال وتسمية الصديق

المسلمين و يقال لها اليوم دار الخيزران قال عمر رضي الله عنه فقرعت الباب فقيل من هذا قلت ابن الخطاب
قال وقد عرفوا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا باسلامي فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب
فقال صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وقال حمزة رضي الله عنه لما رأى وجل القوم افتحوا
له فان يرد الله به خيرا يسلم و يتبع النبي صلى الله عليه وسلم وان يرد غير ذلك كان قتله علينا هينا ففتحوا له قال
ودخلت وأخذ رجلان بعضدي قيل ان حمزة أخذ بيمينه والزبير بيساره حتى دنوت من النبي صلى الله عليه
وسلم فقال أرسلوه فارسلوني فجلست بين يديه فاخذ بجمع ثيابي فجذبني اليه جذبة شديدة وفي رواية فاستقبله
النبي صلى الله عليه وسلم في صحن الدار فاخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وهزه هزة فارتعد عمر من هيبة النبي صلى
الله عليه وسلم فما تمالك عمر ان وقع على ركبتيه فقال أما انت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال
ما أنزل بالوليد بن المغيرة ولعله صلى الله عليه وسلم فعل معه ذلك ليثبته الله على الاسلام و يلقي حبه الطبيعي في
قلبه ويذهب عنه رجز الشيطان فكان كذلك حتى كان الشيطان يفر منه وليكون شديدا على الكفار في الدين
فصار كذلك وفي رواية فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى ان تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة فقال
يا رسول الله جئت لأومن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم و بما جاء من عند الله ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد
أخذه بمجامع ثوبه وهزه أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه اللهم اهد عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر
ابن الخطاب اللهم أخرج ما في صدر عمر من غل وأبدله ايمانا فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأن رسول الله فكبر
النبي صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون بعد تكبيرة واحدة سمعت بطرق مكة ولا ينافي هذا اتيانه بالشهادة في بيت
أخته قبل خروجه الى النبي صلى الله عليه وسلم لاحتمال تكرر ذلك منه قال عمر رضي الله عنه وكان الرجل اذا
أسلم استخفى باسلامه فقلت يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على
الحق ان متم وان حييتم قلت ففيم الخفاء يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال
يا عمر انا قليل وقد رأيت ما لقينا فقال عمر والذي بعثك بالحق نبيا لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست
فيه بالايمان قال عمر رضي الله عنه وأحببت أن أظهر اسلامي وان يصيبني ما أصاب من أسلم من الضرر
والاهانة فذهبت الى خالي وكان شريفا في قريش وهو أبو جهل فاعلمته أني صبوت وفي رواية قال عمر رضي
الله عنه لما أسلمت تذكرت اي أهل مكة أشد عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آتيه فاخبره اني قد
أسلمت فذكرت أبا جهل فجئته فدققت عليه الباب فقال من بالباب فقلت عمر بن الخطاب فخرج الي وقال
مرحبا وأهلا يا ابن أختي ما جاء بك قلت جئت لاخبرك وفي لفظ لابشرك ببشارة قال أبو جهل وما هي يا ابن
أختي فقلت اني آمنت بالله و برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقت ما جاء به فضرب الباب في وجهي وهو
معنى أجاف الباب الثابت في بعض الروايات وقال قبحك الله وقبح ما جئت به ثم ما زال عمر رضي الله عنه يراجع
النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج من دار الارقم الى المسجد حتى وافقه على ذلك فخرجوا في صفين في أحدهما
عمر وفي الآخر حمزة رضي الله عنهما حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش اليهم فاصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها وفي
رواية خرجوا في صفين لهم كديد ككديد الطحين فسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الفاروق رضي الله
عنه لان الله فرق به بين الحق والباطل قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر رضي الله عنه وفي
رواية عن عمر رضي الله عنه بعد ان أسلمت خرجت فذهبت الى رجل لم يكتم السر فقلت اني صبوت فرفع صوته
باعلاه ألا ان ابن الخطاب قد صبا وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما أسلم عمر قال أي قريش أنقل للحديث
فقيل له جميل بن حبيب فغدا عليه وغدوت أتبع أثره وأنا غلام اعقل ما رأيت حتى جاءه فقال أعلمت يا جميل
اني قد أسلمت ودخلت في دين محمد فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبي حتى اذا قام على
باب المسجد صرخ باعلى صوته يا معشر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة الا ان ابن الخطاب قد صبا
و يقول عمر من خلفه كذب ولكني أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فما زال الناس
يضربونني وأضربهم حتى قال خالي ما هذا قالوا ابن الخطاب فقام على الحجر وأشار بكمه ألا اني أجرت ابن

فقال ثكلتك أمك قد سماه
صديقا رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمهاجرون
والانصار ومن لم يسمه
الصديق فلا صدق الله عز
وجل قوله في الدنيا والآخرة
اذهب فاحب أبا بكر وعمر
رضي الله عنهما (واخرج
ايضا) ان أبا جعفر محمدا
الباقر رضي الله عنهما سئل
عن حلية السيف فقال
لا باس به قد حلى ابو بكر
الصديق رضي الله عنه سيفه
فقيل له وتقول الصديق فقال
نعم الصديق نعم الصديق نعم
الصديق فمن لم يقل الصديق
فلا صدق الله قوله في الدنيا
والآخرة وأخرجه ابن
الجوزي في صفوة الصفوة وزاد
فيه فوثب وثبة واستقبل
القبلة وقال نعم الصديق الى
آخر الخبر (واخرج ايضا) عن
زيد بن علي بن الحسين رضي
الله عنهم انه قال لمن يتبرأ
منهما والله ان البراءة منهما

أختي فانكشف الناس عني لجلالة خالي عندهم قال بعضهم ان أم عمر حنتمة بنت هاشم بن المغيرة وهاشم وهشام والد أبي جهل أخوان فابوجهل ابن عم أم عمر فيكون خاله مجازا لان عصبة الام اخوال الابن وفي السيرة الحلبية أن عتبة بن ربيعة وثب على عمر رضي الله عنه حين أسلم فالقاه عمر رضي الله عنه الى الارض وبرك عليه وجعل يضربه وجعل أصبعيه في عينيه فجعل عتبة يصيح ولا يدنو منه أحد الا أخذه عمر رضي الله عنه بشراسيفه وهي طرف أضلاعه وعند ابن اسحق أن العاص بن وائل السهمي أجار عمر منهم حينئذ فيحتمل أنه هو وأبو جهل كل منهما أجاره وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال بينا عمر في الدار خائفا اذ جاء العاص بن وائل السهمي أبو عمرو بن العاص وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال ما بالك قال زعم قومك انهم سيقتلوني لاني أسلمت قال لا سبيل اليك بعد أن قال آمنت فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال اين تريدون فقالوا ابن الخطاب الذي قد صبا قال لا سبيل اليه فكر الناس وانصرفوا ثم رد عمر رضي الله عنه الى العاص جواره قال فما زلت أضرب واضرب حتى اعز الله الاسلام وفي رواية عن عمر رضي الله عنه في سبب اسلامه قال بينا أنا عند آلهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم يسمع قط صوت أشد منه يقول ياجليح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله فما نشبنا ان قيل هذا نبي وروى ابو نعيم في الدلائل عن طلحة وعائشة عن عمر رضي الله عنهم ان اباجهل لعنه الله جعل لمن يقتل محمدا مائة ناقة حمراء أو سوداء والف اوقية من فضة وفي رواية ان اباجهل بن هشام قال يامعشر قريش ان محمدا قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أن من مضى من آبائكم يتهافتون في النار ألا من قتل محمدا فله على مائة ناقة حمراء أوسوداء اوالف اوقية من فضة فقال عمر رضي الله عنه انا لها قالوا انت لها وتعاهد معهم على ذلك وفي رواية فقلت له ياابا الحكم الضمان صحيح قال نعم فخرجت متقلدا السيف متنكبا كنانتي اريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل وهم يريدون ذبحه فقمت انظر اليه فاذا صائح يصيح من جوف العجل يا آل ذريح امر نجيح رجل يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقلت في نفسي ان هذا الامر ما يراد به الا انا ثم مررت بصنم فاذا هاتف من جوفه يقول

يا أيها الناس ذو والاجسام * ما أنتم وطائش الاحلام * ومسندا الحكم الى الاصنام
أصبحتم كراتع الانعام * أما ترون ما أرى أمامي * من ساطع يجلو دجى الظلام
قد لاح للناظر من تهام * وقد بدا للناظر الشآمي * محمد ذو البر والاكرام
أكرمه الرحمن من امام * قد جاء بعد الشرك بالاسلام * يامر بالصلاة والصيام
والبر والصلات للارحام * ويزجر الناس عن الآثام
فبادروا سبقا الى الاسلام * بلا فتور وبلا احجام *

قال عمر فقلت والله ما أراه الا أرادني ثم مررت بالضمار فاذا هاتف من جوفه يقول

أودى الضمار وكان يعبد مرة * قبل الكتاب وقبل بعث محمد
ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدي
سيقول من عبد الضمار ومثله * ليت الضمار ومثله لم يعبد
أبشر أباحفص بدين صادق * يهدي اليك وبالكتاب المرشد
واصبر أباحفص فانك آمر * ياتيك عز غير عز بني عدي
لا تعجلن فانت ناصر دينه * حقا يقينا باللسان وباليد

قال عمر رضي الله عنه فوالله لقد علمت أنه أرادني فلقيني نعيم بن عبد الله النحام وكان يخفي اسلامه فرقا من قومه فقال أين تذهب قلت أريد هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش فاقتله فقال نعيم ياعمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الارض وبالغ في منعه ثم أراد أن يشغله عن ذلك بشئ آخر فقال له ألا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم وذكر له اسلام أخته وزوجها سعيد بن زيد فذهب اليهم وذكر

براءة من علي رضي الله عنه تقدم أو تأخر * وزيد هذا كان اماما جليلا خرج على هشام بن عبد الملك واستشهد سنة احدى وعشرين ومائة ولما أراد الخروج تابعه خلق من الكوفة وحضر اليه كثير من الشيعة فقالوا له ابرأ من الشيخين ونحن نبايعك فابى فقالوا انا نرفضك فقال اذهبوا فانتم الرافضة فمن حينئذ سموا الرافضة (وأخرج) ابن ابي شيبة ان زيدا هذا قيل له ان ابابكر رضي الله عنه انتزع من فاطمة رضي الله عنها فدك فقال ان ابابكر كان رحيما وكان يكره ان يغير شيأ تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لو رجع الامر الى لقضيت بقضاء ابي بكر رضي الله عنه (واخرج عنه ايضا) انه قال للرافضة انطلقت الخوارج فبرئت من دون ابي بكر وعمر

القصة بطولها وقيل ان الذى لقيه سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وكان قد أسلم قبل عمر رضى الله عنه فقال أين تريد يا عمر فقال أريد أن أقتل محمدا قال أنت أصغر وأحقر من ذلك تريد أن تقتل محمدا وتدعك بنو عبد مناف تمشى على الارض فقال له عمر ما أراك الا قد صبأت فأبدأ بك فأقتلك فقال سعد أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فسل عمر سيفه وسل سعد سيفه وشد كل منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا قال سعد يا عمر مالك لا تصنع هذا بختنك زيد سعيد بن زيد بن زيد فقد صبأ فقال صبأ قال نعم وأراد سعد بذلك صرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه عمر وسار الى أخته الى آخر القصة ولا مانع أنه لقى كلا من نعيم وسعد وحصل بينهما ماذكر وفى رواية أن سبب اسلامه رضى الله عنه أنه دخل المسجد يريد الطواف فرأى النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فقال لو سمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول وقلت ان دنوت منه أستمع لاردعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثياب البيت وجعلت أمشى حتى قمت فى قبلته وسمعت قراءته فرق له قلبى فبكيت ودخلنى الاسلام فكنت حتى انصرف فتبعته فالتفت فى أثناء طريقه فرآنى فظن أنى انما تبعته لأوذيه فنهمنى أى زجرنى بشدة ثم قال ما جاء بك فى هذه الساعة قلت جئت لأومن بالله ورسوله وما جاء من عند الله فحمد الله ثم قال هداك الله ثم مسح صدرى ودعالى بالثبات ثم انصرفت عنه ودخل بيته والنهم انما يطلق حقيقة على زجر الاسد ففيه من شجاعته صلى الله عليه وسلم مالا يخفى وفى رواية عن عمر رضى الله عنه قال خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة فجعلت أتعجب من تاليف القرآن فقلت هو شاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت كاهن علم ما فى نفسى فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون الى آخر السورة فوقع الاسلام منى كل موقع *وذهب مرة هو وأبو جهم يريدان الفتك بالنبى صلى الله عليه وسلم فوجداه فى بيته فانما يصلى وكان ذلك بالليل فسمعا قراءته صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ فى سورة الحاقة فلما وصل الى قوله تعالى فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية دخلهما رعب شديد فقال أحدهما للآخر الوحا الوحا أى الرواح بسرعة خوفا من نزول العذاب *والحاصل أن الاسباب المقتضية لاسلام عمر رضى الله عنه تكررت وكثرت وكان السبب فى ذلك أن يمكن الله الاسلام فى قلبه ويثبته عليه حتى ينصر به دينه ونبيه صلى الله عليه وسلم وكان الامر كذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لما أسلم عمر رضى الله عنه قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر لان الله أعز به الدين ونصر به المستضعفين وقال ابن مسعود رضى الله عنه كان اسلام عمر عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة والله ما استطعنا أن نصلى حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر رضى الله عنه رواه ابن أبى شيبة والطبرانى قال المشركون انتصف القوم وروى انه لما أسلم قال يا رسول الله لا ينبغى أن يكتم هذا الدين أظهر دينك فخرج ومعه المسلمون وعمر أمامهم معه سيف ينادى لا اله الا الله محمد رسول الله قال فان تحرك واحد منهم أمكنت سيفى منه ثم تقدم أمامه صلى الله عليه وسلم ايطوف ويحميه حتى فرغ من طوافه رواه ابن ماجه وقال صهيب لما أسلم عمر رضى الله عنه ولما رأت قريش عزة النبى صلى الله عليه وسلم بمن معه وباسلام عمر رضى الله عنه وعزة أصحابه بالحبشة وفشو الاسلام فى القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أفسد أبناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا دية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش فتريحوننا وتريحون أنفسكم فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب فأمرهم فدخلوا شعبهم وأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ومنعوه ممن أراد قتله وأجاب كل منهم أبا طالب لذلك مؤمنهم وكافرهم وانما فعلوا ذلك حمية على عادة العرب فى المناصرة وانخزل عنهم بنو عمهم عبد شمس ونوفل ولهذا قال أبو طالب فى قصيدة

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل

وقال فى قصيدة أخرى

ولم يستطيعوا ان يقولوا فيهما شيأ وأطلقتم أنتم فوثبتم فوق ذلك فبرئتم منهما فمن بقى فوالله ما بقى أحد الا برئتم منه (وأخرج) الدارقطنى عن سالم بن أبى حفصة قال سألت أبا جعفر محمد بن على رضى الله عنهما عن الشيخين فقال يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما فانهما كانا امامى هدى وأخرج عنه أيضا قال دخلت على أبى جعفر فقال اللهم انى أتولى أبا بكر وعمر وأحبهما اللهم ان كان فى نفسى غير هذا فلا نالتنى شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة (وأخرج أيضا) عن كثير قال قلت لابى جعفر محمد بن على رضى الله عنهما أخبرنى أظلمكم أبو بكر وعمر من حقكم شيأ فقال ومنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ما ظلمانا من حقنا بزنة حبة خردل قال

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا وائتمروا أي تشاوروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب أن لا ينكحوا اليهم أي لا يتزوجوا منهم ولا ينكحوهم أي لا يزوجوهم ولا يبيعوا منهم شيأ ولا يتبايعوا ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل أي يخلوا بينهم وبينه وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة فشلت يده وهلك على كفره وقيل بخط بغيض بن عامر ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فشلت يده وهو بغيض كاسمه هلك على كفره وقيل بخط النضر بن الحارث فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وقتل يوم بدر كافرا وقيل بخط هشام ابن عمرو بن الحارث العامري وهو من الذين سعوا في نقضها كما سيأتي وقد أسلم رضي الله عنه يوم الفتح وكان من المؤلفة وقيل بخط طلحة بن أبي طلحة العبدري وقيل بخط منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم وجمع باحتمال أن يكونوا كتبوا منها نسخا وأخذ كل جماعة عندهم منها نسخة وعلقوا صحيفة منها في الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة وكان اجتماعهم وتحالفهم وكتابتهم بخيف بني كنانة وهو المحصب فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب ودخلوا معه الشعب كما تقدم الا أبا لهب فكان مع قريش فأقاموا على ذلك سنتين وقيل ثلاث سنين وجزم به موسى بن عقبة امام المغازي حتى جهدوا وقطعوا عنهم الميرة والمادة وكانوا لا يصل اليهم شئ الا سرا ويخرجون من الموسم الى الموسم لاجل الحج فلا يمنعونهم من ذلك وفي الصحيح أنهم جهدوا في الشعب حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وفي كلام السهيلي كانوا اذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيأ من الطعام لقوته فيقوم أبو لهب فيقول يا معشر قريش التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا شيأ معكم فقد علمتم حالي ووفاء ذمتي فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافا مضاعفة حتى يرجع الرجل منهم الى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يده شئ يعللهم به فيغدو التجار على أبي لهب بما كسد في أيديهم فيربحهم ويضعف لهم الثمن ويخرج أحدهم الى السوق عند قدوم العير لا يمنعهم من الاسواق والمبايعة أي عموما * ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم الشعب ومن معه من بني هاشم والمطلب أمر من كان بمكة من المسلمين أن يخرجوا الى أرض الحبشة الخروج الاخير وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى وكان يصلهم في الشعب هشام بن عمرو العامري أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان من أشد الناس قياما في نقض الصحيفة كما سيأتي وكانت صلته لهم بما يقدر عليه من الطعام ادخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعاما فعلمت قريش فمشوا اليه حين أصبح فكلموه فقال اني غير عائد لشئ خالفتكم فيه فانصرفوا عنه ثم عاد الثانية فادخل عليهم حملا أو حملين فغالظته قريش أي أغلظوا له في القول وهموا بقتله فقال لهم أبو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل أهله ورحمه أما اني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل لكان أحسن بنا وكان ممن يصلهم بالطعام أيضا حكيم بن حزام فلقيه أبو جهل مرة ومع حكيم غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وهي معه في الشعب فقال أبو جهل لحكيم تذهب بالطعام لبني هاشم والله لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فحضرهما أبو البختري فقال لابي جهل مالك وماله فقال له أبو جهل يحمل الطعام لبني هاشم فقال له أبو البختري طعام كان لعمته عنده أفتمنعه أن يأتيها به خل سبيل الرجل فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من الآخر فأخذ أبو البختري لحي بعير فضرب به أبا جهل وشجه ووطئه وطأ شديدا فانكف عن ذلك وأبو البختري هذا ضبطه بعضهم بالحاء المهملة وبعضهم بالخاء المعجمة والاول أصح وهو ممن قتل كافرا يوم بدر وكان أبو طالب مدة اقامتهم بالشعب يأمره صلى الله عليه وسلم فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرا وغائلة فاذا نام الناس أمر أحد بنيه أو اخوانه أو بني عمه أن يضطجع على فراش المصطفى صلى الله عليه وسلم ويأمره أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها وهذا على ما جرت به العادة من الاحتراس بالامور العادية والا فهو صلى الله عليه وسلم محفوظ ومعصوم من القتل وولد عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وهم بالشعب ثم ان الله تعالى

قلت أنتولاهما جعلني الله فداك قال نعم يا كثير تولهما في الدنيا والآخرة قال وجعل يصك عنق نفسه ويقول ما أصابك فبعنقي ثم قال برئ الله من المغيرة بن سعيد وبيان فانهما كذبا علينا أهل البيت (وروى) الشافعي عن جعفر بن محمد رضي الله عنهما قال ولينا أبو بكر رضي الله عنه وهو خير خليفة وأرحمه لنا وأحناه علينا فما ولينا أحد من الناس مثله وفي رواية فما رأينا خيرا منه وأخرج أيضا عن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه سئل عن الشيخين فقال من شك في وجوب ولائهما فقد شك في السنة وأخرج أيضا عن أبي جعفر انه قيل له هل كان أحد من أهل البيت يسب أبا بكر وعمر فقال معاذ الله بل يتولونهما ويستغفرون لهما ويترحمون عليهما

أوحى الى النبي صلى الله عليه وسلم أن الارضة أكلت جميع مافى الصحيفة من القطيعة والظلم فلم تدع سوى اسم الله فقط وكانوا يكتبون باسمك اللهم وفى رواية لم تترك الارضة فى الصحيفة اسما لله عزوجل الا لحسته و بقى مافيها من شرك وقطيعة رحم قال الحلبي والرواية الاولى أثبت من الثانية و جمع بين الروايتين بانهم كتبوا نسختا فأكلت الارضة من بعضها ماعدا اسم الله لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم وأكلت من بعضها ظلمهم لئلا يجتمع مع اسم الله تعالى فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب بذلك فقال يا ابن أخي أربك أخبرك بهذا قال نعم قال والثواقب ماكذبتني قط فانطلق فى عصابة من بني هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فانكر قريش ذلك وظنوا أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال أبو طالب يامعشر قريش جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر فى صحيفتكم فائتوا بها لعل أن يكون بيننا و بينكم صلح وانما قال ذلك خشية أن ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها فأتوا بها وهم لايشكون ان أبا طالب يدفع اليهم النبي صلى الله عليه وسلم فوضعوها بينهم وقبل أن تفتح قالوا لابي طالب قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال انما أتيتكم فى أمر هو نصف بيننا وبينكم ان ابن أخي أخبرني ولم يكذبني ان الله قد بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها اسما لله تعالى الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وفى رواية أكلت غدركم وتظاهركم علينا بالظلم وتركت كل اسم لله تعالى فان كان كما يقول فافيقوا وأقلعوا عما أنتم عليه فوالله لانسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان باطلا دفعناه اليكم فقتلتم أو استحييتم فقالوا رضينا ففتحوها فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا وقد جاء أن أبا طالب قال لهم بعد ان وجدوا الامر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم علام نحصر ونحبس وقد بان الامر وتبين انكم أولى بالظلم والقطيعة ودخل هو ومن معه بين أستار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واستحل مايحرم عليه منا ثم انصرف هو ومن معه الى الشعب وعند ذلك مشت طائفة من قريش فى نقض تلك الصحيفة وهم هشام بن عمرو بن الحارث العامري وزهير بن أبي أمية المخزومي وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم والمطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف وأبو البختري بن هشام و زمعة بن الاسود فمشى هشام بن عمرو الى زهير بن أبي أمية وأسلم كل منهما بعد ذلك رضي الله عنهما فقال يازهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت فقال ويحك ياهشام فماذا أصنع انما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقمت فى نقضها فقال أنا معك فقال ابغنا ثالثا فمشى جميعا الى المطعم بن عدي فقالا له أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد فقال انما أنا واحد فقالا انا معك فقال ابغنا رابعا فذهبوا الى أبي البختري فقال ابغنا خامسا فذهبوا الى زمعة بن الاسود فوافقهم على ذلك فقعدوا ليلا بأعلى مكة وتعاقدوا وتعاهدوا على نقض تلك الصحيفة واخراج بني هاشم من الشعب وقال لهم زهير أنا أبدؤكم وأكون أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال ياأهل مكة نأكل الطعام ونلبس الثياب و بنو هاشم والمطلب هلكى لايبتاعون ولا يبتاع منهم والله لاأقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال له أبو جهل كذبت والله لاتشق فقال زمعة ابن الاسود أنت والله أكذب مارضينا كتابتها حين كتبت فقال أبو البختري صدق زمعة فقال المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها فقال هشام بن عمرو مثل ذلك فقال أبو جهل هذا أمر قضي بليل واضطرب الامر بينهم وكثر القيل والقال فقام المطعم بن عدي الى الصحيفة فشقها وفى رواية قام هؤلاء الخمسة ومعهم جماعة فلبسوا السلاح ثم خرجوا الى بني هاشم والمطلب فامروهم بالخروج الى مساكنهم ففعلوا هذا والصحيح فى ذكر القصة أن السعي من هؤلاء الرهط فى نقضها انما كان بعد اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عمه باكل الارضة لها و بعضهم قدم وأخر فى حكاية القصة وكان نقض الصحيفة فى السنة التاسعة من النبوة بناء على أن مكثهم كان سنتين أو فى السنة العاشرة بناء على أنه كان ثلاث سنين

(وأخرج) الدارقطني ان أبا جعفر رضي الله عنه سئل ما كان علي يعمل فى سهم ذوي القربى فقال عمل فيه بما عمل به أبو بكر وعمر وكان يكره ان يخالفهما وأخرج الدارقطني أيضا عن أبي جعفر عن أبيه علي بن الحسين رضي الله عنهم انه قال لجماعة خاضوا فى أبي بكر وعمر ثم فى عثمان رضي الله عنهم ألا تخبروني أنتم المهاجرون الاولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون قالوا لا قال فانتم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون قالوا لا قال أما أنتم فقد برئتم ان

وفى الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة أشار صاحب الهمزية بقوله

فديت خمسة الصحيفة بالخمسة ان كان للكرام فداء * فتية بيتوا على فعل خير
حمد الصبح أمره والمساء * يا لامر أتاه بعد هشام * زمعة انه الفتى الاتاء
وزهير والمطعم بن عدى * وأبو البخترى من حيث شاؤا * نقضوا مبرم الصحيفة اذ
شد * دت عليهم من العدا الانداء * أذكرتنا بأكلها أكل منسا * ة سليمان الارضة الخرساء
وبها أخبر النبى وكم * أخرج خبأ له الغيوب خباء

وتقدم أنه أسلم من هؤلاء الخمسة هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أبى أمية وأما المطعم بن عدى فمات بمكة كافرا وأما أبو البخترى وزمعة بن الاسود فقتلا يوم بدر كافرين فسبحان من لا يسأل عما يفعل وتوفى أبو طالب بعد خروجهم من الشعب وكانت وفاته فى رمضان سنة تسع أو عشر من النبوة وتقدم الكلام على ما يتعلق به مستوفى فارجع اليه ان شئت ثم بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل بخمسة أيام توفيت خديجة رضى الله عنها وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك على ما فى بعض نسخ الهمزية بقوله

وقضى عمه أبو طالب والد * هر فيه السراء والضراء
ثم ماتت خديجة ذلك العا * م ونالت من أحمد المناء

ودخل النبى صلى الله عليه وسلم على خديجة وهى فى الموت فقال تكرهين ما أرى منك وقد يجعل الله فى الكره خيرا وروى الطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم أطعمها من عنب الجنة وعن حكيم بن حزام رضى الله عنه أنها دفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم فى حفرتها حين دفنها وأدخلها القبر بيده صلى الله عليه وسلم وكان عمرها اذ ذاك خمسا وستين سنة وحزن صلى الله عليه وسلم عليها وعلى عمه أبى طالب حزنا شديدا حتى سمى ذلك العام عام الحزن وقالت له خولة بنت حكيم يا رسول الله كانى أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة رضى الله عنها فقال أجل أم العيال وربة البيت وقال عبيد الله بن عمير وجد عليها حتى خشى عليه وكانت مدة اقامته معها خمسا وعشرين سنة ثم فى شوال من ذلك العام تزوج عليه الصلاة والسلام سودة بنت زمعة ودخل بها وعقد على عائشة رضى الله عنها ولم يدخل بها الا بعد الهجرة وقال فى السيرة الحلبية وفى الشهر الذى توفيت فيه خديجة رضى الله عنها وهو شهر رمضان بعد موتها بأيام تزوج سودة بنت زمعة وكانت قبله عند ابن عم لها يسمى السكران أسلم معها وهاجر بها الى الحبشة الهجرة الثانية ثم رجع بها الى مكة فمات عنها فلما انقضت عدتها تزوجها صلى الله عليه وسلم وأصدقها أربعمائة درهم وكانت رأت فى نومها أن النبى صلى الله عليه وسلم وطئ عنقها فأخبرت زوجها فقال ان صدقت رؤياك أموت أنا ويتزوجك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رأت فى ليلة أخرى أن قمرا انقض عليها من السماء وهى مضطجعة فأخبرت زوجها فقال لا ألبث حتى أموت فمات من يومه ذلك وعن خولة بنت حكيم رضى الله عنها وهى امرأة عثمان بن مظعون رضى الله عنه قالت قلت لما ماتت خديجة يا رسول الله ألا تتزوج قال من قالت ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال فمن البكر قالت أحب خلق الله اليك عائشة بنت أبى بكر وكان صلى الله عليه وسلم قد رأى فى المنام أنه يتزوجها وجىء له بصورتها من الجنة فكان يتعجب من ذلك لكونها صغيرة لا تصلح للتزوج ثم يقول ان يكن هذا الامر من عند الله يمضه حتى قالت له خولة ما ذكر فعلم أن الله سيقضى أمره حين أطاقها بذلك ولا علم لها بذلك ثم قال لها ومن الثيب قالت سودة بنت زمعة وقد آمنت بك واتبعتك على ما تقول قال فاذهبى فاذكريهما على قالت فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة قالت وماذاك قالت أرسلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك عليه قالت وددت ذلك ادخلى على أبى فاذكرى ذلك له وكان شيخا كبيرا باقيا على دين قومه لم يسلم قالت فدخلت عليه وحييته بتحية الجاهلية فقال من هذه قلت خولة بنت حكيم قال فما شأنك قلت أرسلنى محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة قال كفء كريم فما تقول صاحبتك قالت تحب ذلك قال ادعيها الى فدعوتها فقال أى بنية ان هذه تزعم أن محمد بن عبد الله أرسل يخطبك

تكونوا فى أحد هذين الفريقين وأنا أشهد انكم لستم من الذين قال الله فيهم والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم (وأخرج) أيضا عن الفضيل بن مرزوق قال سمعت ابراهيم بن الحسين ابن الحسن رضى الله عنهم يقول والله لقد مرقت علينا الرافضة كما مرقت الحرورية على على رضى الله عنه وأخرج أيضا عن الفضيل ابن مرزوق قال سمعت الحسن المثنى بن الحسن السبط رضى الله عنهما يقول لرجل من الرافضة والله لئن أمكننى الله منكم لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا أقبل منكم توبة (وأخرج) أيضا عن الحسين بن محمد بن الحنفية

ودوكفء كريم أتحبين أن أزوجك منه قالت نعم فقال لخولة ادعيه لي فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه
اياها وكان أخوها عبد الله بن زمعة غائبا فلما بلغه الخبر صار يحثي التراب على رأسه ولما أسلم رضي الله عنه كان
يقول لقد كنت في السفه يوم أحثي التراب على رأسي اذ تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة يعني أخته ثم
ذهبت خولة بنت حكيم الى أم رومان وهي أم عائشة رضي الله عنها فقالت يا أم رومان ماذا أدخل الله عليكم من
الخير والبركة قد أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة قالت انتظري أبا بكر رضي الله عنه
حتى يأتي فجاء أبو بكر فقالت يا أبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة قال وماذاك قالت أرسلني رسول الله
صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة رضي الله عنها قال وهل تصلح له انما هي بنت أخيه فرجعت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ارجعي اليه فقولي له أنا أخوك وأنت أخي في الاسلام وابنتك
تصلح لي فأتيته فذكرت ذلك له فقالت أم رومان ان مطعم بن عدي كان قد ذكرها على ابنه جبير ووعده أبو
بكر والله ما وعد أبو بكر وعدا قط فأخلفه فقام أبو بكر ودخل على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم ابنه جبير
فقال أبو بكر للمطعم بن عدي ما تقول في أمر هذه الجارية التي ذكرتها على ابنك جبير فأقبل المطعم على امرأته
وقال لها ما تقولين يا هذه فأقبلت على أبي بكر رضي الله عنه وقالت له لعلنا ان نكحنا هذا الفتى اليك تصبئه
وتدخله في دينك الذي أنت عليه فأقبل أبو بكر على المطعم وقال له ماذا تقول أنت فقال انها لتقول ما تسمع أي
فقولي مثل قولها فقام أبو بكر رضي الله عنه وليس في نفسه من الوعد شيء فرجع وقال لخولة ادعي لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدعته فزوجها اياها أي عقد له عليها وعائشة حينئذ بنت ست سنين وقيل بنت سبع
ودخل على سودة بمكة وأخر الدخول على عائشة الى المدينة فدخل بها وعمرها تسع سنين وتقدم ان أبا طالب عند
وفاته جمع قريشا وخطبهم خطبة يحثهم فيها على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وقال لهم أيضا لن تزالوا بخير
ما سمعتم من محمد وما اتبعتم أمره فأطيعوه ترشدوا فلم يقبلوا قوله ولما مات أبو طالب اشتدت قريش على النبي
صلى الله عليه وسلم ونالت منه من الاذى ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب فدخل صلى الله عليه وسلم يوما
بيته والتراب على رأسه فقامت اليه بعض بناته وجعلت تزيله عن رأسه وتبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لها لا تبكي يا بنية فان الله مانع أباك وكان صلى الله عليه وسلم يقول ما نالت قريش مني شيأ أكرهه أي
أشد الكراهة حتى مات أبو طالب ولما رأى قريشا تهجموا عليه قال يا عم ما أسرع ما وجدت فقدك ولما بلغ
أبا لهب ذلك قام بنصرته أياما وقال يا محمد امض لما أردت وما كنت صانعا اذ كان أبو طالب حيا لا واللات
والعزى لا يصلون اليك حتى أموت فلم يزل أبو جهل وعقبة بن أبي معيط وغيرهما من أشراف قريش يحتالون
على أبي لهب حتى صدوه عن ذلك وتأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم وترك نصرته ورجع الى ما كان عليه من
معاداته فلما أجمعوا على معاداته ومقاطعته صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه والفتك به خرج الى الطائف
وهو مكروب مشوش الخاطر مما لاقى من قريش ومن قرابته وعترته خصوصا من أبي لهب وزوجته أم قبيح
حمالة الحطب من الهجو والسب والتكذيب وعن علي رضي الله عنه أنه قال لقد رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد موت أبي طالب أخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم أنت الذي جعلت
الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر رضي الله عنه فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول
أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وكان خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف في شوال سنة عشر من النبوة
وكان معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه يلتمس من ثقيف الاسلام رجاء أن يسلموا أو يناصروه على الاسلام
والقيام معه على من خالفه من قومه قال في السيرة الحلبية ومن ثم أي من أجل انه صلى الله عليه وسلم خرج الى
الطائف عند ضيق صدره وتعب خاطره جعل الله الطائف مستأنسا لأهل الاسلام ممن بمكة الى يوم القيامة فهو
راحة الامة وفيه تنفس كل ضيق وغمه سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فلما انتهى الى
الطائف عمد الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا أخوة ثلاثة أحدهم عبد ياليل واسمه كنانة ولم يعرف له اسلام
وأخوه مسعود وهو عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام ولم يعرف له اسلام أيضا والاخ الثالث حبيب قال

رضي الله عنهما انه قال
يا أهل الكوفة اتقوا الله
عز وجل ولا تقولوا لأبي بكر
وعمر ما ليسا له بأهل ان أبا بكر
الصديق رضي الله عنه كان
مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الغار ثاني اثنين وان
عمر أعز الله به الدين (وأخرج
أيضا) عن جندب الاسدي
ان محمد بن عبد الله بن
الحسن المثنى رضي الله عنهم
أتاه قوم من أهل الكوفة
والجزيرة فسألوه عن أبي بكر
وعمر رضي الله عنهما فالتفت
الي وقال انظر الى أهل بلادك
يسألوني عن أبي بكر وعمر
لهما عندي أفضل من علي
رضي الله عنهم (وأخرج
أيضا) عن عبد الله بن
الحسن المثنى انه قال والله
لا يقبل الله توبة عبد تبرأ
من أبي بكر وعمر وانهما
ليعرضان على قلبي فأدعو الله
عز وجل لهما وأتقرب به
الى الله عز وجل (وأخرج

الذهبي وفي صحبته نظر وهؤلاء الثلاثة أولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفي فجلس اليهم صلى الله عليه وسلم وكلمهم فيما جاءهم به من نصرته الى الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة أي يشقها ويقطعها ان كان الله أرسلك وقال له آخر ماوجد الله أحدا يرسله غيرك وقال له الثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسولا من عند الله كما تقول لأنت أعظم خطرا أي قدرا من أن أرد عليك الكلام وان كنت تكذب ماينبغي لي أن أكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد أيس من خيرهم وقال لهم اكتموا علي وكره صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه ذلك فيشتد أمرهم عليه ثم قال له هؤلاء الثلاثة من أشراف ثقيف اخرج من بلادنا والحق بما شئت من الارض وأغروا أي سلطوا عليه سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وقعدوا له صفين على طريقه فلما مر صلى الله عليه وسلم بين الصفين جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه وفي رواية حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان صلى الله عليه وسلم اذا أذلقته الحجارة أي وجد ألمها قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون كل ذلك وزيد بن حارثة رضي الله عنه يقيه بنفسه حتى لقد شج في رأسه شجاجا فلما خلص منهم ورجلاه يسيلان دما عمد الى حائط من حوائطهم أي بستان من بساتينهم فاستظل في حبلة أي شجرة من شجر الكرم وفي رواية أن الثلاثة من رؤساء ثقيف أغروا عليه سفهاءهم وعبيدهم فصاروا يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فلما دخل الحائط رجعوا عنه وفي البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد مالقيت يوم العقبة والمراد منها موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبد ياليل هناك لا عقبة منى التي اجتمع فيها مع الانصار ثم بين ذلك بقوله اذ عرضت نفسي على عبد ياليل فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق من الغم الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت اليها فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وقد بعث الله اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت قال صلى الله عليه وسلم فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثني اليك ربك لتأمرني بامرك ان شئت ان أطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده لا شريك له وهذا من مزيد حلمه وشفقته وعظيم عفوه وكرمه وفي رواية جاءه جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهذا ملك الجبال قد أرسله وأمره أن لا يفعل شيئا الا بامرك فقال له ان شئت دمدمت عليهم الجبال وان شئت خسفت بهم الارض قال يا ملك الجبال فاني آتي بهم لعله أن يخرج منهم ذرية يقولون لا اله الا الله فقال ملك الجبال أنت كما سماك ربك رؤوف رحيم وقد أشار صاحب الهمزية الى حلمه واغضائه صلى الله عليه وسلم حيث قال

جهلت قومه عليه فأغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء

وقوله في أول الحديث لعائشة رضي الله عنها لقد لقيت من قومك المراد منهم قريش اذ كانوا هم السبب في ذهابه الى ثقيف فلا يرد أن ثقيفا ليسوا قومها وكذلك قوله في وسط الحديث ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا به عليك ظاهره انه اخبار عما قاله أشراف ثقيف ويحتمل انه أراد قريشا لما دعاهم الى الايمان فقالوا شاعر ساحر كاهن مجنون وغير ذلك فهم السبب في ذهابه الى ثقيف حتى نال منهم ما نال واذا قال ان شئت اطبق عليهم الاخشبين قيل هما جبلان بمكة أبو قبيس ومقابله قعيقعان وقيل هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى ويحتمل أن المراد اطباق الجبال القريبة من ثقيف عليهم ولما الجؤه صلى الله عليه وسلم الى حائط عتبة وشيبة ابني ربيعة تخلص اليهما ورجلاه تسيلان دما فلما رأيا مالقي تحركت له رحمهما لانهما ابنا ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مناف فبعثا له مع عداس النصراني غلامهما قطف عنب بكسر القاف يعني العنقود ووضعه عداس

ايضا) عن عبد الجبار الهمداني ان جعفر الصادق أتاهم وهم يريدون ان يرتحلوا من المدينة فقال انكم ان شاء الله من صالحي اهل مصركم فابلغوهم عني من زعم اني امام مفترض الطاعة فاني منه بريء ومن زعم اني ابرأ من ابي بكر وعمر فاني منه بريء (واخرج عنه ايضا) انه سئل عن ابي بكر وعمر فقال ابرأ ممن ذكرهما بسوء فقيل له لعلك تقول ذلك تقية فقال اني اذا من المشركين ولا نالتني شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم (واخرج ايضا) عن ابي جعفر انه قال من لم يعرف فضل ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فقد جهل السنة قال بعض أئمة اهل البيت النبوي صدق والله انما نشأ من الشيعة والرافضة ما نشأ من البدع والجهالات من جهلهم بالسنة * وما

في طبق بأمرهما وقالا له اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده في القطاف ليأكل قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك قال نصراني من نينوى وهو بلد قديم مقابل الموصل فقال له صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال عداس وما يدريك ما يونس بن متى والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ابن متى فمن أين عرفته وأنت أمي في أمة أمية قال ذاك أخي وهو نبي مثلي فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم رضي الله عنه وفي رواية أنه قال أشهد أنك عبد الله ورسوله ونظر اليه ابنا ربيعة فقال أحدهما للآخر أما غلامك فقد أفسده ذلك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض شيء خير من هذا فقد أعلمني بأمر لا يعلمه الا نبي قالا له ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فانه خير من دينه وروى أن عداسا لما أراد سيداه الخروج الى بدر أمراه بالخروج معهما فقال لهما أقتال ذلك الرجل الذي رأيت بحائطكما تريدان والله ما تقوم له الجبال فقالا له ويحك يا عداس سحرك بلسانه وفي الاصابة عن الواقدي قيل قتل عداس ببدر وقيل لم يقتل بل رجع فمات بمكة وهو معدود من الصحابة رضي الله عنه وعنهم وأما عتبة وشيبة فقتلا كافرين ببدر وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما تخلص من ثقيف واطمأن في ظل الحبلة دعا بالدعاء المشهور بدعاء الطائف وهو اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت أرحم الراحمين وأنت رب المستضعفين الى من تكلني الى عدو بعيد يتجهمني أم الى صديق قريب ملكته أمري ان لم تكن غضبان علي فلا أبالي غير ان عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لما توفي أبو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال اللهم اليك أشكو فذكره وعند رجوعه من الطائف نزل صلى الله عليه وسلم بنخلة وهو موضع على ليلة من مكة فصرف الله اليه سبعة من جن نصيبين وهي مدينة بين الشام والعراق يستمعون قراءته وقد قام عليه السلام في جوف الليل يصلي فجاؤا يستمعون قراءته والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآيات ثم أنزل الله قل أوحي الى أنه استمع نفر من الجن وقيل انهم صرفوا مرتين قبل نزول قل أوحي والمرة الثانية بعد نزولها وانها هي هذه المرة أي التي كان فيها صلى الله عليه وسلم بنخلة وأنه كان يقرأ قل أوحي وقيل الرحمن وقيل قرأ في الركعة الاولى الرحمن وفي الثانية قل أوحي وأقام صلى الله عليه وسلم بنخلة أياما ثم أراد دخول مكة فقال له زيد بن حارثة رضي الله عنه كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك فقال يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله مظهر دينه وناصر نبيه ثم انتهى الى حراء فوجد عبد الله بن الاريقط فبعثه الى الاخنس بن شريق الثقفي ليجيره فاعتذر وقال اني حليف والحليف لا يجير وهذا قاله اعتذارا والا فالنبي صلى الله عليه وسلم لو لم يعلم أن الحليف يجير لما بعث له ثم بعث صلى الله عليه وسلم لسهيل بن عمرو العامري لان جده عامر بن لؤي أخو كعب بن لؤي جد النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذر سهيل بان بني عامر لا تجير على بني كعب أي قد لا تجير جوارها فبعث صلى الله عليه وسلم الى المطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف يقول له اني داخل مكة في جوارك فأجابه الى ذلك وقال للرسول قل له فليأت فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فأخبره فدخل مكة بعد أن تسلح مطعم بن عدي وركب على راحلته ونادى يا معشر قريش اني أجرت محمدا فلا يؤذه أحد منكم ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وطاف بالبيت ثم انصرف الى منزله ومطعم بن عدي وولده مطيفون به صلى الله عليه وسلم وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم بات عنده تلك الليلة فلما أصبح خرج مطعم ولبس سلاحه هو وبنوه وكانوا ستة أو سبعة وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم طف ووقف أربعة منهم عند أركان البيت واحتبى الباقون بحمائل سيوفهم في المطاف مدة طوافه

احسن ما اخرجه الدارقطني عن الامام محمد الباقر رضي الله عنه حيث أبطل نسبة التقية الى أهل البيت فانه سئل عن الشيخين فقال اني أتولاهما فقيل له انهم يزعمون ان ذلك تقية فقال انما يخاف الاحياء ولا يخاف الاموات فعل الله بهشام بن عبد الملك كذا وكذا * فانظر ما أبين هذا الاحتجاج وأوضحه من مثل هذا الامام العظيم المجمع على جلالته وفضله بل أولئك الاشقياء يعتقدون أيضا فيه العظمة فقد صرح ببطلان تلك التقية المشؤمة فاستدل لهم على ذلك بان اتقاء الشيخين بعد موتهما لا وجه له اذ لا سطوة لهما حينئذ ثم بين لهم بدعائه على هشام الذي هو والي زمنه وشوكته فائقة انه اذا لم يتقه مع انه يخاف ويخشى سطوته وملكه وقهره فكيف مع ذلك يتقي

صلى

صلى الله عليه وسلم وكذا أبو هم المطعم فأقبل أبو سفيان على المطعم وقال له أمجير أم تابع فقال بل مجير فقال اذن لا تخفر أي لا تزال خفارتك أي جوارك قد أجرنا من أجرت فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه ولا بدع في دخوله صلى الله عليه وسلم في جوار كافر وأمانه وان حكمة الحكيم القادر قد تخفى وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفي حديث بأقوام لا خلاق لهم وهذا السياق يدل على أن قريشا كانوا قد أجمعوا على عدم دخوله صلى الله عليه وسلم مكة بسبب ذهابه الى الطائف ودعائه لاهله ولهذا المعروف الذى فعله المطعم بن عدى قال صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له وفي أسد الغابة أن جبير اولد المطعم بن عدى أسلم بين الحديبية وفتح مكة وجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو كافر فسأله في أسارى بدر فقال لو كان الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه لانه فعل معه صلى الله عليه وسلم هذا الجميل وكان من جملة من سعى في نقض الصحيفة كما تقدم وهذا من شيمه صلى الله عليه وسلم تذكروفت النصر واغافر للمطعم هذا الجميل ولم يذكر قوله صح الاسراء كل أمرك كان قبل هذا اليوم سهلا هو يشهد أنك كاذب وكان صلى الله عليه وسلم لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولما مات المطعم بن عدى وله بضع وتسعون سنة وكان موته قبل وقعة بدر رثاه حسان بن ثابت رضى الله عنه بقوله

عينى ألا ابكى سيد الناس واسفحى * بدمع وان أنزفته فاسكبى الدما
وابكى عظيم المشعرين كليهما * على الناس معروف له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا * من الناس أبقى مجده الدهر مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا * عبيدك مالبى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها * وقحطان أو باقى بقية جرهما
لقالوا هو الموفى بخفرة جاره * وذمته يوما اذا ما تذمما *

هذا الفعل من حسان رضى الله عنه مجازاة للمطعم على ما صنع مع النبى صلى الله عليه وسلم ولا يضر رثاء حسان له وهو كافر لان الرثاء تعداد المحاسن بعد الموت ولا ريب في أن فعله هذا مع النبى صلى الله عليه وسلم من أقوى المحاسن فلا ضير في ذكر مه

(باب خبر الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه)

كان الطفيل بن عمرو الدوسى شريفا في قومه شاعرا نبيلا قدم مكة فمشى اليه رجال من قريش فقالوا يا أبا الطفيل كنوه باسمه ولم يقولوا يا طفيل تعظيما له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل بين أظهرنا قد أعضل أمره بنا أى اشتد وفرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه وبين الرجل وأخيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه قال الطفيل فوالله مازالوا بى حتى أجمعت أى قصدت وعزمت على أن لا أسمع منه شيأ ولا أكلمه حتى حشوت في أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا أى قطنا فرقا أى خوفا من أن يبلغنى شئ من قوله فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى عند الكعبة فقمت قريبا منه فأبى الله الا أن أسمع بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت في نفسى أنا ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أعلم من هذا الرجل ما يقول فان كان الذى يأتى به حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت فمكثت حتى انصرف الى بيته فقلت يا محمد ان قومك قالوا لى كذا وكذا حتى سددت أذنى بكرسف حتى لا أسمع قولك فاعرض على أمرك فاعرض عليه الاسلام وتلا عليه القرآن أى قرأ عليه سورة الاخلاص والمعوذتين وقيل انما نزلتا عليه بالمدينة وقيل تكرر نزولهما فلما سمع القرآن قال والله ما سمعت قط قولا أحسن من هذا ولا أمرا أعدل منه فاسلمت وقلت يا نبى الله انى امرؤ مطاع في قومى وأنا راجع اليهم فادعوهم الى الاسلام فادع الله أن يكون عونا عليهم فقال اللهم اجعل له آية قال فخرجت حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر أى وهم الحاضرون المقيمون على الماء لا يرحلون عنه وكان ذلك في ليلة مظلمة وقع نور بين عينى مثل المصباح فقلت في غير وجهى فانى أخشى أن يظنوا أنه مثلة فتحول في رأس سوطى فجعل

الاموات الذين لا شوكة لهم ولا سطوة واذا كان هذا حال الباقر فما ظنك بعلى رضى الله عنه الذى لا نسبة بينه وبين الباقر في اقدامه وقوته وشجاعته وشدة بأسه وكثرة عدته وعدده وانه لا يخاف في الله لومة لائم ومع ذلك فقد صح عنه وتواتر كمال مدح الشيخين والثناء عليهما والاعتراف بحقية خلافتهما وأنهما خير الامة بعد النبى صلى الله عليه وسلم (وأخرج) ابن عساكر عن على رضى الله عنه انه دخل على أبى بكر وهو مسجى فقال ما أحد لقى الله بصحيفة أحب الى من هذا المسجى (وروى) البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما توفى عمر رضى الله عنه ووضع على سريره تكنفه الناس يدعون له ويصلون عليه قبل ان يرفع وأنا فيهم فلم يرعنى

الحاضرون يتراءون ذلك النور كالقنديل المعلوم ومن ثم عرف الطفيل بذلك فقيل له ذو النور الى ذلك أشار الامام السبكي في تائيته بقوله وفي جبهة الدوسي ثم بسوطه * جعلت ضياء مثل شمس مضيئة

قال الطفيل فأتاني أبي فقلت اليك عني يا أبت فلست مني ولست منك فقال له يا بني قال قد أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال أي بني ديني دينك فاسلم قال ثم أتتني صاحبتي يعني زوجه فذكرت لها مثل ذلك أي قلت لها اليك عني فلست منك ولست مني قد أسلمت وتابعت محمدا صلى الله عليه وسلم على دينه قالت فديني دينك فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطؤا علي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد غلبتني دوس قد غلب علي دوس الزنا فادع الله عليهم قال اللهم اهد دوسا وأتبهم قال الطفيل فرجعت فلم أزل بارض قومي أدعوهم الى الاسلام حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فاسلموا فقدمت بمن أسلم من قومي عليه وقدمت عليه وهو بخيبر مع سبعين أو ثمانين بيتا من دوس ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه فاسهم لنا مع المسلمين وقيل لم يعط أحدا لم يحضر القتال الا أهل السفينة الجائين من أرض الحبشة جعفر بن أبي طالب ومن معه ومنهم الاشعريون أبو موسى الاشعري وقومه فقد تقدم أنهم هاجروا من اليمن يريدون النبي صلى الله عليه وسلم فرمى بهم الريح الى الحبشة

(باب ذكر الاسراء والمعراج)

اعلم أنه لا خلاف في الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن على سبيل الاجمال وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه أحاديث كثيرة عن جماعة من الصحابة من الرجال والنساء نحو الثلاثين ومن ثم حمل بعضهم اختلاف روايات الاحاديث على تعدد الاسراء وأنه وقع له صلى الله عليه وسلم ذلك ثلاث مرات أو أكثر وكان واحد منها بجسده وروحه وباقيها في المنام وكان صلى الله عليه وسلم لا يرى شيأ في اليقظة الا بعد أن يريه الله اياه في المنام فبعض تلك الاسراآت التي كانت في المنام سابق على الذي في اليقظة وبعضها متأخر وكان الاسراء بجسده وروحه سنة احدى عشرة من البعثة وقيل قبل الهجرة بسنة قيل في شهر ربيع الاول وقيل في رمضان وقيل في شهر رجب وهو المشهور وعليه عمل الناس وكان ليلة الاثنين كبقية أطواره صلى الله عليه وسلم من الولادة والهجرة والوفاة وقيل ليلة الجمعة وكان الاسراء الى بيت المقدس والمعراج به صلى الله عليه وسلم الى السموات ليطلع على عجائب الملكوت كما قال تعالى لنريه من آياتنا والا فالله تعالى لا يحويه زمان ولا مكان ورأى ربه تلك الليلة وأوحى الى عبده ما أوحى وفرض عليه خمس صلوات وجمع الله له الانبياء عليهم الصلاة والسلام فصلى بهم في بيت المقدس ثم استقبلوه في السموات ورجع صلى الله عليه وسلم من ليلته الى مكة فلما أصبح أخبر الناس بما رآه فصدقه الصديق وكل من آمن ايمانا قويا وكذبه الكفار واستوصفوه مسجد بيت المقدس فوصفه لهم وسألوه عن أشياء في المسجد فمثل بين يديه فجعل ينظر اليه ويصفه ويعد أبوابه لهم بابا بابا فيطابق ما عندهم وسألوه عن عيرلهم فأخبرهم بها وبوقت قدومها فكان كما أخبر وكل ذلك مشهور وفي الكتب مسطور فلا حاجة لنا الى الاطالة به فان قصة الاسراء والمعراج قد أفردت بالتاليف وفي السيرة الحلبية أن صخرة بيت المقدس لما أراد جبريل عليه السلام ان يربط فيها البراق لانت له وعادت كهيئة العجين فخرقها وربط البراق بها قال الامام أبو بكر بن العربي في شرح الموطا ان صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى فانها صخرة قائمة في وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها الا الذي يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه في اعلاها من جهة الجنوب قدم النبي صلى الله عليه وسلم حين صعد عليها ومن الجهة الاخرى أصابع الملائكة التي أمسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة فهي معلقة بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من أن أدخل تحتها لاني كنت أخاف أن تسقط علي بسبب ذنوبي ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب تمشي في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا يتصل بها من الارض شيء ولا بعض شيء وبعض الجهات أشد انفصالا من بعض انتهى يروى أنه صلى الله عليه وسلم لما رجع الى مكة من ليلته فاخبر بمسراه أم هانئ بنت أبي طالب أخت علي رضي الله تعالى عنه وعنها وأنه يريد أن يخرج الى قومه

الارجل أخذ منكبي فاذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب الي ان ألقى الله بمثل عمله منك وايم الله ان كنت لاظن ان يجعلك الله مع صاحبيك وحسبت اني كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر وفي رواية أخرى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما توفي عمر ووضع على سريره اني لواقف اذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول لعمر رضي الله عنه اني كنت لارجو ان يجعلك الله مع صاحبيك لاني كثيرا ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كنت وأبو بكر وعمر وانطلقت وأبو بكر وعمر ودخلت وأبو بكر وعمر واني كنت

و يخبرهم بذلك لانه ما أحب أن يكتم قدرة الله وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم فتعلقت بردائه أم هانئ وقالت أنشدك الله أي أسألك به يا ابن عم أن لا تحدثهم بذا فيكذبك من صدقك وفي رواية اني أذكرك الله أن تأتي قوما يكذبونك و ينكرون مقالتك فأخاف أن يسطوا بك فضرب بيده على ردائه فانتزعه منها قالت وسطع نور عند فؤاده كاد يخطف بصري فخررت ساجدة فلما رفعت رأسي فاذا هو قد خرج قالت فقلت لجاريتي نبعة وكانت حبشية وهي معدودة في الصحابة رضي الله عنها اتبعيه وانظري ماذا يقول فلما رجعت أخبرتني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى الى نفر من قريش في الحطيم وهو ما بين باب الكعبة والحجر الاسود وقيل ما بين الركن والمقام وذلك النفر الذين انتهى اليهم فيهم المطعم بن عدي وأبو جهل بن هشام فاخبرهم بمسراه وفي رواية أنه لما دخل المسجد قطع وعرف أن الناس تكذبه وما أحب أن يكتم ما هو دليل على قدرة الله تعالى وما هو دليل على علو مقامه صلى الله عليه وسلم الباعث على اتباعه فقعد حزينا فمر به عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه صلى الله عليه وسلم فقال كالمستهزئ هل كان من شئ قال نعم أسري بي الليلة قال الى أين قال الى بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرانينا قال نعم فلم يره أنه يكذبه مخافة أن يجحده أي ينكره صلى الله عليه وسلم الحديث الذي حدث به ان دعا قومه اليه قال أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتني قال نعم قال يا معشر بني كعب بن لؤي فانفضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أسري بي قالوا الى أين قال الى بيت المقدس فنشر لي رهط من الانبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وصليت بهم وكلمتهم قال أبو جهل كالمستهزئ صفهم لي قال أما عيسى عليه السلام ففوق الربعة ودون الطويل بعلوه حمرة كأنما يتحادر من لحيته الجمان وفي رواية كأنما خرج من ديماس أي حمام وأما موسى فضخم آدم طويل كأنه من رجال شنوأة وأما ابراهيم فوالله انه لاشبه الناس بي خلقا وخلقا وفي رواية لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه يعني نفسه صلى الله عليه وسلم فلما سمعوا ذلك ضجوا وأعظموا ذلك الاسراء وصار بعضهم يصفق و بعضهم يضع يده على رأسه تعجبا وقال المطعم بن عدي ان أمرك قبل اليوم كان أمرا يسيرا غير قولك اليوم هو يشهد انك كاذب نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعدا شهرا ومنحدرا شهرا تزعم انك أتيته في ليلة واحدة واللات والعزى لا أصدقك وما كان هذا الذي تقول قط فقال أبو بكر رضي الله عنه يا مطعم بئس ما قلت لابن أخيك جبهته أي استقبلته بالمكروه وكذبته أنا أشهد أنه صادق وفي رواية حين حدثهم بذلك ارتد ناس كانوا أسلموا وحينئذ فقول المواهب فصدقه الصديق وكل من آمن بالله فيه نظر الا أن يراد من ثبت على الايمان وفي رواية فسعى رجال من المشركين الى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم أنه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال وقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه أنه ذهب الى بيت المقدس و جاء قبل أن يصبح قال نعم اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة و روحة أي لانه يخبرني أن الخبر يأتيه من السماء الى الارض في ساعة من ليل أو نهار فاصدقه فمعنى الخبر له من السماء بواسطة الملك أعجب مما تعجبون منه فقال المطعم يا محمد صف لنا بيت المقدس أراد بذلك اظهار كذبه وعرف الصديق رضي الله عنه قصده وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكذب قط فقال أبو بكر رضي الله عنه صف لي يا رسول الله فاني قد جئته أراد بذلك اقامة البرهان على قومه بظهور صدقه صلى الله عليه وسلم فجاءه جبريل بصورته ومثاله فجعل يقول باب منه في موضع كذا وباب منه في موضع كذا وأبو بكر رضي الله عنه يقول اشهد انك رسول الله حتى أتى على أوصافه وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم قال لما كذبتني قريش وسألتني عن أشياء تتعلق ببيت المقدس لم اثبتها قالوا كم للمسجد من باب فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله قط فجلى الله لي بيت المقدس وفي رواية فجيء بصورته وانا انظر اليه فطفقت اخبرهم عن آياته اي علاماته وكانوا يعلمون انه صلى الله عليه وسلم لم يدخل بيت المقدس قط فكان يخبرهم بما يعرفونه وأبو بكر رضي الله عنه يصدقه على كل مقالة يقولها فلما فرغ صلى الله عليه وسلم

لارجو ان يجعلك الله معهما فالتفت فاذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه (وأخرج) الامام مالك عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر رضي الله عنهما ان عليا رضي الله عنه وقف على عمر رضي الله عنه بعد وفاته وهو مسجى فقال ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أحب الي ان ألقى الله بصحيفة هذا المسجى قال العلامة ابن حجر في الصواعق المحرقة لاخوان الضلال والزندقة فالذي أحوج عليا ان يقول ذلك تقية وما الذي أحوج الباقر ان يروي ذلك لابنه جعفر تقية وما الذي أحوج جعفر ان يرويه لمالك تقية * فكيف يسع العاقل ان يترك هذه النقول الصحيحة عن أهل البيت النبوي و يحملها على التقية التي تؤدي الى وصف

من الوصف ولم يخطئ في شيء منه فقالوا صدق الوليد بن المغيرة أي في قوله انه ساحر فأنزل الله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس قالت نبعة جارية أم هانئ وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يومئذ يا أبا بكر ان الله قد سماك الصديق ومن ثم كان علي رضي الله عنه يحلف بالله تعالى ان الله تعالى أنزل اسم أبي بكر الصديق من السماء رضي الله عنه وفي رواية ان كفار قريش لما أخبرهم بالاسراء الى بيت المقدس ووصفه لهم قالوا له ما آية ذلك يا محمد أي ما العلامة الدالة على هذا الذي أخبرت به فانا لم نسمع بمثل هذا قط هل رأيت في مسراك وطريقك ما نستدل بوجوده على صدقك أي لان وصفك لبيت المقدس يحتمل أن تكون حفظته عمن ذهب اليه قال آية ذلك أني مررت بعير بني فلان بوادي كذا فأنفر عيرهم حس الدابة يعني البراق فند لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه الى الشام ثم أقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وفي رواية فعثرت الدابة يعني البراق فقلب بحافره القدح الذي فيه الماء الذي كان يتوضأ به صاحبه في القافلة والمراد الوضوء اللغوي ثم قال صلى الله عليه وسلم وانتهيت الى عير بني فلان فنفرت من الدابة يعني البراق وبرك منها بعير أحمر عليه جوالق مخطوط ببياض لا أدري أكسر البعير أم لا وفي رواية ثم انتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر وأضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان بدلالتي لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد فلما قدموا سألوهم عن ذلك كله فقالوا كله صدق فقالوا صدق الوليد أي في قوله انه ساحر ثم قالوا له صلى الله عليه وسلم متى تجيء عير بني فلان فقال لهم يأتونكم يوم كذا يقدمهم جمل أورق عليه مسح آدم وغرارتان فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك وقد ولى النهار ولم تجئ حتى كادت الشمس أن تغرب أو دنت للغروب فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه فحبس الشمس عن الغروب حتى قدم العير كما وصف صلى الله عليه وسلم قال الامام السبكي

وشمس الضحى طاعتك عند مغيبها * فما غربت بل وافقتك بوقفة

فأما أهل الايمان الكامل كأبي بكر رضي الله عنه فازدادوا ايمانا الى ايمانهم وأما أهل الكفر والعناد فازدادوا طغيانا على طغيانهم قال تعالى وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس ومع ذلك لم يخبرهم صلى الله عليه وسلم بشيء مما شاهده من عجائب الملكوت وقد أفردت قصة الاسراء والمعراج بالتأليف وقد أشار صاحب الهمزية لها بقوله

فطوى الارض سائرا والسموا * ت العلا فوقها له اسراء * فصف الليلة التي كان للمختار * فيها على البراق استواء * وترقى بها الى قاب قوسين * وتلك السيادة القعساء

رتب تسقط الاماني حسرى * دونها ما وراءهن وراء

(باب عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل من العرب أن يحموه وينصروه على ما جاء به من الحق)

اعلم أنه صلى الله عليه وسلم أخفى رسالته في أول أمره بأمر من الله تعالى ثم أعلن بها في السنة الرابعة من النبوة ودعا الى الاسلام عشر سنين يوافي المواسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم بمنى والموقف يسأل عن القبائل قبيلة قبيلة ويسأل عن منازلهم ويأتي اليهم في أسواق الموسم وهي عكاظ ومجنة وذو المجاز وكانت العرب اذا حجت أي أرادت الحج تقيم بعكاظ شهر شوال ثم تجيء الى سوق مجنة تقيم فيه عشرين يوما ثم تجيء الى سوق ذي المجاز تقيم به أيام الحج وكان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه عليهم ويدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالة ربه وعن جابر رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموقف ويقول ألا رجل يعرض علي قومه فان قريشا منعوني ان أبلغ كلام ربي وعن بعضهم قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يهاجر الى المدينة يطوف على الناس في منازلهم بمنى يقول يا أيها الناس ان الله يأمركم أن

على رضي الله عنه بالعجز والذل والمداهنة وكتمان الحق برأه الله وحاه من ذلك وليس لهم في ذلك مستند صحيح وانما هو من خيالاتهم وكذبهم وحمقهم وما أحسن ما سلكه بعض الشيعة المنصفين فانه قال أفضل الشيخين بتفضيل علي اياهما على نفسه والا لما فضلتهما كفى بي وزرا ان أحبه ثم أخالفه (وصح) عن الامام زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهما انه قال أيها الناس أحبونا حب الاسلام فوالله ما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا وفي رواية حتى بغضتمونا الى الناس أي بسبب ما نسبوه اليهم مما هم براء منه فلعنة الله على من كذب على هؤلاء الأئمة ورماهم بالزور والبهتان ويكفي في اعتراف علي رضي الله عنه بفضل عمر رضي الله عنه تزويجه

تعبدوه ولا تشركوا به شيأ و وراءه رجل يقول يا ايها الناس ان هذا يامركم أن تتركوا دين آبائكم فسالت من هذا الرجل فقيل أبو لهب يعني عمه وفي لفظ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز يعرض نفسه على القبائل من العرب يقول يا ايها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان أي ذؤابتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسالت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لي انه غلام عبد المطلب فقلت ومن الذي يرجمه قيل هو عمه عبد العزى يعني أبا لهب وفي السيرة الهشامية عن بعضهم قال اني غلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف في منازل القبائل من العرب فيقول يا بني فلان اني رسول الله اليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وان تخلعوا ما تعبدون دونه من هذه الانداد وأن تؤمنوا بي وأن تصدقوني وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به وخلفه رجل أحول له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل يا بني فلان ان هذا الرجل انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابي من هذا الرجل الذي يتبعه يرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب يعني أبا لهب وروى ابن اسحاق أنه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على كندة وكلب وعلى بني حنيفة وبني عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم أرأيت ان نحن بايعناك على أمرك ثم أظفرك الله على من خالفك أن يكون لنا الامر من بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث يشاء قال فقال له أنقاتل العرب دونك وفي رواية أنهدف نحورنا للعرب دونك أي نجعل نحورنا هدفا لنبلهم فاذا أظفرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بامرك وأبوا عليه فلما رجعت بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ أدركه السن لا يقدر أن يوافي معهم الموسم فلما قدموا عليه سالهم عما كان في موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي يدعونا أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بني عامر هل لها من تلاف أي هل لهذه القضية من تدارك والذي نفس فلان بيده ما يقولها أي ما يدعي النبوة كاذبا أحد من بني اسماعيل قط وانها الحق وان رأيكم غاب عنكم وروى الواقدي أنه صلى الله عليه وسلم أتى بني عبس وبني سليم وبني محارب وفزارة ومرة وبني النضر وعذرة والحضارمة فردوا عليه صلى الله عليه وسلم أقبح الرد وقالوا أسرتك وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن أحد من العرب أقبح عليه من بني حنيفة وهم أهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب ومن ثم جاء في الحديث شر قبائل العرب بنو حنيفة وهم منسوبون الى أمهم حنيفة قيل لها ذلك لحنف كان في رجلها ومن أقبح القبائل في الرد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف ومن ثم جاء شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف ودفع مرة هو وأبو بكر رضي الله عنه الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم وقال ممن القوم قالوا من ربيعة وكان أبو بكر رضي الله عنه نسابا أي ذا معرفة بالانساب فقال لهم من أي ربيعة من هامتها أو من لهازمها قالوا من هامتها العظمى قال من أيها قالوا من ذهل الاكبر قال أمنكم حامي الذمار ومانع الجار فلان قالوا لا قال أمنكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال أمنكم صاحب العمامة الفودة فلان قالوا لا فقال لستم من ذهل الاكبر أنتم ذهل الاصغر فقام اليه شاب حين أبقل وجهه أي طلع شعر وجهه فقال له آن على سائلنا أن نسأله كما سألنا يا هذا انك قد سألتنا فاخبرناك فمن الرجل أنت فقال أبو بكر رضي الله عنه أنا من قريش فقال الفتى بخ بخ أهل الشرف والرياسة ثم قال فمن أي قريش أنت قال من ولد تيم بن مرة قال الفتى أمكنت الرامي من صفا الثغرة أمنكم قصي الذي كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه قال لا قال أمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي كان وجهه يضيء كالقمر في الليلة الظلماء قال لا واجتذب أبو بكر رضي الله عنه زمام ناقته ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان علي رضي الله عنه حاضرا فقال لابي بكر رضي الله عنه لقد وقعت من الاعراب على باقعة أي داهية أي ذي دهاء قال أجل يا أبا الحسن ما من طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق وكان الاعرابي انما ذكر له قصيا وهاشما وعبد المطلب يقول ان قبيلتك لم تشتمل

اياه ابنته أم كلثوم بنت فاطمة رضي الله عنها وقصة ذلك التزويج رواها كثير من أصحاب السنن منهم البيهقي والدارقطني بسند رجاله من أكابر أهل البيت وان عمر رضي الله عنه قال ما أردت الباه ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة ما خلا سببي ونسبي فتزوجها عمر رضي الله عنه فولدت له زيدا فعاش حتى صار رجلا ثم مات ولما خطبها من علي رضي الله عنه قال له حتى أستأذن فاستأذن الحسن والحسين رضي الله عنهما فتكلم الحسن فحمد الله واثنى عليه ثم قال يا أبتاه من بعد عمر صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي وهو عنه راض ثم ولي الخلافة فعدل فقال له أبوه صدقت ولكن كرهت ان

على هؤلاء الاشراف كما أن قبيلتنا لم تشتمل على اولئك الاشراف فواحدة بواحدة والجزاء من جنس العمل وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم لقي جماعة من بني شيبان بن ثعلبة وكان معه أبو بكر وعلي رضي الله عنهما وان أبا بكر رضي الله عنه سألهم وقال لهم ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بابي أنت وأمي هؤلاء غرر أي سادات في قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا له غديرتان أي ذؤابتان من شعر وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر رضي الله عنه فقال له أبو بكر رضي الله عنه كيف العدد فيكم قال مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الالف من قلة فقال له أبو أبو بكر رضي الله عنه كيف المنعة فيكم قال مفروق علينا الجهد أي الطاقة ولكل قوم جد أي حظ وسعادة أي علينا أن نجهد وليس علينا أن يكون لنا الظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشاء فقال له أبو بكر رضي الله عنه فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما يكون غضبا حين نلقى وانا لاشد ما يكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح أي نؤثر السلاح على ذوات اللبن من الابل والنصر من عند الله يديلنا أي ينصرنا مرة ويجعل الدولة لنا ويديل علينا مرة أخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر رضي الله عنه أوقد بلغكم أنه اى أخا قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم فها هو ذا فقال مفروق بلغنا انه يذكر ذلك فالام يدعو فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له واني رسول الله والى أن تؤووني وتنصروني فان قريشا قد تظاهرت اى تعاونت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغني الحميد قال مفروق والام تدعونا ايضا يا أخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون قال مفروق ما هذا من كلام أهل الارض عرفناه ثم قال والام تدعو ايضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم صرفوا عن الحق وكذبوك وظاهروا اى عاونوا عليك وكأن مفروقا أراد أن يشاركه في الكلام هانئ بن قبيصة فقال هذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش واني أرى ان ان تركنا ديننا واتبعناك على دينك بمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر لزلة في الرأي وقلة نظر في العواقب وانما تكون الزلة مع العجلة وانما وراءنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وتنظر وكان هانئ احب أن يشركه في الكلام مثنى بن حارثة فقال هذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة وان أحببت أن نأويك وننصرك مما يلي سائر العرب دون انهار كسرى فعلنا انما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لا نحدث حدثا ولا نأوي محدثا واني أرى ان هذا الامر الذي تدعونا اليه هو مما تكرهه الملوك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من أحاطه من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وديارهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم تسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلامة الحلبي وهؤلاء لم أقف على اسلام واحد منهم الا أن في الصحابة شخصا يقال له المثنى بن حارثة الشيباني وكان فارس قومه وسيدهم والمطاع فيهم ولعله هو وهذا القول هانئ بن قبيصة فيه انه صاحب حربنا ورأيت بعضهم ذكر ان النعمان بن شريك له وفادة فيكون من الصحابة وفي أسد الغابة أن مفروق بن عمرو من الصحابة ونقل عن أبي

أقطع أمرا دونكما (وأخرج) الدارقطني عن الامام أبي حنيفة رضي الله عنه انه قال سمعت أبا جعفر محمد الباقر يذكر تزويج علي رضي الله عنه ابنته أم كلثوم من عمر رضي الله عنهما ويقول لولم يكن لها أهلا ما زوجه اياها فتزويج علي رضي الله عنه ابنته من عمر رضي الله عنه يبطل ما زعمته الرافضة والا لكان تعاطى تزويج ابنته من كافر على زعمهم الفاسد حاشاه من ذلك وصح عن علي رضي الله عنه الثناء على عثمان والترحم عليه والاعتراف بصحة خلافته ودخوله في بيعته وطاعته وكان يلعن قتلته (اخرج) الدارقطني عن سالم بن أبي الجعد عن محمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ان عليا رضي الله عنه كان يلعن قتلة عثمان ويقول لعنهم

نعم أنه قال لا أعرف المعروف اسلاما والله أعلم ولما قدمت قبائل بكر بن وائل مكة للحج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه ائتهم فاعرضنى عليهم فأتاهم فعرض عليهم ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم كيف العدد فيكم قالوا كثير مثل الثرى قال كيف المنعة قالوا لا منعة جاورنا فارسا فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم قال أفتجعلون لله عليكم ان هو أبقاكم حين أن تنزلوا منازلهم وتنكحوا نساءهم وتستعبدوا أبناءهم أن تسبحوا الله ثلاثا وثلاثين قالوا ومن أنت قال أنا رسول الله ثم مر بهم أبو لهب فقالوا هل تعرف هذا الرجل قال نعم فأخبروه بما دعاهم اليه وانه زعم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم أبو لهب لا ترفعوا لقوله رأسا فانه مجنون يهذى من أم رأسه فقالوا القد رأينا ذلك حيث ذكر من أمر فارس ما ذكر وفى رواية أنه لما سألهم قالوا له حتى يجىء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبين الفرس حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس قال شيخهم ما اسم الرجل الذى دعاكم الى ما دعاكم اليه قالوا محمد قال فهو عزكم فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بى نصروا أى نصروا بذكرهم اسمى ولا زال صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل فى كل موسم يقول لا أكره أحدا على شئ من رضى الذى أدعو اليه فذاك ومن كره لم أكرهه وانما أريد منعى من القتل حتى أبلغ رسالة ربى فلم يقبله صلى الله عليه وسلم أحد من تلك القبائل ويقولون قوم الرجل أعلم به أترون ان رجلا يصلحنا وقد أفسد قومه وعن ابن اسحق لما أراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم وفى مستدرك الحاكم ان ذلك كان فى شهر رجب يعرض نفسه على القبائل من العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبينما هو عند العقبة التى تضاف اليها الجمرة فيقال جمرة العقبة وهى على يسار القاصد منى من مكة وبها الآن أسفل منها مسجد يقال له مسجد البيعة اذ لقى رهطا من الخزرج لان الاوس والخزرج كانوا يحجون فيمن يحج من العرب وكان الذين لقيهم ستة نفر وقيل ثمانية أراد الله بهم الخير وهم أبو أمامة اسعد بن زرارة وعوف بن الحارث بن رفاعة ويعرف بابن عفراء ورافع بن مالك بن العجلان وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى وجابر بن عبد الله بن رئاب وعبادة بن الصامت وأبو الهيثم بن التيهان وأسقط بعضهم عبادة بن الصامت ومن بعده فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال ألا تجلسون أكلمكم قالوا بلى من أنت فانتسب لهم وأخبرهم خبره فجلسوا وفى رواية انه وجدهم يحلقون رؤسهم ثم دعاهم الى الله سبحانه وتعالى وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقبلوا ذلك منه وأثر فى قلوبهم وكان قد أخذهم النبى صلى الله عليه وسلم فى موضع بعيد من الناس خوفا من أن يراهم أحد فينقل خبرهم الى قريش فنزل بهم تحت العقبة بالمكان المعروف بمسجد البيعة وكان من صنع الله أن اليهود كانوا مع الاوس والخزرج بالمدينة وكانوا أهل كتاب والاوس والخزرج أهل شرك وأوثان وكانوا اذا كان بينهم شئ تقول اليهود ان نبيا سيبعث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم وكانوا يصفونه لهم بصفاته فلما كلمهم النبى صلى الله عليه وسلم عرضوا الصفات التى كانوا يسمعونها قبل من اليهود فوجدوها محققة فيه فقال بعضهم لبعض بادروا لاتباعه لا تسبقنا اليهود اليه وفى رواية فلما سمعوا قوله أيقنوا به واطمأنت قلوبهم الى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون من صفته ورأوا أمارات الصدق عليه لائحة فقال بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه هو النبى الذى توعدكم به اليهود فلا يسبقوكم اليه فأجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام فأسلم أولئك النفر فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى قالوا يا رسول الله انا تركنا قومنا يعنون الاوس والخزرج بينهم من العداوة والشر ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك * وقولهم بينهم من العداوة والشر ما بينهم أصل هذه العداوة أن الاوس والخزرج كانوا أخوين لاب وأم فوقعت بينهم العداوة وتطاولت بينهم الحروب مائة وعشرين سنة وفى رواية قالوا له انما كانت بعاث عام أول وهو يوم اقتتلوا فيه وقتل رؤساؤهم وافترق فيه ملأهم فقالوا ان تقدم ونحن كذلك متفرقون لا يكون لنا عليك اجتماع

الله فى السهل والجبل
وأخرج الدارقطنى أيضا
عن محمد بن حاطب قال
ذكر عثمان رضى الله عنه
عند على رضى الله عنه فقال
عثمان رحمه الله من الذين
اتقوا وآمنوا ثم اتقوا
وأحسنوا والله يحب المحسنين
* فهذه الآثار كلها تبطل
ما تزعمه الرافضة من التقية
التى ينسبونها لعلى رضى الله
عنه وهو برىء منها (وأخرج)
الطبرانى عن على بن أبى
طالب رضى الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم لحسان هل قلت فى أبى
بكر شيأ فقال نعم فقال قل
وانا أسمع فقال
وثانى اثنين فى الغار المنيف وقد
طاف العدو به اذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا
من البرية لم يعدل به رجلا
فضحك رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى بدت نواجذه

قد عنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله أن يصلح بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فان اجتمعت كلتهم عليك واتبعوك فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم العام المقبل ثم انصرفوا الى المدينة ورضي رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم بذلك وهذا ابتداء اسلام الانصار فلما وصلوا المدينة أخبروا قومهم وانتشر ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فلم تبق دار من دور الأنصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر رجلا وهي العقبة الثانية فاسلموا فيهم خمسة من المذكورين قبل وهم أبو أمامة أسعد بن زرارة وعوف بن عفراء ورافع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابي والسبعة تتمة لاثني عشر هم معاذ بن الحرث بن رفاعة وهو ابن عفراء أخو عوف المذكور قبل وذكوان ابن عبد قيس الزرقي الخزرجي وعبادة بن الصامت وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي حليف الخزرج وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة والعباس بن نضلة من مالك بن العجلان وأقام العباس المذكور بمكة الى أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم فهاجر فهو أنصاري مهاجري واستشهد باحد رضي الله عنهم يروى أنه قال لهم حين اجتماعهم في هذه العقبة الثانية تأخذون محمدا صلى الله عليه وسلم على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكتكم الحرب أسلمتموه فمن الآن فاتركوه وان صبرتم على ذلك فخذوه قال بعضهم والله ما قال ذلك الا ليشد العقد وكل هؤلاء المذكورين من الخزرج سوى أبي الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة فانهما من الاوس فاسلموا كلهم وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم كما روى عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال كنت فيمن حضر العقبة وكنا اثني عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا نشرك بالله شيأ ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه صلى الله عليه وسلم في معروف ونعطيه السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا ننازع الامر أهله وان نقول بالحق حيث كنا لا نخاف في الله لومة لائم ثم قال عليه الصلاة والسلام بعد هذه المبايعة فان وفيتم فلكم الجنة ومن غشي من ذلك شيأ كان أمره مفوضا الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ولم يكن الجهاد مفروضا في ذلك الوقت فلم يذكره لهم ولم يبايعهم عليه وقيل انما كانت بيعة العقبة الثانية على الايواء والنصر وما يتعلق بذلك وأما المبايعة بلفظ على أن لا نشرك بالله شيأ الخ فانما كانت عام الفتح ولا مانع من تعدد ذلك وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فبايعوه على ذلك وعلى أن يرحل اليهم هو وأصحابه فلما انصرفوا راجعين الى بلادهم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله واسم أمه عاتكة وهو ابن خالة السيدة خديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها ومصعب بن عمير معه رضي الله عنهما يعلمان من أسلم منهم القرآن ويعلمان من أراد أن يسلم الاسلام ويفقهانهم في الدين ويدعوان من لم يسلم منهم الى الاسلام وقيل ان مصعبا بعثه أولا حين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن عفراء ورافع بن مالك أن ابعث الينا رجلا من قبلك يفقهنا في ديننا ويدعو الناس بكتاب الله وفي رواية كتبوا له بذلك ولا مانع من الجميع فبعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير العبدلي رضي الله عنه وكان يقال له المقرئ ثم بعث ابن أم مكتوم ولما قدم مصعب المدينة نزل على أبي أمامة أسعد بن زرارة رضي الله عنه وكان مصعب يؤم القوم الاوس والخزرج لانهم لما بينهم من العداوة كرهوا أن يؤم بعضهم بعضا وجمع بهم مصعب رضي الله عنه اول جمعة في الاسلام قبل قدومه صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم لم يتمكن من اقامة الجمعة بمكة فامرهم باقامتها بالمدينة وكانوا أربعين رجلا واشتهر ان أول من جمع بهم أسعد بن زرارة رضي الله عنه ولا تخالف لان مصعب بن عمير رضي الله عنه كان عند أبي امامة أسعد بن زرارة فكان هو المعاون على اقامة الجمعة ولولا أسعد ابن زرارة ماقدر مصعب على اقامتها وهذا لا ينافي أن الخطيب والامام هو مصعب بن عمير فنسب اقامة الجمعة تارة لهذا وتارة لهذا قيل انهم أقاموا الجمعة باجتهاد منهم من غير أمر من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا خطأ مردود بل روى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير رضي الله

ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت (وأخرج) ابن عساكر أيضا عن الربيع ابن أنس رضي الله عنه قال مكتوب في الكتاب الاول مثل أبي بكر مثل القطر أينما وقع نفع وقال نظرنا في صحابة الانبياء فما وجدنا نبيا كان له صاحب مثل أبي بكر وصح عن علي رضي الله عنه انه كان اذا حدثه أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حديثا سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم يستحلفه انه سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم غير أبي بكر رضي الله عنه فانه اذا حدث عليا رضي الله عنه بحديث يصدقه فيه ولا يستحلفه وتقدم بعض الاحاديث التي فيها ان أبا بكر رضي الله عنه لما استقال الناس البيعة أبي علي رضي الله عنه وغيره ان يقيلوه (ومما جاء) في ذلك

عنه أما بعد فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم أى اليوم الذى يليه يوم السبت فأجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره فتقربوا الى الله تعالى بركعتين فجمع مصعب بن عمير عند الزوال أى صلى الجمعة بهم واستمر على ذلك حتى قدم النبى صلى الله عليه وسلم وأسلم خلق كثير من الانصار على يد مصعب بن عمير رضى الله عنه بعد ان اشتد عليهم أمره فى أول مجيئه وكادوا يقتلونه ثم هداهم الله به روى ابن اسحق أن أسعد بن زرارة رضى الله عنه خرج بمصعب بن عمير رضى الله عنه الى حائط أى بستان من حوائط بنى ظفر فجلسا فيه واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما أى بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير لا أبا لك انطلق بنا الى هذين الرجلين يعنى أسعد بن زرارة ومصعب بن عمير اللذين أتيا دارنا بناتثنية دار وهى المحلة والمراد قبيلتنا وعشيرتنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما وفى رواية قال له ائت أسعد بن زرارة فازجره ليكف عنا مانكره فانه بلغنى أنه قد جاء بهذا الرجل الغريب يسفه ضعفاءنا فانه لولا أسعد بن زرارة منى حيث علمت لكفيتك ذلك هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدما فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل عليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا سيد قومه فاصدق الله فيه فوقف عليهما وقال ماجاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كان لكما بأنفسكما حاجة وفى رواية قال يا أسعد مالك ولنا تأتينا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد تسفه به سفهاءنا وضعفاءنا وفى رواية علام أتيتنا فى دورنا بهذا الرجل الغريب الوحيد الطريد يسفه ضعفاءنا بالباطل و يدعوهم اليه فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته كففنا عنك ماتكره أى منعنا عنك ماتكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقال ما أحسن هذا وأجمله كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين قالا تغتسل وتتطهر وتغسل ثوبك وتشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين وهما صلاة التوبة ثم قال لهما ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن وهو سعد ابن معاذ ثم أخذ حربته فانصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد مافعلت قال كلمت الرجلين فوالله مارأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت أن بنى حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وقد عرفوا أنه ابن خالتك لينقضوا عهدك فقام سعد مغضبا مبادرا فأخذ الحربة من يده وقال والله ما أراك أغنيت شيأ ثم خرج اليهما ولما أقبل سعد قال أسعد بن زرارة لمصعب لقد جاءك سيد من ورائه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان فلما رآهما سعد مطمئنين عرف ان أسيدا انما أراد منه أن يسمع منهما فوقف عليهما متبسما ثم قال لاسعد بن زرارة يا أبا أمامة والله لولا ما بينى وبينك من القرابة مارمت هذا منى تغشانا فى دارنا بما نكره فقال له مصعب لتقعدن فان رضيت أمرا قبلته وان كرهته عزلنا عنك ماتكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وعرض عليه القرآن فأعجبه ذلك وصار يقول ما أحسن هذا ثم قال لهما ماتصنعون اذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين فقال تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة الحق ثم تركع ركعتين فقام واغتسل وطهر ثوبه ثم شهد شهادة الحق ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته فأقبل عامدا الى قومه ومعهم أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يابنى عبد الاشهل كيف تعرفون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا أى وأبركنا نفسا وأمرا قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال والله ماأمسى فى دار قبيلة بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ومسلمة فاسلموا فى يوم واحد كلهم الا ما كان من الاصيرم وهو عمرو بن ثابت من بنى عبد الاشهل فانه تأخر اسلامه الى يوم أحد فاسلم واستشهد رضى الله عنه ولم يسجد لله سجدة واحدة وأخبر عنه صلى الله عليه وسلم أنه من أهل الجنة ثم رجع مصعب الى دار أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعو الى الاسلام حتى أسلم الرجال والنساء من الانصار الا جماعة

أيضا ما أخرجه ابن السمان فى الموافقة قال قام أبو بكر رضى الله عنه بعد ما بويع له و بعد ان بايعه على رضى الله عنه وأصحابه فأقام ثلاثا يقول للناس قد أقلتكم بيعتكم هل من كاره فيقوم على رضى الله عنه فى أول الناس يقول والله لانقيلك ولانستقيلك قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذى يؤخرك وفى رواية أخرى رواها الحافظ السلفى قال احتجب أبو بكر رضى الله عنه عن الناس ثلاثا يشرف عليهم كل يوم فيقول قد أقلتكم بيعتى فبايعوا من شئتم فيقوم على ابن أبى طالب رضى الله عنه فيقول والله لانقيلك ولا نستقيلك قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذى يؤخرك وأخرج الامام أبو بكر محمد بن عبد الله الجوزقى وابن السمان

من الاوس لانه كان فيهم أبو قيس وهو صيفي بن الاسلت وكان شاعرا لهم وكانوا يسمعون منه ويطيعون لانه كان قوالا بالحق معظما قد ترهب في الجاهلية ولبس المسوح واغتسل من الجنابة ودخل بيتا له واتخذ مسجدا وقال أعبد اله ابراهيم ولا يدخل على فيه حائض ولا جنب فتوقف عن الاسلام ولم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق فاسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير وسبب تأخر اسلامه أنه لما أراد الاسلام عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه عبد الله بن أبي ابن سلول وكلمه بما أغضبه ونفره عن الاسلام وقال أبو قيس ما أتبعه الا آخر الناس فلما احتضر أرسل اليه صلى الله عليه وسلم أن قل لا اله الا الله أشفع لك بها عند الله فقالها هاشم ان مصعب بن عمير رضي الله عنه رجع الى مكة مع من خرج من المسلمين والانصار الى الموسم ومع قوم حجاج من أهل الشرك حتى قدموا مكة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمن أسلم فسر بذلك قال كعب بن مالك رضي الله عنه خرجنا مع حجاج قومنا من المشركين فاجتمعنا بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة أي أن يوافوه في الشعب الايمن اذا انحدروا من منى أسفل العقبة حيث المسجد اليوم الذي يقال له مسجد العقبة ومسجد البيعة وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يأتوا اليه بليل وأن لا ينبهوا نائما ولا ينتظروا غائبا ويكون اتيانهم في ليلة اليوم الذي فيه النفر الاول فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وكان يكتم أمرنا من معنا من قومنا من المشركين وكان من جملة المشركين أبو جابر عبد الله بن حرام سيد من سادتنا فأخذناه معنا وقلنا له يا جابر انك سيد من سادتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه للاسلام فاسلم وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة فكنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هدأة من الليل يتسلل الرجل والرجلان تسلل القطا مستخفين حتى اذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان فلا زلنا ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم سبقهم وانتظرهم فلما لم يجيئوا ذهب ثم جاءهم بعد مجيئهم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب ليس معه غيره وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويوثق له وهذا يخالف ما جاء أنه كان معه أيضا أبو بكر وعلي رضي الله عنهما الا أن العباس أوقف عليا على فم الشعب عينا له وأوقف أبا بكر على فم الطريق الآخر عينا فلم يكن معه عند مجيئه لهم في محل مبايعتهم الا العباس رضي الله عنه فلما جلسوا كان العباس رضي الله عنه أول متكلم فقال يا معشر الخزرج والمراد ما يشمل الاوس وكانت العرب تغلب الخزرج على الاوس كثيرا ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم موافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه وبلده فقال البراء بن معرور انا والله لو كان من أنفسنا غير ما ننطق به لقلناه ولكنا نريد الوفاء والصدق وبذل مهج أنفسنا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية أن العباس رضي الله عنه قال قد أبى محمد الناس كلهم غيركم فان كنتم أهل قوة وجلد وبصيرة بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فروا رأيكم وائتمروا بينكم ولا تفرقوا الا عن ملأ واجتماع فان أحسن الحديث أصدقه وقوله قد أبى محمد الناس كلهم ربما يفيد أن الناس غير الانصار وافقوه على مناصرته فاباه ولا يساعد عليه ما تقدم من كونه كان يعرض نفسه على القبائل فلم يجد موافقا غير الانصار وأجيب بأن المراد لم يجد موافقا كل الموافقة غير الانصار وهذا لا ينافي أنه وجد من يوافق في بعض الاشياء دون بعض فلم يقبلهم كبني شيبان بن ثعلبة فانهم كما تقدم قالوا ننصرك مما يلي مياه العرب دون ما يلي مياه كسرى وقيل المراد بالناس أهله وعشيرته وعند ما تكلم العباس رضي الله عنه بما ذكر قالوا له قد سمعنا مقالتك فتكلم يا رسول

عن أسد بن صفوان وكان قد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم قال لما قبض أبو بكر رضي الله عنه ارتجت المدينة عليه بالبكاء كيوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه مترجعا وهو يقول اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر رضي الله عنه وهو مسجى فقال يرحمك الله يا أبا بكر كنت الف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته كنت أول القوم اسلاما وأخلصهم ايمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم لله وأعظمهم غناء في دين الله وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وأيمنهم على أصحابه وأحسنهم صحبة وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة

الله خذ لنفسك ولربك ما أحببت وفي رواية خذ لنفسك ماشئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم أمري لربي عز وجل أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ ولنفسي أن تمنعوني ماتمنعون به أنفسكم وأبناءكم قال ابن رواحة فاذا فعلنا ذلك فما لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم الجنة قالوا ربح البيع لانقيل ولا نستقيل وفي رواية وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله تعالى ورغب في الاسلام فقال أبايعكم على أن تمنعوني ماتمنعون منه نساءكم وأبناءكم وقيل لما قالوا له نبايعك قال تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل والنفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن لا تخافوا في الله لومة لائم وعلى أن تنصروني فتمنعوني اذا قدمت عليكم ماتمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة فأخذ البراء بن معرور بيده صلى الله عليه وسلم وقال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع به أزرنا أي نساءنا وأنفسنا لان العرب تكني بالازار عن المرأة وعن النفس فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة أي السلاح ورثناها كابرا عن كابر وبينا البراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال أبو الهيثم بن التيهان نقبله على مصيبة المال وقتل الاشراف فقال العباس رضي الله عنه اخفوا جرسكم أي صوتكم فان علينا عيونا ثم قال أبو الهيثم ان بيننا وبين الرجال يعني اليهود حبالا أي عهودا وانا قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أي دمي دمكم أي تطالبون بدمي وأطلب بدمكم ودمي ودمكم واحد وفي رواية بدل الدم اللدم وهو بالتحريك الحرم من القرابات أي حرمي حرمكم تقول العرب اذا أرادت تأكيد المحالفة هدمي هدمكم أي اذا أهدرتم الدم أهدرته وذمتي ذمتكم ورحلتي رحلتكم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم فعند ذلك قال لهم العباس رضي الله عنه عليكم بما ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم في هذا الشهر الحرام والبلد الحرام يد الله فوق أيديكم لتجدن في نصرته وتشدن أزره قالوا جميعا نعم قال العباس اللهم انك سامع شاهد وان ابن أخي قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن أخي شهيدا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم أخرجوا الي منكم اثني عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فأخرجوا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم ان موسى أخرج من بني اسرائيل اثني عشر نقيبا فلا يجد أحد في نفسه أن يؤخذ غيره فانما يختار لي جبريل أي لانه حضر البيعة ثم عينهم وهم سعد بن عبادة وأسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة والمنذر بن عمرو وعبد الله بن رواحة والبراء بن معرور وأبو الهيثم بن التيهان وأسيد بن حضير وعبد الله بن عمرو بن حرام وعبادة بن الصامت ورافع بن مالك كل واحد من قبيلة ثم قال لاولئك النقباء أنتم كفلاء على غيركم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم عليه السلام وأنا كفيل على قومي يعني المهاجرين وقيل ان الذي تكلم وشد العقد عباس بن عبادة بن نضلة قال يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس أي على من حاربه منهم والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يؤذن له في البداءة بالمحاربة الا بعد أن هاجر الى المدينة وكان قبل ذلك مأمورا بالدعاء الى الله تعالى والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل وقيل الذي تكلم وشد العقد أسعد بن زرارة وهو من أصغر الانصار ولا مخالفة بين الاقوال لان كل سيد من اولئك السادة تكلم بما يقوي البيعة ثم اتفقوا على جميع ذلك وقالوا يارسول الله مالنا ان نحن وفينا قال رضوان الله والجنة قالوا رضينا ابسط يدك فبايعوه وأول من بايعه البراء بن معرور وقيل أسعد بن زرارة وقيل أبو الهيثم بن التيهان ثم بايعه السبعون وبايعه المرأتان من غير مصافحة لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أحرزن قال اذهبن فقد بايعتكن وكانت هذه البيعة على حرب الاسود والاحمر أي العرب والعجم فهؤلاء الثلاثة الذين بايعوه أولا لم يتقدم عليهم أحد غيرهم وحينئذ تكون الاولية فيهم حقيقية واضافية وقيل ان أبا الهيثم بن التيهان قال أبايعك يارسول الله على ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من بني اسرائيل موسى بن عمران عليه السلام وان عبد الله بن رواحة قال أبايعك يارسول الله على

وأشبههم برسول الله صلى الله عليه وسلم هديا وسمتا ورحمة وفضلا وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه وأوثقهم عنه فجزاك الله عن الاسلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا كنت عنده بمنزلة السمع والبصر صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذبه الناس فسماك الله في تنزيله صديقا فقال والذي جاء بالصدق وصدق به الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر ذكره المحب الطبري في الرياض النضرة وذكر في احدى الروايتين زيادة طويلة على ماذكرهنا والاحاديث والآثار الواردة في فضائل الصديق والثناء عليه رضي الله عنه المروية عن علي وغيره من الصحابة رضي الله عنهم كثيرة لا يمكن استقصاؤها (وأماما اتصف به أبو بكر رضي الله عنه)

ما بايع عليه الاثنا عشر نقيبا من الحواريين عيسى بن مريم عليه السلام فقال أسعد بن زرارة أبايع الله عز وجل يارسول الله وأبايعك على أن أتم عهدى بوفائى وأصدق قولى بفعلى فى نصرك وقال النعمان بن حارثة أبايع الله يارسول الله وأبايعك على الاقدام فى أمر الله عز وجل لا أرأف فيه القريب ولا البعيد أى لا أعامل بالرأفة والرحمة وقال عبادة بن الصامت أبايعك يارسول الله على أن لا تأخذنى فى الله لومة لائم وقال سعد بن الربيع أبايع الله وأبايعك يارسول الله على أن لا أعصى لكما أمرا ولا أكذب لك حديثا فلما تمت البيعة وهى بيعة العقبة الثالثة صرخ الشيطان من رأس العقبة بأشد صوت وأبعده يا أهل الجباجب وهى منازل منى وفى رواية يا أهل الاخاشب هل لكم فى مذمم والصباة يعنى بمذمم محمدا وبالصباة من تابعه فانهم قد أجمعوا أى عزموا على حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة بفتح الهمزة وفتح الزاى وتشديد الباء الموحدة أى شيطان يسمى بهذا الاسم أسمع أى عدو الله أما والله لافرغن لك فهرب وعند ذلك قال لهم النبى صلى الله عليه وسلم انفضوا الى رحالكم وفى رواية لما بايع الانصار بالعقبة صاح الشيطان من رأس الجبل يا معشر قريش هذه بنو الاوس والخزرج تحالف على قتالكم ففزع عند ذلك الانصار الذين كانوا يبايعون النبى صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يروعكم هذا الصوت انما هو عدو الله ابليس وليس يسمعه أحد ممن تخافون ولا مانع من اجتماع صراخ أزب العقبة وصراخ ابليس الذى هو أبو الجن ويجوز أن يكون المراد بعدو الله ابليس أزب العقبة لانه من الابالسة وانه أتى بالافظين معا وقد حضر البيعة جبريل عليه السلام كما تقدم فعن حارثة بن النعمان قال لما فرغوا من المبايعة قلت يا نبى الله لقد رأيت رجلا عليه ثياب بيض أنكرته قائما على يمينك قال وقد رأيته قلت نعم قال ذاك جبريل عليه السلام ثم ان الحديث نما وسمع المشركون بذلك من قريش وغيرهم وفى كتاب الشريعة أن الشيطان لما نادى بما ذكر شبه صوته بصوت منبه بن الحجاج قال عمرو بن العاص فاتانا أبو جهل فذهبت أنا وهو الى عتبة بن ربيعة فأخبرنه بصوت منبه بن الحجاج فلم يرعه ما راعنا فقال هل أتاكم فأخبركم بهذا منبه قلنا لعله ابليس الكذاب ولا ينافى سماع عمرو وأبى جهل صوت ابليس قوله صلى الله عليه وسلم ليس يسمعه أحد ممن تخافون لان سماعهما لم يحصل منه خوف لهم وعند فشو الخبر جاء أجلتهم وأشرافهم حتى دخلوا شعب الانصار فقالوا يا معشر الاوس والخزرج بلغنا انكم جئتم الى صاحبنا هذا تخرجوه من بين أظهرنا وتبايعوه على حربنا والله ما من حى أبغض الينا من ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم فصار مشرك الاوس والخزرج يحلفون لهم ما كان من هذا شئ وكل واحد يقول لهم وما كان قومى ليفتاتوا على بمثل هذا لو كنت بيثرب ما صنع قومى هذا حتى يؤامرونى وصدقوا لانهم لا يعلمون كما علم مما تقدم ونفر الناس من منى وبحثت قريش عن خبر الانصار فوجدوه حقا فلما تحققوا الخبر اقتفوا آثارهم فلم يدركوا الا سعد بن عبادة والمنذر بن سعد فاما سعد فسلك وعذب فى الله وأما المنذر فافلت ثم أنقذ الله سعدا من أيدى المشركين روى عنه رضى الله عنه أنه قال لما ظفروا بى ربطوا يدى فى عنقى ولا زالوا يلطمونى على وجهى ويجذبونى حتى أدخلونى مكة فاوى الى رجل وهو أبو البخترى بن هشام مات كافرا وقال ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قلت بلى كنت أجير لجبير بن مطعم جاره وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى وللحرث بن حرب بن أمية وهو أخو أبى سفيان فقال ويحك فاهتف باسم الرجلين ففعلت فخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما فى المسجد فقال لهما ان رجلا من الخزرج يضرب بالابطح يهتف باسمكما فقالا من هو فقال يقال انه سعد بن عبادة فجا آ فخلصاه من أيديهم وعن سعد بن عبادة رضى الله عنه قال بينا أنا مع القوم أضرب اذ طلع على رجل أبيض وضئ عزائد الحسن فقلت فى نفسى ان يكن عند أحد من القوم خير فعند هذا فلما دنا منى رفع يده ولطمنى لطمة شديدة فقلت فى نفسى والله ما عندهم بعد هذا خير وهذا الرجل هو سهل بن عمرو رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما قدم الانصار المدينة أظهروا الاسلام اظهارا كليا وتجاهروا والا فقد تقدم أن الاسلام فشا فيهم قبل قدومهم لهذه البيعة وكان عمرو بن الجموح من سادات بنى سلمة بكسر اللام وأشرافهم ولم يكن أسلم وكان ممن أسلم ولده معاذ بن عمرو وكان لعمرو فى داره

من الخوف والورع والزهد وغير ذلك من محاسن الاخلاق فشئ كثير لا يمكن ضبطه ولا احصاؤه مذكور كثير منه فى الرياض النضرة وغيره من الكتب المطولة ويكفيه رضى الله عنه انه أفضل الخلق بعد النبيين والمرسلين وانه لو وزن ايمانه بايمان الامة لرجحهم وصح أنه أنفق ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلل بعباء (أخرج) أبو نعيم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول لك أراض أنت فى فقرك هذا أم ساخط فبكى أبو بكر وقال أسخط على ربى انا عن ربى راض انا عن ربى راض انا عن ربى راض وصح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال توفى أبو بكر وعليه ثلاث عشرة رقعة

منهم

صنم من خشب يقال له مناة لان الدماء كانت تمنى أى تصب عنده تقربا اليه وكان يعظمه فكان فتيان قومه ممن أسلم كمعاذ بن جبل وولده عمرو بن معاذ ومعاذ بن عمرو يدلجون بالليل على ذلك الصنم فيطرحونه فى بعض الحفر التى فيها خرء الناس منكسا بعد اخراجه من داره فاذا أصبح عمرو قال ويلكم من غدا على مناة هذه الليلة ثم يعود يلتمسه حتى اذا وجده غسله فاذا غسله غدوا عليه وفعلوا به مثل ذلك فغسله وطيبه مرة ثم جاء بسيف وعلقه فى عنقه ثم قال ما أعلم من يصنع بك فان كان فيك خير فاصنع فهذا السيف معك فلما أمسى عدوا وأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه فى بئر من آبار بنى سلمة فيها خرء الناس فلما أصبح عمرو غدا اليه فلم يجده ثم طلبه الى أن وجده فى تلك البئر فلما رآه كذلك رجع عقله وكلمه من أسلم من قومه فاسلم رضى الله عنه وحسن اسلامه وأنشد أبياتا منها

والله لو كنت الها لم تكن * أنت وكلب وسط بئر فى قرن (اى حبل)

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه من المسلمين بالهجرة الى المدينة لان قريشا لما علمت أنه صلى الله عليه وسلم أوى اى استند الى قوم أهل حرب ونجدة ضيقوا على أصحابه ونالوا منهم ما لم يكونوا ينالونه من الشتم والاذى وجعل البلاء يشتد عليهم وصاروا ما بين مفتون فى دينه وبين معذب فى أيديهم وبين هارب فى البلاد وشكوا اليه صلى الله عليه وسلم واستأذنوه فى الهجرة فمكث أياما لا يأذن ثم قال أريت دار هجرتكم أريت سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان ولو كانت السراة أرض نخل وسباخ لقلت هى هى والسراة بفتح السين أعظم جبال العرب ثم خرج صلى الله عليه وسلم اليهم مسرورا وقال قد أخبرت بدار هجرتكم وهى يثرب فاذن حينئذ وقال من أراد أن يخرج فليخرج اليها فخرجوا اليها ارسالا اى متتابعين يخفون ذلك وفى رواية أريت فى المنام انى هاجرت من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلى اى وهمى الى أنها اليمامة أو هجر فاذا هى المدينة يثرب ولعله أنسى قول جبريل ليلة الاسراء صليت بطيبة واليها المهاجرة ثم تذكره بعد ذلك فى قوله قد أخبرت بدار هجرتكم وقبل الهجرة آخى صلى الله عليه وسلم بين المسلمين من المهاجرين على المواساة والحق فآخى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وآخى بين حمزة وزيد بن حارثة رضى الله عنهما وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وبين الزبير وابن مسعود رضى الله عنهما وبين عبادة بن الحرث وبلال رضى الله عنهما وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهما وبين أبى عبادة وسالم مولى أبى حذيفة رضى الله عنهما وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما وبين على بن أبى طالب ونفسه صلى الله عليه وسلم وقال أما ترضى أن أكون أخاك قال بلى يا رسول الله رضيت قال فانت أخى فى الدنيا والآخرة وأنكر ابن تيمية مؤاخاة المهاجرين بعضهم بعضا قال والمؤاخاة انما هى بين المهاجرين والانصار قال ولا معنى لمؤاخاة مهاجرى لمهاجرى لان المؤاخاة انما شرعت لارفاق بعضهم ببعض قال الحافظ ابن حجر وهذا رد للنص بالقياس والحكمة فى مؤاخاة المهاجرين أن بعضهم كان أقوى من بعض فى المال والعشيرة فآخى بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى وبهذا ظهر مؤاخاته صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه لانه صلى الله عليه وسلم كان هو الذى يقوم بامره قبل البعثة وبعدها وفى الصحيح أن زيد بن حارثة قال ان بنت حمزة بنت أخى أى بسبب المؤاخاة وكان أول من هاجر منهم الى المدينة أبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الاسد المخزومى زوج أم سلمة قبل النبى صلى الله عليه وسلم وهو أخوه صلى الله عليه وسلم من الرضاع وابن عمته وهو أول من يدعى للحساب اليسير لانه لما قدم من الحبشة لمكة آذاه أهلها وأراد الرجوع الى الحبشة فلما بلغه اسلام من أسلم من الانصار وهم الاثنا عشر الذين بايعوا البيعة الاولى خرج اليهم وقدم المدينة بكرة النهار ولما عزم على الرحيل رحل بعيره وحمل عليه أم سلمة وابنها سلمة فى حجرها وخرج يقود البعير فرآه رجال من قوم أم سلمة وهم أقرب منه اليها فقاموا اليه وقالوا له يا أبا سلمة قد غلبتنا على نفسك فصاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها فى البلاد ثم نزعوا خطام البعير منه فجاء رجال من قوم أبى سلمة رضى الله عنه وقالوا ان ابننا معها ان نزعتموها من صاحبنا ننزع ولدنا منها ثم تجاذبوا حتى أطلقوا يده من الخطام وأخذ الولد قوم أبيه

بعضها من أدم (ولما) استخلف رضى الله عنه أراد الذهاب الى السوق ليتجر ويطعم أهله كما كان من قبل فقال له عمر رضى الله عنه أين تريد فقال السوق قال تصنع ماذا وقد وليت أمر المسلمين قال فمن أين أطعم عيالى قال انطلق يفرض لك أبو عبيدة فانه أمين هذه الامة فانطلقا الى أبى عبيدة رضى الله عنه فقال أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأوكسهم ولا أكيسهم وكسوة الشتاء والصيف اذا أخلقت شيأ رددته وأخذت غيره ففرض له كل يوم نصف شاة وما كساه فى الرأس والبطن وجاء فى بعض الروايات انهم قوموا ذلك كله بألفين وخمسمائة يعنى من الدراهم فى كل سنة (وأخرج) ابن سعد عن ميمون قال لما استخلف أبو بكر رضى الله عنه جعلوا له

ففرق بينها وبين زوجها وولدها فكانت تخرج كل غداة الى الابطح تبكى حتى مضت سنة فمر بها رجل من بنى عمها فرحمها وقال لقومها أما ترحمون هذه المسكينة فرقتم بينها وبين ولدها وزوجها فقالوا لها الحقى زوجك فلما بلغ ذلك قوم أبى سلمة ردوا عليها ولدها فركبت بعيرا وجعلت ولدها فى حجرها وخرجت تريد المدينة وما معها أحد من خلق الله تعالى حتى اذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة الحجبى أى صاحب مفتاح الكعبة وكان عثمان مشركا ويومئذ ثم أسلم رضى الله عنه فشيعها الى المدينة حتى اذا وافى على قباء قال لها هذا زوجك وكانت أم سلمة تقول ما رأيت صاحبا أكرم من عثمان بن طلحة فانه لما رآنى قال الى أين قلت الى زوجى قال أوما معك أحد قلت لا ما معى الا الله تعالى وابنى هذا فقال والله لا أتركك ثم أخذ بخطام البعير وسار معى فكان اذا وصلنا المنزل أناخ بى ثم استأخر حتى اذا نزلت جاء وأخذ البعير فحط عنه ثم قيده فى شجرة ثم أتى الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيرى فرحله وقدمه ثم استأخر عنى وقال اركبى فاذا ركبت أخذ بخطامه فقادنى وجمع بين القول بان مصعب بن عمير أول من هاجر والقول بانه أبو سلمة بان أبا سلمة أول من قدم المدينة بلا زعيم وأما مصعب فكان بارسال منه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم ان أبا سلمة أول من هاجر أى من بنى مخزوم فلا ينافى أنه ليس باول بالنسبة لغير بنى مخزوم وأول ظعينة قدمت المدينة أم سلمة رضى الله عنها وقيل ليلى بنت أبى حثمة وقيل أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها ثم هاجر عمار وبلال وسعد وفى رواية ثم قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا أى بعد العقبة الثانية فنزلوا على الانصار فى دورهم فآووهم وواسوهم ثم قدم المدينة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعياش بن أبى ربيعة فى عشرين راكبا وكان هشام بن العاص واعد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يهاجر معه وقال تجدنى أو أجدك عند محل كذا ففطن لهشام قومه فحبسوه عن الهجرة وعن على رضى الله عنه قال ما علمت أحدا من المهاجرين هاجر الا مستخفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى أسهما فى يده واختصر عنزته وهى الحربة الصغيرة أى علقها عند خاصرته ومشى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالكعبة سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة ثم قال شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس يعنى الانوف من أراد أن تثكله أمه أى تفقده ويؤتم أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى قال على رضى الله عنه فما تبعه أحد ثم مضى لوجهه وفى المواهب وشرحها أنه هاجر مع عمر رضى الله عنه أخوه زيد بن الخطاب رضى الله عنه وكان أسن من عمر رضى الله عنه وأسلم قبله وشهد بدرا والمشاهد كلها واستشهد باليمامة وراية المسلمين بيده رضى الله عنه فى خلافة الصديق رضى الله عنه سنة ثنتى عشرة من الهجرة وكان عمر رضى الله عنه يقول أخى سبقنى الى الحسنيين أسلم قبلى واستشهد قبلى وحزن عليه حزنا شديدا وممن هاجر مع عمر رضى الله عنه سعيد بن زيد والزبير فقدموا المدينة ونزلوا على رفاعة بن عبد المنذر وممن هاجر عبد الله بن جحش رضى الله عنه ومعه زوجته الفارعة بنت أبى سفيان رضى الله عنها وأما أختها أم حبيبة رضى الله عنها فكانت مع الذين هاجروا الى الحبشة فى صحبة زوجها عبيد الله بن جحش أخى عبد الله بن جحش فتنصر بالحبشة ثم مات وبقيت هى بارض الحبشة مع المسلمين الذين كانوا بها ثم أرسل صلى الله عليه وسلم فى السنة السابعة وخطبها فوكلت خالد بن سعيد بن العاص وكان أقرب العصبات الحاضرين عندها فزوجها من النبى صلى الله عليه وسلم على يد النجاشى وجعفر بن أبى طالب ثم هاجرت الى المدينة رضى الله عنها فصارت من أمهات المؤمنين رضى الله عنهن زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ثم ان أبا جهل وأخاه الحرث بن هشام قبل اسلامه فانه أسلم بعد ذلك رضى الله عنه قدما المدينة والنبى صلى الله عليه وسلم بمكة لم يهاجر فكلما عياش بن أبى ربيعة وكان أخاهما لامهما وابن عمهما وكان أصغر ولد أمه فقالا له ان أمك نذرت أن لا تغسل رأسها ولا يمس رأسها مشط ولا تستظل من شمس حتى تراك وفى رواية لا تأكل ولا تشرب ولا تدخل كنا حتى ترجع اليها وقالا له أنت أحب ولد أمك اليها وأنت فى دين منه البر للوالدين فارجع الى أمك واعبد ربك كما تعبد فى المدينة فرقت نفسه وصدقهما وأخذ عليهما المواثيق أن

ألفين فقال زيدونى فان لى عيالا وقد شغلتمونى عن التجارة فزادوه خمسمائة وفى رواية ان عليا وعمر رضى الله عنهما تذاكرا فى ذلك وفرضا له فقال أنتما رجلان من المهاجرين لا أدرى أرضى بهما بقية المهاجرين أم لا فانطلق أبو بكر فصعد المنبر فاجتمع اليه الناس فخطبهم وذكر ذلك فقال المهاجرون اللهم نعم قد رضينا (وأخرج) الطبرانى عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه قال يا عائشة انظرى اللقحة التى كنا نشرب من لبنها والجفنة التى كنا نصطبغ فيها والقطيفة التى كنا نلبسها فانا كنا ننتفع بذلك حين نلى أمر المسلمين فاذا مت فارددبه الى عمر فلما مات أبو بكر أرسلت به الى عمر فقال عمر رحمك الله يا أبا بكر لقد أتعبت من

لا يغشياه بسوء وقال له عمر رضى الله عنه ما يريدان الا فتنتك من دينك فاحذرهما والله لو آذى أملك القمل لامتشطت ولو اشتد عليها حر الشمس لاستظلت فقال عياش أبر أمى ولى مال هناك آخذه فقال له عمر رضى الله عنه خذ نصف مالى ولا تذهب معهما فأبى الا ذلك فقال له عمر فحيث صممت فخذ ناقتى هذه فانها نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك منهما ريبة فانج عليها فأبى ذلك وخرج راجعا معهما الى مكة فلما خرجا من المدينة كتفاه أى شدا يديه الى خلف وجلداه نحوا من مائة جلدة وقيل كل واحد جلده مائة جلدة ودخلا به مكة موثقا فى وقت النهار وقالا يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا ولما جيء به مكة ألقى فى الشمس وحلفت أمه انه لا يحلى عنه حتى يرجع عما هو عليه ثم حبس عياش بمكة مع هشام بن العاص وغيره وجعل كل واحد منهما فى قيد وكان صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة يدعو لهم فى قنوت الصبح فيقول اللهم انج الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص والمستضعفين بمكة من المؤمنين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا والوليد بن الوليد هو أخو خالد كان مع كفار قريش يوم بدر فأسر مع من أسروا فتكه أخواه خالد وهشام بن الوليد بن المغيرة وذهبا به الى مكة فأسلم وأراد الهجرة فحبس وقيل له هلا أسلمت قبل أن تفتدى فقال كرهت الاسار ثم نجا وتوصل الى المدينة ثم رجع الى مكة مستخفيا وخلص عياشا وهشاما وجاء بهما المدينة فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وشكر صنيعه وممن هاجر قبل النبى صلى الله عليه وسلم سالم مولى أبى حذيفة وكان يؤم المهاجرين بالمدينة وفيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه لانه كان أكثرهم أخذا للقرآن وسمع النبى صلى الله عليه وسلم قراءته فقال الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يثنى عليه كثيرا حتى قال لما أوصى عند موته لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا ما جعلتها أى الخلافة شورى قال ابن عبد البر المعنى أنه كان يأخذ برأيه فيمن يوليه الخلافة وقتل سالم رضى الله عنه يوم اليمامة وأرسل عمر رضى الله عنه بميراثه لمعتقته فأبت أن تقبله وجعلته فى بيت المال ولما أراد صهيب الهجرة الى المدينة وكانت هجرته بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا ثم تريد أن تخرج بمالك لا والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالى أتخلوا سبيلى قالوا نعم قال فانى قد جعلته لكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب وفى الخصائص الكبرى عن صهيب رضى الله عنه قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وخرج معه أبو بكر رضى الله عنه وقد كنت أردت الخروج معه فصدنى فتيان من قريش وقالوا له جئتنا فقيرا حقيرا صعلوكا فكثر مالك عندنا وتريد أن تخرج بمالك ونفسك لا يكون ذلك أبدا قال فقلت لهم هل لكم ان أعطيتكم أواقى من الذهب وفى لفظ ثلث مالى وفى لفظ مالى وتخلوا سبيلى تفعلوا قالوا نعم فقلت احفروا تحت أسكفة الباب فان تحتها الاواقى وخرجت حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآنى قال يا أبا يحيى ربح البيع ثلاثا فقلت يا رسول الله ما سبقنى اليك أحد وما أخبرك الا جبريل عليه السلام وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن سعيد بن المسيب قال أقبل صهيب مهاجرا نحو النبى صلى الله عليه وسلم وقد أخذ سيفه وكنانته وقوسه فاتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته وانتثل ما فى كنانته ثم قال يا معشر قريش قد علمتم أنى من أرماكم رجلا وأيم الله لا تصلون الى حتى أرمى بكل سهم من كنانتى ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى شيء منه ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالى بمكة وخليتم سبيلى فقالوا نعم فقال لهم ما تقدم وفى رواية قالوا له دلنا على مالك ونخلى سبيلك وعاهدوه على ذلك ففعل وذكر بعض المفسرين ان المشركين أخذوه وعذبوه فقال لهم انى شيخ كبير لا يضركم أمنكم كنت أم من غيركم فهل لكم أن تأخذوا مالى وتذرونى ودينى وتتركوا لى راحلة ونفقة ففعلوا وفيه نزل ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله قال فلما قدمت المدينة وجدت النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر جالسين فلما رآنى أبو بكر رضى الله عنه قام فبشرنى بالآية التى نزلت فى وفى رواية فتلقانى أبو بكر وعمر ورجال فقال لى أبو بكر ربح بيعك أبا يحيى فقلت وبيعك هلا تخبرنى ماذاك فقال أنزل الله فيك كذا وقرأ الآية وأصل صهيب كان روميا أغارت خيل

جاء بعدك وأخرج ابن أبى الدنيا عن أبى بكر بن حفص قال قال أبو بكر رضى الله عنه لما احتضر لعائشة رضى الله عنها يا بنية انا ولينا أمر المسلمين فلم نأخذ لنا دينارا ولا درهما ولكنا أكلنا من جريش طعامهم فى بطوننا ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وانه لم يبق عندنا من فىء المسلمين لا قليل ولا كثير الا هذا العبد الحبشى وهذا البعير الناضح وجرد هذه القطيفة فاذا مت فابعثى بهن الى عمر وفى رواية رواها صاحب الصفوة وابن قتيبة عن عائشة رضى الله عنها قالت لما مرض أبو بكر رضى الله عنه مرضه الذى مات فيه قال انظروا ما زاد مالى منذ دخلت فى الامارة فابعثوا به الى الخليفة من بعدى فنظرنا فاذا هو نوبى يحمل صبيانه واذا ناضح يسقى بستانه فبعثنا بهما الى

على دجلة أو الفرات فاسرته وهو صغير ثم اشتراه منهم بنو كلب فحملوه الى مكة فابتاعه عبد الله بن جدعان فاعتقه فاقام بمكة حينا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم وكان اسلامه واسلام عمر رضي الله عنه في يوم واحد قال صهيب رضي الله عنه صحبت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى اليه وكان رضي الله عنه فيه عجمة شديدة وكان يحب الدعابة وفي المعجم الكبير للطبراني عن صهيب رضي الله عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم و بين يديه تمر وخبز فقال أدن فكل فاخذت آكل من التمر فقال لي أتأكل وبك رمد فقلت يارسول الله أمصه من الناحية الاخرى فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه ان صهيبا كان من المشتاقين لم يكن له قرار كان لا ينام بالليل وكان يقول ان صهيبا اذا ذكر النار طار نومه واذا ذكر الجنة جاء شوقه واذا ذكر الله طال شوقه وقصة أكله التمر رواها بعضهم على وجه آخر وهو أنه صلى الله عليه وسلم رآه يأكل قثاء ورطبا وهو أرمد احدى عينيه فقال أتأكل رطبا وأنت أرمد فقال انما آكل من ناحية عيني الصحيحة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحلبي ولا مانع من التعدد أي لكل من القصتين ولما أذن صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة خرج الناس أرسالا متتابعين وهاجر أيضا عثمان بن عفان رضي الله عنه واشتد الاذى على المستضعفين ومكث صلى الله عليه وسلم ينتظر أن يؤذن له في الهجرة ولم يتخلف معه من أصحابه الا علي بن أبي طالب وأبو بكر ومن كان مستضعفا محبوسا عند قريش وكان الصديق رضي الله عنه كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة الى المدينة فيقول لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر رضي الله عنه أن يكون الصاحب هو النبي صلى الله عليه وسلم وقد حقق الله رجاءه وفي رواية للبخاري استأذن أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج فقال له صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بابي وأمي قال نعم فحبس أبو بكر رضي الله عنه نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر ثم ان قريشا لما رأوا هجرة الصحابة وعرفوا أنهم صار لهم أصحاب من غيرهم وأنهم أصابوا منعة لان الانصار قوم أهل حلقة أي سلاح وبأس حذروا خروجه صلى الله عليه وسلم وعرفوا انه اجمع لحربهم فاجتمعوا في دار الندوة دار قصي بن كلاب قال الحلبي دار الندوة من جهة الحجر عند مقام الحنفي الآن وكان لها باب الى المسجد أعدت للاجتماع للمشورة وكانت قريش لا تقضي أمرا الا فيها وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشي الا ان بلغ أربعين سنة بخلاف القرشي وقد أدخلوا أبا جهل ولم تتكامل لحيته وكان اجتماعهم يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة وكان اجتماعهم هذا ليتشاوروا فيما يصنعون في أمره صلى الله عليه وسلم وكان المجتمعون مائة رجل وقيل خمسة عشر وكان يسمى ذلك اليوم عندهم يوم الزحمة لانه اجتمع فيه أشراف بني عبد شمس وبني نوفل وبني عبد الدار وبني أسد وبني مخزوم وبني جمح وبني الحارث وبني كعب وبني تيم وبني عدي وغيرهم ولم يتخلف من أهل الرأي والحجا منهم أحد وجاءهم ابليس في صورة شيخ نجدي فوقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه كساء غليظ وقيل طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذي تعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل وانما تمثل في صورة شيخ نجدي لانهم قالوا لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل بصورة نجدي وتهيأ بهيئة تعظم في عيونهم ثم قال بعضهم لبعض ان هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من أمره ما رأيتم وانا والله لا نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا فيه رأيا فقال قائل وهو أبو البختري بن هشام احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء قبله فقال النجدي ما هذا برأي والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فلا تشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأي فانظروا في غيره فقال أبو الاسود ربيعة بن عمرو العامري ولم يعلم له اسلام نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فقال النجدي لعنه الله والله ما هذا برأي ألم تروا

عمر فبكى عمر وقال رحمة الله على أبي بكر لقد أتعب من بعده تعبا شديدا وفي رواية قال انظري يا بنية فما زاد من مال أبي بكر منذ ولينا هذا الامر رديه على المسلمين فوالله ما نلنا من أموالهم الا ما أكلنا في بطوننا من جريش الطعام ولبسنا على ظهورنا من خشن ثيابهم فنظرت فاذا بكر وجرد قطيفة لا تساوي خمسة دراهم فلما جاء بها الرسول الى عمر قال له عبد الرحمن بن عوف يا أمير المؤمنين أتسلب هذا ورثة أبي بكر قال كلا ورب الكعبة لا يتأثم بها أبو بكر في حياته وأتحملها من بعد موته رحم الله أبا بكر لقد كلف من بعده تعبا وفي رواية قال عبد الرحمن ابن عوف أتسلب عيال أبي بكر عبدا وناضحا وقطيفة لا تساوي خمسة دراهم فلو أمرت بردها عليهم فقال

حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد أديروا فيه رأيا غير هذا فقال أبو جهل والله ان لى فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه أرى أن تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه فى القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فنعقله لهم فقال النجدى لعنه الله القول ما قال لا رأى غيره فاجمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك وقيل ان قول أبي جهل الذى صوّبه ابليس أن يعطى خمسة رجال من خمس قبائل سيوفا فيضربوه ضربة رجل واحد فلعلهم استبعدوا قوله من كل قبيلة اذ لا يمكن عشرين مثلا أن يضربوا شخصا ضربة واحدة فقال لهم خمسة رجال ثم أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت على فراشك الذى كنت تنام عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه أى يرقبونه حتى ينام فيثبوا عليه وكانوا مائة قال الحافظ الدمياطى فى سيرته فاجتمع أولئك القوم من قريش يتطلعون من شق الباب و يرصدونه يريدون بياته أى يوقعون القتل به ليلا وقيل أحدقوا ببابه وعليهم السلاح يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا فيذهب دمه فى جميع القبائل بمشاهدة بنى هاشم فلا يتم لهم أخذ ثاره فأمر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وغطى ببرده صلى الله عليه وسلم بقوله صلى الله عليه وسلم اتشح ببردى هذا الحضرمى الاخضر نم فيه فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم وكان صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك اذ نام فكان على رضى الله عنه أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاة الله ووقى بنفسه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه امتثل أمر النبى صلى الله عليه وسلم قبل أن يقول له لن يخلص اليك شئ فصدق عليه أنه بالامتثال باع نفسه وفى ذلك يقول على رضى الله عنه

وقيت بنفسى خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول اله خاف أن يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله فى الغار آمنا * موقى وفى حفظ الاله وفى ستر
وبت أراعيهم وما يتهموننى * وقد وطنت نفسى على القتل والاسر

وكان فى القوم الحكم بن أبى العاص وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحرث وأمية بن خلف وزمعة بن الاسود وأبو الهيثم وأبو جهل فقال أبو جهل ان محمدا يزعم أنكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوا كان فيكم ذبح ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحترقون بها فسمعه صلى الله عليه وسلم فخرج من الباب عليهم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف صلى الله عليه وسلم وفى رواية الامام أحمد حتى لحق بالغار أى غار ثور فأفاد أنه توارى فيه حتى أتاه أبا أبا بكر منه فى نحر الظهيرة ثم خرج اليه هو وأبو بكر ثانيا فأتاهم آت وهم جلوس يرصدونه قيل انه ابليس فى صورة النجدى فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجى ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد عليه برده قال الزهرى وباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه وذكر السهيلى انهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله انها للسبة فى العرب أن يتحدث عنا انا تسوّرنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمنا وكان تسوّر الجدار ممكنا لهم لقصر الجدار لكنهم خافوا السبة والعار فكان هذا هو المانع فى الظاهر والمانع فى الحقيقة باطنا حماية الله ووقايته وحفظه الموجب لخذلانهم واظهار عجزهم فأقاموا بالباب يحرسون عليا يحسبونه النبى صلى الله عليه وسلم حتى يقوم فى الصباح فيفعلون به ما اتفقوا عليه فلما أصبحوا قام على رضى الله عنه عن الفراش فقالوا له أين صاحبك قال لا أدرى وصدق

والذى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم لا يكون هذا فى ولايتى ولا يخرج منه ابو بكر وأتقلده أنا (وصح) ان أبا بكر رضى الله عنه حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال وأوصى أن تباع أرض له ويصرف ثمنها عوض ما أخذه من بيت المال * ولما مرض رضى الله عنه قالوا له ألا ندعو لك طبيبا فقال قد رآنى قالوا فما قال لك قال انى أفعل ما أشاء وفى رواية قال انى فعال لما أريد وكان مرضه رضى الله عنه خمسة عشر يوما بالحمى لا يخرج الى الصلاة وكان يأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيصلى بالناس وكان اذا دخل الناس يعودونه يقول وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد وكان عمره حين توفى رضى الله عنه ثلاثا وستين سنة ومدة

الله قول النبي صلى الله عليه وسلم له لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم وقيل انهم تسوروا الجدار ودخلوا شاهرين سيوفهم فثار على وجوههم فعرفوه فقالوا له أين صاحبك قال لا أدري وقيل أمروه بالخروج وضربوه وأدخلوه المسجد وحبس به ساعة ثم خلوا عنه ثم قالوا لقد صدقنا الذي كان حدثنا أنه خرج علينا وفي هذه القصة نزل بعد ذلك بالمدينة تذكيراً لهذه النعمة قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا الآية ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة بقوله تعالى وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً والحكمة في هجرته الى المدينة أن تتشرف به الازمنة والامكنة والاشخاص لأنه يتشرف بها فلو بقي بمكة لكان يتوهم أنه قد تشرف بها لان شرفها قد سبق بالخليل واسمعيل عليهما الصلاة والسلام فأمره بالهجرة الى المدينة فلما هاجر اليها تشرفت به لحلوله فيها حتى وقع الاجماع على أن أفضل البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه حتى من الكعبة لحلوله فيه بل نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي انه أفضل من العرش قال السيد السمهودي والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الامة وهي غير متناهية لدوام ترقياته صلى الله عليه وسلم فهو منبع الخيرات وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من مكة أول يوم من ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت منه وكان مدة مقامه بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة قال صرمة بن قيس الانصاري الصحابي رضي الله عنه

ثوى في قريش بضع عشرة حجة * يذكر لو يلقى صديقاً مواتيا

وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر رضي الله عنه وروى الحاكم عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأخبر عليه الصلاة والسلام علياً بمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده عليه الصلاة والسلام للناس قال ابن اسحق وليس أحد بمكة عنده شيء يخاف عليه الا وضعه عنده عليه الصلاة والسلام لما يعلمون من صدقه وأمانته وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت بينما نحن جلوس يوماً في بيت أبي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لابي بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعاً أي مغطياً رأسه وفي رواية للطبراني عن أسماء رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشياً فلما كان يوم من ذلك جاءنا في الظهيرة فقالت يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر فداء له أبي وأمي والله ما جاء في به في هذه الساعة الا أمر حدث قالت فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأذن له أبو بكر رضي الله عنه فدخل فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لابي بكر أخرج من عندك فقال أبو بكر انما هم أهلك بأبي أنت وأمي وذلك أن عائشة رضي الله عنها كان أبوها قد عقد لها عليه صلى الله عليه وسلم وأسماء أختها بمنزلة أهله لنكاحه أختها فلا يخشى عليه منهما وقيل ان قول أبي بكر ذلك بمنزلة قول الصديق حرمي حرمك وأهلي أهلك يعني أنا وأنت كالشيء الواحد فقال صلى الله عليه وسلم قد أذن لي في الخروج من مكة الى المدينة فقال أبو بكر رضي الله عنه الصحبة يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضي الله عنها فرأيت أبا بكر رضي الله عنه يبكي وما كنت أحسب أن أحداً يبكي من الفرح فقال أبو بكر رضي الله عنه فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحلتي هاتين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بالثمن وفي رواية قال لا أركب بعيراً ليس هو لي قال فهو لك قال لا ولكن بالثمن الذي ابتعتها به قال أخذتها بكذا وكذا وكان أبو بكر رضي الله عنه قد علف راحلتين أربعة أشهر لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم انه يرجو الهجرة وانما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى وأن تكون على أتم الاحوال والا فأبو بكر رضي الله عنه قد أنفق ماله في حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت أنفق أبو بكر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألف درهم وروى الزبير بن بكار عنها رضي الله عنها ان أبا بكر رضي الله عنه لما مات ما ترك ديناراً ولا درهماً وفي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم ليس أحد

خلافته سنتان وأربعة أشهر الا أياماً * ولا يشكل على ما تقرر من اجماع الصحابة وأهل السنة على حقية خلافته وانه أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يتمسك به الرافضة والشيعة من الشبه الباطلة التي لا حقيقة لها بعد اعتراف علي رضي الله عنه بفضل أبي بكر وبحقية خلافته اذلو كانت تلك الشبه لها حقيقة لتمسك بها علي رضي الله عنه وما نقل عنه قط انه تمسك بشيء منها ولا احتج به على أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وقد تصدى أئمة من أهل السنة للرد عليهم وابطال كل ما تمسكوا به من الشبه وأقاموا عليهم في ذلك الحجج القطعية من النقل والعقل وبسطوا ذلك في كتب مبسوطة فراجعها ان شئت تجد فيها ما يروي الغليل ويبرئ

من الناس أمنّ عليّ في نفسه وماله من أبي بكر وروى الترمذى مرفوعا مالاحد عندنا يد الا كافأناه عليها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة وروى ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر زوجني ابنته وواساني بنفسه وان خير المسلمين مالا أبو بكر أعتق منه بلالا وحملني الى دار الهجرة فالحمل مجاز عن المعاوضة والخدمة في السفر وعلف الدابة أربعة أشهر حتى باعها للمصطفى صلى الله عليه وسلم بحيث لم يحتج لتطلب شراء دابة قالت عائشة رضى الله عنها فجهزناهما أحث الجهاز أى أسرعه وصنعنا لهما سفرة من جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت بها على فم الجراب وفى رواية شقت نطاقها فاوكت بقطعة منها الجراب وشدت فم القربة بالباقى فسميت ذات النطاقين قالت عائشة رضى الله عنها ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه بغار ثور فمكثا فيه ثلاث ليال وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين أخرج من مكة لما وقف على الحزورة ونظر الى البيت والله انك لأحب ارض الله الى الله وانك لأحب ارض الله الى ولولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت منك رواه الامام احمد والترمذى وفى رواية له عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما أطيبك من بلد واحبك الى ولولا ان قومى أخرجونى منك ما سكنت غيرك وروى ابو نعيم عن ابن اسحق بلاغا انه كان من قوله صلى الله عليه وسلم ايضا لما خرج مهاجرا الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيأ اللهم اعنى على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والايام اللهم اصحبنى فى سفرى واخلفنى فى اهلى وبارك لى فيما رزقتنى ولك فذللنى وعلى صالح خلقى فقومنى واليك رب فحببنى والى الناس فلا تكلنى أنت رب المستضعفين وانت ربى اعوذ بوجهك الكريم الذى اشرقت له السموات والارض وكشفت به الظلمات وصلح عليه امر الاولين والآخرين ان يحل بى غضبك او ينزل على سخطك اعوذ بك من زوال نعمتك وفجاة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندى خير ما استطعت ولا حول ولا قوة الا بك ولم يعلم بخروجه صلى الله عليه وسلم الا على رضى الله عنه وآل أبي بكر رضى الله عنهم ومنهم عامر بن فهيرة رضى الله عنه لانه مولى لابى بكر وآل الرجل أهله وعياله ومواليه وروى انهما خرجا من خوخة فى ظهر بيته ليلا وروى ان ابا جهل لعنه الله لقيهما فاعمى الله بصره عنهما حتى مضيا * ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة وهو الذى يعرف الاثر فى كل وجه قيل انهم بعثوا شخصين فوجد الذى ذهب قبل ثور اثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى غار ثور و يروى انه قعد و بال فى أصل شجرة هنالك ثم قال ههنا انقطع الاثر ولا أدرى أخذ يمينا أم شمالا أم صعد الجبل وفى رواية قال لهم القائف هذا القدم قدم ابن أبي قحافة وهذا الآخر لا أعرفه الا أنه يشبه القدم الذى فى المقام يعنى مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شئ وشق على قريش خروجه صلى الله عليه وسلم وجزعوا لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده عن سيره ذلك بقتل أو أسر ولله در الشيخ شرف الدين البوصيرى رضى الله عنه حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بارض * ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه * وقلوه ووده الغرباء
أخرجوه منها وآواه غار * وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت * ما كفته الحمامة الحصداء

ولما دخل صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه الغار أنبت الله على بابه شجرة من أم غيلان تسمى الراءة تكون مثل قامة الانسان ولها خيطان وزهر أبيض يحشى به المخاد و يكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن فحجبت عن الغار أعين الكفار وامر الله العنكبوت فنسجت على وجه الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقعتا على وجه الغار فعششتا على بابه وكل ذلك مما صد المشركين عنه وحمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء ووفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل والحماية فى الحرم فلا يتعرض له وفى المثل آمن من حمام الحرم ثم اقبل فتيان قريش من كل بطن بعصيهم وهراويهم وهى العصى الضخمة وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر فى الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار فرجع الى اصحابه فقالوا له مالك فقال رأيت حمامتين وحشيتين

العليل (ولنذكر بعضا من تلك الشبه على سبيل الاختصار) * فمن ذلك زعمهم انه ظلم السيدة فاطمة رضى الله عنها فى منعها من الارث من أبيها صلى الله عليه وسلم وزعموا انه احتج على ذلك بحديث انفرد به وهو قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وقد كذبوا فيما زعموا فانه لم يظلمها فى شئ ولم ينفرد به بل رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم جمع من الصحابة منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والعباس وطلحة وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص وأبو هريرة وعبد الله ابن عمرو وعائشة وصادقها على ذلك بقية الزوجات ورواه أيضا عمرو بن حزم وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم وكذا حديث أبي هريرة رضى الله عنه لا تقتسم

فعرفت انه ليس فيه احد فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قاله فعرف أن الله قد درأ عنه وقال آخر ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف وما أربكم اى حاجتكم الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد ثم جاء فبال فقال أبو بكر رضي الله عنه ان هذا الرجل ليرانا وكان مواجهه فقال كلا ان ثلاثة من الملائكة تسترنا باجنحتها لو كان رانا مافعل هذا وقيل ان القائف قعد و بال ايضا وفى رواية أنهم طافوا جبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم الى آخر الحديث وروى أن الحمامتين باضتا فى أسفل النقب ونسج على الغار العنكبوت فقالوا لو دخل الغار لكسر البيض ونسج العنكبوت وهذا أبلغ فى الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود فانظر بعين البصيرة كيف اظلت الشجرة المطلوب واضلت الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطالب فحاكت ثوب نسجها على وجه المكان حتى عمى على القائف الطالب ورحم الله القائل

والعنكبوت أجادت حوك حلتها * فما تخال خلال النسج من خلل

روى أن حمام مكة أظلته صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة أيضا فدعا لها بالبركة ونهى عن قتل العنكبوت وقال هي جند من جنود الله وقد روى الديلمي فى مسند الفردوس مسلسلا بمحبة العنكبوت حديثا فقال فيه أخبرنا والذي قال وأنا أحبها قال أخبرنا فلان وأنا احبها حتى قال عن أبي بكر رضي الله عنه لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبها ويقول جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت علي وعليك يا أبا بكر فى الغار حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا الينا وأما ما روى من حديث العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه فهو حديث ضعيف نعم ورد عن علي رضي الله عنه طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيت يورث الفقر وما أحسن قول ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه فى كل شى

فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اعم أبصارهم أى اجعلها كالعمياء عنا فعميت عن دخوله وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه قول صاحب البردة رضي الله عنه

أقسمت بالقمر المنشق ان له * من قلبه نسبة مبرورة القسم

وما حوى الغار من خير ومن كرم * وكل طرف من الكفار عنه عمى

فالصدق فى الغار والصديق لم يرما * وهم يقولون ما بالغار من أرم

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية لم تنسج ولم تحم

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الاطم

يعنى أنهم ظنوا أن الحمام لا تحوم حوله عليه السلام لان عادة الحمام النفرة وأن العنكبوت لا تنسج عليه عليه السلام لما جرت به العادة ان هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معمورا فهما أحسا بالانسان فرامنه وقد روى ان المشركين لما مروا على باب الغار طارت الحمامتان فنظروا بيضهما ونسج العنكبوت فقالوا لو كان هنا أحد لما كان هنا حمام فلما سمع صلى الله عليه وسلم حديثهم علم أن الله حماه بالحمام وصرف كيدهم بالعنكبوت وما علم المشركون أن الله يسخر ما شاء من خلقه لمن شاء من خلقه وان وقاية الله عبده بما شاء تغنى عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالى من الاطم وهو الحصون ولله در الابوصيرى من شاعر وما أحسن قوله أيضا فى قصيدته اللامية التى أولها

الى متى أنت باللذات مشغول * وأنت عن كل ماقدمت مسؤل

حيث قال فيها واغيرتا حين اضحى الغار وهو به * كمثل قلبي معمور ومأهول

كأنما المصطفى فيه وصاحبه الـ * ـصديق ليثان قد آواهما غيل

وجلل الغار نسج العنكبوت على * وهن فيا حبذا نسج وتجليل

عناية ضل كيد المشركين بها * وما مكايدهم الا اضاليل

وورثي دينارا ولادرهما ماتركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة وفى صحيح البخاري أن عمر رضي الله تعالى عنه فى زمن خلافته وضع ما أفاء الله به على رسوله صلى الله عليه وسلم من مال بني النضير تحت يد العباس وعلي رضي الله عنهما يصنعان فيه كما كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم فبقيا على ذلك ثم حصل بينهما الاختلاف فترافعا الى عمر رضي الله عنه وعنده عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم فقال لهم عمر رضي الله عنه أنشدكم بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لانورث قالوا قد قال ذلك ثم أقبل على علي والعباس رضي الله عنهما فقال أنشدكما

اذ ينظرون وهم لا يبصرونهما * كأن أبصارهم من زيغها حول

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال حدثني أبو بكر رضي الله عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار وفي رواية فرفعت رأسي فرأيت أقدامهم فقلت له لو أن أحدهم نظر الى قدميه لرآنا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما أي جاعلهما ثلاثة بضم ذاته اليهما في المعية المعنوية المشار اليها بقوله ان الله معنا قال بعض أهل السير ان أبا بكر رضي الله عنه لما قال ذلك قال له النبي صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق رضي الله عنه الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة العظيمة ولا يستبعد بالنسبة لمعجزاته صلى الله عليه وسلم العميمة وان كان الذي ذكره ماذكر له اسنادا متصلا لكن حسن الظن بالائمة يقتضي أنهم لا يذكرون مثل ذلك الا بتوقيف وقد روي ان أبا بكر رضي الله عنه قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقطرتا دما فاستبكيت وعلمت أنه لم يكن تعوّدا لحفا والجفوة قيل ان ذلك من خشونة الجبل وكان صلى الله عليه وسلم حافيا ومشى ليلته على أطراف أصابعه لئلا يظهر أثر رجله على الارض وقيل انهم ضلوا عن الطريق الموصل للغار فبعدت المسافة عليهم وفي بعض الروايات ان أبا بكر رضي الله عنه كان يحمل النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله في بعض الطريق لشدة محبته له صلى الله عليه وسلم وفي رواية ان أبا بكر رضي الله عنه كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة ومرة عن يمينه ومرة عن شماله فسأله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذكر الطلب فامشي خلفك واذكر الرصد فامشي امامك وعن يمينك وشمالك لا آمن عليك فقال لو كان شئ أحببت أن تقتل دوني فقال اي والذي بعثك بالحق ولهذا جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ليلة من ليالي أبي بكر رضي الله عنه خير مما أعطى عمر وآل عمر يعني بذلك ليلة الهجرة هذه فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يارسول الله حتى أستبرئ لك الغار فاستبرأه وذلك انه دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه خوفا من أن يكون في الغار شئ من الهوام ويروى انه قال والذي بعثك بالحق لاتدخله حتى أدخله قبلك فان كان فيه شئ نزل بي قبلك فدخله وجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقي جحر فوضع عقبه عليه ويروى فالقمه أبو بكر رجليه لئلا يخرج منه مايؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشتهاره بكونه مسكن الهوام ثم بعد استبرائه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فاني سويت لك مكانا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر رضي الله عنه ونام وسد أبو بكر رضي الله عنه مابقي من ثقوب الغار برجليه فلدغ في رجله من الجحر ولم يتحرك لئلا يوقظ المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي رواية فجعلت الحيات والافاعي تلسعنه وجعلت دموعه تنحدر من ألم لسعها فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظ وقال مالك ياأبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب مايجده وفي رواية فلما أصبحا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر أثر الورم فسأله فقال من لدغة الحية فقال هلا أخبرتني قال كرهت أن أوقظك فمسحه فذهب مابه من الورم وفي رواية لابي نعيم عن أنس رضي الله عنه فلما أصبح قال لابي بكر رضي الله عنه أين ثوبك فاخبره بالذي صنع فرفع يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة فأوحى الله اليه قد استجبنا لك وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما فقال له صلى الله عليه وسلم رحمك الله صدقتني حين كذبني الناس ونصرتني حين خذلني الناس وآمنت بي حين كفر بي الناس وآنستني في وحشتي قال الزرقاني والظاهر كما قال شيخنا يعني الشبراملسي انه كان عليه غير ثوبه مما يستر جميع البدن اذلم ينقل طلبه لغيره ممن كان يأتي اليهما بالغار كابنه وابن فهيرة ويروى أيضا ان أبا بكر رضي الله عنه لما دخل الغار أصاب يده شئ فخرج من أصبعه دم فجعل يمسح الدم ويقول هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله مالقيت

بهذا البيت من انشاء الصديق رضي الله عنه وقد تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت أصبعه

بالله أتعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك قالا نعم ثم قال أحدثكم عن هذا الامر ان الله كان قد خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشئ لم يعطه أحدا غيره فكانت هذه خالة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم والله ما احتازها دونكم ولا استأثر بها عليكم لقد اعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال منها فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ مابقي فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته ثم توفي النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضه أبو بكر فعمل فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم

والممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انما هو انشاء الشعر لا انشاده ثم ان هذا البيت تمثل به كثير من الصحابة كابن رواحة والوليد بن الوليد بن المغيرة وجعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم وروي ان أبا بكر رضي الله عنه لما رأى القافة اشتد حزنه وبكى وأقبل عليه الهم والخوف والحزن كل ذلك خوفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت فانما أنا رجل واحد لا تهلك الامة بقتلي فلا يفوتهم نفع ولا يلحقهم ضرر وان هلكت أنت هلكت الامة بهلاك الدين فعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا يعني بالمعونة والنصر فالمعية معنوية لاستحالة الحسية في حقه تعالى وليس المراد بالعلم فقط لان ذلك حاصل لكل موجود ولا يختص بهما قال الله تعالى وهو معكم أينما كنتم وقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه السكينة أمنة أي حالة للنفس تطمئن عندها القلوب لا منها تكرهه وقوله عليه الضمير عائد على أبي بكر رضي الله عنه المعبر عنه بقوله صاحبه في قول الاكثر قال البيضاوي وهو الاظهر لانه كان منزعجا لا على النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم تزل السكينة معه قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقوله وأيده الضمير عائد على النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعني الملائكة أي يحرسونه ويصرفوا وجوه المشركين عنه فانظر وتامل بعين البصيرة في أمر المصطفى صلى الله عليه وسلم وشفقته على الصديق رضي الله عنه لما علم النبي صلى الله عليه وسلم حزن الصديق لكن لا على نفسه قوى الرسول صلى الله عليه وسلم قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا وكانت تحفة لنبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر بكونه ثاني اثنين مدخوله دون جميع الصحابة رضي الله عنهم فهو الثاني في الاسلام والثاني في بذل النفس والعمر وسبب الموت لانه لما جعل نفسه وقاية له كانه بذل نفسه وعمره حفظا له عليه الصلاة والسلام فلما وقى الرسول صلى الله عليه وسلم ماله ونفسه جوزي بموازرته معه في رمسه وقام مؤذن التشريف ينادي على منابر الامصار ثاني اثنين اذ هما في الغار وكفى للصديق بهذا شرفا ولقد أحسن حسان رضي الله عنه حيث قال له النبي صلى الله عليه وسلم هل قلت في أبي بكر شيئا قال نعم قال قل وأنا أسمع فقال

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد * طاف العدو به اذ صاعدا الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا * من الخلائق لم يعدل به بدلا

فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لجماعة أيكم يقرأ سورة التوبة قال رجل أنا فقرأ فلما بلغ اذ يقول لصاحبه لا تحزن بكى أبو بكر رضي الله عنه وقال والله أنا صاحبه وقال أبو الدرداء رضي الله عنه رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم أمشي امام أبي بكر رضي الله عنه فقال يا أبا الدرداء تمشي امام من هو أفضل منك في الدنيا والآخرة فوالذي نفس محمد بيده ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتاني جبريل فقال ان الله يأمرك أن تستشير أبا بكر وعن أنس رضي الله عنه حب أبي بكر واجب على أمتي قال بعضهم وتامل قول موسى عليه السلام لبني اسرائيل كلا ان معي ربي سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا فقدم المسند اليه للاشارة الى أنه لا يزول عن الخاطر لشدة التعلق به أولانه يستلذبه لكونه محبوبا للعباد اذ لا انفكاك لاحد عن الاحتياج اليه أولتعظيمه بوصفه بالالوهية لانها سائر صفات الكمال تتفرع عليه وموسى عليه السلام خص نفسه بشهود المعية له وحده ولم يتعد ذلك الشهود منه الى اتباعه حيث قال ان معي ربي ونبينا صلى الله عليه وسلم تعدى منه شهوده الى الصديق رضي الله عنه ولهذا لم يقل ان الله معي بل قال معنا لانه أمد الصديق رضي الله عنه بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة الى أبي بكر رضي الله عنه والالم يثبت تحت أعباء هذا التجلي والشهود اذ ليس في طوق البشر ذلك الثبوت الا بذلك الامداد وفرق بين معية الربوبية في قصة موسى عليه السلام ومعية الالوهية في قصة نبينا عليه الصلاة والسلام فانه في قصة موسى قال ان معي ربي والرب من التربية وهي التنمية والاصلاح وقال في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله معنا فعبر بلفظ الجلالة وهو الاسم الجامع لصفات الكمال وكان مكثه صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر رضي الله عنه في الغار ثلاث ليال وكان يبيت

حاضرون حينئذ وأقبل على علي والعباس فقال تذكران ان أبا بكر كان فيه كما أقول والله يعلم انه فيه بار راشد تابع للحق قالا نعم ثم توفى الله أبا بكر فقلت أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فقبضته سنتين من امارتي أعمل فيه ما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر والله يعلم اني فيه لصادق بار راشد تابع للحق ثم جئتما ني وكلمتكما واحدة وأمركما جميع على أن أدفعه اليكما فقلت ان شئتما دفعتها اليكما على ان عليكما عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وما عملت فيه منذ وليت فقلتما ادفعها لينا فبذلك دفعتها اليكما فانشدكم بالله هل دفعتها اليهما بذلك قال الرهط عثمان وأصحابه الحاضرون

عندهما في الغار عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وهو غلام شاب ثقف أي فطن حاذق ثابت المعرفة بما يحتاج اليه فيدلج من عندهما بسحر الى مكة فيصبح مع قريش كبائت بمكة لشدة رجوعه بغلس فلا يسمع بأمر يكادان به أي يطلب لهما فيه المكر وهو الا حفظه حتى يأتيهما به حين يختلط الظلام وكان عامر ابن فهيرة رضي الله عنه مولى أبي بكر رضي الله عنه يرعى غنما لابي بكر رضي الله عنه فكان يروح عليهما بالغنم كل ليلة حين تذهب ساعة من العشاء فيحلبان ويشربان ثم يسرح بكرة فيصبح في رعيان الناس فلا يفطن له أحد يفعل ذلك في كل ليلة من الليالي الثلاث وكان عامر رضي الله عنه أمينا مؤتمنا حسن الاسلام وكان ممن يعذب في الله فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه وأعتقه واستشهد ببئر معونة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض الروايات أن أسماء رضي الله عنها كانت تأتيهما من مكة اذا أمست بما يصلحهما من الطعام واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه قبل خروجهما من مكة عبد الله بن أريقط دليلا وهو على دين كفار قريش فسخره الله لهما ليقضي الله أمره ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث وفي رواية الزهري حتى اذا هدأت عنهما الاصوات جاء صاحبهما ببعيريهما وانطلق معهما عامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما يردفه أبو بكر ويعقبه ليس معهما غيره والدليل فأخذ بهم طريق الساحل وفي رواية فأجازهما أسفل مكة ثم مضى بهما حتى جاء بهما الساحل أسفل من عسفان ثم أجازهما حتى عارض الطريق وصار أبو بكر رضي الله عنه اذا سأله سائل عن النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الذي معك يقول هاد يهديني الطريق وكان أبو بكر رضي الله عنه يكثر الاسفار للتجارة فكان معروفا عندهم والنبي صلى الله عليه وسلم لكونه قليل الاسفار لا يعرفونه فكان كل من لقيهما يعرف أبا بكر رضي الله عنه دون النبي صلى الله عليه وسلم فيسأله عنه فيجيبه بقوله هاد يهديني السبيل ولا يتكلم بكلام الا ويوري في كلامه ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر رضي الله عنه أله الناس أي اشغل الناس عني أي تكفل عني بالجواب لمن يسأل عني فانه لا ينبغي لنبي أن يكذب أي ولو صورة كالتورية فكان أبو بكر رضي الله عنه يجيبهم بنحو ما تقدم وفي الصحيحين أنهم مروا بصخرة فنام النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ورأى أبو بكر رضي الله عنه راعيا معه غنم فاستحلبه فحلب له منها فبرده أبو بكر رضي الله عنه حتى قام صلى الله عليه وسلم فسقاه ثم ارتحلوا فمروا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية وهي معدودة من الصحابيات رضي الله عنها لانها أسلمت بعد ذلك وكانت امرأة برزة عفيفة جليلة جلدة قوية تحتبي بفناء القبة ثم تسقي وتطعم من يمر بها وكان القوم مرملين مسنتين أي مقحطين فطلبوا منها لبنا أو لحما أو تمرا يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيئا وقالت والله لو كان عندنا شئ ما أعوزنا القرى فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد أي الهزال عن الغنم فسألها صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك تريد أن الضعفها وعدم طروق الفحل لها دون من لها لبن فقال أتأذنين لي أن أحلبها فقالت نعم بأبي أنت وأمي ان رأيت بها حلبا أي لبنا في الضرع فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها أي وضع رجلها بين ساقه وفخذه ليحلبها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فتفاجت ودرت ودعا باناء فحلب فيه باناء يربض الرهط أي يشبع الجماعة حتى ربضوا فحلب فيه ثجا أي حلبا قويا وسقى أم معبد ثم سقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم وقال ساقي القوم آخرهم شربا ثم حلب فيه مرة أخرى فشربوا علا لا بعد نهل أي ثانيا بعد الاول ثم حلب ثالثا وتركه عندها وفي رواية قال لها ارفعي هذا لابي معبد اذا جاءك ثم ركبوا وذهبوا وفي بعض الروايات انها لما شاهدت هذه المعجزة تسلفت من جيرانها شاة أخرى وذبحتها اكراما له صلى الله عليه وسلم فشاهدت فيها معجزة أخرى حيث أكل منها صلى الله عليه وسلم هو ومن معه وملأت سفرتهم منها وبقي أكثرها عند أم معبد وبقيت الشاة التي مس ضرعها الى زمن عمر رضي الله عنه ثم بعد ارتحالهم جاء زوجها أبو معبد واسمه أكثم بن أبي الجون الخزاعي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قال السهيلي وله رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي في حياته أقبل يسوق غنما عجافا فلما رأى اللبن عجب وقال ما هذا يا أم معبد أنى لك هذا ولا حلوب بالبيت فقالت

نعم ثم أقبل عمر على علي والعباس فقال أنشدكما بالله هل دفعتها اليكما بذلك قالا نعم قال فتلتمسان مني قضاء غير ذلك فوالله الذي باذنه تقوم السماء والارض لا أقضي فيها قضاء غير ذلك فان عجزتما عنها فادفعاها الي فانا أكفيكماها * فتأمل ما في هذا الحديث تعلم حقية ما عليه أبو بكر رضي الله عنه وان التنازع بين علي والعباس انما هو في كون كل منهما يريد ان يتولاها على انها صدقة وهما يعلمان انها ليست ارثا فاصلح بينهما عمر رضي الله عنه وجعلها تحت يديهما وبين لهما وللحاضرين وهم من أكابر العشرة المبشرين بالجنة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة وكلهم حتى علي والعباس أخبر بانه يعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك فحينئذ

انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا أى رأى الشاة ودعا لها وحكت له القصة فقال صفيه يا أم معبد فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة مليح الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة والمراد أنه وسيم قسيم أى كامل الحسن فى عينيه دعج وفى أشفاره وطف أى طول أحور أكحل أزج أقرن شديد سواد الشعر فى عنقه سطع أى طول وفى لحيته كثاثة اذا صمت فعليه الوقار واذا تكلم سما وعلاه البهاء كأن منطقه خرزات نظمن طوال يتحدرن حلو المنطق لا نزر ولا هذر أجهر الناس اذا تكلم وأجلاهم من بعيد وأحلاهم وأحسنهم من قريب ربعة لا تشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن بين غصنين فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به أى يستديرون حوله اذا قال استمعوا لقوله واذا أمر تبادروا لامره محفود أى مخدوم محشود أى عنده قوم لا عابس ولا مفند أى ليس كثير اللوم فقال أبو معبد هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته وفى رواية ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا وما زالت قريش تطلب النبى صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا أم معبد فسألوها عنه صلى الله عليه وسلم ووصفوه لها فقالت ما أدرى ما تقولون قد صاد فى حالب الحائل فقالوا ذاك الذى نريده ثم أسلمت رضى الله عنها وهاجرت قال السيد السمهودى فى الوفاء هاجرت هى وزوجها وأسلما وفى خلاصة الوفاء خرج أبو معبد فى اثرهم ليسلم فيقال انه أدركهم ببطن ريم فبايعه وانصرف وفى شرح السنة للبغوى هاجرت هى وزوجها وأسلم أخوها حبيش واستشهد يوم الفتح وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك روى ابن اسحق عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنها قالت لما خفى علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل ابن هشام فخرجت اليهم فقال أين أبوك يا ابنة أبى بكر فقلت والله لا أدرى اين أبى فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدى لطمة واحدة خرج منها قرطى ثم انصرفوا قالت ولما لم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى رجل بعد ثلاث ليال وفى رواية خمس ليال يغنى باسفل مكة يسمعون صوته ولا يرونه قيل انه من الجن وقيل سمعوا هاتفا على أبى قبيس وهو ينشد هذه الابيات

جزى الله رب الناس خير جزائه * رفيقين حلا خيمتى أم معبد * هما نزلا بالبر ثم ترحلا
فافلح من أمسى رفيق محمد * فيال قصى ما زوى الله عنكم * به من فعال لا تجارى وسودد
ليهن بنى كعب مكان فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد * سلوا أختكم عن شاتها واناثها
فانكم ان تسألوا الشاة تشهد * دعاها بشاة حائل فتحلبت * له بصريح ضرة الشاة مزبد
فغادرها رهنا لديها لحالب * يرددها فى مصدر ثم مورد

قالت أسماء رضى الله عنها فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم ورحم الله الابوصيرى حيث يقول

وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء

ولما بلغت أبيات الهاتف أهل المدينة من الانصار رضى الله عنهم قال حسان رضى الله عنه بعد اسلامه مجيبا للابيات

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقدس من يسرى اليه ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد * هداهم به بعد الضلالة ربهم
وأرشدهم من يتبع الحق يرشد * وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا * عمى وهداة يهتدون بمهتد
وقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم باسعد * نبى يرى ما لا يرى الناس حوله
ويتلو كتاب الله فى كل مشهد * وان قال فى يوم مقالة غائب * فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى غد
ليهن أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد

ثم بعد رواحهم من عند أم معبد تعرض لهما سراقة بن مالك بن جعشم المدلجى رضى الله عنه فانه أسلم بالجعرانة عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من غزوة حنين والطائف والمدلجى نسبة الى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة فهو كنانى حجازى وسبب تعرضه لهما ما رواه البخارى عنه قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر رضى الله عنه دية اى فى كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا

ثم أثبت عمر أنه غير وارث دفعه اليهما ليعملا فيه بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذاه على ذلك وبين لهما ان ما فعله أبو بكر فيه كان فيه صادقا بارا راشدا تابعا للحق فصدقاه على ذلك فهل بقى لمعاند بعد ذلك من شبهة * ومما يدل على صحة ذلك ان عليا رضى الله عنه لما صارت الخلافة اليه لم يغير شيأ مما فعله أبو بكر وعمر رضى الله عنهما بل عمل فيها بمثل عملهما ثم كانت بعده بيد الحسن ثم الحسين ثم على بن الحسين ثم الحسن ابن الحسن ثم زيد بن الحسن ثم بيد عبد الله بن الحسن ثم لما وليها بنو العباس لم يرد عن أحد منهم انه تملكها ولا ورثها ولا ورثت عنه فلو كان ما يقوله الشيعة صحيحا لاخذها على رضى الله عنه أو احد من أهل بيته لما ولوها (وصح) عن زيد بن

جالس فى مجالس قومى بنى مدلج اذ أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال ياسراقة انى قد رأيت آنفا اسودة بالسواحل أراها محمدا وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له انهم ليسوا هم ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا باعيننا ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى من وراء أكمة فتحبسها على وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت قال أبو بكر رضى الله عنه تبعنا سراقة ونحن فى جلد من الارض فقلت يارسول الله هذا الطلب قد لحقنا فقال لا تحزن ان الله معنا وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا يلتفت وأبو بكر رضى الله عنه يكثر الالتفات قال فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت هذا الطلب قد لحقنا وبكيت قال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قلت أما والله ما على نفسى أبكى ولكن عليك فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفناه بما شئت وفى رواية اللهم اصرعه فساخت قوائم فرسه حتى بلغت الركبتين وفى رواية الى بطنها فطلب الامان وفى رواية أنه سقط عن فرسه واستقسم بالازلام فخرج ما يكره ثم ركبها ثانيا وقرب حتى سمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فساخت يدا فرسه الى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالازلام فخرج الذى يكره فناداهم بالامان قال وكنت أرجو أن أرده فآخذ المائة الناقة وروى فى بعض التفاسير أنه عاهد الله سبع مرات ثم ينكث العهد وكلما ينكث العهد تغوص قوائم فرسه فى الارض وجاء فى رواية أن سراقة لما دنا من النبى صلى الله عليه وسلم صاح وقال يا محمد من يمنعك منى اليوم فقال النبى صلى الله عليه وسلم يمنعنى الجبار الواحد القهار ونزل جبريل عليه السلام وقال يا محمد ان الله عز وجل يقول جعلت الارض مطيعة لك فأمرها بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أرض خذيه فأخذت الارض أرجل جواده الى الركب فساق سراقة فرسه فلم يتحرك فقال يا محمد الامان لو أنجيتنى لأكونن لك لا عليك فقال يا أرض أطلقيه فأطلقت جواده فلما أيس ورأى تلك المعجزة قال أنا سراقة انظرونى أكلمكم فوالله لا يأتيكم منى شئ تكرهونه وأنا أعلم ان قد دعوتما على فادعوا لى وفى رواية قد علمت يا محمد ان هذا من دعائك فادع الله أن ينجينى مما أنا فيه ولك ان أرد الناس عنكما ولا أضركما وفى رواية لابن عباس وأنا لكم نافع غير ضار ولا أدرى لعل الحى يعنى قومه فزعوا لركوبى وأنا راجع ورادهم عنكم قال فوقف الى ودعا له صلى الله عليه وسلم ان الله ينجيه مما هو فيه قال فركبت فرسى حتى جئتهما ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت أن سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأخبرتهما خبر ما يريد الناس بهما من الحرص على الظفر بهما وبذل المال لمن يحصلهما وفى رواية ابن عباس رضى الله عنهما وعاهدهم أن لا يقاتلهم ولا يخبر عنهم وان يكتم عنهم ثلاث ليال قال وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآنى أى لم ينقصانى مما معى شيأ وفى رواية قال هذه كنانتى فخذ منها سهما فانك تمر على ابلى وغنمى بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال لا حاجة لنا فى ابلك ودعا له وفى رواية عرضت عليهما الزاد والمتاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياسراقة اذا لم ترغب فى دين الاسلام فانى لا أرغب فى ابلك ومواشيك وفى رواية ولم يسألانى شيأ الا ان قالا أخف عنا قال فسألته أن يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أديم وفى رواية قال سراقة انى لأعلم أن سيظهر أمرك فى العالم وتملك رقاب الناس فعاهدنى انى اذا أتيتك يوم ملكك تكرمنى فأمر عامر بن فهيرة فكتب له وفى رواية لأنس رضى الله عنه فقال يا نبى الله مرنى بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن أحدا يلحق بنا فكان أول النهار جاهدا على نبى الله وآخر النهار مسلحة له أى حارسا له بسلاحه وفى رواية أنه قال للقوم لما رجع اليهم قد عرفتم نظرى بالطريق وبالاثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيأ فرجعوا وجاء فى الحديث من تمام القصة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسراقة كيف بك اذا لبست سوارى كسرى وفى رواية اذا تسورت بسوارى كسرى قال كسرى بن هرمز قال نعم فعجب من ذلك فلما أتى بهما فى خلافة عمر رضى الله عنه وبتاجه ومنطقته وكان عمر رضى الله عنه قد سمع بوعد النبى صلى الله عليه وسلم لسراقة من أبى بكر رضى الله عنه فدعا بسراقة فألبسه السوارين تحقيقا لهذه المعجزة واظهارا لها وقال ارفع يديك وقال الله أكبر الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك اعرابيا من بنى مدلج ورفع عمر رضى

على بن الحسين رضى الله عنهم انه صوب مافعله أبو بكر رضى الله عنه وقال ان أبابكر كان رحيما وكان يكره ان يغير شيأ فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال زيد والله لو رفع الامر فيها الى لقضيت بقضاء أبى بكر رضى الله عنه وصح عن أخيه محمد الباقر انه قيل له أظلمكم الشيخان من حقكم شيأ فقال لا ومنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرا ما ظلمنا من حقنا ما يزن حبة خردل (وأخرج) الدارقطنى عن الباقر رضى الله عنه انه سئل ما كان على يعمل فى سهم ذوى القربى قال عمل فيه بما عمل به أبو بكر وعمر كان يكره ان يخالفهما وأما عذر السيدة فاطمة رضى الله عنها مع روايتها الحديث لها فيحتمل انه لكونها رأت ان هذا الحديث

الله عنه صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين ومما جيء به لعمر رضى الله عنه مما غنمه المسلمون من كسرى بساطه وكان ستين ذراعا فى ستين ذراعا منظوما باللؤلؤ والجواهر الملونة على ألوان زهر الربيع كان يبسط له فى ايوانه ويشرب عليه اذا عدمت الزهور فقطع عمر رضى الله عنه البساط وقسمه على المسلمين فاصاب عليا رضى الله عنه قطعة باعها بخمسين ألف دينار وفى القصة أيضا أنه أخذ الكتاب الذى كتب له وجعله فى كنانته قال سراقة فلم أذكر شيأ مما كان حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين خرجت لالقاه ومعى الكتاب فلقيته بالجعرانة حتى دنوت منه فرفعت يدى بالكتاب فقلت يارسول الله هذا كتابك قال يوم وفاء وبر أدنه فدنوت منه وأسلمت وفى رواية عن سراقة رضى الله عنه بلغنى انه يريد أن يبعث خالد بن الوليد رضى الله عنه الى قومى فاتيته فقلت أحب أن توادع قومى فان أسلم قومك أسلموا والا أمنت منهم فاخذ صلى الله عليه وسلم بيد خالد فقال اذهب معه فافعل مايريد فصالحهم خالد على أن لايعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أسلمت قريش أسلموا معهم فانزل الله تعالى الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق الآية فكان من وصل اليهم كان معهم على عهدهم قال ابن اسحق ولما بلغ أبا جهل مالقى سراقة لامه فى تركهم وفى رواية أن سراقة لما رجع الى مكة اجتمع عليه الناس فانكر انه رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فلازال به أبو جهل حتى اعترف فاخبرهم بالقصة فلامه أبو جهل فى تركهم فانشده سراقة

أبا حكم واللات لو كنت شاهدا * لامر جوادى اذ تسيخ قوائمه
علمت ولم تشكك بان محمدا * رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فاننى * أرى أمره يوما ستبدو معالمه

والى قصة سراقة أشار بعضهم بقوله

غرت سراقة أطماع فساخ به * جواده فانثنى للصلح مطلبا

وقال صاحب الهمزية

فاقتفى أثره سراقة فاستهـ * ـوته فى الارض صافن جرداء
ثم ناداه بعد ماسيمت الخسـ * ـف وقد ينجد الغريق النداء

واجتاز صلى الله عليه وسلم فى طريقه ذلك بعبد يرعى غنما فاستسقاه أبو بكر رضى الله عنه اللبن فقال ماعندى شاة تحلب غير أن ههنا عناقا حملت عام أول ومابقى لها لبن فقال ادع بها فدعا بها فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا حتى أنزلت وجاء أبو بكر رضى الله عنه بمجن وهو الترس فحلب صلى الله عليه وسلم فسقى أبابكر رضى الله عنه ثم حلب فسقى الراعى ثم حلب فشرب فقال الراعى بالله من أنت فوالله مارأيت مثلك قال أوتراك تكتم على حتى أخبرك قال نعم قال فانى محمد رسول الله قال أنت الذى تزعم قريش أنه صابئ قال انهم ليقولون ذلك قال أشهد انك نبى وأن ماجئت به حق وانه لايفعل مافعلت الانبى وأنا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك انى قد ظهرت فاتنا ومما وقع لهم فى الطريق أنه صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين فكسا الزبير رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابا بيضا وكذا لقى طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه النبى صلى الله عليه وسلم وأبابكر رضى الله عنه فكساهما وأخرج البيهقى عن بريدة بن الحصيب رضى الله عنه قال لما جعلت قريش مائة من الابل لمن يرد النبى صلى الله عليه وسلم حملنى الطمع فركبت فى سبعين من بنى سهم فلقيته صلى الله عليه وسلم فقال من أنت قلت بريدة فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر رضى الله عنه وقال برد أمرنا وصلح ثم قال ممن أنت قلت من أسلم قال سلمنا ثم قال ممن قلت من بنى سهم قال خرج سهمك ياأبابكر فقال بريدة للنبى صلى الله عليه وسلم من أنت قال أنا محمد بن عبد الله رسول الله فقال بريدة أشهد أن لااله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فاسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا قال بريدة الحمد لله الذى أسلم بنوسهم طائعين غير مكرهين فلما أصبح قال بريدة يارسول الله لاتدخل المدينة الا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها فى رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة ولما سمع المسلمون فى المدينة بخروج

لايخصص القرآن كما قيل به فكان ذلك اجتهادا منها رضى الله عنها الا تكذيبا للخبر فانفع عذره فى المنع وعذرها فى الطلب ولايشكل عليك ذلك فتأمله فانه مهم (وجاء) فى بعض روايات الحديث ان فاطمة رضى الله عنها غضبت فهجرت أبابكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر قال القسطلانى فى شرحه على البخارى وأما هجرانها فعناه انقباضها عن اللقاء لا الهجران المحرم من ترك السلام ونحوه ولعلها رضى الله عنها لما خرجت تمادت فى اشتغالها بشأنها ثم بمرضها والهجران المحرم انما هو ان يلتقيا فيعرض هذا وهذا ولم يقع منها شئ من ذلك وقد روى البيهقى عن الشعبى باسناد صحيح كما فى فتح البارى للحافظ ابن

رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة كانوا يغدون كل غداة الى الحرة ينتظرونه صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة وكان خروجهم ثلاثة أيام وهي المدة الزائدة على المسافة المعتادة بين مكة والمدينة التي كان بها بالغار فانقلبوا يوما بعد ان طال انتظارهم وأحرقتهم الشمس واذا رجل من اليهود صعد على اطم أي محل مرتفع من آطامهم أي من محالهم المرتفعة لامر ينظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مبيضين أي لابسين ثيابا بيضا وهي التي كساهم اياها الزبير وطلحة في الطريق فلما رآهم ذلك اليهودي يزول بهم السراب أي يرفعهم ويظهرهم فلم يملك اليهودي ان قال بأعلى صوته يا معشر العرب وفي رواية يا بني قيلة وهم الانصار وأمهم تسمى قيلة هذا جدكم أي حظكم الذي تنتظرونه وفي رواية لما بادوا من المدينة بعثوا رجلا من أهل البادية الى أبي أمامة أسعد بن زرارة وأصحابه من الانصار ولا مانع من الامرين فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة وهو مع أبي بكر رضي الله عنه في ظل نخلة كانت هنالك ثم قالوا لهما ادخلا آمنين مطمئنين وفي رواية فاستقبله صلى الله عليه وسلم زهاء خمسمائة من الانصار فقالوا اركبا آمنين مطاعين فعدل ذات اليمين حتى نزلا بقباء في دار بني عمرو بن عوف وذلك في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وكان نزوله صلى الله عليه وسلم عند كلثوم بن الهدم لانه كان شيخ بني عمرو بن عوف وهم بطن من الاوس وكان كلثوم يومئذ مشركا ثم أسلم رضي الله عنه وتوفي قبل غزوة بدر بيسير قيل أسلم قبل وصوله صلى الله عليه وسلم المدينة وعند وصوله صلى الله عليه وسلم نادى كلثوم يا نجيح لغلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر رضي الله عنه نجحت يا أبا بكر وكان صلى الله عليه وسلم يجلس للناس ويتحدث مع أصحابه في بيت سعد بن خيثمة لانه كان عزبا لا أهل له هنالك وكان منزله يسمى منزل العزاب وبهذا يجمع بين قول من قال نزل على كلثوم ومن قال نزل على سعد بن خيثمة ونزل أبو بكر رضي الله عنه على حبيب بن اساف وقيل خارجة بن زيد رضي الله عنه ولما توجه صلى الله عليه وسلم المدينة أمر عليا رضي الله عنه أن يقيم بعده حتى يرد الودائع فقام علي كرم الله وجهه بالابطح ينادي من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وديعة فليأت تؤدى اليه أمانته فلما نفذ ذلك ورد عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشخوص اليه فابتاع ركائب وقدم ومعه الفواطم وأم أيمن وولدها أيمن وجماعة من ضعفاء المؤمنين ولما وصل نزل على كلثوم بن الهدم اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وكان علي رضي الله عنه في طريقه يسير الليل ويكمن النهار حتى تفطرت قدماه ولما وصل اعتنقه النبي صلى الله عليه وسلم وبكى رحمة لما بقدميه من الورم وتفل في يديه وأمرهما على قدميه فلم يشكهما بعد ذلك ولا مانع من وقوع ذلك من علي رضي الله عنه مع وجود ما يركبه لانه يجوز أن يكون هاجر ماشيا رغبة في عظيم الاجر وسرى السرور الى القلوب بوصول النبي صلى الله عليه وسلم قال البراء بن عازب رضي الله عنه ما رأيت أهل المدينة فرحوا بشئ فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شئ وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير أي الاسطحة عند قدومه يقولون طلع البدر علينا الخ وعن عائشة رضي الله عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جاس النساء والصبيان والولائد يقلن جهرا

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا

ما دعا لله داعي * أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ولما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضي الله عنه للناس وأبو بكر شيخ أي شيبه ظاهر وان كان النبي صلى الله عليه وسلم أسن منه فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر رضي الله عنه فيعرف بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى ظلل عليه بردائه فعرف من جاءهم بعد ذلك ولا يرد ان تظليل الغمام يغني عن تظليل أبي بكر رضي الله عنه لان ذلك كان قبل البعثة ارهاصا لنبوته صلى الله عليه وسلم ولم ينقل أحد وقوع ذلك بعد البعثة وكان خروجه صلى الله عليه وسلم من قباء يوم الجمعة بعد ان لبث يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء

في عمدة القارى للعلامة العيني قال لما مرضت فاطمة رضي الله عنها أتاها أبو بكر رضي الله عنه يعودها فاستاذن له علي رضي الله عنه فاذنت فدخل عليها يترضاها فقال رضي الله عنه والله ما تركت الدار والمال والاهل والعشيرة الا ابتغاء مرضاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومرضاتكم أهل البيت وفي رواية قال يا فاطمة رضي الله عنها ما خير عيش حياة أعيشها وأنت علي ساخطة فان كان عندك من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك عهد فانت الصادقة المصدقة المأمونة على ما قلت قال فما قام أبو بكر حتى رضيت ورضي وفي رواية قالت له قلت وما سمعت * فاتضح بذلك كله صحة ما منعه أبو بكر رضي الله عنه وموافقة الصحابة له وتصديقهم

والخميس وقيل كان لبثه بضع عشرة ليلة وأسس صلى الله عليه وسلم بقباء المسجد الذى أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى نزلت فيه الآية وقيل انه مسجد المدينة وروى كل منهما فى أحاديث صحيحة وجمع بعضهم بان كلا منهما يسمى المسجد الذى أسس على التقوى وروى الطبرانى عن الشموس بنت النعمان رضى الله عنها قالت نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم وأسس مسجد قباء فرأيته يأخذ الحجر أو الصخرة حتى تنعبه فيأتى الرجل من أصحابه فيقول يا رسول الله بابى أنت وأمى أعطنى أكفيك فيقول لا حتى أسسه وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد بناءه قال يا أهل قباء ائتونى باحجار من الحرة فجمعت عنده أحجار فخط القبلة وأخذ حجرا فوضعه ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر خذ حجرا فضعه الى جنب حجرى ثم قال يا عمر خذ حجرا فضعه الى جنب حجر أبى بكر ثم قال يا عثمان خذ حجرا فضعه الى جنب حجر عمر قال بعضهم كأنه أشار الى ترتيب الخلافة وصنع مثل ذلك عند بناء مسجد المدينة وكان صلى الله عليه وسلم بعد تحوله الى المدينة يأتى مسجد قباء يوم السبت ماشيا تارة وراكبا أخرى فيصلى فيه وقال صلى الله عليه وسلم من توضأ وأسبغ الوضوء ثم جاء مسجد قباء فصلى فيه كان له أجر عمرة ولما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألهم عن ذلك فقال ما هذا الطهور الذى أثنى الله عليكم به فقالوا يا رسول الله ما خرج منا رجل ولا امرأة الى الغائط الا غسل فرجه أى بعد الاستنجاء بالاحجار وفى رواية نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فقال هو هذا زاد فى رواية ولا ننام الليل كله على الجنابة ولما ركب صلى الله عليه وسلم وخرج من قباء سار الناس معه ما بين ماش وراكب ولا زال أحدهم ينازع صاحبه زمام الناقة حرصا على كرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما له حتى دخل المدينة الشريفة وصار الخدم والصبيان يقولون الله أكبر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعبت الحبشة بحرابها فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بنو عمرو بن عوف له حين أراد الخروج من قباء يا رسول الله أخرجت ملالا لنا أو تريد دارا خيرا من دارنا قال انى أمرت بقرية تأكل القرى أى تغلبها وتقهرها والمراد أن أهلها يفتحون القرى فيأكلون أموال تلك القرى ويسبون ذراريهم خلوا سبيلها يعنى ناقته صلى الله عليه وسلم ثم أدركته صلاة الجمعة فى مسجد بنى سالم بن عوف وهو المسجد الذى فى بطن الوادى على يمين السالك الى مسجد قباء ويسمى مسجد الجمعة فصلاها بمن معه من المسلمين وكانوا مائة وهى أول جمعة صلاها صلى الله عليه وسلم بالمدينة وخطب بهم وهى أول خطبة خطبها فى الاسلام ومن خطبه صلى الله عليه وسلم تلك فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزئ الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته وفى رواية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم ركب صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الجمعة متوجها الى المدينة وهو مردف أبا بكر رضى الله عنه خلفه اكراما له والا فقد كانت له راحلة ولما ركب صلى الله عليه وسلم أرخى لناقته زمامها وهى تنظر يمينا وشمالا وكلما مر على دار من دور الانصار يدعونه المقام عندهم يقولون يا رسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها يعنى ناقته فانها مأمورة وفى ذلك حكمة بالغة هى أن يكون تخصيصه عليه السلام لمن خصه الله بنزوله عنده آية معجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ولا يحيك ذلك فى صدر أحد منهم شيأ ولما مر على بنى سالم بن عوف سأله منهم عتبان بن مالك ونوفل بن عبد الله بن مالك وعبادة بن الصامت فقالوا يا رسول الله أقم عندنا فى العز والثروة والمنعة وفى رواية انزل فينا فان فينا العدد والعدة والحلقة أى السلاح ونحن أصحاب الحدائق والدرك كان الرجل من العرب يدخل هذه البحيرة خائفا فيلجأ الينا فقال لهم خيرا وقال لهم خلوا سبيلها يعنى ناقته فانها مأمورة وهو صلى الله عليه وسلم متبسم ويقول بارك الله فيكم فانطلقت حتى وردت دار بنى بياضة أى محلتهم فسأله بنو بياضة ومنهم زياد بن لبيد وفروة بن عمرو وقالوا له بمثل ما تقدم فاجابهم بانها مأمورة خلوا سبيلها حتى وردت دار بنى ساعدة ومنهم سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وأبو دجانة فسأله بنو ساعدة بمثل ذلك فاجابهم بخلوا سبيلها فانها مأمورة فانطلقت حتى مرت بدار بنى النجار وهم أخواله

بسماع ذلك الحديث من النبى صلى الله عليه وسلم فلم يبق فى ذلك شبهة بوجه من الوجوه وأنه الحق الصدق الذى لا يشوبه أدنى شائبة تعصب ولا حمية وان من خالف ذلك فهو كاذب جاهل أحمق معاند لا يعبأ الله به ولا بقوله ولا يبالى به فى أى واد هلك نسأل الله السلامة فى العقل والدين (والحاصل) ان ما كان له صلى الله عليه وسلم من الفئ والغنيمة كان ينفق منه على عياله ومصالحه وما فضل منه يصرفه فى المصالح فكان أبو بكر وعمر وعثمان يفعلون مثل ما كان يفعل صلى الله عليه وسلم فلما صارت الخلافة لعلى رضى الله عنه لم يغير شيأ من ذلك بل كان يفعل مثل ما كانوا يفعلون * فظهر بهذا أنهم كلهم رضى الله عنهم متفقون على ذلك وبطل

صلى

صلى الله عليه وسلم أى أخوال جده عبد المطلب فسأله بنو عدى بن النجار بمثل ماتقدم وفى رواية أنهم قالواله صلى الله عليه وسلم نحن أخوالك هلم الى العدد والمنعة والعز مع القرابة لاتجاوزنا لغيرنا يارسول الله ليس أحد من قومك أولى بك منا للقرابتنا فاجابهم بمثل ماتقدم وبأنها مامورة فانطلقت حتى بركت بمحل من محالهم وذلك فى محل المسجد أو محل بابه أو منبره عند دار بنى مالك بن النجار وكان ذلك الموضع الذى بركت فيه مربدا لسهل وسهيل ابنى رافع بن عمرو والمربد الموضع الذى يجفف فيه التمر وقيل كل شئ حبست فيه الابل أو الغنم ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها حتى بركت على باب أبى أيوب خالد بن زيد الانصارى وهو من بنى مالك بن النجار ثم ثارت وبركت فى مبركها الاول عند المسجد قال الحافظ ابن حجر أشارت الى انه منزله حيا وميتا وألقت جرانها بالارض يعنى باطن عنقها وأرزمت يعنى صوتت من غير أن تفتح فاها ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله باذنه صلى الله عليه وسلم وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بنى النجار أوسط دور الانصار وأفضلها وهم أخوال عبد المطلب جده عليه السلام فاكرمهم الله بنزوله صلى الله عليه وسلم عندهم وفى رواية أنها استناخت به أولا فجاءه ناس فقالوا المنزل يارسول الله فقال دعوها فانبعثت حتى بركت عند المنبر من المسجد ثم تحلحلت فنزل عنها وقال رب أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين أربع مرات وأخذه الذى كان يأخذه عند الوحى وسرى عنه فقال هذا ان شاء الله يكون المنزل فأتاه أبو أيوب فقال ان منزلى أقرب المنازل فاذن لى أن أنقل رحلك قال نعم فنقله وأناخ الناقة فى ظلاله فلما نقل رحله قال صلى الله عليه وسلم المرء مع رحله ثم جاء أسعد ابن زرارة فاخذ ناقته صلى الله عليه وسلم فكانت عنده قال أبو أيوب رضى الله عنه لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت فى العلو وفى رواية لما نزل صلى الله عليه وسلم فى بيتى نزل فى السفل وكنت أنا وأم أيوب فى العلو فقلت يانبى الله بابى أنت وأمى انى أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتى فاظهر أنت فكن فى العلو وننزل نحن ونكون فى السفل فقال ياأبا أيوب ان الارفق بنا وبمن يغشانا أن نكون فى سفل البيت فكان النبى صلى الله عليه وسلم فى سفله وكنا فوقه فى المسكن فلما خلوت الى أم أيوب يعنى زوجته قالت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحى فبانت تلك الليلة لا أنا ولا أم أيوب بحالة هنيئة بل بشر ليلة لتلك الفكرة وفى رواية ان أبا أيوب انتبه ليلا فقال نمشى فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحولوا وناموا فى جانب زاد فى رواية فلقد انكسر لنا حب فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها تخوفا أن يقطر على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ فيؤذيه فلما أصبحت قلت يارسول ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب قال لم ياأبا أيوب قلت كنت أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحى فقال صلى الله عليه وسلم السفل أرفق بنا فقلت لا يكون ذلك والذى بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا زاد فى رواية فلم يزل أبو أيوب يتضرع اليه صلى الله عليه وسلم حتى تحول الى العلو وأبو أيوب فى السفل قال أبو أيوب رضى الله عنه وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فاذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده نبتغى بذلك البركة حتى بعثنا اليه يوما بعشائه وقد جعلنا فيه بصلا أو ثوما فرده ولم أر ليده فيه أثرا فجئته فزعا فسألته فقال انى وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجى فاما أنتم فكلوه فاكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد وهذا لا ينافى ان الطعام كان يأتيه أيضا من غير أبى أيوب فقد ورد انه ما من ليلة الا وعلى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلاثة والاربعة يحملون اليه الطعام وان جفنة سعد بن عبادة وجفنة أسعد بن زرارة تحملان اليه كل ليلة واستمرت جفنة سعد بن عبادة تدور معه عليه السلام فى بيوت أزواجه وان أول هدية دخلت عليه عليه السلام فى بيت أبى أيوب قصعة فيها ثريد خبز بر بسمن ولبن جاء بها زيد بن ثابت ووضعها بين يديه صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أرسلت بهذه القصعة اليك أمى فقال بارك الله فيك وفيها ودعا أصحابه وذكر ابن اسحق أن هذا البيت الذى لابى أيوب بناه له عليه الصلاة والسلام تبع الحميرى لما مر بالمدينة فى رجوعه من مكة وترك فيها أربعمائة عالم روى ابن

ما تزعمه الرافضة والشيعة من الظلم ولا يعارض قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث قوله تعالى وورث سليمان داود لان المراد ليس وراثة المال بل النبوة والملك ووراثة العلم وقد وقعت فى آيات من القرآن منها ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب وكذلك المراد وراثة النبوة والعلم فى قول زكريا عليه السلام يرثنى ويرث من آل يعقوب بدليل قوله وانى خفت الموالى من ورائى أى ان يضيعوا العلم والدين وبدليل ويرث من آل يعقوب وهم أولاد الانبياء على ان زكريا لم يحك أحد انه كان له مال حتى يطلب ولدا يرثه على ان مقام نبوته صلى الله عليه وسلم يأبى طلب ذلك اذ القصد بالولد

عما ذكر أنه قدم مكة وكسا الكعبة وخرج الى يثرب وكان في مائة ألف وثلاثين ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة ولما نزلها أجمع أربعمائة رجل من الحكماء والعلماء وتبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة في مقامهم فقالوا ان شرف البيت وشرف هذه البلدة بهذا الرجل الذي يخرج يقال له محمد صلى الله عليه وسلم فاراد تبع أن يقيم وأمر ببناء دار للنبي صلى الله عليه وسلم وبنناء أربعمائة دار لكل رجل منهم دار واشترى لكل منهم جارية وأعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاء جزيلا وأمرهم بالاقامة الى وقت خروجه وكتب كتابا للنبي صلى الله عليه وسلم فيه اسلامه ومنه

شهدت على أحمد أنه * رسول من الله باري النسم

فلو مد عمري الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وختمه بالذهب ودفعه الى كبيرهم وسأله أن يدفعه للنبي صلى الله عليه وسلم ان ادركه والا من يدركه من ولده وولد ولده أبدا الى حين خروجه وكان في الكتاب انه آمن به وعلى دينه وخرج تبع من يثرب فمات بالهند ومن موته الى مولده صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء قاله الزرقاني في شرح المواهب فقد اول الدار التي بناها تبع للنبي صلى الله عليه وسلم المالوك الى أن صارت لابي أيوب وهو من ولد ذلك العالم الذي دفع اليه الكتاب ولما خرج صلى الله عليه وسلم أرسلوا اليه كتاب تبع مع أبي ليلى فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له أنت أبو ليلى ومعك كتاب تبع الاول فبقي أبو ليلى متفكرا ولم يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أنت فاني لم أرفي وجهك أثر السحر وتوهم انه ساحر فقال أنا محمد هات الكتاب فلما قرأه قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات قال ابن اسحق وأهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من ولد أولئك العلماء الاربعمائة وهم الاوس والخزرج نعلى هذا انما نزل صلى الله عليه وسلم في منزل نفسه لا في منزل غيره وعن أنس رضي الله عنه قال شهدت يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فلم أر يوما أحسن ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه صلى الله عليه وسلم المدينة وخرجت جوير يات من بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن

نحن جوار من بني النجار * يا حبذا محمد من جار

فخرج اليهن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتحببنني قلن نعم يا رسول الله فقال الله يعلم ان قلبي يحبكن وفي رواية وأنا والله أحبكن قال ذلك ثلاثا وتفرق الغلمان والخدم في الطرق ينادون جاء محمد جاء رسول الله الله أكبر جاء محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في رواية ان ناقته صلى الله عليه وسلم حين بركت في دار بني النجار أي محلتهم جاء رجل من بني سلمة وهو جبار بن صخر رضي الله عنه وكان من صالحي المسلمين فجعل ينخسها رجاء أن تقوم فتنزل في دار بني سلمة فلم تفعل وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال خير دور الانصار بنو النجار ثم بنو عبد الاشهل ثم بنو الحرث ثم بنو ساعدة وفي كل دور الانصار خير ولما بلغ ذلك سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان من بني ساعدة وجد في نفسه وقال خلفنا فكنا آخر الاربع أسرجوا الى حماري فآتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ابن أخته سهل فقال أتذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لترد عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم أوليس حسبك أن تكون رابع أربع فرجع وقال الله ورسوله أعلم وأمر بحماره أن يفك عنه سرجه وفي رواية قال له اجلس ألا ترضى ان سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم دارك في الدور الاربع التي سمى ومالم يسم أكثر مما سمى فانتهى سعد بن عبادة عن كلام رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم ومكث صلى الله عليه وسلم في دار أبي أيوب سبعة أشهر الى ان بني المسجد وبعض مساكنه ولما تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عمرو بن عوف الى المدينة تحول المهاجرون فتنافس فيهم الانصار أن ينزلوا عليهم حتى اقترعوا عليهم بالسهمان فما نزل أحد من المهاجرين على أحد من الانصار الا بقرعة بينهم وكان المهاجرون في دور الانصار وأموالهم ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال رضي الله عنهما بالحمى روى النسائي عن عائشة رضي الله عنها لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبأ أرض الله أصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه صلى الله عليه

احتياجا اذكر الاب والدعاء له وتكثير سواد الامة فمن طلبه لغير ذلك كان ملوما مذموما سيما ان قصد به حرمان عصبته من ارثه لولم يوجد له ولد فاتضح بهذا مذهب أهل السنة وثبوت قوله صلى الله عليه وسلم لا نورث * ولا يشكل أيضا على ماتقرر من الاجماع على حقية خلافة أبي بكر رضي الله عنه الاحاديث الواردة في فضل علي رضي الله عنه فان القصد منها بيان عظيم قدره وفضله والحث على محبته وموالاته وليس القصد بها الاخبار بان الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم له اذ لو كان الامر كذلك لتمسك بها رضي الله عنه ولم ينقل عنه بل المتواتر عنه الاعتراف بحقية خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم كما تقدم عنه ذلك في

وسلم وأصابت الحمى أبا بكر وبلالا وعامر بن فهيرة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم وذلك قبل ان يضرب علينا الحجاب فاذن لي فدخلت عليهم وهم في بيت واحد فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك وكان أبو بكر رضي الله عنه اذا أخذته الحمى يقول اذا قيل له كيف تجدك

كل امرئ مصبح في أهله * والموت أدنى من شراك نعله

قال فقلت انا لله ان أبي يهذي وما يدري ما يقول ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك فقال

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه * كالثور يحمي أنفه بروقه

فقلت هذا والله ما يدري ما يقول أي لانها سألتهم عن حالهم فاجابوها بما لا تعلق له والطوق الطاقة والروق القرن يضرب مثلا في الحث على حفظ الحرم وكان بلال اذا أقلعت عنه الحمى يقول

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

اللهم العن عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى أرض الوباء قالت عائشة رضي الله عنها فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته وقلت يا رسول الله انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فنظر الى السماء وقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فاستجاب الله له فطاب هواؤها وترابها وساكنها والعيش بها حتى ان من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها وقد تكرر دعاؤه عليه الصلاة والسلام بتحبيب المدينة والبركة في ثمارها قال العلامة الزرقاني والظاهر أن الاجابة حصلت بالاول والتكرير لطلب المزيد وقد ظهر ذلك في الكيل بحيث يكفي المد بها ما لا يكفيه بغيرها وهذا أمر محسوس لمن سكنها ونقل الله حماها الى الجحفة والمراد الحمى الشديدة الثقل الوبيئة فصارت الجحفة من يومئذ وبيئة لا يشرب أحد من مائها الا حم ولا يمر بها طائر الا حم وسقط قال الزرقاني والذي نقل منها سلطان الحمى وشدتها ووباؤها وكثرتها بحيث لا يعد الباقي بالنسبة لما نقل شيأ واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فسكن حب المدينة في قلوب أصحابه حتى قال عمر رضي الله عنه اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك فاستجاب الله دعاءه رضي الله عنه فرزقه الشهادة على يد أبي لؤلؤة المجوسي واسمه فيروز غلام المغيرة بن شعبة ودفن عند حبيبه صلى الله عليه وسلم قال السهيلي بعد ذكر كلام بلال السابق فيه من حنينهم الى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه وقد جاء في حديث أصيل الغفاري أنه قدم من مكة فسألته عائشة رضي الله عنها كيف تركت مكة يا أصيل فقال تركتها حين ابيضت أباطحها وأحجن ثمامها وأغدق اذخرها وأمشر سلمها فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تشوقنا يا أصيل دع القلوب تقر وكان صلى الله عليه وسلم قبل بناء المسجد يصلي حيث أدركته الصلاة ولما أراد صلى الله عليه وسلم بناء المسجد الشريف قال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم أي بستانكم أي اذكروا لي ثمنه لاشتريه منكم قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله فابى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاع ذلك منهم بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان من جملة محل مسجده صلى الله عليه وسلم مسجد لابي امامة أسعد بن زرارة رضي الله عنه وكان أبو امامة يجمع فيه بمن يليه وبعض منه كان مربدا للتمر لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو وهما يتيمان في حجر معاذ ابن عفراء وقيل في حجر أسعد بن زرارة وجمع بانهما كانا في حجرهما وبعض منه كان حائطا اي بستانا فيه نخل وبعض منه كان خربا وبعض منه كان فيه قبور وبهذا جمع بين الاحاديث التي في بعضها ان موضع المسجد كان مربدا وفي بعضها كان بستانا وفي بعضها كان مسجدا لاسعد بن زرارة الى غير ذلك فامر صلى الله عليه وسلم بالقبور فنبشت وبالعظام فغيبت وبالحرب فسويت بازالة ما كان فيها وبالنخل فقطعت وجعلت عمدا للمسجد ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وبني المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده خشب النخل وروى محمد بن

أحاديث كثيرة والرافضة خذلهم الله يتمسكون ببعض تلك الاحاديث الواردة في فضله ويزعمون ان القصد به الوصية له بالخلافة وان الصحابة رضي الله عنهم خالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم ويلزمهم أيضا ان عليا رضي الله عنه كتم النص وأعان على كتمانه فيقولون انه فعل ذلك تقية وقد تقدم ابطال القول بالتقية وانه يلزمهم به العار والبوار ونسبة علي رضي الله عنه الى ما لا يليق به حاشاه من ذلك فمن تلك الاحاديث الواردة في فضل علي رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي * وسبب هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد غزوة تبوك خلف

الحسن المخزومي وغيره عن شهر بن حوشب لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبني المسجد قال ابنوا لي عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام أصاب رأسه السقف فلم يزل المسجد كذلك حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان عصا موسى وقامته وقيته كانت سبعة أذرع فهو تشبيه تام لانه جعل ارتفاع سقف المسجد سبعة أذرع وروى البيهقي عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة وضع حجرا ثم قال ليضع أبو بكر حجره الى جنب حجري ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر أبي بكر ثم ليضع عثمان حجره الى جنب حجر عمر ثم ليضع علي ففيه اشارة الى ترتيبهم في الخلافة رضي الله عنهم بل صرح به في رواية أنه سئل عن ذلك فقال هؤلاء الخلفاء بعدي قال الامام أبو زرعة اسناده لا بأس به فقد أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه وفي رواية هؤلاء ولاة الامر بعدي وأما ما اشتهر من ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف فمعناه أنه لم ينص على استخلاف أحد بعينه عند وفاته وذلك لا ينافي وقوع الخلافة لهؤلاء بعده ولا ينافي قولنا لم ينص قوله الخلفاء بعدي لانه ليس نصا لجواز أن يراد الخلافة في العلم والارشاد وأيضا لما كان قوله ذلك متقدما على وقت الاستخلاف عادة وهو قرب الموت ولم يكن نصا لما من المعارضة ثم لما استخلفوا تحقق المراد من تلك الاشارة ثم قال للناس ضعوا أي الحجارة فوضعوا وعمل المسلمون في بناء مسجده صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم معهم وكان المسلمون يحملون لبنة لبنة وعمار بن ياسر رضي الله عنه ينقل لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عمار ألا تحمل كما يحمل أصحابك قال اني أريد من الله الاجر فمسح صلى الله عليه وسلم التراب عن ظهره وقال له للناس أجر ولك أجران وآخر زادك من الدنيا شربة لبن وتقتلك الفئة الباغية فكان كما أخبره صلى الله عليه وسلم فقد أخرج الطبراني في الكبير باسناد حسن عن أبي سنان الدؤلي الصحابي رضي الله عنه قال رأيت عمار بن ياسر دعا غلاما له بشراب فأتاه بقدح لبن فشرب منه ثم قال صدق الله ورسوله اليوم ألقى الاحبه محمدا وحزبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان آخر شئ تزوده من الدنيا شربة لبن والله لو هزمونا حتى بلغونا سعفات هجر لعلمنا انا على الحق وانهم على الباطل يعني لقوله صلى الله عليه وسلم وتقتلك الفئة الباغية ثم قاتل فقتل رضي الله عنه وكان ذلك بصفين مع علي رضي الله عنه ودفن بها سنة سبع وثلاثين عن ثلاث أو أربع وتسعين سنة روى البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن في بناء مسجده ويقول وهو ينقل اللبن قول عبد الله بن رواحة رضي الله عنه

هذا الجمال لا جمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر

ويقول ايضا قول عبد الله بن رواحة

اللهم ان الاجر أجر الآخره * فارحم الانصار والمهاجره

وأصل البيت لاهم الخ وقيل ان البيت المذكور لامرأة من الانصار وبعده

وعافهم من حر نار ساعره * فانها للكافر وكافره

والتمثل بشئ من الشعر ليس يمتنع عليه صلى الله عليه وسلم والممتنع انما هو انشاء الشعر لا انشاده ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يوما رداءه وهو يعمل فوضع الناس أرديتهم وهم يعملون ويقولون

لئن قعدنا والنبي يعمل * ذاك اذا للعمل المضلل

وروى لذاك منا العمل المضلل * وروى البيهقي عن الحسن لما بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد أعانه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره الشريف صلى الله عليه وسلم وكان عثمان بن مظعون رضي الله عنه رجلا متنطعا أي متأنقا متنزها نظيفا وكان يحمل اللبنة فيجافي بها عن ثوبه فاذا وضعها نفض كمه ونظر الى ثوبه فان أصابه شئ من التراب نفضه فنظر اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فانشد يقول

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا

علياً على أهله بالمدينة وأمره بالاقامة فيهم فارجف المنافقون على علي رضي الله عنه وقالوا ما خلفه الا استثقالا فاخذ علي رضي الله عنه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يا نبي الله زعم المنافقون انك انما خلفتني لانك استثقلتني وتخففت مني وفي رواية قال أتخلفني في النساء والصبيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوا ولكني خلفتك لما تركت ورائي فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي فقال علي رضي الله عنه رضيت رضيت فالخلافة في الاهل في الحياة لا تقتضي الخلافة في الامة بعد الوفاة ولو كان الامر كذلك لاحتج به علي رضي الله

وذلك على طريق المطايبة والمباسطة كما هو عادة المجتمعين على عمل وليس ذلك طعنا على عثمان رضى الله عنه فسمع قول على عمار بن ياسر فجعل يرتجز به ولا يدرى من يعنى به فمر بعثمان بن مظعون فقال يا ابن سمية لاعرفن بمن تعرض ومعه حديدة فقال لتكفن أو لاعترضن بها وجهك فسمعه صلى الله عليه وسلم فغضب ثم قالوا لعمار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غضب فيك ونخاف أن ينزل فينا قرآن فقال أنا أرضيه كما غضب فقال يا رسول الله مالى ولاصحابك قال مالك ولهم قال يريدون قتلى يحملون لبنة لبنة ويحملون على لبنتين فاخذه صلى الله عليه وسلم بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح ذفرته وهى الشعر الذى فى جهة القفا ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذى يقتلونك تقتلك الفئة الباغية وقوله يحملون على الح استعطاف ومباسطة ليزول غضب النبى صلى الله عليه وسلم وجعل صلى الله عليه وسلم قبلة المسجد الى جهة بيت المقدس وبنى بيوتا الى جنبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد وعن الحسن البصرى رحمه الله قال كنت وأنا مراهق ادخل بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى خلافة عثمان رضى الله عنه فاتناول سقفها بيدى وعن الواقدى قال كان لحارثة بن النعمان رضى الله عنه منازل قريب المسجد وحوله فكلما أحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلا تحول له حارثة عن منزل حتى صارت منازله كلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم بعد استقراره فى المدينة بعث زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه الى مكة فقدما بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وأسامة بن زيد وأم أيمن وأما رقية فسبقت مع زوجها عثمان رضى الله عنه وزينب أخرت عند زوجها أبى العاص بن الربيع حتى أسر ببدر فلما من عليه أرسلها الى المدينة وبعث أبو بكر رضى الله عنه عبد الله بن أريقط وكتب معه الى عبد الله بن أبى بكر أن يحمل معه أم رومان وأم أبى بكر وعائشة وأسماء قالت عائشة رضى الله عنها فخرج زيد بن حارثة ومن معه وخرج عبد الله بن أبى بكر معهم بعيال أبيه ومنهم عائشة رضى الله عنها قالت واصطحبنا حتى قدمنا المدينة فنزلنا فى عيال أبى بكر ونزل آل النبى صلى الله عليه وسلم عندنا وهو يومئذ يبنى المسجد وبيوته فادخل سودة أحد تلك البيوت وكان يقيم عندها ذكره الطبرانى وأما عائشة رضى الله عنها فلم يكن دخل بها ذلك الوقت ولما كان بعد قدومه صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر آخى بين المهاجرين والانصار قال السهيلى لتذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث بين المتواخين وجعل المؤمنين كلهم اخوة وأنزل الله انما المؤمنون اخوة أى فى التوادد وشمول الدعوة وكان جملة الذين آخى بينهم تسعين خمسة وأربعون من المهاجرين وخمسة وأربعون من الانصار وكانت المؤاخاة بينهم على الحق والمواساة والتوارث وبذل الانصار رضى الله عنهم فى ذلك جهدهم وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والانصار وداع فيه يهود بنى قينقاع وبنى قريظة وبنى النضير وصالحهم على ترك الحرب والاذى أن لا يحاربهم ولا يؤذيهم وأن لا يعينوا عليه أحدا وأنه ان دهمه بها عدو ينصروه وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وكانت المؤاخاة بين المهاجرين والانصار فى دار أبى طلحة زيد بن سهل رضى الله عنه زوج أم أنس بن مالك رضى الله عنه فآخى صلى الله عليه وسلم بين أبى بكر وخارجة بن زيد رضى الله عنهما وكان صهرا لابى بكر لانه زوج ابنته لابى بكر رضى الله عنه وبين عمر وعتبان بن مالك رضى الله عنهما وبين بلال وابن رويم الخثعمى رضى الله عنهما وبين زيد بن حارثة وأسيد بن حضير رضى الله عنهما وبين أبى عبيدة وسعد بن معاذ رضى الله عنهما وبين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضى الله عنهما وعند ذلك قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن يا عبد الرحمن انى من أكثر الانصار مالا فانا مقاسمك وعندى امرأتان فانا مطلق احداهما فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال بارك الله لك فى أهلك ومالك ثم قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه دلونى على السوق فباع واشترى حتى صار من أكثر الصحابة مالا رضى الله عنه وتوفى أسعد بن زرارة رضى الله عنه فى السنة الاولى من الهجرة وحزن صلى الله عليه وسلم عليه حزنا شديدا وكان رضى الله عنه نقيبا لبنى النجار فلم يجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم نقيبا بعده وقد قالوا له صلى الله عليه وسلم اجعل لنا رجلا

عنه ولم يجعل ذلك منه وطعن مع ان القياس ينتقض بموت هرون المقيس عليه قبل موت موسى عليهما الصلاة والسلام وانما كان خليفته فى حياته فى أمر خاص لما ذهب للمناجاة ترك هرون عليه السلام خليفة على قومه وقال له اخلفنى فى قومى فكذلك ههنا وأما خليفة موسى بعد وفاته فانما هو يوشع بن نون فلما كان هرون المشبه به انما كان خليفة فى حياة موسى دل ذلك على تخصيص خلافة على رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم بحياته فى مدة غيبته فى غزوة تبوك فالحديث عند التأمل الصادق يدل لمذهب أهل السنة لا لمذهب الشيعة * ومما يعين ان النبى صلى الله عليه وسلم جعله خليفة على أهله انه صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة فى هذه الغزوة محمد

مكانه يقيم من أمرنا ما كان يقيم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم أخوالي وأنا نقيبكم
وكره أن يخص بذلك بعضهم دون بعض فكان من مفاخرهم كون النبي صلى الله عليه وسلم نقيبهم وبنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضي الله عنها على رأس تسعة أشهر من الهجرة في شوّال ولما قدم
المسلمون المدينة كانوا يتحينون أوقات الصلوات من غير دعوة فاذا عرفوا دخول الوقت بعلامة حضروا وكان
بلال ينادي الصلاة جامعة ثم تكلم الناس في شيء يعرفون به أوقات الصلاة فقال بعضهم نتخذ ناقوسا مثل
ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود وقال عمر رضي الله عنه تبعثون رجلا منكم ينادي
بالصلاة وقال بعضهم نوقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن
عبد ربه الانصاري رضي الله عنه في منامه رجلا يحمل ناقوسا قال فقلت له يا عبد الله أتبيع الناقوس قال وما
تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك قلت بلى فاستقبل القبلة وقال الله
أكبر الله أكبر الى آخر الاذان والاقامة فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره فقال انها رؤيا حق ان
شاء الله قم مع بلال فالق عليه فانه أندى منك صوتا قال فقمت مع بلال رضي الله عنه فجعلت ألقيه ويؤذن قال
فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فخرج يجر رداءه يقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت
مثل ما رأى بل روي انه رآه اربعة عشر رجلا وتأيد ذلك بالوحي من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فما
كان الاعتماد الا على الوحي وكانت تلك المنامات سيأتي ذلك

(باب معاداة اليهود)

وعند ظهور الاسلام وقوته بالمدينة قامت نفوس احبار اليهود ونصبوا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بغيا وحسدا لما خص الله به العرب وانزل الله فيهم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر
الآيات فمن اعدائه الذين انتصبوا لعداوته حيي وابو ياسر وجدي بنو أخطب وسلام بن مشكم وكنانة بن
الربيع وكعب بن الاشرف وعبد الله بن صوريا وابن صلوبا ومخيريق ثم اسلم وصحب رضي الله عنه وكان له
سبع حوائط فأوصى بها للنبي صلى الله عليه وسلم وكان نصبهم له العداوة عند مشروعية الاذان والاعلان
بالشهادة له صلى الله عليه وسلم وعن صفية ام المؤمنين رضي الله عنها بنت حيي بن اخطب اليهودي قالت
كنت أحب ولد ابي اليه والى عمي ابي ياسر وكانا من احبار اليهود واعظمهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه
وسلم المدينة غدوا عليه ثم جاآ من العشي فسمعت عمي يقول لابي اهو هو قال نعم والله قال اتعرفه وتثبته قال
نعم قال فما في نفسك منه قال عداوته والله ما بقيت وفي رواية قالت ان عمي أبا ياسر حين قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة ذهب اليه وسمع منه وحادثه ثم رجع الى قومه فقال يا قوم أطيعوني فان الله قد جاءكم
بالذي كنتم تنتظرونه فاتبعوه ولا تخالفوه ثم انطلق أبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه ثم رجع
الى قومه فقال لهم أتيت من عند رجل فوالله لا أزال له عدوا فقال له أخوه أبو ياسر أطعني في هذا الامر
واعصني فيما شئت بعد لا تهلك فقال والله لا نطيعك ثم وافق ياسر أخاه حييا فكانا أشد اليهود عداوة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما استطاعا فانزل الله فيهما ومن كان موافقا لهما ود
كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق
ومن شدة عداوة اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ان لبيد بن الاعصم اليهودي صنع سحر النبي صلى الله عليه
وسلم في مشط ومشاطة وهي ما يخرج من شعر رأسه صلى الله عليه وسلم أعطاها لهم غلام يهودي كان يخدم
النبي صلى الله عليه وسلم وجعل مثالا من شمع وقيل من عجين كمثال النبي صلى الله عليه وسلم ثم غرز فيه ابرا
وجعل معه وترا عقد فيه احدى عشرة عقدة وجعل ذلك في بئر ذروان فكان يخيل اليه صلى الله عليه وسلم أنه
يفعل الفعل وهو لا يفعله مما لا تعلق له بالوحي كالاكل والشرب والنكاح ومكث سنة وقيل ستة أشهر وقيل
أربعين يوما ثم جاء جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك السحر وبمكانه فارسل صلى الله عليه وسلم
عليا وعمار بن ياسر رضي الله عنهما فاستخرجاه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء مسوخا فجعل كلما حل عقدة

ابن مسلمة رضي الله عنه
وقيل سباع بن عرفطة وليس
يلزم انه استخلفه على المدينة
فان ذلك لا يستلزم أولويته
للخلافة بعده من كل
معاصريه وقد استخلف
صلى الله عليه وسلم على
المدينة مرارا كثيرا من
أصحابه منهم ابن أم مكتوم
فلم يلزم بسبب ذلك انه أولى
بالخلافة بعده * ومما يؤيد
مذهب أهل السنة في هذا
الحديث ان سياق هذا
القول خبر ولو كان
المراد به الاخبار بما سيقع
بعد الوفاة لوقع لا محالة كما
وقع كل ما أخبر صلى الله عليه
وسلم عن وقوعه فان خبره
صلى الله عليه وسلم عليه
حق وصدق وما ينطق عن
الهوى ان هو الا وحي يوحى
فلما لم يقع علم قطعا انه لم يرد
حصول ذلك بعد الوفاة ومن
الاحاديث الواردة في فضل
علي رضي الله عنه قوله صلى

وجد صلى الله عليه وسلم في نفسه بذلك خفة حتى قام كأنما نشط من عقال وأنزل الله عليه المعوذتين وهما احدى عشرة آية كلما قرأ آية انحلت عقدة وجعل جبريل عليه السلام يقول باسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك ثم انه صلى الله عليه وسلم احضر لبيدا فاعترف فعفا عنه لما اعتذر له بان الحامل له على ذلك حب الدنانير وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتلته فقال صلى الله عليه وسلم قد عافاني الله وما وراءه من عذاب الله أشد وفي رواية اما أنا فقد عافاني الله وكرهت أن أثير على الناس شرا وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن يهود كانوا يستفتحون أي يستنصرون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه أي يقولون سيبعث نبي صفته كذا وكذا نقتلكم معه قتل عاد وارم فبعد ان ظهر الاسلام بالمدينة قال لهم معاذ بن جبل و بشر بن البراء رضي الله عنهما يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل كفر وشرك وتخبرون أنه مبعوث وتصفونه لنا فقال سلام بن مشكم وهو من عظماء يهود بني النضير ما جاء بشئ نعرفه ما هو الذي كانذ كره لكم فانزل الله في ذلك ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين وكان مالك بن الصات من أحبار اليهود وكان يبغض النبي صلى الله عليه وسلم ويلبس على اليهود و أخذ منهم كثيرا من المال فحضر يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى عليه الصلاة والسلام هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من المال الذي تطعمك اليهود فغضب والتفت الى عمر رضي الله عنه وقال ما أنزل الله على بشر من شئ فكان هذا منه كفرا بنبينا صلى الله عليه وسلم و بموسى عليه السلام و بما أنزل عليه فقالت له اليهود ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه أغضبني فقلت ذلك فنزعوه من الرياسة وجعلوا مكانه كعب ابن الاشرف وأنزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى وأنزل أيضا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به و يروى أن يهود المدينة من بني قريظة والنضير وغيرهما كانوا اذا قاتلوا من يليهم من مشركي العرب أسد وغطفان و جهينة وغيرهم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يقولون اللهم انا نستنصرك بحق النبي الامي الذي وعدت انك باعثه في آخر الزمان الا نصرتنا عليهم وفي لفظ اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة فينصرون وفي لفظ يقولون اللهم ابعث النبي الذي نجد نعته في التوراة يعذبهم و يقتلهم وفي لفظ أن يهود خيبر كانت تقاتل غطفان وكلما التقوا هزمت يهود فدعت يوما اللهم انا نسألك بحق النبي الذي وعدت أن تخرجه لنا في آخر الزمان الا نصرتنا فنصرت فكانوا بعد ذلك اذا التقوا دعوا بهذا فيهزمون غطفان وممن كان من أحبار اليهود حريصا على رد الناس عن الاسلام شاس بن قيس اليهودي كان شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم مر يوما على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال قد اجتمع بنو قيلة والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر فتى شابا من اليهود فقال اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث أي يوم الحرب الذي كان بينهم وما كان فيه وأنشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل فتكلم القوم عند ذلك أي قال أحد الحيين قد قال شاعرنا كذا فرده عليه الآخرون وقالوا قد قال شاعرنا كذا وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة أي قالوا تعالوا نرد الحرب جذعا كما كانت فنادى هؤلاء يا آل الاوس ونادى هؤلاء يا آل الخزرج ثم خرجوا للحرب وقد أخذوا السلاح واصطفوا للقتال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن كان معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين الله الله اتقوا الله أبدعوى الجاهلية أي أتقتتلون بدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله الى الاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الاوس الرجال من الخزرج ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله في شاس بن قيس يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية وأنزل الله

الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وابغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار قال أئمة أهل السنة ان المراد من الحديث التنصيص على موالاة علي رضي الله عنه واجتناب بغضه لان التنصيص على ذلك أوفى بمزيد شرفه فالموالاة تكون بالمحبة والاتباع والقرب منه فهو كقوله تعالى ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا المعنى هو الذي فهمه من الحديث أكابر الصحابة رضي الله عنهم منهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وناهيك بهما فانهما لما سمعاه قالا له أمسيت يا ابن أبي طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة كما رواه الدارقطني وروى أيضا انه قيل لعمر انك

فى الانصار يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون وصار اليهود يسالون النبي صلى الله عليه وسلم عن أشياء تعنتا وحسدا و بغيا ليلبسوا الحق بالباطل فمن جملة ما سالوه صلى الله عليه وسلم عنه الروح فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت أمشى مع النبي صلى الله عليه وسلم فى المدينة وهو يتوكأ على عسيب النخل أى جريدة من جريد النخل اذ مر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض لا تسالوه لئلا يسمعكم ما تكرهون وفى رواية لئلا يستقبلكم بشئ تكرهونه اى يجيبكم بما هو دليل على انه النبي الامى وانتم تكرهون نبوته صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فقالوا يا أبا القاسم ما الروح وفى رواية أخبرنا عن الروح فسكت قال ابن مسعود فظننت أنه يوحى اليه فقال ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى فقالوا كذا نجد فى كتابنا التوراة وتقدم أن هذه الآية نزلت بمكة حين ساله كفار قريش عن أصحاب الكهف وذى القرنين والروح ولا مانع من تكرر نزولها حين ساله اليهود فلما سالوه سكت صلى الله عليه وسلم ينتظر هل يوحى اليه اجابتهم بشئ غير ما أجاب به كفار قريش بمكة أو بالجواب الاول بعينه فاوحى الله اليه الآية بعينها فقرأها عليهم فقالوا كذا نجد فى كتابنا وجاء يهوديان مرة الى النبي صلى الله عليه وسلم فسالاه عن قول الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لهما لا تشركوا بالله شيأ ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسرقوا ولا تسحروا ولا تمشوا ببرئ الى سلطان ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنة وعليكم يا يهود خاصة لا تعتدوا فى السبت فقبلا يديه ورجليه صلى الله عليه وسلم وقالا نشهد أنك نبى قال ما يمنعكما أن تسلما فقالا نخاف ان أسلمنا تقتلنا اليهود وهذا التفسير للتسع آيات لا ينافى أن بعضهم فسرها بالمعجزات التى أعطيها موسى عليه السلام وهى التسع المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والسنون ونقص الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم لان تلك آيات تتعلق بالتكليف والتوحيد وأصوله وترجع الى أمر الدين وهذه آيات تدل على صدق موسى عليه السلام ولا مانع من أن يراد الآيات الحسية والمعنوية الظاهرية والباطنية والله أعلم وقيل فى سبب نزول قول الله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام أن حبرين من أرض الشام لم يعلما ببعثه صلى الله عليه وسلم فقدما المدينة فقال أحدهما للآخر ما أشبه هذه بمدينة النبي الخارج فى آخر الزمان فاخبرا بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوده فى تلك المدينة فجاآ اليه فلما رأياه صلى الله عليه وسلم قالا له أنت محمد قال نعم قالا نسالك مسئلة ان أخبرتنا بها آمنا فقال اسالانى فقالا أخبرنا عن أعظم الشهادة فى كتاب الله تعالى فانزل الله تعالى شهد الله الآية فتلاها صلى الله عليه وسلم عليهما فآمنا وعن قتادة رضى الله عنه ان رهطا من اليهود جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا اخبرنا عن ربك من أى شئ خلق فغضب صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه فجاء جبريل وقال له خفض عليك وأنزل الله تعالى قل هو الله أحد الى آخر السورة أى هو متوحد فى صفات الجلال والكمال منزه عن الجسمية واجب الوجود لذاته أى اقتضت ذاته وجوده مستغن عن غيره وكل ما عداه محتاج اليه وقيل ان وفد نجران لما ناظروا بالتثليث تحاوروا مع المسلمين فقالوا لهم هل كان المسيح يأكل الطعام قالوا يأكل الطعام فانزل الله سورة الاخلاص ابطالا لالوهية عيسى عليه السلام لان الصمد هو الذى لا جوف له فهو غير محتاج الى الطعام وذكر السيوطى فى الاتقان ان سورة الاخلاص تكرر نزولها فنزلت جوابا للمشركين بمكة حين قالوا صف لنا ربك وجوابا لعبد الله بن سلام حين قال أنسب ربك يا محمد كما سيأتى فى خبر اسلامه وجوابا لاهل الكتاب بالمدينة فقد يتنزل الشئ مرتين تعظيما لشانه وتذكيرا له عند حدوث سببه خوف نسيانه وكان من أعلم أحبار اليهود عبد الله بن سلام بالتخفيف وكان قبل أن يسلم اسمه

تصنع بعلى شيأ يعنى من التعظيم لا تصنعه باحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه مولاى فليس قوله من كنت مولاه فعلى مولاه نصا على الامامة وكيف يكون نصا ولم يحتج به هو ولا العباس رضى الله عنهما ولا غيرهما فى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم لانعقاد الاجماع حتى من على رضى الله عنه على حقية خلافتهم فسكوت على رضى الله عنه عن الاحتجاج به قاض على من عنده أدنى فهم وعقل بان الحديث المذكور ليس نصا على تقدمه عليهم فى الخلافة وقاض بحقية خلافة الخلفاء الثلاثة مع ماتواتر عن على رضى الله عنه من الاعتراف بذلك كما تقدم * ويؤيد ذلك ما أخرجه أبو نعيم عن الحسن المثنى بن الحسن السبط

الحسين

الحصين فلما أسلم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان من ولد يوسف الصديق وقد أثنى الله تعالى عليه في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم وكان من يهود بني قينقاع جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع كلامه في أول يوم دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أبي أيوب والذي سمعه قوله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس أفشوا السلام وصلوا الارحام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام فعنه رضي الله عنه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل اليه الناس بالجيم أي أسرعوا فكنت ممن أتى اليه قال فلما رأيت وجهه عرفت أنه وجه غير كذاب أي لان صورته صلى الله عليه وسلم وهيئته وسمته تدل العقلاء على صدقه وأنه لا يقول الكذب قال عبد الله فسمعته يقول يا أيها الناس أفشوا السلام الخ وعند ذلك قلت أشهد أنك رسول الله حقا وأنك جئت بحق ثم رجعت الى أهل بيتي فأسلموا وكتمت اسلامي من اليهود ثم جئته صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب وقلت له لقد علمت اليهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فأخبئني يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا اني أسلمت فانهم قوم بهت بضم الباء والهاء يواجهون الانسان بالباطل وهم أعظم قوم عضهة أي كذبا وانهم ان يعلموا اني أسلمت قالوا فيّ ما ليس في وخذ عليهم ميثاقا اني ان اتبعتك وآمنت بك أن يؤمنوا بك وبكتابك الذي أنزل عليك فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون أني رسول الله حقا واني جئتكم بحق أسلموا قالوا ما نعلم فأعاد ذلك عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك قال فأي رجل فيكم ابن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا وفي رواية خيرنا وابن خيرنا قال أفرأيتم ان شهد أني رسول الله وآمن بالكتاب الذي أنزل علي أن تؤمنوا قالوا نعم فدعاه فقال يا ابن سلام أخرج عليهم فخرج عليهم فقال يا عبد الله بن سلام أما تعلم اني رسول الله تجدوني عندكم مكتوبا في التوراة والانجيل أخذ الله ميثاقكم أن يؤمن بي ويتبعني من أدركني منكم قال ابن سلام بلى يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون أنه رسول الله حقا وأنه جاء بالحق زاد في رواية انكم لتعلمون أنه رسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة اسمه وصفته فقالوا كذبت أنت أشرنا وابن أشرنا وهذه لغة رديئة جاءت الرواية بها والفصحى شرنا وابن شرنا قال ابن سلام هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله ألم أخبرك انهم قوم بهت أهل غدر وكذب فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأظهرت اسلامي وأنزل الله تعالى قوله قل أرأيتم ان كان من عند الله يعني الكتاب والرسول ثم كفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين وأنزل الله فيه آيات كثيرة بعد ذلك منها قوله تعالى من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل الآية وقوله تعالى كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين الآية وقوله تعالى أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل وغير ذلك من الآيات وفي الخصائص الكبرى للجلال السيوطي عن تاريخ الشام لابن عساكر أن ابن سلام اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بمكة قبل أن يهاجر فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن سلام عالم أهل يثرب قال نعم قال نشدتك بالذي أنزل التوراة على موسى هل في كتاب الله يعني التوراة صفتي قال انسب ربك يا محمد فتوقف صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل عليه السلام قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فقال ابن سلام أشهد أنك رسول الله وأن الله مظهرك ومظهر دينك على الاديان واني لأجد صفتك في كتاب الله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا أنت عبدي ورسولي الى آخر ما تقدم عن التوراة وهذا يدل على أن ابن سلام أسلم بمكة وكتم اسلامه ولكن قد يقال كيف قال فلما رأيت وجهه عرفت أنه غير وجه كذاب وكيف قال عرفت صفته واسمه وكيف أسلم ثانيا وأجيب بانه فعل ذلك ثانيا بالمدينة اقامة للحجة على اليهود وقد وقع لميمون بن يامين وكان رأس اليهود مثل

رضي الله عنهما انه قيل له ان قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه نص في امامة علي رضي الله عنه فقال اما والله لو يعني النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الامارة والسلطان لافصح لهم به فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أنصح الناس للمسلمين ولقال لهم يا أيها الناس هذا ولي أمري والقائم عليكم بعدي فاسمعوا له وأطيعوا اما كان من هذا شيء فوالله لئن كان الله ورسوله اختارا عليا لهذا الامر والقيام به للمسلمين من بعده ثم ترك علي أمر الله ورسوله ان يقوم به أو يعذر فيه للمسلمين لكان أعظم الناس خطيئة اذا ترك أمر الله ورسوله وحاشاه من ذلك وفي رواية عنه ولو كان الامر كما تقول وان الله اختار عليا للقيام على الناس لكان على أعظم الناس

ماوقع لابن سلام فانه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ابعث اليهم يعني اليهود واجعلني حكما فانهم يرجعون الى فادخله وخباه وأرسل اليهم فجاؤه فقال لهم اختاروا رجلا يكون حكما بيني وبينكم قالوا قد رضينا ميمون بن يامين فقال أخرج اليهم فخرج وقال أشهد أنه رسول الله فابوا أن يصدقوه وقد أشار الى انكارهم نبوته صلى الله عليه وسلم مع معرفتهم لها صاحب الهمزية بقوله

عرفوه وأنكروه وظلما * كتمته الشهادة الشهداء
أو نور الاله تطفئه الافواه وهو الذي به يستضاء
كيف يهدي الاله منهم قلوبا * حشوها من حبيبه البغضاء

وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم قال الله تعالى للاحبار من اليهود أوفوا بعهدي الذي أخذته في أعناقكم للنبي صلى الله عليه وسلم بان تصدقوه وتتبعوه أوف بعهدكم أنجز لكم ماوعدتكم عليه بوضع ما كان عليكم من الاصر والاغلال ولا تكونوا أول كافر به وعندكم فيه من العلم ماليس عند غيركم وتكتموا الحق وأنتم تعلمون اى لا تكتموا ماعندكم من المعرفة برسولي و بما جاء به وأنتم تجدونه فيما تعلمون من الكتب التي بايديكم وقد روى في سبب اظهار اسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه زيادة على ماتقدم أنه رضي الله عنه قال جاء رجل فاخبر بقدومه صلى الله عليه وسلم وأنا في رأس نخلة أعمل فيها وعمتي من تحتي جالسة فلما سمعت بقدومه صلى الله عليه وسلم كبرت فقالت لي عمتي لو كنت سمعت بموسى بن عمران مازدت على هذا فقلت لها أي عمتي فوالله هو أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به قالت يا ابن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع الساعة فقلت لها نعم قال ابن سلام وكنت عرفت صفته واسمه فكنت مسرا لذلك ساكتا عليه حتى قدم المدينة فجئته فقلت له انى سائلك عن ثلاث لايعلمهن الا نبي ما أول الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أخبرني بهن جبريل آنفا فقال ابن سلام ذاك يعني جبريل عدو اليهود من الملائكة لانه ينزل بالخسف والهلاك وقيل لانه يطلع النبي صلى الله عليه وسلم على سرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم أما أول الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله اهل الجنة فزيادة كبد الحوت اى وهي القطعة المعلقة بالكبد وهي في الطعم في غاية اللذة وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد اليه وان سبق ماء المرأة ماء الرجل ينزع الولد اليها وقد سأل علماء اليهود النبي صلى الله عليه وسلم عن اشياء كثيرة فاجابهم عنها منها انهم سالوه مرة فقالوا اخبرنا عن علامة النبي فقال تنام عيناه ولا ينام قلبه وسالوه اى طعام حرمه اسرائيل على نفسه قبل أن تنزل التوراة قال أنشدكم بالذي انزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام مرض مرضا شديدا وطال سقمه فنذر لئن شفاه الله تعالى من سقمه ليحرمن احب الشراب اليه وأحب الطعام اليه فكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه البانها قالوا اللهم نعم اى حرمهما على نفسه ومنعها من شهواتها وقيل لانه كان به عرق النسا وكان اذا طعم ذلك هاج به وذكر أن سبب نزول قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ماحرم اسرائيل على نفسه قول اليهود له صلى الله عليه وسلم كيف تقول انك على ملة ابراهيم وأنت تاكل لحوم الابل وتشرب ألبانها وكان ذلك محرما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فنحن أولى بابراهيم منك ومن غيرك فانزل الله تعالى الآية تكذيبا لهم بان هذا انما حرمه يعقوب على نفسه وهو متاخر عن ابراهيم ونوح فكيف يكون محرما عليهما ومن ثم جاء قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل من علماء اليهود أتشهد أني رسول الله قال لا قال أتقرأ التوراة قال نعم قال والانجيل قال نعم فناشده هل تجدني في التوراة والانجيل قال نجد مثالك ومثل مخرجك ومثل هيئتك فلما خرجت خفنا أن تكون أنت هو فنظرنا فاذا أنت لست هو قال ولم قال ذلك معه من أمته سبعون ألفا ليس عليهم حساب ولا عقاب وانما معك نفر يسير قال والذي نفسي بيده لانا هو وانهم لاكثر من سبعين ألفا وسبعين ألفا وسألته اليهود أيضا عن الرعد والبرق

خطيئة بان ترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقم به فقال الرجل ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه فقال الحسن اما والله لو عني به القيام على الناس والامرة لافصح عنه كما أفصح عن الصلاة والزكاة ولقال أيها الناس ان عليا ولي أمركم من بعدي والقائم في الناس بامري فلا تعصوه وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث وأدر الحق معه حيث دار فيه دلالة على عظم فضل علي رضي الله عنه وان الحق يدور معه حيث دار وليس فيه دليل على ابطال خلافة الخلفاء الثلاثة بل فيه دليل على حقيتها لان عليا رضي الله عنه كان معترفا بحقيتها ودائرا معها كما تواتر ذلك عنه فما زال الحق دائرا معه حيث دار وجاء عن النبي

فقال الرعد صوت ملك موكل بالسحاب والبرق سوط من نار في يده يزجر به السحاب الى حيث أمره الله تعالى
وقيل في سبب نزول قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها الآية أن اليهود أنكروا النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد
يأمر أصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه فنزلت وقالوا مرة اغاظة له صلى الله عليه وسلم
ما نرى لهذا الرجل همة الا في النساء والنكاح فلو كان نبيا كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء فأنزل الله تعالى
ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فقد جاء أن سليمان عليه السلام كان له مائة امرأة
وتسعمائة سرية وسألوه عن رجل زنى بامرأة بعد احصانه أى لانه شريف في خيبر زنى بشريفة وهما محصنان
فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قالوا لهم
ان هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه التعزير فاسألوه فسألوه صلى الله عليه وسلم فاجاب
بالرجم فلم يقبلوا ذلك فقال لجمع من علمائهم أنشدكم بالذى أنزل التوراة على موسى أما تجدون في التوراة
على من زنى بعد احصان الرجم فأنكروا ذلك فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم فاتوا بالتوراة
فاتلوها فاحضروا التوراة ووضع واحد منهم يده على تلك الآية فقال له ابن سلام ارفع يدك عنها فرفعها فاذا
فيها آية الرجم وجاء في بعض الروايات أن أحبار اليهود وهم كعب بن الاشرف وسعيد بن عمرو ومالك بن
الصلت اجتمعوا في بيت مدراسهم حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد زنى رجل من اليهود بعد
احصانه بامرأة محصنة من اليهود وقالوا ان أفتانا بالجلد أخذنا به واحتججنا بفتواه عند الله وقلنا فتيا نبي من
أنبيائك وان أفتانا بالرجم خالفناه لانا خالفنا التوراة فلا علينا من مخالفته وفي رواية الصحيحين عن ابن عمر
رضي الله عنهما أن اليهود جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا بعد
احصان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تجدون في التوراة قالوا نفضحهما بالسواد بان نسود
وجوههما ثم يحملان على حمار بن وجوههما من قبل أدبار الحمارين ويطاف بهما ويجلدان بحبل من ليف
مطلي بقار فقال عبد الله بن سلام كذبتم ان فيها آية الرجم فاتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده على
آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا فيها آية الرجم فقالوا
صدقت يا محمد فيها آية الرجم وفي رواية لما جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا يا أبا القاسم ما ترى في رجل
وامرأة زنيا بعد الاحصان فقال لهم ما تجدون في التوراة فقالوا دعنا من التوراة فقل ما عندك فافتاهم بالرجم
فانكروه فلم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى بيت مدراسهم فقام على الباب فقال يا معشر يهود
اخرجوا الى اعلمكم فاخرجوا له عبد الله بن صوريا وأبا ياسر بن اخطب ووهب بن يهودا فقالوا هؤلاء علماؤنا
فقال انشدكم بالله الذي انزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى بعد احصان فقالوا يحمم اى
يسود وجهه ويجنب فقال عبد الله بن سلام كذبتم فان فيها آية الرجم وفي رواية لما سألهم اجابوه الا شابا منهم
فانه سكت فالح عليه صلى الله عليه وسلم في النشدة فقال اللهم اذ نشدتنا فانا نجد في التوراة الرجم ولكن رأينا
انه ان زنى الشريف لا يرجم ولو وجبنا الوضيع دون الشريف كان من الحيف فاتفقنا على ما تقدم على
الشريف والوضيع وهو ما علمت يعني التعزير السابق فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أحكم
بما في التوراة وهذا الشاب هو عبد الله بن صوريا ويروى انه صلى الله عليه وسلم لما امرهم بالرجم ابوا ان
يأخذوا به فقال له جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال صلى الله عليه وسلم لهم هل تعرفون شابا أمرد أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم
وهو أعلم يهودي على وجه الارض بما أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام في التوراة ورضوا به حكما فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم أنشدك الله الذي لا اله الا هو الذي أنزل التوراة على موسى وفلق البحر ورفع
فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق فرعون وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى والذي أنزل
عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت
ان كذبته أن ينزل علينا العذاب وفي رواية قال في جوابه للنبي صلى الله عليه وسلم نعم والذي ذكرتني به لولا

صلى الله عليه وسلم أنه وصف عمر رضي الله عنه بذلك فقد أخرج أبو ذر الهروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر معي وانا مع عمر والحق بعدي مع عمر حيث كان ولم يقل أحد ان عمر أولى بالخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وانه يستحق التقديم على أبي بكر بهذا الحديث فاتضح انه لا دلالة في الحديث على أحقية الخلافة بل على عظيم فضل علي رضي الله عنه (وقال) بعض الشيعة ان الحديث يدل على العصمة فان أرادوا العصمة الثابتة للانبياء عليهم الصلاة والسلام فباطل وان أرادوا الحفظ مع جواز الوقوع فسلم اذ العصمة الحقيقية لا تكون الا للانبياء عليهم الصلاة والسلام (وقد أخرج) الحاكم وصححه عن علي رضي الله

خشية أن تحرقني التوراة ان كذبتك ما اعترفت لك ولكن كيف هو في كتابك يا محمد قال اذا شهد أربعة رهط عدول انه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فلينتأمل الجمع بين هذه الروايات على تقدير صحتها ويجاب بأنه يحتمل أن القضية تكررت وعلى تسليم أنها قضية واحدة لم تتكرر فيمكن أن مدة مراجعة النبي صلى الله عليه وسلم فيها طالت وأيامها اتسعت فحصل بينه وبين علماء اليهود تلك المخاطبات في مجالس متعددة فحصل في كل مجلس منها الكلام مع بعض منهم دون البعض الآخر واختلفت العبارات فكل من حفظ شيأ رواه فبعضهم يرويه بلفظه وبعضهم بمعناه وجاء في بعض الروايات أن ابن صوريا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء يعرفها من اعلام نبوته فأجابه عنها فلما تحققها قال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله النبي الامي وهذا مما يدل على اسلامه ومشى عليه السهيلي وجماعة وقال الحافظ ابن حجر لم أقف لعبد الله بن صوريا على اسلام من طريق صحيح والله أعلم ثم بعد تحقق الرجم في التوراة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائتوا بالشهود فجاؤا بأربعة فشهدوا أنهم رأوا ذكره في فرجها مثل الميل في المكحلة فأمر بهما فرجما عند باب المسجد قال ابن عمر رضي الله عنهما فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة فكان ذلك سبب النزول قوله تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور الآية ونزول ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون وما معها من الآيات وفيها فاولئك هم الكافرون واولئك هم الفاسقون وعن عمرو بن ميمون قال رأيت الرجم في الجاهلية في غير بني آدم كنت في اليمن في غنم لاهلي فجاء قرد ومعه قردة فتوسد يدها ونام فجاء قرد أصغر منه فغمزها فسلت يدها من تحت رأس القرد برفق وذهبت معه ثم جاءت فاستيقظ القرد فزعا فشمها فصاح فاجتمعت القردة فجعل يصيح ويومئ اليها بيده فذهبت القردة يمنة ويسرة فجاؤا بذلك القرد فحفروا لهما حفرة فرجوهما اورجمهما معهم قال بعضهم لو صح هذا لكانوا من الجن اذ التكاليف في الانس والجن دون غيرهما وقد ذكر غير واحد أن أحبار اليهود غيروا صفته صلى الله عليه وسلم التي في التوراة خوفا من انقطاع نفقتهم فانها كانت على عوامهم لقيام الاحبار بالتوراة فخافوا أن تؤمن عوامهم فتنقطع عنهم النفقة وكانوا يقولون لمن أسلم لا تنفقوا أموالكم على هؤلاء يعني المهاجرين فانا نخشى عليكم الفقر فانزل الله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله أي من العلم بصفة النبي صلى الله عليه وسلم التي يجدونها في كتابهم فقد كان في كتابهم أنه صلى الله عليه وسلم أكحل العين ربعة جعد الشعر حسن الوجه فمحوه وقالوا نجده طويلا أزرق العينين سبط الشعر وأخرجوا ذلك الى أتباعهم وقالوا هذا نعت النبي الذي يخرج في آخر الزمان وعند ذلك أنزل الله تعالى ان الذين يكتمون ما أنزل الله الآية وكان اليهود اذا كلموا النبي صلى الله عليه وسلم قالوا راعنا سمعك واسمع غير مسمع ويضحكون فيما بينهم لان ذلك سب قبيح بلسان اليهود فلما سمع المسلمون منهم ذلك ظنوا ان ذلك شئ كان أهل الكتاب يعظمون به انبياءهم فصار المسلمون يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ففطن سعد بن معاذ لليهود يوما وهم يضحكون فقال لهم يا أعداء الله لئن سمعنا من رجل منكم هذا بعد هذا المجلس لاضربن عنقه فانزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا وفي رواية أن اليهود لما سمعوا الصحابة رضي الله عنهم يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا ألقى عليهم شيأ يا رسول الله راعنا أي انظرنا وتأن علينا حتى نفهم وكانت هذه الكلمة عبرانية تتساب بها اليهود فلما سمعوا المسلمين يقولون له صلى الله عليه وسلم راعنا خاطبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم براعنا يعنون بذلك السبة ومن ثم لما سمع سعد بن معاذ ذلك من اليهود وقال لهم يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده ان سمعتها من رجل منكم يقولها للرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه بالسيف فقالوا له ألستم تقولونها أنتم فنزلت وجاء صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود باطفالهم فقالوا له يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب قال لا فقالوا والذي نحلف به مانحن الا كهيئتهم مامن ذنب نعمله بالنهار الا كفر عنا بالليل ومامن ذنب نعمله بالليل الا كفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم الآية وجاء أن جماعة من

عنه انه قال يهلك في محب مفرط يفرطني بما ليس في ومبغض مفتر يتهمني بما ليس في ثم قال وما أمرتكم بمعصية فلا طاعة لاحد في معصية الله تعالى فعلم به انه لم يثبت العصمة لنفسه ومما يدل لمذهب أهل السنة في ان الحديث السابق ليس نصا على الخلافة ان عليا رضي الله عنه لما سئل أعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهده اليك قال أما أن يكون عندي عهد من النبي صلى الله عليه وسلم عهده الي في ذلك فلا والله لئن كنت أول من صدقه فلا أكون أول من كذب عليه ولو كان عهد عندي في ذلك ماتركت أخا بني تيم بن مرة وعمر بن الخطاب يثبان على منبره ولقاتلتهما بيدي ولو لم أجد الا بردتي هذه الى آخر الحديث وقد تقدم بتمامه

أحبار اليهود منهم ابن صوريا قبل أن يسلم على ما تقدم وشاس بن قيس وكعب بن أسيد اجتمعوا وقالوا ابعث
الى محمد لعلنا نفتنه فى دينه فجاؤا اليه فقالوا يا محمد قد عرفت أنا أحبار اليهود وأشرافهم وان اتبعناك اتبعك
كل اليهود وبيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضى لنا عليهم فنؤمن بك فأبى ذلك وأنزل الله تعالى
وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم الآية وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رجل من
اليهود من التجار وفى رواية من النصارى بالمدينة فسمع المؤذن يقول اشهد أن محمدا رسول الله فقال أخزى الله
الكاذب وفى رواية أحرق الله الكاذب فدخلت خادمته بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فاحرقت
البيت واحترق هو وأهله ولما نزل قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال حيى بن أخطب
يستقرض منا ربنا وانما يستقرض الفقير الغنى فانزل الله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن
أغنياء وقيل فى سبب نزولها ان أبا بكر رضى الله عنه دخل بيت المدراس فقال لفنحاص بن عازوراء اتق الله
وأسلم فوالله انك لتعلم أن محمدا رسول الله فقال يا أبا بكر ما لنا الى الله من فقر وانه الينا الفقير فغضب أبو بكر رضى
الله عنه وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك فشكاه فنحاص
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له أبو بكر رضى الله عنه ما كان منه فانكر قوله ذلك فنزل لقد سمع الله
الآية وقيل فى سبب نزولها أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله عنه الى فنحاص بن
عازوراء بكتاب وكان قد انفرد بالعلم والسيادة على يهود بنى قينقاع بعد اسلام عبد الله بن سلام رضى الله عنه
يأمرهم فى ذلك الكتاب بالاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن يقرضوا الله قرضا حسنا فلما قرأ فنحاص
الكتاب قال قد احتاج ربكم سنمده وفى رواية قال يا أبا بكر تزعم ان ربنا يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا
الفقير من الغنى فان كان حقا ما تقول فان الله اذا الفقير ونحن أغنياء فضرب ابو بكر رضى الله عنه وجه فنحاص
ضربا شديدا وقال لقد هممت أن أضربه بالسيف وما منعنى أن أضربه بالسيف الا أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما دفع الى الكتاب قال لا تفتت على بشئ حتى ترجع الى فجاء فنحاص الى النبى صلى الله عليه
وسلم وشكا أبا بكر رضى الله عنه فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه ما حملك على ما صنعت قال
يا رسول الله انه قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم أغنياء فغضبت لله تعالى قال فنحاص والله ما قلت هذا
فنزلت الآية تصديقا لابى بكر رضى الله عنه وقد قال بعض اليهود لبعض العلماء انما قلنا ان الله فقير ونحن
أغنياء لانه استقرض أموالنا فقال له ان كان استقرضها لنفسه فهو فقير وان كان استقرضها للفقراء ثم
يكافئ عليها فهو الغنى الحميد وقد انضم الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج منافقون على دين آبائهم من
الشرك والتكذيب بالبعث الا أنهم دخلوا فى دين الاسلام تقية من القتل لما قهرهم الاسلام بظهوره واجتماع
قومهم عليه فكان هواهم مع اليهود فى السر وفى الظاهر مع المسلمين وهؤلاء هم المنافقون وقد ذكر بعضهم
أن المنافقين الذين كانوا على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ثلثمائة منهم الجلاس بن سويد بن الصامت وأنه
قال يوما ان كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمير فسمعها عمير بن سعد رضى الله عنه من جلاس وكان عمير
يتيما فى حجره ولا مال له وكان جلاس يكفله ويحسن اليه فجاء الجلاس ليلة فاستلقى على فراشه ثم قال لئن كان
ما يقوله محمد حقا فلنحن شر من الحمير فقال له عمير يا جلاس انك لاحب الناس الى وأحسنهم عندى يدا ولقد
قلت مقالة لئن رفعتها عليك لافضحنك ولئن صمت عليها أى أمسكت عنها لهلكن على دينى ولاحداهما أيسر
على من الاخرى فمشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له مقالة جلاس فارسل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى جلاس فحلف بالله لقد كذب على عمير وما قلت ما قال فقال عمير بن سعد لقد قلت فتب الى الله ولولا أن
ينزل القرآن فيجعلنى معك ما قلته وجاء أنه صلى الله عليه وسلم استحلف الجلاس عند المنبر فحلف أنه ما قال
واستحلف الراوى عنه فحلف لقد قال وقال اللهم انزل على نبيك تكذيب الكاذب وتصديق الصادق فقال
النبى صلى الله عليه وسلم آمين فنزل يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر الى قوله فان يتوبوا يك خيرا
لهم فاعترف الجلاس وتاب وقبل منه صلى الله عليه وسلم توبته وحسنت توبته ولم ينزع عن خير كان يفعله مع

(وأخرج) الامام أحمد عن
على رضى الله عنه انه قال
يوم الجمل لم يعهد الينا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عهدا
فنأخذ به فى الامان (وأخرج)
الامام أحمد أيضا والبزار انه
لما ضرب عبد الرحمن بن
ملجم عليا قالوا لعلى رضى
الله عنه استخلف علينا
فقال لا ولكن أترككم كما
ترككم رسول الله صلى الله
عليه وسلم (وأخرج) البزار
والدارقطنى عن على رضى
الله عنه ان النبى صلى الله
عليه وسلم قالوا له استخلف
فقال ان يعلم الله فيكم خيرا
يول عليكم خيركم قال على
رضى الله عنه فعلم الله فينا
خيرا فولى علينا أبا بكر
(وأخرج) مسلم عن على
رضى الله عنه انه قال من
زعم ان عندنا شيأ نقرؤه
الا كتاب الله وهذه الصحيفة
فيها أسنان الابل وشئ من
الجراحات فقد كذب فهذه

عمير فكان ذلك مما عرف به حسن توبته رضي الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم لعمير لقد وفت اذنك ومنهم
نبتل بن الحرث قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث
كان يجلس اليه صلى الله عليه وسلم ثم ينقل حديثه الى المنافقين وهو الذي قال لهم انما محمد أذن من حدثه
بشئ صدقه فانزل الله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل أذن خير لكم الآية وجاء جبريل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يجلس معك رجل صفته كذا ينقل الحديث الذي تحدثه به كبده أغلظ من
كبد الحمار وفي رواية ينقل حديثك للمنافقين ومنهم عبد الله بن أبي ابن سلول وهو رأس المنافقين ولاشتهاره
بالنفاق لم يعد في الصحابة وكان من أعظم أشراف أهل المدينة وكانوا قبل مجيئه صلى الله عليه وسلم قد نظموا له
الخرز ليتوجوه ثم يملكوه لان الانصار من آل قحطان ولم يتوج من العرب الا قحطان ولم يبق من الخرز الذي
يتوج به الا خرزة واحدة كانت عند شمعون اليهودي وقد جاء في بعض الروايات في حكاية انتقاله صلى الله عليه
وسلم من قباء الى المدينة أنه عرج على عبد الله بن ابي ابن سلول يريد النزول عنده فقال له وكان عبد الله جالسا
محتبيا فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم يريد النزول عنده قال اذهب الى الذين دعوك وانزل عليهم فقال له
سعد بن عبادة يا رسول الله لا تجد في نفسك من قوله فقد قدمت علينا والخزرج تريد أن تملكه فلما رد بالحق
الذي أعطاك الله شرق فذلك الذي فعل به ما رأيت فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع له في بعض
الايام أنه صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله لو أتيت عبد الله بن أبي ابن سلول أي تألفا له ليكون
ذلك سببا للاسلام من تخلف من قومه وليزول ما عنده من النفاق فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وركب
حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه فلما أتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال له اليك عني والله لقد آذاني نتن
حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله
رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والايدي والنعال فنزل وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما كذا في البخاري وفيه أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر
على عبد الله بن أبي ابن سلول في جماعة فقال لقد آذانا ابن أبي كبشة في هذه البلاد فسمعها ابنه عبد الله رضي
الله عنه فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه برأسه فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن بر أباك وكان
عبد الله بن أبي جميل الصورة ممتلئ الجسم فصيح اللسان وهو المعني بقوله تعالى واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم
الآية وعن الزهري قال أخبرني عروة عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركب حمارا على اكاف وأردف اسامة خلفه يعود سعد بن عبادة رضي الله عنه في بني الحرث من الخزرج قبل
وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبي ابن سلول وذلك قبل أن يسلم فاذا في المجلس أخلاط من المسلمين
والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فثار غبار من مشي الحمار فخمر ابن
أبي وجهه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزل ودعاهم الى الله تعالى وقرأ عليهم
القرآن فقال ابن أبي أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به في مجالسنا وارجع الى رحلك
فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به فانا نحب ذلك واستب المسلمون
والمشركون واليهود حتى كادوا يتبادرون القتال فلم يزل صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا ثم ركب
صلى الله عليه وسلم دابته حتى دخل على سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد
ألم تسمع ما قال أبو حباب يعني عبد الله بن أبي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف عنه
واصلح فو الذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل الله عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على
أن يتوجوه ويعصبوه بالعصابة فلما رد بالحق الذي أعطاك الله شرق فذلك الذي فعل به ما رأيت فعفا عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن أبي هذا رأس المنافقين وأبي أبوه وسلول أمه وقيل جدته أم أبيه
ومن نفاقه ما أخرجه الثعلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نزلت واذا لقوا الذين آمنوا الآية في عبد الله
ابن أبي وأصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن أبي انظروا كيف أرد

الاحاديث كلها عن علي رضي الله عنه تبطل ما زعمته الرافضة والشيعة من ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه وكتم الصحابة ذلك وتدل على ان الاحاديث المتقدمة في فضل علي رضي الله عنه ليس فيها النص على امامته ولو كان فيها ذلك لاحتج به وما تقدم من ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف يعني عند وفاته صراحة فلا ينافي الاحاديث المتقدمة التي فيها الاشارة لخلافة الصديق رضي الله عنه لانها كانت قبل وقت الوفاة (أخرج) البيهقي عن الشافعي رضي الله عنه قال ما من أهل الاهواء أشد بالزور من الرافضة وكان اذا ذكرهم عابهم أشد العيب وقال الامام أبو حنيفة رضي الله عنه أصل عقيدة الشيعة تضليل الصحابة

عنكم هؤلاء السفهاء فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه وقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ماخلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي رضي الله عنه اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله فقال له عبد الله مهلا يا أبا الحسن أتقول لي هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت الآية واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم الى آخر الآيات التي في المنافقين كلها فيه وفي أصحابه وهو الذي قال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز يعني نفسه وأصحابه منها الاذل يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وستأتي القصة ان شاء الله تعالى وبالجملة فقد لاقى صلى الله عليه وسلم من شدة الاذى الصادر من المنافقين واليهود بالمدينة شيأ كثيرا ولكنه بالنسبة لاذى أهل مكة كالعدم فانه كان بالمدينة في غاية العزة والمنعة والقوة من أول يوم وأذى اليهود غايته بالمجادلة والتعنت في السؤال كما قال تعالى لن يضروكم الا أذى وكان جبريل يأتيه بغالب الاجوبة لاسئلتهم ومع ذلك صبر في أول قدومه على شيء يسير من أذى اليهود والمنافقين ثم لما قوي بت شوكة الاسلام واشتد الجناح أذن له صلى الله عليه وسلم بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية غالبها بمكة كلها يامره فيها هو ومن معه بالصبر على الاذى ثم أنجز الله له وعده عملا بقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا

(باب مغازيه صلى الله عليه وسلم)

وأذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر صفر في السنة الثانية من الهجرة قال الزهري أول آية نزلت في الاذن بالقتال قوله تعالى أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير أخرجه النسائي باسناد صحيح عن عائشة رضي الله عنها وأخرج الامام أحمد والحاكم وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر رضي الله عنه أخرجوا نبيهم ليهلكن فنزلت اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما فهي أول آية نزلت في القتال وقيل قوله تعالى قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وقيل أول آية نزلت فيه ان الله اشترى من المؤمنين الآية كان الصحابة رضي الله عنهم يأتون النبي صلى الله عليه وسلم ما بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فاني لم أومر بالقتال حتى هاجر فاذن له بالقتال وحكمة تأخير الاذن بالقتال أنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا فلو أمر الله المسلمين وهم قليل بالقتال لشق عليهم فلما بغى المشركون وأخرجوه عليه السلام من بين أظهرهم وهموا بقتله واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه المهاجرون والانصار وقاموا بنصره وصارت المدينة دار اسلام ومعقلا يلجؤن اليه شرع الله جهاد الاعداء فبعث عليه السلام البعوث والسرايا وغزا بنفسه وقد جرت عادة المحدثين وأهل السير واصطلاحاتهم غالبا أن يسموا كل عسكر حضره النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة ومالم يحضره بل أرسل بعضا من أصحابه الى العدو سرية وبعثا وخرج بقولهم غالبا غير الغالب فانهم قد يسمون بعض السرايا غزوة كقولهم غزوة مؤتة وغزوة ذات السلاسل واستمر صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه يقاتلون حتى دخل الناس في دين الله أفواجا أفواجا وجاؤا بعد الفتح من أقطار الارض طائعين وكان عدد مغازيه التي غزا فيها بنفسه تسعا وعشرين وهي غزوة ودان غزوة بواط غزوة العشيرة غزوة سفوان وتسمى غزوة بدر الاولى غزوة بدر الكبرى غزوة بني سليم غزوة بني قينقاع غزوة السويق غزوة قرقرة الكدر غزوة غطفان وهي غزوة ذي أمر غزوة بحران بالحجاز غزوة أحد غزوة حمراء الاسد غزوة بني النضير غزوة ذات الرقاع وهي غزوة محارب وبني ثعلبة غزوة بدر الاخيرة وهي غزوة بدر الموعد غزوة دومة الجندل غزوة بني المصطلق ويقال لها

رضي الله عنهم ونبه على الشيعة لانهم أول فشا من الرافضة فاذا حكم على الشيعة بذلك فالرافضة من باب أولى وأكثر هذه الاحاديث والآثار تقدمت في بيان خلافة الصديق رضي الله عنه وأعيدت هنا لبيان رفع شبه الرافضة قاتلهم الله أنى يؤفكون * واذا وقفت على السبب في قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه تعلم صحة مذهب أهل السنة من الجماعة وان مراد النبي صلى الله عليه وسلم الحث على محبته واتباعه والقرب منه وليس قصده التنصيص على انه الخليفة من بعده وسبب قوله ذلك كما نقله الحافظ شمس الدين بن الجزري عن ابن اسحق ان عليا رضي الله عنه تكلم فيه بعض من كان معه باليمن لما بعثه النبي صلى الله عليه

المريسيع غزوة الخندق غزوة بني قريظة غزوة بني لحيان غزوة الحديبية غزوة ذي قرد بضمتين غزوة خيبر غزوة وادي القرى غزوة عمرة القضاء غزوة فتح مكة غزوة حنين والطائف غزوة تبوك وأما سراياه التي بعث فيها أصحابه فسبع وأربعون سرية وقيل تزيد على سبعين سرية وستاتي كلها مفصلة ان شاء الله تعالى قال العلامة الحلبي في السيرة لا يخفى انه صلى الله عليه وسلم مكث بضع عشرة سنة بمكة ينذر بالدعوة من غير قتال صابرا على شدة أذية العرب بمكة واليهود بالمدينة له ولأصحابه لأمر الله له بذلك أي بالانذار وبالصبر على الأذى والكف بقوله تعالى وأعرض عنهم وبقوله واصبر ووعده بالنصر والفتح ولما كثرت أتباعه صلى الله عليه وسلم وكانوا يقدمون محبته على محبة آبائهم وأبنائهم وأزواجهم وأصر المشركون على الكفر والتكذيب أذن له في القتال وقد ذكروا في سبب نزول قوله تعالى ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية ان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم عبد الرحمن بن عوف والمقداد بن الاسود وقدامة بن مظعون وسعد بن أبي وقاص كانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا بمكة فقالوا يا رسول الله كنا في عز ونحن مشركون فلما آمنا صرنا أذلة فأذن لنا في قتال هؤلاء فيقول لهم كفوا أيديكم عنهم فاني لم أومر بقتالهم فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وأمر بالقتال للمشركين كرهه بعضهم وشق عليه فأنزل الله ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم الآية وكانت الصحابة رضي الله عنهم بمكة وبعد أن هاجروا وقبل ان يؤذن لهم بالقتال في غاية من الحذر لان العرب رمتهم قاطبة عن قوس وتعرضوا لقتالهم من كل جانب حتى انهم أعني المسلمين كانوا لا يبيتون الا في السلاح ولا يصبحون الا فيه ويقولون ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف الا الله عز وجل فأنزل الله عليهم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيأ ثم أذن في القتال أي أبيح الابتداء به حتى لمن لم يقاتل لكن في غير الاشهر الحرم بقوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الآية ثم أمر به مطلقا بقوله تعالى قاتلوا المشركين كافة ثم استقر أمر الكفار معه صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام القسم الاول محاربون وهم الكفار المحاربون اذا كانوا ببلادهم يجب قتالهم على الكفاية في كل عام مرة والقسم الثاني أهل عهد وهم المؤمنون من غير عقد الجزية بأن صالحهم على أن لا يحاربوا ولا يظاهروا عليه عدوه وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم والقسم الثالث أهل ذمة وهم من عقدت لهم الجزية وزاد بعضهم من دخل في الاسلام تقية وهم المنافقون فانه أمر أن يقبل منهم علانيتهم ويكل سرائرهم الى الله تعالى فكان معرضا عنهم الا فيما يتعلق بشرائع الاسلام وأول ما بدأ به صلى الله عليه وسلم التعرض لعير قريش لاخذ ما فيها ليكون ذلك سببا لافتتاح القتال وليقوى قلوب أصحابه على القتال شيأ فشيأ ولينتفعوا بما يحصل لهم من الغنائم التي يغنمونها من تلك العير فيستعينوا بها * فكان أول بعوثه وسراياه صلى الله عليه وسلم ان بعث عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وكان في رمضان وقيل في ربيع الاول في السنة الثانية من الهجرة وأمره على ثلاثين رجلا من المهاجرين نخرجوا يعترضون عيرا لقريش جاءت من الشام تريد مكة اي يتعرضون لها ليغنموها من مقصدها باستيلائهم عليها وكان فيها أبو جهل لعنه الله في ثلاثمائة راكب وقيل في ثلاثين ومائة فلما بلغوا ساحل البحر من ناحية العيص التقوا وتصافوا للقتال ثم حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان مصالحا للفريقين فانصرف القوم بعضهم عن بعض ولم يكن بينهم قتال وقال النبي صلى الله عليه وسلم في مجدي هذا انه ميمون النقيبة مبارك الامر أو قال رشيد الامر ولما قدم رهط مجدي هذا على النبي صلى الله عليه وسلم كساهم ومجدي لم يعلم له اسلام ولم يذكره أحد في الصحابة مع أنه سعى في هذا الصلح المبارك وكان المسلمون فيه قليلين والكفار كثيرون وهو أول التقاء وقع بينهم ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم معهم فلربما أن المسلمين لم يثبتوا للكفار لكثرتهم عليهم فكان في هذا الصلح ستر للحال وبقاء لشوكة أهل الاسلام فلهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في مجدي انه ميمون

وسلم الى اليمن وجاء والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة لحجة الوداع فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم حجه خطب الناس وهو راجع الى المدينة بغدير خم وذكر فضل علي رضي الله عنه وعظم شأنه وقال من جملة خطبته من كنت مولاه فعلي مولاه الى آخر الحديث ليزجر بذلك من تكلم فيه ومنهم بريدة الاسلمي ففي صحيح البخاري انه كان يبغضه ثم تاب وسبب ذلك ما صححه الذهبي انه خرج معه الى اليمن فرأى منه جفوة فنقصه للنبي صلى الله عليه وسلم فجعل صلى الله عليه وسلم يتغير وجهه ويقول يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم قلت بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه ثم جمع الصحابة وخطبهم وكرر عليهم ألست أولى بكم من أنفسكم

النقيبة مبارك الأمر أو قال رشيد الامر وانما بعث النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السرية المهاجرين ولم يبعث معهم أحدا من الانصار بل أبقاهم حتى غزا بهم بدرا وهو معهم لانهم شرطوا له أن يمنعوه في دارهم ولم يذكر لهم وقت البيعة انهم يخرجون من دارهم حتى جاء الامر معهم بالتدريج ورضوا به وطابت به نفوسهم فقاتلوا معه خارج المدينة وقيل كان في هذه السرية جماعة من الانصار والله أعلم

(سرية عبيدة بن الحرث)

ابن المطلب بن عبد مناف المستشهد ببدر كما سياتي ان شاء الله وكانت الى بطن رابغ في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة في ستين رجلا وقيل في ثمانين رجلا من المهاجرين ليس فيهم أحد من الانصار يلاقي أبا سفيان بن حرب وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وقيل مكرز بن حفص العامري اختلف في صحبته وقيل عكرمة بن أبي جهل وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكانوا في مائتي رجل فلما التقوا لم يقع بينهم قتال الا ان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رمى بسهم فكان أول سهم رمي به في الاسلام وقيل انه نثر كنانته وتقدم امام أصحابه فرمى بما في كنانته وكان فيها عشرون سهما ما منها سهم الا ويجرح انسانا أو دابة ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين قوة وشوكة وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين لكنهما خرجا ليتوصلا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر من الهجرة في رمضان وبعث عبيدة على رأس ثمانية أشهر في شوال وقيل انه صلى الله عليه وسلم عقد رايتهما معا ثم تأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية لامر اقتضاه والله أعلم

(سرية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه)

وكانت الى الخرار بخاء معجمة وراءين الاولى منهما مشددة مفتوحة وهو واد في الحجاز يصب في الجحفة وكان ذلك في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر في عشرين رجلا من المهاجرين يعترض عير القريش فخرجوا على أقدامهم فوصلوا الخرار صبح خامسة من خروجهم من المدينة فوجدوا العير قد مرت بالامس فرجعوا ولم يلقوا كيدا

(وأول مغازيه التي خرج فيها بنفسه صلى الله عليه وسلم غزوة ودان)

قال الزهري في علم المغازي خير الدنيا والآخرة وقال زين العابدين بن الحسين بن علي رضي الله عنهم كنا نعلم مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن وعن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه كان أبي يعلمنا المغازي والسرايا ويقول يا بني انها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها واول غزوة خرج فيها صلى الله عليه وسلم غزوة ودان بفتح الواو وتشديد الدال وهي قرية جامعة من أعمال الفرع وبعضهم يسميها غزوة الابواء فمنهم من أضافها الى ودان ومنهم من أضافها الى الابواء لانهما متقاربان في وادي الفرع خرج صلى الله عليه وسلم اليها في صفر لاثنتي عشرة مضت منه على رأس اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة يريد عير القريش وبني ضمرة أي ويريد بني ضمرة وعبر بعضهم بقوله يريد قريشا وبني ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة وقيل لم يكن صلى الله عليه وسلم مريدا لهم بل مريدا للعير التي لقريش فقط فلما القى بني ضمرة عقد بينه وبينهم صلحا وكان خروجه صلى الله عليه وسلم في ستين راكبا من المهاجرين ليس فيهم أحد من الانصار فلم يدرك العير التي أراد وكانت المصالحة بينه وبين بني ضمرة على انهم لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا وان لهم النصر على من رامهم بسوء وانه اذا دعاهم لنصر أجابوه وعقد ذلك معه سيدهم مخشي بن عمرو الضمري وكتب بينهم كتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني ضمرة بانهم آمنون على أموالهم وأنفسهم وان لهم النصر على من رامهم أي قصدهم بسوء بشرط أن لا يحاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة وان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعاهم لنصر أجابوه عليهم بذلك ذمة الله ورسوله وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم أبيض وكان مع عمه حمزة رضي الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن عبادة رضي الله عنه وانصرف الى المدينة راجعا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وهذه أول غزواته صلى الله عليه وسلم

ثلاثا وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف ثم رفع يد علي رضي الله عنه وقال من كنت مولاه فعلي مولاه الى آخر الحديث فليس القصد من ذلك الاثر جوبغض علي رضي الله عنه واظهار فضله وحث الناس على محبته واتباعه والقرب منه ومما يدل على ذلك ما في صحيح البخاري أنه لما مرض النبي صلى الله عليه وسلم قال العباس لعلي رضي الله عنهما اذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسأله فيمن يكون هذا الامر فان كان فينا علمنا ذلك وان كان في غيرنا أمرناه فاوصى بنا فقال علي رضي الله عنه والله ان سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس أبدا فلو كان حديث من كنت مولاه نصا في الاستخلاف لما

(غزوة بواط)

بفتح الباء وضمها وتخفيف الواو آخره طاء جبل من جبال جهينة بقرب ينبع غزاها صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول وقيل الآخر على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة في مائتين من أصحابه المهاجرين يعترض عير التجار قريش عدتهم ألفان وخمسمائة بعير فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش فرجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا أي حربا وكان اللواء بيد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه واستعمل على المدينة سعد بن معاذ رضي الله عنه

(غزوة العشيرة)

بضم العين المهملة مصغرا و بالشين أو بالسين آخره هاء بخلاف غزوة العسرة فهي غزوة تبوك وأما هذه فنسبة لموضع لبني مدلج بينبع خرج اليها صلى الله عليه وسلم في جمادى الاولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة في خمسين ومائة رجل وقيل في مائتي رجل من المهاجرين ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها يريد عير قريش التي صدرت من مكة الى الشام بالتجارة وكانت قريش جمعت أموالها في تلك العير يقال ان فيها خمسين ألف دينار وألف بعير وكان قائد تلك العير أبا سفيان بن حرب ومعه سبعة وعشرون وقيل تسعة وثلاثون رجلا منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص رضي الله عنه فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت قبل ذلك بأيام وهي العير التي خرج اليها حين رجعت من الشام فكان بسببها وقعة بدر وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستعمل على المدينة أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومي رضي الله عنه وصالح صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة بني مدلج بن كنانة وحلفاءها بني ضمرة قال الواقدي ان هذه الغزوات الثلاث كان صلى الله عليه وسلم يخرج فيها يتلقى تجار قريش حين يمرون الى الشام ذهابا وايابا وبسبب ذلك كانت وقعة بدر وكذلك السرايا التي بعثها قبل بدر ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا

(غزوة بدر الاولى)

قال ابن اسحق ولما رجع عليه الصلاة والسلام من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالي حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة أي الابل والمواشي التي تسرح للمرعى بالغداة وكان كرز بن جابر من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب رضي الله عنه وأمر على سرية واستشهد في فتح مكة فخرج صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سفوان بفتح السين والفاء آخره نون موضع من ناحية بدر ففاته كرز بن جابر وتسمى بدر الاولى فرجع ولم يلق كيدا وكان اللواء بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه واستعمل على المدينة زيد بن حارثة رضي الله عنه

(سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش رضي الله عنه)

الاسدي أحد السابقين الى الاسلام واستشهد باحد رضي الله عنه روى أبو القاسم البغوي عن سعد بن أبي وقاص قال بعثنا صلى الله عليه وسلم في سرية قال لابعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش رضي الله عنه وسماه صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين فهو أول من تسمى في الاسلام به ولا ينافيه القول بان عمر رضي الله عنه أول من تسمى بامير المؤمنين لان المراد أول من تسمى بذلك من الخلفاء وكانت هذه الغزوة في رجب على رأس سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية من المهاجرين وقيل اثنا عشر الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة بين مكة والطائف وكان يعتقب كل اثنين منهم بعيرا وكتب له صلى الله عليه وسلم كتابا وأمره أن لا ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا فلما سار يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فقال سمعا وطاعة وأخبر أصحابه انه نهاه أن يستكره أحدا منهم ولم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى اذا كان بحران بفتح الباء وضمها أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان رضي الله عنهما بعيرهما الذي كانا يعتقبان عليه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله وأصحابه حتى نزلوا بنخلة يترصدون قريشا فمرت بهم عيرهم تحمل زبيبا وأدما أي جلودا وتجارة من تجارات قريش فيها عمرو بن

احتاجوا الى ذلك لقرب العهد جدا بيوم الغدير اذ بينهما نحو شهرين وتجويز النسيان بعيد على سائر الصحابة السامعين لخبر يوم الغدير مع قرب العهد وهم من هم في الحفظ والذكاء والفطنة وعدم التفريط والغفلة عما سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فالعاقل يجزم بادنى بديهة انهم لم يقع منهم نسيان ولا تفريط وبأنهم حال بيعتهم لابي بكر رضي الله عنه كانوا متذكرين لذلك الحديث وعالمين به وبمعناه مع انه صلى الله عليه وسلم خطب بعد يوم الغدير واعلن بحق أبي بكر رضي الله عنه فقد أخرج الطبراني عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال لما قدم صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس

الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان فنزلوا قريبا منهم فهابوهم فارشدهم عبد الله بن جحش الى ما يزيل رعبهم فحلق بعض أصحابه رأسه وأشرف عليهم فلما رأوهم آمنوا وقالوا عمار أى معتمرون لا بأس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاما فقتشاور المسلمون وقالوا نحن فى آخر يوم من رجب أوفى أول يوم من شعبان أى شكوا فى اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا فان قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام وان تركناهم دخلوا حرم مكة فامتنعوا به منا ثم شجعوا أنفسهم عليهم وأجمعوا على قتالهم أى قتل من قدروا عليه منهم فقتلوا عمرو بن الحضرمي رماه عبد الله بن واقد بسهم فقتله واستأسروا عثمان ابن عبد الله المخزومي والحكم بن كيسان وهرب من هرب واستاقوا العير فكانت أول غنيمة فى الاسلام وكان القتل أول قتل وقع نصرة للاسلام فقسمها عبد الله بن جحش رضى الله عنه بين أصحابه وعزل الخمس من ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم باجتهاد منه وقيل قدموا بالغنيمة كلها فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بعد غزوة بدر وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فسقط فى أيدى القوم وظنوا أنهم هلكوا وعنفهم اخوانهم فيما صنعوا وتكلمت قريش فقالوا ان محمدا سفك الدماء وأخذ المال فى الشهر الحرام وقالت اليهود تتفاءل بذلك عليه صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمي حضرت الحرب وواقد وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم وبعثت قريش تعير النبي صلى الله عليه وسلم بفعل أصحاب السرية فأنزل الله تعالى بعد ان أكثر الناس القول يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة يعنى الكفر أكبر من القتل فكان فى ذلك تأييد لما صدر من تلك السرية وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش رضى الله عنه

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة * وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد * وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله * لئلا يرى لله فى البيت ساجد
فانا وان عيرتمونا بقتله * وأرجف بالاسلام باغ وحاسد
سقينا من ابن الحضرمي رماحنا * بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما وابن عبد الله عثمان بيننا * ينازعه غل من القيد عاقد

وبعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسيرين وهما عثمان بن عبد الله المخزومي والحكم ابن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان المتخلفان فى طلب بعيرهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة بعدها بأيام فأما الحكم بن كيسان فاسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا ومن يضلل الله فلا هادى له * وفى شهر رجب هذا حولت القبلة الى الكعبة بعد ان كانوا يصلون الى بيت المقدس وفى شعبان فرض صيام رمضان ثم زكاة الفطر وأما زكاة المال فقيل فرضت فى هذا الشهر أيضا وقيل سنة تسع وقيل قبل الهجرة والله أعلم

(غزوة بدر الكبرى)

ويقال العظمى ويوم وقعة بدر هو يوم الفرقان المذكور فى قوله تعالى وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان لان الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وهو يوم البطشة الكبرى المذكور فى قوله تعالى يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فهو يوم أعز الله فيه الاسلام وقوى أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو فهو آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله مع ما كان العدو عليه من القوة بسوابغ الحديد والعدة الكاملة والخيل المسومة والخيلاء الزائدة أعز الله به رسوله وأظهر وحيه وتنزيله وبيض وجه النبي وقبيله وأخزى الشيطان وجيله ولهذا قال الله تعالى ممتنا على عباده المؤمنين وحزبه

أن أبا بكر لم يسؤنى قط فاعرفوا له ذلك أيها الناس انى راض عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن ابن عوف والمهاجرين الاولين فاعرفوا لهم ذلك وكان صلى الله عليه وسلم فى مرض موته يحث الناس على محبة أهل بيته واتباعهم ويقول أخلفونى فى أهل بيتى وتلك وصية لهم ولم يوص لهم بالخلافة بل اكتفى بالاشارات السابقة الدالة على انها لابى بكر رضى الله عنه (والحاصل) ان حمل الحديث على ما قاله أهل السنة والجماعة هو الحق الذى يجب اعتقاده وأما ما ذهب اليه الشيعة والرافضة من انه نص على امامة على رضى الله عنه فيلزم من حمله على ذلك مفسدة عظيمة وهى تكذيب النصوص التى

المتقين ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة أي قليل عددكم لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد والحاصل أن هذه الغزوة كانت أعظم غزوات الاسلام اذ منها كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق نوره ومن حين وقوعها أذل الله الكفار وأعز الله من حضرها من المسلمين فهو عند الله من الابرار فقد قال صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم وكان خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان على رأس تسعة عشر شهرا وخرجت معه الانصار ولم تكن قبل ذلك خرجت معه وكان عدة البدريين ثلثمائة وثلاثة عشر أو وأربعة عشر أو وخمسة عشر وسبب هذه الغزوة التعرض للعير التي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبها حتى بلغ العشيرة وجدها سبقته فلم يزل مترقبا قفولها أي رجوعها من الشأم فعند قفولها ندب المسلمين أي دعاهم وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها فانتدب ناس أي أجابوا وثقل آخرون لظنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرد حربا ولم يحتفل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أي لم يهتم بها بل قال من كان ظهره أي ما يركبه حاضرا فليركب معنا ولم ينتظر من كان ظهره غائبا عنه وكان أبو سفيان لقي رجلا فأخبره أنه صلى الله عليه وسلم قد كان عرض لعيره في بدايته وأنه ينتظر رجوع العير فلما رجع وقرب العير من أرض الحجاز صار يتجسس الاخبار ويبحث عنها ويسأل من لقي من الركبان تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع من بعض الركبان أنه صلى الله عليه وسلم استنفر أصحابه لك ولعيرك فخاف خوفا شديدا فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري بعشرين مثقالا ليأتي مكة وأن يجدع بعيره ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره اذا دخل مكة ويستنفر قريشا ويخبرهم أن محمدا قد عرض لعيرهم هو وأصحابه وكانت تلك العير فيها أموال قريش حتى قيل انه لم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا الا بعث به في تلك العير الا حويطب بن عبد العزى ويقال ان في تلك العير خمسين ألف دينار وألف بعير وتقدم أن قائدها أبو سفيان وكان معه مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص وكان جملة من معه سبعة وعشرين وقيل انها تسعة وثلاثون رجلا فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقبل أن يقدم بثلاث ليال رأت عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي مختلف في اسلامها رؤيا أفزعتها فبعثت الى أخيها العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقالت له يا أخي والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني أي اشتدت علي وتخوفت أن يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم عني ما أحدثك وفي رواية قالت له لن أحدثك حتى تعاهدني أن لا تذكرها فانهم ان سمعوها تعني كفار قريش آذونا وأسمعونا ما لا نحب فعاهدها العباس ثم قال لها ما رأيت قالت رأيت راكبا أقبل على بعير له حتى وقف بالابطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر الى مصارعكم في ثلاث أي بعد ثلاثة أيام وقوله يا آل غدر معناه يا أصحاب الغدر وعدم الوفاء قالت فأرى الناس اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله قالت رأيت بعيره مثل به أي انتصب به على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها ثم مثل به بعيره على رأس أبي قبيس فصرخ بمثلها ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى اذا كانت بأسفل الجبل ارفضت أي تكسرت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار الا دخلها منها فلقة فقال لها العباس والله ان هذه لرؤيا عظيمة وأنت فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقا له فذكرها له واستكتمه فذكرها الوليد لابيه فتحدث بها ففشا الحديث قال العباس فغدوت لاطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون برؤيا عاتكة فلما رآني أبو جهل قال يا أبا الفضل اذا فرغت من طوافك فأقبل الينا فلما فرغت أقبلت حتى جلست معهم فقال أبو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية قال قلت وما ذاك قال الرؤيا التي رأت عاتكة قلت وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم ان يتنبأ رجالكم حتى يتنبأ نساؤكم وفي رواية ما رضيتم يا بني هاشم بكذب الرجال حتى جئتمونا بكذب النساء ثم قال أبو جهل وقد زعمت عاتكة في رؤياها انه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فان يكن حقا ما تقول فسيكون وان تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شئ نكتب عليكم كتابا انكم

ثبت بها خلافة أبي بكر رضي الله عنه ونسبة الامة الى الاجتماع على الضلال واعتقاد خطأ جميع الصحابة على تولية أبي بكر رضي الله عنه وان عليا رضي الله عنه وافقهم على ذلك الخطا واجتماع الامة على الضلال منفي بقوله صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على ضلالة فما قاله أهل السنة في معنى الحديث يدفع هذه المحذورات وينفي الظلم والخطأ عن الجم الغفير المشهود لهم بالجنة وبأنهم كالنجوم وان من اقتدى بهم اهتدى خصوصا وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم بعده وشهد بالرفعة لمن أطاعهم وأخبر ان الدين يتم بهم الى غير ذلك مما تقدم من فضائلهم وما تدعيه الرافضة ان عليا رضي الله عنه ومن تابعه انما بايعوا تقية فذلك في غاية

أ كذب اهل بيت فى العرب قال العباس فوالله ما كان منى اليه كبير أمر الاانى جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيا وفى رواية أن العباس قال لابى جهل هل أنت منته يامصفر استه اى ياماون أو ياجبان فان الكذب فيك وفى أهل بيتك فقال من حضرهما ما كنت ياأبا الفضل جهولا ولا خرقا ثم ان العباس لقى من أخته عاتكة أذى شديدا حين أفشى من حديثها قال العباس فلما أمسيت لم تبق امرأة من بنى عبد المطلب الا أتتنى تقول لى أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع فى رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشئ مما سمعت فقلت لهن وأيم الله لاتعرضن له وان عاد فتلته فغدوت فى اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أرى انى قد فاتنى منه أمر أحب ان أدركه منه فدخلت المسجد فرأيته فوالله انى لامشى نحوه أتعرضه ليعود الى بعض ما قال فاوقع به اذ هو قد خرج نحو باب المسجد يشتد أى يعدو فقلت فى نفسى ماله لعنه الله أكل هذا الفرق أى الخوف منى فاذا هو يسمع مالم أسمع صوت ضمضم بن عمرو الغفارى وهو يصرخ ببطن الوادى واقفا على بعيره وقد جدع بعيره أى قطع أنفه وأذنه وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة أى أدركوا اللطيمة وهى العير التى تحمل الطيب والبز أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد فى أصحابه لا أرى أن تدركوها وفى لفظ ان أصابها محمد لن تفلحوا أبدا الغوث الغوث قال العباس فشغلنى عنه وشغله عنى ماجاء من الامر فتجهز الناس سراعا وفزعوا أشد الفزع وخافوا من رؤيا عاتكة وروى أنهم قالوا أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمى والله ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا وأعان قويهم ضعيفهم وقام أشراف قريش يحضون الناس على الخروج وقال سهيل بن عمرو أتاركون أنتم محمدا والصباة من أهل يثرب يأخذون أموالكم من أراد مالا فهذا مالى ومن أراد قوة فهذى قوتى ولم يتخلف من أشراف قريش الا أبو لهب خوفا من رؤيا عاتكة وكان يقول رؤيا عاتكة كاخذ بيد أى صادقة لا تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة استأجره باربعة آلاف درهم كانت له عليه دينا فافلس بها فقال له اخرج ودينى لك وهشام هذا قتل كافرا فى هذه الغزوة قتله عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأراد التخلف أمية بن خلف وكان شيخا جسيما ثقيلا فجاء اليه وهو جالس مع قومه عقبة بن أبى معيط بمجمرة فيها بخور يحملها حتى وضعها بين يديه ثم قال له ياأبا على استجمر فانما أنت من النساء فقال له قبحك الله وقبح ما جئت به وكان عقبة سفيها وكان أبو جهل هو الذى سلط عقبة على ذلك وجاء أبو جهل أمية بن خلف فقال له ياأباصفوان انك متى يراك الناس قد تخلفت وانت سيد أهل الوادى وفى رواية من أشراف الوادى تخلفوا معك فسر يوما او يومين فتجهز أمية مع الناس وسبب ارادته التخلف أن سعد بن معاذ قدم مكة معتمرا فنزل على امية لان امية كان اذا قدم المدينة للذهاب الى الشام فى تجارته ينزل على سعد فقال سعد لامية انظرلى ساعة لعلى اطوف بالبيت فقال امية لسعد اذا انتصف النهار فبينما سعد يطوف اذ اتاه ابو جهل فقال من هذا الذى يطوف فقال له سعد انا سعد بن معاذ فقال له ابو جهل اتطوف بالكعبة آمنا وقد آويتم محمدا واصحابه وفى لفظ آويتم الصباة وزعمتم انكم تنصرونهم وتعينونهم أما والله لولا انك مع ابى صفوان مارجعت الى اهلك سالما فتلاحيا اى تخاصما وسعد يرفع صوته فصار امية يقول لسعد لاترفع صوتك على ابى الحكم فانه سيد اهل الوادى وجعل يسكت سعدا فقال سعد لامية اليك عنى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه قاتلك قال اياى قال نعم قال بمكة قال سعد لا ادرى قال امية والله ما كذب محمد فكاد يحدث اى يبول فى ثيابه فزعا فرجع الى امرأته فقال ماتعلمين ماقال اخى اليثربى يعنى سعد بن معاذ قالت وماذاك قال زعم انه سمع محمدا يزعم انه قاتلى قالت والله ما كذب محمد فلما جاء الصريخ واراد الخروج قالت له امرأته اما علمت ماقال لك اخوك اليثربى قال فانى لااخرج فلما صمم على عدم الخروج بل اقسم بالله لايخرج من مكة اتاه عقبة بن ابى معيط بالمجمرة وقال له ابو جهل ماقال كما تقدم فخرج ناويا ان يرجع عنهم ومعنى كونه صلى الله عليه وسلم قاتله انه كان صلى الله عليه وسلم سببا فى قتله والا فهو صلى الله عليه وسلم لم يباشر الاقتل اخى امية وهو ابى بن خلف فى غزوة احد كما سيأتى ان شاء الله تعالى

الفساد كما تقدم ايضاحه بل يلزمهم قبحهم الله ان النبى صلى الله عليه وسلم انما أثنى على من أثنى عليه من الصحابة تقية وقد صرح بذلك بعضهم نعوذ بالله من هذا الضلال كيف يجترؤن على ذلك وقد قال تعالى وما ينطق عن الهوى ولامثال هذه المقالات الصادرة منهم جزم كثير من العلماء بتكفيرهم وقد صح عن سفيان الثورى رضى الله عنه انه قال من زعم ان عليا كان أحق بالولاية من من الشيخين فقد خطاهما والمهاجرين والانصار وما أراه يرفع له عمل مع هذا الى السماء نقل ذلك عنه النووى كما تقدم ثم قال النووى هذا كلام سفيان وقد كان حسن اعتقاد فى على رضى الله عنه بالمحل المعروف (وقد اختلق) الشيعة والرافضة أحاديث

ومن ثم جاء في رواية أن سعد بن معاذ قال لامية ان أصحابه يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقتلونك واستقسم
بالازلام جماعة فخرج لهم ما يكرهون منهم أمية بن خلف وعتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وزمعة بن الاسود وحكيم
ابن حزام فلما خرج لهم القدح الناهي المكتوب عليه لا تفعل أجمعوا على المقام وعدم الخروج فجاءهم أبو
جهل وأزعجهم وحثهم على الخروج وأعانه على ذلك عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحرث وروى أن عداسا
الذي اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم بالطائف وأسلم على يديه كما تقدم قال لسيديه عتبة وشيبة ابني ربيعة
بأبي وأمي أنتما والله ما تساقان الا لمصارعكما فأرادا عدم الخروج فلم يزل بهما أبو جهل حتى خرجا عازمين على
العود عن الجيش ولما فرغوا من جهازهم وكان ذلك في ثلاثة أيام وقيل في يومين وأجمعوا السير أي عزموا عليه
وكانوا خمسين وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا معهم من الخيل مائة عليها مائة درع سوى دروع المشاة وكان
حامل لوائهم السائب بن يزيد ثم أسلم رضي الله عنه وهو الاب الخامس للامام الشافعي رضي الله عنه وخرجوا
على الصعب والذلول لشدة اسراعهم ومعهم القيان وهن الاماء المغنيات يضربن بالدفوف يغنين بهجاء المسلمين
وهم في غاية من البطر والخيلاء حين خروجهم كما قال تعالى خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس
ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط وكان المطعمون لهذا الجيش اثني عشر رجلا كل واحد منهم
ينحر كل يوم عشر جزر وفيهم أنزل الله ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها
ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون وهؤلاء الاثنا عشر هم أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وحكيم بن حزام
والعباس بن عبد المطلب وأبو البختري وزمعة بن الاسود وأبي بن خلف وأمية بن خلف والنضر بن الحرث
ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وقيل الآية المذكورة نزلت في الذين انفقوا أموالهم لتجهيز الجيش الذي قاتلوا به
النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقيل في هؤلاء وهؤلاء ولما أرادوا الخروج من مكة كان بينهم وبين
كنانة دماء لان قريشا كانت قتلت شخصا من كنانة فرشاب وضيء من قريش بكنانة فقتلوه ثم ان أخا المقتول
ظفر بعامر سيد كنانة بمر الظهران فقتله وجاء بسيفه وعلقه باستار الكعبة فلما أصبحت قريش رأت سيف
عامر فعرفوه وعرفوا قاتله فكاد ذلك يصرفهم عن الخروج خوفا من كنانة لكون طريقهم في المسير عليهم
وخافوا ان يخلفوهم على ديارهم بشيء يكرهونه فجاءهم ابليس لعنه الله في صورة سراقة بن مالك المدلجي
الكناني وكان من أشراف بني كنانة وقال لهم انا لكم جار من ان يأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه
وخرج معهم ابليس ووعدهم ان بني كنانة قد أقبلوا لنصرهم وحسن لهم الامر وقربه لهم وهونه عليهم كما
قال تعالى واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم ثم بعد ان خرج
ضمضم الى أهل مكة اشتد حذر أبي سفيان فأخذ طريق الساحل وجد في السير حتى فات المسلمين فلما أمن
رسل الى قريش يأمرهم بالرجوع وكانوا حينئذ بالجحفة فامتنع أبو جهل وقال والله لا نرجع حتى نحضر بدرا
فنقيم فيه ثلاثة أيام وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان بالمعازف أي بالملاهي وتسمع
بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا وهذا هو الرياء الذي أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله خرجوا من
ديارهم بطرا ورئاء الناس ولما بلغ أبا سفيان كلام أبي جهل قال هذا بغي والبغي منقصة وشؤم لان القوم
انما خرجوا لنجاة أموالهم وقد نجاها الله تعالى ولما قال أبو جهل ما قال رجع من قريش بنو زهرة وكانوا نحو
المائة وقيل ثلثمائة فلذا قيل لم يقتل أحد منهم ببدر وقيل قتل منهم رجلان وكان قائد بني زهرة الاخنس بن
شريق الثقفي وكان حليفا لهم فقال لهم يا بني زهرة قد نجى الله أموالكم وخلص لكم صاحبكم مخرمة بن
نوفل فانه كان في العير وانما نفرتم لتمنعوه وماله فارجعوا فانه لا حاجة لكم أن تخرجوا في غير منفعة دعوا
ما يقول هذا يعني أبا جهل ثم خلا بأبي جهل وقال له أترى محمدا يكذب أصدقني ليس بيني وبينك أحد فقال
له أبو جهل ما كذب محمد قط كنا نسميه الامين لكن اذا كانت في بني عبد المطلب السقاية والرفادة والمشورة
ثم تكون فيهم النبوة فأي شيء يكون لنا ونحن معهم كفرسي رهان فرجع الاخنس ببني زهرة والاخنس
هذا اختلف في اسلامه والاكثرون على انه أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكان من المؤلفة ثم حسن اسلامه قبل

كلها كذب وزور واستدلوا
بها على صحة مذهبهم * منها
انهم زعموا ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لعلي رضي
الله عنه أنت أخي ووصيي
وخليفتي وانه قال للصحابة
سلموا على علي بامرة الناس
وأمثال هذه الالفاظ وكلها
كذب باطلة موضوعة مفتراة
عليه صلى الله عليه وسلم
ألا لعنة الله على الكاذبين
وأئمة الحديث كلهم مجمعون
على انها محض كذب
وافتراء فان زعم هؤلاء
الكذبة ان هذه الاحاديث
صحت عندهم قلنا لهم هذا
محال في العادة اذ كيف
تنفردون بعلم صحة ذلك مع
انكم لم تتصفوا قط برواية
ولا صحبة محدث فكيف
تعلمون ذلك وتجهله جهرة
الحديث وسماة الذين
افنوا اعمارهم في الاسفار
البعيدة لتحصيله وبذلوا
جهدهم في طلبه حتى جمعوا
الاحاديث ونقبوا عنها
وعلموا صحيحها من سقيمها

ان الاخنس جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاظهر الاسلام وقال الله يعلم انى لصادق ثم هرب بعد ذلك فمر بقوم من المسلمين فحرق زرعهم فنزل فيه ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا الى قوله ولبئس المهاد قال الحلبي نقلا عن الاصابة ولا مانع من انه أسلم ثم ارتد ثم أسلم ثم ان بنى هاشم أرادوا الرجوع فاشتد عليهم أبو جهل وقال لقريش لا تفارقنا هذه العصابة حتى نرجع ثم لم يزالوا سائرين حتى نزلوا بالعدوة القصوى قريبا من الماء وسيأتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بعيدا عن الماء أولا ثم انتقل وقرب منه ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة استعمل عليها والبا أبا لبابة بن عبد المنذر الاوسى رضى الله عنه واستعمل ابن أم مكتوم رضى الله عنه على الصلاة بالناس وخلف عاصم بن عدى رضى الله عنه على قباء وأهل العالية لشئ بلغه عن أهل مسجد الضرار وعقد صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه لمصعب بن عمير رضى الله عنه وكان امامه صلى الله عليه وسلم رايتان سودا وان احداهما مع على بن أبي طالب والاخرى مع سعد بن معاذ وقيل مع الحباب بن المنذر ثم ضرب عسكره ببئر أبي عنبة على ميل من المدينة فعرض أصحابه ورد من استصغر وتقدم ان عدة أصحابه البدريين ثلثمائة وثلاثة عشر أو وأربعة عشر أو وخمسة عشر وكان معهم سبعون بعيرا يعتقبونها وكان معهم من الخيل فرسان فرس لمرثد الغنوى وفرس للمقداد وقيل للزبير وقال بعضهم كان معهم خمسة أفراس فرسان له صلى الله عليه وسلم وفرس لمرثد وفرس للزبير وفرس للمقداد وتقدم أن قريشا عدتهم خمسون وتسعمائة وقيل كانوا ألفا وقادوا مائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة ولما عد صلى الله عليه وسلم أصحابه فوجدهم ثلثمائة وثلاثة عشر فرح وقال عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج لبس درعه ذات الفضول وتقلد بسيفه العضب ولما نظر الى أصحابه قال اللهم انهم حفاة فاحملهم وعراة فاكسهم وجياع فاشبعهم وعالة فاغنهم من فضلك فما رجع منهم أحد الا وله البعير والبعيران واكتسى من كان عاريا وأصابوا طعاما من أزواد قريش وأصابوا فداء الاسارى فاغتنى به كل عائل وسار صلى الله عليه وسلم حتى بلغ الروحاء وهو موضع به بئر على نحو أربعين ميلا من المدينة فاتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم وكان قد بعث صلى الله عليه وسلم رجلين يتجسسان أخبار عير أبي سفيان فمضيا حتى نزلا بدرا فاناخا الى تل قريب من الماء وأخذا يستقيان من الماء فسمعا جاريتين تقول احداهما لصاحبتها ان أتانى العير غدا أو بعد غد أعمل لهم أى أخدمهم ثم أقضيك الذى لك فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه بما سمعا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى طلب العير وفى حرب النفير أى القوم النافرين للحرب يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم خير أصحابه بين أن يذهبوا للعير أو الى محاربة النفير وأخبرهم عن قريش بمسيرهم وقال لهم ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريش وكانت العير أحب اليهم ليستعينوا بما فيها من الاموال على شراء الخيل والسلاح قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين وفى رواية استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال لهم ان القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول أى مسرعين فما تقولون العير أحب اليكم من النفير قالوا نعم أى قالت طائفة منهم العير أحب الينا من لقاء العدو وفى رواية هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير وفى رواية يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو أيوب وفى ذلك أنزل الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون الآية وروى أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما أقبلت عير لاهل مكة من الشام فخرج النبى صلى الله عليه وسلم يريدها فبلغ ذلك أهل مكة فاسرعوا اليها فسبقت العير المسلمين وكان الله وعدهم احدى الطائفتين وكانوا أن يلقوا العير أحب اليهم وأيسر شوكة وأحضر مغنما من أن يلقوا النفير وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم استشار الناس فتكلم المهاجرون فاحسنوا ثم استشارهم فقام أبو بكر فقال فاحسن أى جاء بكلام حسن ثم قام عمر فقال فاحسن روى ابن عقبة انه قال يا رسول الله انها قريش وعزها والله ما ذلت منذ عزت ولا

ودوّنوها فى كتبهم على غاية الاستيعاب ونهاية التحرير وعرفوا الاحاديث الموضوعة وواضع كل حديث وسبب وضعه الحامل لواضعه على الكذب والافتراء على نبيه صلى الله عليه وسلم فجزاهم الله خير الجزاء وأكمله اذ لولا حسن صنيعهم هذا لاستولى المبطلون والمتمردة المفسدون على الدين وغيروا معالمه وخلطوا الحق بكذبهم حتى لم يتميز عنه فضلوا واضلوا ضلالا مبينا لكن لما حفظ الله على نبيه صلى الله عليه وسلم شريعته من الزيغ والتبديل والتحريف جعل من أكابر أمته فى كل عصر طائفة على الحق لا يضرهم من خذلهم فلم يبال الدين بهؤلاء الكذبة البطلة الجهلة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم تركتكم على الواضحة البيضاء ليلها كنهارها ونهارها كليلها

أسلمت منذ كفرت والله لنقاتلنك فتاهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته ثم قام المقداد بن عمرو فقال يارسول
الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لانقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب أنت
وربك فقاتلا اناههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انامعكم مقاتلون وفي رواية ولكنا نقاتل عن
يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فوالذي بعثك بالحق لوسرت بنا برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا
أي ضاربنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعاله بخير قال ابن مسعود رضي الله عنه
في آخر قصة المقداد فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره يعني قوله وروى ابن أبي حاتم عن أبي
أيوب الانصاري رضي الله عنه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة انى أخبرت عن عير أبي
سفيان فهل لكم أن تخرجوا اليها لعل الله يغنمناها ويسلمنا قلنا نعم فخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال قد
أخبروا وأخبرنا فاستعدوا للقتال فقلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم فأعاد فقال المقداد لانقول لك كما قالت بنو
اسرائيل لموسى اناههنا قاعدون ولكن نقول انامعكما مقاتلون قال فتمنينا معشر الانصار لو أنا قلنا كما قال
المقداد وأنزل الله في ذلك كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ثم قال عليه
الصلاة والسلام ثالث مرة أيها الناس أشيروا علي وانما يريد الانصار لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يارسول
الله انا برآء من ذمامك أي من ضمانك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما
نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا وكان صلى الله عليه وسلم يخشى أن تكون الانصار لاترى وجوب نصرته
عليها الا من دهمه أي جاءه فجأة من العدو بالمدينة فقط وأن ليس عليهم ان يسير بهم من بلادهم الى عدو فلما
قال ذلك أي كرر قوله أشيروا على قال له سعد بن معاذ رضي الله عنه وهو سيد الاوس بل هو سيد الانصار قال
الزرقاني كان فيهم كالصديق رضي الله عنه في المهاجرين قال والله لكأنك تريدنا يارسول الله قال أجل أي
نعم قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودا ومواثيق على السمع
والطاعة فامض يارسول الله لما أمرت وفي رواية ولعلك تخشى أن تكون الانصار ترى أن لاينصروك الا في
ديارهم واني أقول عن الانصار وأجيب عنهم ولعلك يارسول الله خرجت لامر فاحدث الله غيره فامض لما
شئت وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من أموالنا ما شئت
واعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب الينا مما تركت وما أمرت به من أمر فامرنا تبع لامرك ولئن سرت
بنا حتى تبلغ برك الغماد لنسيرن معك وفي رواية فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه
معك ماتخلف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله أن يريك
منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله زاد في رواية ابن مردويه فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك
ولا نكون كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا اناههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا
معكما متبعون قال الحافظ ابن حجر المحفوظ أن هذا الكلام للمقداد وأن سعدا انما قال ماذكر عنه أولا
وروى مسلم أن سعد بن عبادة سيد الخزرج رضي الله عنه قال مثل ماقال سعد بن معاذ ولفظه عن أنس رضي
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استشار الناس حين بلغه اقبال أبي سفيان فتكلم أبو بكر فاعرض
عنه ثم تكلم عمر فاعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال ايانا تريد يارسول الله والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن
نخيضها البحر لاخضناها ولو أمرتنا أن نضرب أكبادنا الى برك الغماد لفعلنا قال في المواهب وانما يعرف
ذلك عن سعد بن معاذ قال الحافظ ابن حجر ويمكن الجمع بأنه صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين الاولى بالمدينة
أول ما بلغه خبر العير فتكلم سعد بن عبادة بما ذكر والثانية كانت بعد ان خرج فتكلم سعد بن معاذ وقال
الطبراني ان سعد بن عبادة انما قال ذلك يوم الحديبية واختلف في شهوده بدرا والله أعلم قال الزرقاني ان سعد
ابن عبادة كان يتهيأ للخروج الى بدر ويأتي دور الانصار ويحضهم على الخروج فنهش أي لدغته حية قبل أن
يخرج فاقام فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصا ثم ضرب له بسهمه وأجره
كما أن عثمان بن عفان رضي الله عنه تخلف لمرض زوجه رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فانها

لا يزيغ عنها الا هالك * ومن قبيح افترائهم انهم لما تحقق عندهم بالتواتر عن علي رضي الله عنه الاعتراف بفضل الشيخين وحقية خلافتهما وانهما خير الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم قالوا انما سكت عن النزاع في أمر الخلافة لان النبي صلى الله عليه وسلم أوصاه ان لا يوقع فتنة بعده ولا يسل سيفا وانه اعترف بذلك كله تقية * والجواب عن ذلك ان هذا منهم افتراء وكذب وحمق وجهالة مع عظيم الغباوة عما يترتب عليه اذ كيف يعقل هذا مع مازعموه انه جعله اماما واليا على الامة بعده فكيف يمنعه عن سل السيف على من امتنع من قبول الحق ولو كان مازعموه صحيحا لما سل علي رضي الله عنه السيف في حرب صفين وغيرها وقاتل هو بنفسه

كانت مريضة وجعل النبي له أجره ل وسهمه فهما معدودان من البدريين وان لم يحضرا ثم قال صلى الله عليه وسلم سيروا على بركة الله وأبشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين اما العير واما النفير أي وقد فاتت العير فلا بد من الطائفة الاخرى لان وعد الله لا يتخلف و يشير الى هذا قوله والله لكأني أنظر الآن الى مصارع القوم أي الذين يقتلون ببدر ولما وصلوا الى بدر أراهم صلى الله عليه وسلم مواضع مصارعهم روى مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم ليرينا مصارع أهل بدر و يقول ان هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله تعالى ويضع يده على الارض ههنا وههنا فما ماط أحدهم أي ما تنحى عن موضع يده عليه الصلاة والسلام فهو معجزة ظاهرة ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم من المكان الذي كان فيه وسار حتى نزل قريبا من بدر وبعث عليا والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم يتجسسون الاخبار فاصابوا راوية لقريش معها غلام لبنيه ومنبه ابني الحجاج وغلام لبني العاص فاتوا بهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي فقالوا لمن أنتما وظنوهما لابي سفيان فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم من الماء فضربوهما فلما أوجعوهما ضربا قالا نحن لابي سفيان فتركوهما فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من صلاته قال اذا صدقا كم ضربتموهما واذا كذبا كم تركتموها صدقا والله انهما لقريش ثم قال لهما أخبراني عن قريش فالا هم وراء هذا الكثيب أي التل من الرمل فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم فالا كثير وفي لفظ هم والله كثير عددهم شديد بأسهم قال ما عدتهم فالا لا ندري قال كم تنحرون أي من الجزر كل يوم فالا يوما تسعا ويوما عشرا فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة والالف ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش فالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد وزمعة بن الاسود وأبو جهل بن هشام والنضر بن الحرث وسهيل بن عمرو فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها أي قطع كبدها وكان نزول قريش بالعدوة القصوى والعدوة جانب الوادي وحافته والمكان المرتفع والقصوى البعدى من المدينة أي التي هي أبعد من الاخرى عن المدينة ونزل المسلمون على كثيب أعفر قيل المراد أحمر أو أبيض ليس بالشديد تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر فاحرزوه وحفروا القلب لانفسهم ليجعلوا فيها الماء من الآبار المعينة فيشربوا منها و يسقوا دوابهم ومع ذلك ألقى الله في قلوبهم الخوف حتى صاروا يضربون وجوه خيلهم اذا صهلت من شدة الخوف وألقى الله الامنة والنوم على المسلمين بحيث لم يقدروا على منعه وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب لانهم لما ناموا احتلم أكثرهم وأصابهم الظمأ وهم لا يصلون الى الماء لسبق المشركين اليه ووسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون محدثين مجنبين وما ينتظر أعداؤكم الا أن يقطع العطش رقابكم و يذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤا فأرسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشرب المسلمون واتخذوا الحياض على عدوة الوادي واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب وملؤا الاسقية وأطفأ المطر الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام والحوافر وزالت عنهم وسوسة الشيطان ورد الله كيده في نحره وطابت أنفسهم وضر ذلك بالمشركين لكون أرضهم كانت سهلة لينة وأصابهم ما لم يقدروا معه على الارتحال وقد أشار سبحانه وتعالى الى ذلك بقوله اذ يغشيكم النعاس أمنة منه و ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به و يذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم أي بالصبر على مجالدة العدو وبالوثوق على الطاف الله و يثبت به الاقدام حتى لا تسوخ في الرمل وعن علي رضي الله عنه أصابنا من الليل طش من مطر فانطلقنا تحت الشجر والجحف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه وفي رواية يصلي تحت شجرة و يكثر في سجوده ياحي ياقيوم يكرر ذلك حتى أصبح قال قتادة كان النعاس يوم بدر و يوم أحد وكان كله أمنة لكنه في بدر كان ليلا قبل القتال وفي أحد كان وقت القتال قال ابن مسعود النعاس في مصاف القتال من الايمان والنعاس في الصلاة من النفاق لانه في الاول يدل على ثبات الجنان وفي الثاني يدل على عدم الاهتمام بالصلاة

وأهل بيته وجالدوا بارز الالوف منهم وحده أعاذه الله من مخالفة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا فكيف يتعقلون أنه صلى الله عليه وسلم يوصيه بعدم سل السيف على من يزعمون فيهم انهم تجاهروا بأقبح انواع الكفر مع ما أوجب الله تعالى من جهاد مثلهم وقد تقدم هذا كله بابسط من هذا وأعيد بعضه هنا لابطال هذه الشبهة التي لبسوا بها على عوامهم وجهالهم ولا يلتفت لمقالتهم هذه الاعبد أضله الله وخذله فباء بعظائم الخسار والبوار وأحله الله تعالى جهنم وبئس القرار فنسأل الله السلامة من ذلك * ومن قبيح افترائهم انهم يلقون الى عوامهم ان كل من اعتقد تفضيل أبي بكر على علي رضي الله عنهما كان كافرا ومرادهم بذلك ان

قال علي رضي الله عنه فلما أن طلع الفجر نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عباد الله فجاء الناس من تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خطب وحض على القتال فقال في خطبته فقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه أما بعد فاني أحثكم على ما حثكم الله عليه الى ان قال وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به الهم وينجي به من الغم الحديث وقال ابن اسحق في حكاية وقعة بدر فخرج صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به فقال الحباب بن المنذر بن الجموح رضي الله عنه يا رسول الله هذا منزل أنزلكه الله تعالى لا نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فاني أعرف غزارة مائه فننزل به ثم نغور ما وراءه من القلب أي ندفنها ونفسدها عليهم ثم نبني عليه أي على ذلك الماء الذي ننزل عليه حوضا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون فقال صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأي وفي رواية فنزل جبريل فقال الرأي ما أشار به الحباب فنهض صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية وفي رواية ثم نهض المسلمون الى أعدائهم فغلبوهم على الماء وأغاروا القلب التي كانت تلي العدو فعطش الكفار وجاء النصر وهذا كله انما حصل بعد اشارة الحباب رضي الله عنه وكان مع قريش رجل من بني المطلب بن عبد مناف يقال له جهم بن الصلت أسلم عام خيبر رضي الله عنه وضع رأسه بعد ان نزل القوم ببدر فأغفى ثم قام فزعا فقال لاصحابه هل رأيتم الفارس الذي وقف علي آنفا قالوا لا قال وقف علي فارس وقال قتل أبو جهل وعتبة وشيبة وزمعة وأبو البختري وأمية بن خلف وفلان وفلان وعد رجالا من أشراف قريش ممن قتل يوم بدر وقال أسر سهيل بن عمرو وفلان وفلان وعد رجالا ممن أسر قال ثم رأيت ذلك الفارس ضرب في لبة بعيره أي نحره ثم أرسله في العسكر فما من خباء من أخبية العسكر الا أصابه من دمه فقال له أصحابه انما لعب بك الشيطان ولما شاعت هذه الرؤيا في العسكر وبلغت أبا جهل قال جئتم بكذب بني المطلب مع كذب بني هاشم سيرون غدا من يقتل وفي لفظ آخر قال أبو جهل هذا نبي آخر من بني المطلب سيعلم غدا من المقتول نحن أم محمد وأصحابه ولما خرجوا من مكة كان أول من نحر لهم أبو جهل نحر لهم بمر الظهران عشر جزائر وكانت جزور منها بعد ان نحرت بها حياة فجالت في العسكر فما بقي خباء من أخبية العرب الا أصابه من دمها ومن ذلك المحل رجع بنو عدي تفاؤلا بذلك وبعد ان استقر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم بالموضع الذي أشار به الحباب قال سعد بن معاذ رضي الله عنه يا رسول الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه وندع عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله وأظهرنا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا انك تلقى حربا ما تخلفوا عنك يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فأثنى عليه صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير وقال يقضي الله خيرا من ذلك يا سعد أي وهو نصرهم وظهورهم ثم بني له ذلك العريش فوق تل مشرف على المعركة وكان صلى الله عليه وسلم فيه وأبو بكر رضي الله عنه وعن علي رضي الله عنه أنه قال أخبروني من أشجع الناس قالوا أنت قال أشجع الناس أبو بكر رضي الله عنه لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا من يكون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لئلا يهوي اليه أحد من المشركين فكان أبو بكر رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ما دنا منا أحد الا وأبو بكر رضي الله عنه شاهر بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يهوي أحد اليه الا أهوى اليه أبو بكر رضي الله عنه وجاء انه لما التحم القتال وقف أيضا على باب العريش سعد بن معاذ رضي الله عنه وجماعة من الانصار ومما يستدل به على شجاعة الصديق رضي الله عنه أيضا ثبوته يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقتاله أهل الردة وغير ذلك والعريش شئ يشبه الخيمة يستظل به فبني له صلى الله عليه وسلم قال السيد السمهودي ومكانه عند مسجد بدر وهو معروف عند النخيل والعين قريبة منه ثم لما أصبحوا عدل النبي صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه وأقبلت قريش ورآها صلى الله

يقررواعندهم تكفير الامة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة الدين وعلماء الشريعة وعوامهم وأنه لا مؤمن غيرهم وهذا يؤد الى هدم قواعد الشريعة والغاء العمل بكتب السنة وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن صحابته وأهل بيته اذ الراوي لجميع آثارهم واخبارهم باسرها بل والناقل للقرآن هم الصحابة والتابعون وعلماء الدين اذ ليس لنحو الرافضة رواية ولا دراية يدرون بها أصول الشريعة وفروعها فاذا قدحوا في الصحابة والتابعين وعلماء الدين قدحوا في القرآن والسنة وأبطلوا الشريعة رأسا وصار الامر كما في زمن الجاهلية الجهلاء فلعنة الله وأليم عقابه وعظيم نقمته على من يفتري على الله ونبيه

عليه وسلم وقال اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى ولما اطمأنت قريش أرسلوا عمير بن وهب الجمحى وكان كافرا ثم أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وقالوا احزر لنا أصحاب محمد أى انظر عدتهم فجال بفرسه حول عسكر النبى صلى الله عليه وسلم ثم رجع اليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون أو ينقصون قليلا ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد فذهب فى الوادى حتى أبعد ثم رجع اليهم وقال ما رأيت شيأ ولكن قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا رجال يثرب تحمل الموت الناقع الا تروهم خرسا لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الافاعى لا يريدون أن ينقلبوا الى أهليهم زرق العيون كأنهم الحصى تحت الجحف قوم ليس لهم منعة الا سيوفهم والله ما نرى ان نقتل منهم رجلا حتى يقتل رجل منكم فاذا أصابوا منكم عدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى فى الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال يا أبا الوليد انك كبير قريش وسيدها والمطاع فيها هل لك ان تذكر بخير الى آخر الدهر فقال وما ذاك يا حكيم قال ترجع بالناس وفى رواية قال له حكيم تجير بين الناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمى أى الذى قتله واقد بن عبد الله فى سرية عبد الله بن جحش الى نخلة وتحمل ما أصاب محمد من تلك العير فانهم لا يطلبون من محمد الا ذلك فقال عتبة نعم قد فعلت هو حليفى فعلىّ عقله أى ديته وعلىّ ما أصيب من المال ونعم ما قلت يا حكيم ونعم ما دعوت اليه فركب عتبة جملا له أحمر وصار يجول فى صفوف قريش يقول يا قوم أطيعونى فانكم لا تطلبون غير دم ابن الحضرمى وما أخذ فى العير وقد تحملت ذلك ثم قال أنشدكم الله فى الوجوه التى تضىء ضياء المصابيح يعنى قريشا أن تجعلوها أندادا لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات يعنى الانصار وقد رآه النبى صلى الله عليه وسلم فى القوم وهو على جمله فقال ان يكن فى أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الاحمر ان يطيعوه يرشدوا وذكر ابن اسحق ان عتبة قام خطيبا فقال يا معشر قريش والله ما تصنعون شيأ أن تلقوا محمدا وأصحابه والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر فى وجه رجل يكره النظر اليه قد قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فان أصابه غيركم فذاك الذى أردتم وان كان غير ذلك ألفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون يا قوم اعصبوها اليوم برأسى أى اجعلوا عارها متعلقا بى وقولوا جبن عتبة وأنتم تعلمون أنى لست بأجبنكم ثم قال عتبة لحكيم انطلق لابن الحنظلية واخبره يعنى أبا جهل قال حكيم فانطلقت فوجدت أبا جهل قد نثل درعا له من جرابها أى أخرجها فقلت يا أبا الحكم ان عتبة أرسلنى اليك بكذا وكذا فقال انتفخ سحره وهى كلمة تقال للجبان ثم جاء أبو جهل لعتبة وقال له لو غيرك يقول هذا لاعضضته بظر أمه والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وفى رواية وأرسل بذلك حكيم بن حزام الى أبى جهل فأخبره فقال والله ما بعتبة ما قال ولكنه رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه يعنى أبا حذيفة بن عتبة رضى الله عنه فانه كان مع النبى صلى الله عليه وسلم ومن السابقين فى الاسلام فتخوفكم عليه ثم أفسد أبو جهل على الناس رأى عتبة وبعث الى عامر بن الحضرمى وقال له هذا حليفك يريد الرجوع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد مقتل أخيك فقام عامر وكشف استه وحثا التراب على رأسه وصرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب وتهيؤا للقتال والشيطان معهم لا يفارقهم فى صورة سراقة يقول لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فخرج الاسود المخزومى وكان شرسا سيئ الخلق فقال اعاهد الله لاشربن من حوضهم أو لاهدمنه أو لاموتن دونه فلما أقبل قصده حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دما ثم اقتحم الحوض زاعما أن تبر يمينه فقتله حمزة فى الحوض والاسود هذا هو الاسود بن عبد الاسد المخزومى أخو عبد الله بن عبد الاسد المخزومى رضى الله عنه زوج أم سلمة رضى الله عنها والاسود أول قتيل قتل يوم بدر من المشركين وهو أول من يأخذ كتابه بشماله يوم القيامة وأما أخوه عبد الله بن عبد الاسد فهو أول من يأخذ كتابه بيمينه كما جاء ذلك فى أحاديث متعددة ثم ان عتبة بن ربيعة التمس بيضة أى خوذة يدخلها فى رأسه فما وجد فى الجيش بيضة تسع رأسه لعظمها فاعتجر ببرد له أى تعمم به ثم خرج بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة حتى انفصل من الصف ودعا الى المبارزة

مما يؤدى الى ابطال ملته وهدم شريعته * وانظر الى انصاف أهل السنة والجماعة حيث اثبتوا جميع النصوص الصحيحة الواردة فى فضل الصحابة رضى الله عنهم وأهل البيت ولم يكذبوا بشئ من الآيات ولا الاحاديث الدالة على الثناء عليهم والتمسوا لها أحسن المحامل والتأويلات ولم يبطلوا أشياء منها وأحبوهم وأهل البيت جميعا ولم ينتقصوا أحدا منهم وعرفوا لكل واحد منهم فضله فرضى الله عنهم أجمعين وجزاهم عن نبيه صلى الله عليه وسلم وعن الاسلام والمسلمين خيرا فنسأل الله ان يحيينا ويميتنا على محبتهم وان يحشرنا فى زمرتهم (واعلم) ان الذى أطبق عليه عظماء الملة وعلماؤها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من

فخرج اليه فتية من الانصار وهم عوف ومعاذ ابنا الحرث الانصاريان النجاريان وأمهما عفراء بنت عبيد بن ثعلبة الانصارية وعبد الله بن رواحة الانصاري رضي الله عنهم فقال عتبة ومن معه لهم من أنتم قالوا رهط من الانصار قالوا مالنا بكم من حاجة أكفاء كرام انما نريد قومنا ثم نادى مناديهم يامحمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فنادى لهم أن ارجعوا الى مصافكم وليقم اليهم بنو عمهم ثم قال صلى الله عليه وسلم قم ياعبيدة بن الحرث قم ياحمزة قم ياعلي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم لانهم كانوا متلثمين لما خرجوا فسموا لهم قال ابن اسحق فقال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال علي علي قالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم المسلمين عتبة وكان أسن الثلاثة وبارز حمزة شيبة هذه رواية ابن اسحق وأما رواية موسى بن عقبة فقال فبارز حمزة عتبة وعبيدة شيبة وربما بعضهم واتفقوا على أن عليا برز للوليد فقتل علي الوليد وقتل حمزة عتبة واختلف عبيدة وشيبة بضربتين كلاهما أثخن صاحبه فكر حمزة وعلي بأسيافهما على شيبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه الى أصحابه وكانت الضربة التي أصابت عبيدة في ركبته فمات منها لما رجعوا بالصفراء وقبره معروف بين الصفراء والجراء ولما احتملوا عبيدة جاؤا به الى النبي صلى الله عليه وسلم ومخ ساقه يسيل وأضجعوه الى جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه الشريف فوضع خده عليها وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد انك شهيد بعد ان قال له عبيدة ألست شهيدا وفي رواية انه قال أشهيد أنا يارسول الله قال نعم قال وددت والله ان أباطالب كان حيا ليعلم انا أحق منه بقوله

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم أنشأ يقول

فان يقطعوا رجلي فاني مسلم * أرجي به عيشا من الله عاليا
وألبسني الرحمن من فضل منه * لباسا من الاسلام غطى المساويا

وفي هذه القصة فضيلة ظاهرة لحمزة وعبيدة وعلي رضي الله عنهم وعبيدة هذا هو عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب ابن عبد مناف قال أبوذر رضي الله عنه ان قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم نزلت في الذين برزوا يوم بدر وذكر هؤلاء الستة وعن علي رضي الله عنه قال أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة فينا نزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم وكان من حكمة الله تعالى ان جعل المسلمين قبل أن يلتحم القتال في أعين المشركين قليلا استدراجا لهم ليقدموا ولما التحم القتال جعلهم في أعين المشركين كثيرا ليحصل لهم الرعب والوهن وجعل الله المشركين عند التحام القتال في أعين المسلمين قليلا ليقوى جأشهم على مقاتلتهم ومن ثم جاء عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال لقد قللوا في أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل أتراهم سبعين قال أراهم مائة وأنزل الله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ومن ثم قال تعالى قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين أي يرى أولئك الكفار المؤمنين مثليهم رأي العين وقد ذكروا أن قباث بن أشيم كان مع المشركين ثم أسلم رضي الله عنه قال في نفسه يوم بدر لو خرجت نساء مكة بأكمتها ردت محمدا وأصحابه وعنه رضي الله عنه قال لما أسلمت بعد الخندق فسألت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هو ذاك في المسجد مع ملأ من أصحابه فأتيته وأنا لا أعرفه من بينهم فسلمت عليه فقال ياقباث أنت القائل يوم بدر لو خرجت نساء قريش بأكمتها ردت محمدا وأصحابه قال قباث والذي بعثك بالحق ما تحدث به لساني ولا ترفرفت به شفتاي ولا سمعه مني أحد وماهو الا شيء هجس في قلبي أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وان ماجئت به هو الحق وحينئذ يكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم أنت القائل أي في نفسك فيكون اطلاعه على ذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحق لما قتل المبارزون خرج صلى الله عليه وسلم من العريش لتعديل الصفوف فعدلهم بقدح في يده أي سهم لانصل فيه ولا ريش فمر صلى الله عليه وسلم بسواد بن غزية حليف بني النجار وهو خارج من الصف فطعنه صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح وقال استو ياسواد فقال يارسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني أي مكني من القود أي القصاص من نفسك

أهل السنة ان أفضل هذه الامة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم اختلفوا في التفاضل بين عثمان وعلي رضي الله عنهما فالاكثرون ومنهم الامام أبو حنيفة والشافعي وأحمد وهو المشهور عن مالك أن الافضل بعدهما عثمان ثم علي وفي رواية عن مالك تقديم علي على عثمان وفي رواية الوقف قال القاضي عياض ان الامام مالكا رجع الى تفضيل عثمان قال القرطبي وهو الاصح قال العلامة ابن حجر في الصواعق فالخلاف انما هو بين عثمان وعلي وأما تقديم أبي بكر وعمر على الجميع فاجماع من الصحابة والتابعين وقد حكى الاجماع كثير من أكابر الائمة منهم الشافعي رضي الله عنه فيما نقله ابن عبد البر من ان

فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد أي خذ القود فاعتنق سواد النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد فقال يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ثم لما عدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف قال لهم ان دنا القوم منكم فانضحوهم أي ادفعوهم عنكم بالنبل واستبقوا نبلكم أي لا ترموها على بعد فان الرمي مع البعد يخطئ غالبا ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم وخطبهم خطبة حثهم فيها على الجهاد والمصابرة مثل التي قبل مجيئهم الى محل القتال ثم عاد الى العريش وتزاحف الناس أي مشى كل فريق جهة الآخر ودنا بعضهم من بعض وأقبل نفر من قريش حتى وردوا حوضه صلى الله عليه وسلم فقال دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل الا حكيم بن حزام فانه أسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه فكان اذا اجتهد في يمينه قال لا والذي نجاني يوم بدر وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا على المشركين حتى يأمرهم وكان صلى الله عليه وسلم قد أخذته سنة من النوم فاستيقظ وقد أراه الله اياهم في منامه قليلا فأخبر أصحابه فكان تثبيتا لهم وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه متوشحا سيفه في نفر من الانصار على باب العريش يحرسونه صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش هو وأبو بكر رضي الله عنه ليس معه فيه غيره وهو عليه الصلاة والسلام يناشد ربه انجاز ما وعده من النصر قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين وكان حقا علينا نصر المؤمنين ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ولما اصطف الناس للقتال رمى قطبة بن عامر بحجر بين الصفين وقال لا أفر الا ان فر هذا الحجر وكان أول من خرج من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقتله عامر بن الحضرمي بسهم أرسله اليه فكان مهجع أول قتيل من المسلمين وجاء عنه صلى الله عليه وسلم ان مهجعا سيد الشهداء أي من أهل بدر ثم قتل عمرو بن الحمام وهو أول قتيل من الانصار ثم حارثة بن سراقة وقد جاءت أمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدم من بدر وهي عمة أنس بن مالك رضي الله عنه فقالت يا رسول الله حدثني عن حارثة فان يكن في الجنة لم أبك عليه ولكن أحزن وان يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا فقال يا أم حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنان وحارثة في الفردوس الاعلى فرجعت وهي تضحك وتقول بخ بخ لك يا حارثة وفي رواية قال لها ويحك أوهبلت أهي جنة واحدة انها جنان كثيرة والذي نفسي بيده انه في الفردوس الاعلى ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم باناء من ماء فغمس يده فيه ومضمض فاه ثم ناول أم حارثة فشربت ثم ناولت ابنتها فشربت ثم أمرهما ينضحان في جيوبهما ففعلتا فرجعتا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بالمدينة امرأتان أقر عينا منهما ولا أسر وقد كان حارثة رضي الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله له بالشهادة فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة يوما وقد استقبله كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمنا بالله حقا قال انظر ما تقول فان لكل قول حقيقة قال يا رسول الله عزلت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري فكأني بعرش ربي بارزا وكأني أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر الى أهل النار يتعاوون فيها قال أبصرت فالزم عبد نور الله الايمان في قلبه أي أنت عبد الخ فقال ادع الله لي بالشهادة فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وقال أبو جهل لعنه الله وأصحابه حين قتل عتبة وشيبة والوليد لنا العزى ولا عزى لكم ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم الله مولانا ولا مولى لكم قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار وسيأتي وقوع مثل ما قال أبو جهل وأصحابه من أبي سفيان في يوم أحد وانه أجيب بمثل هذا الجواب وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر * عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو في قبة يعني العريش يوم بدر اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم فلا تعبد وفي رواية ان تهلك هذه العصابة من أهل الايمان اليوم فلا تعبد في الارض وفي رواية اللهم ان ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين أي لانه صلى الله عليه وسلم علم أنه آخر النبيين فاذا هلك هو ومن معه لا يبقى من يتعبد بهذه الشريعة

سلمان وأبا ذر والمقداد وخبابا وجابرا وأبا سعيد الخدري وزيد بن أرقم نصوا على ان عليا أفضل من غيره على الاطلاق فهو نقل شاذ لا يلتفت اليه لانه لم يثبت بسند صحيح كيف وقد اعترف علي رضي الله عنه وتواتر عنه بان أفضل الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعلى فرض وقوع شئ من ذلك من المذكورين فهو في أول الامر عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فان الصحابة رضي الله عنهم صارت لهم دهشة عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فلما تمت البيعة لابي بكر رضي الله عنه وأجمعوا عليها تراجعوا الامر وتذاكروا النصوص وعرفوا جميعا انه أفضلهم وانعقد اجماعهم على ذلك فمن نقل خلاف ذلك فهو مخطئ في نقله فان الذي

وفي لفظ اللهم لا تودع مني ولا تخذلني انشدك ما وعدتني ومازال يدعو ربه مادّا يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه وألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك تناشدك ربك فسينجز لك ما وعدك وفي رواية لينصرنك الله وليبيضن وجهك وفي رواية ألحت على ربك وانما قال أبو بكر رضي الله عنه ذلك لانه شق عليه تعب النبي صلى الله عليه وسلم في الحاحه بالدعاء لانه رضي الله عنه رقيق القلب شديد الاشفاق على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ان الصديق رضي الله عنه كان في مقام الرجاء والنبي صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف لان الله يفعل ما يشاء وكلا المقامين في الفضل سواء ذكره السهيلي قال بعضهم ان مقام الخوف يقتضي أن يجوز فيه أن لا يقع النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا في تلك الوقعة وانما كان مجملا فيه فرض تأخره لا ينافي انه أعطاه ما وعده به والجواب الاول أولى أعني كونه شق عليه تعب النبي صلى الله عليه وسلم وحين رأى المسلمون القتال قد نشب عجوا بالدعاء الى الله تعالى وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما سمعنا مناشدا ينشد ضالة أشد من مناشدة محمد لربه يوم بدر اللهم أنشدك ما وعدتني وروى النسائي والحاكم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قاتلت يوم بدر شيأ من قتال ثم جئت لاستكشاف حال النبي صلى الله عليه وسلم فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجوده يا حي يا قيوم لا يزيد على ذلك فرجعت فقاتلت ثم جئته فوجدته كذلك فعل ذلك أربع مرات وقال في الرابعة ففتح عليه وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضي الله عنه قال لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين فتكاثرهم والى المسلمين فاستقلهم فركع ركعتين وقام أبو بكر عن يمينه يحرسه وفي رواية عن علي رضي الله عنه قام أبو بكر شاهرا السيف على رأسه صلى الله عليه وسلم لا يهوي اليه أحد الا أهوى اليه فقال عليه الصلاة والسلام وهو في سجوده اللهم لا تودع مني اللهم لا تخذلني اللهم اني أنشدك ما وعدتني وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ متبسما فقال ابشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل على ثناياه النقع أي الغبار أي اشارة الى مناصرته صلى الله عليه وسلم ليدخل عليه وعلى أصحابه السرور وذلك أنه لما التحم القتال وعج النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالدعاء أنزل الله الملائكة كما قال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين أي متتابعين وقيل ردفا لكم وقيل وراء كل ملك ملك آخر ويوافق ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أمد الله نبيه صلى الله عليه وسلم يوم بدر بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة وجاء أيضا أن الله أمده بثلاثة آلاف ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع اسرافيل وقيل وعدهم الله أن يمدهم بألف ثم زيد في الوعد بألفين وقيل أمدهم الله بثلاثة آلاف ثم أكملهم خمسة آلاف قال تعالى اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين أي ألف مع جبريل وألف مع ميكائيل وألف مع اسرافيل بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وقيل ان المدد يوم بدر كان بألف ويوم أحد بثلاثة آلاف ثم وقع الوعد بأن كملهم خمسة آلاف لو صبروا وجاء أن الملائكة كانوا على صور الرجال فكان الملك يمشي امام الصف في صورة رجل ويقول أبشروا فان الله ناصركم عليهم ويظن المسلمون أنه منهم وجاء أنهم يقولون للمسلمين اثبتوا فان عدوكم قليل أي قليل في نظركم وان كثروا عددا قال تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لمن كان بجنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة وروى البيهقي عن حكيم بن حزام أن يوم بدر وقع نمل من السماء قد سد الافق فاذا الوادي يسيل نملا أي نازلا من السماء فوقع في نفسي ان هذا شيء أيد به صلى الله عليه وسلم وهو الملائكة وروى بسند حسن عن جبير بن مطعم قال رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل الجراد الاسود مبثوثا حتى امتلأ الوادي فلم أشك أنه الملائكة ولم يكن الا هزيمة القوم وانما نزلت الملائكة تشريفا للنبي صلى الله عليه وسلم وأمته والا فملك واحد كجبريل عليه السلام قادر على أن يدفع

حكى الاجماع أئمة عظام لهم سعة اطلاع فلا يمكن تكذيبهم في حكاية الاجماع * وأما مازعمه الشيعة والرافضة ويعتقدونه ويضعونه في كتبهم فانه كذب وزور لا أصل له بطريق من الطرق اذ لا معرفة لهم بالسنة وأئمة الدين العارفين بالكتاب والسنة كالائمة الاربعة والمحدثين وهم الذين اليهم المرجع وعليهم المعول في ذلك وغيره وهو الهادي الى سواء السبيل

*(خاتمة نسأل الله حسنها) (سئل) شيخ الاسلام محقق عصره أبو زرعة ولي العراقي عن اعتقد في الخلفاء الاربعة الافضلية على الترتيب الثابت عند أهل السنة وذلك على حسب ترتيبهم في الخلافة ولكن يحب أحدهم أكثر هل يأثم * فاجاب بان المحبة قد

الكفار بريشة من جناحه كما فعل في مدائن قوم لوط وأهلك قوم صالح بصيحة واحدة وقد قال تعالى في اهلاك أهل القرية الذين كذبوا رسل عيسى عليه السلام وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون فأفاد سبحانه وتعالى بهذه الآية ان انزال الجند من خواصه صلى الله عليه وسلم تشريفا له ولم يقع ذلك لغيره وكانت الملائكة يوم بدر شركاء للمؤمنين في بعض الفعل ليكون الفعل منسوبا للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه وليهابهم العدو حيث يعلم أن الملائكة تقاتل معهم وقد حكى الله عنهم صفة قتالهم حيث علمهم سبحانه وتعالى ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وجاء لولا أن الله تعالى حال بيننا وبين الملائكة التي نزلت يوم بدر لمات أهل الارض خوفا من شدة صعقاتهم وارتفاع أصواتهم وجاء في حديث مرسل ماروئي الشيطان أحقر ولا أدحر ولا أصغر من يوم عرفة الاماروئي يوم بدر وجاء أن ابليس جاء في صورة سراقة بن مالك المدلجي الكناني في جند من الشياطين أي مشركي الجن في صورة رجال من بني مدلج من بني كنانة معه رايته وقال للمشركين لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتقدم أنه قال لهم ذلك عند ابتداء خروجهم حين خافوا من بني كنانة وكان وحده ويجوز أن يكون جنده لحقوا به فلا منافاة فلما رأى الشيطان جبريل والملائكة وكانت يده في يد الحرث بن هشام المخزومي أخي أبي جهل انتزع يده من يده ثم نكص على عقبيه وتبعه جنده فقال له الحرث ياسراقة أتزعم أنك جار لنا فقال اني برئ منكم اني أرى مالا ترون اني أخاف الله والله شديد العقاب فتشبث به الحرث وقال له والله لاأرى الاخفافيش يثرب فضرب به ابليس في صدره فسقط وفر من بين يديه قال الحرث ماعلمت أنه الشيطان الابعد ان أسلمت وذكر السهيلي أن من بقي من قريش بعد وقعة بدر وهرب الى مكة وجد واسراقة بمكة فقالوا له ياسراقة خرقت الصف وأوقعت فينا الهزيمة فقال والله ماعلمت بشئ من أمركم وماشهدت فما صدقوه حتى أسلموا وسمعوا ما أنزل الله فعلموا أنه ابليس يروى أنه لما ضرب الحرث في صدره لم يزل ذاهبا حتى سقط في البحر ورفع يديه وقال يارب موعدك الذي وعدتني اللهم اني أسألك نظارتك اياي يعني قوله تعالى انك من المنظرين وخاف أن يخلص اليه القتل وفي قصة مجئ الشيطان وفراره ونكصه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

سرنا وساروا الى بدر لحينهم * لو يعلمون يقين العلم ماساروا
دلاهم بغرور ثم أسلمهم * ان الخبيث لمن والاه غرار

ولما نكص الشيطان على عقبيه قال أبو جهل لعنه الله يامعشر الناس لايهمنكم خذلان سراقة فانه كان على ميعاد من محمد ولايهمنكم قتل عتبة وشيبة والوليد فانهم عجلوا فواللات والعزى لانرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه بالحبال وصار يقول لاتقتلوهم خذوهم بالبد وجاء أنه كان مع المسلمين يوم بدر من مؤمني الجن سبعون لكن لم يثبت أنهم قاتلوا بل كانوا مددا فقط وجاء أن جبريل عليه السلام جاء النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يامحمد ان الله بعثني اليك وأمرني أن لاأفارقك حتى ترضى ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش الى الناس فحرضهم وقال والذي نفس محمد بيده لايقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام بضم الحاء وتخفيف الميم وفي يده تمرات يا كلهن بخ بخ وهي كلمة تقال لتعظيم الامر والتعجب منه أمابيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل رضي الله عنه وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فقام عمير بن الحمام وقال بخ بخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له لم تبخبخ أي لم تتعجب فقال رجاء أن أكون من أهلها وفي رواية ماحملك على قولك بخ بخ قال لاوالله يارسول الله الارجاء أن أكون من أهلها فاخذ تمرات فجعل يلوكهن ثم قال والله ان بقيت حتى آكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة فنبذهن وقاتل وهو يقول

ركضا الى الله بغير زاد * الا التقى وعمل المعاد * والصبر في الله على الجهاد
وكل زاد عرضة النفاد * غير التقى والبر والرشاد

تكون لامر ديني وقد تكون لامر دنيوي فالمحبة الدينية لازمة للافضلية فمن كان أفضل كانت المحبة الدينية له أكثر ففي اعتقادنا في واحد منهم انه أفضل ثم أحببنا غيره من جهة الدين أكثر كان ذلك تناقضا نعم ان أحببنا غير الافضل أكثر من محبة الافضل لامر دنيوي كقرابة وأحساب ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع فمن اعترف بان أفضل الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم لكنه أحب عليا أكثر من أبي بكر مثلا فان كانت المحبة المذكورة محبة دينية فلا معنى لذلك اذ المحبة الدينية تابعة للافضلية كما قررناه وهذا لم يعترف بافضلية أبي بكر الابلسانه وأما بقلبه فهو مفضل لعلي رضي الله عنه لكونه أحبه

ولازال يقاتل حتى قتل رضى الله عنه ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصى وفى رواية قبضة من تراب وفى رواية قال لعلى رضى الله عنه ناولنى فاستقبل قريشا ثم قال شاهت أى قبحت الوجوه اللهم ارعب قلوبهم وزلزل أقدامهم ثم نفخهم أى رماهم بها فلم يبق من المشركين رجل الا امتلأت عينه وفى رواية وأنفه وفمه لا يدرى أين يتوجه يعالج التراب لينزعه من عينيه فانهزموا وردفهم المسلمون يقتلون ويأسرون والى هذا أشار سبحانه وتعالى بقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ووقع مثل ذلك فى غزوة أحد وغزوة حنين وبهذا يجمع بين الروايات وقاتل صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم بدر قتالا شديدا وكذا أبو بكر رضى الله عنه فكما كانا فى العريش مجتهدين فى الدعاء قاتلا بابدانهما جمعا بين المقامين ولما خرج صلى الله عليه وسلم من العريش قال سيهزم الجمع ويولون الدبر وروى ابن سعد أنه لما انهزم المشركون دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثرهم بالسيف مصلتا يتلو هذه الآية سيهزم الجمع ويولون الدبر وهذه الآية نزلت بمكة وكانت هزيمة الجند يوم بدر وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما نزلت هذه الآية سيهزم الجمع قلت أى جمع فلما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم بالسيف مصلتا يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فكانت ليوم بدر أخرجه الطبرانى فى الاوسط والى رميه صلى الله عليه وسلم بالحصى أشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصى فاقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء

وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له ولما وضعوا القوم أيديهم يأسرون نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ رضى الله عنه فوجد فى وجهه الكراهية لما يصنع القوم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان فى القتل أى الاكثار منه والمبالغة فيه أحب الى من استبقاء الرجال وذكر بعضهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه انى قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا اكراها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحدا من بنى هاشم فلا يقتله أى بل يأسره وقال من لقى أبا البخترى بن هشام فلا يقتله أى لانه ممن قام فى نقض الصحيفة ومن لقى العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة أنقتل آباءنا وأبناءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس لان لقيته يعنى العباس لالجمنه السيف وقال ذلك لان أباه عتبة وعمه شيبة وأخاه الوليد أول من قتل من الكفار مبارزة وعشيرته وهى بنو عبد شمس قد قتل منهم جماعة فبلغت تلك المقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا أبا حفص أيضرب وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف فقال عمر والله لانه أول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبى حفص ثم قال عمر يا رسول الله دعنى أضرب عنقه يعنى أبا حذيفة بالسيف فوالله لقد نافق فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو حذيفة رضى الله عنه يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التى قلتها يومئذ ولا أزال منها خائفا الا أن تكفرها عنى الشهادة فقتل شهيدا يوم اليمامة عند قتالهم لمسيلمة الكذاب وأهل الردة فى جملة من قتل فيها من الصحابة وهم أربعمائة وخمسون وقيل ستمائة رضى الله عنهم أجمعين ولقى المجذر أبا البخترى فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهانا عن قتالك فقال وزميلى أى رفيقى وكان معه زميل قد خرج معه من مكة يقال له جنادة بن مليحة فقال له المجذر لا والله ما نحن بتاركى زميلك ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بك وحدك قال لا والله لاموتن أنا وهو جميعا لا تتحدث عنا نساء مكة أنى تركت زميلى يقتل حرصا على الحياة فقتله المجذر بعد أن قاتله ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذى بعثك بالحق لقد جهدت عليه أن يستأسر فآتيك به فأبى الا أن يقاتلنى فقاتلنى فقتلته وكان من جملة من خرج مع المشركين يوم بدر عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وكان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة وقيل عبد العزى فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكان من أشجع قريش وأشدهم رماية وكان أسن أولاد أبى بكر رضى الله عنه وكان فيه دعابة فلما أسلم قال لابيه أبى بكر رضى الله عنه لقد أهدفت لى أى ارتفعت لى

محبة دينية زائدة على محبة أبى بكر وهذا لا يجوز وان كانت المحبة المذكورة دنيوية لكونه من ذرية على أو لغير ذلك من المعانى فلا امتناع فيه لكن اتباع الدين أولى له اه ويؤيد قوله ان المحبة الدينية لازمة للافضلية قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما وقوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم وقوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب الثانى فى بيان فضائل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وحقية خلافته)

يوم بدر مرارا فصدفت عنك أى أعرضت فقال له أبو بكر رضى الله عنه لو هدفت لى لم أعرض عنك والمراد من كونه أهدف له أى ارتفع له وهو لا يشعر بذلك فلا ينافى ماقيل ان عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما يوم بدر دعا الى البراز فقام اليه أبو بكر رضى الله عنه ليبارزه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا أبا بكر أما علمت انك عندى بمنزلة سمعى وبصرى وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم وفى بعض السير أن الصديق قال لولده عبد الرحمن يوم بدر وهو مع المشركين لم يسلم أين مالى يا خبيث فقال له عبد الرحمن كلاما معناه لم يبق الا عدة الحرب التى هى السلاح وفرس سريعة الجرى نقاتل عليها شيوخ الضلال وروى ابن مسعود رضى الله عنه أن الصديق رضى الله عنه دعا ابنه عبد الرحمن الى المبارزة يوم أحد فقال له النبى صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك أما علمت انك منى بمنزلة سمعى وبصرى فانزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا مانع من التعدد حتى فى نزول الآية واستبعد بعضهم كون أبى بكر يدعو للمبارزة بعد نزولها أولا فى بدر فلعل ذكر أحد من الاشتباه على بعض الرواة وبه يرد ماذكر أن سببها ان أبا بكر رضى الله عنه سمع والده أبا قحافة يذكر النبى صلى الله عليه وسلم بشر فلطمه لطمة سقط منها فاخبر أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم فقال له لا تعد لمثلها فقال والله لو حضرنى السيف لقتلته وفى كلام الزمخشرى أن عبد الرحمن أسلم رضى الله عنه فى هدنة الحديبية وهاجر الى المدينة ومات سنة ثلاث وخمسين بمحل بينه وبين مكة ستة أميال فحمل على أعناق الرجال الى مكة ودفن بها وقدمت أخته عائشة رضى الله عنها من المدينة فاتت قبره فصلت عليه وأما أبو قحافة والد أبى بكر رضى الله عنه فاسلم عام الفتح رضى الله عنه وعاش الى أول خلافة الصديق رضى الله عنه ثم توفى بالمدينة ولم يعرف خليفة ولى الخلافة فى حياة أبيه غير أبى بكر رضى الله عنه * وفى هذا اليوم أعنى يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركا وكان أبوه قد قصده ليقتله فولى عنه أبو عبيدة لينكف عنه ويرجع فلم ينكف فرجع اليه وقتله وأنزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم الآية * وعن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال لقيت أمية بن خلف وكان صديقا لى فى الجاهلية ومعه ابنه على آخذا بيده وكان معى أدراع استلبتها من القوم فانا أحملها فلما رآنى أمية نادانى باسمى الاول يا عبد عمرو فلم أجبه فنادانى يا عبد الاله فاجبته وذلك انه كان قال لى لما سمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن أترغب عن اسم سماك به أبوك فقلت نعم فقال الرحمن لا أعرفه ولكن أسميك بعبد الاله فلما نادانى بعبد الاله قلت نعم ثم قال هل لك فى فانا خير لك من هذه الادراع التى معك قلت نعم فطرحت الادراع من يدى وأخذت بيده وبيد ابنه على وهو يقول ما رأيت كاليوم قط ثم قال لى يا عبد الاله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدره أى كانت فى درعه بمحل الصدر قلت ذلك حمزة بن عبد المطلب قال ذاك الذى فعل بنا الافاعيل قال عبد الرحمن ثم خرجت أمشى بهما فوالله انى لاقودهما اذ رآه بلال معى وكان هو الذى يعذب بلالا بمكة على أن يترك الاسلام كما تقدم فقال بلال يا انصار رسول الله هذا أمية بن خلف رأس الكفر لا نجوت ان نجا فقلت يا بلال أباسيرى تفعل ذلك قال لا نجوت ان نجا وكرر ذلك ثم صرخ باعلى صوته يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا فاحاطوا بنا فاصلت بلال السيف أى سله من غمده وضرب رجل على بن أمية فوقع وصاح أمية صيحة ما سمعت مثلها قط وفى رواية البخارى عن عبد الرحمن بن عوف ان بلالا لما استصرخ الانصار قال فخشيت أن يلحقونا فخلفت لهم ابنه لاشغلهم به فقتلوه ثم أتونا حتى لحقوا بنا وكان أمية رجلا ثقيلا فقلت ابرك فبرك فالقيت عليه نفسى لامنعه فتخللوه بالسيوف من تحتى حتى قتلوه فاصاب أحدهم رجلى بسيفه أى ظهر قدمه والذى باشر قتله مع بلال معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وحبيب بن اساف فهم اشتركوا فى قتله قال ابن اسحق وأما ابنه على فقتله عمار بن ياسر وحبيب بن اساف وكان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يقول رحم الله بلالا ذهبت أدراعى وفجعنى باسيرى وفى رواية فلا أدراعى ولا أسيرى وهنا أبو بكر

(اعلم) رحمك الله انه قد نزلت آيات قرآنية تدل على فضل عمر رضى الله عنه وآيات أخر نزلت موافقة لرأيه واجتهاده * فمن الآيات الدالة على فضله رضى الله عنه قوله تعالى يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين نزلت هذه الآية فى اسلام عمر رضى الله عنه (قال) ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضى الله تعالى عنه فكمل الله الاربعين باسلامه وقيل انه تكملة أربعين رجلا واحدى عشرة امرأة فأنزل الله يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وكيفية دخوله فى الاسلام مذكورة فى كتب السير فلا حاجة لنا للاطالة بها

رضى الله عنه بلالا حين قتل أمية بأبيات منها قوله

هنيئا زادك الرحمن خيرا * فقد أدركت ثأرك يا بلال

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من له علم بنوفل بن خويلد فقال على رضى الله عنه أنا قتلته فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه فانه لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع يا معشر قريش اليوم يوم الرفعة والعلى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنى نوفل بن خويلد (وفى صحيح مسلم) عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه قال انى لواقف يوم بدر فى الصف فنظرت عن يمينى وعن شمالى واذا أنا بين غلامين من الانصار حديثة أسنانهما فغمزنى أحدهما سرا من صاحبه فقال ياعم هل تعرف أبا جهل بن هشام فقلت نعم وما حاجتك به قال بلغنى أنه كان يسب النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو رأيته لم يفارق سوادى سواده حتى يموت الاعجل منا أى الاقرب أجلا فغمزنى الآخر فقال مثلها سرا من صاحبه فعجبت لذلك أى لحرص كل منهما على ذلك واخفائه عن صاحبه ليكون هو المختص به فلم أنشب أى ألبث ان نظرت الى أبى جهل يزول فى الناس أى يتحول من محل الى محل آخر فقلت لهما الا تريان هذا صاحبكما الذى تسالان عنه فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه أى أشرفا به الى القتل وصيراه الى حركة المذبوح وسيأتى ان ابن مسعود رضى الله عنه هو الذى تمم قتله ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال أيكما قتله فقال كل واحد منهما أنا قتلته قال هل مسحتما سيفيكما قالا لا فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السيفين فقال كلاهما قتله وقضى بسلبه لهما الا السيف فسيأتى أنه قضى به لابن مسعود وقال ابن اسحق ان أبا جهل لما نزل القتال أقبل يرتجز ويقول

ماتنقم الحرب العوان منى * بازل عامين حديث سنى * لمثل هذا ولدتنى أمى

فاذاقه الله الهوان وقتله شر قتلة وجعل ذلك حسرة عليه وجاء ان الملائكة شاركت فاتليه فى قتله وجاء فى الحديث ان الله قتل أبا جهل فالحمد لله الذى صدق وعده ولما انقضى القتال وانهزم المشركون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابى جهل أن يلتمس فى القتلى وقال ان خفى عليكم أى بان قطع رأسه وأزيل عن جثته فانظروا الى أثر جرح فى ركبته فانى ازدحمت يوما أنا وهو على مائدة لعبد الله بن جدعان ونحن غلامان وكنت أشف منه أى أكبر منه بيسير فدفعته فوقع على ركبتيه فجحش أى خدش على احداهما جحشا لم يزل أثره به وهذا هو مراد بعضهم بقوله ان النبى صلى الله عليه وسلم صارع أبا جهل فصرعه فخرج الناس يلتمسونه فى القتلى وفيهم عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال عبد الله فرأيت أبا جهل وهو بآخر رمق فعرفته فوضعت رجلى على عنقه ثم قلت له قد أخزاك الله يا عدو الله قال وبم أخزانى أعار على رجل قتلتموه أى ليس بعار على رجل قتلتموه وفى رواية لارجل أعمد من رجل قتلتموه أى أنا سيد رجل قتلتموه ولا عيد القوم سيدهم أى فلا عار على فى قتلكم اياى وفى رواية وهل أشرف من رجل قتله قومه ثم قال له لو غير أكار قتلنى والا كار الزراع يعنى الانصار لانهم كانوا أصحاب زرع أى لو كان الذى قتلنى غير فلاح لكان أعظم لشأنى ولم يكن على نقص ثم قال لابن مسعود اخبرنى لمن الدبرة أى النصرة والظفر اليوم لنا أو علينا فقلت لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وسال ابن مسعود عن أهل الاجسام الطوال الذين يقتلون ويأسرون فينا فقال له أولئك الملائكة فقال هم الذين غلبونا لا أنتم وهذا غاية فى كفره وعناده حيث تحقق ذلك كله ولم يؤمن بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ثم ان ابن مسعود رضى الله عنه وطئ على عنقه وعلا فوق صدره يريد حز رأسه فقال له لقد ارتقيت يارويعى الغنم مرتقى صعبا قال ابن مسعود رضى الله عنه فضربته بسيفى لاحز رأسه فلم يغن عنى شيأ فبصق فى وجهى وقال خذ سيفى واحتز به رأسى من عرشى ليكون أنهى للرقبة والعرش عرق فى أصل الرقبة ففعلت كذلك وجاء انه قال لابن مسعود رضى الله عنه احتزمن أصل العنق ليرى عظيما مهابا فى عين محمد وقل له مازلت عدوا فى سائر الدهر واليوم أشد عداوة ولما أتى النبى صلى الله عليه وسلم برأسه وأخبره بقوله قال كما أنى أكرم النبيين على الله وأمتى أكرم على الله كذلك فرعون هذه الامة أشد وأغلظ من فراعنة

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الله ان يعز الاسلام به * ومن الآيات الدالة على فضله رضى الله عنه قوله تعالى ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان أردنا الا احسانا وتوفيقا أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى أنفسهم قولا بليغا * ذكر البيضاوى وغيره من المفسرين عن ابن عباس رضى الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى

سائر

سائر الامم اذ فرعون موسى حين أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وفرعون هذه الامة ازداد عداوة وكفرا وفي رواية قال ابن مسعود رضي الله عنه ثم جئت برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آلله الذي لا اله غيره وردد ها ثلاثا قلت نعم والله الذي لا اله غيره ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وجاء انه سجد خمس سجدات شكرا وفي رواية صلى ركعتين وقال الحمد لله الذي أعز الاسلام وأهله الله أكبر الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكون أبي جهل بصق في وجه ابن مسعود وقال له لقد سبقني الى آخر ما تقدم ينافي كونه وصل الى حركة المذبوح الا أن يقال يجوز أن يكون في أول الامر حين ضربه الانصار وصل الى حركة المذبوح فتركوه ثم تراجعت اليه روحه حتى قدر على ماذكر فذفف عليه ابن مسعود رضي الله عنه قال ابن قتيبة ذكر أن أبا جهل قال لابن مسعود رضي الله عنه وهما بمكة لاقتلنك فقال والله لقد رأيت في النوم أني أخذت حدجة حنظل فوضعتها بين كتفيك ورأيتني أضرب كتفيك ولئن صدقت رؤياي لاطان على رقبتك ولاذبحنك ذبح الشاة فكان في تذفيف ابن مسعود رضي الله عنه عليه تصديق تلك الرؤيا وجاء في رواية ان ابن مسعود وجده متقنعا في الحديد وهو منكب لا يتحرك فرفع سابغة البيضة عن قفاه فضربه فوقع رأسه بين يديه وروى الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انتهيت الى أبي جهل وهو صريع وعليه بيضة ومعه سيف جيد ومعي سيف ردىء فجعلت أنقف رأسه وأذكر نقفا كان ينقف رأسي بمكة فأخذت سيفه فرفع رأسه فقال على من كانت الدبرة ألست رويعينا بمكة فقتلته ثم سلبته فلما نظرت اليه اذا هو ليس به جراح وانما هي أخدار وأورام في عنقه ويديه وكتفيه كهيئة آثار السياط أي آثار سود كسمة النار ليس به جراح من جراح الآدميين أي في داخل بدنه فلا ينافي ما تقدم من قطع ابن الجموح لرجله ومن ضرب ابن عفراء له حتى أثبته فأتى ابن مسعود رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أي بأثر الضرب الذي كهيئة السياط فقال ذلك ضرب الملائكة وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال كنا ننظر الى المشرك أمامنا مستلقيا فننظر اليه فاذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة بالسوط فاخضر ذلك الموضع وعن سهل ابن حنيف رضي الله عنه عن أبيه رضي الله عنه قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا ليشير بسيفه الى المشرك أي يرفعه عليه فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف وقد جاء ان الملائكة كانت لا تعلم كيف تقتل الآدميين فعلمهم الله ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان أي مفصل فكانوا يعرفون قتلى الملائكة من قتلاهم بآثار سود كسمة النار وفي رواية وصف ذلك الاثر بالخضرة ولا منافاة لان الاخضر لشدة خضرته ربما قيل فيه أسود وتلك الآثار بعد مفارقة الرأس أو اليد يستدل بها على ان مفارقة الرأس أو اليد من فعل الملائكة وجاء ان بعض ضربهم كان في الكتفين وفي الوجه والانف وأكثره فوق الاعناق والبنان وفسر بعضهم الاعناق بالرؤس والضرب في الاعناق تارة يفصلها وتارة لا وفي الحالين يرى أثر ذلك أسود في العنق ليستدل به على أنه من فعل الملائكة * وجاء ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على القتلى والتمس أبا جهل فلم يجده حتى عرف ذلك في وجهه ثم قال اللهم لا تعجزني فرعون هذه الامة فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود الحديث وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع أبو جهل انطلق ابن مسعود رضي الله عنه فوجده قد ضربه ابن عفراء حتى برد وفي رواية برك فأخذ بلحيته فقال أنت أبو جهل الحديث ولما جاء ابن مسعود يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه وجده فقتله أي تمم قتله قال له عقيل بن أبي طالب وكان قبل اسلامه رضي الله عنه وهو أسير عند النبي صلى الله عليه وسلم كذبت ما قتلته قال فقلت له بل أنت الكذاب الآثم يا عدو الله قد والله قتلته قال فما علامته قلت ان بفخذه حلقة كحلقة الجمل الحالق قال نعم وهذا هو أثر الجحش الذي جحشه اياه النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم ولا منافاة بين اخبار ابن مسعود النبي صلى الله عليه وسلم بقتل أبي جهل ومجيئه برأسه لاحتمال أن يكون أخبر أولا ثم رجع وجاء برأسه وتكذيب عقيل لابن مسعود يحتمل أن يكون في أصل قتل أبي جهل وانه

الى النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يقضي بالحق ولا يلتفت الى الرشوة ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف لانه كان شديد الرغبة الى الرشوة واليهودي كان محقا والمنافق كان مبطلا ثم أصر اليهودي على قوله فاحتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي لعمر رضي الله عنه قضى لي أبو القاسم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق أكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد يعني مات وقال هكذا أقضي لمن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية وأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دم المنافق وهبط

يعتقد انه ما قتل بل هو حي مع قومه أو التكذيب في ان ابن مسعود هو القاتل ويريد ان القاتل غيره كالانصار ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم بعد القاء الرأس بين يديه خرج يمشي مع ابن مسعود رضي الله عنه حتى أوقفه على أبي جهل فقال الحمد لله الذي أخزاك يا عدو الله هذا كان فرعون هذه الامة ورأس قاعدة الكفر قال ابن مسعود رضي الله عنه ونفلني سيفه أي أعطانيه وكان قصيرا عريضا فيه قبائع فضة وحلق فضة وعن قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل قتله الله شر قتلة بكسر القاف لبيان الهيئة قتلته الملائكة وفي رواية قتله ابن عفراء أي وابن الجموح وقتلته الملائكة وأجهز عليه ابن مسعود رضي الله عنه وعن معاذ بن عمرو بن الجموح رضي الله عنه قال رأيت أبا جهل وقد أحاطوا به وهم يقولون أبو الحكم لا يخلص اليه فلما سمعتها عمدت نحوه وحملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه أي أسرعت قطعه فوالله ما شبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة النوى فضربني ابنه عكرمة رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جسمي وأجهضني القتال أي شغلني فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها ثم جئت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق عليها وألصقها فلصقت قال ابن اسحق وعاش رضي الله عنه الى خلافة عثمان رضي الله عنه وهو صحيح سليم ثم بعد ضربة ابن الجموح لابي جهل جاءه وهو عقير معوذ بضم الميم وتشديد الواو مفتوحة ومكسورة ابن عفراء فضربه حتى أثبته أي أثخنه وتركه وبه رمق حتى جاء ابن مسعود فذفف عليه هكذا يجمع بين الروايات فان في بعضها قتله ابن الجموح وفي بعضها ابن عفراء وفي بعضها ابن مسعود رضي الله عنهم ومعوذ هذا لا يزال يقاتل حتى قتل رضي الله عنه وجاء في بعض الروايات ان ابن الجموح ومعاذا ومعوذا ابني عفراء اشتركوا في قتل أبي جهل فلعل معاذا أعان أخاه معوذا وكان معه في ذلك وقد جاء في الحديث رحم الله ابني عفراء اشتركا في قتل فرعون هذه الامة قيل له يا رسول الله من قتله معهما قال الملائكة وعفراء اسم أمهما وأبوهما اسمه الحرث وقيل ان معاذ بن عمرو بن الجموح أخوهما لامهما فان كلا من الحرث وعمرو بن الجموح تزوج عفراء فيصح ان يقال في ابن الجموح انه ابن عفراء فلا تنافي بين الروايات ولذا قال صلى الله عليه وسلم يرحم الله ابني عفراء قد اشتركا في قتل فرعون هذه الامة ورأس أئمة الكفر وقد كان أبو جهل أشد الناس عداوة وحسدا للنبي صلى الله عليه وسلم ولم يلق صلى الله عليه وسلم من أحد من الاذية مثل مالقي من أبي جهل لعنه الله وكان مقاربا للنبي صلى الله عليه وسلم في السن وكان بينه وبينه قبل البعثة شدة مخالطة ومصاحبة فلما بعثه الله صلى الله عليه وسلم كان أشد الناس له حسدا وعداوة ولم يزل على ذلك حتى أهلكه الله يوم بدر وهو يوم البطشة الكبرى وكان أشد الناس اجتهادا في اخراج النفير ولما أرادوا الخروج من مكة أخذ أستار الكعبة هو وبقية قريش وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأجل الفئتين وأكرم الحزبين وأفضل الدينين وفي ذلك نزل قوله تعالى ان تستفتحوا أي تطلبوا الفتح أي النصر فقد جاءكم الفتح الآية ولما دنا القوم بعضهم من بعض يوم بدر قال اللهم اقطعنا للرحم فاحنه أي هلكه الغداة اللهم من كان أحب اليك وأرضى عندك فانصره وفي لفظ اللهم أولانا بالحق فانصره فقوله تعالى ان تستفتحوا الخ شامل لذلك كله وفي رواية انه قال يوم بدر اللهم انصر أفضل الدينين عندك وأرضاهما لك وفي رواية اللهم انصر خير الدينين اللهم ديننا القديم ودين محمد الحادث وقد استجاب الله دعاءه وكان ذلك عليه لا له ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون وكان رأسه أول رأس حمل في الاسلام * وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها خلف ظهورهم الا جبريل عليه السلام فانه كان عليه عمامة صفراء وقيل حمراء وقيل بعض الملائكة كانوا بعمائم صفر وبعضهم بعمائم بيض وبعضهم بعمائم سود وبعضهم بعمائم حمر جمعا بين الروايات بل صرح بذلك في رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه كان سيما الملائكة يوم بدر اعمائم قد أرخوها بين أكتافهم خضر وصفر وحمر أي وبيض وسود وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يوم بدر متعمما بعمامة صفراء فقال صلى الله عليه وسلم نزلت الملائكة أي بعضهم بسيما

جبريل وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت في أصل معناه الشيطان أو الاصنام أو كل ما عبد من دون الله تعالى أو صد عن عبادته والمراد به في الآية كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي معناه من يحكم بالباطل أو انه شبه كعب بن الاشرف بالشيطان فاطلق عليه اسمه أو جعل اختيار التحاكم الى غير النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه * ومن الآيات الدالة على فضل عمر رضي الله عنه قوله تعالى أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها نزلت فيه وفي أبي جهل

أبي عبد الله يعني الزبير وقد ذكر ان الزبير رضي الله عنه قاتل يوم بدر قتالا شديدا حتى كان الرجل يدخل يده في الجراح التي في ظهره وكان شعار الانصار أي علامتهم التي يتعارفون بها في ذلك اذا جاء الليل أو وقع اختلاط أحد أحد وشعار المهاجرين يا منصور أمت ويقال أحد أحد وكانت خيل الملائكة بلقا مسوّمة أي مزينة وكان ذلك بوضع الصوف في نواصي الخيل وأذنابها وفي رواية العهن الاحمر والابيض وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال حدثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى صعدنا على جبل مشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر على من تكون الدبرة أي الغلبة وقيل بمعنى الهزيمة والاول أرجح فننهب مع من ينهب فبينا نحن في الجبل اذ سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه أي غشاؤه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت وقوله أقدم بضم الدال من التقدم كلمة يزجر بها الخيل وحيزوم قيل اسم فرس جبريل عليه السلام وفي أثر مرسل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم فقال جبريل ما كل أهل السماء أعرف قال ابن كثير وهذا الاثر يرد قول من زعم ان حيزوم اسم فرس جبريل وفيه انه لا يبعد أن يقول أحد من الملائكة لفرس جبريل أقدم حيزوم ولا يعرف جبريل ذلك القائل وفي رواية جاءت سحابة فسمعنا أصوات الرجال والسلاح وسمعنا قائلا يقول لفرسه أقدم حيزوم فنزلوا عن ميمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاءت سحابة أخرى فنزل منها رجال كانوا على ميسرته صلى الله عليه وسلم فاذا هم على الضعف من قريش فمات ابن عمي وأما أنا فتماسكت وأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الغمام الذي ظلل بني اسرائيل في التيه هو الذي جاءت فيه الملائكة يوم بدر وعنه أيضا قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم فنظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء ذلك الانصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء وعن علي رضي الله عنه وكرم وجهه قال هبت ريح شديد يوم بدر ما رأيت مثلها قط ثم جاءت أخرى كذلك ثم جاءت أخرى كذلك فكانت الاولى جبريل نزل في ألف من الملائكة أمام النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الثانية ميكائيل نزل في ألف من الملائكة عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الثالثة اسرافيل في ألف من الملائكة عن ميسرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه انه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد يقاتلان كاشد القتال يعني جبريل وميكائيل وانكسر سيف عكاشة رضي الله عنه وهو بتشديد الكاف أكثر من تخفيفها ابن محصن الاسدي رضي الله عنه وهو يقاتل به فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جذلا من حطب أي أصلا من أصول الحطب وقال قاتل بهذا يا عكاشة فلما أخذه من رسول الله صلى الله عليه وسلم هزه فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد المتن أبيض الحديد فقاتل به حتى فتح الله تعالى على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون ثم لم يزل عند عكاشة وشهد به المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده في قتال أهل الردة في زمن الصديق رضي الله عنه ثم لم يزل متوارثا عند آل عكاشة وسيأتي مثل ذلك في غزوة أحد لعبد الله بن جحش رضي الله عنه وجاء في فضل عكاشة رضي الله عنه أنه ممن يدخل الجنة بغير حساب وانكسر سيف سلمة بن أسلم رضي الله عنه فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده أي عرجونا من عراجين النخل وقال اضرب به فاذا هو سيف جيد فلم يزل عنده وضرب خبيب رضي الله عنه فمال شقه فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمه ورده فانطبق ورمي رفاعة بن مالك رضي الله عنه بسهم ففقئت عينه فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا له فما آذاه شيء منها ورجعت كما كانت ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتلى من المشركين أن ينقلوا من مصارعهم وأن يطرحوا في القليب فطرحوا في القليب الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ في درعه فملأه فذهبوا ليحركوه فتزايل أي تقطعت أوصاله

وقيل في حمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر وأبي جهل ولا مانع من الجميع * ومن الآيات الدالة على فضل عمر رضي الله عنه قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون قال الماوردي قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت الآية في عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين بلغه عن عبد الله بن أبي رئيس المنافقين انه يتكلم بكلمات تدل على نفاقه وبغضه للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فاشتمل عمر رضي الله عنه على سيفه يريد التوجه اليه ليقتله فأنزل الله الآية وقيل ان رجلا من بني غفار شتم عمر رضي الله عنه فاراد ان يقتله فأنزل الله الآية فهي على القولين نزلت في عمر رضي الله عنه * ويكفيه ان

فالقوا عليه ماغيبه من التراب والحجارة قال السهيلي وانما ألقوا في القليب ولم يدفنوا لانه عليه الصلاة والسلام كره أن يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب أيسر اليهم وفيه أيضا اشارة الى أن الحربي لا يجب دفنه بل يجوز اغراء الكلاب على جيفته ولما ألقي عتبة والد أبي حذيفة رضي الله عنه في القليب تغير وجه أبي حذيفة ففطن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له لعلك دخلك من شأن أبيك شئ فقال لا والله ولكني كنت أعرف من أبي رأيا وحلما وفضلا فكنت أرجو أن يهديه الله للاسلام فلما رأيت مامات عليه أحزنني ذلك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير وقال له خيرا وجاء ان أبا حذيفة رضي الله عنه أراد أن يبارز أباه ويقتله لما طلب المبارزة فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أبيه وان تمكن منه ثم بعد القائهم في القليب بثلاثة أيام جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وقف على شفير القليب وجعل يناديهم بأسمائهم ويقول يافلان بن فلان ويافلان بن فلان هل وجدتم ماوعد الله ورسوله حقا فاني وجدت ماوعدني الله حقا وجاء في بعض الطرق ناداهم بأسمائهم فقال ياعتبة بن ربيعة ياشيبة بن ربيعة ويا أمية ابن خلف ويا أباجهل بن هشام وانما ذكر أمية بن خلف وان لم يكن من أهل القليب لانه كان قريبا من القليب وفي رواية قال لهم صلى الله عليه وسلم بئس عشيرة كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس وأخرجتموني وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يارسول الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير انهم لا يستطيعون أن يردوا شيأ وفي رواية يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون وعن قتادة أحياهم الله حتى سمعوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة عليهم والمراد باحيائهم شدة تعلق أرواحهم بأجسادهم حتى صاروا كالاحياء في الدنيا لان الروح بعد مفارقة الجسد يصير لها تعلق به وبواسطة ذلك التعلق يعرف الميت من يزوره ويأنس به ويرد سلامه اذا سلم ولا يصير الميت به حيا كحياة الدنيا لكنه قد يقوى في نحو الانبياء والشهداء والصالحين حتى يصير كالحي في الدنيا ولا يرد على قوله ما أنتم بأسمع منهم قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لان المراد لا تسمعهم سماع قبول وقد أشار الى ذلك الجلال السيوطي في قوله

سماع موتى كلام الخلق قاطبة * جاءت به عندنا الآثار في الكتب
وآية النفي معناها سماع هدى * لا يقبلون ولا يصغون للادب

وجاء في بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم نادى أهل القليب وقال لهم ماتقدم قبل طرحهم فيه وجمع بين الروايات بان ذلك تكرر منه قال لهم ذلك قبل طرحهم وبعد طرحهم وسمى من تقدم منهم وهم أربعة ولم يسم الباقين وهم عشرون لان الاربعة المذكورين هم أعظم رؤساء قريش وبقية أصحاب القليب من بني عبد مناف ستة عبيدة والعاصي ولدا أبي أحيحة سعيد بن العاص بن أمية وحنظلة بن أبي سفيان والوليد ابن عتبة والحرث بن عامر وطعيمة بن عدي ومن سائر قريش أربعة عشر نوفل بن عبد وزمعة وعقيل ابنا الاسود والعاص بن هشام أخو أبي جهل وأبو قيس بن الوليد ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمي وعلي بن أمية ابن خلف وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة ومسعود بن أبي أمية أخو أم سلمة وقيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومي والاسود بن عبد الاسد أخو أبي سلمة وأبو العاص بن قيس بن عدي السهمي وأمية بن رفاعة فهؤلاء عشرون تنضم الى الاربعة فتكمل العدة ولقد أحسن العلامة ابن جابر الاندلسي حيث ذكر قصة بدر في بعض أشعاره فقال

بدا يوم بدر وهو كالبدر حوله * كواكب في أفق المواكب تنجلي * وجبريل في جند الملائك دونه
فلم تغن أعداد العدو المخذل * رمى بالحصى في أوجه القوم رمية * فشردهم مثل النعام المجفل
وجادلهم بالمشرفي فسلوا * لجادله بالنفس كل مجندل * عبيدة سل عنهم وحمزة واستمع
حديثهم في ذلك اليوم من علي * هموا عتبوا بالسيف عتبة اذ غدا * فذاق الوليد الموت ليس له ولي
وشيبة لما شاب خوفا تبادرت * اليه العوالي بالخضاب المعجل * وجاء أبو جهل فحقق جهله

الله شهد له بالايمان حيث قال قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله (وأخرج) ابن أبي حاتم في قوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ان المراد من قوله الذين يستنبطونه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وان كان اللفظ عاما يشمله وغيره ونزل فيه أيضا واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كما في الرياض النضرة

(وأما الآيات التي جاءت موافقة لاجتهاد عمر ورأيه رضي الله عنه فكثيرة) حتى قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان في القرآن لرأيا من رأي عمر رضي الله عنه أخرجه ابن عساكر عن علي رضي الله عنه * فمن ذلك ما في صحيح البخاري ان عمر رضي الله عنه قال

غداة تردى بالردى عن تذلل * وأضحى قليبا فى القليب وقومه * يؤمونه فيه الى شر منهل
وجاءهم خير الانام موبخا * ففتح من أسماعهم كل مقفل * وأخبرهم ما أنتم باسمع منهم
ولكنهم لايهتدون لمقول * سلاعنهم يوم السلا اذ تضاحكوا * فعاد بكاء عاجلا لم يؤجل
ألم يعلموا علم اليقين بصدقه * ولكنهم لايرجعون لمعقل * فيا خير خلق الله جاهك ملجئى
وحبك ذخرى فى الحساب وموئل * عليك صلاة يشمل الآل عرفها * وأصحابك الاخيار أهل التفضل

وحكى العلامة ابن مرزوق أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مر ببدر فاذا رجل يعذب ويئن من وجع العذاب فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر رضى الله عنهما فلا أدرى أعرف اسمى أم كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر قال الزرقانى هو أبو جهل وقد رواه الطبرانى وابن أبى الدنيا وغيرهما وفى رواية ابن منده عن ابن عمر رضى الله عنهما بينما أنا سائر بجنبات بدر اذ خرج رجل من حفرة فى عنقه سلسلة فنادانى يا عبد الله اسقنى فلا أدرى أعرف اسمى أو دعانى بدعاية العرب وخرج رجل من تلك الحفرة فى يده سوط فنادانى يا عبد الله لا تسقه فانه كافر ثم ضربه بالسوط فعاد الى حفرته فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فقال لى قد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه الى يوم القيامة وروى ابن أبى الدنيا عن الشعبى أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم انى مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب فى الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مرارا فقال صلى الله عليه وسلم ذاك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة وكان جملة من قتل من المشركين سبعين وأسر منهم سبعون فمن القتلى أهل القليب المتقدم ذكرهم وهم أربعة وعشرون كلهم من رؤسائهم والباقون من باقيهم وكان من أفضل الاسرى العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وعقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم وهم من بنى هاشم وممن أسلم من الاسرى من سائر قريش أبو العاص بن الربيع زوج السيدة زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها أسلم قبيل فتح مكة وأثنى عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم فى مصاهرته وردعليه زينب رضى الله عنه وعنها وأبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير أسلم يوم بدر بعد الفداء رضى الله عنه والسائب بن عبيد كذلك أسلم رضى الله عنه بعد الفداء وعدى بن الخيار والسائب بن أبى حبيش وأبو وداعة السهمى وسهيل بن عمرو العامرى أسلموا فى فتح مكة وخالد بن هشام المخزومى وعبد الله بن السائب والمطلب بن حنطب وعبد الله بن أبى بن خلف أسلم يوم الفتح وقتل يوم الجمل وعبد الله بن زمعة أخو سودة ووهب بن عمير الجمحى وقيس بن السائب المخزومى ونسطاس مولى أمية بن خلف والوليد بن الوليد قال فى المواهب وكان العباس رضى الله عنه فيما قاله أهل العلم بالآثار يحقق أسلم قديما وكان يكتم اسلامه وكان يسره ما يفتح الله على المسلمين وكان النبى صلى الله عليه وسلم يطلعه على أسراره حين كان بمكة وكان يحضر مع النبى صلى الله عليه وسلم حين كان يعرض نفسه على القبائل وكان يحثهم ويحرضهم على مناصرته كما تقدم ذلك فى حضوره بيعة العقبة التى كانت مع الانصار قبل الهجرة فهذا كله يدل على اسلامه وكان النبى صلى الله عليه وسلم أمره بالمقام بمكة ليكتب له أسرار قريش وأخبارهم ولما أرادوا الخروج واستنفروا الناس ما أمكنه التخلف عنهم ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر من لقى العباس فلا يقتله فانه خرج مستكرها ولا ينافى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم له لما طلب منه الفداء ظاهر أمرك انك كنت علينا لان كونه عليهم فى الظاهر لا ينافى كونه مكرها فى الباطن فعامله النبى صلى الله عليه وسلم بظاهر حاله تطييبا لقلوب الصحابة رضى الله عنهم حيث فعل مثل ذلك باآبائهم وأبنائهم وعشائرهم وجاء أن العباس رضى الله عنه كان له مال وديون فى قريش وكان يخشى ان أظهر اسلامه ضياعها عندهم فكان يخفى اسلامه باذن من النبى صلى الله عليه وسلم ولم يظهر النبى صلى الله عليه وسلم اسلامه للصحابة رفقا به وخوفا على ضياع ماله

يارسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فانزل الله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقال عمر رضى عنه يارسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب أعنى واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب واجتمع نساء النبى صلى الله عليه وسلم فى الغيرة فقال عمر رضى الله عنه عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت * ولما استشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه فى أهل بدر فاشار أبو بكر رضى الله عنه باخذ الفداء منهم وأشار عمر رضى الله عنه بضرب أعناقهم وقال انهم رأس الكفر فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم برأى أبى بكر رضى الله عنه وقبل منهم الفداء فعاتب

وللنبي صلى الله عليه وسلم غرض في اخفاء اسلامه ليكون له عينا ينقل أخبار القوم ومن ثم لما قهرهم الاسلام يوم فتح مكة أظهر اسلامه فهو لم يظهر اسلامه لهم الا يوم فتح مكة وهذا لا ينافي أسبقية اسلامه وانه أظهره للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعد وقعة بدر كما يأتي لان الذي تأخر الى فتح مكة ظهوره لاهل مكة وكان العباس رضي الله عنه كثيرا ما يطلب الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكتب له النبي صلى الله عليه وسلم مقامك بمكة خير لك وفي رواية استأذن العباس رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فكتب اليه يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه فان الله عز وجل يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة وكان كذلك فقد كان آخر المهاجرين لانه استقبل النبي صلى الله عليه وسلم بالابواء ولا علم له بخروج النبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة فرجع معه وكان الذي أسر العباس رضي الله عنه كعب بن عمرو الانصاري السلمي و يكنى بأبي اليسر رضي الله عنه فقيل للعباس كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم ولو شئت لجعلته في كفك فقال ما هو الا أن لقيته فظهر في عيني كالخندمة الاثم وهو جبل عظيم من جبال مكة وفي رواية عن علي رضي الله عنه فجاء رجل من الانصار بالعباس رضي الله عنه أسيرا فقال العباس ان هذا والله ما أسرني لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ما أراه في القوم فقال الانصاري أنا أسرته يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اسكت فقد أيدك الله بملك كريم وفي رواية قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف أسرته فقال قد أعانني الله عليه بملك كريم ولما أسر رضي الله عنه شد واوثاقه كبقية الاسرى فصار يئن فسمع النبي صلى الله عليه وسلم أنينه فلم يأخذه نوم فقيل ما أسهرك يا رسول الله قال أنين العباس فقام رجل وأرخى وثاقه وكان العباس رضي الله عنه رجلا طويلا فاراد النبي صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه الى المدينة بالاسرى أن يلبسه قميصا وكان ذلك بعد ان حصل الفداء واظهاره اسلامه فلم يجد واله قميصا يكون على طوله فكساه عبد الله بن أبي ابن سلول قميصه ولهذا لما مات عبد الله بن أبي هذا وكان رئيس المنافقين جاء ابنه وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم يطلب قميصه صلى الله عليه وسلم ليكفن أباه فيه رجاء بركة النبي صلى الله عليه وسلم فاعطاه صلى الله عليه وسلم قميصه تطييبا لقلب ابنه وتألفا لبقية المنافقين ومكافأة لما فعله مع عمه العباس رضي الله عنه وجعل صلى الله عليه وسلم فداء العباس رضي الله عنه أربعمائة أوقية وفي رواية مائة أوقية وفي رواية أربعين أوقية من ذهب وجعل عليه فداء ابن أخيه عقيل بن أبي طالب ثمانين أوقية وجعل عليه فداء ابن أخيه نوفل بن الحرث كذلك وفي رواية قال له افد نفسك يا عباس وابني أخويك عقيل بن أبي طالب ونوفل ابن الحرث بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو ففدى نفسه بمائة أوقية وكل واحد باربعين أوقية وقال للنبي صلى الله عليه وسلم تركتني فقير قريش ما بقيت وفي لفظ تركتني أسأل الناس في كفي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين المال الذي دفعته لام الفضل يعني زوجته وقلت لها ان أصبت فهذا لبني الفضل وعبد الله وقثم وفي رواية فللفضل كذا وعبد الله كذا فقال والله اني أشهد انك رسول الله ان هذا شيء ما علمه الا أنا وأم الفضل أنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك عبده ورسوله وفي رواية قال للنبي صلى الله عليه وسلم لقد تركتني فقير قريش ما بقيت فقال له كيف تكون فقير قريش وقد استودعت بنادق الذهب أم الفضل وقلت لها ان قتلت فقد تركتك غنية ما بقيت وفي رواية أين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل فقال أشهد أن الذي تقوله قد كان وما اطلع عليه الا الله وأتى بالشهادتين أي نطق بهما بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فلا ينافي القول باسبقية اسلامه وانه كان يكتمه والنبي صلى الله عليه وسلم يعلم ذلك ومما يؤيد ذلك أنه جاء في بعض الروايات أن العباس رضي الله عنه قال علام يؤخذ منا الفداء وكنا مسلمين وفي رواية وكنت مسلما ولكن القوم استكرهوني فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الله أعلم بما تقول ان يك حقا فان الله يجزيك ولكن ظاهر أمرك انك كنت علينا وقد أنزل الله تعالى في العباس رضي الله عنه يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم و يغفر لكم وعند نزول الآية قال العباس رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم وددت انك كنت أخذت مني أضعاف ما أخذت وقد صدق الله وعده له فاعطاه الله

الله النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فقال صلى الله عليه وسلم لعمر لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه الا أنت يا عمر

* وسأل الله تعالى تحريم الخمر وقال اللهم بين لنا في الخمر فانها تذهب المال والعقل فأنزل الله تعالى يسألونك عن الخمر والميسر الآية فلم يكتف بها عمر رضي الله عنه وقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فلم يكتف بها وقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تحريمه في قوله تعالى

مالا عظيما حتى كان عنده مائة عبد في يد كل عبد مال يتجر فيه وكان يقول واني لارجو من الله المغفرة وقيل ان العباس ما فدى نوفلا بل عقيلا فقط بدليل أنه جاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لابن عمه نوفل بن الحرث ابن عبد المطلب افد نفسك يا نوفل قال مالي شئ أفدي به نفسي قال افد نفسك من مالك وفي رواية من رماحك فقال أشهد أنك رسول الله والله ما أحد يعلم أن لي بجدة رماحا غير الله أي وفدى نفسه ولم يفده العباس رضي الله عنه وكان من الاسرى النضر بن الحرث العبدري بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وكان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول في القرآن انه أساطير الاولين و يقول لو شئنا لقلنا مثل هذا وغير ذلك من الاقاويل فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير فقال النضر للاسير الذي بجانبه محمد والله قاتلي فانه نظر الي بعينين فيهما الموت فقال له والله ما هذا منك الا رعب ثم قال النضر لمصعب ابن عمير العبدري يا مصعب أنت أقرب من هنا الي رحما فكلم صاحبك أن يجعلني كرجل من أصحابي يعني المأسورين هو والله قاتلي فقال له مصعب أنت كنت تقول في كتاب الله ما تقول ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فضرب عنقه وذكر بعضهم أن النضر هذا له أخ يسمى باسمه أسلم عام الفتح وشهد حنينا وكان من المؤلفة وقيل بل أسلم قديما وهاجر الى الحبشة والله أعلم ولما ضربت عنق النضر وبلغ الخبر أخته قتيلة وقيل انما هي بنته رثته بأبيات ثم أسلمت رضي الله عنها وتلك الابيات تقول فيها

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق * أبلغ بها ميتا بان تحية
ما ان تزال بها النجائب تخفق * مني اليك وعبرة مسفوحة * جادت بواكفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق * أمحمد ولأنت نجل نجيبة
في قومها والفحل فحل معرق * ما كان ضرك لو مننت وربما * منّ الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن * باعز ما يغلو به ما ينفق * فالنضر أقرب من أسرت قرابة
وأحقهم ان كان عتق يعتق * ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

وفي رواية بدل قولها أمحمد البيت

أمحمد يا خير ضنء كريمة * في قومها والفحل فحل معرق

وحين سمع ذلك صلى الله عليه وسلم بكى وقال لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه أي لقبول شفاعتها عنده فلا ينافي أن ما فعله حق (ومن الاسرى أيضا) عقبة بن أبي معيط بن ذكوان المكي بابي عمرو بن أمية بن عبد شمس وكان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو من المستهزئين به صلى الله عليه وسلم كما تقدم فأمر بضرب عنقه عند عرق الظبية وهي شجرة يستظل بها وقال حين قدم للقتل من للصبية يا محمد قال النار وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عقبة لما قدم للقتل نادى يا معشر قريش مالي أقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك واجترائك على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ببزاقك في وجهي وتقدم أن عقبة كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فاتخذ ضيافة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان أبي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن أبى أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه وشهدت له الشهادة وليست في نفسي فقال له أبي وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه فوجد النبي صلى الله عليه وسلم ساجدا ففعل به ذلك ولما بزق رجع بزاقه اليه واحترق وجهه وصار أثر ذلك باقيا في وجهه الى موته وهو الذي وضع سلا الجزور على ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد وكان شديد السفه والفجور وأنزل الله تعالى فيه ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له بمكة لا ألقاك خارج مكة الا علوت رأسك بالسيف وفي رواية لما قال مالي أقتل من بينكم صبرا قال له النبي صلى

يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الى آخر الآية فقال انتهينا يا ربي ولما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على عمر رضي الله عنه فلما قال ثم أنشأناه خلقا آخر قال عمر تبارك الله أحسن الخالقين فقال له قد أنزلت كذلك * ولما توفي عبد الله بن أبي رأس المنافقين أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه تطييبا لقلب ابنه لانه كان مؤمنا صادقا وتأليفا لمن بقي من المنافقين فقام عمر رضي الله عنه

الله عليه وسلم بكفرك وفجورك وعتوك على الله ورسوله وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له لست من قريش هل أنت الا يهودي من أهل صفورية وذلك لان أمية جد أبيه خرج الى الشام فوقع على يهودية لها زوج من صفورية وهو نسبة لموضع من ثغور الشام فولدت ذكوان وهو والد أبي معيط على فراش اليهودي فاستلحقه بحكم الجاهلية واختلف في من باشر قتله فقيل عاصم بن ثابت جد عاصم بن عمر بن الخطاب لامه وقيل ان عاصم بن ثابت خاله لا جده لان أم عاصم جميلة بنت ثابت أخت عاصم بن ثابت وكون القاتل لعقبة عاصم ابن ثابت هو الصحيح وقيل قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويحتمل انهما اشتركا في مباشرة ذلك وقيل انه بعد قتله صلب على شجرة وذكر ابن قتيبة أن طعيمة بن عدي أخا المطعم بن عدي كان من جملة الاسرى وان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بضرب عنقه كالنضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط والصحيح عند أهل السير والمغازي ان طعيمة بن عدي قتل في معركة القتال قتله حمزة رضي الله عنه وسيأتي ان شاء الله تعالى في غزوة أحد ان قتل حمزة كان بسبب قتله لطعيمة المذكور (ثم استشار) رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في الاسرى فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ترون في هؤلاء الاسرى ان الله قد مكنكم منهم وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم استشار أبا بكر وعمر وعليا رضي الله عنهم فيما هو الاصلح من الامرين القتل أو أخذ الفداء فقال أبو بكر يارسول الله أهلك وقومك وفي رواية هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان قد أعطاك الله الظفر بهم ونصرك عليهم أرى أن تستبقيهم وتأخذ الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم بك فيكونون لنا عضدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا ابن الخطاب فقال يارسول الله قد كذبوك وأخرجوك وقاتلوك ما أرى ما رأى أبو بكر ولكني أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر وفي رواية نسيب له فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل أخيه فيضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس فيضرب عنقه حتى يعلم أنه ليس في قلوبنا مودة للمشركين هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم وقال ابن رواحة انظر واديا كثير الحطب فاضرمه عليهم نارا وفي رواية ان عمر رضي الله عنه لما قال ذلك أعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهم فقال عمر رضي الله عنه يارسول الله اضرب أعناقهم فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثلاثا وهو يعرض عنه لما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة في حالة ايذائهم له فكيف في حال قدرته عليهم فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يارسول الله أرى أن تعفو عنهم وتقبل الفداء منهم فذهب عنه صلى الله عليه وسلم ما كان من الغم ولم يذكر عن علي رضي الله عنه جواب مع أنه أحد الثلاثة المستشارين قال العلامة الزرقاني لانه لما رأى تغير المصطفى صلى الله عليه وسلم حين اختلف الشيخان لم يجب أو لم تظهر له مصلحة حتى يذكرها ولهذا لما ظهر لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه الجواب قال انظر واديا كثير الحطب فاضرمه عليهم نارا فقال العباس رضي الله عنه وهو يسمع قطعت رحمك وفي رواية ثكلتك أمك فدخل صلى الله عليه وسلم فقال أناس يأخذ بقول عمر وأناس يقول بقول أبي بكر وأناس يقول بقول ابن رواحة ثم خرج فقال ان الله ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب أقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثلك يا أبا بكر في الملائكة كمثل ميكائيل ينزل بالرحمة ومثلك في الانبياء مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر في الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والباس والنقمة على أعداء الله ومثلك في الانبياء مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك في الانبياء مثل موسى اذ قال ربنا اطمس على أموالهم الآية لو اتفقتما ما خالفتكما وأخذ بقول أبي بكر رضي الله عنه وقال لا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يارسول الله الا سهيل بن بيضاء فاني سمعته يذكر الاسلام فسكت صلى الله عليه وسلم فما رأيتني في يوم أخاف أن تقع علي الحجارة مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء وأنزل الله تعالى ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله

وأخذ ثوب النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أتصلي على عدو الله ابن أبي القائل كذا وكذا يوم كذا وكذا فاجتذب النبي صلى الله عليه وسلم ثوبه وتقدم وصلى عليه فأنزل الله تعالى ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية فكان ذلك موافقا لرأي عمر والحديث مذكور في صحيح البخاري (وأخرج) الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاستغفار لقوم من المنافقين قال عمر رضي الله عنه سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فأنزل الله تعالى الآية كذلك *ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج الى بدر استشار أصحابه في الخروج فكره الخروج جماعة منهم

عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فجاء عمر رضي الله عنه والنبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال صلى الله عليه وسلم أبكي للذي عرض على أصحابك من الفداء وفي رواية قال ان كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما أفلت منه الا ابن الخطاب وفي رواية وسعد بن معاذ لانه أيضا كره الاسر وأحب الاثخان ولم يقل وابن رواحة لانه أشار باضرام النار وليس بشرع قال بعضهم في هذه الآيات دليل على أنه يجوز الاجتهاد للانبياء لان العتاب لا يكون فيما صدر عن وحي وقال السبكي في قوله تعالى ما كان لنبي أي غيرك يا محمد أن يكون له أسرى الخ أي وأما أنت فمخير بين قتلهم وأخذ الفداء منهم وعن الاعمش في قوله تعالى لولا كتاب من الله سبق أي بانه سبحانه وتعالى لا يعذب أحدا ممن شهد بدرا ويؤيده حديث وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم وأحسن ما قيل في الآية ان فيها العتاب على ارتكاب خلاف الاولى وانه كان الاولى الاثخان بالقتل لكن لما سبق في علم الله ان هذا هو الذي يقع وأنتم مخيرون بين الامرين لم يؤاخذ كم بفعل الامر الجائز لكم المقدر وقوعه قبل خلق السموات والارض وفي الآية تخويف للكفار ووعيد شديد وترغيب لهم في الاسلام وحث للمؤمنين على قتال الكفار وتأييد لرأي عمر رضي الله عنه وهذا من المواضع التي جاء القرآن فيها موافقا لقول عمر رضي الله عنه وهي كثيرة نحو بضع وثلاثين أفردت بالتاليف وروى الحاكم باسناد صحيح عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الاسرى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على أن يقتل منهم عاما مقبلا مثلهم قالوا الفداء ويقتل منا وفي رواية قالوا بل نفاديهم فنتقوى به عليهم ويدخل قابلا منا الجنة سبعون ففاداهم (ثم لما استقر الامر على الفداء) فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسرى في أصحابه ليرجعوا بهم الى المدينة حتى يرسل لهم أهلهم وعشائرهم بالفداء وقيل تفريقهم بين أصحابه انما كان بعد وصولهم المدينة وقال لما فرقهم استوصوا بهم خيرا (قال ابن اسحق) فكان أبو عزيز بن عمير شقيق مصعب بن عمير في الاسرى فقال مر بي أخي ورجل من الانصار يأسرني فقال له شد يديك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك قال فكنت في رهط من الانصار حين أقبلوا من بدر فكانوا اذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا ولما قال أخوه للانصاري شد يديك به قال يا أخي هذه وصايتك بي ثم أرسلت أمه أربعة آلاف درهم ففدته بها ثم أسلم رضي الله عنه وتواصت قريش على أن لا يعجلوا في طلب فداء الاسرى قالوا لئلا يتغالى محمد وأصحابه في الفداء فلم يلتفت لذلك المطلب بن أبي وداعة السهمي بل خرج من الليل خفية وقدم المدينة فافتدى أباه باربعة آلاف درهم وقد قال صلى الله عليه وسلم لما رأى أبا وداعة أسيرا ان له بمكة ابنا كيسا تاجرا ذا مال وكأنكم به قد جاء في طلب أبيه فجاء وفداه فكان أول أسير فدي واسم أبي وداعة الحرث ثم أسلم رضي الله عنه فقد عده بعضهم من الصحابة وعند ذلك بعثت قريش فداء الاسارى وكان الفداء فيهم على قدر أموالهم وكان من أربعة آلاف درهم الى ثلاثة الى ألفين الى ألف ومن لم يكن معه مال وهو يحسن الكتابة دفعوا اليه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم الكتابة فاذا علمهم كان ذلك فداءه وجاء جبير بن مطعم وهو كافر يسأل النبي صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر فقال له صلى الله عليه وسلم لو كان شيخك أو الشيخ أبوك حيا فأتانا فيهم لشفعناه وفي رواية لو كان مطعم حيا وكلمني في هؤلاء النفر وفي رواية في هؤلاء النتنى لتركتهم له لان المطعم أجار النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم من الطائف وكان ممن سعى في نقض الصحيفة كما تقدم وسماهم نتنى لكفرهم وكان موت المطعم قبل وقعة بدر وهو على كفره وأما جبير ابنه فأسلم رضي الله عنه (وكان من الاسرى أبو العاص بن الربيع) رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وهو زوج زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد رضي الله عنها أخت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها وكنيته أبو العاص واسمه لقيط وقيل مقسم بكسر الميم وقيل هشيم واشتهر بكنيته وأبوه

وأشار عمر رضي الله عنه بالخروج فأنزل الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون * ولما استشار صلى الله عليه وسلم أصحابه في قصة الافك قال عمر رضي الله عنه من زوجكها يا رسول الله قال الله تعالى قال أفتظن ان الله دلس عليك فيها سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت كذلك في ضمن الآيات التي في براءة عائشة رضي الله عنها (وأخرج) ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى ان يهوديا لقي عمر رضي الله عنه فقال ان جبريل الذي يذكره صاحبكم عدو لنا فقال عمر من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين فأنزلها الله كذلك (وأخرج) أبو الفرج وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما ان

لربيع بن ربيعة بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف فلما أسر أبو العاص بعثت زينب رضي الله عنها في فدائه قلادة لها كانت أمها خديجة رضي الله عنها أدخلتها بها حين تزوجها أبو العاص فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال للصحابة ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا لها قلادتها فافعلوا وشرط عليه صلى الله عليه وسلم أن يخلي سبيل زينب أي أن تهاجر الى المدينة ولم يكن في ذلك الوقت تزوج الكافر بالمسلمة محرما وانما حرم ذلك بعد لان الاحكام انما شرعت بالتدريج فلما بعث صلى الله عليه وسلم وأسلم أهله وبناته ولم يسلم أبو العاص زوج زينب لم يفرق بينهما صلى الله عليه وسلم وقد كان كفار قريش مشوا الى أبي العاص وسألوه أن يطلق زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له نزوجك أي امرأة شئت من قريش فأبى ذلك وقال والله لا أفارق صاحبتي وما أحب أن لي بامرأتي أفضل امرأة من قريش وأثنى عليه النبي صلى الله عليه وسلم بذلك خيرا وشكر له ذلك فلما وصل أبو العاص مكة أمرها باللحوق بأبيها وقد كان صلى الله عليه وسلم أرسل زيد بن حارثة ورجلا من الانصار وقال لهما تكونان ببطن كذا الحل قريب من مكة حتى تمر بكما زينب فتصحباها حتى تأتياني بها فلما أرادت الخروج من مكة خرج معها كنانة بن الربيع وهو أخو زوجها قدم لها بعيرا فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهارا يقودها في هودج لها وكانت حاملا فتحدث بخروجها رجال من قريش فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى فكان أول من سبق اليها هبار بن الاسود رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ونخس البعير بالرمح فوقعت وألقت حملها ثم ان كنانة بن الربيع برك ونثر كنانته وأخذ قوسه وقال والله لا يدنو مني رجل الا وضعت فيه سهما فجاء اليه أبو سفيان في رجال من قريش وقال كف عنا نبلك حتى نكلمك ثم قال له انك لم تصب في فعلك فانك خرجت بزينب علانية على رؤس الناس من بين أظهرنا فيظن الناس ان ذلك من ذل أصابنا وان ذلك منا ضعف ووهن ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها حاجة ولكن ارجع بها حتى اذا هدأت الاصوات وتحدث الناس أن قد رددناها فسر بها سرا وألحقها بأبيها ففعل وأقامت ليالي ثم خرج بها ليلا حتى أسلمها الى زيد بن حارثة وصاحبه وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لزيد بن حارثة ألا تنطلق فتجيء بزينب قال بلى يا رسول الله قال خذ خاتمي فاعطها فانطلق زيد فلم يزل يتلطف حتى لقي راعيا فقال لمن ترعى قال لابي العاص قال فلمن هذه الغنم قال لزينب بنت محمد فتكلم معه ثم قال له ان أعطيتك شيأ تعطها اياه ولا تذكره لاحد قال نعم فأعطاه الخاتم فانطلق الراعي الى زينب فادخل غنمه وأعطاها الخاتم فعرفته فقالت من أعطاك هذا قال رجل قالت فاين تركته قال بمكان كذا وكذا فسكتت حتى اذا كان الليل خرجت اليه فلما جاءته قال لها اركبي بين يدي على بعيري قالت لا ولكن اركب أنت بين يدي فركب وركبت خلفه حتى أتت المدينة وذلك بعد شهر من بدر وكونها خرجت في الليل الى زيد لا ينافي الرواية التي فيها خرج معها حموها أي أخو زوجها حتى سلمها الى زيد لامكان أن يكون معها حين خرجت ثم أسلم زوجها رضي الله عنه وهاجر وردها اليه صلى الله عليه وسلم بغير عقد بل بالنكاح الاول وقيل عقد له عليها عقدا آخر وولدت له أمامة التي كان يحملها صلى الله عليه وسلم على ظهره وهو يصلي ثم لما كبرت تزوجها علي رضي الله عنه بعد خالتها فاطمة رضي الله عنها بوصية من فاطمة رضي الله عنها لعلي بذلك ولما حضرت عليا رضي الله عنه الوفاة قال لها اني لا آمن أن يخطبك معاوية بعد موتي فان كان لك في الرجال حاجة فقد رضيت لك المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب عشيرا فلما توفي علي رضي الله عنه وانقضت عدتها أرسل معاوية رضي الله عنه يخطبها وبذل لها من المهر مائة ألف دينار فلما خطبها أرسلت الى المغيرة بن نوفل ان هذا الرجل أرسل يخطبني فان كان لك حاجة فيّ فاقبل فجاء وخطبها من الحسن بن علي رضي الله عنه فزوجها منه وقيل زوجها منه الزبير بن العوام بوصية من أبيها له عليها ويمكن الجمع بينهما (وكان من جملة الاسرى عمرو بن أبي سفيان) بن حرب أخو معاوية أسره علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقيل لابي سفيان افد عمرا ابنك فقال أيجمع علي دمي ومالي قتلوا حنظلة يعني ابنه وهو شقيق أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها وأفدي عمرا دعوه في أيديهم يمسكونه ما بدا لهم فبينما أبو سفيان بمكة اذ وجد سعد بن النعمان

رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل غلاما من الانصار الى عمر بن الخطاب وقت الظهر ليدعوه فدخل فرأى عمر على حالة كره عمر رؤيته عليها وفي رواية وكان نائما وقد انكشف بعض جسده فقال اللهم حرم الدخول علينا في وقت نومنا وفي رواية قال لوان الله أمرنا ونهانا في حال الاستئذان فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات الآية

* ولما نزل قوله تعالى ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر رضي الله عنه وقال يا رسول الله وقليل من الآخرين ومن ينجو منا فأنزل الله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر وقال لقد

أخا بني عمرو بن عوف قدوقدم من المدينة معتمرا فعدا عليه أبو سفيان فحبسه بابنه عمرو فمضى بنو عمرو بن عوف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه خبر سعد بن النعمان وسألوه أن يعطيهم عمرو بن ابى سفيان فيفكون به صاحبهم ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثوا به الى أبي سفيان فخلى سبيل سعد ولم يذكر عمرو وهذا فيمن أسلم من الاسرى والظاهر أنه مات على شركه (وكان من جملة الاسرى سهيل بن عمرو العامرى) وكان من أشراف قريش وفصحائهم وخطبائهم وكان يخطب قريشا ويحثهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما أسر قال عمر رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو حتى يدلع لسانه أى يخرج فلا يستطيع الكلام لانه كان أعلم والاعلم اذا نزعت ثنيتاه لا يستطيع الكلام فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أمثل به فيمثل الله بى وان كنت نبيا وعسى أن يقوم مقاما لاتذمه وقد كان كذلك فانه أسلم رضى الله عنه عام الفتح وحسن اسلامه وصار من فضلاء الصحابة حتى أنه لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أكثر أهل مكة الرجوع عن الاسلام فقام سهيل بن عمرو خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتى بخطبة ثبت الله بها الناس تشبه خطبة أبي بكر رضى الله عنه التى خطبها بالمدينة يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقال سهيل فى خطبته أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ألم تعلموا أن الله قال انك ميت وانهم ميتون وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين ثم قال والله انى لأعلم ان هذا الدين سيمتد امتداد الشمس فى طلوعها وغروبها فاتقوا وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمة الله تامة وان الله ناصر من نصره ومقوّ دينه وقد جمعكم الله على خيركم يعنى أبا بكر رضى الله عنه وان ذلك لا يزيد الاسلام الا قوة فمن رأيناه ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس وكفوا عما هموا به فكان فى قيامه ذلك المقام معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم حيث أخبر به قبل حصوله باعوام كثيرة وذلك يوم بدر حين قال لعمر رضى الله عنه عسى أن يقوم مقاما لاتذمه ولما أسر سهيل قدم مكرز ابن حفص فى فدائه فلما ذكر قدرا أرضاهم به قالوا هات قال ليس عندى هنا شئ ولكن اجعلوا رجلى مكان رجله وخلوا سبيله حتى نبعث اليكم بفدائه فخلوا سبيل سهيل وحبسوا مكرزا فى محله حتى جاءهم الفداء وكان فى الاسرى الوليد بن الوليد أخو خالد بن الوليد رضى الله عنه فافتكه أخواه هشام وخالد فلما سلموا فداءه وافتكوه ووصل الى مكة أسلم فعاتبوه فى ذلك فقال كرهت أن يظن بى أنى جزعت من الاسر ثم لما أسلم أراد الهجرة فحبسه أخواه هشام وخالد فكان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو له فى القنوت ويقول اللهم أنج الوليد ابن الوليد ثم انفلت ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فى عمرة القضاء (وكان فى الاسرى وهب بن عمير الجمحى) رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وأسره رفاعة بن رافع وبقى بالمدينة مع الاسرى وكان أبوه عمير شيطانا من شياطين قريش وكان ممن يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بمكة فجلس عمير يوما مع صفوان بن أمية بن خلف بن وهب الجمحى رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان جلوسه معه فى الحجر فتذاكرا ما أصاب قريشا يوم بدر وذكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ما فى العيش خير بعدهم لانه قتل أبوه أمية وأخوه على فقال له عمير صدقت أما والله لولا دين على ليس له عندى قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لكنت آتى محمدا حتى أقتله فان لى فيهم علة ابنى أسير فى أيديهم فاغتنمها صفوان وقال له على دينك أنا أقضيه عنك وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا قال عمير فاكتم عنى شأنى وشأنك وتعاقدا وتعاهدا على ذلك ثم ان عميرا أخذ سيفه فشحذه أى سنه وسمه أى جعل فيه السم ثم انطلق حتى قدم المدينة فبينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر اذ نظر الى عمير حين أناخ راحلته على باب المسجد متوشحا بالسيف فقال عمر رضى الله عنه هذا الكلب عدوّ الله عمير بن وهب ما جاء الا بشر فدخل عمر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله هذا عدوّ الله عمير بن وهب قد جاء متوشحا بسيفه قال فادخله على فاقبل عمر حتى اخذ بحمالة سيفه فى عنقه فأمسكه بها وقال لرجال ممن كان معه من الانصار ادخلوا على رسول الله صلى

أنزل الله فيما قلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين (قال) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ما اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شئ فقالوا وقال عمر الا أنزل القرآن بما قال عمر * ومن موافقته لما فى التوراة ما رواه طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال أرأيت قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أجيبوه فلم يكن عندهم فيها شئ فقال عمر أرأيت النهار اذا جاء يملأ السموات والارض قال بلى قال فاين الليل قال حيث شاء الله قال عمر فالنار حيث شاء الله عز وجل فقال اليهودى والذى نفسك بيده يا أمير المؤمنين انها

الله عليه وسلم فاجلسوا عنده فان هذا الخبيث غير مأمون ثم دخل به عمر رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه فى عنقه قال أرسله يا عمر ادن يا عمير فدنا ثم قال عمير أنعموا صباحا وكانت تحية الجاهلية بينهم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتكم يا عمير بالسلام تحية أهل الجنة ما جاء بك يا عمير قال جئت لهذا الاسير الذى فى أيديكم يعنى ولده وهبا فأحسنوا فيه قال فما بال السيف قال قبحها الله السيوف وهل أغنت عنا شيأ قال أصدقنى ما الذى جئت له قال ما جئت الا لذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر فتذاكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين على وعيال لخرجت حتى أقتل محمدا فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك حتى تقتلنى له والله حائل بينى وبين ذلك قال عمير أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك فيما تأتى به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحى وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله انى لأعلم انه ما أتاك به الا الله تعالى فالحمد لله الذى هدانى للاسلام وساقنى هذا المساق ثم شهد شهادة الحق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم فى دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره ففعلوا ذلك وأسلم ابنه أيضا رضى الله عنه ثم قال عمير يا رسول الله انى كنت جاهدا على اطفاء نور الله شديد الاذى لمن كان على دين الله فأنا أحب أن تأذن لى فأقدم مكة فأدعوهم الى الله والى الاسلام لعل الله يهديهم والا آذيتهم فى دينهم كما كنت أوذى أصحابك فى دينهم فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحق بمكة وكان صفوان حين خرج عمير يقول لاهل مكة أبشروا بوقعة تأتيكم الآن تنسيكم وقعة بدر وكان صفوان يسأل عن عمير الركبان حتى قدم راكب فأخبره باسلامه فحلف أن لا يكلمه أبدا وان لا ينفعه ولا يواسيه أبدا فلما قدم عمير مكة لم يبدأ بصفوان بل بدأ ببيته وأظهر الاسلام ودعا اليه فبلغ ذلك صفوان فقال قد عرفت حيث لم يبدأ بى قبل منزله انه انتكس وصبا ولا أكلمه أبدا ولا أنفعه ولا عياله بنافعة أبدا ثم ان عميرا رضى الله عنه وقف على صفوان وناداه أنت سيد من ساداتنا أرأيت الذى كنا عليه من عبادة حجر والذبح له أهذا دين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فلم يجبه صفوان بكلمة وعند فتح مكة هو الذى استأمن النبى صلى الله عليه وسلم لصفوان ثم أسلم صفوان رضى الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه صلى الله عليه وسلم واديا مملوأ من النعم فقال أشهد أن الملوك لا تطيب نفوسهم بهذا ولا تطيب به الا نفوس الانبياء أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن اسلامه وصار من فضلاء الصحابة رضى الله عنه وكان يسمى سيد البطحاء وكان من فصحاء قريش ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من الاسرى بغير فداء منهم أبو عزة عمرو الجمحى الشاعر كان يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين بشعره فقال يا رسول الله انى فقير وذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن على صلى الله عليك وسلم فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية قال له ان لى خمس بنات ليس لهن شئ فتصدق بى عليهن ففعل وأطلقه وأخذ عليه عهدا أن لا يظاهر عليه أحدا ولما وصل الى مكة قال سحرت محمدا ورجع لما كان عليه من الايذاء بشعره ولما كان يوم أحد خرج مع المشركين يحرض على قتال المسلمين بشعره فأسر فأمر النبى صلى الله عليه وسلم بضرب عنقه فقال أعتقنى وأطلقنى فانى تائب فقال صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين فضربت عنقه وحمل رأسه الى المدينة وأنزل الله فيه وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرح أهل القليب فى قليبهم أرسل عبد الله بن رواحة رضى الله عنه بشيرا لاهل العالية وهو موضع قريب من المدينة وزيد بن حارثة رضى الله عنه بشيرا لاهل السافلة بما فتح الله على رسوله والمسلمين وأركب صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ناقته القصواء وقيل العضباء فجعل عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ينادى فى أهل العالية يا معشر الانصار أبشروا بسلامة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل المشركين وأسرهم ونادى زيد بن حارثة فى أهل السافلة بذلك ويقولان قتل فلان وأسر فلان وفلان من أشراف قريش فصار عدو الله كعب بن الاشرف اليهودى يكذبهما ويقول ان كان محمد قتل هؤلاء فبطن الارض خير من ظهرها قال أسامة بن زيد رضى الله

لفى التوراة كذلك (وقال) كعب الاحبار يوما عند عمر رضى الله عنه ويل لملك الارض من ملك السماء فقال عمر رضى الله عنه الا من حاسب نفسه فقال كعب والذى نفسى بيده انها لتابعتها فى كتاب الله عز وجل التوراة فخر عمر ساجدا لله تعالى *(وأما الاحاديث الواردة فى فضله رضى الله عنه فكثيرة) أخرج الامام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وزاد فى رواية يقول الحق وان كان مرا (وأخرج) ابن السمان عن على رضى الله عنه ان عمر ليقول القول فينزل القرآن بتصديقه وفى رواية عن على رضى الله عنه ان فى القرآن لكلاما من كلام عمر ورأيا من رأيه (وأخرج) الترمذى عن

عنهما فأتانا الخبر بالمدينة حين سوّينا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها زوج عثمان رضى الله عنه وكان عمرها عشرين سنة ثم زوّجه صلى الله عليه وسلم ابنته الاخرى أم كلثوم وتوفيت عنده أيضا رضى الله عنها فقال صلى الله عليه وسلم زوّجوا عثمان لو كان لى ثالثة لزوّجته اياها وما زوّجته الا بوحى من الله وفى رواية لو أن لى أربعين زوّجتك واحدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة قال العلامة الحلبى وأم عثمان بنت عمته صلى الله عليه وسلم أروى بنت عبد المطلب توأمة عبد الله أبى النبى صلى الله عليه وسلم ولما جاء زيد بن حارثة بشيرا قال رجل من المنافقين لابى لبابة رضى الله عنه قد تفرق أصحابكم تفرقا لا تجتمعون بعده أبدا وقد قتل محمد وغالب أصحابه وهذه ناقته عليها زيد بن حارثة لا يدرى ما يقول من الرعب قال أسامة فبلغنى ذلك فجئت حتى خلوت بابى وسألته عما يقول ذلك الرجل وقلت أحق ما تقول قال أى والله انه لحق ما أقول يا بنى فقوّيت نفسى ورجعت الى ذلك المنافق فقلت أنت المرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم لنقدمنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قدم فيضرب عنقك فقال انما هو شئ سمعته من الناس يقولونه ثم أقبل صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة ولما خرج من مضيق الصفراء قسم الغنيمة ونادى مناديه من قتل قتيلا فله سلبه ومن أسر أسيرا فهو له وكان قد نادى بمثل ذلك حين القتال للتحريض على القتال والترغيب فيه وأسهم لجماعة قد تخلفوا بامر منه صلى الله عليه وسلم منهم عثمان بن عفان رضى الله عنه تخلف لتمريض رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فهو معدود من أهل بدر وان لم يحضر كما أخبر بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وجعل له سهما فى الغنيمة ومنهم أبو لبابة رضى الله عنه خلفه صلى الله عليه وسلم على أهل المدينة وعاصم بن عدى خلفه على أهل قباء والعالية ومنهم من أرسله لكشف أمر العدوّ وتجسس خبره فلم يجئ الا وقد انقضى القتال وهما طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ومنهم الحرث بن حاطب أمّره النبى صلى الله عليه وسلم على بنى عمرو بن عوف ولما قارب رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة خرج المسلمون للقائه وتهنئته بما فتح الله عليه فتلاقوا معه بالروحاء وتلقته الولائد عند دخول المدينة يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعى

وتلقاه أسيد بن حضير وقال الحمد لله الذى أظفرك وأقر عينك (وأما أهل مكة) فاوّل من قدم عليهم بمصاب قريش الحيسمان بن اياس الخزاعى رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك فلما جاء مكة صار يحدثهم عما شاهده ويقول قتل عتبة وشيبة وأبو الحكم وأمية وفلان وفلان من أشراف قريش وأسر فلان وفلان فقال صفوان بن أمية وكان جالسا فى الحجر والله ما يعقل هذا سلوه عنى فسألوه فقالوا له ما فعل صفوان بن أمية فقال هو ذاك جالس فى الحجر وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا ثم قدم أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاع ارتضع معه من حليمة رضى الله عنها وكان مشركا من أشد الناس على النبى صلى الله عليه وسلم ثم أسلم رضى الله عنه وحسن اسلامه وهاجر مع عمه العباس والتقيا مع النبى صلى الله عليه وسلم بالابواء وهو متوجه الى فتح مكة فلما قدم أبو سفيان بن الحرث على أهل مكة بعد وقعة بدر سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش فقال هلمّ الىّ عندى الخبر والله ما هو الا ان لقينا القوم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا كيف شاؤا وأيم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يقوم لها شئ أى لا يقاومها شئ فقال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك الوقت مولى للعباس رضى الله عنه ثم وهبه للنبى صلى الله عليه وسلم فقلت له والله تلك الملائكة فرفع أبو لهب يده فضرب بى فى وجهى ضربة شديدة وثاورته فاحتملنى وضرب بى الارض ثم برك على يضربنى فقامت أم الفضل زوج العباس رضى الله عنها وهى لبابة بنت الحرث الهلالية أخت ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها وكانت من السابقات للاسلام كما تقدم الى عمود فضربت به رأس أبى لهب حتى شجته شجة منكرة وقالت استضعفته أن غاب سيده قال أبو رافع فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش بعدها الا سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة وهى قرحة كانت العرب تتشاءم بها ويقولون انها تعدى أشد العدوى فتباعد

على رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عمر يقول الحق وان كان مرا تركه الحق وماله صديق (وأخرج) البغوى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر معى وانا مع عمر والحق بعدى مع عمر حيث كان وفى رواية ادن منى أنت منى وأنا منك والحق بعدى معك (وأخرج) ابن السمان وأبو الفرج عن على رضى الله عنه قال كنا ونحن متوافرون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نقول ان السكينة تنطق على لسان عمر (وأخرج) النسائى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضى الله عنه مالقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير

عنه أهله وبنوه حتى قتله الله وبقي بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه فلما خافوا السبة في تركه حفر وا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه وأما أولاده فأسلم منهم عتبة ومعتب يوم الفتح رضي الله عنهما وثبتا يوم حنين مع النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت أيضا أختهما درة وهاجرت فلها صحبة رضي الله عنها وأما عتيبة بالتصغير فمات كافرا عقره الاسد في طريق الشام في حياة أبيه بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم حين طلق ابنة النبي صلى الله عليه وسلم وسفه عليه فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك كما تقدم ولما ظهر خبر قريش وتحقق عند أهل مكة ما صاروا اليه من القتل والاسر ناحت قريش على قتلاهم أكثر النوح واستداموه شهرا وجز النساء شعورهن وكن يأتين بفرس الرجل أو راحلته وتستر بالستور ويحن حولها ويخرجن الى الازقة ثم أشير عليهم أن لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم ولا تبكوا قتلانا حتى نأخذ بثارهم وتواصوا على ذلك (ولما بلغ النجاشي الخبر) أي خبر نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر فرح فرحا شديدا وطلب جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن كان معه بأرض الحبشة من الصحابة رضي الله عنهم فدخلوا عليه فوجدوه جالسا على التراب لابسا أثوابا خلقة فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال لهم اني أبشركم بما يسركم انه قد جاءني من نحو أرضكم عين لي فأخبرني أن الله نصر نبيه صلى الله عليه وسلم وأهلك عدوه فلان بن فلان وفلان بن فلان وفلان بن فلان وعد جماعة التقوا بمحل يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه غنما لسيدي من بني ضمرة فقال له جعفر رضي الله عنه ما لك جالسا على التراب وعليك هذه الاخلاق قال انا نجد فيما أنزل الله على عيسى عليه السلام ان حقا على عباد الله أن يحدثوا لله عز وجل تواضعا عندما أحدث لهم نعمة وفي رواية كان عيسى صلوات الله وسلامه عليه اذا حدثت له من الله نعمة ازداد تواضعا فلما أحدث الله نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم أحدثت هذا التواضع ولما أوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر واستاصل رؤسهم قالوا ان ثارنا بأرض الحبشة فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من أتباع محمد فنقتلهم بمن قتل منا فارسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة رضي الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك الى النجاشي ليدفع اليهما من عنده من المسلمين وأرسلوا معهما هدايا للنجاشي وأصحابه فردهما خائبين وتقدمت القصة بتمامها عند ذكر الهجرة الى الحبشة وقد وفد عمرو بن العاص رضي الله عنه على النجاشي مرة ثالثة سيأتي ان شاء الله وفيها قصة اسلامه ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة مؤيدا منصورا خافه كل عدو بها وحولها وأسلم كثير من أهل المدينة ودخل عبد الله بن أبي في الاسلام ظاهرا وقالت اليهود تيقنا أنه النبي الذي نجد نعته في التوراة وآمن منهم جماعة وبقي على كفرهم آخرون ومن يضلل الله فلا هادي له وكان جملة من استشهد يوم بدر أربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار منهم ستة من الخزرج واثنان من الاوس فالستة المهاجرون عبيدة بن الحرث بن عبد المطلب قطعت رجله في المبارزة مع عتبة بن ربيعة وأخيه وولده فمات بالصفراء فدفنه صلى الله عليه وسلم بها ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل انه أول قتيل وأول من يدعى يوم القيامة من شهداء هذه الامة وكان قتله بسهم أرسله عامر بن الحضرمي وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم استصغر عميرا فرده فبكى فلما رأى بكاءه أذن له في الخروج فقتل وهو ابن ست عشرة سنة وعاقل بن بكير الليثي وصفوان بن بيضاء الفهري وذو الشمالين عمير وقيل الحرث وقيل عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي والثمانية الانصاريون الخزرجي منهم عوف بن عفراء وأخوه شقيقه معوذ بن عفراء وحارثة بن سراقة ويزيد بن الحرث بن قيس بن مالك ورافع بن المعلى وعمير بن الحمام بن الجموح والاوسي منهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر رضي الله عنهم أجمعين وكلهم دفنوا ببدر ما عدا عبيدة لتأخر وفاته دفن بالصفراء وقيل بالروحاء روى الطبراني باسناد رجاله ثقات عن ابن مسعود رضي الله عنه قال ان الذين قتلوا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة فبينما هم كذلك اذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال يا عبادي ماذا تشتهون فقالوا يا ربنا هل فوق هذا من شئ قال فيقول ماذا تشتهون فيقولون في الرابعة ترد أرواحنا في

فلك وفي رواية للامام أحمد يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك وفي رواية ان الشيطان ليخاف منك يا عمر وعن علي رضي الله عنه قال كنا نرى ان شيطان عمر يخاف ان يحمله الى معصية الله تعالى (وأخرج) الطبراني عن حفصة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان لم يلق عمر منذ أسلم الا خر لوجهه (وأخرج) صاحب المصابيح عن أنس ابن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشدهم في أمر الله عمر (وأخرج) البغوي عن بلال رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم عرفة ان الله باهى ملائكته باهل عرفة عامة وباهى بعمر بن

أجسادنا فنقتل كما قتلنا قال في المواهب ولا يقدح في وعد الله تعالى للمسلمين بالظفر استشهاد هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم لانه وعدهم الظفر بقريش حيث قال واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم ولم يعدهم انه لا يقتل منهم أحد فلا ينافي قتل هؤلاء فقد نجز الموعود وغلبوا عدوهم كما وعدالله فكان وعد الله مفعولا ونصره للمؤمنين ناجزا والحمد لله على ذلك وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون كما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما وفي المواهب وشرحها قال ابن مرزوق في شرح البردة ومن آيات بدر الباقية مدى الازمان ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجاج انهم اذا اجتازوا بذلك الموضع أي بدر يسمعون هيئة الطبل كهيئة طبل الملوك ويرون ان ذلك لنصر أهل الايمان وربما أنكرت ذلك وربما تأولته بان الموضع صلب أي شديد لا سهولة فيه فتصيب فيه حوافر الدواب أي تكون بصوت يشبه تصويتها في الارض الصدى فيقولون لي ان الموضع سهل رمل غير صلب وغالب ما يسير هناك الابل واخفافها لا تصوت في الارض ثم لما من الله علي بالوصول الى ذلك الموضع المشرق بالنور نزلت عن الراحلة أمشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان المسمى بام غيلان وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت أسمع فما راعني وأنا سائر في الهاجرة الا واحد من عبيد الاعراب الجمالين يقول أتسمعون الطبل فأخذتني لما سمعت كلامه قشعريرة بينة وتذكرت ما كنت أخبرت به وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وأنا دهش مما أصابني من الفرح والهيبة فشككت وقلت لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي فجلست على الارض أو ثبت قائما أو فعلت جميع ذلك فسمعت صوت الطبل سماعا محققا وسمعت صوتا لا أشك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمين ونحن سائرون الى مكة ثم نزلنا ببدر فظللت أسمع ذلك الصوت يومي أجمع المرة بعد المرة ولقد أخبرت أن ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس انتهى كلام ابن مرزوق قال العلامة الزرقاني قال صاحب تاريخ الخميس ولما نزلت ببدر سنة ست وثلاثين وتسعمائة صليت الفجر يوم الاربعاء أوائل شعبان وأتممنا يومنا فوجدت صوت ذلك الطبل يجيء من كثيب ضخم طويل مرتفع كالجبل شمالي بدر فطلعت أعلاه وتتابع الناس لسماعه وكانوا زهاء مائة من رجال ونساء فما سمعت شيا فنزلت أسفله فسمعت من سفح الكثيب صوتا كهيئة الطبل الكبير سماعا محققا بلا شك مرارا متعددة وسمعه الناس كلهم كما سمعت وكان ذلك الصوت يجيء تارة من تحتنا ثم ينقطع وتارة من خلفنا ثم ينقطع وتارة من قدامنا وتارة من شمالنا فسمعناه سماعا محققا وكان الوقت صحوا رائقا لا ريح فيه انتهى وقد جاء في فضل أهل بدر أحاديث وآثار فمنها ان جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال جبريل عليه السلام وكذلك من شهد بدرا من الملائكة وفي رواية ان للملائكة الذين شهدوا بدرا في السماء لفضلا على من تخلف منهم وروى الطبراني بسند جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم أو فقد وجبت لكم الجنة أي غفرت لكم ما مضى وما سيقع من الذنوب يقع مغفورا وقيل ان ذلك كناية عن الحفظ من الوقوع في الذنوب في المستقبل ولو فرض حصول شئ منها يلهمون توبة عنها تغفر أو يوجد ما يكفر عنهم فليس فيه اباحة الذنوب ولا الاغراء عليها وقد كان صلى الله عليه وسلم يكرم أهل بدر ويقربهم على غيرهم ومن ثم جاء جماعة من أهل بدر للنبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في صفة ضيقة ومعه جماعة من أصحابه فوقفوا بعد ان سلموا ليفسح لهم القوم فلم يفعلوا فشق قيامهم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن لم يكن من أهل بدر من الجالسين قم يا فلان قم يا فلان بعدد الواقفين فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الكراهة في وجه من أقامه فقال رحم الله رجلا يفسح لاخيه فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا الآية فجعلوا يقومون لهم بعد ذلك ويجلسونهم وجاء عن كثير من العلماء ان تلاوة أسمائهم والتوسل بهم وكتابتها ومحوها وتعليقها في الدور سبب للحفظ والنصر والفتح والسلامة من كيد الاعداء وظلم الظالمين الى غير ذلك من الفوائد والخواص وقد أفردت بالتاليف تلك الخواص مع بقية مناقبهم وكذلك غزوة

الخطاب رضي الله عنه خاصة (وأخرج) الامام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما هو أسفل من ذلك وعرض علي عمر وعليه قميص يجره فقال من حوله ما أوّلت ذلك يا نبي الله قال الدين (وأخرج) الامام أحمد والبخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم اذ رأيت قدحا أتيت به فيه لبن فشربت حتى اني لارى الري يجري في أظفاري ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قالوا فما أوّلت ذلك يا رسول الله قال العلم وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال لو جمع علم أحياء العرب في كفة ميزان

بدر وذكر ماوقع فيهما قد أفردت بالتأليف وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة بني سليم)

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من بدر لم يقم الا سبع ليال حتى غزا بنفسه يريد بني سليم واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وعلى الصلاة ابن أم مكتوم بل كل غزوة استعمل فيها ابن أم مكتوم فهو على الصلاة فقط بناء على ان قضاء الاعمى غير صحيح وقيل غير ذلك وكان لواؤه أبيض حمله علي بن أبي طالب رضي الله عنه فبلغ صلى الله عليه وسلم ماء من مياههم يقال له الكدر فاقام صلى الله عليه وسلم ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وارتفع القوم وهربوا وبقيت نعمهم فظفر بها صلى الله عليه وسلم وانحدر بها الى المدينة وقسمها بصرار على ثلاثة أميال من المدينة وكانت خمسمائة بعير وكانت مدة غيبته خمس عشرة ليلة

(غزوة بني قينقاع)

بضم النون وقيل بكسرها وقيل بفتحها والضم أشهر قوم من اليهود كانت منازلهم بطرف المدينة مما يلي العالية وكانوا أشجع اليهود وكانوا صاغة وكانوا احلفاء عبادة بن الصامت رضي الله عنه وعبد الله بن أبي ابن سلول فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد أي لانه صلى الله عليه وسلم كان عاهدهم وعاهد بني قريظة وبني النضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه وقيل على أن يكونوا معه لا عليه وقيل على أن ينصروه على من دهمه من عدوه فهم أول من غدر من اليهود مع ماهم عليه من العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسبب غدرهم ونقضهم العهد ان امرأة من العرب وكانت زوجة لبعض الانصار الساكنين بالبدو وقدمت بجلب لها وهو ما يجلب ليباع من ابل وغنم وغيرهما فباعته بسوق بني قينقاع وجلست الى صائغ منهم فجعل جماعة منهم يراودونها عن كشف وجهها فابت فعمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها وقيل خله بشوكة وهي لا تشعر فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله وشدت اليهود على المسلم فقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون وتوائبوا من كل جهة فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما على هذا أقررناهم فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم وقال أتولى الله ورسوله وابرأ من حلف هؤلاء الكفار وتشبث به عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يتبرأ كما تبرأ عبادة بن الصامت رضي الله عنه وفي ذلك أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض الى قوله فان حزب الله هم الغالبون فجمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة أي ببدر وأسلموا فانكم قد عرفتم أني مرسل تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله تعالى اليكم به قالوا يا محمد انك ترى أنا قومك أي تظننا أنا مثل قومك ولا يغرنك انك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لو حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس وفي لفظ لتعلمن انك لم تقاتل مثلنا أي لانهم كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا وأشدهم بغيا وأنزل الله تعالى فيهم قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا يعني وقعة بدر وأنزل الله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء الآية ثم ان القوم تحصنوا في حصونهم فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار وكان خروجه في نصف شوال واستمر الى هلال ذي القعدة الحرام وحمل اللواء حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه واستعمل على المدينة أبا لبابة الانصاري رضي الله عنه فقذف الله في قلوبهم الرعب وكانوا أربعمائة حاسر وثلثمائة دراع فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلي سبيلهم وأن يجلوا من المدينة أي يخرجوا منها وان لهم النساء والذرية وله الاموال للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها الحلقة التي هي السلاح ولم يكن لهم نخيل ولا أراض تزرع فصالحهم على ذلك فنزلوا وخمست أموالهم جعل منها أربعة أخماس للمؤمنين المجاهدين وخمس له صلى الله عليه وسلم ثم أجلاهم الى الشام وقيل انهم نزلوا على أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر بهم أن يكتفوا فكتفوا فاراد قتلهم فكلمه فيهم عبد الله بن أبي بن سلول وألح عليه فقال يا محمد

ووضع علم عمر في كفة لرجح علم عمر ولقد كانوا يرون انه ذهب بموته تسعة أعشار العلم ولمجلس كنت أجلسه مع عمر أوثق في نفسي من عمل سنة أخرجه ابن عبد البر (وأخرج) الدارقطني عن الحسن في الفردوس قال لقي عمر أباذر رضي الله عنهما فأخذ بيده فعصرها فقال دع يدي يا قفل الفتنة فعرف ان لكلمته أصلا فقال له يا أباذر ما قفل الفتنة قال جئت يوما ونحن عند النبي صلى الله عليه وسلم فكرهت ان تخطى رقاب الناس فجلست في أدبارهم فقال صلى الله عليه وسلم لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم * ومعنى هذا الحديث في صحيح البخاري من حديث حذيفة رضي الله عنه ولفظه عن حذيفة رضي الله عنه قال كنا عند عمر فقال أيكم يحفظ حديث رسول

أحسن فى موالى فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم فادخل يده فى جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلنى وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه سمرة لشدة غضبه ثم قال ويحك أرسلنى فقال والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى فانهم أعزتى وأنا امرؤ أخشى الدوائر وفى لفظ والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى أربعمائة حاسر أى لا أدرع له وثلثمائة دراع وقد منعونى من الاحمر والاسود وتحصدهم فى غداة واحدة انى والله امرؤ أخشى الدوائر فقال صلى الله عليه وسلم خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم وتركهم من القتل وقال له خذهم لا بارك الله لك فيهم والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة الآية ثم أمر صلى الله عليه وسلم أن يجلوا من المدينة ووكل باجلائهم عبادة بن الصامت رضى الله عنه وأمهلهم ثلاثة أيام فجلوا منها بعد ثلاث أى بعد ان سألوا عبادة بن الصامت أن يمهلهم فوق الثلاث فقال لا ولا ساعة واحدة وتولى اخراجهم وذهبوا الى اذرعات بلدة بالشام ولم يدر الحول عليهم حتى هلكوا أجمعين بدعوته صلى الله عليه وسلم فى قوله لابن أبى لا بارك الله لك فيهم ويذكر أن ابن أبى قبل خروجهم جاء الى منزله صلى الله عليه وسلم ليسأله فى اقرارهم فحجب عنه فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه بالحائط فشجه فانصرف مغضبا فقال بنو قينقاع لا نمكث فى بلد يفعل فيه بأبى الحباب هذا ولا ننتصر له وتأهبوا للجلاء وقيل الذى تولى اخراجهم محمد ابن مسلمة رضى الله عنه ولا مانع أن يكون هو وعبادة بن الصامت اشتركا فى اخراجهم ووجد صلى الله عليه وسلم فى منازلهم سلاحا كثيرا لانهم كما تقدم كانوا أكثر اليهود أموالا وأشدهم بأسا وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلاحهم ثلاث قسى قوسا تدعى الكتوم لا يسمع لها صوت اذا رمى بها وقوسا تدعى الروحاء وقوسا تدعى البيضاء وأخذ درعين درعا يقال لها السغدية بسين مهملة وغين معجمة ويقال انها درع داود عليه السلام التى لبسها حين قتل جالوت والاخرى يقال لها فضة وثلاثة أرماح وثلاثة أسياف ووهب صلى الله عليه وسلم درعا لمحمد بن مسلمة ودرعا لسعد بن معاذ رضى الله عنهما وقسم بقية الاموال والسلاح كما تقدم

(قتل أبى عفك اليهودى) وقدم فى المواهب قتل أبى عفك على غزوة بنى قينقاع فقال ثم فى شوال كانت سرية سالم بن عمير الى أبى عفك بفتح المهملة والفاء اليهودى وكان شيخا كبيرا قد بلغ من السن عشرين ومائة سنة وكان يحرض الناس على قتال النبى صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر فقال صلى الله عليه وسلم من لى بهذا الخبيث فقال سالم بن عمير على نذر أن أقتل أبا عفك أو أموت دونه فأمهل يطلب له غرة أى غفلة حتى كانت ليلة صائفة نام أبو عفك بفناء منزله وعلم به سالم فاقبل اليه ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش أى دخل فى الفراش فصاح عدو الله أبو عفك فثار اليه ناس ممن كانوا على موافقته فى الكفر والتحريض فادخلوه منزله فمات فقبروه ورجع سالم بن عمير رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم فبشره بذلك فدعا له بخير

(غزوة السويق)

لما أصاب قريشا فى بدر ما أصابهم حلف أبو سفيان أن لا يمس النساء والطيب حتى يغزو محمدا فخرج فى مائتى راكب من قريش ليبر يمينه حتى نزل بمحل بينه وبين المدينة نحو بريد ثم أتى لبنى النضير وهم حى من اليهود وقصد حيى بن أخطب وكان من رؤساء بنى النضير وكان مجيئه اليه فى الليل فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له لانه خافه فانصرف وجاء الى سلام بن مشكم سيد بنى النضير وصاحب كنزهم أى مالهم الذى كانوا يجمعونه ويدخرونه لنوائبهم فاستأذن عليه فأذن له واجتمع به ثم خرج به الى أصحابه فبعث رجالا من قريش فأتوا ناحية من المدينة فحرقوا نخلا منها ووجدوا رجلا من الانصار وهو معبد بن عمرو وحليفا للانصار فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين فعلم بهم الناس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم فى مائتين من المهاجرين والانصار وكان خروجه لخمس خلون من ذى الحجة واستعمل على المدينة بشير بن عبد المنذر الانصارى رضى الله عنه وجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون رواحلهم للهرب فجعلوا يلقون جرب السويق وهو عامة أزوادهم فأخذه المسلمون ولم يلحقوهم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة وكانت غيبته صلى الله

الله صلى الله عليه وسلم فى الفتنة وما قال فقلت انا فقال هات انك لجرىء كيف قال قلت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فتنة الرجل فى أهله وماله ونفسه وولده وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال عمر ليس هذا أريد انما أريد التى تموج كموج البحر قلت مالك ولها يا أمير المؤمنين ان بينك وبينها بابا مغلقا قال فيكسر الباب أو يفتح قال لا بل يكسر قال ذلك أحرى ان لا يغلق أبدا قال قلنا لحذيفة هل كان عمر يعلم الباب قال يعلم كما يعلم ان دون غد الليلة انى حدثته حديثا ليس بالاغاليط قال فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب فقلنا لمسروق سله فسأله فقال عمر (وأخرج) البزار عن عثمان بن مظعون رضى

عليه وسلم خمسة أيام ورأى أبوسفيان أنه بفعله ذلك خرج من حلفه وهو انه لايمس النساء ولا الطيب حتى يغزو محمدا وحكى بعضهم ان أباسفيان عبر عن ذلك بقوله لايمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدا وهذا يدل على انهم كانوا يغتسلون من الجنابة ومن ثم قال الدميرى ان الحكمة فى عدم بيان الغسل فى آية الوضوء كون الغسل من الجنابة معلوما قبل الاسلام وذلك من بقية دين ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فهو من الشرائع القديمة قال بعضهم كانوا فى الجاهلية يغتسلون من الجنابة ويغسلون موتاهم ويكفنونهم ويصلون عليهم وهو أن يقوم وليه بعد أن يوضع على سريره ويذكر محاسنه ويثنى عليه ثم يقول رحمه الله ثم يدفن وما ذكره الدميرى تبع فيه السهيلى حيث قال ان الغسل من الجنابة كان معمولا به فى الجاهلية بقية دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام كما بقى فيهم الحج والنكاح وكان الحدث الاكبر معروفا عندهم ولذلك قال تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا فلم يحتاجوا الى تفسيره وأما الحدث الاصغر فلم يكن معروفا عندهم قبل الاسلام فلهذا لم يقل وان كنتم محدثين فتوضؤا بل قال فاغسلوا ونازع بعضهم فى ثبوت ذلك عندهم وقال ان أباسفيان انما قال لايمس الطيب ولا النساء وكنى بذلك عن التمتع بالنساء فغيره بعض الرواة بقوله لايمس رأسه ماء من جنابة لان هذا اللفظ صار عند أهل الاسلام كناية عن التمتع بالنساء فساوى المراد منه ماقصده أبوسفيان والله أعلم بحقيقة الحال

(ذكر تزويج فاطمة رضى الله عنها)

بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعلى رضى الله عنه وهى الزهراء والبتول أفضل نساء الدنيا حتى مريم رضى الله عنها كما اختاره المقريزى والزركشى والحافظ السيوطى فى كتابيه شرح النقاية وشرح جمع الجوامع بالادلة الواضحة التى منها ان هذه الامة أفضل من غيرها والصحيح ان مريم ليست نبية بل حكى الاجماع على انه لم يتنبأ امرأة قط وقد قال صلى الله عليه وسلم مريم خير نساء عالمها وفاطمة خير نساء عالمها رواه الترمذى وقال صلى الله عليه وسلم يابنية ألا ترضين انك سيدة نساء العالمين قالت ياأبت فأين مريم قال تلك سيدة نساء عالمها رواه ابن عبد البر وقد أخرج الطبرانى باسناد على شرط الشيخين قالت عائشة رضى الله عنها مارأيت أحدا قط أفضل من فاطمة غير أبيها وكان تزوجها من على رضى الله عنه فى السنة الثانية من الهجرة عقد عليها فى صفر وقيل فى المحرم وقيل فى رجب وقيل فى رمضان ودخل بها فى ذى الحجة من السنة المذكورة وهى ابنة خمس عشرة سنة وخمسة أشهر أوستة أشهر ونصف وكان سن على رضى الله عنه يومئذ احدى وعشرين سنة وخمسة أشهر ولم يتزوج عليها رضى الله عنها حتى ماتت وعن أنس رضى الله عنه قال جاء أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يخطبان فاطمة الى النبى صلى الله عليه وسلم فسكت ولم يرجع اليهما شيأ وفى رواية قال لكل منهما أنتظر بها القضاء فانطلقا الى على رضى الله عنه يأمرانه أن يخطبها لنفسه قال على رضى الله عنه فنبهانى لامر كنت غافلا عنه فقمت أجر ردائى فرحا بما نبهانى له حتى أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت تزوجنى فاطمة قال أوعندك شئ فقلت فرسى وبدنى يعنى درعه قال أمافرسك فلابد لك منها وأما بدنك فبعها فبعتها من عثمان بن عفان رضى الله عنه بأربعمائة وثمانين درهما قال الزرقانى ثم ان عثمان رضى الله عنه رد الدرع الى على رضى الله عنه فجاء بالدرع والدراهم الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فدعا لعثمان بدعوات ولما جاء على رضى الله عنه بالدراهم وضعها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فقبض منها قبضة فقال أى بلال ابتع بها لنا طيبا وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سرير مشروط ووسادة من أدم حشوها ليف وقال لعلى رضى الله عنه اذا أتتك فلا تحدث شيأ حتى آتيك فارسل صلى الله عليه وسلم أسماء بنت عميس فهيأت البيت فصلى العشاء وأرسل فاطمة رضى الله عنها فجاءت مع أم أيمن بركة الحبشية مولاته صلى الله عليه وسلم حتى قعدت فى جانب البيت وعلى رضى الله عنه فى جانب آخر ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ماصلى العشاء الآخرة فقال أهاهنا أخى قالت أم أيمن أخوك وقد زوجته ابنتك قال نعم أى هو كأخى فى المنزلة والمؤاخاة فلا تمتنع على تزويجى اياه بنتى ودخل صلى الله عليه وسلم وقال لفاطمة رضى الله عنها ائتينى بماء فقامت تعثر فى ثوبها من الحياء الى قعب فى البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومج فيه أى وضعه فى فمه ورمى به فى القعب ثم قال لها تقدمى

الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا غلق الفتنة واشار الى عمر لا يزال بينكم و بين الفتنة باب شديد الغلق ماعاش عمر هذا بين أظهركم (وأخرج) الترمذى عن ابن عمر والطبرانى عن ابن مسعود وأنس رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعز الاسلام بأحب هذين الرجلين اليك بعمر بن الخطاب أو بأبى جهل بن هاشم (وأخرج) الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما والطبرانى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه وثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وفى رواية اللهم أيد الاسلام بعمر ولا مانع من

فتقدمت فنضح بين ثديها وعلى رأسها وقال اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ثم قال أدبرى
فادبرت فصب بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعلى وفى رواية ثم قال لعلى ائتنى بماء قال فعلمت الذى يريد فقمت
فلأت القعب ماء فاتيته به فاخذه فمج فيه ثم صب على رأسى وبين ثديى ثم قال لى أدبر فصب بين كتفى ثم قال اللهم
انى أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال له ادخل باهلك باسم الله والبركة وفى رواية أنه صلى الله
عليه وسلم توضأ فى اناء ثم أفرغه على على وفاطمة رضى الله عنهما ثم قال اللهم بارك فيهما وبارك لهما فى
شملهما وهو بالتحريك الجماع وفى رواية فى شبلهما والشبل ولد الاسد فيكون ذلك كشفا واطلاعا منه
صلى الله عليه وسلم على أنها تلد الحسن والحسين رضى الله عنهما فاطلق عليهما شبلين وفى رواية أنه صلى
الله عليه وسلم دعا بماء فمجه ثم صبه ثم رشه على جبينه وبين كتفيه وعوذه بقل هو الله أحد والمعوذتين والجمع
بين هذه الروايات ممكن لاحتمال أنه فعل جميع ذلك واقتصر بعض الرواة فى كل رواية على البعض وروى
ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه خطبها على رضى الله عنه بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر رضى الله عنهما
فقال صلى الله عليه وسلم لعلى قد أمرنى ربى ان أزوجها منك وروى الطبرانى مرفوعا برجال ثقات ان الله
أمرنى أن أزوج فاطمة رضى الله عنها من على رضى الله عنه قال أنس ثم دعانى عليه الصلاة والسلام بعد أيام
فقال لى ادع لى أبا بكر وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وعدة من الانصار رضى الله عنهم فلما اجتمعوا عنده
وأخذوا مجالسهم وكان على رضى الله عنه غائبا فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله المحمود بنعمته المعبود بقدرته
المطاع سلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره فى سمائه وأرضه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم
باحكامه وأعزهم بدينه وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك اسمه وتعالت عظمته جعل
المصاهرة سببا لاحقا وأمرا مفترضا أوشج به الارحام وألزمه الانام فقال عز من قائل وهو الذى خلق من الماء
بشرا فجعله نسبا وصهرا فامر الله يجرى الى قضائه وقضاؤه يجرى الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل
ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ثم ان الله تعالى أمرنى ان أزوج فاطمة من
على بن أبى طالب فاشهدوا انى قد زوجته اياها على أربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك على ثم دعا صلى الله
عليه وسلم بطبق من بسر ثم قال انتهبوا فانتهبنا ودخل على رضى الله عنه فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم فى
وجهه ثم قال ان الله عز وجل أمرنى أن أزوجك فاطمة على اربعمائة درهم فضة أرضيت بذلك قال قد
رضيت بذلك يا رسول الله أى بعد ان خطب خطبة منها الحمد لله شكرا لانعمه وايا ديه وأشهد أن لا اله الا الله
شهادة تبلغه وترضيه الحمد لله الذى لا يموت وهذا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجنى ابنته على صداق
مبلغه أربعمائة درهم فاسمعوا ما يقول واشهدوا قالوا ما تقول يا رسول الله قال اشهدوا انى قد زوجته كذا
رواه ابن عساكر ثم قال صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما وأعز جدكما أى حظكما وبارك عليكما وأخرج منكما
كثيرا طيبا وفى رواية أبى الحسن بن شاذان لما زوجه وهو غائب قال جمع الله شملهما وجعل نسلهما مفاتيح
الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الامة فلما حضر على رضى الله عنه تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان
الله أمرنى ان أزوجك فاطمة وان الله أمرنى أن أزوجكها على أربعمائة مثقال فضة فقال رضيتها يا رسول
الله ثم خر على رضى الله عنه ساجدا شكرا لله تعالى فلما رفع رأسه قال صلى الله عليه وسلم بارك الله لكما وبارك
فيكما وأعز جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب قال أنس رضى الله عنه فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير
الطيب وقد روى الطبرانى والخطيب عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يبعث الله نبيا قط الا جعل ذريته من صلبه غيرى فان الله جعل ذريتى من صلب على رضى الله عنه والعقد
لعلى رضى الله عنه وهو غائب محمول على أنه كان له وكيل حاضر أو على أنه لم يرد به العقد بل اظهار ذلك ثم عقد
معه لما حضر كما علم من الروايات السابقة أو على تخصيصه بذلك لانه صلى الله عليه وسلم اولى بالمؤمنين من
انفسهم فله ان يزوج من شاء لمن شاء جمعا بينه وبين ما ورد مما يدل على شرط القبول على الفور وقد ذهب
المالكية الى ان التفريق اليسير لا يضر فلعل غيبة على كانت قريبة جدا وقد يفهم من ظاهر الحديث انه اتى

انه قال صلى الله عليه وسلم
أوّلا بأحب هذين الرجلين
ثم قال ثانيا بعمر بن الخطاب
خاصة (وأخرج) ابن ماجه
والحاكم عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال لما
أسلم عمر رضى الله عنه نزل
جبريل فقال يا محمد لقد
استبشر أهل السماء
باسلام عمر (وأخرج)
الحاكم أيضا عن ابن عباس
رضى الله عنهما قال لما اسلم
عمر قال المشركون قد
انتصف القوم اليوم منا
وانزل الله تعالى يا أيها النبى
حسبك الله ومن اتبعك
من المؤمنين وكان ذلك
أول ما نزل من القرآن من
تسمية الصحابة مؤمنين وقال
عمر لا نعبد الله سرا بعد
اليوم وكان بعد ذلك ينصب
رايته للحرب بمكة ويحارب بهم
على الحق و يقول لاهل
مكة والله لو بلغت عدتنا
ثلاثمائة رجل لتركتموها

في المجلس وهم ينتهبون البسر أو بعده وأجاز أبو حنيفة التفريق مطلقا ومنعه الشافعي مطلقا وكانت وليمة
على رضي الله عنه آصعا من شعير وتمر وحيس والحيس تمر يخلط بسمن وأقط ويعجن شديدا وفي رواية أولم
بكبش من سعد وآصع من ذرة من عند جماعة من الانصار وكان جهاز فاطمة رضي الله عنها خميلة أي بساطا له
خمل أي هدب رقيق وقربة ووسادة من أدم حشوها ليف وسريرا مشروطا وكان فرشهما ليلة عرسهما
جلد كبش وعن الحسن البصري كان لعلي وفاطمة رضي الله عنهما قطيفة اذا لبسوها بالطول انكشفت
ظهورهما واذا لبسوها بالعرض انكشفت رؤسهما وجاء أنه صلى الله عليه وسلم مكث لم يدخل عليهما بعد
البناء ثلاثة أيام ثم دخل في الرابع في غداة باردة وهما في لحاف واحد فقال كما أنتما وجلس عند رأسهما
ثم أدخل قدميه وساقيه بينهما فاخذ علي احداهما فوضعها على صدره وبطنه ليدفئها وأخذت فاطمة رضي
الله عنها الاخرى فوضعتها على صدرها وبطنها لتدفئها وعن أنس رضي الله عنه قال جاءت فاطمة الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله اني وابن عمي مالنا فراش الا جلد كبش ننام عليه ونعلف عليه ناضحنا
بالنهار فقال يابنية اصبري فان موسى بن عمران أقام مع امرأته عشر سنين مالهما فراش الا عباءة قطوانية أي
بيضاء كثيرة الخمل وفي مسند الامام أحمد عن علي رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها اشتكت ماتلقى من
أثر الرحى مما تطحن فاتى النبي صلى الله عليه وسلم سبي فانطلقت فلم تجده فاخبرت عائشة فلما جاء صلى الله عليه
وسلم أخبرته عائشة بمجيئها قالت فاطمة رضي الله عنها فجاء صلى الله عليه وسلم الينا وقد أخذنا مضاجعنا
فذهبت لاقوم فقال على مكانكما فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني
فلما بلى قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام اذا أخذتما مضاجعكما من الليل فكبرا ثلاثا وثلاثين وسبحا
ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين فهن خير لكما من خادم ولم يتزوج علي رضي الله عنه عليها حتى توفيت رضي
الله عنها ولما خطب جويرية بنت أبي جهل قام صلى الله عليه وسلم على المنبر وقال ان بني هشام بن المغيرة
استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن ابي طالب فلا آذن لهم ثم لا آذن لهم الا ان يريد ابن ابي طالب ان
يطلق ابنتي وينكح ابنتهم انما هي بضعة مني يريبني مارابها ويؤذيني ما آذاها والله لاتجتمع بنت رسول الله وبنت
عدو الله عند رجل ابدا فترك علي الخطبة قال أبو داود حرم الله على علي رضي الله عنه أن ينكح على فاطمة رضي
الله عنها مدة حياتها لقوله عز وجل وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا وألحق بعضهم اخواتها
بها ويحتمل اختصاصها بذلك رضي الله عنها وعنهن وقد ورد في فضائل علي رضي الله عنه احاديث كثيرة حتى
قال الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ماورد لاحد من الصحابة رضي الله عنهم ماورد لعلي كرم الله وجهه اي من
ثنائه صلى الله عليه وسلم عليه وسبب ذلك كثرة اعدائه والطاعنين فيه من الخوارج وغيرهم فاضطر الصحابة
ان يظهر كل منهم من فضله ماحفظه ردا على الخوارج وغيرهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما مانزل في أحد
من الصحابة في كتاب الله مانزل في علي كرم الله وجهه نزل ثلثمائة آية وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل
ماتكلمت به في التفسير فانما أخذته عن علي كرم الله وجهه وقد أفردت مناقبه بالتأليف رضي الله عنه والله
سبحانه وتعالى أعلم

(سرية محمد بن مسلمة)

التي قتل فيها كعب بن الاشرف اليهودي لعنه الله وكانت لاربع عشرة ليلة مضت من ربيع الاول على
رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصاري الاوسي ومعه
أربعة من الانصار الى كعب بن الاشرف اليهودي ليقتلوه قال ابن اسحق ان كعب بن الاشرف كان مع
اليهود بالحلف وكان أبوه عربيا من بني نبهان اصاب دما في الجاهلية فاتى المدينة فحالف بني النضير فشرف
فيهم وتزوج عقيلة بنت أبي الحقيق فولدت له كعبا وكان طويلا جسيما ذا بطن وهامة شاعرا مجيدا
ساد يهود الحجاز بكثرة ماله فكان يعطي أحبار يهود ويصلهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
جاءه أحبار اليهود من بني قينقاع وبني قريظة الى كعب بن الاشرف ليأخذوا صلته على عادتهم فقال
لهم ماعندكم من أمر هذا الرجل فقالوا هو الذي كنا ننتظره ما أنكرنا من نعوته شيأ فقال لهم قد حرمتم

لنا أو اتركناها لكم ذكره
المحب الطبري في الرياض
النضرة (وأخرج) البخاري
وغيره عن ابن مسعود رضي
الله عنه مازلنا أعزة منذ
أسلم عمر (وأخرج) ابن
سعد عن ابن مسعود رضي
الله عنه قال كان اسلام
عمر فتحا وكانت هجرته
نصرا وكانت امامته رحمة
ولقد رأيتنا ومانستطيع
ان نصلي الى البيت حتى
أسلم عمر فلما أسلم قاتلهم
حتى تركونا فصلينا حول
الكعبة طاهر بن (وأخرج)
الطبراني عن ابن عباس
رضي الله عنهما أول من
جهر بالاسلام عمر بن
الخطاب (وأخرج) ابن
سعد عن صهيب رضي الله
عنه قال لما أسلم عمر اظهر
الاسلام ودعا اليه علانية
وجلسنا حول البيت حلقا
وطفنا بالبيت وانتصفنا من
أغلظ علينا ورددنا عليه

كثيرا

كثيرا من الخير ارجعوا الى أهليكم فان الحقوق في مالي كثير فرجعوا عنه خائبين ثم رجعوا اليه وقالوا انا عجلنا فيما أخبرناك به أولا ولما استنبأنا علماءنا غلطنا وليس هو المنتظر فرضي عنهم ووصلهم وجعل لكل من تابعهم من الاحبار شيأ من ماله وكان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشعاره ويحرض كفار قريش على قتاله وكان النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة مأمورا بتأليف الناس وبالصبر على الاذى كما قال تعالى ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور ولانه صلى الله عليه وسلم ورد المدينة وأهلها أخلاط يجتمعون من قبائل شتى مختلفة أحوالهم وعقائدهم فاراد استصلاحهم بجمعهم على كلمة الاسلام وكان المشركون واليهود يؤذون المسلمين أشد الاذى فصبروا على ذلك وكان كعب بن الاشرف من أشد الناس أذى للنبي صلى الله عليه وسلم وللمسلمين وكان قد عاهد النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يعين عليه أحدا فنقض العهد وسبه وسب أصحابه وكان من عداوته انه لما قدم البشيران بقتل من قتل ببدر وأسر من أسر قال كعب أحق هذا أترون ان محمدا قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الارض خير من ظهرها فلما أيقن الخبر ورأى الاسرى مقرنين كبت وذل وخرج الى قريش يبكي على قتلاهم ويحرضهم على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فنزل بمكة على المطلب بن أبي وداعة السهمي وعنده زوجته عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص فانزلته وأكرمته فجعل يحرض على النبي صلى الله عليه وسلم وينشد الاشعار فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا حسانا فهجا المطلب وزوجته وأسلما بعد ذلك رضي الله عنهما فلما بلغ ذلك عاتكة ألقت رحله وقالت ما لنا ولهذا اليهودي فخرج من عندها وصار يتحول من قوم الى قوم فيفعل مثل ما فعل عند عاتكة ويبلغ خبره النبي صلى الله عليه وسلم فيذكره لحسان فيهجوه فيفعلون معه مثل ما فعلت عاتكة ثم رجع الى المدينة فتغزل في نساء المسلمين وذكرهن بسوء فلما أبى ان ينزع عن أذاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لنا بابن الاشرف وفي رواية من لكعب بن الاشرف أي من ينتدب لقتله فقد استعان بعدائنا وتماوهجائنا وقد خرج الى المشركين بمكة فجمعهم على قتالنا وجاء في رواية انه حالف قريشا عند أستار الكعبة على قتال المسلمين فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بخبره وكعب بمكة وقال لهم ان الله أخبرني بذلك ثم قرأ على المسلمين ما أنزل الله عليه فيه ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا عن عروة بن الزبير قال انبعث عدو الله يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ويمتدح عدوهم ويحرضهم عليهم فلم يرض بذلك حتى ركب الى قريش فاستفتواهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو سفيان والمشركون أديننا أحب اليك أم دين محمد وأصحابه وأي ديننا أهدى في رأيك وأقرب الى الحق فقال أنتم أهدى سبيلا وأفضل فانزل الله تعالى ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الآية وخمس آيات فيه وفي قريش فجزم عروة بانها نزلت في كعب ونحو ما روى الامام أحمد وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم كعب مكة قالت له قريش ألا ترى الى هذا المتصبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية قال أنتم خير فنزل فيهم ان شانئك هو الابتر ونزلت ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى نصيرا وأخرج ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله عنهما كان الذين حزبوا الاحزاب من قريش وغطفان وبني قريظة حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وأبا رافع والربيع وعمارة وهوذة فلما قدموا مكة قالت قريش هؤلاء أحبار اليهود وأهل العلم بالكتب الاولى فسلوهم أدينكم خير أم دين محمد فسألوهم فقالوا دينكم خير وأنتم أهدى منه وممن اتبعه فانزل الله ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب الى قوله ملكا عظيما ولذا قال الجلال والبيضاوي انها نزلت في كعب وفي جمع من اليهود خرجوا الى مكة وساق نحو القصة وزاد البيضاوي أنهم سجدوا للآلهة الكفار ليطمئنوا اليهم ومن عداوة كعب بن الاشرف له صلى

(وأخرج) أبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما أسلم عمر رضي الله عنه وكانوا مختفين بدار الارقم فقال يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قال ففيم الاختفاء فخرجوا صفين وأنا في أحدهما وفي الآخر حمزة حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الى عمر والى حمزة فاصابتهم كآبة شديدة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ لانه فرق بين الحق والباطل (واخرج) ابن سعد عن ذكوان قال قلت لعائشة رضي الله عنها من سمى عمر الفاروق قالت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأخرج) ابن السماك عن النزال بن سبرة قال وافقنا من علي رضي الله عنه يوما طيب نفس وفراغا فقلنا يا أمير المؤمنين حدثنا عن عمر بن

الله عليه وسلم ونقضه العهد ما جاء أن كعبا صنع طعاما وواطأ جماعة من اليهود أنه يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الوليمة فاذا حضر فتكوا به ثم دعاه فجاء صلى الله عليه وسلم ومعه بعض أصحابه فاعلمه جبريل عليه السلام بما أضمروه بعد ان جالسه فقام بستره جبريل بجناحه فخرج فلما فقدوه تفرقوا فقال حينئذ من ينتدب لقتل كعب ويمكن الجمع بتعدد الاسباب ولما قال صلى الله عليه وسلم من ينتدب لقتل كعب قال محمد بن مسلمة الأوسي رضي الله عنه أنا أتكفل لك به يارسول الله وفي رواية أنا أقتله قال فافعل ان قدرت وفي رواية أنت له ثم قال له ان كنت فاعلا فلا تعجل حتى تشاور سعد بن معاذ رضي الله عنه فشاوره فقال توجه اليه واشك اليه الحاجة وسله أن يسلفكم طعاما فمكث محمد بن مسلمة ثلاثا لا يأكل ولا يشرب الا ما تعلق به نفسه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه فقال لم تركت الطعام والشراب قال يارسول الله قلت لك قولا لا أدري هل أفين لك به أم لا قال انما عليك الجهد ثم أتى أبا نائلة وعباد بن بشر والحرث بن أوس وأبا عبس بن جبر فأخبرهم بما وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله فاجابوه وقالوا كلنا نقتله ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يارسول الله لابد لنا أن نقول اى قولا غير مطابق للواقع يسر كعبا المتوصل به الى التمكن من قتله قال قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاباح لهم الكذب لانه من خدع الحرب وكانهم استأذنوه في أن يشكوا منه ويعيبوا دينه لان كعبا كان يحرض على قتل المسلمين وكان في قتله خلاصهم فكأنه أكره الناس على النطق بهذا الكلام بتعريضه اياهم للقتل فدفعوا عن أنفسهم بالسنتهم مع ان قلوبهم مطمئنة بالايمان ولولا هذا لعذر لكان التعرض لمثل ذلك كفرا لكنه يباح بالاكراه وهذا بمنزلته فجاء محمد بن مسلمة كعب بن الاشرف فقال ان هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم قد سألنا الصدقة ونحن ما نجد ما نأكل وفي رواية ان نبينا أراد منا الصدقة وليس لنا مال نصدقه وانه قد عنانا واني قد أتيتك أستسلفك قال كعب وأيضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر الى أي شئ يصير شأنه وقد أردنا أن تسلفنا وسقا أو وسقين وفي رواية واحب ان تسلفنا طعاما قال وأين طعامكم قالوا أنفقناه على هذا الرجل وعلى أصحابه قال ألم يأن لكم أن تعرفوا ما أنتم عليه من الباطل ثم أجابهم بانه يسلفهم وقال ارهنوني قالوا أي شئ تريد قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك واي امرأة تمتنع منك لجمالك وقولهم هذا له على سبيل التهكم وان كان هو في نفسه جميلا قال فارهنوني أبناءكم قالوا وكيف نرهنك أبناءنا فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة يعني السلاح مع علمك بحاجتنا قال نعم وانما قالوا ذلك لئلا ينكر عليهم مجيئهم اليه بالسلاح فواعده أن يأتيه وجاءه أيضا أبو نائلة وقال له ويحك يا ابن الاشرف اني قد جئتك لحاجة أريد ان أذكرها لك فاكتم عني قال افعل قال كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وقطعت عنا السبل حتى جاع العيال وجهدت الانفس وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا فقال كعب أنا ابن الاشرف اما والله لقد كنت أخبرك يا ابن سلامة ان الامر سيصير الى ما أقول فقال اني أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونوثق لك وتحسن في ذلك وان معي أصحابا على مثل رأيي وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن اليهم ونرهنك من الحلقة ما فيه وفاء فقال ان في الحلقة لوفاء وكان أبو نائلة أخا لكعب من الرضاع ومحمد بن مسلمة ابن أخيه من الرضاع فجاءه محمد بن مسلمة وأبو نائلة ومعهما عباد بن بشر والحرث بن أوس بن معاذ وأبو عبس بن جبر وكلهم من الاوس ولما فارقوا النبي صلى الله عليه وسلم مشى معهم الى بقيع الغرقد ثم وجههم وقال انطلقوا على اسم الله اللهم أعنهم ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى بيته وكان ذلك بالليل وكانت الليلة مقمرة فاقبلوا حتى انتهوا الى حصنه وكان حديث عهد بعرس فناداه أبو نائلة ثم بقية أصحابه فعرفهم فوثب في ملحفته فاخذته امرأته بناحيتها وقالت انك امرؤ محارب وان أصحاب الحروب لا ينزلون في مثل هذه الساعة قال لها انه أبو نائلة لو وجدني نائما ما أيقظني فقالت والله اني لاعرف في صوته الشر وفي رواية قالت اسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم قال انما هو ابن أخي محمد بن

الخطاب قال ذاك امرؤ سماه الله الفاروق فرق بين الحق والباطل وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم اسمه في السماء الفاروق (واخرج) ابن عساكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ماعلمت احدا هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وانتضى في يده اسهما وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين خلف المقام ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس فمن أراد ان تثكله أمه ويؤتم ولده وترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه منهم أحد الا قوم من

مسلمة ورضيعي أبو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة بليل لاجاب فنزل فتحدث معهم ساعة وتحدثوا معه ثم قالوا له هل لك يا ابن الاشرف أن تمشي الى شعب العجوز اسم موضع كان قريبا منهم نتحدث به بقية ليلتنا فقال ان شئتم فخرجوا يتماشون فمشوا ساعة ثم ان أبا نائلة أدخل يده في باطن رأسه ثم شم يده فقال ما رأيت كالليلة طيبا أعطر ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها وأمسكه من شعره وقال اضربوا عدو الله وفي البخاري ان ابن مسلمة قال لاصحابه اذا ما جاء كعب فاني قائل بشعره أي آخذ به فاذا رأيتموني استمكنت من رأسه فاضربوه فنزل اليهم متوشحا وهو ينفح منه ريح الطيب فقال ابن مسلمة ما رأيت كاليوم طيبا فقال عندي اعطر نساء العرب وأجملهن فقال أتأذن لي ان أشم رأسك قال نعم فشمه ثم أشم اصحابه ثم قال أتأذن لي قال نعم فيحتمل ان كلا من محمد بن مسلمة وأبي نائلة استأذنه في ذلك وكان كعب يدهن بالمسك المفتت والعنبر حتى يتلبد في صدغيه فلما تمكن أبو نائلة أو محمد بن مسلمة من امساكه ضربوه بأسيافهم وقد صاح عدو الله صيحة منكرة وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فلم يبق حصن الا أوقدت عليه نار قال محمد بن مسلمة فوضعت سيفي في ثنته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله فحزوا رأسه واحتملوه في مخلاة كانت معهم واجتمعت اليهود من كل ناحية فأخذوا على غير الطريق ففاتوهم فلما بلغوا بقيع الغرقد كبروا وقد قام النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلي فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أنهم قد قتلوه ثم انتهوا اليه فأخبروه بقتل عدو الله فقال أفلحت الوجوه فقالوا ووجهك يا رسول الله ورموا برأسه بين يديه فحمد الله على قتله لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما فال أصاب ذباب السيف الحرث بن أوس بن معاذ رضي الله عنه فجرح في رجله أو في رأسه حتى نزف الدم فتفل صلى الله عليه وسلم على جرحه فلم يؤذه بعد وتدخافت اليهود بعد قتل عدو الله فليس بالمدينة يهودي الا وهو يخاف على نفسه وفي رواية فلما أصبح صلى الله عليه وسلم قال من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه فخافت اليهود فلم يطلع من عظمائهم أحد ولم ينطقوا وخافوا أن يبيتوا كما بيت وفي رواية فاصبحت يهود مذعورين فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا قتل سيدنا غيلة فذكرهم صنيعه وما كان يحرض عليهم ويؤذي المسلمين فخافوا فلم ينطقوا ثم دعاهم الى أن يكتبوا بينهم وبينه صلحا فكان ذلك الكتاب مع علي رضي الله عنه وفي قصة قتل كعب المذكورة يقول عباد بن بشر

صرخت به فلم يعرض لصوتي * ووافى طالعا من رأس خدر * فعدت له فقال من المنادى
فقلت أخوك عباد بن بشر * وهذي درعنا رهنا فخذها * لشهر ان وفى أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا * وما عدموا الغنى من غير فقر * فأقبل نحونا يهوي سريعا
وقال لنا لقد جئتم لأمر * وفي أيماننا بيض حداد * مجربة بها الكفار نفري
فعانقه ابن مسلمة المردي * به الكفار كالليث الهزبر * وشد بسيفه صلتا عليه
فقطره أبو عبس بن جبر * وكان الله سادسنا فابنا * بانعم نعمة وأعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام * هم ناهيك من صدق وبر

ولا يشكل قتله على هذا الوجه لانه نقض عهد النبي صلى الله عليه وسلم وهجاه وسبه وكان عاهده أن لا يعين عليه أحدا ثم جاء مع أهل الحرب معينا عليه قال القاضي عياض ان محمد بن مسلمة لم يصرح له بالامان في شيء من كلامه انما كلمه في أمر البيع والشراء واشتكى اليه وليس في كلامه عهد ولا أمان ولا يحل لاحد أن يقول ان قتله كان غدرا وقد قال ذلك انسان في مجلس علي بن أبي طالب رضي الله عنه فامر به فضربت عنقه وانما يكون الغدر بعد أمان موجود وكعب كان قد نقض عهده صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنه محمد ورفقته لكنه استأنس بهم فتمكنوا منه من غير عهد ولا أمان قال الحافظ ابن حجران كعبا كان محاربا حيث ترجم لقصته البخاري بالفتك باهل الحرب والكذب في الحرب والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة غطفان)

المؤمنين المستضعفين علمهم ما أرشدهم ثم مضى لوجهه (وأخرج) البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فاذا امرأة تتوضأ الى جانب قصر قلت لمن هذا القصر قالوا لعمر فذكرت غيرتك فوليت مدبرا فبكى عمر وقال أعليك أغار يا رسول الله وفي رواية فقلت لمن هذا القصر قالوا لعمر بن الخطاب فأردت ان أدخله أنظر اليه فذكرت غيرتك (وأخرج) الامام أحمد والترمذي والحاكم عن عقبة بن عامر والطبراني عن عصمة ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر ابن الخطاب وفي رواية لولم أبعث فيكم لبعث عمر (وأخرج) الامام أحمد

ويقال لها غزوة ذى أمر بفتح الهمزة والميم وشد الراء وغزوة أنمار وهى بناحية نجد وكانت لثنتى عشرة مضت من ربيع الاول على رأس خمسة وعشرين شهرا من الهجرة وسببها ان جمعا من بنى ثعلبة ومحارب تجمعوا يريدون الاغارة جمعهم دعثور بن الحرث المحاربى سماه بعضهم غورث بن الحرث فخرج صلى الله عليه وسلم اليهم فى أربعمائة وخمسين رجلا واستعمل على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنه فلما سمعوا بمجيئه صلى الله عليه وسلم هربوا فى رؤس الجبال وأصاب المسلمون رجلا منهم يقال له حبار وقيل حبان فادخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بخبرهم وقال لن يلاقوك سمعوا بمسيرك وهربوا فى رؤس الجبال وأنا سائر معك فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم للاسلام فاسلم وضمه الى بلال ليعلمه الشرائع وأخذ ذلك الرجل بالنبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين طريقا وهبط بهم على قومه فوصل المسلمون ماء يقال له ذو أمر فعسكر به صلى الله عليه وسلم وأصابهم مطر كثير بل ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثياب أصحابه فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفا واضطجع تحتها وكان ذلك بموضع قريب من المشركين فكانوا ينظرون اليه وهم فى رؤس الجبال واشتغل المسلمون بشؤنهم فقال المشركون لدعثور وكان شجاعا سيد قومه قد انفرد محمد فعليك به فاقبل ومعه سيفه حتى قام على رأسه صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك منى اليوم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الله ودفع جبريل فى صدره فوقع السيف من يده وسقط هو على ظهره فاخذ السيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك منى قال لا أحد أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ثم أتى قومه فجعل يدعوهم الى الاسلام وأخبرهم انه رأى رجلا طويلا دفع فى صدره فوقع على ظهره قال فقلت انه ملك فاسلمت وعلمت انه رسول الله ولا أكثر عليه جمعا فاهتدى به خلق كثير وأنزل الله تعالى فى ذلك يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وقيل نزلت فى بنى النضير حين أرادوا اغتياله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى وقيل نزلت فى كفار قريش لما أرادوا الفتك به وهو والمسلمون بعسفان يصلون صلاة الخوف قال القشيرى وقد تنزل الآية فى قصة ثم تنزل فى أخرى لادكار ما سبق ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته احدى عشرة ليلة

(غزوة بحران)

بفتح الباء وتضم وسكون الحاء المهملة موضع بناحية الفرع وتسمى غزوة بنى سليم أيضا فخرج صلى الله عليه وسلم فى ثلثمائة من أصحابه لست خلون من جمادى الاولى ولم يظهر وجها للمسير واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضى الله عنه وكان قد بلغه أن جمعا كثيرا من بنى سليم اجتمعوا ببحران فاحث السير حتى بلغها وكان قبل وصوله اليها لاقى رجلا فاخبره ان القوم قد تفرقوا فحبسه مع رجل فلما وصل اليها وجدهم قد تفرقوا فى مياههم فرجع ولم يلق كيدا وأطلق الرجل وكانت غيبته عشر ليال وفى هذه السنة عقد لعثمان رضى الله عنه على أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت أختها رقية وتقدم ان موتها كان يوم جاء البشيران بخبر أهل بدر وفى شعبان من هذه السنة تزوج صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر رضى الله عنهما بعد ان انقضت عدتها من زوجها خنيس بن حذافة من شهداء بدر رضى الله عنه وفى رمضان تزوج زينب بنت جحش

(سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه)

الى القردة بالقاف المفتوحة وسكون الراء اسم ماء من مياه نجد وسببها ان قريشا خافوا من الطريق التى يسلكونها الى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان ابن حرب وصفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وكلهم أسلموا عام الفتح رضى الله عنهم ومعهم فضة كثيرة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضى الله عنه فى مائة راكب فلقيهم على ذلك الماء فاصاب العير وما فيها وهرب الرجال فقدم بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم فخمسها فبلغ الخمس قيمة عشرين ألف درهم وكانت هذه السرية فى جمادى الآخرة من السنة الثالثة من الهجرة

والبخارى عن أبى هريرة ومسلم والترمذى والنسائى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد كان فيمن قبلكم من الامم محدثون فان يكن فى أمتى أحد فانه عمر (وأخرج) الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبغض عمر فقد أبغضنى ومن أحب عمر فقد أحبنى وان الله باهى بالناس عشية عرفة عامة وباهى بعمر خاصة وان الله لم يبعث نبيا الا كان فى أمته محدث وان يكن فى أمتى منهم أحد فهو عمر قالوا يا رسول الله كيف يحدث قال تتكلم الملائكة على لسانه يعنى انه يلهم الصواب قال المحب الطبرى ويجوز ان يحمل على ظاهره تحدثهم الملائكة لا بوحى وانما يطلق عليه اسم

(غزوة أحد)

وهو جبل مشهور بالمدينة وكانت في شوال سنة ثلاث من الهجرة يوم السبت لاحدى عشرة ليلة من شوال وسببها ان قريشا لما أصابهم يوم بدر ما أصابهم مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وكلهم أسلموا بعد ذلك رضي الله عنهم ومشى معهم رجال آخرون من أشراف قريش الى أبي سفيان رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك أيضا والى كل من كان له تجارة في تلك العير التي كانت سبب وقعة بدر وكانت تلك العير موقوفة بدار الندوة لم تعط لاربابها فقالوا ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا عمن أصاب منا ونحن طيبو النفس أن تجهزوا بربح هذه العير جيشا الى محمد فقال أبو سفيان وأنا أول من أجاب الى ذلك وبنو عبد مناف معي ففعلوا لذلك ربح المال فسلم لاهل العير رؤس أموالهم وكانت خمسين ألف دينار وأخرجوا أرباحها وكان الربح لكل دينار دينارا فكان الذي أخرج خمسين ألف دينار وتجهزت قريش ومن والاهم من قبائل كنانة وتهامة وقال صفوان بن أمية لابي عزة الجمحي يا أبا عزة انك رجل شاعر فاعنا بلسانك ولك علي ان رجعت ان أغنمك وان أصبت أجعل بناتك مع بناتي يصيبهن ما أصابهن من عسر و يسر فقال ان محمدا قد منّ علي وأطلقني يعني يوم بدر وأخذ علي ان لا أظاهر عليه أحدا حين أطلقني فلا أريد أن أظاهر عليه فقال بلى فاعنا بلسانك فخرج أبو عزة ومسافع يستنفران الناس باشعارهما فقيل ان مسافعا لم يعرف له اسلام وقيل أسلم بعد ذلك وأما أبو عزة فجيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فامر عاصم بن ثابت رضي الله عنه فضرب عنقه ودعا جبير بن مطعم رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك غلاما حبشيا يقال له وحشي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وكان يقذف بحربة له قذف الحبشة قلما يخطئ بها فقال له اخرج مع الناس فان أنت قتلت حمزة بن عبد المطلب بعمي طعيمة بن عدي فانت حر لان حمزة هو القاتل لطعيمة بن عدي يوم بدر وقيل ان ابنة سيده طعيمة قالت له ان قتلت محمدا أو حمزة أو عليا في أبي فاني لا أرى في القوم كفؤا له غيرهم فانت عتيق فسار القوم بالقيان والدفوف والمعازف أي آلات الملاهي والخمور والبغايا وخرج من نساء قريش خمس عشرة امرأة مع أزواجهن منهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان رضي الله عنهما فانهما أسلما عام الفتح هي وزوجها وخرجت أم حكيم بنت طارق مع زوجها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنهما فانهما أسلما أيضا وفاطمة بنت الوليد بن المغيرة مع زوجها الحرث بن هشام وريطة بنت منبه السهمية مع زوجها عمرو بن العاص وغيرهن من النسوة يبكين قتلى بدر وينحن عليهم و يحرضنهم على القتال وعدم الهزيمة والفرار وكان خروجهم من مكة لخمس مضين من شوال وكتب العباس للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بجمعهم وخروجهم وراودوه على الخروج معهم فابى واعتذر بما لحقه يوم بدر ولم يساعدهم بشيء من المال فجاء كتابه للنبي صلى الله عليه وسلم وهو بقباء وكان العباس أرسل الكتاب مع رجل من بني غفار استأجره وشرط عليه أن يأتي المدينة في ثلاثة أيام بلياليها ففعل ذلك فلما جاء الكتاب فك ختمه ودفعه لابي ابن كعب فقرأه عليه فاستكتم أبيا ثم نزل صلى الله عليه وسلم على سعد بن الربيع فاخبره بكتاب العباس رضي الله عنه فقال والله اني لأرجو أن يكون خيرا فاستكتمه اياه ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده قالت له امرأته ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها يا أم محمد ما أنت وذاك فقالت قد سمعت ما قال وأخبرته بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسترجع وأخذ بيدها ولحق النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره خبرها وقال يا رسول الله اني خفت أن يفشو الخبر فترى اني أنا المفشي له وقد استكتمتني اياه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنها وسارت قريش وهم ثلاثة آلاف وفيهم مائتا فرس وسبعمائة دارع ومعهم الاحابيش الذين حالفوا قريشا وهم بنو المصطلق و بنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبيش وهو جبل باسفل مكة وتحالفوا على انهم مع قريش يدا واحدة ما سجا ليل ووضح نهار وما رسا حبيش مكانه فسموا أحابيش باسم الجبل وقيل سموا بذلك لتحبشهم أي تجمعهم وخرج معهم أبو عامر الراهب في سبعين فارسا من الاوس وكان أبو عامر الراهب في المدينة مقاوما للنبي صلى الله عليه وسلم ومباعدا له ومنكرا النبوة وكان قبل

حديث وتلك فضيلة عظيمة (وأخرج) البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ما سمعت عمر قال لشيء قط اني لاظنه كذا الا كان كما يظن (وأخرج) ابن ماجه والحاكم عن أبي ذر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله وضع الحق على لسان عمر يقول به وفي رواية على لسان عمر وقلبه (وأخرج) البزار عن ابن عمر وابن عساكر عن أبي هريرة والصعب بن جثامة رضي الله عنهم ان رسول صلى الله عليه وسلم قال عمر سراج أهل الجنة وأخرجه ابن السماك عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة (وأخرج) الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

ذلك مترهبا يزعم انه ينتظر النبي المبعوث و يذكر للناس كثيرا من صفاته و يقول لهم قد قرب خروجه فلما
هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة واتضحت صفاته للانصار واتبعوه حسده أبو عامر وأنكر نبوته وكان
رئيسا في الاوس كعبد الله بن أبي في الخزرج فكل منهما حسد النبي صلى الله عليه وسلم لكن عبد الله بن أبي
دخل في الاسلام ظاهرا وهذا خرج من المدينة كافرا مباعدا فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم بانه يموت
وحيدا طريدا فاستجاب الله دعاءه وسماه الفاسق بدلا عن الراهب وأما ابنه حنظلة فهو من فضلاء الصحابة
رضي الله عنه وهو من المستشهدين باحد وهو الذي غسلته الملائكة ومات أبو عامر الفاسق كافرا بارض
الروم وحيدا طريدا اجابة لدعائه صلى الله عليه وسلم لانه لما فتحت مكة خرج فارا الى الروم ثم ان القوم بعد ان
تجهزوا وخرجوا وكان قائدهم أبو سفيان فسار بهم حتى نزلوا ببطن الوادي من قبل أحد مقابل المدينة وكان
وصولهم يوم الاربعاء ثاني عشر شوال فاقاموا به الاربعاء والخميس والجمعة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم
فاصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال وكان رجال من المسلمين أسفوا على مافاتهم من مشهد
بدر وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم رؤيا قبل خروجه وكانت ليلة الجمعة فلما أصبح قال والله اني قد رأيت
خيرا رأيت بقرا تذبح ورأيت في ذباب سيفي أي طرفه الذي يضرب به ثلما ورأيت أني أدخلت يدي في درع
حصينة وكأني مردف كبشا فاما البقر فناس من أصحابي يقتلون وأما الثلم الذي رأيت في سيفي فهو رجل من
أهل بيتي يقتل وأولت الدرع الحصينة المدينة وأولت الكبش باني أقتل صاحب الكتيبة وقد صدق الله
رؤياه صلى الله عليه وسلم فكان الرجل الذي من أهل بيته حمزة سيد الشهداء رضي الله عنه وقتل علي رضي الله
عنه طلحة بن عثمان العبدري صاحب لواء المشركين فهو صاحب الكتيبة وكبش القوم سيدهم وقال عروة
ابن الزبير وجماعة كان الذي بسيفه ما أصاب وجهه الشريف فان العدو أصابوا وجهه الشريف صلى الله عليه
وسلم يومئذ وكسروا رباعيته وجرحوا شفته السفلى ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه امكثوا بالمدينة فان دخل
القوم المدينة قاتلناهم ورموا من فوق البيوت وفي رواية فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا
فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن
أبي ابن سلول يستشيره ثالثا ولم يستشره قبل ذلك فكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأيه صلى الله عليه
وسلم فقال رجال من المسلمين لم يحضروا بدرا وأسفوا على مافاتهم من مشهدها يارسول الله انا كنا نتمنى هذا
اليوم أخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم فقال ابن أبي يارسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله
ماخرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منهم فدعهم يارسول الله فان أقاموا
أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان
رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا وقال حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه وسعد بن
عبادة والنعمان بن مالك وطائفة من الانصار رضي الله عنهم انا نخشى يارسول الله أن يظن عدونا انا كرهنا
الخروج جبنا عن لقائهم فيكون هذا جرأة منهم علينا زاد حمزة والذي أنزل عليك الكتاب لا أطعم اليوم طعاما
حتى أجالدهم بسيفي خارج المدينة وقال النعمان يارسول الله لا تحرمنا الجنة فوالذي نفسي بيده لأدخلنها
فقال صلى الله عليه وسلم لم فقال لاني أحب الله ورسوله وفي لفظ أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولا
أفر يوم الزحف فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فاستشهد يومئذ فتبع عنده صلى الله عليه وسلم موافقة رأيهم
وان كرهه ابتداء ليقضي الله أمرا كان مفعولا فصلى عليه الصلاة والسلام بالناس الجمعة ثم وعظهم وأمرهم
بالجد والاجتهاد وأخبرهم بان لهم النصر ماصبروا أي مدة صبرهم على أمره وأمرهم بالتهيؤ لعدوهم ففرح
الناس بذلك لانهم لاغرض لهم في الدنيا وزهرتها لما وقر في قلوبهم وارتاحت له نفوسهم من حب لقاء الله
والمسارعة الى جنات النعيم ثم صلى بالناس العصر وقد اجتمعوا وحضر أهل العوالي ثم دخل عليه
الصلاة والسلام بيته ومعه صاحباه في الدنيا والبرزخ والموقف والحوض والجنة فعمماه وألبساه أي عاوناه
في لبس عمامته وثيابه والتقلد بسيفه وغير ذلك مما تعاطاه عند ارادة الخروج وصف الناس ينتظرون

قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أقرئ عمر السلام وأخبره ان غضبه عز و رضاه حكم (وأخرج) ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مافي السماء ملك الا وهو يوقر عمر ولا في الارض شيطان الا وهو يفرق من عمر (وأخرج) الطبراني والديلمي عن الفضل بن العباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحق بعدي مع عمر وفي رواية الصدق بعدي مع عمر حيث كان (وأخرج) الطبراني عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي جبريل عليه السلام ليبكي الاسلام على موت عمر (وأخرج) الامام أحمد وأبو داود وابن ماجه أن عمر رضي الله عنه

خروجه عليه الصلاة والسلام فقال لهم سعد بن معاذ رضي الله عنه وأسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخروج فردوا الامر اليه وكان سعد بن معاذ سيد الاوس وهو في الانصار كالصديق في المهاجرين رضي الله عنهم قال الزرقاني فهو أفضل الانصار فخرج صلى الله عليه وسلم وقد لبس لأمته وهي بالهمز وتركه الدرع وقيل السلاح وتقلد سيفه فندم الطالبون لخروجه على ما صنعوا وقالوا ما كان ينبغي لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت وفي رواية فان شئت فاقعد فقال ما ينبغي لنبي اذا لبس لامته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم لواء للاوس وجعله بيد أسيد بن حضير ولواء للخزرج وجعله بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة ولواء للمهاجرين وجعله بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم سال عمن يحمل لواء المشركين فقيل طلحة بن أبي طلحة العبدري فقال نحن أحق بالوفاء منهم فاخذه من علي ودفعه الى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار أكبر أولاد قصي جعل أبوه قصي القيادة واللواء والحجابة والسقاية والرفادة ودار الندوة كلها اليه ثم اختلف بنو عبد الدار وبنو عبد مناف بعد موت عبد الدار ثم اتفقوا على أن اللواء والحجابة ودار الندوة لبني عبد الدار والقيادة والسقاية والرفادة لبني عبد مناف وتقدمت القصة مستوفاة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نحن أحق بالوفاء منهم وفي شرح الزرقاني على المواهب انه لما قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية عليا رضي الله عنه وكان في المسلمين مائة دارع وهو لابس الدرع وركب صلى الله عليه وسلم فرسه السكب وقيل خرج ماشيا وخرج السعدان امامه يعدوان سعد بن معاذ وسعد بن عبادة القائل فيهما الهاتف بمكة

فان يسلم السعدان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف

وكان ادارعين وردّ صلى الله عليه وسلم جماعة من المسلمين لصغرهم نحو سبعة عشر منهم أسامة بن زيد وعبد الله ابن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري والنعمان بن بشير ورافع بن خديج وسمرة بن جندب رضي الله عنهم ثم أجاز رافع بن خديج لما قيل له انه رام فخرج وأصيب بسهم فقال صلى الله عليه وسلم أنا أشهد له يوم القيامة وعاش الى زمن عبد الملك بن مروان ولما أجازه قال سمرة بن جندب رضي الله عنه لزوج أمه أجاز رافعا وردني وأنا أصرعه فاعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال تصارعا فصرع سمرة رافعا فاجازه ورأى صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود مع عبد الله بن أبي يريدون الخروج فقال وقد أسلموا قالوا لا يا رسول الله قال مروهم فليرجعوا فانا لا نستعين بالمشركين على المشركين وكان المسلمون الخارجون معه صلى الله عليه وسلم ألف رجل ثم انخزل عبد الله بن أبي ورجع هو ومن معه من المنافقين وكانوا ثلثمائة فبقي المسلمون سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل من قريش والاحابيش المحالفين لهم وقال ابن أبي حين أراد الرجوع عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له علام نقتل أنفسنا ارجعوا أيها الناس فقال لهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنه وكان خزرجيا كابن أبي أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم بعدما حضر عدوهم قالوا لو نعلم قتالا لا تبعناهم فلما أبوا قالوا أبعدكم الله سيغني الله عنكم قال موسى بن عقبة لما انخزل ابن أبي بمن معه سقط في أيدي طائفتين من المسلمين وهمتا ان تفشلا وهما بنو حارثة من الخزرج وبنو سلمة بكسر اللام من الاوس وفي الصحيح عن جابر رضي الله عنه نزلت هذه الآية فينا اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا بنى سلمة وبني حارثة وما أحب انها لم تنزل والله يقول والله وليهما أي الدافع عنهما قال الحافظ ابن حجر أي ان الآية وان كان في ظاهرها عتاب عليهم لكن في آخرها غاية الشرف لهم قال ابن اسحق قوله والله وليهما أي الدافع عنهما ما هموا به من الفشل لان ذلك كان من وسوسة الشيطان من غير وهن منهم في دينهم وفي الصحيح أيضا عن عبد الله بن زيد رضي الله عنه لما خرج صلى الله عليه وسلم الى غزوة أحد رجع ناس ممن خرج معه وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة تقول نقاتلهم وفرقة تقول لا نقاتلهم فنزل فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أي ردهم الى كفرهم بما كسبوا ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل

استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في العمرة فأذن له وقال له يا أخي لا تنسنا من دعائك وفي لفظ يا أخي أشركنا في دعائك قال عمر ما أحب ان يكون لي بها ما طلعت عليه الشمس (وأخرج) الترمذي والحاكم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما طلعت الشمس على خير من عمر يعني بعد أبي بكر رضي الله عنهما جمعا بين الحديثين وفي رواية عن جابر رضي الله عنه قال قال عمر لابي بكر رضي الله عنه يا خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أما انك ان قلت ذلك فلقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر (وأخرج) الطبراني عن عصمة بن مالك

الشعب من أحد في عدوة الوادي في الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وصلى الصبح باصحابه صفوفا ثم اصطف المسلمون باصل أحد واصطف المشركون بالسبخة وكان على ميمنة خيل المشركين خالد بن الوليد رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وصار سيف الله سله على المشركين وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وعلى المشاة صفوان بن أمية وقيل عمرو بن العاص رضي الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير بن العوام استقبل خالد بن الوليد وكن بازائه وأمر جماعة آخرين أن يكونوا بازاء خيل أخرى للمشركين ولم يكن مع المسلمين الا فرس أو فرسان قال الحلبي وما وقع في الهدى لابن القيم ان الفرسان من المسلمين يوم أحد كانوا خمسين سبق قلم وجعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير بن النعمان الاوسي البدري المستشهد يوم أحد رضي الله عنه وهو أخو خوات بن جبير رضي الله عنه وكان الرماة خمسين رجلا فاقامهم النبي صلى الله عليه وسلم على جبل صغير مرتفع وقال لهم احموا ظهورنا لا يأتونا من خلفنا وارشقوهم بالنبل فان الخيل لا تقوم على النبل انا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم اللهم اني أشهدك عليهم وفي رواية قال لهم ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم أي مشينا عليهم وهم قتلى فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم وفي رواية فان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وان رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا اللهم اني أشهدك عليهم ثم عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفا وقال من يأخذ هذا السيف بحقه وكان مكتوبا عليه

في الجبن عار وفي الاقدام مكرمة * والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

فقام رجال وبسطوا أيديهم كل انسان منهم يقول أنا يا رسول الله منهم أبو بكر وعمر وعلي والزبير رضي الله عنهم فامسكه عنهم ولم يعطه لهم حتى قام اليه أبو دجانة واسمه سماك بن أوس الانصاري رضي الله عنه فقال وما حقه يا رسول الله قال ان تضرب به في وجه العدو حتى ينحني قال أنا آخذه يا رسول الله قال لعلك ان أعطيتكه تقاتل في الكيول أي مؤخر الصفوف قال لا يا رسول الله فاعطاه اياه وكان رجلا شجاعا يختال عند الحرب فلما رآه صلى الله عليه وسلم يتبختر قال انها لمشية يبغضها الله تعالى الا في مثل هذا الموطن وليس في هذه القصة دليل على ان أبا دجانة أشجع من النفر الذين منعهم النبي صلى الله عليه وسلم اعطاء السيف بل هذه خصوصية لابي دجانة ولعل ذلك بوحي من الله تعالى لاظهار شأن الانصار وفضلهم حيث أعطاه لرجل منهم قال الزبير رضي الله عنه لما منعنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه أبا دجانة قلت والله لأنظرن ما يصنع أبو دجانة فاتبعته فاخذ عصابة له حمراء مكتوب في أحد طرفيها نصر من الله وفتح قريب وفي طرفها الآخر الجبانة في الحرب عار من فر لم ينج من النار فعصب بها رأسه فقالت الانصار أخرج عصابة الموت فخرج وهو يقول

أنا الذي عاهدني خليلي * ونحن بالسفح لدى النخيل
أن لا أقوم الدهر في الكيول * أضرب بسيف الله والرسول

فجعل لا يلقى أحدا من المشركين الا قتله قال أنس فلق أبو دجانة بالسيف هام المشركين قال الزبير وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا الا ذفف عليه أي قتله فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاختلفا ضربتين فضرب المشرك أبا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبو دجانة فقتله ثم رأيته حمل بالسيف على رأس هند بنت عتبة ثم عدل السيف عنها قال أبو دجانة رأيت انسانا يحمس الناس أي يشجعهم حماسا شديدا فعمدت اليه فلما حملت السيف عليه ولول أي دعا بالويل أي قال يا ويلاه فعلمت انه امرأة فاكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة وعن الزبير رضي الله عنه قال خرج ابو دجانة بعدما اخذ السيف واتبعته فجعل لا يمر بشيء الا فراه وهتكه وفلق به المشركين وكان اذا كل شحذه بالحجارة ثم يضرب به العدو كأنه منجل حتى اتى نسوة في سفح الجبل ومعهن هند وهي تغني تحرض المشركين فحمل عليها فنادت يا صخر فلم يجبها احد فانصرف عنها فقلت له كل سيفك رأيته فاعجبني غير انك لم تقتل المرأة قال كرهت ان اضرب بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة لا ناصر لها وكان أوّل من انشب

رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له و يحك اذا مات عمر فان استطعت ان تموت فمت وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال ما كان عمر باولنا اسلاما ولا أقدمنا هجرة ولكنه كان أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة (وأخرج) الملا في سيرته عن ابن عباس رضي الله عنهما قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمر ذات يوم وتبسم فقال يا ابن الخطاب أتدري لم تبسمت اليك قال الله ورسوله أعلم قال ان الله عز وجل نظر اليك بالشفقة والرحمة ليلة عرفة و جعلك مفتاح الاسلام (وأخرج) البغوي وابن أبي حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر ابن الخطاب من أهل الجنة و روى مثله ابن السماك

الحرب بينهم أبو عامر الراهب وسماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق لانه كان قدم كان في المدينة فلما هاجر صلى الله عليه وسلم اليها حسده وكفر به وخرج الى مكة وكان يعد قريشا انه لو لاقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان فخرج بن معه مع من خرج من قريش والاحابيش فنادى يامعشر الاوس أنا أبو عامر فقالوا لا أنعم الله بك عينا يا فاسق فلما سمع ردهم عليه قال لقد أصاب قومي بعدي شر ثم قاتلهم قتالا شديدا قال ابن سعد تراموا بالحجارة حتى ولى أبو عامر وأصحابه وجعل نساء المشركين يضربن بالدفوف ويحرضن ويذكرنهم قتلى بدر ويقلن

ويها بني عبد الدار * ويها حماة الادبار * ضربا بكل بتار

وويها كلمة اغراء وتحريض كما تقول دونك يا فلان والادبار الاعقاب أي الذين يحمون أعقاب الناس والبتار القاطع ويقلن أيضا

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق * مشي القطا البوارق
والمسك في المفارق * والدر في المخانق * ان تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق * أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

والطارق النجم قيل المراد بنات رجل بلغ غاية العلو وارتفاع القدر كالنجم وكان صلى الله عليه وسلم اذا سمع تحريض النساء وقولهن ذلك يقول اللهم بك أجول وبك أصول وفيك أقاتل حسبي الله ونعم الوكيل وعند اصطفاف القوم نادى أبو سفيان رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك يا معشر الاوس والخزرج خلوا بيننا وبين بني عمنا وننصرف عنكم فشتموه أقبح شتم ولعنوه أشد اللعن وخرج رجل من المشركين على بعير له فدعا الى البراز فاحجم عنه الناس حتى دعا ثلاثا فقام اليه الزبير رضي الله عنه فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق البعير فقال النبي صلى الله عليه وسلم الذي يلي حضيض الارض مقتول فوقع المشرك فوقع عليه الزبير رضي الله عنه فذبحه فأثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لكل نبي حواري وان حواري الزبير وقال صلى الله عليه وسلم لو لم يبرز له الزبير لبرزت له لما رأى من احجام الناس عنه وخرج رجل من المشركين بين الصفين وهو طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وكان بيده لواء المشركين فطلب المبارزة مرارا فلم يخرج اليه أحد فقال يا أصحاب محمد زعمتم ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل أحد منكم يعجلني بسيفه الى النار أو أعجله بسيفي الى الجنة كذبتم واللات والعزى لو تعلمون ذلك حقا لخرج الى بعضكم فخرج اليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه فاختلفا ضربتين وفي رواية فالتقيا بين الصفين فبدره علي رضي الله عنه فضربه فقطع رجله ووقع على الارض وبدت عورته فقال يا ابن عم أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهز عليه فقال له بعض أصحابه أفلا أجهزت عليه فقال انه استقبلني بعورته فعطفني عليه السؤال بالرحم وعرفت ان الله قد قتله وفي رواية قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك أن تجهز عليه فقال ناشدني الله والرحم فقال اقتله فرجع اليه فقتله فأخذ لواء المشركين أخو طلحة وهو عثمان بن أبي طلحة وعثمان هذا هو أبو شيبة الذي تنسب اليه الشيبيون فيقال لهم بنو شيبة فحمل عليه حمزة رضي الله عنه فقطع يده وكتفه حتى انتهى الى مؤتزره فرجع حمزة رضي الله عنه وهو يقول انا ابن ساقي الحجيج يعني عبد المطلب فأخذه أخو عثمان وأخو طلحة وهو أبو سعيد بن أبي طلحة فرماه سعد ابن أبي وقاص رضي الله عنه فأصاب حنجرته فقتله فحمله مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الافلح فقتله ثم حمله اخوه مسافع وهو الحرث بن طلحة فرماه عاصم ايضا فقتله وكانت أمهما معهما واسمها سلافة فكان كل واحد منهما بعد ان رماه عاصم يأتي أمه ويضع رأسه في حجرها فتقول له يا بني من أصابك فيقول سمعت رجلا حين رمى يقول خذها وأنا ابن أبي الافلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب الخمر فيه وجعلت لمن جاء برأس عاصم مائة من الابل فحمل اللواء أخو مسافع وأخو الحرث وهو كلاب بن طلحة فقتله الزبير رضي الله عنه فحمله أخوهم وهو جلاس بن طلحة فقتله طلحة بن عبيد الله فكل من مسافع والحرث

عن علي رضي الله عنه (وأخرج) البغوي والذهبي عن ابن أبي أوفى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أنت معي في الجنة ثالث ثلاثة وعن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب عمر عمر قلبه بالايمان (وأخرج) أبو الحسين بن البناء الفقيه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا غضب عمر فان الله يغضب اذا غضب وعن خالد الاسدي قال صحبت عمر رضي الله عنه فما رأيت أحدا أفقه في دين الله منه ولا أعلم بكتاب الله ولا أحسن مدارسة منه واني لاحسب تسعة اعشار العلم ذهبت يوم ذهب عمر وتقدم مثله عن ابن مسعود رضي الله عنه *(وأما

وكلاب وجلاس الاربعة أولاد طلحة بن أبي طلحة وكلهم قتلوا كأبيهم وعمهم وهما عثمان وأبو سعيد وعند ذلك
حمله أرطاة بن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي وهو ابن عم مصعب بن عمير بن هاشم
فقتله علي رضي الله عنه وقيل حمزة رضي الله عنه ثم حمله أبو زيد بن عمرو بن عبد مناف بن هاشم بن عبد الدار
فقتله قزمان فحمله ولد لشرحبيل بن هاشم فقتله قزمان أيضا ثم حمله صواب غلامهم وكان عبدا حبشيا فقتله
علي وقيل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ثم لم يزل اللواء طريحا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ولا
يعرف لها اسلام فرفعته لقريش فلاثوا به أي استداروا حوله وقد كان أبو سفيان قبل القتال قال لأصحاب
اللواء أي لواء المشركين من بني عبد الدار يحرضهم على القتال يا بني عبد الدار انكم قد تركتم لواءنا يوم بدر
فأصابنا ما قد رأيتم وانما يؤتى الناس من قبل راياتهم اذا زالت زالوا فاما أن تكفونا لواءنا واما أن تخلوا بيننا
وبينه فنكفيكموه فهموا به وتواعدوه وقالوا نحن نسلم اليك لواءنا ستعلم غدا اذا التقينا كيف نصنع وذلك
الذي أراده أبو سفيان ولما صرع صاحب لواء المشركين الذي هو طلحة بن أبي طلحة استبشر النبي صلى الله عليه
وسلم وأصحابه أي لانه كبش الكتيبة أي الجيش أي حاميهم الذي رآى صلى الله عليه وسلم أنه مردفه في رؤياه
المتقدمة ثم قال أولت ذلك اني أقتل صاحب الكتيبة فهذا كبش الكتيبة وعند وجود ما ذكر من قتل
أصحاب اللواء صاروا كتائب متفرقة فجاس المسلمون فيهم ضربا حتى أجهضوهم وأزالوهم عن أمكنتهم وكان
شعار المسلمين يومئذ أمت أمت وهو أمر بالموت والمراد التفاؤل بالنصر وجعلوا هذه الكلمة يتعارفون بها
مع حصول التفاؤل بها وشعار الكفار يا للعزى وهي شجرة كانوا يعبدونها يا لهبل وهو صنم كان داخل
الكعبة وقيل خارجها بجانب الباب وخرج عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما فانه أسلم بعد ذلك فقال من
يبارز فنهض اليه أبو بكر رضي الله عنه شاهرا سيفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم شم سيفك وارجع
الى مكانك ومتعنا بنفسك وتقدم طلب عبد الرحمن المبارزة أيضا يوم بدر وقد وقع للصديق رضي الله عنه أن
العرب لما ارتدت بعد موته صلى الله عليه وسلم خرج مع الجيش لقتال أهل الردة شاهرا سيفه فأخذ علي كرم الله
وجهه بزمام راحلته وقال الى أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقول لك كما قال لك رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم أحد شم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للاسلام
نظام أبدا فرجع وأمضى الجيش وعلي رضي الله عنه مع الجيش وفي أول الامر يوم أحد جاءت خيل المشركين
على المسلمين ثلاث مرات والمسلمون ينضحونهم بالنبل فترجع متفرقة منهزمة وحمل المسلمون على المشركين فنهكوهم
أي أضعفوهم قتلا ولما حميت الحرب قامت هند في النسوة اللاتي معها وأخذن الدفوف يضربن بها خلف
الرجال ويقلن ويها بني عبد الدار الخ الابيات المتقدمة ثم أنزل الله نصره على المسلمين فصاروا يحسون الكفار
حسا أي يقتلونهم قتلا كما قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى كشفوهم وانهزموا
فولى الكفار لا يلوون على شيء ونساؤهم يدعون بالويل قال الزبير والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند بنت
عتبة أي ما في سافها من الحلي هي وصواحبها مشمرات هوارب وتبعهم المسلمون حتى أجهضوهم ووقعوا
ينتهبون المعسكر ويأخذون ما فيه من الغنائم واشتغلوا عن الحرب فقال أصحاب عبد الله بن جبير وهم الرماة
الذين أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالبقاء بمكانهم الغنيمة أي قوم قد غلب أصحابكم فما تنتظرون فقال
لهم عبد الله بن جبير أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله لا تبرحوا فأبوا أن يطيعوه وقالوا
والله لنأتين الناس ولنصيبن من الغنيمة فان المشركين قد انهزموا فما مقامنا ههنا فلما أتوهم متوجهين الى
محل الغنيمة كر المشركون راجعين فرجعوا منهزمين عقوبة لهم لمخالفتهم قوله صلى الله عليه وسلم ونظر
خالد بن الوليد الى خلاء الجبل الذي كان فيه الرماة وقلة أهله فكر بالخيل وتبعه عكرمة بن أبي جهل فحملوا على
من بقي من الرماة وهم دون العشرة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه ووقعت الهزيمة في
المسلمين قال الحافظ بن حجر وفيه شؤم ارتكاب النهي وأنه يعم ضرره من لم يقع منه كما قال تعالى واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ولذا قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم

الاحاديث) * التي ذكر فيها
فضل عمر رضي الله عنه
مقرونا بفضل أبي بكر رضي
الله عنه أو غيره من بقية
العشرة رضي الله عنهم
كثيرة أيضا * منها قوله
صلى الله عليه وسلم لما سئل
أي الناس أحب اليك
فقال أبو بكر فقيل ثم من
قال عمر بن الخطاب رضي
الله عنهما وحديث أبي
هريرة وابن عمر رضي الله
عنهما كنا معشر أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم
ونحن متوافرون نقول
أفضل هذه الامة بعد النبي
صلى الله عليه وسلم أبو بكر
ثم عمر ثم عثمان * ومنها
ما أخرجه الطبراني عن
معاذ رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
رأيت اني وضعت في كفة
وأمتي في كفة فعدلتها ثم
وضع أبو بكر في كفة وأمتي
في كفة فعدلها ثم وضع

وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم أي أصابكم الهزيمة التي أعمتكم بسبب ادخالكم الغم على النبي صلى الله عليه وسلم في مخالفة أمره ومع ذلك فقد أخبر الله في كتابه بانه عفا عنهم بقوله ولقد عفا عنكم وصرخ ابليس لعنه الله أي عباد الله يعني المسلمين أخراكم أي احترزوا من جهة أخراكم وهي كلمة تقال لمن يخشى أن يؤتى عند القتال من ورائه فرجعت أولاهم فاقتتلت مع أخراهم واختلط العسكران فلم يتميز والشدة ما دهشهم لكنه عليه الصلاة والسلام لم يفارق مكانه الذي وصل اليه وقت انهزام المشركين ولم تزل قدمه شبرا واحدا عن موقفه كما في شرح الزرقاني وعند الاختلاط صاروا لا يعرفون المسلم من الكافر وترك المسلمون شعارهم الذي يتعارفون به وهو أمت أمت فوقع القتل في المسلمين بعضهم في بعض فكان ممن قتلوه خطأ اليمان والد حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما فقال ابنه غفر الله لكم وترك ديته وأحاط المشركون بالمسلمين وصاروا ينادون بشعارهم يا للعزى يا لهبل ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون وتفرقت المسلمون من كل وجه وتركوا ما انتهبوا وقاتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ذلك اليوم قتالا شديدا حتى بلغ الذين قتلهم أحدا وثلاثين رجلا كلهم من شجعانهم وكان رضي الله عنه يقاتل بسيفين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول أنا اسد الله وخرج سباع بكسر السين وتخفيف الباء ابن عبد العزى الخزاعي فقال هل من مبارز فبرز له حمزة رضي الله عنه وقال هلم يا ابن مقطعة البظور أي لان أمه أم أنمار مولاة شريق والد الاخنس كانت ختانة بمكة ثم قال له حمزة رضي الله عنه أتحاد الله ورسوله أي تحاربهما وتعاندهما ثم شد عليه حمزة رضي الله عنه فضربه ضربة قتله بها فكان كامس الذاهب وكان ذلك آخر قتيل قتله حمزة رضي الله عنه وأكب حمزة عليه ليأخذ درعه قال وحشي غلام جبير بن مطعم اني لانظر الى حمزة يهد الناس بسيفه وقد عثر حمزة رضي الله عنه فانكشف الدرع عن بطنه فهززت حربتي حتى اذا رضيت منها دفعتها اليه فوقعت في ثنته بالمثلثة وهو موضع تحت السرة وفوق العانة فاقبل نحوي ثم وقع فامهلته حتى مات فجئته فاخذت حربتي ثم تنحيت الى العسكر ولم يكن لي في شيء حاجة غيره لما تقدم أن حمزة رضي الله عنه قتل طعيمة بن عدي يوم بدر فقالت ابنة طعيمة لوحشي ان قتلت محمدا أو حمزة أو عليا في أبي فانت عتيق وفي رواية قال لي مولاي جبير بن مطعم ان قتلت حمزة بعمي فانت حر ولا مخالفة لاحتمال ان كلا من ابنة طعيمة وجبير قالا له ذلك وجاء في بعض الروايات عن وحشي رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك قال وخرجت ما أريد أن أقتل ولا أقاتل الا حمزة وكان وحشي يقذف بالحربة قذف الحبشة قلما يخطئ ثم أسلم بعد ذلك وقتل بتلك الحربة مسيلمة الكذاب وكان يقول أرجو أن هذه تكفر تلك وهذا لا ينافي ما ورد أن الذي قتل مسيلمة عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري أو أبو دجانة رضي الله عنهم لاحتمال أن يكون وحشي ضربه بحربته وهما أجهزا عليه فيكونوا مشتركين في قتله لعنه الله وكان عمر مسيلمة حين قتل مائة وخمسين سنة وكان مصعب بن عمير رضي الله عنه يقاتل يوم أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حامل اللواء فقاتل قتالا شديدا حتى قتل فاخذ اللواء ملك في صورته وفي رواية لما قتل اعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية عليا رضي الله عنه فلعل الملك حمل اللواء عنه قبل ظهور موته لهم وشيوعه فيهم فلما ظهر وشاع أعطى النبي صلى الله عليه وسلم الراية لعلي رضي الله عنه وكان الذي قتله عبد الله بن قمئة بكسر الميم لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم لان مصعبا رضي الله عنه كان اذا لبس لامته يشبه النبي صلى الله عليه وسلم فصاح ابن قمئة لعنه الله الخائب أن محمدا قد قتل روى ابن سعد أن مصعبا رضي الله عنه حمل اللواء يوم أحد فقطعت يده اليمنى فاخذه بيده اليسرى وهو يقول وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ثم قطعت يده اليسرى فحنى على اللواء أي أكب عليه وضمه بعضديه الى صدره وهو يقول وما محمد الا رسول الآية قال محمد بن شرحبيل وما نزلت هذه الآية يومئذ بل أنطقه الله بها ليسمع قول القائل قد قتل محمد وقيل ان الصارخ الذي قال قتل محمد ليس هو ابن قمئة بل ابليس لعنه الله وأنه تصور في صورة

(٧) عثمان في كفة وأمتي في كفة فعدلها ومنها ما أخرجه الحاكم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أبابكر وعمر خير الاولين والآخرين وخير أهل السموات وأهل الارضين الا النبيين والمرسلين وما أخرجه الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها (وأخرج) البخاري في تاريخه والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم الرجل أبو بكر نعم الرجل عمر (وأخرج) الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي الا وله وزيران من أهل

جعال بن سراقة الضمري وكان رجلا صالحا ممن أسلم قديما ورجع المسلمون يقتل بعضهم بعضا وهم لا يشعرون واستمر والى قرب المدينة وتفرق سائرهم ووقع فيهم القتل قال الحافظ ابن حجر انهم صاروا ثلاث فرق فرقة استمروا في الهزيمة الى قرب المدينة فما رجعوا حتى انفض القتال وهم قليل وهم الذين نزل فيهم ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل فصارت غاية الواحد منهم أن يذب عن نفسه أو يستمر على بصيرته في القتال الى أن يقتل وهم أكثر الصحابة وفرقة ثبتت مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم تراجعت اليه الفرقة الثانية شيأ فشيأ لما عرفوا أنه صلى الله عليه وسلم حي ووثب بعض الصحابة على جعال بن سراقة ليقتلوه فتبرأ من ذلك القول الذي نطق به الشيطان وهو على صورته وشهد خوات بن جبير وأبو بردة بان جعالا كان عندهما وبجنبهما حين صرخ ذلك الصارخ قال موسى بن عقبة لما غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن أعين بعض القوم واختلطا بعضهم ببعض وسمعوا الصارخ قال رجال من المنافقين لو كان لنا من الامر شيئ ما قتلنا ههنا وقال بعض منهم لو كان نبيا ما قتل فارجعوا الى دينكم الاول وفي ذلك أنزل الله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم الآيات وقال رجل منهم لم يعرف اسمه ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبي ليستأمن لنا من أبي سفيان يا قوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم ليؤمنوكم قبل أن يأتيكم الكفار فيقتلوكم فانهم يدخلون البيوت فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما يا قوم ان كان محمد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه وشهد له بهذه المقالة عند النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ رضي الله عنه ووافق أنس بن النضر جماعة كثيرون على هذه المقالة وهم المؤمنون أهل الصدق واليقين الذين تمكن الايمان في قلوبهم وروى ابن اسحق أن أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضي الله عنهما جاء الى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم فقال ان كان قتل فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه ثم استقبل العدو فقاتل حتى قتل رضي الله عنه قال أنس ولقد وجدنا بانس بن النضر يومئذ سبعين ضربة فما عرفه الا أخته عرفته ببنانه وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلته المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون قال اللهم اني أعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد الجنة ورب النضر اني أجد ريحها دون أحد قال سعد فما استطيع أن أصف ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ما بين ضربة بالسيف وطعنة بالرمح ورمية بالسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد الا أخته عرفته ببنانه وأنس بن مالك لم يحضر يوم أحد وانما سمع ذلك من سعد بن معاذ رضي الله عنه وممن قال مثل مقالة أنس بن النضر ثابت بن الدحداح رضي الله عنه فانه قال يا معشر الانصار ان كان محمد قد قتل فان الله حي لا يموت فقاتلوا عن دينكم فان الله مظاهركم وناصركم فنهض اليه نفر من الانصار فحمل بهم على كتيبة فيها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة ابن أبي جهل وضرار بن الخطاب فحمل عليه خالد بن الوليد بالرمح فقتله وقتل من كان معه من الانصار رضي الله عنهم وثبت النبي صلى الله عليه وسلم وقت رجوع المسلمين ولم يحصل منه فرار ولا انهزام ولا انصراف عن موقفه الذي وصل اليه حين انهزام المشركين باجماع المسلمين قال ابن سعد ما زال صلى الله عليه وسلم يرمي عن قوسه حتى صارت شظايا ويرمي بالحجر وكان أقرب الناس الى القوم وجاء عن علي رضي الله عنه وغيره كنا اذا اشتد البأس أي حمي القتال اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم أي فجعلناه في وجه القوم ويكونون خلفه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي عن المقداد بن الاسود رضي الله عنه فوالذي بعثه بالحق ما زالت قدمه شبرا واحدا وانه لفي وجه العدو وتفيء اليه طائفة من أصحابه مرة وتفترق مرة فربما رأيته قائما يرمي عن قوسه ويرمي بالحجر حتى انحازوا عنه وروى أبو يعلى بسند حسن عن علي رضي الله عنه قال لما انجلى الناس يوم أحد نظرت في القتلى فلم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله ما كان ليفر وما أراه في القتلى ولكن أرى

السماء ويزورون برزان من أهل الارض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراي من أهل الارض فأبو بكر وعمر (وأخرج) الامام أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن جابر بن سمرة وعبد الله بن عمرو وأبي هريرة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الدري في افق السماء وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما (وأخرج) ابن عساكر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أهل عليين ليشرف أحدهم على الجنة فيضيء وجهه لاهل الجنة كما يضيء القمر ليلة البدر لاهل الدنيا وان أبا بكر وعمر منهم وأنعما (وأخرج) الامام أحمد

أن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه صلى الله عليه وسلم فما لي خير من أن أقاتل حتى أقتل فكسرت غمد
سيفي ثم حملت على القوم فافرجوا الى فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم يقاتلهم صلى الله عليه وسلم
وروى الحاكم في المستدرك بسند على شرط مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال لما جال الناس
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الجولة يوم أحد قلت أذود عن نفسي فاما ان أستشهد واما ان ألحق
حتى ألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا كذلك اذا برجل مخمر وجهه ما أدري من هو فاقبل المشركون
حتى قلت قد ركبوه فملأ يده من الحصى ثم رمى به في وجوههم فتنكبوا على أعقابهم القهقرى حتى أتوا الجبل
ففعل ذلك مرارا ولا أدري من هو وبيني وبينه المقداد فبينا أنا أريد ان اسأل المقداد عنه اذ قال المقداد يا سعد
هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقلت وأين هو فاشار اليه فقمت وكأنه لم يصبني شئ من الاذى
وأجلسني أمامه فجعلت أرمي وأقول اللهم سهمك فارم به عدوك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم
استجب لسعد اللهم سدد رميته واجب دعوته فكان سعد مجاب الدعوة قال حتى اذا فرغ النبل من كنانتي نثر
صلى الله عليه وسلم لي ما في كنانته وانكشف الناس عنه صلى الله عليه وسلم وعن سعد رضي الله عنه قال لقد
رأيتني والنبي صلى الله عليه وسلم يناولني النبل ويقول ارم فداك أبي وأمي حتى انه ليناولني السهم ما له نصل
فيقول ارم به وجاء أن سعدا رضي الله عنه رمى يوم أحد ألف سهم ما منها سهم الا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ارم فداك أبي وامي ففداه ذلك اليوم ألف مرة وعن علي كرم الله وجهه قال ما سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فداك أبي وامي الا لسعد رضي الله عنه يعني يوم أحد فلا ينافي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
مثل ذلك للزبير رضي الله عنه يوم الخندق كما سيأتي ان شاء الله وكان صلى الله عليه وسلم يفتخر بعد ويقول
هذا سعد خالي فليرني امرؤ خاله اي لان سعدا رضي الله عنه كان من بني زهرة وكانت ام النبي صلى الله عليه وسلم
منهم وكان رضي الله عنه اذا غاب يقول النبي صلى الله عليه وسلم مالي لا أرى الصبيح المليح الفصيح رضي الله عنه
وثبت معه صلى الله عليه وسلم اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين وهم ابو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف
وسعد وطلحة والزبير وابو عبيدة رضي الله عنهم وكذا علي رضي الله عنه قال في فتح الباري فقد صحت الاحاديث
بان عليا رضي الله عنه ممن ثبت وبعض الرواة لم يذكره لانه كان حامل اللواء بعد مصعب فلا يحتاج الى ان
يقال ثبت وسبعة من الانصار وهم ابو دجانة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن
حنيف وسعد بن معاذ واسيد بن حضير وزاد بعضهم سعد بن عبادة رضي الله عنهم وزاد بعضهم محمد بن مسلمة
رضي الله عنه بل جاء انه ثبت بين يديه يومئذ ثلاثون رجلا كلهم يقول وجهي دون وجهك ونفسي دون نفسك
وعليك السلام غير مودع وعند الحاكم أن المقداد ممن ثبت ولا تنافي في الروايات لان اختلاف الاحاديث
لاختلاف الاحوال فانهم تفرقوا في القتال فلما ولى من ولى وصاح الشيطان اشتغل كل واحد بهمه والذب
عن نفسه ثم عرفوا بقاءه صلى الله عليه وسلم فتراجعوا اليه أولا فاولا ثم بعد ذلك كان يقدمهم الى القتال
فيشتغلون به وذكر بعضهم ممن ثبت جابر بن عبد الله وعمارا وابن مسعود رضي الله عنهم وفي بعض الروايات
لم يبق معه سوى رجلين من قريش وسبعة من الانصار ولعله في بعض اللحظات لاختلاف الحالات كما مر
وثبت انه صلى الله عليه وسلم لما تفرقت عنه اصحابه صار يقول الي يا فلان الي يا فلان انا رسول الله فما يعرج اليه
احد والنبل يأتيه من كل جانب والله يصرفه عنه والى هذا اشار سبحانه وتعالى بقوله اذ تصعدون ولا تلوون
على احد والرسول يدعوكم في اخراكم وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال يومئذ انا النبي لا كذب انا ابن عبد
المطلب أنا ابن العواتك قال الحلبي فليتأمل فان المحفوظ أنه صلى الله عليه وسلم انما قال ذلك يوم حنين وان
كان لا مانع من التعدد وممن ثبت معه صلى الله عليه وسلم أبو طلحة زيد بن سهل الانصاري زوج أم أنس بن مالك
رضي الله عنه فانه استمر بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يحوزعنه بحجفته وكان رجلا راميا شديد الرمي فنثر
له النبي صلى الله عليه وسلم كنانته بين يديه وصار رضي الله عنه يقول نفسي لنفسك فداء ووجهي لوجهك
وقاء فلم يزل يرمي بها وكان الرجل يمر بالجعبة فيها النبل فيقول النبي صلى الله عليه وسلم أنثرها لابي طلحة وكسر

والترمذي عن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال هذان سيدا
كهول أهل الجنة من
الاولين والآخرين الا
النبيين والمرسلين يعني أبا
بكر وعمر ورواه أيضا ابن
عباس وابن عمر وجابر
وأبو سعيد الخدري رضي
الله عنهم (وأخرج) الترمذي
والحاكم عن عبد الله بن
حنظلة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم رأى أبا بكر وعمر
فقال هذان السمع والبصر
وأخرجه الطبراني من
حديث عبد الله بن عمر
وعبد الله بن عمرو رضي الله
عنهم وفي رواية أخرجها
أبو نعيم عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
أبو بكر وعمر مني منزلة
السمع والبصر من الرأس

ذلك اليوم قوسين أو ثلاثة وصار رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرف أي ينظر الى القوم ليرى مواضع النبل
فيقول له أبو طلحة يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك وتطاول
أبو طلحة رضي الله عنه بصدره يقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومازال النبي صلى الله عليه وسلم يرمي عن قوسه
حتى اندقت سيتها او السية ما انعطف من طرفي القوس اللذين هما محل الوتر وفي رواية حتى تقطع الوتر وبقي
في يده قطعة قدر شبر فاخذ القوس عكاشة بن محصن رضي الله عنه ليوتره فقال يارسول الله لا يبلغ الوتر فقال
مده فيبلغ قال عكاشة فوالذي بعثه بالحق لقد مددته حتى بلغ وطويت منه لفتين أو ثلاثا وكان صلى الله عليه
وسلم أقرب الناس الى القوم وممن كان مشهورا بالرماية سهل بن حنيف رضي الله عنه وكان ممن ثبت مع النبي
صلى الله عليه وسلم في هذا اليوم وكان بايع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ على الموت فثبت معه صلى الله عليه
وسلم حتى انكشف الناس عنه وجعل ينضح بالنبل يومئذ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انبلوا سهلا أي اعطوه نبلا وممن ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم أم عمارة المازنية واسمها
نسيبة بالتصغير وهي زوج زيد بن عاصم وأم ولده عبد الله بن زيد فعنها رضي الله عنها قالت خرجت يوم أحد
لانظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء أسقي به الجرحى فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في
أصحابه والريح للمسلمين فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقمت أباشر القتال دونه
وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراحة الي روى أنه كان على عاتقها جرح أجوف له
غور فقيل لها من أصابك بهذا قالت ابن قمئة لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل ابن قمئة
يقول دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير رضي الله عنه فضربني هذه الضربة
وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان وجاء في رواية خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد بن
عاصم وابناها حبيب وعبد الله وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله عليكم أهل بيت فقالت له
نسيبة رضي الله عنها أدع الله أن نرافقك في الجنة فقال اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة وعند ذلك قالت رضي
الله عنها ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم في حقها ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد الا
ورأيتها تقاتل دوني وقد جرحت رضي الله عنها اثني عشر جرحا ما بين طعنة برمح وضربة بسيف وحضرت رضي
الله عنها قتال مسيلمة الكذاب باليمامة وكان ابنها عبد الله بن زيد رضي الله عنه مشاركا لوحشي في قتل مسيلمة
فعنها رضي الله عنها قالت قاتلت يوم اليمامة فقطعت يدي وأنا أريد قتل مسيلمة وما كان لي ناهية حتى رأيت
الخبيث مقتولا واذا ابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه فقلت أقتلته فقال نعم فسجدت شكرا لله تعالى وقتله
له كان بعد ضرب وحشي له بحربته وجاء أنه شاركهما في ذلك أبو دجانة رضي الله عنه وأنزل الله يوم أحد
على المؤمنين النعاس قال الزبير بن العوام رضي الله عنه لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد
حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد الا وذقنه في صدره فوالله اني لاسمع كالحلم قول معتب
ابن قشير لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا قال تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة
منكم الآية وعن كعب بن عمرو الانصاري رضي الله عنه قال لقد رأيتني يومئذ في أربعة عشر من قومي
الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصابنا النعاس أمنة أي لانه لا ينعس الا من يأمن فما منهم
أحد الا غط غطيطا حتى ان الجحف أي الدرق تتناطح ولقد رأيت سيف بشر بن البراء بن معرور سقط من يده
وما شعر وتقدم في غزوة بدر أنه حصل لهم النعاس ليلة القتال لا فيه وجاء ان النعاس في الصف من الايمان
وفي الصلاة من الشيطان واما الطائفة المنهزمة فانها تفرقت فرقا فمنهم من ذهب الى المدينة فلقيتهم أم أيمن
رضي الله عنها فجعلت تحثو التراب في وجوههم وتقول لبعضهم هاك المغزل فاغزل به وهلم سيفك أي اعطني
سيفك وطائفة من المنهزمين لم يدخلوا المدينة ويشكل على استقبال أم ايمن اياهم انه جاء انها كانت في الجيش
تسقي الجرحى فقد جاء ان حبان بن العرقة رمى بسهم فاصاب ام ايمن وهي تسقي الجرحى فتكشفت فاغرق
عدو الله في الضحك فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفع الى سعد سهما لا نصل له وقال ارم به

(وأخرج) الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي خاصة من أصحابه وان خاصتي من أصحابي أبو بكر وعمر رضي الله عنهما (وأخرج) ابن عساكر عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل نبي وزيرين ووزيراي وصاحباي أبو بكر وعمر (وأخرج) ابن عساكر عن علي والزبير معا رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير أمتي بعدي أبو بكر وعمر (وأخرج) البخاري عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما قدمت أبا بكر وعمر ولكن الله قدمهما (وأخرج) ابن قانع عن الحجاج التيمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

فرمى به فوقع عدو الله مستلقيا حتى بدت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال
استقاد لها سعد أجاب الله دعوته وفى رواية اللهم استجب دعاء سعد اذا دعاك فكان مجاب الدعوة وقد يقال
لا منافاة بين كون ام ايمن كانت فى الجيش وبين كونها بالمدينة حين وصول بعض المنهزمين الى المدينة لجواز
ان تكون رجعت ذلك الوقت من الجيش الى المدينة وممن قاتل دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو دجانة
الانصارى رضى الله عنه فقد جاء انه تترس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم اى جعل نفسه ترسا فصار يقع
النبل على ظهره وهو منحن عليه حتى كثر فيه النبل وممن قاتل دونه صلى الله عليه وسلم عمارة بن زياد بن
السكن رضى الله عنه حتى أثبتته الجراحة اى أصابت مقاتله فقال صلى الله عليه وسلم ادنوه منى فوسده قدمه
الشريف فمات رضى الله عنه وخده على قدمه الشريف صلى الله عليه وسلم وممن قاتل دون رسول الله صلى
الله عليه وسلم مصعب بن عمير رضى الله عنه حتى قتله ابن قمئة لعنه الله وهو يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما مر فرجع الى المشركين فقال قتلت محمدا كما تقدم وقيل ان القاتل لمصعب بن عمير أبى بن خلف الجمحى
أخو امية بن خلف المقتول ببدر الذى كان يعذب بلالا رضى الله عنه يروى انه أقبل ابى بن خلف يوم أحد نحو
النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول أين محمد لا نجوت ان نجا فاستقبله مصعب بن عمير رضى الله عنه فقتل
مصعبا فاستقبله رجال من المسلمين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخلوا طريقه فاقبل وهو يقول
يا كذاب أين تفر فتناول النبى صلى الله عليه وسلم الحربة من الحرث بن الصمة أو الزبير بن العوام رضى الله عنه
فرماه النبى صلى الله عليه وسلم بها فاصابت عنقه وخدشته خدشا غير كبير واحتقن الدم اى لم يخرج بذلك
الخدش فرجع وهو يقول قتلنى والله محمد فقالوا له ذهب والله فؤادك وفى رواية عقلك انا لنأخذ السهام
من أضلاعنا فنرمى بها فما بك والله من باس ما أجزعك انما هو خدش ولو كان هذا الذى بك بعين أحدنا ما ضره
فقال واللات والعزى لو كان هذا الذى بى باهل ذى المجاز أى السوق المعروف من جملة أسواق الجاهلية كان
عند عرفة وفى رواية لو كان بربيعة ومضر وفى رواية لو كان باهل الارض لماتوا أجمعون انه قال لى بمكة أنا
أقتلك فوالله لو بصق على لقتلنى أى فضلا عن هذه الضربة وكان أبى يقول بمكة للنبى صلى الله عليه وسلم
يا محمد ان عندى العود يعنى فرسا له أعلفه كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها والفرق بفتح الراء مكيال معروف
يسع اثنى عشر مدا فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فحقق الله تعالى قول نبيه
المصطفى صلى الله عليه وسلم وعن سعيد بن المسيب ان ابى بن خلف قال حين افتدى ببدر من الاسر والله ان
عندى افرسا اعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتل عليها محمدا فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل انا
أقتله ان شاء الله تعالى و يمكن الجمع بانه تكرر ذلك من ابى لعنه الله ومن النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية
ابصر صلى الله عليه وسلم ترقوته من فرجة من سابغة الدرع وهى ما يغطى العنق من الدرع فطعنه طعنة كسر
فيها ضلعا من أضلاعه وفى رواية طعنه طعنة وقع فيها من الفرس مرارا وجعل يخور كما يخور الثور اذا ذبح
وانه صلى الله عليه وسلم حين أخذ الحربة انتفض بها انتفاضة شديدة حتى تباعد عنه من كان حوله ثم استقبله
فطعنه فى عنقه ولا منافاة لان الترقوة فى أصل العنق ولا مخالفة ايضا بين كون الحاصل من الطعنة خدشة وبين
كونه انتفض بالحربة انتفاضة شديدة وناهيك بعزمه صلى الله عليه وسلم لان كون الطعنة خدشة انما هو
بحسب ما ظهر للرائى والا فالطعنة شديدة فى الباطن وذلك أقوى فى النكاية ليكون من المعجزات أيضا ودليل
وجود الشدة فى الباطن وقوعه مرارا عن الفرس وكونه خار كالثور الذى يذبح وكون الطعن فى العنق يفضى
الى كسر الضلع من خوارق العادة وجاء فى رواية انه ضربه تحت ابطه حتى انكسر ضلع من أضلاعه وقد يقال
يجوز ان تكون الحربة نفذت من المكان المذكور الى ابطه حتى كسرت ضلعه ولم يقتل صلى الله عليه وسلم
بيده الشريفة أحدا الا أبى بن خلف لا قبل ولا بعد ثم مات عدو الله وهم راجعون الى مكة بسرف وهو مناسب
لوصفه لانه مسرف وقيل مات ببطن رابغ فعن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال انى لاسير ببطن رابغ بعد
هدء من الليل واذا نار تاجج لى فهبتها واذا رجل يخرج منها فى سلسلة يجتذب بها يصيح العطش فنادانى

من رأيتموه يذكر أبا بكر
وعمر بسوء فانما يريد
الاسلام (وأخرج) ابن
عساكر عن ابن مسعود
رضى الله عنه ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال
القائم بعدى فى الجنة
والذى يقوم بعده فى الجنة
والثالث والرابع فى الجنة
يعنى أبا بكر وعمر وعثمان
وعليا رضى الله عنهم
(وأخرج) ابن عساكر
عن أنس رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال أربعة لا يجتمع
حبهم فى قلب منافق
ولا يحبهم الا مؤمن أبو بكر
وعمر وعثمان وعلى رضى
الله عنهم (وأخرج) الامام
احمد عن سعيد بن زيد
رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال عشرة فى الجنة النبى
صلى الله عليه وسلم فى الجنة
وأبو بكر فى الجنة وعمر فى

ياعبد الله فلا أدرى أعرف اسمى أو كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه ياعبد الله فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت ان افعل واذا رجل وهو الموكل بعذابه يقول لاتسقه هذا قتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبى بن خلف لعنه الله رواه البيهقى و يدل لهذا ماجاء فى الحديث كل من قتله نبى أو قتل بامر نبى فى زمنه يعذب من حين قتل الى أن ينفخ فى الصور وجاء أشد الناس عذابا من قتله نبى وفى رواية اشتد غضب الله على رجل قتله رسول الله فسحقا لاصحاب السعير أى لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مامورون بالالطاف والشفقة على عباد الله فما يحمل الواحد منهم على قتل شخص الا أمر عظيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم أكملهم لطفا ورفقا وشفقة على عباد الله وتقدم ان ابن عمر رضى الله عنهما مر ببدر واذا رجل يعذب و يئن فناداه ياعبد الله قال فالتفت اليه فقال اسقنى فاردت أن أفعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لاتفعل ياعبد الله فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أى قتلهم أصحابه رواه الطبرانى فى الاوسط ولا بعد فى تعدد الواقعة بل فى الخصائص الكبرى للجلال السيوطى مايدل على التعدد فذكر فيها ان ابن عمر ذكر ذلك الذى رآه ببدر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له ذاك أبو جهل وذلك عذابه الى يوم القيامة وقد حفر أبو عامر الفاسق الذى كان مع المشركين كما تقدم حفرا فى موضع المعركة وزعم ان ذلك من مكايد الحرب فوقع النبى صلى الله عليه وسلم فى حفرة منها فاغمى عليه صلى الله عليه وسلم وجحشت أى خدشت ركبتاه فاخذ على رضى الله عنه بيده ورفعه طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه حتى استوى قائما وكان سبب وقوعه ان ابن قمئة لعنه الله علاه بالسيف فلم يؤثر فيه السيف الا ان ثقل السيف أثر فى عاتقه فشكا صلى الله عليه وسلم منه شهرا أو أكثر وقذف صلى الله عليه وسلم بالحجارة حتى وقع لشقه ورماه عتبة بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص بحجر فكسر رباعيته اليمنى السفلى وشق شفته السفلى ودعا عليه صلى الله عليه وسلم فاستجاب الله دعاءه فقتله حاطب ابن أبى بلتعة رضى الله عنه كما رواه الحاكم فى المستدرك قال قال حاطب رضى الله عنه لما رأيت مافعل عتبة برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أين توجه عتبة فاشار الى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت رأسه فنزلت فاخذت رأسه وفرسه وسيفه وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى رضى الله عنك وأما ما ذكره ابن منده من أنه أسلم واستند لقول أخيه سعد فى ابن أمة زمعة عهد الى أخى عتبة انه ولده فليس فيه مايدل على اسلامه لاحتمال أن يكون عهد اليه وهو فى كفره بان أمة زمعة جاءت منه وقد شدد أبو نعيم فى الانكار على ابن منده فى ذكره فى الصحابة واحتج بما رواه عبد الرزاق عن سعيد بن المسيب أنه صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة حين كسر رباعيته وأدمى وجهه فقال اللهم لاتحول عليه الحول حتى يموت كافرا فما حال الحول حتى مات كافرا الى النار قال الحافظ ابن حجر ان ذكره فى الصحابة غلط وليس فى الآثار مايدل على اسلامه بل فيها مايصرح بموته على الكفر فلا معنى لايراده فى الصحابة انتهى وروى ابن اسحق عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال ماحرصت على قتل رجل قط حرصى على قتل أخى عتبة حين صنع برسول الله ماصنع ولقد كفانى فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسوله وصح انه لم يولد من نسل عتبة ولد فيبلغ الحلم الا وهو أبخر أى منتن الفم أهتم أى مكسور الثنايا يعرف ذلك فى عقبه وجاء ان الذى جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم عبد الله بن قمئة وفى رواية عبد الله بن شهاب الزهرى جد الامام الزهرى من قبل أبيه شهد أحدا مع الكفار ثم أسلم رضى الله عنه وهو الذى شجه فى جبهته وان ابن قمئة جرح وجنته وهى ما ارتفع من لحم خده فدخلت حلقتان من المغفر فى وجنته صلى الله عليه وسلم وهشمت البيضة على رأسه أى كسرت وسال الدم على وجهه ورموه بالحجارة حتى سقط لشقه فى حفرة واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما وفى الصحيح عن قيس قال رأيت يد طلحة شلاء لانه وقى بها النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وجاء أن طلحة رضى الله عنه جرح يوم أحد تسعا وثلاثين أو خمسا وثلاثين وشل أصبعاه أى السبابة والتى تليها وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا ذكر يوم أحد قال كان ذلك اليوم كله لطلحة وروى النسائى والبيهقى عن جابر رضى الله عنه قال أدرك المشركون

الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير بن العوام فى الجنة وسعد بن مالك وهو ابن أبى وقاص فى الجنة وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة وسعيد بن زيد فى الجنة * وفى رواية لم يذكر فى أولها النبى صلى الله عليه وسلم فى الجنة وذكر تمام العشرة أبا عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنهم وهذا الحديث وكثير من الاحاديث تقدمت فى فضل أبى بكر رضى الله عنه وأعيدت هنا لمناسبتها لفضل عمر رضى الله عنه زيادة فى الفائدة والتذكار (وأخرج) الترمذى والحاكم والطبرانى عن ابن عمر وأبى هريرة رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم فدخل المسجد

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من للقوم فقال طلحة أنا فذكر قتل الذين كانوا معه من الانصار قال ثم قاتل طلحة قتالا شديدا حتى ضربت يده فقطعت أصابعه فقال حس فقال صلى الله عليه وسلم لو قلت باسم الله لرفعتك الملائكة والناس ينظرون اليك حتى تلج بك في جو السماء وانتزع أبو عبيدة عامر بن الجراح الحلقتين اللتين كانتا في وجنته صلى الله عليه وسلم وعض عليهما حتى سقطت ثنيتاه فكان ساقط الثنيتين قال بعضهم ولما سقط مقدم أسنان أبي عبيدة صار أهتم ولم ير قط أهتم أحسن من أبي عبيدة لان ذلك الهتم حسن فمه وقيل ان عقبة بن وهب بن كلدة هو الذى نزع الحلقتين من وجنته صلى الله عليه وسلم وقيل انه أبو بكر رضى الله عنه فيجوز ان الثلاثة عالجوهما وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه الدم من وجنته صلى الله عليه وسلم ثم ازدرده فقال عليه الصلاة والسلام من مس دمه دمي لم تصبه النار وفى رواية من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا وأشار اليه فاستشهد فى هذه الغزوة رضى الله عنه وفى رواية من سره أن ينظر الى من لا تمسه النار فلينظر الى مالك بن سنان ولما رمى عبد الله بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقمأك الله وهو يمسح الدم عن وجهه فسلط الله على ابن قمئة تيسا جبليا فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة زيادة فى نكاله وخزيه وو باله وجعل صلى الله عليه وسلم يمسح الدم عن وجهه وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فانزل الله تعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون قال الاوزاعى بلغنا انه لما جرح صلى الله عليه وسلم يوم أحد أخذ شيأ فجعل ينشف به دمه ليمنعه من النزول على الارض و يقول لو وقع منه شئ على الارض لنزل عليهم العذاب من السماء ثم قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون فاعتذر عنهم وتضرع الى الله أن يمهلهم حتى يكون منهم أو من ذريتهم من يؤمن وقد حقق الله رجاءه وهذا دعاء لهم بالتوبة من الشرك حتى يغفر لهم وليس دعاء لهم بغفران الشرك فلا يشكل على ذلك قوله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ولا قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وعن معمر بن راشد عن الزهرى قال ضرب وجه النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بالسيف سبعين ضربة ووقاه الله شرها كلها فلم يحصل مرادهم بالضرب ولله الحمد والمنة فان قيل كيف شج وجهه صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته والله تعالى يقول والله يعصمك من الناس أجيب بان هذه الآية نزلت بعد وعلى تسليم أنها نزلت قبل فالمراد عصمته من القتل قال الشيخ محيي الدين بن العربى رحمه الله تعالى لا يخفى ان أجر كل نبي فى التبليغ يكون على قدر ماناله من المشقة الحاصلة له من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم وله أجر الهداية لمن أطاعه ولا أحد أكثر من نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يتفق لنبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ما اتفق له صلى الله عليه وسلم فى كثرة طائعى أمة اجابته ولا فى كثرة عصاة أمة دعوته الخارجين عن الاجابة وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الشيطان قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك الانصارى رضى الله عنه وهو أحد الثلاثة المذكورين فى قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا الخ قال عرفت عينيه صلى الله عليه وسلم تزهران أى تضيئان وتتوقدان من تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال لما صاح الشيطان قتل محمد لم نشك فى أنه حق ومازلنا كذلك حتى طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين السعدين يعنى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما فعرفناه بكتفيه اذا مشى ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض معهم نحو الشعب وفيهم أبو بكر وعمر وعلى وطلحة والزبير والحرث بن الصمة وجماعة آخرون وفى خصائص العشرة أن الزبير رضى الله عنه ثبت يوم أحد مع النبي صلى الله عليه وسلم وبايعه على الموت وأما قول الرافضة انهزم الناس كلهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على بن أبي طالب فممنوع بل ثبت مع على رضى الله عنه غيره كما تقدم وأقبل عثمان بن عبد الله بن المغيرة على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوجه للشعب وهو يقول

وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بايديهما وقال هكذا نبعث (وأخرج) الترمذى والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض ثم أبو بكر ثم عمر (وأخرج) عبد الله بن الامام أحمد فى زوائد المسند عن أنس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انى لارجو لامتى فى حبهم لابى بكر وعمر ما أرجو لهم فى قول لا اله الا الله (وأخرج) أبو يعلى عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل آنفا فقلت يا جبريل حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر منذ لبث نوح فى قومه ما نفدت فضائل عمر

لا تحوت ان نجا فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فعثر بعثمان فرسه في بعض تلك الحفر التي حفرها أبو عامر الفاسق فمشى اليه الحرث بن الصمة رضي الله عنه فاصطدما ساعة بسيفهما ثم ضربه الحرث على رجليه فبرك وذفف عليه وأخذ درعه ومغفره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي أحانه أي أهلكه وأقبل عبيد بن أبي جابر العامري بعدو فضرب الحرث على عاتقه فجرحه فاحتمله اصحابه ووثب أبو دجانة الى عبيد فذبحه بالسيف ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلو الصخرة التي في الشعب فلما ذهب لينهض لم يستطع لانه صلى الله عليه وسلم ضعف لكثرة ما خرج من دم رأسه الشريف ووجهه مع كونه عليه درعان فجلس تحته طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فنهض به حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة أي فعل شيأ استوجب به الجنة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع وقد قيل ان طلحة رضي الله عنه كان في مشيه اختلاف أي اعرج كان به فلما حمل النبي صلى الله عليه وسلم تكلف استقامة المشي لئلا يشق عليه صلى الله عليه وسلم فذهب عرجه ولم يعد اليه وعطش النبي صلى الله عليه وسلم عطشا شديدا وقد جاء علي رضي الله عنه بماء في درقته ليغسل به جرح النبي صلى الله عليه وسلم فلم يشرب صلى الله عليه وسلم من ذلك لتغير وجده به من طول المكث فخرج محمد بن مسلمة رضي الله عنه يطلب له ماء فلم يجد ثم ذهب الى موضع بعيد فاتى بماء عذب فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاله بخير وجاءت نساء المدينة خرجن ومعهن فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتنقته وجعلت تغسل جراحاته وعلي يسكب الماء فيتزايد الدم فلما رأت ذلك أخذت شيأ من حصير فاحرقته بالنار حتى صار رمادا فاخذت ذلك الرماد وكمدته به حتى لصق بالجرح فاستمسك الدم وبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب مع بعض أصحابه اذ علت طائفة من قريش الجبل معهم خالد بن الوليد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انهم لا ينبغي لهم ان يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك فقاتلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وجماعة من المهاجرين رضي الله عنهم حتى هبطوا من الجبل ونزل في ذلك قوله تعالى ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وفي بعض الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أرددهم قال سعد فاخذت سهما من كنانتي فرميت به رجلا منهم فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته ثم أخذت سهما فاذا هو سهمي الذي رميت به فرميت به آخر فقتلته فهبطوا من مكانهم فقلت هذا سهم مبارك فكان عندي في كنانتي لا يفارق كنانتي وكان بعد سعد عند بنيه وجاء في رواية عن سعد رضي الله عنه قال لقد رأيتني أرمي بالسهم يوم أحد فيرده علي رجل أبيض حسن الوجه حتى كان بعد الحرب ولم أعرفه فظننت أنه ملك وصلى النبي صلى الله عليه وسلم ظهر ذلك اليوم وهو جالس من الجراح التي أصابته صلى الله عليه وسلم وصلى المسلمون خلفه قعودا ثم نسخ وقيل ان الذين صلوا قعودا هم الذين أصابتهم الجراح وقد جاء أنه وجد بطلحة رضي الله عنه بضع وسبعون جراحة من طعنة وضربة ورمية وقطعت أصبعه وفي رواية أنامله وفي البخاري عن قيس بن ابي حازم قال رأيت يد طلحة بن عبيد الله التي وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم شلاء ونزف الدم بطلحة رضي الله عنه حتى غشي عليه فجاء أبو بكر رضي الله عنه ونضح الماء في وجهه حتى أفاق فقال ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر رضي الله عنه هو بخير وهو أرسلني فقال الحمد لله كل مصيبة بعده جلل أي قليلة وأصيب فم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وجرح عشرين جراحة فأكثر وأصاب كعب بن مالك سبع عشرة جراحة وقتل الاصيرم بن عبد الاشهل كان يأبى الاسلام على قومه بني عبد الاشهل فلما كان يوم خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى أحد جاء الى المدينة فسأل عن قومه فقيل باحد فبدا له الاسلام أي رغب فيه فاسلم ثم أخذ سيفه ورمحه ولامته وركب فرسه فغدا حتى دخل في عرض الناس أي جانبهم فقاتل حتى أثبتته الجراحة فبينما رجال من بني عبد الاشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة اذا هم به فقالوا والله ان هذا الاصيرم فسألوه ما جاء بك مناصرة لقومك أم رغبة في الاسلام فقال بل رغبة في الاسلام

وان عمر لحسنة من حسنات أبي بكر رضي الله عنهما (وأخرج) الامام أحمد عن عبد الرحمن بن غنم والطبراني عن البراء بن عازب رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما (وأخرج) ابن سعد عن بسطام بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر رضي الله عنهما لا يتأمر عليكما أحد بعدي (وأخرج) ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حب أبي بكر وعمر ايمان وبغضهما كفر (وأخرج) ابن عساكر أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حب أبي بكر وعمر من السنة ومن فضائلهما حديث تسبيح الحصا وقد رواه البزار والطبراني ومحمد بن يحيى

آمنت بالله و برسوله ثم جئت وقاتلت حتى أصابني ما أصابني ثم لم يلبث ان مات في أيديهم فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه لمن أهل الجنة وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول حدثوني برجل دخل الجنة ولم يصل يعني الاصيرم وقتل حنظلة رضي الله عنه وهو ابن أبي عامر الراهب الذي سماه النبي صلى الله عليه وسلم الفاسق ويقال لابي عامر بن صيفي وتقدم ان أباعامر خرج من المدينة مباعدا للنبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء مع كفار قريش يوم أحد وكان ولده حنظلة مع النبي صلى الله عليه وسلم فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه فنهاه صلى الله عليه وسلم وقد دعا صلى الله عليه وسلم على أبي عامر أن يموت طريدا وحيدا فاستجاب الله دعوته فخرج الى الشام بعد فتح مكة فمات وحيدا طريدا قال السبكي في تائيته

ومات ابن صيفي على الصفة التي * ذكرت وحيدا بعد طرد وغربة

وسبب قتل ابنه حنظلة رضي الله عنه انه ضرب فرس أبي سفيان فوقع الارض فصاح وعلاه حنظلة يريد ذبحه فرآه شداد بن الاوس وهو غلط والصواب شداد بن الاسود فحمل عليه فقتله فقال صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم يعني حنظلة لتغسله الملائكة وفي رواية رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والارض بماء المزن في صحاف الفضة فسئلت زوجته وهي جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين وكانت من المؤمنات الصادقات فقالت خرج جنبا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك غسلته الملائكة وكان حنظلة رضي الله عنه دخل عليها عروسا تلك الليلة التي صبحتها وقعة أحد وكان استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدخول بها فلما صلى الصبح غدا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلزمته فكان معها وأجنب منها ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج الى العدو فعجل عن الغسل اجابة للداعي وفي رواية انها قالت خرج وهو جنب حين سمع الهاتفة أي الصائحة بالخروج للعدو وفي رواية انه غسل أحد شقيه ثم خرج ولم يغسل الشق الآخر فلذلك غسلته الملائكة وجاء انه التمس في القتلى فوجدوه يقطر رأسه ماء وليس بقربه ماء تصديقا لقوله صلى الله عليه وسلم وقد رأت زوجته تلك الليلة ان السماء فرجت فدخل ثم أطبقت وجاء انها أشهدت أربعة من قومها حين أراد الخروج بانه دخل بها خشية أن يحصل له موت فيكون في ذلك نزاع قالت لاني رأيت السماء فرجت فدخل فيها ثم أطبقت وعلقت منه بعبد الله بن حنظلة رضي الله عنه في تلك الليلة وعبد الله هذا هو الذي ولاه أهل المدينة عليهم وبايعوه حين خلعوا يزيد بن معاوية وكان ذلك سببا لوقعة الحرة ولما مثل كفار قريش بشهداء أحد لم يمثلوا بحنظلة الغسيل لكون والده معهم وهو أبو عامر الفاسق وقد جاء ان أباقتادة الانصاري رضي الله عنه لما رأى ما فعله كفار قريش بالمسلمين من التمثيل أراد ان ينال بقتلاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان قريشا أهل أمانة من بغاهم العواثر أكبه الله على فيه وعسى ان طالت بك حياة ان تحقر عملك مع أعمالهم وفعالك مع فعالهم لولا ان تبطر قريش لاخبرتها بما لها عند الله تعالى فقال أبوقتادة والله يارسول الله ماغضبت الا لله ولرسوله فقال صدقت بئس القوم كانوا لنبيهم وجاء ان النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يدعو عليهم أي يكرر الدعاء عليهم أو يستديم الدعاء عليهم فلا ينافي انه قد دعا عليهم في بعض الاوقات فانزل الله ليس لك من الامر شيء الآية فكف عن الدعاء عليهم وقال لئن ظفرت بهم لأمثلن بار بعين منهم فانزل الله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال اصبر وأحتسب وأقبل رجل من المشركين مقنعا بالحديد يقول أنا ابن عويف فتلقاه رشيد الانصاري الفارسي فضربه على عاتقه فقطع الدرع فقال خذها وأنا الغلام الفارسي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يرى ذلك ويسمعه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت خذها وأنا الغلام الانصاري وكان قد قتله بتلك الضربة فعرض الرشيد أخو ذلك المقتول يعدو كانه كلب وهو يقول أنا ابن عويف فضربه رشيد على رأسه وعليه المغفر ففلق رأسه فقال خذها وأنا الغلام الانصاري فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أحسنت يا أبا عبد الله وكان يومئذ لا ولد له وقتل عمرو بن الجموح وكان أعرج شديد العرج وكان له بنون أربعة مثل الاسود يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له قد عذرك الله فاتى رسول الله

الذهلي وغيرهم عن أبي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض على حصيات سبع أو تسع أو ما قرب من ذلك فسبحن في كفه حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم ناولهن أبا بكر رضي الله عنه فسبحن في كف أبي بكر ثم وضعهن في يد عمر رضي الله عنه فسبحن ثم وضعهن في يد عثمان رضي الله عنه فسبحن ثم دفعهن الينا فلم تسبح مع أحد منا (وأخرج) الملا في سيرته ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله افترض عليكم حب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي كما افترض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج * فهذه نبذة من الاحاديث الواردة في فضله رضي الله عنه وفي بعض

صلى الله عليه وسلم وقال ان بني يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك فوالله اني أريد ان أطأ بعرجتي هذه الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انت فقد أعذرك الله فلا جهاد عليك وقال لبنيه ما عليكم ان لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فأخذ سلاحه وخرج وتوجه الى القبلة وقال اللهم ارزقني الشهادة ولا تردني خائبا الى أهلي فقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان منكم من لو أقسم على الله لأبره منهم عمرو بن الجموح ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته وفي رواية انه قال يارسول الله أرأيت ان قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أأمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة فقال له صلى الله عليه وسلم كأني أنظر اليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة ويمكن الجمع بانه في أول دخوله الجنة يطاها برجله غير صحيحة ثم تصير صحيحة (وأصيبت) يوم أحد على الصحيح عين قتادة بن النعمان الاوسي رضي الله عنه حتى وقعت على وجنته وقيل صارت في يده فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيأ فقال يارسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن أعور فلا يردنني ولكن تردها وتسأل الله لي الجنة فقال أفعل ياقتادة وفي رواية ان لي امرأة أحبها وأخشى ان رأتني أن تقذرني فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا وعند الطبراني عن قتادة رضي الله عنه قال كنت أتقي السهام بوجهي دون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان آخرها سهما اندرت منه حدقتي فأخذتها بيدي وسعيت بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها في كفي دمعت عيناه فقال اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك وردها الى موضعها وقال اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما أي أقواهما نظرا فكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وفي رواية أصيبت عيناه وهو من تصرف الرواة بل قال الدارقطني ان هذه الرواية تفرد بها عمار ابن نصر قال النووي وقد غلط فالصواب انها عين واحدة وروى الاصمعي عن أبي معشر قال تدم على عمر بن عبد العزيز رجل من ولد قتادة بن النعمان فقال ممن الرجل فقال

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه * فردت بكف المصطفى أيما رد
فعادت كما كانت لأول أمرها * فياحسن ما عين ويا حسن ما خد

فقال عمر
تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وفي رواية فقال عمر بمثل هذا فليتوسل المتوسلون ووصله وأحسن جائزته ورمى أبورهم الغفاري واسمه كلثوم بن الحصين بن خالد بسهم فوقع في نحره فبصق عليه صلى الله عليه وسلم فبرأ وانقطع سيف عبد الله بن جحش فأعطاه صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فعاد في يده سيفا فقاتل به حتى قتل رضي الله عنه قتله أبو الحكم ابن الاخنس بن شريق الثقفي فقتل علي رضي الله عنه أبا الحكم بعد ذلك ودفن عبد الله بن جحش هو وخاله حمزة رضي الله عنهما في قبر واحد وكان ذلك السيف يسمى العرجون ولم يزل يتوارث حتى بيع من بغا التركي من امراء المعتصم بن الرشيد في بغداد بمائتي دينار وهذا نحو حديث عكاشة السابق في غزوة بدر الا أن سيف عكاشة كان يسمى العون وهذا يسمى العرجون (واشتغل) المشركون ذكورا وانائا بقتلى المسلمين يمثلون بهم يقطعون الآذان والانوف والفروج ويبقرون البطون وهم يظنون انهم أصابوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشراف أصحابه وجاء وحشي بعد ان مات حمزة رضي الله عنه وأخذ حربته وأخرج كبده وذهب به الى هند بنت عتبة وقال لها هذا كبد حمزة قاتل أبيك فأخذتها ومضغتها فلم تقدر أن تسيغها فلفظتها وأعطته ثوبها وحليها ووعدته عشرة دنانير بمكة وجاء في رواية ان النساء خرجن مع هند وصرن يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن أي يقطعن آذانهم وأنوفهم واتخذن من ذلك قلائد وكانت هند نذرت أن تأكل من قلب حمزة رضي الله عنه لكونه قتل أباها فاستخرج لها وحشي فلذة من قلبه فلاكتها فلم تستطع بلعها فلفظتها * ولما أراد أبو سفيان الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته وقال أنعمت فعال ان الحرب سجال حنظلة بحنظلة يوم أحد بيوم بدر أعل هبل وسبب قوله ذلك انه حين أراد الخروج كتب على سهم نعم وعلى

منها كفاية لمن وفقه الله وهداه ونسأل الله التوفيق لما يحبه ويرضاه * (وأما بيان حقية خلافته رضي الله عنه) * فانا لا نحتاج فيها الى اقامة حجة وبرهان بعد ما تقدم في اثبات حقية خلافة أبي بكر رضي الله عنه لما هو معلوم عند كل ذي عقل وفهم انه يلزم من حقية خلافة أبي بكر رضي الله عنه حقية خلافة عمر رضي الله عنه لان الفرع يثبت له من حيث كونه فرعا ما ثبت للاصل فحينئذ لا مطمع لاحد من الرافضة والشيعة في النزاع في حقية خلافة عمر رضي الله عنه لما قدمناه من الادلة الواضحة القطعية على حقية خلافة مستخلفه واذا ثبت حقيتها ثبوتا قطعيا صار النزاع فيها عنادا وجهلا وغباوة وانكارا للضروريات ومن هذا وصفه كهؤلاء الجهلة

الآخرلا وأجالهما عند هبل نفرج سهم نعم فتوجه الى أحد فاذا قال أعل هبل أى زد علوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه أجبه فقل الله أعلى وأجل وقوله أنعمت فعال بسكون التاء اى أجابت بنعم فى فعلها البالغ ففعال معدول عن فاعلة صيغة مبالغة يعنى بالغت هذه الفعلة أى الوقعة ثم قال له عمر رضى الله عنه لا سواء أى لا نستوى نحن وأنتم قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فقال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم أى لا ناصر لكم قال ابن اسحق وعلت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان على صخرة مشرفة فصرخت بأعلى صوتها فقالت

نحن جزيناكم بيوم بدر * والحرب بعد الحرب ذات سعر * ما كان عن عتبة لى من صبر
ولا أخى وعمه وبكرى * شفيت نفسى وقضيت نذرى * شفيت وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى على عمرى * حتى ترم اعظمى فى قبرى

فاجابتها هند بنت اثاثة بن عباد بن عبد المطلب المطلبية اخت مسطح بن اثاثة فقالت

خزيت فى بدر وبعد بدر * يا بنت وقاع عظيم الكفر * صبحك الله غداة الفجر
بالهاشميين الطوال الزهر * بكل قطاع حسام يفرى * حمزة ليثى وعلى صقرى
اذرام شيب وأبوك غدرى * نخضبا منه ضواحى النحر * ونذرك السوء فشر نذر

قال العلامة الزرقانى قال الحافظ ابو الربيع فى الاكتفاء هذا قول هند والكفر يخنقها والوتر يقلقها والحزن يحرقها والشيطان ينطقها ثم ان الله هداها للاسلام وعبادة الله وترك الاصنام واخذ بحجزتها عن سوء النار ودلها على دار الاسلام فصلحت حالها وتبدلت اقوالها حتى قالت له صلى الله عليه وسلم والله يا رسول الله ما كان على الارض أهل خباء أحب الى أن يذلوا من أهل خبائك وما أصبح اليوم أهل خباء أحب الى أن يعزوا من أهل خبائك وكان اسلامها واسلام زوجها أبى سفيان عام الفتح وشهد أبو سفيان غزوة الطائف وقلعت عينه فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت يرجعها الله اليك أحسن مما كانت وان شئت عينا خيرا منها فى الجنة فرمى بها وقال خيرا منها فى الجنة وشهد غزوة اليرموك فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان يحث الناس على القتال ويقول الله الله عباد الله انصروا دين الله ينصركم الله ثم قلعت عينه الاخرى وتوفى بالمدينة سنة احدى أو أربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضى الله عنه وكان أبو سفيان رضى الله عنه فى أول دخوله فى الاسلام مكرها فتألفه النبى صلى الله عليه وسلم حتى شرح الله صدره للهدى وحسن اسلامه هو وزوجته هند بنت عتبة وقال له العباس رضى الله عنه بعد اسلامه أين قولك أنعمت فعال وقولك أعل هبل فقال للعباس قد أذهب الله عنا أمر الجاهلية وهدانا للاسلام فاياك أن تصغى الى طعن الطاعنين فيه أو فى أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى واصهارى وهو من اصهاره وكذلك خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل كل منهما حضر مع كفار قريش يوم أحد وكانا من أشد الناس على المسلمين ثم أسلما وحسن اسلامهما حتى صار خالد بن الوليد سيفا من سيوف الله صبه الله على المشركين وصار عكرمة اذا فتح المصحف يصيح ويقول هذا كلام رب العالمين ويغشى عليه فالحمد لله الذى هدانا برسوله أجمعين وقال أبو سفيان يوم أحد الحرب سجال وفى رواية يوم لنا ويوم علينا ويوم نساء ويوم نسر وقد قال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس ثم قال أبو سفيان انكم ستجدون فى قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى وفى رواية والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت ولا نهيت ولا أحببت ولا كرهت ولا ساءنى ولا سرنى وروى أن الحليس سيد الاحابيش مر بأبى سفيان وهو يضرب بزج الرمح فى شدق حمزة ويقول ذق عقق أى ذق طعم مخالفتك لنا وتركك الدين الذى كنت عليه يا عاق قومه فجعل اسلامه عقوقا فقال الحليس يا بنى كنانة هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون فقال أبو سفيان اكتمها عنى فانها زلة ثم بعد اجابة عمر لابى سفيان قال له أبو سفيان هلم يا عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ما شانه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمدا قال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك

الجفاء حقيق بان يعرض عنه وعن أكاذيبه وأباطيله فلا يلتفت اليه ولا يعول فى شئ من الامور عليه اذا تقرر ذلك فاعلم ان من أعظم فضائل الصديق رضى الله عنه استخلافه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه على المسلمين لما حصل به من عموم النفع وفتح البلاد وظهور الاسلام ظهورا تاما وتقدم فى الاحاديث التى فيها اثبات خلافة الصديق رضى الله عنه اثبات خلافة عمر رضى الله عنه فى أحاديث كثيرة منها حديث اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر وحديث أمره صلى الله عليه وسلم لابى بكر عند بناء المسجد أن يضع حجره الى جنب حجر النبى صلى الله عليه وسلم وأمره لعمر رضى الله عنه ان يضع حجره الى جنب حجر أبى بكر رضى

الآن قال انك عندي أصدق من ابن قمئة وأبر أي لأن ابن قمئة لما قتل مصعب بن عمير ظنه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم قتلت محمدا كما تقدم وفي رواية ان أباسفيان قبل ندائه عمر نادى أفي القوم محمد ثلاثا فنهاهم صلى الله عليه وسلم أن يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة ثلاثا ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثم أقبل على أصحابه فقال أما هؤلاء فقد قتلوا وقد كفيتموهم اذلو كانوا أحياء لاجابوا فما ملك عمر رضي الله عنه نفسه فقال كذبت والله ياعدو الله ان الذي دعوت لاحياء كلهم وقد بقي لك مايسوءك ثم نادى أبو سفيان ان موعدكم بدر العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه قل نعم بيننا وبينكم موعد يعني العام القابل ثم ارتحل القوم وساروا وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال له اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون وماذا يريدون فان كانوا قد جنبوا الخيل أي جعلوها منقادة بجانبهم وامتطوا الابل أي ركبوا مطاها أي ظهورها فانهم يريدون مكة وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فانهم يريدون المدينة والذي نفسي بيده ان أرادوها لاسيرن اليهم فيها ثم لاناجزهم قال علي أو سعد بن أبي وقاص فخرجت في آثارهم أنظر ماذا يصنعون فجنبوا الخيل وامتطوا الابل وتوجهوا الى مكة بعد ما تشاوروا في نهب المدينة فأشار عليهم صفوان ان لا تفعلوا فانكم لا تدرون ما يغشاهم ثم بعد ذهاب القوم فزع المسلمون لقتلاهم يتفقدونهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجل ينظر مافعل سعد ابن الربيع أفي الاحياء هو أم في الاموات أي لان النبي صلى الله عليه وسلم رأى الاسنة قد اشرعت اليه فقال رجل من الانصار وهو أبي بن كعب رضي الله عنه أنا أنظر لك يارسول الله فقال له ان رأيت سعد بن الربيع فاقرأه مني السلام وقل له يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تجدك فنظر أبي فوجده جريحا وبه رمق أي بقية روح فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الاحياء أنت أم في الاموات فقال قد طعنت اثنتي عشرة طعنة وقد أنفذت الى مقاتلي فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عني السلام وقل له ان سعد بن الربيع يقول لك جزاك الله عنا خيرا ما جزى الله نبيا عن أمته وأبلغ قومك عني السلام وقل لهم ان سعد بن الربيع يقول لكم لا عذر لكم عند الله أن يخلص الى نبيكم أي يصل اليه شئ من الاذى وفيكم عين تطرف قال ثم لم أبرح حتى مات فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته خبره وفي رواية اقرأ على قومي السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع الله وما عاهدتم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فوالله مالكم عند الله عذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمه الله نصح لله ولرسوله حيا وميتا ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال له رجل رأيته بتلك الصخرات وهو يقول أنا أسد الله وأسد رسوله اللهم اني أبرأ اليك مما جاء به هؤلاء النفر يعني أباسفيان وأصحابه وأعتذر اليك مما صنع هؤلاء أي بانهزامهم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو حمزة فوجده ببطن الوادي قد بقر بطنه ومثل به فجدع انفه وقطعت أذناه ومذاكيره فنظر صلى الله عليه وسلم الى شئ لم ينظر الى شئ قط كان أوجع لقلبه منه وقال أصاب بمثلك ماوقفت موقفا أغيظ لي من هذا وقال رحمة الله عليك فقد كنت فعولا للخيرات وصولا للرحم اما والله لا مثلن بسبعين منهم ولما رأى المسلمون جزع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه قالوا لئن اظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثل بها احد من العرب فانزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون فصبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عن المثلة وكفر عن يمينه وفي كلام بعضهم ان هذه الآية مكية قال الحلبي يجوز أن تكون مما تكرر نزوله وعن ابن مسعود رضي الله عنه ما رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باكيا أشد من بكائه على حمزة رضي الله عنه فانه وضعه في القبلة ثم وقف على جنازته وانتحب حتى شهق و بلغ به الغشي وقال ياعم رسول الله وأسد الله وأسد رسوله ياحمزة يافاعل الخيرات ياحمزة يا كاشف الكربات ياحمزة ياذاب عن وجه رسول الله وقال ذلك لا مع البكاء فلا يقال هذا من الندب المحرم وهو تعديد محاسن الميت لان ذلك مخصوص بما اذا قارنه البكاء وليس

الله عنه ثم أمره لعثمان بوضع حجره الى جنب حجر عمر رضي الله عنه وثبت في رواية أنه قال بعد ذلك هؤلاء الخلفاء بعدي ومنها حديث رؤياه صلى الله عليه وسلم انه ينزع بدلو على قليب فجاء أبو بكر فأخذ الدلو منه فنزع دلوا أو دلوين ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت غربا فقال صلى الله عليه وسلم فلم أر عبقريا يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن * ومنها حديث الخلافة بعدي ثلاثون سنة فهذه الاحاديث كلها فيها دلالة أي دلالة على حقية خلافة عمر رضي الله عنه لو فرض عدم الاجماع عليها فكيف وقد قام الاجماع عليها ودلت عليها النصوص الدالة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على ضلالة (وأما كيفية

من نعي الجاهلية المكروه وهو النداء بذكر محاسن الميت لان محل كراهته اذا كان على وجه التفاخر والتعاظم ولم يكن وصفا الخصوصا لح للبعث على سلوك طريقته وقال صلى الله عليه وسلم جاءني جبريل فاخبرني أن حمزة مكتوب في أهل السموات السبع حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير أن يرجع أمه صفية أخت حمزة عن رؤيته فقال لها يا أمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك ان ترجعي فدفعت في صدره وقالت له لم وقد بلغني انه مثل باخي وذلك في الله فما ارضاني بما كان في الله من ذلك اي انا اشد رضا بذلك من غيري لاحتسبن ولاصبرن ان شاء الله تعالى فجاء الزبير فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال خل سبيلها فجاءت واسترجعت واستغفرت له وفي رواية ان صفية لقيت عليا والزبير رضي الله عنهما فقالت لهما ما فعل حمزة فاريا انهما لا يدريان اي رجعتها فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني اخاف على عقلها فوضع يده الشريفة على صدرها ودعا لها فاسترجعت وبكت لما رأته وفي رواية أنها لما منعها علي والزبير رضي الله عنهما قالت لا أرجع حتى أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأته قالت يارسول الله أين ابن أمي حمزة قال صلى الله عليه وسلم هو في الناس قالت لا أرجع حتى أنظر اليه فجعل الزبير يمنعها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها فلما رأته بكت فصارت كلما بكت بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر به فسجي ببرده وفي رواية قال ألا كفن فرمى رجل من الانصار بثوب عليه ثم قام آخر فرمى بثوب عليه فقال ياجابر هذا الثوب لابيك وهذا لعمي وفي رواية جاءت صفية بثوبين معها لحمزة فكان لحمزة أحدهما والآخر لرجل من الانصار ولعله والد جابر رضي الله عنهما وفي رواية كفن حمزة رضي الله عنه بنمرة كانوا اذا مدوها على رأسه انكشفت رجلاه وان مدوها على رجليه انكشف رأسه فمدوها على رأسه وجعلوا على رجليه الاذخر وفي رواية الحرمل وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قتل مصعب بن عمير يوم أحد وكفن في بردة ان غطي بها رأسه بدت رجلاه وان غطي بها رجلاه بدا رأسه وفي رواية قتل مصعب ابن عمير فلم يترك الا نمرة اذا غطينا بها رجليه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه الاذخر وكان مصعب بن عمير قبل الاسلام فتى مكة شبابا وجمالا ولباسا وعطرا فلما أسلم رضي الله عنه تقشف وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه كان يوما صائما فجيء له بطعامه فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه الا بردة ان غطي بها رأسه بدت رجلاه وان غطي بها رجلاه بدا رأسه وقد بسط لنا من الدنيا ما بسط وأعطينا منها ما أعطينا وخشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وعن أنس رضي الله عنه قال قلت الثياب وكثرت القتلى يوم أحد فكان الرجل والرجلان والثلاثة في الثوب الواحد ثم يدفنون في القبر الواحد وقال صلى الله عليه وسلم في حق حمزة لولا أن تجزع صفية ونساؤنا أي يتطاول حزنهن وفي رواية لولا تجد صفية في نفسها ويكون سنة من بعدي لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر في بطون الطير والسباع وفي رواية حتى تأكله العافية ويحشر في بطونها لشدة غضب الله على من فعل به ذلك ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات ثم أتي بالقتلى يوضعون الى جنب حمزة رضي الله عنه واحدا بعد واحد فيصلي على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فيصلي عليهم وعليه حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة ولم يغسلهم وفي رواية ولم يصل عليهم وهذا هو الذي في صحيح البخاري ولفظه أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدفن شهداء أحد ولم يصل عليهم ولم يغسلوا وهو أثبت من روايات صلاته عليهم او ان الصلاة بمعنى الدعاء وحملوا على ذلك أيضا حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على قتلى أحد بعد ثمان سنين صلاته على الميت أي دعا لهم كدعائه للميت كالمودع للاحياء والاموات حين قرب أجله فذلك توديع لهم بذلك قال السهيلي لم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه صلى على شهيد في شيء من مغازيه الا هذه الرواية في أحد وكذلك لم يصل على الشهداء أحد من الائمة بعده نعم جاء أن حنظلة كان جنبا فغسلته الملائكة كما تقدم وممن مثل به عبد الله بن جحش رضي الله عنه بدعوة دعاها على نفسه فقال قبل أحد بيوم اللهم ارزقني غدا رجلا شديدا بأسه فيقتلني ثم يجدع أنفي ويقطع أذني فاذا لقيتك

استخلاف ابي بكر لعمر رضي الله عنهما) * فقد جاء من طرق كثيرة ان أبا بكر رضي الله عنه لما ثقل في مرضه دعا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقال أخبرني عن عمر بن الخطاب فقال ما تسالني عن أمر الا وأنت أعلم به مني فقال أبو بكر وان فقال عبد الرحمن هو والله أفضل من رأيك فيه ثم دعا عثمان رضي الله عنه فقال أخبرني عن عمر فقال أنت أخبرنا به فقال على ذلك فقال عثمان اللهم علمي به ان سريرته خير من علانيته وأن ليس فينا مثله وشاورهما سعيد بن زيد وأسيد بن حضير وغيرهما من المهاجرين والانصار فقال أسيد أعلمنا للخير بعدك يرضى للرضا ويسخط للسخط الذي يسر خير من الذي يعلن ولن يلي هذا الامر أحد أقوى

قال يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول فيك وفي رسولك فيقول الله صدقت وهذا ليس من تمني الموت المنهي عنه لان المنهي عنه أن يكون ذلك لضر نزل به وتقدم أن عبد الله بن جحش انقطع سيفه يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجون نخلة فصار سيفا في يده وكان يسمى العرجون ودفن هو وخاله حمزة بن عبد المطلب في قبر واحد وانما كان حمزة خاله لان أم عبد الله أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان القاتل له كما تقدم أبو الحكم بن الاخنس بن شريق الثقفي وأبو الحكم هذا قتل كافرا في ذلك اليوم أعني يوم أحد قتله علي رضي الله عنه كما تقدم وقال صلى الله عليه وسلم ادفنوا عبد الله بن عمرو هو وعمرو بن الجموح في قبر واحد لما بينهما من الصفاء وعبد الله بن عمرو هذا هو والد جابر رضي الله عنه وكان عمرو بن الجموح متزوجا بعمة جابر أخت عبد الله بن عمرو وجاء أن عبد الله بن عمرو والد جابر رضي الله عنه أصابه جرح في وجهه فمات ويده على جرحه فاميطت يده عن وجهه فانبعث الدم فردت يده الى مكانها فسكن وحفر السيل قبر عبد الله بن عمرو هذا وهو أيضا قبر عمرو بن الجموح فوجدا طريين لم يتغيرا كأنما ماتا بالامس فازيلت يده عن جرحه ثم أرسلت فرجعت وكان ذلك بعد الوقعة بست وأربعين سنة وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال استصرخنا الى قتلانا باحد وذلك حين أجرى معاوية رضي الله عنه العين وسط مقبرة شهداء أحد وأمر الناس بنقل موتاهم فأتيناهم فأخرجناهم طريا تتثنى أطرافهم وذلك على رأس أربعين سنة وأصابت المسحاة قدم حمزة رضي الله عنه فانبعث الدم وذكر أنه فاح من قبورهم مثل المسك وفي لفظ على رأس خمسين سنة مع أن أرض المدينة سبخة يتغير الميت في قبره من ليلة وأما لم يتغير والان الارض لا تأكل لحوم شهداء المعركة كالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزاد بعضهم قارئ القرآن والعالم العامل ومحتسب الاذان ويدل له حديث الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما المؤذن المحتسب كالمتشحط في دمه لا يدود في قبره أي كشهيد المعركة لا يأكله الدود وقد نظم هؤلاء الشيخ التتائي المالكي فقال

لم تأكل الارض جسما للنبي ولا * لعالم وشهيد قتل معترك
ولا لقارئ قرآن ومحتسب * أذانه لاله مجرى الفلك

ودفن خارجة بن زيد وسعد بن الربيع في قبر واحد لانه كان ابن عمه وذكر أن خارجة أخذته الرماح فجرح بضعة عشر جرحا فمر به صفوان بن أمية بن خلف فعرفه فأجهز عليه وقال الآن شفيت نفسي حين قتلت الاماثل من أصحاب محمد قتلت خارجة بن زيد وقتلت أوس بن أرقم وقتلت أبا نوفل وصفوان هذا أسلم عام الفتح رضي الله عنه وحمل أناس موتاهم ليدفنوهم بالمدينة فجاءهم منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ردوا القتلى الى مضاجعهم فأدرك المنادي واحدا لم يكن يدفن فردوه ومن دفن أبقوه وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال في قتلى أحد أنا شهيد على هؤلاء وما من جريح يجرح في الله الا والله يبعثه يوم القيامة يدمى جرحه اللون لون الدم والريح ريح المسك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا أي يمتنعوا عن الحرب فقال الله أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه ان الله كلم أباك كفاحا فقال سلني أعطك فقال أن أرد الى الدنيا فأقتل فيك ثانية فقال الرب عز وجل انه سبق مني انهم لا يرجعون الى الدنيا قال أي رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال لما قتل أبي جعلت أبكي وأكشف الثوب عن وجهه فجعل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينهوني والنبي صلى الله عليه وسلم لم ينه وقال تبكيه

عليه ومنه ثم دعا عثمان فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عهد أبو بكر ابن أبي قحافة في آخر عهده بالدنيا خارجا منها وعند أول عهده بالآخرة داخلا فيها حيث يؤمن الكافر ويوقن الفاجر ويصدق الكاذب اني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا واني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي اياكم خيرا فان عدل فذلك ظني فيه وعلمي به وان بدل فلكل امرئ ما اكتسب والخير أردت ولا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون والسلام عليكم ثم أمر بالكتاب فختمه ثم أمر عثمان فخرج بالكتاب مختوما (وأخرج) ابن عساكر عن يسار بن حسن قال أشرف أبو بكر على الناس من كوة فقال أيها الناس اني قد عهدت

أولا تبكيه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع وكان جابر رضي الله عنه لم يحضر القتال اغماء بعد انصراف القوم وعن بشر بن عقربة رضي الله عنه قال أصيب أبي يوم أحد فربي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي فقال أما ترضى أن تكون عائشة أمك وأنا أكون أباك ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها وابنها يوم أحد فلما نعوا لها أي بلغها خبر موتهم قالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي ما فعل به قالوا خيرا يا أم فلان هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرنيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تريد صغيرة والجلل كما يقال للشيء الصغير يقال للشيء الكبير فهو من الاضداد ويعلم المراد بالقرينة وفي رواية أنها مرت بأخيها وزوجها وابنها وأبيها صرعى وصارت كلما سألت عن واحد وقالت من هذا قيل لها أخوك وزوجك وابنك وأبوك فلم تكترث بل صارت تقول بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي اذا سلمت من عطب واختلف العلماء هل قاتلت الملائكة يوم أحد أم لا قال مجاهد حضرت الملائكة ولم تقاتل وما قاتلت الا يوم بدر لكن جاء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد أي وهما جبريل وميكائيل قال البيهقي لا منافاة لانهم لم يقاتلوا يوم أحد عن القوم فلا ينافي أنهم قاتلوا عنه صلى الله عليه وسلم خاصة لكن جاء عن الحرث بن الصمة رضي الله عنه قال سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الشعب عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فقلت رأيته في جنب الجبل فقال الملائكة تقاتل معه قال الحرث فرجعت الى عبد الرحمن فاذا بين يديه سبعة صرعى فقلت ظفرت يمينك كل هؤلاء قتلت فقال أما هذا وهذا فأنا قتلتهما وأما هؤلاء فقتلهم من لم أره فقلت صدق الله ورسوله صلى الله عليه وسلم قال بعضهم ان مقاتلة الملائكة عن خصوص عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا تنافي مقاتلتهم يوم بدر عن عموم القوم وتقدم أنه لما سقط اللواء بعد قتل مصعب بن عمير رضي الله عنه أخذه ملك في صورة مصعب وجاء أنه لما تصور الملك بصورة مصعب وأخذ اللواء جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقدم يا مصعب فالتفت اليه الملك وقال لست بمصعب فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ملك وفي رواية أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أقدم مصعب قال يا رسول الله ألم يقتل مصعب قال بلى ولكن ملك قام مكانه وتسمى باسمه وتقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى اللواء بعد ذلك لعلي رضي الله عنه وجاء في رواية انه حمله أيضا أخو مصعب واسمه أبو الروم ويجمع بين الاحاديث باحتمال أن يكون كل من أولئك حمل اللواء برهة من الزمن (ولما أراد) رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتوجه الى المدينة ركب فرسه وخرج المسلمون حوله وعامتهم جرحى ومعه أربع عشرة امرأة كن بأصل أحد وقال اصطفوا حتى أثني على ربي عز وجل فاصطف الرجال خلفه صفوفا وخلفهم النساء فقال اللهم لك الحمد كله لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت ولا هادي لمن أضللت ولا مضل لمن هديت ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت ولا مقرب لما أبعدت ولا مبعد لما قربت الحديث ثم توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة فلقيته حمنة بنت جحش رضي الله عنها ابنت عمته صلى الله عليه وسلم أخت زوجته زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم احتسبي فقالت من يا رسول الله قال خالك حمزة قالت انا لله وانا اليه راجعون غفر الله له هنيئا له الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يا رسول الله قال أخاك عبد الله بن جحش قالت انا لله وانا اليه راجعون هنيئا له الشهادة ثم قال لها احتسبي قالت من يا رسول الله قال زوجك مصعب بن عمير فقالت واحزناه وصاحت وولولت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان زوج المرأة لبمكان ماهو لاحد لما رأى من تثبتها على أخيها وخالها وصياحها على زوجها ثم قال لها لم قلت هذا قالت تذكرت يتم بنيه فراعني أي فلا تؤاخذني فدعا لها أن يحسن الله عليهم الخلف فتزوجت طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فكان أوصل الناس لولدها وولدت له محمد بن طلحة وجاءت أم سعد بن معاذ رضي الله عنها وعنه تعدو نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على فرسه وابنها سعد بن معاذ آخذ بلجام فرس رسول الله صلى الله

عهدا أفترضون به وفي رواية أترضون عمن استخلفت عليكم فاني ما استخلفت عليكم ذا قرابة فقال الناس رضينا يا خليفة رسول الله فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال لا نرضى الا أن يكون عمر بن الخطاب قال فانه عمر فبايع وبايع الناس ورضوا به ثم دعا أبو بكر عمر رضي الله عنهما فأوصاه ثم خرج من عنده فرفع أبو بكر رضي الله عنه يده فقال اللهم اني لم أرد بذلك الا صلاحهم وخفت الفتنة عليهم فعملت فيهم بما أنت أعلم به واجتهدت لهم رأيي فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليه واحرصهم على ما يرشدهم وقد حضرني من أمرك ما حضرني فاخلفني فيهم فهم عبادك ونواصيهم بيدك اللهم أصلح ولايته واجعله من خلفائك الراشدين

عليه وسلم فقال له سعد يارسول الله أمي فقال صلى الله عليه وسلم مرحبابها فوقف لها فدنت حتى تاملت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنها عمرو بن معاذ فقالت أما اذا رأيتك سالما فقد أشويت المصيبة أي استقللتها ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قتل باحد بعد أن قال لام سعد ياأم سعد ابشري و بشري أهلهم ان قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعا وقد شفعوا في أهاليهم قالت رضينا يارسول الله ومن يبكي عليهم بعد هذا ثم قالت يارسول الله أدع الله لمن خلفوا فقال اللهم أذهب حزن قلوبهم واجبر مصيبتهم وأحسن الخلف على من خلفوا وسمع صلى الله عليه وسلم نساء الانصار يبكين على أزواجهن وأبنائهن واخوانهن فقال حمزة لابواكي له و بكى صلى الله عليه وسلم ولعله لم يكن لحمزة رضي الله عنه بالمدينة زوجة ولا بنات فامر سعد بن معاذ رضي الله عنه نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة بين المغرب والعشاء وكذلك أسيد بن حضير امر نساءه ونساء قومه أن يذهبن الى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكين حمزة ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزله السعدان عن فرسه سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ثم اتكأ عليهما حتى دخل بيته ثم أذن بلال لصلاة المغرب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مثل تلك الحال يتوكأ على السعدين فصلى صلى الله عليه وسلم المغرب فلما رجع من صلاة المغرب الى بيته سمع البكاء فقال ماهذا فقيل نساء الانصار يبكين على حمزة فقال رضي الله عنكن وعن أولادكن وأمر أن ترجع النساء الى بيوتهن وفي رواية خرج عليهن بعد ثلث الليل لصلاة العشاء وان بلالا اذن للعشاء حين غاب الشفق فلم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ذهب ثلث الليل نادى بلال الصلاة يارسول الله فقام من نومه وخرج وهن على باب المسجد يبكين حمزة ولا منافاة لاحتمال أن يكون الامر عند رجوعه من صلاة المغرب كان لطائفة واللاتي رآهن عند خروجه لصلاة العشاء طائفة أخرى فقال لهن ارجعن رحمكن الله لقد واسيتن رحم الله الانصار فان المواساة فيهم وصارت المرأة من نساء الانصار بعد ذلك لاتبكي على ميتها الا بدأت بحمزة رضي الله عنه أي بكت عليه ثم بكت على ميتها وبات وجوه الاوس والخزرج تلك الليلة على بابه صلى الله عليه وسلم بالمسجد يحرسونه خوفا من قريش أن تعود الى المدينة وجاء انه صلى الله عليه وسلم نهى نساء الانصار عن النوح فقال له الانصار بلغنا يارسول الله انك نهيت عن النوح وانما هو شئ نندب به موتانا ونجد فيه بعض الراحة فاذن لنا فيه فقال صلى الله عليه وسلم ان فعلن فلا يخمشن ولا يلطمن ولا يحلقن شعرا ولا يشققن جيبا (وجملة القتلى) من المسلمين يوم أحد سبعون أربعة من المهاجرين وهم حمزة ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش وشماس بن عثمان وقيل ثمانون أربعة وسبعون من الانصار وستة من المهاجرين قال الحافظ ابن حجر لعل الخامس سعد مولى حاطب بن أبي بلتعة والسادس ثقيف بن عمرو حليف بني عبد شمس والذين قتلوا من المشركين قيل ثلاثة وعشرون وفيه نظر فانه جاء أن حمزة وحده قتل أحدا وثلاثين فلعل المشركين احتملوا بعض قتلاهم أودفنوهم ولما سمع المنافقون بكاء المسلمين على قتلاهم أظهروا الشماتة هم واليهود وأظهروا أقبح القول فقالوا ان محمدا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبي قط أصيب في بدنه وأصيب في أصحابه وقالوا لو كان من قتل معكم عندنا ماقتل فاستأذن عمر رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم في قتل هؤلاء المنافقين فقال أليسوا يظهرون شهادة أن لا اله الا الله واني رسول الله فقال بلى ولكن تعوذا من السيف وقد بان أمرهم وأبدى الله أضغانهم فقال صلى الله عليه وسلم نهيت عن قتل من أظهر ذلك وصار ابن أبي لعنه الله يوبخ ابنه عبد الله رضي الله عنه وقد أثبتته الجراحة فقال له ابنه الذي صنع الله لرسوله والمسلمين خير وكان من عادة عبد الله بن أبي ابن سلول انه اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر قام فقال يا أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس فبعد أحد أراد أن يفعل كذلك فلما قام أخذ المسلمون بثوبه من نواحيه وقالوا له اجلس ياعدو الله لست لذلك باهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول كأني انما قلت شرا وقال له بعض الانصار ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ماأبتغي أن يستغفر لي وأنزل الله

وأصلح له رعيته * ومما أوصى به أبو بكر عمر رضي الله عنهما لما استخلفه أن قال له اني قد استخلفتك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أوصاه بتقوى الله ثم قال ياعمر ان لله حقا بالليل ولا يقبله في النهار وحقا في النهار لايقبله في الليل وانه لايقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ألم تر ياعمر انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق وثقله عليهم وحق لميزان أن لايوضع فيه غدا الاحق ان يكون ثقيلا ألم تر ياعمر انما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم وحق لميزان أن لايوضع فيه الاباطل أن يكون خفيفا ألم تر ياعمر انما نزلت آية الرخاء مع آية الشدة وآية الشدة مع آية الرخاء ليكون

تعالى قصة أحد فى آل عمران فى قوله واذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال وقد ذكر الله تعالى الحكمة فيما أصاب المؤمنين بمخالفتهم أمر النبى صلى الله عليه وسلم وعرفهم سوء عاقبة المعصية وشؤم ارتكاب المخالفة بما وقع من ترك الرماة موقفهم الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يبرحوا عنه بقوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ومن الحكم فى ذلك ان عادة الله جرت أن الرسل تبتلى ثم تكون العاقبة لهم ولو انتصروا دائما دخل فى المسلمين من ليس منهم ولم يتميز الصادق من غيره كما قال تعالى وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ولو انغلبوا دائما لم يحصل المقصود من البعثة فاقتضت الحكمة الجمع بين الامرين ليتميز الصادق من الكاذب كما قال تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وذلك أن نفاق المنافقين كان مخفيا ومستورا عن المسلمين فلما جرت هذه القصة وأظهر أهل النفاق ما أظهروه من الفعل والقول كانخزالهم وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم عاد ما كانوا يضمرونه ويتكلمون به فيما بينهم ويخفونه عن المسلمين مصرحا به وعرف المسلمون أن لهم عدوا فى دورهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم ومن الحكم فى ذلك أيضا أن فى تأخير النصر فى بعض المواطن هضما للنفس وكسرا لشماختها وتكبرها وتعاظمها فلما ابتلى المؤمنون صبروا وجزع المنافقون ومنها ان الله تعالى هيأ لعباده المؤمنين منازل فى دار كرامته لا تبلغها أعمالهم فقيض لهم أسباب الابتلاء والمحن ليصلوا اليها قال تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين قال ابن اسحق أى أحسبتم أن تدخلوا الجنة فتصيبوا من ثوابى الكرامة ولم أختبركم بالشدة وأبتليكم بالمكاره حتى أعلم صدقكم فى الايمان بى والصبر على ما أصابكم أى أعاملكم معاملة المبتلى المختبر ليظهر علمى لكم ويكون ما أظهره مطابقا لما سبق فى علمى ومنها أن الشهادة من أعلى مراتب الاولياء فساقهم الله اليها اكراما لهم حيث اتخذ منهم شهداء وكانوا يتمنون ذلك قبل لقاء العدو كما قال تعالى ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وقال تعالى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وقد قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب نفوسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ومنها أن الله أراد اهلاك أعدائه فقيض لهم الاسباب التى يستوجبون بها ذلك حيث اعتقدوا انهم على شئ من ظفرهم الصورى بالمسلمين فزادوا عتوا وتجبرا وطغيانا فى ايذاء أوليائه ومحص الله بذلك المؤمنين ومحق بذلك الكافرين كما قال تعالى وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أى يهلك الكافرين الذين حاربوا يوم أحد ولم يسلموا والمعنى ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم ومنها أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذا أصيبوا ببعض العوارض الدنيوية من الجراحات والآلام والاسقام تعظيما لاجورهم تأسى بهم أتباعهم فى الصبر على المكاره قال تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال تعالى وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين قال ابن اسحق أنزل الله فى شأن أحد ستين آية من آل عمران وعن المسور بن مخرمة رضى الله عنه قال قلت لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أخبرنى عن قصتكم يوم أحد قال اقرأ العشرين ومائة من آل عمران تجدها واذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة حمراء الاسد)

المؤمن راغبا راهبا لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله تعالى ما ليس له ولا يرهب رهبة يلقى فيها بيديه ألم تريا عمر انما ذكر الله أهل النار باسوأ أعمالهم فاذا ذكرتهم قلت انى لارجو أن لا أكون منهم وانه انما ذكر أهل الجنة باحسن أعمالهم لانه تجاوز لهم عما كان من سيئ فاذا ذكرتهم قلت أين عملى من أعمالهم فان حفظت وصيتى فلا يكون غائب أحب اليك من حاضر من الموت ولست بمعجزه اللهم انى لا أريد بذلك الا الاصلاح لهم الى آخر ما تقدم (وأخرج) ابن سعد والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال افرس الناس ثلاثة أبو بكر حين استخلف عمر وصاحبة موسى حين قالت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين والعزيز حين تفرس

بفتح الحاء والمد مضافة الى أسد اسم موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق اذا أردت ذا الحليفة
وكانت صبيحة أحد اذ وقعة أحد يوم السبت والغزوة المذكورة يوم الاحد لست عشرة مضت من شوال على
رأس اثنين وثلاثين شهرا من الهجرة وكانت اطلب العدو الذين كانوا بالامس قال الواقدي باتت وجوه
الانصار على بابه صلى الله عليه وسلم خوفا من كثرة العدو فلما طلع الفجر وأذن بلال بالصلاة جاء عبد الله بن عمرو
المزني فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه قد أقبل من عند أهله بملل يعني وملل اسم موضع قرب المدينة اذا
قريش قد نزلوا فسمعهم يقولون ما صنعتم شيأ أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم فقد بقي
منهم رؤس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقي وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول لا تفعلوا فان
القوم قد غضبوا وأخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج فارجعوا والدولة لكم فاني لا آمن ان
رجعتم أن تكون الدولة عليكم فقال صلى الله عليه وسلم أرشدهم صفوان وما كان برشيد والذي نفسي بيده
لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب ودعا صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر رضي الله
عنهما فذكر لهما ما أخبره به المزني فقالا يا رسول الله أطلب العدو لا يقحمون على الذرية أي يدخلون
فلما صلى الصبح ندب الناس وأذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج أي أمر بلالا أن ينادي أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم بطلب العدو وأن لا يخرج معنا أحد الا من خرج معنا أمس يعني من
شهد أحدا وأراد بذلك اظهار الشدة للعدو فيعلمون من خروجهم مع كثرة جراحاتهم أنهم على غاية من القوة
والرسوخ في الايمان وحب النبي صلى الله عليه وسلم وأراد أيضا الزيادة في تعظيم من شهد احدا وأيضا خاف
اختلاط المنافقين بهم فيمنون عليهم بخروجهم معهم وهم مسلمون ظاهرا فلا يمكنه منعهم وفي البخاري ومسلم
وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت لما انصرف المشركون عنه صلى الله عليه وسلم خاف أن يرجعوا فقال
من يذهب في أثرهم فانتدب منهم سبعون رجلا فيهم أبو بكر والزبير زاد الطبراني عن ابن عباس رضي الله
عنهما وعمر وعثمان وعلي وعمار وطلحة وسعد وابن عوف وأبو عبيدة وحذيفة وابن مسعود قال الحافظ ابن
كثير والمشهور عند أهل المغازي أن الذين خرجوا الى حمراء الاسد كل من شهد أحدا وكانوا سبعمائة قتل
منهم سبعون وبقي الباقون قال العلامة الشامي في سيرته والظاهر أنه لا تخالف بين قولي عائشة وأصحاب
المغازي لان معنى قولها فانتدب منهم سبعون انهم سبقوا غيرهم ثم تلاحق الباقون وانما خرج صلى الله عليه
وسلم مرهبا للمشركين لما بلغه أنهم يريدون العود فخرج لارهابهم حتى لا يرجعوا وليبلغهم أنه خرج في
طلبهم فيظنوا بالمسلمين قوة وان الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم ولم يشتغلوا بدواء جراحاتهم مع أن منهم
من كان به بضع وسبعون جراحة وذكر ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم ركب فرسه وهو مجروح فبعث ثلاثة
نفر من أسلم طليعة في آثار القوم فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الاسد ولهم زجل وياتمرون بالرجوع
وصفوان ينهاهم فبصروا بالرجلين فقتلوهما ومضى صلى الله عليه وسلم بأصحابه ودليله ثابت بن الضحاك بن
ثعلبة بن الخزرج حتى عسكر بحمراء الاسد فوجد الرجلين فدفنهما وروى النسائي والطبراني بسند صحيح عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال لما رجع المشركون عن أحد قالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم بئسما
صنعتم ارجعوا فسمع بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب المسلمين فانتدبوا فخرج بهم حتى بلغ حمراء
الاسد أو بئر أبي عتبة فانزل الله عز وجل الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا
منهم واتقوا أجر عظيم وخرج صلى الله عليه وسلم وهو مجروح وفي وجهه أثر الحلقتين ورباعيته مكسورة
وشفته السفلى مشقوقة وركبتاه مجروحتان من وقعة الحفيرة ولقيه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فقال له
يا طلحة أين سلاحك فقال قريب فذهب وأتى به وبه بضع وسبعون جراحة منها سبعة بصدره فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم يا طلحة أين تظن القوم فقال بالسيالة فقال صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ظننت أما انهم يا طلحة
لن ينالوا منا مثلها حتى يفتح الله علينا مكة وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يا ابن الخطاب ان قريشا لن
ينالوا منا مثل هذا حتى نستلم الركن ولما وصل صلى الله عليه وسلم حمراء الاسد أقام بها الاثنين والثلاثاء

في يوسف فقال لامرأته أكرمي مثواه قال الزهري استخلف عمر رضي الله عنه يوم توفي أبو بكر رضي الله عنه فقام بالامر أتم قيام وكثرت الفتوح في أيامه كثرة عظيمة لم يقع نظيرها في أيام خليفة بعده وفتح الله في أيامه الشام والعراق وفارس والروم ومصر والاسكندرية وقد أشار الى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في بعض تلك الاحاديث المتقدمة حيث قال ثم جاء عمر فاستقى فاستحالت في يده غربا فلم أر عبقريا يفري فريه حتى روي الناس وضربوا بعطن فذلك اشارة الى كثرة الفتوح وظهور الاسلام ووقع له في زمن خلافته رضي الله عنه كثير من الكرامات وخوارق العادات (فمن ذلك) ما رواه البيهقي وأبو نعيم وغيرهما عن نافع عن ابن عمر رضي

والاربعاء وكان المسلمون يوقدون تلك الليالى خمسمائة نار حتى ترى من المكان البعيد وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم فى كل وجه فكبت الله بذلك عدوهم وكان اللواء فى هذه الغزوة بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة ابن أم مكتوم قال ابن اسحق ان النبى صلى الله عليه وسلم لقى بحمراء الاسد معبد بن أبى معبد الخزاعى وهو يومئذ مشرك وأسلم بعد رضى الله عنه وكان بنو خزاعة عيبة نصح للنبى صلى الله عليه وسلم مسلمهم وكافرهم كلهم يحبونه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى نفسك وما أصابك فى أصحابك ولوددنا أن الله أعلى كعبك وأن المصيبة كانت بغيرك ثم مضى حتى أتى أبا سفيان وأصحابه وهم بالروحاء وقد أجمعوا على الرجوع وقالوا أصبنا فى أحد أصحاب محمد وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن عليهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراءك قال محمد خرج فى أصحابه يطالبكم فى جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على ما صنعوا وفيهم من الحنق عليكم شئ لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى أنهاك عن ذلك فثلو ارعبا من ذلك ورجعوا الى مكة وروى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان الله قذف فى قلب أبى سفيان الرعب بعد الذى كان منه يوم أحد فرجع الى مكة وقال صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقذف الله فى قلبه الرعب ثم رجع صلى الله عليه وسلم بأصحابه بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ووصلوا المدينة يوم الجمعة وقد غاب خمسا وظفر صلى الله عليه وسلم عند رجوعه الى المدينة بمعاوية ابن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس وهو جد عبد الملك بن مروان أبو أمه عائشة فأمر بقتله وحاصل قصته أنه لما رجع المشركون من أحد ذهب على وجهه ثم أتى باب عثمان فدقه فقالت أم كلثوم بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها من أنت قال ابن عم عثمان فقالت ليس هو ههنا فقال أرسلى اليه فله عندى ثمن بعير كنت اشتريته منه فجاء عثمان رضى الله عنه فلما نظر اليه قال أهلكتنى وأهلكت نفسك فقال يا ابن عم لم يكن أحد أمس بى منك رحما فأجرنى فأدخله عثمان رضى الله عنه منزله وجعله فى ناحية ثم خرج عثمان رضى الله عنه ليأخذ له أمانا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان معاوية بالمدينة فاطلبوه فدخلوا منزل عثمان رضى الله عنه فأشارت اليهم أم كلثوم رضى الله عنها بأنه فى ذلك المكان بعد ان علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بذلك فأخرجوه وأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بقتله فقال عثمان رضى الله عنه والذى بعثك بالحق ما جئت الا لآخذ له أمانا فهبه لى فوهبه له وأجله ثلاثا وأقسم أنه ان وجده بعدها قتله وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد فأقام معاوية ثلاثا ليستعلم أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتى بها قريشا فلما كان فى اليوم الرابع عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخرج معاوية هاربا فقال صلى الله عليه وسلم انكم ستجدونه بموضع كذا وكذا فاقتلوه فادركه زيد بن حارثة وعمار رضى الله عنهما فقتلاه وقيل انما قتلاه بعد ان جاآ به الى النبى صلى الله عليه وسلم فأمر بضرب عنقه صبرا بأن أوثقوه حتى أمر بقتله وفى سيرة ابن هشام وظفر صلى الله عليه وسلم بأبى عزة عمرو ابن عبد الله الجمحى وكان قد أسره ببدر ثم منّ عليه من غير فداء لأجل بناته وكان شاعرا يشتغل بسب النبى صلى الله عليه وسلم وهجاء أصحابه ويستنفر الناس للقتال وكان عاهد النبى صلى الله عليه وسلم بعد بدر على أن لا يعود الى شئ من ذلك فلما منّ عليه وأطلقه رجع الى مكة ونقض العهد واشتغل بما كان مشتغلا به قبل من السب والهجاء فلما كان يوم أحد خرج مع المشركين وهو على ذلك الحال فلما نزل المشركون بحمراء الاسد نزل معهم ثم ساروا وتركوه نائما فادركه المسلمون وأسروه وكان الذى أسره عاصم بن ثابت رضى الله عنه فلما ظفر به صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله أقلنى وامنن على ودعنى لبناتى وأعاهدك أن لا أعود فقال والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين وفى رواية تمسح لحيتك تجلس بالحجر تقول خدعت محمدا وفى لفظ سحرت محمدا مرتين ان المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين اضرب عنقه يا زبير وفى رواية يا عاصم بن ثابت

الله عنهما قال وجه عمر جيشا وأمّر عليهم رجلا يدعى سارية فبينما عمر يخطب يوم الجمعة جعل ينادى يا سارية الجبل ثلاثا من استرعى الذئب ظلم فالتفت الناس بعضهم لبعض فقال لهم على بن أبى طالب رضى الله عنه ليخرجن مما قال خبر فلما فرغ سألوه فقال وقع فى خلدى ان المشركين هزموا اخواننا وانهم يمرون بجبل ان عدلوا اليه قاتلوا من وجه واحد وان جاوزوه هلكوا فخرج منى ما تزعمون أنكم سمعتموه فجاء البشير بعد شهر فذكروا انهم سمعوا صوت عمر فى ذلك اليوم قال فعدلنا الى الجبل ففتح الله علينا وفى رواية أخرجها أبو نعيم عن عمرو بن الحرث قال بينما عمر رضى الله عنه يخطب يوم الجمعة اذ ترك الخطبة وقال يا سارية الجبل

فضربت عنقه وأنزل الله فيه وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم قيل ولما قتل حملت رأسه على رمح الى المدينة وهي اول رأس حملت في الاسلام الى المدينة اى على رمح فلا ينافى أن اول رأس حملت رأس كعب بن الاشرف فلا تعارض قال بعضهم فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين أنه ينبغي للمرء أن يستعمل الحزم وهذا المثل لم يسمع من غيره صلى الله عليه وسلم وفى هذه السنة كانت ولادة الحسن بن على رضى الله عنهما وهي سنة ثلاث من الهجرة منتصف رمضان وحملت فاطمة رضى الله عنهما بعد ولادته بخمسين ليلة بالحسين بن على رضى الله عنهما وفى هذه السنة أيضا حرمت الخمر فى شوال بعد وقعة أحد

(سرية أبي سلمة)

عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي وكانت هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة الى قطن بفتح القاف والطاء وبالنون جبل بناحية فيد بفتح الفاء وسكون الياء وبالدال المهملة آخره وهو اسم ماء لبنى أسد بنجد بعث صلى الله عليه وسلم أبا سلمة ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين والانصار منهم أبو عبيدة وسعد وأسيد بن حضير وأبو نائلة لطلب طليحة وسلمة ابنى خويلد الأسديين وسبب ذلك أنه بلغه صلى الله عليه وسلم أنهما يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه صلى الله عليه وسلم فنهاهم قيس بن الحرث فلم ينتهوا فدعا صلى الله عليه وسلم أبا سلمة وعقد له لواء وقال سر حتى تنزل أرض بنى أسد بن خزيمة فأغر عليهم فخرج فأسرع السير حتى انتهى الى أدنى قطن فأغار على سرح لهم مع رعاء لهم مماليك ثلاثة وأفلت الباقون وتفرقوا فى كل وجه وفى رواية خافوا وهربوا عن منازلهم ووجد أبو سلمة ابلا وشاء فأغار عليها ولم يلق كيدا أى حربا وفى رواية فعسكر به أى بقطن وتفرق قومه ثلاث فرق فرقة قامت معه وفرقتان أغارتا فى ناحيتين فرجعتا اليه سالمتين وقد أصابتا نعما وشاء فانحدر بها أبو سلمة الى المدينة وأخرج منها صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدا وأعطى الوليد بن زهير الطائى وهو الدليل ما رضى به ثم خمسها وقسم الباقى على أهل السرية فبلغ سهم كل واحد سبع بعير وأغناما ومدة غيبته فى تلك السرية عشرة أيام والله أعلم

(سرية عبد الله)

ابن أنيس رضى الله عنه الجهنى السلمى الانصارى بعثه صلى الله عليه وسلم وحده يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرا من الهجرة لقتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى ثم اللحيانى وكان بعرنة موضع قريب من عرفة لانه بلغه صلى الله عليه وسلم انه جمع الجموع لحربه فقال لعبد الله ائته فاقتله فقال صفه لى يا رسول الله حتى أعرفه قال اذا رأيته هبته وفرقت منه ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان قال عبد الله وكنت لا أهاب الرجال فقلت يا رسول الله ما فرقت من شئ قط فقال آية ما بينك وبينه ذلك واستأذنته أن أقول فقال قل ما بدا لك وقال انتسب لخزاعة فأخذت سيفى وخرجت أعتزى لخزاعة فلما وصلت اليه بعرنة لقيته يمشى ووراءه الاحابيش فهبته وعرفته بنعت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت صدق الله وصدق رسوله وقد دخل وقت العصر حين رأيته فصليت وأنا أمشى وأومئ برأسى ايماء ثم دنوت منه فقال ممن الرجل قلت من بنى خزاعة سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك قال أجل انى لفى الجمع له فمشيت معه وحدثته فاستحلى حديثى فقلت له عجبا لما أحدث محمد من هذا الدين المحدث فارق الآباء وسفه أحلامهم قال انه لم يلق أحدا يشبهنى ثم مشيت معه وهو يتوكأ على عصا يهد الارض حتى انتهى الى خبائه وتفرق عنه أصحابه الى منازل قريبة منه وهم يطيفون به فقال هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه قال اجلس قال فجلست معه حتى اذا نام الناس اغتررته وقتلته وفى رواية أنه قال مشيت معه حتى اذا أمكننى حملت عليه السيف وقتلته وأخذت رأسه ثم أقبلت فصعدت جبلا ودخلت غارا وأقبل الطلب وأنا كامن فى الغار وضربت العنكبوت على الغار وأقبل رجل معه اداوة ضخمة ونعلاه فى يده وكنت حافيا فوضع اداوته ونعله وجلس يبول قريبا من فم الغار ثم قال لاصحابه ليس أحد فى الغار فانصرفوا راجعين فخرجت فشربت ما فى الاداوة ولبست النعلين ولم يرنى أحد

مرتين أو ثلاثا ثم أقبل على خطبته فقال بعض الحاضرين لقد جن انه لمجنون فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وكان يطمئن اليه فقال انك لتجعل لهم على نفسك مقالا بينما أنت تخطب اذ أنت تصيح يا سارية الجبل اى شئ هذا قال انى والله ما ملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلبثوا الى ان جاء رسول سارية بكتاب ان القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى اذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادى يا سارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله وقتلهم وفى رواية ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال يا أمير المؤمنين

فطلبهما

فطلبهما صاحبهما بعد ذلك فلم يجدهما فرجع الى قومه وكنت أسير الليل وأتوارى النهار خوفا من الطلب أن يدركنى حتى قدمت المدينة فوجدته صلى الله عليه وسلم بالمسجد فقال صلى الله عليه وسلم أفلح الوجه قلت أفلح وجهك يارسول الله ووضعت الرأس بين يديه وأخبرته خبرى فدفع الى عصا وقال تخصر بها فى الجنة فان المتخصرين فى الجنة قليل فكانت العصا عنده حتى اذا حضرته الوفاة أوصى أن يدرجوها فى أكفانه ففعلوا والتخصر الاتكاء على قضيب ونحوه وكانت غيبته ثمانى عشرة ليلة وقدم يوم السبت لسبع بقين من المحرم قال موسى بن عقبة وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بقتل عبد الله بن أنيس لسفيان بن خالد قبل قدوم عبد الله بن أنيس رضى الله عنه والله أعلم

(بعث الرجيع)

وهى سرية عاصم بن ثابت الانصارى رضى الله عنه وكان رضى الله عنه من السابقين الى الاسلام روى الحسن ابن سفيان قال لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال صلى الله عليه وسلم لمن عنده كيف تقاتلون فقام عاصم بن ثابت رضى الله عنه فأخذ القوس والنبل وقال اذا كان القوم قريبا من مائتى ذراع كان الرمى واذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة أى الملاعبة بالرماح حتى تنقصف فاذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة فقال صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم وشهد رضى الله عنه العقبة وبدرا واحدا وكان بعثه فى صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة فيكون فى أول السنة الرابعة والرجيع اسم ماء لهذيل بن مدركة بن الياس بين مكة وعسفان وانما أضيف البعث الى اسم ذلك الماء لان الوقعة كانت بالقرب منه وسبب هذا أن بنى لحيان من هذيل بعد قتل سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى مشوا الى عضل والقارة وهما قبيلتان من بنى الهون بن خزيمة بن مدركة فجعلوا لهم ابلا على أن يكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج اليهم نفرا من أصحابه فقدم سبعة نفر مظهرين الاسلام فقالوا يارسول الله ان فينا اسلاما فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقهوننا فى الدين ويقرؤننا القرآن ويعلموننا شرائع الاسلام وقيل انه صلى الله عليه وسلم اراد أن يبعث عيونا الى مكة ليأتوه بخبر قريش فلما جاء هؤلاء النفر يطلبون من يفقههم بعث معهم ستة من أصحابه للأمرين جميعا وهم عاصم بن ثابت ومرثد بن أبى مرثد الغنوى وخبيب ابن عدى الأوسى البدرى وزيد بن الدثنة بفتح الدال وكسر الثاء المثلثة وشد النون المفتوحة وعبد الله بن طارق وخالد بن البكير وزاد بعضهم معتب بن عبيد وبعضهم مغيث بن عوف وأمر صلى الله عليه وسلم عاصم ابن ثابت وقيل مرثد بن أبى مرثد فخرجوا مع القوم حتى أتوا الرجيع فغدروا بهم واستصرخوا عليهم هذيلا ليعينوهم على قتلهم فلم يرع القوم وهم فى رحالهم الا الرجال بايديهم السيوف وهم نحو مائتى رجل فاخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوا القوم فقالوا انا والله لانريد قتالكم ولكم عهد الله وميثاقه أن لانقتلكم وقالوا ذلك لانهم يريدون أن يسلموهم لكفار قريش ويأخذوا فى مقابلتهم مالا لعلمهم أنه لاشئ أحب الى قريش من أن يؤتوا باحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يمثلون به ويقتلونه بمن قتل منهم ببدر وأحد فابوا أن يقبلوا منهم فاما مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت فقالوا والله لانقبل من مشرك عهدا وقاتلوا حتى قتلوا رضى الله عنهم وأما زيد وخبيب وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا جبلا ورغبوا فى الحياة وفى رواية أنهم لما نزلوا بالرجيع أكلوا تمر عجوة فسقط نواه فى الارض وكانوا يسيرون بالليل ويكمنون بالنهار لانهم لقلتهم غير آمنين من عدوهم من قريش وهذيل خصوصا وذلك قرب وقعة أحد وقتل سفيان بن خالد الهذلى فجاءت امرأة من هذيل ترعى غنما فرأت النوى فانكرت صغرهن وقالت هذا تمر يثرب فصاحت فى قومها وقالت قد أتيتم من قبل العدو فجاؤا فى طلبهم حين أخبرتهم واتبعوا آثارهم فوجدوهم قد كمنوا فى الجبل فاحاطوا بهم وقالوا لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا أن لانقتل منكم رجلا فنزل اليهم على العهد والميثاق خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق وقال عاصم بن ثابت رضى الله عنه أيها القوم أما أنا فلا انزل فى ذمة كافر ثم قال اللهم اخبر عنا رسولك فاستجاب الله لعاصم فاخبر رسوله خبرهم يوم أصيبوا فحين امتنعوا من

هزمنا فبينا نحن كذلك اذ سمعنا صوتا ينادى ياسارية الجبل ثلاثا فاسند ظهرنا الى الجبل فهزمهم الله تعالى وكان ذلك الجبل بنهاوند من أرض العجم (وأخرج) الامام مالك فى الموطأ عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لرجل ما اسمك قال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال فمن قال من الحرقة قال اين مسكنك قال الحرة قال قال بأيها قال بذات لظى فقال عمر أدرك أهلك فقد احترقوا فرجع الرجل فوجد أهله قد احترقوا (وأخرج) أبو الشيخ فى العظمة عن قيس بن الحجاج قال لما فتحت مصر أتى أهلها الى عمرو بن العاص رضى الله عنه حين جاء وقت زيادة النيل فقالوا أيها الامير ان لنيلنا هذا سنة لايجرى الا بها قال وما

النزول رماهم الكفار بالنبل ورماهم عاصم بنبله حتى فني وكان عنده سبعة أسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم طاعنهم حتى انكسر رمحه ثم سل سيفه وقال اللهم انى حميت دينك صدر النهار فاحم لحمى آخره اى عن أن يمثلوا به بعد القتل فقتلوا عاصما وأطلقوا أوتار قسيهم فربطوا بها خبيب بن عدى وزيد بن الدثنة وعبد الله بن طارق فقال ابن طارق هذا أول الغدر لا أصحبكم ان لى بهؤلاء يعني القتلى اسوة فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه وقيل مشى معهم حتى اذا كانوا بمر الظهران جذب يده وأخذ سيفه واستأخر عن القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة باعهما جامع وزهير الهذليان بأسيرين من هذيل بمكة وقيل انهم باعوا خبيبا بأمة سوداء والذى اشتراه بنوا الحرث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف لان خبيبا هو الذى قتل عامر بن نوفل يوم بدر وبنوا الحرث هؤلاء الذين اشتروهم عقبة وأبو سروعة وأخوهما لامهما حجير بن أبى اهاب حليف بنى نوفل وقد أسلم هؤلاء الثلاثة بعد ذلك وصحبوا النبي صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم واشترى زيد بن الدثنة صفوان بن أمية رضى الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وقتل زيد بأبيه أمية وكان شراؤهما في ذى القعدة فحبسوهما حتى خرجت الاشهر الحرم فقتلوا زيدا وأما خبيب فمكث مكث أسيرا حتى خرجت الاشهر الحرم ثم أجمعوا على قتله وكانوا في أول الامر أساؤا اليه فى حبسه فقال لهم ما يصنع القوم الكرام هكذا بأسيرهم فاحسنوا اليه بعد ذلك وجعلوه عند امرأة تحرسه وهى ماوية مولاة حجير وكان معها زوجها موهب مولى آل نوفل وقد أسلم هو وزوجه ماوية بعد ذلك رضى الله عنهما روى ابن سعد عن موهب مولى آل نوفل قال قال لى خبيب وكانوا جعلوه عندى ياموهب أطلب اليك ثلاثا أن تسقينى العذب وأن تجنبنى ماذبح على النصب وأن تعلمنى اذا أرادوا قتلى وقالت ماوية زوجة موهب كان خبيب رضى الله عنه يتهجد بالقرآن فاذا سمعه النساء بكين ورققن عليه فقلت له هل لك من حاجة قال لا الا أن تسقينى العذب ولا تطعمينى ماذبح على النصب وتخبرينى اذا أرادوا قتلى فلما أرادوا ذلك أخبرته فوالله ما اكترث بذلك وحين أجمعوا على قتله استعار من زينب بنت الحرث موسى ليستحد به أى يحلق عانته لئلا تظهر عند قتله فغفلت عن ابن لها صغير فاقبل عليه الصغير فاجلسه على فخذه والموسى بيده فخشيت المرأة أن يقتله ففزعت فقال لها أتخشين أن أقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء الله ما كنت لاغدر قالت زينب والله ما رأيت أسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته يأكل قطفا أى عنقودا من عنب مثل رأس الرجل وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة عنب وروت ماوية أيضا مثل ذلك وقالت وما أعلم فى الارض حبة عنب وما كان الا رزقا رزقه الله خبيبا قال فى المواهب وهذه كرامة جليلة جعلها الله لخبيب آية على الكفار وبرهانا لنبيه صلى الله عليه وسلم لتصحيح رسالته ثم خرجوا بخبيب من الحرم ليقتلوه خارجه فقال اتركونى أصلى فتركوه فصلى ركعتين قال موسى بن عقبة صلاهما فى موضع مسجد التنعيم عند طرف حرم مكة من جهة المدينة على ثلاثة أميال من مكة ثم انصرف اليهم وقال لولا أن تروا أن ما بى جزع من الموت لزدت وفى رواية لسجدت سجدتين أخريين ثم قال اللهم أحصهم عددا ولا تبق منهم أحدا واقتلهم بددا أى متفرقين فلم يحل الحول ومنهم أحد حى وفى رواية فلما رفع على الخشبة استقبل الدعاء فلبد رجل بالارض خوفا من دعائه فلم يحل الحول ومنهم أحد حى غير ذلك الرجل الذى لبد فى الارض قيل ان ذلك الرجل هو معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما فقد حكى ابن اسحق عن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما قال كنت مع أبى أى حين قتلوا خبيبا فجعل أبى يلقينى الى الارض خوفا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه قال العلامة الزرقانى ان دعوة خبيب أصابت منهم من سبق فى علمه تعالى أن يموت كافرا وأما من سبق فى علمه أن يسلم فلم يعنه خبيب ولا قصده بدعائه فلم تصبه وعلامة استجابة دعوته أن من هلك منهم بعد الدعوة فانما هلك بددا لانهم قتلوا غير معسكرين ولا مجتمعين كاجتماعهم فى أحد وبدر لان الدعوة بعدهما فنفذت الدعوة على صورتها وفى رواية ان خبيبا رضى الله عنه قال اللهم انى لا أجد من يبلغ رسولك منى السلام فبلغه فجاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فاخبر أصحابه بذلك وروى موسى بن عقبة أن النبي صلى الله

ذلك قالوا اذا كان أحد عشر ليلة من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلى أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى هذا النيل فقال عمرو ان هذا لا يكون أبدا فى الاسلام وان الاسلام يهدم ما كان قبله فأقاموا أياما والنيل لا يجرى حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك فكتب له أن قد أصبت بالذى فعلت وان الاسلام يهدم ما كان قبله وبعث له بطاقة فى داخل كتابه وكتب الى عمرو انى قد بعثت اليك بطاقة فى داخل كتابى فألقها فى النيل فلما قدم كتاب عمر الى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت

عليه وسلم قال ذلك اليوم وهو جالس وعليك السلام خبيب قتلته قريش ثم أنشأ خبيب رضي الله عنه يقول

ولست أبالي حين أقتل مسلما * على أي شق كان لله مصرعي * وذلك في ذات الاله وان يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع * لقد جمع الاحزاب في وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
الى الله أشكو غربتي بعد كربتي * وما أرصد الاحزاب لي عند مصرعي

قال الزرقاني في شرح المواهب روي أن قريشا طلبوا جماعة ممن قتل آباؤهم وأقرباؤهم ببدر فاجتمع أربعون بايديهم الرماح والحراب وقالوا لهم هذا الرجل قتل آباءكم فطعنوه بالرماح والحراب فتحرك على الخشبة فانقلب وجهه الى الكعبة فقال الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته فلم يستطع أحد أن يحوله وقد ذكر ابن اسحاق زيادة في الشعر المتقدم وكذا الواقدي وغيره وهذا لفظهم

لقد جمع الاحزاب حولي وألبوا * قبائلهم واستجمعوا كل مجمع * وكلهم مبدي العداوة جاهد
علي لاني في وثاق مضيع * وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم * وقربت من جذع طويل ممنع
الى الله أشكو غربتي ثم كربتي * وما أرصد الاحزاب لي عند مصرعي * وذلك في ذات الاله وان يشا
يبارك على أوصال شلو ممزع * وقد خيروا في الكفر والموت دونه * وقد هملت عيناي من غير مجزع
وما بي حذار الموت اني لميت * ولكن حذاري جحم نار مسفع * و والله ما أخشى اذا مت مسلما
على أي جنب كان في الله مضجعي * فلست بمبد للعدو تخشعا * ولا جزعا اني الى الله مرجعي

قال الحافظ ابن حجر وفي هذا انشاد الشعر عند الموت وقوة نفس خبيب وشدة قوته في دينه وفي رواية قام اليه أبو سروعة عقبة بن الحرث بن عامر فقتله وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكان يقول ما أنا قتلت خبيبا لاني كنت صغيرا ولكن أبا ميسرة العبدري أخذ الحربة وجعلها في يدي ثم أخذ بيدي وبالحربة فطعنه بها حتى قتله وكان خبيب هو الذي سن لكل مسلم قتل صبرا الصلاة لانه فعل ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فاستحسن ذلك من فعله وأخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك والصلاة خير ما ختم به من عمل العبد وعن عروة ابن الزبير رضي الله عنه قال لما أرادوا قتل خبيب ووضعوا فيه السلاح والرماح والحراب أي طعنوه بها طعنا خفيفا وهو مصلوب نادوه وناشدوه أتحب أن محمدا مكانك قال لا والله ما أحب أن يفديني بشوكة في قدمه وقيل ان زيد بن الدثنة قالوا له ذلك أيضا عند قتله فاجابهم بمثل ذلك فقال أبو سفيان رضي الله عنه ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا ثم بعد أن قتلوا خبيبا رضي الله عنه أبقوه على خشبته مصلوبا مدة وحوله جماعة منهم يحرسونه فارسل صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وفي رواية عمرو بن أمية الضمري فأتوه فاذا هو رطب لم يتغير منه شئ بعد أربعين يوما فحمله الزبير على فرسه وسار فلحقهم سبعون من الكفار فقذفه الزبير فابتلعته الارض والذي أنزله من الخشبة عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه فقد روى الامام أحمد رضي الله عنه عن عمرو بن أمية قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدي عينا الى قريش فجئت خشبة خبيب بن عدي لانزله من الخشبة فصعدت خشبته ليلا فقطعت عنه وألقيته فسمعت وجبة خلفي فالتفت فلم أر خبيبا وكأنما ابتلعته الارض فلم أر له أثرا حتى الساعة ويمكن الجمع بانه أرسله صلى الله عليه وسلم أولا ثم أرسل الزبير والمقداد فجين أنزله عن الخشبة كانا حاضرين فاخذه الزبير الى آخر ما تقدم وبعثت قريش في طلب عاصم بن ثابت رضي الله عنه حين بلغهم انه قتل ليؤتوا بشئ من جسده يعرفونه به كرأسه لانه كان قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر قال الحافظ بن حجر ولعل العظيم المذكور هو عقبة بن أبي معيط فان عاصما قتله على قول ابن اسحاق صبرا بامر النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن انصرفوا من بدر وقيل الذي قتله هو علي رضي الله عنه ولعلهما اشتركا في ذلك فنسب الى كل منهما وجاء في رواية أن عاصما لما قتل أرادت هذيل أخذ رأسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد وهي أم مسافع وجلاس ابني طلحة العبدري وكان عاصم قتلهما يوم أحد وكانت قد نذرت حين أصاب ابنيها يوم أحد لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن الخمر في قحفه وهو ما انفلق من الجمجمة وكانت جعلت لمن جاء برأسه مائة ناقة فمنعه منهم الدبر

تجري من عند نفسك فلا تجري وان كان الله يجريك فاسأل الله الواحد القهار ان يجريك فالقى البطاقة في النيل فاصبحوا وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة وقطع الله تلك البدعة عن أهل مصر الى اليوم (وأخرج) ابن عساكر عن طارق بن شهاب قال ان كان الرجل ليحدث عمر بالحديث فيكذبه الكذبة فيقول احبس هذا ثم يحدثه بالحديث فيقول احبس هذا فيقول له كل ما حدثتك حق الا ما أمرتني أن احبسه (وأخرج) ابن عساكر أيضا عن الحسن البصري ان كان أحد يعرف الكذب اذا حدث به أنه كذب فهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه (وأخرج) البيهقي في الدلائل عن أبي هدبة الحمصي قال أخبر عمر رضي

أي الزنابير بعث الله عليه مثل الظلة من الدبر فحمته من رسلهم فلم يقدروا على شئ منه وفي رواية للبخاري فلم يقدروا أن يقطعوا من لحمه شيأ وفي رواية فبعث الله عليهم الدبر تطير في وجوههم وتلدغهم فحالت بينهم وبين أن يقطعوا فقالوا دعوه حتى يمسي فتذهب الدبر عنه فنأخذه فبعث الله سيلا فاحتمل عاصما فذهب به وفي رواية فاحتمله السيل فذهب به الى الجنة وحمل خمسين من المشركين الى النار وقيل ان الله حماه بالدبر عن أن يمثلوا به حتى أخذه المسلمون فدفنوه وكان عاصم بن ثابت رضي الله عنه قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك ولا يمس مشركا كمصافحة ونحوها فأعطاه الله ذلك والمراد انه قوي رجاؤه في الله فعاهده على ذلك أو المراد انه عاهد الله أنه لا يمكن هو مشركا من مسه أو المراد سأل الله ذلك وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه خبره يقول يحفظ الله العبد المؤمن بعد وفاته كما حفظه في حياته ففيه استجابة دعاء المسلم وأكرامه حيا وميتا وانما استجاب الله في حمايته من المشركين اقوله اللهم اني حميت لك دينك صدر النهار فاحم لحمي آخره ولم يمنعهم من قتله لما أراد الله من اكرامه بالشهادة ومن كرامته حمايته من هتك حرمته بقطع لحمه ووفق ما طلب ولا يستلزم ذلك كونه أفضل من حمزة ونحوه رضي الله عنهم لان المزية لا تقتضي الافضلية والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية بئر معونة)

وتسمى سرية المنذر بن عمرو الخزرجي رضي الله عنه الى أهل بئر معونة ليدعوهم الى الاسلام أو مددا لهم وبئر معونة اسم لموضع ببلاد هذيل بين مكة وعسفان وقيل هي بين أرض بني عامر وحرة بني سليم كلا البلدين قريب منه وهو الى حرة بني سليم أقرب قال الزرقاني والظاهر انه لا تنافي لجواز أن يكون ذلك الموضع المنسوب لهذيل بين مكة وعسفان وبجواره أرض بني عامر وحرة بني سليم وكانت هذه السرية في شهر صفر على رأس ستة وثلاثين شهرا من الهجرة على رأس أربعة أشهر من أحد وبعث صلى الله عليه وسلم مع المنذر المطلب السلمي رضي الله عنه ليدلهم على الطريق وكانت هذه السرية لرعل وذكوان وسميت باسم المكان المذكور لانزوائهم به وكان مع رعل بطن من بني سليم ومع ذكوان بطن منهم أيضا وتعرف هذه السرية أيضا بسرية القراء وكان من أمرها كما قاله ابن اسحاق عن شيوخه انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر العامري واختلف في اسلامه وصحبته بعد ذلك قال الذهبي والصحيح انه لم يسلم ويعرف بملاعب الاسنة فعرض النبي صلى الله عليه وسلم عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وفي رواية انه أهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم فرسين وراحلتين فقال صلى الله عليه وسلم لا أقبل هدية مشرك وعرض عليه الاسلام فقال يا محمد اني أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومي خلفي فلو انك بعثت معي نفرا من أصحابك لرجوت ان يتبعوا أمرك فانهم ان اتبعوك فما أعز أمرك وفي رواية لو بعثت رجالا من أصحابك الى أهل نجد فدعوتهم الى أمرك لرجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه الصلاة والسلام اني أخشى أهل نجد عليهم قال أبو براء أنا لهم جار أي هم في ذمامي وعهدي وجواري فابعثهم فبعث صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو ومعه القراء وهم سبعون وقيل أربعون قال قتادة كانوا رضي الله عنهم يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل زاد ثابت البناني عن أنس رضي الله عنه وكانوا يشترون الطعام لاهل الصفة ويأتون به الى حجرات أزواجه صلى الله عليه وسلم ويتدارسون القرآن بالليل ويصلون فساروا فلما وصلوا الى بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان أخو أم سليم خال أنس بن مالك رضي الله عنه بكتابه صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر الكلابي العامري وهو ابن أخي أبي براء ومات كافرا بالاجماع وليس هو عامر بن طفيل الاسلمي الصحابي رضي الله عنه فلما أتى حرام بن ملحان الى عامر بن الطفيل لم ينظر في كتابه بل استمر في طغيانه حتى عدا على الرجل فقتله وفي رواية الطبري فخرج حرام فقال يا أهل بئر معونة اني رسول رسول الله اليكم فآمنوا بالله ورسوله فخرج رجل برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر وفي الصحيح فجعل يحدثهم فأومؤا الى رجل فأتاه من خلفه فطعنه بالرمح فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة قال ابن اسحاق وهذا الذي طعنه هو عامر بن الطفيل وقيل انه ما مات بتلك الطعنة وانما أثخن وظنوا انه مات فقال الضحاك بن سفيان الكلابي

الله عنه مات أهل العراق قد حصروا أميرهم فخرج غضبان فصلى فسها في صلاته فلما سلم قال اللهم انهم قد لبسوا علي فلبس عليهم وعجل لهم بالغلام الثقفي لا يقبل من محسنهم ولا يتجاوز عن مسيئهم يعني الحجاج قال ابن لهيعة وما ولد الحجاج يومئذ

(خاتمة نسأل الله حسنها في حسن سيرته ووفاته رضي الله عنه)

(وأخرج) ابن سعد عن آصف بن قيس قال كنا جلوسا بباب عمر رضي الله عنه فمرت جارية فقالوا سرية أمير المؤمنين فقال ما هي لامير المؤمنين بسرية ولا تحل له انها من مال الله فقلنا فماذا يحل له من مال الله تعالى قال انه لا يحل لعمر من مال الله تعالى الا حلتين حلة للشتاء وحلة للصيف وما حج به واعتمر وقوتي وأهلي

رضي الله عنه وكان مسلما يكتم اسلامه لامر أذ من قومه هل لك في رجل ان صح كان نعم الراعي فضمته اليها
فعاجلته فسمعته يقول

أباعامر ترجو المودة بيننا * وهل عامر الا عدو مداهن
اذا ما رجعنا ثم لم يك وقعة * باسيافنا في عامر أو نطاعن

فوثبوا عليه فقتلوه ثم ان عامر بن الطفيل استصرخ بني عامر قومه على بقية القوم أصحاب حرام بن ملحان فلم يجيبوه وقالوا لن نخفر أبا براء أي لن ننقض عهده وذمامه لانه قد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه الى ذلك ثم خرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم فلما رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قتلوا كلهم الا كعب بن زيد الانصاري الخزرجي النجاري البدري رضي الله عنه فانهم تركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدا باصابة سهم والا عمرو بن أمية الضمري فانه أسر وأطلق قال ابن اسحاق كان عمرو في سرح القوم هو ورجل من الانصار وهو المنذر بن محمد بن عقبة فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما الا الطير تحوم على المعسكر فقالا والله ان لهذه الطير لشأنا فاقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم والخيل التي أصابتهم واقفة فقال الانصاري لعمرو وما ترى قال أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فقال الانصاري لكني ما كنت لارغب بنفسي عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل حتى قتل وأما عمرو فاسروه ثم أخذه عامر بن الطفيل وجز ناصيته أي الشعر المجاور لها وأعتقه عن رقبة زعم انها كانت على أمه قال أنس بن مالك رضي الله عنه جاء خبرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام في تلك الليلة فقال هذا بسبب عمل أبي براء حيث أخذهم في جواره وقد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك أبا براء فمات عقب ذلك أسفا على ما صنع ابن أخيه عامر بن الطفيل ومات عامر بن الطفيل بعد ذلك كافرا وقال حسان رضي الله عنه لربيعة بن عامر ملاعب الاسنة يحرضه بعامر بن الطفيل باخفاره ذمة أبي براء

ألا من مبلغ عني ربيعا * فما أحدث الحدثان بعدي * أبوك أبو الفعال أبو براء
وخالك ماجد حكم بن سعد * بني أم البنين ألم يرعكم * وأنتم من ذوائب أهل نجد
تحكم عامر بابي براء * ليخفره وما خطأ كعمد

فلما بلغ ربيعة هذا الشعر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أيغسل عن أبي هذه الغدرة ان أضرب عامرا ضربة أو طعنة قال نعم فرجع فضرب عامرا ضربة أشواه بها فوثب عليه قومه فقالوا لعامر اقتص فقال قد عفوت ثم ان من جملة القراء الذين قتلوا ببئر معونة عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه ولم يوجد جسده لان الملائكة دفنته ولما قتلوه سألوا عنه عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه وكان أسيرا في أيديهم كما تقدم فقال له عامر بن الطفيل من هذا فقال هذا عامر بن فهيرة فقال لقد رأيته بعد ما قتل رفع الى السماء حتى اني لانظر الى السماء بينه وبين الارض ثم وضع وفي هذا تعظيم لعامر بن فهيرة رضي الله عنه وترهيب للكفار وتخويف ومن ثم تكرر سؤال ابن الطفيل عن ذلك فقد روى ابن اسحق عن عروة بن الزبير أن عامر ابن الطفيل لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم قال له من الرجل الذي لما قتل رأيته رفع بين السماء والارض حتى رأيت السماء دونه ثم وضع قال هو عامر بن فهيرة رضي الله عنه وروى ابن المبارك عن عروة أيضا قال كان الذي قتله رجلا من بني كلاب اسمه جبار بن سلمى وذكر انه لما طعنه قال فزت والله قال فقلت في نفسي ما قوله فزت فاتيت الضحاك بن سفيان فسألته فقال بالجنة قال فاسلمت ودعاني الى ذلك ما رأيت من عامر بن فهيرة من رفعه الى السماء علوا قال البيهقي يحتمل انه رفع ثم وضع ثم فقد بعد ذلك ثم روى عن عائشة رضي الله عنها موصولا بلفظ لقد رأيته بعد ما قتل رفع الى السماء حتى أني لانظر الى السماء بينه وبين الارض ولم يذكر فيهما ثم وضع وروى ابن سعد مرفوعا أن الملائكة وارت جثته وأنزل في عليين قال الجلال السيوطي قويت الطرق وتعددت بمواراته في السماء وجبار بن سلمى صحابي رضي الله عنه ووقع في بعض الروايات أن عامر بن الطفيل هو الذي قتل عامر بن فهيرة رضي الله عنه ولعل نسبة ذلك اليه على سبيل التجوز لكونه

كرجل من قريش ليس باغناهم ولا بافقرهم ثم اني بعد رجل من المسلمين والحلة ازار ورداء (وأخرج) ابن سعد وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق عن عمر رضي الله عنه قال اني أنزلت نفسي من مال الله تعالى منزلة والي اليتيم من ماله ان أيسرت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت واحتاج مرة للتداوي بعسل وفي بيت المال عكة فقال ان أذنتم لي والا فهي علي حرام فاذنوا له ومكث زمانا لا يأكل من بيت المال شيأ حتى أصابته خصاصة فاستشار الصحابة رضي الله عنهم فقال قد شغلت في هذا المال فما يصلح لي منه فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه غداء وعشاء فاخذ بذلك عمر رضي الله عنه مع كثرة ما حصل في مدة خلافته من

كان رأس القوم وقد مات كافرا بالاجماع كما تقدم وروى ابن سعد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد أى حزن على أحد ما وجد على أهل بئر معونة لكونه لم يرسلهم لقتال انما هم مبلغون رسالته وقد جرت عادة العرب قديما بان الرسل لا تقتل ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا أصحابه ببئر معونة شهرا وفي رواية أربعين يوما يدعو على رعل وذكوان وعصية ولحيان قال أنس رضي الله عنه وبلغ الله نبيه صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل عليه السلام انهم لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم وفي رواية فكنا نقرأ بلغوا قومنا انا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه ثم نسخ قال السهيلي هذا اللفظ ليس عليه رونق الاعجاز فلعله لم ينزل بهذا النظم ولكن بنظم معجز كنظم القرآن وانما ذكر بني لحيان وان كانوا ليسوا معهم في هذه الوقعة وانما هم في قصة أصحاب الرجيع لان الخبر أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكل من الوقعتين في ليلة واحدة فدعا على الذين أصابوا أصحابه في الموضعين في دعاء واحد ولهذا جمع البخاري القصتين في ترجمة واحدة حتى توهم بعضهم انها قصة واحدة في موضع واحد وليس كذلك قال العلامة الزرقاني لما أصيب أهل بئر معونة جاءت الحمى اليه صلى الله عليه وسلم فقال لها اذهبي الى رعل وذكوان وعصية فانهم عصوا الله ورسوله فاتتهم فقتلت منهم سبعمائة رجل بكل رجل من المسلمين عشرة قال وانما لم يخبره سبحانه وتعالى بما ترتب على ذهاب القراء وأهل الرجيع قبل خروجهم كما أخبره بنظير ذلك في كثير من الاشياء لانه سبق في علمه تعالى اكرامهم بالشهادة وأراد حصول ذلك بمجيء أبي براء ومن جاء في طلب أصحاب الرجيع اه

(غزوة بني النضير)

هي قبيلة كبيرة من اليهود ينسبون الى هرون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام سكنوا مع العرب ودخلوا فيهم واختلف أهل السير في السنة التي كانت فيها فذهب الزهري وجماعة وجرى عليه البخاري انها كانت بعد غزوة بدر وقبل أحد وذهب ابن اسحق الى أنها كانت بعد بئر معونة ورجح المحققون من الحفاظ قوله قالوا وكانت في ربيع من السنة الرابعة وسببها ما تقدم قريبا أن عامر بن الطفيل أعتق عمرو بن أمية الضمري لما قتل أهل بئر معونة وكان عتقه اياه عن رقبة كانت على أمه فخرج عمرو الى المدينة فصادف بمحل يسمى القرقرة رجلين من بني عامر ثم من بني كلاب وفي رواية انهما من بني سليم فنزلا معه في ظل كان هو فيه وكان معهما عقد وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر به عمرو فقال لهما عمرو ممن أنتما فذكرا انهما من بني عامر فتركهما حتى ناما فقتلهما وظن انه ظفر بثار بعض أصحابه الذين قتلوا ببئر معونة وجاء وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له لقد قتلت قتيلين لادينهما أى أعطى ديتهما أى للجوار والعهد الذي عقده لهما ثم خرج صلى الله عليه وسلم الى بني النضير ليستعين بهم في دية ذينك القتيلين الذين قتلهما عمرو وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فيسهل الدفع منهم لكون المدفوع لهم من حلفائهم فلما أتاهم عليه الصلاة والسلام يستعينهم في ديتهما قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه وقد آن لك أن تزورنا وأن تأتينا اجلس تطعم وترجع بحاجتك ونقوم فنتشاور ونصلح أمرنا فيما جئتنا به ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوه على مثل هذا الحال منفردا ليس معه أحد من أصحابه الانحو العشرة وكان صلى الله عليه وسلم قاعدا الى جنب جدار من بيوتهم فقالوا من يعلو على هذا البيت فيلقي هذه الصخرة عليه فيقتله ويريحنا منه فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه الصخرة وفي رواية فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهم وفي رواية قالوا المسار أوائل أصحابه نقتله ونأخذ أصحابه أسارى الى مكة فنبيعهم من قريش فقال سلام ابن مشكم لليهود لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما هممتم به وانه لنقض للعهد الذي بيننا وبينه وفي رواية قال لهم ياقوم أطيعوني في هذه المرة وخالفوني الدهر والله لئن فعلتم ليخبرن بانا قد غدرنا به وان هذا نقض للعهد الذي بيننا وبينه قال ابن اسحق وأتى رسول الله الخبر من السماء مع جبريل عليه السلام بما أراد القوم فقام

الفتوحات والاموال ولما حج كانت جملة نفقته في حجته ستة عشر دينارا وكان مع ذلك يقول اسرفنا في هذا المال ولما كلمته ابنته حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الله رضي الله عنهما وغيرهما فقالوا له لو أكلت طعاما طيبا كان أقوى لك على الحق فقال أكلكم على هذا الرأي قالوا نعم قال قد علمت نصحكم ولكن تركت صاحبي على جادة فان تركت جادتهما لم أدركهما في المنازل* واصاب الناس قحط فما أكل عمر رضي الله عنه في ذلك العام سمنا ولا سمينا ويسمى ذلك العام عام الرمادة قال أنس رضي الله عنه تقرقر بطن عمر عام الرمادة من أكل الزيت فطعن بطنه باصبعه وقال ليس عندنا غيره حتى تحيى الناس ومن ثم تغير لونه في

عليه الصلاة والسلام مظهرا أنه يقضي حاجة خوفا أن يفطنوا له فيؤذوا أصحابه ولذا ترك أصحابه في مجالسهم ورجع مسرعا الى المدينة ثم ان أصحابه صلى الله عليه وسلم استبطؤه فقاموا في طلبه فقال لهم حيي بن أخطب اليهودي لقد عجل أبو القاسم كنا نريد أن نقضي حاجته ونقريه وندمت اليهود على ما صنعوا وكان حيي هو المتولي أمر ذلك وكان سيد بني النضير وهو والد صفية رضي الله عنها وفي رواية بينما بنو النضير على ارادة القاء الحجر اذ جاء رجل من اليهود فقال ما تريدون فذكروا له الامر فقال أين محمد قالوا هذا محمد يعنون تحت الجدار فقال لهم والله لقد تركت محمدا داخل المدينة فسقط في أيديهم أي ندموا وقالوا قد أخبر بامرنا وفي رواية فقال لهم كنانة بن صويراء هل تدرون لم قام محمد صلى الله عليه وسلم قالوا والله ما ندري ولا تدري أنت فقال والله أخبر بما هممتم به من الغدر فلا تخدعوا أنفسكم والله انه لرسول الله فابوا أن يقبلوا قوله ولما انتهى أصحابه اليه صلى الله عليه وسلم قالوا اقمت ولم نشعر فاخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به قال موسى بن عقبة ونزل في ذلك قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم وقيل نزلت في الاعرابي الذي اخترط سيف النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت شجرة وأراد أن يقتله فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال الاعرابي يا محمد من يمنعك مني قال الله فسقط السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال للاعرابي من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فعفا عنه فاسلم وجاء الى قومه ودعاهم الى الاسلام وقال جئتكم من عند خير الناس وقيل في سبب نزولها غير ذلك ولا مانع أن تكون نزلت في الجميع قال ابن اسحق ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالتهيؤ لحرب بني النضير ثم سار بالناس اليهم وحمل الراية علي بن أبي طالب رضي الله عنه واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وكان بينهم وبين المدينة نحو ميلين في عوالي المدينة من ناحية قباء فنزل بهم وحاصرهم ست ليال وقيل خمسة عشر يوما وقيل قريبا من عشرين فتحصنوا منه بالحصون فقطع نخلا لهم يسمى العجوة وآخر يسمى اللين وكان ذلك أحرق لهم لان ذلك خير أموالهم فلما قطعت العجوة شق النساء الجيوب وضربن الخدود ودعون بالويل وحرق بعض نخلهم أيضا فنادوه يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه فما بال قطع النخيل وتحريقها أهو فساد أم اصلاح حتى ان بعض المسلمين وقع في نفوسهم من هذا الكلام شئ فخافوا أن يكون فعلهم ذلك فسادا وبعض المسلمين قالوا بل نقطع لنغيظهم بذلك والذين وقع في نفوسهم وتوقفوا لم يكونوا سمعوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى فاعتقدوا أن ذلك كان باجتهاد القاطعين حتى أنزل الله تعالى ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزي الفاسقين يعني اليهود قال بعضهم واللينة أنواع التمر ما عدا العجوة والبرني وقيل اللينة كرام النخل وقيل كل الاشجار للينها وأنواع نخل المدينة مائة وعشرون نوعا وقال السيد السمهودي مائة وبضع وثلاثون نوعا وكان موضع نخل بني النضير الذي حرق بالبويرة تصغير بورة وهي الحفرة وهو مكان معروف من جهة مسجد قباء الى جهة الغرب قال ابن اسحق وقد كان رهط من المنافقين منهم عبد الله بن أبي ابن سلول بعثوا الى بني النضير حين هموا بالخروج أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم ان قوتلتم قاتلنا معكم وان أخرجتم خرجنا معكم فانتظروا ذلك وقذف الله الرعب في قلوبهم فلم ينصروهم وفي ذلك نزل قوله تعالى ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون ثم لما اشتد عليهم الحصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم عن أرضهم ويكف عن دمائهم وكان جلاؤهم نقمة عليهم من الله تعالى وروى ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم حين هموا بغدره وأعلمه الله بذلك نهض الى المدينة سريعا ثم بعث اليهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه أن اخرجوا من بلادي فلا تساكنوني بها وقد هممتم بما هممتم به من الغدر وقد أجلتكم عشرا فمن رؤي منكم بعد ذلك ضربت عنقه فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون واكتروا من أناس من أشجع ابلا فارسل اليهم عبد الله بن أبي لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم

هذا العام حتى صار آدم (وقال) مرة أخرى ان كله في طعامه ويحك آكل طيباتي في حياتي الدنيا وأستمتع بها وقال لابنه عاصم وهو يأكل لحما كفى بالمرء اسرافا أن يأكل كل ما يشتهي (وكان) يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوعة بعضها بادم ويطوف في الاسواق على عاتقه الدرة يؤدب الناس بها ويمر بالنوى فيلتقطه ويلقيه في منازل الناس ينتفعون به وقال أنس رضي الله عنه رأيت بين كتفي عمر أربع رقاع في قميصه وقال أبو عثمان النهدي رأيت على عمر ازارا مرقوعا بادم ولما حج لم يستظل الا تحت كساء أو نطع يلقيه على شجرة وكان في وجهه خطان اسودان من البكاء وكان عمر بالآية من ورده فيسقط حتى يعاد منها أياما

فان معي ألفين من قومي من العرب يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يصل اليكم شئ وتمدكم
قريظة وحلفاؤكم من غطفان فطمع حيي بن أخطب فيما قاله عبد الله بن أبي فارسل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا لن نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك وكان قد نهى حييا عن فعله ذلك أحد سادات بني النضير وهو
سلام بن مشكم وقال له يا حيي منتك نفسك والله يا حيي ان قول ابن أبي ليس بشئ وانما يريد أن يورطك في
الهلكة حتى تحارب محمدا فيجلس في بيته ويتركك فأبى ولما أرسل حيي انا لا نخرج أظهر صلى الله عليه وسلم
التكبير وكبر المسلمون بتكبيره وقال حاربت يهود وسار اليهم عليه الصلاة والسلام في أصحابه مشاة على
أرجلهم لقرب الموضع وقيل ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فصلى العصر بفناء بني النضير فلما رأوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قاموا على حصونهم ومعهم النبل والحجارة واعتزلتهم قريظة ولم تعنهم واعتزلهم
عبد الله بن أبي ولم يعنهم وكذا حلفاؤهم من غطفان فقال سلام بن مشكم لحيي أين الذي زعمت قال
ما أصنع ملحمة كتبت علينا وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبة من خشب عليها مسوح أرسل بها اليه سعد
ابن عبادة وجعلوها عند مسجد بني خطمة ودخلها صلى الله عليه وسلم وكان عزول اليهودي راميا
فيرمي فيبلغ القبة فحولت الى مسجد الفضيخ فتباعدت من النبل ثم فقد علي رضي الله عنه في ليلة قرب
العشاء فقال الناس يا رسول الله ما نرى عليا فقال دعوه فانه في بعض شأنكم فعن قليل جاء برأس
عزول وكان قد كمن له حين خرج يطلب غرة من المسلمين وكان شجاعا راميا فشد عليه علي رضي الله عنه
فقتله وفر من كان معه وبعث صلى الله عليه وسلم خلفهم أبا دجانة وسهل بن حنيف في عشرة فادركوا اليهود
الذين فروا من علي رضي الله عنه فقتلوهم وطرحوا رؤسهم في بعض الآبار فيئسوا من نصرهم فقالوا نحن
نخرج من بلادك فقال لا أقبله اليوم ثم قال لهم اخرجوا منها ولكم دماؤكم وما حملت الابل الا الحلقة وهي
الدروع والسلاح فرضوا بذلك ونزلوا عليه فكانوا يخربون بيوتهم بأيديهم لينقلوا ما استحسنوه منها من
خشب وغيره وأيدي المؤمنين يخربون باقيها فكان أهلها يخربونها من داخلها والمؤمنون من خارجها نكالا
وخزيا لهم وقيل كانوا يخربون بيوتهم بأيديهم حسدا وبغضا للمسلمين أن يسكنوها بعدهم ثم أجلاهم عن
المدينة قال الله تعالى ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا أي بالقتل والسبي ولهم في الآخرة عذاب
النار أي مع ذلك فلذا لم يستأصلهم بالقتل أو ان الله رأى مصلحة في اجلائهم وان حربهم قد يؤدي الى سفك
دماء المسلمين وقد يرجع حلفاؤهم ويعينونهم وولى صلى الله عليه وسلم اخراجهم محمد بن مسلمة الانصاري رضي
الله عنه وحملوا النساء والصبيان على الهوادج وعليهن الديباج والحرير والخز الاخضر والاحمر والمعصفر
وحلي الذهب والفضة وأظهروا التجلد عنادا قال ابن اسحق خرجوا بالنساء والابناء والاموال ومعهم
الدفوف والمزامير والقينات يعزفن خلفهم بزهاء وفخر لم ير مثله ولم يسلم منهم الا يامين بن عمير وأبو سعد بن
وهب فاحرزا أموالهما قال وحدثني بعض آل يامين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليامين ألم تر ما لقيت من
ابن عمك وما هم به في شأني يعني عمرو بن جحاش الذي هم بالقاء الحجر فجعل يامين لرجل من قيس عشرة دنانير
وقيل خمسة أوسق من تمر على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله غيلة وحملوا أمتعتهم على ستمائة بعير ولحق
أكثرهم بخيبر منهم حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن الربيع ودان لهم أهل خيبر فبقوا هنالك
حتى أهلكهم الله في غزوة خيبر كما سيأتي ان شاء الله تعالى وذهب بعضهم الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام
روى موسى بن عقبة أنهم قالوا الى أين نخرج يا محمد قال الى الحشر يعني أرض المحشر وهي الشام وقيل
الحشر الجلاء فأول الحشر الجلاء والحشر الثاني هو حشر النار التي تخرج من قعر عدن فتحشر الناس الى
الموقف تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتأكل من تخلف وحزن المنافقون عليهم حزنا شديدا
لكونهم اخوانهم وقبض صلى الله عليه وسلم ما تركوه من الاموال والدروع والسلاح فوجد خمسين درعا
وخمسين بيضة وهي الخوذة وثلثمائة وأربعين سيفا فكانت أموال بني النضير صفيا أي مختارا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم أي خاصة به لان المسلمين لم يوجفوا عليهم بخيل ولا ركاب ولم يقع قتال بينهم فكانت حبسا لنوائبه

وأخذ تبنة من الارض فقال
ليتني هذه التبنة ليتني لم أك
شيأ ليت أمي لم تلدني (وكان)
يدخل يده في وبرة البعير
ويقول اني لخائف أن اسئل
عما بك (وحمل) مرة قربة
على عنقه فقيل له في ذلك
فقال ان نفسي أعجبتني
فاردت أن أذلها * وعن زيد
ابن ثابت رضي الله عنه قال
رأيت عمر رضي الله عنه
وعلى عاتقه قربة وهو
يتخلل الناس فقلت يا أمير
المؤمنين فقال لي لا تتكلم
وأقول لك فسرت معه حتى
صبها في بيت عجوز وعدنا
الى منزله فقلت له في ذلك
فقال انه حضرني رسول
الروم ورسول الفرس فقالا
لله درك يا عمر قد اجتمع
الناس على عدلك وفضلك
وعدلك فلما خرجا من
عندي تداخلني ما يتداخل
البشر فقمت ففعلت بنفسي
ما فعلت وكان يقول أحب

صلى الله عليه وسلم فكان ينفق منها على أهله ويدخر قوت سنة من الشعير والتمر لأزواجه وبني عبد المطلب وما فضل جعله في السلاح والكراع أي الخيل هذا ما ذهب اليه الامام أبو حنيفة رضي الله عنه وجاء في بعض الروايات أنه خمسها واليه ذهب الامام الشافعي رضي الله عنه فقال قسمها عليه الصلاة والسلام بين المهاجرين ليرفع بذلك مؤنتهم أي مشقتهم عن الانصار أي بحسب الواقع ونفس الامر وان كان الانصار يرون ذلك من أعظم النعم قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وكانوا قد قاسموهم في الاموال والديار لما هاجروا وآخى بينهم صلى الله عليه وسلم فذهب كل أنصاري بالمهاجر الذي آخى بينه وبينه صلى الله عليه وسلم الى منزله وكفاه المؤنة ثم تنافسوا حتى آل أمرهم الى القرعة فأي أنصاري تخرج القرعة باسمه يذهب بالمهاجري فبلغت مواساتهم الغاية القصوى رضي الله عنهم حتى ورد في الصحيح أن سعد بن الربيع الانصاري رضي الله عنه قال لأخيه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هلم أقسم مالي بيني وبينك نصفين ولي امرأتان انظر أعجبهما اليك أطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك ثم قال دلوني على السوق وصار يبيع ويشتري حتى كان أكثر الصحابة مالا رضي الله عنه وعنهم وروى الحاكم عن أم العلاء رضي الله عنها قالت طار لنا عثمان بن مظعون في القرعة فكان في منزلي حتى توفي رضي الله عنه قالت فكان المهاجرون في دور الانصار وأموالهم فلما غنم صلى الله عليه وسلم أموال بني النضير دعا ثابت بن قيس بن شماس فقال ادع لي قومك قال ثابت الخزرج فقال صلى الله عليه وسلم الانصار كلها فدعا له الاوس والخزرج فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم ذكر الانصار وما صنعوا بالمهاجرين وانزالهم اياهم في منازلهم وأموالهم وايثارهم اياهم على أنفسهم ثم قال ان أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله علي من بني النضير وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم وان أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عبادة رضي الله عنه يا رسول الله بل تقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا وقالت الانصار كلهم رضينا وسلمنا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار وفي رواية وأبناء أبناء الانصار رضي الله عنهم وقسم ما أفاء الله وأعطى المهاجرين ولم يعط أحدا من الانصار شيأ غير أنه أعطى أبا دجانة وسهل بن حنيف لحاجتهما وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق اليهودي وكان سيفا له ذكر عندهم وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال للانصار ليس لاخوانكم من المهاجرين أموال فان شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعا وان شئتم امسكتم أموالكم وقسمت هذه خاصة فقالوا بل اقسم هذه فيهم واقسم لهم من أموالنا ما شئت فنزلت ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه جزاكم الله خيرا يا معشر الانصار فوالله ما مثلنا ومثلكم الا كما قال الغنوي

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا في الواطئين فزلت

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا * تلاقي الذي يلقون منا لملت

وكان صلى الله عليه وسلم يزرع تحت النخيل في أرضهم فيدخر من ذلك قوت أهله وأزواجه سنة وما فضل جعله في الكراع والسلاح قال ابن اسحق ونزل في أمر بني النضير سورة الحشر بأسرها قال السهيلي اتفاقا وفي البخاري عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر قال قل سورة النضير قال الداودي كأنه كره تسميتها بذلك لئلا يظن أنه يوم القيامة أولاجله فكره النسبة الى غير معلوم وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما سورة الحشر في بني النضير يذكر الله فيها ما أصابهم من النقمة والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أشار صاحب الهمزية لبعض تلك القصة بقوله

خدعوا بالمنافقين وهل ينفق الا على السفيه الشقاء * ونهتهم وما انتهت عنه قوم

فأبيد الامار والنهاء * أسلموهم لاول الحشر لا ميعادهم صادق ولا الايلاء

سكن الرعب والخراب قلوبا * وبيوتا منهم نعاها الجلاء

(غزوة ذات الرقاع)

الناس الى من رفع الى عمر بن قال ابن عمر ما رأيت عمر غضب قط فذكر الله عنده أو خوف أو قرأ انسان عنده آية من القرآن الا وقف عما كان يريد وجيء له مرة بلحم فيه سمن فأبى ان يأكلها وقال كل واحد منهما أدم وانكشف نخذه مرة فرأى بها أهل نجران علامة سوداء فقالوا هذا الذي نجد في كتابنا انه يخرجنا من أرضنا وقال له كعب الاحبار انا نجدك في كتاب الله انك تكون على باب من أبواب جهنم تمنع الناس ان يقعوا فيها فاذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها الى يوم القيامة (ودخل) عليه ابن له وعليه ثياب حسنة فضربه بالدرة حتى أبكاه وقال رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت ان أصغرها اليه ولما فتح الله المدائن على أصحاب رسول الله صلى الله

وتسمى غزوة محارب وغزوة بنى ثعلبة وغزوة بنى أنمار وغزوة صلاة الخوف لوقوعها فيها وغزوة الاعاجيب لما وقع فيها من الامور العجيبة واختلف فيها متى كانت وفى سبب تسميتها بذلك فقال ابن اسحق انها كانت بعد بنى النضير سنة أربع فى شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الاولى وقيل انها كانت سنة خمس ومال البخارى الى انها كانت بعد خيبر وخيبر انما كانت سنة سبع واستدل لذلك بأمور منها ان هذه الغزوة حضرها أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه وهو انما جاء بعد فتح خيبر ومال الغزالى أنها آخر الغزوات وغلطه ابن الصلاح وانتصر بعضهم للغزالى بان مراده آخر الغزوات التى صلى فيها صلاة الخوف ونازع بعضهم فى ذلك وسبب تسميتها بذات الرقاع انهم رقعوا فيها راياتهم وقيل لشجرة فى ذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع وقيل ان الارض التى نزلوا بها فيها بقع سود وبيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة فسميت ذات الرقاع لذلك وقيل لان خيلهم كان بها سواد وبياض وقيل لصلاتهم فيها صلاة الخوف فسميت بذلك لترقيع الصلاة فيها لانهم فعلوا بعضها منفردين عن النبى صلى الله عليه وسلم وبعضها معه فاشبه ذلك اصلاح خلل الثوب برقعه قال السهيلى وأصح الاقوال كلها مارواه البخارى ومسلم عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ونحن ستة نفر أى من الاشعريين بيننا بعير نعتقبه فنقبت أقدامنا ونقبت قدماى وسقطت أظفارى أى من الحفاء فكنا نلف على أرجلنا الخرق فسميت غزوة ذات الرقاع لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا وكان من خبر هذه الغزوة ماقاله ابن اسحق قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم نجدا يريد بنى محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وبنى ثعلبة بن سعد بن غطفان بن قيس بن عيلان فمحارب وسعد ابناعم وسبب ذلك أنه عليه الصلاة والسلام بلغه أنهم جمعوا جموعا لمحاربته صلى الله عليه وسلم فاخبر أصحابه وأمرهم بالتجهز ثم خرج فى أربعمائة من أصحابه وقيل سبعمائة وقيل ثمانمائة واستعمل على المدينة أباذر الغفارى رضى الله عنه وقيل عثمان بن عفان رضى الله عنه وسار الى أن وصل الى موضع يسمى وادى الشقرة وبث السرايا فرجعوا اليه من الليل وأخبروه أنهم لم يروا أحدا فسار حتى نزل نخلا وهو موضع من نجد من أراضى غطفان فلم يجد فى مجالسهم الا نسوة فاخذهن فبلغ الخبر القوم فخافوا وتفرقوا فى رؤس الجبال ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا لمحاربة جيش النبى صلى الله عليه وسلم فتقارب الناس ودنا بعضهم من بعض وأخاف الناس بعضهم بعضا حتى صلى النبى صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف فى صلاة العصر ولم يكن بينه وبين القوم حرب وألقى الله فى قلوبهم الرعب وتفرقت جموعهم خائفين منه صلى الله عليه وسلم (وفى هذه الغزوة) نزل صلى الله عليه وسلم ليلا فى شعب استقبله وكانت تلك الليلة ذات ريح فقال صلى الله عليه وسلم بعد نزوله من يكلؤنا فقام عباد ابن بشر وعمار بن ياسر رضى الله عنهما فقالا نحن يارسول الله فجلسا على فم الشعب فقال عباد بن بشر لعمار ابن ياسر رضى الله عنهما أنا أكفيك أول الليل وتكفينى أنت آخره فنام عمار وقام عباد رضى الله عنهما وكان زوج بعض النسوة اللاتى أصابهن رسول الله صلى الله عليه وسلم غائبا فلما جاء أخبر الخبر فتبع الجيش وحلف لاينثنى حتى يصيب محمدا أو يوثق فى أصحاب محمد دما فلما قرب من الشعب رأى سواد عباد فقال هذه ربيئة القوم ففوق سهما فوضعه فى عباد فانتزعه فرماه بآخر فانتزعه أيضا فرماه بآخر فانتزعه فلما غلبه الدم قال لعمار اجلس فجلس عمار فلما رأى المشرك عمارا جلس علم أنه قد نذر به فهرب فقال عمار لعباد أى أخى مامنعك أن توقظنى له فى أول سهم رماك به فقال كنت أقرأ فى سورة يعنى سورة الكهف فكرهت أن أقطعها وفى رواية جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شخصين من أصحابه يقال لهما عباد بن بشر من الانصار وعمار بن ياسر من المهاجرين فى مقابلة العدو فرمى أحدهما أى وهو عباد بن بشر بسهم فاصابه ونزفه الدم وهو يصلى ولم يقطع صلاته بل ركع وسجد ومضى فى صلاته ثم رماه بثان وثالث وهو يصلى ولم يقطع صلاته وقد قال عباد معتذرا عن ترك ايقاظ صاحبه لولا انى خشيت أن أضيع ثغرا أمرنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ماانصرفت ولو أتى على نفسى (وفى هذه الغزوة ايضا) وقعت قصة الرجل الذى اخترط سيفه صلى الله عليه وسلم وهو نائم تحت الشجرة وقد تقدمت قريبا استطرادا عند ذكر عزم بنى النضير على الغدر به صلى الله عليه وسلم واسم الرجل

غورث

عليه وسلم فى أيام عمر رضى الله عنه وجىء بالاموال فقسمها بين أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ لنفسه شيأ وأعطى الحسن والحسين رضى الله عنهما ألفا ألفا وأعطى ابنه عبد الله خمسمائة فقيل له يا أمير المؤمنين ان عبد الله كان يضرب بالسيف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن والحسين طفلان يدرجان فى سكك المدينة تعطيهم ألفا ألفا وتعطيه خمسمائة درهم فقال اذهب فأتنى بأب كأبيهما او ام كأمهما او جد كجدهما او جدة كجدتهما وعم كعمهما وخال كخالهما وخالة كخالتهما فانك لاتأتى به أما أبوهما فعلى المرتضى وأما أمهما ففاطمة الزهراء وأما جدهما فمحمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وأما جدتهما

غورث وقيل دعثور وقيل انهما قصتان لرجلين فى غزوتين هذه وغزوة أمر وتقدم أيضا ان ذلك الرجل أسلم وأسلم قومه باسلامه ثم رجع صلى الله عليه وسلم ولم يلق كيدا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة و بعث جعال بن سراقة رضى الله عنه بشيرا بسلامته وسلامة المسلمين

(غزوة بدر الاخيرة)

وتسمى غزوة بدر الصغرى لعدم وقوع القتال فيها فهى صغرى بالنسبة للتى وقع فيها القتال وهى الكبرى وتسمى هذه أيضا بدر الموعد للمواعدة عليها مع أبى سفيان يوم أحد وتسمى بدر الثالثة وكانت فى شعبان سنة أربع بعد ذات الرقاع على قول ابن اسحق قال ابن اسحق لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع أقام بها بقية جمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجبا ثم خرج فى شعبان الى بدر لميعاد أبى سفيان وقيل كانت فى ذى القعدة وميعاد أبى سفيان هو ماسبق ان أباسفيان قال يوم أحد الموعد بيننا وبينكم بدر من العام القابل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قل نعم هو بيننا وبينكم موعد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه وعشرة أفراس واستعمل على المدينة عبد الله بن رواحة الخزرجى رضى الله عنه وجعل اللواء على بن أبى طالب رضى الله عنه وخرج أبو سفيان فى قريش وهم ألفان ومعهم خمسون فرسا حتى نزل مجنة من ناحية مر الظهران وقيل نزل عسفان ثم بداله الرجوع وكان قد دبر ذلك فى نفسه وهو بمكة لما ألقى الله فى قلبه من الرعب روى أن نعيم بن مسعود الاشجعى قدم مكة فأخبر قريشا بتهيؤ المسلمين لحربهم فكره أبو سفيان الخروج وجعل لنعيم عشرين بعيرا على أن يذهب الى المسلمين و يخذلهم وضمنها له سهيل بن عمرو وحمله على بعير فقدم نعيم المدينة وأرجف المسلمين بكثرة العدو حتى قذف فى قلوبهم الرعب ولم يبق لهم نية فى الخروج حتى خشى عليه الصلاة والسلام أن لايخرج معه أحد فجاءه العمران أى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما فقالا ان الله مظهر دينه ومعز نبيه وقد وعدنا القوم موعدا لانحب أن نتخلف عنه فيرون ان هذا جبن فسر لموعدهم فوالله ان فى ذلك لخيرا ان شاء الله فسر صلى الله عليه وسلم بذلك وقال والذى نفسى بيده لاخرجن وان لم يخرج معى أحد فاذهب الله عن المسلمين ما كان الشيطان أرعبهم به وقال أبو سفيان لقريش قد بعثنا نعيما يخذل أصحاب محمد عن الخروج وهو جاهد فى تخذيلهم ولكن نخرج فنسير ليلة أوليلتين ثم نرجع فان لم يخرج محمد بلغه انا خرجنا فرجعنا لانه لم يخرج فيكون لنا هذا عليه وان خرج أظهرنا ان هذا عام جدب ولا يصلحنا الاعام عشب قالوا نعم مارأيت فلما أراد الرجوع قال يامعشر قريش لا يصلحكم أى لايربحكم و يزيل عنكم مشقة السفر الاعام ذو خصب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن وان عامكم هذا عام جدب وانى راجع فارجعوا فرجع الناس فسماهم أهل مكة جيش السويق يقولون انما خرجتم تشربون السويق وأما النبى صلى الله عليه وسلم فخرج على الموعد هو وأصحابه وسمع الناس بسيره وذهب صيته الى كل جانب وكبت الله عدوهم فقال صفوان بن أمية لابى سفيان والله نهيتك يومئذ أن تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأونا قد أخلفناهم وأقام صلى الله عليه وسلم وأصحابه ببدر ثمانية أيام ينتظر أباسفيان لميعاده وباعوا مامعهم من التجارة فربحوا الدرهم درهمين وأنزل الله فى ذلك الذين استجابوا لله والرسول من بعد ماأصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس وهو نعيم بن مسعود ان الناس وهو أبو سفيان وأصحابه قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين وقيل ان قوله الذين استجابوا الى أجر عظيم انما نزلت فى شان حمراء الاسد وهو خروجهم فى أثر قريش بعد وقعة أحد وهذا هو الصحيح وقوله الذين قال لهم الناس الخ نزلت فى غزوة بدر الصغرى ولامانع أن يكون صدر الآية مشيرا الى الامرين والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة دومة الجندل)

نفد بعد الكبرى وأما عمهما فجعفر بن أبى طالب وأما خالهما فابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما خالتهما فرقية وأم كلثوم بنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه ابن السماك وكانت صلته لاقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من غيرهم قال الزهرى كان عمر رضى الله عنه اذا أتاه مال من العراق أوغيره لم يدع زوجا من بنى هاشم عزبا الازوجه ولا رجلا ليس له خادم الا أخدمه وعن محمد بن على بن الحسين رضى الله عنهم قال قدمت على عمر حلال من اليمن فقسمها بين المهاجرين والانصار ولم يكن فيها شئ على قدر الحسن والحسين رضى الله عنهما فكتب الى صاحب اليمن ان يعمل لهما على قدرهما ففعل وبعث بهما على عمر

وهي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال وبعدها من المدينة خمس عشرة ليلة وكانت في شهر ربيع الاول سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم أن بها جمعا عظيما يظلمون من مر بهم وانهم يريدون أن يدنوا من المدينة فخرج صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وكان صلى الله عليه وسلم يسير الليل ويكمن النهار فلما دنا منهم قال له مذكور العذري رضي الله عنه وكان هو الدليل مع النبي صلى الله عليه وسلم أقم لي حتى أطالع لك على سوائم القوم فانهم ارتعى هنا فرح العذري فوجد آثار النعم والشاء وهم مغربون فاخبره فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فاصاب من أصاب وهرب من هرب في كل وجهة وجاء الخبر أهل دومة فاصابهم الرعب فتفرقوا فرقا من المنصور بالرعب صلى الله عليه وسلم ونزل بساحتهم ولم يلق بها أحدا فاقام بها أياما وبعث السرايا وفرقها فرجعوا سالمين وأصابوا رجلا من القوم فجاؤا به للنبي صلى الله عليه وسلم فسأله عنهم فقال هربوا حين علموا أنك اخذت نعمهم فعرض عليه الاسلام فاسلم ورجع النبي صلى الله عليه وسلم ودخل المدينة في عشرين من ربيع الآخر والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة المريسيع)

وهو ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم وتسمى غزوة بني المصطلق وهم بطن من خزاعة وكانت في شعبان سنة خمس من الهجرة وسببها انه بلغه عليه الصلاة والسلام ان رئيسهم الحرث بن أبي ضرار والد جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها وقد أسلم لما جاء في فدائها كما سيأتي سار في قومه ومن قدر عليه من العرب فدعاهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابوه وتهيؤا للمسير معه وكانوا ينزلون ناحية الفرع فبعث عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله عنه ليعلم حالهم الذي هم عليه واستأذن النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول فاذن له فاتاهم ولقي الحرث بن أبي ضرار وكلمه فوجده قد جمع الجموع وقالوا له من الرجل قال منكم قدمت لما بلغني من جمعكم لهذا الرجل فاسير في قومي ومن أطاعني فنكون يدا واحدة حتى نستاصله قال الحرث فنحن على ذلك فعجل علينا فقال لهم بريدة أركب الآن وآتيكم بجمع كثير من قومي فسروا بذلك ورجع هو الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره خبرهم فندب صلى الله عليه وسلم الناس وخرج مسرعا في جمع كثير وخرج معه كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قط مثل خروجهم في هذه الغزوة وكان معه صلى الله عليه وسلم ثلاثون من الخيل عشرة للمهاجرين وعشرون للانصار واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وقيل أبا ذر الغفاري وقيل نميلة بن عبد الله الليثي رضي الله عنهم وخرجت معه عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما وأصاب صلى الله عليه وسلم في طريقه عينا أي جاسوسا للمشركين فسأله عنهم فلم يذكر من شأنهم شيأ فعرض عليه الاسلام فابى فامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه فضرب عنقه وبلغ الحرث ومن معه مسيره صلى الله عليه وسلم وانه قتل جاسوسه فسيء بذلك الخبر هو ومن معه وخافوا خوفا شديدا وتفرق عنهم كثير ممن كان معهم من العرب الذين اجتمعوا وانتهى عليه الصلاة والسلام المريسيع وضرب عليه قبته وهيأ أصحابه للقتال وصف أصحابه ودفع راية المهاجرين لابي بكر رضي الله عنه وقيل لعمار بن ياسر رضي الله عنه وراية الانصار لسعد بن عبادة رضي الله عنه وامر عمر فنادى في الناس قولوا لا اله الا الله تمنعوا بها انفسكم واموالكم فابى المشركون أن يقولوها فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر صلى الله عليه وسلم أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم أحد قتلوا عشرة وأسروا باقيهم وكانوا أكثر من سبعمائة وسبوا الرجال والنساء والذرية وساقوا النعم والشاء وكانت الابل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف شاة وكان السبي مائتي بيت ولم يقتل من المسلمين الا رجل واحد وهو هشام بن صبابة أصابه رجل من رهط عبادة بن الصامت رضي الله عنه خطأ وكان من جملة السبي جويرية بنت الحرث فاختص بها النبي صلى الله عليه وسلم وأعتقها وتزوجها وخرج الخبر الى الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها فقال الناس أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا ما بايديهم قالت عائشة رضي الله عنها فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها رضي الله عنها وقيل انها طلبت قومها من النبي صلى الله عليه وسلم ليلة دخوله بها فوهبهم لها وهذا لا يمنع كون المسلمين حين سمعوا انه

تزوجها

فلبساهما ولما دوّن الدواوين وفرض العطايا بدأ ببني هاشم وكان رضي الله عنه يقول ما نعبأ بلذات العيش ولكن نستبقي طيباتنا لآخرتنا وكان يأكل خبز الشعير ويأتدم بالزيت ويلبس المرقوع ويخدم نفسه وكان يقسم مال بيت المال يوما فدخلت ابنة له وأخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة من أحد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت أهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر اصبعه فأخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال أيها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكسح أبو موسى الاشعري بيت المال فوجد درهما فرآه لعمر رضي الله عنه فأعطاه اياه فرأى عمر ذلك في يد الغلام فسأله عنه فقال

تزوجها أطلقوا الاسرى فكان ذلك زيادة اكرام من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم حتى لا يسأل أحدا منهم في ذلك بشئ أوجعانا ثم هدى الله أكثرهم للاسلام وجاء أن جويرية رضي الله عنها قالت رأيت قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث ليال كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع في حجري فكرهت ان أخبر بها أحدا من الناس حتى قدم صلى الله عليه وسلم فلما سبينا رجوت الرؤيا فلما أعتقني وتزوجني ما شعرت الا بجارية من بنات عمي تخبرني بعتق الاسرى فحمدت الله تعالى وجاء ان بعض الاسرى انما اطلقوا بفداء ولعل هذا قبل التزوج بها رضي الله عنها وجاء عن جويرية رضي الله عنها أنها قالت لما أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن على المريسيع سمعت أبي يقول أتانا ما لا قبل لنا به فلبثت أرى من الناس والخيل والسلاح ما لا أصف من الكثرة فلما أسلمت وتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعنا جعلت أنظر الى المسلمين فليسوا كما كنت أرى فعلمت انه رعب من الله يلقيه في قلوب المشركين ثم ان أباها الحرث قدم على النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بعد رجوعه بفداء ابنته وفكاكها فلما كان بالعقيق نظر الى ابله التي يريد أن يفدي ابنته بها فرغب في بعيرين منها كانا من أفضلها فاعقلهما في شعب من شعاب العقيق ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد أصبتم ابنتي وهذا فداؤها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأين البعيران اللذان أعقلتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا فقال الحرث أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله والله ما اطلع على ذلك أحد الا الله وقيل انه أسلم قبل ذلك وهذا اظهار لاسلامه ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر ابنته باسلامه فقالت له أحسنت وأجملت فقال لها أبوها يا بنية لا تفضحي قومك يعني بالرق فقالت اخترت الله ورسوله فرضي أبوها بذلك (وفي هذه الغزوة نزلت آية التيمم) ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره قال ابن عبد البر هي غزوة بني المصطلق قالت حتى اذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى الناس الى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا له ألا ترى الى ما صنعت عائشة رضي الله عنها أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر رضي الله عنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة رضي الله عنها فعاتبني أبو بكر رضي الله عنه وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير رضي الله عنه ما هي باول بركتكم يا آل أبي بكر قالت فبعثنا البعير فاصبنا العقد تحته وفي رواية قال أسيد لها جزاك الله خيرا ما نزل بك أمر تكرهينه الا جعل الله لك منه مخرجا وللمسلمين فيه خيرا وقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعظم بركة قلادتك وقال لها أبو بكر رضي الله عنه والله يا بنية انك كما علمت مباركة (وفي هذه الغزوة كانت قصة الافك) فيكون العقد قد سقط مرتين وقد اختلف أئمة السير اختلافا كثيرا هل كان ذلك في غزوة واحدة أو غزوتين فقيل في غزوة واحدة وهي غزوة بني المصطلق والقائلون بذلك اختلفوا هل قصة آية التيمم أسبق أم قصة الافك واستدل بعضهم لتقدم قصة الافك بقول أسيد بن حضير رضي الله عنه ما هي باول بركتكم يا آل أبي بكر أي بل مسبوقة بغيرها من البركات فهو يشعر بان هذه القصة كانت بعد قصة الافك وبعضهم أخر قصة الافك عنها والقائلون بان ضياع العقد كان في غزوتين قالوا مرة في غزوة ذات الرقاع ومرة في غزوة بني المصطلق واستدل كل قائل بادلة يطول ذكرها والتحقيق ان قصة الافك في غزوة بني المصطلق قطعا والاختلاف انما هو في قصة التيمم هل هي في تلك الغزوة وبه جزم ابن عبد البر وجماعة أو في غزوة ذات الرقاع أو غيرها وبه جزم آخرون والله أعلم * وحاصل قصة الافك ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أنزل الحجاب فانا أحمل في هودجي وأنزل فيه حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا

اعطانيه أبو موسى فقال يا أبا موسى ما كان في أهل المدينة بيت أهون عليك من آل عمر أردت ان لا يبقى من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحد الا طلبنا بظلمة ورد الدرهم الى بيت المال هذا مع أن المال كان حلالا ولكن خاف أن لا يستحق هو ذلك القدر فكان يتبرأ لدينه ويقتصر على الاول امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك ولقوله من تركها فقد استبرأ لعرضه ودينه (وعن) طارق بن شهاب قال قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام فلقيه الجنود وعليه ازار وخفان وعمامة وهو آخذ برأس راحلته يخوض الماء قد خلع خفيه وجعلهما تحت ابطه فقالوا له يا أمير المؤمنين الآن يلقاك الجنود وبطارقة الشام وأنت على هذه الحال قال

من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل فقمت حين آذنوا بالرحيل فمضيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني أقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بي فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا لم يغشهن اللحم انما يأكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نائم فعرفني حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطئ على يدها فقمت اليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش في نحر الظهيرة وهم نزول فهلك من هلك وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن أبي ابن سلول فانه كان أول من أشاعه في العسكر لانه كان ينزل مع جماعة من المنافقين مبتعدين من الناس فمررنا عليه فقال من هذه فقالوا عائشة وصفوان فقال فجر بها ورب الكعبة وفي لفظ ما برئت منه وما برئ منها وفي رواية قال والله ما نجت منه ولا نجا منها وصار يقول امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ثم أشاع ذلك في المدينة بعد دخولهم بها لشدة عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عروة بن الزبير أخبرت أن حديث الافك كان يشاع ويتحدث به عند ابن أبي فيقره ويستمعه ويستوشيه وقال عروة أيضا لم يسم من أهل الافك الا حسان بن ثابت رضي الله عنه ومسطح بن أثاثة رضي الله عنه وحمنة بنت جحش رضي الله عنها في ناس آخرين لا علم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم وكانت عائشة رضي الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول انه الذي قال

فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

قالت عائشة رضي الله عنها فقدمنا المدينة واشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الافك لا أشعر بشيء من ذلك ويريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي انما يدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم علي ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذاك يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت حين نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا أي موضع قضاء حاجتنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا قالت وأمرنا أمر العرب الاول في البرية أي في الخروج اليها قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهي سلمى ابنة رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وابنها مسطح بن أثاثة ابن عباد بن المطلب بن عبد مناف فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا شهد بدرا فقالت أي هنتاه أي يا هذه أولم تسمعي ما قال قالت عائشة رضي الله عنها فقلت لها ما قال فأخبرتني بقول أهل الافك قالت فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم قال كيف تيكم فقلت له أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيتهما فقلت لامي ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر الا أكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي أي طال لبث نزوله يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد رضي الله عنهما فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله

عمر انا قوم أعزنا الله بالاسلام فلا ألتمس العز من غيره (وروى) انه قال يوما على المنبر يا معشر المسلمين ماذا تقولون لو ملت برأسي الى الدنيا كذا وميل رأسه فقام اليه رجل فاستل سيفه فقال نقول بالسيف كذا وأشار الى قطعه فقال عمر رحمك الله الحمد لله الذي جعل في رعيتي من اذا تعوجت قومني * وسمع عمر رضي الله عنه بكاء صبي بالليل فتوجه نحوه وقال لامه اتقي الله وأحسني الى صبيك ثم عاد الى مكانه فسمع بكاءه فعاد الى أمه فقال لها مثل ذلك ثم عاد الى مكانه فلما كان آخر الليل سمع بكاءه فأتى أمه فقال ويحك اني لأراك ام سوء مالي أرى ابنك لا يقر منذ الليلة قالت يا عبد الله اني أعاوله على الفطام فيأبى قال ولم قالت لان عمر لا يفرض للمولود الا بعد

وبالذى يعلم لهم فى نفسه فقال أسامة هم أهلك ولا نعلم الاخيرا وأما على رضى الله عنه فقال يارسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وسل الجارية أى التى كانت تخدم عائشة تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أى بريرة هل رأيت من شئ يريبك قالت له بريرة رضى الله عنها والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه غير انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتى الداجن أى الشاة فتأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبى وهو على المنبر فقال يامعشر المسلمين من يعذرنى من رجل قد بلغنى عنه أذاه فى أهلى والله ما علمت على أهلى الا خيرا ولقد ذكروا رجلا يعنى صفوان بن المعطل رضى الله عنه ما علمت عليه الا خيرا وما يدخل على أهلى الا معى فقام سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال أنا يارسول الله أعذرك منه فان كان من الاوس قبيلتنا ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك قالت عائشة رضى الله عنها فقام سعد بن عبادة رضى الله عنه وهو سيد الخزرج فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير وكان ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه أى ولو كان من الخزرج اذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضى الله عنها فبكيت يومى ذلك لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم قالت وأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوما لا يرقأ لى دمع ولا أكتحل بنوم حتى انى لاظن أن البكاء فالق كبدى فبينما أبواى جالسان عندى وأنا أبكى استأذنت على امرأة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكى معى قالت فبينما نحن على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فسلم ثم جلس قالت ولم يجلس عندى منذ قيل ما قيل قبلها وقد لبث شهرا لا يوحى اليه فى شأنى بشئ قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد ياعائشة انه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة فقلت لابى أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى فقال أبى والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامى اجيبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال فقالت أمى والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا انى والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم انى بريئة لا تصدقونى ولئن اعترفت لكم بامر والله يعلم أنى منه بريئة لتصدقنى فوالله لا أجد لى ولكم مثلا الا أبا يوسف عليه السلام حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وأنا أعلم أنى حينئذ بريئة وان الله مبرئ ولكن والله ما ظننت ان الله تعالى منزل فى شأنى وحيا يتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بامر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها وعند ذلك قال أبو بكر رضى الله عنه ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لا نعبد الله فيقال لنا فى الاسلام وأقبل على عائشة مغضبا قالت عائشة رضى الله عنها فوالله ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه الوحى فأخذه ما كان يأخذه عند نزول الوحى من البرحاء بسبب شدة ثقل الوحى حتى أنه ليتحدر منه العرق مثل الجمان وهو فى يوم شات قالت فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال ياعائشة أما الله فقد برأك أى بما أوحاه اليه من القرآن قالت فقالت لى أمى قومى اليه صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم اليه فانى لا أحمد الا الله عز وجل الذى برأنى قالت وأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم العشر الآيات وتاب الله على من كان تكلم من المؤمنين وأقيم الحد على من أقيم عليه كمسطح وحسان وحمنة

الفطام قال فكم له قالت كذا وكذا شهرا قال لا تعجليه فصلى الفجر وقد غلبه البكاء فلما سلم قال يابؤسا لعمر كم قتل من أولاد المسلمين ثم أمر مناديا ينادى أن لا تعجلوا على صبيانكم الفطام فانا نفرض لكل مولود فى الاسلام من حين يولد وكتب بذلك الى الآفاق أن يفرضوا لكل مولود فى الاسلام من حين يولد (وجاءته) مرة برود من اليمن ففرقها على الناس بردا بردا ثم صعد المنبر يخطب وعليه حلة منها يعنى ازارا ورداء فقال اسمعوا رحمكم الله فقام اليه رجل من القوم فقال والله لا نسمع والله لا نسمع فقال لم ياعبد الله قال لانك أعطيتنا ياعمر بردا بردا وخرجت تخطب فى حلة منها فقال عمر أين عبد الله بن عمر فقال هنا يا أمير المؤمنين فقال لمن أحد

رضي الله عنهم قال السهيلي ان من نسب عائشة رضي الله عنها الى الزنا كغلاة الرافضة كان كافرا لان ذلك
تكذيب للنصوص القرآنية ومكذبها كافر وفي الخصائص للسيوطي من قذف أزواجه صلى الله عليه وسلم
فلا توبة له البتة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ويقتل كما نقله القاضي عياض وغيره وقيل يختص
القتل بمن قذف عائشة رضي الله عنها وحضر بعض الشيعة في مجلس الحسن بن زيد الرفاعي وكان من عظماء
أهل طبرستان فذكر الشيعي عائشة رضي الله عنها ونسب اليها شيأ من القبيح فقال الحسن لغلامه يا غلام
اضرب عنقه وكان عنده بعض العلويين فأراد أن يمنعه من قتله وقال هذا رجل من شيعتنا فقال معاذ الله هذا
طعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات فان كانت عائشة رضي الله عنها خبيثة فان زوجها يكون خبيثا وحاشاه صلى الله
عليه وسلم من ذلك بل هو الطيب الطاهر وهي الطاهرة المبرأة يا غلام اضرب عنق هذا الكافر يعني الشيعي
الذي تكلم في عائشة رضي الله عنها فضرب عنقه وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق على مسطح من
أثاثة رضي الله عنه لقرابته منه وفقره فقال والله لا أنفق على مسطح شيأ أبدا بعد الذي قال لعائشة رضي الله
عنها ما قال فأنزل الله تعالى ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين
في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم فقال أبو بكر رضي الله عنه
بلى والله اني لاحب أن يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا
وكفر عن يمينه وروى الطبراني والنسائي انه أضعف له النفقة *(لطيفة)* وهي أن ابن المقري منع عن
ولده النفقة لتأديبه على أمر وقع منه فكتب الى والده يقول

لا تقطعن عادة بر ولا * تجعل عقاب المرء في رزقه * فان أمر الافك من مسطح
يحط قدر النجم من أفقه * وقد جرى منه الذي قد جرى * وعوتب الصديق في حقه

فكتب اليه والده يقول

قد يمنع المضطر من ميتة * اذا عصى بالسير في طرقه * لانه يقوى على توبة
تكون ايصالا الى رزقه * لولم يتب مسطح من ذنبه * ما عوتب الصديق في حقه

قالت عائشة رضي الله عنها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها
عن أمري فقال لها ماذا علمت أو رأيت فقالت يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها الا خيرا
قالت عائشة رضي الله عنها وهي التي كانت تساميني أي تضاهيني وتفاخرني بجمالها من أزواج النبي صلى
الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها ولما بلغ صفوان بن المعطل رضي الله عنه
ما قاله الناس قال سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أنثى قط وروى أنه كان حصورا أي
عنينا وأن معه مثل الهدبة ثم قتل بعد ذلك شهيدا رضي الله عنه ويكفي شهادة الله له ولعائشة رضي الله عنها
بالبراءة بقوله في ختم تلك الآيات أولئك أي صفوان وعائشة مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم والله
سبحانه وتعالى أعلم (وفي هذه الغزوة) قال عبد الله بن أبي ابن سلول لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها
الاذل وسبب ذلك أن رجلا من المهاجرين اسمه جهجاه بن مسعود كان أجيرا لعمر رضي الله عنه ويقود له
فرسه انطلق ليملأ قربا للنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فوجد الناس يزدحمون على الماء
فأمر الناس بالامساك ليملأ قرب النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فنازعه رجل من
الانصار وكان أجيرا لعبد الله بن أبي فتنازعا فضرب المهاجري الانصاري فقال الانصاري يا للانصار وقال
المهاجري يا للمهاجرين فأقبل جمع من الجيش وشهروا السلاح حتى كادوا أن يقتتلوا فاسمع الله رسوله صلى
الله عليه وسلم ذلك فقال ما هذا فأخبر فقال دعوها فانها منتنة يعني دعوى الجاهلية وقال عبد الله بن أبي
أوقد فعلوا أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقال لجماعة من أصحابه لو تموهم
وقاسمتموهم أموالكم ويصنعون بكم هكذا وفي رواية أنه قال والله ما رأيت كاليوم مذلة أوقد فعلوها

هذين البردين اللذين على
قال لي فقال لي رجل عجلت
على يا عبد الله اني كنت
غسلت ثوبي الخلق فاستعرت
ثوب عبد الله قال قل الآن
نسمع ونطيع (ولما) رجع
رضي الله عنه من الشام الى
المدينة انفرد عن الناس
ليعرف أخبارهم فمر بعجوز
في خبائها فقصدها فقالت
يا هذا ما فعل عمر لما رجع
من الشام قال هو ذا قد أقبل
من الشام قالت لا جزاه الله
عني خيرا قال ويحك ولم
قالت لانه والله ما نالني من
عطائه منذ ولي الخلافة الى
يومنا هذا دينار ولا درهم
فقال ويحك وما يدري عمر
حالك وأنت في هذا الموطن
فقالت سبحان الله ما ظننت
ان أحدا يلي على الناس
لا يدري ما بين مشرقها
ومغربها فأقبل عمر يبكي
ويقول في نفسه واعمراه
وخصوماه كل أحد أفقه

نافرونا أي غلبونا وكاثرونا في بلادنا وأنكرونا ملتنا والله ما أعدنا أي أظننا يعني معاشر الانصار وقريش الا كما قال الاول أي الاقدمون في أمثالهم سمن كلبك يأكلك وأجع كلبك يتبعك والله لقد ظننت أني سأموت قبل أن أسمع هاتفا يهتف بما سمعت والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه و بالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أيضا لاصحابه لو أمسكتم عنهم ما بايديكم لتحولوا عنكم الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا فقتلتم دونه يعني النبي صلى الله عليه وسلم فايتمتم أولادكم وقللتم وكثروا فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله حكاية عنهم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا أي الناس عنه فسمع مقالته زيد بن أرقم رضي الله عنه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره وشاع كلام ابن أبي بين الناس فقال له بعض الانصار انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتذر له حتى يستغفر لك فأبى فلم يزالوا به حتى رضي وذهب معهم الى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر وحلف أنه ما قال ذلك فقبل النبي صلى الله عليه وسلم عذره ظاهرا أناماقاله كما كانت عادته صلى الله عليه وسلم مع المنافقين ثم أنزل الله تكذيبا لابن أبي وتصديقا لزيد بن أرقم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الآيات فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بن أرقم رضي الله عنه يا ذا الاذن الواعية ان الله صدق مقالتك وتلا صلى الله عليه وسلم الآيات فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يارسول الله دعني أضرب عنق ابن أبي فانه رأس المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وأنزل الله تعالى في حق عمر رضي الله عنه قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون وجاء في رواية عن عمر رضي الله عنه قال لما كان من أمر ابن أبي ما كان جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في شجرة أي ظلها عنده غلام أسود يغمز ظهره أي يكبسه فقلت يارسول الله كأنك تشتكي ظهرك فقال تقحمت بي الناقة فقلت يارسول الله ائذن لي أن أضرب عنق ابن أبي أو مر محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتله فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا عمر اذا تحدث الناس بان محمدا يقتل أصحابه وفي رواية قال عمر يارسول الله ان كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريا فقال صلى الله عليه وسلم لا آمر ولكن ائذن بالرحيل وكان ذلك في ساعة لم يكن يرحل فيها أي لشدة الحر ولعل النبي صلى الله عليه وسلم أراد اطفاء الشر وخشي من اتساع الامر بين المهاجرين والانصار فارتحل الناس وجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه أي قال السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ثم قال يا نبي الله لقد رحلت في ساعة منكرة ما كنت ترحل في مثلها أي لانه كان لا يرحل الا اذا برد الوقت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغك ما قال صاحبكم زعم أنه ان رجع الى المدينة أخرج الاعز منها الاذل فقال أسيد بن حضير رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله أنت والله تخرجه ان شئت وهو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه وانه ليرى انك قد استلبته ملكا ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس سيرا حثيثا بحيث صار يضرب راحلته بالسوط في مراقها أي مارق من جلد أسفل بطنها وسار وا يومهم ذلك وليلتهم وصدرا اليوم الثاني حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس وكان لعبد الله بن أبي ابن يسمى الحباب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله يوم موت أبيه وكان مؤمنا صادقا رضي الله عنه فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغته مقالة عمر رضي الله عنه من قتل أبيه فقال يارسول الله انه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي يعني أباه فيما بلغك عنه فان كنت تريده فرني أنا أحمل لك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده مني واني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فاقتل مؤمنا بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا وفي رواية فرني فوالله لأحملن اليك رأسه قبل أن تقوم من مجلسك هذا واني لأخشى يارسول الله أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أن أنظر قاتل أبي يمشي في الناس فاقتله فادخل النار وعفوك أفضل ومنك أعظم فقال رسول

منك يا عمر ثم لم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا فبينما هو كذلك اذ أقبل علي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنين فوضعت المرأة يدها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت عمر أمير المؤمنين في وجهه فقال لها عمر رضي الله عنه لا عليك يرحمك الله ثم طلب عمر رضي الله عنه قطعة فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر رضي الله عنه من فلانة ظلامتها منذ ولي الى يومنا هذا بخمسة وعشرين دينارا فما تدعي عند وقوفي في المحشر بين يدي الله عز وجل فعمر منه بري ء شهد على ذلك علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود ثم دفع الكتابة الى علي رضي الله عنه وقال اذا تقدمتك

الله صلى الله عليه وسلم ما أردت قتله ولا أمرت به ولنحسنن صحبته ما كان بين أظهرنا ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى وادى العقيق تقدم الحباب بن عبد الله بن أبى حتى أمسك بناقة أبيه وقال والله لا تدخلها يعنى المدينة حتى يأذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعلم اليوم من الاعز ومن الاذل وفى رواية حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعز وأنت الاذل أو لاضربن عنقك فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله خيرا وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة ثمانية وعشرين يوما وقدم المدينة فى رمضان والله سبحانه وتعالى أعلم

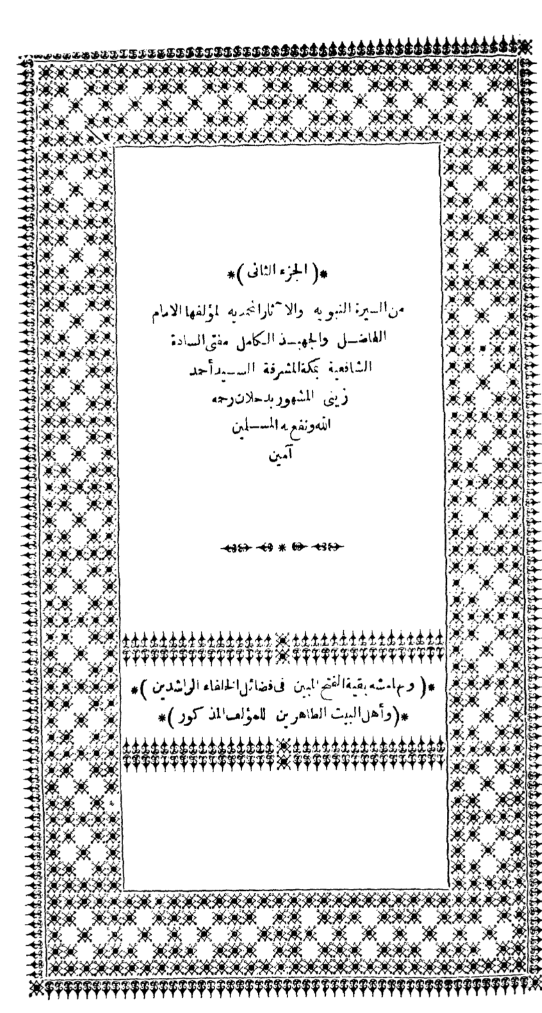
وليكن هذا آخر النصف الاول من السيرة النبوية المحمدية تأليف الاستاذ
الفاضل بقية السادة الافاضل مولانا السيد أحمد زينى المشهور
بدحلان عامله الله بالاحسان وعمه
بالرحمة والرضوان آمين

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله غزوة الخندق)

فاجعلها فى كفى (وعن الاوزاعى) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج فى سواد الليل فرآه طلحة رضى الله عنه فذهب عمر فدخل بيتا فلما أصبح طلحة ذهب الى ذلك البيت فاذا بعجوز عمياء مقعدة فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك فقالت انه يتعاهدنى منذ كذا وكذا بما يصلحنى ويخرج عنى الاذى فقال لنفسه ثكلتك أمك يا طلحة أعثرات عمر رضى الله عنه تتبع

(فهرست الجزء الثاني من السيرة النبوية)

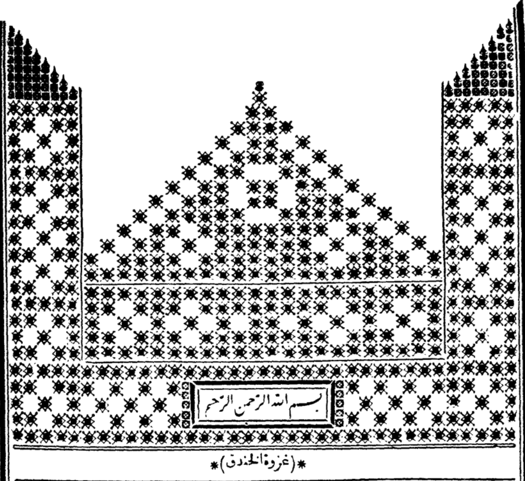
(تمت)



(الجزء الثاني)

من السيرة النبويه والآثار المحمديه لمؤلفها الامام
الفاضل والجهبذ الكامل مفتي السادة
الشافعية بمكة المشرفة السيد أحمد
زيني المشهور بدحلان رحمه
الله ونفع به المسلمين
آمين

(وبهامشه بقية الفتح المبين في فضائل الخلفاء الراشدين)
(وأهل البيت الطاهرين للمؤلف المذكور)



(غزوة الخندق)

وتسمى غزوة الاحزاب قال موسى بن عقبة كانت سنة أربع وقال ابن اسحق سنة خمس فى شوال وبذلك جزم أهل المغازى ومال البخارى الى قول موسى بن عقبة وسبب هذه الغزوة انه لما وقع اجلاء بنى النضير سار نفر من اليهود منهم سلام بن مشكم وابن أبى الحقيق وحيى بن أخطب وغيرهم وخرجوا من خيبر حتى قدموا مكة على قريش فقالوا لهم انا سنكون معكم على محمد حتى نستأصله قال ابن اسحق فقالت لهم قريش انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فانزل الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فسرت قريش بقول اليهود لهم ذلك وبشهادتهم لهم فنشطوا لما دعوهم اليه فاجتمعوا لذلك واستعدوا وتواعدوا على وقت يخرجون فيه ثم خرج أولئك اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس بن عيلان فدعوهم الى حربه صلى الله عليه وسلم وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ان هم نصروهم وأخبروهم ان قريشا تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم وخرجت قريش فى أربعة آلاف وعقدوا اللواء فى دار الندوة وحمله عثمان بن أبى طلحة وقائد القوم أبو سفيان بن حرب وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وقادوا معهم ثلثمائة فرس وألفا وخمسمائة بعير ولاقتهم بنو سليم بمر الظهران فى سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس حليف حرب بن أمية وخرجت معهم بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد الاسدى وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن الفزارى وقد أسلم بعد ذلك ثم ارتد ثم أسلم فى زمن الصديق رضى الله عنه وخرج الحرث بن عوف المرى فى بنى مرة وقد أسلم بعد تبوك رضى الله عنه وكان قومه الذين خرجوا معه أربعمائة وخرجت أشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وخرج غيرهم من قبائل العرب وكان عدة أولئك الاحزاب عشرة آلاف كما قال ابن اسحق وكان المسلمون ألفا وقيل ثلاثة آلاف وكان مع المسلمين ست وثلاثون

(وعن) أبى بكر العبسى قال دخلت مع عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم مكان نعم الصدقة فجلس عثمان رضى الله عنه فى الظل يكتب وقام على رضى الله عنه على رأسه يملى عليه ما يقول عمر رضى الله عنه وعمر قائم فى الشمس فى يوم شديد الحر عليه بردتان سوداوان مؤتزر بواحدة وقد وضع الاخرى على رأسه وهو يتفقد ابل الصدقة يكتب ألوانها وأسنانها فقال على لعثمان رضى الله عنهما أما

فرسا

فرسا ولما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحزاب وما أجمعوا عليه من الامر الذى زعموه وهو استئصال المسلمين اتخذ الخندق ولم يكن ذلك من شأن العرب ولكنه من مكايد الفرس وكان الذى أشار به سلمان الفارسى رضى الله عنه فقال يارسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه بالجد ووعدهم النصران هم صبروا واتقوا وأمرهم بالطاعة وكان الخندق فى شامى المدينة من طرف الحرة الشرقية الى طرف الحرة الغربية عند جبل سلع وخط صلى الله عليه وسلم لكل عشرة من الناس عشرة أذرع يعملون فيها وكان سلمان رضى الله عنه يعمل عمل عشرة فتنافس فيه المهاجرون والانصار فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال النبى صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت وتأخر عن العمل أناس من المنافقين ومن خرج منهم صار يعمل عملا ضعيفا ويعتذرون بالضعف وفى البخارى عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى الخندق ونحن ننقل التراب على أكتادنا فقال صلى الله عليه وسلم

اللهم لا عيش الا عيش الآخره * فاكرم الانصار والمهاجره

وهو من كلام ابن رواحة رضى الله عنه وأصله * لاهم ان العيش عيش الآخره * فنطق به النبى صلى الله عليه وسلم اللهم لا عيش الخ لانه يعسر عليه النطق بالشعر وان كان من قول غيره وفى البخارى أيضا عن أنس رضى الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون فى غداة باردة لم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى صلى الله عليه وسلم ما بهم من النصب * قال اللهم ان العيش عيش الآخره فاغفر للانصار والمهاجره * وأراد صلى الله عليه وسلم تسلية أصحابه وتهوين الامر عليهم فان العيش الدائم المعتبر عيش الآخرة لا عيش الدنيا لكدورته وكونه مع المنغصات التى لا تتناهى ثم هو فان وان طال قل متاع الدنيا قليل وقال المهاجرون والانصار مجيبين للنبى صلى الله عليه وسلم

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يجيبهم بقوله اللهم ان العيش الخ ويحتمل انه كان يجيبهم ويجيبونه فلا تنافى وفى انشاد الشعر تنشيط على العمل وبذلك جرت عادتهم فى الحرب وأكثر ما يستعملونه الرجز وفى البخارى من حديث البراء بن عازب رضى الله عنهما قال لما كان يوم الاحزاب وخندق صلى الله عليه وسلم رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى الغبار جلدة بطنه الشريفة صلى الله عليه وسلم وكان كثير الشعر وكان يرتجز وهو ينقل التراب بقول ابن رواحة رضى الله عنه

واللهِ لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا * فانزلن سكينة علينا

وثبت الاقدام ان لاقينا * ان الأُلى قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع صوته بقوله أبينا أبينا وأخرج البيهقى عن سلمان رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم حين ضرب فى الخندق قال باسم الاله وبه بدينا * ولو عبدنا غيره شقينا * فحبذا ربا وحب دينا

وهو من كلام بعض أصحابه يتمثل به أو من كلامه بناء على ان الرجز ليس بشعر أو ان الشعر شرطه أن يكون مقصودا كونه شعرا موزونا وأما اذا خرج موزونا بلا قصد فلا يسمى شعرا وقد وقع فى حفر الخندق آيات من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم منها ما فى صحيح البخارى وغيره عن جابر رضى الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت أى ظهرت لنا كدية شديدة بضم الكاف مصغرا وهى القطعة الصلبة من الارض لا يعمل فيها المعول فجاؤا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله هذه كدية عرضت فى الخندق فقال رشوها بالماء فقام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم المعول فسمى ثلاثا ثم ضرب فعاد المضروب كثيبا أهيل أى رملا يسيل وفى رواية دعا باناء من ماء فتفل فيه ثم دعا بما شاء الله أن يدعو ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية قال من حضرها فوالذى بعثه بالحق لقد انهالت حتى عادت مثل الكثيب لا ترد فاسا ولا مسحاة وفى رواية للبراء بن عازب رضى الله عنهما عرضت لنا فى بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها

سمعت قول ابنة شعيب فى كتاب الله عز وجل ياأبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين وأشار الى عمر رضى الله عنه وقال هو القوى الامين (وعن) محمد بن على ابن الحسين رضى الله عنهم عن مولى لعثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه قال بينا أنا مع عثمان فى مال له بالعالية فى يوم صائف اذ رأى رجلا يسوق بكرين وعلى الارض مثل الفراش من الحر فقال عثمان رضى الله عنه ما على

المعاول فاشتكيناذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجاء وأخذ المعول من سلمان رضي الله عنه فقال باسم الله ثم ضرب به افتنزلتها وخرج نور أضاء ما بين لابتي المدينة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله اني لابصر قصورها الحمر الساعة من مكاني ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر فبرقت برقة من جهة فارس أضاءت ما بين لابتيها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله اني لابصر قصر المدائن الابيض الآن أي مدائن كسرى وفي رواية والله اني لابصر قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب من مكاني هذا وأخبرني جبريل ان أمتي ظاهرة عليها فابشروا بالنصر فسر المسلمون ثم ضرب الثالثة وقال باسم الله فقطع بقية الحجر وخرج نور من قبل اليمن فاضاء ما بين لابتي المدينة حتى كأنه مصباح في جوف ليل مظلم فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله اني لابصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة وقد حكى الله عن المنافقين انهم حين سمعوا ذلك قالوا ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا * قال ابن اسحق وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة رضي الله عنه انه كان يقول حين فتحت هذه الامصار في زمان عمر وعثمان رضي الله عنهما افتحوا ما بدا لكم والذي نفس أبي هريرة بيده ما فتحتم من مدينة ولا تفتحونها الى يوم القيامة الا وقد أعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك * ومن اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم ما ثبت في الصحيح من حديث جابر رضي الله عنه من تكثير الطعام القليل فانه رضي الله عنه كان عنده صاع من شعير وشويهة فاحب أن يدعو النبي صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه عليه فلما أخبره دعا أهل الخندق وكفاهم ذلك الطعام كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مبحث المعجزات وجاءت ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بحفنة من تمر لابيها وخالها ابن رواحة رضي الله عنهما ليتغديا به فقال لها صلى الله عليه وسلم هاتيه فصبته في كفيه فما ملأهما ثم أمر بثوب فبسط له ثم قال لانسان اصرخ في أهل الخندق أن هلم الى الغداء فاجتمعوا عليه فجعلوا يأكلون وجعل التمر يزيد حتى صدروا عنه وانه ليسقط من أطراف الثوب وأقاموا في حفر الخندق ستة أيام وقيل عشرين يوما وقيل أربعة وعشرين وقيل شهرا ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفره أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع السيول بين الجرف والغابة هم ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ونزل عيينة بن حصن مع غطفان ومن تبعهم من أهل نجد الى جنب أحد وكانوا عشرة آلاف كما تقدم وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف فجعلوا ظهورهم الى سلع وهو جبل معروف بالمدينة فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وكان لواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة رضي الله عنه ولواء الانصار بيد سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم في تلك المدة يبعث سلمة بن أسلم رضي الله عنه في مائتي رجل وزيد بن حارثة رضي الله عنه في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير خوفا على الذراري من بني قريظة وخرج عدو الله حيي بن أخطب حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم وكان قد صالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاقده فأغلق كعب دونه باب حصنه وأبى أن يفتح له فقال له حيي ويحك يا كعب افتح لي أكلمك فقال له اذهب عني انك امرؤ مشؤم واني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه فاني لم أر منه الا وفاء وصدقا فنسبه حيي الى البخل وقال له والله ما أغلقت دوني الا تخوفا على جشيشتك ان آكل معك منها والجشيشة بالجيم والشين المعجمة بطحن غليظا ويقال الدشيش بالدال ولم يزل به حتى فتح له فقال ويلك يا كعب اني قد جئتك بعز الدهر جئتك بقريش حتى أنزلتهم بمجتمع السيول ومن دون منزل قريش غطفان وقد عاهدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه فقال كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد أهراق ماءه يرعد ويبرق وليس فيه شئ ويحك يا حيي دعني وما أنا عليه فاني لم أر من محمد الا صدقا ووفاء ولم يزل به يفتله في الذروة والغارب حتى نقض عهده وبرئ مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه حيي عهدا على انه ان رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا ان أدخل معك في حصنك يصيبني ما أصابك ثم أرسل حيي بن أخطب الى قريش أن يأتيه منهم ألف رجل والى غطفان أن يأتيه منهم ألف ليغيروا على المدينة وجاء الخبر بذلك الى رسول الله صلى الله عليه

هذا لو أقام بالمدينة حتى يرد ثم نزوج ثم دنا الرجل فقال انظر فنظرت فاذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت هذا أمير المؤمنين فقام عثمان رضي الله عنه فاخرج رأسه من الباب فاذا الفتى السموم فاعاد رأسه حتى حاذاه قال ما أخرجك هذه الساعة قال بكران من ابل الصدقة تخلفا وقد مضى بابل الصدقة فاردت أن ألحقهما بالحمى وخشيت أن يضيعا فيسألني الله عنهما فقال عثمان رضي

وسلم فعظم البلاء وصار الخوف على النساء والذرارى أشد من الخوف على أهل الخندق ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى قريظة نقضوا العهد قال من يأتى بنى قريظة فيأتينى بخبرهم قال الزبير رضى الله عنه فقلت أنا يا رسول الله فانطلقت اليهم فلما رجعت اليه جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبويه فى الفداء أى قال فداك أبى وأمى وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله ابن رواحة وخوات بن جبير رضى الله عنهم ليعرفوا الخبر فقال انطلقوا فانظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فان كان حقا فالحنوا الى لحنا أعرفه ولا تفتوا فى أعضاد الناس اى تكلموا الى بكلام فيه اشارة وتلويح ولا تأتوا بكلام صريح لئلا يفهمه كل الناس خوفا على الناس أن يقع لهم تثبيط وأصل اللحن العدول بالكلام عن الوجه المعروف عند الناس الى وجه لا يعرفه الا صاحبه وان كانوا على الوفاء فيما بيننا فاجهروا به للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغه عنهم حتى ان بعضهم كلم بنى قريظة فى شأن عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا من رسول الله وتبرؤا من عقده وعهده وقال بعضهم لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد ثم أقبل السعدان ومن معهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحنوا له كما أمرهم وقالوا عضل والقارة كغدرهما بأصحاب الرجيع أى غدروا كغدرهما بأصحاب الرجيع فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين ولا منافاة بين ارسال هؤلاء وارسال الزبير رضى الله عنه لاحتمال انهم أرسلوا دفعة أو بعد ارساله وخص هؤلاء القوم بالارسال لانهم حلفاؤهم فيحتمل أن يرجعوا الى العهد بعد نقضه حياء من حلفائهم فغلبت عليهم الشقوة فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف فأتاهم عدوهم من فوقهم أى من أعلى الوادى من قبل المشرق فانه نزل به غطفان ومن أسفل منهم أى من أسفل الوادى من قبل المغرب فانه نزل به قريش قال ابن عباس رضى الله عنهما اذ جاؤكم من فوقكم عيينة بن حصن ومن معه ومن أسفل منكم أبو سفيان بن حرب ومن معه واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا أى الظنون المختلفة بالنصر واليأس وظهر النفاق من بعض المنافقين كما قال تعالى واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قال ذلك معتب بن قشير وكان منافقا قال كان محمد يرى أن نأكل من كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب الى الغائط وقيل ان قائل ذلك عبد الله بن أبى ابن سلول وقال رجال من المنافقين يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا الى منازلكم بالمدينة فقالوا يا رسول الله ان بيوتنا عورة من العدو أى غير حصينة فأذن لنا نرجع الى ديارنا فانها خارج المدينة قال تعالى وما هى بعورة ان يريدون الا فرارا ثم أقبل نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى يريد قتل النبى صلى الله عليه وسلم فى زعمه على فرس له ليسوس الخندق فوقع فى الخندق فاندقت عنقه فقتله الله وقيل رماه المسلمون بالحجارة ثم نزل اليه على رضى الله عنه فقتله وعظم ذلك على المشركين فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نعطيكم الدية أى وأذنوا لنا فى دفنه وفى رواية انهم أعطوا فى جسده عشرة آلاف على أن يدفع اليهم ليدفنوه فرد اليهم النبى صلى الله عليه وسلم انه خبيث لونه كافر الحمار بالله ورسوله وخبيث الدية فلعنه الله ولعن ديته ولا نمنعكم أن تدفنوه ولا أرب لنا فى ديته وأقام عليه الصلاة والسلام على الخندق وعدوهم يحاصرهم ولم يكن بينهم قتال الا انهم لا يدعون الطلائع بالليل يطمعون فى الغارة ووقع بينهم مراماة بالنبل ولما نظر المشركون الى الخندق قالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيد بها وصار المشركون يتناوبون فيغدو أبو سفيان وأصحابه يوما ويغدو خالد بن الوليد يوما ويغدو عمرو بن العاص يوما ويغدو هبيرة بن وهب يوما ويغدو عكرمة بن أبى جهل يوما ويغدو ضرار بن الخطاب يوما فلا يزالون يجيلون خيلهم ويفترقون مرة ويجتمعون أخرى ويناوشون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أى يقربون منهم ويقدمون رجالهم وكان النبى صلى الله عليه وسلم يبشر المسلمين ويثبتهم ويقول لهم أبشروا بعون الله ونصره انى لارجو أن أطوف بالبيت العتيق وآخذ المفتاح وليهلكن كسرى وقيصر ولتنفقن أموالهما فى سبيل الله يقول ذلك حين يرى ما بالمسلمين من الكرب ثم انه صلى الله عليه وسلم أراد أن يعطى عيينة بن

الله عنه يا أمير المؤمنين لم الى الماء والظل ونكفيك قال عد الى ظلك فقال عند نا من يكفيك فقال عد الى ظلك ومضى فقال عثمان رضى الله عنه من أحب أن ينظر الى القوى الامين فلينظر الى هذا أخرجه الشافعى فى مسنده (ولما) جهز الجيوش لفتح العراق جعل الامير عليهم سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم فلما فتحت القادسية كتب سعد بن أبى وقاص الى عمر رضى الله عنه بالفتح وبعدة

حصن ومن معه ثلث ثمار المدينة على أن يرجعوا فنعه السعدان رضى الله عنهما وقالا كنا نحن وهم على الشرك لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة الا بقرى أو بيع أفحين أكرمنا الله بالاسلام وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا مالنا بهذا من حاجة والله مانعطيهم الا السيف حتى يحكم الله فقال صلى الله عليه وسلم أنتما وذاك وفى رواية أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث الى عيينة بن حصن الفزارى والى الحرث بن عوف المزنى فى ان يقطعهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه تخفيفا من أبى سفيان والتقيا مع النبى صلى الله عليه وسلم فوافقاه على ذلك بعد أن طلبا النصف فأبى عليهما الا الثلث فرضيا بذلك وأراد أن يكتب بذلك صحيفة وأحضر الدواة ليكتب عثمان رضى الله عنه فقيل أمره النبى صلى الله عليه وسلم فكتب ثم استشار سعدا وقيل قبل أن يكتب بعث النبى صلى الله عليه وسلم الى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة رضى الله عنهما واستشارهما فى ذلك فقالا يارسول الله أمر تحبه فتصنعه أم شئ أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شئ تصنعه لنا وفى رواية فان كان أمرا من السماء فامض له وان كان أمرا لم تؤمر به ولك فيه هوى فسمعا وطاعة وان كان انما هو الرأى مالهم عندنا الا السيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرنى الله ماشاورتكما والله ما أصنع ذلك الا انى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت أن أكسر شوكتهم الى أمر ما فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم يعنى غطفان على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة الا قرى أو بيعا وان كانوا ليأكلون العلهز فى الجاهلية من الجهد فحين أكرمنا الله بالاسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نقطعهم أموالنا وفى رواية نعطى الدنيئة مالنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت وذاك فأخذ سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتابة وهذا يوافق القول بانها كتبت وقيل انه منع من كتابتها وجاء فى رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال له شق الكتاب فشقه سعد وقال لعيينة والحرث ارجعوا بيننا وبينكم السيف رافعا صوته وروى البزار والطبرانى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال أتى الحرث يعنى ابن عوف الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد ناصفنا ثمر المدينة والا ملأناها عليك خيلا ورجالا فقال حتى أستأمر السعود سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وسعد بن الربيع وسعد بن خيثمة وسعد بن مسعود وقيل انذكر سعد بن الربيع وهم لانه استشهد يوم أحد فكلمهم النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا لا والله ما أعطينا الدنيئة فى أنفسنا فى الجاهلية فكيف وقد جاء الله بالاسلام فاخبر الحرث فقال غدرت يامحمد ثم ان جماعة من قريش اقتحموا الخندق من ناحية ضيقة وهم على خيولهم وكان منهم عمرو بن عبد ود العامرى وهو ابن تسعين سنة وكان من الشجعان المشهورين ومنهم عكرمة بن أبى جهل وهبيرة بن أبى وهب المخزوميان وضرار بن الخطاب أخو عمر رضى الله عنه وقد أسلم ضرار وعكرمة رضى الله عنهما وأما هبيرة فمات على كفره فلما صاروا بالسبخة بين الخندق وسلع طلب عمرو بن عبد ود المبارزة وقال من يبارز فقام على رضى الله عنه وقال أناله يانبى الله فقال صلى الله عليه وسلم اجلس انه عمرو ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخ المسلمين ويقول أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم يدخلها أفلا تبرزون لى رجلا فقام على رضى الله عنه فقال أنا يارسول الله فقال اجلس انه عمرو فقال وان كان عمرا فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه سيفه ذا الفقار وألبسه درعه الحديد وعممه بعمامته وقال اللهم أعنه عليه اللهم هذا أخى وابن عمى فلا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين وفى رواية أنه صلى الله عليه وسلم رفع عمامته الى السماء وقال الهى أخذت عبيدة منى يوم بدر وحمزة يوم أحد وهذا على أخى وابن عمى فلا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين فمشى اليه على رضى الله عنه فقال ياعمرو انك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش الى احدى خلتين أى خصلتين الا قبلتها قال له أجل أى نعم قال على رضى الله عنه فانى أدعوك الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام فقال لا حاجة لى بذلك قال له على فانى أدعوك الى البراز وفى رواية انك كنت تقول لا يدعونى أحد الى واحدة من ثلاث الا قبلتها قال أجل قال على فانى

من قتلوا وبعدة من أصيب من المسلمين وأرسل ذلك مع سعد بن عميلة الفزارى وكان عمر رضى الله عنه يسال الركبان من حين يصبح الى انتصاف النهار عن أهل القادسية ثم يرجع الى أهله ومنزله فلما لقى هذا البشير المرسل سأله من أين فاخبره قال ياعبد الله حدثنى قال هزم الله المشركين وعمر رضى الله عنه يخب معه على رجله يسأله والبشير راكب على ناقته يسير بسرعة وهو لا يعرفه حتى

أدعوك أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وتسلم لرب العالمين فقال يا ابن أخي أخر عني هذه قال وأخرى ترجع بلادك فان يك صادقا كنت أسعد الناس به وان يك كاذبا كان الذي تريد قال هذا ما لا يتحدث به نساء قريش أبدا كيف وقد قدرت على استيفاء ما نذرت أي لانه نذر لما أفلت هاربا يوم بدر وقد جرح أن لا يمس رأسه دهن حتى يقتل محمدا قال فالثالثة قال وما هي قال البراز فضحك عمرو وقال ان هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحدا من العرب يروعني بها وفي رواية يروم مني هذه ثم قال له عمرو من أنت لان عليا رضي الله عنه كان مقنعا بالحديد فما عرفه عمرو فأجابه وقال علي قال ابن عبد مناف فقال أنا علي بن أبي طالب فقال غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أشد منك فاني أكره أن أهريق دمك وان أباك كان صديقا لي وفي لفظ كنت نديما له فقال له علي رضي الله عنه أنا والله ما أكره أن أهريق دمك وفي رواية قال عمرو يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك فقال علي لكني والله أحب أن أقتلك فحمي عمرو عند ذلك أي أخذته الحمية وفي رواية فغضب فقال له علي كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معي فاقتحم عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه كيلا يفر وأقبل على علي رضي الله عنه ودنا أحدهما من الآخر وثارت بينهما غبرة فاستقبله علي رضي الله عنه بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه فضربه علي على حبل عاتقه وهو موضع الرداء من العنق وقيل طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه فسقط وكبر المسلمون فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم التكبير عرف ان عليا رضي الله عنه قد قتل عمرا ثم أقبل علي رضي الله عنه نحو النبي صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه هلا سلبته درعه فانه ليس في العرب درع خير منها فقال انه حين ضربته استقبلني بسوأته فاستحييت قال الحاكم سمعت الاصم قال سمعت العطاردي قال سمعت الحافظ يحيى بن آدم يقول ما شبهت قتل علي عمرا الا بقوله تعالى فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وفي تفسير الفخر الرازي انه صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه بعد قتله عمرو بن عبد ود كيف وجدت نفسك معه قال وجدت أن لو كان أهل المدينة في جانب وأنا في جانب لقدرت عليهم * وذكر ابن اسحق ان المشركين بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشترون جيفة عمرو بعشرة آلاف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لكم ولا نأكل ثمن الموتى وحين قتل عمرو رجع من اقتحم الخندق من المشركين بخيلهم هاربين فتبعهم الزبير ابن العوام رضي الله عنه وضرب نوفل بن عبد الله بالسيف فشقه نصفين ووصلت الضربة الى كاهل فرسه فقيل له يا أبا عبد الله ما رأينا مثل سيفك فقال والله ما هو السيف ولكنها الساعد وقيل ان الذي قتل نوفلا علي رضي الله عنه وفي رواية ان رجلا من المشركين قال يوم الخندق من يبارز فقال صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت أمه صفية واحدي يا رسول الله فقال قم يا زبير فقام فقتله ثم جاء بسلبه الى النبي صلى الله عليه وسلم فنفله اياه وفي رواية ان نوفلا لما تورط في الخندق رماه الناس بالحجارة فجعل يقول قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب فنزل اليه علي رضي الله عنه فقتله ويمكن أن عليا والزبير رضي الله عنهما اشتركا في قتله ورجعت الخيول مهزومة وألقى عكرمة رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو فعيره حسان رضي الله عنه بأبيات فلما رجعوا الى أبي سفيان قال هذا يوم لم يكن لنا فيه شيء فارجعوا وجاء في رواية ان الزبير رضي الله عنه حمل على هبيرة بن وهب وهو زوج أم هانئ أخت علي رضي الله عنهما فضرب ثفر فرسه فقطعه وسقط درع كان محقبها الفرس أي يجعلها على مؤخر ظهرها فأخذها الزبير رضي الله عنه وفي رواية ثم حمل ضرار بن الخطاب أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهبيرة بن وهب على علي رضي الله عنه فأقبل علي رضي الله عنه عليهما فأما ضرار فولى هاربا ولم يثبت وأما هبيرة فثبت أولا ثم ألقى درعه وهرب وكان فارس قريش وشاعرها وفي رواية ان ضرار بن الخطاب لما هرب تبعه أخوه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وصار يشتد في اثره فكر ضرار راجعا وحمل على عمر بالرمح ليطعنه ثم أمسك وقال يا عمر هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك ويد لي عندك غير مجزي بها فاحفظها ووقع له مع عمر رضي الله عنه نظير ذلك في أحد فانه التقى معه فضرب عمر بالقناة

دخل المدينة واذا الناس يسلمون عليه بامرة المؤمنين فقال البشير هلا أخبرتني رحمك الله انك أمير المؤمنين قال لا بأس عليك يا أخي (وأخرج) ابن السمال عن أبي جعفر قال بينما عمر رضي الله عنه يمشي في طريق من طرق المدينة اذ لقيه علي والحسن والحسين رضي الله عنهم فسلم عليه علي رضي الله عنه وأخذ بيده واكتنفهما الحسن والحسين عن يمينهما وشمالهما فعرض لعمر

ثم رفعها عنه وقال ما كنت لاقتلك يا ابن الخطاب ثم منّ الله على ضرار بالاسلام فاسلم وحسن اسلامه
رضي الله عنه وكان شعار المسلمين يوم الخندق حم لا ينصرون ولعل المراد خصوص الانصار فلا يخالف
رواية ان شعار المسلمين يا خيل الله ورمى سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم قطع أكحله وهو عرق في الذراع
تتشعب منه عروق البدن ويقال لهذا العرق عرق الحياة وكان الذي رمى سعدا هو ابن العرقة العامري
والعرقة بفتح العين وكسر الراء وهي أمه واسمها قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم وتكنى أم فاطمة سميت
العرقة لطيب ريحها وهي جدة خديجة رضي الله عنها أم أبيها وابن العرقة هذا اسمه حبان بن عبد مناف
ابن منقذ بن هصيص بن عامر بن لؤي وقيل العرقة انما هي أم عبد مناف أبي حبان ولما رمى سعدا قال
خذها وأنا ابن العرقة فقال سعد رضي الله عنه عرق الله وجهك في النار وقيل ان الذي قال ذلك هو النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد رضي الله عنه اللهم ان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم يعني قريشا فاجعلها
لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني وفي رواية حتى تشفيني من بني قريظة وفي لفظ اللهم ان كنت أبقيت
من حرب قريش شيأ فابقني لها فانه لا قوم أحب الي أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه
وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وقد استجاب
الله له فلم يقم لقريش حرب بعدها ومامات حتى حكم في بني قريظة كما يأتي وقيل ان الذي أصاب سعدا
أبو أسامة الجشمي حليف بني مخزوم وقيل خفاجة بن عاصم بن حبان والله أعلم واستمرت المقاتلة في يوم من
أيام الخندق من سائر جوانب الخندق الى الليل ولم يصل صلى الله عليه وسلم ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر
والعصر والمغرب والعشاء وصار المسلمون يقولون ما صلينا فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أنا فلما
انكشف القتال جاء صلى الله عليه وسلم الى قبته فامر بلالا فاذن وأقام للظهر فصلى ثم أقام لكل صلاة وصلى
هو وأصحابه وجاء في رواية جابر رضي الله عنه أنه أذن وأقام لكل صلاة وجمع النووي بانهما قضيتان جرتا
في أيام الخندق فانها كانت خمسة عشر يوما وفي رواية ان التي فاتت صلاة العصر ويحمل ذلك على انه وقع في
بعض تلك الايام وجاء في بعض الروايات شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر حتى غابت الشمس ملأ الله
أجوافهم وفي لفظ بطونهم وقبورهم نارا ثم ان طائفة من الانصار خرجوا ليدفنوا ميتا بالمدينة منهم فصادفوا
عشرين بعيرا محملة شعيرا وتمرا وتبنا حمل ذلك حيي بن أخطب مددا وتقوية لقريش فاخذها الانصار وأتوا
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوسع بها أهل الخندق ولما بلغ أبا سفيان ذلك قال ان حييا المشؤم
ثم ان خالد بن الوليد كر بطائفة من المشركين يطلب غرة المسلمين أي غفلتهم فصادف أسيد بن حضير رضي
الله عنه على الخندق في مائتين من المسلمين فناوشهم أي تقاربوا منهم ساعة وكان في أولئك المشركين وحشي
قاتل حمزة رضي الله عنه فزرق وحشي الطفيل بن النعمان رضي الله عنه فقتله ثم بعد ذلك صار وايرسلون
الطلائع بالليل يطمعون في الاغارة فاقام المسلمون في شدة من الخوف وفي الصحيحين دعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم
وزلزلهم وقام صلى الله عليه وسلم في الناس فقال يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فان
لقيتم العدو فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيف أي السبب الموصل الى الجنة عند الضرب بالسيف
في سبيل الله ودعا صلى الله عليه وسلم بقوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي
فانك ترى ما نزل بي وبأصحابي وقال له المسلمون هل من شئ نقوله فقد بلغت الروح الحناجر قال نعم قولوا اللهم
استر عوراتنا وآمن روعاتنا فاتاه جبريل فبشره ان الله يرسل عليهم ريحا وجنودا وأعلم صلى الله عليه وسلم
أصحابه وصار يرفع يديه ويقول شكرا شكرا وجاء ان دعاءه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين ويوم
الثلاثاء ويوم الاربعاء واستجيب له ذلك اليوم الذي هو يوم الاربعاء بين الظهر والعصر فعرف السرور
في وجهه أي ومن ثم كان جابر يدعو في مهماته في ذلك اليوم في ذلك الوقت ويتحرى ذلك اليوم وأما الاحاديث
التي جاءت بذم يوم الاربعاء فمحمولة على آخر أربعاء في الشهر فان في ذلك اليوم ولد فرعون وادعى الربوبية

رضي الله عنه من البكاء
ما كان يعرض له فقال له علي
رضي الله عنه ما يبكيك
يا أمير المؤمنين قال عمر رضي
الله عنه ومن أحق مني
بالبكاء يا علي وقد وليت أمر
هذه الامة أحكم فيها ولا
أدري أمسيء أنا أم محسن
فقال له علي والله انك
لتعدل في كذا وتعدل في
كذا فما منعه ذلك من البكاء
ثم تكلم الحسن بما شاء الله
فذكر من ولايته وعدله
فلم يمنعه ذلك فتكلم الحسين
مثل كلام الحسن فانقطع

وأهلكه الله فيه وهو اليوم الذى أصيب فيه أيوب عليه السلام وكان النبى صلى الله عليه وسلم يختلف الى ثلمة فى الخندق والثلمة الخلل فى الحائط فعن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يذهب الى تلك الثلمة فاذا أخذه البرد جاءنى فادفأته فى حضنى فاذا دفئ خرج الى تلك الثلمة و يقول ما أخشى أن يؤتى المسلمون الا منها فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حضنى صار يقول ليت رجلا صالحا يحرس هذه الثلمة الليلة فسمع صوت السلاح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا فقال سعد بن أبى وقاص أتيت أحرسك يارسول الله فقال عليك هذه الثلمة فاحرسها ونام صلى الله عليه وسلم حتى غط ثم قام فى قبته يصلى لانه كان صلى الله عليه وسلم اذا أحزنه أمر فزع الى الصلاة ثم خرج صلى الله عليه وسلم من قبته فقال هذه خيل المشركين تطيف بالخندق ثم نادى ياعباد بن بشر قال لبيك قال هل معك أحد قال نعم أنا فى نفر حول قبتك يارسول الله وكان عباد ألزم الناس لقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرسها فبعثه صلى الله عليه وسلم يطيف بالخندق وأعلمه بان خيل المشركين تطيف بهم ثم قال اللهم ادفع عنا شرهم وانصرنا عليهم لا يغلبهم غيرك واذا أبو سفيان فى خيل يطيفون بمضيق من الخندق فرماهم المسلمون حتى رجعوا * ثم ان نعيم بن مسعود الاشجعى رضى الله عنه أسلم وكتم اسلامه وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انى أسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت وفى رواية ان نعيما لما سارت الاحزاب سار مع قومه غطفان وهو على دينهم فقذف الله فى قلبه الاسلام فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء فوجده يصلى فلما رآه جلس ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم ما جاء بك يانعيم قال جئت أصدقك وأشهد أن ما جئت به حق فاسلم ثم قال يارسول الله ان قومى لم يعلموا باسلامى فمرنى بما شئت فقال له صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل واحد فخذل عنا فان الحرب خدعة بفتح الخاء وسكون الدال وبضم الخاء أيضا مع سكون الدال وضمها أى ينقضى أمرها بالمخادعة ففيه التحذير من مكر الكافرين وانه لا ينبغى التهاون بهم والندب الى خداع الكفار وان من لم يتيقظ لذلك لم يامن أن ينعكس الامر عليه وفى الحديث أيضا الاشارة الى استعمال الرأى فى الحرب بل الاحتياج اليه آكد من الشجاعة فلذا قصر الحرب على الخدعة فى قوله فان الحرب خدعة فهو كقوله الحج عرفة ثم قال نعيم يارسول الله انى أقول أى ما يقتضيه الحال وان كان خلاف الواقع فقال قل ما بدالك فانت فى حل فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة وكان لهم نديما قال فلما رأونى رحبوا بى وعرضوا على الطعام والشراب فقلت انى لم آت لشئ من هذا انما جئتكم تخوفا عليكم لاشير عليكم برأيى يابنى قريظة قد عرفتم ودى اياكم وخاصة ما بينى و بينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال لهم اكتموا عنى قالوا نفعل قال لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع ولبنى النضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم وبه نساؤكم وأموالكم وأبناؤكم لا تقدرون على أن ترحلوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد وأصحابه وقد ظاهرتموهم أى عاونتموهم عليهم وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كانتم فان رأوا نهزة أى فرصة أصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم و بين بلادكم والرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم سبعين رجلا يكونون بايديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى يناجزوه أى يقاتلوه قالوا لقد أشرت بالرأى والنصح ودعوا له وشكروا وقالوا نحن فاعلون قال ولكن اكتموا على قالوا نفعل ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابى سفيان ومن معه من أشراف قريش قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد وانه قد بلغنى أمر قد رأيت ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموا على قالوا نفعل قال تعلمون أن معشر يهود بنى قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم و بين محمد من نقض عهده وقد أرسلوا اليه وأنا عندهم انا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك انا نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم أى سبعين رجلا فنعطيك اياهم فتضرب أعناقهم وترد جناحنا الذى كسرت الى ديارنا يعنون بنى النضير ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستاصلهم فارسل اليهم نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم

بكاؤه ثم قال أتشهدان لى بذلك يعنى العدل فقال على رضى الله عنه لهما اشهدا وأنا معكما شهيد (وكان) رضى الله عنه شديد الخوف من الله قوى الرجاء حتى كان خوفه ورجاؤه كجناحى طائر فى الاعتدال فكان يقول لو نادى مناد من السماء لا يدخل النار الا رجل واحد لخفت أن أكون أنا ولو نادى مناد لا يدخل الجنة الا رجل واحد لرجوت أن أكون أنا (وروى) أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فى المسجد زهاء خمسين رجلا من المهاجرين فقالوا أما ترون الى زهد هذا الرجل والى حليته وقد فتح الله على يديه ديار كسرى وقيصر وطرفى المشرق والمغرب والعجم يأتونه فيرون عليه هذه الجبة وقد رقعها اثنتى عشرة رقعة فلو سألتموه معاشر أصحاب محمد صلى الله عليه

فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا واحذروهم على أسراركم ولكن اكتموا عني ولا تذكروا هذا الامر فقالوا لا نذكره ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان انكم أهلي وعشيرتي وأحب الناس لي ولا أراكم تتهموني قالوا صدقت ما أنت عندنا بمتهم قال فاكتموا علي قالوا نعم ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى نناجز أي نقاتل محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فقالوا لهم ان اليوم أي الذي يلي هذه الليلة يوم السبت وقد علمتم ما نال منا من تعدى في السبت ومع ذلك فلا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا سبعين رجلا فقالوا صدق والله نعيم وفي رواية أن بني قريظة أرسلت لقريش قبل مجيء رسل قريش اليهم رسولا يقول لهم ما هذا التواني والرأي أن تتواعدوا على يوم يكونون معكم فيه لكنكم لا تخرجوا حتى ترسلوا اليهم رهنا سبعين رجلا من أشرافكم فانهم يخافون ان أصابكم ما تكرهون رجعتم وتركتموهم فلم ترد لهم قريش جوابا وجاءهم نعيم وقال لهم كنت عند أبي سفيان وقد جاءه رسولكم فقال لو طلبوا مني عناقا ما دفعتها لهم فاختلفت كلمتهم وجاء حيي ابن أخطب لبني قريظة فلم يجد منهم موافقة وقالوا لا نقاتل معهم حتى يدفعوا الينا سبعين رجلا من قريش وغطفان رهنا عندنا وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح أي ريح الصبا في ليال شديدة البرد فاكفأت قدورهم وطرحت آنيتهم وقلعت بيوتهم وقطعت أطنابهم وصارت الريح تلقي الرجال على أمتعتهم وفي رواية دفنت الرجال وأطفأت نيرانهم وأرسل الله عليهم الملائكة زلزلتهم قال الله تعالى فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ولم تقاتل الملائكة بل نفثت في روعهم الرعب قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وفي لفظ نصر الله المسلمين بالريح وكانت ريحا صفراء ملأت عيونهم ودامت عليهم واشتدت عليهم في ليلة باردة مع أصوات مثل الصواعق ولم تجاوز عسكر المشركين أي لم تجاوز شدة ذلك عسكر المشركين وكانت تلك الليلة شديدة الظلمة بحيث لا يرى الشخص أصبعه اذا مدها فجعل المنافقون يستأذنون ويقولون ان بيوتنا عورة أي من العدو لانها خارج المدينة وحيطانها قصيرة يخشى عليها السرقة فأذن لنا نرجع الى نسائنا وأبنائنا وذرارينا فيأذن صلى الله عليه وسلم لهم قيل ولم يبق معه تلك الليلة الا ثلثمائة وكان رجوع المنافقين فرارا كما قال الله تعالى يقولون ان بيوتنا عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا وأما المؤمنون الصادقون فمن رجع منهم انما رجع لأنه لم البرد والجوع الشديدين أو الخوف الحقيقي على بيوتهم أو لفهمهم عدم التغليظ في ذهاب من يذهب فكشفوا حال بيوتهم ثم رجعوا ثم قال صلى الله عليه وسلم من يأتينا بخبر القوم فقال الزبير أنا يا رسول الله قال ذلك ثلاثا والزبير رضي الله عنه يجيبه بما ذكر فقال صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري أي ناصر وان حواري الزبير وهذا قاله صلى الله عليه وسلم له أيضا عند ارساله لكشف خبر بني قريظة هل نقضوا العهد أم لا كما تقدم وسيأتي قوله له ذلك أيضا في خيبر وجاء في حديث آخر حواري من الرجال الزبير ومن النساء عائشة رضي الله عنهما وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال أي رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع وأسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة وفي لفظ يكون معي يوم القيامة وفي لفظ يكون رفيق ابراهيم يوم القيامة قال ذلك ثلاثا فما قام أحد من شدة الجوع والبرد فدعا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وأرسله كما يأتي ولم يرسل الزبير رضي الله عنه مع سؤاله ذلك ثلاثا لان له حدة وشدة لا علاج معها نفسه أن يحدث بالقوم شيأ عما نهى عنه حذيفة فيما يأتي فاختار ارسال حذيفة لذلك هذا هو التحقيق عند أئمة السير وهو ان المرسل انما هو حذيفة رضي الله عنه ونسب بعضهم الارسال الى الزبير رضي الله عنه وهو اشتباه وانما ارسال الزبير رضي الله عنه في كشف خبر بني قريظة لما نقضوا العهد كما تقدم قال حذيفة رضي الله عنه لما دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أجد بدا من القيام حيث نوه باسمي فجئته صلى الله عليه وسلم فقال تسمع كلامي منذ الليلة ولا تقوم فقلت والذي بعثك بالحق ان قدرت أي ما قدرت على ما بي من الجوع والخوف والبرد فقال اذهب حفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك

وسلم أن يغير هذه الجبة بشيء لين فيهاب منظره ويغدى عليه بجفنة من الطعام ويراح بجفنة يأكلها من حضره من المهاجرين والانصار فقال القوم بأجمعهم ليس هذا القول الا لعلي بن أبي طالب فانه صهره لكونه زوج ابنته أم كلثوم رضي الله عنها فكلموا عليا رضي الله عنه فقال لست بفاعل ذلك ولكن عليكم بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين يستخبرن دليه قال الاحنف بن قيس فسألوا عائشة وحفصة رضي الله عنهما وكانتا مجتمعتين فقالت عائشة رضي الله عنها أسأله ذلك وقالت حفصة ما أراه يفعل وسيتبين لك ذلك فدخلتا عليه فقربهما وأدناهما فقالت عائشة رضي الله عنها أتأذن لي أن أكلمك قال تكلمي يا أم المؤمنين فقالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد

حتى ترجع الينا قال حذيفة رضي الله عنه فلم يكن لي بد من الذهاب فقمت مستبشرا بدعائه فما شق علي
شيء مما كان وقال يا حذيفة اذهب فادخل في القوم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم لما كرر قوله
ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة ولم يجبه أحد قال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله حذيفة
ابن اليمان قال حذيفة رضي الله عنه فمر علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما علي الا مرط لامرأتي
ما يجاوز ركبتي وأنا جاث على ركبتي فقال من هذا فقلت حذيفة فقال صلى الله عليه وسلم حذيفة قال
حذيفة فتقاصرت بي الارض فقلت بلى يا رسول الله قال قم فقمت فقال انه كان في القوم خبر فائتني
بخبرهم فقلت والذي بعثك بالحق ما قمت الا حياء منك من البرد قال لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع
الي فقلت والله ما بي أن أقتل ولكن أخشى أن أوسر فقال انك لن تؤسر اللهم احفظه من بين يديه ومن
خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته قال حذيفة فمشيت كأني في حمام وفي رواية فاذهب
الله عني القر أي البرد والفزع أي الخوف وفي رواية فوالله ما خلق الله تعالى في جوفي قرا ولا فزعا الا خرج
وما وجدت منه شيأ وخرجت كأنما أمشي في حمام فلما وليت دعاني فقال لي لا تحدث شيأ وفي رواية لا ترم
بسهم ولا بحجر ولا تضرب بسيف حتى تأتيني فأتيتهم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا
ولا نارا ولا بناء فدخلت في غمارهم فسمعت أبا سفيان يقول يا معشر قريش ليعرف كل امرئ جليسه
واحذروا الجواسيس والعيون فأخذت بيد جليس لي على يميني وقلت من أنت قال معاوية بن أبي سفيان
وقبضت بيدي على من على يساري وقلت من أنت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية أن يفطن بي فقال
أبو سفيان يا معشر قريش والله انكم لستم بدار مقام وقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة
وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ووثب على جمله فما حل عقاله الا
وهو قائم أي فانه لما ركبه كان معقولا فلما ضربه وثب على ثلاث قوائم ثم حل عقاله فقال له عكرمة بن أبي
جهل انك رأس القوم وقائدهم تذهب وتترك الناس فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله وأخذ بزمامه وجعل
يقوده ويقول ارحلوا فجعل الناس يرحلون وهو قائم ثم قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه يا أبا عبد الله تقيم
في جريدة من الخيل بازاء محمد وأصحابه فانا لا نأمن من أن نطلب فقال عمرو وأنا أقيم وقال لخالد بن الوليد ما ترى
يا أبا سليمان فقال أنا أيضا أقيم فأقام عمرو وخالد في مائتي فارس وسار جميع العسكر قال حذيفة رضي الله عنه
ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الي حين بعثني أن لا أحدث شيأ لقتلته يعني أبا سفيان بسهم وسمعت
غطفان بما فعلت قريش فاشتدوا راجعين الى بلادهم وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه فدخلت العسكر
فاذا الناس في عسكرهم يقولون الرحيل الرحيل لا مقام لكم والريح تقلبهم على بعض أمتعتهم وتضربهم
بالحجارة لا تجاوز عسكرهم فلما انتصفت الطريق اذا أنا بنحو عشرين فارسا معتمين فخرج الي منهم فارسان
وقالا أخبر صاحبك ان الله كفاه القوم قال حذيفة رضي الله عنه ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجدته قائما يصلي فأخبرته الخبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه وفي رواية فضحك حتى بدت ثناياه في سواد
الليل وعاودني البرد وجعلت أقرقف فأومأ الي رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فدنوت منه فسدل علي من فضل
شملته فنمت ولم أزل نائما حتى الصبح أي طلوع الفجر فلما أصبحت أي دخل وقت صلاة الصبح قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم قم يا نومان أي يا كثير النوم وانما جاءه البرد بعد رجوعه لان النبي صلى الله عليه وسلم
انما قال له لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع الي وقد رجع وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه لما
دخلت بينهم نظرت في ضوء نار توقد واذا رجل أدهم ضخم يقول بيده على النار ويمسح خاصرته وحوله
عصبته قد تفرق عنه الاحزاب وهو يقول الرحيل الرحيل ولم أعرف أبا سفيان قبل ذلك فانتزعت سهما من
كنانتي أبيض الريش لاضعه في كبد القوس لارميه في ضوء النار فذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا تحدثن
شيأ حتى تأتيني فأمسكت ورددت سهمي فلما جلست فيهم أحس أبو سفيان انه قد دخل فيهم من غيرهم فقال
ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه فضربت بيدي على يد الذي عن يميني فقلت من أنت قال معاوية بن أبي

مضى الى جنة ربه ورضوانه
لم يرد الدنيا ولم ترده وكذلك
مضى أبو بكر رضي الله عنه
على أثره وقد فتح الله تعالى
عليك كنوز كسرى
وقيصر وديارهما وحمل
اليك أموالهما وذلك
الطرفان المشرق والمغرب
ونرجو من الله المزيد
ورسل العجم يأتونك ووفود
العرب تغدو اليك وعليك
هذه الجبة قد رقعتها اثنتي
عشرة رقعة فلو غيرتها بثوب
لين يهاب فيه منظرك
ويغدى عليك بجفنة من
طعام ويراح عليك بأخرى
تأكل منها أنت ومن حضرك
من المهاجرين والانصار
فبكى عمر رضي الله عنه عند
ذلك بكاء شديدا ثم قال
سألتك بالله هل تعلمين أن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم شبع من خبز بر عشرة
أيام أو خمسة أو ثلاثة
أو جمع بين عشاء وغداء
حتى لحق بالله قالت لا قال
أنشدك بالله هل تعلمين أن

سفيان ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي فقلت من أنت قال عمرو بن العاص فعلت ذلك خشية أن
يفطن بي فبدرتهم بالمسألة ثم تلبثت فيهم هنيهة فأتيت قريشا أي بقية قريش وبني كنانة وقيسا وقلت
ما أمرني به صلى الله عليه وسلم أي فانه صلى الله عليه وسلم قال له ادخل حتى تدخل بين ظهراني القوم فأت
قريشا فقل يا معشر قريش انما يريد الناس اذا كان غدا أن يقال أين قريش أين قادة الناس أين رؤوس
الناس فيقدموكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ائت بني كنانة فقل اذا كان غدا فيقال أين الرماة
فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ائت قيسا فقل يا معشر قيس انما يريد الناس اذا كان غدا
أن يقال أين أحلاس الخيل أين الفرسان فيقدمونكم فتصلوا القتال فيكون القتل فيكم ثم ذكر بقية
ارتحالهم كما تقدم وفي البخاري من حديث عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم أي
حتى لا يثبتوا للقتال عند اللقاء بل تطيش عقولهم وترعد أقدامهم وقد استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم
فارسل عليهم ريحا وجنودا فهزمهم الله حتى قال طلحة بن خويلد الاسدي أما محمد فقد بدأكم بالسحر
فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال والى ذلك أشار سبحانه وتعالى بقوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها الآية وكذا قوله تعالى ورد الله الذين كفروا
بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وتقدم أن بعض الصحابة رضي الله عنهم
قالوا يا رسول الله هل من شئ نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا
قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فضرب الله وجوه أعدائنا بالريح فهزمهم بالريح وكفى الله المؤمنين القتال
فانصرف الكفار خائبين خائفين حتى ان عمرو بن العاص وخالد بن الوليد أقاما في مائتي فارس في ساقة عسكر
المشركين مخافة الطلب وفي حديث جابر رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أتى مسجد الاحزاب يوم الاثنين
ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء بين الظهر والعصر فوضع رداءه فقام فرفع يديه يدعو عليهم فرأينا البشر في
وجهه ومما دعا به صلى الله عليه وسلم كما تقدم قوله يا صريخ المكروبين يا مجيب المضطرين اكشف همي
وغمي وكربي فانك ترى ما نزل بي وبأصحابي فأتاه جبريل فبشره بان الله تعالى يرسل عليهم ريحا وجنودا فأخبر
أصحابه بذلك ليزول خوفهم ورفع يديه قائلا شكرا شكرا وهبت ريح الصبا ليلا فقلعت الاوتاد وأطفأت
النيران وألقت عليهم الابنية وأكفأت القدور على أفواهها وسفت عليهم التراب ورمتهم بالحصباء
وسمعوا في جوانب معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح فارتحلوا هاربين في ليلتهم وتركوا ما استثقلوه من
متاعهم فغنمه المسلمون وانصرف صلى الله عليه وسلم من غزوة الخندق يوم الاربعاء لسبع بقين من ذي
القعدة وكان قد أقام بالخندق محاصرا خمسة عشر يوما وقيل أربعة وعشرين يوما وقيل شهرا وقال صلى
الله عليه وسلم بعد انصراف الاحزاب لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا وفي رواية الآن نغزوهم ولا
يغزوننا نحن نسير اليهم وقد كان كما أخبر صلى الله عليه وسلم ففي ذلك علم من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم
وفي السيرة الشامية ان أبا سفيان قبل أن يرتحلوا كتب كتابا وأرسله للنبي صلى الله عليه وسلم فيه باسمك اللهم
فاني أحلف باللات والعزى واساف ونائلة وهبل لقد سرت اليك في جمع وأنا أريد أن لا أعود أبدا حتى
أستأصلكم فرأيتك قد كرهت واعتصمت بالخندق وفي رواية قد اعتصمت بمكيدة ما كانت العرب تعرفها
وانما تعرف ظل رماحها وشبا سيوفها وما فعلت هذا الا فرارا من سيوفنا ولقائنا ولك مني يوم كيوم أحد
فارسل له رسول الله صلى الله عليه وسلم جوابه فيه أما بعد أي بعد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى
صخر بن حرب فقد أتاني كتابك وقديما غرك بالله الغرور أما ما ذكرت انك سرت الينا وأنت لا تريد أن تعود
حتى تستأصلنا فذلك أمر يحول الله تعالى بينك وبينه ويجعل لنا العاقبة وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات
والعزى واساف ونائلة وهبل حتى أذكرك ذلك يا سفيه بني غالب انتهى وقد حقق الله قوله صلى الله عليه وسلم
وكسر اللات والعزى وغيرهما من الاصنام وأعز الله الاسلام فاخباره بذلك قبل وقوعه علم من أعلام نبوته

صلى

رسول الله صلى الله عليه
وسلم قرب اليه طعام على
مائدة في ارتفاع شبر من
الارض الا كان يأمر
بالطعام فيوضع على
الارض قالت اللهم نعم ثم
قال انما وجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأمهات
المؤمنين ولكنه على المؤمنين
حق وعلى خاصة ولكن
أتيتماني ترغباني في الدنيا
واني لا علم أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم لبس
جبة من الصوف وربما
حك جلده من خشونتها
أتعلمان أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان
يرقد على عباءة على طاق
واحد وكان مسح في بيتك
يا عائشة يكون بالنهار
بساطا وبالليل فراشا ينام
عليه ويرى أثر الحصير في
جنبه ألا يا حفصة أنت
حدثتني أنك ثنيت له
المسح ليلة فوجد لينها
فرقد عليه فلم يستيقظ
الا باذان بلال فقال يا حفصة

صلى الله عليه وسلم وقد ذكر ابن اسحق انه استشهد من المسلمين يوم الخندق ستة لاغير سعد بن معاذ رضي الله عنه وسيأتي بيان وفاته وأنس بن أوس وعبد الله بن سهل والثلاثة من الاوس ومن الخزرج الطفيل بن النعمان وثعلبة بن غنمة وكعب بن زيد وزاد الحافظ الدمياطي قيس بن زيد بن عامر وعبد الله بن أبي خالد وذكر الحافظ ابن حجر في الكنى أبا سنان بن صيفي بن صخر وقال شهد بدرا واستشهد في الخندق وقتل من المشركين ثلاثة منبه بن عبيد العبدري أصابه سهم فمات منه بمكة ونوفل بن عبد الله المخزومي وعمرو بن عبد ودّ وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قفل من الغزو أو الحج أو العمرة يبدأ فيكبر ثلاث مرات ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وهذا من السجع المحمود وهو ما جاء بانسجام واتفاق بلا قصد والمذموم ما يأتي بتكلف واستكراه والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة بني قريظة)

وهم قوم من اليهود بالمدينة من حلفاء الاوس وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الخندق دخل المدينة في اليوم الذي انصرف فيه لسبع بقين من ذي القعدة هو وأصحابه ووضعوا السلاح وكان قد صلى الظهر ودخل بيت عائشة رضي الله عنها وقيل بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها ودعا بماء فبينما هو صلى الله عليه وسلم يغتسل وقد غسل شق رأسه الشريف وفي رواية بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغسل يرجل رأسه وقد رجل أحد شقيه وفي رواية غسل رأسه واغتسل ودعا بالمجمرة ليتبخر أتاه جبريل عليه السلام معتجرا بعمامة سوداء من استبرق وهو نوع من الديباج رخاها بين كتفيه وفي رواية عليه لامة ولا معارضة لانه يجوز أن الاعتجار بالعمامة على تلك اللامة وهو على بغلة شهباء عليها قطيفة وهي كساء له وبر من ديباج أحمر فقال أو قد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم قال جبريل ما وضعت الملائكة السلاح وفي رواية قال يا رسول الله غفر الله لك أو قد وضعتم السلاح وما رجعنا الآن الا من طلب القوم يعني الاحزاب وقد بلغنا الاسد يعني حمراء الاسد ان الله يأمرك يا محمد بالمسير الى بني قريظة فاني عامد اليهم بمن معي من الملائكة فمزلزل بهم الحصون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في أصحابي جهدا فلو أنظرتهم أياما فقال جبريل انهض اليهم أي بني قريظة فوالله لأدقنهم كدق البيض على الصفا ولادخلن عليهم في حصونهم ثم لاضعضعنها فادبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم وهم طائفة من الانصار وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه قال كأني أنظر الى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم لموكب جبريل حين سار لبني قريظة وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بينما هو عندي اذ دق الباب وفي رواية نادى مناد فارتاع لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أي فزع ووثب وثبة منكرة وخرج فخرجت في أثره فاذا رجل على دابة والنبي صلى الله عليه وسلم متكئ على معرفة الدابة يكلمه فرجعت فلما دخل قلت من ذلك الرجل الذي كنت تكلمه قال ورأيتيه قلت نعم قال بمن شبهتيه قالت بدحية الكلبي قال ذاك جبريل أمرني أن أمضي الى بني قريظة وهذا يؤيد أنه صلى الله عليه وسلم كان عند منصرفه من الخندق في بيت عائشة رضي الله عنها وجاء في رواية عنها فكأني برسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه جبريل وهو أي جبريل ينفض رأسه من الغبار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا وهو بلال رضي الله عنه أن ينادي في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة وفي رواية لا يصلين الظهر وجمع بينهما بأن من الناس من صلى الظهر ومنهم من لم يصلها فقيل للذين لم يصلوا الظهر لا تصلوا الظهر الا في بني قريظة وللذين صلوها لا تصلوا العصر الا في بني قريظة وبعث مناديا يقول يا خيل الله اركبي أي يا فرسان خيل الله ثم سار اليهم وبعث عليا رضي الله عنه على المقدمة ودفع اليه لواءه وكان اللواء على حاله لم يحل عند مرجعهم من الخندق واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه ولبس صلى الله عليه وسلم السلاح والدرع والمغفر والبيضة وأخذ قناته بيده وتقلد القوس وركب فرسه اللحيف بالضم وقيل ركب حمارا وهو اليعفور عريا ويمكن انه

ماذا صنعت ثنيت المهاد حتى ذهب بي النوم الى الصباح مالي وللدنيا وما للدنيا ولي شغلتموني بلين الفراش يا حفصة أما تعلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مغفورا له ولم يزل جائعا ساجدا راكعا باكيا متضرعا آناء الليل والنهار الى أن قبضه الله تعالى الى رحمته ورضوانه لا أكل عمر رضي الله عنه طيبا ولا لبس لينا فله أسوة بصاحبيه ولا جمع بين ادامين الا الملح والزيت ولا أكل لحما الا في كل شهر فخرجنا من عنده فأخبرنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل (وعن) الاحنف بن قيس قال أخرجنا عمر رضي الله عنه في سرية الى العراق ففتح الله علينا العراق وبلاد فارس فأصبنا فيها من بياض فارس وخراسان فحملناه معنا واكتسينا منها فلما قدمنا على عمر رضي الله عنه

ركب في بعض الطريق حماره وفي بعضه فرسه وسار والناس حوله قد لبسوا السلاح وركبوا الخيل وهم ثلاثة آلاف والخيل ستة وثلاثون فرساً ومر بنفر من الانصار وقد لبسوا السلاح فقال هل مر بكم أحد قالوا نعم دحية الكلبي مر على بغلة بيضاء وفي رواية على فرس أبيض عليه اللامة وأمرنا بحمل السلاح وقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم الآن فلبسنا السلاح وصففنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل بعث الى بني قريظة ليزلزل حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما دنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الحصن أي ومعه نفر من المهاجرين والانصار وغرز اللواء عند أصل الحصن سمع من بني قريظة مقالة قبيحة في حقه صلى الله عليه وسلم فسكت المسلمون وقالوا السيف بيننا وبينكم فلما رأى علي رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا امر أبا قتادة الانصاري أن يلزم اللواء ورجع اليه صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الاخابث قال لعلك سمعت منهم لي أذى قال نعم قال لو رأوني لم يقولوا شيأ فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يااخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا وفي رواية نادى باعلى صوته نفرا من أشرافهم حتى أسمعهم وقال أجيبوا يااخوة القردة والخنازير وعبدة الطاغوت وهو ما عبد من دون الله هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته أتشتموني فجعلوا يحلفون ما قلنا ويقولون ياأبا القاسم ما كنت جهولا وفي رواية ما كنت فاحشا وقال لهم أسيد بن حضير ياأعداء الله لا تبرحوا من حصنكم حتى تموتوا جوعا انما أنتم بمنزلة ثعلب في جحر فقالوا يا ابن الحضير نحن مواليك وخاروا أي خافوا فقال لا عهد بيني وبينكم وانما قال لهم يااخوة القردة والخنازير لان اليهود مسخ شبابهم قردة وشيوخهم خنازير عند اعتدائهم يوم السبت بصيد السمك ثم ان جماعة من الصحابة شغلهم مالم يكن لهم منه بد عن المسير الى بني قريظة ليصلوا بها العصر فاخروا صلاة العصر الى ان جاؤا بعد صلاة العشاء الآخرة امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم فلا يصلين العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة وبعضهم قال نصلي ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم منا أن ندع الصلاة ونخرجها عن وقتها وانما أراد الحث على الاسراع فصلوا في أماكنهم قيل وجماعة صلوا على ظهور دوابهم ثم ساروا فما عابهم الله في كتابه ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان كلا من الفريقين ماجور بقصده لانهم مجتهدون ولم يعنف الذين أخروها لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الامر وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة خمسا وعشرين ليلة وقيل خمسة عشر يوما وقيل شهرا وكان طعام الصحابة رضي الله عنهم التمر يرسل به اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ نعم الطعام التمر واشتد الحصار على بني قريظة وقذف الله الرعب في قلوبهم وكان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم حين رجعت الاحزاب وفاء لكعب بما عاهده عليه كما تقدم فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم أي يقاتلهم قال كبيرهم كعب بن أسد يامعشر يهود قد نزل بكم من الامر ماترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا أيها شئتم قالوا وماهي قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم ومامنعنا من الدخول معه الا الحسد للعرب حيث لم يك من بني اسرائيل ولقد كنت كارها النقض للعهد ولم يكن البلاء والشؤم الا من هذا الجالس يعني حيي بن أخطب أتذكرون ماقال لكم ابن خراش حين قدم عليكم انه يخرج بهذه القرية نبي فاتبعوه وكونوا له أنصارا وتكونون آمنتم بالكتابين الاول والآخر يعني التوراة والقرآن أي وكانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتبهم ويعلمون الولدان صفته وان مهاجره المدينة وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت يهود قريظة وبني النضير وفدك وخيبر يجدون صفة النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث وان دار هجرته المدينة ولما قال لهم كعب ذلك قالوا لانفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره قال كعب فاذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف لم نترك وراءنا ثقلا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا أي ولدا نخشي

أعرض عنا بوجهه وجعل لا يكلمنا فاشتد ذلك علينا فشكونا الى ابنه عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما فقال ان عمر زاهد في الدنيا وقد رأى عليكم لباسا لم يلبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الخليفة من بعده فقد مننا منازلنا فنزعنا ما كان علينا وأتيناه في البزة التي يعهدها منا فقام فسلم علينا على رجل رجل واعتنق رجلا رجلا حتى كانه لم يرنا فقدمنا اليه الغنائم فقسمها بيننا بالسوية فعرض في الغنائم شيء من أنواع الخبيص من أصفر واحمر فذاقه عمر فوجده طيب الطعم والريح فأقبل علينا بوجهه وقال يامعشر المهاجرين والانصار ليقتلن منكم الابن أباه والاخ أخاه على هذا الطعام ثم أمر به فحمل الى أولاد من قتل من المسلمين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار ثم ان

عليه وان تظفر فلعمري لنجدن النساء والابناء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم قال فان أبيتم على هذه فان الليلة ليلة السبت وأن عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غرة أي غفلة قالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه مالم يحدث فيه من كان قبلنا الا وأصابه مالم يخف عليك من المسخ وقال لهم عمرو بن سعدى قد خالفتم محمدا فيما عاهدتموه عليه ولم أشرككم في غدركم فان أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوه الجزية فوالله ما أدرى أيقبلها أم لا قالوا نحن لا نقر للعرب بخراج في رقابنا يأخذونه وان القتل خير من ذلك قال فاني برىء منكم وخرج في تلك الليلة فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة فقال محمد بن مسلمة من هذا قال عمرو بن سعدى قال مر اللهم لا تحرمني اقالة عثرات الكرام وخلى سبيله وبعد ذلك لم يدر أين هو ولما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وفي لفظ انه قال لهم قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم لحصارهم يا بني قريظة لقد رأيت عبرا رأيت دار اخواننا يعني بني النضير خالية بعد ذلك العز والجلد والترف والرأي الفاضل والعقل قد تركوا أموالهم يملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل لا والتوراة ما سلط هذا على قوم قط وتله بهم حاجة وقد أوقع بني قينقاع نقضهم العهد في الذل والسبي وكانوا أهل عدة وسلاح ونجدة فلم يخرج منهم أحد رأسه حتى سباهم صلى الله عليه وسلم فحكم فيهم فتركهم على اجلائهم من يثرب يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فاطيعوني وتعالوا نتبع محمدا فوالله انكم لتعلمون انه نبي وقد بشرنا به علماؤنا انتم لا زال يخوفهم بالحرب والسبا والجلاء ثم أقبل على كعب بن أسد وقال والتوراة التي نزلت على موسى يوم طور سينا انه العز والشرف في الدنيا فبينما هم على ذلك لم يرعهم الا مقدمة جيش النبي صلى الله عليه وسلم قد حلت بساحتهم فقال هذا الذي قلت لكم أي وبعد الحصار أرسلوا شاس بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير من أن لهم ما حملت الابل الا الحلقة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقن دماءهم ويسلم لهم نساءهم والذرية فأرسلوا له ثانيا بأنهم لا حاجة لهم بشيء من الاموال لا من الحلقة ولا من غيرها فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أن ينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاد شاس اليهم بذلك ثم انهم بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث الينا أبا لبابة وهو رفاعة بن عبد المنذر الانصاري رضي الله عنه لنستشيره في أمرنا أي لانه كان مناصحا لهم لان ماله وولده وعياله كانت في بني قريظة وكانوا حلفاء للاوس وهو منهم فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما رأوه قام اليه الرجال وأسرع اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه من شدة المحاصرة وتشتيت مالهم فرق لهم وقالوا يا أبا لبابة أترى أن ننزل الا على حكم محمد قال نعم وأشار بيده الى حلقه أي انه الذبح أي وفي لفظ ما ترى ان محمدا قد أبى أن ننزل الا على حكمه قال فانزلوا وأومأ بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي من مكانهم حتى عرفت اني خنت الله ورسوله أي لان في ذلك تنفيرا لهم عن الانقياد له صلى الله عليه وسلم ومن ثم أنزل الله في ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم وقيل الذي نزل في ذلك قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والحق ان كلا من الآيتين نزل فيه الاولى في اللوم عليه والثانية في توبته وفي رواية عن أبي لبابة رضي الله عنه لما أرسلت بنو قريظة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسلني اليهم دعاني فقال اذهب الى حلفائك فانهم أرسلوا اليك من بين الاوس فذهبت اليهم فقام كعب بن أسد فقال يا أبا بشر قد عرفت ما بيننا وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا ومحمد لا يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له أرضا ولم نكثر عليه جمعا أبدا ما ترى فانا قد اخترناك على غيرك أننزل على حكم محمد قال أبو لبابة نعم فانزلوا وأومأ الى حلقه بالذبح قال أبو لبابة فندمت واسترجعت فقال لي كعب مالك يا أبا لبابة فقلت قد خنت الله ورسوله ثم نزلت من عندهم وان عيني لتسيل من الدموع ثم انطلق أبو لبابة على وجهه فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتبط في المسجد بعمود من عمده وهي التي كانت عند باب أم سلمة رضي الله عنها زوج

عمر قام وانصرف ولم يأخذ لنفسه شيأ (وعن الاحنف أيضا) قال لما فتح العراق وجاءت لي عمر خزائن كسرى قال له صاحب بيت المال ألا ندخله بيت المال قال لا والله لا نأوي تحت سقف حتى أقسمه فبسط الانطاع في المسجد وكشفوا عن الاموال فرأى شيأ عظيما من الذهب والجوهر فقال ان الذي أدى هذا لامين قالوا أنت أمين الله وهم يؤدون اليك ما أديت الى الله فقسم ولم يأخذ لنفسه منه شيأ وفي صحيح البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا المال خضرة حلوة وقال تعالى زين للناس حب الشهوات الآية وقال عمر رضي الله عنه اللهم انا لا نستطيع الا أن نفرح بما زينته لنا اللهم اني أسألك ان أنفقه في حقه وفي رواية للدارقطني لما فتح العراق وجاءته خزائن كسرى وأمواله بكى وقرأ

النبي صلى الله عليه وسلم وكان أكثر تنفل النبي صلى الله عليه وسلم عندها وتعرف باسطوانة أبي لبابة
واسطوانة التوبة وكان الوقت شديد الحر وكان ارتباطه بسلسلة ثقيلة وقال والله لا أذوق طعاما ولا شرابا حتى
أموت أو يتوب الله على مما صنعت وعاهد الله أن لا يطأ بني قريظة أبدا ولا يرى في بلد خان الله ورسوله فيه
أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وكان قد استبطأه قال أما لو جاءني لاستغفرت له وأما اذ فعل
ما فعل فما أنا بالذي أطلقه حتى يتوب الله عليه ومن قال انه انما فعل ذلك حين تخلف عن غزوة تبوك فقد
أغرب ثم مكث أبو لبابة رضي الله عنه مربوطا ست ليال لا يذوق طعاما ولا شرابا وتأتيه امرأته في كل وقت
صلاة فتحله للصلاة ثم يعود فتربطه بالجذع وقيل مكث مربوطا بضع عشرة ليلة يطلقونه للصلاة ثم يأمرهم
باعادة الربط حتى خر مغشيا عليه ثم أنزل الله توبته على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى وآخرون اعترفوا
بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم وكان نزول توبته ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيت أم سلمة رضي الله عنها قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من
السحر وهو يضحك فرحا بالتوبة لانه بالمؤمنين رؤف رحيم قالت فقلت يا رسول الله مم تضحك أضحك الله
سنك قال تيب على أبي لبابة قالت قلت أفلا أبشره يا رسول الله قال بلى ان شئت فقامت على باب حجرتها وذلك
قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك فثار الناس اليه ليطلقوه وقيل قالوا له
قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج الصلاة الصبح فحله فقال يا رسول الله ان من تمام توبتي أن أهجر دار
قومي التي أصبت فيها الذنب وان أنخلع من مالي فقال له صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث أن تتصدق به وجاء
في بعض الروايات عن أبي لبابة رضي الله عنه عند ذكر هذه القصة حين ربط نفسه قال فكنت في أمر عظيم
وجهد بعدة ليال لا آكل فيهن شيأ ولا أشرب وقلت لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوب الله على
وذكرت رؤيا رأيتها ونحن محاصرون بني قريظة فاني رأيت كأني في حمأة أي طين أسود آسنة أي متغيرة فلم
أخرج منها حتى كدت أموت من ريحها ثم رأيت نهرا جاريا فأراني اغتسلت فيه حتى استنقيت وأراني أجد
ريحا طيبة فاستعبرتها أبا بكر رضي الله عنه فقال لتدخلن في أمر تغتم له ثم يفرج الله عنك فكنت أذكر قوله
وأنا مرتبط فأرجو أن ينزل الله توبتي فلم أزل كذلك حتى كنت ما أسمع الصوت من الجهد ورسول الله صلى الله
عليه وسلم ينظر الى حتى أنزل الله توبتي * ثم ان بني قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بهم
فكتفوا وجعلوا ناحية وكانوا ستمائة وقيل سبعمائة وخمسين مقاتلا وهو الذي تقدم عن حيي بن أخطب وقيل
كانوا بين الثمانمائة وقيل والسبعمائة وقيل كانوا أربعمائة ويجوز أن يكون ما زاد على ذلك أتباعا لا يعدون
فلا تخالف وأخرج النساء والذراري من الحصون وجعلوا ناحية وكانوا ألفا واستعمل عليهم عبد الله بن سلام
فتواثب الاوس فقالوا يا رسول الله موالينا وحلفاؤنا وقد فعلت في موالي اخواننا بالاوس ما قد فعلت
يعنون بني قينقاع لانهم كانوا حلفاء الخزرج ومن الخزرج عبد الله بن أبي ابن سلول وقد نزلوا على حكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد كلمه فيهم عبد الله بن أبي ابن سلول فوهبهم له على أن يجلوا كما تقدم فظنت الاوس
من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهب لهم بني قريظة كما وهب بني قينقاع للخزرج فلما كلمته الاوس أبى ان
يفعل ببني قريظة ما فعل ببني قينقاع ثم قال لهم أما ترضون يا معشر الاوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى
فقال ذلك الى سعد بن معاذ وقيل انه صلى الله عليه وسلم قال لهم اختاروا من شئتم من أصحابي فاختاروا سعد
ابن معاذ وهو سيد الاوس حينئذ وقيل ان بني قريظة هم الذين قالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه
فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن هشام حدثني من أثق به ان عليا رضي الله عنه صاح على
بني قريظة وهم محاصرون يا كتيبة الايمان ثم تقدم هو والزبير وقال والله لاذوقن ما ذاق حمزة أو لاقتحمن
حصنهم فخافوا وقال ننزل على حكم سعد قال الحافظ ابن حجر كأنهم أذعنوا أولا للنزول على حكم المصطفى
صلى الله عليه وسلم فلما سأله الانصار فيهم رد الحكم الى سعد وروى الطبراني عن عائشة رضي الله عنها فلما

زين للناس الآية وقال
اللهم انا لا نستطيع الا أن
نفرح بما زينته لنا فقني
شره وارزقني أن أنفقه في
حقه وقسم تلك الاموال
فما قام حتى ما بقي منها شئ
(وكان) رضي الله عنه لما
جاءت تلك الاموال يبكي
ويقول ان الله زوى الدنيا
عن النبي صلى الله عليه وسلم
وصاحبه وفتحها لي فأخاف
أن أكون مستدرجا
(وكان) رضي الله عنه يقول
والله ما يمنعنا ان نأمر بصغار
المعزى فيسمط لنا ونأمر
بلباب الحنطة فيخبز لنا
ونأمر بالزبيب فينبذ لنا
فنأكل هذا ونشرب هذا
الا انا نستبقي طيباتنا لانا
سمعنا الله تعالى يقول
أذهبتم طيباتكم في
حياتكم الدنيا واستمتعتم
بها * واشتهى مرة سمكا
طريا فأخذ حاجبه يرفا راحلة
فساق ليلتين مقبلا وليلتين
مدبرا واشترى مكتلا فجاءه
وقام يرفا الى الراحلة يغسلها

اشتد

اشتد بهم البلاء قيل لهم انزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استشاروا أبا لبابة قالوا ننزل على حكم سعد *فصل* في سبب رد الحكم الى سعد أمران أحدهما سؤال الاوس والآخر اشارة أبي لبابة وكانوا حلفاء سعد وكان سعد بن معاذ رضي الله عنه يومئذ في المسجد النبوي في خيمة رفيدة رضي الله عنها وقد كان صلى الله عليه وسلم قال لقوم سعد بن معاذ رضي الله عنه حين أصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب ورفيدة هذه امرأة من أسلم كانت لها خيمة في المسجد تداوي فيها الجرحى من الصحابة ممن لم يكن له من يقوم عليه فأتاه قومه فحملوه على حمار ثم أقبلوا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون له يا أبا عمرو أحسن في مواليك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن بهم فأحسن فيهم فقد رأيت من ابن أبي ما صنع في حلفائه وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم فقال بعضهم واقوماه فلما انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين وهم حوله جلوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم وفي رواية الى خيركم فقاموا اليه فقالوا يا أبا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم وفي رواية فقمنا صفين يحييه كل رجل منا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احكم فيهم يا سعد فقال الله ورسوله أحق بالحكم قال قد أمرك الله أن تحكم فيهم فقال سعد أي لمن في الناحية التي ليس فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم بما حكمت قالوا نعم قال وعلى من ههنا مثل ذلك وأشار الى الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له ثم قال سعد لبني قريظة أترضون بحكمي قالوا نعم فأخذ عليهم عهد الله وميثاقه ان الحكم ما حكم به سعد قال سعد فاني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبي الذراري والنساء وتكون الديار للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار اخواننا يعنون المهاجرين لنا معهم فقال اني أحببت أن يستغنوا عنكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الملك بكسر اللام وفي رواية لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات فقد طرقني بذلك الملك سحرا والمراد ان شأن هذا الحكم العلو والرفعة ثم أمر أن يجمع ما في حصونهم من الحلقة والسلاح وغير ذلك فجمع فوجد فيها ألف وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفا رمح وخمسمائة ترس وجحفة ووجد أثاث كثير وآنية كثيرة وجمال نواضح أي يسقى عليها الماء وماشية وشياه كثيرة وخمس ذلك مع النخل والسبي ثم قسم الباقي على الغانمين وفي رواية ثم أمر بالباقي فبيع ثم قسمه بين المسلمين وكانت أسهم القسمة ثلاثة آلاف واثنين وسبعين سهما لان المسلمين ثلاثة آلاف والخيل ست وثلاثون وللفرس سهمين ولصاحبه سهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالاسارى أن يكونوا في دار أسامة بن زيد والنساء والذرية في دار بنت الحرث النجارية ثم غدا صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم خرج الى سوق المدينة فخندق فيها خنادق أي حفر فيها حفائر وفي رواية شق أخدودا وجلس صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه ثم أمر بقتل كل من نبت شعر عانته فبعث اليهم فجاؤا أرسالا تضرب أعناقهم ويلقون في تلك الخنادق وقد قال بعضهم لسيدهم كعب بن أسيد يا كعب ما ترى يصنع بنا قال أنتم في كل موطن لا تعقلون ألا ترون انه من ذهب منكم لا يرجع هو والله القتل قد دعوتكم الى غير هذا فأبيتم علي قالوا ليس حين عتاب فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم التراب في تلك الخنادق وعند قتلهم صاحت نساؤهم وشقت جيوبها ونشرت شعورها وضربت خدودها وملئت المدينة بالنوح والعويل وكان من جملة من أتي به معهم عدو الله حيي بن أخطب مجموعة يداه الى عنقه بحبل فلما نظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألم يمكن الله منك يا عدو الله قال بلى أبى الله الا تمكينك مني والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل وفي رواية قال بلى ولقد قلقلت كل مقلقل ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه ولما أتي بكعب بن أسيد سيد بني قريظة قال له صلى الله عليه وسلم يا كعب قال نعم يا أبا القاسم قال

من العرق فنظره عمر فقال عذبت بهيمة من البهائم في شهوة عمر والله لا يذوق عمر ذلك (وكان) رضي الله عنه يداوم على أكل التمر ولا يداوم على أكل اللحم ويقول اياكم واللحم فان له ضراوة كضراوة الخمر أي ان له عادة تنزع النفس اليها كعادة الخمر (وعن) جعفر بن أبي العاص قال أكلت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخبز والزيت والخبز واللبن والخل والخبز والقديد وأعلى ذلك اللحم الغريض أي الطري (وكان) يقول لا تنخلوا الدقيق فانه كله طعام فأتى بخبز غليظ فجعل يأكل ويقول لنا كلوا فجعلنا نعتذر قال ما لكم لا تأكلون فقلنا لا نأكله أنت والله يا أمير المؤمنين نرجع الى طعام هو ألين من طعامك (وعن) حفصة رضي الله عنها قالت دخل على عمر فقدمت له مرقة باردة

ما انتفعتم بنصح ابن خراش لكم وكان مصدقا بي أما أمركم باتباعي وانكم ان رأيتموني تعرفوني منه السلام قال بلى والتوراة يا أبا القاسم لولا أن تعيرني يهود بالجزع من السيف لاتبعتك ولكنه على دين يهود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدم فتضرب عنقه ففعل به ذلك وكان المتولي لقتلهم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام رضي الله عنهما وقيل ان بعضا منهم تولى قتله الاوس لما جاء أن سعد بن عبادة والحباب بن المنذر رضي الله عنهما قالا يا رسول الله ان الاوس قد كرهت قتل بني قريظة لمكان حلفهم فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه ما كرهه من الاوس أحد فيه خير فمن كرهه فلا أرضاه الله وقام أسيد بن حضير رضي الله عنه فقال يا رسول الله لا تبق دارا من الاوس الا فرقتهم فيها منهم فمن سخط فلا يرغم الله الا أنفه فابعث الى داري أول دورهم ففرق صلى الله عليه وسلم منهم فيها يقتلوهم قال بعضهم ان الطائفة الذين كرهوا ذلك بعض من الاوس فقتلوا من بعث به الى دورهم اتباعا لرضا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وازالة لما حاك في صدورهم وما عدا ذلك تعاطى قتله علي والزبير رضي الله عنهما فلا تنافي وبقي صلى الله عليه وسلم عند الاخدود حتى فرغوا منهم عند الغروب فرد عليهم التراب وكان الذين أرسلوا الى الاوس حملوا بعد القتل الى الاخدود وكانوا كلهم ما بين الستمائة والسبعمائة كما تقدم ولم يقتل من النساء الا واحدة خرجت من بين النساء يقال لها بنانة وقيل مزنة كانت طرحت رحى على خلاد بن سويد رضي الله عنه فقتلته بارشاد زوجها لانه أحب أن لا تبقى بعده فيتزوجها غيره وقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لخلاد بن سويد وقال ان له أجر شهيدين وأسهم لسنان بن محصن وقد مات في زمن الحصار وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت لم يقتل من نسائهم الا امرأة واحدة قالت والله انها لعندي تحدث وتضحك ظهرا وبطنا أي وكانت جارية حلوة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها أي لانها دخلت على عائشة رضي الله عنها وبنو قريظة يقتلون اذ هتف هاتف باسمها أين بنانة فقالت ها أنا والله قالت عائشة رضي الله عنها فقلت لها مالك ويلك قالت أقتل قلت ولم قالت لحدث أحدثته وفي لفظ قالت قتلني زوجي فقالت لها عائشة رضي الله عنها كيف قتلك زوجك قالت أمرني أن ألقي رحى على أصحاب محمد الذين كانوا تحت الحصن مستظلين في فيئه فادركت خلاد بن سويد فشدخت رأسه فمات وأنا أقتل به وفي رواية قالت كنت زوجة رجل من بني قريظة وكان بيني وبينه كاشد ما يتحاب الزوجان فلما اشتد الحصار قلت لزوجي يا حسرتا على أيام الوصال كادت أن تنقضي وتتبدل بليالي الفراق وما أصنع بالحياة بعدك فقال زوجي ان كنت صادقة في دعوى المحبة تعالى فان جماعة من المسلمين جالسون في ظل حصن الزبير بن بطا وهو بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة فالقي عليهم حجر الرحى لعله يصيب واحدا منهم فيقتله فان ظفروا بنا فانهم يقتلونك بذلك ففعلت قالت عائشة رضي الله عنها فانطلق بها فضربت عنقها فكانت عائشة رضي الله عنها تقول ما رأيت أعجب من طيب نفسها وكثرة ضحكها وقد عرفت انها تقتل وكان في بني قريظة الزبير بن بطا وكان شيخا كبيرا وكان قد من على ثابت بن قيس في الجاهلية يوم بعاث وهي الحرب التي كانت بين الاوس والخزرج قبل قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة وكان الظفر فيها للاوس على الخزرج وذلك ان الزبير بن بطا أخذ ثابت بن قيس فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاء ثابت للزبير يوم قتل بني قريظة فقال له يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني فقال وهل يجهل مثلي مثلك قال اني أردت أن أجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم وأحوج ما كنت اليه الآن ثم أتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله انه كان للزبير علي منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فهو لك فقال شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة قال ثابت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله بابي أنت وأمي امرأته وولده فقال هم لك فجئته فقلت أهلك وولدك لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على ذلك قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له يا رسول الله ماله قال هو لك فأتيته فقلت له قد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك فهو لك فقال أي ثابت أما أنت فقد كافأتني وقد قضيت الذي عليك

وصبت عليها زيتا فقال ادامان في اناء واحد لا أذوقه أبدا حتى ألقى الله عز وجل وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال دخل أمير المؤمنين ونحن على مائدة فاوسعت له عن صدر المجلس فقال بسم الله ثم ضرب بيده في لقمة فلقمها ثم ثنى بأخرى ثم قال اني لاجد طعم دسم غير دسم اللحم فقال عبد الله يا أمير المؤمنين اني خرجت الى السوق أطلب السمن لاشتريه فوجدته غاليا فاشتريت بدرهم من المهزول وجعلت عليه بدرهم سمنا فقال عمر رضي الله عنه ما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أكل أحدهما وتصدق بالآخر فقال عبد الله يا أمير المؤمنين اذن فلن يجتمعا عندي أبدا الا فعلت ذلك (روى) عنه رضي الله عنه انه قرأ يوما اذا الشمس كورت حتى بلغ واذا الصحف

نشرت خرّ مغشيا عليه وبقي أياما بعاد (وكان) رضي الله عنه مدة خلافته لا ينام ليلا ولا نهارا الا خفقات يخفقها ويقول ان نمت ليلا أضعت نفسي وان نمت نهارا أضعت رعيتي (وارسل) مرة الى عبد الرحمن بن عوف يستسلفه أربعمائة درهم فقال عبد الرحمن تستسلفني وعندك بيت المال ألا تأخذ منه ثم ترده فقال عمر اني أتخوف أن يصيبني قدري يعني الموت فتقول أنت وأصحابك أتركوها لأمير المؤمنين حتى تؤخذ مني يوم القيامة ولكن استسلفها منك فاذا مت جئت واستوفيتها من ميراثي (وأخرج) الواحدي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحما معلقا في يدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما فاشتريته فقال عمر أوكل ما اشتهيت اشتريت يا جابر

ما فعل بالذي كان وجهه مرآة تتراءى فيه عذارى الحي كعب بن أسيد سيد بني قريظة قلت قتل قال فما فعل بسيد الحاضر والبادي من يحملهم في الجدب ويطعمهم في المحل حيي بن أخطب فقلت قد قتل قال فما فعل مقدمنا بكسر الدال مشددة اذا شددنا وحامينا اذا فررنا عزال بتشديد الزاي ابن سموأل بفتح السين وكسرها قلت قتل قال ما فعل المجلسان بكسر اللام محل الجلوس وبفتحها المصدر يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة قلت قتلوا فقال فاني أسألك يا ثابت بيدك عندي الا ألحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير أأرجع الى دار قد كانوا حلولا فيها فأخلد فيها بعدهم لا حاجة لي بذلك فما أنا بصابر افراغة دلو ناضح حتى ألقى الاحبة أي مقدار الزمن الذي يفرغ فيه ماء الدلو قال ثابت فقلت له ما كنت لاقتلك فقال لا أبالي من قتلني فقتله الزبير بن العوام رضي الله عنه ولما بلغ أبا بكر رضي الله عنه قوله ألقى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لثابت بن قيس لك أهله وماله ان أسلم أولم يسلم ثم ان القتل كان لمن أنبت ومن لم ينبت يكون في السبي قال عطية القرظي كنت غلاما فوجدوني لم أنبت فخلوا سبيلي عن القتل وكان رفاعة القرظي قد أنبت فارادوا قتله فلاذ بسلمى بنت قيس أم المنذر وكانت احدى خالاته صلى الله عليه وسلم أي خالات جده عبد المطلب لانها من بني النجار فقالت يا رسول الله بابي أنت وأمي هب لي رفاعة فوهبه لها فاسلم رضي الله عنه واصطفى صلى الله عليه وسلم لنفسه الكريمة من نساء بني قريظة ريحانة بنت شمعون بن زيد القرظي فتزوجها بعد ان أسلمت وحاضت حيضة وكانت جميلة وسيمة وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا أي نصف أوقية وأعرس بها في المحرم سنة ست وقيل كان يطؤها بملك اليمين وقد أشار سبحانه وتعالى الى قصة بني قريظة بعد ذكر قصة الاحزاب بقوله وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك والى نقضهم العهد الذي كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم واغترارهم بالاحزاب بقوله

وتعدوا الى النبي حدودا * كان فيها عليهم العدواء
واطمأنوا بقول الاحزاب اخوا * نهم انا لكم أولياء
ويوم الاحزاب اذ زاغت الابصار * فيه وضلت الآراء
وتعاطوا في أحمد منكر القو * ل ونطق الاراذل العوراء
كل رجس يزيده الخلق السو * ء سفاها والملة العوجاء
فانظروا كيف كان عاقبة القو * م وما ساق للبذي البذاء
وجد السب فيه سما ولم يد * ر اذ الميم في مواضع باء
كان من فيه قتله بيديه * فهو من سوء فعله الزباء
أو هو النحل قرصها يجلب الحتـ * ـف اليها وما له انكاء

ولما انقضى شأن بني قريظة قال صلى الله عليه وسلم لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ولكنكم تغزونهم وأقر الله عين سعد بن معاذ بقتل بني قريظة فانه سأل الله لما أصيب بالسهم في الخندق وقال اللهم لا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وقيل ان دعاءه بذلك كان في الليلة التي في صبيحتها نزلوا على حكمه ويجوز أن يكون دعا بتلك الدعوة مرتين وفي لفظ فدعا الله ان لا يميته حتى يشفي صدره من بني قريظة فاستجاب الله دعوته وكان جرحه قارب البرء فدعا الله وقال اللهم انك تعلم انه ليس أحد أحب الي أن أجاهدهم فيك من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه من وطنه اللهم اني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فان كان قد بقي من حرب قريش شيء فأبقني له حتى أجاهدهم فيك وان كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فافجرها أي الجراحة واجعل موتي فيها فانفجرت تلك الجراحة من ليلته تلك فلم يرعهم أي أهل المسجد الا الدم يسيل اليهم من خيمة لرجل من بني غفار وهو زوج رفيدة الاسلمية فقالوا يا أهل الخيمة ما هذا الدم الذي يأتينا من قبلكم فاذا سعد يسيل جرحه دما فمات منها وجاء في رواية ان عنزا مرت به وهو مضطجع فاصابت الجرح بظلفها فانفجرت جراحته وسال الدم حتى مات ولم يحضر النبي صلى الله عليه وسلم موته بل جاء جبريل عليه السلام فقال يا محمد من هذا العبد الصالح وفي رواية من هذا الميت الذي فتحت أبواب السماء لصعود

روحه واهتز العرش لقدومها فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه الى سعد بن معاذ رضي الله عنه فوجده قد مات وجاء انه شهد جنازته سبعون ألفا من الملائكة ما وطؤا الارض الا يومهم ذلك واختلف العلماء في اهتزاز العرش ما المراد منه فقيل ان اهتزازه تحركه فرحا بقدوم روح سعد وقيل جعل الله حركته علامة للملائكة على موته وقيل المراد الاستبشار والقبول فانه يقال لكل من فرح بقدوم قادم عليه اهتزله ومنه اهتزت الارض بالنبات اذا اخضرت وحسنت ومنه قول العرب فلان يهتز للمكارم فانهم لا يريدون اضطراب جسمه وحركته وانما يريدون ارتياحه لها واقباله عليها وقيل هو عبارة عن تعظيم شأن وفاته والعرب تنسب الشيء المعظم الى أعظم الاشياء فيقولون أظلمت لموت فلان الارض وقامت له القيامة فهذه منقبة عظيمة لسعد رضي الله عنه تفيد كرامته على ربه بحيث تحرك العرش أسفا عليه لمحافظته على الحق ولذا قال كثير من المحققين انه كان في الانصار كالصديق رضي الله عنه في المهاجرين ولما حملت جنازته رضي الله عنه قال بعض المنافقين ما أخف جنازته وكان رجلا بادنا وكأن المنافقين قالوا ذلك استهزاء به وان خفته لخفة ميزانه بزعمهم الفاسد فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردا عليهم ان الملائكة كانت تحمله ولما احتمل على نعشه بكت أمه وقالت

ويل أم سعد سعدا * صرامة وحدا * وسوددا ومجدا * وفارسا معدا * سد به مسدا

فقال صلى الله عليه وسلم كل نائحة تكذب الا نائحة سعد بن معاذ رضي الله عنه وفي رواية قال لها الا تزيدي على هذا وكان فيما علمته والله حازما في أمر الله قويا في أمره كل النوائح تكذب الا أم سعد وروى أنه قال لها ليرقأ دمعك ويذهب حزنك فان ابنك أول من ضحك الله له وذلك كناية عن اقبال الله عليه بالروح والريحان والمغفرة والرضوان * وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم حمل جنازة سعد بين العمودين ومشى امام جنازته ثم صلى عليه وجاءت أمه ونظرت اليه في اللحد وقالت احتسبتك عند الله عز وجل وعزاها صلى الله عليه وسلم وهو واقف على قدميه على القبر ولما سوى التراب على قبره رش عليه الماء ثم وقف ودعاه وأم سعد بن معاذ رضي الله عنها هي كبشة بنت رافع بن عبيد الانصارية الخدرية وهي أول من بايع النبي صلى الله عليه وسلم من نساء الانصار وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم حلة حرير فجعل أصحابه يمسونها ويعجبون من لينها فقال صلى الله عليه وسلم لهم أتعجبون من لين هذه الحلة والذي نفس محمد بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين وهذا الحديث فيه اشارة الى عظم منزلة سعد عند الله تعالى في الجنة وان أدنى ثيابه خير من هذه الحلة لان المنديل أدنى الثياب لانه معد للوسخ والامتهان فغيره أفضل منه بالاولى وأخرج ابن سعد وأبو نعيم من طريق محمد بن المنكدر قال قبض انسان قبضة من تراب قبر سعد فذهب بها ثم نظر اليها بعد ذلك فاذا هي مسك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله سبحان الله مرتين تعجبا من كون تراب قبره صار مسكا ثم قال الحمد لله شكرا له على تفريجه عن سعد لو كان أحد ناجيا من ضمة القبر لنجا منها سعد ضم ضمة ثم فرج الله عنه وعن جابر رضي الله عنه قال لما دفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبح صلى الله عليه وسلم فسبح الناس معه ثم كبر فكبر الناس معه فقالوا يا رسول الله مم سبحت قال لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه وأخرج ابن سعد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال كنت ممن حفر لسعد قبره فكان يفوح علينا المسك كلما حفرنا وجاء انه صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن زيد الانصاري بسبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها اسلاحا وخيلا وفي رواية بعث بها سعد بن عبادة رضي الله عنه الى الشام واشترى بها سلاحا وخيلا كثيرا ثم قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسلمين والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية القرطاء وحديث ثمامة)

وكانت هذه السرية لعشر خلون من المحرم سنة ست من الهجرة والقرطاء بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة والمد وهم بطن من بني بكر وكانوا ينزلون بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء ثم تاء تأنيث وهي قرية لبني كلاب على طريق البصرة الى مكة وهي الى مكة أقرب وبها جبل

ما تخاف الآية أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا ولما فرض للمهاجرين الاولين أربعة آلاف فرض لابنه عبد الله ثلاثة آلاف وكان من المهاجرين الاولين فقيل له انه من المهاجرين الاولين فلم نقصته من أربعة آلاف قال انما هاجر به أبوه فليس هو كمن هاجر بنفسه وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال اشتريت ابلا وارتجعتها الى الحمى فلما سمنت قدمت بها قال فدخل عمر السوق فرأى ابلا سمانا فقال لمن هذه فقيل لعبد الله بن عمر فجعل يقول بخ بخ يا عبد الله ابن أمير المؤمنين قال فجئته أسعى فقلت مالك يا أمير المؤمنين قال ما هذه الابل فقلت ابل انضاء يعني مهازيل اشتريتها وبعثت بها الى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون فقال ارعوا ابل ابن أمير المؤمنين اسقوا ابل ابن أمير المؤمنين يا عبد الله بن

يسمى البكرات وبين ضرية والمدينة سبع ليال بعث صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فى ثلاثين راكبا بالاوخيلا وأمره أن يسير الليل ويكمن النهار وأن يشن الغارة عليهم أى يطرق الخيل المغيرة على العدو ففعل ما أمره به فلما أغار عليهم هرب سائرهم أى باقيهم بعد من قتل وكان المقتول منهم عشرة وقيل نحو العشرين واستاق مائة وخمسين بعيرا وثلاثة آلاف شاة فعدلوا الجزور بعشرة من الغنم وقدم المدينة لليلة بقيت من المحرم وغاب تسع عشرة ليلة وأسر ثمامة بن أثال بضم الهمزة وفتح الثاء مخففة الحنفى روى ابن اسحق عن أبى هريرة رضى الله عنه ان خيلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت رجلا ولا يشعرون من هو حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون من أخذتم هذا ثمامة بن أثال الحنفى فربطوه بسارية من سوارى المسجد بامره صلى الله عليه وسلم لينظر حسن صلاة المسلمين واجتماعهم عليها فيرق قلبه فخرج اليه صلى الله عليه وسلم فقال ماذا عندك يا ثمامة قال عندى خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه حتى كان الغد ثم قال له ما عندك يا ثمامة قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر فتركه حتى كان بعد الغد فقال ما عندك يا ثمامة قال عندى ما قلت لك فقال أطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قال والله يا محمد ما كان على وجه الارض وجه أبغض الى من وجهك وقد أصبح وجهك أحب الوجوه الى والله ما كان من دين أبغض الى من دينك فاصبح دينك أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من بلدك فاصبح بلدك أحب البلاد الى وان خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى فبشره النبى صلى الله عليه وسلم أى بخير الدنيا والآخرة أو بالجنة أو بمحو ذنوبه وتبعاته وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة يلبى وينفى الشريك عن الله قال له قائل صبوت أى خرجت عن دينك قال لا ولكن أسلمت لله رب العالمين مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا والله تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبى صلى الله عليه وسلم وروى انهم قدموه ليضربوا عنقه فقال قائل منهم دعوه فانكم تحتاجون الى اليمامة فخلوا سبيله ولذا قيل فيه

ومنا الذى لبى بمكة معلنا * برغم أبى سفيان فى الاشهر الحرم

ثم خرج الى اليمامة فنعهم أن يحملوا الى مكة شيأ فكتبوا اليه صلى الله عليه وسلم انك تأمر بصلة الرحم وانك قد قطعت أرحامنا فكتب صلى الله عليه وسلم الى ثمامة أن يخلى بينهم وبين الحمل وروى البيهقى فى الدلائل ان ثمامة بن أثال الحنفى لما أتى به النبى صلى الله عليه وسلم وهو أسير خلى سبيله فاسلم ولحق بمكة ثم رجع فحال بين أهل مكة والميرة من اليمامة حتى أكلت قريش العلهز أى الوبر والدم فجاء أبو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ألست تزعم أنك بعثت رحمة للعالمين قال بلى قال فقد قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع وفى رواية أنشدك الله والرحم قد أكلنا العلهز فكتب اليه أن يخلى بينهم وبين الحمل فانظر الى هذا الحلم العظيم والرحمة الشاملة والرأفة العميمة يواجهه بهذا الخطاب الخشن مع شدة حاجته اليه ومحاربته له قريبا فى وقعة الاحزاب ومع ذلك لم يمتنع من قضاء حاجته تصديقا لقوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم بل جاء فى بعض الروايات أنه دعا الله لهم بالمطر فسقاهم الله وفى قصة ثمامة رضى الله عنه فوائد منها جواز ربط الكافر فى المسجد والمن على الاسير الكافر والاغتسال عند الاسلام وان الاحسان يزيل البغض ويثبت الحب وان الكافر اذا أراد عمل خير ثم أسلم يشرع له أن يستمر فى ذلك الخير وملاطفة من يرجى اسلامه من الاسرى اذا كان فى ذلك مصلحة للاسلام ولا سيما من يتبعه على الاسلام العدد الكثير من قومه وفيه بعث السرايا الى بلاد الكفار وأسر من وجد منهم والتخيير بعد ذلك فى قتله وابقائه وفيه تعظيم أمر العفو عن المسىء لانه أقسم أن بغضه انقلب حبا فى ساعة واحدة لما أسداه اليه صلى الله عليه وسلم من العفو والمن من غير مقابل وجاء فى بعض الروايات انه بعد ان أسلم جاؤا بالطعام فلم ينل منه الا قليلا وبالقعبة فلم يصب من حلابها الا يسيرا فعجب المسلمون فقال صلى الله عليه وسلم مم تعجبون أمن رجل أكل أول النهار فى معى كافر وأكل آخر النهار فى معى مسلم ان الكافر يأكل فى سبعة أمعاء وان المسلم يأكل فى معى واحد ثم صار ثمامة رضى الله عنه من فضلاء

عمر اغد على وأمر مالك واجعل باقيه فى بيت مال المسلمين (وعن) قتادة قال قدم بريد ملك الروم على عمر فاستقرضت امرأة عمر دينارا فاشترت به عطرا وجعلته فى قارورة وبعثت به مع البريد الى امرأة ملك الروم فلما أتاها بعثت لها شيأ من الجواهر وقالت للبريد اذهب به الى امرأة عمر فلما أتاها أفرغته على البساط فدخل عمر فقال ما هذا فاخبرته فاخذ الجواهر فباعها ودفع لها دينارا وجعل ما بقى من ذلك فى بيت مال المسلمين (وروى) ان عمر أتى بمسك فامر أن يقسم بين المسلمين ثم سد أنفه فقيل له فى ذلك فقال وهل ينتفع الا بريحه ودخل يوما على زوجته فوجد معها ريح مسك فقال ما هذا قالت انى بعت من مسك فى بيت مال المسلمين ووزنت بيدى فلما وزنت مسحت اصبعى فى متاعى هذا فقال

الصحابة وهدى الله به خلقا كثيرا من قومه ولم يرتد مع من ارتد من أهل اليمامة ولا خرج عن الطاعة قط رضي الله عنه بل جاء انه قام مقاما حميدا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة فقال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ثم قال لهم فاين هذا من هذيان مسيلمة فاطاعه ثلاثة آلاف وانحازوا الى المسلمين رضي الله عنه ونفع به

(غزوة بني لحيان)

بكسر اللام وفتحها نسبة الى لحيان بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وكانت في غرة شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة وقيل في سنة خمس وقيل أربع وسببها انه صلى الله عليه وسلم وجد أي حزن على عاصم بن ثابت وأصحابه وجدا شديدا والمراد باصحابه ما يشمل المقتولين ببئر معونة وهم القراء السبعون وان كانوا في سرية وحدهم فاظهر صلى الله عليه وسلم انه يريد الشام ليصيب من القوم غرة وعسكر في مائتي رجل ومعهم عشرون فرسا واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وسلك على غراب وهو جبل بناحية المدينة ثم على طريقه الى الشام ثم عدل ذات اليسار حتى استقام به الطريق على الجحفة من طريق مكة ثم أسرع السير حتى انتهى الى بطن غراب واد بينه وبين عسفان خمسة أميال وهي منازل بني لحيان حيث كان مصاب أصحابه أهل الرجيع الذين قتلوا فترحم عليهم ودعا لهم بالمغفرة فسمعت به بنو لحيان فهربوا في رؤس الجبال خوفا من المنصور بالرعب صلى الله عليه وسلم فلم يقدر على أحد منهم فاقام يوما أو يومين يبعث السرايا في كل ناحية من نواحيهم ثم خرج حتى أتى عسفان فبعث أبا بكر رضي الله عنه في عشرة فوارس لتسمع بهم قريش فيذعرهم فاتوا كراع الغميم وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال يضاف كراع اليه وكراع جبل اسود بطارف الحرة يمتد اليه ثم رجع صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه ولم يلقوا كيدا* قال ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم لما ما حصل من غرتهم ما أراد قال صلى الله عليه وسلم لو أنا نزلنا بعسفان ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم أرسل أبا بكر رضي الله عنه مع عشرة فوارس وانصرف صلى الله عليه وسلم الى المدينة وهو يقول آيبون تائبون لربنا حامدون أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنظر في الاهل والمال اللهم بلغنا بلاغا صالحا يبلغ الى خير مغفرتك ورضوانك وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم اذا أوفى على ثنية أو فدفد كبر ثلاثا ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وكانت غيبته صلى الله عليه وسلم عن المدينة في هذه الغزوة أربع عشرة ليلة والله سبحانه وتعالى أعلم

(غزوة الغابة)

وتعرف بذي قرد بفتح القاف والراء آخره دال مهملة وهو ماء على نحو بريد من المدينة مما يلي بلاد غطفان وكانت في ربيع الاول سنة ست وقيل في جمادى الاولى وقيل في شعبان وفي البخاري انها كانت قبل خيبر بثلاثة أيام وبعد الحديبية بعشرين يوما وسببها انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عشرون لقحة بكسر اللام وقد تفتح وهي ذات اللبن القريبة العهد بالولادة وكانت ترعى بالغابة تارة وهو موضع الشجر الذي لا مالك له بل هو لاحتطاب الناس ومنافعهم وبذي قرد تارة أخرى لتقارب الموضعين وكان أبو ذر وابنه وامرأته رضي الله عنهم فيها فاغار عليها عيينة بن حصن الفزاري ليلة الاربعاء في أربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذر رضي الله عنه واسمه ذر وكان يرعى الابل وأسروا المرأة واسمها ليلى وفي رواية ان أباذر رضي الله عنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم للقاحه فقال صلى الله عليه وسلم اني أخاف عليك ونحن لا نامن عيينة ابن حصن فالح عليه فقال صلى الله عليه وسلم لكأني بك قد قتل ابنك وأخذت امرأتك وجئت توكأ على عصاك قال أبو ذر رضي الله عنه بعد ذلك عجبا لي يقول لي ذلك وأنا ألح عليه فكان والله ما قال فلما كان الليل أحدق بنا عيينة مع أصحابه فاشرف لهم ابني فقتلوه وأسروا امرأتي ثم انهم انحدث منهم بعد تمام الغزوة ورجوع النبي صلى الله عليه وسلم لانهم أوثقوها وكانوا يريحون نعمهم بين يدي بيوتهم فانطلقت وركبت ناقة النبي

ناولني متاعنا لك فخذه فصب عليه الماء فلم يذهب فجعل يدلكه في التراب ويصب عليه الماء حتى ذهب ريحه (وعن) سفيان ابن عيينة أن سعد بن أبي وقاص بعد أن فتح العراق وهو على الكوفة كتب الى عمر يستأذنه في بناء منزل يسكنه فكتب اليه ابن منزلا يسترك من الشمس ويكنك من الغيث وعن أبي عثمان النهدي قال كتب الينا عمر ونحن باذربيجان مع عتبة بن فرقد يا عتبة انه ليس من كدك ولا من كد أبيك فاشبع المسلمين من رحالهم مما تشبع منه في رحلك واياكم والتنعم وزي أهل الشرك ولبوس الحرير فان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لبوس الحرير وعن الشعبي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لاهل نجران ان عمر كان سديد الامر وان أغير شيأ

صلى الله عليه وسلم ليلا على حين غفلتهم وفي رواية انهم أوثقوا المرأة فانفلتت ليلا من الوثاق فاتت الابل فكانت اذا دنت من البعير رغا فتتركه حتى انتهت الى العضباء لانها من جملة ما ساقه عيينة ولم تسترجعها الصحابة فيما استرجعوا انما يأتي ذكره فلم ترغ فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت وعلموا بها فطلبوها فاعجزتهم ونذرت لئن نجت لتنحرنها فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته بذلك وقالت يارسول الله اني نذرت لله تعالى ان أنحرها ان نجاني الله عليها فقال بئسما جزيتها ان حملك الله عليها ونجاك ان تنحريها انه لانذر لاحد في معصية ولا لاحد فيما لا يملك انما هي ناقة من ابلي ارجعي الى أهلك على بركة الله وحاصل قصة هذه الغزوة انهم لما أغاروا على اللقاح في يومهم ذلك جاء الصريخ فنادى الفزع الفزع ونودي ياخيل الله اركبي وركب صلى الله عليه وسلم في خمسمائة وقيل في سبعمائة واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وخلف سعد بن عبادة رضي الله تعالى عنه في ثلثمائة يحرسون المدينة وعقد لواء للمقداد رضي الله عنه في رمحه وقال امض حتى تلحقك الخيول وأنا على أثرك فادرك أخريات العدو وفي البخاري ومسلم عن سلمة ابن الاكوع رضي الله عنه قال خرجت قبل ان يؤذن بالاولى وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذي قرد فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت من أخذها قال غطفان وفزارة فصرخت ثلاث صرخات ياصباحاه ياصباحاه فاسمعت ما بين لابتي المدينة وفي رواية للطبراني وابن اسحق فاشرفت من سلع ثم صحت ياصباحاه فانتهى صياحي الى النبي صلى الله عليه وسلم فنودي في الناس الفزع الفزع فترامت الخيول اليه فكان أول من انتهى اليه فارسا المقداد ثم عبادة بن بشر وسعد بن زيد الانصاري وأسيد بن حضير وعكاشة بن محصن ومحرز بن نضلة وأبو قتادة وأبو عياش وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن زيد وقال اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس وقيل أمر المقداد فسار وا وتقدمهم أبو قتادة فادرك في طريقه مسعدة بن حكمة الفزاري فقتله وسجاه ببرده فلما وصل المسلمون اليه وهو مسجى استرجعوا أي قالوا انا لله وانا اليه راجعون ظنا منهم ان المسجى هو أبو قتادة وانه قتل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس بابي قتادة ولكنه قتيله وضع عليه برده لتعرفوه فتخلوا عن قتيله وسلبه وقيل ان قتيل أبي قتادة هذا هو حبيب بن عيينة الفزاري ويحتمل أن له اسمين فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسه وسلاحه ولقي عكاشة بن محصن رضي الله عنه في طريقه أبان بن عمرو وابنه عمرا على بعير واحد فانتظمهما بالرمح فقتلهما جميعا واستنقذ بعض اللقاح وقتل من المسلمين محرز بن نضلة من بني أسد ابن خزيمة ممن شهد بدرا رضي الله عنه قال ابن اسحق كان أول فارس لحق بالقوم فقال قفوا يامعشر بني اللكيعة فحمل عليه رجل منهم فقتله وتحول على فرسه فلحقه أبو قتادة فقتله وتحول على الفرس وأدرك سلمة ابن الاكوع رضي الله عنه القوم قال ابن اسحق ان سلمة رضي الله عنه صرخ واصباحاه ثم خرج يشتد في آثار القوم فكان مثل السبع وكان يسبق الخيل في جريه فلم يزل يشتد حتى لحق بالقوم وهو على رجليه فجعل يرميهم بالنبل وفي البخاري عنه رضي الله عنه ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم وقد اخذوا يستقون من الماء فجعلت أرميهم بنبلي وكنت راميا وأقول خذها وأنا ابن الاكوع اليوم يوم الرضع وأرتجز حتى استنقذت اللقاح وثلاثين بردة وفي صحيح مسلم فاقبلت أرميهم بالنبل وأرتجز فمازلت أرميهم وأعقرهم فاذا رجع الى فارس منهم أتيت شجرة فجلست في أصلها ثم رميته فعقرته فاذا تضايق الجبل ودخلوا في مضايقه علوت الجبل فرميتهم بالحجارة فمازلت كذلك حتى ماخلق الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم من بعير الا خلفته وراء ظهري ثم اتبعتهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحا يتخففون بها فاتوا مضيقا فاتاهم عيينة مددا لهم فجلسوا يتغدون وجلست على رأس قرن فقال من هذا قالوا لقينا من هذا البرح بفتح الباء وسكون الراء يعني الشدة والذي مافارقنا السحر حتى الآن وأخذ كل شئ في أيدينا وجعله وراء ظهره فقال عيينة لولا أنه يرى وراءه طلبا لكم لترككم ليقم اليه أربعة منكم قال سلمة فصعدوا في الجبل فقلت لهم أتعرفونني فقالوا ومن أنت قلت ابن الاكوع والذي أكرم وجه محمد صلى الله عليه وسلم

صنعه وعنه أيضا ان عليا رضي الله عنه لما دخل الكوفة قال ما كنت أحل عقدة شدها عمر وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال لا أعلم أن عليا خالف عمر ولا غير شيأ صنعه وعن زيد بن علي ان عليا رضي الله عنه كان يشبه بعمر في السير وعن أبي اسحق عن جده انه كان جالسا لعلي رضي الله عنه فبكى بكاء شديدا فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين قال ذكرت أخي عمر وهذا البرد الذي على كسانيه خليلي وصفيي وصديقي وصاحبي عمر بن الخطاب وقال مرة ان عمر ناصح نبيه صلى الله عليه وسلم فنصحه الله ثم بكى وكان علي رضي الله عنه يقول اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر وكان علي رضي الله عنه يقول لا يبلغني ان أحدا فضلني على عمر الا جلدته حد المفتري (وخطب) مرة

لا يطلبني رجل منكم فيدركني ولا أطلبه فيفوتني فقال رجل منهم أظن فرجعوا فما برحت مكاني
حتى رأيت فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله اليوم يوم الرضع بضم الراء وشد المعجمة جمع راضع
والمراد يوم هلاك اللئام من قولهم لئيم راضع أي رضع اللؤم وقيل معناه اليوم يعرف من أرضعته
الحرب من صغره وتدرب بها او يعرف غيره وقيل معنى هذا يوم شديد عليكم تفارق فيه المرضعة من
أرضعته فلا يجد من يرضعه ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس والخيول عشاء فنزلوا بذي قرد وأقام
يوما وليلة قال سلمة لما لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله ان القوم يعني غطفان وفزارة
عطاش لا يقدرون على الحرب فلو بعثتني في مائة لاستنقذت ما في أيديهم من السرح وأخذت بأعناق القوم
أي أسرتهم وقتلتهم وفي رواية لمسلم وأتاني عمي عامر بماء ولبن فتوضأت وشربت ثم أتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وهو على الماء الذي أجليتهم عنه فاذا هو قد أخذ كل شيء استنقذته منهم ونحر له بلال رضي الله عنه
ناقة وشوى له من كبدها وسنامها فقلت يا رسول الله خلني أنتخب من القوم مائة رجل فاتبعهم فلا يبقى منهم
مخبر فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال أتراك كنت فاعلا قلت نعم والذي أكرمك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن الاكوع ملكت فاسجح أي قدرت عليهم فاحسن وارفق والسجاحة
بالكسر السهولة أي لا تأخذ بالشدة بل ارفق واحسن العفو فقد حصلت النكاية في العدو وانهزموا وقتل
رؤساؤهم وسلبت منهم الرماح والبرد ولله الحمد على نصر الاسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليقرون
في قومهم يعني انهم وصلوا الى غطفان وهم يضيفونهم ويساعدونهم فلا فائدة في البعث في أثرهم لانهم
لحقوا بأصحابهم وزاد مسلم فجاء رجل من غطفان فقال مروا على فلان الغطفاني فنحر لهم جزورا فلما
أخذوا يكشطون جلدها رأوا غبرة فتركوها وقالوا أتاكم القوم وخرجوا هاربا وفيه معجزة له صلى الله
عليه وسلم حيث أخبر بذلك فكان كما قال وقال سلمة رضي الله عنه فلما أصبحنا قال صلى الله عليه وسلم خير
فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رجالتنا اليوم سلمة فأعطاني سهم الراجل والفارس جميعا وفي رواية وذهب
الصريخ الى بني عمرو بن عوف من الانصار فجاءت الامداد فلم تزل الخيل تأتي والرجال على أقدامهم وعلى
الابل حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستنقذوا عشر لقاح وأفلت القوم بما بقي وهي عشرون
اللقاح وهذه الرواية مخالفة لقول سلمة في الصحيحين انه استنقذ جميع اللقاح وأجاب بعضهم بان سلمة قال ذلك
بحسب ظنه وهو في الواقع نصف اللقاح واستبعده بعضهم ثم كون اللقاح عشرين لا ينافي مجرده ان معها
زيادة عليها لما روي أن معها جملا كان لابي جهل ومعها الناقة التي رجعت عليها امرأة أبي ذر رضي الله
عنهما وكان عودها بعد عود النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كما تقدم وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي
قرد صلاة الخوف وأقام به يوما وليلة يتحسس الخبر ورجع وقد غاب خمس ليال وأردف اسامة رضي الله عنه
خلفه في رجوعه وقسم في كل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها وبعث اليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه
بأحمال تمر وبعشر جزائر فيحتمل أن الجزائر المنحورة مما بعثه أو مما أخذوه من القوم قال الحافظ ابن حجر
وفي القصة من الفوائد جواز العدو الشديد في الغزو والانذار بالصياح العالي وتعريف الشجاع بنفسه
ليرعب خصمه واستعمال الثناء على الشجاع ومن فيه فضيلة لاسيما عند الصنع الجميل ليزيد منه ومحله حيث
يؤمن الافتتان والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية الغمر)

وتعرف بسرية عكاشة بن محصن الاسدي رضي الله عنه الى غمر مرزوق بفتح الغين المعجمة وسكون الميم بعدها
راء وهو ماء لبني أسد على ليلتين من فيد بفتح الفاء وسكون الياء آخره دال قال في القاموس قلعة بطريق
مكة وكانت في شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة فخرج عكاشة رضي الله عنه في أربعين رجلا عقب
أمره صلى الله عليه وسلم له بالخروج دون تراخ فنذر به القوم فهربوا فنزلوا على بلادهم فوجدوا ديارهم
خلوفا أي خلية عن سكانها لهربهم فبعث المسلمون طليعة فرأوا أثر النعم قريبا فقصدوها فأصابوا رجلا منهم
فأمنوه فدلهم على نعم لبني عم لهم فأغاروا عليها فاستاقوا مائتي بعير وأطلقوا الرجل وقدموا بالابل على

خطبة طويلة وقال فيها ان
الله تعالى صير الامر الى عمر
في المسلمين فمنهم من رضي
ومنهم من سخط فكنت ممن
رضي فوالله ما فارق الدنيا
حتى رضي من سخط به فأعز
الله باسلامه الاسلام
وجعل للدين قواما وضرب
الحق على لسانه حتى ظننا
ان ملكا ينطق على لسانه
وقذف الله في قلوب المؤمنين
الحب له وفي قلوب المنافقين
الرهبة منه سيرته سيرة
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمن لكم مثله * وبالجملة
فسيرة عمر رضي الله عنه
وفتوحاته وزهده وورعه
وعدله وخشيته وكثرة
عبادته ومحاسن أخلاقه
وصفاته لا يمكن حصرها
وضبطها وقد أفردت
بالتآليف المبسوطة (ولما
حج) آخر حجة حجها سأل الله
ان يتوفاه فاستجاب دعاءه
وذلك أنه لما نفر من منى
أناخ بالابطح ثم استلقى
ورفع يديه الى السماء ثم

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلقوا كيدا

(سرية محمد بن مسلمة الانصارى)

الى ذى القصة بفتح القاف والصاد المشددة موضع بينه وبين المدينة أربعة وعشرون ميلا من طريق الربذة وكانت فى شهر ربيع الاول سنة ست من الهجرة ومعه عشرة الى بنى ثعلبة فوردعليهم ليلا فكمن معه وقد كمن لهم المشركون انشعورهم بمجيئهم اليهم فتركوا محمد بن مسلمة حتى نام هو وأصحابه ثم أحدقوا بهم فما شعر المسلمون الا بالنبل قد خالطهم فوثب محمد بن مسلمة ومعه قوس فصاح فى أصحابه السلاح فوثبوا فتراموا بالنبل ساعة من الليل ثم انحاز أصحاب محمد اليه وقد قتلوا من القوم رجلا ثم حمل القوم عليهم بالرماح فقتلوهم الا محمد ابن مسلمة فوقع جريحا يضرب كعبه فلا يتحرك فجردوهم من ثيابهم وانطلقوا فمر رجل من المسلمين بمحمد بن مسلمة وأصحابه فرآهم صرعى فاسترجع فتحرك له محمد بن مسلمة فحمله حتى ورده المدينة جريحا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة عامر بن الجراح أمين هذه الامة أحد العشرة المبشرين رضى الله عنهم فى ربيع الآخر فى أربعين رجلا الى مصارعهم فاغاروا عليهم فلم يجدوا أحدا ووجد نعما وشاء فساقه ورجع وصريح هذا ان سبب بعث أبى عبيدة رضى الله عنه طلب ثار المقتولين وقيل ان سببه أن بنى ثعلبة وانمارا أجمعوا على أن يغيروا على سرح المدينة وهى ترعى بهيفاء وهو موضع على سبعة أميال من المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة فى أربعين حين صلوا المغرب فمشوا ليلتهم حتى وافوا ذا القصة مع الصبح فاغاروا عليهم فاعجزوهم هربا فى الجبال وأصاب رجلا واحدا فاسلم فتركه وأخذ نعما من نعمهم فاستاقه وشيأ من متاعهم وقدم به المدينة فخمسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسم مابقى عليهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه)

الى بنى سليم بالجموم ناحية ببطن نخل على أربعة أميال من المدينة وكانت فى شهر ربيع الآخر سنة ست فاصابوا امرأة من مزينة اسمها حليمة فاسروها فدلتهم على منازل بنى سليم فاصابوا نعما وشاء ووجدوا جماعة منهم فاسروهم فكان فيهم زوج حليمة المزنية فلما رجع زيد بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية نفسها وزوجها والظاهر انها أسلمت وتوقف بعضهم فى ثبوت ذلك وقال لا أعلم لها اسلاما ولا صحبة ولا ترجمة وليس فى الصحابيات حليمة الا المرضعة رضى الله عنها ولم يذكر واعدة الابل والغنم والاسرى والله أعلم

(ثم سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه)

أيضا الى العيص قالت عائشة رضى الله عنها مابعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة رضى الله عنه فى سرية الا أمره عليهم ولو بقى لاستخلفه أخرجه ابن أبى شيبة وفى البخارى عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال غزوت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ومع زيد بن حارثة رضى الله عنه سبع غزوات يؤمره علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والعيص موضع على أربع ليال من المدينة وكانت غزوة زيد هذه فى جمادى الاولى سنة ست من الهجرة وسببها انه عليه الصلاة والسلام بلغه ان عيرا لقريش قد أقبلت من الشام فبعث زيدا ومعه سبعون راكبا وقيل مائة وسبعون ليتعرض لها فادركها وأخذها ومافيها وأخذ يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية بن خلف وأسر منهم ناسا منهم أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف واسمه لقيط أو الزبير أو هشيم أو مهشم أو ياسر وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة بنت خويلد رضى الله عنها وكان أبو العاص من رجال مكة المعدودين تجارة ومالا وأمانة وهو زوج زينب بنت النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنها فلما قدم المدينة أسيرا اجارته زوجته السيدة زينب رضى الله عنها بنت النبى صلى الله عليه وسلم بعد ان استجار بها ونادت فى الناس حين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وفى رواية حين كبر وكبر الناس معه نادت أيها الناس انى قد أجرت أبا العاص فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة أقبل على الناس فقال أيها الناس هل سمعتم ما سمعت قالوا نعم ثم قال والذى نفس محمد بيده ماعلمت بشئ من هذا حتى سمعت ماسمعتم المؤمنون يد واحدة يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت ثم

قال اللهم كبرت سنى وضعفت قوتى وانتشرت رعيتى فاقبضنى اليك غير مضيع ولا مفرط فما انسلخ ذوالحجة حتى طعن وعن أسلم مولاه قال قال عمر اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك واجعل موتى فى بلد رسولك وجاء ذلك فى رواية عن ابنته حفصة قالت فقلت أنى يكون هذا فقال يا ابنتى ان الله اذا شاء شيأ كان (وكان) عمر رضى الله عنه لا يأذن لاحد من المشركين أن يدخل المدينة حتى كتب له المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يستأذنه فى ارسال غلام نصرانى وقيل مجوسى يصنع الارحى ولديه أعمال كثيرة حداد ونقاش ونجار ومنافع للناس فاذن له فارسل به المغيرة وضرب عليه المغيرة مائة درهم كل شهر وفى رواية كل يوم أربعة دراهم فجاء الغلام فاشتكى كثرة الخراج الذى عليه فقال له

دخل صلى الله عليه وسلم منزله فدخلت عليه زينب فسألته أن يرد عليه ما أخذ منه فقبل وقال لها أكرمي مثواه ولا يخلصن اليك فانك لا تحلين له وفي رواية ان زينب رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان أبا العاص ان قرب فابن عم وان بعد فابو ولدوانى قد أجرته فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله عنهم ان هذا الرجل منا حيث قد علمتم وقد أصبتم له مالا فان تحسنوا وتردوا عليه الذي له فانا نحب ذلك وان أبيتم فهو فيء الله الذي أفاءه عليكم فانتم أحق به فقالوا يارسول الله بل نرده عليه حتى ان الرجل ليأتي بالدلو والرجل بالاداوة حتى ردوا عليه ماله بأسره لا يفقد منه شيأ ثم ذهب الى مكة فادى الى كل ذي مال ماله ثم قال هل بقي لاحد منكم عندي مال لم يأخذه قالوا لا قال هل أوفيت ذمتي قالوا اللهم نعم فجزاك الله خيرا فقد وجدناك وفيا كريما قال فاني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله والله ما منعني من الاسلام عنده الا تخوفا أن تظنوا اني انما أردت ان آكل أموالكم فلما ردها الله عليكم وفرغت منها أسلمت ثم خرج فقدم المدينة وأخرج الحاكم بسند صحيح ان زينب رضي الله عنها هاجرت وأبو العاص على دينه فخرج الى الشام في تجارة فلما كان قرب المدينة أراد بعض المسلمين الخروج اليه ليأخذوا ما معه ويقتلوه فبلغ ذلك زينب فقالت يارسول الله أليس عقد المسلمين وعهدهم واحدا قال نعم قالت فاشهد أني قد أجرت أبا العاص فلما رأى ذلك الصحابة رضي الله عنهم خرجوا اليه بغير سلاح فقالوا له انك في شرف من قريش وأنت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل لك ان تسلم فتغنم ما معك من أموال أهل مكة فقال بئس ما أمرتموني به ان افتتح ديني بغدرة فمضى الى مكة فسلمهم أموالهم وأسلم عندهم ثم هاجر وقيل ان أسره هذا كان بعد الحديبية على يد أبي بصير ومن معه من المسلمين لما أقاموا بالساحل يقطعون الطريق على تجار قريش مدة الهدنة وتقدم ان زينب كانت هاجرت قبله وتركته على شركه ثم بعد ان أسلم وهاجر ردها صلى الله عليه وسلم اليه بالنكاح الاول وقيل بنكاح جديد وهذا هو الذي عليه العمل لان الاسلام فرق بينهما قال الله تعالى لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وقيل ان هذه الآية متأخرة عن هذه الواقعة فلم يكن اختلاف الدينين مقتضيا للتحريم الا بعد نزولها وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم أثنى على أبي العاص في مصاهرته خيرا وقال حدثني فصدقني ووعدني ووفى لي وأنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي وهو حامل أمامة بنت زينب من أبي العاص رضي الله عنهما مات رضي الله عنه سنة اثنتي عشرة في خلافة الصديق رضي الله عنه وأما زينب رضي الله عنها فتوفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وهي أكبر بناته رضي الله عنهن والله أعلم

(ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه أيضا)

الى الطرف بفتح الطاء وكسر الراء وبالفاء ككتف وهو ماء أي ماء عين على ستة وثلاثين ميلا من المدينة بطريق العراق وكانت في جمادى الآخرة سنة ست فخرج الى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلا فاصاب نعما وشاء وهربت الاعراب لانهم خافوا ان يكون صلى الله عليه وسلم سار اليهم بنفسه وان هؤلاء مقدمة له وصبح زيد بالنعم المدينة وغاب أربع ليال عن المدينة

(ثم سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه أيضا)

الى حسمى بكسر الحاء المهملة وكسر السين المهملة مقصورا وهي اسم أرض ينزلها جذام وراء وادي القرى وذلك من جهة الشام وكانت في جمادى الآخرة سنة ست وقيل سنة سبع فتكون بعد الحديبية لانها بعد رجوع دحية من عند قيصر وبعث دحية الى قيصر كان آخر سنة ست بعد الحديبية وسبب هذه السرية انه أقبل دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه من عند قيصر لما أرسله صلى الله عليه وسلم اليه بكتابه يدعوه الى الاسلام وقد أعطاه قيصر جائزة وكساه لانه قارب ان يسلم ولم يسلم خوفا على ملكه فلقيه الهنيد بن عارض في ناس من جذام بضم الجيم وبالذال المعجمة وهي قبيلة من معد بجبال حسمى فقطعوا عليه الطريق وأصابوا كل شيء كان معه ولم يتركوا عليه الا سمل ثوب وهو الخلق البالي من الثياب فسمع بذلك نفر من بني الضبيب رهط رفاعة بن زيد الجذامي ممن كان أسلم فاستنقذوا لدحية متاعه وفي رواية فنفروا الى الهنيد ومن معه

عمر ما تحسن من الاعمال فذكرها فقال له عمر فما خراجك بكثير وفي رواية قال يا أمير المؤمنين ان المغيرة قد أثقل علي غلتي فكلمه أن يخفف عني فقال له عمر اتق الله وأحسن الى مولاك فغضب العبد وقال وسع الناس كلهم عدله غيري ثم بعد ليال أرسل اليه عمر فقال له ألم أخبر أنك تقول لو أشاء لصنعت رحا تطحن بالريح فالتفت الى عمر عابسا وقال لاصنعن لك رحا يتحدث بها الناس فلما ولى قال عمر لاصحابه أوعدني العلج آنفا وكان ذلك فانه اضمر قتله (وعن) عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال غدوت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى السوق وهو متكئ على يدي اذ لقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال له ألا تعلم مولاي يضع عني من خراجي قال كم خراجك قال دينار قال

حتى لقوهم فاقتتلوا معهم واستنقذوا ما كان فى أيديهم وردوه على دحية فقدم دحية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فبعث زيد بن حارثة رضى الله عنه فى خمسمائة رجل ورد معه دحية فكان زيد يسير بالليل ويكمن بالنهار ومعه دليل من بنى عذرة فاقبل بهم حتى هجموا مع الصبح على القوم فاغاروا عليهم فقتلوا فيهم فاوجعوا أى أكثروا فيهم القتل وقتلوا الهنيد وابنه وأخذوا ماشيتهم ونساءهم فاخذوا من الابل ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة ومن السبى مائة من النساء والصبيان فرحل رفاعة بن زيد الجذامى فى نفر من قومه فدفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الذى كان كتبه له ولقومه ليالى قدم عليه فاسلم وفيه بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله الى رفاعة بن زيد انى بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فمن أقبل ففى حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم على قومه أسلموا فلم يلبثوا ان جاء دحية من عند قيصر الى آخر القصة المتقدمة فلما سمع بنو الضبيب بما صنع زيد بن حارثة رضى الله عنه ركب نفر منهم حسان بن ملة وأبو زيد بن عمرو فلما وقفوا على زيد بن حارثة رضى الله عنه قال حسان انا قوم مسلمون فقال اقرأ أم الكتاب فقرأها فقال زيد نادوا فى الجيش ان الله قد حرم علينا ثغرة القوم التى جاؤا منها الامن ختر وكانت أخت حسان فى الاسارى فقال له زيد خذها فقالت امرأة أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم فقال زيد لاخت حسان اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن ونهى الجيش ان يهبطوا الى واديهم الذى جاؤا منه فامسوا فى أهليهم فلما شربوا عتمتهم ركبوا حتى صبحوا رفاعة فقال له حسان بن ملة انك لجالس تحلب المعز ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به فدعا رفاعة بجمل فشد عليه رحله وخرج معه جماعة فساروا ثلاث ليال فلما دخلوا المدينة وانتهوا الى المسجد دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهم ألاح لهم بيده أن تعالوا من وراء الناس فاستفتح رفاعة المنطق فقام رجل فقال يارسول الله ان هؤلاء قوم سحرة فرددها مرتين أى عندهم فصاحة لسان وبيان فقال رفاعة رحم الله من لم يحذنا فى يومنا هذا الاخيرا ثم دفع كتابه اليه صلى الله عليه وسلم فقال دونك يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ياغلام اقرأه وأعلن فلما قرأه استخبرهم فاخبروه الخبر فقال صلى الله عليه وسلم كيف أصنع بالقتلى ثلاث مرار فقال رفاعة أنت أعلم يارسول الله لانحرم عليك حلالا ولا نحل لك حراما فقال أبو زيد بن عمرو أطلق لنا يارسول الله من كان حيا ومن قتل فهو تحت قدمى هذه فقال صلى الله عليه وسلم صدق أبو زيد اركب معهم ياعلى فقال ان زيدا لن يطيعنى فقال خذ سيفى هذا فاعطاه سيفه فقال ليس لى راحلة فحملوه على بعير وخرجوا فاذا رسول لزيد على ناقة من ابلهم فانزلوه عنها فقال ياعلى ماشأنى قال مالهم عرفوه فاخذوه ثم ساروا فوجدوا الجيش بفيفاء فاخذوا مافى أيديهم حتى كانوا ينزعون المرأة من تحت فخذ الرجل وأخبروهم بان النبى صلى الله عليه وسلم انما بعث عليا رضى الله عنه الى زيد بن حارثة رضى الله عنه يامره أن يخلى بينهم وبين حرمهم وأموالهم وفى رواية فقال على رضى الله عنه لزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك أن ترد على هؤلاء القوم ما بيدك من أسير أو سبى أو مال فقال زيد رضى الله عنه علامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم أى أطلب علامة فقال على رضى الله عنه هذا سيفه فعرفه زيد فنزل وصاح بالناس فاجتمعوا فقال من كان معه شئ من سبى أو مال فليرده فهذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فرد عليهم كل ما أخذ منهم وظاهر السياق يقتضى انهم كانوا يطؤن الجوارى بلا استبراء وهو كذلك لان وجوبه انما كان فى سبى هوازن والله أعلم

(ثم سرية زيد بن حارثة أيضا)

رضى الله عنه الى وادى القرى وهو موضع قريب من المدينة على طريق الحاج من جهة الشام وكانت فى رجب سنة ست سار رضى الله عنه الى وادى القرى فلقى به بنى فزارة وقاتلهم فقتل منهم وقتل من المسلمين قتلى منهم ورد بن مرداس رضى الله عنه وحمل منهم جريح به رمق والله أعلم

ما أرى ان أفعل انك لعامل وما هذا بكثير ثم قال له عمر ألا تعمل لى رحا قال بلى فلما ولى عمر قال أبو لؤلؤة لاعملن لك رحى يتحدث بها ما بين المشرق والمغرب قال فوقع فى نفسى قوله فلما كان النداء لصلاة الصبح خرج عمر الى الناس يؤذنهم بالصلاة قال ابن الزبير وأنا فى مصلاى وقد اضطجع له عدو الله أبو لؤلؤة فضربه بالسكين طعنات احداهن من تحت سرته وهى التى قتلته فصاح عمر بن الخطاب بطلب عبد الرحمن بن عوف فقالوا هو ذا فصلى بالناس وقرأ فى الركعتين سورتين قصيرتين قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد واحتملوا عمر فادخلوه منزله فقال لابنه عبد الله اخرج فانظر من قتلنى فخرج عبد الله بن عمر فقال أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فرجع فاخبره فقال الحمد لله الذى لم يجعل قتلى

(سرية عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه)

الى دومة الجندل بضم الدال المهملة و بفتحها و بفتح الجيم وسكون النون وفتح الدال و باللام آخره وهو حصن وقرى من طرف الشام بينها و بين دمشق خمس ليال و بينها و بين المدينة خمس عشرة أو ست عشرة ليلة وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة وقد ذكر ابن اسحق في أول هذه القصة حديثا في أوله زيادة لا بأس بذكرها فقال حدثني من لا أتهم عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنت عاشر عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجده أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود ومعاذ وحذيفة وأبو سعيد اذ أقبل فتى من الانصار فسلم ثم جلس فقال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فاي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأكثرهم له استعدادا قبل أن ينزل به أولئك هم الاكياس ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معشر المهاجرين خمس خصال اذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن انه لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان الا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم ما مطروا وما نقضوا عهد الله عز وجل وعهد رسوله الا سلط عليهم عدو من غيرهم فاخذوا ما كان في أيديهم وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله الا جعل بأسهم بينهم ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها فاصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء فادناه صلى الله عليه وسلم منه فاقعده بين يديه وعممه بيده وفي رواية نقضها ثم عممه بها فارسل من خلفه أربع أصابع أو نحو ذلك ثم قال هكذا يا ابن عوف فاعتم فانه أحسن وأعرف ثم أمر بلالا أن يدفع اليه اللواء فدفعه اليه ثم حمد الله وصلى على نفسه صلى الله عليه وسلم ثم قال خذه يا ابن عوف اغزوا جميعا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم فاخذ عبد الرحمن اللواء وفي رواية بعثه الى كلب بدومة الجندل وقال ان استجابوا لك أي أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم فسار عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بجيشه حتى قدم دومة الجندل فمكث ثلاثة أيام يدعوهم الى الاسلام وقد كانوا أبوا أول ما قدم عليهم أن يعطوا الا السيف ثم أسلم في اليوم الثالث الاصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيا وكان ملكهم ورئيسهم وأسلم معه ناس كثير من قومه وأقام من أقام على اعطاء الجزية فاقام عبد الرحمن يقبضهم بالجزية وتزوج ماضر بنت الاصبغ وقدم بها المدينة ففازت بشرف الصحبة رضي الله عنها وفي رواية أن عبد الرحمن رضي الله عنه كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بالاسلام من أسلم من القوم وانه أراد أن يتزوج فيهم فكتب اليه صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بنت الاصبغ فتزوجها ويمكن الجمع بين الروايتين بان عبد الرحمن لم يكتف بقوله أولا فان استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم لاحتمال انه أراد أن أسلم الجميع مع انه قد بقي منهم جماعة على الجزية فكتب اليه احتياطا فولدت له بعد ذلك سنة بضع وعشرين من الهجرة أبا سلمة وهو الحافظ الثقة كثير الحديث امام العلماء وهو من كبار التابعين واسمه عبد الله وقيل اسمعيل توفي سنة أربع وتسعين والله أعلم

(سرية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي الله عنه)

ومعه مائة رجل الى بني سعد بن بكر أي الى حي منهم وكانت في شعبان سنة ست من الهجرة وسببها انه بلغه صلى الله عليه وسلم انهم ساعون في جمع الناس يريدون أن يمدوا يهود خيبر فسار علي رضي الله عنه الليل وكمن النهار حتى انتهى الى الغمج بفتح الغين وكسر الميم آخره جيم اسم ماء بين فدك وخيبر فوجدوا به رجلا فقالوا ما أنت قال باغ أي طالب لشئ ضل مني فقالوا هل لك علم بما وراءك من جمع بني سعد قال لا علم لي به فشددوا عليه فاقر أنه عين لهم بعثوه الى خيبر يعرض على يهودها نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرها كما جعلوا لغيرهم ويقدمون عليهم فقالوا له فاين القوم قال تركتهم قد تجمع منهم مائتا رجل قالوا فسر بنا حتى تدلنا قال على أن تؤمنوني قالوا ان دللتنا عليهم أو على سرحهم أمناك والا فلا أمان لك قال فذاك فخرج بهم

بيد رجل يدعي الاسلام يحاجني بلا اله الا الله وفي رواية فاصطنع أبو لؤلؤة خنجرا له رأسان وسمه وتحين أبو لؤلؤة عمر فجاءه في صلاة الغداة حتى قام وراء عمر وكان عمر اذا أقيمت الصلاة يقول أقيموا صفوفكم فقال كما كان يقول فلما كبر ضربه أبو لؤلؤة في كتفه وفي خاصرته فسقط عمر وطعن أبو لؤلؤة بخنجره ثلاثة عشر رجلا هلك منهم سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه ثوبا فلما ظن العلج انه مأخوذ نحر نفسه وحمل عمر رضي الله عنه وصلى بالناس عبد الرحمن ابن عوف فلما قضى صلاته توجهوا الى عمر رضي الله عنه فدعا بشراب لينظر ما قد خرج فاتي بنبيذ فشربه فخرج من جرحه فلم يدر أنبيذ هو ام دم فدعا بلبن فشربه فخرج من جرحه فجعل الناس يثنون عليه

دليلا حتى ساعظنهم به ثم أفضى بهم الى أرض مستوية فاذا نعم كثير وشاء فقال هذه نعمهم وشاؤهم فاغاروا عليها فقال ارسلوني فقالوا حتى نامن الطلب وهرب الرعاء الى جمعهم فحذروهم فتفرقوا فقال الدليل علام تحبسوني وقد تفرقت الاعراب قال على حتى نبلغ معسكرهم فانتهى بهم اليه فلم يرأحدا فارسلوه وساقوا النعم والشاء معهم وكانت خمسمائة بعير وألفى شاة وهربت بنو سعد بالظعن وقدم على رضى الله عنه ومن معه المدينة ولم يلقوا كيدا ورد الله كيد المشركين فلم يعدوا اليهود والله أعلم

(سرية زيد بن حارثة رضى الله عنه)

الى أم قرفة بكسر القاف وسكون الراء وبالفاء وتاء التأنيث وهو اسم امرأة وهى بنت ربيعة بن بدر الفزارى التى جرى فيها المثل أمنع من أم قرفة لانه كان يعلق فى بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا كلهم لها محرم كنيت بابن لها يسمى قرفة وكان لها عشرة بنين وبنتان وكانت بناحية وادى القرى على سبع ليال من المدينة جهة الشام وكانت هذه السرية فى رمضان سنة ست من الهجرة وسببها ان زيد بن حارثة رضى الله عنه خرج فى تجارة الى الشام ومعه بضائع لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما كان بوادى القرى لقيه ناس من فزارة من بنى بدر فضربوه وضربوا أصحابه وأخذوا ما كان معهم وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره وفى رواية أن زيدا رضى الله عنه حلف أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة فرجع وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فبعثه اليهم فى جيش وقال لهم اكمنوا النهار وسيروا الليل فكمن هو وأصحابه بالنهار وساروا بالليل ومعهم دليل من فزارة فعلمت بهم بنو فزارة فجعلوا لهم ناطورا حين يصبحون يصعد على جبل مشرف فينظر وجه الطريق الذى يرون انهم يؤتون منه فيبصر مسافة يوم فيقول اسرحوا فلا بأس عليكم فاذا كان العشاء أشرف على ذلك الجبل فينظر مسيرة ليلة فيقول ناموا فلا بأس عليكم فلما كان الصحابة على نحو ليلة أخطأ دليلهم الطريق فساروا فى آخرى حتى أمسوا وهم على خطأ فعاينوا الحاضرين من بنى فزارة فحمدوا خطأهم ثم صبحهم زيد وأصحابه وكبروا وأحاطوا بحاضر من بنى فزارة فقتلوهم وأخذوا أم قرفة وكانت ملكة رئيسة وكانت ذات شرف فى قومها وأخذوا بنتها جارية بنت مالك ابن حذيفة بن بدر وعمد قيس بن المحسر وقيل ابن سحل الى أم قرفة وهى عجوز كبيرة فاسرها وبنتها فقتلها قتلا عنيفا ربط رجليها بحبلين ثم ربطهما الى بعيرين حتى شقها وانما قتلها كذلك لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت اغزوا المدينة واقتلوا محمدا وقدم زيد بن حارثة رضى الله عنه من وجهه ذلك فقرع باب النبى صلى الله عليه وسلم فقام صلى الله عليه وسلم اليه وهو يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فاخبره بما ظفره الله به وكان سلمة بن الاكوع رضى الله عنه هو الذى أسر بنت أم قرفة فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبها له ثم وهبها صلى الله عليه وسلم لخاله حزن بن أبى وهب فولدت له عبد الرحمن بن حزن

(سرية عبد الله بن عتيك)

لقتل أبى رافع عبد الله أو سلام بتشديد اللام ابن أبى الحقيق بضم الحاء وقافين بينهما تحتية مصغرا اليهودى وهو من الذين حزبوا الاحزاب يوم الخندق وأعان المشركين بالمال الكثير بعث اليه صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك بفتح العين المهملة وكسر التاء الفوقية وسكون الياء وبالكاف الخزرجى الانصارى رضى الله عنه فى رمضان سنة ست وقيل فى ذى الحجة سنة خمس بعد وقعة الاحزاب وفى البخارى قال الزهرى بعد قتل كعب بن الاشرف الواقع سنة ثلاث قال ابن اسحق ان الزهرى أخذ ذلك عن عبد الله بن كعب بن مالك فقال لما قتلت الاوس كعب بن الاشرف فى عداوته للنبى صلى الله عليه وسلم بعد اذنه صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه استأذنته الخزرج فى قتل سلام بن أبى الحقيق وهو بخيبر قال ابن اسحق حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب عن عبد الله بن كعب بن مالك قال كان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ان الاوس والخزرج كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين أى يحمل كل منهما على الآخر والمراد أن كلا

ويقولون جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنين كنت وكنت ثم ينصرفون ويجيء آخرون فيثنون عليه فقال أما والله لوددت انى خرجت منها كفافا لا على ولا لى وأن صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت لى فتكلم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وكان عند رأسه وكان خليطه كأنه من أهله فقال لا والله الا انك لا تخرج منها كفافا فقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فصحبته وهو عنك راض ثم صحبت خليفته فكنت تنفذ أمره وكنت له وكنت له ثم وليتها يا أمير المؤمنين أنت فوليتها بخير ما وليتها او ال كنت تفعل وكنت تفعل فقال أما والله لو ان لى طلاع الارض ذهبا لافتديت به من هول المطلع وفى رواية ان ابن عباس رضى الله عنهما قال أبشر يا أمير المؤمنين أسلمت مع رسول

من الاوس والخزرج يدفع عن النبي صلى الله عليه وسلم و يتفاخر بذلك لا يصنع الاوس شيأ فيه عنه صلى
الله عليه وسلم غنى الا قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفى الاسلام واذا فعلت الخزرج شيأ قالت الاوس مثل ذلك ولما أصابت الاوس كعب بن الاشرف فى عداوته
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا أبدا فتذاكروا من رجل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى العداوة كابن الاشرف فذكروا سلام بن أبى الحقيق فاستأذنوه صلى الله
عليه وسلم فى قتله فاذن لهم فخرج اليه من الخزرج خمسة عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أنيس وأبو قتادة
واسمه الحرث بن ربعى والاسود بن خزاعى ومسعود بن سنان الاسلمى حليف بنى سلمة بطن من الخزرج
فامرهم صلى الله عليه وسلم بقتله ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة فذهبوا الى خيبر فكمنوا فلما هدأت
الرجل عن الحركة جاؤا الى منزله وكان فى حصن مرتفع فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم
قال عبد الله بن عتيك لاصحابه اجلسوا امكانكم فانى منطلق ومتلطف للبواب لعلى أدخل الحصن فاقبل حتى
دنا من الباب ثم تقنع بثوبه ليخفى شخصه كى لا يعرف كأنه يقضى حاجته وقد دخل الناس وكانوا فقدوا حمارا
لهم فخرجوا بقبس يطلبونه فكان ذلك سبب تقنع عبد الله بن عتيك بثوبه وجلوسه كأنه يقضى حاجته مخافة
أن يعرف فناداه البواب يا هذا ان كنت تريد أن تدخل فادخل فانى أريد أن أغلق الباب لانه ظن انه من
أهل الحصن الذين خرجوا لطلب الحمار قال ابن عتيك فدخلت ثم اختبأت فى مربط حمار عند باب الحصن
فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علق الاقاليد أى المفاتيح على وتد فى كوة فقمت الى الاقاليد فاخذتها
ففتحت الباب وكان أبو رافع يسمر الناس عنده وفى رواية فتعشوا عند أبى رافع وتحدثوا حتى ذهبت ساعة
من الليل وكان فى غرفة عالية له اليها عجلة من خشب فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت اليه فجعلت كلما فتحت
بابا أغلق على من داخل وقلت ان القوم ان نذروا بى لم يخلصوا الى حتى أقتله فانتهيت اليه فاذا هو وسط عياله
فى بيت مظلم قد طفئ سراجه لا أدرى أين هو وكان عبد الله بن عتيك يتكلم باليهودية فقدمه أصحابه
ليتكلم بكلام أبى رافع فيظنه انه من قومه فلا يجزع منه فاستفتح باب غرفته فرأته امرأته فقالت من أنت
قال جئت أبا رافع بهدية ففتحت له وقالت ذاك صاحبك فلما رأت السلاح أرادت أن تصيح فاشار اليها بالسيف
فسكتت قال فقلت أبا رافع لاعرف موضعه فقال من هذا فاهويت نحو الصوت فضربته ضربة وأنا دهش
فما أغنت شيأ ولم أقتله وصاح أبو رافع فخرجت من البيت وكمنت غير بعيد فقالت امرأته يا أبا رافع هذا
صوت عبد الله بن عتيك فقال ثكلتك أمك وأين عبد الله بن عتيك قال ثم دخلت عليه كأنى أغيثه وغيرت
صوتى فقلت ما هذا الصوت يا أبا رافع قال لامك الويل ان رجلا فى البيت ضربنى قبل بالسيف فضربته
ضربة أثخنته ولم أقتله فصاح وقام أهله وصاحت امرأته ثم وضعت ظبة السيف أى حده فى بطنه حتى
دخل فى ظهره وسمعت صوت العظم فعرفت أنى قد قتلته فجعلت أفتح الابواب بابا بابا حتى انتهيت الى درجة
فوضعت رجلى وأنا أرى انى قد انتهيت الى الارض فوقعت فى ليلة مقمرة فانكسرت ساقى فعصبتها بعمامة
ثم خرجت وكمنت فى موضع وأوقدت اليهود النيران وذهبوا فى كل وجه يطلبون حتى اذا أيسوا رجعوا
اليه وجلست كامنا وقلت لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته فلما صاح الديك صعد الناعى على السور فقال
أنعى أبا رافع تاجر الحجاز فانطلقت الى أصحابى فقلت النجاء أى أسرعوا فقد قتل الله أبا رافع وفى رواية
فعصبت رجلى وأتيت أصحابى أحجل فقلت انطلقوا فبشروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانى لا أبرح حتى
أسمع الناعى فلما كان وجه الصبح صعد الناعى فقال أنعى أبا رافع فقمت أمشى ما بى قلبة فادركت أصحابى
قبل أن يأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فبشرته صلى الله عليه وسلم وفى رواية فانتهيت الى النبى صلى الله
عليه وسلم فحدثته فقال ابسط رجلك فبسطتها فمسحها بيده المباركة صلى الله عليه وسلم فكأنى لم أشتكها
قط وجاء فى رواية ان الاسود بن خزاعى أحد الاربعة الذين كانوا مع عبد الله بن عتيك تخلف ليتحقق موت
أبى رافع قال فذهبت أنظر حتى دخلت فى الناس فوجدت امرأته ورجالا من يهود حوله وفى يدها المصباح

الله صلى الله عليه وسلم
حين كفر الناس وقاتلت
مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين خذله الناس
وتوفى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو عنك راض
ولم يختلف فى خلافتك رجلان
وقتلت شهيدا فقال عمر أعد
فاعاد فقال عمر المغرور من
غررتموه لو ان لى ما على
ظهرها من بيضاء وصفراء
لافتديت به من هول المطلع
وقد جعلتها يعنى الخلافة
شورى فى ستة توفى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو
عنهم راض عثمان وعلى
وطلحة بن عبد الله والزبير
وعبد الرحمن بن عوف
وسعد بن أبى وقاص رضى
الله عنهم ويشهدهم عبد
الله بن عمر وليس له من
الامر شئ وأجلهم ثلاثا
وأمر صهيبا يصلى بالناس
وفى رواية انهم قالوا له
استخلف علينا فقال لا
أتحملكم حيا وميتا وددت
ان حظى منكم الكفاف

تنظر في وجهه وتعد ثم وتقول أما والله لقد سمعت صوت ابن عتيك ثم أكذبت نفسي وقلت أنى لابن عتيك بهذه البلاد ثم نظرت في وجهه فقالت فاظ أى مات واله يهود فما سمعت من كلمة كانت ألذ في نفسي منها ثم أدرك أصحابه فأخبرهم الخبر وجاء في بعض الروايات أن عبد الله بن عتيك لما غادي عليه المشي أحس بألم رجله وهو سائر مع أصحابه في الطريق فحملوه ثم لما أتاه صلى الله عليه وسلم مسح عليه فزال عنه جميع الالم ببركته صلى الله عليه وسلم وفي رواية للحاكم عن عبد الله بن أنيس رضي الله عنه قال توجهنا من خيبر فكنا نكمن النهار ونسير الليل واذا كنا أقعد نامنا واحد يحرسنا فاذا رأى ما يخافه أشار الينا فلما قربنا من المدينة كانت نوبتي فاشرت اليهم فخرجوا سراعا ثم لحقتهم فدخلنا المدينة فقالوا ماذا رأيت قلت ما رأيت شيأ ولكن خشيت أن تكونوا أعييتم فاردت أن يحملكم الفزع وروى ابن منده عن عبد الله بن عتيك رضي الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن قتل ابن أبي الحقيق وهو على المنبر فلما رآنا قال أفلحت الوجوه وفي هذه القصة من الفوائد جواز اغتيال المشرك الذى بلغته الدعوة وأسر وقتل من أعان عليه صلى الله عليه وسلم بيده أو ماله أو لسانه وجواز التجسس على أهل الحرب وتطلب غرتهم والاخذ بالشدة في محاربتهم وايهام القول للمصلحة وتعرض القليل من المسلمين للكثير من المشركين والحكم بالدليل والعلامة لاستدلال ابن عتيك على أبي رافع بصوته واعتماده على صوت الناعي بموته ووقع في بعض الروايات أن الذى قتل أبا رافع عبد الله بن أنيس والصواب ما في صحيح البخاري ان الذى قتله عبد الله بن عتيك وفي قتل أبي رافع وكعب بن الاشرف يقول حسان رضي الله عنه

* لله در عصابة لاقيتهم	* يا ابن الحقيق وأنت يا ابن الاشرف
يسرون بالبيض الخفاف اليكم	* مرحا كأسد في عرين مغرف
حتى أتوكم في محل بلادكم	* فسقوكم حتفا ببيض ذفف
مستنصرين لنصر دين نبيهم	* مستصغرين لكل أمر مجحف

(سرية عبد الله بن رواحة الانصاري الخزرجي رضي الله عنه)

الى أسير بضم الهمزة وفتح السين وسكون التحتية وبالراء ابن رزام براء مكسورة فزاى مخففة فالف فميم اليهودي بخيبر وكانت في شوال سنة ست وسببها انه لما قتل أبو رافع سلام بن ابي الحقيق أمرت يهود عليها أسيرا فقال والله ما سار محمد الى أحد من يهود ولا بعث أحدا من أصحابه الا أصاب منهم ما أراد ولكني أصنع ما لم يصنع أصحابي فقالوا وما عسيت أن تصنع قال أسير في غطفان فاجمعهم وأسير الى محمد في عقر داره بفتح العين وضمها وسكون القاف أى أصلها فانه لم يغز أحد في عقر داره الا أدرك منه عدوه بعض ما يريد فقالوا نعم ما رأيت فسار في غطفان وغيرهم يجمعهم لحربه صلى الله عليه وسلم وبلغه صلى الله عليه وسلم ذلك فوجه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في ثلاثة نفر في شهر رمضان سرا ليستكشف له الخبر فسأل عن خبره وغرته أى غفلته فاخبر بذلك وذلك انه أتى ناحية خيبر فدخل في الحوائط وفرق الثلاثة في ثلاثة من حصونها فوعوا ما سمعوا من أسير وغيره ثم خرج بعد ثلاثة أيام فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم لليال بقين من رمضان فاخبره بكل ما رآه وسمعه وقدم عليه أيضا خارجة بن حسيل بمهملتين مصغرا فاستخبره صلى الله عليه وسلم ما وراءه فقال تركت أسير بن رزام يسير اليك في كتائب يهود فندب صلى الله عليه وسلم الناس له فانتدب له ثلاثون رجلا فبعث عليهم عبد الله بن رواحة فقدموا عليه فقالوا نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له قال نعم ولى منكم مثل ذلك فقالوا نعم فقالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا اليك لتخرج اليه يستعملك على خيبر ويحسن اليك فطمع في ذلك فشاور يهود فخالفوه في الخروج وقالوا ما كان محمد يستعمل رجلا من بني اسرائيل قال بلى قد مللنا الحرب وخرج وفي رواية لابن اسحق فلما قدموا عليه كلموه وقربوا له وقالوا له انك ان قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك فلم يزالوا به حتى خرج معهم وخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مع كل رجل رديف من المسلمين وفي رواية فحمله أى أسيرا عبد

لا على ولا لى ثم بعد أن ذكر السنة أصحاب الشورى قال أوصيكم وأوصى الخليفة من بعدى بكتاب الله فيكم ان تضلوا ما اتبعتموه وأوصيكم بالمهاجرين فان الناس يكثرون ويقلون وأوصيكم بالانصار فانهم شعب الاسلام وأوصيكم بالاعراب فانهم أصلكم ومادتكم وفي رواية فانهم اخوانكم وعدو عدوكم وأوصيكم باهل الذمة فانهم ذمة نبيكم ورزق عيالكم * واعترض بعض الملحدة على عمر رضي الله عنه في كونه لم يدخل العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم في الشورى * وأجاب أهل السنة عن ذلك بان المعروف بين الصحابة رضي الله عنهم أن التقدم انما يكون بأسبقية الاسلام والهجرة ولهذا لم ينقل قط عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم انه أنكر على عمر عدم ادخال العباس رضي الله

الله بن رواحة حتى اذا كانوا بقرقرة موضع على ستة أميال من خيبر ندم أسير على مسيره الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد الفتك بعبد الله بن رواحة ففطن له وهو يريد السيف فاقتحم به عبد الله ثم ضربه بالسيف فقطع رجله فضرب به أسير بمخرش في يده من شوحط فأمه وفي رواية عن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وأهوى أسير بيده الى سيفي ففطنت له فدفعت بعيري وقلت غدرا أي عدو الله مرتين فنزلت فسقت بالقوم حتى انفرد لي أسير فضربته بالسيف فاندرت عامة فخذه وساقه فسقط عن بعيره ومال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقتلوهم لظهور ارادة الغدر لهم منهم غير رجل واحد أعجزنا شدا أي جريا أفلت على رجليه ولم يصب من المسلمين أحد ولله الحمد فما قتلوا اليهود بعد التأمين الا لكونهم غدروا ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه فقال تمشوا بنا الى الثنية لنبحث عن أصحابنا فخرجوا معه فلما أشرفوا عليها اذا هم بسرعان أصحابنا فجلس صلى الله عليه وسلم في أصحابه فانتهينا اليه فحدثناه الحديث فقال قد نجاكم الله من القوم الظالمين وتفل صلى الله عليه وسلم على شجة عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فلم تقح ولم تؤذه حتى مات وفي رواية قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ومسح صلى الله عليه وسلم وجهي ودعا لي وقطع لي قطعة من عصاه فقال أمسك هذه معك علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها فانك تأتي يوم القيامة مختصرا فلما دفن عبد الله جعلت معه على جلده دون ثيابه ومر له مثل ذلك لما جاء برأس الهذلي قيل فيحتمل ان هذا وهم من بعض الرواة والحق انه لا مانع من تكرار عطائه عصاه وانه جعل الكل بين جلده وكفنه والشارع اذا خص بعض صحبه بشئ لا يسئل لم لم يفعله مع بقية الصحابة والله أعلم

(قصة عكل وعرينة)

وهي سرية كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه كان أحد رؤساء قريش استشهد عام الفتح وعكل حي من قضاعة وعرينة حي من بجيلة وكانت هذه السرية في جمادى الاولى سنة ست وقيل في شوال سنة ست وسببها أن ناسا من عكل وعرينة سبعة أو ثمانية قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وتلفظوا بكلمة التوحيد وأظهروا الاسلام وكانوا حين قدموا المدينة سقاما مصفرة ألوانهم عظيمة بطونهم فقالوا يا رسول الله انا كنا أهل ضرع أي ماشية وابل ولم نكن أهل ريف وكرهنا الاقامة بالمدينة فلو أذنت لنا فخرجنا الى الابل فأمر لهم بذود من الابل وهي من الثلاثة الى العشرة ومعها راع وأمرهم باللحوق بها ليشربوا من ألبانها او أبوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية الحرة وصحت أجسامهم كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم وكان عبدا له صلى الله عليه وسلم اسمه يسار وحين قتلوه مثلوا به فقطعوا يده ورجله وجعلوا الشوك في عينيه واستاقوا الذود فجاء الصريخ بما وقع منهم فبعث صلى الله عليه وسلم في آثارهم خيلا من المسلمين قريبا من العشرين وأمر عليهم كرز بن جابر الفهري رضي الله عنه فلحقهم فجاء بهم فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقطع أيديهم وأرجلهم وسمر أعينهم يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث الطلب في آثارهم قال اللهم أعم عليهم الطريق واجعله عليهم أضيق من مسك جمل فأعمى الله عليهم السبيل وفي رواية فجاء الخبر في أول النهار فبعث في آثارهم فلما ارتفع النهار جيء بهم وفي رواية فبعث في آثارهم فغدوا فاذا هم بامرأة تحمل كتف بعير فسألوها فقالت مررت بقوم قد نحروا بعيرا فأعطوني هذا وهم بتلك المفازة فساروا فوجدوهم فأسروهم ولم يفلت منهم انسان فربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا المدينة وأمر بهم فقطعوا أيديهم وأرجلهم من خلاف وسمروا أعينهم وتركوا في ناحية الحرة في الشمس حتى ماتوا وانما سمر أعينهم لانهم فعلوا مثل ذلك بالراعي كما مر فكان ذلك قصاصا أي كالقصاص قال أنس رضي الله عنه فلقد رأيتهم يكدم أي يعض بعضهم الارض بفيه حتى ماتوا وفي رواية كانوا يستسقون أي يطلبون الماء فلا يسقون لانهم ارتدوا ولا حرمة لهم وأنزل الله في هؤلاء انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله الآية وهؤلاء كفروا وقتلوا وحاربوا وقطعوا الطريق وسرقوا * وفي القصة من الفوائد قدوم الوفود على الامام ونظره في مصالحهم ومشروعية الطب والتداوي بألبان الابل وأبوالها وان كل جسد يطب بما اعتاد وقتل الجماعة

بالواحد

عنه في الشورى حتى العباس رضي الله عنه نفسه لم يذكر عدم ادخاله في الشورى لعلمه بما هو مقرر عند الصحابة رضي الله عنهم والاقرابته رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في المحل الاعلى وكان من أصدق الناس لعمر رضي الله عنه فعمر جرى على ما هو المعروف المألوف بينهم من غير محاباة ثم بعد ذكر أصحاب الشورى والوصية لهم قال لابنه عبد الله انظر ماذا علي من الدين فحسبوه فوجدوه ستة وثلاثين ألفا وفي رواية ستة وثمانين ألفا أو نحوها فقال ان وفى مال آل عمر أده من أموالهم والا فسل في بني عدي فان لم تف أموالهم فسل في قريش ولا تعدهم الى غيرهم ثم قال اذهب الى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل يقرأ عمر عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فاني

بالواحد سواء قتلوه غيلة أو حرابة ان قلنا ان قتلهم كان قصاصا والمماثلة فى القصاص وانه ليس من المثلة المنهى عنها وثبوت حكم الحرابة فى الصحراء وأما فى القرى ففيه خلاف وجواز استعمال أبناء السبيل ابل الصدقة فى الشرب وفى غيره قياسا عليه باذن الامام والله أعلم

(سرية عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه الى أبى سفيان)

بعثه صلى الله عليه وسلم الى أبى سفيان ليقتله غيلة لان أبا سفيان أرسل للنبى صلى الله عليه وسلم من يقتله وذلك ان أبا سفيان قال لنفر من قريش ألا أحد يغدر محمدا فانه يمشى فى الاسواق فأتاه رجل من الاعراب فى منزله فقال قد وجدت أجمع الرجال قلبا وأشدهم بطشا وأسرعهم شدا أى جريا فان أنت قويتنى خرجت اليه حتى أغتاله ومعى خنجر مثل خافية النسر أسوره ثم آخذ فى عير فاسير وأسبق القوم عدوا فانى هاد بالطريق فقال أنت صاحبنا فأعطاه بعيرا ونفقة وقال اطو أمرك فخرج ليلا فسار على راحلته خمسا وصبح ظهر الحرة صبح سادسة ثم أقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دل عليه فعقل راحلته ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى مسجد بنى عبد الاشهل فاقبل الرجل ومعه خنجر ليغتاله فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذا ليريد غدرا والله حائل بينه وبين ما يريد فذهب ليجنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أسيد بن حضير رضى الله عنه بداخلة ازاره أى طرفه وحاشيته فاذا بالخنجر فاسقط فى يده أى ندم وقال دمى دمى أى اترك دمى أو خل دمى فاخذ أسيد بلببه أى منحره وخنقه أشد الخنق فقال صلى الله عليه وسلم أصدقنى ما أنت قال وأنا آمن قال نعم فاخبره بخبره فخلى عنه صلى الله عليه وسلم فاسلم رضى الله عنه وقال يا محمد والله ما كنت أفرق أى أخاف الرجال فما هو الا أن رأيتك فذهب عقلى وضعفت نفسى ثم انك اطلعت على ما هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت انك ممنوع وانك على حق وان حزب أبى سفيان حزب الشيطان فجعل صلى الله عليه وسلم يتبسم فاقام الرجل أياما ثم استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى الخروج فاذن له فخرج ولم يسمع له بذكر ولم يعرف أحد من الحفاظ اسم ذلك الرجل ثم بعث صلى الله عليه وسلم عمرو ابن أمية الضمرى ومعه سلمة بن أسلم الانصارى رضى الله عنه وقيل جبار بن صخر الى أبى سفيان وقال ان أصبتما منه غرة فاقتلاه فدخلا مكة ومضى عمرو بن أمية يطوف بالبيت ليلا فرآه معاوية بن أبى سفيان وفى رواية قدما مكة وحبسا بشعب ثم دخلا مكة ليلا فقال جبار لعمرو لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين فقال عمرو ان القوم اذا تعشوا جلسوا بافنيتهم وانهم ان رأونى عرفونى فانى أعرف بمكة من الفرس الابلق فقال كلا ان شاء الله قال عمرو فأبى أن يطيعنى فطفنا بالبيت وصلينا ثم خرجنا نريد أبا سفيان فوالله انا لنمشى بمكة اذ نظر الىّ رجل من أهلها فعرفنى فقال عمرو بن أمية فوالله ان قدمها الا لشر فقيل ان هذا الرجل الذى أبهمه هو معاوية بن أبى سفيان وقيل غيره فاخبر أبا سفيان وقريشا بوجود عمرو بمكة فخافوه وطلبوه وكان فاتكا جريا فى الجاهلية والفتك القتل على غفلة فحشد أى جمع له أهل مكة وصاروا يطلبونه فهرب عمرو وسلمة أو وجبار بن صخر فلقى عمرو رجلا من رؤس المشركين وهو عبيد الله بن مالك التيمى فقتله وقتل آخر من بنى الديل سمعه يتغنى ويقول

ولست بمسلم ما دمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

ولقى رسولين لقريش بعثتهما قريش الى المدينة يتجسسان الاخبار فقتل أحدهما وأسر الآخر فقدم به المدينة فجعل عمرو يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وهو يضحك ثم دعا له بخير * وفى سيرة ابن هشام بعد قوله السابق ان قدمها الا لشر فقلت لصاحبى النجاء فخرجنا نشتد حتى أصعدنا فى جبل وخرجوا فى طلبنا حتى اذا علونا الجبل يئسوا منا فرجعنا فدخلنا كهفا فى الجبل فبتنا فيه وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يعنى به عبد الله بن مالك التيمى المتقدم ذكره يقود فرساله ويختلى عليها فغشينا ونحن فى الغار فقلت ان رآنا صاح بنا فاخذنا وقتلنا قال ومعى خنجر قد أعددته لابى سفيان فخرجت اليه فضربته على ثديه ضربة فصاح صيحة أسمع اهل مكة ورجعت فدخلت مكانى وجاء الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا من ضربك قال عمرو بن أمية وغلبه الموت فمات مكانه ولم يدلل على مكاننا فاحتملوه فقلت لصاحبى لما أمسينا

اليوم لست أمير المؤمنين وقل يستأذن عمر أن يدفن عند صاحبيه فذهب اليها فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكى فقال يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه فقالت كنت أريده يعنى المكان لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى فاتى عبد الله فلما أقبل قال عمر ارفعونى فأسنده رجل اليه فقال ما لديك قال الذى تحب يا أمير المؤمنين أذنت فقال الحمد لله ما كان شئ أهم الىّ من ذلك المضجع فاذا أنا قضيت فاحملونى ثم سلم وقل يستأذن عمر بن الخطاب فان أذنت لى فادخلونى وان ردتنى فردونى الى مقابر المسلمين فلما توفى خرجنا نمشى فسلم عبد الله بن عمر وقال عمر يستأذن فقالت عائشة أدخلوه فادخل فوضع هنالك مع صاحبيه * وكانت

النجاء فخرجنا بالبلاد من مكة نريد المدينة فمررنا بالحرس وهم يحرسون جثة خبيب بن عدي فقال أحدهم والله
ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية لولا انه بالمدينة لقلت انه عمرو بن أمية فلما حاذى الخشبة التي عليها
خبيب شد عليها فاحتملها وخرج يشتد فخرجوا وراءه حتى أتى جرفا أي مهبط مسيل فرمى الجثة في الجرف
فغيبه الله عنهم فلم يقدروا عليه فقلت لصاحبي النجاء ومضيت ثم أويت الى جبل ودخلت كهفا فبينا أنا فيه اذ
دخل على شيخ من بني الديل أعور في غنيمة له فقال من الرجل فقلت من بني بكر فمن أنت قال من بني بكر فقلت
مرحبا فاضطجع ثم رفع عقيرته فقال

ولست بمسلم مادمت حيا * ولست أدين دين المسلمينا

فقلت في نفسي ستعلم ثم أمهلته حتى اذا نام أخذت قوسي فجعلت سيتها في عينه الصحيحة والسية بكسر المهملة
وفتح التحتية ما عطف من طرفها ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظام ثم خرجت حتى جئت العرج ثم سلكت
حتى اذا هبطت النقيع اذا رجلان من قريش كانت قريش بعثتهما عينا الى المدينة فقلت استأسرا فأبيا فرميت
أحدهما بسهم واستأسر الآخر فأوثقته رباطا وقدمت به المدينة وقد مر انه صلى الله عليه وسلم بعث الزبير
والمقداد لانزال خبيب وتركا وخافا الطلب فالقياه فابتلعته الارض ويمكن أن عمرو بن أمية التقى معهما حين
ارسالهما لانزال خبيب وكان هو راجعا من مكة فشاركهما في انزال خبيب فصح نسبة ذلك الى كل منهم والله
سبحانه وتعالى أعلم

(قصة الحديبية ويقال غزوة الحديبية)

بتخفيف الياء وتشديدها وهي بئر سمي المكان باسمها وقيل شجرة وقيل قرية أكثرها في الحرم على تسعة
أميال من مكة وسببها أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في منامه انه دخل البيت هو وأصحابه آمنين محلقين
رؤسهم ومقصرين فخرج صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة يريد العمرة
ولا يريد قتالا واستنفر العرب من البوادي ومن حوله من الاعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن
يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الاعراب فخرج بمن معه من المهاجرين والانصار
ومن لحق من العرب وساق معه الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس حربه وليعلموا انه انما خرج زائرا للبيت
ومعظما له وخرج معه زوجته أم سلمة رضي الله عنها واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم رضي الله عنه وقيل
أبو رهم كلثوم بن الحصين وقيل استعملهما معا وجملة أصحابه الذين كانوا معه ألف وأربعمائة وقيل ألف
وخمسمائة وقيل ألف وثلثمائة والجمع بين هذا الاختلاف انهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة فمن قال
ألف وخمسمائة جبر الكسر ومن قال وأربعمائة ألغاه وأما رواية ألف وثلثمائة فرواها عبد الله بن أبي
أوفى رضي الله عنه فيمكن حملها على ما اطلع عليه هو واطلع غيره على زيادة مائتين وزيادة الثقة مقبولة أو ان
الالف والثلثمائة هم الذين خرجوا من المدينة ابتداء ثم تلاحقوا أو أن الزيادة من الاتباع والخدم والنساء
والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ولم يخرج صلى الله عليه وسلم معه بسلاح الا سلاح المسافر السيوف في القرب
فلما كان بذي الحليفة قلد الهدي وأحرم منها بعمرة وبعث عينا أي جاسوسا له من خزاعة وسار النبي صلى
الله عليه وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط أتاه جاسوسه فقال ان قريشا جمعوا لك جموعا هم مقاتلوك
وصادوك عن البيت ومانعوك من الدخول الى مكة وفي رواية انه لقيه بعسفان فقال هذه قريش قد سمعوا
بمسيرك فخرجوا ومعهم العوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمور وقد نزلوا بذي طوى يعاهدون الله أن لا تدخلها
عليهم عنوة أبدا والعوذ جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التي معها أطفالها والمراد انهم
خرجوا بما ذكر لارادة طول المقام وعدم الفرار وفي رواية قال له اني لا طوف بالبيت في ليلة كذا وكذا
وقريش في أنديتها اذ صرخ صارخ من أعلى جبل أبي قبيس بصوت أسمع أهل مكة يقول

هبوا لصاحبكم مثلي صحابته * سيروا اليه وكونوا معشرا كرما
بعد الطواف وبعد السعي في مهل * وان يحوزهم من مكة الحرما
شاهت وجوههم من معشر نكل * لا ينصرون اذا ما حاربوا صنما

فارتجت

اصابته يوم الاربعاء لاربع
بقيت من ذي الحجة سنة
ثلاث وعشرين ودفن يوم
الاحد وصلى عليه صهيب
رضي الله عنه (روي) عنه
رضي الله عنه انه كان يقول
حين احتضر ورأسه في حجر
عبد الله رضي الله عنه
ظلوم لنفسي غير اني مسلم
أصلي صلاتي كلها وأصوم
(روي) ان ملك الموت لما
دخل عليه سمعه عمر وهو
يقول هذا بيت أمير
المؤمنين ما فيه شيء كأنه
القبر فقال عمر يا ملك الموت
من تكون أنت خلفه هكذا
يكون بيته وكان عمره يوم
مات رضي الله عنه ثلاثا
وستين سنة كسن النبي
صلى الله عليه وسلم وأبي بكر
رضي الله عنه وقيل كان
عمره خمسا وخمسين أو سبعا
وخمسين ومدة ولايته عشر
سنين وستة أشهر وخمس
ليال وكان يحج بالناس كل
عام غير سنتين متواليتين
(وعن) الحسن قال أعظمت

نار قحت مكة وتعاقدوا على أن لا تدخل عليهم عامهم هذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا الهاتف سلفع شيطان الاصنام يوشك أن يقتله الله ان شاء الله فبينما هم كذلك اذ سمعوا من أعلى الجبل صوتا يقول

شاهت وجوه رجال حالفوا صنما * وخاب سعيهم ما أقصر الهمما
انى قتلت عدو الله سلفعة * شيطان أصنامهم سحقا لمن ظلما
وقد أتاهم رسول الله فى نفر * وكلهم محرم لا يسفكون دما

فقال صلى الله عليه وسلم أشيروا على أيها الناس أترون ان أميل الى عيال هؤلاء الكفار الذين يريدون أن يصدونا عن البيت وذراريهم فان يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عينا من المشركين والا تركناهم محروبين وفى رواية أترون أن نميل ذرارى هؤلاء الذين أعانوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا موتورين محروبين وان يجيئوا تكن عنقا قطعها الله أم ترون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال أبو بكر رضى الله عنه الله ورسوله أعلم يا رسول الله خرجت عامدا لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد فتوجه للبيت فمن صدنا عنه قاتلناه فقال امضوا على اسم الله ويروى أن المقداد بن الاسود رضى الله عنه قال نحو مقالته يوم بدر بعد كلام أبى بكر قال والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فقال صلى الله عليه وسلم فسيروا على اسم الله وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ما رأيت أحدا قط كان أكثر مشاورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم امتثالا لقوله تعالى وشاورهم فى الامر فساروا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خالد بن الوليد بالغميم موضع قريب من مكة فى خيل لقريش فيها مائتا فارس منهم عكرمة بن أبى جهل طليعة وهى مقدمة الجيش فخذوا ذات اليمين وفى رواية قال من رجل يخرج بنا على غير طريقهم التى هم بها فقال رجل من أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمى أنا يا رسول الله فسلك بهم طريقا وعرا فخرجوا منه بعد أن شق عليهم وأفضوا الى طريق سهلة فقال لهم قولوا نستغفر الله ونتوب اليه فقالوا ذلك فقال والله انها الحطة التى عرضت على بنى اسرائيل فلم يقولوها وفى رواية فقال صلى الله عليه وسلم واسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمض بفتح المهملة وسكون الميم وبالضاد المعجمة اسم موضع يخرج على مهبط الحديبية من أسفل مكة وسلك الجيش ذلك الطريق فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ركضوا راجعين الى قريش وفى رواية فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة الجيش أى غباره كذا أطلقه بعضهم وقيده بعضهم بالغبار الاسود فانطلق يركض نذيرا لقريش وفى رواية أن خالدا دنا فى خيله حتى نظر المصطفى صلى الله عليه وسلم والصحابة وصف خيله بينهم وبين القبلة فأمر صلى الله عليه وسلم عباد بن بشر فتقدم فى خيله فقام بازائه فصف أصحابه وحانت صلاة الظهر فصلاها بهم صلى الله عليه وسلم فقال خالد قد كانوا على غرة لو حملنا عليهم أصبنا منهم ولكن ستأتى الساعة صلاة أخرى هى أحب اليهم من أنفسهم وأبنائهم فنزل جبريل بين الظهر والعصر بقوله تعالى واذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك الآية فحانت صلاة العصر والعدو جهة القبلة فصلى بهم صلاة الخوف فرتب القوم صفين وصلى بهم فلما سجد سجد معه صف وحرس صف فلما قام هو ومن سجد معه سجد من حرس ولحقوه وسجد معه فى الثانية من حرس أولا وحرس الآخرون فلما جلس سجد من حرس وتشهد بالصفين وسلم وهذه الكيفية تعرف بصلاة عسفان ثم سار النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية التى تشرف على الحديبية وتهبط على قريش وتسمى ثنية المرار بكسر الميم وتخفيف الراء بركت ناقته القصواء فقال الناس حل حل وهى كلمة تقال للناقة اذا تركت السير فتمادت على عدم القيام فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء أى حرنت وبركت من غير علة والخلاء بالمد للابل كالحران للخيل فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل أى حبسها الله عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها ومناسبة ذلك التشبيه أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدتهم قريش لوقع القتال المفضى الى سفك الدماء ونهب الاموال كما لو قدر دخول الفيل وأصحابه لكن سبق فى علم الله أنهم

الارض لما قتل عمر فجعل الصبى يقول يا أماه أقامت القيامة فتقول لا يابنى ولكن قتل عمر بن الخطاب وناحت عليه الجن وتقدم فى فضائل أبى بكر رضى الله عنه عن أبى جعفر وابن عباس رضى الله عنهم انه لما سجى عمر رضى الله عنه وقف عليه على بن أبى طالب رضى الله عنه وقال ما على الارض رجل أحب الى أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى وزاد ابن السمان فى رواية ثم بكى على رضى الله عنه حتى اخضلت لحيته بالدموع وزاد فى رواية ان عليا رضى الله عنه قال رحمك الله يا ابن الخطاب ان كنت لآيات الله لعالما وان كان الله فى صدرك لعظيما وان كنت لتخشى الله ولا تخشى الناس فى الله جوادا بالحق بخيلا بالباطل خميصا من الدنيا بطينا من الآخرة (وعن) أوس بن حكيم قال رأيته

لا يدخلون الآن لانه سيدخل في الاسلام خلق منهم و يستخرج من أصلابهم ناسا يسلمون و يجاهدون وكان
بمكة جمع كثير مؤمنون من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فلو طرق الصحابة مكة لما أمن أن يصاب
منهم ناس بغير عمد كما أشار اليه قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم
منهم معرة بغير علم وجواب لو محذوف أي لاذن لكم في الدخول والقتال وانما منعكم من الدخول والقتال
ليدخل الله في رحمته من يشاء أي من الكفار الذين سبقت لهم السعادة لو تزيلوا أي لو تميز الكفار من المؤمنين
المستضعفين لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما ثم قال صلى الله عليه وسلم عقب قوله حبسها حابس الفيل
والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة فيها تعظيم حرمات الله أي من ترك القتال في الحرم والجنوح الى السلم
والكف عن اراقة الدماء وفي رواية لا يدعوني قريش اليوم الى خطة يسألوني فيها صلة الرحم وهي من حرمات
الله الا أعطيتهم اياها أي أجبتهم اليها وان كان فيها تحمل المشقة ثم زجر الناقة فوثبت فعدل عنهم حتى نزل
بأقصى الحديبية ثم قال للناس انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء ننزل عليه وكان فيه حفرة فيها ماء قليل
يأخذونه قليلا قليلا فأخذوه حتى نزحوه وشكوا اليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه
فيه فنزل ناجية بن الاعجم وقيل ناجية بن جندب وقيل عبادة بن خالد أو خالد بن عبادة وقيل البراء بن عازب رضي
الله عنه فوضعه في البئر ويمكن أن الجميع تعاونوا في ذلك قال فوالله ما زال يجيش أي يفور الماء حتى صدروا
عنه أي رجعوا رواء بعد ورودهم وفي رواية فما زال الماء يجيش حتى اغترفوا بآنيتهم جلوسا على شفير البئر
وفي البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم جلس على البئر ثم دعا باناء فمضمض
ودعا ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة فارووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وعند غير البخاري توضأ في الدلو ثم
أفرغه فيها وانتزع السهم فوضعه فيها ويمكن الجمع بأنه فعل ذلك كله وفي حديث جابر عند البخاري ومسلم
قال عطش الناس يوم الحديبية وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ركوة يتوضأ منها فأقبل الناس نحوه
فقال ما لكم قالوا يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا نشرب الا ما في ركوتك فوضع يده في الركوة فجعل
الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا وجمع ابن حبان بينهما بأن ذلك وقع في وقتين
وكان قصة الركوة قبل قصة البئر وقد أخرج الامام أحمد عن جابر رضي الله عنه القصة وفيها فجاء رجل باداوة
فيها شيء من ماء ليس في القوم ماء غيره فصبه صلى الله عليه وسلم في قدح ثم توضأ فأحسن الوضوء ثم انصرف وترك
القدح وتزاحم الناس عليه فقال على رسلكم فوضع كفه في القدح ثم قال أسبغوا الوضوء قال ولقد رأيت
العيون عيون الماء تخرج من بين أصابعه واختلاف ألفاظ حديث جابر لعله كان من تصرف الرواة ووقع
في بعض الروايات انهم توضؤا وشربوا وسقوا دوابهم وملؤا قربهم فقيل كم كنتم قال لو كنا مائة ألف
لكفانا كنا ألفا وأربعمائة وفي حديث زيد بن خالد رضي الله عنه انهم أصابهم مطر بالحديبية فكأن ذلك
وقع بعد القصتين المذكورتين والله أعلم وفي هذا معجزات ظاهرة وفيه بركة سلاحه وما ينسب اليه صلى الله
عليه وسلم فبينما هم كذلك اذ جاءهم بديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة الخزاعي في نفر من قومه خزاعة وكان
ذلك قبل اسلامه فانه أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكانت خزاعة عيبة نصح للنبي صلى الله عليه وسلم وتقدم أن
بني هاشم في الجاهلية كانوا تحالفوا مع خزاعة فاستمر ذلك في الاسلام فقال بديل للنبي صلى الله عليه وسلم غورت
أي أبعدت عن المدينة ولا سلاح معك فقال لم نجئ لقتال فتكلم أبو بكر رضي الله عنه فقال له بديل أنا لا أتهم
ولا قومي ثم قال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل والعوذ
جمع عائذ وهي الناقة ذات اللبن والمطافيل الامهات التي معها أطفالها يريد انهم خرجوا معهم بذوات
الالبان من الابل ليتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه أو كني بذلك عن النساء معهن الاطفال والمراد انهم
خرجوا بنسائهم وأولادهم لارادة طول المقام ان دعا اليه الامر ليكون أدعى الى عدم الفرار وخص كعب بن
لؤي وعامر بن لؤي لرجوع أنساب قريش الذين بمكة أجمع اليهما وبقي من قريش بنو سامة بن لؤي وبنو
عوف بن لؤي وهم قريش البطاح ولم يكن بمكة منهم أحد وكذلك قريش الظواهر الذين منهم بنو تيم بن

علي بن أبي طالب رضي الله
عنه حين موت عمر رضي
الله عنه نكس رأسه ثم
رفعه فقال واعمراه يا نقي
الثوب قليل العيب واعمراه
ذهب بالسنة وأبقى الفتنة
أصاب والله ابن الخطاب
خيرها ونجى عن شرها
وعن سعيد بن زيد رضي
الله عنه انه بكى فقيل له
ما يبكيك قال أبكي على
الاسلام ان موت عمر ثلمة
لا ترتق الى يوم القيامة وعن
عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما قال كان عمر حصنا
للاسلام فالناس يدخلون
فيه ولا يخرجون فأصبح
الحصن قد انهدم والناس
يخرجون منه ولا يدخلون
وقال أبو طلحة ما من بيت
حاضر ولا باد الا وقد دخل
عليه من موت عمر نقص
وعن عبد الله بن سلام
رضي الله عنه انه وقف على
جنازة عمر رضي الله عنه ثم
قال نعم المرء للاسلام كنت
يا عمر جوادا بالحق بخيلا

غالب ومحارب بن فهر وقوله أعداد مياه الحديبية قال الحافظ ابن حجر يشعر بانه كان بها مياه كثيرة وان قريشا سبقوا الى النزول عليها فلهذا عطش المسلمون وقد جاء التصريح بذلك عن عروة بن الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مجيبا لبديل انا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب أى أضعفت قوتهم وأهزلتهم وأضعفت أموالهم وأضرت بهم فان شاؤا ماددتهم أى جعلت بينى وبينهم مدة تترك الحرب فيها ويخلوا بينى وبين الناس من كفار العرب وغيرهم فان أظهر أى باظهار الله تعالى دينى بحيث يدخله الناس ويتبعونى فيما جئت به فان شاؤا الدخول فيما دخل فيه الناس فعلوا والا أى وان لم أظهر فقد جموا بفتح الجيم وشد الميم المضمومة يعنى استراحوا من القتال وفى رواية فان ظهر الناس على فذلك الذى يبغون وفى رواية وان لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة وانما ردد الامر مع انه جازم بان الله تعالى سينصره ويظهره لوعد الله تعالى له بذلك على طريق التنزل مع الخصم وفرض الامر على مازعمه ثم قال وان هم أبوا فوالذى نفسى بيده لاقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى وهى صفحة العنق كنى بذلك عن القتل أى حتى أموت وأبقى منفردا فى قبرى وقيل المراد انه يقاتل حتى ينفرد وحده فى مقاتلتهم والمعنى ان لى من القوة بالله والحول به مايقتضى مقاتلتهم عن دينه لو انفردت فكيف لا أقاتلهم عن دينه مع كثرة المسلمين ونفاذ بصائرهم فى نصر دين الله ولينفذن الله أمره وفى هذا تصريح بما كان عليه صلى الله عليه وسلم من القوة والثبات فى تنفيذ حكم الله وتبليغ أمره والندب الى صلة الرحم والابقاء على من كان من أهلها وبذل النصيحة للقرابة فقال بديل سأبلغهم ما تقول فاذن له * قال الزرقانى فى شرح المواهب وفى هذا جواز استنصاح بعض المعاهدين وأهل الذمة اذا دلت القرائن على نصحهم وشهدت التجربة بايثارهم أهل الاسلام على غيرهم ولو كانوا من أهل دينهم ويستفاد منه جواز استنصاح بعض ملوك العدو استظهارا على غيرهم ولا يعد ذلك من موالاة الكفار ولا من موادة أعداء الله بل من قبيل استخدامهم وتقليل شوكة جمعهم وانكاء بعضهم ببعض ولا يلزم من ذلك جواز الاستعانة بالمشركين على الاطلاق انتهى وبديل بن ورقاء كان سيد قومه وأسلم يوم الفتح بمر الظهران وشهد حنينا والطائف وتبوك وكان من كبار مسلمة الفتح وقيل أسلم قبل الفتح وقال ابن منده وأبو نعيم اسلم قديما ولعله كان يكتم اسلامه والمشهور هو الاول وخزاعة قبيلة من الازد ثم انطلق بديل مع من معه من قومه حتى أتى قريشا فقال ناس منهم هذا بديل وأصحابه وانما يريدون أن يستخبروكم فلا تسألوهم عن حرف واحد فرأى بديل انهم لا يستخبرونه فقال انا قد جئنا كم من عند هذا الرجل يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وسمعناه يقول قولا فان شئتم نعرضه عليكم فعلنا وفى رواية انا جئنا من عند محمد أتحبون أن نخبركم عنه فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشئ ولكن أخبره عنا أنه لا يدخلها علينا عامه هذا أبدا حتى لا يبقى منا رجل واحد وقال ذو الرأى منهم هات ما سمعته يقول ولم يكن أبو سفيان حاضرا هذه القضية على الصحيح بل كان غائبا فى بعض تجاراته فمن ذكره معهم فقد غلط وفى رواية فاشار عليهم عروة بن مسعود الثقفى بان يسمعوا كلام بديل فان أعجبهم قبلوه والا تركوه فقال صفوان بن أمية والحرث بن هشام أخبرونا بالذى رأيتم وسمعتم قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فرجعوا الى قريش فقالوا انكم تعجلون على محمد انه لم يأت لقتال انما جاء زائرا لهذا البيت فقالوا وان كان جاء لا يريد قتالا بل جاء زائرا فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ولا تحدث عنا العرب بذلك أبدا فقام عروة بن مسعود الثقفى وقد أسلم رضى الله عنه عند منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطائف وهو أحد الرجلين اللذين قال الله فيهما وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فاحدهما الوليد بن المغيرة كان بمكة ومات كافرا والثانى عروة بن مسعود الثقفى وكان بالطائف فالقريتان مكة والطائف فقال لقريش ياقوم ألستم بالوالد أى مثل الوالد فى الشفقة على ولده قالوا بلى قال أولست بالولد أى مثله فى النصح لوالده قالوا بلى بل جاء ان أم عروة سبيعة بنت عبد شمس بن عبد مناف فاراد أنهم ولدوه فى الجملة قال فهل تتهمونى قالوا لا ما أنت عندنا بمتهم قال ألستم تعلمون انى استنفرت أهل عكاظ أى دعوتهم الى نصركم فلما امتنعوا من الاجابة جئتكم باهلى وولدى ومن أطاعنى قالوا بلى قال فان هذا يعنى

بالباطل ترضى حين الرضا وتغضب حين الغضب عفيف الطرف لم تكن مداحا ولا مغتابا (وعن) حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال كان الاسلام فى زمان عمر كالرجل المقبل لا يزداد الا قربا فلما توفى صار كالرجل المدبر لا يزداد الا بعدا (وعن) عبد الرحمن ابن غنم أنه قال يوم مات عمر أصبح الاسلام موليا وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال والله لو أعلم ان كلبا يحب عمر لاحببته وودت انى كنت خادما لعمر حتى أموت ولقد وجد فقده كل شئ حتى العضاه وان هجرته كانت نصرا وان سلطانه كان رحمة وقال لابنه عبد الله وهو فى حلقة فى المسجد الحرام يا أبا عبد الرحمن ما الصراط المستقيم الا الذى ثبت عليه أبوك حتى دخل الجنة ورب الكعبة وحلف ثلاث أيمان على ذلك (وقال)

النبي صلى الله عليه وسلم قد عرض عليكم خطة رشد أي خصلة خير وصلاح وانصاف اقبلوها ودعوني آتيه أي
أجيء اليه قالوا ائته فأتى عروة بن مسعود النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم بنحو
ما قال بديل بن ورقاء فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل السابق وأخبره أنه لم يأت يريد حربا
وعند قول النبي صلى الله عليه وسلم فان هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم قال عروة أي محمد أخبرني ان
استأصلت قومك أي أهلكتهم بالكلية هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أي أهلك أصله قبلك وان تكن
الأخرى أي وان تكن الغلبة لقريش فاني والله لأرى وجوها أشوابا يعني أخلاطا من الناس خليقا أن يفروا
عنك ويدعوك وفي رواية فكأني بهم لو لقيت قريشا قد أسلموك فتؤخذ أسيرا فأي شيء أشد عليك من هذا
وانما قال ذلك لان العادة جرت ان الجيوش المجمعة لا يؤمن عليها الفرار بخلاف من كان من قبيلة واحدة
فانهم يأنفون الفرار عادة وما درى عروة أن مودة الاسلام أعظم من مودة القرابة وقد ظهر له ذلك بعد
من مبالغة المسلمين في تعظيمه صلى الله عليه وسلم فلما قال عروة بن مسعود ما قاله وعرض بل صرح بنسبتهم
للفرار قال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان قاعدا خلف النبي صلى الله عليه وسلم امصص بظر
اللات أي الحس نفر عنه والبظر هو الفرج وقيل قطعة بعد الختان في فرج المرأة واللات اسم صنم كانت تعبده
ثقيف قال العلماء هذا مبالغة من أبي بكر رضي الله عنه في سب عروة فانه أقام معبود عروة وهو صنمه
مقام أمه تحقيرا لمعبوده وعادة العرب الشتم بذلك فقال عروة من هذا يا محمد واستفهم عنه لجلوسه خلف
النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينافي أنه يعرفه وله عليه يد كما سيقول فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا
أبو بكر بن أبي قحافة فقال عروة مخاطبا لأبي بكر أما والذي نفسي بيده وكانت عادة العرب الحلف بذلك
لولا يد لك عندي لم أكافئك بها لأجبتك ولكن هذه بها أي جعلت عدم اجابتك عن شتمي جزاء ليدك التي
كنت أحسنت الي بها قال الزهري ان اليد المذكورة هي أن عروة كان تحمل دية فأعانه فيها أبو بكر رضي
الله عنه بعون حسن وفي رواية أعانه بعشر قلائص وكان غيره يعينه بالاثنين والثلاث وجعل عروة بن مسعود
يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما تكلم بكلمة أخذ بلحيته صلى الله عليه وسلم وكانت تلك عادة العرب
وكان المغيرة بن شعبة بن مسعود الثقفي وهو ابن أخي عروة بن مسعود قائما على رأس النبي صلى الله عليه
وسلم ومعه السيف بقصد الحراسة وعليه المغفر قال عروة بن الزبير ان المغيرة لما رأى عروة بن مسعود لبس
لامته وجعل على رأسه المغفر ليستخفي من عمه عروة وقام على رأس النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ ابن
حجر فيه جواز القيام على رأس الامير بالسيف لقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدو ولا يعارضه النهي
عن القيام على رأس الجالس لان محله ما اذا كان على وجه العظمة والكبر فكان المغيرة كلما أهوى عروة
ابن مسعود بيده الى لحية النبي صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل السيف وهو ما يكون أسفل القراب من
فضة أو غيرها وفعل المغيرة ذلك اجلالا وتعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول لعروة أخر يدك
عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا ينبغي لمشرك أن يمسه فيقول عروة ما أفظك وأغلظك وقد
كانت عادة العرب أن يتناول الرجل لحية من يكلمه ولا سيما عند الملاطفة يريدون بذلك التحبة والتواصل
وفي الغالب انما يصنع ذلك النظير بالنظير فربما رأى عروة لعظمته في قومه أنه نظير للنبي صلى الله عليه وسلم
وما علم حينئذ أنه لا نظير له فاللائق منعه فاذا كان المغيرة رضي الله عنه يمنعه لكن كان صلى الله عليه وسلم
يغضي أي يتغافل ويسكت لعروة فلا يؤاخذه بفعله ولا يمنعه استمالة وتأليفا له ولقومه والمغيرة كان يمنعه
فلما تكرر المنع من المغيرة رفع عروة رأسه وقال من هذا وفي رواية فلما أكثر المغيرة مما يقرع يده غضب
وقال ليت شعري من هذا الذي قد آذاني من بين أصحابك والله لا أحسب فيكم ألأم منه ولا أشر منزلة فتبسم
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عروة من هذا يا محمد قال هذا ابن أخيك شعبة وفي رواية هذا المغيرة بن شعبة
فلما عرف أنه ابن أخيه قال أي غدر ألست أسعى في غدرتك وفي رواية والله ما غسلت يدي من غدرتك
ولقد أورثتنا العداوة في ثقيف وفي رواية وهل غسلت سوأتك الا بالامس فيمكن أن الاختلاف من تصرف

الرواة

معاوية رضي الله عنه
لصعصعة بن صوحان قل
صف لي عمر فقال كان عالما
في نفسه عادلا في رعيته
قليل الكبر قبولا للعذر
سهل الحجاب مفتوح الباب
متحريا للصواب ٧ بعيدا من
الاناة رفيقا بالضعيف غير
صخاب كثير الصمت بعيدا
من العتب وكانت عائشة
رضي الله عنها تقول في عمر
وهو الرجل البارع الذي
لا يسبقه أحد والأحوذي
السابق الخفيف من كل
شيء وكانت تقول اذا ذكر
عمر في المجلس حسن الحديث
فزينوا مجالسكم بالصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم
وبذكر عمر رضي الله عنه
وكان أبو عبيدة رضي الله
عنه يقول قبل موت عمر
رضي الله عنه ان مات عمر
رق الاسلام ما أحب أن
يكون لي ما تطلع عليه الشمس
أو تغرب وان أبقى بعد عمر
قال قائل ولم قال ستروت
ما أقول لكم ان بقيتم ان

٧ (قوله بعيدا من الأناة)
هكذا في نسخة الاصل ومعناه
انه شديد المسارعة الى الخير
فهو من باب قولهم خير البر
أعجله هذا ما ظهر وتأمل اه

الرواة أو انه قال ذلك كله ويعني بغدره ما كان من المغيرة قبل اسلامه فانه صحب في الجاهلية ثلاثة عشر من ثقيف من بني مالك خرجوا الى المقوقس ملك مصر بهدايا فاحسن اليهم وأعطاهم وقصر بالمغيرة لانه لم يكن من رهطهم بل من أحلافهم فغار منهم ولم يواسه أحد منهم فلما كانوا ببعض الطريق شربوا الخمر وناموا فوثب المغيرة فقتلهم كلهم وأخذ أموالهم ثم جاء الى المدينة فاسلم فقال أبو بكر رضي الله عنه ما فعل المالكيون الذين كانوا معك قال قتلتهم وجئت باسلابهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخمس أو ليرى رأيه فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الاسلام فاقبل وأما المال فلست منه في شيء أي لا أتعرض له لكونه أخذ غدرا لانه لا يحل أخذ مال الكفار غدرا حال الامن لان الرفقة يصطحبون على الامانة وهي تؤدى الى أهلها مسلما كان أو كافرا وانما تحل أموالهم بالمحاربة والمغالبة فلعله صلى الله عليه وسلم ترك المال في يده لامكان اسلام قومه فيرد اليهم أموالهم وقيل انه لما فعل ذلك كان مثلهم حربيا والحربي اذا أتلف مال الحربي لم يضمن وهو أحد وجهين للشافعية فبلغ ثقيفا ما فعله المغيرة من قتل أصحابه وأخذ أموالهم فتهايج الفريقان للقتال بنو مالك والاحلاف رهط المغيرة فسعى عمه عروة بن مسعود حتى أخذوا منه دية ثلاثة عشر نفرا واصطلحوا وقيل ان عروة بن مسعود ليس عما للمغيرة نفسه بل عم أبيه ولا ضير في ذلك فعم الاب عم عند العرب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه كان من دهاة العرب أحصن في الاسلام ثمانين امرأة وقيل ثلثمائة وقيل ألف امرأة ثم ان عروة بن مسعود جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينه فقال حين حدثنا الحديث والله ما تنخم يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده تبركا واذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره أي أسرعوا الى فعله واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فكان في فعلهم ذلك ردا باطنا من فرارهم فكأنهم قالوا بلسان الحال من نحبه هذه المحبة ونعظمه هذا التعظيم كيف يظن بنا أن نفر عنه ونسلمه لعدو بل هم أشد اغتباطا أي تعلقا وتمسكا به وبدينه ونصره من هذه القبائل التي تراعي بعضها بمجرد الرحم فرجع عروة الى أصحابه فقال أي قوم فوالله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ما يتنخم نخامة الا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده واذا أمرهم ابتدروا أمره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه واذا تكلم خفضوا أصواتهم وفي رواية واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده اجلالا وتوقيرا وما يحدون النظر اليه تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا فروا رأيكم وفي رواية فقال عروة أي قوم قد رأيت الملوك ما رأيت مثل محمد وما هو بملك ولقد رأيت الهدي معكوفا وما أراكم الا ستصيبكم قارعة وهذا دليل على جودة عقله وتفطنه لما كان عليه الصحابة من المبالغة في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وتوقيره ومراعاة أموره وردع من جفا عليه بقول أو فعل والتبرك بآثاره فلم يسمع القوم ما قاله عروة بن مسعود ومارغبهم فيه من الصلح فانصرف هو ومن تبعه الى الطائف فقال رجل من بني كنانة يسمى الحليس بن علقمة ولا يعرف له اسلام وكان سيد الاحابيش أي القبائل التي تجمعت من غير قريش دعوني آته يعني النبي صلى الله عليه وسلم أي أذهب اليه فقالوا ائته فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن يعني التي تهدى للحرم فابعثوها أي أثيروها دفعة واحدة ليعتبر برؤيتها ويتحقق أنهم لا يريدون حربا فيعينهم على دخول مكة لنسكهم فبعثوها واستقبله الناس يلبون بالعمرة فلما رأى الحليس ذلك قال متعجبا سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا أي يمنعوا عن البيت وفي رواية قال أبى الله أن تحج لخم وجذام وكندة وحمير ويمنع ابن عبد المطلب وفي رواية فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي بقلائده وقد حبس عن محله رجع ولم يصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء عند الحاكم أنه صاح وهو على بعد فقال هلكت قريش ورب الكعبة ان القوم انما أتوا عمارا فقال صلى الله عليه وسلم أجل يا أخا بني كنانة قال الحافظ ابن حجر فيحتمل أنه خاطبه على بعد ولم يصل اليه جمعا بين الروايتين

ولي بعده وال فاخذهم بما كان عمر يأخذهم به لم تطعه الناس وان ضعف قتلوه ولما مات عمر محا الزبير بن العوام نفسه من الديوان وكان العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم صديقا لعمر رضي الله عنه فلما توفي عمر جعل يدعو الله أن يريه عمر في المنام قال فرآه بعد حول وهو يمسح العرق عن وجهه فقال ما فعلت فقال هذا أول ما فرغت لولا أني لقيت رؤفا رحيما والله سبحانه وتعالى أعلم

(الباب الثالث في بيان فضل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وحقيقة خلافته)

(أسلم) رضي الله عنه قديما وهو ممن دعاه الصديق رضي الله عنه الى الاسلام وهاجر الهجرتين الاولى الى الحبشة والثانية الى المدينة وتزوج رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وماتت عنده

فلما رجع الى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن يصدوا عن البيت فقالوا له اجلس انما أنت أعرابي لا علم لك فغضب عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم ولا على هذا عاهدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظما له والذي نفس الحليس بيده لتخلن بين محمد وما جاء له أو لانفرن بالاحابيش نفرة رجل واحد فقالوا له اكفف عنا يا حليس حتى نأخذ لانفسنا ما نرضى به * وفي القصة دليل على أن كثيرا من المشركين كانوا يعظمون حرمات الاحرام والحرم وينكرون على من يصد عن ذلك تمسكا منهم ببقايا دين ابراهيم عليه السلام ثم قام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص من بني عامر بن لؤي ولم يذكره أحد في الصحابة الا ابن حبان فانه ذكره بلفظ يقال له صحبة وهو بكسر الميم وسكون الكاف وفتح الراء بعدها زاي فقال دعوني آتيه فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر وفي رواية غادر قال الحافظ ابن حجر ما زلت متعجبا من وصفه بالفجور مع أنه لم يقع منه في قصة الحديبية فجور ظاهر بل فيها ما يشعر بخلاف ذلك كما سيأتي من كلامه في قصة أبي جندل الى أن رأيت في مغازي الواقدي في غزوة بدر أن عتبة بن ربيعة قال لقريش كيف نخرج من مكة وبنو كنانة خلفنا لا نأمنهم على ذرارينا وذلك أن حفص بن الاخيف كان له ولد وضيء فقتله رجل من بني بكر بن كنانة بدم لهم كان في قريش فتكلمت قريش في ذلك ثم اصطلحوا فعدا مكرز بعد ذلك على عامر بن يزيد سيد بني بكر غرة فقتله فنفرت من ذلك كنانة فجاءت وقعة بدر أثناء ذلك وكان مكرز معروفا بالغدر وذكر الواقدي أيضا أن مكرزا أراد أن يبيت المسلمين بالحديبية فخرج في خمسين رجلا فأخذهم محمد بن مسلمة وهو على الحرس وانفلت مكرز فكان صلى الله عليه وسلم أشار الى ذلك حين قال وهو رجل فاجر أو غادر فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يكلمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نحوا مما قال لبديل وأصحابه فبينما هو يكلمه اذ جاء سهيل بن عمرو العامري وكان خطيب قريش وقد أسلم عام الفتح رضي الله عنه وكان ملازما للجهاد حتى استشهد يوم اليرموك وقيل مات بالشام بطاعون عمواس وكان يقول والله لا أدع موقفا وقفته مع المشركين الا وقفت مع المسلمين مثله ولا نفقة أنفقتها مع المشركين الا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمري أن يتلو بعضه بعضا قال الشافعي سهيل بن عمرو رضي الله عنه كان محمود الاسلام من حين أسلم ولما جاء خبر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة اضطرب الناس وكادوا يرتدون فخطب الناس خطبة كخطبة الصديق بالمدينة رضي الله عنه وثبتهم فيها وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه لما أراد تكسير أسنانه لعله يقف موقفا يسرك فكان ذلك الموقف هو خطبته لاهل مكة وتثبيتهم فكان ذلك من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم قيل ان وصول سهيل بن عمرو الى النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل انصراف مكرز بن حفص من عند النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ان مكرزا رجع الى قريش فأخبرهم بقوله صلى الله عليه وسلم وأن ذهاب الحليس ثم عروة بعد مكرز وجميعهم رجع فأخبرهم ثم جاء مع سهيل في الصلح ولما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم وكان مع سهيل حويطب ابن عبد العزى * قال ابن اسحق دعت قريش سهيل بن عمرو فقالت اذهب الى هذا الرجل ولا تكن في صلحه الا أن يرجع عنا عامه هذا فوالله لا تحدث العرب أنه دخلها علينا عنوة أبدا فأتى سهيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما رآه مقبلا قد أرادت قريش الصلح حين بعثت هذا الرجل فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم برك على ركبتيه وجلس النبي صلى الله عليه وسلم متربعا وقام عباد بن بشر وسلمة بن أسلم على رأسه مقنعين في الحديد وجلس المسلمون حوله فجرى بينهما القول وأطال سهيل الكلام وتراجعا فقال له عباد بن بشر خفض صوتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فخفض صوته ولم يزالا يتراجعان حتى تم الصلح بينهما وهذا يقتضي أن ارسال سهيل بن عمرو كان قبل أن يرسل النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة وجرى على ذلك كثير من أهل السير وقال آخرون ان ارسال سهيل بن عمرو كان بعد ارسال النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل مكة فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية أحب أن يبعث الى قريش يعلمهم انه انما قدم معتمرا لا مقاتلا فبعث خراش بن أمية الخزاعي على

في ليالي غزوة بدر فتأخر عنها لتمريضها باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب له بسهمه وأجره فهو معدود من البدريين بذلك لقوله صلى الله عليه وسلم ان لك أجر رجل شهد بدرا وسهمه وجاء البشير بنصر المؤمنين يوم دفنوها بالمدينة ثم زوجه النبي صلى الله عليه وسلم أختها أم كلثوم بوحي من الله تعالى وتوفيت عنده سنة تسع من الهجرة ولا يعرف أحد تزوج بنتي نبي غيره ولذا سمي ذا النورين فهو من السابقين الاولين وأول المهاجرين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أهل الشورى الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض واستخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة في غزوة ذات الرقاع وكان رضي الله عنه ذا جمال مفرط (أخرج) ابن عساكر عن أسامة بن زيد رضي الله

بجوله عليه الصلاة والسلام فعقره عكرمة بن أبي جهل وأراد قتله فمنعه الاحابيش فأتاه صلى الله عليه وسلم وأخبره فدعا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه فيبلغ عنه أشراف قريش ماجاء له فقال يارسول الله اني أخاف قريشا على نفسي وما بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظي عليها ولكن أدلك على رجل أعز بها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه أي فان بني عمه يمنعونه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وكتب له كتابا الى أشراف قريش يخبرهم انه لم يات الا زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عثمان أن ياتي رجالا مسلمين مستضعفين بمكة ونساء مؤمنات مستضعفات بها ويدخل عليهم ويبشرهم بالفتح ويخبرهم بان الله وشيك أي قريب أن يظهر دينه بمكة حتى لا يستخفي فيها بالايمان فخرج عثمان رضي الله عنه ودخل مكة ومعه عشرة من الصحابة رضي الله عنهم باذن النبي صلى الله عليه وسلم ليزوروا أهاليهم ولم يذكروا أسماءهم فلقيه قبل أن يدخل مكة أبان بن سعيد بن العاص وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان ابن عم عثمان رضي الله عنه فأجاره حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله بين يديه فجاء الى عظماء قريش فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به وهم يردون عليه ويقولون ان محمدا لا يدخلها علينا أبدا فلما فرغ عثمان رضي الله عنه من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له ان شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال المسلمون الذين مع النبي صلى الله عليه وسلم قد خلص عثمان الى البيت فطاف به دوننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أظنه طاف بالبيت ونحن محصورون قالوا وما يمنعه يارسول الله وقد خلص اليه قال ذلك ظني به أن لا يطوف بالكعبة حتى نطوف لو مكث كذا وكذا سنة فلما رجع عثمان وقيل له في ذلك أي قالوا له طفت بالبيت فقال والذي نفسي بيده لو مكثت بها معتمرا كذا وكذا سنة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقيم بالحديبية ما طفت حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبست قريش عثمان عندها ثلاثة أيام وأشاع الناس انهم قتلوه هو والعشرة الذين معه فبلغ ذلك الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال عند بلوغه ذلك لانبرح حتى نناجز القوم أي نقاتلهم ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن ينادي الناس الى البيعة قال سلمة بن الاكوع رضي الله عنه بايعناه وبايعه الناس على عدم الفرار وانه اما الفتح واما الشهادة وفي رواية بايعناه على الموت ولما لم يكن قتل عثمان رضي الله عنه محققا بل كان بالاشاعة بايع عنه النبي صلى الله عليه وسلم أي على تقدير حياته وفي ذلك اشارة منه صلى الله عليه وسلم الى أن عثمان لم يقتل وانما فعل المبايعة مع القوم لاجل أخذ ثار عثمان رضي الله عنه جريا على ظاهر تلك الاشاعة تثبيتا وتقوية لاولئك القوم فوضع يده اليمنى على يده اليسرى وقال اللهم هذه عن عثمان فانه في حاجتك وحاجة رسولك وفي لفظ ان عثمان ذهب في حاجة الله وحاجة رسوله فانا أبايع عنه فضرب بيمينه شماله وما ذاك الا لانه علم عدم صحة القول بقتله وبعد ان جاء عثمان رضي الله عنه بايع بنفسه تحصيلا لتلك الفضيلة وقد أشار الى امتناع عثمان رضي الله عنه من الطواف والى مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الهمزية بقوله

وأبى أن يطوف بالبيت اذلم * يدن منه الى النبي فناء
فجزته منه ببيعة رضوا * ن يدمن نبيه بيضاء
أدب عنده تضاعفت الاعمال بالترك حبذا الادباء

وروى أن قريشا بعثت الى عبد الله بن أبي ابن سلول ان أحببت أن تدخل فتطوف بالبيت فافعل فقال له ابنه عبد الله وهو المسمى بالحباب كما تقدم رضي الله عنه يا أبت أذكرك الله أن تفضحنا في كل موطن تطوف ولم يطف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى حينئذ وقال لا أطوف حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت البيعة تحت شجرة هناك من أشجار السمر وتسمى بيعة الرضوان لقول الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار أحد بايع تحت تلك الشجرة وكانوا ألفا وأربعمائة كما تقدم وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية وأول

عنهما قال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزل عثمان بصحفة فيها لحم فدخلت فاذا رقية جالسة فجعلت مرة أنظر الى وجه رقية ومرة الى وجه عثمان رضي الله عنهما فلما رجعت سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لي دخلت عليهما قلت نعم قال فهل رأيت زوجا أحسن منهما قلت لا يارسول الله وكان ذلك قبل نزول آية الحجاب ومن ثم كان النساء يغنينها بقولهن
أحسن شئ قد يرى انسان رقية وبعلها عثمان * وقد جاء في فضله آيات وأحاديث كثيرة (فمن الآيات) قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وقوله تعالى ان الذين

من بايعه صلى الله عليه وسلم سنان بن سنان الاسدى وقيل انه أبو سنان أخو عكاشة بن محصن رضى الله عنهما ولما بايعه رضى الله عنه قال أبايعك على ما فى نفسك قال وما فى نفسى قال اضرب بسيفى بين يديك حتى يظهرك الله أو أقتل وصار الناس يقولون نبايعك على ما بايعك عليه سنان وقيل أوّل من بايع عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وقيل سلمة بن الاكوع رضى الله عنه وقيل ان سلمة رضى الله عنه بايع ثلاث مرات أوّل الناس ووسط الناس وآخر الناس بامره صلى الله عليه وسلم فى الثانية والثالثة بعد قول سلمة له قد بايعت فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا وذلك ليكون له فى ذلك فضيلة لانه أراد أن يؤكد بيعته لعلمه بشجاعته وعنايته فى الاسلام وشهرته فى الثبات وجاء ان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما بايع مرتين وقد قيل فى سبب نزول قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام الى قوله ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أن المسلمين لما صدوا عن البيت بالحديبية مر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال المسلمون نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم أى لا تصدوا هؤلاء العمار ان صدكم أصحابهم وكان محمد بن مسلمة رضى الله عنه على حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثت قريش أربعين وقيل خمسين رجلا عليهم مكرز بن حفص الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم انه رجل غادر ليطوفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يصيبوا منهم أحدا أو يجدوا منهم غرة أى غفلة فاخذهم محمد بن مسلمة الا مكرزا وأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبسوا وبلغ قريشا حبس أصحابهم فجاء جمع منهم حتى رموا المسلمين بالنبل والحجارة وقتل من المسلمين ابن زنيم بسهم فاسر المسلمون منهم اثنى عشر رجلا ولما علمت قريش بهذه البيعة خافوا وأشار أهل الرأى منهم بالصلح على أن يرجع ويعود من قابل فيقيم ثلاثا معه سلاح الراكب السيوف فى القرب والقوس فبعثت قريش سهيل بن عمرو العامرى ومعه حويطب بن عبد العزى وقيل معه جمع منهم وقيل ان ارسال سهيل كان مرتين جاء ورجع اليهم ثم رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ولما أقبل سهيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد القوم الصلح حيث بعثوا هذا الرجل ثانيا وطالت المراجعة بينه وبين النبى صلى الله عليه وسلم ومن جملة ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له لم لم تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به فقال له سهيل والله لا تتحدث العرب انا أخذنا ضغطة أى بالشدة والاكراه ولكن ذلك بالعام القابل ثم تم الامر على الصلح على ترك القتال وأن يوضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يأمن بعضهم بعضهم بعضا وأن يرجع عنهم عامهم هذا ويأتى فى العام القابل ويخلون له مكة ثلاثة أيام وأن لا يدخلوا الا بالسيوف فى قربها واشترط سهيل على النبى صلى الله عليه وسلم شروطا منها أنه قال لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك الارددته الينا وقيل هذا الشرط انما ذكر عند كتابة الكتاب كما سيأتى فلما تم الامر ولم يبق الا كتابة الكتاب وثب عمر بن الخطاب فاتى أبا بكر رضى الله عنه فقال يا أبا بكر أليس هو برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بلى قال أولسنا بمسلمين قال بلى قال فعلام نعطى الدنية أى الخصلة المذمومة فى ديننا فقال أبو بكر رضى الله عنه يا عمر الزم غرزه أى ركابه وفى رواية قال له أيها الرجل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس يعصى ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه حتى تموت فانى أشهد أنه رسول الله فقال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله ثم أتى عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مثل ما قال لابى بكر فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنا عبد الله ورسوله ولن أخالف أمره ولن يضيعنى الله ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن خولة رضى الله عنه وأمره أن يكتب بينهم فقال له سهيل بن عمرو لا يكتب الا ابن عمك على أو عثمان بن عفان رضى الله عنهما وكان ذلك بعد رجوع عثمان رضى الله عنه على بعض الروايات فامر النبى صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه فقال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو لا أعرف هذا أى الرحمن الرحيم ولكن اكتب باسمك اللهم أى لان قريشا كانت تكتبها فقال المسلمون والله لا يكتبها وانما يكتب بسم الله الرحمن الرحيم وضج المسلمون ثم أسكتهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال اكتب باسمك اللهم ثم قال صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل بن عمرو لو شهدت أنك

سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون وقوله تعالى هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم وقوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وكل ذلك مذكور فى كتب الحديث والتفسير باوضح بيان فلا حاجة لى الاطالة ببيانه (وأما الاحاديث) فنها ما أخرجه أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه قال أول من هاجر الى الحبشة باهله عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله تعالى ان عثمان لاول من هاجر الى الله باهله بعد لوط (وأخرج) ابن عدى عن عائشة رضى الله عنها قالت لما زوّج النبى صلى الله عليه وسلم أم كلثوم لعثمان رضى الله عنهما قال لها ان بعلك أشبه الناس بجدك ابراهيم وأبيك محمد صلوات الله وسلامه

رسول الله لم أقاتلك ولم نصدك عن البيت ولكن اكتب باسمك واسم أبيك وفى رواية لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك ولتابعتك أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه امح رسول الله فقال على رضى الله عنه ما أنا بالذى أمحوه وفى رواية والله لا أمحوك أبدا فقال أرنيه وأراه اياه فمحاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو وقال أنا رسول الله وان كذبتمونى وأنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فجعل على رضى الله عنه يبكى ويأبى أن يكتب الا محمد رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم اكتب فان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم واعلام نبوته فانه اشارة لما يقع بين على ومعاوية رضى الله عنهما فانهما بعد حرب صفين وقعت بينهما المصالحة الى رأس الحول فلما كتب الكاتب هذا ما صالح عليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب معاوية بن أبى سفيان فقال عمرو بن العاص وكان أحد الحكمين وكان من جهة معاوية لا تكتب امير المؤمنين وأرسل معاوية أيضا رضى الله عنه لعمرو بن العاص يقول لا تكتب ان عليا أمير المؤمنين لو كنت أعلم ان عليا أمير المؤمنين ما قاتلته فبئس الرجل أنا ان أقررت أنه أمير المؤمنين ثم أقاتله ولكن اكتب على بن أبى طالب وامح أمير المؤمنين فقال أصحاب على رضى الله عنه لعلى يا أمير المؤمنين لا تمح اسم امارة المؤمنين فانك ان محوتها لا تعود اليك فلم يسمع منهم وقال للكاتب امحها ثم تذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم له فى الحديبية ان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور فقال الله أكبر مثلا بمثل والله انى لكاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية اذ قالوا لست برسول الله ولا نشهد لك بذلك اكتب اسمك محمد بن عبد الله فقال له عمرو بن العاص رضى الله عنه سبحان الله أنشبه بالكفار ووقع بينهم نزاع فى ذلك حتى تمت الكتابة على عدم ذكر أمير المؤمنين وظهر صدق قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه ان لك مثلها تعطيها وأنت مقهور ولما أبى على رضى الله عنه يوم الحديبية أن يكتب الا رسول الله وافقه على ذلك بعض الحاضرين من المسلمين منهم أسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضى الله عنهما فأخذا بيد على رضى الله عنه ومنعاه أن يكتب الا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فالسيف بيننا وبينهم وضج المسلمون وارتفعت الاصوات وجعلوا يقولون لا نعطى هذه الدنية فى ديننا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم ويومى بيده اليهم أن اسكتوا ثم أمر عليا رضى الله عنه ان يكتب محمد بن عبد الله فكتب وقيل أمر محمد بن مسلمة رضى الله عنه فكتب والحق أن الذى كتبه محمد نسخة أخرى مثل ذلك الكتاب لان سهيلا قال يكون هذا الكتاب معى فكتب محمد ابن مسلمة مثله ليكون عند المسلمين وجاء فى بعض الروايات ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب بيده فكتب فتمسك بعضهم بظاهره وقال ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب بيده يوم الحديبية معجزة له مع أنه لا يقرأ ولا يكتب وجرى على ذلك أبو الوليد الباجى المالكى فشنع عليه علماء الاندلس فى زمانه وقالوا ان هذا يخالف القرآن فناظرهم واستظهر عليهم بان هذا لا ينافى القرآن وهو قوله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك بان هذا النفى مقيد بما قبل ورود القرآن وقبل تحقق أميته أما بعد القرآن وبعد ان تحققت أميته وتقررت بذلك معجزته فلا مانع أن يعرف الكتابة من غير معلم معجزة أخرى ولا يخرجه ذلك عن كونه أميا والجمهور على أن الروايات التى فيها أخذ الكتاب بيده فكتب محمولة على المجاز أى أمر أن يكتب الكاتب وقوله بيده متعلق بأخذ وليس متعلقا بقوله كتب قال العلماء وافقهم النبى صلى الله عليه وسلم على عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وكتب باسمك اللهم وكذا وافقهم فى محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح التى أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليها وحجب المسلمين عنها حتى ضجوا وتشوشوا من ذلك ولم يكن أحد فى القوم راضيا بجميع ما رضى به النبى صلى الله عليه وسلم غير أبى بكر الصديق رضى الله عنه وبهذا يتبين علو مقامه ويمكن أن الله كشف لقلبه وأطلعه على بعض تلك الاسرار التى ترتبت على ذلك الصلح كما اطلع على ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فانه حقيق بذلك رضى الله عنه كيف وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم والله ما صب الله فى قلبى شيأ الا وصببته فى قلب أبى بكر رضى الله عنه قال

عليهما (وأخرج) الامام أحمد ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا فى بيته كاشفا عن ساقيه فاستاذن أبو بكر فاذن له وهو على تلك الحال فتحدث ثم استاذن عمر فاذن له وهو على تلك الحال ثم استاذن عثمان فجلس له رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوى ثيابه فتحدث فلما خرج قالت عائشة يا رسول الله دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تبال به ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تبال به ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا أستحيى من رجل تستحيى منه الملائكة (وأخرج) أبو يعلى عن ابن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تستحيى من عثمان كما تستحيى من الله ورسوله (وأخرج) أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر رضى الله عنهما ان

أبو بكر رضي الله عنه ما كان فتح أعظم من فتح الحديبية ولكن قصر رأيهم عما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ربه والعباد يعجلون والله تعالى لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الامور ما أراد ولقد رأيت سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائما عند المنحر يقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرها بيده ودعا الحلاق فحلق رأسه فانا أنظر الى سهيل بن عمرو يلتقط من شعره صلى الله عليه وسلم ويجعل بعضه على عينيه وأذكر امتناعه أن يقر يوم الحديبية بسم الله الرحمن الرحيم أي ورسالة النبي صلى الله عليه وسلم فحمدت الله الذي هداه للاسلام مع أنه لا مفسدة في عدم كتابة بسم الله الرحمن الرحيم وعدم كتابة رسول الله بل ترتب عليه مصلحة وانما المفسدة لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل ثم كتب علي رضي الله عنه هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به وأراد النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اظهار ما تكلم به مع سهيل أولا ليطلع المسلمون على أنه صلى الله عليه وسلم بذل الجهد للمسلمين في ذلك الصلح فقال سهيل والله لا نخلي بينك وبين البيت وتتحدث العرب انا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب علي رضي الله عنه ذلك فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل الا رددته الينا وان كان على دينك ومن جاء قريشا ممن تبعك لم يردوه اليك وفي رواية لمسلم من حديث أنس رضي الله عنه أن قريشا صالحت النبي صلى الله عليه وسلم على أن من جاءنا منكم لم نرده اليكم ومن جاءكم منا رددتموه الينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم فانه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم الينا فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وفي رواية للبخاري وكان فيما اشترط سهيل على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منا أحد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا وبينه فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا أي غضبوا ونفروا منه فأبى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال المسلمون متعجبين سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما وكان ممن قال ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة وسهل بن حنيف رضي الله عنهم وفي رواية أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله أترضى بهذا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم الينا أي ورددناه فسيجعل الله له فرجا ومخرجا ومما كتب في كتاب الصلح ما رواه البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما الا يدخل مكة بالسلاح الا السيف في القراب وأن لا يخرج من أهلها باحد ان أراد أن يتبعه وان لا يمنع من أصحابه أحدا ان أراد أن يقيم بها وعند ابن اسحق على أن بيننا عيبة مكفوفة أي أمورا مطوية في صدور سليمة اشارة الى ترك المؤاخذة بما تقدم بينهم من أسباب الحرب وغيرها وأنه لا اسلال ولا اغلال أي لا سرقة ولا خيانة والمراد أن يأمن بعضهم من بعض في نفوسهم وأموالهم سرا وجهرا وقيل الاسلال من سل السيوف والاغلال من لبس الدروع وان من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة وقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم وانك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل مكة علينا وأنه اذا كان عام قابل خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك فاقمت بها ثلاثا معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها وان الحرب توضع بيننا وبينهم عشر سنين وفي رواية أربع سنين تأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض انتهى فان قيل ما الحكمة في كونه صلى الله عليه وسلم وافق سهيلا على هذه الشروط التي من جملتها أنه لا يأتيه رجل منهم وان كان على دين الاسلام الا ويرده اليهم فالجواب كما نقله النووي عن العلماء أن المصلحة المترتبة على هذا الصلح هي ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي علمها النبي صلى الله عليه وسلم وخفيت عليهم فحمله ذلك على موافقتهم وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تظهر عندهم أمور النبي صلى الله عليه وسلم كما هي ولا يجتمعون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل الصلح اختلطوا بالمسلمين وجاؤا الى المدينة وجاء المسلمون الى مكة وخلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونهم وسمعوا منهم أحوال النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته الظاهرة وأعلام نبوته المتظاهرة وحسن سيرته وجميل طريقته

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشد أمتي حياء عثمان رضي الله عنه وفي رواية عن أبي أمامة ان أشد هذه الامة بعد نبيها حياء عثمان بن عفان وفي رواية عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم عثمان أحيا أمتي وأكرمها (وأخرج) الخطيب عن ابن عباس وابن عساكر عن عائشة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله أوحى الي أن أزوج كريمتي من عثمان وجاء في رواية بعد قوله كريمتي يعني رقية وأم كلثوم (وأخرج) ابن عساكر عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا نشبه عثمان بأبينا ابراهيم صلى الله عليه وسلم (وأخرج) الطبراني عن أم عياش رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما زوجت عثمان أم كلثوم

وعاينوا بأنفسهم كثيرا من ذلك فمالت أنفسهم الى الايمان حتى بادر خلق منهم الى الاسلام قبل فتح مكة فأسلموا فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما وغيرهما وازداد الآخرون أي الذين لم يسلموا ميلا الى الاسلام فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما قد تمهد لهم الميل وكانت العرب من غير قريش ينتظرون باسلامهم اسلام قريش لما يعلمونه فيهم من القوة والرأي ولأنهم كانوا يقولون قوم الرجل أعلم به فلما أسلمت قريش أسلمت العرب قال تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ففيه اشارة الى أنه عند حصول نصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم على أعدائه وفتح مكة يدخل الناس في دين الله جماعات وكان الأمر كذلك فجاءه العرب بعد فتح مكة من أقطار الارض طائعين وكان هذا الصلح هو سبب فتح مكة كما سيأتي ان شاء الله تعالى فالله ورسوله أعلم بالحكمة البالغة فان صد المسلمين عن البيت كان في الظاهر هضما للمسلمين وفي الباطن عزا لهم وقوة فأذل الله المشركين من حيث أرادوا العز لأنفسهم وقهرهم من حيث أرادوا الغلبة ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فلله الحمد والمنة على ما أنعم به وتفضل وقال البخاري عند ذكر كتابة الشروط فبينما هم كذلك وقال ابن اسحق فان الصحيفة لتكتب اذ دخل أبو جندل واسمه العاص بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده وكان قد أسلم بمكة قبل ذلك رضي الله عنه فحبسه أبوه ومنعه من الهجرة وأوثقه بالقيود فحين سمع بأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالحديبية احتال على نفسه حتى خرج من السجن وتنكب الطريق وركب الجبال حتى هبط على المسلمين ففرح به المسلمون وتلقوه فقام سهيل بن عمرو الى ابنه أبي جندل حين رآه فضرب وجهه ضربا شديدا حتى رق عليه المسلمون وبكوا وتلببه أي جمع عليه ثوبه الذي هو لابسه وقبض عليه نحره وقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك أي أول شئ أحاكمك عليه أن ترده الى فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نقض الكتاب بعد أي لم نفرغ من كتابته فقال سهيل والله اذا لا أصالحك على شئ أبدا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فأجزه لي قال ما أنا بمجيز ذلك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل فقال مكرز وحويطب بلى قد أجزناه لك فأخذاه وأدخلاه فسطاطا وكفا أباه عنه فأبى سهيل بن عمرو اجازتهما وقيل انما أجازاه ليكف عنه العذاب ليرجع الى طاعة أبيه فكان ذلك من فجور مكرز الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم فانه قال ذلك نفاقا وفي باطنه خلافه قال ابن اسحق ثم قال سهيل يا محمد قد لجت القضية أي وجبت وتمت بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا قال صدقت فجعل ينتره ويتلببه ويجره ليرده الى قريش فلما رأى أبو الجندل أباه مصمما على أخذه قال أي معشر المسلمين أرد الى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب في الله عذابا شديدا وفي رواية جعل أبو جندل يصرخ باعلى صوته يا معشر المسلمين أرد الى المشركين يفتنوني في ديني فزاد الناس ذلك على ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب فانا لا نغدر وقد تم الصلح قبل أن تأتي وقد تلطفت بأبيك فأبى وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فوثب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى جنب أبي جندل يقول له اصبر يا أبا جندل فانما هم المشركون وانما دم أحدهم كدم الكلب ويدني له السيف قال عمر رضي الله عنه رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه وجعل يقول ان الرجل يقتل أباه والله لو أدركنا آباءنا لقتلناهم في الله فقال له أبو جندل مالك لا تقتله أنت فقال عمر نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقتل غيره فقال أبو جندل ما أنت أحق بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ولعل عمر رضي الله عنه ظن جواز قتل أبي جندل لابيه لكونه أراد أن يفتنه عن دينه وان قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا جندل اصبر واحتسب ثم رجع أبو جندل رضي الله عنه مكة في جوار مكرز بن حفص وحويطب بن عبد العزى فادخلاه مكة وكفا عنه أباه وسيأتي في آخر القصة ان أبا جندل في مدة الهدنة هرب من مكة ومعه جماعة من المستضعفين وأنهم انضموا الى أبي بصير وقطعوا الطريق على قريش حتى كتبت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام أن يأويهم عنده كما سيأتي ثم ان سهيل بن عمرو له ابن آخر اسمه عبد الله بن سهيل أسلم قديما سرا وخرج مع المشركين يوم بدر فلما

الا بوحي من السماء (وأخرج) ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعثمان يا عثمان هذا جبريل يخبرني ان الله زوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها (وأخرج) الطبراني عن عصمة بن مالك رضي الله عنه قال لما ماتت أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عثمان رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجوا عثمان لو كان عندي ثالثة لزوجته وما زوجته الا بوحي من الله تعالى (وأخرج) ابن عساكر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لعثمان لو أن لي أربعين بنتا زوجتك واحدة بعد واحدة حتى لا يبقى منهن واحدة وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما والذي نفسي بيده

بدرا خرج من بينهم ودخل فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وشهد بدرا والمشاهد كلها وأما أبو جندل فاسمه العاص كما تقدم وأول مشهد شهده فتح مكة ثم ان قريشا أرسلت عثمان بن عفان رضى الله عنه وبهذا يعلم ان بيعة الرضوان كانت قبل الصلح وانها السبب الباعث لقريش عليه وقد وقع فى المواهب ما يقتضى أن البيعة كانت بعد الصلح وان الكتاب الذى ذهب به عثمان كان متضمنا للصلح الذى وقع بينه صلى الله عليه وسلم و بين سهيل بن عمرو فحبست قريش عثمان رضى الله عنه فبس صلى الله عليه وسلم سهيلا قال الحلبى ولا يخفى ما فيه ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح أشهد عليه رجالا من المسلمين وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومحمد بن مسلمة رضى الله عنهم ومن المشركين حويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ولما تم هذا الصلح الا بعد توقف كثير من المسلمين فيه وصاروا يراجعون النبى صلى الله عليه وسلم و يسألونه أن لا يوافق على تلك الشروط ولا سيما عمر رضى الله عنه فانه أتى النبى صلى الله عليه وسلم وراجعه كثيرا كما تقدم ومن مراجعته أنه قال له ألست نبى الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار قال بلى قال فلم نعطى الدنية أى الحالة الدنيئة الخسيسة فى ديننا اذا ونرجع ولم يحكم الله بيننا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انى رسول الله ولست أعصيه وهو ناصرى قلت أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به أى للرؤيا التى رآها قال بلى أفأخبرتك انا نأتيه هذا العام قال لا قال صلى الله عليه وسلم فانك آتيه ومطوف به أى وكذلك الصحابة رضى الله عنهم لانه كان صلى الله عليه وسلم أخبرهم بانه رأى انهم يدخلون المسجد الحرام و يطوفون بالبيت ووعدهم بذلك فلما رأوا الصلح دخلهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون وشق عليهم قال عمر رضى الله عنه لقد دخلنى أمر عظيم وراجعت النبى صلى الله عليه وسلم مراجعة ما راجعته مثلها قط حتى قال لى أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما يقول تعوذ بالله من الشيطان الرجيم فجعلت أتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى البزار عن عمر رضى الله عنه اتهموا الرأى على الدين فلقد رأيتنى أرد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برأيى وما ألوت عن الحق فرضى صلى الله عليه وسلم وأبيت حتى قال يا عمر ترانى رضيت وتأبى وفى رواية قال يا ابن الخطاب انى رسول الله ولن يضيعنى الله فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر فقال يا أبا بكر أليس هذا نبى الله حقا قال بلى قال ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قال فلم نعطى الدنية فى ديننا اذا فقال أبو بكر أيها الرجل انه رسول الله وليس يعصى ربه فاستمسك بغرزه أى بركابه أى لا تفارقه فوالله انه على الحق قال قلت أوليس كان يحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به قال بلى أفأخبرك انا نأتيه العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به فأجابه بمثل ما أجابه النبى صلى الله عليه وسلم ثم ان هذه الرواية مصرحة بأن اتيانه لابى بكر كان بعد اتيانه للنبى صلى الله عليه وسلم وتقدمت رواية صحيحة بأن ذلك كان قبل اتيانه صلى الله عليه وسلم ويمكن الجمع بان تلك المراجعة تكررت فجاء لابى بكر وراجعه قبل و بعد ودل جواب أبى بكر الموافق لجواب النبى صلى الله عليه وسلم على ان أبا بكر رضى الله عنه أكمل الصحابة علما وأعرفهم بأحوال النبى صلى الله عليه وسلم وأعلمهم بأمور الدين وأشدهم موافقة لامر الله تعالى فهو من الدلائل الظاهرة على عظيم فضله و بارع علمه وزيادة عرفانه ورسوخه وزيادته فى كل ذلك على غيره وقد جاء فى بعض الروايات أن المسلمين استنكروا الصلح المذكور وكانوا على رأى عمر رضى الله عنه وعنهم فلم يوافقهم أبو بكر رضى الله عنه بل كان قلبه على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء ومر فى الهجرة أن ابن الدغنة وصفه بمثل ما وصفت به خديجة النبى صلى الله عليه وسلم سواء من كونه يصل الرحم و يحمل الكل ويعين على نوائب الحق وغير ذلك فلما تشابهت صفاتهما من الابتداء استمر ذلك الى الانتهاء ولجلالة قدر أبى بكر وسعة علمه عند عمر رضى الله عنه لم يراجع عمر فى ذلك أحدا بعده صلى الله عليه وسلم أو قبله غير الصديق وانما ساله بعد سؤال المصطفى صلى الله عليه وسلم لشدة ما حصل لعمر رضى الله عنه من الغيظ ولقوته فى نصر الدين واذلال الكافرين قال العلماء لم يكن سؤال عمر رضى الله عنه وكلامه مشكا فى الدين

لو أن عندى مائة تموت واحدة واحدة زوجتك أخرى حتى لا يبقى من المائة شئ ولا تناقض بين الروايات لاحتمال انه تكرر ذلك القول منه صلى الله عليه وسلم فمرة قال أربعين ومرة قال مائة (وأخرج) ابن السمان عن على رضى الله عنه وقد سئل عن عثمان رضى الله عنه فقال ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الاعلى ذو النورين كان ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنتيه وضمن له النبى صلى الله عليه وسلم بيتا فى الجنة (وأخرج) أبو يعلى عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عثمان بن عفان ولىّ فى الدنيا وولىّ فى الآخرة (وأخرج) ابن عساكر عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عثمان فى الجنة (وأخرج) الترمذى عن طلحة وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنهما ان

حاشا رضي الله عنه ففي رواية ابن اسحق أنه لما قال له الزم غرزه فانه رسول الله قال عمر وأنا أشهد أنه رسول الله بل كان سؤاله طلبا لكشف ما خفي عليه من المصلحة وحثا على اذلال الكفار وظهور الاسلام كما عرف في خلقه وقوته في نصر الدين واذلال المبطلين ففي ذلك دليل على جواز البحث في العلم حتى يظهر المعنى وفي البخاري قال عمر رضي الله عنه فعملت لذلك أعمالا وفي ابن اسحق فما زلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ مخافة كلامي الذي تكلمت به حين رجوت أن يكون خيرا وعند الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما لقد أعتقت بسبب ذلك رقابا وصمت دهرا وانما عمل ذلك لتوقفه عن المبادرة بامتثال الامر وان كان معذورا في جميع ما صدر منه بل مأجورا لانه مجتهد وانما توقف لتظهر له الحكمة وتنكشف عنه الشبهة * ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلح والاشهاد وتوجه سهيل بن عمرو ومن معه بالكتاب قام صلى الله عليه وسلم الى هديه فنحره ومن جملته جمل كان لابي جهل نجيب مهري غنمه المسلمون منه يوم بدر ثم صار له صلى الله عليه وسلم وكان يضرب في لقاحه صلى الله عليه وسلم وفي رأسه برة أي حلقة من فضة وقيل من ذهب وانما أدخله صلى الله عليه وسلم في الهدي ليكون في ذبحه اغاظة للمشركين وكان قد ند هذا الجمل من الحديبية ودخل مكة وانتهى الى دار أبي جهل وخرج في أثره عمرو بن غنمة الانصاري فأبى سفهاء مكة أن يعطوه حتى أمرهم سهيل بن عمرو بدفعه ودفعوا فيه عدة نياب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انا سميناه في الهدي فعلنا وفي لفظ قال لهم سهيل بن عمرو ان تريدوه فاعرضوا على محمد مائة من الابل فان قبلها فامسكوا هذا الجمل والا فلا تتعرضوا له فعرضوا ذلك عليه صلى الله عليه وسلم فأبى وقال لو لم يكن هذا الجمل للهدي لقبلت المائة فردوه اليه فنحره وفرق لحمه ولحم بقية الهدي على الفقراء الذين حضروا الحديبية وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث الى مكة عشرين بدنة مع ناجية رجل من أسلم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم بعد فراغهم من الكتاب أمرهم بالنحر والحلق ثلاث مرات فلم يقم منهم أحد فدخل على أم سلمة رضي الله عنها وهو شديد الغضب فاضطجع فقالت مالك يا رسول الله فذكر لها مالقي من الناس وقال لها هلك المسلمون أمرتهم أن ينحروا ويحلقوا فلم يفعلوا وفي لفظ قال عجبا يا أم سلمة ألا ترين الى الناس آمرهم بالامر فلا يفعلونه قلت لهم انحروا واحلقوا وحلوا مرارا فلم يجبني أحد من الناس الى ذلك وهم يسمعون كلامي وينظرون وجهي فقالت يا رسول الله لا تلمهم فانهم قد دخلهم أمر عظيم مما أدخلت على نفسك من المشقة في أمر الصلح ورجوعهم بغير فتح ثم أشارت اليه أن يخرج ولا يكلم أحدا منهم وينحر بدنه ويحلق رأسه ففعل ذلك أي أخذ الحربة وقصد هديه وأهوى بالحربة الى البدنة رافعا صوته بسم الله والله أكبر ثم دخل قبة له من أدم ودعا بخراش الخزاعي فحلق رأسه ورمى شعره على شجرة فأخذه الناس وتحاصوه وأخذت أم عمارة رضي الله عنها طاقات منه فكانت تغسله للمريض وتسقيه فيبرأ وكانت بدنه صلى الله عليه وسلم التي نحرها بالحديبية سبعين ولما رآه الناس نحر وحلق قاموا ونحروا وحلقوا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا للازدحام وارادة التعجيل اقتداء به صلى الله عليه وسلم وكان نحرهم للهدايا بالحديبية وهي في الحرم في قول مالك رضي الله عنه وبعضها في الحل وبعضها في الحرم في قول الشافعي رضي الله عنه وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالهدي فساقه المسلمون الى جهة الحرم فقام اليه مشركو قريش فحبسوه فأمر صلى الله عليه وسلم بنحره وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما صدت الهدايا عن البيت حنت كما تحن الى أولادها فنحر صلى الله عليه وسلم بدنه حيث حبسوه وهي الحديبية والمراد نحرا كثره فلا ينافي مارواه ابن سعد عن جابر رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هديه بعشرين بدنة لتنحر عنه عند المروة مع رجل من أسلم وبعث الله ريحا فحملت شعورهم فألقتها في الحرم جبرا لهم في صدهم عن البيت فاستبشروا بقبول عمرتهم * قال الزرقاني ولعل المراد غير شعره صلى الله عليه وسلم أي لانه أخذه المسلمون كما تقدم ويحتمل انهم أخذوا أكثره وألقت الريح باقيه في الحرم وحلق رجال وقصر آخرون فقال صلى الله عليه وسلم يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال يرحم الله المحلقين قالوا والمقصرين قال والمقصرين وفي رواية وقال في الرابعة والمقصرين

النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي رفيق في الجنة ورفيقي فيها عثمان (وأخرج) ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليدخلن الجنة من أمتي بشفاعة عثمان سبعون ألفا كلهم قد استوجبوا النار وفي رواية يشفع عثمان يوم القيامة في مثل ربيعة ومضر (وأخرج) البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نعدل بابي بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان وفي رواية كنا نخير بين الناس في زمن النبي صلى الله عليه وسلم نخير أبا بكر ثم عمر ثم عثمان زاد الطبراني فيبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره (وأخرج) ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله

وانما توقف الصحابة رضي الله عنهم بعد الامر لاحتمال انه للندب أو لرجاء نزول الوحي بابطال الصلح أو تخصيصه بمن أذن لهم في دخول مكة ذلك العام لاتمام نسكهم وساغ ذلك لهم لانه زمان وقوع النسخ ويحتمل أن صورة الحال أبهتتهم فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند نفوسهم مع ظهور قوتهم واعتقادهم القدرة على قضاء نسكهم بالغلبة أو لان الامر المطلق لا يقتضي الفور ويحتمل مجموع هذه الامور لمجموعهم أو فهموا انه صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتحلل أخذا بالرخصة في حقهم وانه هو يستمر على الاحرام أخذا بالعزيمة في حق نفسه فاشارت اليه أم سلمة بالتحلل لينتفي هذا الاحتمال ففعله فلما رأوه بادروا الى فعل ما أمرهم به اذلم تبق غاية ينتظرونها ونظيره ما وقع لهم في غزوة الفتح من أمره لهم بالفطر في رمضان فابوا حتى شرب فشربوا وفي سؤاله أم سلمة رضي الله عنها فضيلة أمر المشورة ومشاورة المرأة الفاضلة وفضل أم سلمة رضي الله عنها ووفور عقلها حتى قال امام الحرمين لا نعلم امرأة أشارت برأي فاصابت الا أم سلمة قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري واستدرك عليه بعضهم بنت شعيب في أمر موسى عليهما الصلاة والسلام أي حين قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وفي قصة بيعة الرضوان دليل على فضل الصحابة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الآية وفي الصحيح عن جابر رضي الله عنه قال قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية أنتم خير أهل الارض وأخرج مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية وروى أحمد باسناد حسن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لما كنا بالحديبية قال صلى الله عليه وسلم لا توقدوا نارا بليل فلما كان بعد ذلك قال أوقدوا واصطنعوا فانه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم وفي مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة وقد قدح بعض الرافضة لعنهم الله تعالى على عثمان رضي الله عنه انه لم يحضر هذه البيعة كما انه لم يحضر غزوة بدر وأجيب بأن هذه البيعة انما كانت لاجله لما أشاعوا موته وغيبته انما هي لامتثاله أمر الله ورسوله وبايع عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه عن عثمان وضرب بيده على الاخرى ولما رجع بايع كما تقدم فهو من جملة من بايع بيعة الرضوان فاخراجه غلط ظاهر وأما عدم حضوره غزوة بدر فكان بامر النبي صلى الله عليه وسلم لاجل تمريض ابنته رقية رضي الله عنها وقد عده صلى الله عليه وسلم من أهل بدر وضرب له بسهم معهم فهو معدود من البدريين فاخراجه غلط ظاهر ودل قوله لا يدخل النار أحد من أصحاب الشجرة انهم مبشرون بالجنة وأما قولهم العشرة المبشرون بالجنة فالمراد انهم ذكروا باسمائهم في حديث واحد حيث قال أبو بكر في الجنة الى آخرهم قال ابن عبد البر ليس في الغزوات ما يعدل بدرا أو يقرب منها الا الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان قال الزرقاني لكن قال غيره الراجح تقديم أحد على الحديبية وانها التي تلي غزوة بدر في الفضل وكانت اقامته صلى الله عليه وسلم بالحديبية بضعة عشر يوما وقيل عشرين يوما وقال بعضهم كانت مدة غزوته هذه كلها شهرا ونصفا ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي نفوس أصحابه رضي الله عنهم شئ من عدم الفتح الذي كانوا يشكون فيه فانزل الله تعالى سورة الفتح بين مكة والمدينة بكراع الغميم وقال ابن اسحق نزلت وهو بضجنان بفتح الضاد المعجمة وسكون الجيم ونونين بينهما ألف جبل على بريد من مكة وفي البخاري عن عمر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت علي سورة هي أحب الي مما طلعت عليه الشمس ثم قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا واختلف الناس في المراد من الفتح فقال ابن عباس وأنس والبراء بن عازب رضي الله عنهم الفتح هنا فتح الحديبية ووقوع الصلح قال الحافظ ابن حجر ان الفتح في اللغة فتح المغلق والصلح كان مغلقا حتى فتحه الله وكان من أسباب فتحه صد المسلمين عن البيت فكانت الصورة الظاهرة فيه ضيما للمسلمين والباطنة عزا لهم فان الناس للامن الذي وقع فيهم اختلط بعضهم ببعض من غير نكير وأسمع المسلمون المشركين القرآن وناظروهم على الاسلام جهرة آمنين وكانوا قبل ذلك لا يتكلمون عندهم بذلك الا خفية فظهر من كان يخفي اسلامه فذل المشركون من حيث أرادوا العزة وقهروا من حيث أرادوا الغلبة بعد ان كان المنافقون يظنون أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون

عليه وسلم ونحن متوافرون نقول أفضل هذه الامة بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان وفي رواية لابن عساكر أيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما كنا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفضل أبا بكر وعمر وعثمان وعليا رضي الله عنهم (وأخرج) الطبراني عن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت اني وضعت في كفة وأمتي في كفة فعدلتها ثم وضع أبو بكر في كفة وأمتي في كفة فعدلها ثم وضع عمر في كفة وأمتي في كفة فعدلها ثم وضع عثمان في كفة وأمتي في كفة فعدلها (وأخرج) أبو نعيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أنا مت وأبو بكر وعمر وعثمان فان استطعت أن تموت فمت (وأخرج) ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه

الى أهليهم أبدا أى حسبوا انهم لا يرجعون بل يقتلون كلهم وقيل الفتح المراد هو فتح مكة فنزلت السورة
عند مرجعه من الحديبية عدة له بفتحها وعبر فيه بالماضى لتحقق وقوعه وفيه من الفخامة والدلالة على علو
شأن المخبر به ما لا يخفى وقيل المعنى قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها أنت وأصحابك قابلا من
الفتاحة وهى الحكومة وفى الصحيح عن البراء رضى الله عنه قال تعدون أنتم الفتح فتح مكة وقد كان فتحا
ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان قال الحافظ ابن حجر يعنى بالفتح قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا وقد وقع فيه
اختلاف قديم والتحقيق انه يختلف باختلاف المراد من الآيات فالمراد بقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا فتح
الحديبية لما ترتب على الصلح من الامن ورفع الحرب وتمكن من كان يخشى الدخول فى الاسلام والوصول
الى المدينة منهما وتتابع الامر الى أن كمل الفتح أى بفتح مكة وأما قوله تعالى وأثابهم فتحا قريبا فالمراد به فتح
خيبر على الصحيح لانها هى التى وقعت فيها المغانم الكثيرة للمسلمين قال تعالى ومغانم كثيرة يأخذونها وروى
الامام أحمد وأبو داود والحاكم من حديث مجمع بن جارية الانصارى الاوسى رضى الله عنه قال شهدنا
الحديبية فلما انصرفنا منها وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا عند كراع الغميم وهو موضع امام
عسفان وقد جمع الناس وقرأ عليهم انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رجل يا رسول الله أوفتح هو قال اى والذى
نفسى بيده انه لفتح وعند ابن سعد فلما نزل بها جبريل عليه السلام قال ليهنك يا رسول الله فلما هنأه جبريل
هنأه الناس وروى موسى بن عقبة والزهرى والبيهقى عن عروة بن الزبير قال أقبل النبى صلى الله عليه وسلم
راجعا فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا ورد صلى الله عليه وسلم رجلين
من المؤمنين كانا خرجا اليه فبلغه صلى الله عليه وسلم قول ذلك الرجل فقال بئس الكلام بل هو أعظم الفتح
قد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح عن بلادهم ويسألونكم القضية ويرغبون اليكم فى الامان ولقد
رأوا منكم ما كرهوا وأظفركم الله عليهم وردكم سالمين مأجورين فهو أعظم الفتوح أنسيتم يوم أحد
اذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم فى أخراكم أنسيتم يوم الاحزاب اذ جاؤكم من فوقكم ومن
أسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا فقال المسلمون صدق الله
ورسوله هو أعظم الفتوح والله يا نبى الله ما فكرنا فيما فكرت فيه ولأنت أعلم بالله وأمره منا وروى سعيد
ابن منصور باسناد صحيح عن الشعبى فى قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا قال لم يكن فى الاسلام فتح قبله
أعظم منه انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنة ووضع الحرب وأمن الناس بعضهم بعضا
والتقوا وتفاوضوا فى الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد ذو عقل فى تلك المدة بالاسلام الا دخل فيه ولقد دخل
فى تينك السنتين مثل من كان دخل فى الاسلام قبل ذلك أو أكثر ويدل عليه أنه صلى الله عليه وسلم خرج
فى الحديبية فى ألف وأربعمائة ثم خرج بعد سنتين الى فتح مكة فى عشرة آلاف وبما ظهر من مصلحة الصلح انه
كان مقدمة بين يدى الفتح الاعظم الذى دخل الناس عقبه فى دين الله أفواجا فكانت قصة الحديبية مقدمة
الفتح فسميت فتحا لانها مقدمة الظهور وظهور رجائهم فى مدة اقامتهم بالحديبية حصلت للناس مجاعة فقالوا
يا رسول الله جهدنا أى أصابنا الجهد وهو المشقة من الجوع وفى الناس ظهر أى ابل فانحره لنأكل من لحمه
ولندهن من شحمه ولنحتذى من جلوده فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه يا رسول الله لا تفعل فان الناس
ان يكن فيهم بقية ظهر أمثل كيف بنا اذا لقينا عدونا غدا جياعا رجالا ولكن ان رأيت أن تدعو الناس الى أن
يجمعوا بقايا أزوادهم ثم تدعو لهم فيها بالبركة فان الله سيبلغنا بدعوتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابسطوا أنطاعكم وعباءكم ففعلوا ثم قال من كان عنده بقية من زاد أو طعام فلينثره ودعا لهم ثم قال قربوا
أوعيتكم فأخذوا ما شاء الله وملؤا أوعيتهم وأكلوا حتى شبعوا وبقى مثله وفى مسلم خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى غزوة فأصابنا جهد حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا فأمرنا النبى صلى الله عليه وسلم
فجمعنا أزوادنا فبسطنا له نطعا فاجتمع زاد القوم على النطع فكان كربضة العنز أى كقدر العنز وهى رابضة
أى باركة وكنا أربع عشرة مائة فأكلنا حتى شبعنا ثم حشونا جربنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسلم قال أربعة لا يجتمع
حبهم فى قلب منافق
ولا يحبهم الا مؤمن أبو بكر
وعمر وعثمان وعلى رضى
الله عنهم (وأخرج) ابن
عساكر عن ابن مسعود
رضى الله عنه ان النبى صلى
الله عليه وسلم قال القائم
بعدى فى الجنة والذى يقوم
بعده فى الجنة والثالث
والرابع فى الجنة وتقدم
حديث عشرة فى الجنة
وذكر منهم عثمان رضى
الله تعالى عنه (وأخرج)
البخارى والترمذى عن
أنس رضى الله عنه قال
صعد النبى صلى الله عليه
وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان
أحدا فرجف الجبل رجفة
فضربه النبى صلى الله عليه
وسلم برجله وقال اثبت أحد
فانما عليك نبى وصديق
وشهيدان (قال) العلماء
وانما قال ذلك ليبين أن
هذه الرجفة ليست كرجفة
الجبل لقوم موسى لما حرفوا
الكلم لان تلك رجفة غضب

حتى بدت نواجذه فقال أشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله لا يلقى الله عبد مؤمن بهما الا حجب من النار وقال صلى الله عليه وسلم لرجل من اصحابه هل من وضوء بفتح الواو وهو ما يتوضأ به فجاء رجل باداوة وهى الركوة فيها نطفة من ماء أى قليل من ماء وقيل للماء اليسير نطفة لانه ينطف أى يصب فافرغها فى قدح ووضع راحته الشريفة صلى الله عليه وسلم فى ذلك الماء فتوضأنا كلنا أى الاربعة عشر مائة ندغفقه دغفقة أى نصبه صبا شديدا وذكر بعض المفسرين فى قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون أنه صلى الله عليه وسلم رأى وهو بالحديبية أن يدخل مكة هو وأصحابه آمنين محلقين رؤسهم ومقصرين فاخبرهم بذلك فلما صدوا قالوا له أين رؤياك يا رسول الله فنزل الله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية قال الحلبى فى السيرة ولا يخالف هذا ما تقدم أن الرؤيا المذكورة كانت بالمدينة وأنها السبب الحامل على الاحرام بالعمرة لجواز تكرر الرؤيا وذكر بعضهم أنه صلى الله عليه وسلم لما دخل مكة عام القضية وحلق رأسه قال هذا الذى وعدتكم فلما كان يوم الفتح وأخذ المفتاح قال ادعوا الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال هذا الذى قلت لكم ولما كان فى حجة الوداع ووقف بعرفة قال هذا الذى قلت لكم فان قيل انه لم يذكر فى الرؤيا أنه أخذ المفتاح ولا أن يقف بعرفة أجيب بانه يجوز أن يكون أخبر بذلك بعد الرؤيا وان المراد من ذلك مجرد دخوله والله أعلم والشجرة التى كانت البيعة عندها بلغ عمر رضى الله عنه فى خلافته ان ناسا يصلون عندها ويطوفون بها فخاف رضى الله عنه من اتساع الامر وظهور البدعة وان تعبد كالاصنام فامر بها فقطعت ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة هاجرت اليه أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط رضى الله عنها وكانت أسلمت بمكة وبايعت قبل أن يهاجر صلى الله عليه وسلم ثم خرجت فى مدة الصلح مهاجرة ماشية على قدميها من مكة الى المدينة وصحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة وهى أخت عثمان بن عفان رضى الله عنه لامه لان أم عثمان رضى الله عنه تزوجها بعد أبى عثمان عقبة بن أبى معيط فولدت له الوليد بن عقبة وأم كلثوم بنت عقبة وذكر بعضهم أنها أول امرأة هاجرت وفيه نظر ولما قدمت المدينة دخلت على أم سلمة رضى الله عنها وأعلمتها أنها جاءت مهاجرة وتخوفت أن يردها رسول الله صلى الله عليه وسلم عملا بالشرط فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة رضى الله عنها أعلمته فرحب بام كلثوم فخرج أخواها عمارة والوليد فى ردها بالعهد فقالا يا محمد أوف لنا بما عاهدتنا عليه فقالت يا رسول الله أنا امرأة وحال النساء الضعف أفتردنى الى الكفار يفتنونى عن دينى ولا صبر لى فنزل القرآن بان النساء المؤمنات لا يرجعن وان الشرط فى الرجال فقط وان النساء يمتحن قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الآية فأبى صلى الله عليه وسلم أن يرجعها اليهم وكان الامتحان أن تستحلف المرأة المهاجرة أنها ما هاجرت ناشزا ولا هاجرت الا لله ورسوله وفى رواية كانت المرأة اذا جاءت حلفها عمر بالله أنها ما خرجت رغبة بارض عن أرض وبالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت لالتماس دنيا ولا لرجل من المسلمين وبالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله فاذا حلفت لم ترد ورد صداقها الى بعلها فلما رجع الوليد وعمارة مكة أخبرا قريشا بذلك فرضوا بذلك ولم يكن لام كلثوم زوج بمكة فلما قدمت المدينة تزوجها زيد بن حارثة رضى الله عنه فكان صلى الله عليه وسلم فى مدة الصلح يرد الرجال ولا يرد النساء بعد امتحانهن وممن جاء من الرجال الى النبى صلى الله عليه وسلم أبو بصير وكان مسلما بمكة فحبسوه فهرب حتى وصل الى المدينة فكتب فى رده أزهر بن عبد عوف وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وهو من الطلقاء يوم الفتح وهو عم عبد الرحمن بن عوف والاخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة وقد أسلم بعد ذلك رضى الله عنه كتابا وبعثا به رجلا من بنى عامر يقال له خنيس ومعه مولى يهديه الطريق فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتاب فقرأه أبى بن كعب رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه قد عرفت ما شارطناك عليه من رد من قدم عليك من أصحابنا فابعث الينا بصاحبنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا بصير انا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ولا يصلح فى ديننا الغدر وان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق الى قومك فقال يا رسول الله أتردنى

وهذه هزة طرب ولذا نص على مقام النبوة والصديقية والشهادة الموجبة لسرور ما تصلت به فأقر الجبل بذلك فاستقر وهذه القصة أعنى رجف الجبل تكررت للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فكانت باحد وحراء وثور وكان معه فى بعضها أبو بكر وعمر وعثمان وفى بعضها زيادة على وطلحة والزبير رضى الله عنهم فاختلاف الاحاديث لتكرر تلك الوقائع وتقدم حديث تسبيح الحصى وانه سبح فى كف النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وتقدم حديث ان الله افترض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم كما افترض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن أنكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج وتقدم أيضا حديث وضع الاحبار

الى المشركين يفتنونى فى دينى قال يا أبا بصير انطلق فان الله سيجعل لك ولمن حولك من المستضعفين فرجا ومخرجا فانطلق معهما وصار المسلمون يقولون له الرجل يكون خيرا من ألف رجل يريدون بذلك اغراءه على من معه حتى اذا كان بذى الحليفة جلس الى جدار وعه صاحباه فقال أبو بصير لأحد صاحبيه ومعه سيفه أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر فقال نعم انظر اليه ان شئت فاستله العامرى ثم هزه وقال لأضربن بسيفى هذا فى الاوس والخزرج يوما الى الليل فقال له أبو بصير ناولنيه أنظر اليه فناوله فلما قبض عليه ضربه به حتى برد يعنى مات ثم طلب المولى الذى كان معه يهدبه الطريق فوجده قد خرج سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحصى يطن تحت قدميه وفى لفظ يطير من تحت قدميه من شدة عدوه وأبو بصير فى أثره قد أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الرجل قد رأى فزعا وفى رواية ذعرا فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد قال له ويحك مالك قال قتل صاحبكم صاحبى وأفلت منه ولم أكد انى لمقتول واستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فاذا أبو بصير أناخ بعير العامرى بباب المسجد ودخل متوشحا السيف وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفت ذمتك وأدى الله عنك أسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى ان أفتن فيه فقال اذهب حيث شئت فقال يا رسول الله هذا سلب العامرى الذى قتلته رحله وسيفه نخمسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خمسته رأونى لم أوف لهم بالذى عاهدتهم عليه ولكن شأنك بسلب صاحبك وعند ذلك ذهب أبو بصير الى محل من طريق الشام يمر به ذووا الميرة واجتمع اليه جمع من المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة فكانوا يتسللون اليه وانفلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو الذى رده صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وخرج من مكة فى سبعين راكبا أسلموا فلحقوا بأبى بصير وكرهوا أن يقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مدة الهدنة خوفا من أن يردهم الى أهلهم وانضم اليهم ناس من غفار وأسلم وجهينة وطوائف من العرب ممن أسلم حتى بلغوا ثلثمائة مقاتل فقطعوا مارة قريش لا يظفرون بأحد منهم الا قتلوه ولا تمر بهم عير الا أخذوها حتى كتبت قريش له صلى الله عليه وسلم تسأله بالارحام الا آواهم ولا حاجة لهم بهم وفى رواية أن قريشا أرسلت أبا سفيان بن حرب فى ذلك وأن قريشا أسقطت هذا الشرط وقالت ان هؤلاء الركب قد فتحوا علينا بابا لا يصلح اقراره فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى جندل وابى بصير أن يقدما عليه وأن من معهم من المسلمين يلحقوا ببلادهم وأهليهم ولا يتعرضوا لاحد مر بهم من قريش ولا لعيرهم فقدم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما وأبو بصير مشرف على الموت لمرض حصل له فمات وكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى يده يقرؤه فدفنه أبو جندل مكانه وجعل عند قبره مسجدا وقدم أبو جندل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ناس من أصحابه ورجع باقيهم الى أهلهم وأمنت قريش على عيرهم وتحقق قول النبى صلى الله عليه وسلم وسيجعل الله لابى جندل وأصحابه فرجا ومخرجا وعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم الذين صعب عليهم رد أبى جندل الى قريش مع سهيل بن عمرو أن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مما أحبوه وان رأيه أفضل من رأيهم وعلموا بعد ذلك أن المصالحة كانت أولى لهم كما تقدم بيان ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم

(غزوة خيبر)

بوزن جعفر وهى مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع ونخل كثير على ثمانية برد من المدينة الى جهة الشام قال ابن اسحق أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج صلى الله عليه وسلم فى بقية المحرم الى خيبر سنة سبع وقال ابن عقبة عن الزهرى أقام بالمدينة عشرين ليلة أو نحوها وقيل عشر ليال وقيل خمسة عشر يوما وأقام يحاصرها بضع عشرة ليلة موزعة على حصونهم الى أن فتحها فى صفر وقيل انها كانت سنة ست وهو منقول عن الامام مالك وبه جزم ابن حزم لكن قال الحافظ ابن حجر الراجح ما ذكره ابن اسحق وهو قول الجمهور واستعمل صلى الله عليه وسلم على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى وقيل سباع بن عرفطة ويمكن الجمع بانه استخلف أحدهما أولا ثم عرض ما يقتضى استخلاف الآخر وكان معه

عند بناء المسجد وان وضع حجر أبى بكر بعد حجر النبى صلى الله عليه وسلم ووضع حجر عمر بعد حجر أبى بكر ووضع حجر عثمان بعد حجر عمر اشارة الى ترتيبهم فى الخلافة كذلك (وأخرج) الحافظ أبو القاسم السهمى عن جعفر بن محمد عن أبيه رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس جلس أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان بين يديه وكان كاتب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأخرج) الترمذى عن عبد الرحمن ابن خباب قال شهدت النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحث على تجهيز جيش العسرة فقال عثمان بن عفان يا رسول الله على مائة بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش فقال عثمان يا رسول الله على مائتا بعير باحلاسها واقتابها فى سبيل

عليه الصلاة والسلام ألف وأربعمائة راجل ومائتا فارس وقد استنفر صلى الله عليه وسلم من حوله ممن شهد الحديبية يغزون معه وجاء المخلفون عنه في غزوة الحديبية ليخرجوا معه رجاء الغنيمة فقال لا تخرجوا معي الا راغبين في الجهاد وأما الغنيمة فلا أي فلا تعطوا منها شيأ ثم أمر مناديا ينادي بذلك قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي طلحة رضي الله عنهما وهو زوج أم أنس رضي الله عنهما حين أراد الخروج الى خيبر التمسوا لي غلاما من غلمانكم يخدمني فخرج أبو طلحة مردفي وأنا غلام وقد راهقت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل خدمته فسمعته كثيرا ما يقول اللهم اني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال قال الحلبي وهذا السياق يدل على ان أول خدمة أنس له حينئذ وهو يخالف ما صح انه عند قدومه صلى الله عليه وسلم المدينة جاءت به أمه وقالت هذا ابني وهو غلام كيس وكان عمره عشر سنين وقيل تسع سنين وقيل ثمان سنين ففي مسلم عن أنس رضي الله عنه قال جاءت بي أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أزرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقالت يارسول الله هذا أنيس ابني أتيتك به ليخدمك فادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وعند غير مسلم وأطل عمره وأدخله الجنة وقد يقال لا مخالفة لانه يجوز أن يكون صلى الله عليه وسلم انما قال لابي طلحة ماذكر رجاء أن يأتي له بمن هو أقوى من أنس على السفر شفقة على أنس رضي الله عنه وكان الله قد وعد رسوله الله صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية في سورة الفتح بمغانم بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها أي مغانم خيبر وخرج معه من نسائه أم سلمة رضي الله عنها وقال صلى الله عليه وسلم في مسيره لعامر بن الاكوع عم سلمة بن الاكوع رضي الله عنهما انزل فحدثنا من هنيهاتك أي من أراجيزك وأشعارك وفي لفظ انزل حرك بنا الركاب وكان يحدو حداء حسنا وفي رواية وكان عامر رجلا شاعرا فقال يارسول الله تركت قول الشعر فقال له عمر رضي الله عنه اسمع وأطع فنزل يرتجز ويقول

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا * فاغفر فداء لك ما أبقينا

وألقين سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا * انا اذا صيح بنا أتينا

وبالصياح عولوا علينا * ونحن عن فضلك ما استغنينا

ان الذين قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

وعند انشاده الابيات المذكورة قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحمك ربك وفي رواية غفر لك ربك وما قال صلى الله عليه وسلم ذلك لاحد في مثل هذا الموطن الا استشهد فقال عمر رضي الله عنه وجبت أي الشهادة يارسول الله هلا أمتعتنا به أي هلا أخرت الدعاء له بذلك الى وقت آخر فاستشهد رضي الله عنه في هذه الغزوة رجع اليه سيفه فقتله فانه أراد أن يضرب به ساق يهودي فجاءت ذبابته في ركبته فمات من ذلك فقال الناس قتله سلاحه وفي رواية قتل نفسه أي فليس بشهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لشهيد وفي رواية قال سلمة بن الاكوع رضي الله عنه يارسول الله فداك أبي وأمي زعموا أن عامرا حبط عمله وفي لفظ يزعم أسيد بن حضير وجماعة من أصحابك أن عامرا حبط عمله اذ قتل بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب من قال ذلك أي أخطأ في قوله وان له أجرين وجمع بين أصبعيه انه لجاهد مجاهد والجاهد الجاد في أمره فلما قام به وصفان كان له أجران وفي البخاري عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى خيبر ليلا أي قرب منها فنام هو وأصحابه دونها ثم ركبوا اليها بكرة فصبحوها بالقتال وكان صلى الله عليه وسلم اذا أتى قوما بليل لم يغزهم أي لم يسرع بالهجوم عليهم حتى يصبح وينظر فان سمع أذانا كف عنهم والا أغار عليهم فلما أتى خيبر أصبح ولم يسمع أذانا فركب وفي رواية لابن اسحق أنه صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لاصحابه قفوا ثم قال اللهم رب السموات وما أظللن ورب الارضين وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين فانا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها اقدموا باسم الله وكان يقول هذه الكلمات لكل قرية دخلها فلما أصبح خرجت اليهود الحزرة معهم بمساحيهم ومكاتلهم وحكى الواقدي ان أهل خيبر سمعوا بقصده صلى الله عليه وسلم لهم فكانوا يخرجون في

الله ثم حض على الجيش فقال عثمان رضي الله عنه يارسول الله على ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر وهو يقول ما على عثمان ما فعل بعد هذه (وأخرج) الترمذي والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم وفي رواية عن حذيفة رضي الله عنه انها عشرة آلاف دينار فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالي ما عمل بعدها (وأخرج) الواحدي ان الله

كل يوم عشرة آلاف مقاتل متسلحين مستعدين صفوفا ثم يقولون محمد يغزونا هيهات هيهات حتى اذا كان الليلة التى قدم فيها المسلمون ناموا ولم تتحرك لهم دابة ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس فخرجوا بالمساحى طالبين مزارعهم فوجدوا المسلمين فلما رأوهم قالوا محمد والله والخميس أى جاء محمد أو هذا محمد والله والخميس أى الجيش فقال النبى صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا وفى التنزيل اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا والثلاثة مبدأ الكثرة وصلى الصبح بغلس ثم دفع رايته العقاب الى الحباب بن المنذر رضى الله عنه ودفع راية لسعد بن عبادة رضى الله عنه وذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم نزل بواد يقال له الرجيع بينهم وبين غطفان لئلا يمدوهم وكانوا احلافهم وان غطفان تجهزوا وقصدوا خيبر فسمعوا حسا خلفهم فظنوا ان المسلمين خالفوهم فى ذراريهم فرجعوا وأقاموا وخذلوا أهل خيبر أى تركوهم وجاء انه صلى الله عليه وسلم لما توجه الى خيبر أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير يقولون الله أكبر لا اله الا الله فقال صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم أى ارفقوا بانفسكم لا تبالغوا فى رفع أصواتكم انكم لا تدعون أصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم وجاء أن عبد الله بن ابى ابن سلول أرسل اليهم و لخيبر يقول لهم ان محمدا سائر اليكم فخذوا حذركم وادخلوا اموالكم الى حصونكم واخرجوا الى قتاله ولا تخافوا منه ان عددكم كثير وقوم محمد شرذمة قليلون عزل لا سلاح معهم الا القليل وانما قال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر لانه لما رأى آلة الهدم وهى المساحى والمكاتل تفاءل بان حصونهم ستخرب ويحتمل أن الله أعلمه بذلك بالوحى وهو الاصح وكان يهود خيبر أدخلوا أموالهم وعيالهم فى حصون الكتيبة وجمعوا المقاتلة فى حصون النطاة وكان النبى صلى الله عليه وسلم نزل قريبا من حصون النطاة فجاءه الحباب بن المنذر رضى الله عنه فقال يا رسول الله انك نزلت منزلك هذا فان كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم وان كان هو الرأى تكلمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الرأى فقال يا رسول الله ان أهل النطاة لى بهم معرفة ليس قوم أبعد مدى منهم ولا أعدل رمية منهم وهم مرتفعون علينا وهو أسرع لانحطاط نبلهم ولا نأمن من بياتهم يدخلون فى خمر النخل أى النخل المجتمع بعضه على بعض تحول يا رسول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأى اذا أمسينا ان شاء الله تحولنا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة فقال انظر لنا منزلا بعيدا فطاف محمد وقال يا رسول الله وجدت لك منزلا فقال صلى الله عليه وسلم على بركة الله وتحول لما أمسى وأمر الناس بالتحول وفى لفظ ان راحلته قامت تجر بزمامها فأدركت لترد فقال دعوها فانها مأمورة فلما انتهت الى موضع من الصخرة بركت عندها فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصخرة وتحول الناس اليها واتخذوا ذلك الموضع معسكرا وكان ذلك الموضع حائلا بين أهل خيبر وغطفان وابتنى هنالك مسجدا صلى به طول مقامه بخيبر وأمر بقطع نخيل أهل حصون النطاة فوقع المسلمون فى قطعها حتى قطعوا أربعمائة نخلة ثم نهاهم عن القطع فما قطع من نخيل خيبر غيرها وقاتل صلى الله عليه وسلم يومئذ ذلك أشد القتال وعليه درعان وبيضة ومغفر وهو على فرس يقال له الظرب وفى يده قناة وترس وما قيل انه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار مخطوم برسن من ليف وتحته اكاف من ليف فلعله كان فى الطريق أما حال الحرب فانه ركب ذلك الفرس وألح على حصن ناعم بالرمى وهو من حصون النطاة ويهود تقاتل وهو صلى الله عليه وسلم يقاتل هو وأصحابه ودفع لواءه لرجل من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ فدفعه الى آخر من المهاجرين فرجع ولم يصنع شيأ وخرجت كتائبهم يقدمهم رجل منهم يقال له ياسر فكشف الانصار حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موقفه فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسى مهموما وفى ذلك اليوم قتل محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة رضى الله عنهما برحى ألقيت عليه من ذلك الحصن ألقاها عليه مرحب اليهودى وقيل كنانة بن الربيع اليهودى ويحتمل أنهما اجتمعا فى ذلك وكان محمود بن مسلمة قد حارب حتى أعياه الحرب وثقل السلاح وكان الحر شديدا فانحاز الى ظل ذلك الحصن فالقى عليه حجر الرحى فهشم البيضة على رأسه ونزلت جلدة جبينه على وجهه وندرت عينه فأدركه المسلمون فأتوا به

أنزل بسبب ذلك فى حق عثمان رضى الله عنه الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (وعن) أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ارتقبت النبى صلى الله عليه وسلم ليلة من أول الليل الى أن طلع الفجر يدعو لعثمان بن عفان اللهم عثمان ابن عفان رضيت عنه فارض عنه وفى رواية عنه رأيت النبى صلى الله عليه وسلم رافعا يديه يدعو لعثمان يقول يا رب رضيت عن عثمان فارض عنه فما زال رافعا يديه حتى طلع الفجر (وأخرج) البغوى عن جابر بن عطية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما أبديت وما هو كائن الى يوم القيامة (وأخرج)

النبي صلى الله عليه وسلم فسوى الجلدة الى مكانها وعصبه بخرقة فمات من شدة الجراحة فجاء أخوه محمد بن مسلمة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اليهود قتلوا أخي محمود بن مسلمة فقال صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فانكم لا تدرون ما تبتلون به فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم أنت ربنا وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تقتلهم أنت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا غشوكم فانهضوا وكبروا ومكث صلى الله عليه وسلم سبعة أيام يقاتل أهل حصون النطاة يذهب كل يوم بمحمد بن مسلمة للقتال ويخلف على محل العسكر عثمان بن عفان رضي الله عنه فاذا أمسى رجع الى ذلك المحل ومن جرح من المسلمين يحمل الى ذلك المحل ليداوي جرحه وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الليل فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر رضي الله عنه فطاف عمر رضي الله عنه باصحابه حول العسكر وفرقهم فاتى برجل من يهود خيبر في جوف الليل فامر عمر رضي الله عنه بضرب عنقه فقال اذهب بي الى نبيكم حتى أكلمه فامسك عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يصلي فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عمر رضي الله عنه فلما سلم من صلاته أدخله عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي ما وراءك قال تؤمنني يا أبا القاسم قال نعم قال خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه الليلة قال فاين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيئون للقتال والمراد ما أبقوه من ذراريهم فلا ينافي ما تقدم انهم أدخلوا أموالهم وعيالهم في حصون الكتيبة وأخبره أن في هذا الحصن يعني حصن الصعب من حصون النطاة في بيت فيه تحت الارض منجنيقا ودبابات ودروعا وسيوفا فاذا دخلت الحصن غدا وأنت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله قال اليهودي ان شاء الله أوقفتك عليه فانه لا يعرفه غيري وأخرى قيل وما هي قال ستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق وندخل الرجال تحت الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة ثم قال يا أبا القاسم احقن دمي قال أنت آمن قال ولي زوجة فهبها لي قال هي لك ثم دعاه الى الاسلام فقال أنظرني وكان صلى الله عليه وسلم تأخذه الشقيقة في بعض تلك الايام فيبعث أناسا من أصحابه فلم يكن فتح ثم قال صلى الله عليه وسلم لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه لاعطين الراية غدا الرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله لا يولي الدبر يفتح الله عز وجل على يديه فيمكنه الله من قاتل أخيك وعند ذلك لم يكن أحد من الصحابة له منزلة عند النبي صلى الله عليه وسلم الا رجا أن يعطاها وفي رواية فبات الناس يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال ما أحببت الامارة الا ذلك اليوم وروي أن عليا رضي الله عنه لما بلغه مقالته صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت فبعث صلى الله عليه وسلم الى علي رضي الله عنه وكان أرمد شديد الرمد وكان قد تخلف بالمدينة ثم لحق بالقوم فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم انه يشتكي عينيه فقال من يأتيني به فذهب اليه سلمة بن الاكوع رضي الله عنه وأخذ بيده يقوده حتى أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وقد عصب عينيه فعقد له لواءه الابيض قال ابن اسحق لم تكن الرايات الا يوم خيبر فانه صلى الله عليه وسلم فرق الرايات يومئذ بين أبي بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضي الله عنهم وانما كانت الالوية وكانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء من برد لعائشة رضي الله عنها وفي سيرة الحافظ الدمياطي وكانت له راية سوداء وفي رواية بيضاء وربما جعل فيها الاسود ولعل السواد كان كتابة في ذلك اللواء ولعل هذا اللواء الذي فيه الاسود هو المعني بما جاء في بعض الروايات كان له لواء أبيض مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله أي بالسواد فلا تنافي بين الروايات فقال علي يا رسول الله اني أرمد كما ترى لا أبصر موضع قدمي فوضع رأسه في حجره صلى الله عليه وسلم ثم بصق صلى الله عليه وسلم في عينيه وفي رواية فتفل في كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع وقال علي رضي الله عنه فما رمدت بعد يومئذ وفي رواية فما رمدت ولا صدعت وفي لفظ فما اشتكيتهما حتى الساعة وفي هذا السياق لطيفة وهو أن من طلب

الامام أحمد عن أم عمرو بنت حسان قال الامام أحمد وكانت امرأة صدق قالت سمعت أبي يقول ان عثمان جهز جيش العسرة مرتين (وأخرج) الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل ليصلي عليه فلم يصل عليه وقيل يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا قال انه كان يبغض عثمان فبغضه الله عز وجل (وأخرج) صاحب الصفوة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه سئل عن عثمان رضي الله عنه فقال لقد كان أوصلنا للرحم وأتقانا للرب * ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لم يكن بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال صلى الله عليه وسلم من يشتري بئر رومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة فاشتراها عثمان رضي الله عنه

شيأ أو تعرض لطلبه يحرمه غالبا وأن من لم يطلب الشئ ولا يتعرض لطلبه ربما وصل اليه وقد أشار الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله رحم الله أخي يوسف لولم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه ذلك أخره سنة أي وبعد السنة دعاه الملك وتوجه ورداه وقلده بسيفه وأمر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت وضرب له عليه كلة من استبرق وفوض اليه أمر مصر وقد قيل لو وقعت قلنسوة من السماء لاتقع الا على رأس من لا يريدها ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه وكرم وجهه بقوله اللهم اكفه الحر والبرد قال علي رضي الله عنه فما وجدت بعد ذلك لاحرا ولا بردا فكان رضي الله عنه يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين ويلبس في البرد الشديد الثوبين الخفيفين وفي لفظ الثوب الخفيف فلا يبالي بالبرد وكان يفعل ذلك اظهارا لهذه المعجزة وتحقيقا لها وقد يخالف ذلك ما حكاه بعضهم قال دخل رجل على علي رضي الله عنه وهو يرعد تحت سمل قطيفة أي قطيفة خلقة فقال يا أمير المؤمنين ان الله جعل لك في هذا المال وأنت تصنع بنفسك هكذا فقال والله لا أرزأكم من مالكم فانها القطيفة التي خرجت بها من المدينة وقد يقال لا مخالفة لجواز أن تكون رعدته تلك لحمى أصابته في ذلك الوقت لا للشدة البرد كما ظنه السائل وقد أشار صاحب الهمزية الى زوال رمد علي رضي الله عنه ببركة ريق النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وعلي لما تفل بعينيه وكلتاهما معا رمداء

فغدا ناظرا بعيني عقاب * في غزاة لها العقاب لواء

ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطى عليا رضي الله عنه الراية ليذهب للقتال فقال علي رضي الله عنه أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله في الاسلام فان لم يطيعوا لك بذلك فقاتلهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وفي رواية قال علي كرم الله وجهه علام أقاتلهم قال على أن يشهدوا أن لا اله الا الله واني رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد حقنوا دماءهم وأموالهم وفي رواية لما أعطاه الراية قال له امش ولا تلتفت فسار شيأ ثم وقف ولم يلتفت فصرخ يا رسول الله علام أقاتلهم قال قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله * وعن حذيفة رضي الله عنه قال لما تهيأ علي رضي الله عنه يوم خيبر للحملة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي والذي نفسي بيده ان معك من لا يخذلك هذا جبريل عن يمينك بيده سيف لو ضرب به الجبال لقطعها فأبشر بالرضوان والجنة يا علي انك سيد العرب وأنا سيد ولد آدم وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم كان يعطي الراية كل يوم واحدا من أصحابه ويبعثه فبعث أبا بكر رضي الله عنه فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث عمر بن الخطاب رضي الله عنه من الغد فقاتل ورجع ولم يكن فتح وقد جهد ثم بعث رجلا من الانصار فقاتل ورجع ولم يكن فتح فقال عليه الصلاة والسلام لاعطين الراية أي اللواء غدا رجلا يحب الله ورسوله يفتح الله على يديه كرارا غير فرار فدعا عليا رضي الله عنه وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ودعا له ومن معه بالنصر وفي رواية ألبسه درعه الحديد وشد ذا الفقار الذي هو سيفه في وسطه وأعطاه الراية ووجهه الى الحصن فخرج علي رضي الله عنه يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع عليه يهودي من رأس الحصن فقال من أنت قال علي بن أبي طالب قال اليهودي علوتم والتوراة التي أنزل الله على موسى ثم خرج اليه أهل الحصن وكان أول من خرج اليه الحرث أخو مرحب وكان معروفا بالشجاعة فانكشف المسلمون ووثب علي رضي الله عنه عليه فتضاربا وتقاتلا فقتله علي رضي الله عنه وانهزم اليهود الى الحصن ثم خرج اليه مرحب وفي رواية ان مرحبا لما علم أن أخاه قد قتل خرج سريعا من الحصن وقد لبس درعين وتقلد بسيفين واعتم بعمامتين ولبس فوقهما مغفرا وحجرا قد ثقبه قدر البيضة ومعه رمح لسانه ثلاثة أسنان وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب * اذا الحروب أقبلت تلهب

فبرزله علي رضي الله عنه وهو يقول

بخمسة وثلاثين ألف درهم وجعلها للمسلمين وكانت بقعة لي جنب المسجد فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يشتريها ويوسعها في المسجد فله مثلها في الجنة فاشتراها عثمان رضي الله عنه بعد ذلك فوسعها في المسجد (وأخرج) الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيعة الرضوان كان عثمان رضي الله عنه وقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة فبايع الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عثمان في حاجة الله وحاجة رسوله فضرب باحدى يديه على الاخرى لبيعة عثمان وقال هذه لعثمان فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا من أيديهم لانفسهم ولما بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة على بلوى تصيبه قال الله المستعان (وأخرج)

أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره * أكيلكم بالسيف كيل السندره

ثم حمل مرحب على علي رضي الله عنه وضربه فطرح ترسه من يده فتناول علي رضي الله عنه بابا كان عند الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه الحصن ثم ألقاه من يده وراء ظهره وكان طول الباب ثمانين شبرا ولم يحركه بعد ذلك سبعون رجلا الا بعد جهد ففيه دلالة على فرط قوة علي وكمال شجاعته رضي الله عنه وعن أبي رافع رضي الله عنه لقد رأيتني في سبعة نجهد على أن نقلب ذلك الباب فلم نقدر رواه ابن اسحق والبيهقي والحاكم وعن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن جابر رضي الله عنهم ان عليا رضي الله عنه حمل الباب يوم خيبر وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلا رواه البيهقي وفي رواية للبيهقي ان عليا رضي الله عنه لما انتهى الى الحصن المسمى القموص اجتذب أحد أبوابه فألقاه بالارض فاجتمع عليه بعده منا سبعون رجلا فكان جهدهم أن أعادوا الباب مكانه وهذا لا يعارض رواية أربعين لانهم عالجوا حمله فما قدروا فتكاملوا سبعين وأما الرواية السابقة التي فيها لقد رأيتني في سبعة فقال الحافظ ابن حجر الجمع بينها وبين رواية الاربعين ان السبعة عالجوا قلبه والاربعين عالجوا حمله والفرق بين الامرين ظاهر ولو لم يكن الا باختلاف حال الابطال ثم ان عليا رضي الله عنه ضرب مرحبا فتترس فوقع السيف على الترس فقده وشق المغفر والحجر الذي تحته والعمامة وفلق هامته حتى أخذ السيف في الاضراس والى ذلك أشار بعضهم وقد أجاد بقوله

وشادن أبصرته مقبلا * فقلت من وجدي به مرحبا
قد فؤادي في الهوى قده * قد علي في الوغى مرحبا

وما ذكر من قتل علي رضي الله عنه لمرحب هو الصحيح المروي في صحيح مسلم وغيره وذكر بعض أهل السير ان الذي قتل مرحبا محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقال ان مرحبا طلب المبارزة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لهذا فقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه أنا يا رسول الله فان أخي قتل بالامس ولم يأخذ أحد بثاره وكان الذي قتله مرحب فقال قم اليه اللهم أعنه عليه فقام اليه وبارزه فضربه مرحب فاتقى محمد بن مسلمة ضربته بدرقته فوقع سيف مرحب فيها فعضت عليه وأمسكته فضربه محمد بن مسلمة فقتله وفي رواية فضربه في ساقه ويحتمل أنه بارزه وضربه في ساقه وعلي رضي الله عنه هو الذي قتله وقيل ان الذي قتله محمد بن مسلمة انما هو الحرث أخو مرحب فاشتبه على بعض الرواة وكان مكتوبا على سيف مرحب هذا سيف مرحب من يصبه يعطب وقول علي رضي الله عنه * أنا الذي سمتني أمي حيدره * أراد بذلك اعلام مرحب برؤيا رآها علي رضي الله عنه مكاشفة وذلك ان مرحبا رأى تلك الليلة مناما ان أسدا افترسه فأشار بقوله حيدره وهو من أسماء الاسد الى انه الاسد الذي يفترسه فلما سمع ذلك مرحب ارتعد وضعفت نفسه وهذا الاسم سمت عليا به أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم أرادت أن يكون اسم ابنها كاسم أبيها وكان أبو طالب غائبا فلما قدم كره ذلك الاسم وسماه عليا وقيل ان عليا كان يلقب بحيدرة وهو مصغر والحيدرة الغليظ القوي فلقب به لكونه كان عظيم البطن ممتلئا الجسم ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وهو يرتجز ويقول

قد علمت خيبر اني ياسر * شاكي السلاح بطل مغادر

وكان أيضا من مشاهير فرسان يهود وشجعانهم وهو يقول من يبارز فخرج له الزبير رضي الله عنه فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها وكانت مع القوم وهي عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انه يقتل ابني فقال بل ابنك يقتله ان شاء الله تعالى فقتله الزبير وعند ذلك قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم فداك عم وخال لكل نبي حواري وحواريي الزبير وذكر الزمخشري ان هذه الواقعة للزبير كانت في بني قريظة قال انه يعني الزبير أول من استحق السلب وكان ذلك في بني قريظة برز رجل من العدو فقال رجل ورجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم يا زبير فقالت أمه صفية رضي الله عنها واحدي يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم أيهما علا صاحبه قتله فعلاه الزبير رضي الله عنه فقتله فنفله رسول الله صلى الله عليه وسلم سلبه وقال السلب للقاتل هذا

الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان (وأخرج) الترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه عن مرة بن كعب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تقع فتنة فمر رجل مقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه فاذا هو عثمان بن عفان رضي الله عنه فأقبلت اليه بوجهه فقلت هذا قال نعم (وأخرج) خيثمة بن سليمان عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صبر عثمان (وأخرج) الامام أحمد والترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعثمان يا عثمان ان الله مقمصك قميصا فاذا أرادك المنافقون

كلامه قال الحلبي فاينا مل فانى لم أقف فى كلام أحد على ان بنى قريظة وقعت منهم مقاتلة بالمبارزة وفى رواية ان القاتل لياسر على بن أبى طالب ويمكن الجمع بمثل ما تقدم أى من انهما اشتركا فى ذلك وكان من جملة قتلى المسلمين الاسود الراعى كان أجير الرجل من اليهود يرعى له غنما وكان عبدا حبشيا يسمى أسلم وقيل يسار فجاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو محاصر خيبر وقال يارسول الله أعرض على الاسلام فعرضه عليه فاسلم وفى رواية قال ان أسلمت ماذا لى قال الجنة فاسلم فلما أسلم قال يارسول الله انى كنت أجير الصاحب هذه الغنم فكيف أصنع بها وفى رواية انها أمانة وهى للناس الشاة والشاتان وأكثر من ذلك قال اضرب فى وجوهها فانها سترجع الى ربها فقام الاسود فاخذ حفنة من حصى فرمى بها وجوهها وقال ارجعى الى صاحبك فوالله لا أصحبك فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ثم تقدم ذلك الاسود فقاتل مع المسلمين فاصابه حجر وفى رواية سهم فقتله ولم يسجد لله سجدة فاتى به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه فاعرض عنه فقالوا يارسول الله لم أعرضت عنه قال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه وتقولان ترب الله من ترب وجهك وقتل من قتلك زاد فى لفظ لقد أكرم الله هذا العبد وساقه الى خير وقد كان الاسلام من نفسه حقا ثم ان الله تعالى فتح ذلك الحصن وهو حصن ناعم وهو أول حصن من حصون النطاة على يد على بن أبى طالب رضى الله عنه وعن يزيد بن أبى عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فقلت ماهذه الضربة قال هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فاتيت النبى صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة رواه البخارى وفى البخارى أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى رجل ممن يدعى الاسلام انه من أهل النار فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراح فكاد بعض الناس يرتاب أى يشك فى قوله صلى الله عليه وسلم انه من أهل النار فوجد الرجل ألم الجراحة فأهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها سهما فنحر نفسه فاشتد رجل من المسلمين وهو أكثم الخزاعى فقال يارسول الله صدق الله حديثك انتحر فلان فقتل نفسه فقال صلى الله عليه وسلم قم يابلال فاذن فى الناس انه لا يدخل الجنة الا مؤمن وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وفى رواية عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون فاقتتلوا فمال الى عسكره ومال الآخرون الى عسكرهم وفى أصحابه رجل لا يدع لهم شاذة ولا فاذة الا اتبعها يضربها بسيفه فقيل ما أجزى أحد منا اليوم كما أجزى فلان فقال صلى الله عليه وسلم أما انه من أهل النار فقال رجل من القوم أنا صاحبه فخرج معه كلما وقف وقف معه واذا أسرع أسرع معه فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فخرج الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أنك رسول الله قال وماذاك قال الرجل الذى ذكرت آنفا انه من اهل النار فاعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت فى طلبه ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع سيفه بالارض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة تدركه الشقاوة والسعادة عند خروج نفسه فيختم له بها وانما الاعمال بالخواتيم وقوله صلى الله عليه وسلم فى هذا الرجل انه من أهل النار يحتمل أن يكون ذلك لنفاق فى قلبه أطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم عليه أو لانه يرتد بعد ذلك ويستحل قتل نفسه قال العلماء هذا الرجل أعلمنا النبى صلى الله عليه وسلم انه نفذ عليه الوعيد بالنار ولا يلزم منه أن كل من قتل نفسه يقضى عليه بالنار بل يحتمل أن هذا الرجل حين أصابته الجراحة ارتاب وشك فى الايمان أو استحل قتل نفسه فمات كافرا ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة وجاء فى رواية أن الذى نادى بلال وفى أخرى عمر بن الخطاب وفى أخرى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهم قال الحافظ ابن حجر يجمع بانهم نادوا جميعا فى جهات مختلفة ثم انه وقع اختلاف بين رواية أبى هريرة وسهل بن سعد رضى الله عنهما فى بعض الالفاظ فقيل ان القصة متعددة فى موطنين لرجلين مختلفين وقيل انهما

على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى وفى رواية من طريق يحيى بن معين عن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما ياعثمان ان كساك الله قميصا وأرادوك على خلعه فلا تخلعه فوالذى نفسى بيده لئن خلعته لاترى الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وهذا من الاحاديث الظاهرة الدالة على خلافته دلالة واضحة وعلى حقيتها النسبة القميص المكنى به عن الخلافة الى الله تعالى بل جاء فى رواية رواها الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعثمان ان ولاك الله تعالى ولاية هذا الامر يوما فاراد المنافقون على أن تخلع قميصك الذى قمصك الله فلا تخلعه يقول ذلك ثلاث مرات (وأخرج) الترمذى عن عثمان رضى الله عنه انه يوم الدار حين حاصروه وأرادوا منه أن يخلع نفسه

قصة واحدة والاختلاف من تصرف الرواة وسيأتي ان أبا هريرة رضي الله عنه لم يحضر قتال خيبر انما جاء بعد
قسم غنائمها فلعله سمع القصة من بعض الصحابة رضي الله عنهم ولم يزل القتال بين المسلمين واليهود والمسلمون
يفتحون حصونهم حصنا بعد حصن حتى أتموها وقتل من اليهود ثلاثة وتسعون واستشهد من المسلمين خمسة
عشر رجلا وقيل أربع وثلاثون وفتح الله حصون اليهود حصنا حصنا وهي النطاة بوزن حصاة وحصن
الصعب وحصن ناعم وحصن قلعة الزبير بن العوام نسب اليه لكونه صار في سهمه بعد وكان في قلة جبل
والشق والقموص وحصن البرى وحصن أبي والوطيح والسلالم وهو حصن ابن أبي الحقيق وأخذ صلى الله
عليه وسلم كنز آل أبي الحقيق الذي كان في مسك أي جلد حمار فلما كثر جعلوه في مسك ثور فلما كثر جعلوه
في مسك جمل وكانوا قد غيبوه في خربة فدل الله رسوله صلى الله عليه وسلم عليه فاخبر بموضعه وكان من مال بني
النضير الذي حمله حيي بن أخطب لما أجلى عن المدينة روى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما ان أهل خيبر
شرطوا له صلى الله عليه وسلم أن لا يكتموه شيأ فان فعلوا فلا ذمة لهم فاتى بكنانة والربيع فقال لهما ما فعل مال
حيي الذي جاء به من بني النضير قالا أذهبته الحروب والنفقات فقال العهد قريب والمال أكثر وروى البيهقي
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم أتى بكنانة وأخيه الربيع وابن عمهما فقال أين آنيتكم
التي كنتم تعيرونها أهل مكة قالوا هربنا فلم نزل تضعنا أرض وترفعنا أخرى فذهب منا كل شئ فقال ان
كتمتماني شيأ فاطلعت عليه استحللت به دماءكما وذراريكما قالا نعم فدعا رجلا من الانصار فقال اذهب الى نخل
كذا وكذا فانظر نخلة مرفوعة فاتني بما فيها فجاء بالآنية والاموال فقومت بعشرة آلاف دينار فضرب
عنقهما وسبي أهليهما بالنكث الذي نكثاه وفي رواية أن كنانة جحد أن يكون يعلم مكان الكنز فدفعه صلى
الله عليه وسلم الى الزبير يمسه بعذاب فقال رأيت حييا يطوف في خربة ههنا ففتشوها فوجدوا المسك فقتل
ابن أبي الحقيق وأصاب المسلمين مجاعة قبل فتح الحصون وأرسلت أسلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
أسماء بن حارثة وأمرته أن يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أسلم يقرؤنك السلام ويقولون أجهدنا
الجوع فلامهم رجل وقال من بين العرب تصنعون هذا فقال هند بن حارثة أخو أسماء والله اني لارجو أن
يكون البعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الخير فجاءه أسماء وبلغه ما قالت أسلم فدعا لهم أي قال
اللهم انك قد عرفت حالهم وان ليست بهم قوة وان ليس بيدي شئ أعطيهم اياه وقال اللهم افتح أكثر الحصون
طعاما وودكا ودفع اللواء للحباب بن المنذر وندب الناس ففتح الله حصن الصعب قبل ما غابت الشمس من ذلك
اليوم بعد أن أقاموا على محاصرته يومين وما بخيبر أكثر طعاما منه من شعير وتمر وودك أي سمن وزيت وشحم
وماشية ومتاع وكان بهذا الحصن خمسمائة مقاتل وقبل فتحه خرج منه رجل يقال له يوشع مبارزا فخرج له
الحباب فقتله الحباب فخرج آخر يقال له الديال فبرز له عمارة بن عقبة الغفاري فقتله وقال خذها وأنا الغلام
الغفاري فقال الناس حبط جهاده فقال صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك يؤجر ويحمد وحملت يهود حملة منكرة
فانكشف المسلمون حتى انتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف قد نزل عن فرسه فثبت الحباب بن
المنذر رضي الله عنه فحض صلى الله عليه وسلم المسلمين على الجهاد فاقبلوا وزحف بهم الحباب فانهزمت يهود
وأغلقوا الحصن عليهم ثم ان المسلمين اقتحموا الحصن يقتلون ويأسرون فوجدوا في ذلك الحصن من الشعير
والتمر والسمن وغيرها شيأ كثيرا ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا واعلفوا ولا تحملوا أي
لا تخرجوا به الى بلادكم وعن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال أصبت من فيء خيبر أي غنيمته جرابا
فاحتملته على عنقي أريد رحلي فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها وهو أبو اليسر كعب بن زائد الانصاري
رضي الله عنه فأخذ بناصيتي وقال هلم هذا حتى نقسمه بين المسلمين فقلت لا والله لا أعطيك فجعل يجاذبني
الجراب فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك فتبسم ضاحكا ثم قال لصاحب الغنائم لا أبا لك خل
بينه وبينه فأرسلني فانطلقت به الى رحلي وأصحابي فأكلناه وكل الحصون فتحت عنوة الا حصن الوطيح وحصن
سلالم فانهم ماكث المسلمون على حصارهم أربعة عشر يوما فلم يخرج أحد منهم فهم صلى الله عليه وسلم أن

قال لهم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم عهد الى عهدا
فانا صابر عليه وأشار بذلك
الى قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله مقمصك قميصا الى
آخره (وأخرج) ابن عساكر
عن زيد بن ثابت رضي الله
عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول
مر بي عثمان وعندي ملك
من الملائكة فقال شهيد
يقتله قومه انا نستحي منه
(وأخرج) الامام أحمد عن
عائشة وحفصة رضي الله
عنهما زوجي النبي صلى
الله عليه وسلم ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لهما في
مرضه الذي توفي فيه ادعوا
لي بعض أصحابي قلت بابي
بكر قال لا قلت عمر قال لا قلت
ابن عمك قال لا قلت عثمان
قال نعم فلما جاء تنحى فجعل
يساره ولون عثمان يتغير
وفي رواية ووجهه يتغير وفي
رواية فاكب عليه فساره
بشئ ثم رفع رأسه فقال أفهمت
ما قلت قال نعم ثم أكب عليه

يعمل عليهم وان ينصب عليهم المنجنيق فلما أيقنوا بالهلكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على حقن دماء المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم وان لا يصحب أحد منهم الا ثوب واحد فصالحهم على ذلك وعلى أن ذمة الله تعالى ورسوله بريئة منهم ان كتموا شيأ فتركوا مالهم من أرض ومال وصفراء وبيضاء والكراع والحلقة والبز الا ثوبا واحدا فمن قال ان خيبر فتحت عنوة حمل على غير هذين الحصنين ومن قال صلحا حمل على هذين ووجدوا في الحصنين المذكورين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية بجعابها ووجدوا في أثناء الغنيمة صحائف متعددة من التوراة فجاءت يهود تطلبها فأمر صلى الله عليه وسلم بدفعها اليهم ثم جمع السبي فجاء دحية بن خليفة الكلبي رضي الله عنه فقال يارسول الله أعطني جارية فقال له صلى الله عليه وسلم اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي وكانت امرأة حسناء فتنافس الناس فيها فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يانبي الله أعطيت دحية صفية سيدة بني قريظة والنضير لا تصلح الا لك فقال ادعوه بها فجاء بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها فاخذ أخت كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق زوج صفية وكانت صفية بنت حيي من سبط هرون أخي موسى عليهما السلام فاصطفاها صلى الله عليه وسلم لنفسه ثم أعتقها وتزوج بها وفي المواهب وانما أخذ صلى الله عليه وسلم صفية لانها بنت ملك من ملوكهم ثم قال الحافظ ابن حجر والصفية مائة نبي ومائة ملك ثم صيرها الى نبيه صلى الله عليه وسلم وليس ممن توهب لدحية لكثرة من في الصحابة مثل دحية وفوقه وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها نسبا وجمالا فلو خصه بها لامكن تغير خاطر بعضهم فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه واختصاصه صلى الله عليه وسلم بها فان في ذلك رضا الجميع وكانت صفية قبل ذلك رأت أن القمر وقع في حجرها فذكرت ذلك لابيها فلطم وجهها وقال انك لتمدين عنقك الى أن تكوني عند ملك العرب فلم يزل الاثر في وجهها حتى أتي بها صلى الله عليه وسلم فسألها عنه فاخبرته وأخرج ابن أبي عاصم عن أبي برزة رضي الله عنه قال لما نزل صلى الله عليه وسلم خيبر كانت صفية عروسا فرأت في المنام أن الشمس نزلت حتى وقعت في صدرها فقصت ذلك على زوجها فقال ماتمنين الا هذا الملك الذي نزل بنا ولا تنافي لامكان رؤيتها القمر أولا ثم الشمس ثانيا فاخبرت بالمنام الاول أباها وبالثاني زوجها * وفي هذه الغزوة سمت اليهودية الشاة للنبي صلى الله عليه وسلم وأهدتها اليه واسمها زينب بنت الحرث امرأة سلام بن مشكم * روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما فتحت خيبر واطمأن صلى الله عليه وسلم بعد فتحها أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم فلاك منها مضغة ثم لفظها حين أخبره العظم أنها مسمومة وازدرد بشر بن البراء لقمة فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ارفعوا أيديكم ثم قال اجمعوا الى من كان ههنا من اليهود فجمعوا له فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني سائلكم عن شئ فهل أنتم صادقوني عنه فقالوا نعم يا أبا القاسم فقال من أبوكم فقالوا أبونا فلان أي وانتسبوا الى غير أبيهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل أبوكم فلان قالوا صدقت وبررت ثم قال هل أنتم صادقوني عن شئ ان سألتكم عنه قالوا نعم يا أبا القاسم وان كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا فقال لهم صلى الله عليه وسلم من أهل النار قالوا نكون فيها زمانا يسيرا ثم تخلفوننا فيها فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسؤا فيها والله لن نخلفكم فيها أبدا ثم قال لهم هل أنتم صادقوني عن الشئ ان سألتكم عنه فقالوا نعم قال هل جعلتم في هذه الشاة سما فقالوا نعم فقال ما حملكم على ذلك قالوا أردنا ان كنت كاذبا أن نستريح منك وان كنت نبيا لم يضرك وفي رواية أرسل صلى الله عليه وسلم الى اليهودية فقال هل سممت هذه الشاة فقالت من أخبرك قال أخبرتني هذه في يدي مشيرا للذراع قالت نعم قال لها ما حملك على ذلك قالت ان كنت نبيا فيطلعك الله وان كنت كاذبا فاريح الناس منك وقد استبان لي انك صادق وانا أشهدك ومن حضرك اني على دينك وأن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فعفا عنها صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها وتوفي من أصحابه الذين أكلوا معه بشر بن البراء رضي الله عنه واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل من الشاة وفي رواية أن اليهودية قبل ان تضع السم

أخرى فساره بشئ ثم رفع رأسه فقال أفهمت قال نعم سمعته أذناي ووعاه قلبي فلما كان يوم الدار وحصر فيها قلنا يا أمير المؤمنين ألا تقاتل قال لا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد لي عهدا واني صابر نفسي عليه * ولما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم لاهل مكة في عمرة الحديبية قال الناس هنيأ لابي عبد الله الطواف بالبيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو مكث كذا ما طاف حتى أطوف فكان الامر كذلك فان أهل مكة عرضوا عليه الطواف بالبيت فامتنع وقال ما كنت لاطوف حتى يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأخرج) ابن عساكر عن عبد الرحمن بن مهدي قال كان لعثمان رضي الله عنه خصلتان ليستا لابي بكر وعمر رضي الله عنهما صبره نفسه حتى قتل مظلوما وجمعه الناس على المصحف

جعلت تسال أى أجزاء الشاة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها الذراع فعمدت الى شاة لها فذبحتها ثم عمدت الى سم يقتل من ساعته بعد أن شاورت يهود على سموم متعددة فعينوا لها هذا السم فسمت الشاة وأكثرت فى الذراعين والكتف وجاء ان بشر بن البراء مات بعد حول من تلك الاكلة بسبب ذلك السم فدفع صلى الله عليه وسلم تلك اليهودية لاولياء فقتلوها فيه وبه ذا يجمع بين الروايات المختلفة فان فى بعضها أنه صلى الله عليه وسلم لم يعاقب تلك اليهودية وفى بعضها انه قتلها فيحمل على قتلها قصاصا فى بشر بن البراء وما كان صلى الله عليه وسلم ينتقم لنفسه بل يعفو ويصفح وبعد فتح خيبر قدم من الحبشة جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ومن معه من المسلمين وهم ستة عشر رجلا فتلقى النبى صلى الله عليه وسلم جعفرا وقبل جبهته وعانقه وقام له وقد قام لصفوان بن أمية لما قدم عليه ولعدى بن حاتم رضى الله عنهما ثم قال صلى الله عليه وسلم ما أدرى بايهما أفرح بفتح خيبر أم بقدوم جعفر وقال صلى الله عليه وسلم لجعفر رضى الله عنه أشبهت خلقى وخلقى فرقص رضى الله عنه من لذة هذا الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم رقصه وجعل ذلك أصلا لرقص الصوفية عند ما يجدون من لذة المواجيد فى مجالس الذكر والسماع وقدم من الحبشة مع جعفر رضى الله عنه أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه وجماعة من قومه ففى البخارى ومسلم عن أبى موسى رضى الله عنه قال بلغنا مخرج النبى صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن نفر جنا مهاجرين أنا وأخوان لى أنا أصغرهم أحدهما أبو بردة والآخر أبو رهم فى ثلاث أو اثنين وخمسين رجلا من قومى فركبنا سفينة فالقتنا الى النجاشى فوافقنا جعفر بن أبى طالب فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنا هنا وأمرنا بالاقامة فاقيموا معنا فاقمنا معه حتى قدمنا جميعا فوافقنا النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فاسهم لنا ولم يسهم لاحد غاب عن فتح خيبر منها شيأ الالمن شهد ها معه الا أصحاب سفينتنا مع جعفر وأصحابه فانه قسم لهم معنا وكانت أسماء بنت عميس رضى الله عنها امرأة جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه وولدت له بالحبشة ابنه عبد الله وحين قدمت معه قال لها عمر رضى الله عنه سبقنا كم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم فغضبت وذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ليس باحق بى منكم له ولاصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان وعند البيهقى حديث طويل فى قصتهم وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال انى لاعرف أصوات رفقة الاشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الايام أيضا أبو هريرة رضى الله عنه وطائفة من قومه قال أبو هريرة رضى الله عنه قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفارى رضى الله عنه فاخبرنا ان النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر فزودنا سباع ثم جئنا خيبر وهو محاصر للكتيبة فاقمنا حتى فتح الله وقدم على النبى صلى الله عليه وسلم حجاج بن علاط السلمى وأسلم وكان مكثرا من المال فقال يارسول الله ان مالى عند امرأتى بمكة ومتفرق فى تجار مكة فاذن لى أن آتى مكة لآخذ مالى قبل أن يعلموا باسلامى فلا أقدر على أخذ شئ منه فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله لابد لى أن أقول أى خلاف الواقع لاحتال على التوصل لاخذ مالى قال قل قال فخرجت حتى انتهيت الى الحرم فاذا رجال من قريش يتشممون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سار الى خيبر أهل القوة والمنعة بعد ما وقع بينهم من المراهنة على مائة بعير فى ان النبى صلى الله عليه وسلم يغلب أهل خيبر أولا فقال حويطب بن عبد العزى وجماعة بالاول وقال عباس بن مرداس وجماعة بالثانى فلما جاءهم حجاج قالوا حجاج والله عنده الخبر ولم يكونوا علموا باسلامه ثم قالوا يا حجاج بلغنا ان القاطع يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سار الى خيبر فقلت عندى من الخبر ما يسركم فاجتمعوا على يقولون يا حجاج ايه فقلت لم يلق محمد وأصحابه قوما يحسنون القتال غير خيبر فهزم هزيمة لم يسمع بمثلها قط وانه أسر محمد او قالوا لانقتله حتى نبعث به الى مكة فنقتله بين أظهرهم وفى لفظ يقتلونه بمن كان أصاب من رجالهم فصاحوا وقالوا لاهل مكة قد جاءكم الخبر هذا محمد انما تنتظرون ان يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم ثم قال حجاج وقلت لهم أعينونى على غرمائى أريد أن أقدم فاصيب من غنائم محمد وأصحابه قبل أن

* وحديث جمع المصحف مذكور فى صحيح البخارى (وملخصه) ان حذيفة بن سليمان رضى الله عنهما كان مع اهل العراق فى فتح أرمينية وأذربيجان فافزع حذيفة اختلافهم فى القرآن فلما رجع قال لعثمان رضى الله عنه يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل الى حفصة أن ارسلى الى بالصحف وكان القرآن نسخ فى صحف فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه فبقيت الصحف عنده ثم بعده عند عمر رضى الله عنه فلما توفى عمر بقيت عند حفصة رضى الله عنها فارسلتها الى عثمان رضى الله عنه حين كلمها فامر بنسخ المصاحف وأرسل الى كل افق مصحفا وأمر بما سوى ذلك مما لم يكن متواترا أن يحرق (وقال) البراء بن عازب رضى الله عنهما

يستبقى التجار الى ماهنالك فجمعوا الى مالى على أحسن مايكون ثم فشا الخبر بمكة وأظهر المشركون الفرح والسرور بمكة وحزن من كان بمكة من المسلمين وسمع بذلك العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه فجعل لا يستطيع أن يقوم ثم أرسل الى الحجاج غلاما وقال قل له يقول لك العباس الله أعلى وأجل من أن يكون الذى جئت به حقا فقال له حجاج اقرأ على أبى الفضل السلام وقل له ليخل لى بعض بيوته لآتيه بالخبر على ما يسره وا كتم عنى فاقبل الغلام فقال أبشر يا أبا الفضل فوثب العباس فرحا كان لم يكن مسه شئ وأخبره بذلك وأعتق العباس ذلك الغلام وقال لله على عتق عشر رقاب فلما كان الظهر جاءه حجاج فناشده الله ان يكتم عنه ثلاثة أيام وقال انى أخشى الطلب فاذا مضت الثلاث فاظهر أمرك فوافقه العباس رضى الله عنه على ذلك فقال انى أسلمت وان لى عند امرأتى مالا ودينا على الناس ولو علموا باسلامى لم يدفعوه الى وانى تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فتح خيبر وجرت سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم فيها وتركته عروسا بابنة ملكهم حيى بن أخطب وقتل ابن أبى الحقيق وأخبره الخبر بتمامه فلما أمسى حجاج خرج وطالت على العباس رضى الله عنه تلك الليالى الثلاث فلما مضت الثلاث عمد العباس رضى الله عنه الى حلة فلبسها وتخلق بخلوق وأخذ بيده قضيبا ثم اقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون لا يصيبك الاخير يا أبا الفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة قال كلا والله الذى حلفتم به لم يصبنى الاخير بحمد الله أخبرنى حجاج أن خيبر فتحها الله على يد رسوله وجرى فيها سهام الله وسهام رسوله صلى الله عليه وسلم واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت ملكهم حيى بن أخطب لنفسه وانه تركه عروسا بها وانما قال لكم ذلك ليخلص ماله والا فهو ممن أسلم فرد الله الكآبة التى كانت بالمسلمين على المشركين فقال المشركون يا عباد الله انفلت عدو الله يعنون حجاجا أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ولم يلبثوا ان جاءهم الخبر بذلك وقد قسم صلى الله عليه وسلم غنائم خيبر فاعطى الراجل سهما والفارس ثلاثة أسهم بعد ان خمسها خمسة أجزاء ثم دفع صلى الله عليه وسلم لاهل خيبر الارض ليعملوا فيها بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع وقال لهم انا اذا شئنا ان نخرجكم أخرجنا كم ثم استمروا على ذلك الى خلافة عمر رضى الله عنه ووقعت منهم خيانة وغدر لبعض المسلمين فاجلاهم الى الشام بعد ان استشار الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك والله أعلم

(غزوة وادى القرى)

اسم موضع بقرب المدينة كان به جماعة من اليهود روى ابن اسحق عن أبى هريرة رضى الله عنه لما انصرفنا من خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتينا وادى القرى نزلنا بها أصيلا مع غروب الشمس وحاصرهم صلى الله عليه وسلم أربعة أيام وهيأ صلى الله عليه وسلم اصحابه للقتال وصفهم ودفع لواءه الى سعد بن عبادة رضى الله عنه وراية الى الحباب بن المنذر رضى الله عنه وراية الى سهل بن حنيف رضى الله عنه وراية الى عباد بن بشر رضى الله عنه ثم دعاهم الى الاسلام وأخبرهم انهم ان أسلموا أحرزوا أموالهم ودماءهم وحسابهم على الله فبرز رجل منهم فقتله الزبير رضى الله عنه ثم آخر فقتله الزبير أيضا ثم آخر فقتله على رضى الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة رضى الله عنه ثم آخر فقتله أبو دجانة أيضا حتى قتل منهم احد عشر رجلا كلما قتل رجل دعا من بقى الى الاسلام حتى أعطوا ما بأيديهم وفتحها صلى الله عليه وسلم عنوة وغنمه الله اموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا وقسم ما أصابه على أصحابه وترك الارض والنخل بايدى يهود وعاملهم عليها وولاها صلى الله عليه وسلم عمرو بن سعيد بن العاص وصالحه صلى الله عليه وسلم أهل تيماء على الجزية لما بلغهم فتح وادى القرى وولاها صلى الله عليه وسلم يزيد بن أبى سفيان رضى الله عنه وكان اسلامه يوم فتحها وتيماء بلدة معروفة بين المدينة والشام على سبع مراحل من المدينة وصالحه أيضا أهل فدك على ان لهم نصفها وله صلى الله عليه وسلم نصفها فاقرهم على ذلك فكانت له صلى الله عليه وسلم خاصة لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب وقدم بعض أهل السير مصالحة أهل فدك على غزوة وادى القرى لانه صالحهم بعد ان فتح خيبر ثم رجع صلى الله عليه وسلم الى المدينة منصورا مؤيدا والله أعلم

لبعض الخوارج الذين يسبون عثمان وعليا رضى الله عنهما لا تسبوا عثمان فانه أخى وخليلى ولا تسبوا عليا فانه أخى وخليلى والذى نفس محمد بيده لو وقف أحدهم ساعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من الدنيا وما فيها (وأخرج) ابن عدى وابن عساكر عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان لله سيفا مغمودا ما دام عثمان حيا فاذا قتل عثمان جرد ذلك السيف فلم يغمد الى يوم القيامة (وأخرج) ابن عساكر عن حذيفة رضى الله عنه قال اول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذى نفسى بيده لا يموت رجل وفى قلبه مثقال حبة من حب قتل عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به فى قبره (وأخرج) أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عمر رضى

(ذكر خمس سرايا بين خيبر وعمرة القضاء)

(سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه)

الى تربة بضم التاء وفتح الراء والموحدة وتاء التأنيث واد بقرب مكة على يومين منها ناحية العبلاء وهو موضع على أربع ليال من مكة وكانت في شعبان سنة سبع بعث صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعه ثلاثون رجلا فكان يسير الليل ويكمن النهار فأتى الخبر الى هوازن الى الطائفة التي كانت منهم بتربة فهربوا وجاء عمر رضي الله عنه الى محالهم فلم يلق منهم أحدا بل ترفعوا وأخذوا سائر مالهم من نعم وغيرها فانصرف راجعا الى المدينة فلما كان بذي الجدر موضع على ستة أميال من المدينة قال له رجل من بني هلال هل لك في جمع آخر تركته من خثعم سائرين قد أجدبت بلادهم فقال عمر رضي الله عنه لم يأمرني صلى الله عليه وسلم بهم انما أمرني أن أعمد لقتال هوازن بتربة

(ثم سرية أبي بكر الصديق رضي الله عنه)

الى بني كلاب قبيلة بنجد بناحية ضرية بفتح الضاد وكسر الراء وتشديد الياء وكانت في شعبان أيضا سنة سبع ويقال الى بني فزارة فسبى منهم جماعة وقتل آخرين وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه الى فزارة وخرجت معه حتى اذا صلينا الصبح أمرنا فشننا الغارة فوردنا الماء وقتل من قتل منهم ورأيت الذراري فخشيت أن يسبقوني الى الجبل فادركتهم فرميت بسهم بينهم وبين الجبل فلما رأوا السهم وقفوا وفيهم امرأة وهي أم قرفة عليها قشع من أدم ومعها ابنتها من أحسن العرب فجئت بهم أسوقهم الى أبي بكر رضي الله عنه فنفلني أبو بكر ابنتها فلم أكشف لها ثوبا فقدمنا المدينة فلقيني صلى الله عليه وسلم فقال يا سلمة هب لي المرأة لله أبوك فقلت هي لك فبعث بها الى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين قال بعضهم ان تسمية المرأة بام قرفة وهم لان ذلك انما كان في سرية زيد بن حارثة كما تقدم والله أعلم

(ثم سرية بشير بن سعد)

الانصاري الخزرجي رضي الله عنه الى بني مرة بفدك في شعبان أيضا سنة سبع ومعه ثلاثون رجلا فلما وصلوا الى محل القوم لقوا رعاء الشاء فسألوهم عن الناس فقالوا هم في بواديهم والناس يومئذ شاتون لا يحضرون الماء فاستاق النعم والشاء وانحدر الى المدينة فخرج الصريخ فاخبرهم فادركه العدد الكثير منهم عند الليل فباتوا يرامونه بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب بشير فأصيبوا وولى منهم من ولى وقاتل بشير حتى جرح وصار به رمق فضربوا كعبه اختبارا لحاله أهو حي أم ميت فلما لم يتحرك قالوا قد مات ورجعوا بنعمهم وشائهم وقدم علبة بن زيد رضي الله عنه يخبرهم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدم بعده بشير بن سعد وذلك انه استمر في القتلى حتى أمسى فلما أمسى تحامل حتى انتهى الى فدك فأقام عند يهودي بها أياما حتى ارتفع من الجراح ثم رجع الى المدينة

(ثم سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه)

الى أهل الميفعة بناحية نجد على ثمانية برد من المدينة في شهر رمضان سنة سبع من الهجرة في مائة وثلاثين رجلا وقيل في مائتين وثلاثين فهجموا عليهم في وسط محالهم فقتلوا من أشرف لهم واستاقوا نعما وشاء الى المدينة وفي هذه السرية قتل أسامة بن زيد رضي الله عنهما نهيك بن مرداس الاسلمي وقيل الغطفاني بعد أن قال لا اله الا الله محمد رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أسامة من لك بلا اله الا الله فقال يا رسول الله انما قالها تعوذا من القتل قال هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب فقال أسامة لا أقاتل أحدا يشهد أن لا اله الا الله وفي رواية أن قوم مرداس لما انهزموا بقي وحده وكان ألجأ غنمه لجبل فلما لحقوه قال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله أسامة بن زيد رضي الله عنهما فلما رجعوا نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا

الله عنهما ان جهجاها الغفاري قام الى عثمان رضي الله عنه وهو يخطب وفي يده عصا كان النبي صلى الله عليه وسلم يمسكها اذا خطب وكذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فاخذ جهجاه العصا في يده فكسرها على ركبته فما حال الحول حتى أرسل الله في رجله أكلة فمات منها (وأخرج) ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا بالحجارة من السماء (وأخرج) ابن عساكر عن سمرة رضي الله عنه قال ان الاسلام كان في حصن وانهم ثلموا في الاسلام ثلمة بقتلهم عثمان لا تسد الى يوم القيامة (وعن) ثابت ابن جابر قال جاء رجل الى علي رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين اني راجع الى المدينة وانهم سائلي عن عثمان فماذا أقول لهم قال أخبرهم ان عثمان من

يبتغون عرض الحياة الدنيا الآية وقيل ان ذلك في سرية أخرى سنة ثمان كان أسامة هو أميرها وانه لما قدم المدينة قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا أسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قال أسامة قلت يا رسول الله انما كان متعوذا فما زال يكررها أي قوله أقتلته الخ حتى تمنيت انى لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم أي لان الاسلام يجب ما قبله فقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم دفع لاهل القتيل ديته وأمر أسامة أن يعتق رقبة والله أعلم *(ثم سرية بشير بن سعد أيضا)*

الانصاري رضي الله عنه الى يمن وجبار وهي أرض لغطفان ويقال لفزارة وكانت في شوال سنة سبع من الهجرة بعثه صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة رجل لجمع تجمعوا بأرض غطفان واعدهم عيينة بن حصن للاغارة على المدينة فساروا الليل وكمنوا النهار فلما بلغهم مسير بشير هربوا وأصاب لهم نعما كثيرة فغنمها ثم لقوا جمع عيينة وهو لا يشعر بهم فناوشوهم ثم انهزم جمع عيينة وتبعهم المسلمون فأسروا منهم رجلين وقدموا بهما المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلما فأرسلهما والمناوشة تدانى الفريقين وأخذ بعضهم بعضا *(عمرة القضاء)*

قال موسى بن عقبة قال ابن شهاب انه صلى الله عليه وسلم خرج في هلال ذي القعدة سنة سبع معتمرا وأمر أصحابه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم التي صدهم المشركون عنها بالحديبية وأمر أن لا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية وخرج معهم غيرهم أيضا فكانوا ألفين سوى النساء والصبيان واستخلف على المدينة أبا رهم كلثوم ابن الحصين الغفاري رضي الله عنه وساق معه صلى الله عليه وسلم ستين بدنة وحمل السلاح والدروع والرماح وقاد مائة فرس وانما فعل ذلك احتياطا وتوقفا وخوفا من غدر أهل مكة فلما انتهى الى ذي الحليفة قدم الخيل امامه عليها محمد بن مسلمة رضي الله عنه وقدم السلاح واستعمل عليه بشير بن سعد رضي الله عنه وأحرم صلى الله عليه وسلم وسلك طريق الفرع ولبى ولبى المسلمون معه ومضى محمد بن مسلمة في الخيل الى مر الظهران فوجد بها نفرا من قريش فسألوه عن سبب مجيئه بالخيل فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح هذا المنزل غدا ان شاء الله تعالى فأتوا قريشا فأخبروهم ففزعوا وقالوا والله ما أحدثنا حدثا وانا على كتابنا ومدتنا ففيم يغزونا محمد في أصحابه وبعثوا مكرز بن حفص في نفر من قريش حتى لقوه صلى الله عليه وسلم ببطن يأجج في أصحابه والهدي والسلاح قد تلاحق فقالوا والله ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر تدخل بالسلاح في الحرم على قومك وقد شرطت لهم أن لا تدخل الا بسلاح المسافر فقال انى لا أدخل عليهم بسلاح فقال مكرز هو الذي تعرف به البر والوفاء ثم رجع بأصحابه الى مكة فقال ان محمدا على الشرط الذي شرط لكم ونزل صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وقدم السلاح الى بطن يأجج موضع على أميال من مكة وخلف عليه أوس بن خولي الانصاري رضي الله عنه في مائتي رجل حتى قضى النسك مناسك عمرتهم رضي الله عنهم وخرجت قريش من مكة الى رؤس الجبال ولم يقدروا على رؤيته صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه يطوفون بالبيت وفي رواية خرجوا الى الخندمة كأنهم تأبوا أن ينظروا اليه صلى الله عليه وسلم غيظا وحنقا أي حسدا وقدم صلى الله عليه وسلم الهدي أمامه بذي طوى وخرج راكبا ناقته القصواء والمسلمون متوشحون السيوف محدقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل من الثنية التي تطلع على الحجون وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه آخذ بزمام راحلته يمشي بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله * اليوم نضربكم على تنزيله * ضربا يزيل الهام عن مقيله
ويذهل الخليل عن خليله * قد أنزل الرحمن في تنزيله * بان خير القتل في سبيله
نحن قتلناكم على تأويله * كما قتلناكم على تنزيله * يارب انى مؤمن بقيله
* انى رأيت الحق في قبوله *

فقال له عمر رضي الله عنه يا ابن رواحة أبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال له صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي أي هذه الابيات أي نكايتها فيهم أسرع من نضح النبل وقيل ان قوله

الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين (وعن) محمد بن الحنفية قال قال علي رضي الله عنه لو سيرني عثمان الى كذا لسمعت وأطعت (وأخرج) ابن عساكر عن الحسن البصري ان عليا رضي الله عنه لما بلغه قتل عثمان قال اللهم انى لم أرض ولم أمال (وأخرج) الحاكم وصححه عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول يوم الجمل اللهم انى ابرأ اليك من دم عثمان ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان وأنكرت نفسي وجاؤني للبيعة فقلت والله انى لاستحي ان أبايع قوما قتلوا عثمان وانى لاستحي ان أبايع وعثمان لم يدفن بعد فانصرفوا ثم رجع الناس بعد دفنه فسألوني البيعة فقلت اللهم انى مشفق مما أقدم عليه ثم جاءت

نحن ضربنا كم على تأويله الخ من قول عمار بن ياسر رضى الله عنهما يوم صفين ولا مانع من ان عبد الله بن رواحة قال ذلك أولا وتمثل به عمار يوم صفين ثم قال صلى الله عليه وسلم لابن رواحة رضى الله عنه قل لا اله الا الله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فقالها ابن رواحة ثم قالها الناس وفى أمره بذلك زيادة اغاظة للكفار لتأذيهم بها أكثر من الشعر المذكور لاسيما وقد قالوها كلهم معلنين بها ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبي حتى استلم الركن بمحجنه مضطبعا بثوبه وطاف على ناقته وفى رواية ماشيا وهرول ثلاثة أشواط والمسلمون يطوفون معه وقد اضطبعوا بثيابهم وفى البخارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون انه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط الثلاثة ليرى المشركون قوتهم فقالوا اهؤلاء الذين زعمتم ان الحمى وهنتهم اهؤلاء أجلد من كذا وكذا انهم لينفرون نفر الظبي والمشركون كانوا على جبل قعيقعان فأمرهم أن يمشوا بين الركنين حيث لا يراهم قريش لانهم انما يرونهم اذا كانوا بين الركنين الشاميين ثم سعى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة على راحلته وبعد فراغه نحر هديه عند المروة وحلق هنالك ثم أمر مائتين من أصحابه أن يذهبوا الى أصحابه ببطن يأجج يقيمون على السلاح ويأتى الآخرون ليقضوا نسكهم ففعلوا وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا كما شرطه قريش فى الهدنة فلما كان الظهر من اليوم الرابع جاءه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى فقالا ننشدك الله والعهد الا ما خرجت من أرضنا فرد عليهما سعد بن عبادة رضى الله عنه وأسكته صلى الله عليه وسلم وأذن بالرحيل قال الحافظ ابن حجر كأنه دخل فى أوائل النهار فلم تكمل الثلاث الا فى مثل ذلك الوقت من نهار الرابع بالتلفيق وكان مجيئهما قرب ذلك الوقت وفى البخارى من حديث البراء فلما دخلها يعنى مكة ومضى الاجل أى الايام الثلاثة أتوا عليا رضى الله عنه فقالوا قل لصاحبك اخرج عنا فقد مضى الاجل فخرج النبى صلى الله عليه وسلم فتبعته ابنة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنهما واسمها امامة أو عمارة أو سلمى أو غير ذلك تنادى يا عم يا عم فتناولها على رضى الله عنه وقال لفاطمة رضى الله عنها وهى فى هودجها دونك ابنة عمك وقال على رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم علام نترك ابنة عمنا يتيمة بين ظهرانى المشركين فلم ينهه فخرج بها ثم اختصم فيها على وجعفر وزيد بن حارثة رضى الله عنهم أى فى انها تكون عند أيهم وكان ذلك بعد ان قدموا المدينة فقال على رضى الله عنه أنا أخذتها وأخرجتها من بين ظهرانى المشركين وقال جعفر بن أبى طالب هى ابنة عمى وخالتها أسماء بنت عميس تحتى وقال زيد بن حارثة هى ابنة أخى أى لان النبى صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين حمزة رضى الله عنه فكان لكل فيها شبهة فقضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال الخالة بمنزلة الام وقال لعلى أنت منى وأنا منك تطييبا لخاطره وقال لجعفر أشبهت خلقى وخلقى وقال لزيد أنت أخونا ومولانا وانما أقرهم النبى صلى الله عليه وسلم على اخراجها مع اشتراط المشركين أن يرد اليهم من جاء اليه وأن لا يخرج بأحد من أهلها لانهم لم يطالبوها ولان النساء المؤمنات لم يدخلن فى ذلك الشرط وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة رضى الله عنها عند رجوعه وهو حلال بسرف وجاء فى رواية أنه عقد عليها وهو محرم وبنى بها وهو حلال قال المحققون ان ذلك وهم والصحيح الاول واختلف الناس فى تسمية هذه العمرة عمرة القضاء فقال مالك والشافعى والجمهور لانه قاضى قريشا سنة الحديبية فالمراد بالقضاء الفصل الذى وقع عليه الحكم لا لانها قضاء عن العمرة التى صد عنها لانها لم تكن فسدت حتى يجب قضاؤها بل كانت عمرة تامة وقال أبو حنيفة وأحمد فى رواية عنه ان من صد عن البيت فعليه القضاء فتسميتها قضاء على ظاهره والله سبحانه وتعالى أعلم

*(ذكر خمس سرايا قبل سرية مؤتة *سرية الاخرم)*

ابن أبى العوجاء السلمى رضى الله عنه الى بنى سليم فى ذى الحجة سنة سبع فى خمسين رجلا فخرج اليهم فسلم بخروجه عين لبنى سليم فاخبرهم بخروجه اليهم وحذرهم فجمعوا لابن أبى العوجاء جمعا كثيرا فأتاهم وهم معدون له فدعاهم الى الاسلام فقالوا لا حاجة لنا الى ما دعوتنا اليه فتراموا بالنبل ساعة وأتتهم الامداد وأحاط

عزيمة فبايعت فقالوا يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبى وقلت اللهم خذ منى لعثمان حتى ترضى (وأخرج ابن عساكر عن أبى خلدة الحنفى قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول ان بنى أمية يزعمون انى قتلت عثمان لا والله الذى لا اله الا هو ما قتلت وما مالأت ولا ماليت ولقد نهيت فعصونى *هذا بعض ما جاء فى فضل عثمان رضى الله عنه وبقيت أحاديث كثيرة فى فضله لم نذكرها خوفا من التطويل (وأما حقيقة خلافته) فتقدم ان عمر رضى الله عنه جعل الامر شورى بين ستة وهم عثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد ابن أبى وقاص وعبد الرحمن ابن عوف وأمر ان يشهدهم عبد الله بن عمر وليس له من الامر شئ وانه أجلهم ثلاثا فلما فرغوا من دفن عمر رضى الله عنه ورجعوا اجتمع هؤلاء الرهط فقال

الكفار بالمسلمين من كل ناحية وقاتل القوم قتالا شديدا حتى قتل عامتهم وفى رواية قتلوا جميعا حتى أميرهم وقيل ترك وجريحا ثم تحامل حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول يوم من صفر وقيل نجا معه اثنان أو أكثر فعاتوتوفى الذهاب الى المدينة والله أعلم

(سرية غالب بن عبد الله الليثى رضى الله عنه)

الى بنى الملوح بالكديد بفتح الكاف وكسر الدال المهملة وسكون التحتية آخره دال وهو ماء بين عسفان وقديد وكانت فى صفر سنة ثمان روى ابن اسحق وغيره عن جندب بن مكيث الجهنى رضى الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله على سرية كنت فيها وأمره بشن الغارة على بنى الملوح بالكديد فخرجنا حتى اذا كنا بقديد لقينا الحرث بن مالك الليثى المعروف بابن البرصاء فأخذناه فقال انى جئت أريد الاسلام وما خرجت الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا له ان تكن مسلما فلن يضرك ربط يوم وليلة وان تك غير ذلك كنا قد استوثقنا منك فشددناه وثاقا ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود وقلنا له ان غازك فاحتز رأسه ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس فكنا فى ناحية الوادى وبعثنى أصحابى ربيئة لهم فخرجت حتى أتيت تلا مشرفا على الحاضر فاستندت فيه فعلوت على رأسه فنظرت الى الحاضر فوالله انى لمنبطح على التل اذ خرج رجل من خبائه فقال لامرأته انى لأرى على التل سوادا ما رأيته فى أول يومى فانظرى الى أوعيتك هل تفقدين شيأ لا تكون الكلاب جرت بعضها فنظرت وقالت لا والله ما أفقد شيأ قال فناولينى قوسى وسهمين فناولته فأرسل سهما فما أخطأ بين عينى فنزعته وثبت مكانى فأرسل الآخر فوضعه فى منكبى فنزعته ووضعته وثبت مكانى فقال لامرأته لو كان ربيئة القوم لقد تحرك لقد خالطه سهماى لا أبالك اذا أصبحت فابتغيهما فخذيهما لا تمضغهما الكلاب ثم دخل وامهلناهم حتى اذا اطمأنوا وناموا وكان فى وجه السحر شننا عليهم الغارة فقتلنا منهم واستقنا النعم وخرج صريخ القوم فجاءنا قوم لا قبل لنا بهم فمضينا بالنعم ومررنا بابن البرصاء وصاحبه واحتملناهما معنا وأدركنا القوم حتى قربوا منا فما بيننا وبينهم الا الوادى قديد فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى من غير سحابة نراها ولا مطر فجاء بشئ ليس لأحد به قوة ولا يقدر أحد ان يجاوزه فوقفوا ينظرون الينا وانا لنسوق نعمهم لا يستطيع رجل منهم ان يعبر الينا ونحن نحدوها سراعا حتى فتناهم فلم يقدروا على طلبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والحرث بن مالك هو ابن البرصاء وهى أمه وقيل أم أبيه وهو صحابى رضى الله عنه سكن مكة ثم المدينة وتوفى آخر خلافة معاوية رضى الله عنه وله حديث واحد وهو قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الفتح لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة رواه الترمذى وابن حبان وصححاه والله أعلم

(اسلام خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة الحجبى وعمرو بن العاص رضى الله عنهم)

قال خالد بن الوليد لما أراد الله عز وجل بى ما أراد من الخير قذف فى قلبى الاسلام وحضرنى رشدى وقلت قد شهدت هذه المواطن كلها على محمد صلى الله عليه وسلم وليس موطن أشهده الا انصرف وأنا أرى فى نفسى انى فى غير شئ وان محمدا سيظهر فلما جاء لعمرة القضية تغيبت ولم أشهد دخوله فكان أخى الوليد بن الوليد دخل معه فطلبنى فلم يجدنى فكتب الى كتابا فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الاسلام وعقلك عقلك ومثل الاسلام لا يجهله أحد قد سألنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنك فقال أين خالد فقلت يأتى الله به فقال ما مثله يجهل الاسلام ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين كان خيرا له ولقدمناه على غيره فاستدرك يا أخى ما قد فاتك من مواطن صالحة فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج وزادنى رغبة فى الاسلام وسرتنى مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأيت فى المنام كأنى فى بلاد ضيقة مجدبة فخرجت الى بلاد خضراء واسعة فلما أجمعت على الخروج الى المدينة لقيت صفوان بن أمية فقلت يا أبا وهب أما ترى ان محمدا ظهر على العرب والعجم فلو قدمنا عليه واتبعناه فان شرفه شرف لنا فقال لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبدا فقلت هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر فلقيت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان فقال مثل الذى قال

عبد الرحمن بن عوف اجعلوا أمركم الى ثلاثة منكم فقال الزبير قد جعلت أمرى الى على وقال سعد قد جعلت أمرى الى عبد الرحمن بن عوف وقال طلحة قد جعلت أمرى الى عثمان رضى الله عنهم ثم خلا هؤلاء الثلاثة عثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف فقال عبد الرحمن انى لا أريدها فأيكم يخرج نفسه ويتقلدها على ان يوليها أفضلكم وفى رواية فأيكما يبرأ من هذا الامر ونجعله اليه والله عليه والاسلام لينظر أفضلهم وليحرص على صلاح الامة فسكت الشيخان على وعثمان فقال عبد الرحمن اجعلوه الى والله على أنى لا آلوكم عن أفضلكم قالا نعم فخلا بعلى وقال لك القدم فى الاسلام والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد علمت الله عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عليك لتسمعن ولتطيعن

صفوان قلت فما كنتم ذكرتم ما قلت لك قال لا أذكره ثم لقيت عثمان بن طلحة الحجبي قلت هذا لى صديق فاردت ان أذكره له ثم ذكرت قتل أبيه طلحة وعمه عثمان واخوته الاربع مسافع والجلاس والحرث وكلاب فانهم قتلوا كلهم يوم أحد فكرهت ان أذكره له ثم قلت له انما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب فيه ذنوب من ماء لخرج ثم قلت له ماقلت لصفوان وعكرمة فأسرع الاجابة وواعدنى ان سبقنى أقام بمحل كذا وان سبقته اليه انتظرته فلم يطلع الفجر حتى التقينا فغدونا حتى انتهينا الى الهدة وهو اسم محل فوجدنا عمرو بن العاص بها فقال مرحبا بالقوم فقلنا وبك قال أين مسيركم قلنا الدخول فى الاسلام قال وذلك الذى قدمنى وفى لفظ قال عمرو لخالد يا أبا سليمان أين تريد قال والله لقد استقام الميسم أى تبين الطريق وظهر الامر وان هذا الرجل لنبى فاذهب فاسلم فحتى متى قال عمرو وأنا والله ماجئت الا لأسلم فاصطحبنا جميعا وحدث عمرو بن العاص رضى الله عنه عن سبب اسلامه كما رواه ابن اسحق وغيره قال عمرو لما انصرفنا عن الخندق جمعت رجالا من قريش كانوا يرون رأيى ويسمعون منى فقلت لهم تعلمون والله ان أمر محمد يعلو الامور علوا منكرا وقد رأيت أن نلحق بالنجاشى فان ظهر محمد فنكون تحت يده أحب الينا من يد محمد وان ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلا يأتينا منهم الا خير قالوا ان هذا الرأى قلت فاجمعوا ما يهدى له وكان أحب ما يهدى اليه من أرضنا الادم فجمعنا له أدما كثيرا ثم خرجنا حتى قدمنا عليه فوالله انا لعنده اذ جاءه عمرو بن أمية الضمرى رسوله صلى الله عليه وسلم فى شأن جعفر وأصحابه فدخل عليه ثم خرج فقلت لاصحابى هذا عمرو بن أمية لو دخلت على النجاشى فاعطانيه فضربت عنقه فرأت قريش انى أجزت عنها بقتل رسول محمد فدخلت فسجدت له كما كنت أصنع فقال مرحبا بصديقى أهديت لى من بلادك شيأ قلت له نعم أدما كثيرا وقربته اليه فاعجبه واشتهاه ثم قلت له انى رأيت رسول عدونا خرج من عندك فاعطنيه لاقتله فانه أصاب من أشرافنا وخيارنا فغضب ثم ضرب أنفى ضربة بيده ظننت انه كسره فلو انشقت بى الارض لدخلت فيها فرقا منه ثم قلت أيها الملك والله لو ظننت انك تكره هذا ما سألته قال تسألنى أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام لتقتله قلت أكذلك هو قال ويحك يا عمرو أطعنى واتبعه فانه والله لعلى الحق وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده قلت أفتبايعنى له على الاسلام قال نعم فبسط يده فبايعته على الاسلام ثم خرجت عامدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبل الفتح فصحبته حتى قدمنا المدينة وفى اسلام عمرو على يد النجاشى لطيفة هى ان صحابيا أسلم على يد تابعى ولا يعرف مثله فلما وصلوا المدينة أناخوا ركابهم بظاهر الحرة فاخبر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر بهم وقال لاصحابه رمتكم مكة بافلاذ كبدها قال خالد فلبست من صالح ثيابى ثم عمدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيت أخى فقال أسرع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فاسرعنا المشى فاطلعت عليه فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى وقفت عليه فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق فقلت انى أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله قال الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك الا الى خير قلت يا رسول الله ادع الله لى يغفر تلك المواطن التى كنت أشهدها عليك فقال صلى الله عليه وسلم الاسلام يجب ما كان قبله وتقدم عثمان وعمرو فاسلما وفى رواية عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قدمنا المدينة فانخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ثم نودى بالعصر فانطلقنا حتى اطلعنا عليه صلى الله عليه وسلم وان لوجهه تهللا والمسلمون حوله قد سروا باسلامنا فتقدم خالد بن الوليد فبايع ثم تقدم عثمان ابن طلحة فبايع ثم تقدمت فوالله ما هو الا أن جلست بين يديه صلى الله عليه وسلم وما استطعت أن أرفع طرفى حياء منه قال فبايعته على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ولم يحضرنى ما تأخر فقال ان الاسلام يجب ما كان قبله والهجرة تجب ما كان قبلها فوالله ما عدل بى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد فى أمر حربه منذ أسلمنا ولقد كنا عند أبى بكر بتلك المنزلة ولقد كنت عند عمر بتلك المنزلة وروى الزبير بن بكار انهم لما قدموا عليه صلى الله عليه وسلم قال عمرو وكنت أسن منهم فاردت أن أكيدهما فقدمتهما قبلى للبيعة فبايعا واشترطا

قال نعم ثم خلا بعثمان فقال له كذلك فلما أخذ ميثاقهما مكث ثلاث ليال يناجى الناس من المهاجرين والانصار وأمراء الاجناد ويشاورهم ويخلو بهم وكان أمراء الاجناد قدموا ووافوا تلك الحجة مع عمر رضى الله عنه فوجد أكثر الناس يميلون الى عثمان رضى الله عنه (وفى رواية) فلا يخلو به رجل ذو رأى فيعدل بعثمان أحدا واختلى بعثمان فى تلك الليالى وبعلى رضى الله عنهما كل على حدة فقال لعثمان ان لم أبايعك فمن تشير على قال على وقال لعلى ان لم أبايعك فمن تشير على قال عثمان ثم دعا الزبير فقال ان لم أبايعك فمن تشير قال على أو عثمان ثم دعا سعدا فقال من تشير على فاما أنا وأنت فلا نريدها فقال عثمان ثم استشار عبد الرحمن الاعيان وأمراء الاجناد فرأى هوى

أن يغفر لهما ما تقدم من ذنبهما فأضمرت في نفسي أن أبايع على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر فلما بايعت ذكرت ما تقدم من ذنبي وأنسيت أن أقول وما تأخر وروى الزبير بن بكار أن رجلا قال لعمرو بن العاص رضي الله عنه ما أبطأ بك عن الاسلام وأنت أنت في عقلك قال كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن توازى أحلامهم الجبال فاذ تابعهم فلما ذهبوا وصار الامر الينا نظرنا وتدبرنا فاذا الحق بين فوقع الاسلام في قلبي وكان عمرو رضي الله عنه أمير مصر في خلافة عمر رضي الله عنه وهو أحد دهاة العرب توفي سنة ثلاث وأربعين من الهجرة على الصحيح عن نحو تسعين سنة وروى الخطيب مرفوعا يقدم عليكم الليلة رجل حكيم فقدم عمرو مهاجرا وأما خالد بن الوليد رضي الله عنه فهو أحد الاشراف كانت اليه أعنة الخيل في الجاهلية وشهد مع قريش الحروب الى الحديبية وكان على خيل قريش طليعة كما تقدم ثم صار سيف الله ولم يزل صلى الله عليه وسلم يوليه أعنة الخيل روى أبو يعلى لا تؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار وفي زمانه يوم مؤتة ويوم قتال أهل الردة وفي بدء فتوح العراق وجميع فتوح الشام أكثر من أن تحصى اذ كان له فيها الغناء العظيم الحفيل والبلاء الحسن الجميل وروى أبو زرعة الدمشقي مرفوعا نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سله الله على الكفار وروى سعيد بن منصور عن خالد رضي الله عنه قال اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعلها عمرة الجعرانة فحلق رأسه فابتدر الناس شعره فسبقتهم الى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهي معي الا تبين لي النصر ورواه أبو يعلى بلفظ فما وجهت في وجه الا فتح والاكثر على انه مات بحمص سنة احدى وعشرين وعمره بضع وأربعون سنة وقيل توفي بالمدينة النبوية روى ابن المبارك عن خالد رضي الله عنه انه قال لما حضرته الوفاة لقد طلبت القتل في مظانه فلم يقدر لي الا أن أموت على فراشي وأما عثمان بن طلحة بن أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي العبدري فهو حاجب البيت وصاحب المفتاح في الجاهلية والاسلام ووقع في تفسير الثعلبي بلا سند انه أسلم يوم الفتح بعد أن دفع له المفتاح قال الحافظ ابن حجر في الاصابة وهو منكر والمعروف انه أسلم وهاجر مع عمرو وخالد وبه جزم غير واحد ثم سكن المدينة وبها مات سنة ثنتين وأربعين وقيل استشهد باجنادين قال العسكري وهو باطل والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية غالب بن عبد الله الليثي رضي الله عنه أيضا)

لما رجع رضي الله عنه من سرية الكديد مؤيدا منصورا بعثه صلى الله عليه وسلم الى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد بفدك في صفر سنة ثمان روى ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم هيأ الزبير بن العوام رضي الله عنه وقال له سر حتى تنتهي الى مصاب أصحاب بشير فان أظفرك الله بهم فلا تبق فيهم وهيأ معه مائتي رجل وعقد له لواء فقدم غالب بن عبد الله من سرية الكديد وقد أظفره الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم للزبير اجلس وبعث غالبا ومعه مائتا رجل فأغاروا عليهم مع الصبح وذلك انه لما دنا منهم بعث الطلائع ومعهم علبة بن الحرث الى محالهم فأشرف على جماعة منهم ثم رجع وأخبره الخبر وروى ابن سعد عن حويصة رضي الله عنه قال بعثني صلى الله عليه وسلم في سرية مع غالب الى بني مرة فأغرنا عليهم مع الصبح وقد أخذ علينا أميرنا أن لا نفترق وآخى بيننا وقال لا تعصوني فانه صلى الله عليه وسلم قال من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني وانكم متى ما تعصوني فانكم تعصون نبيكم فآخى بيني وبين أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فأصبنا القوم وروي انه لما دنا من القوم حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وان تطيعوني ولا تعصوني ولا تخالفوا لي أمرا فانه لا رأي لمن لا يطاع ثم ألف بين كل اثنين وقال لهم لا يفارق أحد منكم زميله واذا كبرت فكبروا فلما أحاط بالقوم كبر غالب فكبروا معه وجردوا السيوف فخرج الرجال فقاتلوا ساعة ووضع المسلمون فيهم السيف وكان شعارهم أمت أمت وقتلوا منهم قتلى وأصابوا منهم نعما وشاء وذرية فساقوها وكانت سهامهم عشرة أبعرة لكل رجل أو عدلها من الغنم لكل بعير عشرة والله أعلم

أكثرهم في عثمان ثم بعد مضي الثلاث أمر الناس بالاجتماع في المسجد فلما اجتمعوا قال لعلي رضي الله عنه أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة أبي بكر رضي الله عنهما فقال فيما استطعت ثم عرض ذلك على عثمان فقال نعم فبايعه * ولما جلس عبد الرحمن للمبايعة حمد الله وأثنى عليه وقال في كلامه اني رأيت الناس يأبون الا عثمان وفي رواية اني نظرت في الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان ثم أخذ بيد عثمان فقال نبايعك على سنة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسنة الخليفتين من بعده فبايعه عبد الرحمن ابن عوف ثم علي وبقية أصحاب الشورى ثم المهاجرون والانصار رضي الله عنهم أجمعين (وقيل) ان طلحة كان غائبا فقدم في اليوم الذي بويع فيه لعثمان فقيل له بايعوا

(ثم سرية شجاع بن وهب الاسدى رضى الله عنه)

الى جمع من هوازن يقال لهم بنو عامر بالسى بكسر السين المهملة ثم همزة ممدودة وهو ماء من ذات عرق على ثلاثة مراحل من مكة فى شهر ربيع الاول سنة ثمان ومعه أربعة وعشرون رجلا وأمره أن يغير عليهم فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى صبحهم فأصابوا نعما كثيرا وشاء واستاقوا ذلك حتى قدموا المدينة وكانت غيبتهم خمس عشرة ليلة واقتسموا الغنيمة وكانت سهامهم خمسة عشر بعيرا وعدلوا البعير بعشر من الغنم والله أعلم

(ثم سرية كعب بن عمير)

الغفارى رضى الله عنه الى ذات أطلاح من أرض الشام وراء ذات القرى فى ربيع الاول سنة ثمان فى خمسة عشر رجلا فساروا حتى انتهوا الى ذات أطلاح فوجدوا جمعا كثيرا وكان يكمن النهار ويسير بالليل حتى دنا من القوم فرآه عين لهم فأخبر بقلة الصحابة فجاؤا على الخيل فدعاهم المسلمون الى الاسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبل فقاتلهم الصحابة أشد القتال حتى قتلوا ونجا منهم رجل جريح فى القتلى قال ابن سعد هو الامير فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر فشق عليه ذلك وهم بالبعث اليهم فبلغه أنهم ساروا الى موضع آخر فتركهم والله أعلم

(ثم سرية مؤتة)

وسماها البخارى وابن اسحق غزوة مؤتة لكثرة جيش المسلمين فيها وان لم يخرج فيها النبى صلى الله عليه وسلم وهى بضم الميم وسكون الواو والهمز بدلها آخرها هاء وهى من عمل البلقاء وهى مدينة معروفة بالشام على مرحلتين من بيت المقدس وكانت فى جمادى الاولى سنة ثمان وسببها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أرسل الحرث بن عمير الازدى بكتاب الى أمير بصرى من جهة هرقل وهو الحرث بن أبى شمر الغسانى فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فقال له أين تريد فقال الشام فقال لعلك من رسل محمد قال نعم فأمر به فاوثق رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ولم يقتل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رسول غيره فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مولاه زيد بن حارثة رضى الله عنه على ثلاثة آلاف وندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقال ان قتل زيد فالامير جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فان قتل فعبد الله بن رواحة فان قتل فليرتض المسلمون رجلا من بينهم يجعلونه عليهم أميرا وكان ممن حضر يهودى اسمه النعمان فقال يا محمد ان كنت سميت من سميت أصيبوا جميعا لان أنبياء بنى اسرائيل كانوا اذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا ان أصيب فلان فلو سموا مائة أصيبوا جميعا ثم جعل يقول لزيد اعهد أى أوص فانك لا ترجع الى محمد ان كان نبيا قال زيد أشهد انه رسول صادق بار وعقد لهم صلى الله عليه وسلم لواء أبيض ودفعه الى زيد وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحرث بن عمير وان يدعوا من هنالك الى الاسلام فان أجابوا والا فاستعينوا عليهم بالله وقاتلوهم فاسرع الناس بالخروج وعسكروا بالجرف وهو موضع على ثلاثة أميال من المدينة لجهة الشام وخرج صلى الله عليه وسلم مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع فوقف وودعهم وقال أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا اغزوا باسم الله فى سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ولا كبيرا فانيا ولا منعزلا بصومعة ولا تقربوا نخلا ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء ولما ودع ابن رواحة بكى رضى الله عنه فقالوا ما يبكيك فقال أما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود فلما ساروا نادى المسلمون دفع الله عنكم وردكم صالحين غانمين فقال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه

لكننى أسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا * أو طعنة بيدى حران مجهزة

بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا * حتى يقال اذا مروا على جدثى * يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وفى رواية ان عبد الله بن رواحة لما أراد وداع النبى صلى الله عليه وسلم وفراقه قال له النبى صلى الله عليه وسلم قل شعرا تقتضيه اقتضابا أى من غير روية فقال

لعثمان فقال كل قرشى راض به قالوا نعم فاتى عثمان فقال له عثمان أنت على رأس أمرك وان أبيت رددتها قال أتردها قال نعم قال أكل الناس بايعوك قال نعم قال قد رضيت لا أرغب عما أجمعوا عليه وبايعه (وأخرج) ابن سعد والحاكم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال لما بويع عثمان أمرنا خير من بقى ولم نأل أى نقصر * فثبت بذلك جميعه صحة بيعة عثمان رضى الله عنه واجماع الصحابة عليها وانه لا مرية فى ذلك ولا نزاع فيه وأن عليا رضى الله عنه من جملة من بايعه وقد مر ثناؤه عليه وقوله انه غزا معه وأقام الحدين بين يديه بسوطه وقدم أيضا أحاديث كثيرة دالة على خلافته وانها بعد خلافة عمر فلا يحتاج الى اعادة ذلك هنا فهى فرع من خلافة عمر التى هى فرع خلافة

انى تفرست فيك الخير نافلة * فراسة خالفت فيك الذى نظروا
أنت الرسول فمن يحرم نوافله * والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن * تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

فقال له صلى الله عليه وسلم وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة وروى الامام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ابن رواحة تخلف حتى صلى الجمعة مع النبى صلى الله عليه وسلم فلما صلى رآه قال ما منعك أن تغدو مع أصحابك قال أردت أن أصلى معك الجمعة ثم ألحقهم فقال صلى الله عليه وسلم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما أدركت غدوتهم وفى رواية لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها فلما فصلوا من المدينة سمع العدو بسيرهم وقام شرحبيل بن عمرو الغسانى فجمع أكثر من مائة ألف وقدم الطلائع أمامه فلما نزل المسلمون وادى القرى بعث أخاه سدوس بن عمرو فى خمسين من الكفار فاقتتلوا مع المسلمين وقتل سدوس وانكشف أصحابه ونزل المسلمون معان وبلغهم كثرة العدو فأقاموا على معان ليلتين ومعان بفتح الميم موضع أو جبل من أرض الشام وبلغ المسلمين أن هرقل نزل بأرض البلقاء فى مائة ألف من مشركى الروم مع ما انضم اليهم من لخم وجذام وقيس وبهراء يبلغون مائة ألف وهم الذين جمعهم شرحبيل وجاء فى رواية أن القوم كانوا مائتى ألف من الروم وخمسين ألفا من العرب ومعهم خيول كثيرة فقال المسلمون نكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمر فنمضى له فشجعهم عبد الله بن رواحة رضى الله عنه على المضى وقال ياقوم والله ان التى تكرهون للتى خرجتم اياها تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى احدى الحسنيين اما ظهور واما شهادة فقال الناس قد والله صدق ابن رواحة رضى الله عنه فمضوا الى مؤتة ووافاهم المشركون فجاءهم من لا قبل لاحد به من العدد الكثير الزائد على مائتى ألف والسلاح والكراع أى الخيل والديباج والحرير والذهب اظهارا للقوة والشدة بكثرة أموالهم وآلات حروبهم وفى هذا دليل على فرط شجاعة الصحابة رضى الله عنهم وقوة قلوبهم وتوكلهم على ربهم وعدم مبالاتهم بأنفسهم لانهم باعوها لله تعالى اذ أقدم ثلاثة آلاف على أكثر من مائتى ألف أصحاب حروب وشدة وهذا انما هو لما وقر فى قلوبهم واطمأنت عليه نفوسهم من الثقة بقول الله تعالى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقوله وان جندنا لهم الغالبون وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين والتقى المسلمون والمشركون فقاتل الامراء الثلاثة يومئذ على أرجلهم فأخذ اللواء زيد بن حارثة رضى الله عنه فقاتل وقاتل المسلمون معه على صفوفهم حتى قتل طعنا بالرماح رضى الله عنه ثم أخذ اللواء جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فقاتل به وهو على فرسه فالجمه القتال وأحاط به فنزل عن فرس له شقراء فعقرها وقاتل حتى قتل وعمره ثلاث وثلاثون سنة وكان أسن من على رضى الله عنه بعشر سنين وقيل كان عمره أربعين وقيل احدى وأربعين وكان رضى الله عنه حين اشتد القتال وأحاط به العدو يقاتل ويقول

ياحبذا الجنة واقترابها * طيبة وبارد شرابها * والروم روم قد دنا عذابها
كافرة بعيدة أنسابها * على اذ لاقيتها ضرابها

وانما عقر فرسه خوفا أن يأخذه الكفار فيقاتلوا عليه المسلمين ولان يقاتل ولا يفر فطيه دليل على فرط شجاعته رضى الله عنه ولما أخذ اللواء قاتل قتالا شديدا فقطعت يمينه فأخذه بيساره فقطعت يساره فاحتضنه وقاتل حتى قتل رضى الله عنه ووجد فيه بضع وسبعون وفى رواية وتسعون جرحا ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ليس فيها شئ فى دبره ولا ظهره أى ليس منها شئ فى حال الادبار بل كلها فى حال الاقبال لمزيد شجاعته ثم أخذ اللواء عبد الله بن رواحة رضى الله عنه ثم تقدم به وهو على فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ثم قال

أقسمت يانفس لتنزلنه * طائعة أولتكرهنه * ان أجلب الناس وشدوا الرنه
مالى أراك تكرهين الجنه * قد طالما قد كنت مطمئنه * هل أنت الا نطفة فى شنه

وقال أيضا

يانفس ان لا تقتلى تموتى * هذا حمام الموت قد صليت

أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وقد قام الاجماع وأدلة الكتاب والسنة على حقية خلافة أبى بكر رضى الله عنه ولزم من ذلك حقية خلافة عمر ثم عثمان ثم على رضى الله عنهم أجمعين (وأخرج) البغوى عن جابر ابن مضرب قال حججت مع عمر رضى الله عنه فسمعت حاديا يحدو ان الامير بعده عثمان وحججت مع عثمان رضى الله عنه فسمعت حاديا يحدو ان الامير بعده على وهذا خبر عن كشف واطلاع لا عن عهد (واعلم) ان من ثبت عنه من الصحابة رضى الله عنهم انه رغب فى الخلافة فانما أرادها لاقامة الحق وتحصيل الثواب واللحوق بالنبى صلى الله عليه وسلم لا لطلب رياسة ولتلذذ بالدنيا فعليك بحسن الظن بهم واياك وسوء الظن بهم فان ذلك من الذنوب التى لا تغفر فانهم هم الزهاد فى الدنيا

وما تعيت فقد أعطيت * ان تفعلي فعلهما هديت

يريد صاحبيه زيدا وجعفرا رضي الله عنهما ثم نزل عن فرسه فأتاه ابن عمه بعرق من لحم فقال شدبه ذا صلبك فانك قد لقيت أيامك هذه مالقيت فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ثم سمع الحطمة في الناس فقال وأنت في الدنيا ثم ألقاه من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل روى سعيد بن منصور انهم دفنوا يومئذ في قبر واحد زيدا وجعفرا وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم وفي الصحيح ومايسرهم انهم عندنا أي لما رأوا من فضل الشهادة ثم أخذ اللواء ثابت بن أقرم العجلاني البلوي حليف الانصار وكان من أهل بدر رضي الله عنه فقال يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا أنت قال ما أنا بفاعل فاصطلحوا على خالد بن الوليد رضي الله عنه وفي رواية أن ثابتا مشى باللواء الى خالد وقال انت أعلم بالقتال مني فلم يقبل خالد اللواء وقال أنت أحق به مني لانك ممن شهد بدرا فنادى ثابت يامعشر المسلمين فاجتمع الناس على خالد بن الوليد رضي الله عنه وسلموه اللواء فأخذه وفي الصحيح حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليهم وانكشف الناس فكانت الهزيمة قال الحاكم فأتاهم خالد بن الوليد فقتلا شديدا فقتل منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة عظيمة وانقطع في يد خالد يومئذ تسعة أسياف حتى ما بقي في يده الا صفيحة يمانية وانهزم المشركون أسوأ هزيمة ماروى مثلها قط حتى وضع المسلمون أسيافهم حيث شاؤا وجاء في رواية انه لما قتل عبد الله بن رواحة تفرق المسلمون وانهزموا حتى لم يرا ثنان جميعا ثم لما اجتمعوا على خالد هزم الله المشركين وفي رواية انه لما أصبح خالد بن الوليد جعل مقدمته ساقة وميمنته ميسرة فأنكر العدو حالهم وقالوا جاءهم مدد فرعبوا وانكشفوا منهزمين وغنم المسلمون أكبر ما كان معهم وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر رجلا وهذا من عناية الله بالاسلام وأهله ومزيد اعزازه ونصره لهم اذ جيش عدته ثلاثة آلاف يلقون أكثر من مائتي ألف فلا يقتل منهم الا اثناعشر رجلا مع انهم اقتتلوا مع المشركين سبعة أيام وأما قتلى المشركين فلا يحصون فكانت هذه السرية من أعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم الباهرة التي أكرم الله بها أصحابه رضي الله عنهم ورفعت الارض يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظر الى معترك القوم فاخبر أصحابه وذلك أنه لما اطلع على ذلك نادى في الناس الصلاة جامعة ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان وقال يا أيها الناس باب خير باب خير باب خير ثلاثا أخبركم عن جيشكم هذا الغازي انهم انطلقوا والقوا العدو فقتل زيد شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وأثبت قدميه حتى قتل شهيدا فاستغفروا له ثم أخذ اللواء خالد ابن الوليد ولم يكن من الامراء وهو أمير نفسه ولكنه سيف من سيوف الله فآب بنصره وفي رواية ثم أخذ الراية خالد بن الوليد نعم عبد الله وأخو العشيرة وسيف من سيوف الله سله الله على الكفار والمنافقين من غير امرة حتى فتح الله عليهم وفي رواية قال اللهم انه سيف من سيوفك فانصره فمن يومئذ سمي خالد سيف الله وفي لفظ ثم أخذ اللواء سيف من سيوف الله تبارك وتعالى ففتح الله على يديه وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال اشتكى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياخالد لم تؤذي رجلا من أهل بدر لو أنفقت مثل أحد ذهبا لم تدرك عمله فقال يارسول الله انهم يقعون في فارد عليهم فقال لاتؤذوا خالدا فانه سيف من سيوف الله صبه الله على الكفار قال بعضهم كون ماوقع يوم مؤتة فتحا ونصرا واضح لاحاطة العدو بهم وتكاثرهم عليهم لانهم كانوا أكثر من مائتي ألف والصحابة رضي الله عنهم ثلاثة آلاف وكان مقتضى العادة انهم يقتلون بالكلية وجاء في رواية أصاب خالد منهم مقتلة عظيمة وأصاب غنيمة وهذا الاختلاف ماجاء أن طائفة من الصحابة فروا الى المدينة لما عاينوا كثرة جموع الروم فصار أهل المدينة يقولون لهم أنتم الفرارون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بل هم الكرارون وفي لفظ العكارون أي الكرارون وجاء في رواية أنا فئتكم يشير الى قوله تعالى الامتحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة يعني ان فرارهم كان من الانحياز الى فئة وأيضا زاد العدو على ضعفهم بل زاد على عشرة أضعافهم والحاصل أن المسلمين لما قتل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه انهزموا وتفرقوا وذهب جماعة منهم الى المدينة ثم اجتمع الناس لما انحاز

الراغبون في الآخرة العارفون بالله التابعون لرسوله صلى الله عليه وسلم وجميع الناس تبع لهم في ذلك والله أعلم (وكان) عثمان رضي الله عنه يحيي الليل كله يختم القرآن في تهجده وكثيرا ما كان يختم القرآن في ركعة واحدة وفي الصفوة كان عثمان رضي الله عنه يصوم الدهر ويقوم الليل الا هجعة (وأخرج) الدارمي ان عثمان رضي الله عنه كان يعتق في كل جمعة رقبة منذ أسلم الا ان لا يجد تلك الجمعة فيجمعها في الجمعة الاخرى قال العلامة ابن حجر في الصواعق فجملة ما أعتقه عثمان رضي الله عنه ألفان وأربعمائة رقبة تقريبا وكان رضي الله عنه كثير المال كثير الصدقة (أخرج) الملا في سيرته عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قحط الناس في زمان أبي بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر رضي الله عنه

خالد بن الوليد رضي الله عنه ورتب الناس وقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا على ذلك وأثنى عليه ولما قدم يعلى بن أمية رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم بخبر الجيش قال له النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت فاخبرني وان شئت أخبرتك قال فاخبرني يا رسول الله لازداد يقينا فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر كله ووصف له ما كان فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وان أمرهم لكما ذكرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معتركهم وحين رأى ذلك قال حمي الوطيس أي حميت الحرب واشتدت وقيل ان الذي جاء بخبرهم أبو عامر الاشعري رضي الله عنه ولا مانع من أن كلا منهما جاء بالخبر وعن أسماء بنت عميس رضي الله عنها زوج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أصيب جعفر وأصحابه فقال ائتيني ببني جعفر فاتيته بهم فشمهم وذرفت عيناه وفي رواية وبكى حتى تقطرت لحيته الشريفة فقلت يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما يبكيك أبلغك عن جعفر وأصحابه شئ قال نعم أصيبوا هذا اليوم قالت فقمت أصيح واجتمع علي النساء وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لي يا أسماء لا تقولي هجرا ولا تضربي خدا وقال اللهم قدمه يعني جعفرا الى أحسن الثواب واخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت احدا من عبادك في ذريته وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله فقال لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعاما فانهم قد شغلوا بأمر صاحبهم وفي لفظ انه دخل على فاطمة رضي الله عنها وهي تقول واعماه فقال على مثل جعفر فلتبك البواكي ثم قال صلى الله عليه وسلم اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم وفي رواية قد شغلهم ما هم فيه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن سلمى مولاة النبي صلى الله عليه وسلم عمدت الى شعير فطحنته ونسفته ثم نجحته وأدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا قال عبد الله فاكلت من ذلك الطعام وحبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اخوتي ثلاثة أيام ندور معه صلى الله عليه وسلم كلما صار في بيت احدى نسائه ثم رجعنا الى بيتنا وهذا الطعام الذي جعل لآل جعفر رضي الله عنه هو أصل طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة كما تسمي طعام العرس الوليمة وطعام القادم من السفر النقيعة وطعام البناء الوكيرة وروى الامام أحمد بسند صحيح ثم أمهل صلى الله عليه وسلم آل جعفر ثلاثا ثم أتاهم فقال لهم لا تبكوا على أخي بعد اليوم ثم قال ائتوني ببني أخي فجئ بنا كأنا أفراخ فدعا الحلاق فحلق رؤسنا ثم قال أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي ثم دعا لهم قال عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما دعا لي وقال اللهم بارك له في صفقة يمينه فما بعت شيأ ولا اشتريته الا بورك لي فيه وجاء انه صلى الله عليه وسلم قال مثل لي زيد بن حارثة وجعفر وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم في خيمة من در كل واحد منهم على سرير فرأيت زيدا وابن رواحة في أعناقهما صدودا أي اعراضا ورأيت جعفرا ليس في عنقه صدود فسألت فقيل انهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما وأما جعفر فانه لم يفعل * وعن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما قتل زيد أخذ الراية جعفر فجاءه الشيطان فحبب اليه الحياة وكره اليه الموت ومناه الدنيا ثم مضى حتى استشهد وفي رواية رأيتهم فيما يرى النائم وقد رفعوا الى الجنة على سرر من ذهب فرأيت في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا من سريري صاحبيه فقلت مم هذا فقيل لي مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى أي فانه كما تقدم صار يستنزل نفسه و يتردد بعض التردد في النزول وفي لفظ دخل عبد الله بن رواحة الجنة معترضا فقيل يا رسول الله ما اعتراضه قال لما أصابته الجراحة نكل فعاتب نفسه فتشجع فاستشهد وقال صلى الله عليه وسلم ان الله أبدل جعفرا بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أتيته وهو مستلق آخر النهار فعرضت عليه الماء فقال اني صائم فضعه في ترسي عند رأسي فان عشت حتى تغرب الشمس أفطرت قال فمات صائما قبل الغروب ووجدنا فيما بين صدره ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح وكان النبي صلى الله عليه وسلم يوما جالسا مع أصحابه فرفع رأسه الى السماء وقال وعليكم السلام ورحمة الله فقال الناس يا رسول الله ما كنت تصنع هذا فقال مر بي جعفر بن أبي طالب في ملأ من الملائكة فسلم علي وفي رواية مر بي وهو مخضب الجناحين بالدم * ولما دنا الجيش من المدينة تلقاهم

يوما لا تمسون حتى يفرج الله عليكم فلما كان من الغد جاء البشير اليه قال قدمت لعثمان ألف راحلة برا وطعاما قال فغدا التجار على عثمان فقرعوا عليه الباب فخرج اليهم وعليه ملاءة قد خالف بين طرفيها على عاتقيه فقال لهم ما تريدون قالوا قد بلغنا انه قدم لك ألف راحلة برا وطعاما بعنا حتى نوسع على فقراء المدينة فقال لهم عثمان ادخلوا فدخلوا فاذا ألف وقر قد صب في دار عثمان فقال لهم كم تربحوني على شرائي من الشام فقالوا العشرة اثنا عشر فقال زادوني قالوا العشرة أربعة عشرة قال قد زادوني قالوا العشرة خمسة عشر قال زادوني قالوا من زادك ونحن تجار المدينة قال زادوني بكل درهم عشرة عندكم زيادة قالوا لا قال فاشهدكم معشر التجار انها صدقة على الفقراء قال عبد الله بن عباس رضي الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وتلقيهم الصبيان فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذوا الصبيان فاحملوهم وأعطوني ابن جعفر فأتي به فأخذه فحمله بين يديه وكان عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما ولد بالحبشة وأمه أسماء بنت عميس رضي الله عنها وتزوجها أبو بكر رضي الله عنه بعد جعفر بن أبي طالب فولدت له محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما ثم تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد أبي بكر رضي الله عنه وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيأ لك أبوك يطير مع الملائكة في السماء وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة البارحة فرأيت فيها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يطير مع الملائكة وفي رواية يطير مع جبريل وميكائيل له جناحان عوضه الله من يديه وروى جناحان من ياقوت قال السهيلي ان الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية أعطيها جعفر يقتدر بها على الطيران لا أنهما جناحان كجناحي الطائر كما قد يسبق للوهم لان الصورة الآدمية أشرف الصور ولا يضر ذلك وصفهما بأنهما من ياقوت ولا كونهما مضمخين بالدم ورجح بعضهم حمل الكلام على حقيقته وقال انهما جناحان حقيقيان وأطال في ذلك والله اعلم وقد قال حسان بن ثابت رضي الله عنه قصيدة يرثي بها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وبعض من معه فقال

تأوبني ليل بيثرب أعسر * وهم اذا ما نوم الناس مسهر

لذكرى حبيب هيجت لي لوعة * سفوحا وأسباب البكاء التذكر

بلى ان فقدا الحبيب بلية * وكم من كريم يبتلى ثم يصبر

رأيت خيار المسلمين تواردوا * شعوبا وخلفا بعدهم يتأخر

فلا يبعدن الله قتلى تتابعوا * جميعا وأسباب المنية تخطر

غداة غدوا بالمؤمنين يقودهم * الى الموت ميمون النقيبة أزهر

أغر كضوء البدر من آل هاشم * أبي اذا سيم الظلامة مجسر

فطاعن حتى مال غير موسد * بمعترك فيه قنا متكسر

فصار مع المستشهدين ثوابه * جنان وملتف الحدائق أخضر

وكنا نرى في جعفر من محمد * وفاء وأمرا حازما حين يأمر

ولازال في الاسلام من آل هاشم * دعائم عز لا يزلن ومفخر

فهم جبل الاسلام والناس حولهم * رضام الى طود يروق ويقهر

بهاليل منهم جعفر وابن أمه * علي ومنهم أحمد المتخير

وحمزة والعباس منهم ومنهم * عقيل وماء العود من حيث يعصر

بهم تفرج اللأواء في كل مأزق * عماس اذا ما ضاق بالناس مصدر

هم أولياء الله أنزل حكمه * عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

(سرية عمرو بن العاص رضي الله عنه)

الى بلاد بلي وعذرة وهي وراء وادي ذات القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام وبلي قبيلة كبيرة ينسبون الى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وكذا عذرة ينسبون الى عذرة بن سعد بن قضاعة وتسمى سرية ذات السلاسل سميت بذلك لان المشركين ارتبط بعضهم الى بعض مخافة أن يفروا والمراد انهم تجمعوا وانضم بعضهم الى بعض في أول الامر فلا ينافي انهم لما قرب المسلمون منهم ألقى الله في قلوبهم الرعب ففروا وقيل سميت بذلك لان بها ماء يقال له السلسل وكانت في جمادى الآخرة سنة ثمان وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعا من قضاعة تجمعوا للاغارة وأرادوا أن يدنوا من أطراف المدينة فبعث صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص رضي الله عنه في ثلثمائة من سراة المهاجرين والانصار ومعهم ثلاثون فرسا وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم يأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي فقال يا عمرو اني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك قلت اني لم أسلم رغبة في المال قال نعم المال الصالح للمرء الصالح فعقد له لواء أبيض وجعل معه راية سوداء فسار هو ومن معه وكان يكمن النهار ويسير الليل فلما قرب منهم بلغه ان لهم جمعا كثيرا فبعث رافع بن مكيث الجهني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء وبعث معه مائتين من سراة المهاجرين والانصار فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأمره أن يلحق بعمرو وأن يكونا جميعا ولا يختلفا فاراد أبو عبيدة أن يؤم الناس فقال عمرو انما قدمت على مددا أي

عنهما فبت ليالي فاذا أنا برسول الله صلى الله عليه وسلم في منامي وهو على برذون أشهب يستعجل وعليه حلة من نور وبيده قضيب من نور وعليه نعلان شراكهما من نور فقلت له بابي أنت وأمي يارسول الله لقد طال شوقي اليك فقال صلى الله عليه وسلم اني مبادر لان عثمان تصدق بألف راحلة وان الله قد قبلها منه وزوجه بها في الجنة وأنا ذاهب الى عرس عثمان ورويت هذه الرؤيا أيضا عن ابن عباس من طريق آخر انها كانت بعد وفاة عثمان رضي الله عنه قال المحب الطبري فيحتمل ان ذلك الاختلاف من الرواة أوانها تكررت (وكان) عثمان رضي الله عنه شديد الزهد في الدنيا (أخرج) صاحب الصفوة عن شرحبيل بن مسلم قال كان عثمان رضي الله عنه يطعم الناس طعام الامارة ويأكل كل

معنا ومعو يا وأنا الامير أى ولا امارة لك حتى تؤم الناس فقال أبو عبيدة لا ولكن أنا على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه وكان أبو عبيدة رجلا سهلا هينا عليه أمر الدنيا فقال يا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى لا تختلفا وانك ان عصيتنى أطعتك فأطاع له أبو عبيدة فكان عمرو يصلى بالناس وسار حتى وصل الى العدو بلى وعذرة فحمل عليهم المسلمون فهربوا فى البلاد وتفرقوا بعد أن اقتتلوا ساعة فهزمهم المسلمون فأقام هنالك ثلاثة أيام وكان يبعث الخيل فيأتون بالشاء والنعم فينحرون ويأكلون ولم يكن فى ذلك غنائم تقسم وقال البلاذرى ولقى العدو من قضاعة وغيرهم وكانوا مجتمعين ففضهم أى فرقهم وقتل منهم مقتلة عظيمة وغنم وهذا يعضده قوله صلى الله عليه وسلم فيغنمك الله ويسلمك كما مر وروى ابن راهويه والحاكم عن بريدة ان عمرو بن العاص رضى الله عنه أمرهم فى تلك الغزوة أن لا يوقدوا نارا فأنكر ذلك عمر رضى الله عنه فقال له أبو بكر رضى الله عنه دعه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبعثه علينا الا لعلمه بالحرب فسكت عنه وروى ابن حبان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أنهم سألوه أن يوقدوا نارا فمنعهم فكلموا أبا بكر رضى الله عنه فكلمه فى ذلك فقال لا يوقد أحد نارا الا قذفته فيها قال فلقوا العدو فهزموهم فأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم فلما انصرفوا ذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فسأله فقال كرهت أن آذن لهم أن يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد فحمد أمره وروى الشيخان عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قدمت عن جيش ذات السلاسل فحدثت نفسى أنه لم يبعثنى على قوم فيهم أبو بكر وعمر الا لمنزلة لى عنده فأتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يا رسول الله أى الناس أحب اليك قال عائشة قلت انى لست أعنى النساء انما أعنى الرجال قال أبوها قلت ثم من قال ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا فسكت مخافة أن يجعلنى فى آخرهم وقلت فى نفسى لا أعود أسأله عن هذا وفى الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل اذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية وفضل أبى بكر على الرجال وابنته على النساء ومنقبة لعمرو بن العاص رضى الله عنه لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وان لم يقتض ذلك أفضليته عليهم لكن يقتضى أن له فضلا فى الجملة وقد قال رافع الطائى وهذه الغزوة هى التى يفتخر بها أهل الشام أى ويحتجون بها على فضل عمرو بن العاص رضى الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية الخبط)

وهى سرية أبى عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشى الفهرى أحد العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنه وعنهم وسماها البخارى غزوة سيف البحر بكسر السين أى ساحل البحر واشتهرت بسرية الخبط بعث صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة ومعه ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وكان فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى أرض جهينة ليلقى عير القريش ولمحاربة حى من جهينة وكانت فى رجب سنة ثمان بعد نكث قريش العهد وقبل فتح مكة وزودهم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابا من التمر لم يجدوا غيره وقيل كان معهم غيره فلما فنى ما معهم أكلوا الخبط وهو بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة ورق السلم قال جابر رضى الله عنه كنا نضرب بعصينا الخبط ونبله بالماء فنأكله وفى رواية كان الرجل منا يأكل تمرة تمرة فقالوا لجابر كيف كنتم تصنعون قال نمصها كما يمص الصبى الثدى ثم نشرب عليها الماء فيكفينا يومنا الى الليل ثم أكلوا الخبط بعد فناء التمر وابتاع لهم قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما جزرا ونحرها لهم وفى رواية انهم أصابهم جوع شديد فقال قيس من يشترى منى تمرا بالمدينة بجزر تجز رهنا فقال له رجل من جهينة من أنت فانتسب فعرفه الجهنى فقال عرفت نسبك فابتاع منه خمس جزائر بخمسة أوسق وأشهد له نفرا من الصحابة وامتنع عمر رضى الله عنه لكون قيس لا مال له فقال الاعرابى ما كان سعد ليقصر بابنه وأرى وجها حسنا وفعلا شريفا فأخذ قيس الجزر فنحر لهم ثلاثة كل يوم جزورا فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره فقال عزمت عليك أن لا تنحر أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك فقال قيس يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت يقضى ديون الناس ويحمل الكل ويطعم فى المجاعة ولا يقضى عنى تمر القوم مجاهدين فى سبيل الله فكاد أبو عبيدة يلين

الخل والزيت وعن عبد الله ابن شداد قال رأيت عثمان رضى الله عنه يوم الجمعة يخطب وهو يومئذ أمير المؤمنين وعليه ثوب قيمته أربعة دراهم (وسئل) الحسن البصرى ما كان رداء عثمان قال قطرى قالوا كم ثمنه قال ثمانية دراهم وكان رضى الله عنه كثير الخوف من الله تعالى فكان اذا رأى القبر بكى حتى تبتل لحيته ويقول انه أول منزل من منازل الآخرة وعن أبى الفرات قال كان لعثمان رضى الله عنه عبد فقال له انى كنت عركت اذنك فاقتص منى فأخذ باذنه ثم قال اشدد يا حبذا قصاص فى الدنيا لا قصاص فى الآخرة وقال رضى الله عنه لو انى بين الجنة والنار لا أدرى الى أيهما يؤمر بى لاخترت ان أكون رمادا قبل ان اعلم الى أيهما اصير (وكان) رضى الله عنه شديد الورع قال حماد بن

وحمل عمر يقول اعزم فعزم عليه فبعث جزورا فقدم بهما قيس المدينة ظهرا يتعاقبون عليهما وبلغ سعدا مجاعة القوم فقال ان يكن قيس كما أعرف فسينحر لهم فلما لقيه قال ما صنعت في مجاعة قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال نحرت قال أصبت ثم ماذا قال أصبت ثم ماذا قال نهيت قال ومن نهاك قال أبو عبيدة أميري قال ولم قال زعم انه لا مال لي وانما المال لابيك فقال لك أربع حوائط أدناها تجد منه خمسين وسقا وقدم الجهني مع قيس فأوفاه أوسقه وحمله وكساه فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فعل قيس فقال ان الجود من شيمة أهل ذلك البيت وقيل ان قيسا نحر قبل الثلاث سنا نما كان معه من الظهر ثم ثلاثا من التي اشتراها من الجهني وكان قيس من دهاة العرب أهل الرأي والمكيدة في الحرب مع النجدة والبسالة والشجاعة ومن وقف على ما وقع بينه وبين معاوية رضي الله عنهما حين ولاه سيدنا علي رضي الله عنه مصر بعد قتل سيدنا عثمان رضي الله عنه لرأى العجب العجاب من وفور عقله ومع ذلك كان له من الكرم ما لا مزيد عليه ووقفت له عجوز مرة وقالت أشكو اليك قلة الجرذان ببيتي والجرذان نوع من الفيران فقال ما أحسن هذا السؤال وقال لها لا كثرن جرذان بيتك فلأ بيتها طعاما وقيل قالت له مشت جرذان بيتي على العصا فقال لها لادعهن يثبن وثوب الاسود ثم ملأ لها بيتها طعاما ولا مانع من تعدد الواقعة وكان قيس لا شعر بوجهه وكان مع ذلك جميلا وكانت الانصار تقول وددنا أن نشتري لقيس بن سعد لحية بأموالنا كلها * واتر جع الى تمام قصة سرية الخبط قال أهل السير ثم أخرج الله لهم دابة من البحر تسمى العنبر وهي سمكة كبيرة يتخذ من جلدها الترسة وقيل ان العنبر المشموم رجيعها قال الازهري العنبر سمكة بالبحر الاعظم يبلغ طولها خمسين ذراعا وفي رواية لجابر رضي الله عنه فالقى لنا البحر حوتا ميتا لم نر مثله فأكلنا منه نصف شهر وفي رواية ثمانية عشر يوما حتى صحت أجسامنا وادهنا من ودكه فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعه فنصبه ونظر الى أطول بعير فجاز تحته راكبه وفي رواية ثم أمر بأجسم بعير معنا فحمل عليه أجسم رجل فخرج من تحتها وما مست رأسه وفي رواية فدخل أي الراكب تحتها أما طأطأ أي رأسه وفي رواية لمسلم عن جابر رضي الله عنه فلقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه أي حدقتيه الدهن بالقلال ونقتطع منه الفدر أي القطاع من اللحم كالثور وفي رواية عن جابر أيضا فدخلت أنا وفلان وفلان فعد خمسة في حجاج عينها ما يرانا أحد حتى خرجنا فسبحان القوي القادر فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا له ذلك فقال هو رزق أخرجه الله لكم فهل معكم شئ من لحمه فتطعمونا فكان معنا منه شئ فأرسلنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل ولم يذكر أحد من أهل السير انهم قاتلوا أحدا في هذه السرية بل أقاموا نصف شهر أو أكثر في مكان واحد ثم رجعوا ولم يلقوا كيدا والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية أبي قتادة رضي الله عنه)

الى نجد واسم أبي قتادة الحرث وقيل عمرو أو النعمان بن ربعي الانصاري السلمي بعثه صلى الله عليه وسلم الى خضرة وهي أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان وبعث معه خمسة عشر رجلا وأمره أن يشن الغارة على غطفان بأرض محارب فسار الليل وكمن النهار ثم هجم على جمع منهم فقاتله منهم رجال وقتل من أشرف منهم وسبى أبو قتادة ومن معه سبيا كثيرا واستاق النعم فكانت الابل مائتي بعير والغنم ألفي شاة وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما بعث صلى الله عليه وسلم سرية قبل نجد فكنت فيها فغنموا ابلا كثيرة وغنما فكانت سهامنا اثني عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا فرجعنا بثلاثة عشر بعيرا وكانت غيبته خمس عشرة ليلة وكان السبي أربع نسوة وأطفال وجوار وكان فيهم جارية وضيئة كأنها ظبي وقعت في سهم أبي قتادة فجاء محمية بن جزء الزبيدي فقال يا رسول الله ان أبا قتادة قد أصاب في وجهه هذا جارية وضيئة وقد كنت وعدتني جارية فأرسل صلى الله عليه وسلم الى أبي قتادة فقال هب لي الجارية فوهبها له فدفعها الى محمية بن جزء الزبيدي والله سبحانه وتعالى أعلم

(سرية أبي قتادة أيضا رضي الله عنه الى اضم)

زيد رحمه الله أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ومصر نيفا وأربعين ليلة لم تبد منه كلمة يكون لمبتدع فيها حجة (وكان) رضي الله عنه كثير التواضع قال الحسن البصري رأيت عثمان وهو أمير المؤمنين نائما في المسجد ورداؤه تحت رأسه فيجيء الرجل فيجلس ثم يجيء الرجل فيجلس اليه فيجلس هو كأنه أحدهم (وأخرج) خيثمة معناه ولفظه قال رأيت عثمان نائما في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين وفي لفظ رأيت عثمان يقيل في المسجد ويقوم وأثر الحصا في جنبه فيقول الناس هذا أمير المؤمنين وكان يلي وضوء الليل بنفسه فقيل له لو أمرت بعض الخدم فكفوك فقال لا الليل لهم يستريحون فيه (وكان) رضي الله عنه شديد الشفقة على رعيته عن سليمان بن موسى قال دعي عثمان الى قوم كانوا على

وهو بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة وبالميم واد على ثلاثة برد من المدينة وكانت هذه السرية فى أول شهر رمضان سنة ثمان وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما هم أن يغزو أهل مكة بعد ان نقضوا العهد كما سيأتى بعث أبا قتادة رضى الله عنه فى ثمانية أنفار سرية الى بطن اضم ليظن ظان انه صلى الله عليه وسلم توجه الى تلك الناحية ولان تذهب بذلك الاخبار فلا تستعد قريش لحربه ويدخل عليهم على حين غفلة وكان يقول اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها واستجيب له فعميت الاخبار عنهم فلم يأتهم خبر عنه ولا علموا بذلك الا ليلة دخوله صلى الله عليه وسلم كما سيأتى فخرج أبو قتادة ومن معه رضى الله عنهم فلقوا عامر بن الاضبط الاشجعى فسلم عليهم بتحية الاسلام أى قال السلام عليكم وقيل عظمهم بالانقياد ومنه كلمة الشهادة التى هى أمارة على اسلامه فقتله محلم بن جثامة فانزل الله ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الآية وروى الامام أحمد والطبرانى عن عبد الله بن ابى حدرد رضى الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اضم فى نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة ومحلم بن جثامة بن قيس فخرجنا حتى اذا كنا ببطن اضم مر بنا عامر بن الاضبط الاشجعى على قعود له ومعه متيع له ووطب من لبن فسلم علينا بتحية الاسلام فامسكنا عنه وحمل عليه محلم فقتله لشئ كان بينه وبينه وأخذ بعيره ومتيعه فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر نزل فينا يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا الى آخر الآية وتقدم فى سرية غالب الليثى أن الآية نزلت فى قتل اسامة بن زيد مرداس بن نهيك فيحتمل تعدد القصة وتكرر نزول الآية ثم ان أبا قتادة ومن معه لم يلقوا جمعا وبلغهم انه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة وتوجه الى مكة فلحقوه بالسقيا فاخبروه الخبر فقال لمحلم أقتلته بعد ما قال آمنت بالله وفى رواية بعد ما قال انى مسلم فجلس محلم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر له وقال انما قالها متعوذا فقال أولا شققت عن قلبه لتعلم أصادق هو أم كاذب قال وهل قلبه الا مضغة من لحم قال صلى الله عليه وسلم انما كان ينبئ عنه لسانه وفى رواية لا ما فى قلبه تعلم ولا لسانه صدقت فقال استغفر لى يا رسول الله قال لا غفر الله لك أى زجرا له وتهويلا لهذا الامر كيلا يتهاون الناس بقتل النفس المؤمنة فقام محلم وهو يتلقى دموعه ببرديه فما مضت له سابعة من الليالى حتى مات فحفروه ودفنوه فلفظته الارض ثم عادوا ودفنوه فلفظته الارض ثم دفنوه فلفظته الارض فرضموا عليه الحجارة حتى واروه فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الارض تقبل من هو شر من صاحبكم ولكن الله أراد أن يعظكم فى حرمة ما بينكم بما أراكم منه وجاء فى بعض طرق هذه القصة ان عيينة بن حصن قام يطالب بدم عامر بن الاضبط وعيينة يومئذ رئيس غطفان وقام الاقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة لمكانه من خندف فتداولا الخصومة عنده صلى الله عليه وسلم وأرادوا الاقتصاص من محلم ثم قبلوا الدية ثم سأل محلم النبى صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له فقال اللهم لا تغفر له فمات بعد سبع الى آخر ما تقدم

(غزوة الفتح الاعظم وهو فتح مكة شرفها الله تعالى)

وهو الفتح الذى استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عزه على مناكب الجوزاء ودخل الناس بسببه فى دين الله أفواجا وأشرق به وجه الارض ضياء وابتهاجا خرج صلى الله عليه وسلم بكتائب الاسلام وجنود الرحمن لنقض قريش العهد الذى وقع بالحديبية فانه كان قد وقع الشرط ان من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فعل ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فعل فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده وكانت خزاعة حالفها جده عبد المطلب حين تنازع مع عمه نوفل فى ساحات وأفنية من السقاية كانت فى يد عبد المطلب فاخذها منه نوفل فاستنهض عبد المطلب قومه فلم ينهض معه منهم أحد وقالوا لا ندخل بينك وبين عمك ثم كتب الى أخواله بنى النجار فجاء منهم سبعون وقالوا ورب هذه البنية لتردن على ابن أختنا ما أخذت منه والا ملأنا منك السيف فرده ثم حالف نوفل بنى أخيه عبد شمس فحالف عبد المطلب خزاعة وكان عليه الصلاة والسلام بذلك عارفا ولقد جاءته خزاعة يوم الحديبية بكتاب جده عبد المطلب فقرأه عليه أبى بن كعب رضى الله عنه وهو

أمر قبيح نفرج البهم فوجدهم قد تفرقوا ورأى أمرا قبيحا فحمد الله اذلم يصادفهم واعتق رقبة وكثرت الفتوحات فى زمن خلافته وكثر الخير والمال قال محمد بن سيرين كثر المال فى زمن عثمان رضى الله عنه فبيعت جارية بوزنها وفرس بمائة ألف ونخلة بالف درهم وعن الحسن البصرى قال كانت الارزاق فى زمن عثمان دارة والخير كثيرا وجاءت أحاديث كثيرة فى الحث على حبه والتحذير من بغضه * منها ما أخرجه الملافى سيرته عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يؤتى بعثمان وأوداجه تشخب دما اللون لون الدم والرائحة رائحة المسك يكسى حلتين من نور وينصب له منبر على الصراط فيجوز المؤمنون بنور وجهه وليس

باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة اذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأى منهم غائبهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ان بيننا وبينكم عهود الله وعقوده ما لا ينسى أبدا اليد واحدة والنصر واحد ما أشرق ثبير وثبت حرا وما بل بحر صوفة ولا يزداد فيما بيننا وبينكم الا تجددا أبد الدهر سرمدا وفى رواية حلفا جامعا غير مفرق الاشياخ على الاشياخ والاصاغر على الاصاغر والشاهد على الغائب وتعاهدوا وتعاقدوا وأوكد عهد وأوثق عقد لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير وحن بفلاة بعير وما أقام الاخشبان واعتمر بمكة انسان حلف أبد لطول أمد يزيده طلوع الشمس شدا وظلام الليل مدا وان عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة متكافئون متظافرون متعاونون على عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب وعلى خزاعة النصرة لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أو غرب أو حزن أو سهل وجعلوا الله على ذلك كفيلا وكفى به حميلا * ولما ذكرت خزاعة ذلك الحلف للنبى صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال صلى الله عليه وسلم ما أعرفنى بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف وكل حلف كان فى الجاهلية فلا يزيده الاسلام الا شدة ولا حلف فى الاسلام وهذا الذى نفاه فى الاسلام هو ما كان على الفتن والقتال والغارات والذى قواه الاسلام ما كان على نصر المظلوم وصلة الارحام والخير ونصرة الحق فلا تنافى حينئذ ثم انه قد كان بين بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة وبين خزاعة حروب وقتلى فى الجاهلية وتشاغلوا عن ذلك لما ظهر الاسلام فلما كانت الهدنة خرج نوفل بن معاوية الديلى من بنى بكر ومعه جماعة من قبيلة بنى الديل حتى بيت خزاعة وهم على ماء لهم يسمى الوتير باسفل مكة فاصاب منهم رجلا يقال له منبه واستيقظت لهم خزاعة فاقتتلوا الى أن دخلوا الحرم ولم يتركوا القتال فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الحرم الهك الهك فقال كلمة عظيمة وهى قوله لا اله له يا بنى بكر أصيبوا ثاركم فلعمرى انكم لتسرقون فلا تصيبون ثاركم فيه وقيل ان سبب القتال بين بنى بكر وخزاعة ان شخصا من بنى بكر هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصار يتغنى به فسمعه غلام من خزاعة فضربه فشجه فثار الشر بين الحيين مع ما كان بينهم من العداوة وطلب بنو بكر من قريش ان يعينوهم بالرجال والسلاح على خزاعة فامدوهم بذلك فبيتوا خزاعة ووقع القتال بينهم وكان جملة من قتل من خزاعة عشرين أو ثلاثة وعشرين وقاتل مع بنى بكر جمع من قريش خفية منهم صفوان بن أمية وحويطب بن عبد العزى وعكرمة بن أبى جهل وشيبة بن عثمان وسهيل بن عمرو وكل هؤلاء أسلموا بعد ذلك رضى الله عنهم ولم يشاوروا فى ذلك أبا سفيان وقيل شاوروه فابى عليهم وظنوا أنهم لم يعرفوا وان هذا لا يبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زالوا يقاتلون خزاعة حتى أدخلوهم دار بديل بن ورقاء الخزاعى بمكة فلما ناصرت قريش بنى بكر على خزاعة ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق ندموا وفى رواية ولما لجأت خزاعة الى دار بديل بن ورقاء ودار مولى لهم يقال له رافع وانتهوا بهم فى عماية الصبح ودخلت رؤساء قريش منازلهم وهم يظنون أنهم لا يعرفون وأصبحت خزاعة مقتولين على باب بديل ورافع فقال سهيل بن عمرو لنوفل بن معاوية البكرى قد حصرتهم تريد قتل من بقى وهذا ما لا نطاوعك عليه فاتركهم فتركهم فخرجوا وندمت قريش على ما صنعوا وجاء الحرث بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة الى صفوان ومن كان معه فلاماهم على ما صنعوا وقالا ان بينكم وبين محمد مدة وهذا نقض لها وقالت قريش ان محمدا غازينا فقال ابن أبى سرح لا يغزوكم حتى يخيركم فى خصال كلها أهون من غزوه يرسل اليكم أن دوا قتلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلا أو تبرؤا من حلف بنى بكر أو ننبذ اليكم على سواء فقال سهيل بن عمرو نبرأ من حلفهم أسهل وقال شيبة بن عثمان ندى القتلى أهون وقال قرطة بن عمرو لا ندى ولا نبرأ ولكنا ننبذ اليه على سواء وقال أبو سفيان ليس هذا بشئ وما الرأى الاصوب الا جحد هذا الامر أى كون قريش دخلت فى نقض عهد أو قطع مدة وأنه قطع قوم بغير رضا منا ولا مشورة فلا علينا قالوا هذا الرأى ولا رأى غيره وكان هذا النقض من قريش فى شعبان سنة ثمان وأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك يوم وقوعه حتى قال لعائشة رضى الله عنها صبيحة وقعة خزاعة لقد حدث يا عائشة فى خزاعة أمر فقالت أترى

لبغضه منه نصيب وعن على بن الحسين رضى الله عنهما قال قال لى سعيد بن المسيب انظر الى وجه هذا الرجل فاذ هو مسود الوجه قلت حسبى الله قال ان هذا كان يسب عليا وعثمان فكنت انهاه فلا ينتهى فقلت اللهم ان هذا يسب رجلين قد سبق لهما ما تعلم اللهم ان كان يسخطك ما يقول فيهما فارنى فيه آية فاسود وجهه (واعلم) أولا ان اعظم أسباب الاختلاف الذى حصل فى خلافة عثمان رضى الله عنه الذى نشأ عنه حصره واستشهاده ان رجلا من اليهود يقال له عبد الله ابن سبأ ويقال له ابن السوداء أسلم ظاهرا فى خلافة عثمان رضى الله عنه وهو فى الباطن باق على يهوديته وانما أراد باسلامه خديعة المسلمين وايقاع الاختلاف بينهم لما رأى كثرة الفتوحات واتساع الاسلام وكثرة المسلمين

قريشا

قريشا تجترئ على نقض العهد الذي بينك وبينهم وقد أفناهم السيف فقال ينقضون العهد لأمر يريده الله تعالى قالت يارسول الله خير قال خير وروى الطبراني من حديث ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت بات عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام ليتوضأ للصلاة فسمعته يقول في متوضئه بالليل لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا فلما خرج قلت يارسول الله سمعتك تقول في متوضئك لبيك لبيك لبيك ثلاثا نصرت نصرت نصرت ثلاثا كأنك تكلم انسانا فهل كان معك أحد فقال هذا راجز بني كعب وهم بطن من خزاعة يستصرخني و يزعم أن قريشا أعانت عليهم بني بكر وهذا علم من أعلام النبوة باهر فاما انه أعلم بذلك بالوحي وعلم ما تصوره الراجز في نفسه أو ان الراجز كان يرتجز وأسمع الله نبيه صلى الله عليه وسلم كلامه قال أهل السير ولما انقضى قتال بني بكر وخزاعة خرج عمرو بن سالم الخزاعي أحد بني كعب وهم بطن من خزاعة ومعه أربعون راكبا من خزاعة فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه بالذي أصابهم ويستنصرونه وقبل قدومهم بثلاث أمر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة رضي الله عنها أن تجهزه أي تهيئ له اهبة السفر وما يحتاج اليه في قطع المسافة اعتمادا على ما أطلعه الله عليه مما وقع من نقض العهد وأمرها أن لا تعلم أحدا فدخل عليها أبو بكر رضي الله عنه قبل أن يخبره النبي صلى الله عليه وسلم و يستشيره في ذلك فقال يابنية ما هذا الجهاز فقالت ما أدري فقال والله ما هذا زمان غزو بني الاصفر فأين يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا علم لي وفي رواية لابن أبي شيبة انها أعلمته وجمع بينهما بانه دخل عليها مرتين الاولى قالت له لا علم لي ثم أخبرته صلى الله عليه وسلم فاذن لها في اخبار أبيها لكونه عيبة سره فدخل عليها ثانيا فاخبرته فقال والله ما انتقضت الهدنة بيننا وخرج رضي الله عنه فذكر ما قالت له للنبي صلى الله عليه وسلم فذكر له صلى الله عليه وسلم أنهم أول من غدر قالت ميمونة رضي الله عنها فاقمنا ثلاثا أي بعد قوله لها هذا راجز بني كعب ثم صلى بالناس صبح اليوم الثالث فسمعت الراجز ينشده وذلك أن عمرو بن سالم أقبل هو ومن معه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس بالمسجد فقال منشدا

يارب اني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيه الاتلدا * ان قريشا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا * وزعموا أن لست تدعو أحدا * وجعلوا لي في كداء رصدا

فانصر هداك الله نصرا أبدا * وادع عباد الله يأتوا مددا * فيهم رسول الله قد تجردا

ان سيم خسفا وجهه تربدا * هم بيتونا بالوتير هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

وفي رواية

هم قتلونا بصعيد هجدا * نتلوا القرآن ركعا وسجدا

وزعموا أن لست أدعو أحدا * وهم أذل وأقل عددا

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت يا عمرو بن سالم وفي رواية فقام صلى الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول لا نصرت ان لم أنصركم بما أنصر به نفسي وفي رواية قال والذي نفسي بيده لامنعنهم مما أمنع منه نفسي وأهل بيتي وفي رواية قالت عائشة رضي الله عنها لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب مما كان من شان بني كعب غضبا لم أره غضبه منذ زمان وفي رواية انه دمعت عيناه حين سمع شعر عمرو بن سالم وقال خزاعة مني وأنا منهم وسأل صلى الله عليه وسلم عمرو بن سالم فيمن تهمتكم قال في بني بكر قال كلها قال لا ولكن في بني نفاثة وهم بطن من بني بكر ثم قال صلى الله عليه وسلم لعمرو بن سالم وأصحابه ارجعوا وتفرقوا في الاودية فرجعوا وتفرقوا وذهبت فرقة الى الساحل وفرقة لزمت الطريق وقصد بذلك صلى الله عليه وسلم اخفاء مجيئهم للنبي صلى الله عليه وسلم ثم قدم بديل بن ورقاء الخزاعي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذهاب عمرو بن سالم ومعه نفر من قومه فاخبروه صلى الله عليه وسلم الخبر ورجعوا ولزم بديل الطريق في نفر من قومه وقيل ان بديلا لم يفارق مكة حتى لقيه في الفتح بمر الظهران وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال لركب خزاعة انا باعث الى أهل مكة فسائلهم عن هذا الامر ومخيرهم في خصال ثلاث فبعث اليهم ضمرة يخيرهم بين أن يدوا قتلى خزاعة أو يبرؤا من حلف بني نفاثة أو ينبذ اليهم على سواء فاتاهم ضمرة فاخبرهم فقال قرطة بن عمرو لا ندي

واثتلاف قلوبهم واجتماع كلمتهم حسدهم على ذلك فاسلم ليتنقل في الحجاز ثم بالبصرة ثم بالكوفة ثم بالشام وليس له غرض في ذلك الا اضلال الناس فلم يقدر منهم على ذلك فاخرجه أهل الشام فاتى مصر فاقام فيهم وقال لهم العجب ممن يصدق ان عيسى يرجع و يكذب ان محمدا يرجع فوضع لهم الرجعة فقبلت منه ثم قال لهم بعد ذلك انه كان لكل نبي وصي وعلي وصي محمد فمن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصيه وقال لهم ان عثمان أخذها بغير حق فانهضوا في هذا الامر وابدؤا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا به الناس وبث دعاته وكاتب من استفسد في الامصار وكاتبوه ودعوا في السر الى ما عليه رأيهم

ولا نبرأ لكن ننبذ اليه على سواء ثم ندمت قريش على ما ردوا به فبعثوا أبا سفيان يجدد الصلح ويزيدهم في
المدة وقيل ان أبا سفيان توجه مبادرا قبل أن يبلغ المسلمين الخبر ولم يعلم بمسير خزاعة قبله وقيل ان الحرث بن
هشام وعبد الله بن أبي ربيعة مشيا الى أبي سفيان فقالا ان لم يصلح هذا الامر لا يروعكم الا محمد في أصحابه فقال
أبو سفيان قد رأت هند بنت عتبة رؤيا كرهتها وخفت من شرها قالوا وما هي قال رأت دما أقبل من الحجون
يسيل حتى وقف بالخندمة مليا ثم كان ذلك الدم كان لم يكن فكرهوا الرؤيا وقال أبو سفيان هذا امر لم أشهده ولم
أغب عنه ولا يحمل الا على والله ما شوورت فيه ولا هويته حتى بلغني ليغزونا محمد ان صدقني ظني وهو
صادقي ومابد من أن آتي محمدا فاكلمه فقالت قريش أصبت فخرج ومعه مولى له على راحلتين وعند رجوع
ركب خزاعة من المدينة لقوا أبا سفيان بعسفان فسألهم هل ذهبتم الى المدينة قالوا لا وتركوه وذهبوا فجاء الى
مبركهم بعد أن فارقوه فاخذ بعرا وفتته فوجد فيه النوى فعلم أنهم ذهبوا الى المدينة وفي رواية أن أبا سفيان
لقي بديل بن ورقاء بعسفان فاشفق أبو سفيان أن يكون بديل قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال للقوم
أخبرونا عن يثرب متى عهدكم بها قالوا لا علم لنا بها انما كنا بالساحل نصلح بين الناس في قتيل وفي لفظ قال من
أين أقبلت يا بديل قال سرت الى خزاعة في هذا الساحل قال أوما أتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة أي
توجه اليها قال أبو سفيان ائن كان جاء الى المدينة لقد علف بها النوى فجاء الى منزلهم ففتت أبعار أباعرهم
فوجد فيها النوى فقال أبو سفيان أحلف بالله لقد جاء القوم محمدا وقيل قدوم أبي سفيان المدينة قال صلى الله
عليه وسلم لاصحابه رضي الله عنهم كأنكم بأبي سفيان قد جاء يقول جدد العهد وزد في المدة وهو راجع
بسخطة فلما انتهى أبو سفيان الى المدينة دخل على بنته أم حبيبة أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم
ورضي عنها فاراد أن يجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فطوته عنه فقال يا بنية ما أدري أرغبت بي
عن هذا الفراش أم رغبت به عني قالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ولم
أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر فقالت بل هداني
الله للاسلام فانت يا أبت سيد قريش وكبيرها كيف يسقط عنك الدخول في الاسلام وأنت تعبد حجرا لا يسمع
ولا يبصر فقام من عندها فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يجدد العهد ويزيد في المدة فابى عليه وقال
ابن اسحق انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليه شيأ وفي رواية قال يا محمد اني كنت غائبا في صلح الحديبية
فاشدد العهد وزدنا في المدة فقال صلى الله عليه وسلم فلذلك جئت قال نعم فقال هل كان من حدث فقال معاذ الله
نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل فقال صلى الله عليه وسلم فنحن على ذلك فاعاد أبو سفيان القول فلم يرد
عليه شيأ فذهب الى أبي بكر رضي الله عنه وكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أنا بفاعل وفي
رواية قال لابي بكر تكلم محمدا أو تجير بين الناس فقال جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى عمر
رضي الله عنه فقال أنا أشفع لكم والله لو لم أجد الا الذر لجاهدتكم به وفي رواية قال له عمر رضي الله عنه
ما كان من حلفنا جديدا فاخلقه الله وما كان متينا فقطعه الله وما كان منه مقطوعا فلا وصله الله فقال أبو سفيان
جوزيت من ذي رحم شرا ثم دخل على علي رضي الله عنه وعنده فاطمة رضي الله عنها وحسن رضي الله عنه
غلام يدب بين يديها فقال يا علي انك أمس القوم بي رحما واني جئت في حاجة فلا أرجع كما جئت خائبا فاشفع
لي فقال علي رضي الله عنه ويحك يا أبا سفيان والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع
أن نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك أن تأمري ابنك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد
العرب الى آخر الدهر فقالت والله ما بلغ بني هذا أن يجير بين الناس وما كان أحد يجير على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وفي رواية أنه جاء عثمان رضي الله عنه قبل علي رضي الله عنه فقال جواري في جوار رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم أتى سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال يا أبا ثابت انك سيد هذه البحيرة فاجر بين الناس وزد
في المدة فقال سعد جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فاتى أشراف قريش
والانصار فكلمهم وكلهم يقول جواري في جوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يجير أحد عليه فلما أيس منهم

وصاروا يكتبون الى الامصار
بكتب يضعونها في عيب
ولاتهم ويكتب أهل كل
مصر منهم الى مصر آخر
بما يصنعون حتى تناولوا
بذلك المدينة وأوسعوا
بذلك الارض اذاعة فيقول
أهل كل مصر انا لفي عافية
مما ابتلي به هؤلاء الا أهل
المدينة فانهم جاءهم ذلك
عن جميع الامصار فقالوا
انا لفي عافية مما فيه الناس
فاتوا عثمان رضي الله عنه
فقالوا يا أمير المؤمنين أياتيك
عن الناس الذي ياتينا
فقال ما جاءني الا السلامة
وأنتم شركائي وشهود
المؤمنين فاشيروا علي قالوا
نشير عليك ان تبعث رجالا
ممن تثق بهم الى الامصار
حتى يرجعوا اليك باخبارهم
فدعا محمد بن سلمة رضي الله
عنه فارسله الى الكوفة
وأرسل اسامة بن زيد
رضي الله عنهما الى البصرة
وأرسل عمار بن ياسر رضي
الله عنهما الى مصر وأرسل

دخل على فاطمة رضي الله عنها فقال هل لك أن تجيري بين الناس فقالت انما أنا امرأة وأبت عليه فقال مري
ابنك فقالت ما بلغ أن يجير فقال لعلي رضي الله عنه يا أبا حسن اني أرى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال
والله ما أعلم شيأ يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال أوترى ذلك مغنيا
عني شيأ قال لا والله ما أظنه ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد فقال أيها الناس اني قد أجرت
بين الناس ولا والله ما أظن أن يخفرني أحد ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اني قد
أجرت بين الناس فقال صلى الله عليه وسلم أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة ثم ركب بعيره وانصرف الى مكة وكانت
غيبته قد طالت واتهمته قريش أشد التهمة وقالوا قد صبا واتبع محمدا سرا وكتم اسلامه فلما دخل على هند
امرأته ليلا قالت لقد غبت حتى اتهمك قومك فان كنت مع طول الاقامة جئتهم بنجح فانت الرجل ثم جلس
منها مجلس الرجل من امرأته فقالت ما صنعت فاخبرها الخبر وقال لم أجد الا ما قال لي علي فضربت برجلها في
صدره وقالت قبحت من رسول قوم فما جئت بخير فلما أصبح حلق رأسه عند اساف ونائلة وذبح لهما ومسح
بالدم رؤسهما وقال لا أفارق عبادتكما حتى أموت وأراد بذلك أن تبرئه قريش مما اتهمته به من قولهم انه
صبا فلما صنع ذلك قالوا له ما وراءك هل جئت بكتاب من محمد أو زيادة في مدة فانا لا نأمن أن يغزونا فقال والله
لقد أبى علي وفي رواية كلمته فوالله ما رد علي شيأ ثم جئت أبا بكر فلم أجد فيه خيرا ثم جئت ابن الخطاب
فوجدته أدنى العدو وفي رواية أعدى العدو وكلمت عليه أصحابه فما قدرت على شيء منهم الا انهم يرمونني
بكلمة واحدة وما رأيت قوما أطوع لملك عليهم منهم له الا أن عليا لما ضاقت بي الامور قال أنت سيد بني
كنانة فاجر بين الناس فناديت بالجوار قالوا هل أجاز ذلك محمد قال لا قالوا انما قال أنت تقول ذلك يا أبا حنظلة قالوا
رضيت بغير رضا وجئتنا بما لا يغني عنا ولا عنك شيأ ولعمر الله ما جوارك بجائز وان اخفارك عليهم لهين والله
ما زاد علي ان لعب بك تلعبا فقال والله ما وجدت غير ذلك فقالوا ما جئتنا بحرب فنحذر ولا صلح فنامن وتجهز
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها وروى ابن
أبي شيبة عن أبي مالك الاشجعي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره فجلس عند بابها وكان
اذا جلس وحده لم يأته أحد حتى يدعوه فقال ادع لي أبا بكر فجاء فجلس بين يديه فناجاه طويلا ثم أمره فجلس
عن يمينه ثم قال ادع لي عمر فجاء فجلس فناجاه طويلا فرفع عمر صوته فقال يا رسول الله هم رأس الكفر الذين
زعموا انك ساحر وانك كاهن وانك كذاب وانك مفتر ولم يدع شيأ مما كانوا يقولون الا ذكره ثم قال وايم الله
لا تذل العرب حتى تذل أهل مكة فأمره فجلس عن شماله ثم دعا الناس فقال ألا أحدثكم بمثل صاحبيكم
هذين قالوا نعم يا رسول الله فاقبل بوجهه الكريم على أبي بكر رضي الله عنه فقال ان ابراهيم عليه السلام كان
ألين في الله تعالى من الدهن باللبن ثم أقبل على عمر رضي الله عنه فقال ان نوحا كان أشد في الله تعالى من الحجر
وان الامر أمر عمر فتجهزوا وتعاونوا فتبعوا أبا بكر فقالوا انا كرهنا ان نسأل عمر عما ناجاك به رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال قال لي كيف تأمرني في غزو مكة قلت يا رسول الله هم قومك حتى رأيت انه سيطيعني ثم دعا
عمر فقال هم رأس الكفر حتى ذكر له كل سوء كانوا يقولونه وقد أمركم بالجهاد لتغزوا مكة وجاء في بعض
الروايات انه صلى الله عليه وسلم تجهز وما أعلم احدا والمراد انه ما أعلم عامة الناس فلا ينافي انه أعلم كبار أصحابه
رضي الله عنهم فتجهز الناس وقال حسان رضي الله عنه يحرض الناس ويذكر مصاب رجال خزاعة

عناني ولم أشهد ببطحاء مكة * رجال بني كعب تحز رقابها * بأيدي رجال لم يسلوا سيوفهم
وقتلى كثير لم تجن ثيابها * ألا ليت شعري هل تنالن نصرتي * سهيل بن عمرو حرها وعقابها
فلا تأمنن يا ابن أم مجالد * اذا احتلبت صرفا وأعصل نابها * فلا تجزعوا منها فان سيوفنا
* لها وقعة بالموت يفتح بابها *

قال ابن اسحق قوله بأيدي رجال يعني قريشا وابن أم مجالد عكرمة بن أبي جهل وكان صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم خذ على أسماعهم وأبصارهم فلا يرون الا بغتة ولا يسمعون بنا الا فلتة وأمر جماعة أن تقيم بالانقاب

عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما الى الشام وفرق رجالا
سواهم فرجعوا جميعا قبل
عمار وقالوا ما أنكرنا شيأ
ولا أنكره اعلام المسلمين
ولا عوامهم وتأخر عمار حتى
ظنوا انه قد اغتيل فوصل
كتاب من عبد الله بن أبي
سرح أمير مصر يذكر أن
عمارا قد استماله قوم وانقطعوا
اليه منهم عبد الله بن سبا
وخالد بن ملجم وسودان بن
حمران وكنانة بن بشر فكتب
عثمان الى أهل الامصار اني
آخذ عمالي بموافاتي كل
موسم وقد رفع الى أهل
المدينة ان أقواما يشتمون
ويضربون فمن ادعى شيأ
من ذلك فليواف الموسم
يأخذ حقه حيث كان مني
أو من عمالي أو تصدقوا فان
الله يجزي المتصدقين فلما قرئ
في الامصار بكى الناس ودعوا
لعثمان رضي الله عنه ثم
قدم عمال الامصار في الموسم
وقدم كثير من الناس وكثر

وكان عمر رضي الله عنه يطوف على الانقاب فيقول لا تدعوا أحدا يمر بكم تنكرونه الا رددتموه وفي رواية ثم أمر
بالطرق فحبست فعمي على أهل مكة لا يأتيهم خبر فكتب حاطب بن أبي بلتعة البدري حليف بني أسد رضي
الله عنه كتابا وأرسله الى مكة يخبرهم بمسير النبي صلى الله عليه وسلم وأرسله مع امرأة استأجرها بعشرة دنانير
وقال لها اخفيه ما استطعت ولا تمري على الطريق فان عليه حرسا فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك
فقال عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام والمقداد بن الاسود رضي الله عنهم انطلقوا
حتى تأتوا روضة خاخ وهو موضع على بريد من المدينة فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة الى
المشركين فخذوه منها قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا لها أخرجي
الكتاب قالت ما معي كتاب فالتمسناه فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب
أو لنلقين عنك الثياب وفي رواية أو لنكشفنك أو لنضربن عنقك فلما رأت الجد حلت قرونها فأخرجته من
عقاصها وفي رواية فلما رأت الجد أهوت الى حجزتها فأخرجته فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا فيه
من حاطب بن أبي بلتعة الى سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية أما بعد يا معشر قريش فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده
فانظروا لانفسكم والسلام وفي رواية ان لفظ الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن في الناس بالغزو
ولا أراه يريد غيركم وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد فدعا النبي صلى الله عليه وسلم حاطبا فقال أتعرف
هذا الكتاب قال نعم قال ما حملك على هذا فقال حاطب يا رسول الله لا تعجل علي أما والله اني لمؤمن بالله ورسوله
ما غيرت ولا بدلت وفي لفظ ما كفرت منذ أسلمت ولا غششت منذ نصحت ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت
امرأ ملصقا في قريش يعني حليفا لهم ولم أكن من أنفسها وفي رواية ولكني كنت امرأ ليس لي في القوم أصل
ولا عشيرة وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليه وكان من معك من المهاجرين ممن له أهل ومال بمكة
لهم قرابات يحمون بها أهاليهم وأموالهم فأحببت اذ فاتني النسب فيهم ان أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي
وفي رواية فقال حاطب والله ما ارتبت في الله منذ أسلمت ولكني كنت امرأ غريبا ولي في مكة بنون واخوة
فكتبت كتابا لا يضر الله ورسوله ولم أفعله ارتدادا عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أما انه قد صدقكم فيما أخبركم به فقال له عمر رضي الله عنه قاتلك الله ترى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يأخذ بالانقاب وتكتب الى قريش وفي رواية انه قال انه يعلم يا رسول الله انك أخذت على الطريق
وأمرت أن لا نرى أحدا يمر ممن ننكره الا رددناه يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صلى
الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على من شهد بدرا فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
وفي رواية فقد وجبت لكم الجنة وفي أخرى لا يدخل النار أحد شهد بدرا فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال
الله ورسوله أعلم وأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد
كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي
وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل
فالذي نزل في ذلك الى هنا وقيل الى قوله قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم وانما قال عمر رضي الله عنه دعني
يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق مع تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاطب فيما اعتذر به لما كان
عند عمر رضي الله عنه من القوة في الدين وبغض المنافقين فظن أنه يستحق القتل لكونه خالف ما أمر به النبي
صلى الله عليه وسلم من اخفاء سيره عن قريش وحرصه على عدم وصول خبره اليهم وبعثه جماعة على الطريق
حتى لا يبلغهم الخبر فاذا ظن انه استحق القتل لكنه لم يجزم بذلك فلذلك استأذن في قتله وأطلق عليه منافقا
لكونه أظهر خلاف ما أبطن وحاطب كان معذورا متأولا بما ذكره من عذره وكفاه منقبة شهادة الله له
بالايمان حيث قال يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الخ وقوله صلى الله عليه وسلم لعل الله اطلع على أهل بدر فقال
اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ليس فيه اباحة المعاصي لهم وانما هو خطاب اكرام وتشريف تضمن انهم

الكلام وأنكروا أشياء
فعلها عثمان رضي الله عنه
باجتهاد منه وكلها لا توجب
ولا تقتضي ما فعلوه به
وأوقعوا تلك الشبه في قلوب
من ضعف ايمانهم حتى
حصل الاختلاف الذي
أراده عبد الله بن سبا بسبب
ما أسسه وأذاعه من الفساد
فكان ذلك سببا لوجود
الفرق الضالة كالرافضة
والخوارج وغيرهم من
المبتدعة وكان أمر الله قدرا
مقدورا وكان في ذلك
ظهور معجزة النبي صلى الله
عليه وسلم حيث أخبر ان
أمته ستفترق على ثلاث
وسبعين فرقة فظهر بذلك
صدقه صلى الله عليه وسلم
وصدقه في اخباره بان
عثمان رضي الله عنه يقتل
مظلوما فجعل سبحانه وتعالى
تلك الاشياء أسبابا ليسعد
اناس ويشقى آخرون وربك
يخلق ما يشاء ويختار فمن
تلك الشبه التي ألقوها في
قلوب الضعفاء ما وقع بين

رضي

رضي الله عنهم حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السالفة وتاهلوا الآن يغفر لهم ما يحصل من الذنوب لو فرض وقوعه منهم وما أحسن قول بعضهم

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم في كل من أخبر عنه بشيء من ذلك فانهم لم يزالوا على أعمال أهل الجنة الى أن فارقوا الدنيا ولو قدر صدور شيء من أحدهم لبادر الى التوبة ولازم الطريقة المثلى يعلم ذلك من أحوالهم بالقطع من اطلع على سيرهم رضي الله عنهم ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج من المدينة وعزم على غزو أهل مكة بعث الى من حوله من العرب وطلب حضورهم أسلم وغفار وأشجع وسليم وغيرهم فارسل اليهم يقول لهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة وبعث رسلا في كل ناحية فمنهم من وافاه بالمدينة ومنهم من لحقه بالطريق فكان المسلمون في غزوة الفتح عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا من المهاجرين والانصار وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم وقيل ان العشرة آلاف خرج بهم من نفس المدينة ثم تلاحق به ألفان قال الحلبي في السيرة وكان المهاجرون سبعمائة ومعهم ثلثمائة فرس وكانت الانصار أربعة آلاف ومعهم خمسمائة فرس وكانت مزينة ألفا ومعها مائة فرس وكانت أسلم أربعمائة ومعها ثلاثون فرسا وكانت جهينة ثمانمائة ومعها خمسون فرسا وكان معه صلى الله عليه وسلم من زوجاته أم سلمة وميمونة رضي الله عنهما واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وقيل أبارهم كلثوم بن الحصين الغفاري وجمع بينهما بان أبارهم جعله للقضايا والاحكام وابن أم مكتوم للصلاة وخرج عليه الصلاة والسلام من المدينة لعشر ليال خلون من رمضان بعد العصر سنة ثمان من الهجرة وقيل لليلتين خلتا من رمضان وقيل لست عشرة وقيل ثمان عشرة قال النووي لا أعلم خلافا في ان ذلك في شهر رمضان أي وانما الخلاف فيما مضى منه حين الخروج ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الكديد بفتح الكاف وهو موضع بين قديد وعسفان أفطر لانه بلغه أن الناس شق عليهم الصيام وقيل له انما ينظرون فيما فعلت فلما استوى على راحلته بعد العصر دعا باناء من ماء وقيل من لبن فوضعه على راحلته ليراه الناس فشرب فافطر فناوله رجلا الى جنبه فشرب فلم يزل مفطرا رفقا بالمسلمين حتى انسلخ الشهر لانه وان قدم مكة قبل تمام الشهر لكنه كان في أهبة القتال وبعث السرايا ولم ينو الاقامة ولذا كان يقصر الصلاة * وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم قد خرج باهله وعياله مهاجرا فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجحفة وكان اسلامه قديما وكان يكتمه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم أمره بالاقامة بمكة ليكتب له أخبار قريش وكان العباس رضي الله عنه يسره ما يفتح الله على المسلمين وما أظهر اسلامه لاهل مكة الا يوم الفتح وكان مقيما بمكة على سقايته وكان ينفع المستضعفين بمكة وبه يثقون ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض وقيل انه لقي النبي صلى الله عليه وسلم بذي الحليفة فبعث ثقله الى المدينة وسار مع النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة للفتح وروى الطبراني عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال استأذن العباس النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة فكتب اليه يا عم أقم مكانك الذي أنت فيه فان الله يختم بك الهجرة كما ختم بي النبوة ولما لقيه قال هجرتك يا عم آخر هجرة كما ان نبوتي آخر نبوة * وكان ممن لقيه صلى الله عليه وسلم في الطريق أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب بن عمه صلى الله عليه وسلم وأخوه من الرضاع من حليمة السعدية وكان مع أبي سفيان ولده جعفر وعبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمته صلى الله عليه وسلم عاتكة بنت عبد المطلب وهو أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لابيها لان أمها عاتكة بنت عامر بن قيس وكان لقاء أبي سفيان ومن معه للنبي صلى الله عليه وسلم بنقب العقاب بين مكة والمدينة وقيل بالابواء وهم مسلمون مهاجرون واسم أبي سفيان كنيته وقيل اسمه المغيرة وكان يألف النبي صلى الله عليه وسلم ولا يفارقه قبل النبوة فلما بعثه الله عاداه وهجاه وأجابه عنه حسان رضي الله عنه كثيرا وكان عبد الله بن أبي أمية قبل اسلامه شديدا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وفي لفظ وكان كل منهما أي من أبي سفيان وعبد الله من أشد

عثمان رضي الله عنه وبعض الصحابة من الاختلاف في بعض الاشياء الاجتهادية وكان كل منهم مجتهدا ماجورا في اجتهاده * فمنها ان أباذر رضي الله عنه كان شديد الزهد في الدنيا وكان مذهبه ان المسلم لا ينبغي له ان يكون في ملكه أكثر من قوت يومه وليلته أو شيء ينفقه في سبيل الله تعالى ويأخذ بظاهر القرآن كقوله تعالى الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم وكان يقوم بالشام ويقول يامعشر الاغنياء واسوا الفقراء بشر الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم فمازال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك وأوجبوه على الاغنياء وصاروا يطالبونهم بمشاركتهم في أموالهم فشكا الاغنياء ما يلقونه

الناس أذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاعرض عنهما صلى الله عليه وسلم لما القياه لما كان يلقى منهما من شدة الاذى والهجو فالتمسا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم فكلمته أم سلمة رضي الله عنها فيهما فقالت يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك فقال لا حاجة لي بهما أما ابن عمي فهتك عرضي وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال يعني قوله له والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلما الى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون ان الله أرسلك فقالت له أم سلمة رضي الله عنها لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك فلما خرج الخبر اليهما بذلك قال أبو سفيان والله ليأذنن لي أو لآخذن بيد ابني هذا يعني ولده جعفرا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم رق لهما ثم أذن لهما فدخلا عليه وأسلما وأنشده أبو سفيان معتذرا مما مضى فقال

لعمرك اني يوم أحمل راية * لتغلب خيل اللات خيل محمد * لكالمدلج الحيران أظلم ليله

فهذا أواني حين أهدى واهتدى * هداني هاد غير نفسي ونالني * مع الله من طردته كل مطرد

أصد وأنأى جاهدا عن محمد * وأدعى وان لم أنتسب من محمد

قال ابن اسحق انه لما قال ونالني مع الله من طردته كل مطرد ضرب صلى الله عليه وسلم صدره وقال أنت طردتني كل مطرد وقال علي رضي الله عنه لابي سفيان بن الحرث عند اذنه صلى الله عليه وسلم له في الدخول عليه ائت من قبل وجهه فقل له ما قال اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فانه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا ففعل ذلك أبو سفيان فقال له صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ويقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم حياء منه وكان صلى الله عليه وسلم يحبه ويشهد له بالجنة ولزم ركاب النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ولم يفارقه وكان صلى الله عليه وسلم يقول فيه أرجو أن يكون خلفا من حمزة وقال له صلى الله عليه وسلم كل الصيد في جوف الفرا وقيل قال ذلك لابي سفيان بن حرب ولا مانع من التعدد وتوفي أبو سفيان بن الحرث رضي الله عنه سنة خمس عشرة أو عشرين بالمدينة وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقبره بالمدينة معروف يزار عليه قبة منيرة * يروى أنه قال عند موته ولا تبكى علي فاني لم أنطق بخطيئة منذ أسلمت * وأما عبد الله بن أبي أمية المخزومي فكذلك كان بعد اسلامه شديد الحياء من النبي صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يرفع طرفه اليه حياء منه واستشهد في غزوة الطائف رضي الله عنه وعقد صلى الله عليه وسلم الالوية والرايات بقديد ودفعها للقبائل فاعطى لبني سليم لواء وراية ولبني غفار راية ولاسلم لواءين ولبني كعب راية ولمزينة ثلاثة ألوية ولجهينة أربعة ألوية وكان جماعة من بني بكر أسلموا فكانوا معه صلى الله عليه وسلم فاعطاهم لواء ولاشجع لواء ورأى أبو بكر الصديق مناما قبل عقد الالوية وقيل عند نزولهم بمر الظهران فقال يا رسول الله رأيت في المنام أنا دنونا من مكة فخرجت الينا كلبة تهر أي تصوت فلما دنونا منها استلقت على ظهرها فاذا هي تشخب لبنا فقال صلى الله عليه وسلم ذهب كلبهم وأقبل درهم وهم سيأوون بارحامهم وانكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه وقوله ذهب كلبهم أي شدتهم وقوله وأقبل درهم المراد خيرهم وهو انقيادهم للاسلام ثم لما نزل صلى الله عليه وسلم مر الظهران أمر أصحابه فأوقدوا عشرة آلاف نار لتراها قريش أو تسمع بها فترعب من كثرتها واستجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فأخذ العيون والاخبار عن أهل مكة ولم يبلغهم مسيره وهم مغتمون يحزنون متحيرون خائفون وتقدم ان العباس رضي الله عنه استقبل النبي صلى الله عليه وسلم وهو مهاجر فبعث أهله الى المدينة ورجع مع النبي صلى الله عليه وسلم قال العباس حين نزل النبي صلى الله عليه وسلم مر الظهران رقت نفسي لاهل مكة وقلت واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه انه لهلاك قريش الى آخر الدهر فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلي أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة يخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة وكان من قضاء الله وقدره ان خرج

منهم فكان معاوية رضي الله عنه بالشام يقول لابي ذر ان قوله تعالى الذين يكنزون الذهب والفضة الآية المراد الذين يمنعون الزكاة فلا يقبل أبو ذر رضي الله عنه منه ذلك (ولما) كان عبد الله بن سبا بالشام لقي أبا ذر رضي الله عنه فقال له يا أبا ذر ألا تعجب من معاوية يقول المال مال الله ألا ان كل شئ لله كأنه يريد ان يحتجره دون الناس ويمحو اسم المسلمين وكان أبو ذر رضي الله عنه صادق اللهجة كما أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم فاتى أبو ذر معاوية رضي الله عنهما وقال له ما يدعوك الى ان تسمي مال المسلمين مال الله قال يرحمك الله يا أبا ذر ألسنا عباد الله والمال ماله قال فلا تقله قال سأقول مال المسلمين وأتى ابن سبا أيضا أبا الدرداء رضي الله عنه فقال له مثل ما قال لابي ذر فقال له أبو الدرداء أظنك

أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء الخزاعي يتجسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا أو يسمعون به وقيل انه بلغهم مسيره صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا الى أي جهة وقيل ان قريشا بعثوا أبا سفيان يتجسس الاخبار وقالوا ان لقيت محمدا فخذ لنا منه أمانا فاقبل أبو سفيان وحكيم وبديل يسيرون فلما سمعوا صهيل الخيل راعهم ذلك ورأوا كثرة النيران فقال أبو سفيان ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا هذه كنيران عرفة فقال بديل هذه نيران بني عمرو يعني خزاعة فقال أبو سفيان هم أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها فلما دخل أبو سفيان ومن معه عسكر المسلمين أخذهم حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية أخذتهم الخيل تحت الليل وكان الحرس عند نفر من الانصار وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عليهم تلك الليلة فجاؤا بهم فلما أخذوا وبخطم أبعرتهم قال أبو سفيان من أنتم قالوا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال هل سمعتم بمثل هذا الجيش نزلوا على أكباد قوم لم يعلموا بهم وروى الطبراني عن أبي ليلى قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران فقال ان أبا سفيان بالاراك فخذوه فاخذناه وفي رواية وكان صلى الله عليه وسلم بعث بين يديه خيلا تقتص العيون وخزاعة على الطريق لا يتركون أحدا يمضي ولما أخذ المسلمون أبا سفيان ومن معه جاؤا بهم الى عمر رضي الله عنه لكونه كان على الحرس تلك الليلة فقالوا جئناك بنفر أخذناهم من أهل مكة فقال عمر رضي الله عنه وهو يضحك اليهم والله لو جئتمونى بابي سفيان ما زدتم قالوا والله أتيناك بابي سفيان فقال احبسوه وفي رواية ان العباس رضي الله عنه كان صديقا لابي سفيان فلما ركب البغلة ليتوجه الى الاراك رجاء أن يجد من يبعثه لقريش ليأخذوا أمانا اذ سمع صوت أبي سفيان فاخذه وجاء به فامسكه الحرس فاجاره من الحرس ان يقتلوه وقال عمر رضي الله عنه لابي سفيان حين مر به العباس عليه أبو سفيان عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك من غير عقد ولا عهد قال العباس وقلت له يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال أبو الفضل قلت نعم قال ما لك فداك أبي وأمي قلت والله هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس قد جاءكم بما لا قبل لكم به وفي رواية قد جاءكم في عشرة آلاف فقال واصباح قريش والله فما الحيلة فداك أبي وأمي قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فنزل صاحبيه وركب خلف العباس رضي الله عنه فكان كلما مر بنار من نيران المسلمين قالوا من هذا فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس عليها قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته قال العباس ثم خرج عمر رضي الله عنه يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فركضت البغلة وسبقته فاقتحمت عن البغلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر في أثري فقال يا رسول الله هذا أبو سفيان عدو الله قد أمكن الله منه من غير عقد ولا عهد فدعني أضرب عنقه قال العباس رضي الله عنه قلت يا رسول الله اني قد أجرته ولعل العباس وعمر لم يبلغهما قوله صلى الله عليه وسلم انكم لاقون بعضهم فان لقيتم أبا سفيان فلا تقتلوه قال العباس رضي الله عنه ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا يناجيه الليلة دوني رجل فلما أكثر عمر في شان أبي سفيان قلت مهلا يا عمر فوالله لو كان من رجال بني عدي ما قلت هذا ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك يوم أسلمت كان أحب الي من اسلام الخطاب لو أسلم وما بي الا اني عرفت أن اسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلام الخطاب لو أسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب يا عباس به الى رحلك فاذا أصبحت فاتني به كذا في رواية ابن اسحق وذكر موسى بن عقبة وغيره أن العباس قال قلت يا رسول الله أبو سفيان وحكيم وبديل قد أجرتهم وهم يدخلون عليك قال أدخلهم فدخلوا عليه فمكثوا عنده عامة الليل يستخبرهم فدعاهم الى الاسلام وأن يشهدوا أن لا اله الا الله وأنه رسول الله فشهد بديل وحكيم وقال أبو سفيان ما أعلم ذلك والله ان في النفس من هذا شيأ بعد فأرجئها أي أخرها وفي رواية قال له صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان أسلم تسلم قال كيف أصنع باللات والعزى فقال له عمر اخرأ عليهما وكان عمر رضي الله عنه خارج القبة ثم قال عمر أما والله لو كنت خارج القبة ما قلتها فقال أبو سفيان ويحك يا عمر انك رجل فاحش دعني مع ابن عمي فاياه

يهوديا فاتى عبادة بن الصامت فقال له مثل ما قال لابي ذر وأبي الدرداء فتعلق به عبادة وأتى به معاوية فقال هذا والله الذي بعث عليك أبا ذر ثم ان معاوية لما رأى كثرة الاختلاف في ذلك وشكاية الاغنياء ما يلقونه من الفقراء كتب الى عثمان رضي الله عنه ان أبا ذر قد ضيق علينا الامر ويقول كذا وكذا وقد كان كذا وكذا الذي يقوله الفقراء فكتب اليه عثمان رضي الله عنه ان الفتنة قد أخرجت خطمها وعينها ولم يبق الا أن تثب فلا تنكأ القرح وجهز أبا ذر الي وابعث معه دليلا وكفكف الناس ونفسك ما استطعت وكتب عثمان الى أبي ذر رضي الله عنهما أقبل الينا فنحن أرعى لحقك وأحسن جوارا من معاوية فقال أبو ذر رضي الله عنه سمعا وطاعة وتوجه الى المدينة فلما قدم المدينة

أكام فقال صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس فذهب به فلما أصبح أتى به أول النهار على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أن أبا سفيان لما أصبح ورأى الناس بادروا الى الوضوء قال ما للناس أمروا في بشئ قالوا لا ولكنهم قاموا الى الصلاة فأمره العباس فتوضأ وانطلق به فلما كبر صلى الله عليه وسلم كبر الناس ثم ركع فركعوا ثم رفع فرفعوا ثم سجد فسجدوا فقال ما رأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ولا فارس الا كارم ولا الروم ذات القرون باطوع منهم له يا أبا الفضل أصبح ابن أخيك والله عظيم الملك فقال العباس انه ليس بملك ولكنها النبوة فقال أو ذاك فلما رآه صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من الصلاة قال ويحك يا أبا سفيان ألم يان لك أن تعلم أن لا اله الا الله فلما رأى أبو سفيان مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم له بهذا الخطاب اللين العذب وأنه صلى الله عليه وسلم أغضى وضرب صفحا عما جرى منه في عداوته ومحاربته قال بابي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لقد ظننت أنه لو كان مع الله غيره لاغنى عني شيأ لقد استنصرت الهي واستنصرت الهك فوالله ما لقيتك من مرة الا نصرت علي فلو كان الهي محقا والهك مبطلا لكنت غالبتك ثم قال صلى الله عليه وسلم ويحك يا أبا سفيان ألم يان لك أن تعلم أني رسول الله فقال بابي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شئ فخاف عليه العباس أن يبادر أحد بقتله لانه ليس وقت مجادلة لاسيما مع شدة حنق المسلمين عليه فقال له ويحك أسلم واشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قبل ان تضرب عنقك فأسلم وشهد شهادة الحق رضي الله عنه وروى الحافظ الذهبي عن سعيد بن المسيب قال لما دخل صلى الله عليه وسلم مكة ليلة الفتح لم يزالوا في تكبير وتهليل وطواف بالبيت حتى أصبحوا فقال أبو سفيان لهند أترين هذا من الله ثم أصبح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قلت لهند أترين هذا من الله فقال أبو سفيان أشهد أنك عبد الله ورسوله والذي يحلف به ما سمع قولي هذا الا الله وهند وروى ابن عساكر عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم قال خرج صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان جالس في المسجد فقال في نفسه ما أدري بم يغلبنا محمد فأتاه صلى الله عليه وسلم فضرب صدره وقال بالله نغلبك فقال أشهد أنك رسول الله وروى الحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأى أبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي والناس يطؤن عقبه فقال في نفسه لو عاودت هذا الرجل القتال وجمعت له جمعا فجاء عليه السلام حتى ضرب في صدره فقال اذن يخزيك الله فقال أتوب الى الله وأستغفر الله ما أيقنت انك نبي الا الساعة اني كنت لاحدث بذلك نفسي * والحاصل أن أبا سفيان كان في أول الامر مستنكرها فلم يزل صلى الله عليه وسلم يترفق به ويتألفه حتى تمكن الاسلام من قلبه ولقد حضر مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة الطائف ففقئت عينه فجاء بها في يده الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت أرجعها الله ليك خيرا مما كانت وان شئت خيرا منها في الجنة فرمى بها وقال خيرا منها في الجنة وفقئت عينه الاخرى يوم اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه وكان يحث الناس ويحرضهم على القتال ويقول هذا يوم من أيام الله انصروا دين الله ينصركم الله قال أنس ابن مالك رضي الله عنه لقد رأيته أعمى يقوده غلامه يدخل به على عثمان رضي الله عنه في زمن خلافته وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع سنة أربع وثلاثين وقيل سنة احدى وثلاثين وعمره ثمان وثمانون سنة * قال السيوطي في تحفة الادب روى القزويني في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لطم أبو جهل فاطمة رضي الله عنها في أول بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها ائت أبا سفيان فاتته فاخبرته فاخذ بيدها حتى وقف على أبي جهل فقال لها الطميه كما لطمك ففعلت فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فرفع يديه وقال اللهم لا تنسها لابي سفيان قال ابن عباس رضي الله عنهما ما شككت أن اسلامه كان لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أوصى صلى الله عليه وسلم باصحابه وأنصاره وأصهاره وهو من أصهاره لان ابنته أم حبيبة رضي الله عنها كانت زوج النبي صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم اني سألت الله أن لا يدخل النار أحدا ممن صاهرني أو صاهرته فاياك ان تصغي لما ينقله بعض المؤرخين و يتشدق به بعض أهل الزيغ والضلال من الطعن فيه وفي ابنه

ورأى البنيان وصل الى جبل سلع قال بشر أهل المدينة بغارة شعواء وحرب مذكار فلما دخل على عثمان رضي الله عنه قال له عثمان ما لاهل الشام يشكون ذرى لسانك فاخبره بما أمرهم به فقال يا أبا ذر علي أن أقضي ما علي وان أدعو الرعية الى الاقتصاد وارغبهم في الزهد في الدنيا وما علي ان أجبرهم على الزهد فقال أبو ذر رضي الله عنه لا ترضوا من الاغنياء حتى يبذلوا المعروف ويحسنوا الى الجيران والاخوان ويصلوا القرابات وكان حاضرا كعب الاحبار فقال من أدى الفريضة فقد قضى ما عليه فضربه أبو ذر فشجه وقال له يا ابن اليهودية ما أنت وما ههنا فاستوهب عثمان رضي الله عنه شجته فوهبه فقال أبو ذر رضي الله عنه لعثمان رضي الله عنه تاذن لي في الخروج من المدينة فان

أولى أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتكون من الهالكين وماجرى بين الصحابة من الاختلاف فهو محمول على الاجتهاد وكلهم مأجورون ان شاء الله تعالى فنسأل الله أن يحيينا ويميتنا على محبة أهل البيت وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأن لا يجعل لاحد منهم في عنقنا ظلامة * قال موسى بن عقبة قال أبو سفيان وحكيم بن حزام يارسول الله جئت بأوباش الناس ممن يعرف ومن لا يعرف الى أهلك وعشيرتك فقال صلى الله عليه وسلم أنتم أظلم وأفجر فقد غدرتم بعد الحديبية وظاهرتم على بني كعب يعني خزاعة بالاثم والعدوان في حرم الله وأمنه فقال الاصدقت يارسول الله وقال بديل والله يارسول الله لقد غدر وأولو أن قريشا خلوا بيننا وبين عدونا يعني بني بكر ما نالوا منا ثم قالا لو كنت جعلت جدك ومكيدتك لهوازن فهم أبعد رحما وأشد عداوة لك فقال صلى الله عليه وسلم اني لارجو من ربي أن يجمع لي ذلك كله فتح مكة واعزاز الاسلام بها وهزيمة هوازن وغنيمة أموالهم وذراريهم فاني أرغب الى الله تعالى في ذلك ثم قال أبو سفيان يارسول الله ادع الناس بالامان أرأيت ان اعتزلت قريش فكفت أيديها أهم آمنون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم من كف يده وأغلق داره فهو آمن ثم أراد العباس رضي الله عنه تثبيت اسلام أبي سفيان لئلا يدخل عليه الشيطان من حيث انه كان متبوعا فأصبح تابعا ليس له من الامر شئ فقال يارسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيأ قال نعم ثم أعانه أبو بكر رضي الله عنه فقد روى ابن أبي شيبة أن أبا بكر رضي الله عنه قال يارسول الله ان أبا سفيان رجل يحب السماع أي الشرف يعني فاجعل له شيأ فقال صلى الله عليه وسلم من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قال وما تسع داري زاد ابن عقبة ومن دخل دار حكيم فهو آمن وهي من أسفل مكة ودار أبي سفيان بأعلاها ومن دخل المسجد فهو آمن قال وما يسع المسجد قال ومن أغلق بابه فهو آمن قال أبو سفيان هذه واسعة وأمر صلى الله عليه وسلم مناديه أن ينادي بذلك كله الامن استثناهم النبي صلى الله عليه وسلم وأمر بقتلهم كما سيأتي ثم قال له العباس النجاء الى قومك أي بعد أن حبسه حتى مرت عليه جنود الله كما سيأتي وفي رواية أنه صلى الله عليه وسلم بعث أبا سفيان وحكيم بن حزام الى أهل مكة ينادون فيهم بذلك حتى اذا جاء أبو سفيان قومه صرخ بأعلى صوته يامعشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به اسلموا تسلموا من دخل دار أبي سفيان فهو آمن قالوا قاتلك الله وما تغني عنا دارك قال ومن أغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن فقامت اليه هند زوجته فأخذت بشاربه وقالت اقتلوا الحميت أي الزق الضخم الدسم الاحمس قبحت من طليعة قوم وفي رواية انها أخذت بلحيته ونادت يا آل غالب اقتلوا الشيخ الاحمق هلا قاتلتم ودفعتم عن أنفسكم وبلادكم فقال لها ويحك اسكتي وادخلي بيتك والله لتسلمن أو لاضربن عنقك وقال لهم ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فقد جاءكم بما لا قبل لكم به فتطرقوا الى دوركم والى المسجد وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال قبل مجيء أبي سفيان ومن معه اليه ان بمكة أربعة نفر أربأ بهم عن الشرك وأرغب بهم في الاسلام عتاب بن أسيد وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وسهيل ابن عمرو وهذا يدل على أن جبيرا أسلم يوم الفتح لكن ذكر معه وقيل ان اسلامه كان قبل ذلك وحكيم بن حزام رضي الله عنه أبوه حزام بن خويلد أخ لخديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنها فهي عمة حكيم وكان عمره حين أسلم ستين سنة وعاش في الاسلام ستين وتوفي وعمره مائة وعشرون سنة وكان من أشراف قريش في الجاهلية والاسلام أعتق في الجاهلية مائة رقبة وفي الاسلام مثل ذلك فانه حج في الاسلام ووقف بعرفة وأعتق بها مائة وصيف في أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها عتقاء لله عن حكيم بن حزام وأهدى مائة بدنة قد جللها بالحبرة وأهدى ألف شاة رضي الله عنه ولما أراد صلى الله عليه وسلم السير من مر الظهران قال للعباس رضي الله عنه لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر فاحبسه عند خطم الجبل حتى يرى جنود الله وجاء أن أبا بكر رضي الله عنه هو الذي قال يارسول الله لو أمرت بأبي سفيان فحبس على الطريق فحبسه العباس بالمضيق دون الاراك وفي رواية ومعه حكيم بن حزام فقال أبو سفيان أغدرا قال لا ولكن لي اليك حاجة حتى تنظر جنود الله وما أعد الله للمشركين وفي رواية قال له ان أهل النبوة لا يغدرون وأمر صلى الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني بالخروج منها اذا بلغ البناء سلعا فأذن له فنزل الربذة وبنى بها مسجدا وأقطعه عثمان رضي الله عنه صرمة من الابل وأعطاه مملوكين وأجرى عليه كل يوم عطاء وكان أبوذر رضي الله عنه يتعاهد المدينة مخافة ان يعود اعرابيا وأرسل معاوية اليه أهله من الشام ومكث أبوذر رضي الله عنه بالربذة الى أن توفي * ولما قدم الربذة كان بها مولى لعثمان رضي الله عنه اسمه مجاشع يلي الصدقة وكان يصلي بالناس فلما أقيمت الصلاة قال تقدم يا أباذر فقال لا تقدم أنت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي اسمع وأطع وان كان عليك عبد مجدع فأنت عبد ولست بأجدع فهذه قصة أبي ذر مع عثمان رضي الله عنهما التي ثبتت عند أئمة الحديث ولا لوم فيها على أحد منهما بل كل

عليه وسلم كل قبيلة ان تكون عند راية صاحبها وتظهر ما معها من القوة والعدة فأصبح الناس على ظهر
وقدم بين يديه الكتائب ومرت القبائل على قاداتها والكتائب على راياتها فجعلت القبائل تمر كتيبة كتيبة
والكتيبة بالتاء المثناة القطعة من الجيش وأبو سفيان ينظر اليهم ويسأل عنهم وأول من قدم خالد بن الوليد
رضي الله عنه في بني سليم وهم ألف وقيل تسعمائة معهم لواآن يحملهما العباس بن مرداس وخفاف بن
ندبة فمر بأبي سفيان كبروا ثلاثا فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء فقال خالد بن الوليد فقال الغلام
قال نعم قال ومن معه قال بنو سليم قال مالي ولبني سليم ثم مر على أثره الزبير بن العوام رضي الله عنه في خمسمائة
من المهاجرين وأفناء العرب فكبروا ثلاثا فقال أبو سفيان للعباس من هؤلاء قال الزبير بن العوام قال ابن
أختك قال نعم ثم مرت كتيبة بني غفار في ثلثمائة يحمل رايتهم أبو ذر رضي الله عنه فلما حاذوه كبروا ثلاثا
فقال يا عباس من هؤلاء قال غفار قال مالي ولغفار ثم مرت أسلم في أربعمائة فيها لواآن يحملهما بريدة بن
الحصيب وناجية بن الاعجم فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال أسلم قال مالي ولاسلم ثم مرت بنو كعب
ابن عمرو وهم خزاعة في خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان فلما حاذوه كبروا ثلاثا فقال من هؤلاء قال
بنو كعب اخوة أسلم قال هؤلاء حلفاء محمد قال نعم ثم مرت مزينة فيها مائة فرس وثلاثة ألوية يحملها النعمان
وعبد بن عمرو بن عوف و بلال بن الحرث فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال مزينة قال مالي ولمزينة
قد جاءتني تقعقع من شواهقها ثم مرت جهينة في ثمانمائة فيها أربعة ألوية يحملها معبد بن خالد وسويد بن
صخر ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال جهينة قال مالي ولجهينة والله
ما كان بيني وبينهم حرب قط ثم مرت كنانة بنو ليث وضمرة وسعد بن بكر في مائتين يحمل لواءهم أبو واقد
الليثي فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال من هؤلاء قال بنو بكر قال نعم أهل شؤم والله هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم
ثم مرت أشجع وهم ثلثمائة معهم لواآن يحملهما معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الاشجعي فكبروا ثلاثا
قال من هؤلاء قال أشجع قال هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد فقال له العباس أدخل الله الاسلام في قلوبهم
فهذا فضل الله ومرت بنو تميم و بنو فزارة وسعد بن هذيم وهم من قضاعة فصنعوا مثل ذلك وقيل ان مرور
هؤلاء كان قبل أشجع وان أشجع كانت آخرهم ثم قال أبو سفيان أبعد ما مضى محمد فقال له العباس
لو أتت الكتيبة التي محمد فيها رأيت الخيل والحديد والرجال وما ليس لاحد به طاقة قال ومن له بهؤلاء طاقة
و جعل الناس يمرون وهو يقول عند مرور كل قبيلة ما مر محمد فيقول العباس لا حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها
اذ في كل بطن منها لواء وهم في الحديد لا يرى منهم الا الحدق فيهم ألفا دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال أبو سفيان من هؤلاء قال هؤلاء الانصار عليهم سعد بن عبادة رضي الله عنه معه راية الانصار
وتقدم أن راية المهاجرين كانت مع الزبير رضي الله عنه وكان جلة من كبار المهاجرين مع النبي صلى الله عليه
وسلم والانصار وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفي رواية ثم جاءت
كتيبة خضراء فيهم ألفا دارع وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون والانصار وفيها الرايات
والالوية مع كل بطن من بطون الانصار لواء وراية وهم في الحديد لا يرى منهم الا الحديد ولعمر بن الخطاب
رضي الله عنه فيها زجل بصوت عال وهو يقول رويدا يلحق أولكم آخركم وفي رواية قال أبو سفيان
سبحان الله يا عباس من هؤلاء قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصار فقال ما لاحد بهؤلاء قبل
ولا طاقة والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيما فقال يا أبا سفيان انها النبوة فقال نعم اذن
فلما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان قال يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة أي يوم الحرب الذي لا يوجد منه مخلص
اليوم تستحل الكعبة أي يقتل من أهدر دمه ولو تعلق بأستار الكعبة فقال أبو سفيان يا عباس حبذا يوم
الذمار أي حبذا يوم الهلاك تمنى أبو سفيان أن يكون له يد وقوة فيحمي قومه و يدفع عنهم وقيل معناه هذا
يوم الغضب للحريم والاهل والانتصار لهم لمن قدر عليه قال ذلك غلبة وعجزا وقيل المعنى هذا يوم يلزمك
فيه حفظي وحمايتي لقربك من النبي صلى الله عليه وسلم وسمع مقالة سعد بن عبادة رجل من المهاجرين

منهم ما كان على هدى من الله
تعالى ولم يزل أبو ذر ملازما
طاعة عثمان رضي الله عنه
بعد خروجه الى الربذة حتى
توفاه الله تعالى وليس في
القصة ان عثمان رضي الله
عنه أكرهه على الخروج
الى الربذة بل هو الذي اختار
ذلك وأخبر ان النبي صلى
الله عليه وسلم أمره بذلك
اذا بلغ البناء سلعا وقد بالغ
الرافضة والخوارج في
حكاية هذه القصة وذكروا
أشياء تمجها الاسماع
ولا تقبلها عقول أهل الايمان
توصلوا بذلك الى الطعن على
عثمان رضي الله عنه فقالوا
ان معاوية كتب الى عثمان
ان أبا ذر يفسد عليك
الناس فكتب اليه عثمان
رضي الله عنه ان أشخصه
الى على مركب وعر
وسائق عنيف فأشخصه
معاوية رضي الله عنه على
تلك الصورة فلما وصل الى
عثمان أخرجه الى الربذة
* فهذا الذي ذكروه

قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل سمعها رجلان وهما عثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما فقالا يا رسول الله ما نأمن أن تكون لسعد صولة في قريش فقال لعلي رضي الله عنه أدركه فخذ الراية منه ثم أمره أن يسلمها لابنه قيس بن سعد بن عبادة ورأى صلى الله عليه وسلم أن الراية لم تخرج عنه حيث صارت لابنه وقيل انما أمر بأخذ الراية منه حين حاذى النبي صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فانه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما حاذاه وهو مار في جنود الله أمرت بقتل قومك قال لا فذكر له أبو سفيان ما قال سعد بن عبادة ثم ناشده الله والرحم أي قال له أنشدك الله في قومك فانك أبر الناس وأرحمهم وأوصلهم فقال يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم يعز الله قريشا أي بالاسلام والدين وبانقاذهم من الضلال المبين وفي رواية ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة ويوم تكسى فيه الكعبة أشار بهذا الى أنه صلى الله عليه وسلم هو الذي يكسوها ذلك العام وقد وقع ذلك فالمراد من اليوم الزمان ثم أرسل الى سعد فأخذ الراية منه فدفعها لابنه قيس رضي الله عنه وروى ابن عساكر عن جابر رضي الله عنه قال لما قال سعد بن عبادة ذلك القول تعرضت امرأة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت

يا نبي الهدى اليك لجا حي قريش ولات حين لجاء * حين ضاقت عليهم سعة الار
ض وعاداهم اله السماء * والتقت حلقتا البطان على القو * م ونودوا بالصيلم الصلعاء
ان سعدا يريد قاصمة الظهـ * ـر باهل الحجون والبطحاء * خزرجي لو يستطيع من
الغيظ رمانا بالنسر والعواء * وغر الصدر لا يهم بشيء * غير سفك الدما وسبي النساء
قد تلظى على البطاح وجاءت * عنه هند بالسوءة السوآء * اذ ينادي بذل حي قريش
وابن حرب بذا من الشهداء * فلئن أقحم اللواء ونادى * يا حماة الادبار أهل اللواء
ثم ثابت اليه من بهم الخز * رج والاوس أنجم الهيجاء * لتكونن بالبطاح قريش
دقعة القاع في أكف الاماء * فانهينه فانه أسد الاسد لدى الغاب والغ في الدماء
انه مطرق يريد لنا الا * مر سكوتا كالحية الصماء

فلما سمع صلى الله عليه وسلم هذا الشعر دخلته رأفة ورحمة فأمر بالراية فأخذت من سعد ودفعت لابنه قيس وجاء انه لما جاءه الرسول من النبي صلى الله عليه وسلم بتسليمها لابنه أبى أن يسلمها الا بامارة من النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه بعمامته فسلمها لابنه وجاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم سلمها لعلي وفي بعضها انه سلمها للزبير بن العوام فدخل مكة برايتين قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر في الجمع بين الروايات أنه صلى الله عليه وسلم أرسل عليا رضي الله عنه لينزعها ويدخل بها ثم خشي تغير خاطر سعد فأمر بدفعها لابنه قيس ثم ان سعدا خشي أن يقع من ابنه شيء ينكره النبي صلى الله عليه وسلم فسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذها منه فحينئذ أخذها الزبير ثم بعد مرور جنود الله كلها بأبي سفيان قال له العباس النجاء الى قومك فجاء اليهم يصيح بالأمان فأسكتته زوجته وقالت اقتلوه الى آخر ما تقدم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز رايته بالحجون قال عروة بن الزبير أخبرني نافع بن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت العباس يقول للزبير رضي الله عنهما في حجة اجتمعوا فيها بمكة في خلافة عمر رضي الله عنه يا أبا عبد الله ههنا أمرك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تركز الراية قال نعم قال الحلبي في السيرة وفي ذلك المحل بني مسجد يقال له مسجد الراية ودخل صلى الله عليه وسلم من الثنية العليا وأمر خالد بن الوليد ومن معه أن يدخلوا من الثنية السفلى روى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته القصواء مردفا أسامة بن زيد رضي الله عنهما خلفه وهذا من مزيد تواضعه وكريم أخلاقه حيث أردف في هذا الموكب العظيم خادمه وابن خادمه رضي الله عنهما والمتكبر يعد ارداف ابنه اذا ركب في السوق عارا عليه ماذاك الا تكبر برأ الله منه نبيه صلى الله عليه وسلم وفي رواية ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الجمعة معتجرا بشقة برد حبرة حمراء وفي رواية وعليه عمامة سوداء حرقانية واضعا

وأمثاله مما هو مذكور في كتبهم كله كذب وبهتان لم يثبت شيء منه عند أئمة الحديث العالمين بصحيحه وسقيمه فلا عبرة بما يخالف ما علموه وثبت عندهم بالاسانيد الصحيحة * ومن تلك الشبه التي ألقوها الى ضعفاء الايمان ما وقع بين عثمان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما وذلك ان عثمان رضي الله عنه لما جمع القرآن وكتب المصاحف وأثبت فيها ما تواتر من القرآن جمع المصاحف التي فيها شواذ القرآآت المخالفة للمتواتر فأحرقها منها مصحف عبد الله ابن مسعود وأبي بن كعب فغضب لذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ووقع بينه وبين عثمان رضي الله عنه كلام أوجب المهاجرة بينهما وكان كل منهما مجتهدا مأجورا في قوله لا لوم على واحد منهما والرافضة يبالغون في حكاية هذه

رأسه الشريف على رحله تواضعا لله تعالى حين رأى ما رأى من فتح الله وكثرة المسلمين وهو يقول اللهم ان العيش عيش الآخرة وفي رواية دخل وعلى رأسه المغفر و يمكن الجمع بين ذلك كله وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما دخل صلى الله عليه وسلم عام الفتح أى لما أراد الدخول رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم والتفت الى أبي بكر رضي الله عنه وقال يا أبا بكر كيف قال حسان فانشده قوله

عدمت بنيتي ان لم تروها * تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الاعنة مسرجات * يلطمهن بالخمر النساء

فقال صلى الله عليه وسلم ادخلوها من حيث قال حسان وروى الطبراني عن العباس رضي الله عنه قال لما بعث صلى الله عليه وسلم ذلك لابي سفيان بن حرب اسلم بنا قال والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء قلت ما هذا قال شئ طلع بقلبي لان الله لا يطلع هناك خيلا أبدا قال العباس رضي الله عنه فلما طلع صلى الله عليه وسلم من هناك ذكرت أبا سفيان به فذكره وتقدم هذا الحديث باطول من هذا وانهما توجها الى اليمن في تجارة واجتمعا بحبر من أحبار اليهود وسألاه عن النبي صلى الله عليه وسلم فسألهما عن صفاته فوصفاه له فقال هو ذبحتهم ودوقام وترك رداءه فتعجب أبو سفيان من تصديق اليهود به وخوفهم منه فقال له العباس ألا تسلم بنا فقال لا والله حتى أرى الخيل تطلع من كداء الى آخر الحديث قال الحافظ ابن حجر وقد ساق موسى بن عقبة دخول خالد والزبير سياقا واضحا موافقا للاحاديث الصحيحة فقال و بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام على المهاجرين وخيلهم وأمره أن يدخل من كداء بالفتح والمد وأمره أن يركز رايته بالحجون وان يمكث عند الراية ولا يبرح حتى يأتيه و بعث خالد بن الوليد في قبائل منها قضاعة وسليم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم وأمره أن يدخل من أسفل مكة وان يغرز رايته عند أدنى البيوت أى أقربها الى الثنية التي دخل منها وهو أول بيوت مكة من الجهة التي دخل منها وكان لواؤه صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة أبيض ورايته سوداء تسمى العقاب وكانت من برد لعائشة رضي الله عنها وجعل أبا عبيدة على الرجالة أى المشاة و بعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار وكانت معه الراية حتى نزعت منه واستمر بالراية في مقدمة كتيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم صلى الله عليه وسلم أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم فاندفع خالد بن الوليد رضي الله عنه حتى دخل من أسفل مكة وقد تجمع بها ناس من بني بكر و بني الحرث بن عبد مناف وناس من هذيل الذين استنصرت بهم قريش فقاتلوا خالدا ومنعوه الدخول وشهروا السلاح ورموه بالنبل وقالوا لا تدخلها عنوة فصاح خالد في أصحابه فقاتلهم فانهزموا أقبح الانهزام وقتل من بني بكر نحو أربعة وعشرين رجلا ومن هذيل أربعة حتى انتهى بهم القتال الى الحزورة وكانت سوقا بمكة ثم دخلوا الدور وارتفعت طائفة منهم على الجبال هربا وتبعهم المسلمون فصاح حكيم بن حزام وأبو سفيان يا معشر قريش علام تقتلون أنفسكم من دخل داره فهو آمن ومن وضع السلاح فهو آمن فجعلوا يقتحمون الدور و يغلقون أبوابها و يطرحون السلاح في الطرق فيأخذه المسلمون وروى ابن اسحق ان أصحاب خالد لقوا ناسا من قريش منهم صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو تجمعوا بالخندمة ليقاتلوا المسلمين فناوشوهم شيأ من القتال فقتل من أصحاب خالد مسلمة بن الميلا الجهني وقتل من المشركين اثنا عشر أو ثلاثة عشر ثم انهزموا وفي ذلك يقول حماش بن قيس يخاطب امرأته حين لامته على الفرار وقد كان سابقا يصلح سلاحه و يعدها أن يأتيها ببعض اسرى المسلمين يكون خادما لها وكانت أسلمت سرا وفي رواية انها رأته وهو يبري نبلا له فقالت له لم تبري هذا النبل قال بلغني أن محمدا يريد أن يفتح مكة و يغزوها فلئن كان لاخدمنك خادما من بعض من نستأسره فقالت والله لكأني بك قد رجعت تطلب مخبأ أخبؤك فيه لو رأيت خيل محمد فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح أقبل اليها وقال ويحك هل من مخبأ فقالت له وأين الخادم فقال لها دعيني عنك وأنشد يقول

انك لو شهدت يوم الخندمه * اذ فر صفوان وفر عكرمه

القصة و يقولون ان عثمان رضي الله عنه أمر غلاما له اسود فرفع ابن مسعود وأخرجه من المسجد ورمى به الى الارض وضرب به الى غير ذلك مما ذكروه فكله بهتان واختلاق لا يصح شئ منه وهؤلاء الجهلة لا يتحاشون الكذب فيما يروونه موافقة لاغراضهم اذ لا ديانة لهم تردهم عن ذلك قال أهل السنة وعلى تقدير صحة صدق شئ من ذلك من الغلام يكون فعله من نفسه غضبا لمولاه فان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يغلظ في الكلام على عثمان رضي الله عنه و يلقاه بما يكره وعثمان رضي الله عنه كان يصبر على ذلك وعلى تقدير ان ذلك صدر من الغلام بأمر من عثمان رضي الله عنه يكون محمولا على التأديب فان منصب الخلافة لا يحتمل على ذلك لما فيه من تضييع الهيبة بين الخاص والعام ولم يزد أب

وأبو يزيد قائم كالمؤتمه * واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه * ضربا فلا تسمع الا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه * لم تنطقى فى اللوم أدنى كلمه

وكان شعار المهاجرين يوم الفتح وحنين والطائف يابنى عبد الرحمن وشعار الخزرج يابنى عبد الله وشعار الاوس يابنى عبيد الله وقتل من أصحاب خالد أيضا رجلان حبيش بن الاشعر الخزاعى أخو أم معبد التى مربها النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا وكرز بن جابر الفهرى وهذا أسلم بعد غزوة بدر وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين وهو الذى أغار على سرح النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة بدر الاولى ثم لما أسلم استعمله النبى صلى الله عليه وسلم وبعثه فى طلب العرنيين كما تقدم ولما وقع القتال باسفل مكة نظر صلى الله عليه وسلم الى بارقة السيوف فقال ماهذا وقد نهيت عن القتال فقالوا نظن ان خالدا قوتل وبدئ بالقتال فلم يكن له بد أن يقاتلهم وجاء فى رواية انه قيل له يارسول الله هذا خالد بن الوليد يقتل فقال قم يافلان فقل له فليرفع يديه من القتل فأتاه الرجل فقال له ان نبى الله يقول لك اقتل من قدرت عليه وأجرى الله ذلك على لسانه فقتل سبعين فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فارسل اليه الا آمرك ان تنذر خالدا قال أردت أمرا فاراد الله أمرا فكان أمر الله فوق أمرك وما استطعت الا الذى كان فسكت صلى الله عليه وسلم وما رد عليه وقوله قتل سبعين لا ينافى رواية أربعة وعشرين لان زيادة الثقة مقبولة والاقل داخل فى الاكثر وقال موسى بن عقبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن لخالد رضى الله عنه قاتلت وقد نهيتك عن القتال فقال هم بدؤنا بالقتال وقد كففت يدى ما استطعت فقال صلى الله عليه وسلم قضاء الله خير وجاء فى رواية ان قريشا وبشت أوباشا لها أى جمعت جموعا من قبائل شتى فنادى صلى الله عليه وسلم أبا هريرة رضى الله عنه وقال له اهتف لى بالانصار فهتف بهم فجاؤا وأطافوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ترون الى أوباش قريش وأتباعهم ثم قال بيديه احداهما على الاخرى احصدوهم حصدا حتى توافونى بالصفا قال أبو هريرة رضى الله عنه فانطلقنا فما نشاء أن تقتل أحدا منهم الا قتلناه لا يقدر أن يدفع عن نفسه فجاء أبو سفيان فقال يارسول الله أبيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم من أغلق بابه فهو آمن أى أمر أن ينادى بذلك ويعلن به ووجه صلى الله عليه وسلم اللوم على خالد بن الوليد فقال يارسول الله هم بدؤنا بالقتال وقد كففت ما استطعت ودعوتهم الى الاسلام فابوا حتى اذا لم أجد بدا قاتلتهم فظفرنا الله بهم فهربوا فى كل وجه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء الله خير وجاء فى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال كفوا القتال الا خزاعة عن بنى بكر الى صلاة العصر وهى الساعة التى أحلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان دخوله صلى الله عليه وسلم لعشر بقين من رمضان ومعه صلى الله عليه وسلم زوجتاه أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما * وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استثنى أناسا من الدخول فى الامان وأمر بقتلهم وهم خمسة عشر ما بين رجل وامرأة عبد الله بن أبى سرح وعبد الله بن خطل وقينتان كانتا عنده تغنيان بهجاء النبى صلى الله عليه وسلم والمسلمين وعكرمة بن أبى جهل والحويرث بن نقيد ومقيس بن صبابة وهبار بن الاسود وكعب بن زهير والحرث بن هشام وهو أخو أبى جهل لابويه وزهير بن أبى أمية وسارة وهى مولاة لبنى المطلب وصفوان بن أمية وهند بنت عتبة زوج أبى سفيان أم معاوية ووحشى قاتل حمزة وأكثر هؤلاء أسلموا كما سيأتى بيانه أما عبد الله بن أبى سرح بن الحرث العامرى فانه كان أسلم ثم ارتد ولحق بمكة وصار يتكلم كلام قبيح فى حق النبى صلى الله عليه وسلم فاهدر دمه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فلما علم باهدار دمه لجأ الى عثمان ابن عفان رضى الله عنه وكان أخاه من الرضاع فقال ياأخى استأمن لى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقى فغيبه عثمان رضى الله عنه حتى هدأ الناس واطمأنوا ثم أتى به اليه صلى الله عليه وسلم وصار يقول عثمان يارسول الله أمنته فبايعه والنبى صلى الله عليه وسلم يعرض عنه مرارا ثم قال نعم فبسط يده فبايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال صلى الله عليه وسلم لمن حوله أعرضت عنه مرارا ليقوم اليه بعضكم فيضرب

ان الخلفاء والامراء يؤدبون من رأوا منه الخلاف وقالوا ان عثمان رضى الله عنه حبس عطاء بن مسعود خمس سنين فعلى تقدير صحة ذلك يحمل أيضا على التأديب ولم يقصد عثمان رضى الله عنه حرمانه البتة وانما أخره الى غاية اقتضى نظره التأخير اليها أدبا ثم لما توفى ابن مسعود دفع ذلك لورثته * وبالجملة فتلك أمور اجتهادية كل منهم مأجور عليها لانها لم تصدر عن غرض وعلة لان النبى صلى الله عليه وسلم قد أثنى عليهم وأخبر عنهم بانهم مغفور لهم وان لهم الجنة فيجب تأويل ما حصل بينهم وحمله على أحسن المحامل تحسينا للظن بهم وصيانة لكلام النبى صلى الله عليه وسلم وحذرا من تكذيبه فى شئ مما أخبر به عنهم * ولما قدم على رضى الله عنه الكوفة قام اليه رجل فعاب عثمان على جمع

عنقه وكان عباد بن بشر رضي الله عنه نذر ان رأى عبد الله بن أبي سرح قتله وكان قائما على رأس النبي صلى الله عليه وسلم وهو متقلد سيفه ينتظر النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه أن يقتله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انتظرتك ان تفي بنذرك فقال يارسول الله خفتك أفلا أومضت الي فقال انه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الاعين وهو الايماء باطرف قال الزرقاني ثم أدركته العناية الازلية وأتته السعادة الابدية فاسلم وحسن اسلامه وعرف فضله وجهاده وكان على ميمنة عمرو بن العاص رضي الله عنه في فتح مصر وكانت له المواقف المحمودة في الفتوح وهو الذي افتتح افريقية في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ثمان أو سبع وعشرين وكان ذلك الفتح من أعظم الفتوح بلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وغزا الاساود من النوبة سنة احدى وثلاثين وهادن باقي النوبة الهدنة الباقية بعده وغزا ذات الصواري سنة أربع وثلاثين وولاه عمر رضي الله عنه صعيد مصر ثم ضم اليه عثمان رضي الله عنه مصر كلها وكان محمودا في ولايته واعتزل الفتنة حتى مات سنة سبع أو تسع وخمسين وروى البغوي باسناد صحيح عن يزيد بن أبي حبيب قال لما كان عند الصبح قال ابن أبي سرح اللهم اجعل آخر عملي الصبح فتوضأ ثم صلى فسلم عن يمينه ثم ذهب يسلم عن يساره فقبض الله روحه رضي الله عنه * وأما عبد الله بن خطل فانه انما أمر بقتله لانه كان ممن قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم وكان اسمه عبد العزى فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وبعثه لاخذ الصدقة وأرسل معه رجلا من الانصار يخدمه وفي رواية كان معه مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وأمر أن يذبح له تيسا ويصنع له طعاما ونام ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيأ وهو نائم فعدا عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكان شاعرا فجعل يهجو النبي صلى الله عليه وسلم في شعره وكان له قينتان تغنيانه بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يصنعه وقد جاء أنه يوم فتح مكة ركب فرسه ولبس درعه وأخذ بيده قناة وصار يقسم لايدخلها محمد عنوة فلما رأى خيل الله دخله الرعب فانطلق الى الكعبة فنزل عن فرسه وألقى سلاحه ودخل تحت أستارها فاخذ رجل سلاحه وركب فرسه ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجون فاخبره فامر بقتله وقيل لما طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكعبة قيل هذا ابن خطل متعلقا بأستار الكعبة فقال اقتلوه فان الكعبة لاتعيذ عاصيا ولا تمنع من اقامة حد واجب فقتله سعيد بن حريث وأبو برزة الاسلمي وقيل الزبير وقيل سعيد بن ذؤيب وقيل سعيد بن زيد والظاهر انهم اشتركوا في قتله جمعا بين الاقوال وأمر صلى الله عليه وسلم بقتل قينتيه فقتلت احداهما واستؤمن رسول الله صلى الله عليه وسلم للاخرى فامنها فاسلمت وأما عكرمة بن أبي جهل فانما أمر صلى الله عليه وسلم بقتله لانه كان من أشد الناس اذية للنبي صلى الله عليه وسلم وكان أشد الناس على المسلمين ولما بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم أهدر دمه هرب ليلقي نفسه في البحر أو يموت تائها في البلاد وكانت امرأته أم حكيم رضي الله عنها بنت عمها الحرث بن هشام رضي الله عنه أسلمت قبله فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو داود والنسائي ان عكرمة ركب البحر أي حين هرب فاصابتهم ريح عاصف فنادى عكرمة اللات والعزى فقال أهل السفينة أخلصوا ان آلهتكم لا تغني عنكم شيأ ههنا فقال عكرمة والله لئن لم ينج من البحر الا الاخلاص لاينجي في البر غيره اللهم لك عهد ان أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمدا حتى أضع يدي في يده فلا أجدنه الا عفوا غفورا كريما فجاء وأسلم أي بعد ان ذهبت اليه زوجته وجاءت به وقد ذكر كثير من المفسرين انه نزل فيه واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وروى البيهقي ان امرأته قالت يارسول الله قد ذهب عكرمة عنك الى اليمن وخاف أن تقتله فامنه فقال هو آمن فخرجت في طلبه فادركته وقد ركب سفينة ونوتي يقول له أخلص اخلص قال ما أقول قال قل لا اله الا الله قال ماهربت الا من هذا وان هذا أمر تعرفه العرب والعجم حتى النواتي ما الدين الا ماجاء به محمد صلى الله عليه وسلم قال وغير الله قلبي وجاءت أم حكيم تقول يا ابن عم جئتك من عند أبر الناس وخير الناس لا تهلك نفسك اني قد استأمنت لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع معها وجعل يطلب جماعها فتأبى وتقول أنت كافر وانا مسلمة فقال ان أمرا منعك مني لامر كبير

الناس على المصحف فصاح به علي رضي الله عنه وقال له اسكت فعن ملأ منا فعل ذلك عثمان فلو وليت منه ماولي عثمان لسلكت سبيله فهذا يدل على ان عثمان رضي الله عنه انما فعل ذلك باجماع كبار الصحابة ومنهم علي رضي الله عنه وعنهم *ومن الشبه التي أوقعوها في قلوب ضعفاء الايمان ان عثمان رضي الله عنه عزل جماعة من الصحابة رضي الله عنهم عن ولايات ولاهم اياها عمر بن الخطاب رضي الله عنه *منهم أبو موسى الاشعري عزله عن البصرة وولاها عبد الله بن عامر *ومنهم عمرو بن العاص رضي الله عنه عزله عن مصر وولاها عبد الله بن أبي سرح وكان قد ارتد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم وأهدر دمه عام الفتح فاخذ له عثمان رضي الله عنه الامان من النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاءبه

فلما وافى مكة أو المدينة قال صلى الله عليه وسلم يأتيكم عكرمة فلا تسبوا أباه فان سب الميت يؤذي الحي قال الزهري وابن عقبة فلما رآه صلى الله عليه وسلم وثب قائما فرحا به ورمى عليه رداءه وقال مرحبا بمن جاء مؤمنا مهاجرا فوقف بين يديه صلى الله عليه وسلم ومعه زوجته أم حكيم بنت الحرث بن هشام رضي الله عنها وهي منتقبة فقال ان هذه أخبرتني انك أمنتني فقال صلى الله عليه وسلم صدقت فانت آمن فقال الام تدعو قال أدعو الى أن تشهد أن لا اله الا الله واني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وكذا وكذا حتى عد خصال الاسلام قال ما دعوت الا الى خير وأمر حسن جميل قد كنت فينا يا رسول الله قبل أن تدعو نا وأنت أصدقنا حديثا وأبرنا ثم قال فاني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال ثم ماذا قال تقول أشهد الله وأشهد من حضرني اني مسلم مجاهد مهاجر فقال عكرمة ذلك رواه البيهقي وفي رواية قال عكرمة أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وطأطأ رأسه من الحياء فقال له يا عكرمة ما تسألني شيأ أقدر عليه الا أعطيتكه قال استغفر لي كل عداوة عاديتكها فقال اللهم اغفر لعكرمة كل عداوة عادانيها أو منطق تكلم به ورد صلى الله عليه وسلم زوجته أي أبقاها على نكاحها الاول حيث اجتمعا في الاسلام قبل تمام عدتها وكان بعد ذلك من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وروى ابن عبد البر انه صلى الله عليه وسلم رأى في منامه انه دخل الجنة ورأى فيها عذقا فأعجبه فقال ان هذا قيل لابي جهل فشق عليه وقال لا يدخلها الا نفس مؤمنة فلما جاءه عكرمة بن أبي جهل مسلما فرح به وأول ذلك العذق بعكرمة واستدل بذلك على تاخر الرؤيا وأنها قد تكون لغير من ترى له ولم يزل عكرمة رضي الله عنه مستقيم الحال حتى استشهد في الشام في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقيل انما استشهد في خلافة عمر رضي الله عنه وتفصيل ذلك ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما فرغ من قتال أهل الردة وقوم مسيلمة الكذاب جهز الجيوش لغزو الروم وأمر عليهم أبا عبيدة رضي الله عنه ثم عزله وولى خالد بن الوليد رضي الله عنه وكان ممن خرج مع الناس عكرمة بن أبي جهل والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو رضي الله عنهم ووقفوا أنفسهم للجهاد وانهم لا يرجعون فحضر وافتوح الشام بعد حروب كثيرة ثم توفي أبو بكر رضي الله عنه واستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فولى أبا عبيدة رضي الله عنه على الجنود وأبقى خالد بن الوليد رضي الله عنه أميرا من الامراء تحت أمر أبي عبيدة فخرجوا من الشام لفتح بقية المدائن التي حوله ففتحوا بعلبك ومدائن كثيرة ثم توجهوا لفتح حمص ولاقتهم الروم بجموع كثيرة فاقتتلوا مع المسلمين قتالا شديدا ولم يكن أحد في يوم حمص أشد قتالا وأكثر بأسا من عكرمة بن أبي جهل حتى كان يقصد الاسنة بنفسه فقيل له اتق الله وارفق بنفسك فقال يا قوم أنا كنت أقاتل عن الاصنام فكيف اليوم وأنا أقاتل في طاعة الملك العلام واني أرى الحور العين يتشوقن الي ولو بدت واحدة منهن لاهل الدنيا لاغنتهم عن الشمس والقمر ولقد صدقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما وعد ثم سل سيفه وغاص في الروم ولم يزده الا اقداما وقد عجبت الروم من حسن صبره وقتاله فبينما هو كذلك اذ حمل عليه البطريق الكبير من بطارقتهم ويسمى هربيس وبيده حربة عظيمة تضيء وتلتهب فهزها في كفه وضربه بها فوقعت في قلبه ومرقت من ظهره فاستشهد وعجل الله بروحه الى الجنة رضي الله عنه فوقف عليه ابن عمه خالد ابن الوليد رضي الله عنه وبكى بكاء شديدا ثم كر سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين على البطريق الذي قتل عكرمة فقتله وعجل الله بروحه الى النار ثم فتح الله عليهم حمص وكان جملة من قتل من الكفار في ذلك اليوم خمسة آلاف وجملة من استشهد من المسلمين مائتان وخمسة وثلاثون رجلا رضي الله عنهم * وفي الاحياء للامام الغزالي في كتاب تلاوة القرآن كان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي رضي الله عنه ولما انقضت عدة زوجته أم حكيم رضي الله عنها وكانت خرجت مع زوجها الى الشام تزوجها خالد بن سعيد رضي الله عنه وأراد أن يدخل بها فجعلت تقول لو أخرت الدخول حتى يفضي الله هذه الجموع تعني الروم فقال خالد ان نفسي تحدثني اني أصاب في جموعهم قالت فدونك فدخل بها في خيمته فلما أصبح الصبح الاول والروم قد اصطفت نخرج خالد رضي الله عنه فقاتل حتى قتل فشدت أم

وأسلم * ومنهم عمار بن ياسر رضي الله عنهما عزله عن الكوفة ومنهم المغيرة ابن شعبة رضي الله عنه عزله عن الكوفة وأشخصه الى المدينة والجواب عن ذلك كله واضح * أما أبو موسى فكان عذره في عزله أوضح من أن يذكر فان أهل البصرة والكوفة كان كل منهم يشكو من أبي موسى أشياء يزعمونها ولو لم يعزله اضطربت البصرة حينئذ والكوفة وأعمالهما فعزله وولى عبد الله بن عامر بن كريز وكان صحابيا من سادات قريش وهو الذي سقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بريقه حين حمل اليه طفلا في مهده * وأما عمرو بن العاص فانما عزله لان أهل مصر أكثروا شكايته والعجب من الرافضة ينقمون على عثمان رضي الله عنه عزله عمرو بن العاص عن مصر وهم يزعمون ان عمرو بن العاص

حكيم رضي الله عنها عليها ثيابها أو أخذت هي والخيمة التي دخل بها فيها خالد فقتلت بذلك العمود سبعة من الروم وجاء أن عكرمة رضي الله عنه شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم قولهم له عكرمة بن أبي جهل فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات وفي رواية لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحياء وفي أخرى اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وقد كان قبل اسلامه رضي الله عنه بارز رجلا من المسلمين فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له بعض الانصار ما أضحكك يا رسول الله وقد فجعنا بصاحبنا قال أضحكني أنهما في درجة واحدة في الجنة ومن ثم قتل عكرمة رضي الله عنه شهيدا في قتال الروم في وقعة اليرموك كما تقدم * وأما الحويرث بن نقيذ بنون وقاف مصغرا ابن وهب بن عبد بن قصي فانما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لانه كان يعظم القول فيه صلى الله عليه وسلم وينشد الهجاء فيه ويكثر أذاه وهو بمكة وكان العباس رضي الله عنه حمل فاطمة وأم كلثوم رضي الله عنهما ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة فنخس الحويرث بهما الجمل فرمى بهما الارض وشارك هبار بن الاسود في نخس جمل زينب رضي الله عنها لما هاجرت فاهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله علي رضي الله عنه وذلك أنه سال عنه وهو في بيته قد أغلق عليه بابه فقيل هو في البادية فتنحى علي رضي الله عنه عن بابه فخرج يريد أن يهرب من بيت الى آخر فتلقاه علي رضي الله عنه فضرب عنقه * وأما مقيس بن صبابة فانه كان أسلم ثم أتى على أنصاري فقتله وكان الانصاري قتل أخاه هشام بن صبابة خطأ في غزوة ذي قرد ظنه من العدو فجاء مقيس فاخذ الدية ثم قتل الانصاري ثم ارتد ورجع الى قريش فاهدر صلى الله عليه وسلم دمه فقتله نميلة بن عبد الله الليثي * وأما هبار ابن الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الاسدي فانه كان شديد الاذى للمسلمين وكان عرض لزينب رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجرت فنخس بها الجمل حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها ولم تزل مريضة حتى ماتت رضي الله عنها فاهدر صلى الله عليه وسلم دمه يوم الفتح فهرب واختفى ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة قال جبير بن مطعم رضي الله عنه كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم منصرفه من الجعرانة فطلع هبار بن الاسود فقالوا يا رسول الله هبار بن الاسود قال قد رأيته فاراد رجل القيام اليه فاشار اليه أن اجلس فوقف هبار فقال السلام عليك يا نبي الله أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وقد هربت منك في البلاد وأردت اللحاق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عن جهل عليك وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وأنقذنا من الهلكة فاصفح عن جهلي وعما كان يبلغك عني فاني مقر بسوء فعلي معترف بذنبي فقال صلى الله عليه وسلم قد عفوت عنك وقد أحسن الله اليك حيث هداك للاسلام والاسلام يجب ما قبله قال الزهري ان هبارا رضي الله عنه لما قدم المدينة جعلوا يسبونه فشكا ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال سب من سبك فكفوا عنه * وأما كعب ابن زهير بن أبي سلمى المزني فانما أهدر دمه صلى الله عليه وسلم لانه كان من الشعراء الذين تكلموا بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وصار يعير أخاه بجيرا حين أسلم وكان من خبر كعب وأخيه بجير أن بجيرا قال لكعب اثبت في غنمنا حتى آتي هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم فاسمع كلامه وأعرف ما عنده فاقام كعب بأبرق العزاف وهو ماء لبني أسد بين المدينة والربذة ومضى بجير فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع كلامه وآمن به وسبب قول بجير لاخيه اثبت في غنمنا حتى آتي هذا الرجل الخ أن أباهما زهيرا كان يجالس أهل الكتاب فسمع منهم أنه قد قرب مبعثه صلى الله عليه وسلم ورأى زهير في منامه أنه قد مد سبب أي حبل من السماء وأنه مد يده ليتناوله ففاته فاول ذلك بالنبي الذي يبعث في آخر الزمان وأنه لا يدركه وأخبر بنيه بذلك المنام وبما سمعه من أهل الكتاب وأمرهم وأوصاهم ان أدركوه أن يسلموا فكتب بجير الى أخيه كعب يخبره بانه قد ظهر أمره وتحققت نبوته وانه آمن به واتبعه وحثه على القدوم اليه ليؤمن كايمانه فكتب اليه كعب

ألا أبلغا عني بجيرا رسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا

كان منشأ اتفاق الاسلام فعلى اعتقادهم يكون عثمان مصيبا في عزله فكيف يعترضون عليه بأنه مصيب فيه في اعتقادهم وانما هم قوم يتبعون أهواءهم ولا يدرون ما يقولون * وأما تولية عبد الله بن أبي سرح رضي الله عنه فمن حسن النظر عنده فان عبد الله وان كان قد ارتد في أول الاسلام فانه رجع الى الاسلام وتاب وحسنت توبته وصلح عمله وكانت له فيما تولاه آثار محمودة فانه فتح في مدة ولايته فتوحات كثيرة حتى انتهى في اغاراته على الجزائر الى نحو بلاد المغرب وحصل في فتوحه ألفا ألف دينار وخمسمائة ألف دينار سوى ما غنمه من صنوف الاموال وبعث بالخمس منها الى عثمان رضي الله عنه وفرق الباقي في جنده وكان في جنده جمع من الصحابة رضي الله عنهم منهم عقبة

فبين لنا ان كنت لست بفاعل * على أي شيء غير ذلك دلكا * على خلق لم تلف أما ولا أبا
عليه ولا تلقى عليه أخالكا * فان كنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل اما عثرت لعالكا
سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا

وكان صلى الله عليه وسلم يسمى في الجاهلية الامين والمأمون ثم أرسل كعب بالابيات الى أخيه بجير فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده اياها فلما سمع صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المأمون قال صدق وانه لكذوب وأنا المأمون ولما سمع قوله على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه قال أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه ثم قال صلى الله عليه وسلم من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب اليه أخوه بجير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل رجالا ممن كانوا يهجونه و يؤذونه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر أي أقبل مسرعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل أحدا جاءه تائبا وان أنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض أي الى محل ينجيك وكتب له هذه الابيات

فمن مبلغ كعبا فهل لك في التي * تلوم عليها باطلا وهي أحزم
الى الله لا العزى ولا اللات وحده * فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه * ودين أبي سلمى على محرم

فلما بلغت الابيات كعبا و بلغه انه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله وأراق دمه ضاقت عليه الارض وخاف على نفسه وأرجف به أي خوفه من كان حاضرا عنده من عدوه وقالوا انه لمقتول فلما لم يجد بدا ولا مخلصا الا المجيء اليه والاسلام خرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من فتح مكة فنزل على رجل من جهينة كانت بينه و بينه معرفة فغدا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ثم أشار له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا رسول الله فقم اليه واستأمنه فجاء حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه فقال يا رسول الله ان كعب ابن زهير قد جاءك يستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال أنا يا رسول الله كعب بن زهير ثم تشهد فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم أنشده قصيدته المعروفة التي أولها بانت سعاد فقلبي اليوم متبول الى أن قال فيها

تمشي الوشاة بجنبيها وقولهم * انك يا بن أبي سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت آمله * لا ألهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم * فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول
أنبئت أن رسول الله أوعدني * والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ * قرآن فيه مواعيظ وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم * أذنب وان كثرت في الاقاويل

وقال فيها

ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول
في عصبة من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا

الى آخر القصيدة قال ابن الانباري انه لما وصل الى قوله ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول * رمى عليه الصلاة والسلام اليه بردة كانت عليه وان معاوية رضي الله عنه في زمن خلافته بذل له فيها عشرة آلاف درهم فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أعطانيه أحدا فلما مات بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا فأخذها منهم وهي البردة التي عند السلاطين الى اليوم وكان الخلفاء يلبسونها في الاعياد وقيل انهم انعدمت في وقعة التتار وروى ابن اسحق انه لما جاء الى النبي صلى الله عليه

ابن عامر الجهني وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الله ابن الزبير وغيرهم رضي الله عنهم قاتلوا تحت رايته وأدوا طاعته ووجدوه أقوم بسياسة الامر من غيره ثم أبان عن حسن رأي في نفسه فانه لما قتل عثمان رضي الله عنه ووقعت الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم اعتزل الفريقين ولم يشهد مشهدا ولم يقاتل أحدا بعد قتال المشركين ثم توفاه الله وهو ساجد في صلاته وذلك مما يدل على حسن خاتمته رضي الله عنه * وأما عمار بن ياسر رضي الله عنهما فقد كذبوا في قولهم ان عثمان عزله وانما الذي عزله عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان أهل الكوفة قد شكوه فقال عمر من يعذرني من أهل الكوفة ان استعملت عليهم تقيا استضعفوه وان استعملت عليهم قويا فجروه ثم عزله وولى المغيرة بن شعبة

وسلم وثب عليه رجل من الانصار فقال يارسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال صلى الله عليه وسلم دعه عنك فانه جاء تائبا نازعا أي مائلا مشتاقا الى الاسلام كافا عن الشرك تاركاله فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم وخص المهاجرين بمدحته في قصيدته لانهم لم يتكلموا فيه الا بخير وعرض بذم الانصار فقال له صلى الله عليه وسلم لولا ذكرت الانصار بخير فانهم أهل لذلك فقال بعد ذلك يمدح الانصار

من سره كرم الحياة فلا يزل * في مقنب من صالحي الانصار * ورثوا المكارم كابرا عن كابر
ان الخيار هم بنو الاخيار * الناظرون باعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعون نفوسهم لنبيهم * للموت يوم تعانق وكرار * يتطهرون يرونه نسكا لهم
* بدماء من علقوا من الكفار *

وقد كان كعب بن زهير من فحول الشعراء وكذا أبوه زهير وأخوه بجير وابنه عقبة بن كعب وابن ابنه العوام ابن عقبة رضي الله عنه وجاء عن سعيد بن المسيب أن كعبا لما قدم المدينة سأل عن أرق الصحابة رضي الله عنهم فدل على أبي بكر رضي الله عنه فأخبره بخبره فمشى أبو بكر وكعب على اثره حتى صار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل يبايعك يارسول الله فمد يده فبايعه قال العلامة الزرقاني والجمع ممكن بأنه لما قدم المدينة نزل على الجهني فأخبره بان أبابكر أرق الصحابة وأتى به اليه فسار به معا ثم تقدم الصديق وكعب على اثره فلما أمن عرفه بنفسه والله أعلم * وأما الحرث بن هشام المخزومي وهو أخو أبي جهل شقيقه فانه كان شديدا على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وكذا زهير بن أبي أمية المخزومي أخو أم سلمة رضي الله عنها فانه كان شديدا في كفره فاهدر دمهما صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فهربا واختبيا في بيت أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها فأجارتهما فأجاز صلى الله عليه وسلم جوارها ثم جاءت بهما فاسلما وحسن اسلامهما رضي الله عنهما وكون الذى أجارته مع الحرث بن هشام هو زهير بن أبي أمية هو الصحيح وقيل الذى أجارته معه هو عبد الله بن أبي ربيعة وقيل هو هبيرة بن أبي وهب قال الحافظ ابن حجر وهذا ليس بشئ لان هبيرة هرب عند الفتح الى نجران فلم يزل بها مشركا حتى مات وكانت أم هانئ رضي الله عنها تحت هبيرة بن أبي وهب المخزومي روى الامام أحمد وغيره عن أم هانئ رضي الله عنها قالت لما كان يوم الفتح فر الى رجلان من أحمائي من بني مخزوم فدخل على علي رضي الله عنه فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما بيتي ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآني قال مرحبا وأهلا بام هانئ ماجاء بك فاخبرته خبر الرجلين وخبر علي رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ والمشهور أن اسلام أم هانئ رضي الله عنها كان عام الفتح وقيل أسلمت قديما وكانت تكتم اسلامها وعن الحرث بن هشام رضي الله عنه قال لما أجارتني أم هانئ رضي الله عنها وأجاز النبي صلى الله عليه وسلم جوارها صار لا يتعرض لي أحد بعد ذلك وكنت أخشى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فمر على وأنا جالس ولم يتعرض لي وكنت أستحيي أن يراني رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أذكر برؤيته اياي ما كنت أفعله في كل موطن مع المشركين فلقيته وهو داخل المسجد فلقيني بالبشر ووقف حتى جئته فسلمت عليه وشهدت شهادة الحق فقال الحمد لله الذى هداك ما كان مثلك يجهل الاسلام ثم صار بعد ذلك من فضلاء الصحابة وابنه عبد الرحمن بن الحرث بن هشام كان من فضلاء التابعين وعلمائهم وعبادهم رضي الله عنه وكذا ابن ابنه أبو بكر بن عبد الرحمن وابنه عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام رضي الله عنهم * وأما سارة فهي مولاة لبني المطلب بن عبد مناف وانما أهدر صلى الله عليه وسلم دمها لانها كانت مغنية بمكة تغني بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وهي التي كان معها كتاب حاطب بن أبي بلتعة وكانت قدمت المدينة تشكو الحاجة وتطلب الصلة فقال لها صلى الله عليه وسلم ما كان في غنائك ما يغنيك فقالت ان قريشا منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء فوصلها وأوقر لها بعيرا طعاما فرجعت الى مكة وكان ابن خطل يلقي اليها هجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغني به فاختفت عند فتح مكة ثم استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنها وأسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها * وأما صفوان بن أمية بن خلف الجمحي فكان أيضا

فلما ولي عثمان رضي الله عنه شكوا المغيرة اليه وذكروا انه ارتشى في بعض أموره فلما رأى ما وقر عندهم منه استصوب عزله عنهم ولو كانوا مفترين عليه والعجب من هؤلاء الرافضة كيف ينقمون على عثمان رضي الله عنه عزل المغيرة وهم يكفرون المغيرة على انا نقول ما زال ولاة الامر قبله وبعده يعزلون من عمالهم من رأوا عزله ويولون من رأوا توليته بحسب ما تقتضيه انظارهم فقد عزل عمر بن الخطاب خالد ابن الوليد عن الشام وولى أبا عبيدة وعزل عمارا عن الكوفة وولاها المغيرة بن شعبة وعزل علي رضي الله عنه قيس بن سعد بن عبادة عن مصر وولاها الاشتر النخعي * ومن الشبه التي ألقوها في قلوب ضعفاء الايمان ان النبي صلى الله عليه وسلم نفى الحكم بن أبي العاص من المدينة الى الطائف لانه

من أشد الناس عداوة وأذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاهدر دمه صلى الله عليه وسلم فاختفى وأراد أن يذهب ويلقي نفسه بالبحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي رضي الله عنه وقال يانبي الله ان صفوان سيد قومه وقد هرب ليقذف نفسه في البحر فامنه فانك أمنت الاحمر والاسود فقال أدرك ابن عمك فهو آمن فقال اعطني آية يعرف بها أمانك فاني قد طلبت منه العود فقال لا أعود معك الا أن تاتيني بعلامة أعرفها فاعطاه صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فلحقه بها وهو يريد يركب البحر فقال له صفوان اعزب عني لا تكلمني فقال أي صفوان فداك أبي وأمي جئتك من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة التي جاءه بها فرجع معه حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هذا يزعم انك أمنتني قال صدق فقال امهلني بالخيار شهرين فقال صلى الله عليه وسلم أنت بالخيار أربعة أشهر ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج الى حرب هوازن استقرض منه أربعين ألف درهم وطلب منه دروعا كانت عنده فقال أغصبا يامحمد قال لا ولكن عارية مرجوعة أومضمونة ثم خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج لحرب هوازن وهو على شركه فلما قسم صلى الله عليه وسلم غنائم هوازن بحنين أعطاه مائة من الابل ثم مائة ثم مائة ثم رآه صلى الله عليه وسلم يرمق شعبا مملوأ نعما وشاء فقال له صلى الله عليه وسلم يعجبك هذا قال نعم قال هو لك وما فيه وفي رواية ان صفوان رضي الله عنه طاف مع النبي صلى الله عليه وسلم يتصفح الغنائم اذ مر بشعب مملوءا بلا وغنما فاعجبه وجعل ينظر اليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أعجبك هذا الشعب ياأباوهب قال نعم قال هو لك بما فيه فقبض صفوان مافي الشعب وقال ان الملوك لا تطيب نفوسها بمثل هذا ماطابت نفس أحد قط بمثل هذا الانبي أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فاسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وترك المدة التي كان طلبها وكان يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم أبغض الخلق الي فمازال يعطيني حتى صار أحب الخلق الي * وأما هند بنت عتبة بن ربيعة زوج أبي سفيان وأم ابنه معاوية رضي الله عنهم فانما أهدر دمها صلى الله عليه وسلم لانها مثلت بعمه حمزة رضي الله عنه يوم أحد ولاكت قلبه ولم تقدر على ابتلاعه فلفظته فلما كان يوم الفتح ورأت جند الله اختفت في بيت أبي سفيان زوجها ثم أسلمت وأتته صلى الله عليه وسلم بالابطح وقالت الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره لنفسه لتمسني رحمتك يامحمد اني امرأة مؤمنة بالله مصدقة به ثم قالت أناهند بنت عتبة فقال صلى الله عليه وسلم مرحبا بك ثم أرسلت اليه بهدية جديين مشويين وقديدمع جارية لها فقالت انها تعتذر اليك وتقول لك ان غنمنا اليوم قليلة الوالدة فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لكم في غنمكم وأكثر والدتها قالت هند فلقد رأينا من كثرتها مالم نره قبل وذلك بدعائه صلى الله عليه وسلم وقالت كنت أرى في النوم اني في الشمس أبدا قائمة والظل قريب مني لا أقدر عليه فلما دنا صلى الله عليه وسلم رأيت كأني دخلت الظل فكان ذلك هو الدخول في الاسلام وجاء انها لما أسلمت عمدت الى صنم كان في بيتها فجعلت تضربه بالقدوم وتقول كامنك في غرور * وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قالت هند بنت عتبة يارسول الله ما كان على ظهر الارض أهل خباء أحب الي أن يذلوا من أهل خبائك ثم ما أصبح اليوم على ظهر الارض أهل خباء أحب الي أن يعزوا من أهل خبائك قال النبي صلى الله عليه وسلم وأيضا والذي نفسي بيده أي ستزيدين من ذلك ويتمكن الايمان في قلبك فيزيد حبك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقوى رجوعك عن بغضه ثم قالت يارسول الله ان أباسفيان رجل مسيك فهل علي حرج ان أطعم من الذي له عيالنا قال لا أراه الا بالمعروف وكان اسلامها بعد اسلام زوجها فاقرهما صلى الله عليه وسلم على النكاح الاول لان الاسلام جمعهما في العدة بل قيل ان بين اسلامها واسلام زوجها ليلة واحدة وكانت هند امرأة ذات أنفة ورأي وعقل وجاء في رواية انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء وفيهم هند بنت عتبة منتقبة تخوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنين من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهن بايعنني على أن لا تشركن بالله شيأ ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن

كان يداخل المنافقين وكان الحكم عم عثمان رضي الله عنه فلما كانت خلافة أبي بكر رضي الله عنه سأله عثمان ان يرده فقال كيف أرده اليها وقد نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عثمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعدني بذلك وأذن لي في رده فقال أبو بكر اني لم أسمعه يقول لك ذلك ولم يكن مع عثمان بينة على ذلك فلما ولي عمر سأله ذلك فابى فلما ولي عثمان الخلافة رده الى المدينة والجواب عن ذلك ان عثمان رضي الله عنه سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم ووعده بذلك واذن له فيه وهو صادق مامون فيما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولي قضى بعلمه وهو قول أكثر الفقهاء وهو مذهب عثمان رضي الله عنه وهو مجتهد فقضى به بعد ان ظهر له انه تاب وصلح حاله ورجح عما

وأرجلكن ولا تعصينني في معروف فقالت هند لما قال ولا تسرقن قالت والله اني كنت أصيب من مال أبي سفيان الهنة بعد الهنة وما كنت أدري أكان ذلك حلالا أم لا فقال أبو سفيان وكان حاضرا أما ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حل عفا الله عنك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك يا نبي الله ولما قال ولا تزنين قالت أوتزني يا رسول الله الحرة ولما قال ولا تقتلن أولادكن قالت ربيناهم صغارا فقتلتهم كبارا وفي لفظ وهل تركت لنا ولدا الا قتلته يوم بدر فضحك عمر رضي الله عنه حتى استلقى على قفاه وتبسم صلى الله عليه وسلم ولما قال ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن قالت والله ان اتيان البهتان لقبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولما قال ولا تعصينني في معروف قالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك في معروف وحضرت هند قتال الروم يوم اليرموك مع أبي سفيان وكانت تشجع المسلمين وتحرضهم على القتال مع بقية النسوة اللاتي كن معها وتوفيت في خلافة عمر رضي الله عنه في اليوم الذي توفي فيه أبو قحافة والد أبي بكر الصديق رضي الله عنهم * وكان من جملة من أسلم وبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام ابنهما معاوية وأخوه يزيد ابنا أبي سفيان وقيل ان اسلام معاوية كان عام الحديبية وعن معاوية رضي الله عنه قال لما كان عام الحديبية وقع الاسلام في قلبي فذكرت ذلك لامي فقالت اياك أن تخالف أباك فيقطع عنك القوت فاسلمت وأخفيت اسلامي فقال لي يوما أبو سفيان وكأنه شعر باسلامي أخوك خير منك هو على ديني فلما كان عام الفتح أظهرت اسلامي ولقيته صلى الله عليه وسلم فرحب بي وكتبت له بعد أن استشار في ذلك جبريل عليه السلام فقال استكتبه فانه أمين * وفي البخاري ان كريبا قال لابن عباس رضي الله عنهما ان معاوية يوتر بركعة فقال دعه فانه فقيه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء انه صلى الله عليه وسلم أردفه يوما خلفه فقال ما يليني منك قال بطني قال اللهم املأه حلما وعلما * وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب ومكن له في البلاد وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يدعو لمعاوية رضي الله عنه يقول اللهم اجعله هاديا مهديا واهده واهد به ولا تعذبه وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه أنت مني وأنا منك لتزاحمني على باب الجنة كهاتين وأشار باصبعه الوسطى والتي تليها وقال له النبي صلى الله عليه وسلم اذا ملكت فاحسن وفي رواية اذا ملكت من أمر أمتي شيأ فاتق الله واعدل وفي رواية يا معاوية انك ستلي أمر أمتي فارفق بها ويذكر انه كان عنده قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم وازاره ورداؤه وشيء من شعره فقال عند موته كفنوني في القميص وأدرجوني في الرداء وآزروني بالازار واحشوا منخري وشدقي من الشعر وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين ولما حضرته الوفاة قال اللهم ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل عثرتي واغفر زلتي وعد بحلمك على من لا يرجو غيرك ولم يثق باحد سواك ثم بكى حتى علا نحيبه وكانت وفاته بدمشق سنة ستين من الهجرة وهو ابن ثنتين وثمانين سنة وقيل ثمان وسبعين سنة وكان أبيض جميلا وهو من الموصوفين بالحلم ولي الشام لعمر وعثمان رضي الله عنهما عشرين سنة وولي الخلافة سنة أربعين ومكث خليفة عشرين سنة الا ستة أشهر وأما ما وقع بينه وبين علي رضي الله عنه فمذهب أهل السنة ان ذلك كان باجتهاد منهما فلا يعترض على أحد منهما وقد قال صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي وأصهاري وأنصاري فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين * وأما وحشي بن حرب فاهدر صلى الله عليه وسلم دمه لكونه قتل عمه حمزة رضي الله عنه فلما فتحت مكة هرب الى الطائف قال فكنت بالطائف فلما خرج وفد الطائف ليسلموا ضاقت على المذاهب فقلت ألحق بالشام أو باليمن أو ببعض البلاد فوالله اني لفي ذلك من همي اذ قال لي رجل ويحك والله انه ما يقتل أحدا يدخل في دينه فخرجت حتى قدمت عليه فلم يرعه الا وأنا قائم على رأسه أشهد شهادة الحق فلما رآني قال وحشي قلت نعم يا رسول الله قال اقعد فحدثني كيف قتلت حمزة فحدثته فلما فرغت قال ويحك غيب وجهك عني فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يراني حتى قبضه الله ثم خرج وحشي مع من خرج لقتال

كان طرده لاجله واعانة التائب مما يحمد لا سيما وفي ذلك صلة الرحم لانه عمه فلا عتب ولا لوم عليه في ذلك ومما زاده الرافضة في حكاية هذه القصة ان عثمان رضي الله عنه لما رد الحكم الى المدينة أعطاه من بيت المال مائة ألف ولو ذلك اسراف في بيت المال وهذا كذب واختلاق وانما الذي صح ان عثمان رضي الله عنه زوج ابنته أم أبان ابن الحكم وجهزها من خالص ماله بمائة ألف درهم لا من بيت المال لان عثمان رضي الله عنه كان ذا ثروة في الجاهلية والاسلام وهذه صلة الرحم يحمد عليها ومن الشبه التي ألقوها في قلوب ضعفاء الايمان ان عثمان رضي الله عنه وهب مروان خمس افريقية قال المحب الطبري وهذا غلط منهم وانما المشهور في القصة ان عثمان رضي الله عنه كان جهز ابن أبي سرح أميرا على

أهل الردة فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه فقتل مسيلمة الكذاب بحربته التى قتل بها حمزة رضى الله عنه فكان
يقول أرجو أن تكون هذه بتلك أى ان هذه تكفر تلك ومن اختفى يوم الفتح عتبة ومعتب ابنا أبى لهب
فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعمه العباس أين ابنا أخيك لا أراهما يعنى عتبة ومعتبا ابنى أبى لهب فقال
العباس رضى الله عنه تنحيا فيمن تنحى من مشركى قريش قال ائتنى بهما فركبت اليهما فأتيتهما فدعاهما
للاسلام فأسلما فسر باسلامهما ودعا لهما ثم قام صلى الله عليه وسلم وأخذ بأيديهما وانطلق بهما حتى أتى
الملتزم فدعا ساعة ثم انصرف والسرور يرى فى وجهه فقال له العباس رضى الله عنه أسرك الله يا رسول الله انى
أرى السرور فى وجهك قال انى استوهبت ابنى عمى هذين من ربى فوهبهما لى وشهدا معه حنينا والطائف
ولزماه يوم حنين وقلعت عين معتب يوم حنين * ومن اختفى أيضا سهيل بن عمرو وكان ابنه عبد الله مسلما فجاء
الى النبى صلى الله عليه وسلم ليأخذ له أمانا فقال صلى الله عليه وسلم هو آمن بأمان الله فليظهر ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن حوله من لقى سهيل بن عمرو فلا يحد النظر اليه فلعمرى ان سهيلا له عقل وشرف وما مثل
سهيل يجهل الاسلام فخرج ابنه عبد الله اليه فأخبره بمقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل كان والله
برا صغيرا وكبيرا ثم انه خرج الى حنين وهو على شركه ثم أسلم بالجعرانة رضى الله عنه وصار من فضلاء الصحابة
رضى الله عنهم حتى أن الله ثبت به أهل مكة يوم جاءهم خبر وفاته صلى الله عليه وسلم فكادوا أن يرتدوا فخطبهم
خطبة مثل خطبة الصديق رضى الله عنه بالمدينة وقال فيها من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد
الله فان الله حى لا يموت وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فثبتهم الله به رضى الله عنه واستشهد
رضى الله عنه فى اليرموك وقيل توفى بالشام فى طاعون عمواس ودخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الاثنين بين
أبى بكر وأسيد بن حضير رضى الله عنهما وهو متواضع مطأطئ رأسه على ناقته القصواء مردفا أسامة بن زيد
رضى الله عنهما خلفه وهو صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح وعن أنس رضى الله عنه قال لما دخل صلى الله
عليه وسلم مكة يوم الفتح استشرفه الناس فوضع رأسه على رحله متخشعا وفى رواية حتى ان رأسه لتكاد تمس
رحله أى تواضعا لله لما رأى ما أكرمه به من الفتح ولم يزل يقرأ سورة الفتح فى حال دخوله حتى جاء البيت فطاف
به * وفى شرح المواهب للعلامة الزرقانى ان طوافه صلى الله عليه وسلم انما كان بعد ان استقر فى خيمته ساعة
واغتسل وعاد للبس السلاح والمغفر ودعا بالقصواء فادنيت الى باب الخيمة وقد حف به الناس فركبها وسار وأبو
بكر رضى الله عنه يحادثه فمر ببنات أبى أحيحة بالبطحاء وقد نشرن شعورهن يلطمن وجوه الخيل بالخمر فتبسم
الى أبى بكر رضى الله عنه واستنشده قول حسان الماضى * يلطمهن بالخمر النساء * الى أن انتهى الى الكعبة
ومعه المسلمون فاستلم الركن بمحجنه وكبر فكبر المسلمون لتكبيره ورجعوا التكبير حتى ارتجت مكة تكبيرا
حتى جعل صلى الله عليه وسلم يشير اليهم أن اسكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون فطاف بالبيت ومحمد بن
مسلمة آخذ بزمام الناقة سبعا يستلم الحجر الاسود كل طوفة بمحجنه وكان ذلك يوم الاثنين لعشر بقين من
رمضان وهو حلال غير محرم * وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة
يوم الفتح وعلى الكعبة ثلثمائة وستون صنما لكل حى من أحياء العرب صنم وقد شدوا أقدامها بالرصاص فجاء
صلى الله عليه وسلم ومعه قضيب فجعل يهوى به الى كل صنم منها فيخر لوجهه وفى رواية لقفاه وفى رواية فما أشار
الى صنم منها فى وجهه الا وقع لقفاه ولا أشار لقفاه الا وقع لوجهه من غير أن يمسه بما فى يده يقول جاء الحق وزهق
الباطل ان الباطل كان زهوقا وفى رواية فاتى فى طوافه على صنم الى جنب البيت من جهة بابه يعبدونه وهو
هبل وكان أعظم الاصنام وكان فى يده صلى الله عليه وسلم قوس فجعل يطعن بها فى عينيه ويقول جاء الحق الآية
ثم أمر به فكسر فقال الزبير بن العوام رضى الله عنه لابى سفيان رضى الله عنه قد كسر هبل أما انك قد كنت
يوم أحد فى غرور حتى تزعم انه قد أنعم فقال أبو سفيان دع هذا عنك يا ابن العوام لقد أرى لو كان مع اله محمد
غيره لكان غير ما كان * وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
هذا ما وعدنى ربى ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح وقد أشار صاحب الهمزية الى ذلك فقال

آلاف من الجند وحضر القتال بافريقية فلما غنم المسلمون وأخرج ابن أبى سرح الخمس من الذهب وهو خمسمائة ألف دينار فأنفذها الى عثمان رضى الله عنه وبقى من الخمس أصناف من الاثاث والمواشى فشق حملها الى المدينة فاشتراها مروان بمائة ألف درهم ونقدها وبقيت منها بقية ووصل مروان الى عثمان مبشرا بفتح افريقية وكانت قلوب المسلمين مشغولة خائفة ان يصيب المسلمين من أمر افريقية نكبة فوهب له عثمان ما بقى عليه جزاء بشارته وللامام ان يصل المبشرين من بيت المال بما رأى على قدر مراتب البشارة ومما اختلقه الرافضة ونسبوه الى عثمان رضى الله عنه انه غير وبدل فى القرآن وحذف سورا وآيات فى الثناء على أهل البيت فهذا كله كذب وزور على عثمان رضى الله

واستجابت له بنصر وفتح * بعد ذاك الخضراء والغبراء * وتوالت للمصطفى الآية
الكبرى عليهم والغارة الشعواء * فاذا ما تلا كتابا من الله تلته كتيبة خضراء

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من طوافه نزل عن راحلته * روى ابن أبي شيبة عن عمر رضي الله عنه قال ما وجدنا مناخا في المسجد لراحلته صلى الله عليه وسلم حتى أنزل على أيدي الرجال فاخرجت الراحلة فانيخت بالوادي ثم انتهى صلى الله عليه وسلم الى المقام فصلى ركعتين ثم انصرف الى زمزم وقال لولا أن تغلب بنو عبد المطلب لنزعت منها دلوا فنزع له العباس دلوا فشرب منه وتوضأ والمسلمون يبتدرون وضوأه يصبونه على وجوههم والمشركون ينظرون ويعجبون ويقولون ما رأينا ملكا قط أبلغ من هذا ولا سمعنا به ثم جلس صلى الله عليه وسلم في ناحية المسجد وأبو بكر رضي الله عنه قائم على رأسه بالسيف ثم دعا عثمان بن طلحة رضي الله عنه ففتح له الكعبة ودخلها صلى الله عليه وسلم هو وبلال وأسامة بن زيد وعثمان بن طلحة الحجبي رضي الله عنهم وصلى ركعتين بين العمودين اليمانيين وفي رواية جعل عمودين عن يمينه وعمودا عن يساره وثلاثة أعمدة وراءه وكان البيت على ستة أعمدة وفي رواية ان بين موقفه صلى الله عليه وسلم وبين الجدار الذي استقبله قريبا من ثلاثة أذرع وفي رواية ان دخوله ذلك كان ثاني يوم الفتح ثم وقف على باب الكعبة فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم خطب خطبة طويلة وذكر فيها جملة من الاحكام منها الا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها والبينة على المدعي واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ولا يصام يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء والناس من آدم وآدم من تراب ثم تلا هذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير ثم قال يا معشر قريش ماذا تقولون وماذا تظنون اني فاعل فيكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت وأول من قال ذلك سهيل ابن عمرو فقال صلى الله عليه وسلم أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقاء أي الذين أطلقوا فلم يسترقوا ولم يؤسروا فخرجوا كأنما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام ومما ذكره في تلك الخطبة قوله أيها الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو يعضد بها شجرة فان أحد ترخص فيها لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا له ان الله قد أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لكم وانما أحلت لي ساعة من نهار وقد عادت حرمتها الآن كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد الغائب ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم الى آخر ما تقدم وقد اختلفت الروايات في كيفية احضار مفتاح الكعبة له حين أراد الدخول والصحيح انه دعا عثمان بن طلحة وقال ائتني بالمفتاح وتقدم انه أسلم في مدة صلح الحديبية وهاجر هو وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم فذهب عثمان الى أمه سلافة بنت سعيد الانصارية الاوسية وقد أسلمت بعد ذلك رضي الله عنها فلما جاءها ليأخذ منها المفتاح أبت أن تعطيه فقال يا امه ادفعي لي المفتاح فانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فابت ان تعطيه وقالت لا واللات والعزى فقال لها لا لات ولا عزى قد جاء أمر غير ما كنا فيه والله لتعطنه وانك ان لم تفعلي قتلت أنا وأخي وأنت قتلتينا والله لندفعنه أو ليأتين غيري فيأخذه منك فادخلته في حجزتها وقالت أي رجل يدخل يده هنا قال الزهري وأبطأ عثمان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ينتظر حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق ويقول ما يحبسه وفي رواية فجعلت تقول ان أخذه منكم لا يعطيكموه فبينما هو يكلمها اذ سمعت صوت أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في الدار وعمر رافع صوته وهو يقول يا عثمان اخرج فقالت يا بني خذ المفتاح فان تأخذه أحب الي من أن يأخذه تيم وعدي أي أبو بكر وعمر فاخذه عثمان فخرج يمشي حتى اذا كان قريبا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عثر عثمان فسقط منه المفتاح فحنى عليه وتناوله وفي رواية فاستقبله صلى الله

عنه وحاشاه من ذلك فانه جمع القرآن من الصحف التي نسخت في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وكان جمعه لذلك بحضرة من الصحابة واجماع وكان فيهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أكابر الصحابة وما جمع من المصاحف الا ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فقولهم غير وبدل وحذف سورا وآيات تكذيب منهم لقول الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * ومما اعترضوا به عليه انه كان يولي أقاربه الولايات ويعطيهم كثيرا من العطايا * والجواب عن ذلك انه انما كان يولي من يرى فيه الكفاية منهم للولاية وقد كانوا أهل رياسة ومعرفة بالولايات في الجاهلية والاسلام واستعمل كثيرا منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأما العطايا فكثيرا ما كان يعطيهم من

عليه وسلم بشر ففتح له عثمان الباب وفي رواية فأخذ صلى الله عليه وسلم منه وفتح الكعبة فيحتمل انهما تشاركا في الفتح فقد روى الفاكهي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كانت بنو أبي طلحة يزعمون انه لا يستطيع أحد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح ففتح بيده قال العلامة الزرقاني ويحتمل الجمع بانه صلى الله عليه وسلم لما فتح الضبة بالمفتاح عاونه عثمان فدفع الباب ففتحه له أي فصح اسناد الفتح لكل منهما وجاء ان خالد بن الوليد كان حين دخل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة على باب الكعبة يذب الناس ولما خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة جلس في المسجد ومفتاح الكعبة في يده فقام اليه علي رضي الله عنه فقال يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك وسلم فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه انما أعطيكم ما تبذلون فيه أموالكم للناس أي وهو السقاية لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم وهي الحجابة لشرفكم وعلو مقامكم وفي رواية ان العباس رضي الله عنه تطاول يومئذ لاخذ المفتاح في رجال من بني هاشم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين عثمان بن طلحة فدعي به فقال هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء وأنزل الله هذه الآية في شأن عثمان بن طلحة ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وروى الازرقي وغيره عن مجاهد قال نزلت هذه الآية في عثمان بن طلحة اخذ عليه الصلاة والسلام منه مفتاح الكعبة ودخلها يوم الفتح فخرج وهو يتلوها فدعا عثمان فدفع المفتاح اليه وقال خذوها أي الحجابة يا بني أبي طلحة لا ينزعها منكم الا ظالم قال وقال عمر رضي الله عنه خرج صلى الله عليه وسلم من الكعبة وهو يتلو هذه الآية ما سمعته يتلوها قبل ذلك * قال السيوطي ظاهر هذا انها نزلت في جوف الكعبة وروى الازرقي عن ابن المسيب خذوها خالدة تالدة لا يظلمكموها الا كافر وفي رواية عند ابن أبي شيبة عن عبد الرحمن بن سابط انه صلى الله عليه وسلم دفع المفتاح الى عثمان فقال خذوها خالدة مخلدة اني لم أدفعها اليكم ولكن الله دفعها اليكم ولا ينزعها منكم الا ظالم وروى ابن سعد وغيره عن عثمان بن طلحة رضي الله عنه قال لقيني صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فدعاني الى الاسلام فقلت يا محمد العجب لك حيث تطمع أن أتبعك وقد خالفت دين قومك وجئت بدين محدث قال وكنا نفتح الكعبة في الجاهلية يوم الاثنين والخميس فأقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوما يريد أن يدخل الكعبة مع الناس وذلك بعد بعثته فأغلظت له ونلت منه فحلم عني ثم قال يا عثمان لعلك سترى هذا المفتاح يوما بيدي أضعه حيث شئت فقلت لقد هلكت قريش يومئذ وذلت يعني ما دامت قريش أنت لا تقدر على ذلك فقال بل عمرت وعزت يومئذ ودخل الكعبة فوقعت كلمته مني موقعا ظننت ان الامر سيصير الى ما قال أي لانه كان معروفا بينهم بالصدق والامانة قال عثمان فاردت الاسلام فاذا قومي يزبرونني زبرا شديدا فلما كان يوم الفتح قال يا عثمان ائتني بالمفتاح فأتيته به ثم دفعه الي وقال خذوها يعني سدانة البيت خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم يا عثمان ان الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف قال عثمان فلما وليت ناداني فرجعت اليه فقال ألم يكن الذي قلت لك فذكرت قوله لي بمكة قبل الهجرة لعلك سترى هذا المفتاح بيدي أضعه حيث شئت قلت بلى أشهد انك رسول الله وفي تفسير الثعالبي بلا سند أن هذه الآية ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي أمره عليه الصلاة والسلام أن يأتيه بمفتاح الكعبة فأبى عليه وأغلق باب البيت وصعد الى السطح وقال لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فلوى علي يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل صلى الله عليه وسلم البيت فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ويجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل ذلك علي رضي الله عنه فقال عثمان لعلي رضي الله عنهما أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال علي رضي الله عنه لقد أنزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وأسلم قال الحافظ ابن حجر هذه الرواية منكرة والمعروف انه أسلم قبل الفتح وهاجر مع عمرو بن العاص وخالد بن الوليد وكذا قوله في أول الحديث فلوى علي يده وأخذ المفتاح مع قوله قبله لو علمت انه رسول الله لم أمنعه فان ذلك كله منكر قال الزرقاني ولعله بفرض

ماله لانه كان ذا مال كثير والذي يكون من بيت المال من عطاياهم كان باجتهاد منه رآه من الصلة للرحم التي أمر الله بها وكان يرى ان أبا بكر وعمر لو فعلا مثل ذلك لكان جائزا لهما لكنهما تركاه * ومن جملة ما اختلقوه عليه انه أعطى عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية ثلاثمائة ألف درهم وقد أجاب عثمان رضي الله عنه عن ذلك لما سئل عنه فقال اني لم أعطه ذلك وانما استقرضني ذلك فأقرضته ذلك من بيت المال وكان يحتسب لبيت المال ذلك من نفسه حتى وفاه ومما اختلقوه أيضا عليه انه جعل للحرث بن الحكم سوق المدينة يأخذ عشور ما يباع فيه وهذا كذب وافتراء وانما جعل اليه سوق المدينة براعي أمر المثاقيل والموازين فتسلط يومين أو ثلاثة على باعة النوى واشتراه لنفسه فلما

صحت. ووقع من ابن عمه شيبة لانه لم يكن أسلم بعد لكن بعده لا يخفى لانه لم يمكن من هو أجل منه منع شئ ولا قول شئ يومئذ والروايات السابقة هي التي صحت بها الاحاديث وعثمان المذكور هذا هو ابن طلحة بن أبي طلحة واسم أبي طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدري وطلحة أبو عثمان قتل كافرا يوم أحد ويقال لعثمان الحجبي ولآل بيته الحجبة ويعرفون الآن بالشيبيين نسبة الى شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة قال الحافظ ابن حجر ان أبا طلحة له ولدان عثمان وطلحة أبي عثمان بشيبة وأتى طلحة بعثمان فلما مات عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخذ المفتاح ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة لان عثمان بن طلحة كان لا ولد له وبقي في أولاد شيبة وهم الشيبيون قال العلامة الزرقاني وفي هذه الاخبار كلها دليل على بقاء عقبهم الى الآن قال العلامة الشمس الحطاب المالكي المكي ولا التفات الى قول بعض المؤرخين ان عقبهم انقطع في خلافة هشام بن عبد الملك فانه غلط لقول مالك رضي الله عنه لا يشركهم في الحجبة في الخزانة أحد لانها ولاية منه صلى الله عليه وسلم ومالك ولد بعد هشام بن عبد الملك بنحو عشرين سنة وذكر ابن حزم وابن عبد البر جماعة منهم في زمانهما وعاشا الى ما بعد نصف المائة الخامسة وكذا ذكر العلامة القلقشندي وعاش الى احدى وعشرين وثمانمائة ولا دلالة لزاعم انقراضهم في اخدام معاوية رضي الله عنه الكعبة عبيد الان اخدامها غير ولاية فتحها كما هو معلوم وكثيرا ما يقع في كلام المؤرخين كالازرقي والفاكهي ذكر الحجبة ثم الخدمة بما يدل على التغاير انتهى وقد تقدم الكلام على اسلام عثمان بن طلحة بن أبي طلحة في قصة اسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهم وأما شيبة بن عثمان بن أبي طلحة فاسلم عام الفتح وكان رضي الله عنه يحدث عن سبب اسلامه فيقول ما رأيت أعجب مما كانفيه من لزوم بعض ما عليه آباؤنا من الضلالات ولما كان عام الفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ثم سار الى حرب هوازن قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا أن أصيب من محمد غرة فاقتله فاكون أنا الذي قمت بثار قريش كلها وفي لفظ اليوم أدرك ثاري من محمد أي لان أباه وعمه وجملة من بني عمه قتلوا يوم أحد قتلهم حمزة وعلي وغيرهم رضي الله عنهم قال وقلت لو لم يبق من العرب والعجم أحد الا اتبع محمدا ما اتبعته لا يزداد ذلك الامر عندي الا شدة فلما اختلط الناس يوم حنين ونزل صلى الله عليه وسلم عن بغلته أصلت السيف ودنوت منه أريد الذي أريد منه ورفعت السيف حتى كدت أوقع به الفعل رفع الى شواظ من نار كالبرق كاد يمحشني فوضعت يدي على بصري خوفا عليه وفي رواية فلما هممت به حال بيني وبينه خندق من نار وسور من حديد ولا مانع من وقوع كل ذلك قال فالتفت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم وعرف الذي أريد فناداني يا شيبة ادن مني فدنوت منه فمسح صدري ثم قال اللهم أعذه من الشيطان قال شيبة فوالله لهو في الساعة صار أحب الى من سمعي وبصري وأذهب الله ما كان في ثم قال ادن فقاتل فتقدمت أمامه أضرب بسيفي والله أعلم أني أحب أن أقيه بنفسي وكل شئ ولو كان أبي حيا ولقيته تلك الساعة لاوقعت السيف به فجعلت ألزمه فيمن لزمه أي ثبت معه يوم حنين حتى تراجع المسلمون وكروا كرة رجل واحد وقربت اليه بغلته فاستوى عليها قائما وجاء في رواية عن شيبة بن عثمان الحجبي رضي الله عنه قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فوالله اني لواقف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قلت يا رسول الله اني لارى خيلا بلقا قال يا شيبة انه لا يراها الا كافر فضرب بيده على صدري ثم قال اللهم اهد شيبة فعل ذلك ثلاثا فما رفع صلى الله عليه وسلم يده عن صدري الثالثة حتى ما أجد من خلق الله أحب الى منه ولما انقضى القتال ورجع صلى الله عليه وسلم الى معسكره فدخل خباءه دخلت عليه ما دخل عليه غيري حبا لرؤية وجهه صلى الله عليه وسلم وسرورا به فقال يا شيبة الذي أراد الله خير مما أردت بنفسك ثم حدثني بكل ما أضمرته في نفسي مما لم أذكره لاحد قط فقلت اني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله ثم قلت له استغفر لي فقال غفر الله لك وجاء ان بلالا رضي الله عنه أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يؤذن ظهر يوم الفتح على ظهر الكعبة ليغيظ بذلك المشركين وكان أبو سفيان وعتاب بن أسيد وفي رواية وخالد بن أسيد أخو عتاب والحرث بن هشام وغيرهم جلوسا

رفع ذلك لعثمان رضي الله عنه أنكر عليه وعزله وقال لاهل المدينة اني لم آمره بذلك ولا عتب على السلطان في جور بعض العمال اذا استدرك ذلك بعد علمه * وقد روي انه جعله على سوق المدينة وجعل له كل يوم درهمين وقال لاهل المدينة اذا رأيتموه سرق شيئا فخذوه منه وهذا غاية الانصاف واعترضوا عليه أيضا بانه عزل ابن الارقم ومعيقيبا ولاية بيت المال وولاها زيد بن ثابت وهذا لا اعتراض عليه به لانهما كبرا وضعفا عن القيام بحفظ بيت المال وقد روي ان عثمان رضي الله عنه لما عزلهما خطب الناس وقال ألا ان عبد الله بن الارقم لم يزل على جزا آتكم زمن أبي بكر وعمر الى اليوم وانه كبر وضعف وقد ولينا عمله زيد بن ثابت رضي الله عنه وزيد بن ثابت أمين مامون لانه كان يكتب الوحي لرسول

بفناء الكعبة فقال عتاب بن أسيد أو خالد بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا أن لا يكون يسمع هذا فيسمع منه ما يغيظه وقال الحرث بن هشام أما والله لو أعلم انه حق لاتبعته ان يكن الله يكره هذا فسيغيره وفي رواية انه قال أما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال بعض بني سعيد بن العاص لقد أكرم الله سعيدا قبل أن يرى هذا الاسود على ظهر الكعبة وقال الحكم بن أبي العاص والله ان هذا لحدث عظيم عبد بني جمح يصيح على بنية أبي طلحة وقال أبو سفيان لا أقول شيأ لو تكلمت لاخبرت عني هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم قد علمت الذي قلتم ثم ذكر لهم ذلك فقال أما أنت يا فلان فقلت كذا وأما أنت يا فلان فقلت كذا وأما أنت يا فلان فقلت كذا فقال أبو سفيان أما أنا يا رسول الله فما قلت شيأ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الحرث بن هشام وعتاب بن أسيد وخالد بن أسيد نشهد انك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك وصار بعض من قريش يستهزؤن ويحكون صوت بلال غيظا وكان من جملتهم أبو محذورة وكان من أحسنهم صوتا فلما رفع صوته بالأذان مستهزئا سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فمثل بين يديه وهو يظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده الشريفة قال فامتلأ قلبي والله ايمانا ويقينا وعلمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وعلمه اياه وأمره أن يؤذن لاهل مكة وكان سنه ستة عشر سنة وأولاده بعده كانوا يتوارثون الاذان بمكة ويروى ان جويرة بنت أبي جهل قالت عند أذان بلال على ظهر الكعبة والله لا نحب من قتل الاحبة أبدا ولقد جاء لابي الذي جاء لمحمد من النبوة فردها ولم يرد خلاف قومه ثم أسلمت وحسن اسلامها رضي الله عنها وممن جاءه صلى الله عليه وسلم يوم الفتح السائب بن عبد الله المخزومي وقيل عبد الله بن السائب وقيل السائب بن عويم وقيل قيس بن السائب بن عويم وكان شريكا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم قال لما أسلمت أخذ عثمان وغيره يثنون علي فقال صلى الله عليه وسلم لا تعلموني به كان صاحبي وفي لفظ لما أقبلت عليه قال مرحبا باخي وشريكي كان لا يداري ولا يماري قد كنت تعمل أعمالا في الجاهلية لا تتقبل منك أي لتوقفها على الاسلام وهي اليوم تتقبل منك أي لوجود الاسلام وجاء فضالة بن عمير بن الملوح حدث نفسه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفضالة قال نعم فضالة يا رسول الله قال ماذا كنت تحدث به نفسك قال لا شيء كنت أذكر الله فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال استغفر الله ثم وضع يده الشريفة على صدره فسكن قلبه فكان فضالة رضي الله عنه يقول والله ما رفع يده عن صدري حتى ما خلق الله شيأ أحب الي منه وفي سيرة ابن هشام قال فضالة فرجعت الى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعث فضالة رضي الله عنه يقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا * يأبى علي الله والاسلام * لو ما رأيت محمدا وقبيله
بالفتح يوم تكسر الاصنام * لرأيت دين الله أضحى بينا * والشرك يغشى وجهه الاظلام

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكعبة وجلس في المسجد والناس حوله ذهب أبو بكر رضي الله عنه وجاء بابيه عثمان ويكنى بابي قحافة يقوده وقد كف بصره فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه وفي لفظ لو أقررت الشيخ في بيته لاتيناه تكرمة لابي بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله هو أحق أن يمشي اليك من أن تمشي أنت اليه فاجلسه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال أسلم تسلم فاسلم ولم يعش لابي قحافة ابن ذكر الا أبو بكر رضي الله عنه وهنأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه باسلام أبيه وعند ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لاسلام أبي طالب كان أقر لعيني من اسلامه يعني أباه أبا قحافة وذلك ان اسلام أبي طالب كان أقر لعينك وكان رأس أبي قحافة رضي الله عنه ولحيته مبيضتين بالشيب فقال صلى الله عليه وسلم غيروهما وجنبوه السواد وكانت أم أبي بكر بنت عم أبيه أسلمت

الله صلى الله عليه وسلم ولا اعتراض على السلطان في عزل بعض العمال وتولية غيره اذا رأى مصلحة في ذلك (وأما) ما نسبه الرافضة الى عثمان رضي الله عنه من انه يصرف بيت المال في عمارة دوره وضياعه المختصة به فزور وبهتان فكيف يكون ذلك وهو من أكثر الصحابة مالا وكيف يفعل ذلك بين أظهر الصحابة مع انه الموصوف بكثرة الحياء وان الملائكة تستحي منه لفرط حيائه أعاذه الله مما نسبوه له وأعاذنا من فرطات الجهل وموبقات الهوى * وقالت الرافضة انه قسم مالا على الصحابة ففضل مائة ألف فاعطاه زيد بن ثابت وهذا أيضا زور وباطل والثابت من ذلك انه قسم مالا ففضل في بيت المال ألف درهم فامر زيدا ان ينفقها فيما يراه أصلح للمسلمين فانفقها زيد في عمارة مسجد رسول الله صلى

قد عا حين أسلم أبو بكر رضي الله عنه وأخته أم فروة رضي الله عنها أسلمت أيضا وأبناؤه وبناته قال بعضهم لم يكن أحد من الصحابة أسلم هو ووالداه وأخته وجميع أولاده وبناته غير أبي بكر رضي الله عنه وبنوه ثلاثة عبد الله وهو أكبرهم مات أول خلافة أبيه وعبد الرحمن ومحمد وكانت ولادة محمد رضي الله عنه عام حجة الوداع وبناته ثلاثة أسماء وهي أكبرهن وهي شقيقة عبد الله وعائشة وهي شقيقة عبد الرحمن وأم كلثوم مات أبو بكر رضي الله عنه وهي في بطن أمها وأخبر بأنها أنثى قبل وفاته وهي حمل في بطن أمها حيث قال لعائشة رضي الله عنها انما هما اخواك وأختاك ولم تكن تعلم ان لها أختا غير أسماء رضي الله عنها فسألته عن ذلك فأشار الى الحمل المذكور وقال أراها أنثى فكان ذلك من كراماته رضي الله عنه وقد ذكر جماعة من المفسرين ان هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون قال بعضهم لا يعرف في الصحابة أربعة متناسلون أسلموا وصحبوا النبي صلى الله عليه وسلم وكل واحد أبو الذي بعده الا في بيت أبي بكر رضي الله عنه أبو قحافة وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن محمد ومن أثبت غير ذلك كزيد ابن حارثة وأبيه حارثة أي فانه أسلم وابنه أسامة بن زيد وابن أسامة فقد نوزع في ثبوت أن ابن أسامة رآه النبي صلى الله عليه وسلم فاما أبو بكر رضي الله عنه وأهل بيته فمتفق على ثبوت ذلك فيهم وبقي من الاصنام التي كانت على الكعبة صنم لخزاعة كان فوق الكعبة وكان من صفر وفي رواية من نحاس موتدا بأوتاد من حديد الى الارض فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه أن يرميه فرماه وكسره وجعل أهل مكة يتعجبون * وروى الحاكم عن علي رضي الله عنه قال انطلق بي صلى الله عليه وسلم حتى أتى بي الكعبة فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة فصعد على منكبي ثم قال انهض فنهضت فلما رأى ضعفي تحته قال اجلس فجلست ثم قال يا علي اصعد على منكبي ففعلت فلما نهض بي خيل لي أني لو شئت نلت أفق السماء فصعدت فوق الكعبة وتنحى صلى الله عليه وسلم فقال ألق صنمهم الاكبر وعالجه قال فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه فألقيته وقد أجاد القائل

يا رب بالقدم التي أوطأتها * من قاب قوسين المحل الاعظما
وبحرمة القدم التي جعلت لها * كتف المؤيد بالرسالة سلما
ثبت على متن الصراط تكرما * قدمي وكن لي منقذا ومسلما
واجعلهما ذخري فمن كانا له * ذخرا فليس يخاف قط جهنما

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة أي بحسب زعمهم وكانت تماثيل على صور شتى فأمر بها فأخرجت وفي رواية أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو بالبطحاء أن يأتي الكعبة فيمحو كل صورة فيها فلم يدخلها حتى محيت الصور فكان عمر رضي الله عنه هو الذي أخرجها وأخرجوا صورة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام في أيديهما الازلام التي كانوا يستقسمون بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم الله أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها قط وفي رواية عن جابر رضي الله عنه وكان عمر رضي الله عنه قد ترك صورة ابراهيم عليه السلام فلما دخل صلى الله عليه وسلم رآها فقال يا عمر ألم آمرك أن لا تدع فيها صورة قاتلهم الله جعلوه شيخا يستقسم بالازلام ثم رأى صورة مريم فقال امسحوا ما فيها من الصور قاتل الله قوما يصورون ما لا يخلقون وفي رواية أسامة ابن زيد رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة فرأى صورا فدعا بماء فجعل يمحوها وهو محمول على انه بقيت بقية خفيت على من محاها أولا وذكر بعضهم ان صورة عيسى وأمه بقيتا أو بقي بعض أثرهما حتى رآهما بعض من أسلم من نصارى غسان فقال انكما لبلاد عربية فلما هدم ابن الزبير رضي الله عنهما البيت ذهبا فلم يبق لهما أثر ثم نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع في بيته صنما الا كسره فكسروا الاصنام التي كانت في بيوتهم وعمدت هند بنت عتبة رضي الله عنها

الله عليه وسلم بعد ما زاد عثمان في المسجد وذلك مشكور محمود على فعله * واعترضوا عليه أيضا بانه حمى حمى ومنع الناس منه وهذا انما فعله لابل الصدقة ولما سئل عن ذلك أجاب بذلك فقال وانه انما قد زدت عما جاء النبي صلى الله عليه وسلم فأجاب بأن ذلك لزيادة ابل الصدقة وهذا وأمثاله ليس مما ينقم به على الامام * ومما اعترضوا به عليه انه أتم الصلاة في سفر الحج في آخر خلافته وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما يقصران وكذلك هو في صدر خلافته والجواب عن ذلك ان كثيرا من الاعراب الذين كانوا يأتون للحج فيرون الامام يصلي الرباعية ركعتين يعتقدون انها كذلك في السفر والحضر فاراد ان يبين لهم ذلك وهنالك أجوبة كثيرة ذكرها العلماء في شروح

الى صنم كان في بيتها وجعلت تضربه وتقول كنا منك في غرور ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم السرايا الى
كسر الاصنام التي حول مكة لانهم كانوا اتخذوا الهم اصناما جعلوا الها بيوتا يعظمونها ويهدون لها
ويطوفون بها كما يطوفون بالكعبة فكان في كل حي صنم فمنها العزى ومناة وسواع وسيأتي ذكر السرايا
اليها * ولما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك فقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم خطيبا بعد الظهر مسندا ظهره الى الكعبة وقيل كان على راحلته فحمد الله وأثنى عليه وقال أيها
الناس ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ويوم خلق الشمس والقمر ووضع هذين الجبلين فهي
حرام الى يوم القيامة فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر يسفك بها دما ولا يعضد فيها شجرة لم تحل لاحد
كان قبلي ولم تحل لاحد يكون بعدي ولم تحل لي الا هذه الساعة يعني من صبيحة يوم الفتح الى العصر غضبا على
أهلها ألا وقد رجعت حرمتها اليوم كحرمتها بالامس فليبلغ الشاهد منكم الغائب فمن قال لكم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد قاتل فيها فقولوا له ان الله تعالى قد أحلها لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يحلها لكم وقد
جاء في صحيح مسلم لا يحل أن يحمل السلاح بمكة يا معشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل فقد كثر القتل فمن قتل
بعد مقامي هذا فاهله بخير النظرين ان شاؤا فدم قاتله وان شاؤا فعقله ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة وهو ابن الاقرع الهذلي وكان مع بني بكر فلما دخل مكة وهو على شركه عرفته
خزاعة فاحاطوا به فطعنه منهم خراش الخزاعي بمشقص في بطنه حتى قتله فلامه صلى الله عليه وسلم وقال لو كنت
قاتلا مسلما بكافر لقتلت خراشا والمشقص ما طال من النصل وعرض وقال صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
لا تغزى مكة بعد اليوم الى يوم القيامة أي لا تغزى على الكفر أي لا يقاتلوا على أن يسلموا * واختلف العلماء
رحمهم الله هل فتحت مكة صلحا أو عنوة فقال الاكثرون انها فتحت عنوة وقال الشافعي وأحمد في رواية عنه انها
فتحت صلحا وجمع بعضهم بين الروايات بان أعلاها فتح صلحا أي الذي سلكه النبي صلى الله عليه وسلم
وأسفلها فتح عنوة أي الذي سلكه خالد بن الوليد رضي الله عنه ولما قرب صلى الله عليه وسلم من دخول مكة
أي قبل أن يدخلها بيوم قال له أسامة بن زيد رضي الله عنهما يا رسول الله أين تنزل غدا زاد في رواية أتنزل في
دارك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهل ترك لنا عقيل من منزل وفي رواية وهل ترك لنا عقيل من رباع أو
دور وكان عقيل ورث أبا طالب هو وأخوه طالب ولم يرث جعفر ولا علي معهما شيئا لانهما كانا مسلمين وتركه
لهما النبي صلى الله عليه وسلم مما يخصه تفضلا واستمالة وتاليفا لهما وقيل تصحيحا للتصرفات الجاهلية كما تصحح
أنكحتهم ثم ان عقيلا أسلم وأما طالب ففقد ببدر وكان مع المشركين وقيل اختطفته الجن وفي رواية للبخاري
قال صلى الله عليه وسلم منزلنا ان شاء الله اذا فتح الله مكة الخيف وفي رواية بخيف بني كنانة حيث تقاسموا
على الكفر يعني به المحصب وذلك ان قريشا وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني المطلب أن لا يناكحوهم ولا
يبايعوهم حتى يسلموا اليهم النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم وانما اختار صلى الله عليه وسلم النزول في ذلك
الموضع ليتذكر ما كانوا فيه فيشكر الله على ما أنعم به عليه من الفتح العظيم وتمكنه من دخول مكة ظاهرا
غالبا على رغم من سعى في اخراجه منها ومبالغة في الصفح عن الذين أساؤا ومقابلتهم بالمن والاحسان ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء وعن جابر رضي الله عنه قال لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيوت مكة وقف فحمد الله
وأثنى عليه ونظر الى موضع قبته أي التي ضربت له بعد وقال هذا منزلنا يا جابر حيث تقاسمت قريش علينا قال
جابر رضي الله عنه فذكرت حديثا كنت سمعته منه قبل ذلك بالمدينة منزلنا اذا فتح الله علينا مكة في خيف بني
كنانة حيث تقاسموا على الكفر وقال ذلك أيضا صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فعن أبي هريرة رضي الله
عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر وهو بمنى نحن نازلون غدا بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر
يعني بذلك المحصب * وبعد ان فتح الله مكة جاء صلى الله عليه وسلم الى الصفا حيث ينظر الى البيت ورفع يديه وقام
يدعو ويذكر الله بما شاء وقد أحدقت به الانصار فقال بعضهم لبعض أما الرجل فقد أدركته رغبة في قريته
ورأفة بعشيرته فنزل عليه الوحي بما ذكر القوم فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وقال يا معشر الانصار

الحديث وكتب الفقه على
ان القصر رخصة وليس
بواجب عند كثير من
الفقهاء بل عند الاكثرين
وانما أوجب القصر فقهاء
الكوفة فكان عثمان رضي
الله عنه ممن يرى عدم
وجوب القصر وهي مسئلة
اجتهادية فقوله بعدم
وجوب القصر لا يوجب
كفرا ولا فسقا (والحاصل)
ان الملحدة تمسكوا بهذه
الاشياء وأمثالها وكلها
لا توجب شيأ مما فعلوه بل
كان رضي الله عنه فيها
مجتهدا ماجورا ولها وجوه
واضحة وانما غلب الهوى
على عقولهم حتى ضلت وقد
شهد النبي صلى الله عليه
وسلم لعثمان رضي الله عنه
بانه على الحق وفي رواية
للامام أحمد انه على الهدى
وأخبر انه يقتل ظالما ومن
شهد له النبي صلى الله عليه
وسلم انه على الحق وانه
يقتل ظالما وأمر باتباعه
كيف يتطرق الى الوهم انه

قلتم أما الرجل فادركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته قالوا قلنا ذلك يارسول الله قال فما اسمي اذن ان فعلت ذلك كيف اسمي وأوصف باني عبد الله ورسوله كلا لا أفعل ذلك اني عبد الله ورسوله أي من كان هذا وصفه لا يفعل ذلك هاجرت الى الله واليكم فالمحيا محياكم والممات مماتكم فاقبلوا اليه يبكون و يقولون والله ماقلنا الذي قلنا الا الضن أي البخل بالله ورسوله أي لا نسمح أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير بلدتنا يعنون المدينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله ورسوله يعذرانكم أي يقبلان عذركم ويصدقانكم وفي رواية ان الانصار قالوا فيما بينهم أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شئ يارسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم وتقدم له صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة نظير ذلك وهو ان الانصار قالوا يارسول الله هل عسيت ان نصرناك وأظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم * واستقرض صلى الله عليه وسلم من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية قبل أن يسلم خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن أبي ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها في أصحابه من أهل الضعف ثم وفاها مما غنمه من هوازن وأقام صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها تسعة عشر وقيل ثمانية عشر يوما واعتمده البخاري يقصر الصلاة في مدة اقامته بها لانه كان يترقب المسير الى حرب هوازن لسماعه بتجهزهم لحاربته وولى مكة عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان عمره احدى وعشرين سنة وفي رواية أن عمره كان ثماني عشرة سنة وجعل معه معاذ بن جبل رضي الله عنه يعلم الناس الفرائض والسنن وجعل رزق عتاب كل يوم درهما فكان رضي الله عنه يقول لا أشبع الله بطنا جاع على درهم كل يوم وفي رواية أنه خطب الناس فقال أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم درهما فلا حاجة لي الى أحد وبقي على عمله الى آخر خلافة الصديق رضي الله عنه وتوفي في اليوم الذي توفي فيه الصديق رضي الله عنه وقيل بل استعمله عمر رضي الله عنه وعاش الى سنة احدى وعشرين وكانت وفاته في خلافة عمر رضي الله عنه وانما استعمله النبي صلى الله عليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كان رأى في المنام أن أسيدا والده ولي على مكة مسلما فمات كافرا فكان تأويل تلك الرؤيا ولاية ولده عتاب رضي الله عنه حين أسلم وكان رضي الله عنه من فضلاء الصحابة وعبادهم وجاء أنه صلى الله عليه وسلم لما ولاه قال له انطلق فقد استعملتك على أهل الله قال ذلك ثلاثا وفي رواية قال له يا عتاب أتدري على من استعملتك على أهل الله فاستوص بهم خيرا يقول ذلك ثلاث مرات فكان عتاب رضي الله عنه شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال أهل مكة يارسول الله لقد استعملت على أهل مكة عتاب بن أسيد أعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلق الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الاسلام لنصرته للمسلمين على من يريد ظلمهم * قال ابن الجوزي انما استعمل صلى الله عليه وسلم عتابا حين أراد الخروج الى حرب هوازن وفي كلام غيره أن ذلك كان بعد غزوة الطائف وعمرة الجعرانة حين أراد صلى الله عليه وسلم الذهاب الى المدينة ولا تخالف لاحتمال أن يراد انه أبقاه على ذلك حين أراد الرجوع الى المدينة وكان لعتاب رضي الله عنه ولد اسمه عبد الرحمن يقال له يعسوب قريش حضر وقعة الجمل مع علي رضي الله عنه فقتل واحتمل نسر يده وألقاها بمكة فعرفوها بخاتمه فجهزوها وصلوا عليها ودفنوها والكلام على هذه الغزوة الشريفة يطول وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم وقد أشار الامام البوصيري لبعض ما وقع فيها فقال

صرعت قومه حبائل بغي * مدها المكر منهم والدهاء * فاتتهم خيل الى الحرب تختا
ل وللخيل في الوغى خيلاء * قصدت منهم القنا فقوافي الطعن منها ما شأنه الايطاء

على باطل (ثم قد ورد) في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبره ان الله يقمصه بقميص وان المنافقين يريدونه على خلعه وأكد عليه الامر بان لا يخلعه وفي بعض الطرق انه توعده على خلعه وأمره بانه يصبر فمتثل أمره وصبر على ما ابتلي به وهذا من أدل دليل على انه كان على الحق وماذا بعد الحق الا الضلال فمن خالفه يكون على الباطل كيف وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرادوا خلعه بالنفاق * فعلم بالضرورة ان كل ما روي عنه مما يوجب الطعن عليه دائر بين مفترى عليه ومختلق وبين مجهول تقدير صحته ولو فرض صحة شئ منه فانه يجب حمله على أحسن التأويلات ليكون معه على الحق تصديقا لخبر النبوة المقطوع بصدقه وهذا مع ما علم من سابقيته وكثرة انفاقه في سبيل الله تعالى

وأثارت بأرض مكة نقعا * ظن أن الغدو منها عشاء * أحجمت عنده الحجون وأكدى
دون اعطائه القليل كداء * ودهت أوجها بها وبيوتا * مل منها الاكفاء والاقواء
فدعوا أحلم البرية والعفو جواب الحليم والاغضاء * ناشدوه القربى التي من قريش
قطعتها الترات والشحناء * فعفا عفو قادر لم ينغصه عليهم بما مضى اغراء
واذا كان القطع والوصل لله تساوى التقريب والاقصاء * وسواء عليه فيما أتاه
من سواه الملام والاطراء * ولو أن انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فأرضى الله منه تباين ووفاء * فعله كله جميل وهل
* ينضح الا بما حواه الاناء *

وقد أجاد العلامة أبو محمد عبد الله بن أبي زكريا يحيى بن علي الشقراطسي حيث يقول في قصيدته المشهورة بعد ما ساق قصة بدر أتبعها بثمانية وعشرين بيتا في قصة الفتح لانهما كانتا عظيمتين فبدر أول مشهد نصر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فيه وهذه يوم استيلائه على مكة التي هي من أشرف البقاع ويوم عزه في بلاده التي أوذي فيها ودخل الناس في دين الله أفواجا فقال

ويوم مكة اذ أشرفت في أمم * تضيق عنها فجاج الوعث والسهل
خوافق ضاق ذرع الخافقين بها * في قاتم من عجاج الخيل والابل
وجحفل قذف الارجاء ذي لجب * عرمرم كزهاء السيل منسحل
وأنت صلى عليك الله تقدمهم * في بهو اشراق نور منك مكتمل
ينير فوق أغر الوجه منتجب * متوج بعزيز النصر مقتبل
يسمو أمام جنود الله مرتديا * ثوب الوقار لامر الله ممتثل
خشعت تحت بهاء العز حين سمت * بك المهابة فعل الخاضع الوجل
وقد تباشر أملاك السماء بما * ملكت اذ نلت منه غاية الامل
والارض ترجف من زهو ومن فرق * والجو يزهر اشراقا من الجذل
والخيل تختال زهوا في أعنتها * والعيس تنثال رهوا في ثنى الجدل
لولا الذي خطت الاقلام من قدر * وسابق من قضاء غير ذي حول
أهل ثهلان بالتهليل من طرب * وذاب يذبل تهليلا من الذبل
الملك لله هذا عز من عقدت * له النبوة فوق العرش في الازل
شعبت صدع قريش بعد ما قذفت * بهم شعوب شعاب السهل والقلل
فالوا محمد قد زادت كتائبه * كالاسد تزأر في أنيابها العصل
فويل مكة من آثار وطأته * وويل أم قريش من جوى الهبل
فجدت عفوا بفضل العفو منك ولم * تلمم ولا بأليم اللوم والعذل
أضربت بالصفح صفحا عن طوائلهم * طولا أطال مقيل النوم في المقل
رحمت واشج أرحام أتيح لها * تحت الوشيج نشيج الروع والوجل
عاذوا بظل كريم العفو ذي لطف * مبارك الوجه بالتوفيق مشتمل
أزكى الخليقة أخلاقا وأطهرها * وأكرم الناس صفحا عن ذوي الزلل
زان الخشوع وقار منه في خفر * أرق من خفر العذراء في الكلل
وطفت بالبيت محبورا وطاف به * من كان عنه قبيل الفتح في شغل
والكفر في ظلمات الرجس مرتكس * ثاو بمنزلة المهموت من زحل
حزت بالأمن أقطار الحجاز معا * وملت بالخوف عن حيف وعن طلل

وشرف منزلته بالصهارة ببنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظم مكانته في الدين والصفات الجميلة والمآثر الحميدة فكيف يتوهم فيه شيء مما ادعاه أهل الاهواء والبدع وأما كلفه بأقاربه ومحبته لهم وصلته اياهم وحب الخير لهم فتلك صفات جبلية لم يودعها الله الا في خير خلقه وقد كان صلى الله عليه وسلم على مثل ذلك في بني هاشم وذلك كله محمود ما لم يؤد الى معصية ولم يتحقق في شيء مما أتاه عثمان رضي الله عنه معصية بل له من المحامل الجلية الظاهرة ما يمنع من الحرمة بل الكراهة * وعلى الجملة فالذي يجب اعتقاده ولا يحل خلافه ان عثمان رضي الله عنه لم يخرج عن الحق والهدى في شيء مما أتاه تصديقا لشهادة المصطفى صلى الله عليه وسلم بانه على الحق وانه مظلوم وانه خليفة حقا مأمور باتباعه

وحل أمن ويمن منك في يمن * لما أجابت الى الايمان عن عجل
وأصبح الدين قد حفت جوانبه * بعزة النصر واستولى على الملل
قد طاع منحرف منهم لمعترف * وانقاد منعدل منهم لمعتدل
أحبب بخلة أهل الحق في الخلل * وعز دولته الغراء في الدول

(هدم العزى وتعرف بسرية خالد بن الوليد سيف الله)

الذى صبه على الكفار وكانت عقب فتح مكة بخمس ليال بعث صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضى الله عنه الى العزى ومعه ثلاثون فارسا ليهدمها واختلف في المراد من العزى فقيل هي شجرة وقيل صنم وضعه سعد ابن ظالم الغطفاني لما قدم مكة ورأى أهلها يطوفون بين الصفا والمروة فأخذ من كل حجرا ونقلها الى نخلة وهو موضع على ليلة من مكة وكانت العزى لقريش وجميع بني كنانة وحجابها بنو شيبان من بني سليم وكانوا حلفاء بني هاشم وكانت أعظم أصنامهم وذلك أن عمرو بن لحى لعنه الله قال لهم ان الرب يشتى عند اللات ويصيف عند العزى فعظموها وبنوا لها بيتا وكانوا يهدون لها كما يهدون للكعبة ويعظمونها كتعظيمها ويطوفون وينحرون عندها ومع ذلك يعرفون فضل الكعبة عليها لانها بيت ابراهيم عليه السلام ومسجده قال ابن اسحق فلما سمع سادن العزى بمسير خالد اليه علق سيفه واستند في الجبل الذى هي فيه وهو يقول أياعز شدى شدة لا سوى لها * على خالد ألقى القناع وشمرى

أياعز ان لم تقتلي المرء خالدا * فبوئي باثم عاجل أو تنصرى

فلما انتهوا اليها هدموا البيت التي هي فيه وكان على ثلاث سمرات فقطعها خالد رضى الله عنه وهدم البيت وكسر الصنم ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاخبره فقال هل رأيت شيأ أخرج منها حين هدمتها قال لا قال فانك لم تهدمها أى الهدم الابدى المزيل لها حقيقة فان الذى فعلته هو ازالة الصورة الظاهرة وبقى أمر خفى لا تزول الا بزواله فارجع اليها فاهدمها فرجع خالد رضى الله عنه وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت اليه امرأة عجوز عريانة سوداء ثائرة الرأس تحثو التراب على رأسها ووجهها فجعل السادن يصيح بها وهو يقول

ياعزى خبليه * ياعزى عوريه

ولا تموتى برغم فضربها خالد رضى الله عنه وهو يقول

ياعز كفرانك لا سبحانك * انى رأيت الله قد أهانك

فجزلها أى قطعها اثنتين وفي رواية فضرب الشجرة بالفاس فقلعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فضربها فقطعها اثنتين ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال نعم تلك العزى وقد يئست أن تعبد ببلادكم أبدا

(هدم سواع وهي سرية عمرو بن العاص رضى الله عنه)

الى هدم سواع وهو صنم لهذيل على ثلاثة أميال من مكة وكان بعثه في رمضان أيضا بعد الفتح قال ابن جرير سواع بن شيث بن آدم لما مات صورت صورته وعظمت لموضعه من الدين ولما عهدوا في دعائه من الاجابة وأولاده يغوث ويعوق ونسر فلما ماتوا صورت صورهم فلما خلفت الخلوف قالوا ما عظم هؤلاء آباؤنا الا انها ترزق وتنفع وتضر فاتخذوها آلهة قال السهيلي وكان بدء عبادتها في عهد مهلاييل بن قينان قبل نوح عليه السلام وفي البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما صارت الاوثان التى كانت في قوم نوح في العرب وهي أسماء قوم صالحين فلما هلكوا أوحى الشيطان الى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم فلم تعبد فلما هلك أولئك ونسخ العلم عبدت قال عمرو بن العاص رضى الله عنه فانتهيت الى سواع وعنده السادن قال ماتريد فقلت أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه قال لا تقدر على ذلك فقلت لم قال تمنع قلت حتى الآن أنت على الباطل ويحك وهل يسمع أو يبصر حتى يمنعني قال فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته فلم نجد

(أخرج) الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما لعثمان رضى الله عنه (وأخرج) الترمذى والحاكم وصححه وابن ماجه عن مرة بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتنة يقربها فمر رجل مقنع في ثوب فقال هذا يومئذ على الهدى فقمت اليه فاذا هو عثمان بن عفان رضى الله عنه فاقبلت بوجهى فقلت هذا قال نعم (وقد ولى) عثمان رضى الله عنه الخلافة اثنتى عشرة سنة يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيأ وانه لأحب الى قريش من عمر بن الخطاب رضى الله عنه لان عمر كان شديدا عليهم فلما وليهم عثمان رضى الله عنه لان لهم ووصلهم ثم في السنة السابعة كثر الامراء من

فيه شيأ ثم قالت السادن كيف رأيت فقال أسلمت لله رب العالمين ولم يذكر أحد عدد الذين
كانوا مع عمرو رضي الله عنه

(هدم مناة وهي سرية سعد بن زيد الاشهلي رضي الله عنه)

الى مناة وهو صنم للاوس والخزرج ومن دان دينهم وقيل انها أيضا لهذيل وبني كعب وخزاعة وغسان وكانت بالمشلل بضم الميم وفتح الشين واللام الاولى المشددة جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد وكان بعثه في رمضان أيضا بعد الفتح فخرج سعد بن زيد رضي الله عنه في عشرين فارسا حتى انتهى اليها وعليها سادن قال السادن ما تريد قال أريد هدم مناة قال أنت وذاك تهكما لظنه انه لا يقدر عليها فاقبل سعد يمشي اليها فخرجت اليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس أي منتشرة الشعر تدعو بالويل وتضرب صدرها فقال السادن مناة دونك بعض عصاتك فضربها سعد فقتلها وأقبل الى الصنم ومعه أصحابه فهدموه ولم يجدوا فى خزانته شيأ وانصرف راجعا الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم ما ذكر من أن الذي ذهب لهدمها سعد بن زيد الاشهلي هو ما مشى عليه في المواهب تبعا للطبقات ابن سعد وقال ابن اسحق ان الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لهدمها أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه وفي سيرة ابن هشام انه علي بن أبي طالب رضي الله عنه ويمكن ان الجميع ذهبوا لذلك والله أعلم

(غزوة حنين)

وهو اسم موضع في طريق الطائف الى جنب ذي المجاز وهو سوق كان في الجاهلية وقيل حنين اسم لما بين مكة والطائف وتسمى غزوة أوطاس وهو اسم لموضع كانت به الوقعة وتسمى أيضا غزوة هوازن وهوازن قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون الى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ابن الياس بن مضر وسببها انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة مشت أشراف هوازن وثقيف بعضها الى بعض وتشاوروا وأعلوا قتاله صلى الله عليه وسلم لانهم خافوا أن يسير اليهم ويغزوهم وقالوا قد فرغ لنا فلا مانع له دوننا فالرأي أن نغزوه قبل أن يغزونا بل جاء في بعض الروايات انهم قبل فتح مكة كانوا يريدون قتاله صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي الزناد ان هوازن أقامت سنة تجمع الجموع وتسير رؤساؤهم في العرب تجمعهم فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قالوا لا ناهية له دوننا وعزموا على انهم يغزونه قبل أن يغزوهم وقال بعض منهم والله مالاقى محمد اقوما يحسنون القتال فاجمعوا أمركم وسيروا اليه قبل أن يسير اليكم فاجمعوا أمرهم على ذلك وكان جماع أمر الناس الى مالك بن عوف بن سعد بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر ابن معاوية بن بكر بن هوازن ويقال له النصري بالصاد وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه فاجتمع اليه من القبائل جموع كثيرة منهم بنو سعد بن بكر وهم الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسترضعا فيهم ومعهم دريد ابن الصمة وكان شجاعا مجربا لكنه كبر لانه بلغ مائة وعشرين سنة وقيل مائة وخمسين وقيل مائة وسبعين وقيل قارب المائتين وقد عمي وصار لا ينتفع الا برأيه ومعرفته بالحرب لانه كان صاحب رأي وتدبير ومعرفة بالحروب وكان قائد ثقيف كنانة بن عبد ياليل وأسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكان جملة من اجتمع من بني سعد وثقيف أربعة آلاف وانضم اليهم من أعداد سائر العرب جموع كثيرة وكان مجموعهم كلهم ثلاثين ألفا وجعلوا أمر الجميع الى مالك بن عوف النصري وكان عمره ثلاثين سنة واشترطوا عليه ان يأخذ برأي دريد ابن الصمة فامرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مواشيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم كي يثبتوا عند الحرب ولا يفروا فلما نزلوا باوطاس قال دريد بن الصمة مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قالوا ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم قال أين هو فحضر بين يديه فقال له انك تقاتل رجلا كريما قد أوطأ العرب وخافته العجم وأجلى يهود أي غالبهم اما قتلا واما اخراجا عن ذل وصغار فقال له مالك لا تخالفك في أمر تراه فقال يا مالك أصبحت رئيس قومك وان هذا يوم كان له ما بعده من الايام مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير ويعار الشاء وخوار البقر قال سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال له ولم قال أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله

أقاربه فتكلم الناس وأدخل عبد الله بن سبا الشبه في قلوب الضعفاء فجاء الوهن والضعف وكثر الطعن فكان عبد الله بن سبا ومن وافقه يحثون الناس على الخروج اليه ويكاتبون أهل الامصار في ذلك فهاج لذلك جماعة من البصرة وجماعة من الكوفة وكانوا كلما ولي أميرا يطلبون عزله فكان يوافقهم تارة ويخالفهم أخرى *وخرج من أهل مصر سبعمائة رجل يشكون من عبد الله ابن أبي سرح ويسألونه عزله فقال له طلحة بن عبيد الله وعائشة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم اعزله عنهم فقال لاهل مصر اختاروا لكم رجلا أوليه عليكم مكانه فاشار الناس بمحمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وكان محمد ربيب علي رضي الله عنه لان عليا تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاة أبي بكر رضي الله

يقاتل عنهم فزجر كانز جر الدابة وهو ان يلصق اللسان بالحنك الاعلى و يصوّت به وهو معنى قول بعضهم صوّت بلسانه فى فيه ثم قال له رويعى ضأن والله ماله وللحرب أى من كانت هذه صفته ماله وللحرب ثم أشار عليه برد الذرية والاموال وقال هل يرد المنهزم شئ هى ان كانت لك لم ينفعك الارجل بسيفه ورمحه لا هؤلاء النساء والصبيان والمواشى وان كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك فلم يقبل ذلك منه مالك ثم قال دريد مافعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها منهم أحد قال غاب الحد والجد لو كان يوم علاء ورفعة ما غابا ثم قال دريد لمالك ان يوملك هذا الذى تلقى فيه محمدا ما بعده يوم فقال له مالك انى لا طمع ان ترى ما يسرك ثم أشار دريد عليه بامور لم يقبلها مالك وقال والله لا أطيعك انك قد كبرت وضعف رأيك فقال لهوازن قد شرط مالك أن لا يخالفنى وقد خالفنى فانا أرجع الى أهلى فمنعوه وقال مالك والله لتطيعننى يا معشر هوازن أو لا تكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى وكره أن يكون لدريد فيها رأى أو ذكر فقالوا أطعناك فقال دريد يا معشر هوازن ان هذا فاضحكم فى عورتكم يعنى النساء والذرية وممكن منكم عدوكم ولاحق بحصن ثقيف وتارككم فانصرفوا وتركوه فلما أبوا الا رأى دريد انهم خالفوه وقال

يا ليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع أقود وطفاء الزمع * كأنها شاة صدع

ثم أمر مالك بالخيل فجعلت صفوفا وجعل المشاة خلفهم ثم جعل النساء فوق الابل وراء المقاتلة صفوفا ثم جعل الابل والبقر والغنم وراء ذلك كيلا يفروا ويقاتلوا عن مالهم ونسائهم وذراريهم ثم قال للناس اذا رأيتمونى شددت عليهم شدوا عليهم شدة رجل واحد * ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم اجتماعهم وتحزبهم أجمع على الخروج اليهم وكان خروجه من مكة يوم السبت لست خلون من شوال وكان معه صلى الله عليه وسلم اثناعشر ألفا منهم عشرة آلاف الذين جاؤا معه من المدينة لفتح مكة وألفان من الذين أسلموا فى فتح مكة الذين من عليهم وأطلقهم يوم الفتح وفصل بعضهم العشرة الآلاف الذين جاؤا معه من المدينة وخرجوا لحرب هوازن فقال أربعة آلاف من الانصار وألف من المهاجرين وألف من جهينة وألف من مزينة وألف من أسلم وألف من غفار وألف من أشجع وتقدم انه صلى الله عليه وسلم استقرض من ثلاثة نفر من قريش أخذ من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم ومن عبد الله بن ربيعة أربعين ألف درهم ومن حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم فرقها فى أصحابه أهل الضعف ليستعينوا بها وكان ذلك عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ثم وفاهم مما غنمه من هوازن وقال انما جزاء السلف الحمد والاداء وكان صفوان بن أمية على دين قومه وأخذ أمانا من النبى صلى الله عليه وسلم وسأله أن يعطيه مهلة شهرين ثم ان شاء تبعه ودخل فى الاسلام وان شاء ذهب حيث شاء فاعطاه أربعة أشهر ثم أسلم بعد ذلك رضى الله عنه وتقدم الكلام على قصة اسلامه مستوفى عند ذكره فى عداد من أهدر دمهم صلى الله عليه وسلم واستثناهم من الدخول فى الامان ثم انه صلى الله عليه وسلم لذكر واله عند عزمه على الخروج لحرب هوازن ان عند صفوان بن أمية أدراعا وسلاحا فارسل اليه فقال يا أبا أمية أعرنا سلاحك نلقى به عدونا غدا فقال صفوان أغصبا يا محمد قال بل عارية وهى مضمونة حتى نؤديها اليك فقال ليس بهذا بأس فاعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح وفى رواية أربعمائة درع وسأله النبى صلى الله عليه وسلم أن يكفيهم حملها الى موضع القتال ففعل * وذكر بعضهم ان بعض تلك الادراع فقد فاراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يضمنها له فابى بعد اسلامه وقال أنا اليوم يا رسول الله فى الاسلام أرغب واستعار صلى الله عليه وسلم من نوفل بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عمه صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف رمح وقال كأنى أنظر الى رماحك هذه تقصف ظهر المشركين ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم وخرج الناس معه وأهل مكة ركبانا ومشاة حتى النساء خرجن يمشين على غير وهن رجاء الغنائم ومن لم يكمل اسلامه لم يكره أن الصدمة برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستعمل صلى الله عليه وسلم على مكة عتاب بن أسيد رضى الله عنه وترك معه معاذ بن جبل رضى الله عنه يعلم الناس الاحكام والشرائع وقد تقدم الكلام على ذلك فى غزوة الفتح وخرج معه صلى الله عليه وسلم

عنه وكانت أسماء قبل أن يتزوج بها أبو بكر تحت جعفر بن أبى طالب فمحمد ابن أبى بكر وابنا جعفر بن أبى طالب اخوة لام فكتب عثمان عهده وولاه وعزل ابن أبى سرح وخرج معهم جماعة من المهاجرين والانصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبى سرح فخرج محمد بن أبى بكر ومن معه فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة اذا هم بغلام اسود على بعير يخبط البعير خبطا كأنه رجل يطلب أو يطلب فقال له أصحاب محمد بن أبى بكر ما قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فقال أنا غلام أمير المؤمنين وجهنى الى عامل مصر فقال له رجل هذا عامل مصر قال ليس هذا أريد فاخبر بامره محمد ابن أبى بكر رضى الله عنهما فبعث فى طلبه رجلا فاخذه فجاء به اليه فقال غلام من أنت فمرة يقول أنا غلام أمير

من

من المشركين الذين أمنهم ولم يسلموا حين خروجه ثمانون رجلا منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو رضي الله عنهما فانهما أسلما بعد ذلك وقد تقدمت قصة اسلامهما فلما قرب النبي صلى الله عليه وسلم من محل العدو رتب أصحابه وصفهم ووضع الالوية والرايات مع المهاجرين والانصار فلواء المهاجرين أعطاه عليا رضي الله عنه وقسم الرايات على كل بطن فاعطى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه راية وأعطى عمر بن الخطاب رضي الله عنه راية وهكذا وأعطى لواء الخزرج للحباب بن المنذر رضي الله عنه ولواء الاوس لاسيد بن حضير رضي الله عنه وجعل لكل بطن راية يحملها واحد منهم ثم رتب قبائل العرب التي كانت معه وفرق عليهم الالوية والرايات ولبس صلى الله عليه وسلم درعين والبيضة والمغفر وركب بغلته البيضاء وفي رواية الشهباء وهي بغلة واحدة سماها بعضهم بيضاء وبعضهم شهباء لان بياضها كان يميل الى الشهبة واسمها دلدل وأرسل مالك ابن عوف رئيس هوازن ثلاثة نفر عيونا وجواسيس ينظرون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه فرجعوا الى مالك وقد تفرقت أوصالهم من الفزع فقال ويلكم ما شأنكم فقالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى وان أطعتنا رجعت بقومك فقال أف لكم بل أنتم أجبن القوم وحبسهم عنده خوفا أن يشيع ذلك في جيشه ولم يصرفه ذلك ومضى على ما يريد وأرسل اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من أصحابه وهو عبد الله بن أبي حدرد الاسلمي رضي الله عنه وأمره أن يدخل فيهم ويسمع منهم ما أجمعوا عليه فدخل فيهم ومكث يوما أو يومين وسمع ما يقولون ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره انه انتهى الى خباء مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن فسمعه يقول لاصحابه ان محمدا لم يقاتل قوما قط قبل هذه المرة وانما كان يلقى قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم فاذا كان السحر فصفوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم ثم صفوا ثم تكون الحملة منكم واكسروا أغماد سيوفكم فتلقونه بعشرين ألف سيف واحملوا حملة رجل واحد واعلموا ان الغلبة لمن حمل أولا وفي رواية ان ابن أبي حدرد رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم أي نسائهم ونعمهم وشائهم اجتمعوا الى حنين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تلك غنيمة المسلمين ان شاء الله فقال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم عن قلة فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله فيما تقدم بعشرين ألف سيف حق وهو الراجح كما حقق ذلك العلامة الزرقاني في شرح المواهب وقيل كانوا ثلاثين ألفا وأما رواية انهم كانوا أربعة آلاف فمرجوحة ولما كان صلى الله عليه وسلم بحنين وانحدر في الوادي وذلك عند غبش الصبح خرج عليهم القوم وكانوا قد كمنوا لهم في شعاب الوادي ومضايقه وذلك باشارة دريد بن الصمة فانه قال لمالك بن عوف اجعل كمينا يكون لك عونا ان حمل القوم عليك جاءهم الكمين من خلفهم وكررت عليهم أنت بمن معك وان كانت الحملة لك لم يفلت من القوم أحد فحملوا عليهم حملة رجل واحد وكانت هوازن رماة فاستقبلوهم بالنبل كأنه جراد منتشر لا يكاد يسقط لهم سهم * وقال البراء بن عازب رضي الله عنهما كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فاكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فاخذ المسلمون في الرجوع منهزمين لا يلوي أحد على أحد وفي رواية فاستقبلهم من هوازن ما لم يروا مثله قط من السواد والكثرة وذلك في غبش الصبح وخرجت الكتائب من مضيق الوادي فحملوا حملة واحدة فانكشفت خيل بني سليم مولية وكانت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فتبعهم أهل مكة والناس فانهزموا وقيل ان الطلقاء وهم أهل مكة قال بعضهم لبعض أي قال من كان منهم اسلامه مدخولا اخذلوهم فهذا وقته فانهزموا أول من انهزم وتبعهم الناس وسأل رجل البراء بن عازب رضي الله عنهما فررتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فقال البراء ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز ذات اليمين ومعه نفر قليل منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والعباس وابنه الفضل وأبو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب ابن عمه صلى الله عليه وسلم وأسامة بن زيد وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب وأيمن بن أم أيمن وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين وأيمن هذا استشهد يومئذ

المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان حتى عرفه رجل انه لعثمان فقال محمد الى من أرسلت قال الى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوا فلم يجدوا معه كتابا وكانت معه اداوة قد يبست فيها شيء يتقلقل فحركوها ليخرج فلم يخرج فشقوا الاداوة فاذا فيها كتاب من عثمان الى ابن أبي سرح فجمع محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما من كان عنده من المهاجرين والانصار وغيرهم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فاذا فيه اذا أتاك محمد وفلان وفلان فاحتل في قتلهم وأبطل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأيي واحبس من يجيء الي يتظلم منك ليأتيك رأيي في ذلك ان شاء الله تعالى فلما قرؤا الكتاب فزعوا وأزمعوا فرجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفع الكتاب الى

واختلف فى عدد الذين ثبتوا معه يومئذ فقيل مائة وقيل ثمانون وقيل اثنا عشر وقيل عشرة وقيل ثلثمائة ولا مخالفة لامكان الجمع باختلاف اللحظات فكانوا تارة قليلا وتارة كثيرا وتارة يجتمعون معه وتارة يتفرقون عن يمينه وشماله يقاتلون * وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فولى الناس وبقيت معه فى ثمانين رجلا من المهاجرين والانصار فقمنا على أقدامنا ولم نولهم الدبر وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته لم يمض قدما وكان العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى صلى الله عليه وسلم آخذا بلجام بغلته يكفها أن تتقدم فى نحر العدو وجاء فى رواية ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان آخذا باللجام فلعله كان يمسكه هو تارة والعباس تارة وكان أبو سفيان بن الحرث وهو ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم رضى عنه آخذا بركابه صلى الله عليه وسلم قال رضى الله عنه لما القينا العدو بحنين اقتحمت عن فرسى وبيدى السيف مصلتا والله يعلم انى أريد الموت دونه صلى الله عليه وسلم وهو ينظر الى فقال له العباس رضى الله عنه يارسول الله أخوك وابن عمك أبو سفيان فارض عنه فقال صلى الله عليه وسلم غفر الله له كل عداوة عادانيها قال ثم التفت الى وقال يا أخى فقبلت رجله فى الركاب وقال صلى الله عليه وسلم فيه أبو سفيان بن الحرث من شباب أهل الجنة وفى رواية سيد فتيان أهل الجنة وكان النبى صلى الله عليه وسلم يركض ناحية هوازن ويقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وأخذ كفا من تراب فرما فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ الله عينيه من تلك القبضة وجاء فى بعض الروايات أنه حين أراد تناول التراب حادت به بغلته ومال به السرج وكان ابن مسعود رضى الله عنه قريبا منه قال فقلت ارتفع رفعك الله فقال ناولنى كفا من تراب فناولته فضرب به وجوههم فامتلأت ترابا وقيل انه نزل عن بغلته وأخذ التراب بيده وفى رواية قال للعباس ناولنى من الحصباء فألهم الله البغلة فانخفضت به حتى كاد بطنها يمس الارض فتناول من البطحاء فحثا فى وجوههم وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون وعن مالك بن أوس قال حدثنى عدة من قومى شهدوا ذلك اليوم يقولون لقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية من الحصى فما منا أحد الا شكا القذى فى عينيه ولقد كنا نجد فى صدورنا خفقا كوقع الحصى فى الطاس ما يهدأ ذلك الخفقان وعن يزيد بن عامر السوائى وكان حضر ذلك اليوم فسئل عن الرعب فكان يأخذ الحصاة فيرمى بها فى الطست فيطن فيقول انا كنا نجد فى أجوافنا مثل هذا وعن أبى عبد الرحمن الفهرى قال حدثنى أبناؤهم عن آبائهم انهم قالوا لم يبق منا أحد الا امتلأت عيناه وفمه ترابا وسمعنا صلصلة من السماء كامرار الحديد على الطست وهذا الرمى وقع فى هذه الغزوة وفى غزوة بدر وفى ذلك قال الله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى والى ذلك أشار صاحب الهمزية بقوله

ورمى بالحصى فاقصد جيشا * ما العصا عنده وما الالقاء

وعن عبد الرحمن بن مولى عن رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما التقينا نحن وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين لم يقوموا لنا حلب شاة فلما القيناهم جعلنا نسوقهم ونحن فى آثارهم حتى انتهينا الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان فقالوا لنا شاهت الوجوه ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا أكتافنا ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى من الهزيمة صار يقول الى أيها الناس الى قال الراوى للحديث فلم أر الناس يلوون على شئ فقال صلى الله عليه وسلم لعمه العباس رضى الله عنه اصرخ يا معشر الانصار يا أصحاب السمرة يعنى الشجرة التى كانت تحتها بيعة الرضوان وفى رواية اصرخ يا للمهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة ويا للانصار الذين آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان العباس رضى الله عنه رفيع الصوت حتى جاء انه كان يسمع صوته من مسافة ثمانية أميال وفى رواية قال له ناد يا أصحاب البيعة يوم الحديبية يا أصحاب سورة البقرة وفى لفظ ناد يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بنى الخزرج ولا تنافى بين الروايات لاحتمال تكرر قول النبى صلى الله عليه وسلم له وتكرر ندائه وانه نادى بكل تلك الالفاظ وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم نادى بنفسه أيضا بعد نداء العباس

فالتفت

رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبير وعليا وسعدا ومن كان من كبار الصحابة ثم فضوا الكتاب بحضرتهم وأخبروهم بقصة الغلام وأقرؤهم الكتاب فلم يبق أحد من أهل المدينة الا حنق على عثمان وحاصر الجيش عثمان رضى الله عنه وكان العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم قد توفى فى خلافة عثمان رضى الله عنه سنة اثنين وثلاثين وكذا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه توفى سنة اثنين وثلاثين فلما رأى على رضى الله عنه اجتماع الجيش وانهم يريدون حصار عثمان رضى الله عنه دخل على عثمان ومعه طلحة والزبير وسعد ونفر من الصحابة رضى الله عنهم ومعهم الكتاب والغلام والبعير فقال له على رضى الله عنه هذا الغلام غلامك قال نعم والبعير بعيرك قال نعم قال فانت

فالتفت عن يمينه فقال يامعشر الانصار فقالوا لبيك يارسول الله أبشر نحن معك ثم التفت عن يساره فقال يامعشر الانصار فقالوا لبيك يارسول الله أبشر نحن معك وفى رواية فاجابوه لبيك لبيك نحن معك يارسول الله وصار الرجل منهم اذا لم يطاوعه بعيره على الرجوع أى لم ينقد معه بسهولة انحدر عنه وتركه وربما جمع وسيفه وترسه معه يؤم الصوت حتى ينتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة ماشبهت عطفة الانصار على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عطفة الابل وفى لفظ عطفة البقر على أولادها وفى رواية أقبلوا كأنهم الابل اذا حنت على أولادها وفى رواية فجاء المهاجرون والانصار بسيوفهم فى أيمانهم كأنهم الشهب فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يصدقوا الحملة فاقتتلوا مع الكفار قتالا شديدا فنظر الى قتالهم فقال الآن حمى الوطيس وهو التنور يخبز فيه يضرب مثلا لشدة الحرب التى يشبه حرها حر التنور وهذا من فصيح الكلام ولم يسمع من أحد قبل النبى صلى الله عليه وسلم فولى المشركون الادبار والمسلمون يقتلون ويأسرون فيهم وكان فى ركوبه صلى الله عليه وسلم البغلة فى هذا الموطن الذى هو موطن الحرب والطعن والضرب تحقيق لنبوته لما خصه الله به من مزيد الشجاعة وتمام القوة والا فالبغال عادة من مراكب الطمانينة والأمن ولا يصلح لمواطن الحرب فى العادة الا الخيل لان الخيل مخلوقة للكر والفر بخلاف البغال والابل فبين عليه الصلاة والسلام ان الحرب عنده كالسلم قوة قلب وشجاعة نفس وثقة بالله وتوكلا عليه وقد أجمعت الصحابة رضى الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم ما انهزم مع من انهزم بل صار يقدم فى وجه العدو بل ما انهزم فى موطن قط وقد انعقد الاجماع على ذلك قال القاضى عياض من قال انه انهزم يستتاب فان تاب والا قتل ولما انهزم المشركون تبع أثرهم المسلمون قتلا وأسرا حتى حدث بعض من هوازن بعد اسلامه قال ماخيل لنا الا ان كل حجر وشجر فارس يطلبنا وأنزل الله من الملائكة خمسة آلاف وقيل ثمانية آلاف وقيل ستة عشر ألفا فقيل انهم قاتلوا وقيل لم يقاتلوا وانما نزلوا لالقاء السكينة فى قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وجاء أن النبى صلى الله عليه وسلم رفع يديه ودعا وقال اللهم أنشدك ماوعدتنى اللهم لا ينبغى أن يظهر واعلينا اللهم كنت وتكون وأنت حى لاتموت تنام العيون وتنكدر النجوم وأنت حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ياحى ياقيوم اللهم ان تشأ أن لا تعبد بعد اليوم اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان فقال له جبريل عليه السلام لقد لقنت الكلمات التى لقن الله موسى يوم فلق له البحر كان البحر أمامه وفرعون خلفه وكان فى يوم حنين أمام المشركين رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء فى رأس رمح طويل وهوازن خلفه ان أدرك من امامه طعنه برمحه وان فاته دفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه فبينما هو كذلك اذ أهوى اليه على بن أبى طالب رضى الله عنه ورجل من الانصار يريدانه فاتى على رضى الله عنه من خلفه وضرب عرقوبى الجمل فوقع على عجزه ووثب الانصارى على الرجل فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه واجتلد الناس فوالله مارجعت راجعة المسلمين من هزيمتهم حتى وجدوا الاسارى مكتوفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما انهزم المسلمون تكلم رجال من أهل مكة بما فى نفوسهم من الضغن وكان ذلك قبل أن يتمكن الاسلام فى قلوبهم وقالوا لاتنتهى هذه الهزيمة دون البحر وقالوا غلبت والله هوازن ولم يرض صفوان بن أمية بتلك المقالة وكان ذلك قبل اسلامه فقال لقائل ذلك بفيك الكثكث أى الحجارة والتراب وقال هشام بن كلدة وكان أخا صفوان لامه بطل سحر محمد فقال له صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لأن يربنى رجل من قريش أحب الى من أن يربنى رجل من هوازن ومر رجل على صفوان فقال له أبشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لايجبرونها أبدا فغضب صفوان وقال أتبشرنى بظهور الاعراب فوالله لرب من قريش أى مالك يدبر أمرى أحب الى من رجل من الاعراب وقال عكرمة بن أبى جهل لمن قال لايجبرونها أبدا ليس هذا لك ولا بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شئ ان ديل عليه اليوم فان له العاقبة غدا ووصلت الهزيمة الى مكة وسر بذلك قوم لم يتمكن الاسلام فى قلوبهم وأظهروا الشماتة وقال قائل منهم ترجع العرب الى دين آبائها وثبت الله عتاب بن أسيد وجماعة معه فلم يتغير واعماهم عليه حتى جاءتهم البشرى بنصرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وانهزام هوازن ومن معهم وعن قتادة قال مضى سرعان

كتبت هذا الكتاب قال لا وحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا علم لى به قال له على فالخاتم خاتمك قال نعم قال فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لا تعلم به فحلف بالله ما كتبت هذا الكتاب ولا أمرت به ولا وجهت هذا الغلام الى مصر قط وأما الخط فعرفوا انه خط مروان بن الحكم وعلموا ان عثمان لا يحلف بباطل وسألوه ان يدفع اليهم مروان فابى خوفا عليه من القتل وكان مروان عنده فى الدار فخرجوا من عنده غضابا ولزموا بيوتهم وحاصر الجيش عثمان رضى الله عنه وانضم اليهم جماعة كثيرون من أهل البصرة والكوفة وغوغاء الناس من العبيد والموالى والاعراب حتى كثروا جدا فكانوا أصنافا شتى وقبائل متفرقة امتلأت المدينة وأطرافها بهم ولم يكن للصحابة قدرة على

المنهزمين الى مكة يخبرون أهلها بالهزيمة فسر بذلك قوم من أهلها وأظهروا الشماتة وقال قائلهم ترجع العرب الى دين آبائها وقد قتل محمد وتفرق أصحابه فقال عتاب بن أسيد رضي الله عنه ان قتل محمد فان دين الله قائم والذي يعبده محمد حي لا يموت فما أمسوا حتى جاءهم الخبر بنصره صلى الله عليه وسلم فسر عتاب ومعاذ وكبت الله من كان يسره خلاف ذلك ولما انعطف المسلمون راجعين انتهوا في قتالهم هوازن الى قتل الذرية فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الذرية وقال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وروى ان أبا طلحة الانصاري رضي الله عنه قتل وحده عشرين قتيلا وأخذ أسلابهم وأدرك ربيعة بن رفيع السلمي دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظن انه امرأة فاذا هو شيخ كبير أعمى ولا يعرفه الغلام فقال له دريد ماذا تريد فقال أقتلك قال ومن أنت قال ربيعة بن رفيع السلمي ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيأ فقال له دريد بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فاني كذلك كنت أضرب الرجال ثم اذا أتيت أمك فاخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك فقتله فلما أخبر ربيعة أمه بقتله قالت له أما والله لقد أعتق اثنين بل ثلاثا من أهلها تكرمت عن قتله لما أخبرك عنه علينا فقال ما كنت لأتكرم عن رضا الله ورسوله وقيل القاتل لدريد الزبير بن العوام رضي الله عنه وكانت أم سليم رضي الله عنها مع زوجها أبي طلحة زيد بن سهل الانصاري رضي الله عنه وكانت رضي الله عنها حازمة وسطها ببرد لها وفي حزامها خنجر وكانت حاملا بابنها عبد الله بن أبي طلحة فقال لها زوجها ما هذا الخنجر الذي معك يا أم سليم قالت ان دنامني أحد من المشركين بعجته به فقال أبو طلحة ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم فاعاد عليه القول فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وقالت أم سليم رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم بابي أنت وأمي يا رسول الله اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فانهم لذلك أهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد كفى وأحسن أي وقد غفر الله لهم كما قال تعالى وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم وجرح خالد بن الوليد رضي الله عنه جراحات أثقلته وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بعدما هزم الله الكفار ورجع المسلمون الى رحالهم يمشي في المسلمين ويقول من يدلني على رحل خالد بن الوليد حتى دل عليه فوجده قد أسند الى مؤخرة الرحل لانه أثقل بالجراحة فتفل صلى الله عليه وسلم في جراحاته فبرأ لوقته * وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال لقد رأيت قبل هزيمة هوازن والناس يقتتلون شيأ أسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فاذا نمل مبثوث قد ملأ الوادي فلم أشك انه الملائكة ولم تكن الا هزيمة القوم وعن جمع من هوازن قالوا لقد رأينا يوم حنين رجالا بيضا على خيل بلق عليهم عمائم صفر قد أرخوها بين أكتافهم بين السماء والارض كتائب لا نستطيع أن نقاتلهم من الرعب منهم وكان جملة من قتل من المسلمين في هذه الوقعة أربعة فقط وقتل من المشركين وقت الحرب أكثر من سبعين قتيلا وفي الانهزام أكثر من ثلثمائة وأسر منهم خلق كثير ومن النساء ستة آلاف نفس وغنم المسلمون من الابل أربعة وعشرين ألف بعير ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف وقية ولم يذكر واعدد البقر لانها كانت قليلة بالنسبة لما ذكر ولما وقعت هزيمة هوازن أسلم كثير من كفار مكة وغيرهم لما رأوا من نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه قال أصابتني رمية يوم حنين في جبهتي وسال الدم على وجهي وصدري فسلت النبي صلى الله عليه وسلم بيده عن وجهي وصدري الى ترقوتي ثم دعا لي فصار أثر يده غرة سائلة كغرة الفرس ولما انهزم القوم عسكر بعضهم باوطاس فارسل اليهم صلى الله عليه وسلم أبا عامر الاشعري رضي الله عنه كما يأتي على الاثر والله أعلم

(سرية أبي عامر الاشعري رضي الله عنه)

وهو عم أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وتسمى هذه السرية غزوة أوطاس بعث صلى الله عليه وسلم أبا عامر خلف الفار بن من هوازن ومعه جمع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم سلمة بن الاكوع رضي

دفعهم الا بالقتال وكان عثمان رضي الله عنه يمنعهم عن القتال (قال) الزهري قال ابن المسيب قتل عثمان مظلوما ومن قتله كان ظالما ومن خذله كان معذورا ثم ان المحاصرين لعثمان رضي الله عنه منعوا دخول الماء اليه فاشرف عثمان رضي الله عنه على الناس فقال أفيكم علي فقالوا لا فقال أفيكم سعد قالوا لا فسكت ثم قال ألا أحد يبلغ عليا فيسقينا ماء فبلغ ذلك عليا رضي الله عنه فبعث اليه بثلاث قرب مملوءة ماء فما كادت تصل اليه وجرح بسببها عدة من موالي بني هاشم وبني أمية حتى وصل الماء اليه ثم بلغ عليا ان القوم يريدون قتل عثمان رضي الله عنه فغضب وقال انما أردنا منه مروان فاما قتل عثمان فلا وقال للحسن والحسين رضي الله عنهما اذهبا بسيفيكما حتى تقوما على باب أمير المؤمنين

الله عنه فالتقوا باوطاس وهو واد في ديار هوازن وكان المنهزمون انقسموا ثلاث فرق فرقة منهم لحقت بالطائف وفرقة بنخلة وفرقة باوطاس فانتهى اليهم أبو عامر فاذاهم مجتمعون فناوشوه القتال وقتل منهم أبو عامر تسعة اخوة مبارزة بعد ان يدعو كل واحد منهم الى الاسلام ويقول اللهم اشهد عليه بأني دعوته الى الاسلام فلم يجب ثم برز له العاشر فدعاه الى الاسلام وقال اللهم اشهد عليه فقال اللهم لا تشهد علي فكف عنه أبو عامر ظنا منه انه أسلم فافلت ثم أسلم بعد فحسن اسلامه فكان صلى الله عليه وسلم اذا رآه قال هذا شريد أبي عامر ثم استشهد أبو عامر رضي الله عنه قتله اخوان وهما العلاء وأوفى ابنا الحرث بن جشم وجاء ان أبا موسى أدرك قاتل عمه فقتله وقيل ان الذي قتله عاشر الاخوة التسعة وهو الذي أسلم بعد ثم خلف أبا عامر أبو موسى رضي الله عنه باستخلاف عمه له فاقره الناس فقاتل القوم حتى هزمهم وفتح الله على يديه وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لابي عامر وقال اللهم اغفر لابي عامر واجعله من أعلى أمتي في الجنة وفي رواية وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما

(ثم سرية الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه)

الى ذي الكفين وهو صنم من خشب كان لعمرو بن حممة الدوسي وذلك انه لما أراد صلى الله عليه وسلم السير الى الطائف لمحاصرة من تحصنوا به من ثقيف بعث الطفيل لاحراق ذلك الصنم وان يوافيه بالطائف فخرج سريعا فهدمه وجعل يلقي النار في وجهه ويقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا * اني حشوت النار في فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا لانه كان مطاعا في قومه فوافوا النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه من الطائف باربعة أيام

(غزوة الطائف)

وذلك انه صلى الله عليه وسلم حين خرج من حنين وحبس الغنائم بالجعرانة سار الى الطائف وجعل خالد بن الوليد على مقدمته في ألف من أصحابه وكانت ثقيف لما انهزموا دخلوا حصنهم بالطائف وأغلقوه عليهم بعد ان أدخلوا فيه ما يصلحهم من القوت لسنة وتهيؤا للقتال وكان معهم مالك بن عوف وجمع من أشراف قومه ومر صلى الله عليه وسلم في طريقه بحصن لمالك بن عوف فامر به فهدم ومر بحائط أي بستان لرجل من ثقيف قد تمنع فيه فارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم اما أن تخرج واما ان نحرق عليك حائطك فابى أن يخرج منه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باحراقه ولما وصل خالد رضي الله عنه الطائف نزل بمن معه من المسلمين قريبا من الحصن وعسكر هناك فرموا المسلمين بالنبل رميا شديدا حتى أصيب كثير من المسلمين بجراحات وقتل من المسلمين اثنا عشر رجلا منهم عبد الله بن أبي أمية المخزومي رضي الله عنه وهو أخو أم سلمة رضي الله عنها وأصيبت عين أبي سفيان رضي الله عنه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وعينه في يده فقال يارسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت دعوت فردت عليك وان شئت فعين في الجنة قال في الجنة ورمى بها من يده وأصيبت عينه الثانية يوم اليرموك عند قتال الروم كما تقدم الكلام على ذلك ولما وصل صلى الله عليه وسلم الطائف نزل قريبا من الحصن ثم لما قتل من قتل من المسلمين ارتفع الى موضع مسجد الطائف اليوم وحاصرهم ثمانية عشر يوما ونصب عليهم المنجنيق وهو أول منجنيق رمي به في الاسلام وكان الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه بل قيل انه صنعه بيده وأقبل خالد بن الوليد رضي الله عنه ينادي أهل الحصن ويقول من يبارز فلم يطلع اليه أحد وناداه عبد ياليل لا ينزل اليك منا أحد ولكن نقيم في حصننا فان به من الطعام ما يكفينا سنين فان أقمت حتى يذهب ذلك الطعام خرجنا اليك باسيافنا جميعا حتى نموت عن آخرنا ودخل جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم تحت دبابتين لينقبوا عليهم السور وزحفوا بها الى جدار الحصن ليخرقوه ففطن لهم ثقيف فارسلوا اليهم سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من تحتها فرموهم بالنبل فقتلوا منهم رجالا والدبابة بفتح الدال المهملة وموحدة مشددة وبعد الالف موحدة ثم هاء التأنيث هي آلة من آلات الحرب تجعل من الجلود يدخل فيها الرجال فيدبون بها الى الاسوار لينقبوها وأمر رسول الله صلى الله عليه

فلا تدعا أحدا يصل اليه وبعث الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه وبعث عدة من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس أن يدخلوا على عثمان ويسألونه اخراج مروان ورمى الناس بالسهام من على الباب من أراد الدفع عن عثمان رضي الله عنه حتى خضب بالدماء الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو على الباب يمنع الناس وكذا خضب محمد بن طلحة وآخرون ففتحوا الباب واجتلدوا فزجرهم عثمان رضي الله عنه وقال أنتم في حل من نصرتي ولا أريد اراقة الدماء فابوا ثم أقسم عليهم ليدخلن فدخلوا وأغلقوا الباب دون المصريين * ولما أحيط بعثمان رضي الله عنه في أول الامر خرج عمرو بن العاص رضي الله عنه من المدينة وسكن فلسطين وقال حين خروجه يا أهل المدينة لا يقيم أحد منكم

وسلم بقطع أعنابهم وتحريقها فقطع المسلمون قطعا ذريعا فسألوه أن يدعها لله وللرحم فقال صلى الله عليه وسلم
فاني أدعها لله وللرحم ونادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر
فخرج منهم بضعة عشر وقيل ثلاثة وعشرون رجلا ونزل منهم شخص في بكرة فقيل له أبو بكرة وكان عبدا
للحرث بن كلدة فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفع كل رجل منهم الى رجل من المسلمين يمونه فشق ذلك
على أهل الطائف مشقة شديدة واستأذن عيينة بن حصن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن يأتي ثقيفا في
حصنهم ليدعوهم الى الاسلام فاذن له في ذلك فأتاهم فدخل حصنهم فقال لهم تمسكوا في حصنكم فوالله لنحن
أذل من العبيد ولا تعطوا بأيديكم ولا يشق عليكم قطع هذا الشجر ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال له ما قلت لهم يا عيينة قال أمرتهم بالاسلام ودعوتهم اليه وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم كذبت انما قلت لهم كذا وقص عليه القصة فقال صدقت يا رسول الله أتوب الى الله واليك
من ذلك وكان جملة من قتل من المسلمين اثنى عشر منهم عبد الله بن أبي أمية المخزومي رضي الله عنه أخو أم
سلمة رضي الله عنها ولم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح الطائف قالت خولة بنت حكيم رضي الله عنها
قلت له يا رسول الله ما يمنعك أن تنهض الى أهل الطائف قال لم يؤذن لنا حتى الآن فيهم وما أظن أن نفتحها
الآن فذكرت خولة ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ما حديث حدثتنيه خولة زعمت انك قلته لها قال قلته قال أوما أذن الله فيهم يا رسول الله قال لا
واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب أو المقام فقال له ثعلب في جحر ان
أقمت أخذته وان تركته لم يضرك قال ابن اسحق وبلغني أنه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق رضي الله
عنه اني رأيت اني أهديت لي قعبة مملوءة زبدا فنقرها ديك فهراق ما فيها فقال أبو بكر رضي الله عنه ما أظن أن
تدرك منهم يومك هذا ما تريد فقال صلى الله عليه وسلم وأنا لا أرى ذلك وكأن الحكمة في أنه لم يؤذن له في فتح
الطائف ذلك العام ان لا يستأصل أهل ذلك الحصن قتلا فاخر الله أمرهم حتى جاؤا طائعين مسلمين كما سيأتي
ذكره في الوفود ان شاء الله ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاذن في الناس
بالرحيل فضج الناس من ذلك وقالوا نرحل ولم يفتح علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغدوا على القتال
فغدوا فاصابت المسلمين جراحات فقال صلى الله عليه وسلم انا قافلون ان شاء الله فسروا بذلك وأذعنوا وجعلوا
يرحلون ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك تعجبا من سرعة تغير رأيهم لانهم رأوا أن رأيه صلى الله عليه
وسلم أبرك وأنفع من رأيهم فرجعوا اليه وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله وحده
صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده فلما ارتحلوا قال قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون
وقيل له يا رسول الله أدع على ثقيف أهل الطائف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين ورحم الله
الابوصيري حيث يقول
جهلت قومه عليه فاغضى * وأخو الحلم دأبه الاغضاء
وسع العالمين علما وحلما * فهو بحر لم تعيه الاعباء
وعند انحداره الى الجعرانة لقيه سراقة بن مالك وهو واضع الكتاب الذي كتبه له صلى الله عليه وسلم عند
الهجرة بين أصبعيه وينادي أنا سراقة وهذا كتابي فقال صلى الله عليه وسلم هذا يوم وفاء وبر ادنوه فادنوه
منه فاسلم رضي الله عنه وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الضالة من الابل ترد حوضه الذي ملأه لابله هل له في
ذلك أجر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم في كل ذات كبد حراء أجر ولما وصل صلى الله عليه وسلم
الجعرانة أمر باحصاء السبي فكان كما تقدم ستة آلاف من النساء والذرية والاسرى ومن الابل أربعة
وعشرين ألفا ومن الغنم أكثر من أربعين ألفا ومن الفضة أربعة آلاف أوقية غير ما يتبع ذلك من الامتعة
وكان صلى الله عليه وسلم قد انتظر قدوم هوازن وتربص بهم بضع عشرة ليلة ثم بدأ بقسمة الغنائم فقسمها
ثم قدم عليه هوازن مسلمين ورد عليهم السبي كما سيأتي وسألهم عن رئيسهم مالك بن عوف النصري فقالوا
هو مع ثقيف بالطائف فقال أخبروه أنه ان أتاني مسلما رددت اليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما

فيدركه فتقتل هذا الرجل
الاضربه الله بذل من
لم يستطع نصره فليهرب
وبقي بفلسطين الى انقضاء
وقعة الجمل فلحق بالشام
واتصل بمعاوية رضي الله
عنه وكان المحاصرون
لعثمان يسألونه تسليم مروان
أو أن يخلع نفسه فيقول
لا أخلع قميصا قمصنيه الله
تعالى وأصبر وأحتسب
(وفي رواية) ان عثمان
رضي الله عنه بعث اليهم
ما تريدون بي قالوا ان تخلع
نفسك قال لا اخلع سربالا
سربلنيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم قيل فهم
قاتلوك قال ان قتلوني
لا يتحابون بعدي ولا يقاتلون
بعدي عدوا جميعا أبدا
* ولما اشتد الحصار دخل
عليه علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ومعه جماعة
من المهاجرين والانصار
فقال علي له مرنا فلنقاتل
ولندفع عنك فقال عثمان
رضي الله عنه أنشد الله

أخبروا اما لكا بذلك ركب مستخفيا فادرك النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وقيل بمكة فرد عليه أهله وماله وأعطاه مائة من الابل كما وعد صلى الله عليه وسلم وأسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وقال حين أسلم يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

ما ان رأيت ولا سمعت بمثله * في الناس كلهم بمثل محمد * أوفى وأعطى للجزيل اذا اجتدى
ومتى تشا يخبرك عما في غد * فكأنه ليث على أشباله * وسط الهباءة خادر في مرصد

واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه فكان يقاتل بهم ثقيفا لا يخرج لهم سرح الا أغار عليه وضيق عليهم حتى أسلموا وشهد فتح القادسية وفتح دمشق في خلافة عمر رضي الله عنه ولما جاء وفد هوازن الى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان قسم الغنائم سألوه أن يرد عليهم سبيهم وأموالهم فقال صلى الله عليه وسلم معي من ترون يعني من المسلمين وقد استأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون وقد قسمت فاختاروا اما السبي واما المال فاختاروا السبي فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين في رد سبيهم عليهم فردوه كلهم الا عيينة ابن حصن فانه أبى أن يرد عجوزا كبيرة وقال هذه أم الحي لعلهم أن يغلوا فداءها ثم ردها بست قلائص كما سيأتي وكانت في السبي أخته صلى الله عليه وسلم من الرضاع وهي الشيماء قيل وأمه حليمة رضي الله عنها ولما قالت له الشيماء أنا أختك يا رسول الله قال وما علامة ذلك فاخبرته بعضة كان عضها اياها حين كان مسترضعا عندهم وأرته اياها فعرفها وتذكر ذلك فقام وبسط لها رداءه وصنع مثل ذلك بامه حليمة رضي الله عنها حين جاءته ودمعت عيناه وقال للشيماء اما أن عرفها سلي تعطي واشفعي تشفعي وقيل ان قومها قالوا لها ان هذا الرجل أخوك فلو أتيته فسألته في قومك لرجونا أن يحابينا فاتته فقالت أتعرفني قال من أنت قالت أنا أختك بنت أبي ذؤيب وآية ذلك اني حملتك فعضضت كتفي عضة شديدة هذا أثرها فرحب بها فاستوهبته السبي وهم ستة آلاف فوهبهم لها فما عرفت مكرمة مثلها ولا امرأة أعن على قومها منها وخيرها صلى الله عليه وسلم فقال ان أحببت فعندي محببة مكرمة وان أحببت أن أمتعك وترجعي الى قومك قالت بل تمتعني وأرجع الى قومي فاعطاها نعما وشاء وغلاما يقال له مكحول وجارية وقيل أعطاها ثلاثة أعبد وجارية ونعما وشاء وقيل القادم عليه أمه وقيل هما معا جمعا بين الروايات وجاءه أبو صرد ويكنى بأبي برقان وكان عم ساله صلى الله عليه وسلم من الرضاع فقال يا رسول الله انا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك وان فيمن أصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات ونرغب الى الله واليك يا رسول الله وقال زهير بن صرد يا رسول الله ان ما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك أي لان مرضعته حليمة رضي الله عنها كانت من هوازن لو أرضعنا للحرث بن أبي شمر ملك الشام أو للنعمان بن المنذر ملك العراق ثم نزل بنا مثل ما نزلت بنا لرجونا عطفه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين ثم أنشده أبياتا يستعطفه بها منها قوله

أمنن علينا رسول الله في كرم * فانك المرء نرجوه وننتظر * أمنن على نسوة قد كنت ترضعها
اذ فوك يملؤه من محضها الدرر * انا نؤمل عفوا منك تلبسه * هذي البرية ان تعفو وتنتصر
فالبس العفو من قد كنت ترضعه * من أمهاتك ان العفو مشتهر

فقال صلى الله عليه وسلم ان أحسن الحديث أصدقه أبناؤكم ونساؤكم أحب اليكم أم أموالكم فاختاروا احدى الطائفتين اما السبي واما المال وقد كنت استأنيت بكم حتى ظننت انكم لا تقدمون لانه كان تقدم انتظرهم بعد ان قفل من الطائف بضع عشرة ليلة وفي رواية قال لهم قد وقعت المقاسم مواقعها فأي الامرين أحب اليكم السبي أم الاموال وفي رواية قال لهم أما ما لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ثم قال لهم اذا أنا صليت الظهر بالناس فقوموا فقولوا انا نستشفع برسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبنائنا ونسائنا وأظهروا اسلامكم وقولوا نحن اخوانكم في الدين فسأسال لكم الناس فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر قاموا واتكلموا بالذي أمرهم به فقال رسول الله صلى الله عليه

رجلا رأى لله حقا واقران لي عليه حقا أن يهريق من سبي ملء محجمة من دم أو يهريق في دمه فاعاد علي عليه القول فاجابه بمثل ما أجابه فخرج علي وهو يقول اللهم انك تعلم انا بذلنا المجهود (ودخل) عليه ابن عمر فاستأذنه في القتال فابى أن يأذن وقال لا حاجة لي في اراقة الدم وفعل مثله أبو هريرة فقال له عزمت عليك يا أبا هريرة الا رميت سيفك فانما تراد نفسي وسأقي المؤمنين بنفسي قال أبو هريرة فرميت بسيفي لا أدري أين هو حتى الساعة وأشار عليه المغيرة ابن شعبة أن يخرق بابا سوى الباب الذي هم عليه فيقعد على راحلته ثم يلحق بمكة أو بالشام فقال لا أترك دار هجرتي ومجاورتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اخرج الى هؤلاء القوم فقاتلهم فان معك عددا وقوة وأنت على الحق وهم

وسلم بعد أن أثنى على الله بما هو أهله أما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤنا تائبين وانى قد رأيت أن أرد اليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب بذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل وفى رواية قال وأما من تمسك منكم بحقه من السبى فله بكل انسان ست قلائص وفى رواية فرائض لان البعير يسمى فريضة لكونه يؤخذ فى الزكاة وتعطيه ذلك من أول سبى نصيبه وفى رواية فمن أحب أن يعطى غير مكره فليفعل ومن كره أن يعطى وأراد أخذ الفداء فعلى فداؤهم ثم قال أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الاقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة بن حصن الفزارى أما أنا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس السلمى أما أنا وبنو سليم فلا فقالت بنو سليم بلى ما كان لنا فهو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فقال لهم العباس وهنتمونى أى أضعفتمونى حيث صيرتمونى منفردا وفى رواية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء القوم مسلمون وقد خيرتهم فلم يعدلوا بالابناء والنساء شيأ فمن كان عنده من النساء سبى فطابت نفسه أن يرده فليرده ومن أبى فليرد ذلك قرضا علينا بكل انسان ست فرائض من أول ما يفيء الله علينا قالوا رضينا وسلمنا فردوا عليهم نساءهم وأبناءهم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال اما لا ندرى لعل فيكم من لم يرض فروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعت العرفاء اليه انهم قد رضوا وكان صلى الله عليه وسلم عند تفريق السبى على المسلمين قد أمر مناديا ينادى أن لا توطأ الحبالى حتى يضعن ولا غير الحبالى حتى يستبرأن بحيضة وقد أشار صاحب الهمزية الى عفوه صلى الله عليه وسلم عن هوازن ومنه عليهم بقوله

من فضلا على هوازن اذ كا *	ن له قبل ذاك فيهم رباء *
وأتى السبى فيه أخت رضاع *	وضع الكفر قدرها والسباء *
فحباها برا توهمت النا *	س به أنما السباء هداء *
بسط المصطفى لها من رداء *	أى فضل حواه ذاك الرداء *
فغدت فيه وهى سيدة النسـ *	ـوة والسيدات فيه اماء *

والصحيح انه صلى الله عليه وسلم رد عليهم جميع السبى ولم يتخلف منه أحد الا عجوز من عجائزهم كانت عند عيينة بن حصن كما تقدم فابى أن يردها وقل حين أخذها أرى عجوزا انى لاحسب أن لها فى الحى نسبا وعسى أن يعظم فداؤها فاقترعليه ولدها وهو زهير بن صرد فسامها منه وأعطاه مائة من الابل فيها فابى عيينة وطمع فى الزيادة فتركه وذهب وغاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال له عيينة خذها بالمائة فابى وقال لا أدفع الا خمسين فابى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضا فقال خذها بالخمسين فقال لا أدفع الا خمسة وعشرين فابى عيينة فغاب عنه ثم مر عليه معرضا فقال خذها بالخمسة والعشرين فقال لا آخذها الا بعشرة فابى عيينة فغاب عنه ثم مر معرضا فقال خذها بالعشرة فقال لا آخذها الا بستة والله ما ثديها بناهد ولا بطنها بوالد ولا فوها ببارد ولا صاحبها بواجد عند فوتها أى حزين ولا درها بماكد أى غزير فقال له عيينة خذها لا بارك الله لك فيها وذلك بسبب دعائه صلى الله عليه وسلم فانه دعا على من أبى أن يرد من السبى شيأ أن يبخس أى يكسد ثمنه ولما أخذها ولدها قال لعيينة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسا السبى قبطية فقال لا والله ما ذاك لها عندى فما فارقه حتى أخذ لها منه ثوبا والقبطية بضم القاف ثوب أبيض من ثياب مصر منسوبة للقبط * روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رجلا أن يقدم مكة فيشترى للسبى ثيابا فلا يخرج الحر منهم الا كاسيا وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحبس أهل مالك بن عوف النصرى عند عمتهم عاتكة أم عبد الله بن أبى أمية المخزومى حتى جاء مالك فسلم اليه أهله وكان الوفد كلموه صلى الله عليه وسلم فى ذلك فقال انما أريد بهم الخبر ولم يجز أن تجرى السهمان فى مال مالك بن عوف حتى حضر ورده عليه وزاده مائة من الابل كما تقدم

(ذكر قسمة الغنائم)

لما رجع صلى الله عليه وسلم الى الجعرانة قسم الغنائم وبدأ بالمؤلفة قلوبهم وهم ناس من قريش أسلموا يوم الفتح اسلاما ضعيفا وأراد صلى الله عليه وسلم أن يتمكن الايمان فى قلوبهم وكان فيهم من لم يسلم بعد ثم أسلم

على الباطل فقال عثمان لا أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته بسفك الدماء وقال لعبيده من ألقى سلاحه فهو حر فقفلوا وكانت مدة الحصار أربعين يوما وقيل شهران وكان يصلى بالناس فى تلك المدة جماعة منهم على بن أبى طالب وطلحة وأبو أيوب الانصارى وأبو هريرة وعبد الله بن عباس وقيل ان عثمان كان أول الحصار يخرج ويصلى بهم الى عشرين يوما ثم منعوه من الخروج (وأخرج) ابن عساكر عن أبى ثور النهمى قال دخلت على عثمان وهو محصور فقال لقد اختبأت عند ربى عشرا انى لرابع أربعة فى الاسلام وأنكحنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ثم توفيت فانكحنى ابنته الاخرى ولا تغنيت ولا تمنيت ولا وضعت يمينى على فرجى

كصفوان بن أمية ولما جمعت الغنائم وأحصيت جاء أبو سفيان الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى كثرة المال قال يا محمد أصبحت أكثر قريش فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم أعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يا رسول الله ابني يزيد وكان يقال له يزيد الخير وكان أكبر من معاوية فأعطى صلى الله عليه وسلم لابنه يزيد مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فقال يا رسول الله ابني معاوية فأعطاه مائة من الابل وأربعين أوقية من فضة فأخذ أبو سفيان وابناه ثلثمائة من الابل ومائة وعشرين أوقية من الفضة فقال أبو سفيان بأبي أنت وأمي يا رسول الله لانت كريم في الحرب وكريم في السلم لقد حاربتك فنعم المحارب كنت وسالمتك فنعم المسالم كنت هذا غاية الكرم جزاك الله خيرا وجاء حكيم بن حزام فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة من الابل ثم سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه مائة ثم سأله فأعطاه مائة ثم قال له يا حكيم هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فأخذ حكيم المائة الاولى وترك ما عداها وقال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيأ حتى أفارق الدنيا فكان أبو بكر رضي الله عنه يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيأ ثم كان عمر رضي الله عنه في زمن خلافته يدعوه ليعطيه فيأبى أن يقبل فكان عمر رضي الله عنه يقول يا معشر المسلمين اني أعرض على حكيم حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يقبله رضي الله عنه والذين أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم مائة مائة من الابل كثير منهم أبو سفيان وابناه يزيد ومعاوية وحكيم ابن حزام والاخنس بن شريق وجبير بن مطعم والجد بن قيس السهمي والحرث بن الحرث والحرث بن هشام أخو أبي جهل وحاطب بن عبد العزى وحويطب بن عبد العزى وحكيم بن طليق وخالد بن أسيد وخلف بن هشام وزهير بن أبي أسيد وزيد الخيل والسائب بن أبي السائب وصيفي بن عائذ وسهل وسهيل ابنا عمرو وشيبة بن عثمان الحجبي وعبد الرحمن بن يعقوب الثقفي وسفيان بن عبد الاسد المخزومي وصفوان بن أمية وكان قد خرج مع من خرج وهو على شركه فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة ثم مائة ثم مائة ثم واديا مملوأ ابلا وغنما فلم يزل يعطيه حتى أسلم رضي الله عنه وتقدمت قصته عند ذكر فمن أهدر دمهم صلى الله عليه وسلم وممن أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وأعطى العباس بن مرداس السلمي دون المائة وكان مثلهما رئيسا على قومه كما أنهما رئيسان على قومهما فقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

أتجعل نهبي ونهب العبيد * بين عيينة والاقرع * فما كان حصن ولا حابس
يفوقان مرداس في مجمع * وقد كنت في الحرب ذا تدرء * فلم أعط شيأ ولم أمنع
وما كنت دون امرئ منهما * ومن تخفض اليوم لم يرفع

فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه وأعطوه مثل أصحابه وفي رواية يا أبا بكر اقطع عني لسانه وأعطه مائة من الابل فأعطى تمام المائة والعبيد اسم فرسه وأعطى صلى الله عليه وسلم جماعة من المؤلفة خمسين خمسين من الابل منهم عثمان بن وهب المخزومي وعمير بن ودقة وعمير بن وهب وعدي بن قيس السهمي وعمرو ابن مرداس السلمي أخو العباس بن مرداس ومخرمة بن نوفل الزهري وهشام بن عمرو العامري وسعيد بن يربوع * وذكر بعضهم ان ممن أعطاه مائة أبا جهم بن حذيفة العدوي وأبا سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وعكرمة بن عامر العبدري وعلقمة بن علاثة وعمرو بن الاهتم والعلاء ابن جارية الثقفي وكعب بن الاخنس ولبيد بن ربيعة العامري ومالك بن عوف رئيس هوازن ومطيع بن الاسود القرشي والنضير بن الحرث بالتصغير أخو النضر المقتول ببدر ونوفل بن معاوية الكناني وهشام بن الوليد المخزومي وذكر بعضهم عكرمة بن أبي جهل فيمن أعطاه مائة وقيل انه لم يكن حاضرا وهو الصحيح لانه اختفى ثم ركب البحر حتى ذهبت اليه زوجته بامان من النبي صلى الله عليه وسلم فرجع كما تقدم ثم قسم النبي صلى الله عليه وسلم بقية الغنائم على بقية الاعراب قال أهل المغازي أمر صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت رضي

منذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مرت بي جمعة منذ أسلمت الا وأنا أعتق فيها رقبة الا أن لا يكون عندي شيء فأعتقها بعد ذلك ولا زنيت في جاهلية ولا اسلام قط ولا سرقت في جاهلية ولا اسلام قط ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكان) عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ممن لزم الباب مع الحسن والحسين وغيرهما من أبناء الصحابة رضي الله عنهم فأمره عثمان رضي الله عنه ان يحج بالناس فقال جهاد هؤلاء أحب الي من الحج فأقسم عليه فانطلق وحج بالناس * وجاء علي رضي الله عنه يوما والناس محاصرون فقال يا أيها الناس ان الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين فلا تقطعوا عن هذا الرجل الماء ولا المادة فان الروم وفارس

الله عنه وكان من أعظم كآبه صلى الله عليه وسلم باحضار الناس والغنائم ثم قسمها على الناس فكانت سهامهم
لكل رجل أربعة من الابل وأربعين شاة فان كان فارسا أخذ اثنى عشر من الابل ومائة وعشرين شاة وان كان
معه أكثر من فرس لم يسهم للزائد ولم يعط الانصار ولا كبار المهاجرين شيأ فقال رجل من المنافقين هذه قسمة
ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله تعالى فاخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فغضب وقال اذا لم أعدل فمن يعدل
رحم الله أخي موسى لقد أوذي باكثر من هذا فصبر فقال عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما
ائذن لنا نضرب عنقه يا رسول الله فقال دعوه فانه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما
يخرج السهم من الرمية لا يتحدث الناس انى أقتل أصحابي فعامل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل
بظاهر حاله تألفا للناس ليدخلوا في الاسلام وقال ناس من الانصار ليسوا منافقين يغفر الله لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم والله ان هذا العجب اذا كانت شدة
فنحن ندعى لها وتعطى الغنائم لغيرنا ووددنا ان نعلم ممن كان هذا فان كان من الله تعالى صبرنا وان كان من
النبي صلى الله عليه وسلم استعتبناه فبلغ الخبر النبي صلى الله عليه وسلم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة
من ادم فلما اجتمعوا قام صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغني عنكم فقال فقهاء الانصار أما فقهاؤنا
فلم يقولوا شيأ وأما أناس منا حديثة أسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي
قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال صلى الله عليه وسلم انى أعطى رجالا حديثي عهد بكفر ومصيبة
أتألفهم وانى أردت ان أخبرهم أو أجبرهم أما ترضون أن يرجع الناس بالاموال وفي رواية بالشاة والبعير
وترجعون برسول الله الى بيوتكم فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا يا رسول الله قد رضينا
وفي رواية فوالذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعبا لسلكت شعب
الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسما
وحظا وفي رواية انه خطبهم فقال يا معشر الانصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم
الله بي وكنتم عالة فأغناكم الله بي وكلما قال شيأ قالوا الله ورسوله أمن قال ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله
لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعائلا فواسيناك
وخائفا فأمناك قالوا بل المن علينا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم تواضعا
وانصافا واظهارا للشرف قدرهم والا فالحجة البالغة والمنة الظاهرة في جميع ذلك له عليهم فلولا هجرته وسكناه
عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق وقد اقتضت حكمة الله أن الغنائم لما حصلت قسمت على من
لم يتمكن الايمان من قلبه لما بقي فيه من طمع البشر من حب المال فكان ذلك سببا لاجتماع قلوبهم على
محبته صلى الله عليه وسلم لان القلوب جبلت على حب من أحسن اليها وانما لم يعط صلى الله عليه وسلم أكابر
المهاجرين والانصار مع استحقاقهم جميعا لرسوخ الايمان في قلوبهم فوكلهم الى قوة ايمانهم فكان في قسمها
على المؤلفة استجلاب قلوبهم وقلوب أتباعهم الذين كانوا يرضون اذا رضي رئيسهم فيكون سببا لاسلامهم
ولتقوية قلب من دخل في الاسلام منهم فيتبعهم من دونهم فكان فيه مصلحة عظيمة ولذا لم يقسم من أموال
مكة عند فتحها شيأ مع احتياج الجيوش الى المال الذي يعينهم على ما هم عليه ولما قيل له صلى الله عليه وسلم
أعطيت عيينة والاقرع وتركت جعيل بن سراقة قال أما والذي نفس محمد بيده لجعيل خير من طلوع
الارض كلها مثل عيينة والاقرع ولكني أتألفهما ليسلما اي يقوى اسلامهما ووكلت جعيل بن سراقة لاسلامه
وانى لاعطى الرجل وغيره أحب الى منه مخافة أن يكبه الله في النار على وجهه وفي رواية انى لاعطى أقواما
أخاف هلعهم وجزعهم وأكل أقواما الى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب قال عمرو
فوالله ما أحب ان لي بها حمر النعم وقد جاءت أحاديث كثيرة في مدح الانصار رضي الله عنهم والدعاء لهم
ولابنائهم وأبناء أبنائهم وقال حسان رضي الله عنه في مدحهم

سماهم الله أنصارا بنصرهم * دين الهدى وعوان الحرب تستعر

لنا سر فنطعم ونسقى فقالوا لا والله ولا نعمة عين فرمى بعمامته في الدار باني قد نهضت وجاءت أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم مشتملة على اداوة راكبة على بغلة تريد الدخول على عثمان فضربوا بغلتها فقالت ان وصايا بني أمية عند هذا الرجل فاحببت ان أسأله عنها لئلا تهلك أموال الايتام والارامل فقالوا كاذبة وقطعوا حبل البغلة بالسيف فنفرت وكادت تسقط عنها فتلقاها الناس فاخذوها وذهبوا بها الى بيتها (وجاء) عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه ينهى الناس فقال يا قوم لا تسلوا سيف الله فيكم فوالله ان سللتموه لا تغمدوه ويلكم ان سلطانكم اليوم يقوم بالدرة فان قتلتموه لا يقوم الا بالسيف ويلكم ان مدينتكم محفوفة بالملائكة فان

وسارعوا فى سبيل الله واعترضوا * للنائبات وما خافوا وما ضجروا

وفى البخارى عن جبير بن مطعم رضى الله عنه بينما أنا مع النبى صلى الله عليه وسلم مقفله من حنين اذ علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الاعراب يسألونه أن يعطيهم من الغنيمة يقولون يارسول الله اقسم علينا فيأنا حتى اضطروه أى ألجؤه الى سمرة فخطفت رداءه فوقف صلى الله عليه وسلم فقال اعطونى ردائى فلو كان عندى عدد هذه العضاه نعما وفى رواية لو كان عندى عدد شجر تهامة نعما القسمته بينكم ثم لا تجدونى بخيلا ولا كذوبا ولا جبانا أى اذا جربتمونى لا تجدونى ذا بخل ولا ذا كذب ولا ذا جبن ثم قام صلى الله عليه وسلم الى جنب بعير وأخذ وبرة من سنامه فرفعها ثم قال للناس والله مالى من فيئكم أى غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم أى لان أكثره كان يصرفه صلى الله عليه وسلم فى مصالح المسلمين ثم بعد تمام قسمة الغنائم اعتمر صلى الله عليه وسلم من الجعرانة لخمس ليال خلون من ذى القعدة وقيل الثانى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلة الاربعاء وقيل ليلة الخميس ودخل مكة وطاف وسعى وحلق ورجع الى الجعرانة من ليلته فكأنه كان بائتا بها والجعرانة بالتخفيف أفصح من التشديد وهو موضع بينه وبين مكة ثمانية عشر ميلا سمى باسم امرأة تلقب بالجعرانة وكانت مدة اقامته بها ثلاث عشرة ليلة وجاء فى الحديث انه اعتمر من الجعرانة سبعون نبيا ثم توجه صلى الله عليه وسلم الى المدينة واستعمل على أهل مكة عتاب بن أسيد أى تركه باقيا على عمله وترك معه معاذ بن جبل وأبا موسى الاشعرى رضى الله عنهما يعلمان الناس القرآن والفقه فى الدين وكان قدومه المدينة لثلاث بقين من ذى القعدة وقيل لست بقين منه قال الحافظ ابن حجر ان مدة غيبته كانت أكثر من ثمانين يوما قال كثير من أهل المغازى ان غزوة بدر وغزوة حنين كسر الله بهما سورة الكفر وأطفأ نائرة العرب وأنفد نار سهامهم وأذل تاجوعهم حتى لم يجدوا بدا من الدخول فى دين الله وجبر الله أهل مكة بغزوة حنين وفرحهم بما نالوا من النصر والمغنم فكانت كالدواء لما نالهم من كسرهم وأنجزالله بها الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه وعده اذا فتح مكة أن يدخل الناس فى دين الله أفواجا ودين له العرب باسرها فلما تم له الفتح اقتضت حكمته تعالى أن يمسك قلوب أهل هوازن ومن تبعها عن الاسلام وأن يجمعوا من قدروا على جمعه ويتأهبوا لحربه صلى الله عليه وسلم ليظهر الله أمره واعزازه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونصره لدينه ولتكون غنائمهم جبرا لاهل الفتح وليظهر الله تعالى رسوله وعباده المؤمنين ويعلى دينهم على سائر الاديان بقهر هذه الشوكة العظيمة التى لم يلق المسلمون قبلها مثلها حتى لا يقاومهم بعدها أحد من العرب واقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان أذاق المسلمين أولا مرارة الهزيمة مع كثرة عددهم وعددهم وقوة شوكتهم ليخفض بذلك رؤسا رفعت بالفتح لمكة والنصر على أهلها فابتلاهم الله بقصة حنين منعا لهم عن الترفع وتنبيها على ان المطلوب منهم التواضع واظهار الشكر كما فعل صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فانه دخل منحنيا على ناقته متواضعا خاضعا لربه وليبين سبحانه لمن قال لن نغلب اليوم عن قلة ان النصر انما هو من عند الله وان من ينصره الله فلا غالب له ومن يخذله فلا ناصر له وانه سبحانه وتعالى هو الذى تولى النصر لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو الذى أنزل سكينته عليه وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وقد اقتضت حكمته سبحانه وتعالى ان خلع النصر وجوائزه انما تفاض على أهل الانكسار كما قال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وافتتح الله غزو العرب ببدر واختتمه بحنين وهما أعظم غزواته صلى الله عليه وسلم ولهذا يجمع بينهما فى الذكر فيقال بدر وحنين وفى لبسه صلى الله عليه وسلم للدرع والبيضة والمغفر دليل على ان من تمام التوكل استعمال الاسباب التى نصبها الله لمسبباتها قدرا وشرعا فانه صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق توكلا وقوة يقين وقد دخل مكة والبيضة على رأسه ولبس يوم حنين درعين وقد أنزل الله عليه والله يعصمك من الناس ومن تمام العبودية استعمال الاسباب فى مسبباتها مع اعتقاد ان التأثير لله وحده لا شريك له ولولا ان الله تعالى ستر قضاءه وقدره بظواهر الاسباب لما انقسم الناس الى مؤمن وكافر وشقى وسعيد فلو كانت جميع الاشياء تجرى على

فقاتلتموه لنتركنها وما قتل نبى قط الا قتل به سبعون ألفا ولا قتل خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون ألفا فقالوا ياابن اليهودية ماأنت وهذا فرجع عنهم (وأخرج) عبد الرزاق فى مصنفه عن حميد بن هلال قال كان عبد الله بن سلام رضى الله عنه يدخل على محاصرى عثمان رضى الله عنه فيقول لا تقتلوه فوالله لا يقتله رجل منكم الا لقى الله اجذم لا يدله وان سيف الله لم يزل مغمودا وانكم والله ان قتلتموه ليسلنه الله ثم لا يغمده عنكم أبدا وما قتل نبى قط الا قتل به سبعون ألفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون ألفا قبل أن يجتمعوا ودخل عليه أبو قتادة رضى الله عنه ورجل آخر فاستاذناه فى الحج فاذن لهما فقالا له ان غلب هؤلاء القوم مع من نكون قال عليكم بالجماعة قالا فان كانت الجماعة هى التى تغلب

خرق العادة لما بقي كافر بل يكونون كلهم ملجئين الى الاسلام بظهور الخوارق ولو بقيت الاشياء كلها على ظواهرها من ربطها باسبابها من غير وجود خارق للعادة لما انقاد أحد للاسلام وربما كانوا كلهم يعتقدون تأثير تلك الاسباب فاظهر الله بعض الاشياء على وفق العادة وخرق في بعضها العادة ثم انه كشف ذلك لاناس وحجبه عن آخرين ليضل من يشاء ويهدى من يشاء ولا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وفي صبره صلى الله عليه وسلم على جفاء الاعراب عند قسمة الغنائم دليل لما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الكرم والحلم وحسن الخلق وسعة الجود والصبر وغير ذلك من صفاته الحميدة صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

(بعث قيس بن سعد الى صداء)

بعث صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي رضى الله عنهما الى ناحية اليمن بعد انصرافه من الجعرانة في أربعمائة فارس وأمره أن يقاتل قبيلة صداء بضم الصاد وفتح الدال والمد وهم حي من اليمن فقدم زياد بن الحرث الصدائي فسأل عن ذلك البعث فاخبر به فقال يارسول الله أما وافدهم اليك فاردد الجيش وأنا أتكفل باسلام قومي وطاعتهم فقال اذهب اليهم فردهم فقال ان راحلتي قد كلت فبعث صلى الله عليه وسلم اليهم خلفهم فردهم ورجع الصدائي الى قومه فقدموا بعد خمسة عشر يوما فاسلموا

(البعث الى بني تميم)

وتعرف بسرية عيينة بن حصن الفزاري الى تميم وسببها انه صلى الله عليه وسلم بعث بشر بن سفيان العدوي الكعبي الى بني كعب من خزاعة لاخذ صدقاتهم وكانوا مع بني تميم على ماء فاخذ بشر صدقات بني كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطوهم أموالكم فاجتمعوا وانتهزوا السلاح ومنعوا بشرا من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة فقال بنو تميم والله لا ندع بعيرا واحدا يخرج فلما رأى بشر ذلك قدم المدينة وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعند ذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن الفزاري الى بني تميم في خمسين فارسا من العرب ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا فجاء بهم الى المدينة فامر بهم صلى الله عليه وسلم فحبسوا في دار رملة بنت الحرث فجاء في أثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب والزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس وقيس بن الحرث ونعيم بن سعد وعمرو بن الاهيم ورباح بن الحرث فلما رأوهم بكى اليهم النساء والذراري فجاؤا الى باب النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان دخلوا المسجد ووجدوا بلالا يؤذن بالظهر والناس ينتظرون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبطؤه فجاؤا من وراء الحجرات فنادوا بصوت جاف اخرج الينا فاخرك ونشاعرك فان مدحنا زين وذمنا شين يا محمد اخرج الينا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تأذى من صياحهم وفيهم أنزل الله ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم وأقام بلال الصلاة وتعلقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه فوقف معهم فقالوا له نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا لنشاعرك ونفاخرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا ثم مضى فصلى الظهر ثم جلس في صحن المسجد ثم قالوا ان مدحنا الزين وان شتمنا الشين نحن أكرم العرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم بل مدح الله الزين وشتمه الشين وأكرم منكم يوسف بن يعقوب ثم قالوا فاذن لخطيبنا وشاعرنا قال أذنت فليقم وفي رواية اني لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا فقدموا عطارد بن حاجب وفي رواية قال الاقرع بن حابس لشاب منهم قم يافلان فاذكر فضلك وفضل قومك فتكلم وخطب فقال * الحمد لله الذي له علينا الفضل وهو أهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق عددا فمن مثلنا في الناس ألسنا رؤس الناس وأولي فضلهم فمن فاخر فليعدد مثل ماعددنا ولو شئنا أكثرنا وانما أقول هذا الآن يأتوا بمثل قولنا وأمر أفضل من أمرنا ثم جلس وفي رواية انه قال الحمد لله الذي جعلنا خير خلقه وأعطانا أموالا نفعل فيها ما نشاء فنحن خير أهل

عاملك مع من يكون قال فلجاجة حيث كانت وقال قائل لعلي رضى الله عنه ان القوم قد اقتسموا الدار فقال انا لله وانا اليه راجعون فقالوا يا أبا الحسن ان قتلوه أين هو قال في الجنة والله زلفى قالوا وأين هم يا أبا الحسن قال في النار والله ثلاثا * ثم ان بعض من حصر عثمان رضى الله عنه تسوروا من دار رجل من الانصار حتى دخلوا على عثمان رضى الله عنه وما يعلم أحد ممن كان على باب الدار ولا ممن كان في الدار ولم يكن مع عثمان رضى الله عنه فوق الدار الا امرأته فقتلوه وهو يقرأ في المصحف ووقع قطرات من دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وأكبت عليه زوجته لتدفع عنه واتقت السيف بيدها فنفح أصابعها فاطنت أصابع يدها (وكان) المباشر لقتله سودان بن حمران وقيل

الارض أكثرهم عددا وأكثرهم سلاحا فمن أنكر علينا قولنا فليأت بقول هو أحسن من قولنا أو بفعال هي أفضل من فعالنا فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس بن شماس أن يجيبه فقال له قم فاجب الرجل في خطبته فقام ثابت رضي الله عنه فقال * الحمد لله الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط الا من فضله ثم ان من فضله ان جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا وأصدقهم قلبا وأفضلهم حسبا فانزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون من قومه وذوو رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس فعالا ثم كان أول الخلق اجابة واستجابة لله حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن فنحن أنصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن كفر جاهدناه في الله وكان قتله علينا يسيرا أقول هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم وفي رواية انه قال الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله دعا المهاجرين من بني عمه أحسن الناس وجوها وأعظم الناس أخلاقا فأجابوه والحمد لله الذي جعلنا أنصاره ووزراء رسوله وعزا لدينه فنحن نقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فمن قالها منع منا نفسه وماله ومن أباها قاتلناه وكان رغمه في الله علينا هينا أقول قولي وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ثم قال الزبرقان لرجل منهم قم يا فلان قل أبياتا تذكر فيها فضلك وفضل قومك فقام فقال أبياتا منها

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * نحن الرؤس وفينا يقسم الربع
اذا أبينا فلا يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بحسان بن ثابت رضي الله عنه فحضر فقال له قم فاجبه فقال يسمعني ما قال فاسمعه فقال حسان رضي الله عنه أبياتا منها

نصرنا رسول الله والدين عنوة * على رغم عات من بعيد وحاضر
وأحياؤنا من خير من وطئ الحصى * وأمواتنا من خير أهل المقابر

وثابت بن قيس رضي الله عنه كان يعرف بخطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم افتقده رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال من يعلم لي علمه فقال رجل أنا يا رسول الله فذهب فوجده في منزله جالسا منكسا رأسه فقال له ما شأنك فقال أخشى أن أكون من أهل النار لاني رفعت صوتي فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي وقد أنزل الله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون وكان ثابت بن قيس رضي الله عنه يرفع صوته لثقل في سمعه فكان يظن ان الناس لا يسمعونه الا ان رفع صوته فرجع الرجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمه بما قال ثابت فقال اذهب اليه فقل له لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم فيه نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس ولم يزل رضي الله عنه في عمل صالح وحسن استقامة حتى استشهد يوم اليمامة في خلافة الصديق رضي الله عنه وكان عليه درع نفيسة فمر به رجل من المسلمين فاخذها فبينما رجل من المسلمين نائم اذ رآه في منامه يقول له اني أوصيك بوصية فاياك أن تقول حلم فتضيعها اني لما قتلت مر بي رجل من المسلمين فاخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند خبائه فرس وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فأت خالدا فمره فليأخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني أبا بكر رضي الله عنه فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وان فلانا من رقيقي عتيق فاستيقظ الرجل فأتى خالدا فأخبره فبعث الى الدرع فأتي بها بعد أن وجدها على ما وصفه ثم لما قدم المدينة أخبر أبا بكر رضي الله عنه برؤياه فاجاز وصيته ولا يعلم أحد أحدثت وصيته بعد موته وأجيزت سواه ووقعت مفاخرة بين الزبرقان بن بدر وحسان رضي الله عنه كل واحد منهما يذكر قصيدة فيها مفاخره فمن قصيدة الزبرقان وهو مطلعها

رومان بن سرحان وقيل كنانة بن بشير (وأخرج) ابن عساكر ان الذي قتل عثمان رجل من أهل مصر أزرق اشقر يقال له حماد وقيل الاسود التجيبي وقيل سيار بن عياض ويمكن ان هؤلاء كلهم اشتركوا في قتله وجاء عمرو بن الحمق وبه رمق فوثب على صدره فطعنه تسع طعنات وأقبل عمير بن ضابي فوثب عليه فكسر ضلعا من أضلاعه (أخرج) الفضائلي عن هرون بن يحيى ان عثمان رضي الله عنه جعل يقول حين ضرب والدماء تسيل على لحيته لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين اللهم اني أستعيذك وأستعينك على جميع أموري واسألك الصبر على بليتي (وعن) عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال لما قتل عثمان رضي الله عنه كان يقول وهو يتشحط في دمه اللهم اجمع أمة محمد

نحن الكرام فلا حي يعادلنا * من الملوك وفينا تنصب البيع

ومن قصيدة حسان رضي الله عنه وهو مطلعها

انا أبينا ولن يأبى لنا أحد * انا كذلك عند الفخر نرتفع

وقال الاقرع بن حابس اني والله يا محمد قد قلت شعرا فاسمعه فقال هات فانشده

أتيناك كيما تعرف الناس فضلنا * اذا خالفونا عند ذكر المكارم

وانا رؤس الناس من كل معشر * وان ليس في أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا حسان فاجبه فقال حسان رضي الله عنه

بني دارم لا تفخروا ان فخركم * يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم * لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاقرع لقد كنت غنيا يا أخا بني دارم أن تذكر ما كنت ترى ان الناس قد نسوه فكان هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم أشد من قول حسان رضي الله عنه وحينئذ قال الاقرع بن حابس لخطيبه يعني النبي صلى الله عليه وسلم أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا ولاصواتهم أعلى من أصواتنا ثم دنا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان قبل هذا وروي أن الاقرع بن حابس رضي الله عنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال يا رسول الله ان لي من الولد عشرة ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يرحم لا يرحم واسم الاقرع فراس وانما لقب الاقرع لقرع كان في رأسه والقرع انحصاص الشعر وكان شريفا في الجاهلية والاسلام ووقع ان عمرو ابن الاهيم مدح الزبرقان للنبي صلى الله عليه وسلم فقال انه لمطاع في أنديته سيد في عشيرته فقال الزبرقان لقد حسدني يا رسول الله شرفي ولقد علم أفضل مما قال فقال عمرو انه لزمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال وفي رواية ان الزبرقان قال يا رسول الله أنا سيد تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك يعني عمرو بن الاهيم فقال عمرو انه لشديد المعارضة مانع لجانبه مطاع في أدانيه فقال الزبرقان والله لقد كذب يا رسول الله وما منعه أن يتكلم الا الحسد فقال عمرو أنا أحسدك والله انك لئيم الخال حديث المال أحمق الوالد مبغض في العشيرة فعرف عمرو الانكار في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله والله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ثم انه صلى الله عليه وسلم رد عليهم الاسارى والسبي وأحسن جوائزهم بعد ان أسلموا كلهم وأعطى كل واحد اثنتي عشرة أوقية من الفضة واختلف في عدد هذا الوفد فقيل كانوا سبعين رجلا وقيل ثمانين وقيل تسعين قال ابن عبد البر في الاستيعاب ان القوم لما أسلموا بقوا في المدينة مدة يتعلمون القرآن والدين ثم أرادوا الخروج الى قومهم فاعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم أموالهم ونساءهم وقال أما بقي منكم أحد وكان عمرو بن الاهيم في ركابهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحناله لم يبق منا الا غلام حدث في ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم وقيل بل أعطاه خمس أواق فقط ولما بلغ عمرو بن الاهيم ما قاله قيس بن عاصم في حقه أنشد أبياتا تتضمن لومه على ذلك وكان عمرو خطيبا بليغا شاعرا يقال ان شعره كان حللا منشورة وكان جميلا يدعى المكحل لجماله وهو القائل

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

والله سبحانه وتعالى أعلم

(بعث الوليد بن عقبة الى بني المصطلق)

بعث النبي صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط لاخذ الصدقات من بني المصطلق وبنو المصطلق بطن من خزاعة وكان بينهم وبين الوليد عداوة في الجاهلية وكانوا قد أسلموا وبنوا المساجد فلما سمعوا بدنو الوليد خرج منهم عشرون رجلا بالابل والغنم يؤدون زكاتهم فرحا به وتعظيما لله ولرسول الله صلى الله

صلى الله عليه وسلم قال ابن سلام والذي نفسي بيده لو دعا الله تعالى على تلك الحال ان لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا الى يوم القيامة * ولما قتل رضي الله عنه خرج قاتلوه هاربين فصرخت امرأته فلم يسمع صراخها من الجلبة والاصوات عند باب الدار لكثرة المجتمعين فصعدت الى السطح فقالت ان أمير المؤمنين قد قتل فدخل عليه الحسن والحسين رضي الله عنهما ومن كان معهم فوجدوا عثمان مذبوحا فانكبوا عليه يبكون ودخل الناس فوجدوا عثمان مقتولا فبلغ عليا وطلحة والزبير وسعدا ومن كان بالمدينة فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان رضي الله عنه فوجدوه مقتولا فاسترجعوا وقال علي لابنيه كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ورفع يده

عليه وسلم فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله لرؤية السلاح معهم مع انهم انما خرجوا بالسلاح تجملا فرجع من الطريق قبل أن يصلوا اليه وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم مستند الظنه انهم لقوه بالسلاح يحولون بينه وبين الصدقة وفى رواية أخبره انهم ارتدوا فهم صلى الله عليه وسلم أن يبعث اليهم من يغزوهم وبلغ ذلك القوم وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر خفية فى عسكر معه وأمره أن يخفى عنهم قدومه فلما دنا منهم بعث عيونا ليلا فاذاهم ينادون بالصلاة ويصلون فأتاهم خالد فلم ير منهم الا الطاعة وخيرا فرجع اليه صلى الله عليه وسلم فأخبره وفى رواية بعث صلى الله عليه وسلم اليهم بعثا فاستقبلهم الحرث بن ضرار الخزاعى وكان رئيس القوم فقال الى أين بعثتم قالوا اليك قال ولم قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الوليد فزعم انك منعته الزكاة وأردت قتله فقال لا والذى بعث محمدا بالحق ما رأيته ولا أتانى ثم قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه صلى الله عليه وسلم قال له صلى الله عليه وسلم منعت الزكاة وأردت قتل رسولى قال لا والذى بعثك بالحق وقدم الركب الذين لقوا الوليد فاخبروا النبي صلى الله عليه وسلم الخبر على وجهه فبعث صلى الله عليه وسلم معهم عباد بن بشر يأخذ صدقات أموالهم ويعلمهم شرائع الاسلام ويقرئهم القرآن والوليد بن عقبة بن أبى معيط كان أخا عثمان رضى الله عنه لامه ولاه عثمان رضى الله عنه الكوفة ثم عزله ولما مات عثمان رضى الله عنه اعتزل الوليد الفتنة فلم يشهد مع على رضى الله عنه ولا غيره وأقام بالرقة الى أن توفى فى خلافة معاوية رضى الله عنه

(سرية عبد الله بن عوسجة)

رضى الله عنه الى بنى عمرو بن حارثة وقيل حارثة بن عمرو فى مستهل صفر وقيل ربيع الاول سنة تسع من الهجرة يدعوهم الى الاسلام فابوا أن يجيبوا واستخفوا بصحيفة النبي صلى الله عليه وسلم فغسلوها ورقعوا بها أسفل دلوهم فاخبر صلى الله عليه وسلم بذلك فدعا عليهم بذهاب العقل فقال مالهم ذهب الله بعقولهم فهم الى اليوم أهل رعدة أى اضطراب فى أجسادهم وعجلة فى كلامهم وكلام مختلط لا يفهم قال الواقدى رأيت بعضهم ذا عى لا يحسن الكلام

(سرية قطبة بن عامر الخزرجى)

رضى الله عنه الى خثعم قريبا من تربة بضم الفوقية وفتح الراء من أعمال مكة على يومين أو أكثر وكانت فى صفر سنة تسع وبعث معه عشرين رجلا وأمره أن يشن الغارة عليهم فجاؤهم واقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت الجرحى فى الفريقين ثم هزموهم وساقوا النعم والشاء والنساء الى المدينة والله أعلم

(سرية الضحاك بن سفيان)

الكلابى رضى الله عنه الى بنى كلاب فى ربيع الاول سنة تسع بجيش فجاءهم ودعاهم الى الاسلام فأبوا فقاتلهم ومن معه فهزمهم وغنم أموالهم

(سرية علقمة بن مجزز)

بضم الميم وفتح الجيم ومعجمتين الاولى مكسورة ثقيلة المدلجى رضى الله عنه الى طائفة من الحبشة بساحل البحر قريبا من جدة بعثه فى ثلثمائة فانتهى الى جزيرة فى البحر فلما خاض البحر ليصل اليهم هربوا فرجع علقمة ومن معه ولم يلقوا كيدا ولما أراد الرجوع علقمة أراد بعض القوم التعجيل والرجوع الى أهلهم قبل بقية الجيش وكان فيهم عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه فأمره علقمة عليهم وكان فيه دعابة أى مزاح فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارا يصطلون عليها فقال لهم عبد الله بن حذافة عزمت عليكم الا تواثبتم فى هذه النار فلما هم بعضهم بذلك قال امنعوا أنفسكم فانما كنت أمزح فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم لما قدموا فقال من أمركم بمعصية فلا تطيعوه وفى رواية أنهم لما أوقدوا النار وهموا بالدخول فيها جعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون فررنا من النار أى فكيف نلقى أنفسنا فيها وفى رواية انه غضب فامرهم بذلك ليرى امتثالهم له فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو دخلوها ما خرجوا منها أى ان كانوا مستحلين الدخول وجاء فى بعض الروايات وصف الامير المذكور بالانصارى قال الحافظ ابن حجر يحتمل حمله على المعنى الاعم أى انه نصر النبي صلى الله عليه وسلم فى الجملة

فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشتم محمد بن طلحة وعبد الله بن الزبير وسأل على رضى الله عنه امرأة عثمان رضى الله عنه عن قتله فقالت لا أدرى دخل عليه رجلان لا أعرفهما فقتلاه *واتهم بعض الناس محمد بن أبى بكر رضى الله عنهما فى قتله فسأل على رضى الله عنه امرأة عثمان فبرأته من قتله وأخبرت بانه دخل عليه قبل الرجلين فامسك بلحيته فقال له عثمان رضى الله عنه لو رآك أبوك لساءه مكانك منى فتراخت يده وخرج فدعا على رضى الله عنه محمدا فسأله عما ذكرت امرأة عثمان فقال محمد لم تكذب قد والله دخلت عليه وأنا أريد قتله فذكر لى أبى فقمت عنه وأنا تائب الى الله تعالى والله ما قتلته ولا أمسكته فقالت امرأة عثمان صدق (وأخرج) ابن عساكر عن الحسن قال قتل عثمان وعلى

فلا ينافى ان عبد الله بن حذافة من المهاجرين وفى رواية ان الذى أمره عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فيحتمل انه أسند اليه صلى الله عليه وسلم فى هذه الرواية لان تأمير أميره كتأميره صلى الله عليه وسلم وعبد الله ابن حذافة هذا رضى الله عنه من قدماء المهاجرين ممن شهد بدرا ومات بمصر فى خلافة عثمان رضى الله عنه ومن مناقبه ما أخرجه البيهقى عن أبى رافع رضى الله عنه قال وجه عمر رضى الله عنه جيشا الى الروم وفيهم عبد الله بن حذافة رضى الله عنه فقال له ملك الروم تنصر وأشركك فى ملكى فأبى فأمر به أن يصلب ان لم يتنصر فلما ذهبوا به بكى فقال ردوه فقال له لم بكيت قال تمنيت أن لى مائة نفس تلقى هذا فى الله فتعجب منه ثم قال له قبل رأسى وأنا أخلى عنك فقال وعن جميع أسارى المسلمين قال نعم فقبل رأسه فخلى سبيلهم فقدم بهم على عمر رضى الله عنه فقام عمر فقبل رأسه رضى الله عنهما

(سرية على بن أبى طالب رضى الله عنه)

لهدم صنم طيئ بموضع يسمى الفلس بضم الفاء وسكون اللام بعثه صلى الله عليه وسلم فى ربيع الاول سنة تسع وبعث معه مائة وخمسين رجلا من الانصار وفى رواية كانوا مائتى رجل فغار على أحياء من العرب وشن الغارة على محلة آل حاتم مع الفجر وحرق الصنم بعد هدمه ووجد فى خزانته ثلاثة أسياف وثلاثة أدرع وغنم سبيا ونعما وشاء وفضة وقدم بذلك المدينة وكان فى السبى سفانة بنت حاتم الطائى وهى بفتح السين وتشديد الفاء بعدها نون مفتوحة وتاء تأنيث فأسلمت وحسن اسلامها رضى الله عنها ومن عليها صلى الله عليه وسلم فدعت له فقالت شكرتك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم الا وجعلك سببا لردها عليه وكان المن عليها سببا لاسلام أخيها عدى ابن حاتم رضى الله عنه وكان رضى الله عنه من فضلاء الصحابة ولم يرتد مع من ارتد من العرب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بل ثبت على الاسلام وكان يبعث بصدقات قومه الى الصديق رضى الله عنه وحضر فتوح العراق مات سنة ثمان وستين وهو ابن مائة وعشرين وقيل مائة وثمانين سنة وروى له أصحاب السنن الستة قال ابن اسحق فى قصة سبى أخت حاتم أصابت خيله صلى الله عليه وسلم ابنة حاتم فى سبايا فجعلت فى حظيرة فى المسجد فمر بها صلى الله عليه وسلم فقامت اليه وكانت جزلة فقالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فقال ومن وافدك قالت عدى بن حاتم قال الفار من الله ورسوله فمضى حتى كان الغد قالت مر بى فقلت له وقال لى مثل ذلك حتى كان بعد الغد مر بى وقد يئست فأشار الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو خلفه أن قومى اليه فكلميه فقمت فقلت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن على من الله عليك قال قد فعلت فلا تعجلى حتى تجدى ثقة يبلغك بلادك ثم آذنينى فقدم رهط من طيئ قالت فأخبرته أن لى فيهم ثقة وبلاغا فكسانى وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت حتى قدمت الشام على أخى فقال ما ترين فى هذا الرجل قالت أرى والله أن تلحق به سريعا فان يك نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فلن تزال فى عز اليمن وأنت أنت فقلت والله هذا هو الرأى فقدم فأسلم والقصة طويلة وروى ابن المبارك فى الزهد عن عدى بن حاتم رضى الله عنه ما دخل وقت صلاة قط الا وأنا أشتاق اليها وفى رواية ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت الا وأنا على وضوء وكان جوادا وقد روى الامام أحمد أن رجلا سأله مائة درهم فقال تسألنى مائة درهم وأنا ابن حاتم والله لا أعطيك وروى ابن سعد أن الذى سبى أخت حاتم خالد بن الوليد وجمع بعضهم بين الروايتين بان خالدا كان فى جيش على رضى الله عنهما ونوزع بان الجيش كله كان من الانصار ويمكن أن يقال المراد أن أكثر الجيش من الانصار فلا ينافى كون خالد معهم أو يكون منهم نظرا للمعنى النصرة بالمعنى الاعم والله أعلم

(ثم سرية عكاشة بن محصن الاسدى رضى الله عنه)

الى الجناب بكسر الجيم وموحدتين بينهما ألف أرض عذرة بضم العين وسكون الذال المعجمة وبلى بفتح الباء وكسر اللام وشدة التحتية وهما قبيلتان من قضاعة وقيل ان الجناب أرض فزارة وكلب ولعذرة فيها شرك وكانت هذه السرية فى شهر ربيع الآخر سنة تسع ولم يذكروا سببها ولا عدد من ذهب فيها ولا ما جرى

غائب خارج المدينة فى أرض له فلما بلغه قال اللهم انى لم أرض ولم آمال (وأخرج) الحاكم وصححه عن قيس بن سعد بن عبادة رضى الله عنهما قال سمعت عليا رضى الله تعالى عنه يوم الجمل يقول اللهم انى أبرأ اليك من دم عثمان ولقد طاش عقلى يوم قتل عثمان وأنكرت نفسى وجاؤنى للبيعة فقلت والله انى لاستحى ان أبايع قوما قتلوا عثمان وانى والله لاستحى ان أبايع وعثمان لم يدفن بعد فانصرفوا فلما رجع الناس بعد دفنه فسألونى البيعة فقلت اللهم انى مشفق مما أقدم عليه ثم جاءت عزيمة فبايعت فقالوا يا أمير المؤمنين فكأنما صدع قلبى فقلت اللهم خذ منى لعثمان (وأخرج) ابن عساكر عن أبى خلدة الحنفى قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول ان بنى أمية يزعمون

والله أعلم

(غزوة تبوك)

على وزن تقول لا ينصرف للعلمية ووزن الفعل وقيل للعلمية والتأنيث وجوز بعضهم صرفه على ارادة المكان وهو مكان معروف بينه وبين المدينة من جهة الشام أربع عشرة مرحلة وبينه وبين دمشق احدى عشرة مرحلة وقيل اثنتا عشرة مرحلة وقيل هو نصف الطريق بين المدينة ودمشق وهى غزوة العسرة بمهملتين الاولى مضمومة بعدها سكون مأخوذ من قوله تعالى الذين اتبعوه فى ساعة العسرة وتعرف بالفاضحة لافتضاح المنافقين فيها قالوا لا تنفروا فى الحر وقد فضحهم الله فى آيات كثيرة فى سورة التوبة كقوله تعالى ومنهم من يقول ائذن لى وكقوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب وكانت فى رجب سنة تسع من الهجرة قال الحافظ ابن حجر وذكر البخارى لها بعد حجة الوداع من خطأ النساخ قال بعضهم ولعل البخارى تعمد تأخيرها للاشارة الى انها آخر غزاة غزاها صلى الله عليه وسلم وكان الوقت حين خروجه صلى الله عليه وسلم حرا شديدا وقحطا كثيرا ولذلك لم يورّ عنها كعادته فى سائر الغزوات وقد روى البخارى ومسلم عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال لم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا وغزا عدوا كثيرا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم بالوجه الذى يريد * والتورية بذكر لفظ يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر فيتوهم السامع ارادة القريب والمتكلم يريد البعيد وروى عبد الرزاق أنهم خرجوا فى قلة من الظهر مع كثرتهم وفى حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما فى كرشه من الماء فسميت غزوة العسرة أى الشدة والضيق واختلف فى سببها فقال بعضهم سببها أنه صلى الله عليه وسلم بلغه من الانباط الذين يقدمون بالزيت من الشام الى المدينة أن الروم تجمعت بالشام مع هرقل وهو قيصر ملك الروم واجتمعت معهم لخم وجذام وعاملة وغسان وغيرهم من متنصرة العرب وجاءت مقدمتهم الى البلقاء فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك ندب الناس الى الخروج وأعلمهم بالمكان الذى يريد ليتأهبوا لذلك بما يحتاجونه فى السفر والحرب وروى الطبرانى من حديث عمران بن حصين الخزاعى رضى الله عنهما قال كانت نصارى العرب كتبت الى هرقل ان هذا الرجل الذى يدعى النبوة هلك وأصابتهم سنون فهلكت أموالهم فان كنت تريد أن تلحق دينك فالآن فبعث رجلا من عظمائهم يقال له قباذ وجهز معه أربعين ألفا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يكن للناس قوة فى الذهاب لتلك الارض لفقد الظهر والنفقة وكان عثمان رضى الله عنه قد جهز عيرا الى الشام فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم يحث على النفقة والجلان قال يا رسول الله هذه مائتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومائتا أوقية قال عمران رضى الله عنه فسمعته صلى الله عليه وسلم يقول لا يضر عثمان ما عمل بعدها وهذا اشارة الى أن الله منعه من وقوع زلة ببركة انفاقه فى سبيل الله وانه صلح أن يغفر له ما عساه أن يكون ذنبا ان وقع ولا يلزم من الصلاحية وجوده وقد أظهر الله صدق رسوله صلى الله عليه وسلم فان عثمان رضى الله عنه لم يزل على أعمال أهل الجنة حتى فارق الدنيا * وقيل سبب هذه الغزوة ان الله لما منع المشركين من قرب المسجد الحرام فى الحج وغيره قالت قريش لتقطعن عنا المتاجر والاسواق وليذهبن ما كنا نصيب منها فعوضهم الله بالامر بقتال أهل الكتاب كما قال تعالى يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة فعزم صلى الله عليه وسلم على قتال الروم لانهم أقرب الناس اليه وأولاهم بالدعوة الى الحق لقربهم الى الاسلام ولما أراد صلى الله عليه وسلم الخروج حث الناس على النفقة والجلان فجاؤا بصدقات كثيرة فكان أول من جاء أبو بكر الصديق رضى الله عنه فجاء بماله كله أربعة آلاف درهم فقال صلى الله عليه وسلم هل أبقيت لاهلك شيأ قال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله فسأله هل أبقيت لهم شيأ قال نعم نصف مالى وجاء عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه بمائتى أوقية اليه صلى الله عليه وسلم وتصدق عاصم بن عدى بسبعين وسقا من تمر وجهز عثمان رضى الله عنه ثلث الجيش حتى كان يقال ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شنق أسقيتهم قال ابن

انى قتلت عثمان ولا والله الذى لا اله الا هو ما قتلت ولا ماليت ولقد نهيته فعصونى (وأخرج) ابن عساكر عن سمرة رضى الله عنه قال ان الاسلام كان فى حصن حصين وانهم ثلموا فى الاسلام ثلمة بقتلهم عثمان لا تسد الى يوم القيامة وان أهل المدينة كانت فيهم الخلافة فأخرجوها ولم تعد فيهم (وأخرج) أبو الخير الحاكمى القزوينى عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال أتيت عثمان رضى الله عنه وهو محصور لاسلم عليه فقال مرحبا يا أخى أفلا أحدثك ما رأيت الليلة فى المنام رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حصروك فقلت نعم فقال عطشوك فقلت نعم فأدلى الى دلوا من ماء فشربت حتى رويت فانى لاجد برده بين ثديى وبين كتفى وقال لى ان شئت نصرت عليهم وان شئت

اسحق أنفق عثمان رضى الله عنه فى ذلك الجيش نفقة عظيمة لم ينفق أحد مثلها وروى عن قتادة انه قال حمل عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسا وروى الامام أحمد والبيهقى عن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال جاء عثمان رضى الله عنه بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها فى حجره و يقول ماضر عثمان ما عمل بعد اليوم وجاء فى رواية عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما ان الذى جاء به عثمان رضى الله عنه عشرة آلاف دينار قال بعضهم يمكن ان الالف جاء بها والعشرة بعث بها وجاء فى هذه الرواية زيادة أن الدنانير صبت بين يديه صلى الله عليه وسلم فجعل صلى الله عليه وسلم يقول بيده و يقلبها ظهر البطن و يقول غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما هو كائن الى يوم القيامة ما يبالى عثمان بعدها ففيه بشارة عظيمة بان الله غفر له الذنوب أى سترها عنه فمنعه منها ببركة دعائه له ونفقته فى سبيل الله فليس يبالى بما عمل اذ لا يقع منه الا الخير وفى بعض الروايات قال صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض و روى البيهقى عن عبد الرحمن بن خباب رضى الله عنه قال خطب صلى الله عليه وسلم فحث الناس على جيش العسرة فقال عثمان على مائة بعير باحلاسها وأقتابها ثم نزل مرقاة أخرى من المنبر فحث الناس فقال عثمان على مائة بعير أخرى باحلاسها وأقتابها ثم نزل مرقاة أخرى فحث فقال عثمان على مائة بعير أخرى باحلاسها وأقتابها قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب وقال ما على عثمان بعد هذا اليوم أو قال بعدها وأرسل صلى الله عليه وسلم الى أهل مكة وقبائل العرب يستنفرهم وجاء البكاؤن يستحملونه أى يطلبون منه ما يركبون عليه فقال ما أجد ما أحملكم عليه وهم سالم بن عمير الانصارى وأبو ليلى عبد الرحمن ابن كعب الانصارى والعرباض بن سارية السلمى وهرم بن عبد الله بن رفاعة الانصارى وعمرو بن عنمة الانصارى وعبد الله بن مغفل المزنى وآخرون غيرهم وهم الذين قال الله فيهم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ما ينفقون ومنهم قوم أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ففى البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه انه أرسله أصحابه الى النبى صلى الله عليه وسلم يسأله الحملان فقال والله لا أحملكم وفى رواية وما عندى ما أحملكم عليه فرجع حزينا الى قومه ثم جاء النبى صلى الله عليه وسلم ذود من الابل فبعث اليه وأعطاه اياها واستخلف صلى الله عليه وسلم على المدينة على ابن أبى طالب رضى الله عنه وخلفه أيضا على أهله وعياله فارجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخففا فاخذ على رضى الله عنه سلاحه ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف فقال يانبى الله زعم المنافقون انك انما خلفتنى لانك استثقلتنى وتخففت منى فقال كذبوا ولكن خلفتك لما تركت ورائى فارجع فى أهلى وأهلك أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبى بعدى فرجع الى المدينة وفى رواية فقال على رضى الله عنه رضيت ثم رضيت قال أهل السنة ان هرون عليه السلام انما كان خليفة فى حياة موسى عليه السلام حين ذهب الى الميقات فدل ذلك على تخصيص خلافة على رضى الله عنه بحياة النبى صلى الله عليه وسلم فقط فلا حجة فيه للشيعة على ان الخلافة لعلى وانه أوصى له بها وكفرت الروافض جميع الصحابة بتقديم غيره وزاد بعضهم فكفر عليا لكونه لم يقم لطلب حقه ولا حجة لهم فى الحديث المذكور ولا متمسك لهم به لانه انما قال هذا حين استخلفه بالمدينة وفى هذه الغزوة فالحديث انما دل على أن عليا رضى الله عنه خليفة على أهل النبى صلى الله عليه وسلم مدة غيبته بتبوك كما كان هرون عليه السلام خليفة عن موسى عليه السلام فى قومه مدة غيبته عنهم للمناجاة وقد استخلف صلى الله عليه وسلم فى مرات أخر غير على رضى الله عنه فيلزم أن يكون مستحقا للخلافة ولما سئل على رضى الله عنه فى زمن خلافته هل أوصى لك النبى صلى الله عليه وسلم بالخلافة قال لا ولو أوصى لى بها لقاتلت عليها حتى لو لم يبق معى الا سيفى وردائى ولو أوصى له بها لما بايع أبا بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم وقول الرافضة ان ذلك كان منه تقية كذب وزور فانه كان رضى الله عنه ذا قوة وشجاعة وقد توفرت عشيرته

أفطرت عندنا قال فخبرت ان أفطر عندهم فصحت صائما فقتل فى ذلك اليوم (وعن) أبى سعيد مولى عثمان ان عثمان رضى الله عنه أعتق فى ذلك اليوم عشرين مملوكا ودعا بسراويل فشدها عليه ولم يلبسها فى جاهلية ولا اسلام وقال انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا عثمان تفطر عندنا فصحت صائما وقتل من يومه (وأخرج) الحافظ الدمشقى عن ابن أبى أوفى رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عثمان يرد على الحوض وأوداجه تشخب دما فأقول من فعل بك هذا فيقول فلان وفلان وذلك كلام جبريل (وأخرج) ابن السمان ان عليا رضى الله عنه لما بلغه ان القوم قتلوا عثمان رضى الله عنه قال تبا لهم آخر الدهر (وأخرج) أيضا عن على

من بنى هاشم فكانوا أهل قوته ومنعته فيلزم الرافضة نسبته للجبن والذل وحاشاه الله من ذلك ورضى عنه وكرم وجهه ولما ارتحل صلى الله عليه وسلم عن ثنية الوداع متوجها الى تبوك عقد الالوية والرايات فدفع لواءه الاعظم لابى بكر رضى الله عنه ودفع راية الاوس لاسيد بن حضير وراية الخزرج للحباب بن المنذر ودفع لكل بطن من الانصار وقبائل العرب لواء أو راية أى لبعضهم لواء ولبعضهم راية وسار بالناس وهم ثلاثون ألفا وقيل أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وكانت الخيل عشرة آلاف وقيل اثنى عشر ألفا وتقع له صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزوة كثير من الاخبار بالمغيبات وغيرها من المعجزات وخوارق العادات وسيأتى ان شاء الله التعرض لكثير منها وتخلف جماعة من المنافقين منهم عبد الله بن أبى ابن سلول بعد ان كان قد خرج بقومه وعسكر بهم أسفل من ثنية الوداع ثم قال يغزو محمد بنى الاصفر أى وهم الروم مع جهد الحال والحر والبلد البعيد الى مالا طاقة له به يحسب محمد أن قتال بنى الاصفر معه اللعب والله لكانى أنظر الى أصحابه مقرنين فى الحبال يقول ذلك ارجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه ثم رجع بقومه وتخلفوا واجتمع جمع من المنافقين فى بيت سويلم اليهودى فقال بعضهم أتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضا والله لكانى بهم يعنى الصحابة غدا مقرنين فى الحبال يقولون ذلك ارجافا وترهيبا للمؤمنين والجلاد الضراب بالسيوف فاوحى الله الى النبى صلى الله عليه وسلم اجتماع القوم وما قالوا فقال لعمار بن ياسر رضى الله عنهما أدرك القوم فاسألهم عما قالوا فان أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا فانطلق اليهم عمار فقال ذلك لهم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه وقالوا انما كنا نخوض ونلعب وقال صلى الله عليه وسلم للجد بن قيس يا جد هل لك فى جلاد بنى الاصفر قال يا رسول الله أو تأذن لى فى التخلف ولا تفتنى فوالله لقد عرف قومى بانه ما من رجل باشد عجبا بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الاصفر أن لا أصبر فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد أذنت لك فانزل الله تعالى فيه ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا والفتنة التى سقطوا فيها هى التخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرغبة عنه وفى رواية انه لام الجد على مقالته ولده عبد الله وقال له والله ما منعك الا النفاق وسينزل الله فيك قرآنا فاخذ نعله وضرب به وجهه فلما نزلت الآية قال له أم أقل لك فقال له اسكت يالكع فوالله لانت أشد على من محمد وفى رواية ان الجد لما امتنع واعتذر بما تقدم قال للنبى صلى الله عليه وسلم ولكن أعينك بمالى فانزل الله تعالى قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم والمحققون على ان الجد بن قيس تاب من النفاق وحسنت توبته رضى الله عنه وعاش الى خلافة عثمان رضى الله عنه وقال بعض المنافقين لبعض لا تنفروا فى الحر فانزل الله تعالى وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون وجاء المعذرون من الاعراب وهم الضعفاء والمقلون ليؤذن لهم فى التخلف فاذن لهم وكانوا اثنين وثمانين رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر واظهار علة جراءة على الله ورسوله وقد عناهم الله تعالى بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وتخلف جمع من المسلمين منهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع من غير عذر وكانوا ممن لا يتهم فى اسلامهم وستأتى قصتهم ان شاء الله تعالى وكان ممن تخلف أبو خيثمة الانصارى رضى الله عنه فلما ان سار صلى الله عليه وسلم ومضت أيام دخل أبو خيثمة على أهله فى يوم حار فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائط قد رشت كل منهما عريشها وبردت فيها ماء وهيئتا طعاما وكان اليوم يومئذ شديد الحر فلما دخل نظر الى امرأتيه وما صنعتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فهيآ لى زادا ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله وأخذ سيفه ورمحه ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه نزل بتبوك وقد كان أبو خيثمة أدرك عمير بن وهب فى الطريق يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فترافقا حتى دنوا من تبوك فقال أبو خيثمة لعمير ان لى ذنبا فلا عليك أن تتخلف عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل فلما دنا أبو خيثمة قال الناس هذا راكب مقبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن

رضى الله عنه انه قال من تبرأ من دين عثمان فقد تبرأ من الايمان والله ما أعنت على قتله ولا أمرت ولا رضيت وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عليا رضى الله عنه قال والله ما قتلت عثمان ولا أمرت بقتله ولكنى نهيت وفى رواية عن ابن سيرين قال لما قدم على البصرة قام على المنبر يتبرأ من قتل عثمان رضى الله عنه فقال والله ما مالأت ولا شاركت ولا رضيت ولا أمرت ولكنى غلبت قالها ثلاثا وعن جندب قال دخلت على حذيفة فقال لى ما فعل الرجل يعنى عثمان فقلت أراهم قاتليه قال ان قتلوه كان فى الجنة وكانوا فى النار (وأخرج) الحافظ السلفى عن حذيفة رضى الله عنه قال أول الفتن قتل عثمان وآخر الفتن خروج الدجال والذى نفسى بيده لا يموت رجل وفى قلبه مثقال من حب قتل عثمان

أبا خيثمة فلما دنا ونظر وه قالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة فلما أناخ أقبل يسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى لك يا أبا خيثمة أولى لك كلمة تهديد وتوعد ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ولما مر صلى الله عليه وسلم بالحجر ديار ثمود سجى ثوبه على رأسه واستحث راحلته وقال لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا الا وأنتم باكون خوفا أن يصيبكم ما أصابهم وانما سجى ثوبه على رأسه لان الغطاء ينبعه الفكر والاعتبار فكأنه أمرهم بالفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله عز وجل على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الارض وامهالهم فيها مدة طويلة ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته مثل ذلك ونهى صلى الله عليه وسلم الناس أن يشربوا من مائها شيأ وأن يتوضؤا به للصلاة وأن يعجن منه عجين وأن يحاس به حيس وان يطبخ به طعام والعجين الذى عجن به أو الحيس الذى فعل به يعلفونه الابل والطعام الذى طبخ به يلق ولايأكلوا منه شيأ ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم بالناس ولم يزل سائرا بهم حتى نزل على البئر التى كانت تشرب منها الناقة وأخبرهم صلى الله عليه وسلم انه تهب عليهم الليلة ريح شديدة وقال من كان له بعير فليشد عقاله ونهى الناس فى تلك الليلة عن أن يخرج أحد منهم وحده بل معه صاحبه فخرج شخص وحده لحاجته فخنق وخرج آخر فى طلب بعير له ند فاحتملته الريح حتى ألقته فى جبل طي فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألم أنهكم أن يخرج أحد منكم الا ومعه صاحبه ثم دعا للذى خنق فشفى والذى ألقته الريح بجبل طي أرسلته طي له صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستخلف على عسكره أبا بكر الصديق رضى الله عنه يصلى بالناس واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر فكان يطوف فى أصحابه على العسكر وأصبح الناس يوما ولا ماء معهم وحصل لهم من العطش ما كاد يقطع رقابهم حتى حملهم ذلك على نحر ابلهم ليشقوا أكراشها ويشربوا ماءها فعن عمر رضى الله عنه خرجنا فى حر شديد فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقى على كبده وفى لفظ على صدره فشكوا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له أبو بكر يا رسول الله قد عودك الله من الدعاء خيرا فادع الله لنا فقال أتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى أرسل الله سحابة فمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا ما يحتاجون اليه وذكر بعضهم ان تلك السحابة لم تتجاوز العسكر وان رجلا من الانصار قال لآخر متهم بالنفاق ويحك قد ترى فقال انما مطرنا بنوء كذا وكذا فانزل الله وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أى وتجعلون بدل شكر رزقكم تكذيبكم حيث تنسبون المطر للانواء وقيل انه قال له ويحك هل بعد هذا شئ قال سحابة مارة وفى لفظ انهم لما شكوا اليه شدة العطش قال لعلى لو استسقيت لكم فسقيتم قلتم بنوء كذا وكذا فقالوا يا نبى الله ماهذا بحين أنواء فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ ثم قام فصلى فدعا الله تعالى فهاجت ريح وثارت سحابة فمطروا حتى سال كل واد فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يغترف بقدحه وهو يقول هذا نوء كذا فنزلت الآية وضلت ناقته صلى الله عليه وسلم يوما فقال رجل من المنافقين الذين خرجوا معه ان محمدا يزعم أنه نبى وأنه يخبركم بخبر السماء وهو لا يدرى أين ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا وانى والله لا أعلم الا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها انها فى شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتونى بها فذهبوا فوجدوها كذلك فجاؤا بها * قيل وقع نظير هذا فى غزوة بنى المصطلق وان الواقعة تعددت وقيل انه من الاشتباه على بعض الرواة ولما قال صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقول كذا وكذا الخ جاء بعض الصحابة الى رحله وقال لمن فى الرحل والله لعجب فى شئ حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مقالة رجل قال كذا وكذا وأخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم به فقال له بعض من فى الرحل هذه المقالة قالها فلان قبل أن تأتى بيسير يعنى شخصا حاضرا فى رحله فقال يا عباد الله فى رحلى داهية وما أشعر أخرج أى عدو الله من رحلى ولا تصحبنى فيقال انه تاب ويقال انه لم يزل على شر حتى هلك وتباطأ جمل أبى ذر رضى الله عنه لما به من الاعياء فتخلف عن الجيش

الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به فى قبره (وأخرج) خيثمة بن سليمان عن طاوس قال لما وقعت فتنة عثمان قال رجل لاهله أوثقونى بالحديد فانى مجنون فلما قتل عثمان قال حلونى فالحمد لله الذى شفانى من الجنون وعافانى من قتل عثمان (وأخرج) البخارى عن سعيد بن زيد رضى الله عنه قال لو ان أحدا انقض للذى صنعتم بعثمان لكان محقوقا ان ينقض (وأخرج) ابن عبد البر عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال لقد فتح الناس على أنفسهم بقتل عثمان باب فتنة لا يغلق عنهم الى يوم القيامة (وأخرج) القزوينى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لو اجمع الناس على قتل عثمان لرموا بالحجارة كما رمى قوم لوط (وأخرج) ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لو لم يطلب الناس بدم عثمان لرموا

فأخذمتاعه وحمله على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فادركه نازلا في بعض المنازل
وقبل مجيئه قالوا له تخلف أبوذر يارسول الله أبطأبه بعيره فقال دعوه فان يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم وان
يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه ولما أشرف على ذلك المنزل ونظره شخص فقال يارسول الله هذا رجل
يمشي على الطريق وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أباذر فلما تأمله القوم قالوا يارسول الله هو
والله أبوذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أباذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده
وكان كما قال صلى الله عليه وسلم فقد مات وحده بالربذة رضي الله عنه سكنها في خلافة عثمان رضي الله عنه بسبب
اختلاف وقع بينه وبين بعض الصحابة في بعض ألفاظ القرآن وتفسير بعض من معانيه فخشي عثمان وأبوذر
رضي الله عنهما اتساع الامر فاستاذن أبوذر عثمان رضي الله عنهما أن يسكن الربذة فاذن له فبقي بها حتى
توفي وحده كما أخبر صلى الله عليه وسلم وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال لما كنا بين الحجر وتبوك ذهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فابطأ حتى أسفر الناس بصلاة الفجر ولم يأتهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فصلى بهم فانتهى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد أن توضأ ومسح خفيه الى عبد الرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع
عبد الرحمن ركعة ثم قام وأتى بالركعة الثانية وقال لهم بعد فراغه أحسنتم أو أصبتم ثم قال لم يتوف نبي حتى يؤمه
رجل صالح من أمته وهذا لا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر رضي الله عنه بل قال ابن عباس
رضي الله عنهما لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أمته الا خلف أبي بكر والمراد صلاة كاملة فلا
ينافي صلاته ركعة خلف عبد الرحمن بن عوف ولم ينقل انه صلى الله عليه وسلم صلى خلف احد غير أبي بكر وعبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان يستخلف أبابكر رضي الله عنه على عسكره
يصلي بالناس فلعل ذلك في بعض الايام فلا ينافي صلاة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بهم في هذا اليوم
أو أنه كان يصلي مع ابي بكر رضي الله عنه بعض القوم ومع النبي صلى الله عليه وسلم بعض لكثرة القوم فلما
تاخر صلى الله عليه وسلم في قضاء الحاجة صلى عبد الرحمن رضي الله عنه بالذين كانوا يصلون مع النبي صلى الله
عليه وسلم والله أعلم ولما نزلوا بتبوك وجدوا عينها قليلة الماء فاغترف رسول الله صلى الله عليه وسلم غرفة بيده
من مائها فمضمض بها فاه ثم بصقه فيها ففارت عينها حتى امتلأت وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الماء قلة اي ماء عين تبوك وقد قال لهم انكم تاتون غدا ان شاء الله عين
تبوك وانكم لن تنالوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي وأمر مناديا نادى بذلك
فجئناها فاذا العين مثل الشراك تبض من ماء وقد سبق اليها أربعة وقيل رجلان من المنافقين ومسا من مائها
فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك ثم انهم غرفوا من تلك العين قليلا قليلا حتى اجتمع شئ في شن
فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه ويديه ومضمض ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفي رواية فجعلوا
فيها سهاما ففعها اليهم فجاشت بالماء وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه يا معاذ يوشك ان طالت بك
حياة ان ترى ماهنا قد ملئ جنانا أي بساتين فرأى ذلك وروى ابن عبد البر عن بعضهم قال أنا رأيت ذلك
الموضع كله حوالى تلك العين جنانا خضرة نضرة وقبل قدومهم تبوك بليلة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
يستيقظ حتى كانت الشمس قيد رمح وقد كان قال لبلال رضي الله عنه اكلأ لنا الفجر فاسند بلال ظهره الى
راحلته فغلبته عيناه ثم قال له صلى الله عليه وسلم ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر وفي رواية ان بلالا قال لهم
ناموا وأنا أوقظكم فاضطجعوا ولم يستيقظوا الا بحر الشمس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال أين
ما قلت قال يارسول الله ذهب بي مثل الذي ذهب بك وفي رواية أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك وقال صلى الله
عليه وسلم للصديق رضي الله عنه ان الشيطان صار يهدي بلالا للنوم كما يهدى الصبي حتى ينام ثم دعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلالا وسأله عن سبب نومه فاخبر بما قاله النبي صلى الله عليه وسلم للصديق فقال الصديق
رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه وسلم أشهد أنك رسول الله ثم انتقل صلى الله عليه وسلم غير بعيد ثم صلى الصبح

بالحجارة من السماء (واخرج) ابن السماك ان عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط رضي الله عنهم ذكر عنده قتل عثمان فبكى حتى بل لحيته (وأخرج) ابن عساكر عن يزيد بن حبيب قال بلغني ان الركب الذين ساروا الى قتل عثمان عامتهم جنوا (وأخرج) ابن عدي وابن عساكر عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لله سيفا مغمودا في غمده مادام عثمان حيا فاذا قتل جرد ذلك السيف فلا يغمد الى يوم القيامة * وكان قتل عثمان رضي الله عنه في أوسط أيام التشريق من سنة خمس وثلاثين من الهجرة وقيل قتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة ودفن ليلة السبت بين المغرب والعشاء في حش كوكب بالبقيع وهو أول من دفن فيه وكوكب رجل من

قضاء وفى منصرفه صلى الله عليه وسلم من تبوك قال أبو قتادة رضى الله عنه بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قافل من تبوك وأنا معه اذ خفق خفقة وهو على راحلته فمال على شقه فدنوت منه فدعمته فانتبه فقال يا أبا قتادة هل لك فى التعريس أى النزول للنوم فقلت ما شئت يا رسول الله قال انظر من خلفك فنظرت فاذا رجلان أو ثلاثة فقال ادعهم فقلت أجيبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا فعرسنا وفى رواية قال أبو قتادة فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير حتى ابهار الليل وأنا الى جنبه فنعس فمال عن راحلته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا تهور الليل مال ميلة أخرى فدعمته حتى اعتدل على راحلته ثم سار حتى اذا كان من آخر السحر مال ميلة هى أشد من الميلتين الاولتين حتى كاد يسقط فدعمته فرفع رأسه فقال من هذا قلت أبو قتادة قال متى كان هذا مسيرك منى قلت ما زال هذا مسيرى منذ الليلة قال حفظك الله بما حفظت به نبيه صلى الله عليه وسلم وذكر بعضهم ذلك عند منصرفه من خيبر فيحتمل تعدد ذلك أو انه من الاشتباه على بعض الرواة قال أبو قتادة رضى الله عنه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل ترى من أحد يعنى من الجيش قلت هذا راكب ثم قلت هذا راكب آخر حتى اجتمعنا وكنا سبعة وفى رواية خمسة برسول الله صلى الله عليه وسلم فمال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطريق ثم قال احفظوا علينا صلاتنا فنمنا حتى خرج الوقت وكان أول من استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس فى ظهره فقمنا فزعين ثم قال اركبوا فركبنا فسرنا حتى ارتفعت الشمس ثم دعا بميضاة كانت معى فيها شئ من ماء فتوضأ منها وبقى فيها شئ وفى رواية جرعة من ماء ثم قال لى احفظ علينا ميضاتك فسيكون لها نبأ فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر بعد طلوع الشمس أى بعد أن ارتحلوا ففى رواية ارتحلوا فان هذا منزل حضرنا فيه الشيطان وفى البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال كنا فى سفر مع النبى صلى الله عليه وسلم وانا انسرينا حتى كنا فى آخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة أحلى للمسافر منها فما أيقظنا الا حر الشمس وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نام لم يوقظه أحد حتى يكون هو يستيقظ لانا لا ندرى ما يحدث له فى نومه أى من الوحى فكانوا يخافون من ايقاظه قطع الوحى فلما استيقظ عمر رضى الله عنه ورأى ما أصاب الناس أى من فوت صلاة الصبح كبر ورفع صوته بالتكبير فما زال يكبر و يرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية ان الصديق استيقظ أولا ثم لا زال يسبح ويكبر حتى استيقظ عمر ولا زال يكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استيقظ شكوا اليه الذى أصابهم أى من فوات صلاة الصبح فقال صلى الله عليه وسلم لا ضير ارحلوا فارتحلوا فسار غير بعيد ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ونودى بالصلاة فصلى بالناس وعن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال و بعد ان صلينا وركبنا جعل بعضنا يهمس الى بعض ما كفارة ما صنعنا من تفريطنا فى صلاتنا فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى تهمسون دونى فقلنا يا نبى الله تفريطنا فى صلاتنا قال أما لكم فى أسوة ثم قال ليس فى النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجىء وقت الاخرى وقد اختلفت الروايات فى حكاية هذه القصة فرواها بعضهم فى غزوة خيبر و بعضهم فى الحديبية و بعضهم فى تبوك فاختلف العلماء فى توجيه ذلك فذهب بعضهم الى تعدد القصة و بعضهم حمل ذلك على الاشتباه من الرواة وجزم بعضهم بانها فى غزوة تبوك واستشكل هذا النوم بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا وأجيب بان القلب انما يدرى المعانى المتعلقة به لا ما يتعلق بالعين كرؤية الشمس وطلوع الفجر وأجيب أيضا بانه صلى الله عليه وسلم كان له نومان نوم تنام فيه عينه وقلبه ونوم تنام فيه عينه فقط وينبغى أن يكون هذا الثانى أغلب أحواله وان الانبياء مثله فى ذلك ثم ان أكثر الجيش كان قد تقدم وما بقى معه صلى الله عليه وسلم الا سبعة أو خمسة كما تقدم فقال صلى الله عليه وسلم لمن كان معه ما ترون الناس يعنى الجيش فعلوا قالوا الله ورسوله أعلم فقال لو أطاعوا أبا بكر وعمر رشدوا وذلك ان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما أرادا أن ينزلا بالجيش على الماء فأبوا ذلك عليهما فنزلوا عند زوال الشمس على غير ماء بفلاة من الارض لا ماء بها وقد كادت أعناق الخيل والركاب تنقطع عطشا فقال صلى الله عليه وسلم أين صاحب الميضاة قيل هو ذا يا رسول الله قال جئنى بميضاتك فجاء بها

الانصار والحش البستان كان عثمان اشتراه وزاده فى البقيع قال مالك كان عثمان مر بحش كوكب فقال انه سيدفن ههنا رجل صالح وقيل كان قتله يوم الاربعاء وقيل يوم الاثنين است بقين من ذى الحجة وكان له يوم قتل اثنان وثمانون سنة وقيل احدى وثمانون سنة وقيل أربع وثمانون وقيل ست وثمانون وقيل ثمان أو تسع وثمانون وقيل تسعون (قال) قتادة صلى عليه الزبير وقيل جبير ابن مطعم رضى الله عنه وقيل المسور بن مخرمة وقيل حكيم بن حزام وقيل ابنه عمرو وعن العلاء بن الفضل عن أمه قالت لما قتل عثمان رضى الله عنه فتش الذين قتلوه خزائنه فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ففتحوه فوجدوا فيه ورقة مكتوبا فيها هذه وصية عثمان بن عفان بسم الله الرحمن الرحيم

وفيهما شئ من ماء وفي رواية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالركوة فافرغ مافي الاداوة فيها ووضع اصابعه الشريفة عليها فنبع الماء من بين أصابعه وأقبل الناس فاستقوا وفاض الماء حتى رووا ورويت خيلهم وركابهم قال بعضهم وواضح ان هذا العطش غير المتقدم الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل المطر وفي كلام بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حصل للقوم العطش أرسل نفرا من أصحابه وفيهم علي والزبير رضي الله عنهما لكن تقدم أن عليا رضي الله عنه تخلف في غزوة تبوك فان صح ارساله مع النفر فلعله لحق النبي صلى الله عليه وسلم أو ان ذلك كان في غزوة أخرى بعث صلى الله عليه وسلم أولئك النفر لطلب الماء وأمرهم أن يستعرضوا الطريق وأعلمهم أن عجوزا تمر بهم في محل كذا على ناقة معها سقاء فقال لهم اشتروا منها ماء ها بما عزوهات وائتوابها مع الماء فلما بلغوا ذلك المكان اذا بالمرأة معها السقاء وفي رواية اذا بامرأة سادلة رجليها بين مزادتين فسألوها عن الماء فقالت أنا وأهلي أحوج اليه منكم فسألوها أن تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الماء فأبت وقالت هذا الساحر وفي رواية الذي يقال له الصابي وخير الاشياء أن لا آتيه فشدوها وثاقا وأتوا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم حلوا عنها ثم قال لها أتاذنين لي في الماء ولتصيبن ماءك كما جئت به قالت شأنكم فقال لابي قتادة رضي الله عنه هات الميضاة فقربت اليه فحل السقاء وتفل فيه وصب في الميضاة ماء قليلا ثم وضع يده فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يفور ويزيد والناس يأخذون حتى ما تركوا معهم اناء الاملؤه وأرووا ابلهم وخيلهم وبقي في الميضاة ثلثاها والميضاة هي الاداوة التي يتوضأ منها وهذا السياق يدل على ان هذا عطش ثالث لان الثاني وضع صلى الله عليه وسلم يده في الركوة التي صب فيها من الميضاة وفي هذا وضع يده في الميضاة بعد أن لم يجدوا في الميضاة شيأ وفي رواية أن تلك المرأة أخبرته صلى الله عليه وسلم انها مؤتمة أي لها أيتام فقال للقوم هاتوا ما عندكم فجمعوا لها من كسر وتمر ثم قال لها اذهبي وأطعمي هذا عيالك وفي رواية أيتامك وصارت تعجب مما رأت ولما قدمت على أهلها قالوا لها لقد احتبست علينا فقالت حبسني أني رأيت عجبا أرأيتم مزادتي هاتين فوالله لقد شرب منهما قريب من سبعين نفرا وملؤا من القرب والمزاد والمطاهر ما لا أحصي ثم هما الآن أوفر منهما يومئذ فاما أن يكون ذلك الرجل أسحر أهل الارض أوهو نبي كما يقول فكان الصحابة يغزون على من كان حولها ممن لم يسلم ويتركونها وقومها فكان الناس يقولون ما رأينا امرأة أدخلت على قومها من البركة مثل ما أدخلت هذه المرأة على قومها وفي صحيح مسلم لما كان يوم غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة بحيث صارت التمرة الواحدة تمصها جماعة يتناوبونها فقالوا يارسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر يارسول الله ان فعلت قل الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعل في ذلك البركة فقال صلى الله عليه وسلم نعم فدعا بنطع فبسطه ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل رجل يأتي بكف ذرة ويجيء الآخر بكف تمر ويجيء الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شئ يسير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال لهم خذوا في أوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا في العسكر وعاء الاملؤه وأكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد أن لااله الاالله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة وفي رواية الا وقاه الله النار وتقدم نظير ذلك في الرجوع من غزوة الحديبية ولامانع من التعدد أوهو من خلط بعض الرواة ولعل هذا كان بعد أن ذبح لهم طلحة بن عبيد الله جزورا فاطعمهم وسقاهم فقال له صلى الله عليه وسلم أنت طلحة الفياض وسماه يوم أحد طلحة الخير ويوم حنين طلحة الجود لكثرة انفاقه على العسكر وعن بعض الصحابة قال كنت في غزوة تبوك على نحي السمن فنظرت الى النحي وقد قل ما فيه وهيأت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما فوضعت النحي في الشمس ونمت فانتبهت لخرير النحي فقمت فاخذت رأسه بيدي فقال صلى الله عليه وسلم وقد رأى ذلك لوتركته لسال الوادي سمنا * وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فقال ليلة لبلال رضي الله عنه هل من عشاء فقال والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا فقال انظر عسى أن تجد شيأ فاخذ الجرب ينفضها جرابا جرابا فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت في

عثمان بن عفان يشهد أن لااله الاالله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله وان الجنة حق وأن النار حق وأن الله يبعث من في القبور ليوم لاريب فيه ان الله لايخلف الميعاد عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث ان شاء الله خرجه الفضائلي الرازي ونظام الملك وكانت ولايته احدى عشرة سنة واحد عشر شهرا وأربعة عشر يوما ولما قتل رضي الله عنه ماج الناس واضطربوا وانتهبوا ما في البيت وأتوا بيت المال فانتهبوه * وكان عثمان رضي الله عنه يحج بالناس سنوات خلافته كلها الا السنة التي قتل فيها فامر ابن عباس رضي الله عنهما فحج بالناس ولما قتل رثاه الشعراء بمراث كثيرة (وأخرج) الحاكم عن الشعبي قال ماسمعت من مراثي عثمان رضي الله عنه أحسن من قول كعب بن مالك رضي الله تعالى عنه

يده سبع تمرات ثم دعا بصحفة فوضع التمر فيها ثم وضع يده على التمرات وقال كلوا باسم الله فأكلنا ثلاثة أنفس وأحصيت أربعا وخمسين تمرة أعدها عدا ونواها في يدي الأخرى وصاحباي يصنعان كذلك فشبعنا ورفعنا أيدينا فاذا التمرات السبع كما هي فقال يا بلال ارفعها فانه لا يأكل منها أحد الا نهل منها شبعا فلما كان من الغد دعا بالتمرات فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليهن ثم قال كلوا باسم الله فأكلنا حتى شبعنا وانا العشرة ثم رفعنا أيدينا واذا التمرات كما هي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا اني أستحيي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد الى المدينة من آخرنا فأعطاهن غلاما فولى وهو يلوكهن * ولما وصل صلى الله عليه وسلم تبوك أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه في أربعمائة فارس الى أكيدر بن عبد الملك النصراني وكان ملكا عظيما من قبل هرقل بدومة الجندل وذلك حصن وقرى بينها وبين الشام خمس ليال وقال له انك ستجده ليلا يصيد البقر فانتهى اليه خالد وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة الى بقر يطاردها هو وأخوه حسان فشدت عليه خيل خالد فاستأسروا أكيدر وقتلوا حسانا وكان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد وبعث به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم فيعجبون منه فقال صلى الله عليه وسلم أتعجبون من هذا فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا وهرب من كان معهما فدخلوا الحصن وأغلقوه ثم أجار خالد أكيدر من القتل حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان يفتح له دومة الجندل وصالحه على ألفي بعير وثمانمائة فرس وأربعمائة درع وأربعمائة رمح ففتح الحصن فدخله خالد وأخذ ما صالحه عليه وخمسه ثم قدم بأكيدر على النبي صلى الله عليه وسلم فحقن صلى الله عليه وسلم دمه وصالحه على الجزية وخلى سبيله وكان هرقل مقيما بحمص وفي هذه الغزوة كتب له صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وسيأتي ذلك ان شاء الله تعالى في مكاتباته صلى الله عليه وسلم وأتاه صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك صاحب أيلة ومعه أهل جرباء تأنيث أجرب عدو يقصر وهي قرية بالشام وأهل أذرح بالذال المعجمة والراء المضمومة والحاء المهملة مدينة هنالك وأهدى صاحب أيلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعطاء الجزية بعد ان عرض عليه الاسلام فلم يسلم وكتب له ولأهل أيلة كتابا صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر لهم ذمة الله تعالى ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس وانه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر * وكتب لأهل أذرح وجرباء ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب محمد النبي صلى الله عليه وسلم لأهل أذرح وجرباء انهم آمنون بأمان الله وأمان محمد صلى الله عليه وسلم وان عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين وصالح أهل ميناء على ربع ثمارهم وأقام صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة وقيل عشرين ليلة ولم يلق كيدا وفر الناس من أهل الكتاب وغيرهم رعبا منه صلى الله عليه وسلم عند سماعهم بمسيره فكان من الحكمة في هذه الغزوة ما حصل من اغاظة الكفار وظهور عز المسلمين وفضيحة المنافقين واذلالهم واستشار صلى الله عليه وسلم أصحابه في مجاوزة تبوك فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يا رسول الله ان كنت أمرت بالسير فسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه فقالوا يا رسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله أمرا وأخرج البيهقي عن عبد الرحمن بن غنم ان اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة يا أبا القاسم ان كنت صادقا انك نبي فالحق بالشام فانها أرض المحشر وأرض الأنبياء فصدق ما قالوا فغزا تبوك لا يريد الا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بني اسرائيل وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها الآيتين فأمره الله بالرجوع الى المدينة وقال فيها محياك ومماتك ومنها تبعث

حيث قال
فكف يديه ثم أغلق بابه
وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم
عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل
وكيف رأيت الله صب عليهم
العداوة والبغضاء بعد
التواصل
وكيف رأيت الخير أدبر بعده
عن الناس ادبار الرياح
الجوافل
(ولما) قتل عثمان رضي الله
عنه اجتمع أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم من
المهاجرين والانصار وفيهم
طلحة والزبير فأتوا عليا
رضي الله عنه فقالوا له انه
لا بد للناس من امام قال
لا حاجة لي في أمركم فمن
اخترتم رضيت به فقالوا
ما نختار غيرك وترددوا اليه
مرارا قبل أن يدفن عثمان
رضي الله عنه وبعد دفنه
وقالوا له في آخر ذلك انا لا نعلم
أحدا أحق به منك ولا أقدم
سابقة ولا أقرب قرابة
لرسول الله صلى الله عليه

فرجع صلى الله عليه وسلم فقال جبريل سل ربك فان لكل نبي مسألة وكان جبريل له ناصحا وكان النبي صلى الله عليه وسلم له مطيعا قال فما تأمرني ان أسأل فقال جبريل قل رب أدخلني مدخل صدق الآية ثم انصرف صلى الله عليه وسلم قافلا الى المدينة وبنى في طريقه عشر ين مسجدا وكان في بعض الطريق ماء قليل جدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيأ حتى نأتيه فسبق اليه نفر من المنافقين فاستقوا الماء الذي فيه فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه فلم يجد فيه شيأ فقال من سبقنا الى هذا الماء فقيل له فلان وفلان فقال أولم أنههم أن يستقوا منه شيأ حتى آتيه ثم لعنهم ودعا عليهم ثم نزل في موضع الماء ومسحه بيده ودعا بما شاء أن يدعو به فجرى الماء وصار له حس كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيتم أو بقي منكم أحد لتسمعن بهذا الوادي وقد أخصب ما بين يديه وما خلفه أي وهذا خلاف عين تبوك التي تقدم له فيها ما يشبه هذا حيث قال لمعاذ يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما ههنا ملئ جنانا الا ان تلك العين كانت عين تبوك وهذا عند منصرفه من تبوك وأجمع رأى من كان معه من المنافقين وهم اثنا عشر رجلا وقيل أربعة عشر وقيل خمسة عشر رجلا على أن يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العقبة التي بين تبوك والمدينة فقالوا اذا أخذ في العقبة دفعناه عن راحلته في الوادي فاخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فلما وصل الجيش العقبة نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يسلك العقبة فلا يسلكها أحد واسلكوا بطن الوادي فانه أسهل لكم وأوسع فلما سمع المنافقون النداء أسرعوا وتلثموا وسلكوا العقبة وسلك الناس بطن الوادي وسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة وأمر عمار بن ياسر رضي الله عنهما أن يأخذ بزمام ناقته صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما أن يسوق من خلفه وفي دلائل النبوة للبيهقي عن حذيفة رضي الله عنه قال كنت ليلة العقبة آخذا بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم أقودها وعمار بن ياسر يسوقها أو أنا أسوقها وعمار يقودها أي يتناوبان ذلك فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في العقبة اذ سمع حس القوم قد غشوه فنفرت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سقط بعض متاعه فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر حذيفة أن يردهم فرجع حذيفة اليهم وقد رأى غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه محجن فجعل يضرب وجوه رواحلهم ويقول اليكم اليكم يا أعداء الله فاذا هو بقوم متلثمين وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم صرخ بهم فولوا مدبرين فعلموا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلع على مكرهم به فانحطوا من العقبة مسرعين الى بطن الوادي واختلطوا بالناس فرجع حذيفة رضي الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عرفت أحدا من الركب الذين رددتهم قال لا كان القوم متلثمين والليلة مظلمة وفي رواية ان حذيفة رضي الله عنه قال عرفت راحلة فلان وفلان قال هل علمت ما كان من شأنهم وما أرادوه قال لا قال انهم مكروا وأرادوا أن يسيروا معي في العقبة فيزحموني ويطرحوني منها الى الوادي وان الله أخبرني بهم وبمكرهم وسأخبرك بهم فاكتماهم ولما أصبح صلى الله عليه وسلم جاء اليه أسيد بن حضير فقال يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادي فقد كان أسهل من العقبة فقال أتدري ما أراد المنافقون وذكر له القصة فقال يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذي هم بهذا وان أحببت فبين أسماءهم والذي بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤسهم فقال اني أكره أن يقول الناس ان محمدا قاتل بقوم حتى اذا أظهره الله بهم أقبل عليهم يقتلهم فقال يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أليسوا يظهرون الشهادة ثم جمعهم صلى الله عليه وسلم وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذي ذكر فانزل الله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا الآية * وقال صلى الله عليه وسلم للمسلمين عند انصرافهم من تبوك ان بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر ولما قرب صلى الله عليه وسلم من المدينة خرج الناس لتلقيه وقد كان المنافقون

وسلم منك فقال لا تفعلوا فاني ان أكون وزيرا خير من ان أكون أميرا فقالوا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك قال ففي المسجد فان بيعتي لا تكون خفية ولا تكون الا في المسجد فخرج وخرجوا الى المسجد فبايعه الناس وكان أول من بايعه من الناس طلحة بن عبيد الله فنظر اليه حبيب بن ذؤيب فقال انا لله أول من بدأ بالبيعة يد شلاء لا يتم هذا الامر وحصل هذا الشلل ليده يوم أحد حين كان يقي النبي صلى الله عليه وسلم بيده فاصيبت بسهم ثم بايعه الزبير وقال لهما علي رضي الله عنه ان أحببتما ان تبايعاني وان أحببتما بايعتكما فقالا بل نبايعك وقالا بعد ذلك انما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا وعرفنا أنه لا يبايعنا ثم هربا الى مكة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأربعة أشهر يطالبان بدم عثمان مع عائشة رضي الله عنها وبعد

الذين تخلفوا بالمدينة يخبرون عن النبي صلى الله عليه وسلم أخبار السوء ويقولون ان محمدا وأصحابه قد جهدوا في سفرهم وهلكوا فلما بلغهم سلامة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وبان كذبهم ساءهم ذلك وأنزل الله ان تصبك حسنة تسؤهم الآية وخرج مع الناس لتلقيه صلى الله عليه وسلم النساء والصبيان والولائد وصعدت المخدرات على الاسطحة يقلن

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا
ما دعا لله داعي * أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

وقد ذكر بعضهم هذا عند مقدمه الى المدينة ولا مانع من تعدد ذلك ولما أشرف صلى الله عليه وسلم على المدينة قال هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه والمحققون على ان ذلك حقيقة ولا مانع منه بان يخلق له المحبة كتسبيح الحصى وحنين الجذع وقيل المراد يحبنا أهله ونحبهم ولما دخل المدينة قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أتاذن لي يارسول الله ان أمتدحك قال قل لا يفضض الله فاك فقال

من قبلها طبت في الظلال وفي * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لابشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مكتتما * في صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق

فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

ولما دنا من المدينة تلقاه عامة الذين تخلفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه لا تكلموا رجلا منهم فاعرض عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى ان الرجل ليعرض عن أبيه وأخيه وقد كان تخلف من المنافقين بضعة وثمانون رجلا وتخلف أيضا كعب بن مالك رضي الله عنه وكان من الخزرج ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية رضي الله عنهما وكانا من الاوس ولم يكن الثلاثة من أهل النفاق فاما المنافقون فجعلوا يحلفون ويعتذرون فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرهم وعلانيتهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله تعالى وأما الثلاثة فارجاهم وأخر أمرهم ينتظر أمر الله فيهم وأنزل الله فيهم وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم نزلت هذه الآية في أول أمرهم ونزل في آخر أمرهم عند قبول توبتهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الآية وكان كعب بن مالك رضي الله عنه يحدث عن تخلفه وصاحبيه في غزوة تبوك قال كعب رضي الله عنه لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط الا في غزوة تبوك غير اني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب صلى الله عليه وسلم أحدا ممن تخلف عنها انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد وقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين توافقنا على الاسلام وما أحب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر في الناس وكان من خبري حين تخلفت عنه في غزوة تبوك اني لم أكن قط أقوى مني ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورّى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل صلى الله عليه وسلم سفرا بعيدا ومفاوز واستقبل عدوا كثيرا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم وأخبر الناس بوجههم الذي يريدون والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل يريد أن يتغيب الا ظن ان ذلك يخفى مالم ينزل فيه وحي من الله تعالى وغزا صلى الله عليه وسلم حين طابت الثمار والظلال فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فارجع ولم أقض شيأ وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك اذا أردت فلم يزل يتمادى بي ذلك حتى استمر الناس بالجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ولم أقض شيأ فهممت ان أرتحل فادركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت اذا خرجت

مبايعة طلحة والزبير جاؤا بسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فقال علي بايع فقال لا حتى يبايع الناس والله ما عليك مني باس فقال علي رضي الله عنه خلوا سبيله وجاؤا بعبد الله بن عمر رضي الله عنهما فقالوا بايع قال له حتى يبايع الناس فقال الناس ائتنا بكفيل فقال علي رضي الله عنه دعوه أنا كفيله وبايعت الانصار الانفر يسير امنهم (وقيل) في كيفية بيعة علي رضي الله عنه غير هذا وهو انه لما قتل عثمان رضي الله عنه بقيت المدينة خمسة أيام وأميرها الغافقي بن حرب وكان من جملة المحاصرين لعثمان رضي الله عنه فكانوا يلتمسون من يجيبهم الى القيام بالامر فلا يجدونه ووجدوا طلحة في حائط له ووجدوا سعدا والزبير قد خرجا من المدينة ووجدوا بني أمية قد هربوا الا من لم يطق الهرب وأخذ النعمان بن

فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزننى ان لا أرى لى أسوة الا رجلا مغموصا عليه فى النفاق
أو رجلا ممن عذره الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس
فى القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك فقال رجل من بنى سلمة يا رسول الله حبسه حب برديه والنظر فى عطفيه
فقال له معاذ بن جبل رضى الله عنه بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال كعب فلما بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلا من تبوك طفقت أتذكر
الكذب وأقول بم أخرج من سخط الله غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلى فلما قيل ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عنى الباطل حتى عرفت انى لم أنج منه بشئ أبدا فأجمعت على الصدق
فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس
فلما فعل ذلك جاءه المخلفون يعتذرون اليه ويحلفون له فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل
سرائرهم الى الله تعالى حتى جئت فتبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال
ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يا رسول الله انى لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت انى
سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت جدلا ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به
عنى يوشك ان الله يسخطك على ولئن حدثتك حديث صدق تجد على فيه انى لارجو فيه عفو الله والله ما كان لى
من عذر ما كنت أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق
فقم حتى يقضى الله فيك فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى وقالوا ما علمناك أذنبت ذنبا قبل هذا لقد عجزت
أن تكون اعتذرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر اليه المخلفون فقد كان كافيك استغفار رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما زالوا يؤنبونى حتى كدت أرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب نفسى قال
ثم قلت لهم هل لقى هذا معى أحد فقالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت وقال لهما النبى صلى الله عليه وسلم
مثل ما قال لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع وهلال بن أمية فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا فقلت
لى فيهما أسوة ومضيت حين ذكروهما لى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة من بين
من تخلف عنه وتغير علينا الناس حتى أنكرت فى نفسى الارض فما هى بالارض التى أعرف فلبثنا على ذلك
خمسين ليلة فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم فكنت
أخرج فأشهد الصلاة وأطوف فى الاسواق فلا يكلمنى أحد وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو
فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ثم أصلى قريبا منه وأسارقه النظر فإن
أقبلت على صلاتى نظر الى واذا التفت نحوه أعرض عنى حتى اذا طال على ذلك من جفوة المسلمين مشيت حتى
تسورت حائطا لابى قتادة وهو ابن عمى وأحب الناس الى فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام فقلت يا أبا قتادة
أنشدك الله هل تعلمنى أحب الله ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فقال الله ورسوله أعلم ففاضت عيناى
وتوليت فبينا أنا أمشى فى سوق المدينة اذا نبطى من نبط أهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه بالمدينة يقول
من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى جاءنى فدفع لى كتابا من ملك غسان وكنت كاتبا
فقرأته فاذا فيه أما بعد فانه بلغنا ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال
فقلت حين قرأته وهذه لرسالة أيضا من البلايا فألقيتها فى التنور فسجرتها حتى اذا مضت أربعون من الخمسين
واستلبث الوحى فاذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك
أن تعتزل امرأتك قال فقلت ألحقى بأهلك فكونى معهم حتى يقضى هذا الامر قال فجاءت امرأة هلال بن أمية
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان
أخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت والله ما به حركة الى شئ فوالله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان الى
يومه هذا قال كعب فقال لى بعض أهلى لو استأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أهلك قال فقلت وما يدرينى
ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب قال فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كمل

بشير الانصارى رضى الله
عنهما أصابع نائلة امرأة
عثمان رضى الله عنه التى
قطعت وقميص عثمان الذى
قتل فيه وذهب بذلك الى
معاوية رضى الله عنه
بالشام وأتى المصريون عليا
رضى الله عنه وسألوه البيعة
فباعدهم وكان الكوفيون
يميلون الى الزبير والبصريون
يميلون الى طلحة فأتى
الكوفيون الزبير فباعدهم
وأتى البصريون طلحة
فباعدهم فأرسلوا الى سعد
ابن أبى وقاص يطلبونه
فقال انى وابن عمر لا حاجة لنا
فيها فأتوا ابن عمر فامتنع
فبقوا حيارى فقال بعضهم
لبعض لئن رجع الناس
الى أمصارهم بغير امام
لم نأمن الاختلاف وفساد
الامة فجمعوا أهل المدينة
فقالوا لهم يا أهل المدينة
أنتم أهل الشورى وأنتم
تعقدون الامامة وحكمكم
جائز على الامة فانظروا
رجلا تنصبونه ونحن لكم

لنا خمسون ليلة من حين نهى عن كلامنا قال ثم صليت الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا أنا جالس على الحالة التي ذكرها الله تعالى عنا قد ضاقت على الارض بما رحبت وضاقت على نفسي اذ سمعت صارخا أوفى على سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالك أبشر فقد تاب الله عليك فخررت ساجدا لله تعالى وعلمت انه قد جاءني فرج قال وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله تعالى علينا حين صلاة الفجر فذهب الناس يبشرونا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل الى فرسا ومعه ساع من أسلم وهو حمزة بن عمرو الاسلمي رضي الله عنه وأوفى رجل على الجبل وكان الصوت أسرع الي من الفرس وجاء في رواية ان الذي ركض الفرس هو الزبير بن العوام رضي الله عنه وفي رواية فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت ثوبي له فكسوته اياهما ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقاني الناس فوجا فوجا يهنوني بالتوبة يقولون يهنيك الله بالتوبة عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وتلقاني والله ما قام لي رجل من المهاجرين غيره ولا أنساها لطلحة فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور وقال ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت أمن عندك يارسول الله أم من عند الله قال بل من عند الله وكان صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة قمر قال وكنا نعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يارسول الله انما نجاني الله بالصدق وان من توبتي أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما زلت في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا واني لارجو أن يحفظني الله فيما بقي وجاء في رواية قلت يارسول الله ان من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة الى الله ورسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك قال فانزل الله لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة حتى بلغ انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب والله ما أنعم الله علي بنعمة قط بعد أن هداني للاسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين نزل الوحي شر ما قال لاحد فقال سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين وفي رواية عن كعب رضي الله عنه فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال على الامر فما من شيء أهم الي من أن أموت فلا يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم أو يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلي ولا يسلم علي قال وأنزل الله توبتنا على نبيه صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخير من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند أم سلمة رضي الله عنها وكانت أم سلمة محسنة في شأني معتنية في أمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة تيب على كعب فقالت يارسول الله أفلا أرسل اليه أبشره قال اذن يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر آذن صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا وذكر بعضهم فيمن تخلف عن غزوة تبوك أبا لبابة رضي الله عنه وانه ربط نفسه بسارية المسجد وأنزل الله توبته في قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور رحيم والصحيح ان قصة أبي لبابة انما كانت في غزوة بني قريظة لما استشاروه في النزول على حكم النبي صلى الله عليه وسلم فأشار لهم الى عنقه يعني أنه الذبح قال فما برحت قدماي من موضعهما حتى علمت اني خنت الله ورسوله فذهب وربط نفسه بسارية من سواري المسجد حتى نزلت توبته وتقدمت القصة بتمامها في غزوة بني قريظة وان الله أنزل في ذنبه يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون الآية وأنزل في توبته وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية

تبع وقد أجابكم يومكم فوالله لئن لم تفرغوا لتقتلن غدا عليا وطلحة والزبير وأناسا كثيرة فغشي الناس عليا فقالوا نبايعك فقد ترى ما نزل بالاسلام وما ابتلينا به من بين القرى فقال علي رضي الله عنه دعوني والتمسوا غيري فانا مستقبلون أمرا له وجوه وله ألوان لا تقوم به القلوب ولا تثبت عليه العقول فقالوا ننشدك الله ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى الاسلام ألا ترى الفتنة ألا تخاف الله فقال قد أجبتكم واعلموا اني ان أجبتكم ركبت بكم ما أعلم وان تركتموني فانما أنا كأحدكم الا اني من أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد وتشاور الناس فيما بينهم وقالوا ان دخل طلحة والزبير في بيعة علي استقامت فبعث البصريون الى الزبير حكيم بن جبلة فجاء به فبايع عليا رضي الله عنه مكرها

الآية ولما رجع صلى الله عليه وسلم من تبوك قبل أن يدخل المدينة جاءه جماعة من المنافقين وسألوه أن يأتي مسجدهم ليصلي فيه وهو مسجد الضرار الذي بنوه لاضرار المسلمين وتفريق كلمتهم وجماعاتهم فدعا صلى الله عليه وسلم بقميصه ليلبسه ويأتيهم فأنزل الله عليه والذين اتخذوا مسجدا ضرارا الآية الى قوله والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه أبدا فدعا صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشن ومعن بن عدي بن عامر بن السكن ووحشيا وقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه فخرجوا مسرعين حتى أتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشن فقال مالك أنظروني حتى آتيكم بنار فدخل عند أهله فأخذ من سعف النخل فأشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه أهله فحرقوه وهدموه وتفرق عنه أهله وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخذوا ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والقمامات وقدم صلى الله عليه وسلم من تبوك في رمضان سنة تسع وبعد قدومه صلى الله عليه وسلم وجد عويمر العجلاني امرأته حبلى فقذفها بشريك ابن سحماء فلاعن بينهما صلى الله عليه وسلم في المسجد بعد العصر وقصتهما مطولة في الصحيحين وغيرهما

(سرية أبي سفيان والمغيرة بن شعبة)

رضي الله عنهما وكانت هذه السرية بعد أن رجع صلى الله عليه وسلم من تبوك وذلك أنه وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثقيف مسلمين بعد رجوعه من تبوك وستأتي قصة وفدهم فأرسل صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة ابن شعبة رضي الله عنهما لهدم اللات بالطائف فذهبا في بضعة عشر رجلا فهدموها حتى سووها بالارض وفي رواية أن المغيرة أراد أن يقدم أبا سفيان في هدمها فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال ادخل أنت على قومك فلما دخل المغيرة علاها يضربها بالمعول أي الفاس العظيم التي يقطع بها الصخر وقام قومه دونه يحمونه خشية أن يرميه أحد بسهم وخرج نساء ثقيف من الحجال حسرا أي مكشوفات يبكين على الطاغية وكانوا يظنون أنه لا يمكن هدمها لانها تمنع من ذلك وفي رواية وأراد المغيرة أن يسخر بثقيف فقال لاصحابه لاضحكنكم من ثقيف فلما علا على الطاغية ليهدمها ألقى نفسه وفي لفظ أخذ يرتكض فصاحوا صيحة واحدة فقالوا أبعد الله المغيرة قتلته الربة وقالوا والله لا يستطيع هدمها فوثب وقال لهم قبحكم الله انما هي لكاع حجارة ومدر فاقبلوا عافية الله واعبدوه ثم أخذ في هدمها فهدمها الى أن كسر بابها وهدم أساسها وأخرج ترابها لما سمع سادنها يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم ثم أخذوا حليها وكسوتها وما فيها من طيب وذهب وفضة وأقبلوا حتى دخلوا عليه صلى الله عليه وسلم فحمد الله على نصره واعزاز دينه والله أعلم

(سرية جرير بن عبد الله البجلي)

رضي الله عنه الى ذي الخلصة بفتح المعجمة واللام بعدها مهملة وذو الخلصة اسم بيت كان فيه صنم لقوم جرير وكانت هذه السرية قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بنحو شهرين قال جرير رضي الله عنه قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ألا تريحني من ذي الخلصة فقلت بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس وكانوا أصحاب خيل وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فضرب في صدري وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا فما وقعت عن فرس بعد وكان ذو الخلصة بيتا في اليمن لخثعم وبجيلة يقال له الكعبة فانطلق اليها فكسرها وحرقها ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول جرير والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب فبارك في خيل أحمس ورجالها خمس مرات وروى الطبراني عن جرير قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن أقاتلهم وأدعوهم أن يقولوا لا اله الا الله قال الحافظ ابن حجر والذي يظهر أنه غير بعثه الى الصنم ويحتمل أنه بعثه الى الجهتين على الترتيب ويؤيده ما وقع عند ابن حبان في حديث جرير أنه صلى الله عليه وسلم قال له يا جرير انه لم يبق من طواغيت الجاهلية الا بيت ذي الخلصة فانه يشعر بتأخير هذه القصة جدا وقد شهد جرير حجة الوداع فكان ارساله بعدها فهدمها ثم توجه الى اليمن ولما رجع بلغته وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وحكى بعضهم أن موضع ذي الخلصة صار مسجدا جامعا للبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم والله أعلم

وبعثوا الى طلحة الاشتر النخعي ومعه نفر فجاء به فبايع أيضا سرا ولما أصبحوا يوم البيعة وهو يوم الجمعة حضر الناس المسجد وجاء علي رضي الله عنه فصعد المنبر وقال أيها الناس عن ملا واذن ان هذا أمركم ليس لاحد فيه حق الا من أمرتم وقد افترقنا بالامس وكنت كارها لامركم فأبيتم الا أن أكون عليكم الا انه ليس لي دونكم الا مفاتيح مالكم معي وليس لي أن آخذ درهما دونكم فان شئتم قعدت لكم والا فلا آخذ على أحد فقالوا نحن على ما فارقناك عليه بالامس فقال اللهم اشهد ولما جاؤا بطلحة ليبايع قال انما أبايع كرها وكان في يده شلل فقال رجل انا لله وانا اليه راجعون أول يد بايعت شلاء لا يتم هذا الامر ثم جيء بالزبير فقال مثل ذلك ثم جيء بعده بقوم كانوا قد تخلفوا فقالوا نبايع على اقامة كتاب الله في القريب

(سرية أسامة بن زيد رضي الله عنهما)

الى أبنى بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة وفتح النون فالف مقصورة وهى ناحية بالبلقاء من أرض الشام وهى آخر السرايا كما أن غزوة تبوك آخر الغزوات * لما كان يوم الاثنين لاربع ليال بقين من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة أمر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لغزو الروم فلما كان من الغد دعا أسامة بن زيد فقال سر الى موضع قتل أبيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاغز صباحا على أهل ابنى وحرق عليهم وأسرع السير لتسبق الاخبار فان أظفرك الله عليهم فاقلل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك فلما كان يوم الاربعاء بدأ به صلى الله عليه وسلم وجعه فحم وصدع فلما أصبح يوم الخميس عقد صلى الله عليه وسلم لاسامة لواء بيده ثم قال اغز بسم الله وفى سبيل الله فقاتل من كفر بالله فخرج بلوائه معقودا فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف فلم يبق أحد من المهاجرين الاولين والانصار الا اشتد لذلك وتهيأ للخروج منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم فتكلم قوم وقالوا يستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الاولين والانصار هذا الغلام وكان سن أسامة سبع عشرة سنة وقيل تسع عشرة سنة وقيل عشرين فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالتهم فغضب غضبا شديدا فخرج وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأمير أسامة ولئن طعنتم فى امارته فلقد طعنتم فى امارة أبيه من قبله وأيم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بالامارة وان كان من أحب الناس الى وانه لمظنة لكل خير فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم ثم نزل فدخل بيته وذلك فى يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويخرجون الى المعسكر بالجرف وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أنفذوا بعث أسامة واستثنى أبا بكر وأمره بالصلاة بالناس فلا منافاة بين من روى أن أبا بكر رضى الله عنه كان من ذلك الجيش ومن روى انه تخلف لانه كان من جملة الجيش أولا ثم تخلف لما استثناه صلى الله عليه وسلم وأمره بالصلاة بالناس وبهذا يرد قول بعض الرافضة طعنا فى أبى بكر رضى الله عنه انه تخلف عن جيش أسامة وانه صلى الله عليه وسلم لعن المتخلف عن جيش أسامة لما علمت أن تخلفه كان بامر منه صلى الله عليه وسلم لاجل صلاته بالناس وفيه اشارة الى انه الخليفة بعده وأما اللعن الذى ذكروه فلم يرد فى حديث فلما كان يوم الاحد اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فجاء أسامة رضى الله عنه فطأطأ فقبله صلى الله عليه وسلم وهو لا يتكلم ثم جعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعها على أسامة قال أسامة فعرفت أنه يدعو لى ثم رجع أسامة الى معسكره ثم دخل عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فقال له اغد على بركة الله فودعه أسامة وخرج الى معسكره وأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب وفى رواية سار حتى بلغ الجرف فارسلت اليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول لا تعجل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيل فاقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهما وانتهوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد توفى حين زاغت الشمس فدخل المسلمون الذين عسكروا بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة معقودا حتى أتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغرزه عنده فلما بويع لابى بكر رضى الله عنه أمر بريدة أن يذهب باللواء الى بيت أسامة وأن يمضى أسامة لما أمر ولما اشتهرت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهر النفاق وقويت شوكة أهله وقويت نفوس أهل النصرانية واليهودية ومن كان يرغب فيهم وصارت المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية وارتدت طوائف من العرب وقالوا نصلى ولا ندفع الزكاة وكل ذلك ظهر قبل أن يتوجه جيش أسامة فعند ذلك كلم الناس أبا بكر رضى الله عنه أن يمنع أسامة من السفر وقالوا كيف يتوجه هذا الجيش الى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة فابى أبو بكر رضى الله عنه أن يمنع أسامة من الخروج وقال والله الذى لا اله الا هو لو جرت الكلاب بارجل أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرد جيشا وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حللت لواء

والبعيد والعزيز والذليل فبايعهم ثم قام العامة فبايعوا وصار الامر أمر أهل المدينة ثم تفرق الناس الى منازلهم وكانت بيعة على رضى الله عنه يوم الجمعة لخمس بقين من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة * وانما توقف من توقف من الصحابة فى بيعة على رضى الله عنه فى أول الامر خشية الفتنة لانهم لما علموا ان قتلة عثمان والمحاصرين له يبايعون عليا وينضمون اليه خافوا ان الامر لا يتم لان بنى أمية لهم قوة وشوكة بالشام والبصرة والكوفة فربما انهم لا يدخلون فى البيعة ويطالبون بدم عثمان رضى الله عنه وكان الامر كذلك وعلى رضى الله عنه انما رضى بمبايعة قتلة عثمان لانه أراد تسكين الفتنة لان قتلة عثمان والمحاصرين له كثيرون ولهم قبائل وعشائر تقوم بنصرتهم والدفع عنهم فلو

عقده وفي لفظ والله لان يخطفني الطير أحب الي من أن أبدأ بشئ قبل تنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني تنفيذ جيش أسامة وفي رواية ان أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال لعمر ارجع الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واسأله يأذن لي أن أرجع بالناس فان معي وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وثقله وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون وقالت الانصار لعمر رضي الله عنه فان أبى أبو بكر رضي الله عنه الا أن يمضي الجيش فابلغه منا السلام واطلب اليه أن يولي أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة فقدم عمر الى أبي بكر رضي الله عنهما فاخبره بما قال أسامة فقال أبو بكر رضي الله عنه والله لو تخطفني الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر رضي الله عنه فان الانصار أمروني ان أبلغك انهم يطلبون ان تولي رجلا أقدم سنا من أسامة فوثب أبو بكر رضي الله عنه وكان جالسا فاخذ بلحية عمر رضي الله عنه وقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتامرني أن أنزعه فخرج عمر رضي الله عنه الى الناس فقال امضوا ثكلتكم أمهاتكم مالقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ولعل الذين قالوا ذلك من الانصار لم يكونوا سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم الانكار على من طعن في ولاية أسامة رضي الله عنه ولا بلغهم أو جوزوا ان الصديق يوافق على ذلك حيث رأى فيه مصلحة وسيدنا عمر رضي الله عنه يكون جوز ذلك أيضا ثم كلم أبو بكر رضي الله عنه أسامة في عمر رضي الله عنه أن يأذن له في التخلف ليستعين به الصديق رضي الله عنه في شؤونه وأمر الخلافة ففعل وكان استئذان أبي بكر لاسامة رضي الله عنهما تطييبا لقلبه فلما كان هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة خرج أسامة رضي الله عنه في ثلاثة آلاف فيهم ألف فرس وودعه أبو بكر رضي الله عنه بعد ان سار الى جانبه ساعة ماشيا وأسامة رضي الله عنه راكب وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يقود براحلة الصديق رضي الله عنه فقال أسامة يا خليفة رسول الله اما ان تركب واما ان أنزل فقال والله است بنازل واست براكب ثم قال له الصديق استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ثم ان أسامة رضي الله عنه سار الى أهل أبنى فشن عليهم الغارة أي فرق الناس عليهم وكان شعارهم يا منصور أمت فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرث أرضها فازال نخلها وأجال الخيل في عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين أحد وكان أسامة رضي الله عنه على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه وأسهم للفرس سهمين وللراجل سهما وأخذ لنفسه مثل ذلك فلما أمسى أمر الناس بالرحيل وأسرع السير وبعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم وخرج أبو بكر في المهاجرين والانصار ممن لم يكن في تلك السرية يتلقون أسامة ومن معه وسروا بسلامتهم ودخل أسامة واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد فدخل فصلى ركعتين ثم انصرف الى بيته وكان في خروج هذا الجيش نعمة عظيمة فانه كان سبب العدم ارتداد كثير من طوائف العرب أرادوا ذلك وقالوا لولا قوة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ماخرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على الاسلام وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى بعد أن ولي الخلافة اذا رأى أسامة رضي الله عنه قال السلام عليك أيها الامير فيقول أسامة غفر الله لك يا أمير المؤمنين تقول لي هذا فيقول لا أزال أدعوك ما عشت الامير مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت علي أمير وقد كان أسامة رضي الله عنه يدعى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حبه وفي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ أسامة والحسن رضي الله عنهما فيقول اللهم أحبهما فاني أحبهما وفي حديث المخزومية التي سرقت وأراد صلى الله عليه وسلم قطع يدها فلم يجسر أحد أن يكلمه صلى الله عليه وسلم غير أسامة بن زيد رضي الله عنهما فكلمه فقال صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ومناقبه رضي الله عنه كثيرة توفي بالمدينة أو بوادي القرى سنة خمس أو أربع وخمسين وهو ابن خمس وسبعين سنة والله أعلم ومما ينبغي ان يلحق بالغزوات والسرايا بعوثه صلى الله عليه وسلم

(بعث الصديق رضي الله عنه)

بعث صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه في السنة التاسعة يحج بالناس وأما في السنة الثامنة فامر

نابذهم من أول الامر وأراد القصاص منهم لادى ذلك الى انتشار الفتنة واتساع الامر وفي عزمه انه اذا تقررت البيعة ودخل الناس في الطاعة واتفقت الكلمة تتبعهم وتحقق أمرهم فكل من ثبت عليه شئ أجرى عليه مقتضاه الذي يوافق الكتاب والسنة وسيأتي في كلام علي رضي الله عنه التصريح بذلك فكان اجتهاده هو الصواب الموافق للحق * وأما الطالبون للتعجيل لاخذ القصاص منهم قبل استقرار البيعة واتفاق الكلمة وتحقيق الامور فقد أخطؤا في اجتهادهم لكن لما كان الكل مجتهدين فلا اثم على أحد منهم بل المصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد وكل منهم يطلب رضا الله و يعتقد ان اجتهاده هو الحق هذا مذهب أهل السنة والجماعة وهو الموافق للآيات والاخبار

عتاب بن أسيد رضي الله عنه أن يحج بالناس وكان أميرا على أهل مكة كما تقدم في قصة فتح مكة فخرج أبو بكر رضي الله عنه في ثلثمائة رجل من المدينة وبعث صلى الله عليه وسلم معه بعشرين بدنة قلدها وأشعرها بيده الشريفة وساق أبو بكر رضي الله عنه خمس بدنات ثم تبعه علي رضي الله عنه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم القصواء بفتح القاف والمد وقيل بالضم والقصر فقال له أبو بكر رضي الله عنه استعملك رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج قال لا ولكن بعثني أقرأ براءة على الناس وأنبذ الى كل ذي عهد عهده وكان العهد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عاما وخاصا فالعام أن لا يصد أحد عن البيت اذا جاء ولا يخاف أحد في الاشهر الحرم والخاص بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب الى آجال مسماة وكانت عادة العرب أن لا ينبذ العهد الا من كان قريبا ممن أراد النبذ فلذلك بعث صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ولم يكتف بأبي بكر رضي الله عنه فمضى أبو بكر رضي الله عنه فحج بالناس قيل كان الحج ذلك العام في ذي القعدة للنسيء الذي كانوا يصنعونه والصحيح انه كان في ذي الحجة وجاء في رواية انه بعد أن توجه أبو بكر رضي الله عنه من المدينة نزلت سورة براءة فقيل له صلى الله عليه وسلم لو بعثت بها أبا بكر فقال صلى الله عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل من أهل بيتي ثم دعا عليا رضي الله عنه فقال اخرج بصدر براءة وأذن في الناس يوم النحر اذا اجتمعوا بمنى فقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه براءة يوم النحر وقال لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان لانهم كانوا يحجون مع المسلمين ويرفعون أصواتهم بقولهم لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وكانوا يطوفون عراة بالليل وليس على رجل منهم ثوب ويقول الواحد منهم أطوف بالبيت كما ولدتني أمي ليس على شيء من الدنيا خالطه الظلم وكان لا يطوف من أراد الثياب منهم الا بثوب من ثياب الحمس وهم قريش يستعيره أو يكتريه واذا طاف بثوب من ثيابه ألقاه بعد طوافه فلا يمسه وقيل كانت المرأة تلبس درعا مفرجا وقد كانت امرأة تطوف وهي عارية ويدها على قبلها وهي تقول

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

وفي ايجاب ستر العورة أنزل الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم الآية وفي رواية لما لحق علي أبا بكر رضي الله عنه قال له أميرا أو مأمورا قال بل مأمور فكان علي رضي الله عنه في تلك السفرة يصلي خلف أبي بكر الى أن رجع الى المدينة وفي ذلك رد على الرافضة قبحهم الله فانهم زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم عزل أبا بكر رضي الله عنه عن امارة الحج بعلي وقد تواتر ان أبا بكر رضي الله عنه لم يعزل وانه حج بالناس وكان علي من جملة رعيته في تلك السفرة ويصلي خلفه الى ان رجعوا الى المدينة وفي حديث جابر رضي الله عنه في هذه القصة قام أبو بكر رضي الله عنه فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم حتى اذا فرغ قام علي رضي الله عنه فقرأ على الناس براءة وجاء في رواية انه فعل ذلك بمكة يوم التروية وفعل مثله يوم عرفة ثم يوم النحر ثم يوم النفر فيحمل على تعدد وقوع ذلك وبذلك يجمع بين الروايات وكان هلاك رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول في السنة التاسعة في ذي القعدة وجاء ابنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان أبي احتضر فاحب أن تشهده وتصلي عليه قال ما اسمك قال الحباب فقال بل أنت عبد الله الحباب اسم الشيطان وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وكان يحمل أمر أبيه على ظاهر الاسلام وقد ورد ما يدل على انه انما جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه بعهد من أبيه بل جاء في رواية الطبراني وعبد الرزاق عن قتادة قال أرسل عبد الله بن أبي الى النبي صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه قال أهلكك حب يهود فقال يا رسول الله انما أرسلت اليك لتستغفر لي ولم أرسل اليك لتوبخني ثم سأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه فاجابه وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما لما مرض ابن أبي وجاءه صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال قد فهمت ما تقول فامنن علي فكفني في قميصك وصل علي فاعطاه القميص ثم لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه وثب اليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال يا رسول الله أتصلي عليه وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا وعدد عليه أشياء مثل قوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وقوله ليخرجن الاعز منها الاذل وفي رواية فقام عمر رضي الله عنه فاخذ بثوب رسول

التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها الثناء عليهم والشهادة لهم بالخير وانهم من أهل الجنة وأما ما خالف ذلك من مذاهب أهل الزيغ والبدع فانه يلزمه الطعن في الصحابة وتكذيب الآيات والاخبار الواردة في الثناء عليهم رضي الله عنهم ويلزمه أيضا ثبوت فسقهم وعدم عدالتهم وابطال الاحاديث التي رووها عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي ذلك ابطال للشريعة وهدم قواعدها وذلك باطل * ومن تأمل ما وقع عند بيعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم علم وتحقق بطلان ما زعمه الرافضة والشيعة من ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بالخلافة لعلي رضي الله عنه اذ لو كان كذلك لكان علي رضي الله عنه يذكر ذلك ويحتج به مع أنه رضي الله عنه لم ينقل عنه قط انه ذكر ذلك أو احتج به

الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه وكان عمر رضي الله عنه فهم ذلك من قوله تعالى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله بين الاستغفار وتركه فقال استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وسأزيد على السبعين قال عمر رضي الله عنه انه منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم ينزل عليه نهي صريح بترك ذلك ولم يأخذ بقول عمر رضي الله عنه اجراء له على ظاهر حكم الاسلام واستصحابا لظاهر الحكم ولاكرام ولده الذي تحقق صلاحه واستئلافا لقومه فانه جاء انه رجع جملة منهم من النفاق ذلك اليوم لما رأوا عبد الله يسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يكفنه في قميصه وأن يصلي عليه وصلى عمر مع النبي صلى الله عليه وسلم وترك رأى نفسه وأطال صلى الله عليه وسلم في تلك الصلاة وأكثر من الاستغفار لعبد الله بن أبي وعن مجمع بن جارية رضي الله عنه قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطال على جنازة قط ما أطال على جنازة عبد الله بن أبي من الوقوف وفي حديث ابن عباس ومشى معه صلى الله عليه وسلم حتى قام على قبره حتى فرغ منه وانما فعل صلى الله عليه وسلم ذلك لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده الرجل الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم فلو لم يجب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل صلى الله عليه وسلم أحسن الامرين في السياسة الى أن كشف الله الغطاء وقيل انما أعطاه قميصه مكافأة له فان عبد الله بن أبي أعطى قميصه للعباس رضي الله عنه حين أسر يوم بدر كما تقدم ثم أنزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فكان في ذلك تأييد لرأي عمر رضي الله عنه فهي من الآيات التي جاءت موافقة لرأيه رضي الله عنه وكان نزولها بعد فراغه صلى الله عليه وسلم من أمره على الصحيح وقيل بعد فراغ الصلاة وفي الصحيح من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت * وروى الطبراني عن قتادة قال ذكر لنا انه صلى الله عليه وسلم قال وما يغني عنه قميصي من الله واني لارجو بذلك أن يسلم ألف من قومه فأسلم ألف من الخزرج لما رأوه يستشفع بثوبه صلى الله عليه وسلم ويتوقع اندفاع العذاب عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

(البعث الى اليمن)

بعث صلى الله عليه وسلم أبا موسى الاشعري ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما الى اليمن قبل حجة الوداع في السنة العاشرة وقيل في التاسعة عند منصرفه من تبوك وقيل عام الفتح سنة ثمان كل واحد منهما على مخلاف واليمن مخلافان والمخلاف بكسر الميم وسكون الخاء المعجمة بلغة أهل اليمن الناحية ويقال له الكورة بضم الكاف والاقليم والرستاق وكان جهة معاذ العليا الى صوب عدن وكان من عمله الجند بفتح الجيم وفتح النون بلدة باليمن وله بها مسجد مشهور الى اليوم وكانت جهة أبي موسى السفلى وقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا * وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ انك ستأتي قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب وروى الامام أحمد عن معاذ رضي الله عنه قال لما بعثني صلى الله عليه وسلم الى اليمن قال قد بعثتك الى قوم رقيقة قلوبهم فقاتل بمن أطاعك من عصاك وروى الامام أحمد أيضا وأبو يعلى أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى اليمن خرج يوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي تحت ظل راحلته فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري فبكى معاذ رضي الله عنه لفراقه وروى ابن عساكر انه صلى الله عليه وسلم مشى معه ميلا ومعاذ رضي الله عنه راكب لامره صلى الله عليه وسلم له بذلك قال الحافظ ابن حجر واتفقوا على

بل المنقول بالتواتر عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يوص له بذلك * وأما التقية التي يزعمونها فهي باطلة أيضا وقد تقدم الكلام على ذلك مستوفى في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فعليك بالتمسك بمذهب أهل السنة والجماعة وحمل ما وقع بين الصحابة على أحسن المحامل والتمس له أحسن التأويلات وأثبت لجميعهم أجر الاجتهاد فان هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وهو المذهب الحق خرج من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فالحمد لله الذي من علينا به ونسأل الله الثبات على ذلك (وأول) خطبة خطبها علي رضي الله عنه بعد استخلافه حمد الله تعالى فيها وأثنى عليه ثم قال ان الله تعالى أنزل كتابا هاديا يبين فيه الخير والشر فخذوا بالخير ودعوا الشر الفرائض الفرائض أدوها الى الله

أن معاذا رضي الله عنه لم يزل على اليمن الى ان قدم في خلافة أبي بكر رضي الله ثم توجه الى الشام فمات بها واختلفوا هل كان معاذ واليا أو قاضيا فقال ابن عبد البر انه كان قاضيا وقال الغساني انه كان أميرا على المال وحديث ابن ميمون فيه التصريح بانه كان أميرا على الصلاة وهذا يرجح انه كان واليا وقد جاءت أحاديث كثيرة في فضله رضي الله عنه منها أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل ومنها معاذ بن جبل امام العلماء يوم القيامة وضبطه بعضهم بكسر همزة امام وبعضهم بفتحها وأما أبو موسى رضي الله عنه فقدم على النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع والتقى به بمكة واستدل العلماء بارساله على انه كان عالما فطنا حاذقا ولولا ذلك لم يوله صلى الله عليه وسلم الامارة ولذلك اعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم وأما الخوارج والروافض فنسبوه الى الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم بصفين والحق انه لم يصدر منه ما يقتضي وصفه بذلك وغاية ما وقع منه انه أداه اجتهاده الى أن يجعل الامر شورى بين من بقي من الصحابة من أهل بدر لما شاهد من الاختلاف الشديد بين الطائفتين بصفين فآل الامر الى ما آل اليه والله سبحانه وتعالى أعلم

(بعث خالد بن الوليد)

بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه الى اليمن قبل حجة الوداع في ربيع الاول سنة عشر وقيل في ربيع الآخر وقيل في جمادى الاولى سنة عشر الى بني عبد المدان بفتح الميم بوزن سحاب اسم صنم وعبد المدان الذي نسبت القبيلة اليه هو جدهم الاعلى واسمه عمرو بن يزيد بن قطن بن زياد بن الحرث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحرث ويقال لتلك القبيلة بنو الحرث وهم بنجران موضع باليمن سمي باسم نجران بن زيد بن سبا فأمره صلى الله عليه وسلم خالدا أن يدعوهم الى الاسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا قال فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون أيها الناس أسلموا تسلموا فاسلموا ودخلوا فيما دعوا اليه فاقام خالد يعلمهم الاسلام والكتاب والسنة ثم كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه بذلك فكتب اليه صلى الله عليه وسلم أن يقدم اليه وفدهم فقدموا فأمر عليهم قيس بن الحصين فرجعوا الى قومهم في بقية شوال أو صدر ذي القعدة وسيأتي في الوفود مزيد لذلك ان شاء الله تعالى

(بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى اليمن)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه الى اليمن في شهر رمضان سنة عشر وعقد له لواء وعممه بيده وقال له امض ولا تلتفت فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله ما أصنع قال اذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك وادعهم الى قول لا اله الا الله فان قالوا نعم فمرهم بالصلاة فان أجابوا فلا تبغ منهم غير ذلك والله لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت وروى أبو داود وغيره من حديث علي رضي الله عنه قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول الله تبعثني الى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء قال فوضع يده صلى الله عليه وسلم في صدري وقال اللهم ثبت لسانه واهد قلبه وقال يا علي اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر فانك اذا فعلت ذلك تبين لك القضاء قال علي والله ما شككت في قضاء بين اثنين فخرج علي رضي الله عنه في ثلثمائة فارس فلما انتهى الى تلك الناحية فرق أصحابه فأتوا بنهب غنائم ونساء وأطفال وكانت الغنائم نعما وشاء ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة وخرج منهم رجل من مذحج يدعو الى المبارزة فبرز اليه الاسود بن خزاعي فقتله الاسود وأخذ سلبه ثم صف علي رضي الله عنه أصحابه ودفع لواءه الى مسعود بن سنان الاسلمي فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم قليلا ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام فاسرعوا وأجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام وقالوا نحن على من وراءنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله وجمع علي الغنائم فجزأها خمسة أجزاء فكتب في سهم منها لله وأقرع عليها فخرج أول السهام سهم الخمس وقسم على أصحابه بقية المغنم ثم قفل علي رضي الله عنه فوافى النبي صلى الله عليه وسلم بمكة قد قدمها للحج سنة عشر

تعالى يردكم الى الجنة ان الله تعالى حرم حرمات غير مجهولة وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق لا يحل دم امرئ مسلم الا بما يجب بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم الموت فان الناس امامكم وانما خلفكم الساعة تحدوكم تخففوا تلحقوا فانما ينتظر الناس آخرهم اتقوا الله عباد الله في بلاده وعباده انكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم ثم أطيعوا الله ولا تعصوه واذا رأيتم الشر فدعوه واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض ولما فرغ من خطبته رجع الى بيته فدخل عليه طلحة والزبير رضي الله عنهما في عدد من الصحابة فقالوا يا علي انا قد اشترطنا اقامة الحدود وان هؤلاء القوم قد اشتركوا في قتل هذا الرجل وأحلوا

وجاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم بعث عليا رضي الله عنه الى اليمن وذلك في رمضان سنة عشر فاسلمت همدان كلها في يوم واحد فكتب بذلك اليه صلى الله عليه وسلم فخر ساجدا لله ثم جلس فقال السلام على همدان وتتابع أهل اليمن على الاسلام لكن قوله في التاريخ سنة عشر وهم لان بعث على الى همدان لم يكن سنة عشر انما كان سنة عشر بعثه الى بني مذحج وأما بعثه الى همدان فكان سنة ثمان بعد فتح مكة فيكون بعث على رضي الله عنه الى اليمن حصل مرتين وفي البخاري عن البراء رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خالد الى اليمن ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه فقال مر أصحاب خالد من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ومن شاء فليقبل فكنت فيمن عقب معه فغنمت أواقي ذوات عدد زاد الاسماعيلي فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا على وصفنا صفا واحدا ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلمت همدان جميعا فكتب على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قرأ الكتاب خر ساجدا ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان وكان البعث بعد رجوعهم من الطائف وقسمة الغنائم بالجعرانة فهذا صريح في ان البعث الاول كان في أواخر سنة ثمان وانه الى همدان وأما الثاني فكان في رمضان سنة عشر الى مذحج

(حجة الوداع)

وفي سنة عشر من الهجرة حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وسميت بذلك لانه ودع الناس فيها ولم يعد بعدها وما عرف وداعه حتى توفي بعدها بقليل فعرفوا المراد وأنه ودع الناس بالوصية التي أوصاهم بها أن لا يرجعوا بعده كفارا وأكد التوديع باشهاد الله عليهم بأنهم شهدوا انه بلغ ما أرسل اليهم به وتسمى حجة الاسلام لانه صلى الله عليه وسلم لم يحج من المدينة بعد فرض الحج غيرها وحجة البلاغ لانه بلغ الناس الشرع في الحج قولا وفعلا وتسمى حجة التمام والكمال لنزول قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وكان صلى الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة قد أقام بالمدينة يضحي كل عام ويغزو المغازي ويبعث السرايا والبعوث من حين أذن له في القتال فلما كان في ذي القعدة سنة عشر من الهجرة أجمع على الخروج الى الحج فتجهز وأمر الناس بالجهاز ولم يحج بعد أن هاجر غير هذه الحجة قال أبو اسحق السبيعي حج وهو بمكة أخرى لكن قوله أخرى يوهم انه لم يحج قبل الهجرة الا واحدة وليس كذلك بل حج قبلها مرارا وقيل حج وهو بمكة حجتين وقيل ثلاث حجج والحق الذي لا ارتياب فيه كما في شرح الزرقاني على المواهب أنه لم يترك الحج بمكة قط لان قريشا في الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج وانما يتأخر منهم من لم يكن بمكة أو عاقه ضعف واذا كانوا وهم على غير دين يحرصون على اقامة الحج ويرونه من مفاخرهم التي امتازوا بها على غيرهم من العرب فكيف يظن به صلى الله عليه وسلم أنه يتركه وقد ثبت حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه في الجاهلية رأى النبي صلى الله عليه وسلم واقفا بعرفة وأنه من توفيق الله له وكانت قريش تقف بجمع ولا تخرج من أرض الحرم وكان صلى الله عليه وسلم يخالفهم ويصل الى عرفة فيقف بها مع بقية العرب وصح أنه صلى الله عليه وسلم كان يدعو قبائل العرب الى الاسلام بمنى ثلاث سنين متوالية قاله العلامة الزرقاني فلا يقبل نفي ابن سعد أنه لم يحج بعد النبوة الا حجة الوداع لان المثبت مقدم على النافي خصوصا وقد صحبه دليل اثباته ولم يصحب النافي دليل نفيه ولذلك قال ابن الجوزي حج صلى الله عليه وسلم حججا لا يعرف عددها وقال ابن الاثير في النهاية كان يحج كل سنة قبل أن يهاجر وكان خروجه صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع من المدينة يوم السبت بين الظهر والعصر لخمس بقين من ذي القعدة سنة عشر واستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي رضي الله عنه وقيل سباع بن عرفطة الغفاري وكان نساؤه كلهن معه وقد طاف عليهن كلهن ليلة خروجه واغتسل ثم اغتسل ثانيا لاحرامه غير غسل الجماع وكان دخوله مكة صبح رابعة من ذي الحجة يوم الاحد وخرج معه صلى الله عليه وسلم تسعون ألفا ويقال مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا ويقال أكثر من ذلك وهذه عدة من خرج معه وأما الذين حجوا معه فأكثر من ذلك كالمقيمين بمكة والذين أتوا من اليمن مع علي وأبي موسى رضي الله عنهما وجاء في حديث أن الله وعد هذا

بانفسهم فقال يا اخوتاه اني لست أجهل ما تعلمون ولكن كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم هاهم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم وثابت اليهم اعرابكم وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤا فهل ترون موضعا لقدرة على شيء مما تريدون قالوا لا قال فلا والله لا أرى الا رأيا ترونه أبدا الا أن يشاء الله ان هذا الامر أمر جاهلية وان هؤلاء القوم مادة وذلك ان الشيطان لم يشرع شرعة قط فيبرح الارض آخذتم أبدا ان الناس من هذا الامر ان حرك على أمور فرقة ترى ما ترون وفرقة ترى ما لا ترون وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب موقعها فخذوا الحقوق فاهدؤا عني وانظروا ماذا يأتيكم ثم عودوا واشتد على قريش وحال بينهم وبين الخروج وتركها على حالها وانما هيجه على ذلك هرب بني أمية

البيت أن يحجه في كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله بالملائكة والكلام على مباحث حجة الوداع طويل مذكور في كتب السنة شهير شائع فلا حاجة الى الاطالة به

(باب يذكر فيه ما يتعلق بالوفود)

التي وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ما تقدم قد تقدم أنه وفد عليه وفد هوازن بالجعرانة وكذا وفد عليه مالك بن عوف النصري وذلك في أواخر سنة ثمان وكذا وفد عليه بنو تميم في سرية عيينة ابن حصن وكان ذلك في المحرم سنة تسع

(وفد نصارى نجران)

وفد عليه نصارى نجران بالمدينة بعد الهجرة وكانوا ستين راكبا جاؤا يجادلونه في شأن عيسى عليه السلام ونجران بلدة كبيرة على سبع مراحل من مكة الى جهة اليمن تشتمل على ثلاث وسبعين قرية وكان وصولهم المدينة ودخولهم المسجد النبوي بعد دخول وقت العصر فقاموا يصلون فيه فاراد الناس منعهم لما فيه من اظهار دينهم الباطل فقال صلى الله عليه وسلم دعوهم تألفا لهم ورجاء لاسلامهم ولدخولهم بالامان فاقرهم على كفرهم سياسة فليس فيه اقرار على الباطل بل جعل ذلك وسيلة لدخولهم في الحق فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم وكانوا لما دخلوا المسجد النبوي عليهم ثياب الحبرات وأردية الحرير متختمين بخواتم الذهب ومعهم هدية وهي بسط فيها تماثيل ومسوح فصار الناس ينظرون للتماثيل فقال صلى الله عليه وسلم أما هذه البسط فلا حاجة لي فيها وأما هذه المسوح فان تعطونيها آخذها فقالوا نعم نعطيكها ولما رأى فقراء المسلمين ما على هؤلاء من الزينة والزي الحسن تشوفت نفوسهم الى الدنيا فانزل الله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ولما فرغوا من صلاتهم عرض صلى الله عليه وسلم عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فامتنعوا وقالوا قد كنا مسلمين قبلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبتم يمنعكم من الاسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم الخنزير وزعمكم أن لله ولدا وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رهطا من نجران قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما شأنك تذكر صاحبنا قال من هو قالوا عيسى تزعم أنه عبد الله قال أجل قالوا فهل رأيت مثل عيسى أو أنبئت به ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل فقال له قل لهم اذا أتوك ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم الى قوله الممترين وفي رواية أن واحدا منهم قال له المسيح ابن الله لانه لا أب له وقال آخر المسيح هو الله لانه أحيا الموتى وأخبر عن الغيوب وأبرأ من الادواء كلها وخلق من الطين طيرا وقال له أفضلهم فعلام تشتمه وتزعم أنه عبد فقال هو عبد الله وكلمته ألقاها الى مريم فغضبوا وقالوا انما يرضينا أن تقول هو اله وقالوا ان كنت صادقا فأرنا عبدا لله يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص ويخلق من الطين طيرا فينفخ فيه فيطير فسكت عنهم فنزل الوحي بقوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وقوله تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ثم قال لهم ان الله أمرني ان لم تنقادوا للاسلام أباهلكم أي ندعو ونجتهد في الدعاء باللعنة على الكاذب فقالوا له يا أبا القاسم نرجع فننظر في أمرنا فلا بعضهم ببعض فقال بعضهم والله قد علمتم ان الرجل نبي مرسل وما لاعن قوم قط نبيا الا استؤصلوا فأي أخذوا عن آخرهم وان أنتم أبيتم الا دينكم فوادعوه وصالحوه وارجعوا الى بلادكم وفي لفظ انهم ذهبوا الى بني قريظة وبني قينقاع واستشاروهم أي شاوروا من بقي منهم فاشاروا عليهم أن يصالحوه ولا يلاعنوه وفي لفظ انهم واعدوه على الغد فلما أصبح صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه حسن وحسين وفاطمة وعلي رضي الله عنهم وعند ذلك قال لهم الاسقف اني لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى أن يزيل لهم جبلا لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني فقالوا له صلى الله عليه وسلم لا نباهلك وعن عمر رضي الله عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو لاعنتهم يا رسول الله بيد من كنت تأخذ

وتفرق القوم فبعضهم يقول ما قال علي وبعضهم يقول نقضي الذي علينا ولا نؤخره والله ان عليا مستغن برأيه وليكونن على قريش أشد من غيره فسمع علي رضي الله عنه ذلك فعظمهم وذكر فضلهم وحاجته اليهم ونظره لهم وقيامه دونهم وانه ليس له من سلطانهم الا ذلك والاجر من الله تعالى عليه ونادى برئت الذمة من عبد لا يرجع الى مولاه أيها الناس أخرجوا عنكم الاعراب فليلحقوا بمياههم فتشاور السبئية والاعراب وكادوا يظهرون العصبيات فدخل على علي رضي الله عنه بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال دونكم ثاركم فاقتلوه فقالوا عنوا عن ذلك فقال هم والله بعد اليوم أعتى وقال

ولو ان قومي طاوعتني سراتهم
أمرتهم أمرا يديخ الاعاديا

قال آخذ بيده على وفاطمة والحسن والحسين وعائشة وحفصة وهذه زيادة موافقة لقوله تعالى ونساءنا ونساءكم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أما والذى نفسى بيده لقد تدلى العذاب على أهل نجران ولولا عفونى لمسخوا قردة وخنازير ولأضرم الوادى عليهم نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا ثم انهم صالحوا النبى صلى الله عليه وسلم على الجزية على ألف حلة فى صفر وألف فى رجب ومع كل حلة أوقية من الفضة وكتب لهم كتابا وقالوا أرسل معنا أمينا فأرسل معهم أبا عبيدة عامر بن الجراح رضى الله عنه وقال لهم هذا أمين هذه الامة وفى رواية هذا القوى الامين وكان لذلك يدعى فى الصحابة بذلك وفى أهل نجران وفى الرد عليهم أنزل الله أكثر آيات سورة آل عمران وافتتحها بالتوحيد وبقوله يصوركم فى الارحام كيف يشاء أى بأن يجعلكم من أم وأب أو من أم بلا أب فيكون فى أول الكلام اشارة الى الرد عليهم وذلك براعة استهلال وهى من المحسنات البديعية

(وفد تميم الدارى وأصحابه)

وفد عليه صلى الله عليه وسلم الداريون أبو تميم الدارى وأخوه نعيم وأربعة آخرون وكانوا على دين النصرانية فاسلموا وحسن اسلامهم رضى الله عنهم وكان وفدهم عليه مرتين مرة بمكة قبل الهجرة ومرة بعدها وفى المرة الاولى سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم أرضا من أرض الشام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سلوا حيث شئتم قال أبو هند وهو من أصحاب تميم فنهضنا من عنده نتشاور فى أى الاراضى نأخذ فقال تميم نسأله بيت المقدس وكورتها فقال له أبو هند هذا محل ملك العجم وسيصير محل ملك العرب فأخاف أن لا يتم لنا قال تميم نسأله بيت جبرون وكورتها فنهضنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ذلك له فدعا بقطعة من أدم وكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم للداريين اذا أعطاه الله الارض فوهب لهم بيت عينون وجبرون والمرطوم وبيت ابراهيم الى الابد شهد عباس بن عبد المطلب وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب ثم أعطانا كتابا وقال انصرفوا حتى تسمعوا أنى قد هاجرت قال أبو هند فانصرفنا فلما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة قدمنا عليه وسألناه أن يجدد لنا كتابا آخر فكتب لنا كتابا نسخته بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أنطى محمد رسول الله تميم الدارى وأصحابه انى أنطيتكم بيت عينون وجبرون والمرطوم وبيت ابراهيم برمتهم وجميع ما فيهم نطية بت ونفذت وسلمت ذلك لهم ولاعقابهم من بعدهم أبد الابد فمن آذاهم فيه آذاه الله شهد أبو بكر بن أبى قحافة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان وكتب * ومن فضائل تميم الدارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم روى عنه حيث خطب فقال فى خطبته حدثنى تميم الدارى وذكر خبر الجساسة أى لان تميما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه ركب البحر فتاهت بهم سفينتهم فسقطوا الى جزيرة فخرجوا اليها يلتمسون الماء فلقى انسانا يجر شعره فقال له من أنت قال أنا الجساسة قالوا فاخبرنا قال لا أخبركم ولكن عليكم بهذه الجزيرة فدخلناها فاذا رجل مقيد فقال من أنتم قلنا ناس من العرب قال ما فعل هذا النبى الذى خرج فيكم فلما قد آمن به الناس واتبعوه وصدقوه قال ذلك خير لهم قال أولا تخبرونى عن عين زغر ما فعلت فاخبرناه عنها فوثب وثبة ثم قال ما فعل نخل بيسان هل أطعم بعد فاخبرناه انه قد أطعم فوثب مثلها ثم قال أما لو قد أذن لى فى الخروج لوطئت البلاد كلها غير طيبة قال فاخرجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدث الناس فقال هذه طيبة وذاك الدجال قال ابن عبد البر وهذا أولى ما يخرجه المحدثون فى رواية الكبار عن الصغار قال أهل السير ولما فتحت مكة ودانت له صلى الله عليه وسلم قريش عرفت العرب انهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعداوته لان قريشا كانت قادة العرب فلما أسلموا دخل الناس فى دين الله أفواجا وتتابعت الوفود عليه صلى الله عليه وسلم

(وفد كعب بن زهير رضى الله عنه وقد تقدمت قصته فى فتح مكة)

(وفد ثقيف) ولما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان قدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف

وقال طلحة دعنى آتى البصرة فلا يفجؤك الا وانا فى خيل وقال الزبير دعنى آتى الكوفة فلا يفجؤك الا وأنا فى خيل فقال حتى أنظر فى ذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما أتيت عليا رضى الله عنه بعد قتل عثمان رضى الله عنه عند عودى من مكة فوجدت المغيرة بن شعبة رضى الله عنه مستخليا به فخرج من عنده فقلت له ما قال لك هذا فقال قال لى قبل مرته هذه ان لك حق الطاعة والنصيحة وأنت بقية الناس وان الرأى اليوم تحرز به ما فى غد وان الضياع اليوم يضيع به ما فى غد أقرر معاوية وابن عامر وعمال عثمان على أعمالهم حتى تاتيك بيعتهم ويسكن الناس ثم اعزل من شئت فأبيت عليه ذلك وقلت لا أداهن فى دينى ولا أعطى الدنية فى أمرى قال فان كنت أبيت على فانزع من شئت واترك معاوية

وكان من خبرهم انه لما انصرف صلى الله عليه وسلم من محاصرتهم تبع أثره عروة بن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل الى المدينة فاسلم رضي الله عنه وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يرجع الى قومه يأمرهم بالاسلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوك فقال عروة يا رسول الله أنا أحب اليهم من أبكارهم أى أولادهم وفي رواية من أبصارهم فخرج يدعو قومه الى الاسلام رجاء ان لا يخالفوه لمرتبته فيهم لانه كان محببا مطاعا وفيه كانوا يقولون كما حكى الله عنهم وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فالقريتان مكة والطائف والرجلان الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف فتوجه الى قومه فلما أشرف لهم على علية دعاهم الى الاسلام وأظهر دينه فرموه بالنبل من كل جانب فاصابه سهم فقتله وفي لفظ انه قدم الطائف عشاء فجاءته ثقيف يسلمون عليه فدعاهم الى الاسلام ونصح لهم فعصوه وأسمعوه من الاذى مالم يكن يخشاه منهم فخرجوا من عنده فلما كان السحر وطلع الفجر قام على غرفة في داره وتشهد فرماه رجل من ثقيف بسهم فقتله فقيل له قبل أن يموت ماترى في دمك قال كرامة أكرمني الله بها وشهادة ساقها الله الى فليس في الا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم فادفنوني معهم فدفنوه معهم وقال في حقه صلى الله عليه وسلم ان مثله في قومه كمثل صاحب يس انه قال لقومه اتبعوا المرسلين الآيات فقتله قومه والمراد المذكور في سورة يس وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل هذه المقالة في حق شخص آخر يقال له قرة بن حصين أو ابن الحرث بعثه صلى الله عليه وسلم الى بني هلال بن عامر يدعوهم الى الاسلام فقتلوه فقال صلى الله عليه وسلم مثله مثل صاحب يس ثم ان ثقيفا أقامت بعد قتل عروة أشهرا ثم انهم ائتمروا بينهم فرأوا انهم لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب فاجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فكلموا في ذلك عبد ياليل بن عمرو وكان في سن عروة بن مسعود فابى لانه خشي أن يفعل به كما فعل بعروة وقيل كلموا مسعود بن عبد ياليل فقال لست فاعلا حتى ترسلوا معي رجالا فبعثوا معه خمسة أنفار منهم شرحبيل ابن غيلان أحد أشراف ثقيف ويقال وفد عليه صلى الله عليه وسلم تسعة عشر رجلا هم أشراف ثقيف فيهم كنانة بن عبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وفيهم عثمان بن أبي العاص وهو أصغرهم فلما قربوا من المدينة رآهم المغيرة بن شعبة الثقفي فذهب مسرعا ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقي أبا بكر رضي الله عنه فاخبره فقال له أبو بكر رضي الله عنه أقسمت عليك لا تسبقني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أكون أنا أحدثه ففعل فدخل أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بقدومهم عليه ثم خرج المغيرة وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم فابوا الا التحية الجاهلية وهي عم صباحا ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ويروا الناس اذا صلوا وكانوا يغدون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كل يوم ويخلفون عثمان بن أبي العاص عند متاعهم فكان عثمان رضي الله عنه اذا رجعوا ذهب الى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله عن الدين ويستقرئه القرآن واذا وجد النبي صلى الله عليه وسلم نائما ذهب الى أبي بكر رضي الله عنه وكان يكتم ذلك من أصحابه فاعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحبه وروى ابن منده وغيره عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال استعملني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أصغر الذين وفدوا عليه من ثقيف لاني كنت قرأت سورة البقرة في مدة اقامتهم وعنه رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ان القرآن يتفلت مني فوضع يده على صدري وقال يا شيطان اخرج من صدر عثمان فما نسيت شيأ بعده أريد حفظه وعنه رضي الله عنه قلت يا رسول الله ادع الله أن يفقهني في الدين ويعلمني قال ماذا قلت فاعدت عليه القول فقال لقد سألتني عن شئ ما سألني عنه أحد من أصحابك اذهب فانت أمير عليهم وعلى من تقدم عليه من قومك وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي فقال ذاك الشيطان يقال له خنزب فاذا أحسست به فتعوذ بالله منه واتفل على يسارك ثلاثا قال ففعلت فاذهبه الله عني وكان في هذا الوفد رجل مجذوم فارسل صلى الله عليه وسلم يقول له انا بايعناك فارجع وفي الخبر المرفوع لا تديموا النظر الى المجذومين وجاء كلم المجذوم

فان في معاوية جراءة وهو في أهل الشام يسمع منه ولك حجة في اثباته كان عمر ابن الخطاب قد ولاه الشام فقلت لا والله لا أستعمل معاوية يومين ثم انصرف من عندي وأنا أعرف فيه انه يود اني مخطئ ثم عاد الي الآن فقال اني أشرت عليك أول مرة بالذي أشرت وخالفتني فيه ثم رأيت بعد ذلك أن تصنع الذي رأيت فعزلهم وتستعين بمن تثق به فقد كفى الله وهم أهون شوكة مما كان قال ابن عباس رضي الله عنهما فقلت لعلي رضي الله عنه أما المرة الاولى فقد نصحك وأما المرة الثانية فقد غشك قال ولم نصحني قلت لان معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى ثبتهم لا يبالون من ولي هذا الامر ومتى تعزلهم يقولون أخذ هذا الامر بغير شورى وهو قتل صاحبنا ويؤلبون عليك لتنتقض عليك الشام وأهل العراق مع أني لا آمن

وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين وهذا معارض بقوله صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولا طيرة وبما جاء في أحاديث أخر انه صلى الله عليه وسلم أكل مع المجذوم طعاما وأخذ يده وجعلها مع يده في القصعة وقال كل بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه وأجيب بان الامر باجتناب المجذوم ارشادي ومؤاكلته لبيان الجواز وجواز المخالطة في حق من قوي ايمانه وعدم جوازها في حق من ضعف ايمانه ومن ثم باشر صلى الله عليه وسلم الصورتين ليقتدي به فيأخذ قوي الايمان بطريق التوكل وضعيف الايمان بطريق التحفظ والاحتياط ولا تأثير الا لله وما يتخيل من العدوى في أمثال ذلك من جملة الاسباب العادية أي لا تأثير لها بل يحصل الشئ عنده الابها والفعل لله وحده الله خالق كل شئ * وعند انصراف وفد ثقيف قالوا يارسول الله أمر علينا رجلا يؤمنا فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رأى من حرصه على الاسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين وقال الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله اني رأيت هذا الغلام من أحرصهم على التفقه في الاسلام وتعلم القرآن وفي رواية ان عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال قلت يارسول الله اجعلني امام قومي قال أنت امامهم وقال له اذا أممت فاخف بهم الصلاة واتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا وكان خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه هو الذي يمشي بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم حتى كتب لهم كتابا وكان الكاتب له خالد المذكور ومن جملته بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المؤمنين ان عضاه وج وصيده حرام لا يعضد من وجد يفعل ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ووج واد بالطائف وقيل هو الطائف والعضاه كل شجر له شوك واحده عضة كشفة وشفاه وروى أبوداود وغيره ألا ان صيد وج وعضاهه حرام محرم والقول باخذ سلب المتعرض لصيد وج والمدينة هو أحد قولين للشافعي رضي الله عنه والمشهور عنه في وج وحرم المدينة انه يحرم التعرض لصيدهما من غير جزاء وهذا مذهب الجمهور من العلماء وكان هؤلاء الوفد لا يطعمون طعاما يأتيهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد حتى أسلموا وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يترك لهم الصلاة فقال لا خير في دين لا صلاة فيه وفي لفظ لا ركوع فيه وان يترك لهم الزنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك وسألوه أن يترك لهم الطاغية التي هي صنمهم لا يهدمها الا بعد ثلاث سنين من مقدمهم وهي اللات وكانوا يقولون لها الربة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه أن يتركها سنة فأبى حتى سألوه شهرا واحدا وأرادوا بذلك ليدخل الاسلام في قومهم ولا يرتاع سفهاؤهم ونساؤهم وذراريهم بهدمها فأبى عليهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند خروجهم قال لهم كأنه أنا أعلمكم بثقيف اكتموا اسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال وأخبروهم ان محمدا سألنا أمورا عظيمة فأبيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية وان نترك الزنا والربا وشرب الخمر فلما رجعوا وجاءتهم ثقيف وسألوهم قالوا جئنا رجلا فظا غليظا قد ظهر بالسيف ودان له الناس فعرض علينا أمورا شدادا وذكروا ما تقدم قالوا والله لا نعطيه ولا نقبل هذا أبدا فقالوا لهم أصلحوا السلاح وتهيؤا للقتال ورموا حصونكم فمكثت ثقيف كذلك يومين أو ثلاثة ثم ألقى الله الرعب في قلوبهم وقالوا والله ما لنا به من طاقة فارجعوا اليه وأعطوه ما سأل فعند ذلك قالوا لهم قد قاضيناه وأسلمنا فقالوا لهم لم كتمتونا قالوا أردنا أن ينزع الله من قلوبكم نخوة الشيطان فأسلموا ومكثوا أياما فقدم عليهم رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما لهدم الطاغية فهدماها كما تقدم وأخذا ما فيها من المال والحلي فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضي دين عروة وأخيه الاسود من مال الطاغية فقضاه وذلك ان أبا مليح بن عروة بن مسعود وابن عمه قارب بن الاسود أخو عروة بن مسعود سألا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وكانا قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين لما قتلت ثقيف عروة بن مسعود قبل أن تسلم ثقيف كما تقدم فأجابهما لذلك والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد بني عامر بن صعصعة)

وفيهم عدو الله عامر بن الطفيل وأربد بن قيس وجبار بن سلمى بضم السين وفتحها وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وكان عامر بن الطفيل سيدهم كان ينادي مناديه بسوق عكاظ هل من راجل فنحمله أو جائع فنطعمه أو

طلحة والزبير ان يكرا عليك وأنا أشير عليك أن تثبت معاوية فان بايع لك فعلي أن أقلعه من منزله فقال علي والله لا أعطيه الا السيف ثم تمثل

وما ميتة ان متها غير عاجز
بعار اذا ما غالت النفس غولها

فقلت يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع لست صاحب رأي في الحرب أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الحرب خدعة فقال بلى فقلت أما والله لو أطعتني في صدرهم بعد ورد لأتركنهم ينظرون في دبر الامر لا يعرفون ما كان في وجهها في غير نقصان عليك ولا اثم لك فقال يا ابن عباس لست من هناتك ولا من هنات معاوية في شئ فقلت له أطعني والحق بمالك بينبع وأغلق بابك عليك فان العرب تجول جولة وتضطرب ولا تجد غيرك فانك والله لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنك الناس دم عثمان

خائف فنؤمنه وكان من أجمل الناس وكان مضمر الغدر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال لأربد وهو أخو لبيد الشاعر اذا قدمنا على الرجل فانى شاغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فاعله بالسيف وقد قال له قومه ياعامر ان الناس قد أسلموا فأسلم فقال والله لقد كنت آليت على نفسى أى حلفت أن لا أنتهى حتى تتبع عقبى فانا أتبع عقب هذا الفتى من قريش فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل يامحمد خالنى أى اجعلنى خليلا وصديقا قال صلى الله عليه وسلم لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له قال يامحمد خالنى وجعل يكلم النبى صلى الله عليه وسلم وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يأتى بشئ ويبست يده على السيف فلم يستطع سله وفى رواية لما جاءه عامر وسده أى ألقى له وسادة ليجلس عليها ثم قال له أسلم ياعامر فقال عامر لى اليك حاجة قال اقرب منى فقرب منه حتى حنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتجعل لى الامر بعدك ان أسلمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك لك ولا لقومك أى انما ذلك الى الله يجعله حيث شاء ولكن لك أعنة الخيل قال أما الآن فى أعنة خيل نجد أتجعل لى الوبر ولك المدر قال لا وفى رواية قال له يامحمد مالى ان أسلمت فقال له لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم فقال أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا وفى رواية خيلا جردا ورجالا مردا ولأربطن بكل نخلة فرسا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمنعك الله عز وجل وبكت صلى الله عليه وسلم أبا بابدعوا الله ويقول اللهم اكفنى عامر بن الطفيل بما شئت وابعث له داء يقتله واهد قومه ثم قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو أسلم وأسلمت بنو عامر لزاحمت قريشا على منابرها فحينئذ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ياقوم آمنوا ثم قال اللهم اهد بنى عامر وأشغل عنى عامر بن الطفيل كيف شئت وأنى شئت وفى البخارى انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم أخيرك بين ثلاث خصال يكون لك أهل السهل ولى أهل الوبر أو أكون خليفتك من بعدك أو أغزوك من غطفان بألف أشقر وألف شقراء فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عامر لأربد ويلك يا اربد أين ما كنت أمرتك به وما كان على وجه الارض رجل أخافه على نفسى غيرك وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا فقال لا أبا لك لا تعجل على والله ماهممت بالذى أمرتنى به الا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف وفى رواية الا رأيت بينى وبينه سورا من حديد وفى رواية لما وضعت يدى على السيف يبست فما استطيع أحركها وفى رواية لما أردت فعل سيفى نظرت فاذا فحل من الابل فاغر فاه بين يدى يهوى الى فوالله لو سللته لخفت أن يبلع رأسى ولا مانع من تكرر عزمه على الفعل وعند كل مرة يرى واحدا مما ذكر ثم خرج عامر بن الطفيل ومن معه راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه فاوى الى بيت امرأة من بنى سلول وكانوا موصوفين باللؤم فصار يتأسف على مجئ الموت له فى بيتها ويمس الطاعون ويقول يابنى عامر غدة كغدة البعير فى بيت امرأة من بنى سلول ائتونى بفرسى ثم ركب فرسه وأخذ رمحه وصار يجول حتى سقط عن فرسه ميتا وكان يقول وهو يجول ابرز ياملك الموت وفى لفظ ياموت ابرز لى لا فالك فلم يزل كذلك حتى أماته الله وهذا دليل على فرط حماقته وقد وهم بعضهم فادعى بقاء عامر بن الطفيل على الاسلام الى أن مات وذلك انما هو عامر بن الطفيل الاسلمى فانه صحابى رضى الله عنه قال يارسول الله زودنى كلمات أعيش بهن قال ياعامر أفش السلام وأطعم الطعام واستحى من الله كما تستحى من رجل من أهلك واذا أسأت فأحسن فان الحسنات يذهبن السيآت وأما عامر بن الطفيل العامرى فهو الكافر وقد مات على كفره وقدم صاحباه بعد موته على قومهما فقالوا لأربد ما وراءك يا أربد قال لا شئ والله لقد دعانا الى شئ لوددت أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله فخرج بعد مقالته هذه بيوم أو يومين معه جمل يتبعه فأرسل الله عليه وعلى جمله صاعقة أحرقتهما وكان ذلك فى يوم صحو قائظ وأنزل الله قوله تعالى ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وأما جبار بن سلمى الذى هو ثالثهم فقد أسلم مع من أسلم من بنى عامر وحسن اسلامه رضى الله عنه

(وفد ضمام بن ثعلبة رضى الله عنه)

غدا فأبى على رضى الله عنه فقال تشير على بما رأى فاذا عصيتك فأطعنى فقال ابن عباس فقلت افعل ان أيسر مالك عندى الطاعة فقال له على تسير الى الشام فقد وليتكها فقال ابن عباس ماهذا برأى معاوية رجل من بنى أمية وهو ابن عم عثمان وعامله ولست آمن ان يضرب عنقى بعثمان وان أدنى ماهو صانع ان يحبسنى فيتحكم على لقرابتى منك وان كل ما حمل عليك حمل على ولكن اكتب الى معاوية فمنه وعده فقال والله لا كان هذا أبدا ثم لحق المغيرة بن شعبة بمكة وكذا طلحة والزبير وكان ما كان من وقعة الجمل وصفين وسيأتى ان شاء الله بيان ذلك وانما ذكرت هذه النبذة المتعلقة بخلافة على رضى الله عنه لارتباطها بقصة استشهاد عثمان رضى الله عنه وسيأتى تمامها على ذلك ان شاء الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم

قيل انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في سنة خمس والصواب كما قاله الحافظ ابن حجر انه سنة تسع قال ابن عباس رضي الله عنهما اما سمعنا بوافد وفد كان أفضل من ضمام بن ثعلبة بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه متكئا جاءه رجل من أهل البادية على جمل فأناخه في المسجد ثم عقله وقال أيكم ابن عبد المطلب وفي رواية أيكم محمد قالوا هذا المتكئ فقال اني سائلك فمشدد عليك فلا تجد علي فقال سل عما بدا لك فقال يا محمد جاءنا رسولك فذكر لنا أنك تزعم ان الله أرسلك قال صدق فقال أنشدك بربك ورب من قبلك ورب من بعدك وفي رواية أنشدك بالذي خالق السموات والارض ونصب هذه الجبال آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيأ وان نخلع هذه الانداد التي كان آباؤنا يعبدونها قال اللهم نعم قال أنشدك بالله آلله أمرك أن نأخذ من أموال أغنيائنا فنرده على فقرائنا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من اثني عشر شهرا قال اللهم نعم قال وأنشدك بالله آلله أمرك أن نحج هذا البيت من استطاع اليه سبيلا قال اللهم نعم قال آمنت وصدقت وأنا ضمام بن ثعلبة ولما رجع الى قومه كان أول شئ تكلم به ان سب اللات والعزى فقال له قومه يا ضمام اتق البرص اتق الجذام اتق الجنون فقال ويلكم انهما والله لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه واني أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه فلم يبق من القوم رجل ولا امرأة الا وأسلم

(وفد عبد القيس)

وكانت منازلهم بالبحرين وكان ممن وفد فيهم الجارود وكان نصرانيا قد قرأ الكتب فقال أبياتا يخاطب بها النبي صلى الله عليه وسلم منها قوله

يا نبي الهدى أتتك رجال * قطعت فدفدا وآلا فآلا

تتقي وقع يوم عبوس * أوجل القلب ذكره ثم هالا

والفدفد المفازة والآل ما رفع الشخوص في أول النهار وفي آخره وقيل السراب قيل كان مجيئهم سنة عشر فعرض صلى الله عليه وسلم الاسلام على الجارود بعد انشاده الابيات فقال يا محمد اني كنت على دين واني تارك ديني لدينك فتضمن لي ذنبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم أنا ضامن أن قد هداك الى ما هو خير منه فأسلم وأسلم أصحابه وجاء في رواية انه كان مع الجارود وسلمة بن عياض الاسدي وان الجارود قال لسلمة ان خارجا خرج يزعم انه نبي فهل لك أن تخرج اليه فان رأينا خيرا دخلنا فيه وأنا أرجو أن يكون هو النبي الذي بشر به عيسى بن مريم لكن يضمر كل واحد منا ثلاث مسائل يسأله عنها لا يخبر بها صاحبه فلعمري ان أخبرنا بها انه امني يوحى اليه فلما قدما عليه صلى الله عليه وسلم قال له الجارود بم بعثك ربك يا محمد قال بشهادة أن لا اله الا الله واني عبد الله ورسوله والبراءة من كل ند يعبد من دون الله وباقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة لحقها وصوم رمضان وحج البيت بغير الحاد من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد قال الجارود يا محمد ان كنت نبيا أخبرنا عما أضمرنا عليه فخفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه والعرق يتحدر عنه فقال أما أنت يا جارود فانك أضمرت أن تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية وعن المنيحة ألا وان دم الجاهلية موضوع وحلفها مردود ولا حلف في الاسلام ألا وان أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة أو لبن شاة وأما أنت يا سلمة فانك أضمرت أن تسألني عن عبادة الاوثان وعن يوم السباسب وعن عقل الهجين فاما عبادة الاوثان فان الله تعالى يقول انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون وأما يوم السباسب فقد أعقب الله ليلة خيرا من ألف شهر فاطلبوها في العشر الاخير من رمضان فانها ليلة بلجة سمحة لا ريح فيها تطلع الشمس في صبيحتها لا شعاع لها وأما عقل الهجين فان المؤمنين اخوة تتكافأ دماؤهم يجير أقصاهم على أدناهم وأكرمهم عند الله أتقاهم له فقالا نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وذكر بعضهم ان وفد عبد القيس كان قبل فتح مكة ويمكن ان وفادتهم تكررت وجزم بذلك في المواهب وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم بينما هو يحدث أصحابه اذ قال لهم

(الباب الرابع في بيان فضل سيدنا علي رضي الله عنه وحقية خلافته) وقد تقدم كثير مما يثبت حقية خلافته وسنأتي زيادة على ذلك *(وأما فضائله فكثيرة)* فمنها انه أسلم وهو ابن عشر سنين وقيل تسع وقيل ثمان وقيل دون ذلك وكان اسلامه في أول زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم والخلاف بين العلماء مشهور في ان عليا أول من أسلم أو أبا بكر أو خديجة رضي الله عنهم وجمع بعض المحققين بين الاقوال بان أبا بكر أول من أسلم من الرجال البالغين وعلي أول من أسلم من الصبيان وخديجة أول من أسلم من النساء وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي وبلال أول من أسلم من العبيد (وأخرج) ابن سعد عن الحسن بن زيد بن الحسن قال لم يعبد علي الاوثان قط لصغره أي

سيطلع عليكم من ههنا ركب هم خير أهل المشرق وفي رواية يسبق ركب من المشرق لم يكرهوا على الاسلام قد أنضوا أي أهزلوا الركائب وأفنوا الزاد اللهم اغفر لعبد القيس فقام عمر رضي الله عنه فتوجه نحو مقدمهم فلقي ثلاثة عشر راكبا وقيل كانوا عشرين راكبا وقيل كانوا أربعين رجلا فقال من القوم قالوا من بني عبد القيس فقال أما ان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكركم آنفا فقال خيرا ثم مشى معهم حتى أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر للقوم هذا صاحبكم الذي تريدون فرمى القوم بأنفسهم عن ركائبهم بباب المسجد ودخلوا بثياب سفرهم وتبادروا يقبلون يده صلى الله عليه وسلم ورجله وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وهو رأسهم وكان أصغرهم سنا فتخلف عند الركائب حتى أناخها وجمع المتاع وذلك بمرأى من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها وكان رجلا دميما ففطن لنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دمامته فقال يارسول الله انه لا يستقي أي لا يشرب في مسوك الرجال أي جلودهم انما يحتاج من الرجل الى أصغريه لسانه وقلبه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فيك خصلتين وفي رواية خصلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والاناة فقال يارسول الله أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما قال بل الله تعالى جبلك عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله ورسوله والاناة كقناة التؤدة أي التأني في الامر وقد جاء في الحديث التؤدة والاقتصاد والسمت الحسن جزء من أربعة وعشرين جزأ من النبوة وفي رواية انهم لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من القوم قالوا من ربيعة فقال مرحبا بالقوم وفي رواية بالوفد غير خزايا ولا ندامى فقالوا يارسول الله انا نأتيك من شقة بعيدة أي لان مساكنهم بالبحرين وما والاها من أطراف العراق وانه يحول بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام وصرح في بعض الروايات بانه رجب فمرنا بامر نأخذ به ونخبر به من وراءنا وندخل به الجنة فقال آمركم بالايمان بالله أتدرون ما الايمان بالله شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا الخمس من المغنم وفي مسند الامام أحمد ذكر الحج فيما أمرهم به وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير وفي رواية والمقير والمراد النهي عن انتباذ النبيذ في هذه الاشياء لانه اسرع بالتخمر الذي هو سبب الاسكار والدباء القرع والحنتم جرار مدهونة بدهان أخضر والنقير أصل النخلة ينقر وينبذ فيه التمر والمقير ما طلي بالقار وهو الزفت وجاء في رواية بدل المقير والمزفت وفي رواية قال واشربوا في أسقية الادم أي الجلود يعني انتبذوا فيها بدل تلك الاواني فقالوا يارسول الله ان أرضنا كثيرة الجرذان أي الفيران أي لا تبقى فيها أسقية الادم قال وان أكلها الجرذان قال ذلك مرتين أو ثلاثا فقال له الاشج يارسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه وأومأ بكفه فقال صلى الله عليه وسلم يا أشج ان أرخصت لك في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج يديه وبسطهما يعني أعظم منها حتى اذا ثمل أحدكم من شرابه أي سكر قام الى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف وكان في القوم رجل قد وقع له ذلك وهو جهم بن قثم قال فلما سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلت أسدل ثوبي لاغطي الضربة وقد أبداها الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وفي رواية انهم سألوه عن النبيذ فقالوا يارسول الله ان أرضنا أرض وخمة لا يصلحنا الا النبيذ قال فلا تشربوا في النقير فكأني بكم اذا شربتم في النقير قام بعضكم الى بعض بالسيوف فضرب رجل منكم ضربة لا يزال يعرج منها الى يوم القيامة فضحكوا فقال ما يضحككم قالوا والله لقد شربنا في النقير فقام بعضنا الى بعض بالسيوف فضرب هذا ضربة بالسيف فهو أعرج كما ترى ثم ذكر لهم أنواع تمر بلادهم فقال لكم تمرة تدعونها كذا وتمرة تدعونها كذا فقال له رجل من القوم بابي أنت وأمي يارسول الله لو كنت ولدت في جوف هجر ما كنت باعلم منك الساعة أشهد انك رسول الله فقال ان أرضكم رفعت لي منذ قعدتم فنظرت من أدناها الى أقصاها وقال لهم خير تمركم البرني يذهب بالداء ولا داء معه وانما اقتصر في المناهي على شرب الانبذة في الاوعية المذكورة مع ان في المناهي ما هو أشد في التحريم لكثرة تعاطيهم لها ثم ان النهي عن الانتباذ في هذه الاواني انما كان في أول تحريم الخمر حين

ومن ثم يقال فيه كرم الله وجهه قال العلامة ابن حجر وألحق بأبي بكر الصديق رضي الله عنه أيضا ذلك فانه لم يعبد صنما قط كما أن عليا رضي الله عنه يقال له الصديق فكل من أبي بكر وعلي رضي الله عنهما يستحق أن يقال له الصديق وكرم الله وجهه لكن اشتهر اطلاق الصديق على أبي بكر والحاق كرم الله وجهه بعلي رضي الله عنهما وعلي رضي الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأخو رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة فانه لما آخى بين الصحابة قال لعلي رضي الله عنه أنت أخي وهو صهره على فاطمة سيدة نساء العالمين رضي الله عنها وأحد السابقين الى الاسلام وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد والخطباء المعروفين وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله صلى

كانت نفوسهم راغبة في شربها معتادة لها ثم لما استقر أمر التحريم وتوطنت نفوسهم على تركها والتباعد عنها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن الانتباذ في هذه الاواني فانتبذوا في كل اناء واجتنبوا المسكر فالنهي عن الانتباذ فيها منسوخ والقصد اجتناب المسكر فقط والله أعلم

(وفد بني حنيفة) بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم وكانوا سبعة عشر رجلا ومعهم مسيلمة الكذاب قيل جاء بنو حنيفة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم مسيلمة يسترونه بالثياب تعظيما له وكانت تلك عادتهم فيمن يعظمونه وكان أمره عند قومه كبيرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في أصحابه معه عسيب من سعف النخل في رأسه خوصات فلما انتهى مسيلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب كلم النبي صلى الله عليه وسلم وسأله أن يشركه معه في النبوة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه وقيل ان بني حنيفة جعلوه في رحالهم فلما أسلموا ذكروا مكانه فقالوا يا رسول الله انا قد خلفنا صاحبنا في رحالنا يحفظها لنا فأمر له صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر لواحد من القوم وقال أما انه ليس بشركم مكانا فلما رجعوا وانتهوا الى اليمامة ادعى مسيلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم أشركه معه في النبوة وقال لمن وفد معه ألم يقل لكم حين ذكرتموني اما انه ليس بشركم مكانا ما ذاك الا لما كان يعلم اني أشركت معه في الامر أي وهو صلى الله عليه وسلم انما اراد بذلك انه حفظ ضيعة أصحابه وفي الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم أقبل ومعه ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه وفي يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه وقد بلغه صلى الله عليه وسلم ان مسيلمة قال ان جعل لي محمد الامر من بعده اتبعته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها واني لأراك الذي رأيت منه ما رأيت وهذا قيس يجيبك عني ثم انصرف عنه صلى الله عليه وسلم والذي رأى منه صلى الله عليه وسلم هو انه رأى في المنام ان في يده سوارين من ذهب قال فاهمني شأنهما فأوحى الله الي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي أي وهما الاسود العنسي صاحب صنعاء ومسيلمة صاحب اليمامة فان كلا منهما ادعى النبوة في حياته صلى الله عليه وسلم وكان العنسي يقول ان ملكا يقال له ذو النون يأتيني كما يأتي جبريل محمدا فلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال لقد ذكر ملكا عظيما في السماء يقال له ذو النون وجمع بعضهم بين هذا الذي في الصحيحين وما قبله بانه يجوز أن يكون مسيلمة قدم مرتين الاولى كان فيها تابعا ومن ثم جاؤا به مستورا حتى انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم أو قام في حفظ الرحل كما تقدم والثانية كان متبوعا وعالم يحضر أنفة واستكبارا وعامله صلى الله عليه وسلم معاملة الكرام تألفا له فأتاه الى قومه وهو فيهم ولما خرج الاسود العنسي بصنعاء وادعى النبوة غلب عامل النبي صلى الله عليه وسلم على صنعاء وهو المهاجر بن أبي أمية ويقال انه مر به فلما حاذاه عثر حمار المهاجر فادعى الاسود انه سجد له ولم يقم الحمار حتى قال له شيئا فقام وكان مع الاسود شيطانان يقال لاحدهما سحيق بمهملتين وقاف مصغرا والآخر شقيق بمعجمتين وقافين مصغرا وكانا يخبرانه بكل شئ يحدث من أمور الناس وكان باذان عامل النبي صلى الله عليه وسلم أيضا بصنعاء فمات فجاء شيطان الاسود فاخبره فخرج في قومه حتى ملك صنعاء وتزوج المرزبانة زوجة باذان فواعدت فيروز الديلمي وغيره فدخلوا عليه ليلا وقد سقته الخمر صرفا حتى سكر وكان على بابه ألف حارس فنقب فيروز ومن معه الجدار حتى دخلوا فقتله فيروز واحتز رأسه وأخرجوا المرأة وما أحبوا من متاع البيت وأرسلوا الخبر الى المدينة فوافاهم عند وفاته صلى الله عليه وسلم قال أبو الاسود عن عروة أصيب الاسود قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بيوم وليلة فأتاه الوحي فاخبر أصحابه ثم جاء الخبر الى أبي بكر وقيل وصل الخبر بذلك صبيحة دفن النبي صلى الله عليه وسلم وقصة أبي مسلم الخولاني مع الاسود العنسي مشهورة رواها جماعة من أصحاب السنن عن جملة من الصحابة حتى قال بعضهم انها من المشهور والمستفيض وحاصلها ان الاسود العنسي بعث الى أبي مسلم الخولاني لما ادعى الاسود النبوة بصنعاء اليمن فلما جاءه قال له أتشهد أني رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم فردد ذلك عليه مرارا وهو يقول

الله عليه وسلم (ولما) هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة أمره أن يقيم بعده بمكة حتى يؤدي عنه أمانته والودائع والوصايا التي كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم ثم يلحقه ففعل ذلك وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم سائر المشاهد الا تبوك فانه صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة وقال له حينئذ أنت مني بمنزلة هرون من موسى وتقدم بيان المراد من ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه *وله رضي الله عنه في جميع المشاهد الآثار المشهورة وأصابته يوم احد ست عشرة ضربة وأعطاه صلى الله عليه وسلم اللواء في مواطن كثيرة سيما يوم خيبر وأخبر صلى الله عليه وسلم ان الفتح يكون على يده وحمل يومئذ باب حصنها وان ذلك الباب لا يحمله الا أربعون رجلا فجاء في رواية انه جعل الباب على ظهره حتى صعد المسلمون

كما قال أولا فأمر بنار عظيمة فأججت ثم ألقي فيها أبو مسلم فلم تضره فقيل له انفه عنك والا أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فأتى المدينة وقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه فأناخ راحلته بباب المسجد ودخل يصلي الى سارية فبصر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ممن الرجل قال من أهل اليمن قال ما فعل صاحبنا الذي أحرقه الكذاب قال أنا هو قال أنشدك الله أنت هو قال اللهم نعم فاعتنقه عمر رضي الله عنه ثم بكا وأتى به حتى أجلسه بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما ثم قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله قال ابن عباس رضي الله عنهما أنا أدركت أمدادخولان يقولون للامداد من بني عبس صاحبكم الكذاب أحرق صاحبنا بالنار فلم تضره ونقله هذا الحديث مشهورون ومجراه مجرى الاستفاضة ثم ان مسيلمة حين ادعى النبوة صار يتكلم بالهذيان ليضاهي به القرآن فمن ذلك قوله قبحه الله لقد أنعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشا وصنع اللعين سجعا ومراده أن يكون على منوال سورة الكوثر فقال انا أعطيناك الجواهر فصل لربك وهاجر ان مبغضك رجل فاجر وفي رواية انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وبادر في الليالي الغوادر وفي رواية انا أعطيناك الجماهر فخذ لنفسك وبادر واحذر أن تحرص أو تكاثر فظن اللعين المخذول أن الجواهر تعادل الكوثر فهل اللعنة مع ان الكوثر الخير الكثير فليت شعري ما الذي جاء به فانه أخذ لفظ القرآن وحرف الكلم عن مواضعه وأبدل شانئك بمبغضك ولكونه هو الفاجر أتى الفجور في لسانه وصرف عن الاتيان بمثله ولم يعرف المخذول انه محروم عن الوصول الى المطلوب فما أقبح هذا التسجيع الركيك الذي لا يساوي أقل كلام من كلام الفصحاء فضلا عن كلام رب العالمين ثم ان اللعين وضع عن قومه الصلاة وأحل لهم الخمر والزنا ترغيبا لهم في اتباعه وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالنبوة ويدعي أنه مشارك له وهذا من سخافة عقله اذ النبي لا يبيح المحرمات وكانت دعوى مسيلمة النبوة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لكن لم تظهر شوكته ولم تقع محاربته الا في زمن الصديق رضي الله عنه وكان مسيلمة أقوى أسباب الفتنة على بني حنيفة جمع جموعا كثيرة ليقاتل بها الصحابة فجهز له الصديق رضي الله عنه جيشا أمر عليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتل أصحاب مسيلمة ثم كان الفتح بقتل مسيلمة قتله عبد الله بن زيد بن عاصم الانصاري المازني وقيل عدي بن سهل وقيل أبو دجانة رضي الله عنه وقيل وحشي والاول أشهر ولعل عبد الله بن زيد هو الذي ضربه أولا وكمل عليه الآخرون وفي البخاري عن وحشي لما خرج مسيلمة قلت لاخرجن اليه لعلي أقتله فأكافئ به حمزة فخرجت مع الناس فاذا رجل قائم كأنه جمل أورق ثائر الرأس فرميته بحربتي فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه وضربه رجل من الانصار بالسيف على هامته وكان عمره حين قتل مائة وخمسين سنة وقال رجل من بني حنيفة يرثيه

لهفي عليك أبا ثمامه * لهفي على ركن اليمامه كم آية لك فيهما * كالشمس تطلع من غمامه

قال السهيلي وكذب أي هذا القائل بل كانت آياته منكوسة ذكر بعضهم انه دعا لابنين له بالبركة فرجع الى منزله فوجد أحدهما قد سقط في بئر والآخر أكله الذئب وتفل مرة في بئر فملح ماؤها ومسح رأس صبي فقرع قرعا فاحشا والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد طيء) وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفد طيء وفيهم قبيصة بن الاسود وسيدهم زيد الخيل قيل له ذلك لخمسة أفراس كانت له وكان زيد أعظم قومه وجودا وخلقا وأحسنهم وجها وشعرا وكان يركب الفرس الطويل العظيم فتخط رجلاه في الارض كأنه راكب حمار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يعرفه الحمد لله الذي أتى بك من حزنك وسهلك وسهل قلبك للايمان ثم قبض على يده فقال من أنت فقال أنا زيد الخيل ابن مهلهل أشهد أن لا اله الا الله وانك عبد الله ورسوله فقال له بل أنت زيد الخير وعرض الاسلام على من معه فأسلموا وحسن اسلامهم وقال صلى الله عليه وسلم في حق زيد الخيل ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني الا رأيته دون ما قيل فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ ما قيل فيه كل ما فيه وسماه زيد الخير وأجاز كل واحد منهم

عليه فقتحوا الحصن وفي رواية أخرى أنه تترس به عند الحصن عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه فأراد ثمانية أن يقلبوه فما استطاعوا * وفضائله رضي الله تعالى عنه كثيرة شهيرة حتى قال الامام أحمد رضي الله تعالى عنه ما جاء لاحد من الفضائل ما جاء لعلي رضي الله عنه وقال اسمعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري لم يرد في حق أحد من الصحابة بالاسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي رضي الله عنه (قال) بعض المتأخرين من ذرية أهل البيت النبوي وسبب ذلك والله أعلم ان الله تعالى أطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يكون بعده مما ابتلي به علي رضي الله عنه وما وقع من الاختلاف لما آل اليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الامة باشهاره لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته

خمس أواق وأعطى زيد الخيل اثني عشر أوقية ونشا وأقطعه مخلين من أرضه وكتب له بذلك كتابا ولما خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى قومه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينجو زيد من حمى المدينة أي ما ينجو منها ففي أثناء الطريق أصابته الحمى وفي لفظ قال له يا زيد تقتلك أم ملدم يعني الحمى ولما مات أقام قبيصة بن الاسود النائحة عليه سنة ثم وجه براحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أقطعه فيه مخلين بارضه فلما رأت امرأته الراحلة أضرمتها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب وقيل ان زيد الخير بقي الى خلافة عمر رضي الله عنه وانه لما ارتدت العرب عند موت النبي صلى الله عليه وسلم ثبت على الاسلام وكتب الى أبي بكر بهذين البيتين أما تخشين الله بيت أبي نصر * فقد قام بالامر الجلي أبو بكر

نجي رسول الله في الغار وحده * وصاحبه الصديق في معظم الامر

(وفد عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه) قال عدي بن حاتم رضي الله عنه كنت امرأ شريفا في قومي آخذ الربع من الغنائم كما هو عادة سادات العرب في الجاهلية فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ما رجل من العرب كان اشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به مني فقلت لغلام كان راعيا لابلي لا أبا لك اعزل لي من ابلي اجمالا ذللا سمانا فاحبسها قريبا مني فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذني ثم انه أتاني ذات يوم فقال يا عدي ما كنت صانعا اذا غشيك محمد فاصنعه الآن فاني قد رأيت الرايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد فقلت له قرب لي اجمالي فقربها فاحتملت أهلي وولدي والتحقت باهل ديني من النصارى بالشام وخلفت بنتا لحاتم في الحاضر فاصيبت فيمن أصيب من الحاضر أي سبيت فلما قدمت في السبايا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ رسول الله هربي الى الشام من عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساها وحملها وأعطاها نفقة وخرجت الى ان قدمت على الشام فوالله اني لقاعد في أهلي اذ نظرت الى ظعينة تؤمنا فقلت ابنة حاتم فاذا هي هي فلما وقفت علي قالت القاطع الظالم احتملت باهلك وولدك وقطعت بقية والديك وعورتك فقلت أي أخيه لا تقولي الا خيرا فوالله ما لي من عذر وقد صنعت ما ذكرت ثم نزلت وأقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة ماذا ترين في أمر هذا الرجل قالت أرى والله ان تلحق به سريعا فان يكن نبيا فللسابق اليه فضيلة وان يكن ملكا فانت أنت فقلت والله ان هذا الرأي قال فخرجت حتى جئت المدينة فدخلت عليه فقال من الرجل فقلت عدي بن حاتم فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وانطلق بي الى بيته فوالله انه لعامد بي اليه اذ لقيته امرأة كبيرة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها فقلت ما هذا بملك ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا دخل بيته تناول وسادة بيده من أدم حشوها ليف فقدمها الي وقال اجلس على هذه فقلت بل أنت فاجلس عليها قال بل أنت فجلست عليها وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارض فقلت والله ما هذا بامر ملك ثم قال له ما معناه يا عدي بن حاتم ألست من القوم الذين لهم دينان لانه كما تقدم كان نصرانيا فقلت بلى فقال ألم تكن تسير في قومك بالمرباع أي تاخذ ربع الغنيمة كما هو شان الاشراف من أخذهم في الجاهلية ربع الغنيمة قلت بلى قال فان ذلك لم يكن يحل لك في دينك قلت أجل والله وعرفت انه نبي مرسل يعلم ما يجهل ثم قال لعلك يا عدي انما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من ياخذه ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية وهي قرية بينها وبين الكوفة نحو مرحلتين على بعيرها حتى تزور البيت أي الكعبة لا تخاف ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم قال عدي وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تحج البيت وأيم الله لتكونن الثانية ليفيض المال حتى لا يوجد من ياخذه والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد عروة المرادي) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة مفارقا لملوك كندة وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الاسلام وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا في يوم يقال له الردم فقال له رسول

ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبثها نصحا للامة أيضا * ثم لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني أمية بتنقيصه وسبه على المنابر ووافقهم الخوارج لعنهم الله تعالى بل قالوا بكفره اشتغلت جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببث فضائله حتى كثرت نصحا للامة ونصرة للحق وقد نزلت آيات كثيرة في حقه رضي الله عنه وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث شهيرة تدل على عظيم فضله * فمن الآيات قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت معه أربعة دراهم فانفق في الليل درهما وفي النهار

الله صلى الله عليه وسلم هل أساءك ما أصاب قومك يوم الردم قال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم ولا يسوءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان ذلك لم يزد قومك في الاسلام الا خيرا واستعمله على مراد وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنهم على الصدقة فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وفد بني زبيد) بضم الزاي وفتح الموحدة وفدوا على النبي صلى الله عليه وسلم وفيهم عمرو بن معديكرب الزبيدي وكان فارس العرب مشهورا بالشجاعة شاعرا مجيدا قال لابن أخيه قيس المرادي انك سيد قومك وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول انه نبي فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لا يخفى عنك اذا لقيناه اتبعناه وان كان غير ذلك علمنا علمه فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فأسلم فلما بلغ ذلك قيسا توعد عمرا فقال عمرو في قيس أبياتا منها

فمن ذا عاذري من ذي سفاه * يرد بنفسه شر المرادي

أريد حباءه ويريد قتلي * عذيرك من خليلك من مرادي

أي وبعد موته صلى الله عليه وسلم أسلم قيس فليس له صحبة وقيل بل أسلم قبل موته صلى الله عليه وسلم فله صحبة والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد كندة) وكندة قبيلة باليمن ينسبون الى كندة لقب جدهم ثور بن عفير وله صلى الله عليه وسلم جدة منهم وهي أم جده كلاب وفد عليه صلى الله عليه وسلم ثمانون من كندة وقيل ستون فيهم الاشعث بن قيس وكان وجيها مطاعا في قومه وهو أصغرهم فلما أرادوا الدخول عليه صلى الله عليه وسلم سرحوا شعورهم وتكحلوا ولبسوا جبب الحبرة قد سجفوها بالحرير فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا أبيت اللعن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ملكا أنا محمد بن عبد الله قالوا لا نسميك باسمك قال أنا أبو القاسم فقالوا يا أبا القاسم انا خبأنا لك خبأ فما هو وكانوا خبؤا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عين جرادة في ظرف سمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن والكهانة والتكهن في النار فقالوا كيف نعلم انك رسول الله فأخذ كفا من حصباء فقال هذا يشهد أني رسول الله فسبح الحصى في يده فقالوا نشهد انك رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني بالحق وأنزل علي كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والصافات صفا حتى بلغ ورب المشارق ثم سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسكن بحيث لا يتحرك منه شيء ودموعه تجري على لحيته فقالوا انا نراك تبكي أمن مخافة من أرسلك قال خشيتي منه أبكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف ان زغت عنه هلكت ثم تلا ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك الآية ثم قال لهم ألم تسلموا قالوا بلى قال فما بال هذا الحرير فعند ذلك شقوه وألقوه ولعل سجفهم جاوزت الحد الجائز شرعا وكان على النبي صلى الله عليه وسلم حين دخلوا عليه حلة يمانية يقال انها حلة ذي يزن وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مثلها وكان صلى الله عليه وسلم اذا قدم عليه وفد لبس أحسن ثيابه وأمر أصحابه بذلك وقال الاشعث بن قيس له صلى الله عليه وسلم نحن بنو آكلة المرار وأنت ابن آكلة المرار ويعنون جدته أم كلاب لما تقدم أنها من كندة وآكل المرار هو الحرث بن عمرو ولقب بذلك لاكله شجرا يقال له المرار في غزوة غزاها ولما قال له الاشعث ما ذكر قال صلى الله عليه وسلم لا نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا أي لا ننتسب الى الامهات ونترك النسب الى الآباء فقال الاشعث بن قيس يا معشر كندة والله لا أسمع رجلا يقولها الا ضربته ثمانين والاشعث هذا ممن ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم عاد الى الاسلام في خلافة الصديق رضي الله عنه فانه حوصر وجيء به اسيرا فقال للصديق حين أراد قتله استبقني لحربك وزوجني أختك فزوجه أخته أم فروة وعاد الى الاسلام فدخل سوق الابل بالمدينة واخترط سيفه فجعل لا يرى جملا الا عرقبه فصاح الناس كفر الاشعث فلما فرغ طرح سيفه وقال والله ما كفرت الا ان الرجل يعني أبا بكر رضي الله عنه زوجني

درهما ودرهما في السر ودرهما في العلانية فنزلت الآية * ومنها قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط * ومنها قوله تعالى أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين قال مجاهد نزلت في علي وحمزة وأبي جهل * ومنها قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قال محمد بن الحنفية رضي الله عنه لا يبقى مؤمن الا وفي قلبه ود لعلي وأهل بيته * ومنها قوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم الآية الى قوله وهدوا الى صراط الحميد عن أبي ذر رضي الله عنه انه كان يقسم ان هذه الآية نزلت في علي وحمزة وعبيدة بن الحرث

أخشى ولو كان بلادنا كانت لي وليمة غير هذه ثم قال يا أهل المدينة انحروا وكلوا وأعطى أصحاب الابل أثمانها وقال صلى الله عليه وسلم للاشعث هل لك من ولد فقال لي غلام ولد عند مخرجي اليك لوددت أن لي به سبعة قال انهم لمجبنة مبخلة وانهم لقرة العين وثمرة الفؤاد وقد شهد الاشعث اليرموك بالشأم ثم القادسية وحروب العراق وسكن الكوفة وشهد صفين مع علي رضي الله عنه ومات بعد ذلك بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل مات سنة ثنتين وأربعين

(وفد أزد شنوأة)

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من الازد وفيهم صرد بن عبد الله الازدي وكان أفضلهم فأمره على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج حتى نزل بجرش بضم الجيم وفتح الراء وبالشين المعجمة وهي مدينة بها قبائل اليمن فحاصرها المسلمون قريبا من شهر ثم رجعوا عنها حتى اذا كانوا بجبل يقال له شكر بالشين المعجمة والكاف المفتوحتين فلما وصلوا ذلك المحل ظن أهل جرش أن المسلمين انما رجعوا عنهم منهزمين فخرجوا في طلبهم حتى اذا أدركوهم عطف المسلمون عليهم فقتلوهم قتلا شديدا وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان أي ينظران الاخبار فبينماهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال صلى الله عليه وسلم بأي بلاد الله شكر فقام الرجلان فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له كشر فقال انه ليس بكشر ولكنه شكر قالا فما شأنه يا رسول الله قال ان بدن الله لتنحر عنده الآن يعني قتل قومهم أطلق البدن عليهم على سبيل الاستعارة أو التشبيه البليغ والمعنى أن قومكم الذين هم كالبدن في عدم الادراك حيث لم يؤمنوا وحاربوا المسلمين ينحرون نحر البدن فجلس الرجلان الى أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما فقالا لهما ويحكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينعي اليكما قومكما أي يخبركما بموتهم فقوما اليه فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما فسألاه ذلك فقال اللهم ارفع عنهم ثم خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا في اليوم والساعة التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ثم بعد ذلك وفد عليه صلى الله عليه وسلم وفد جرش فأسلموا فقال لهم صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم أحسن الناس وجوها أنتم مني وأنا منكم وحمى لهم حول بلادهم

(وفادة رسول الحرث بن كلال وأصحابه)

وذلك أن الحرث بن كلال بضم الكاف والنعمان ومعافر بالمهملة مكسورة وهمدان باسكان الميم وفتح الدال المهملة وهي قبيلة كتبوا الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلامهم فكتب اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحرث بن كلال والى النعمان ومعافر وهمدان أما بعد فاني أحمد الله اليكم الذي لا اله الا هو أما بعد فانه وقع بنا رسولكم مقفلنا من أرض الروم أي رجوعنا من غزوة تبوك فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه وانكم أصلحتم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وأعطيتم من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين من الصدقة أما بعد فان محمدا النبي أرسل الى زرعة ذي يزن وفي رواية أبي زرعة بن سيف ذي يزن أن اذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرا معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك ابن عبادة وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم بالخاء المعجمة جمع مخلاف وأبلغوها رسلي وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا ولا تخونوا ولا تجادلوا فان رسول الله هو ولي غنيكم وفقيركم ان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هي زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل والسلام عليكم ورحمة الله

(وفادة رسول فروة بن عمرو الجذامي) وفد رسول فروة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره باسلامه وأهدى فروة له صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء يقال لها فضة وحمارا يقال له يعفور وفرسا يقال لها الظرب وثيابا وقباء مرصعا بالذهب فقبل صلى الله عليه وسلم الهدية وأعطى الرسول اثنتي عشرة أوقية من فضة وكان فروة عاملا للروم على ما يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام ومعان بفتح الميم

بارزوا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر * ومنها قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه قال الواحدي نزلت في علي وحمزة رضي الله عنهما * ومنها قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا قال ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في علي بن أبي طالب * ومنها قوله تعالى انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون (أخرج) الواحدي ان عليا رضي الله عنه جاءه سائل وهو راكع فنزع خاتمه وتصدق به عليه فنزلت الآية *(وأما الاحاديث فكثيرة جدا)* فمنها ما أخرجه الخطيب البغدادي عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه

وضعها اسم جبل فلما بلغ الروم اسلامه أخذوه وحبسوه ثم ضربوا عنقه بعد أن قال له الملك ارجع عن دين محمد ونحن نعيدك الى ملكك قال لا أفارق دين محمد فانك تعلم أن عيسى بشر به ولكنك تضن بملكك

(وفد الحرث بن كعب)

قد تقدم بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه اليهم فلما رجع أقبل وفدهم معه وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم قال صدقتم وأمر عليهم يزيد بن حصين ولم يمكثوا بعد رجوعهم الى قومهم الا أربعة أشهر حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وفد رفاعة بن زيد الخزاعي)

بالخاء المعجمة والزاي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا الى قومه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد اني بعثته الى قومه عامة ومن دخل منهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبل منهم ففي حزب الله و رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا رضي الله عنهم

(وفد همدان)

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من همدان فيهم مالك بن نمط وكان شاعرا مجيدا فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات بكسر الحاء ثياب مخططة من برود اليمن والعمائم العدنية نسبة لعدن مدينة باليمن سميت بذلك لان تبعا كان يحبس فيها أرباب الجرائم و وفدوا عليه على الرواحل المهرية والارحبية والمهرية نسبة الى قبيلة يقال لها مهرة باليمن والارحبية نسبة الى أرحب وصار مالك بن نمط يرتجز أي يقول الرجز بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

اليك جاوزنا سواد الريف * في هبوات الصيف والخريف * مخطمات بحبال الليف

ومن شعره

حلفت برب الراقصات الى منى * صوادر بالركبان من هضب قردد

بان رسول الله فينا مصدق * رسول أتى من عند ذي العرش مهتد

فما حملت من ناقة فوق رحلها * أشد على أعدائه من محمد

وقد أمره صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وتقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث خالد بن الوليد اليهم ثم بعث عليا رضي الله عنه وأمر خالدا بالرجوع وان من كان مع خالد ان شاء بقي مع علي وان شاء رجع وأنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه خبر اسلامهم خر ساجدا ثم رفع رأسه ثم قال السلام على همدان وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال نعم الحي همدان ما أسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد وفيهم أبدال وفيهم أوتاد الاسلام

(وفد تجيب)

بضم المثناة فوق وهي قبيلة من كندة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ثلاثة عشر رجلا وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأكرم مثواهم وقالوا يارسول الله انا سقنا اليك حق الله في أموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوها فاقسموها على فقرائكم قالوا يارسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا فقال أبو بكر رضي الله عنه يارسول الله ما قدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد الله به خيرا شرح صدره للدين و جعلوا يسألونه عن القرآن والسنن فازداد رسول الله صلى الله عليه وسلم رغبة فيهم وأرادوا الرجوع الى أهليهم فقيل لهم ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وملاقاتنا له وكلامنا اياه وما رد علينا ثم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه فارسل اليهم بلالا فاجازهم بارفع ما كان يجيز به الوفود ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنا فقال أرسلوه الينا فارسلوه فاقبل الغلام حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله أنا من الرهط الذين اتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتي قال وما

(وأخرج) البيهقي والديلمي عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال علي يزهر لاهل الجنة ككوكب الصبح لاهل الدنيا (وأخرج) الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب عليا فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله ومن ابغض عليا فقد ابغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله وأخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت فاطمة أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجها أحب الرجال اليه (قال) المحب الطبري تعني أحب الرجال اليه من أهل بيته جمعا بينه وبين الحديث المتقدم في فضل أبي بكر رضي الله عنه فانه ذكر فيه انه احب الرجال اليه قال ويؤيده مارواه الدولابي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة رضي الله عنها

حاجتك فقال يارسول الله ان حاجتي ليست كحاجة أصحابي وان كانوا راغبين في الاسلام والله ما أخرجني الا أن نسأل الله أن يغفرلي ويرحمني وأن يجعل غناى في قلبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفرله وارحمه واجعل غناه في قلبه وقد قال صلى الله عليه وسلم من أراد الله به خيرا جعل غناه في نفسه وتقاه في قلبه واذا أراد الله بعبد شرا جعل فقره بين عينيه ثم أمر له بمثل ما أمر به لرجل من أصحابه ثم انهم بعد ذلك وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى في الموسم الا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعل الغلام الذى أتانى معكم قالوا يارسول الله ما رأينا مثله قط ولا حدثنا باقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس اقتسموا الدنيا ما نظر نحوها ولا التفت اليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله انى لارجو أن يموت جميعا فقال رجل منهم أوليس يموت الرجل جميعا قال صلى الله عليه وسلم تتشعب أهواؤه وهمومه في أودية الدنيا فلعل أجله أن يدركه في بعض تلك الاودية فلا يبالى الله عز وجل في أيها هلك قالوا فعاش ذلك الرجل فينا على أفضل حال وأزهده في الدنيا وأقنعه بما رزق فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع من رجع من أهل اليمن عن الاسلام قام في قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل الصديق رضى الله عنه يذكره ويسأل عنه حتى بلغه حاله وما قام به فكتب الى زياد بن الوليد يوصيه به خيرا وكان زياد واليا على حضرموت

(وفد بنى ثعلبة)

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من الجعرانة أربعة نفر من بنى ثعلبة مقرين بالاسلام فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج من بيته ورأسه يقطر ماء قال بعضهم فرمى ببصره الينا فاسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا وقلنا يارسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم ثم صلى بنا الظهر ثم انصرف الى بيته فلم يلبث ان خرج الينا فدعا بنا فقال كيف بلادكم فقلنا مخصبون فقال الحمد لله فاقمنا أياما وضيافته تجرى علينا ثم لما جاؤا يودعونه قال لبلال أجزهم فأعطى كل واحد منهم خمس أواقى فضة والاوقية أربعون درهما

(وفد بنى سعد هذيم من قضاعة)

عن النعمان رضى الله عنه قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافدا في نفر من قومى وقد أوطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاد أى جعلها موطوأة قهرا وغلبة واستولى عليها والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على جنازة في المسجد وهى سهيل بن بيضاء فقمنا خلفه ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقلنا حتى يصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبايعه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من بنى سعد هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هلا صليتم على أخيكم فقلنا يارسول الله ظننا أن ذلك لا يجوز لنا حتى نبايعك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أينما أسلمتم فانتم مسلمون قال فاسلمنا وبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ثم انصرفنا الى رحالنا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبنا فاتى بنا اليه فتقدم صاحبنا فبايعه على الاسلام فقلنا يارسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال أصغر القوم خادمهم بارك الله عليه قال النعمان فكان والله خيرنا وأقرأنا للقرآن لدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له ثم أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا فكان يؤمنا فلما أردنا الانصراف أمر بلالا فاجازنا باواق من فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام

(وفد بنى فزارة)

وفد عليه صلى الله عليه وسلم بضعة عشر رجلا من بنى فزارة فيهم خارجة بن حصن أخو عيينة بن حصن وابن أخيهما الحر بن قيس بن حصن وهو أصغرهم مقرين بالاسلام وهم مسنتون أى توالت عليهم السنون والجدب على ركائب عجاف أى هزال فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم فقال الرجل منهم أى

انكحتك احب أهل بيتى وفى رواية انكحتك أحب أهلى الى (وأخرج) البخارى ومسلم وغيرهما عن سهل بن سعد والبزار عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر لاعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يده يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فلما أصبح الناس غدوا كل يرجوان يعطاها فقال أين على بن أبى طالب فقيل يشتكى عينيه قال فارسلوا اليه فاتى به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعاله فبرأ حتى كان لم يكن به وجع واعطاه الراية وفتح الله على يديه قال على رضى الله عنه مارمدت منذ تفل النبى صلى الله عليه وسلم في عينى (وأخرج) ابن السماك عن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت أبا بكر يكثر النظر الى وجه على فقلت يا أبت رأيتك تكثر النظر

وهو خارجة يارسول الله أسنت بلادنا وهلكت مواشينا وأجدب جنابنا أى ماحولنا وجاعت عيالنا فادع لنا ربك يغيثنا واشفع لنا الى ربك فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر ورفع يديه حتى رئى بياض ابطيه ودعا وكان مما حفظ من دعائه اللهم أسق بلدك غيثا مغيثا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب ولا هدم ولا غرق ولا محق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء فقام أبو لبابة رضى الله عنه فقال يارسول الله ان التمر فى المربد ثلاث مرات فقال عليه السلام اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره قال فلا والله ما فى السماء من قزعة ولا سحاب وما بين المسجد وسلع من بناء ولا دار فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت السماء وقام أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره لئلا يخرج التمر منه فوالله ما رأوا الشمس سبعا ثم قام الرجل يعنى الذى سأله أن يستسقى لهم فقال يارسول الله هلكت الاموال وانقطعت السبل فصعد صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا ورفع يديه حتى رئى بياض ابطيه فقال اللهم حوالينا ولا علينا على الآكام والظراب وبطون الاودية ومنابت الشجر فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب * وفى السيرة الحلبية ان هذا المطر كان عاما للمدينة وما حولها الى محل هؤلاء الوفد وأن أحاديث الاستسقاء تعددت وتكررت فهذه القصة غير قصة الاعرابى الذى سأله السقيا وهو صلى الله عليه وسلم على المنبر وقد أشار صاحب الهمزية الى قصة حصول المطر بدعائه صلى الله عليه وسلم حيث يقول

ودعا للانام اذ دهمتهم * سنة من محولها شهباء * فاستهلت بالغيث سبعة أيا
م عليهم سحابة وطفاء * تتحرى مواضع الرعى والسقى وحيث العطاش توهى السقاء
وأتى الناس يشتكون أذاها * ورخاء يؤذى الانام غلاء * فدعا فانجلى الغمام فقل فى
وصف غيث اقلاعه استسقاء * ثم أثرى الثرى فقرت عيون * بقراها وأحييت احياء
فترى الارض غبه كسماء * أشرقت من نجومها الظلماء
تخجل الدر واليواقيت من نور رباها البيضاء والحمراء

وحديث الاعرابى رواه أنس بن مالك رضى الله عنه قال أصابت الناس سنة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبينما هو يخطب على المنبر يوم الجمعة اذ قام أعرابى فقال يارسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا أن يسقينا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وما فى السماء قزعة فثار السحاب أمثال الجبال ثم لم ينزل عن المنبر حتى رأينا المطر يتحادر على لحيته قال فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد ومن بعد الغد والذى يليه الى الجمعة الاخرى فقام ذلك الاعرابى أو غيره فقال يارسول الله تهدم البناء وغرق المال ادع الله لنا فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا قال فما جعل يشير بيده الى ناحية من السماء الا انفرجت حتى صارت المدينة فى مثل الجوبة حتى سال الوادى شهرا فلم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود أى المطر الكثير وجاء فى أحاديث أنه صلى الله عليه وسلم خرج مرة أخرى الى المصلى بعد أن وعد الناس يوما أن يخرج فيه ونصب له منبر واستسقى وأجيبت دعوته ونزل المطر وجاء اليه مرة أعرابى فقال يارسول الله أتيناك ومالنا بعير يئط ولا صغير يغط ثم أنشد أبياتا منها قوله

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فدعا فسقوا ثم قال لو كان أبو طالب حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقام على فقال يارسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال صلى الله عليه وسلم أجل وفى رواية لما جاءه المسلمون وقالوا يارسول الله قحط المطر ويبس الشجر وهلكت المواشى وأسنت الناس فاستسق لنا ربك فخرج صلى الله عليه وسلم والناس معه يمشون بالسكينة والوقار حتى أتوا المصلى فتقدم صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعتين يجهر فيهما بالقراءة وكان يقرأ فى العيدين

الى وجه على فقال يا بنية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول النظر الى وجه على عبادة وأخرج القزوينى وابن أبى الفرات عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى عد عمران بن حصين رضى عنهما فانه مريض فأتاه وعنده معاذ وأبو هريرة رضى الله عنهما فاقبل عمران يحد النظر الى على رضى الله عنه فقال له معاذ لم تحد النظر اليه فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول النظر الى وجه على عبادة فقال معاذ وانا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة وأنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأخرج) الملا فى سيرته عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مررت بسماء الا وأهلها يشتاقون الى على رضى الله عنه وما فى

والاستسقاء في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وسبح اسم ربك الاعلى وفي الركعة الثانية بالفاتحة وهل أتاك حديث الغاشية فلما قضى صلاته استقبل الناس بوجهه وقلب رداءه لكي ينقلب القحط الى الخصب ثم جثا على ركبتيه ورفع يديه وكبر تكبيره ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغيثا واسعا طبقا مغدقا عاما هنيئا مريعا مربعا وابلا شاملا مجللا دارا نافعا غير ضار عاجلا غير آجل اللهم غيثا تحيي به البلاد وتغيث به العباد وتجعله بلاغا للحاضر منا والباد اللهم أنزل في أرضنا زينتها وأنزل علينا سكينتها اللهم أنزل علينا من السماء ماء طهورا تحيي به بلدة الميت وتسقيه مما خلقت أنعاما وأناسي كثيرا فما برح واحتى أقبل قزع من السماء فالتأم بعضه الى بعض ثم أمطرت سبعة أيام بلياليهن لا يقلع عن المدينة فأتاه المسلمون وهو على المنبر فقالوا قد غرقت الارض وتهدمت البيوت وانقطعت السبل فادع الله يصرفه عنا فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تعجبا لسرعة ملالة ابن آدم ثم رفع يديه وقال اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على رؤس الظراب ومنبت الشجر وبطون الاودية وظهور الآكام فتقشعت عن المدينة ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا لقرت عيناه من الذي ينشدنا قوله فقام علي رضي الله عنه فقال يا رسول الله كأنك أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

فقال أجل فهذه الاحاديث كما ترى دلت على تعدد الاستسقاء وتكرره منه صلى الله عليه وسلم وفي كل مرة يسقون ففي ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم ثم أجاز صلى الله عليه وسلم بني فزارة بما يجيزبه الوفود ورجعوا الى قومهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد بني أسد)

وفد عليه صلى الله عليه وسلم جماعة من بني أسد فيهم حضرمي بن عامر فدخلوا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد مع أصحابه فسلموا عليه وقال شخص منهم يا رسول الله صلى الله عليك وسلم أنا نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأنك عبده ورسوله ثم أسلم الباقون وقالوا جئناك يا رسول الله ولم تبعث الينا بعثا ونحن على من وراءنا وفي رواية ان حضرمي بن عامر قال أتيناك نتدرع الليل البهيم في سنة شهباء أي ذات قحط ولم تبعث الينا وفي رواية يا رسول الله أسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلتك العرب فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وسألوه عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من العيافة وهي زجر الطير والكهانة وهي الاخبار عن الكائنات في المستقبل فنهاهم عن ذلك فقالوا يا رسول الله خصلة بقيت قال وما هي قالوا الخط أي خط الرمل ومعرفة ما يدل عليه فقال علمه نبي فمن صادف مثل علمه علم وفي رواية في مسلم فمن وافق خطه خطه فذاك أي مباح له فلا يباح الا بتيقن الموافقة وفي شرح مسلم أن يحصل مجموع كلام العلماء الاتفاق على النهي عنه أي لانه لا طريق لنا الى العلم اليقيني بالموافقة وكأنه صلى الله عليه وسلم قال لو علمتم موافقته لكن لا علم لكم بها وأقاموا أياما يتعلمون الفرائض ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعوه وأمر لهم بجوائز ثم انصرفوا الى أهليهم

(وفد بني عذرة)

قبيلة باليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا من بني عذرة وسلموا سلام الجاهلية أي من قولهم عم صباحا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من القوم فقال قائل منهم نحن من بني عذرة أخو قصي لامه نحن الذين عضدوا قصيا وأزاحوا خزاعة وبني بكر من بطن مكة فلنا قرابات وأرحام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بكم وأهلا ما أعرفني بكم أي اقبتم مكانا رحبا وأتيتم أهلا فاستأنسوا ولا تستوحشوا ثم قال فما منعكم من تحية الاسلام قالوا يا محمد كنا على ما كان عليه آباؤنا فقدمنا مرتادين لانفسنا ولقومنا ثم قالوا الام تدعو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدعو الى عبادة الله وحده لا شريك له وان تشهدوا أني رسول الله الى كافة الناس فقال متكلمهم فما وراء ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات تحسن طهورهن وتصليهن لمواقيتهن فانه أفضل العمل ثم ذكر لهم باقي الفرائض من الصيام والزكاة والحج فأسلموا وبشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بفتح الشام عليهم وهرب هرقل الى ممتنع بلاده

الجنة نبي الاوهو يشتاق الى علي رضي الله عنه (وروى) مسلم عن علي رضي الله عنه أنه قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة انه لعهد النبي صلى الله عليه وسلم الي لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني الا منافق (وروى) الترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن (وروى) الامام أحمد عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يستمسك بالقضيب الاحمر الذي غرسه الله في جنة عدن فليستمسك بحب علي بن ابي طالب رضي الله عنه (وروى) الملاعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب علي يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب وروى الامام أحمد عن فاطمة بنت رسول الله

ونهاهم عن سؤال الكهانة لانهم قالوا له يارسول الله ان فينا امرأة كاهنة وقريش والعرب يتحاكمون اليها أفنسألها عن أمور فقال لا تسألوها عن شيء ونهاهم عن الذبائح التي كانوا يذبحونها للاصنام وقالوا نحن أعوانك وأنصارك ثم انصرفوا وقد أجيزوا وكسا أحدهم بردا

(وفد بلىّ)

على وزن علي مكبرا وهم حي من قضاعة وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع من بلي منهم وهو شيخهم أبو الضبيب تصغير الضب الدابة المعروفة فنزلوا على رويفع بن ثابت البلوي فقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له هؤلاء قومي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مرحبا بك وبقومك فاسلموا وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات منكم على غير الاسلام فهو في النار وفي رواية عن رويفع قال قدم وفد قومي فانزلتهم علي ثم خرجت بهم حتى انتهينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في أصحابه فسلمنا عليه فقال رويفع فقلت لبيك قال من هؤلاء قلت قومي قال مرحبا بك وبقومك قلت يارسول الله قدموا وافدين عليك مقرين بالاسلام وهم على من وراءهم من قومهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يهده للاسلام فتقدم شيخ الوفد أبو الضبيب فجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله انا قدمنا عليك لنصدقك ونشهد أنك نبي حقا ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو في النار وقال أبو الضبيب يارسول الله ان لي رغبة في الضيافة فهل لي في ذلك أجر قال نعم وكل معروف صنعته الى غني أو فقير فهو صدقة قال يارسول الله ما وقت الضيافة قال ثلاثة أيام قال فما بعد ذلك قال فصدقة ولا يحل للضيف أن يقيم عندك فيحرجك أي يضيق عليه وفي لفظ فيؤثمك أي يعرضك للاثم بان تتكلم بسيء القول قال يارسول الله أرأيت الضالة من الغنم أجدها في الفلاة من الارض قال لك أو لاخيك أو للذئب قال فالبعير قال مالك وله دعه حتى يجده صاحبه قال رويفع ثم قاموا فرجعوا الى منزلي فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي منزلي يحمل تمرا فقال استعن بهذا التمر فكانوا يأكلون منه ومن غيره فاقاموا ثلاثة ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجازهم ورجعوا الى بلادهم

(وفد بني مرة)

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلا من بني مرة ورأسهم الحرث بن عوف فقال يارسول الله انا قومك وعشيرتك نحن قوم من بني لؤي بن غالب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له أين تركت أهلك قال بسلاح وما والاها قال فكيف البلاد قال والله انا لمسنتون وما في المال صوت يرده فادع الله لنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اسقهم الغيث فاقاموا أياما ثم أرادوا الانصراف الى بلادهم فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم مودعين له فامر بلالا أن يجيزهم فاجاز كل واحد بعشر أواق فضة وفضل الحرث ابن عوف فاعطاه اثنتي عشرة أوقية ورجعوا الى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا قومهم متى مطرتم فاذا هو ذلك اليوم الذي دعا لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخصبت بعد ذلك بلادهم

(وفد خولان)

وهي قبيلة من اليمن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من خولان فقالوا يارسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عز وجل مصدقون برسوله قد ضربنا اليك آباط الابل وركبنا حزون الارض وسهولها والحزون كفلوس جمع حزن وهو ما غلظ من الارض والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ما ذكرتم من مسيركم الي فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة وأما قولكم زائرين لك فان من زارني بالمدينة كان في جواري يوم القيامة ثم سألهم عن صنم لخولان اسمه عم أنس كانوا يعبدونه فقالوا ابشر أبدلنا الله ما جئت به وقد بقيت منا بقايا شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولو قدمنا عليه هدمناه ان شاء الله تعالى فقد كنا منه في غرور وفتنة فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السعيد حق السعيد من أحب عليا رضي الله تعالى عنه في حياته و بعد موته * وليس في هذه الاحاديث حجة للرافضة في زعمهم حب علي رضي الله عنه لان حبه مشروط بحب من أمر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وهم أصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم فمن ابغض واحدا منهم فكأنه ابغض الجميع (كتب) بعض الرافضة لبعض أهل السنة

نحن اناس قد غدا شأننا
حب علي بن أبي طالب
يعيبنا الناس على حبه
فلعنة الله على العائب

فاجابه السني بقوله

ماعيبكم هذا ولكنه
بغض الذي لقب بالصاحب
وكذبكم فيه وفي بنته
فلعنة الله على الكاذب

(وأخرج) ابن السمان عن الشعبي ان أبا بكر

ما أعظم ما رأيتم من فتنته قالوا لقد أصابتنا سنة مسنتة حتى أكلنا الرمة فجمعنا ما قدرنا عليه وابتعنا مائة ثور ونحرناه لذلك الصنم قربانا في غداة واحدة وتركناه فاكلتها السباع ونحن أحوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا ولقد رأينا العشب يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عم أنس وذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانوا يقسمون لهذا الصنم من أموالهم وأنعامهم وحرثهم فقالوا كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا آخر حجرا أي ناحية لله فاذا مالت الريح بالذي سميناه له أي لله جعلناه لعم أنس يعنون الصنم ولم نجعله لله فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أنزل عليه في ذلك وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وقالوا كنا نتحاكم اليه فيتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الشياطين تكلمكم وسألوه صلى الله عليه وسلم عن فرائض الدين فاخبرهم بها وأمرهم بالوفاء بالعهد وحسن الجوار لمن جاوروا وان لا يظلموا أحدا فان الظلم ظلمات يوم القيامة ثم ودعوه بعد أيام وأجازهم أي أعطى كل واحد اثنتي عشرة أوقية ونشا أي نصفا ورجعوا الى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا صنمهم المسمى عم أنس

(وفد بني محارب)

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة من بني محارب وفيهم خزيمة بن سواد وكانوا أغلظ العرب وأشدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام عرضه نفسه على القبائل في المواسم يدعوهم الى الله تعالى فجلسوا عنده يوما من الظهر الى العصر وأدام صلى الله عليه وسلم النظر لرجل منهم وقال له قد رأيتك يعني قبل هذا اليوم فقال له ذلك الرجل انك والله لقد رأيتني وكلمتك باقبح الكلام ورددتك باقبح الرد بعكاظ وأنت تطوف على الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال يا رسول الله ما كان في أصحابي أشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الاسلام مني فاحمد الله الذي جاءني حتى صدقت بك ولقد مات أولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه القلوب بيد الله عز وجل فقال يا رسول الله استغفر لي من مراجعتي اياك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام يجب ما قبله من الكفر ومسح رسول الله صلى الله عليه وسلم وجه خزيمة بن سواد فصارت له غرة بيضاء وأجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الى أهليهم

(وفد صداء)

وهم حي من عرب اليمن وفد عليه صلى الله عليه وسلم خمسة عشر رجلا من صداء وسبب ذلك انه صلى الله عليه وسلم هيأ بعثا أربعمائة من المسلمين واستعمل عليهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه ودفع له لواء أبيض وراية سوداء وأمره أن يطأ ناحية اليمن التي كان فيها صداء فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم وعلم بالجيش فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله جئتك وافدا عمن ورائي فاردد الجيش وأنا لك بقومي فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم قيس بن سعد وخرج الصدائي الى قومه ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم باولئك القوم فقال سعد بن عبادة يا رسول الله دعهم ينزلون علي فنزلوا عليه فاعطاهم وأكرمهم وكساهم ثم ذهب بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فبايعوه على الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا فرجعوا الى قومهم ففشا الاسلام فيهم فوافى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مائة في حجة الوداع ويسمى ذلك الرجل الذي كان سببا في رد الجيش ومجيء الوفد زياد بن الحرث الصدائي وقال له صلى الله عليه وسلم يا أخا صداء انك لمطاع في قومك قال فقلت بل من من الله عز وجل ومن رسوله وفي رواية بل الله هداهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أؤمرك عليهم فقلت بلى يا رسول الله فكتب لي بذلك فقلت يا رسول الله مر لي بشيء من صدقاتهم قال نعم فكتب لي كتابا آخر قال زياد وكنت معه صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وكنت رجلا قويا فلزمت غرزه أي ركابه وجعل أصحابه يتفرقون عنه فلما كان السحر قال أذن يا أخا صداء فاذنت على راحلتي ثم سرنا حتى نزلنا فذهب لحاجته ثم رجع فقال يا أخا صداء هل معك ماء قلت معي شيء في اداوتي أي وهي اناء من جلد صغير وفي رواية الا شيء قليل لا يكفيك قال هاته فجئته به

الصديق رضي الله عنه نظر الى علي بن أبي طالب فقال من سره ان ينظر الى أقرب الناس قرابة من نبيه وأعظمهم عنه غناء وأعظمهم عنده منزلة فلينظر الى هذا وأشار الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى الامام أحمد ان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لما حضرته الوفاة قال اللهم اني اتقرب اليك بحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وروى ابن السمان عن قيس بن حازم قال التقى أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما فتبسم أبو بكر في وجه علي فقال مالك تبسمت فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجوز أحد على الصراط الا من كتب له علي الجواز وتقدم في خلافة أبي بكر رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه

قال صب فصببت ما في الاداوة في القعب أي وهو القدح الكبير وجعل أصحابه يتلاحقون ثم وضع كفه على
الاناء فرأيت من بين كل أصبعين عيناً تفور ثم قال يا أخا صداء لولا أني أستحي من ربي عز وجل لسقينا
وأسقينا أي من غير نهاية ثم توضأ وقال أذن في أصحابي من كانت له حاجة بالوضوء بفتح الواو فليرد قال فورد
الناس من آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم
قال فقمت ثم تقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بنا فلما سلم من صلاته قام رجل يشكو من عامله فقال
يا رسول الله انه آخذنا بكل شئ كان بيننا وبينه في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير في الامارة
لرجل مسلم ثم قام رجل آخر فقال يا رسول الله أعطني من الصدقة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
لم يكل قسمها الى ملك مقرب ولا نبي مرسل جزأها على ثمانية أجزاء فان كنت جزأ منها أعطيتك وان كنت غنيا
عنها فانما هو صداع في الرأس وداء في البطن ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دلني على رجل من قومك
أستعمله فدللته على رجل منهم فاستعمله قلت يا رسول الله ان لنا بئرا اذا كان الشتاء كفانا ماؤها وان كان
الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه والاسلام اليوم فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عز وجل لنا في بئرنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ناولني سبع حصيات فناولته فعركهن بيده الشريفة ثم دفعهن الي وقال اذا
انتهيت اليها فالق فيها حصاة حصاة وسم الله قال ففعلت فما أدركنا لها قعرا حتى الساعة

(وفد غسان)

اسم ماء نزل عليه قوم من الازد فنسبوا اليه ومنهم بنو حنيفة وقيل غسان قبيلة وفد على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثة نفر من غسان فأسلموا وقالوا لا ندري هل يتبعنا قومنا أم لا لانهم يحبون بقاء ملكهم وقربهم
من قيصر فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجوائز وانصرفوا راجعين الى قومهم فلما قدموا عليهم
ولم يستجيبوا لهم كتموا اسلامهم *(وفد سلامان)*

بفتح السين وتخفيف اللام وفي العرب بطون ثلاثة ينسبون اليه بطن من الازد وبطن من طيء وبطن من
قضاعة ومنهم هؤلاء وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من سلامان فيهم حبيب بن عمرو السلاماني
فأسلموا قال حبيب رضي الله عنه صادفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا من المسجد الى جنازة دعي اليها
فقلنا السلام عليك يا رسول الله فقال وعليكم من أنتم قلنا نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك على الاسلام
ونحن على من وراءنا من قومنا فالتفت الى ثوبان غلامه فقال أنزل هؤلاء قال حبيب قلت يا رسول الله ما أفضل
الاعمال قال الصلاة في وقتها وصلوا معه يومئذ الظهر والعصر ثم شكوا له جدب بلادهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده اللهم اسقهم الغيث في دارهم فقلت يا رسول الله ارفع يديك فانه أكثر وأطيب فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ثم قام وقمنا معه وأقمنا ثلاثة أيام وضيافته
تجري علينا ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فأعطانا لكل واحد منا خمس أواق فضة واعتذر الينا بلال رضي الله
عنه وقال ليس عندنا اليوم مال فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رحلنا الى بلادنا فوجدناها قد مطرت في اليوم
الذي دعا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وفد بني عبس) وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من بني عبس فقالوا يا رسول الله قدم
علينا قراؤنا فأخبرونا انه لا اسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواش هي معاشنا فان كان لا اسلام لمن لا هجرة
له بعناها وهاجرنا عن آخرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم أي
ينقصكم من أعمالكم شيأ وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان هل له عقب فأخبروه
بانه لا عقب له كانت له ابنة فانقرضت وأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن خالد بن
سنان وقال انه نبي ضيعه قومه لكن ورد ليس بيني وبين عيسى نبي ويمكن الجمع بان معنى هذا ليس بيني
وبينه نبي مرسل فلا ينافي ان خالدا نبي غير مرسل *(وفد مزينة)*

وهي قبيلة تنسب الى مزينة امرأة عمرو بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر روى البيهقي عن النعمان بن مقرن

وابغض من بغضه وانصر من
نصره واخذل من خذله
وأدر الحق معه حيث دار
وتقدم ان المراد بالولاء
الاتباع والقرب والمحبة
وهذا المعنى فهمه أبو بكر
وعمر رضي الله عنهما حيث
قالا لما سمعا ذلك أمسيت
مولى كل مؤمن ومؤمنة
يا ابن أبي طالب ولما قيل
لعمر انك تصنع بعلي شيأ
يعني من التعظيم ما لا تصنعه
بأحد من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال
انه مولاي فلا متمسك فيه
للرافضة بان الحديث يدل
على انه أوصى له بالخلافة
وكذا لا دلالة في قوله وأدر
الحق معه حيث دار فانه
قد قال صلى الله عليه وسلم
مثل ذلك في عمر رضي الله
عنه حيث قال عمر معي وأنا
مع عمر والحق بعدي مع عمر
حيث كان فكل منهما
متصف بان الحق يكون
معه حيث كان وكذلك
تقدم قوله صلى الله عليه
وسلم لعلي رضي الله عنه

المزني رضي الله عنه قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة رجل وفي رواية غير النعمان انهم رجلا من جهينة فلما أردنا أن ننصرف قال القوم يارسول الله مالنا من طعام نتزوده فقال ياعمر زود القوم قال ماعندي ما أزودهم به الا شيء من تمر ما أظنه يقع من القوم موقعا قال انطلق فزودهم فانطلق بهم فادخلهم منزله ثم أصعدهم الى علية قال عمر رضي الله عنه فلما دخلنا اذا فيها من التمر مثل الجمل الاورق فاخذ القوم منه حاجتهم قال النعمان وكنت في آخر من خرج فنظرت وما أفقد موضع تمرة من مكانها وفي هذا معجزة له صلى الله عليه وسلم فان التمر كان قليلا فزاد القليل حتى أخذوا منه كفايتهم واستمر على زيادته وفي رواية وقد احتمل منه أربعمائة وكأنا لم نرزأه أي ننقصه

(وفد الاشعريين)

قوم أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وهم منسوبون الى أشعر بن أدد وفدوا عليه صلى الله عليه وسلم قيل وكان معهم بعض أهل اليمن من حمير بن سبأ وفيهم اياس بن عمرو الحميري فقالوا يارسول الله أتيناك لنتفقه في الدين والمحققون على أن قدوم الاشعريين كان مع أبي موسى سنة سبع عند فتح خيبر وقدوم حمير كان في سنة تسع وهي سنة الوفود ولذا اجتمعوا مع بني تميم روى يزيد بن هرون عن حميد عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقدم عليكم قوم هم أرق منكم قلوبا فقدم الاشعريون فجعلوا يرتجزون قائلين غدا نلقى الاحبه * محمدا وحزبه * وروى الامام أحمد عن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أتاكم أهل اليمن كأنهم السحاب وهم خيار من في الارض فقال رجل من الانصار الا نحن فسكت صلى الله عليه وسلم ثم قال الا نحن فسكت ثم قال الا نحن يارسول الله قال الا أنتم ولمالة وارسول الله صلى الله عليه وسلم أسلموا وبايعوا فقال صلى الله عليه وسلم الاشعريون كصرة فيها مسك وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جاء أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية والسكينة في أهل الغنم والفخر والخيلاء في الفدادين بالتشديد جمع فداد وهو من يعلو صوته وهم المكثرون من الابل أهل الوبر قبل مطالع الشمس وقوله الايمان يمان أي منسوب لاهل اليمن لان صفاء القلب ورقته ولين جوهره تؤدي الى عرفان الحق والتصديق به وهو الايمان والانقياد وقال أبو عبيدة وغيره معناه نبدأ الايمان من مكة لان مكة من تهامة وتهامة من اليمن وقيل مكة والمدينة اصدور هذا الكلام من النبي صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك فتكون المدينة حينئذ بالنسبة الى المحل الذي هو فيه يمانية وقيل المراد الانصار لانهم يمنيون في الاصل فنسب الايمان اليهم لكونهم أنصاره وقيل غير ذلك ومعنى الحديث وصف الذين جاؤا بقوة الايمان وكماله ولا مفهوم له فلا يدل على ان المخاطبين من الصحابة ليسوا كذلك ثم المراد الموجودون حينئذ منهم لا كل أهل اليمن في كل زمان والحديث يشمل من ينسب الى اليمن بالسكنى وبالقبيلة فغالب من يوجد في جهة اليمن رقاق القلوب والابدان بخلاف أهل الشمال فانهم غلاظ القلوب والابدان وفي البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنهما وعن أبيه ما ان نفرا من بني تميم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشروا يابني تميم فقالوا بشرتنا فاعطنا فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء نفر من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى اذلم يقبلها بنو تميم قالوا قد قبلنا يارسول الله جئنا لنتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الامر فقال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وروى البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة اذ قال الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن نقية قلوبهم حسنة طاعتهم الايمان يمان والحكمة يمانية وروى الطبراني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعيينة بن حصن أي الرجال خير قال أهل نجد قال كذبت بل هم أهل اليمن الايمان يمان الحديث والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد دوس) وهم قوم أبي هريرة رضي الله عنه ينتهي نسبهم الى الازد وكان قدومهم بخيبر سنة سبع

أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما خرج الى تبوك خلف عليا رضي الله عنه بالمدينة فلما نزل رسول الله صلى الله عليه الجرف طعن رجال من المنافقين في أمر علي رضي الله عنه وقالوا انما خلفه استثقالا فخرج علي رضي الله عنه فحمل سلاحه حتى أتى الجرف فقال يارسول الله ماتخلفت عنك في غزوة قط قبل هذه وقد زعم المنافقون انك خلفتني استثقالا فقال كذبوا ولكن خلفتك لما ورائي فارجع فاخلفني في أهلي أفلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى الا أنه لانبي بعدي وتقدم الكلام على ذلك مستوفى وانه لاتمسك للرافضة فيه على انه أوصى له بالخلافة (وأخرج) الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين أصحابه فجاء علي

قال ابن اسحق كان الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها قبل الهجرة فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا كثير الضيافة فقالوا له انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا فرق جماعتنا وشتت آراءنا وانما قوله كالسحر يفرق بين المرء وابنه وبين المرء وأخيه وبين الرجل وزوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا من الكلام فلا تكلمه ولا تسمع منه قال فوالله مازالوا بي حتى عزمت أن لا أسمع منه شيأ ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت اليه كرسفا أي قطنا فرقا من أن يبلغني شيء فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي عند الكعبة فقدمت قريبا منه فأبى الله الا أن يسمعني بعض قوله فسمعت كلاما حسنا فقلت واثكل أمي والله اني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح فما يمنعني ان أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان ما يقول حسنا قبلت وان كان قبيحا تركت قال فمكثت حتى أتى عليه الصلاة والسلام الى بيته فتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد ان قومك قد قالوا لي كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفوني أمرك حتى سددت أذني بكرسف لاجل أن لا أسمع قولك ثم أبى الله الا أن يسمعنيه فسمعت قولا حسنا فرد الله كيدهم في نحورهم وقلب مكرهم عليهم فاعرض علي أمرك فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا علي القرآن قال فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يا رسول الله اني امرؤ مطاع في قومي واني راجع اليهم فداعيهم الى الاسلام فادع الله ان يجعل لي آية فقال اللهم اجعل له آية وفي رواية اللهم اجعل له نورا قال الطفيل فخرجت الى قومي حتى اذا كنت بثنية تطلعني على الحاضر وقع نور بين عيني مثل المصباح فقلت اللهم في غير وجهي اني أخشى ان يقولوا انها مثلة وقعت في وجهي لفراق دينهم فوقع في رأس سوطي فكان يضيء كالقنديل في الليلة المظلمة فكان الطفيل يسمى ذا النور فرأى قومه ذلك النور وهو مقبل عليهم قال فلما أصبحت فيهم جاءني أبي وكان شيخا كبيرا فقلت اليك عني يا أبت فلست مني ولست منك قال ولم يا بني قلت أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قال يا بني فديني دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال أعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم ثم أتتني صاحبتي يعني زوجته فقلت اليك عني فلست مني ولست منك قالت ولم قلت فرق الاسلام بيني وبينك أسلمت وتابعت محمدا قالت فديني دينك ثم أمرها فذهبت فاغتسلت وجاءت فعرض عليها الاسلام فاسلمت ثم دعا دوسا الى الاسلام فاجابه أبو هريرة رضي الله عنه وأبطأ الباقون قال فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقلت يا رسول الله قد غلبني على دوس الزنا فحبهم له وعلمهم بانهم ان أسلموا منعوا منه فادع الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اهد دوسا وائت بهم ثم قال ارجع الى قومك فادعهم الى الله وارفق بهم فرجعت اليهم فلم أزل بارض دوس ادعوهم الى الله حتى هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر فنزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا وكانوا في العدد أربعمائة ثم لحقنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال مرحبا باحسن الناس وجوها وأطيبهم افواها أي كلاما وأعظمهم أمانة وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قدمنا المدينة ونحن ثمانون بيتا من دوس فصلينا الصبح خلف سباع بن عرفطة الغفاري فقرأ في الركعة الاولى بسورة مريم وفي الاخيرة بويل للمطففين فلما قرأ واذا اكتالوا على الناس يستوفون قلت تركت عمي له مكيالان اذا اكتال بالاوفى واذا كال بالناقص فلما فرغنا من صلاتنا قال قائل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وهو قادم عليكم فقلت لا أسمع به في مكان أبدا الا جئته فزودنا سباع وجئنا خيبر فنجده قد فتح النطاة وهو محاصر الكتيبة فأقمنا حتى فتح الله علينا فاسهم لنا مع المسلمين وروى ان الطفيل بن عمرو رضي الله عنه قال لم أزل مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا فتح الله عليه مكة قلت يا رسول الله ابعثني الى صنم عمرو بن حممة يعني صنم دوس حتى أحرقه فبعثه فهدمه ثم أوقد النار عليه وهو يقول

رضي الله عنه تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت أخي في الدنيا والآخرة وتقدم في فضائل أبي بكر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر مني وأنا منه وأبو بكر أخي في الدنيا والآخرة فيظهر بذلك أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك لكل من أبي بكر وعلي رضي الله عنهما (وأخرج) الطبراني عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس من شجر شتى وأنا وعلي من شجرة واحدة (وأخرج) الطبراني عن جابر والخطيب عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله جعل ذرية كل نبي في صلبه وجعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب (وأخرج) الطبراني عن ابن مسعود

يا ذا الكلمين است من مبادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا * انى حشوت النار فى فؤادكا ثم رجع فكان مع المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى قبض فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين حتى فرغوا من قتال أهل الردة من أهل اليمامة وغيرهم وكان وهو متوجه الى اليمامة ومعه ابنه عمرو رأى رؤيا فقال لاصحابه انى رأيت رؤيا فاعبروها انى رأيت ان رأسى قد حلق وانه خرج من فمى طائر ولقيتنى امرأة فادخلتنى فى فرجها وان ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عنى قالوا خيرا قال أما أنا والله فقد أولتها قالوا ماذا قال أما حلق رأسى فوضعه وأما الطائر الذى خرج من فمى فروحى وأما المرأة التى أدخلتنى فى فرجها فالارض تحفر لى فاغيب فيها وأما طلب ابنى اياى ثم حبسه عنى فانى أراه سيجهد أن يصيبه ما أصابنى فاستشهد الطفيل باليمامة وجرح ابنه جراحة شديدة ثم شفى منها ثم استشهد عام اليرموك زمن عمر رضى الله عنه وقال بعض أهل المغازى ان الطفيل استشهد باليرموك وجزم به ابن حبان وقال موسى بن عقبة انه استشهد باجنادين (وأخرج) البغوى عن الطفيل بن عمرو الدوسى رضى الله عنه قال اقرأنى أبى بن كعب القرآن فاهديت له قوسا والله سبحانه وتعالى أعلم

(وفد طارق بن عبد الله المحاربى رضى الله عنه)

روى البيهقى عن جامع بن شداد المحاربى قال حدثنى رجل يقال له طارق بن عبد الله المحاربى قال انى لقائم بسوق ذى المجاز وكان على فرسخ من عرفة بناحية كبكب اذ أقبل رجل فسمعته وهو يقول يا أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا ورجل يتبعه يرميه بالحجارة وقد أدمى كعبيه يقول يا أيها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا قالوا غلام من بنى هاشم يزعم انه رسول الله قلت من هذا الذى يفعل به هذا الاذى قالوا عمه عبد العزى أبو لهب قال فلما أسلم الناس وهاجر وا خرجنا من الربذة وهى موضع معروف به قبر أبى ذر رضى الله عنه نريد المدينة نمتار من تمرها فلما دنونا من حيطانها ونخلها قلنا لو نزلنا فلبسنا ثيابا غير هذه فاذا رجل فى طمرين له فسلم وقال من أين أقبل القوم قلنا من الربذة قال وأين تريدون قلنا نريد المدينة قال ما حاجتكم فيها قلنا نمتار من تمرها قال طارق بن عبد الله ومعنا ظعينة لنا ومعنا جمل أحمر مخطوم فقال أتبيعونى جملكم هذا قلنا نعم بكذا وكذا صاعا من تمر فاخذ بخطام الجمل فانطلق به فلما توارى عنا بحيطان المدينة ونخلها قلنا ما صنعنا والله ما بعنا جملنا ممن نعرف ولا أخذنا له ثمنا فمرضنا للضياع قال طارق فقالت المرأة التى معنا والله لقد رأيت رجلا كأن وجهه قطعة القمر ليلة البدر أنا ضامنة لثمن جملكم وفى رواية قالت الظعينة فلا تلاوموا أى لا يلم بعضكم بعضا لقد رأيت وجه رجل لا يغدر بكم ما رأيت شيأ أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه فلما كان العشى أتانا رجل فقال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم هذا تمركم الذى بعتم به جملكم فكلوا واشبعوا واكتالوا واستوفوا أى فلا تسامحوا فى الكيل فى مقابلة أكلكم قال فاكلنا حتى شبعنا واكتلنا واستوفينا ثم دخلنا المدينة فلما دخلنا المسجد اذا هو قائم على المنبر يخطب الناس فادركنا من خطبته وهو يقول تصدقوا فان الصدقة خير لكم اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك فادناك فقام رجل من الانصار فقال يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع قتلوا فلانا فى الجاهلية فخذ لنا بثارنا فرفع صلى الله عليه وسلم يده حتى رأيت بياض ابطه فقال لا تجنى أم على ولد مرتين وأسلم القوم على يديه صلى الله عليه وسلم ثم رجعوا الى أهلهم والله أعلم

(وفد بهراء) بالمد قبيلة من قضاعة روى الواقدى عن كريمة بنت المقداد قالت سمعت أمى ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول قدم وفد بهراء من اليمن وكانوا ثلاثة عشر رجلا فاقبلوا يقودون رواحلهم فلما انتهوا الى باب المقداد ونحن فى منازل الانصار خرج اليهم المقداد فرحب بهم وقدم لهم جفنة من حيس وهو تمر يعجن بسمن وأقط فاكلوا منها حتى نهلوا وردت القصعة وفيها شئ فجمع فى قصعة صغيرة فارسل بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سدرة مولاة ضباعة وهو فى بيت أم سلمة رضى الله عنها فاصاب منها هو ومن معه فى البيت حتى نهلوا ثم قال اذهبى بما بقى الى ضيفكم فرجعت بها فاكل منها الضيف ما أقاموا أى مدة

رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله أمرنى أن أزوج فاطمة من على بن أبى طالب وقال يا فاطمة زوجتك سيدا فى الدنيا وسيدا فى الآخرة وقال لها اللهم انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وقال لعلى اللهم انى أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم (وأخرج) الحاكم عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال على امام البررة وقاتل الفجرة مخذول من خذله منصور من نصره (وأخرج) الخطيب عن البراء بن عازب رضى الله عنهما والديلمى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال على منى بمنزلة رأسى من بدنى (وأخرج) الامام أحمد عن فاطمة رضى الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فقال ان

أقاموا بين أظهرهم يرددون ذلك عليهم وما تنقص جفنة حتى الساعة ولون الثريد أبا معبد انك لتنهلنا من أحب الطعام الينا وما كنا نقدر على مثل هذا الا في الحين فاخبرهم أبو معبد بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه أكل منها وردها فان هذه بركة أصابعه عليه الصلاة والسلام فجعل القوم يقولون نشهد انه رسول الله وازدادوا يقينا وذلك الذى أراده صلى الله عليه وسلم فاظهروا الاسلام ونطقوا بالشهادتين وتعلموا الفرائض وأقاموا أياما ثم ودعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر لهم بجوائز وانصرفوا الى أهاليهم باليمن

(وفد غامد) قبيلة من الازد باليمن قدم عليه صلى الله عليه وسلم سنة عشر عشرة من غامد فنزلوا في بقيع الغرقد وهيه يومئذ أثل وطرفاء ثم انطلقوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وخلفوا أصغرهم في رحالهم فاقروا بالاسلام وسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكتب لهم كتابا فيه شرائع الاسلام وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم من خلفتم في رحالكم قالوا أحدثنا سنا قال فانه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت فاخذ عيبة أحدكم فقال أحدهم مالاحد عيبة غيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذت وردت الى موضعها فخرجوا حتى أتوا رحالهم فسألوا الذى خلفوه فقال فزعت من نومي ففقدت العيبة فقمت في طلبها فاذا رجل كان قاعدا فثار يعدو ومنى فانتهيت الى حيث ينتهي فاذا أثر حفر واذا هو قد غيب العيبة فاستخرجتها فقالوا نشهد انه رسول الله فانه قد أخبرنا خبرها وانها قد ردت فرجعوا وأخبروه صلى الله عليه وسلم وجاء الغلام الذى خلفوه فاسلم وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب أن يعلمهم قرآنا ثم أجازهم كما يجيز الوفود وانصرفوا الى بلادهم

(وفد الازد) قدم عليه صلى الله عليه وسلم قوم من الازد ينسبون الى جدهم الاعلى وهو الازد بن الغوث ابن نبت بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان روى أبو نعيم عن سويد بن الحرث الازدى رضى الله عنه قال وفدت سابع سبعة من قومي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال ما أنتم أي ما صفتكم قلنا مؤمنون فتبسم عليه الصلاة والسلام وقال ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم قلنا خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها الا أن تكره شيأ منها فنتركه فقال صلى الله عليه وسلم ما الخمس التى أمرتكم بها رسلى أن تؤمنوا بها قلنا أمرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال وما الخمس التى أمرتكم رسلى أن تعملوا بها قلنا أمرتنا أن نقول لا اله الا الله أي مع محمد رسول الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت ان استطعنا اليه سبيلا قال وما خمس التى تخلقتم بها في الجاهلية قلنا الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء والرضا بمر القضاء والصدق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالاعداء فقال صلى الله عليه وسلم حكماء علماء أي هم حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء ثم قال وأنا أزيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون أي متصفين بالخمس عشرة التى ذكرتم فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا في شئ أنتم عنه غدا زائلون واتقوا الله الذى اليه ترجعون وعليه تعرضون وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلدون فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام وعملوا بها توفيقا من الله تعالى ببركته صلى الله عليه وسلم

(وفد بنى المنتفق) وهى قبيلة من عامر بن صعصعة قدم عليه صلى الله عليه وسلم جماعة من بنى المنتفق وفيهم لقيط بن عامر بن صبرة بن عبد الله بن المنتفق قال فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة أي الصبح فقام في الناس خطيبا فلما فرغ قلت يارسول الله علام نبايعك فبسط صلى الله عليه وسلم يده وقال على اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن لا تشركوا بالله شيأ قال قلت يارسول الله وأن لنا ما بين المشرق والمغرب فقال تحل منها حيث شئت ولا يجنى عليك الا نفسك فلما انصرفنا عنه قال انهم من أتقى الناس لله في الدنيا والآخرة فقال له بعض أصحابه من هم يارسول الله قال بنو المنتفق قالها ثلاثا

(وفد النخع) بفتح النون والخاء المعجمة قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود وكان وفودهم سنة احدى عشرة في النصف من المحرم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتا رجل من النخع مقرين بالاسلام وقد كانوا

بايعوا

الله باهى بكم وغفر لكم عامة ولعلى خاصة (وأخرج) الحافظ السلفى وابن السماك عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم لسمعته وهو يقول لو أن السموات السبع والارضين السبع وضعت في كفة ووضع ايمان على في كفة لرجح ايمان على رضى الله عنه وأخرج مسلم انه لما نزل قوله تعالى فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم وقال اللهم هؤلاء أهلى (وأخرج) الترمذى وغيره عن أم سلمة رضى الله عنها أنه لما نزل قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليا وحسنا وحسينا

بايعوا معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال رجل منهم يقال له زرارة بن عمرو يارسول الله انى رأيت فى سفرى هذا عجبا وفى رواية رأيت رؤيا هالتنى قال ومارأيت قال رأيت أتانا تركتها فى الحى ولدت جديا أى وهو ولد المعز أسفع أحوى والاسفع الذى سواده مشرب بحمرة والاحوى الذى ليس شديد السواد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تركت لك أمة مصرة على حمل قال نعم قال فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك فقال يارسول الله فماله أسفع أحوى قال أدن منى فدنا منه فقال هل بك برص تكتمه قال فوالذى بعثك بالحق ماعلم به أحد ولا اطلع عليه غيرك قال هو ذاك قال يارسول الله ورأيت النعمان بن المنذر أى وهو ملك العرب وعليه قرطان والقرط مايكون فى شحمة الاذن ودملجان بضم الدال المهملة وضم اللام وفتحها ومسكتان بفتح الميم والسين المهملة قال ذلك ملك العرب رجع الى أحسن زيه وبهجته قال يارسول الله ورأيت عجوزا شمطاء أى يخالط شعر رأسها الابيض شعر أسود خرجت من الارض قال تلك بقية الدنيا قال ورأيت نارا خرجت من الارض فحالت بينى وبين ابن لى يقال له عمرو وهى تقول لظى لظى بصير وأعمى أطعمونى آكلكم وأهلكم ومالكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك فتنة تكون فى آخر الزمان قال يارسول الله وما الفتنة قال يقتل الناس امامهم ويشتجرون اشتجار أطباق الرأس أى يشتبكون فى الفتنة اشتباك أطباق الرأس وخالف رسول الله بين أصابعه يحسب المسىء فيها انه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن أسهل وفى رواية أحلى من شرب الماء وان مات ابنك أدركت الفتنة وان مت أنت أدركها ابنك قال يارسول الله ادع الله انى لا أدركها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تدركها اياه فمات وبقى ابنه عمرو ولم يجتمع به صلى الله عليه وسلم فهو تابعى وكان ممن خلع عثمان رضي الله عنه وفى رواية أن النخع بعثوا رجلين أرطاة بن شرحبيل من بنى حارثة والارقم من بنى بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامهم فلما قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الاسلام فقبلاه فبايعاه على قومهما وأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنهما وحسن هيئتهما وقال لهما خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما قالا يارسول الله قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلا كلهم أفضل منا وكلهم يقطع الامر وينفذ من الاشياء مايشاء فدعا لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقومهما بالخير وقال اللهم بارك فى النخع وعقد لارطاة لواء على قومه فكان فى يده يوم الفتح وشهد به القادسية وقتل يومئذ لكن قوله وكان فى يده يوم الفتح لا يناسب ما تقدم ان وفد النخع كان قدومه فى المحرم سنة احدى عشرة الا أن يقال ان هذين وفدا قبل وفود النخع والله سبحانه وتعالى أعلم

(باب بيان كتبه صلى الله عليه وسلم التى أرسلها الى الملوك يدعوهم فيها الى الاسلام)

أى فى الغالب والافنها ماليس كذلك ولما أراد صلى الله عليه وسلم أن يكتب للملوك قيل له يارسول الله انهم لا يقرؤن كتابا الا اذا كان مختوما أى ليكون فى ذلك اشعار بان الاحوال المعروضة عليهم ينبغى أن تكون مما لا يطلع عليها غيرهم وفيه ان هذا واضح اذا كان الختم عليها بعد طيها أو يجعل عليها نحو شمع ويختم فوق ذلك والظاهر أن ذلك لم يكن وحينئذ يكون الغرض من ذلك أمن التزوير لبعده مع الختم فاتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما من فضة أى بعد أن اتخذ خاتما من ذهب فاقتدى به ذوو اليسار من أصحابه فصنعوا خواتيم من ذهب ولما لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لبس أصحابه خواتيمهم فاخبره جبريل عليه السلام من الغد بان لبس الذهب حرام على ذكور أمتك فطرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الخاتم فطرح أصحابه خواتيمهم وكان نقش خاتمه الفضة ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر والاسطر الثلاثة تقرأ من أسفل الى فوق فمحمد آخر الاسطر ورسول فى الوسط والله فوق وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الاستواء اذا ختم بها فكان ذلك الخاتم فى يده صلى الله عليه وسلم ثم فى يد أبى بكر ثم فى يد عمر ثم فى يد عثمان رضي الله عنهم حتى وقع فى بئر أريس فى السنة التى توفى فيها عثمان رضي الله عنه فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه واختلفت الروايات فى موضع الخاتم من يده صلى الله عليه وسلم فقيل فى خنصر اليسار وهو المروى عن عامة الصحابة وقيل فى خنصر اليمين وهو المروى عن طائفة منهم ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم وجمع البغوى بان النبى صلى

وجللهم كساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (وكان) على رضي الله عنه يلبس لباس الشتاء فى الصيف ولباس الصيف فى الشتاء ولا يجد حرا ولا بردا (أخرج) الامام أحمد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال كان أبى يسمر مع على رضي الله عنه وكان على يلبس ثياب الصيف فى الشتاء وثياب الشتاء فى الصيف فقيل له لو سألته فسأله فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الىّ وأنا أرمد العين فقلت يارسول الله انى أرمد العين فتفل فى عينى فقال اللهم أذهب عنها الحر والبرد فما وجدت حرا ولا بردا منذ يومئذ وقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله أو يحبه الله ورسوله فتشوف لها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطانيها (وأخرج) الطبرانى عن أبى سعيد

الله عليه وسلم فعل كلا من الامرين تختم في يمينه وفي يساره لكن قال الختم في اليسار كان آخر الامرين وروى أشعب الطامع عن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يختم في اليمين قال الامام النووي التختم في اليمين أو اليسار كلاهما صح نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم لكنه في اليمين أفضل لانه زينة واليمين به أولى ونقل ابن أبي حاتم عن أبي زرعة أنه صلى الله عليه وسلم كان في يمينه أكثر منه في يساره وكان يجعل فصه مما يلي كفه وعند عزمه صلى الله عليه وسلم على ارسال الكتب وتكلمه مع أصحابه في ذلك خرج على أصحابه يوما فقال أيها الناس ان الله بعثني رحمة وكافة فادوا عني يرحمكم الله ولا تختلفوا علي كما اختلفت الحواريون على عيسى بن مريم فقال أصحابه وكيف اختلفت الحواريون على عيسى يا رسول الله قال دعاهم لمثل ما دعوتكم له فاما من بعثه مبعثا قريبا فرضي وسلم وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وأبى فشكا ذلك عيسى الى ربه فاصبحوا وكل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى قيصر)

المدعو هرقل وهو ملك الروم وقيصر معناه البقير لانه بقر أي شق عنه لان أم قيصر ماتت في المخاض فشق عنه وأخرج فسمي قيصر وكان يفتخر بذلك ويقول لم أخرج من فرج ثم صار قيصر اسما لكل من ملك الروم وكان ارسال الكتاب لقيصر سنة ست من الهجرة بعد رجوعه صلى الله عليه وسلم من الحديبية وكان وصوله اليه في المحرم سنة سبع وكان ارساله مع دحية الكلبي رضي الله عنه وأمره صلى الله عليه وسلم أن يدفع الكتاب الى قيصر وكان صلى الله عليه وسلم قال قبل ذلك من ينطلق بكتابي هذا قيصر الى هرقل وله الجنة فقال دحية أنا يا رسول الله فاعطاه ذلك الكتاب وقيل انه صلى الله عليه وسلم أمر دحية رضي الله عنه أن يدفعه الى عظيم بصرى وهو الحرث ملك غسان ليدفعه الى قيصر فلما انتهى دحية الى الحرث أرسل معه عدي بن حاتم رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك ليوصله الى قيصر فذهب به اليه فقال قومه لدحية اذا رأيت الملك فاسجد له ثم لا ترفع رأسك أبدا حتى يأذن لك قال دحية رضي الله عنه لا أفعل هذا أبدا ولا أسجد لغير الله تعالى قالوا اذا لا يؤخذ كتابك فقال له رجل منهم أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له فقال دحية وما هو فقال ان له على كل عتبة منبرا يجلس عليه فدع صحيفتك تجاه المنبر فان أحدا لا يحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها ففعل فلما أخذ قيصر الكتاب وجد عليه عنوان كتاب العرب فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية ثم قال انظروا لنا من قومه أحدا نسأله عنه وكان أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه بالشام قبل اسلامه أي كان بغزة مع رجال من قريش في تجارة لهم زمن هدنة الحديبية وكان أول الهدنة في ذي القعدة سنة ست وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب لقيصر من تبوك في السنة التاسعة وجمع بينهما بانه كتب لقيصر مرتين قال أبو سفيان فاتانا رسول قيصر وهو والي شرطته فانطلق بنا حتى قدمنا عليه في بيت المقدس فاذا هو جالس وعليه التاج وعظماء الروم حوله فقال لترجمانه أيهم أقرب نسبا لهذا الذي يزعم أنه نبي وفي رواية لهذا الرجل الذي خرج بارض العرب يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان أنا أقربهم نسبا أي لانه لم يكن في الركب يومئذ من بني عبد مناف غيره وعبد مناف هو الاب الرابع له صلى الله عليه وسلم وكذا لابي سفيان زاد في رواية ما قرابتك منه قلت هو ابن عمي فقال لترجمانه ادنه مني ثم أمر باصحابي فجعلوا خلف ظهري ثم قال لترجمانه قل لاصحابه اني قدمت هذا أمامكم لاسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وانما جعلتكم خلف كتفيه لتردوا عليه الكذب ان قاله أي حتى لا تستحيوا أن تشافهوه بالتكذيب اذا كذب قال أبو سفيان فوالله لولا الحياء يومئذ أن يأثروا على كذبا لكذبت ولكني استحييت فصدقت وأنا كاره وفي رواية لولا مخافة ان ينقلوا عني الكذب الى قومي ويتحدثوا به في بلادي لكذبت عليه وبه يعلم أن الكذب من القبائح جاهلية واسلاما ثم قال لترجمانه قل له كيف نسب هذا الرجل فيكم قلت هو فينا ذو نسب قال قل له هل قال هذا القول أحد منكم قبله قلت لا قال قل له هل كنتم تتهمونه بالكذب على الناس قبل أن يقول ما قال قلت لا وفي رواية هل كان حلافا كذابا مخادعا قلت لا قال هل كان من آبائه ملك قلت لا

الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي معك يوم القيامة عصا من عصي الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض (وأخرج) الامام أحمد عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيك مثل من عيسى أبغضه اليهود حتى بهتوا أمه وأحبه النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها ثم قال علي يهلك في رجلان محب مطرء بما ليس في ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني وفي رواية أخرجها الامام أحمد أيضا ليحبني أقوام حتى يدخلوا النار في حبي ويبغضني أقوام حتى يدخلوا النار في بغضي وفي رواية أخرجها الامام أحمد أيضا قال علي رضي الله عنه اللهم العن كل مبغض لنا وكل محب لنا غال (وأخرج) المخلص الذهبي عن عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال أتى علي بن أبي

زاد في رواية كيف عقله ورأيه قال لم نعب عليه عقلا ولا رأيا قط قال فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم قلت بل ضعفاؤهم والمراد بأشراف الناس أهل النخوة والتكبر فلا يرد مثل أبي بكر وعمر وحمزة رضي الله عنهم ممن أسلم قبل هذا السؤال فانهم من ذوي الانساب الكرام لكنهم ليسوا من أهل النخوة والتكبر فعلهم من الضعفاء بهذا الاعتبار وفي رواية عند ابن اسحق تبعه منا الضعفاء والمساكين والاحداث وأما ذوو الانساب والشرف فما تبعه منهم أحد وهو محمول على الاكثر الاغلب أي الاكثر والاغلب ان أتباعه الضعفاء قال فهل يزيدون أو ينقصون قلت بل يزيدون قال فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه أي كراهية له وعدم رضا به بعد ان دخل فيه قلت لا قال فهل يغدر اذا عاهد قلت لا ونحن الآن منه في ذمة ما ندري ما هو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قلت نعم قال فكيف حربكم وحربه قلت دول وسجال ندال عليه مرة أي كما في أحد ويدال علينا أخرى أي كما في بدر وقد تقدم في غزوة أحد ان أبا سفيان قال في يوم أحد يوم أحد بيوم بدر والحرب سجال أي نوب وفي لفظ قال أبو سفيان لقيصر علينا مرة يوم بدر وأنا غائب ثم غزوتهم في بيوتهم نبقر البطون ونجدع الآذان والانوف والفروج وأشار بذلك ليوم أحد قال فبما يأمركم به قلت يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيأ وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف أي ترك المحارم وخوارم المروءة والوفاء بالعهد واداء الامانة فقال لترجمانه قل له اني سألتك عن نسبه فزعمت أنه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل هذا القول قاله منكم أحد قبله فزعمت ان لا فلو كان أحد منكم قال هذا القول قبله لقلت هو يأتم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فزعمت ان لا فعرفت انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك هل كان من آبائه ملك فقلت لا فقلت لو كان من آبائه ملك لقلت رجل يطلب ملك أبيه وسألتك أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل أي لان الغالب ان أتباع الرسل أهل الخضوع والاستكانة لا أهل التجبر والاستكبار وسألتك هل يزيدون أو ينقصون فزعمت انهم يزيدون وكذلك الايمان حتى يتم وسألتك هل يرتد أحد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فزعمت أن لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب أي اذا حصل به انشراح الصدور وسألتك هل قاتلتموه فقلت نعم وان حربكم وحربه دول وسجال يدال عليكم مرة وتدالون عليه أخرى وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك ماذا يأمركم به فزعمت أنه يأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد واداء الامانة وسألتك هل يغدر فذكرت ان لا وكذلك الرسل لا تغدر لانهم لا تطلب حظ الدنيا الذي لا يناله طالبه الا بالغدر فعلمت أنه نبي وقد كنت أعلم أنه خارج ولكن لم أظن أنه فيكم وان كان ما حدثتني به حقا فيوشك أي يقرب أن يملك موضع قدمي هاتين وهذه الاشياء التي سأل عنها هرقل كانت مذكورة عنده في الكتب القديمة من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ثم قال قيصر ولو أعلم أني أخلص اليه أي أصل لتجشمت أي تكلفت مع المشقة لقيه وفي رواية لا أستطيع أن أفعل ان فعلت ذهب ملكي وقتلني الروم ✽ قال الامام النووي ولا عذر له في هذا لانه قد عرف صدق النبي صلى الله عليه وسلم وانما شح بالملك وطلب الرياسة وآثرها على الاسلام ولو أراد الله هدايته لوفقه كما وفق النجاشي فانه لما أسلم ما زالت عنه الرياسة قال الحافظ ابن حجر لو تفطن هرقل لقوله صلى الله عليه وسلم في الكتاب أسلم تسلم وحمل الجزاء على عمومه في الدنيا والآخرة وأسلم لسلم من كل ما يخافه ولكن التوفيق بيد الله ثم قال هرقل ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه أي مبالغة في خدمته والتعبد له ولا أطلب منه ولاية ولا منصبا قال أبو سفيان ثم دعا قيصر بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقرئ فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي لفظ عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أي بالكلمة الداعية للاسلام وهي كلمة التوحيد أي أدعوك اليها أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين أي لايمانك بعيسى ثم بمحمد عليهما الصلاة والسلام فان توليت فان عليك اثم الاريسيين أي الفلاحين في القرى وفي رواية اثم الاكارين والاكاره والفلاح والمراد اثم رعاياك الذين

طالب رضي الله عنه فقيل له ان هنا قوما على باب المسجد يزعمون أنك ربهم فدعاهم فقال لهم ويلكم ما تقولون قالوا أنت ربنا وخالقنا ورازقنا فقال ويلكم انما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون ان أطعته أثابني ان شاء وان عصيته خشيت أن يعذبني فاتقوا الله وارجعوا فأبوا فطردهم فلما كان من الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال والله رجعوا يقولون ذلك الكلام فقال أدخلهم على فقالوا مثل ما قالوا وقال لهم مثل ما قال الا انه قال انكم ضالون مفتونون فأبوا فلما ان كان اليوم الثالث أتوه فقالوا مثل ذلك فقال لهم والله لئن قلتم لا قتلنكم بأخبث قتلة فأبوا الا ان يتموا على قولهم فخد لهم اخدودا في باب المسجد وأوقد فيه نارا وقال اني طارحكم فيها أو ترجعوا فأبوا فقذف بهم

يتبعونك و ينقادون لامرك وخص هؤلاء بالذكر لانهم أسرع انقيادا من غيرهم لان الغالب عليهم الجهل والجفاء وقلة الدين والمراد عليك مع اثمك اثم رعاياك لانه اذا أسلم أسلموا واذا امتنع امتنعوا فهو متسبب في عدم اسلامهم و يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون قال أبو سفيان فلما قضى مقالته وفرغ من الكتاب علت أصوات الذين حوله وكثر لغطهم أى أصواتهم التى لا تفهم فلا أدرى ماقالوا وأمر بنا فاخرجنا فلما اخرجت أنا وأصحابى وخلصنا قلت لهم لقد أمر أمر ابن أبى كبشة أى عظم أمره هذا ملك بنى الاصفر يخافه فمازلت موقنا انه سيظهر حتى أدخل الله على الاسلام أى فاظهرت ذلك اليقين وفى رواية مازلت مرعوبا من محمد حتى أسلمت وقوله ابن أبى كبشة قيل انه جد لآمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم كان يكنى أبا كبشة وجاء فى رواية ان أبا سفيان قال لقيصر لما سأله هل تتهمونه بالكذب فقال لا ولكن ساخبرك عنه أيها الملك خبرا تعرف به أنه قد كذب قال وما هو قال يزعم أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فى ليلة فجاء مسجدكم هذا ورجع الينا فى تلك الليلة قبل الصباح فقال بطريق أى قائد من قواد الملك كان واقفا عند رأس قيصر صدق أيها الملك أى فى انه جاء مسجدنا فانظر اليه قيصر وقال وما أعلمك بهذا قال انى كنت لا أنام ليلة أبدا حتى أغلق أبواب المسجد فلما كانت تلك الليلة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد غلبنى فاستعنت عليه بعمالى ومن يحضرنى فلم نستطع أن نحركه كانما نزاول جبلا فدعوت النجارين فنظروا اليه فقالوا لا نستطيع ان نحركه حتى نصبح فلما أصبحت جئت المسجد فاذا الحجر الذى فى زاويته مثقوب واذا فيه مربط الدابة فقلت لاصحابى ماحبس هذا الباب الليلة الا لهذا الامر فقال قيصر لقومه يا قوم ألستم تعلمون ان بين يدى الساعة نبيا بشركم به عيسى بن مريم ترجون ان يجعله الله فيكم قالوا بلى قال فان الله قد جعله فى غيركم وهى رحمة الله عز وجل يضعها حيث يشاء ثم أمر بازال دحية واكرامه وجاء فى رواية ان ابن أخى قيصر أظهر الغيظ الشديد وقال لعمه ابتدأ بنفسه وسماك صاحب الروم ألق به يعنى الكتاب فقال له والله انك لضعيف الرأى أترى أرمى بكتاب رجل يأتيه الناموس الاكبر وهو أحق ان يبدأ بنفسه ولقد صدق أنا صاحب الروم والله مالكى ومالكه وفى لفظ أن أخا قيصر لما سمع الترجمان يقرأ من محمد رسول الله الى قيصر صاحب الروم ضرب فى صدر الترجمان ضربة شديدة ونزع الكتاب من يده وأراد أن يقطعه فقال قيصر ماشانك فقال تنظر فى كتاب رجل بدأ بنفسه قبلك وسماك قيصر صاحب الروم وما ذكر لك الروم فقال له قيصر انك أحمق صغير أو مجنون كبير أتريد أن أمزق كتابا قبل أن أنظر مافيه ولعمرى لئن كان رسول الله كما يقول فنفسه أحق أن يبدأ بها منى ولئن سمانى صاحب الروم فلقد صدق ما أنا الا صاحبهم ولا أملكهم ولكن الله سخرهم لى ولو شاء لسلطهم على كما سلط فارس على كسرى فقتلوه ولما جاء صلى الله عليه وسلم الخبر عن قيصر قال ثبت ملكه وفى رواية سيكون لهم بقية وقد صدق الله رسوله صلى الله عليه وسلم فقد ذكر الحافظ ابن حجران الملك المنصور قلاوون أرسل بعض امرائه الى ملك المغرب بهدية فارسله ملك المغرب الى ملك الفرنج فى شفاعة فقبله وأكرمه وقال له لأتحفنك بتحفة سنية ثم أخرج صندوقا مصفحا بالذهب وأخرج منه قصبة من الذهب فاخرج منها كتابا قد زالت أكثر حروفه وقد ألصق عليه خرقة حرير فقال هذا كتاب نبيكم لجدى قيصر مازلنا نتوارثه الى الآن وذكر لنا آباؤنا عن آبائهم أنه مازال هذا الكتاب عندنا لا يزول الملك عنا فنحن نحفظه غاية الحفظ ونعظمه ونكتمه من النصارى ليدوم الملك فينا ولا ينافيه ماصح عنه صلى الله عليه وسلم اذا هلك قيصر فلا قيصر بعده لان المراد اذا زال ملكه عن الشام لا يخلفه فيه أحد وكان كذلك وملكه لم يبق الا ببلاد الروم * يروى ان قيصر لما ظهر على الفرس وأخرجهم من بلاده نذران يأتى بيت المقدس ماشيا شكرا لله فلما أراد الذهاب الى بيت المقدس ماشيا بسطت له البسط وطرح عليها الرياحين ولا زال يمشى على ذلك حتى وصل الى بيت المقدس فلما رجع الى حمص كان له فيها قصر عظيم فاغلق أبوابه وأمر مناديا ينادى ألا ان هرقل قد آمن بمحمد واتبعه فدخلت الاجناد فى سلاحها وطافت بقصره تريد قتله

فيها وترديدهم محمول على الاستتابة واحراقهم مع النهى عنه محمول على رجاء رجوعهم أو رجوع بعضهم (وأخرج) الحافظ القزوينى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينظر الى آدم فى علمه والى نوح فى فهمه والى ابراهيم فى حلمه والى يحيى بن زكريا فى زهده والى موسى بن عمران فى بطشه فلينظر الى على بن أبى طالب رضى الله عنه وتقدم فى فضائل أبى بكر رضى الله عنه أحاديث مذكور فيها على رضى الله عنه كحديث عشرة من قريش فى الجنة وحديث أربعة لا يجتمع حبهم فى قلب منافق ولا يحبهم الا مؤمن أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم وحديث القائم بعدى فى الجنة والذى يقوم بعده فى الجنة والثالث والرابع فى الجنة وحديث انى راض عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة

فارسل اليهم انى أردت أن أختبر صلابتكم فى دينكم فقد رضيت فرضوا عنه والذى فى البخارى أن قيصر لما سار الى حمص أذن لعظماء الروم فى دسكرة له ثم أمر بأبوابها فغلقت ثم اطلع فقال يامعشر الروم هل لكم فى الفلاح والرشد وان يثبت ملككم فتتابعوا هذا النبى فحاصوا حيصة حمر الوحش الى الابواب فوجدوها قد أغلقت وقالوا له أتدعونا أن نترك النصرانية ونصير عبيدا لاعرابى فلما رأى نفرتهم وأيس من ايمانهم قال ردوهم على وقال انى قلت مقالتى أختبر بها شدتكم على دينكم فقد رأيت فسجدوا له ورضوا عنه وعند ذلك كتب كتابا وأرسله مع دحية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه انى مسلم ولكنى مغلوب وأرسل بهدية فلما قرأ صلى الله عليه وسلم الكتاب قال كذب عدو الله ليس بمسلم وقبل هديته وقسمها بين المسلمين وفى صحيح ابن حبان عن أنس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب اليه أيضا من تبوك يدعوه وانه قارب الاجابة ولم يجب والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك فارس) كتب اليه صلى الله عليه وسلم كتابا وبعث به مع عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه لانه كان يتردد على كسرى كثيرا وفى الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فانى أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان أبيت فعليك اثم المجوس أى الذين هم أتباعك قال عبد الله بن حذافة رضى الله عنه فانتهيت الى بابه وطلبت الاذن عليه حتى وصلت اليه فدفعت اليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرئ عليه فأخذه فمزقه وفى رواية ان كسرى لما أعلم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لحامل الكتاب أن يدخل عليه فلما وصل أمر كسرى أن يقبض منه الكتاب فقال لا حتى أدفعه اليه كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كسرى أدنه فدنا فناوله الكتاب فدعا من يقرؤه فقرأه فاذا فيه من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس فاغضبه حين بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه وصاح ومزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه وأمر باخراج حامل ذلك الكتاب فأخرج فلما رأى ذلك قعد على راحلته وسار فلما ذهب عن كسرى سورة غضبه بعث يطلب حامل الكتاب فلم يجده فلما وصل اليه صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر قال صلى الله عليه وسلم مزق ملك كسرى وفى رواية مزق الله ملكه وفى رواية اللهم مزق ملكه كل ممزق وكتب كسرى الى أميره باليمن يقال له باذان انه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبى فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث الى برأسه يكتب الى بهذا الكتاب أى الذى بدأ فيه بنفسه وهو عبدى وفى رواية قال له ان لم تكفنى رجلا خرج بارضك يدعونى الى دينه والا فعلت فيك كذا يتوعده فابعث اليه رجلين جلدين فلما أتيا به فبعث باذان بكتاب كسرى الى النبى صلى الله عليه وسلم مع قهرمانه و بعث معه رجلا آخر من الفرس و بعث بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما الى كسرى فخرجا وقدما الطائف فوجدا رجلا من قريش فى أرض الطائف فسألوه عنه فقال هو بالمدينة فلما قدما عليه المدينة قالا له شاهنشاه ملك الملوك كسرى بعث الى الملك باذان أن يبعث اليك من يأتى بك وقد بعثنا اليك فان أبيت أهلكك وأهلك قومك وخرب بلادك وكانا على زى الفرس من حلق لحاهم واعفاء شواربهم فكره صلى الله عليه وسلم النظر اليهم ثم قال لهما ويلكما من أمركما بهذا قالا أمرنا بهذا يعنيان كسرى فقال صلى الله عليه وسلم ولكن ربى أمرنى باعفاء لحيتى وقص شاربى ثم قال لهما ارجعا حتى تأتيانى غدا وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بان الله سلط على كسرى ابنه فقتله فى شهر كذا فى ليلة كذا أى ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادى الاولى سنة سبع فلما كان الغد دعاهما وأخبرهما الخبر وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى باذان ان الله قد وعدنى أن يقتل كسرى يوم كذا فى شهر كذا فلما أتى باذان الكتاب توقف وقال ان كان نبيا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على يد ولده شيرويه قيل قتله ليلا بعد ما مضى من الليل سبع ساعات فيكون المراد باليوم فى

والزبير وسعد وعبد الرحمن ابن عوف والمهاجرين الاولين فاعرفوا لهم ذلك وحديث ان الله افترض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعلى كما افترض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج فمن انكر فضلهم فلا تقبل منه الصلاة ولا الزكاة ولا الصوم ولا الحج (وكان) عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن يعنى على بن أبى طالب رضى الله عنه وغير ذلك من الاحاديث والاحاديث الواردة فى فضله رضى الله عنه كثيرة أفردت بالتاليف وله رضى الله عنه كرامات ومكاشفات كثيرة منها أنه مر بالموضع الذى قتل فيه الحسين رضى الله عنه فقال ههنا مناخ ركابهم وههنا موضع رحالهم وههنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد صلى الله عليه وسلم يقتلون بهذه العرصة تبكى عليهم السماء والارض

هذه الرواية مجرد الوقت وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم قال لرسول باذان اذهب الى صاحبك وقل له ان ربي قد قتل ربك الليلة ثم جاء الخبر بان كسرى قتل تلك الليلة فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم فلما جاءه صلى الله عليه وسلم هلاك كسرى قال لعن الله كسرى أول الناس هلاكا فارس ثم العرب وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال لتفتحن عصابة من المسلمين أو من المؤمنين أورهط من أمتي كنوز كسرى التي في القصر الابيض فكنت أنا وأبي فيهم وأصبنا من ذلك ألف درهم وقدم على باذان كتاب شيرويه فيه أما بعد فقد قتلت كسرى ولم أقتله الا غضبا لفارس فانه قتل أشرافهم فتفرق الناس فاذا جاءك كتابي هذا فخذلي الطاعة ممن قبلك وانظر الرجل الذي كان كسرى يكتب اليك فيه فلا تزعجه حتى يأتيك أمري فيه فبعث باذان باسلامه واسلام من معه لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ملك الله المسلمين ملك كسرى وخزائنهم وأموالهم في خلافة عمر رضي الله عنه ومزقهم الله كل ممزق تحقيقا لدعوته صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للنجاشي ملك الحبشة)

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه الى النجاشي سنة ست وبعث معه كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي ملك الحبشة سلم أنت أي أنت سالم لان السلم يأتي بمعنى السلامة فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول أي المنقطعة عن الرجال التي لا شهوة لها فيهم أو المنقطعة عن الدنيا وزينتها الطيبة الحصينة حملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول الله واني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى * فلما وصل اليه الكتاب وضعه على عينيه ونزل عن سريره فجلس على الارض ثم أسلم ودعا بحق من عاج وهو عظم الفيل فجعل فيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم أرسل الى النجاشي مع عمرو بن أمية كتابين يدعوه في أحدهما الى الاسلام وفي الآخر يأمره أن يزوجه أم حبيبة فأخذ الكتابين ووضعهما على رأسه وعينيه ونزل عن سريره تواضعا ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكتب الجواب للنبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى محمد رسول الله من النجاشي أصحمة السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا اله الا هو الذي هداني للاسلام أما بعد فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى فورب السماء والارض ان عيسى لا يزيد على ما ذكرت وقد عرفنا ما بعثت به الينا وقد قربنا ابن عمك وأصحابه يعني جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من المسلمين فاشهد انك رسول صادق مصدق وقد بايعتك وبايعت ابن عمك أي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأسلمت على يديه لله رب العالمين وفي رواية وقد بعثت اليك يا نبي الله وان شئت أتيتك بنفسي والسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم انه أرسل ابنه في ستين نفسا في أثر من أرسلهم مع جعفر بن أبي طالب عند خروجه من عنده فلما كانوا في وسط البحر غرق ابنه والستون الذين معه ووافى جعفر وأصحابه وكانوا سبعين وعند وصول كتابه قال النبي صلى الله عليه وسلم اتركوا الحبشة ما تركوكم وفي رواية ان عمرو بن أمية قال للنجاشي عند اعطائه الكتاب يا أصحمة ان علي القول وعليك الاستماع كأنك منا أي في الرقة علينا وكأنا منك أي في الثقة بك لانا لم نظن بك خيرا قط الا نلناه ولم نخفك على شر قط الا أمناه وقد أخذنا الحجة عليك من قبل الانجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور وفي ذلك توقع الجد واصابة الفصل والا فانت في هذا النبي الامي كاليهود في عيسى ابن مريم وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم رسله الى الناس فرجاك لما لم يرجهم له وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر فقال النجاشي أشهد بالله انه النبي الذي ينتظره أهل الكتاب وان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وانه ليس الخبر كالعيان ولكن أعواني من الحبشة قليل فانظرني حتى أكثر الاعوان وألين القلوب وفي رواية ولو أستطيع أن آتيه لاتيته وتوفي النجاشي سنة تسع وقيل سنة

وعن علي بن زاذان ان عليا رضي الله عنه حدث حديثا فكذبه رجل فقال علي أدعو ان كنت كاذبا قال نعم فدعا عليه فلم ينصرف حتى ذهب بصره (وأما شجاعته) فهي شهيرة لا تحتاج الى بيان لانها بلغت حد التواتر فصارت معلومة بالضرورة وكذلك زهده وورعه وخشيته من الله تعالى وكرمه وكثرة صدقته (وعن) عمار بن ياسر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه ان الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب منها هي زينة الابرار عند الله تعالى الزهد في الدنيا فجعلك لا ترزأ من الدنيا ولا ترزأ الدنيا منك شيأ وحبب اليك المساكين فجعلك ترضى بهم أتباعا ويرضون بك اماما (وأخرج) الامام أحمد عن علي بن أبي ربيعة ان عليا رضي الله عنه جاءه ابن النباح فقال يا أمير المؤمنين امتلأ بيت

ثمان وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهذا النجاشي هو الذي أسلم وأكرم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأما النجاشي الذي ولي الأمر بعده فكان كافرا لم يعرف اسلامه ولا اسمه وجاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم كتب له حين كتب لقيصر وكسرى يدعوه الى الاسلام فقد روى البيهقي عن ابن اسحق قال هذا كتاب من النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وان محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله فاني رسوله فاسلم تسلم يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون فان أبيت فعليك اثم النصارى من قومك قال في المواهب وقد خلط بعضهم فلم يميز بينهما أي بين النجاشيين فظنهما واحدا وفي صحيح مسلم ما يدل على انهما اثنان فان فيه عن قتادة عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى كسرى والى قيصر والى النجاشي والى كل جبار يدعوهم الى الله وليس بالنجاشي الذي صلى عليه والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم للمقوقس)

ومعناه المطوّل البناء وهو لقب لكل من ملك القبط وهم أهل مصر والاسكندرية وليسوا من بني اسرائيل بعث صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة اللخمي رضي الله عنه الى المقوقس وذلك أنه صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الحديبية قال أيها الناس أيكم ينطلق بكتابي هذا الى صاحب مصر وأجره على الله فوثب اليه حاطب وقال أنا يا رسول الله قال بارك الله فيك يا حاطب قال حاطب فاخذت الكتاب وودعته صلى الله عليه وسلم وسرت الى منزلي وشددت على راحلتي وودعت أهلي وسرت وفي رواية أنه أرسل مع حاطب جبرا مولى أبي رهم الغفاري والكتاب مع حاطب وفيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله وفي رواية عبد الله ورسوله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط أي الذين هم رعاياك ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ثم ان حاطبا رضي الله عنه سار بالكتاب حتى قدم على المقوقس بالاسكندرية بعد أن ذهب الى مصر فلم يجده فذهب الى الاسكندرية فأخبر أنه في مجلس مشرف على البحر فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه فلما رآه أمر باحضاره بين يديه فلما جيء به اليه نظر الى الكتاب وفضه وقرأه وقال لحاطب ما منعه ان كان نبيا أن يدعو على من خالفه من قومه وأخرجه من بلده الى غيرها فقال له حاطب ألست تشهد أن عيسى بن مريم رسول الله فماله حيث أذاه قومه وأرادوا أن يصلبوه أن لا يكون دعا عليهم بان يهلكهم الله حتى رفعه اليه قال أحسنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال له حاطب انه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الاعلى يعني فرعون فاخذه الله نكال الآخرة والاولى فانتقم به ثم انتقم منه فاعتبر بغيرك ولا يعتبر بك غيرك ان هذا النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس فكان أشدهم عليه قريش وأعداهم له يهود وأقربهم منه النصارى ولعمري ما بشارة موسى بعيسى الا كبشارة عيسى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما دعاؤنا اياك الى القرآن الا كدعائك أهل التوراة الى الانجيل وكل نبي أدرك قوما فهم أمته فالحق عليهم أن يطيعوه فانت ممن أدرك هذا النبي واستنهالك عن دين المسيح ولكنا نأمرك به فقال اني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ولا ينهى عن مرغوب عنه أي بل يأمر بما تفرح وترغب فيه القلوب النيرة والعقول السليمة وينهى عما رغب عنه ولم أجده بالساحر الضار ولا بالكاهن الكذاب ووجدت معه آلة النبوة باخراج الخبء أي الشيء الغائب والاخبار بالنجوى أي يخبر بالمغيبات وسأنظر وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وجعله في حق عاج وختم عليه ودفعه الى جارية له ودعا كاتبا له يكتب بالعربية فكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت أن نبيا قد بقي وقد كنت أظن أنه

المال من صفراء وبيضاء قال الله أكبر فقام متوكئا على ابن التياح حتى قام على المال فنودي في الناس فاعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول يا صفراء يا بيضاء غري غيري هاء وهاء حتى ما بقي منه دينار ولا درهم ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين وفي رواية رواها الامام أحمد أيضا ان عليا رضي الله عنه دخل بيت المال فرأى فيه شيأ فقال ألا أرى هذا ههنا وبالناس اليه حاجة فامر به فقسم وأمر بالبيت فكنس ثم نضح فصلى فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة (وعن) عبد الله بن أبي الهذيل قال رأيت عليا رضي الله عنه خرج وعليه قميص غليظ اذا مد كم قميصه بلغ الظفر واذا أرسله صار الى نصف الساعد وفي رواية قال رأيت علي بن أبي طالب يخرج من مسجد الكوفة وعليه قطريان مؤتزر بواحد ومرتد بالآخر

يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك أي فانه دفع له مائة دينار وخمسة أثواب وبعثت لك بجاريتين لهما مكان عظيم في القبط وهما مارية وسيرين وبثياب وهي عشرون ثوبا من قباطي مصر وفي رواية وأرسل له عمائم وقباطي وطيبا وعودا وندا ومسكا مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير فكان صلى الله عليه وسلم يشرب فيه ثم قال وأهديت لك بغلة لتركبها والسلام عليك ولم يزد على ذلك ولم يسلم وفي رواية أنه أهدى له مع الجاريتين جارية أخرى اسمها قيس وهي أخت مارية وفي رواية ذكر جارية رابعة اسمها بريرة وكانت سوداء وأن النبي صلى الله عليه وسلم اهدى واحدة من تلك الجواري لابي جهم بن حذيفة العدوي وهي أم ابنه زكريا الذي كان خليفة عمرو بن العاص رضي الله عنه على مصر وأهدى صلى الله عليه وسلم أخرى لحسان بن ثابت رضي الله عنه وهي أم عبد الرحمن بن حسان وفي رواية أن المقوقس أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مع الجواري غلاما أسود خصيا يقال له مابور وفي رواية أنه أهدى مع البغلة حمارا أشهب يقال له يعفور وأما البغلة فتسمى الدلدل وكانت شهباء ولم يكن يومئذ في العرب بغلة غيرها وأهدى له أيضا فرسا وهو اللزاز ففي رواية أن المقوقس قال لحاطب ما الذي يحب صاحبك من الخيل فقال له حاطب الاشقر وقد تركت عنده فرسا يقال له المرتجز فانتخب له فرسا من خيل مصر الموصوفة فاسرج وألجم وهو فرسه الميمون وأهدى له عسلا من عسل بنها بكسر الموحدة قرية من قرى مصر فاعجب به صلى الله عليه وسلم ودعا في عسل بنها بالبركة ولما أكل منه قال ان كان عسلكم أشرف فهذا أحلى وأهدى له مربعة يضع فيها المكحلة وقارورة الدهن والمشط والمقص والسواك ومكحلة من عيدان شامية ومراة ومشطا وفي رواية أنه أرسل مع الهدية طبيبا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى أهلك نحن قوم لا نأكل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع ثم ان المقوقس قال لحاطب ارجع الى صاحبك وارحل من عندي ولا تسمع منك القبط حرفا واحدا قال حاطب فرحلت من عنده وبعث معي جيشا يحرسني الى أن دخلت جزيرة العرب ووجدت قافلة من الشام تريد المدينة فرد الجيش وارتفقت بالقافلة وفي بعض كتب السير أن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه وفد على المقوقس ومعه رهط من ثقيف وكان ذلك قبل اسلام المغيرة فلما دخلوا على المقوقس قال ماصنعتم فيما دعاكم اليه محمد قالوا ما تبعه منا رجل واحد قال كيف صنع قومه قالوا اتبعه أحداثهم وقد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة قال فالى ماذا يدعو قالوا الى أن نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ويدعو الى الصلاة والزكاة وصلة الرحم ووفاء العهد وتحريم الزنا والربا والخمر فقال المقوقس هذا نبي مرسل الى الناس كافة ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه وقد أمرهم بذلك عيسى وهذا الذي تصفون منه نعت الانبياء من قبله وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ويظهر دينه الى منتهى الخف والحافر فقالت ثقيف لو دخل الناس كلهم معه مادخلنا معه فهز المقوقس رأسه وقال أنتم في اللعب ثم ساله عن أشياء مثل سؤال هرقل لابي سفيان ثم قال لهم مافعلت يهود بيثرب قلنا خالفوه فاوقع بهم فقال هم حسدة أما انهم يعرفون من أمره مثل ما نعرف وذكر الواقدي وابن أبي الحكم من طريق أبان بن صالح قال أرسل المقوقس الى حاطب أي حين جاءه بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أسألك عن ثلاث فقال لا تسألني عن شيء الاصدقتك قال الام يدعو محمد قلت الى أن يعبد الله وحده ويامر بخمس صلوات في اليوم والليلة وصيام رمضان وحج البيت والوفاء بالعهد وينهى عن أكل الميتة والدم الى أن قال صفه لي فوصفته فاوجزت قال بقيت أشياء لم تذكرها أفي عينيه حمرة قلت ماتفارقه وبين كتفيه خاتم النبوة ويركب الحمار ويلبس الشملة ويجتزي بالتمرات والكسر لا يبالي من لاقى من عم ولا ابن عم قلت هذه صفته قال قد كنت أعلم أن نبيا قد بقي وكنت أظن أن مخرجه من الشام وهناك كانت تخرج الانبياء قبله فاراه قد خرج في أرض العرب في أرض جهد وبؤس والقبط لا تطاوعني على اتباعه وأنا أضن بملكي أن أفارقه وسيظهر على البلاد وينزل أصحابه من بعده بساحتنا هذه حتى يظهر على ماههنا وأنا لا أذكر للقبط من هذا حرفا ولا أحب أن تعلم بمحاورتي اياك أحدا قال حاطب رضي الله عنه فذكرت قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه فكان كما قال ولم يزد على هذا ولم يسلم بل استمر على

وازاره الى نصف الساق وهو يطوف بالاسواق ومعه درة يامرهم بتقوى الله تعالى وصدق الحديث وحسن البيع ووفاء الكيل وعن أبي سعيد الازدي قال رأيت عليا رضي الله عنه في السوق وهو يقول من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم فقال رجل عندي فجاء به فاعجبه ثم لبسه فاذا هو يفضل عن أطراف أصابعه فأمر به فقطع ما يفضل عن أطراف أصابعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اشترى علي بن أبي طالب قميصا بثلاثة دراهم وهو خليفة قطع كميه من موضع الرسغين وعن علي بن أبي ربيعة قال كان لعلي رضي الله عنه امرأتان فكان اذا كان يوم هذه اشترى لحما بنصف درهم واذا كان يوم هذه اشترى لحما بنصف درهم وفي رواية كان له اربع زوجات فكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام لحما

نصر ابنته حتى فتح المسلمون منه مصر في خلافة عمر رضي الله عنه والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى التميمي)

وكان بالبحرين بعث صلى الله عليه وسلم اليه العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ومعه كتاب يدعوه فيه الى الاسلام* قال في شرح المواهب ولم أر أحدا ذكر لفظ ذلك الكتاب فلما وصل اليه الكتاب آمن وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه فلم يدخل فيه وبأرضي يهود ومجوس أي باقين على كفرهم فأحدث الى أمرك في ذلك فكتب اليه في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فاني أحمد اليك الله الذي لا اله الا هو وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أما بعد فاني أذكرك الله فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد أثنوا عليك خيرا أي من قبولك الحق وانقيادك للايمان واني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه أي من مال وزوجات أربع يحل نكاحهن وعفوت عن أهل الذنوب أي المتقدمة منهم في الكفر وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية وجاء في رواية أنه كتب اليه أن افرض على كل رجل ليس له أرض أربعة دراهم وعباءة وفي رواية كتب اليه أن اعرض عليهم الاسلام فان أبوا أخذت منهم الجزية على ان لا تنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم وذكر السهيلي في الروض ان العلاء لما قدم على المنذر قال له يا منذر انك عظيم العقل في الدنيا فلا تقصرن عن الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ولا علم أهل الكتاب ينكحون ما يستحيا من نكاحه ويأكلون ما يتكرم عن أكله ويعبدون في الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأي فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب أن لا تصدقه ولمن لا يخون أن لا تأمنه ولمن لا يخلف أن لا تثق به فان كان هكذا فهذا هو النبي الامي الذي والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول ليت ما أمر به نهى عنه أو ما نهى عنه أمر به أو ليته زاد في عفوه أو نقص من عقابه اذ كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل النظر فقال المنذر قد نظرت في هذا الذي في يدي فوجدته للدنيا دون الآخرة ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعني من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ولقد عجبت أمس ممن يقبله وعجبت اليوم ممن يرده وان من اعظام ما جاء به أن يعظم رسوله وسأنظر أي سأنظر فيما أصنع من الذهاب اليه أو مكاتبته وروى الطبراني وابن قانع عن سليمان بن نافع العبدي عن أبيه قال وفد المنذر بن ساوى من البحرين ومعه ناس وأنا معهم أمسك جمالهم فذهبوا بسلاحهم فسلموا على النبي صلى الله عليه وسلم ووضع المنذر سلاحه ولبس ثيابا كانت معه ومسح لحيته بدهن فأتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وأنا مع الجمال أنظر الى نبي الله صلى الله عليه وسلم قال المنذر قال لي النبي صلى الله عليه وسلم رأيت منك ما لم أر من أصحابك فقلت أشيء جبلت عليه أو أحدثته قال لا بل جبلت عليه فأسلموا انتهى قال بعض أهل السير ان ذلك اشتباه وان هذا الوفد معروف للاشج واسمه المنذر بن عائذ وان المنذر بن ساوى لم تعرف له وفادة وذكر أبو جعفر الطبري أن المنذر بن ساوى مات بالقرب من وفاته صلى الله عليه وسلم وكان قد قدم عليه عمرو بن العاص رضي الله عنه وحضر وفاته فقال المنذر لعمرو كم جعل صلى الله عليه وسلم للميت من ماله عند الموت فقال الثلث قال فما ترى أن أصنع في ثلث مالي قال ان شئت قسمته في سبيل الخير وان شئت جعلت غلته تجري بعدك على من شئت قال ما أحب أن أجعل شيأ من مالي كالسائبة ولكني أقسمه والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملكي عمان)

بضم العين المهملة وتخفيف الميم بلدة باليمن سميت باسم عمان بن سبا وأما عمان بفتح العين وشد الميم فبلدة بالشام وليست مرادة هنا روى مسلم عن أبي برزة رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا الى قوم فسبوه وضربوه فجاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا

بدرهم وعن عمر بن مسيرة قال قيل لعلي رضي الله عنه لم ترقع قميصك قال يخشع القلب ويقتدي به المؤمن وعن زيد بن وهب ان الجعد بن بعجة عاتب عليا رضي الله عنه في لبوسه فقال مالك وللبوس هذا أبعد من الكبر وأجدر ان يقتدي به المسلم وعن أم سلامة رضي الله عنها وقد سئلت عن لباس علي قالت كان لباسه الكرابيس السنبلانية والكرابيس ثياب غليظة من القطن وعن عدي بن ثابت ان عليا رضي الله عنه أتي بالفالوذج فلم يأكله وفي رواية فوضع قدامه فقال انك لطيب الريح حسن اللون طيب الطعم ولكن أكره ان أعود نفسي ما لم تعتد * ومن تواضعه رضي الله عنه انه وهو أمير المؤمنين اشترى تمرا بدرهم فحمله في ملحفته فقيل له يا أمير المؤمنين ألا نحمله عنك فقال أبو العيال احق بحمله وعن زاذان

ضربوك وروى الامام أحمد عن عمر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انى لاعلم أرضا يقال لها عمان ينضح بناحيتها البحر لو أتاهم رسولى ما رموه بسهم ولا بحجر وكان بعث كتابه صلى الله عليه وسلم الى ملكى عمان فى ذى القعدة سنة ثمان مع عمرو بن العاص رضى الله عنه وكتب له فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى جيفر وعبد ابنى الجلندى سلام على من اتبع الهدى أما بعد فانى أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما فانى رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما وان أبيتما أن تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلى تحل بساحتكما وتظهر نبوتى على ملككما وكتب الكتاب أبى بن كعب وختمه صلى الله عليه وسلم قال عمرو فخرجت حتى انتهيت الى عمان فلما قدمتها عمدت الى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا فقلت انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى أخيك بهذا الكتاب أى وبالدعاء الى ما تضمنه من الايمان فقال عبد أخى جيفر هو المقدم على بالسن والملك وأنا أوصلك اليه حتى تقرأ كتابك عليه ثم قال وما تدعو اليه قلت أدعوك الى عبادة الله وحده لا شريك له وأن تخلع ما عبد من دونه وأن تشهد أن محمدا عبده ورسوله قال يا عمرو انك كنت ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك فان لنا فيه قدوة قلت لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ووددت أنه كان أسلم وصدق به وقد كنت أنا على مثل رأيه حتى هدانى الله للاسلام فسألنى أين كان اسلامك قلت عند النجاشى وأخبرته أن النجاشى قد أسلم قال كيف صنع قومه بملكه قلت أقروه واتبعوه قال والاساقفة والرهبان تبعوه قلت نعم فاستعظم وقوع ذلك فقال انظر يا عمرو ما تقول فانه ليس من خصلة فى رجل أفضح له من كذب قلت وما كذبت وما نستحله فى ديننا ثم قال ما أرى هرقل علم باسلامه أى النجاشى قلت بلى قال بأى شئ علمت ذلك قلت كان النجاشى يخرج له خراجا فلما أسلم وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لا والله ولو سألنى درهما واحدا ما أعطيته فبلغ هرقل قوله فقال أخوه أتدع عبدك لا يخرج لك خراجا ويدين دينا محدثا فقال هرقل رجل رغب فى دين واختاره لنفسه ما أصنع به والله لولا الضن بملكى لصنعت كما صنع قال انظر ما تقول يا عمرو قلت والله صدقتك قال عبد فأخبرنى ما الذى يأمر به وينهى عنه قلت يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب قال ما أحسن هذا الذى يدعو اليه ولو كان أخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخى اضن أى أبخل بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا أى طرفا وتابعا بعد ان كان رأسا ومتبوعا قلت ان أسلم ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه يأخذ الصدقات من غنيهم ويردها على فقرائهم قال ان هذا الخلق حسن أى لما فيه من مواساة الفقراء قال وما الصدقة فأخبرته بما فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصدقات فى الاموال حتى انتهيت الى الابل فقال يا عمرو ويؤخذ من سوائم مواشينا التى ترعى الشجر وترد المياه قلت نعم قال والله ما أرى قومى فى بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون لهذا قال فمكثت ببابه أياما وهو يصل الى أخيه فيخبره كل خبرى ثم انه دعانى يوما لادخل معه على أخيه فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعى فقال دعوه فذهبت لاجلس فأبوا أن يدعونى أجلس على عادة ملوك العجم فى أن رسول شخص ولو ملكا لا يجلس عند الملك فنظرت اليه فقال تكلم بحاجتك فدفعت اليه الكتاب مختوما ففض ختمه فقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته الا انى رأيت أخاه أرق منه فقال جيفر ألا تخبرنى عن قريش كيف صنعت فقلت تبعوه اما راغب فى الدين واما مقهور بالسيف قال ومن معه قلت الناس قد رغبوا فى الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله انهم كانوا فى ضلال فما أعلم أحدا بقى غيرك فى هذه الحرجة وهى الشجر الملتف والمراد التحوز وان لم تسلم اليوم وتتبعه يوطئك الخيل ويبيد خضراءك أى جماعتك فاسلم تسلم ويستعملك على قومك فتبقى على ملكك مع الاسلام ولا تدخل عليك الخيل والرجال وفى هذا جمع سعادة الدارين وراحة من القتال وفى هذا دليل على قوة نفس عمرو رضى الله عنه وشدة شكيمته حيث خاطبه بهذا الخطاب وأنذره بالحرب والهلاك فى محل ملكه

قال رأيت عليا رضى الله عنه وهو أمير المؤمنين يمشى فى الاسواق فيمسك الشسوع بيده يناول الرجل الشسع ويرشد الضال ويعين الحمال على الحمولة وهو يقرأ هذه الآية تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين ثم يقول هذه الآية نزلت فى ذوى القدرة من الناس (وعن) أبى مطر البصرى انه شهد عليا رضى الله عنه أتى صاحب التمر وجارية تبكى عند التمار فقال ما شأنك فقالت باعنى تمرا بدرهم فرده مولاى فأبى أن يقبله فقال يا صاحب التمر خذ تمرك واعطها درهمها فانها جارية وليس لها أمر فدفع عليا فقال المسلمون تدرى لمن دفعت قال لا قالوا أمير المؤمنين فصب تمرها وأعطاها درهمها وقال أحب ان ترضى عنى فقال ما أرضانى عنك اذا وفيت الناس حقوقهم أخرجه وما قبله الامام أحمد

بحضرة أعوانه مع انه واقف بين يديه لم يتمكن من الجلوس ومع ذلك حتى الله رسول نبيه ببركته صلى الله عليه وسلم فلم يؤذ جيفر ولا بكلمة بل خاطبه باللين حيث قال دعني يومى هذا وارجع الى غدا قال عمرو فرجعت الى أخيه فقال يا عمرو انى أرجو أن يسلم أخى ان لم يضن بملكه حتى اذا كان الغد أتيت اليه فابى أن يأذن لى فانصرفت الى أخيه فاخبرته انى لم أصل اليه فاوصلني اليه فقال انى فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت رجلا مافى يدى وهو لا تبلغ خيله ههنا أى لبعد الدار وان بلغت خيله ههنا وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى قال عمرو فقلت وأنا خارج غدا فلما أيقن بخروجى خلا به أخوه فقال له مانحن فيما ظهر عليه وكل من أرسل اليه أجابه فاصبح فارسل الى فاجاب للاسلام هو وأخوه جميعا وصدقا النبى صلى الله عليه وسلم وخليا بينى وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكانا عونا على من خالفنى وأسلم معهما خلائق كثير ووضعت الجزية على من لم يسلم قال بعضهم ثم ان عمرا لم يزل بعمان حتى توفى النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن سعد ولعل اقامته كانت بامر النبى صلى الله عليه وسلم حين بعثه أو باشارة فهم منها ذلك أو باجتهاد حتى يجمع الصدقة والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى هوذة بن على الحنفى)

صاحب اليمامة وهى بلاد بالمشرق كثيرة النخيل على نحو ست عشرة مرحلة من مكة كتب صلى الله عليه وسلم الى صاحب اليمامة هوذة بن على الحنفى وأرسل الكتاب مع سليط بن عمرو العامرى رضى الله عنه وكان ممن أسلم قديما وهاجر الى الحبشة ثم الى المدينة وشهد بدرا وغيرها واستشهد باليمامة فى قتال أهل الردة وفى الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن على سلام على من اتبع الهدى واعلم ان دينى سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك فلما قدم عليه سليط بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مختوما أنزله وحياه وقرأ عليه الكتاب فرد ردا فيه لطف قال السهيلى وقال له سليط يا هوذة انك سودتك أعظم حائلة أى بالية وأرواح فى النار وانما السيد من متع بالايمان ثم زود بالتقوى ان قوما سعدوا برأيك فلا يشقون به وانى آمرك بخير مأمور به وأنهاك عن شر منهى عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فان فى عبادة الله الجنة وفى عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت ما رجوت وأمنت ما خفت وان أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطلع فقال هوذة يا سليط سودنى من لو سودك شرفت به وقد كان لى رأى أختبر به الامور ففقدته فوضعه من قلبى هواء فاجعل لى فسحة يرجع الى فيها رأيى فاجيبك به ان شاء الله وذكر الواقدى أن أركون دمشق الرومى من عظماء النصارى كان عند هوذة فقال له هوذة جاءنى كتاب من النبى يدعونى الى الاسلام فلم أجبه فقال الاركون لم لا تجيبه قال ضننت بدينى وأنا ملك قومى ولئن تبعته ان أملك قال بلى والله لئن اتبعته ليملكنك وان الخير لك فى اتباعه وانه للنبى العربى الذى بشر به عيسى بن مريم عليه السلام وانه لمكتوب عندنا فى الانجيل محمد رسول الله وأركون هذا أسلم على يد خالد بن الوليد فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ثم ان هوذة كتب للنبى صلى الله عليه وسلم جواب كتابه وقال فيه ما أحسن ما تدعو اليه وأجله وأنا شاعر قومى وخطيبهم والعرب تهاب مكانى فاجعل لى بعض الامر أتبعك وكانه أراد الشركة فى النبوة أو الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم وأجاز سليطا بجائزة وكساه ثوابا من نسج هجر فقدم بكتابه على النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبره فلما قرأ الكتاب على النبى صلى الله عليه وسلم قال لو سالنى سيابة من الارض أى قطعة منها ما فعلت باد وباد ما فى يديه أى هلك وهو خبر أو دعاء فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من الفتح أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام بان هوذة قدمات على كفره فقال صلى الله عليه وسلم أما ان اليمامة سيظهر بها كذاب يتنبأ يقتل بعدى فكان كذلك فظهر بها مسيلمة لعنه الله وقتل وفى رواية فقال قائل يا رسول الله من يقتله قال أنت وأصحابك قال بعضهم والظاهر أن المخاطب من الذين اشتركوا فى قتله أو هو خالد بن الوليد أى فانه رضى الله عنه كان أمير الجيش الذى قاتل مسيلمة لعنه الله والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى الحرث بن أبى شمر الغسانى)

(وأخرج) الامام أحمد عن عبد الله بن زرير قال دخلت على على رضى الله عنه يوم أضحى وهو أمير المؤمنين فقرب لنا خزيرة فقلت أصلحك الله لو قربت لنا من هذا البط يعنى الاوز فان الله قد أكثر الخير فقال يا ابن زرير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يحل لخليفة من مال الله الا قصعتان قصعة يأكلها هو وأهله وقصعة يضعها بين أيدى الناس *والخزيرة لحم يقطع قطعا صغارا على ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق وان لم يكن فيها لحم فهى عصيدة وعن أبى حيان التيمى عن أبيه قال رأيت على بن أبى طالب رضى الله عنه على المنبر يقول من يشترى منى سيفى هذا فلو كان معى ثمن ازار ما بعته فقام اليه رجل فقال اسلفك ثمن ازار وفى رواية انه باعه فى السوق وقال لو كان عندى أربعة دراهم ثمن ازار لم أبعه ولعله فى مرة أخرى

وكان أميرا بدمشق من جهة قيصر وكانت اقامته بغوطتها وهو موضع بالشام كثير الماء والشجر وبعث صلى الله عليه وسلم اليه شجاع بن وهب الاسدي من أسد بن خزيمة رضي الله عنه وكان من السابقين الاولين واستشهد باليمامة ومعه كتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحرث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق فاني أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى لك ملكك وختم الكتاب قال شجاع فانتهيت فوجدته مشغولا بتهيئة الضيافة لقيصر وقد جاء من حمص الى ايليا حيث كشف الله عنه جنود فارس شكرا لله تعالى قال شجاع فاقمت على بابه يومين أو ثلاثة فقلت لحاجبه اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حاجبه لا تصل اليه حتى يخرج يوم كذا وكذا وجعل حاجبه يسالني عنه صلى الله عليه وسلم وما يدعو اليه فكنت أحدثه فيرق حتى يغلبه البكاء ويقول اني قرأت في الانجيل وأجد صفة هذا النبي بعينه وكنت أظنه يخرج بالشام فاراه خرج بارض القرظ فانا أومن به وأصدقه وأنا أخاف من الحرث بن أبي شمر أن يقتلني وكان هذا الحاجب روميا اسمه مري قال شجاع وكان يكرمني ويحسن ضيافتي ويخبرني باليأس من الحرث ويقول هو يخاف قيصر قال فخرج الحرث يوما فوضع التاج على رأسه فاذن لي عليه فدفعت اليه الكتاب فقرأه ثم رمى به وقال من ينتزع مني ملكي أنا سائر اليه ولو كان باليمن جئته علي بالناس فلم يزل جالسا حتى الليل وأمر بالخيل أن تنعل ثم قال أخبر صاحبك بما ترى وكتب الى قيصر يخبره بخبري فصادف قيصر بايليا وعنده دحية رضي الله عنه وقد بعثه صلى الله عليه وسلم فلما قرأ قيصر كتاب الحرث كتب اليه أن لا تسر اليه واله عنه ووافني بايليا قال ورجع اليه جوابه وأنا مقيم فدعاني وقال متى تريد أن تخرج الى صاحبك قلت غدا فامر لي بمائة مثقال ذهبا ووصلني حاجبه مري بنفقة وكسوة وقال اقرأ على رسول الله مني السلام وأخبره باني متبع دينه فقدمت فاخبرته صلى الله عليه وسلم بخبر الحرث فقال باد ملكه وأقرأته من مري السلام وأخبرته بما قال فقال صلى الله عليه وسلم صدق وفي كلام بعض أهل السير أن الحرث أسلم ولكن قال أخاف أن أظهر اسلامي فيقتلني قيصر وذكر ابن هشام وغيره أن شجاع بن وهب انما توجه الى جبلة بن الايهم ويقال أرسل الى الحرث والى جبلة وأن شجاعا قال له يا جبلة ان قومك يعني الانصار نقلوا هذا النبي الامي من داره الى دارهم فآووه ومنعوه ونصروه وان هذا الدين الذي أنت عليه ليس بدين آبائك ولكنك ملكت الشام وجاورت الروم ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس فان أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم وان لم يفعلوا كانت لهم الدنيا وكانت لك الآخرة وقد كنت استبدلت المساجد بالبيع والاذان بالناقوس والجمع بالشعانين وكان ما عند الله خيرا وأبقى فقال جبلة والله اني لوددت أن الناس اجتمعوا على هذا النبي اجتماعهم على من خلق السموات والارض وقد سرني اجتماع قومي به وقد دعاني قيصر الى قتال أصحابه يوم مؤتة فابيت عليه ولكني لست أرى حقا ولا باطلا وسانظر* وذكر بعضهم أنه أسلم حقيقة وورد جواب كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه باسلامه وأرسل له هدية وكان ثابتا على اسلامه الى زمن خلافة عمر رضي الله عنه فكتب الى عمر رضي الله عنه يستأذنه في القدوم عليه فسر عمر رضي الله عنه بذلك وأذن له فخرج في خمسين ومائتين من أهل بيته حتى اذا قارب المدينة عمد الى أصحابه فحملهم على الخيل وقلدها قلائد الفضة والذهب وألبسها الديباج والحرير ووضع تاجه على رأسه فلم تبق بكر ولا عاتق الا خرجت تنظر اليه والى زيه وزينته فلما دخل على عمر رضي الله عنه رحب به وأدنى مجلسه وأقام عنده بالمدينة مكرما فخرج عمر حاجا فخرج معه وحين طاف بالبيت وطئ رجل من فزارة ازاره فغضب فلطم الفزاري لطمة هشم بها أنفه وكسر ثناياه وفي رواية فقأ عينه فشكا الفزاري الى عمر رضي الله عنه فاستدعاه وقال له لم هشمت أنفه أو قال لم فقأت عينه فقال يا أمير المؤمنين وطئ على ازاري ولولا حرمة البيت لضربت عنقه بالسيف فقال له عمر رضي الله عنه أما أنت فقد أقررت اما أن ترضيه والا أقدته منك وفي رواية قال والحكم اما بالعفو أو بالقصاص فقال جبلة فيصنع بي ماذا قال مثل ما صنعت به فقال أيقتص له مني سواء وأنا ملك وهذا سوقي فقال له عمر رضي الله عنه الاسلام سوى بينكما ولا فضل لك عليه الا بالتقوى قال ان كنت أنا وهذا الرجل في

قال عبد الرزاق وكانت بيده الدنيا كلها الا ما كان من الشام وكان يقول انما أحفظ المال للمسلمين قال سفيان ان عليا رضي الله عنه لم يبن آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وان كان ليؤتى بحبوبه من المدينة في جراب وكان يختم على الجراب الذي فيه دقيق الشعير الذي يأكل منه ويقول لا أحب أن يدخل بطني الا ما أعلم وصح أن عليا رضي الله عنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار طعاما الا مختوما حذرا من الشبهة (قال) الحسن بن صالح تذاكروا الزهاد عند عمر ابن عبد العزيز فقال عمر أزهد الناس في الدنيا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه كان أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم خازنا لعلي رضي الله عنه على بيت المال فدخل علي يوما ورأى على بنته زينب لؤلؤة كان عرفها لبيت المال فقال

الدين سواء فانا أتنصر فانى كنت يا أمير المؤمنين أظن انى أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية فقال له عمر رضى الله عنه اذا تنصرت أضرب عنقك قال فامهلنى الليلة حتى أنظر فى أمرى قال ذلك الى خصمك فقال الرجل أمهلته يا أمير المؤمنين فاذن له عمر فى الانصراف ثم ركب فى بنى عمه وهرب الى قسطنطينية فدخل على هرقل وتنصر هناك وكان مع الروم فى قتالهم المسلمين حتى هلك على النصرانية وقيل عاد الى الاسلام ومات مسلما ولم يصح وكان جبلة رجلا طوالا طوله اثنا عشر شبرا وكان يمسح الارض برجله وهو راكب فسر هرقل به وزوجه ابنته وقاسمه ملكه وجعله من سماره وجعل له مدينة بين طرابلس واللاذقية سماها جبلة باسمه وقيل فيها قبر ابراهيم بن أدهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم الى بنى نهد)

وهم قبيلة باليمن كانوا يتكلمون بالفاظ غريبة وحشية لا تعرفها أكثر العرب وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم ويكاتبهم بلغتهم وذلك من أنواع بلاغته صلى الله عليه وسلم فكان يتكلم مع كل ذى لغة غريبة بلغته ومع كل ذى لغة بليغة بلغته اتساعا فى الفصاحة واستحداثا للالفة والمحبة وكان يخاطب أهل الحضر بكلام ألين من الدهن وأرق من المزن ويخاطب أهل البدو بكلام أرسى من الهضب وأرهف من العضب فانظر الى دعائه صلى الله عليه وسلم لاهل المدينة حين سألوه ذلك *فقال اللهم بارك لهم فى مكيالهم وبارك لهم فى صاعهم ومدهم وفى رواية اللهم بارك لنا فى ثمرنا وبارك لنا فى مدينتنا وبارك لنا فى صاعنا وبارك لنا فى مدنا اللهم انى أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك ابراهيم لمكة ثم انظر دعاءه لبنى نهد وقد وفدوا عليه فى جملة الوفود فقام طهفة بن رهم النهدى يشكو الجدب اليه فقال يا رسول الله أتيناك من غورى تهامة بأكوار الميس ترتمى بنا العيس نستحلب الصبير ونستخلب الخبير ونستعضد البرير ونستخيل الرهام ونستجيل الجهام من أرض غائلة النطاء غليظة الوطاء قد نشف المدهن ويبس الجعثن وسقط الاملوج ومات العسلوج وهلك الهدى ومات الودى برئنا اليك يا رسول الله من الوثن والعنن وما يحدث الزمن لنا دعوة الاسلام وشرائع الاسلام ما طمى البحر وقام تعار ولنا نعم همل أغفال ما تبل ببلال ووقير كثير الرسل قليل الرسل أصابتها سنية حمراء مؤزلة ليس لها علل ولا نهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدعاء لهم اللهم بارك لهم فى محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها فى الدثر بيانع الثمر وافجر له الثمد وبارك له فى المال والولد من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة ولا تتثاقل عن الصلاة ثم كتب معه كتابا الى بنى نهد بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى بنى نهد بن زيد السلام على من آمن بالله عز وجل ورسوله لكم يا بنى نهد فى الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم مالم تضمروا الاماق وتأكلوا الرباق من أقر بما فى هذا الكتاب فله من رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفاء بالعهد والذمة ومن أبى فعليه الربوة وروى العسكرى عن على رضى الله عنه قلنا يا نبى الله نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك تتكلم بلسان العرب مالا نعرف أكثره قال ان الله عز وجل أدبنى فاحسن تاديبى أى علمنى رياضة النفس ومحاسن الاخلاق الظاهرة والباطنة ونشأت فى بنى سعد بن بكر أى فجمع لى بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها وخلوص ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها قال فى المواهب ويحتاج هذه الالفاظ البالغة أعلى أنواع البلاغة الى التفسير فغورى تهامة ما انحدر منها والاكوار الرحل والميس بفتح الميم وسكون التحتية شجر صلب يعمل منه رحال الابل ونستحلب بالحاء المهملة الصبير بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة سحاب أبيض متراكب متكاثف أى نستدر السحاب ونستخلب الخبير بالخاء المعجمة فيهما والخبير هو العشب فى الارض شبه بخبير الابل وهو وبرها واستخلابه احتشاشه بالخلب وهو المنجل وقيل نستخلب الخبير أى نقطع النبات ونأكله ونستعضد البرير أى نقطعه والبرير ثمر الاراك وكانوا يأكلونه فى الجدب لقلة الزاد ونستخيل الرهام بكسر الراء وهى الامطار الضعيفة واحدتها رهمة أى نتخيل الماء

من أين لها هذه لا قطعن يدها فلما رأى أبو رافع جده فى ذلك قال أنا والله زينتها بها فقال على لقد تزوجت فاطمة ومالى ولها فراش الا جلد كبش ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحا بالنهار ومالى خادم غيرها (قال) ابن عباس رضى الله عنهما قسم علم الناس خمسة أجزاء فكان لعلى رضى الله عنه منها أربعة أجزاء ولسائر الناس جزء شاركهم على فيه فكان أعلمهم به (وأخرج) ابن عساكر عن ابن مسعود رضى الله عنه قال أفرض أهل المدينة وأقضاها على رضى الله عنه وذكر عند عائشة رضى الله عنها فقالت انه أعلم من بقى بالسنة وقال مسروق أشهر علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمر وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم (ولما) جعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر الخلافة شورى بين الستة أصحاب الشورى

فى السحاب القليل ونستحيل بالجيم الجهام أى نراه جائلا يذهب به الريح ههنا وههنا والجهام بفتح الجيم
السحاب الذى فرغ ماؤه ويروى ونستخيل بالخاء المعجمة الجهام من خلت أخال اذا ظننت أراد لا نتخيل
فى السحاب الا المطر وان كان جهاما لشدة حاجتنا اليه فنظن ما لا وجود له موجودا ويروى ونستحيل بالحاء
المهملة والمراد لا ننظر من السحاب فى حال الا الى جهام من قلة المطر وقوله من أرض غائلة النطا بكسر النون
أى المهلكة للبعد يقال بلد نطى أى بعيد والمدهن بالضم نقرة فى الجبل ومستنقع الماء وكل موضع حفره
السيل وآلة الدهن وقارورته وهذا كناية عن جفاف الماء فى جميع نواحيهم والجعثن بالجيم والمثلثة
المكسورتين بينهما مهملة ساكنة آخره نون أصل النبات والاملوج بضم الهمزة واللام وبالجيم ورق
شجر يشبه الطرفاء والعسلوج بضم العين وبالسين المهملتين آخره جيم هو الغصن اذا يبس وذهبت طراوته
يريد ان الاغصان يبست وهلكت من الجدب وقوله وهلك الهدى بفتح الهاء وكسر الدال المهملة وشد الياء
كالهدى بسكون الدال وتخفيف الياء ما يهدى الى البيت الحرام من النعم لينحر فاطلق على جميع الابل وان
لم تكن هديا لصلوحها له تسمية للشئ ببعضه وقوله ومات الودى بشد الياء هو فسيل النخل يريد هلكت
الابل ويبست النخيل وبرئنا اليك من الوثن أى الصنم يعنون انهم تركوا عبادة الاصنام والالتجاء اليها
والعنن أى الاعتراض يقال عن لى الشئ اذا اعترض كانه قال برئنا اليك من الشرك والظلم وقيل أراد به
الخلاف والباطل وقوله ماطما البحر بالطاء المهملة أى ارتفع بامواجه وتعار بكسر المثناة الفوقية بعدها
عين مهملة فالف فراء بزنة كتاب اسم جبل يصرف ولا يصرف باعتبار المكان والبقعة وقوله ولنا نعم همل
بفتحتين أى مهملة لا رعاة لها ولا فيها ما يصلحها ويهديها فهى كالضالة والابل الاغفال التى لا لبن فيها والوقير
القطيع من الغنم وقوله كثير الرسل بفتح الراء أى شديد التفرق فى طلب الرعى قليل الرسل بكسر فسكون
اللبن وقوله سنية بالتصغير للتعظيم وقوله حمراء أى شديدة أصابها جدب شديد وقوله مؤزلة أى آتية بالازل أى
القحط ليس لها عال هو الشرب ثانيا ولا نهل هو الشرب أولا أى لشدة القحط وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم
بارك لهم فى محضها بالحاء المهملة والضاد المعجمة أى خالص لبنها ومخضها بالمعجمتين ما مخض من اللبن وهو
الذى حرك فى السقاء حتى يتميز زبده فيؤخذ منه ومذقها وهو اللبن الممزوج بالماء والضمائر لارضهم أو
أنعامهم المذكورة فى كلام طهفة فدعا النبى صلى الله عليه وسلم لهم فى البانهم باقسامها والقصد الدعاء
لهم بخصب أرضهم وسقيها فكانه قال اللهم اسق بلادهم واجعلها مخصبة ملبنة وابعث راعيها فى الدثر بالمهملة
المفتوحة ثم المثلثة الساكنة ويجوز فتحها ثم الراء المال الكثير وقيل الخصب والنبات الكثير لانه من الدثار
وهو الغطاء لانه يغطى وجه الارض وافجر له الثمد بفتح المثلثة واسكان الميم وتفتح الماء القليل أى صيره كثيرا
وقوله ودائع الشرك قيل المراد بها العهود والمواثيق التى كانت بينهم وبين من جاورهم من الكفار ووضائع
الملك بكسر الميم هى الوظائف التى تكون على الملك وهو ما يلزم الناس فى أموالهم من الزكاة والصدقة أى
لكم الوظائف التى تلزم المسلمين لا نتجاوزها معكم ولا نزيد عليكم فيها شيئا بل أنتم فيها كسائر المسلمين وقوله
لا تلطط بضم المثناة الفوقية ثم اللام الساكنة ثم طاءين الاولى مكسورة والثانية ساكنة أى لا تمنع الزكاة
يقال لط الغريم اذا منعه حقه ولا تلحد بضم المثناة الفوقية واسكان اللام وكسر الحاء المهملة آخره دال
مهملة أى لا تمل عن الحق ما دمت حيا والخطاب لطهفة بن رهم ويروى ولا تلطط فى الزكاة ولا تلحد فى الحياة
بصيغة التفعل ولا تتثاقل عن الصلاة أى لا تتخلف عنها وعن أدائها فى وقتها وقوله فى الكتاب فى الوظيفة
الفريضة الوظيفة الحق الواجب والفريضة هى الهرمة المسنة التى انقطعت عن العمل والانتفاع بها أى
لا نأخذ فى الصدقات هذا الصنف كما لا نأخذ خيار المال والفارض بالفاء والضاد المعجمة المريضة أى فهى
لكم لا نأخذها فى الزكاة أيضا والفريش بالفاء وكسر الراء وتحتية ساكنة آخره شين معجمة وهى من الابل
الحديثة العهد بالنتاج كالنفاس من بنى آدم أى لكم خيار المال كالفريش لانها البون نفيسة ولكم شراره
أيضا كالفريضة والفارض وانما وسطه رفقا بالفريقين وذو العنان بكسر العين ونونين بينهما ألف سير اللجام

ونخرجوا من عنده قال ان
يولوها الاجلح أى الاصلع
يسلك بهم الطريق يعنى
على بن أبى طالب رضى الله
عنه فقال له ابنه عبد الله فما
يمنعك يا أمير المؤمنين من
توليته قال أكره أن
أتحملها حيا وميتا (قال)
يحيى بن سلمة استعمل على
رضى الله عنه عمرو بن سلمة
على أصبهان فقدم ومعه
مال وزقاق فيها عسل وسمن
فارسلت أم كلثوم بنت على
رضى الله عنهما الى عمرو
تطلب منه سمنا وعسلا
فارسل اليها ظرف عسل
وظرف سمن فلما كان
الغد خرج على وأحضر
المال والعسل والسمن
ليقسم فعد الزقاق فنقصت
زقين فساله عنهما فكتمه
وقال نحن نحضرهما فعزم
عليه الا ذكرهما له فاخبره
فارسل الى أم كلثوم فاخذ
الزقين منها فرآهما قد نقصا
فامر التجار بتقويم ما نقص
منهما فكان ثلاثة دراهم
فارسل اليها فاخذها منها

والركوب بفتح الراء أى الفرس الذلول أى المذلل المركوب أى لا تؤخذ الزكاة من الفرس المعد للركوب أى بخلاف المعد للتجارة والفلو بفتح الفاء وضم اللام وشد الواو المهر الصغير والضبيس بفتح المعجمة وكسر الموحدة آخره سين مهملة المهر العسر الركوب الصعب امتن عليهم بترك الصدقة فى الخيل جيدها وهو ذو العنان الركوب ورديئها وهو الفلو الضبيس أى أظهر المنة عليهم فى ذلك لان الله ما أوحى اليه باخذ الزكاة فى ذلك فهى غير واجبة فيه لا عليهم ولا على غيرهم وقوله لا يمنع سرحكم بضم المثناة التحتية وفتح النون سرحكم بفتح السين المهملة وسكون الراء وبالحاء المهملة ما سرح من المواشى أى لا يدخل عليكم أحد فى مراعيكم والمراد أن مطلق الماشية لا تمنع عن مرعاها وقوله ولا يعضد طلحكم أى لا يقطع شجركم الذى لا ثمر له فغيره من باب أولى وقوله ولا يحبس دركم أى لا تحبس ذوات اللبن عن المرعى الى أن تجتمع الماشية ثم تعد أى يعدها الساعى لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها والقصد الرفق بمن تؤخذ منهم الزكاة أو المعنى لا تأخذ ذات الدر لما فى ذلك من الاضرار وقوله مالم تضمروا الاماق أى مالم تخالفوا وتكتموا الاماق أى الغدر والبغض وهو بكسر الهمزة وميم ساكنة وهمزة ممدودة تليها قاف بزنة لا كرام وفى رواية الرماق وهو الغدر أيضا وقال الزمخشرى فى تفسير الاماق المراد اضمار الكفر والعمل على ترك الاستبصار فى دين الله وقوله وتأكلوا الرباق بكسر الراء وبالموحدة المخففة جمع ربق أصله الحبل الذى يجعل فيه عرا وتشد به البهمة لتتخلص من الرباط أى الا أن تنقضوا العهد فاستعار الاكل لنقض العهد استعارة تصريحية أو تمثيلية وشبه ما يلزم من العهد بالرباق واستعار الاكل لنقضه والمعنى هذا أمر مقدر عليكم منا مالم تنقضوا العهد وترجعوا عن الاسلام فان فعلتم فعليكم ما على الكفرة وقوله فعليه الربوة بكسر الراء وفتحها وضمها أى الزيادة يعنى من تقاعد عن اعطاء الزكاة فعليه الزيادة فى الفريضة عقوبة له وهو صادق باى زيادة كانت أى يزاد فى عقوبته ولو بقتاله فان مانع الزكاة يقاتل قال فى المواهب فانظر الى هذا الدعاء والكتاب الذى انطبق على لغتهم أى من حيث المماثلة فى غرابة الالفاظ مع انه زاد عليها فى الجزالة أى حسن النظم والتأليف وقد كان من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أن يكلم كل ذى لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها فلما كان كلام من تقدم على هذا الحدو بلغتهم على هذا النمط وأكثر استعمالهم لهذه الالفاظ استعملها معهم فاستعمالها مع من هى لغته لا يخل بالفصاحة بل هو من أعلى طبقاتها وان كان فيها ماهو غريب وحشى بالنسبة لغيرهم حتى ان كلام البادية الوحشى فصيح بالنسبة لهم وكان أحدهم لا يتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربى وماذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الناس سودا وحمرا فعلمه الله جميع اللغات قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أى لغتهم فلما بعثه الله للجميع علمه الجميع ليحدث الناس بما يعلمون فكان ذلك من معجزته صلى الله عليه وسلم وقد خاطب بعض الحبشة بكلامهم وبعض الفرس بكلامهم وغيرهم مما هو ثابت فى كتب السنة وفى شرح الشهاب الخفاجى على الشفاء ان جماعة وفدوا على النبى صلى الله عليه وسلم حين بعث فلما دخلوا المسجد الحرام لم يعرفوا النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا لا يعرفون العربية فقال رجل منهم بلغته من أبون أسران أى أيكم رسول الله ولم يفهم الحاضرون قوله فقال النبى صلى الله عليه وسلم اشكد أور ومعنى اشكد تعال وأقبل وهلم وأور ومعناه هنا أو الينا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيبه بلغته ولا يفهم القوم فاسلم وبايع وانصرف لقومه وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد أخبر الصحابة بقدومه ولغته فسبحان من علمه ذلك انه المعلم الكريم وأما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد ألف الناس فيها الدواوين وجمعت فى ألفاظها ومعانيها الكتب فلا توازى فصاحة ولا تبارى بلاغة فلا حاجة الى الاطالة بها وفى المواهب والشفاء وشروحهما كثير من ذلك

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لذى المشعار الهمدانى)

المشعار بكسر الميم واسكان الشين المعجمة وعين مهملة فالف فراء اسم موضع باليمن لقب به مالك بن نمط

ثم قسم الجميع وكان رضى الله عنه لا يشترى ممن يعرفه خوفا من أن يحابيه * قال الشعبى وجد على رضى الله عنه درعاله عند نصرانى وقيل يهودى فاقبل به الى القاضى شريح وجلس الى جانبه وقال لو كان خصمى مسلما لساويته وادعى عليه فقال هذه درعى فقال النصرانى ماهى الا درعى ولم يكذب أمير المؤمنين فقال شريح لعلى رضى الله عنه ألك بينة قال لا وهو يضحك وفى رواية قال عندى قنبر وابنى الحسن يشهدان بذلك فقال القاضى شريح شهادة الابن لا تجوز للاب فاخذ النصرانى الدرع ومشى يسيرا ثم عاد وقال أشهد ان هذه أحكام الانبياء أمير المؤمنين قدمنى الى قاضيه وقاضيه يحكم عليه ثم أسلم واعترف ان الدرع سقطت من على عند مسيره الى صفين ففرح على باسلامه ووهب له الدرع وفرسا وشهد معه

الهمدانى وهمدان شعب عظيم أى قبيلة من همدان ويكنى مالك بأبى ثور وفد على النبى صلى الله عليه وسلم مقدمه من تبوك فقال يارسول الله نصية من همدان من كل حاضر وباد أتوك على قلص نواج متصلة بحبائل الاسلام لا تأخذهم فى الله لومة لائم من مخلاف خارف ويام لا ينقض عهدهم عن سنة ماحل ولا سوداء عنقفير ماقام لعلع وماجرى اليعفور بصلع فكتب لهم النبى صلى الله عليه وسلم أى أمر بكتابة ماصورته بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها أى المشعار مالك بن النمط ومن أسلم من قومه على ان لهم فراعها ووهاطها وعزازها ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض والداجن والكبش الحورى وعليهم فيها الصالغ والقارح فقوله نصية من كل حاضر وباد بنون مفتوحة وصاد مهملة مكسورة وتحتية ثقيلة مفتوحة من ينتصى من القوم ويختار وهم الرؤس والاشراف ويقال للاشراف نواص كما يقال للاتباع أذناب وقوله أتوك على قلص بضم القاف واللام جمع قلوص وهى الناقة الشابة ولا تزال قلوصا حتى تصير بازلا وهى ماتم لها ثمان سنين ودخلت فى التاسعة والنواجى السراع جمع ناجية وقوله متصلة بحبائل الاسلام أى عهوده ومواثيقه وخارف بالخاء المعجمة المفتوحة والراء المكسورة والفاء ويام بالمثناة التحتية فألف فميم ويقال أيام قبيلتان من همدان وقوله ولا ينقض عهدهم عن سنة ماحل أى لا ينقض بسعى ساع بالنميمة والافساد والسنة الطريقة ويروى عن وشية ماحل والماحل هو الواشى والساعى بالافساد والعنقفير بفتح العين المهملة وسكون النون وتقديم القاف على الفاء بعدها تحتية فراء الداهية أى لا ينقض عهدهم بسعى الواشى ولا بداهية تنزل وقوله سوداء أى شديدة فهو من اضافة الصفة للموصوف أى لا ينقض عن داهية شديدة ولعلع بلامين وعينين جبل وما جرى اليعفور بفتح التحتية واسكان المهملة وضم الفاء فواو فراء ولد الظبية وقوله بصلع بضم الصاد المهملة وتشديد اللام الارض التى لا نبات فيها فالمراد ان عهدهم لا ينقض أصلا لان لعلعا مقيم واليعفور لا ينفك عن جريانه بالارض القفراء وقوله صلى الله عليه وسلم لمخلاف هو الناحية وطرف الاقليم وقوله خارف اسم موضع وأهل جناب الهضب بكسر الجيم والهضب بفتح الهاء وسكون المعجمة وموحدة جمع هضبة مركب تركيب مزج اسم موضع أيضا وحقاف الرمل بحاء مهملة مكسورة ففاء بينهما ألف اسم موضع أيضا وهذه المواضع بلادهم وفراعها بكسر الفاء وبراء وعين مهملة جمع فرعة بفتح فسكون أى ما علا من الجبال أو الارض ووهاطها بكسر الواو وبطاء مهملة المواضع المطمئنة واحدها وهط كسهم وسهام والوهط اسم أعناب كانت لعمرو بن العاص رضى الله عنه بالطائف على ثلاثة أميال من وج وكان يعرشها على ألف ألف خشبة وقيل الوهط قرية بالطائف وعزازها بفتح العين المهملة ثم زايين مخففتين ما صلب من الارض وخشن مما الاملاك لاحد فيه وقوله يأكلون علافها بكسر العين المهملة وتخفيف اللام وبالفاء جمع علف وهو ما تأكله الماشية ففيه مجاز الحذف أى تأكل ماشيتهم أو أن يأكلون بمعنى يعلفون وعفاءها بفتح المهملة وتخفيف الفاء وبالمد أى المباح الذى ليس لاحد فيه ملك ولا أثر من عفا الشئ اذا اندرس ومن دفئهم بكسر الدال المهملة وسكون الفاء وبالهمز نتاج الابل وألبانها والانتفاع بها وسماها دفئا لانه يتخذ من أصوافها وأوبارها ما يتدفأ به وصرامهم بكسر الصاد المهملة وتخفيف الراء أى لنا من نخلهم ما يصرم أى يقطع وما يخرج منه وهو الثمر والثلب بكسر المثلثة واللام الساكنة وبباء موحدة ما هرم بكسر الراء من ذكور الابل وتكسرت أسنانه والانثى ثلبة والناب بالنون والموحدة الناقة الهرمة التى طال نابها والفصيل بالمهملة الذى انفصل عن أمه من أولاد النوق والفارض بالفاء والراء المسن من البقر والداجن الدابة التى تألف البيوت والكبش الحورى بحاء مهملة فواو مفتوحتين وقد تسكن الواو فراء مكسورة الذى فى صوفه حمرة منسوب الى الحورة وهى جلود تتخذ من الضأن وقيل ما دبغ من الجلود بغير القرظ والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة من صلغت الشاة ونحوها اذا تم سنها وذلك اذا دخلت فى السادسة وقيل السابعة والقارح

قال الخوارج (ولما) دخل الكوفة دخل عليه حكيم من العرب فقال والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زينتك ورفعتها وما رفعتك وهى كانت أحوج اليك منك اليها * ومن كراماته الباهرة رضى الله عنه ان الشمس ردت عليه لما كان رأس النبى صلى الله عليه وسلم فى حجره والوحى ينزل عليه وعلى لم يصل العصر فما سرى عنه صلى الله عليه وسلم الا وقد غربت الشمس فقال النبى صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فطلعت بعد ما غربت وحديث ردها صححه الطحاوى والقاضى عياض فى الشفاء وحسنه شيخ الاسلام أبو زرعة وغيره وردوا على جمع قالوا انه موضوع * وله رضى الله عنه من الحكم والمواعظ والامثال ما أفرد بالتاليف ومناقبه ومفاخره أكثر من

بالقاف والراء والحاء المهملة وهو من الخيل الذي دخل في السنة الخامسة أو السادسة وفي النهاية القارح والصالغ من البقر والغنم الذي كمل وانتهى سنه وذلك في السنة السادسة والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لقطن بن حارثة العليمي)

وقطن بفتح القاف والطاء المهملة ونون والعليمي بمهملة مصغر نسبة لبني عليم الكلبي وفد قطن مع قومه على النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وأنشد النبي صلى الله عليه وسلم قوله

رأيتك يا خير البرية كلها * نبت نضارا في الارومة من كعب

أغر كأن البدر سنة وجهه * اذا ما بدا للناس في خالك العضب

أقمت سبيل الحق بعد اعوجاجها * ودنت اليتامى في السقاية والجدب

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيرا وكتب له كتابا وخاطب فيه قومه بما يعرفون من لغتهم وهذا صورته هذا كتاب من محمد لعمائر كلب وأحلافها ومن ظأره الاسلام من غيرهم من قطن بن حارثة العليمي باقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة بحقها في شدة عقدها ووفاء عهدها بمحضر من شهود المسلمين وسمى جماعة منهم دحية بن خليفة الكلبي وسعد بن عبادة وعبد الله بن أنيس عليهم من الهمولة الراعية البساط الظؤار في كل خمسين ناقة غير ذات عوار والحمولة المائرة لهم لاغية وفي الشوى الورى مسنة حامل أو حائل وفيما سقى الجدول من العين المعين العشر وفي العثرى شطره بقيمة الامين لا يزاد عليهم وظيفة ولا يفرق عهد على ذلك الله ورسوله وكتب ثابت بن قيس بن شماس * وتفسير ذلك ان العمائر جمع عمارة بالفتح أصغر من القبيلة والاحلاف الحافون لهم ومن ظأره الاسلام بالظاء المعجمة والهمزة المفتوحة آخره هاء على وزن منعه أي ومن جمعه الاسلام عليهم من غيره والهمولة بفتح الهاء هي التي ترعى بانفسها بان تكون سائمة في كلأ مباح والبساط التي معها أولادها والظؤار أن تعطف الناقة على غير ولدها فهو اسم جمع ظئر بمعنى مرضعة وقوله ناقة بالرفع فاعل لجب مقدرا وهذه الصفات ليست للتخصيص لما علم من غير هذا الحديث من عموم الحكم لجميع أصناف الابل حتى لو تمحضت من بنات المخاض لوجبت فيها الزكاة وقوله عوار بفتح العين وضمها والمراد منه العيب وقوله والحمولة المائرة لهم لاغية الحمولة بفتح الحاء والمائرة التي تحمل الميرة وهي الطعام والمعنى ان الابل التي تحمل لهم الميرة لا تؤخذ منها زكاة لانها عوامل وبه قال قوم وقوله وفي الشوى بفتح الشين المعجمة وكسر الواو والياء المشددة اسم جمع للشاة والورى بفتح الواو وكسر الراء وشد الياء السمينة والمسنة ما لها سنتان لكن الذي في الفروع أن الواجب في الغنم جذعة ضأن لها سنة أو أجذعت مقدم أسنانها أو ثنية معز لها سنتان وبكر حمل ما هنا عليه واقتصر لهم على زكاة الغنم والابل لانها غالب أموالهم والجدول النهر الصغير والعين المعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض بلا تعب والعثري الزرع الذي لا يسقيه الا ماء المطر وقوله بقيمة الامين أي بتقويم الخراص العدل والله سبحانه وتعالى أعلم

(ذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لوائل بن حجر)

بضم الحاء المهملة وبعدها جيم ساكنة فراء الحضرمي رضي الله عنه ونسبه ينتهي الى مالك بن مرة بن حجر بن زيد الحضرمي كان أبوه من اقيال اليمن ووفد هو على النبي صلى الله عليه وسلم واستقطعه أرضها فاقطعه اياها وأرسل النبي صلى الله عليه وسلم معه معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ليسلمها اياها وكان معاوية رضي الله عنه حافيا فاحرقه حر الشمس فسأله أن يردفه خلفه فابى ورأى أنه لا يكون كفؤا لان يكون رديفه فقال له لست ممن يردفه الملوك فساله نعليه أن يلبسهما فابى وقال دونك ظل ناقتي فامش فيه وذلك كافيك فنال حر الشمس من معاوية غايته وشق عليه ذلك فعاش وائل بن حجر حتى أدرك خلافة معاوية فوفد عليه فتلقاه وأكرمه قال وائل فوددت لو كنت حملته بين يدي وكان له قبل الاسلام صنم من عقيق يعبده ويسجد له فنام عنده يوما في الظهيرة فسمع صوتا ثلاثا فقد سجد له فسمع هاتفا يقول

واعجبا لوائل بن حجر * يخال يدري وهو ليس يدري

أن تحصى *(وأما حقية خلافته)* فقد تقدم ذكر البيعة له بعد مقتل عثمان رضي الله عنه قال العلامة ابن حجر في كتابه المسمى بالصواعق ان الاجماع انعقد على صحة بيعة علي رضي الله عنه ووجه انعقادها في زمن الشورى على انها له أو لعثمان وهذا اجماع على انه لولا عثمان لكانت لعلي رضي الله عنهما فحين قتل عثمان رضي الله عنه بقيت لعلي رضي الله عنه اجماعا واتفق على بيعته أهل الحل والعقد قال امام الحرمين ولا اكتراث بقول من قال لا اجماع على امامة علي رضي الله عنه فان الامامة لم تجحد له وانما هاجت الفتنة لامور أخرى (ولما) تمت البيعة لعلي رضي الله عنه بالمدينة امتنع من الدخول في البيعة جماعة من أهل الشام وجماعة من أهل مصر وجماعة من أهل العراق وقالوا لا نبايع حتى يقتص

ماذا ترجى من نحيت صخر * ليس بذى عرف ولاذى نكر
ولابذى نفع ولاذى ضر * لو كان ذا حجر أطاع أمرى

فرفع رأسه وقال بماذا تأمرنى فقال ارحل الى يثرب ذات النخل * وسر اليها سير مستقل
فدن بدين الصائم المصلى * محمد الرسول خير الرسل

ثم خر الصنم لوجهه فقام اليه فجعله رفاتا ثم سار حتى أتى المدينة ودخل المسجد فادناه النبى صلى الله عليه وسلم وبسط له رداءه وأجلسه معه ثم صعد المنبر وقال أيها الناس هذا وائل بن حجر سيد الاقيال أتاكم من أرض بعيدة راغبا فى الاسلام فقال يارسول الله بلغنى ظهورك وأنا فى ملك عظيم فتركته واخترت دين الله فقال صدقت اللهم بارك فى وائل وولده وولد ولده ثم انه نزل الكوفة فى آخر عمره وتوفى بها فى خلافة معاوية رضى الله عنه وله بها عقب ووقع فى الشفاء أنه صلى الله عليه وسلم وصفه بالكندى فقيل انه غلط والصواب الحضرمى وقال ابن الجوزى الحضرمى أو الكندى فلا مانع من كونه حضرميا كنديا ثم كتب له صلى الله عليه وسلم كتابا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب فى التيعة شاة لامقورة الالياط ولاضناك وأنطوا الثبجة وفى السيوب الخمس ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولاتوصيم فى الدين ولاغمة فى فرائض الله تعالى وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال وتفسيره الاقيال هم الرؤساء دون الملوك وقيل الملوك والعباهلة بالموحدة المفتوحة الذين أقروا على ملكهم لا يزالون من عبهلت الابل اذا تركتها ترعى متى شاءت والارواع بفتح الهمزة وسكون الراء آخره عين مهملة جمع رائع وهم ذوو الهيآت الحسنة الحسان الوجوه والمشابيب بفتح الميم والشين المعجمة وباء موحدتين بينهما مثناة تحتية ساكنة السادة الرؤس الحسان الوجوه فهم مع اتصافهم بالحسن متصفون بانهم رؤساء سادات فلا يرد أنه مساو لقوله الارواع وقوله وفى التيعة بكسر المثناة الفوقية وسكون المثناة التحتية وبالعين المهملة أربعون من الغنم وفى القاموس التيعة أدنى ما تجب فيه الصدقة من الحيوان أى غير البقر وقوله لامقورة بضم الميم وبفتح القاف وشد الواو والالياط بفتح الهمزة وسكون اللام وبعدها تحتية فالف آخره طاء مهملة أى لامسترخية الجلود لكونها هزيلة جمع ليط بكسر اللام وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا ألصقه وقيل المقورة المقطوعة والمعنى بها الناقصة فالتفاسير متقاربة وقوله ولاضناك بكسر المعجمة وتخفيف النون ضد ما قبلها وهى الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها وقوله وأنطوا بقطع الهمزة بعدها نون أى أعطوا بلغة اليمن أو بنى سعد وقرئ شاذا انا أنطيناك وروى فى الدعاء لامانع لما أنطيت والثبجة بثلثة فوحدة فجيم مفتوحات وقد تكسر الموحدة أى أعطوا الوسط فى الصدقة لامن خيار المال ولامن دنيه وفى السيوب بضم المهملة والمثناة التحتية وواو آخره موحدة جمع سيب وهو الركاز أو المعدن ومن زنى مم بكر بكسر الراء بلا تنوين لان الاصل من البكر لكن أهل اليمن يبدلون لام التعريف ميما وهى ساكنة فادغمت النون فيها وحذفوا همزة الوصل فى الرسم تخفيفا فاذا لك اتصلت النون بالميم لفظا وخطا فادغمت اذلم يبق مانع من الادغام بخلاف مالو رسمت فانها تكون فاصلة وقوله فاصقعوه بهمزة وصل واسكان الصاد المهملة وفتح القاف وضم العين المهملة أى اضربوه وأصله الضرب على الرأس وقيل الضرب ببطن الكف ويروى فاصفعوه بالفاء بدل القاف يقال صفعت فلانا أصفعه اذا ضربت قفاه واستوفضوه بهمزة وصل وكسر الفاء وضم الضاد المعجمة ثم واو ساكنة فضمير النصب أى غربوه وانفوه وقوله فضرجوه بالضاد المعجمة المفتوحة وشد الراء المكسورة وبالجيم المضمومة من التضريج وهو التدمية أى ارجموه حتى يسيل دمه فيموت وقوله بالاضاميم بفتح الهمزة والضاد المعجمة وميمين أولاهما مكسورة بينهما تحتية ساكنة أى بالحجارة وقوله ولاتوصيم فى الدين بصاد مهملة مكسورة تفعيل من الوصم وهو العيب والعار أى لاعار فى اقامة الحدود أى لاتحابوا فيها أحدا وهذا بمعنى قوله تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله وقوله ولاغمة فى فرائض الله بضم الغين المعجمة وشد الميم

من قتلة عثمان وهم معترفون أن عليا رضى الله عنه هو الذى يستحق الخلافة بعد مقتل عثمان رضى الله عنه وكان ممن بايعه فى المدينة طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهما وهما من العشرة المبشرين بالجنة ومن الستة أصحاب الشورى الذين عينهم عمر رضى الله عنه واختلف النقل فى كونهما بايعا طائعين أو مكرهين والصحيح انهما بايعا طائعين ولكنهما أرادا التعجيل فى أخذ القصاص من قتلة عثمان رضى الله عنه وكان على رضى الله عنه يرى أن الصواب تأخير البحث عن قتلة عثمان حتى تتم البيعة فى جميع الامصار ويستقر أمر الخلافة لان التعجيل فى البحث عن قتلة عثمان وأخذ القصاص منهم قبل استقرار الامر يثور منه فتنة لان الذين قتلوه كانت لهم قبائل وعشائر كثيرون

أي لا تستر ولا تخفى بل تظهر ويجهر بها اقامة واظهارا لشعائر الدين و يروى ولاعه في الدين بفتح العين المهملة
والميم المخففة والهاء أي لا تحير ولا تردد فيه وقوله يترفل بشد الفاء المفتوحة أي يتسود و يترأس استعارة من
ترفيل الثوب وهو اسباغه أي تطاوله واسباله للفخر والعظمة فاستعير أو هو كناية عن جعله رئيسا عليهم
محكما فيهم * فهذه نبذة من مكاتباته صلى الله عليه وسلم ومخاطباته يعلم منها أنه كان يكلم كل ذي لغة بلغته من
العرب أو العجم وذلك من معجزاته صلى الله عليه وسلم ومع ذلك كان أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما وأسرعهم
أداء وأحلاهم منطقا حتى كان كلامه يأخذ بجامع القلوب وكأنه يسلب الارواح ففصاحة لسانه عليه الصلاة
والسلام غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يدانى منتهاها ولذا قال بعضهم كلامه صلى الله عليه وسلم معجز قال الزهري
قال رجل من بني سليم يا رسول الله أيدالك الرجل امرأته قال نعم اذا كان ملفجا فقال له أبو بكر رضي الله عنه
يا رسول الله ما قال لك وما قلت له فقال صلى الله عليه وسلم قال أيماطل الرجل أهله قلت نعم اذا كان مفلسا فقال
أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله لقد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك قال أدبني ربي
ونشأت في بني سعد رواه ابن عساكر وغيره قال في القاموس دالكه أي ماطله والملفج بضم الميم واسكان اللام
وفتح الفاء وبالجيم اسم فاعل من ألفج الرجل فهو ملفج اذا كان فقيرا وهو على غير قياس والقياس كسر
الفاء ومثله في الخروج عن القياس أحصن فهو محصن بفتح الصاد المهملة وأسهب الرجل اذا أكثر الكلام
فهو مسهب بفتح الهاء والقياس الكسر في الجميع وقيل ان الكلام كناية عن مماطلة الرجل امرأته في
الايلاج عند ارادة الوقاع أي أيداعب الرجل امرأته قبل الجماع فقال صلى الله عليه وسلم نعم اذا كان ملفجا
أي مفلسا كناية عن كونه عاجزا ضعيف الشهوة ليكون ذلك محركا لشهوته والعجزة سمي مفلسا تشبيها بمن
لا علاك ما لا لعجزه وقيل معناه أيماطلها مهرها اذا كان فقيرا فقد أجاب صلى الله عليه وسلم السائل بجواب محتمل
لتلك المعاني كما أن سؤاله كان كذلك فهذا من بلاغته صلى الله عليه وسلم ومن جوامع كلمها التي اختص بها
صلوات الله وسلامه عليه وفي حديث عطية السعدي رضي الله عنه قال قدمت وافدا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع قومي فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وذكر من كلامه ما أغناك الله فلا تسأل
الناس شيأ فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة وقال الله مسؤل ومنطى وفي شرح الشهاب
على الشفاء روي باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم بينما هو ذات يوم جالس مع أصحابه اذ نشأت سحابة فقالوا
يا رسول الله هذه سحابة فقال كيف ترون قواعدها قالوا ما أحسنها وأشد تمكنها قال وكيف ترون رحاها قالوا
ما أحسنها وأشد استدارتها قال وكيف ترون بواسقها قالوا ما أحسنها وأشد استقامتها قال وكيف ترون برقها
أوميضا أم خفقا أم يشق شقا قالوا بل يشق شقا قال وكيف ترون جونها قالوا ما أحسنه وأشد سواده فقال صلى
الله عليه وسلم الحيا فقالوا يا رسول الله ما رأينا أفصح منك قال وما يمنعني من ذلك وانما أنزل القرآن بلسان
عربي مبين وقواعد السحابة أساسها واحدتها قاعدة وأما القواعد من النساء فواحدتها قاعد وهي التي قعدت
عن الولد ورحاها وسطها ومعظمها وكذا رحى الحرب وسطها ومعظمها حيث استدار القوم وقال الجوهري
مستدارها وبواسقها ما علا منها وارتفع وكل شيء علا فقد بسق والوميض اللمع الخفي يقال أومض ايماضا
وأومض بعينه غمز والخفق بزنة الضرب البرق الضعيف قال الجوهري خفق البرق اذا لمع لمعا ضعيفا معترضا في
نواحي الغيم فان لمع قليلا ثم سكن فهو الوميض والذي يشق شقا هو الذي يستطيل في الغمام وجونها أسودها
وهو من الاضداد لانه يكون بمعنى الابيض والحيا بالقصر الغيث وجمعه أحياء * وبعد أن بث صلى الله عليه
وسلم كتبه في الآفاق أمر أمراء في كل قطر دخل في طاعته وانقاد لشريعته فمن أمرائه صلى الله عليه وسلم
باذان بن ساسان كان نائبا لكسرى على اليمن فلما هلك كسرى باخبار النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم أسلم
باذان لظهور صدق النبي صلى الله عليه وسلم له في اخباره بهلاك كسرى مع ما بلغه عنه من المعجزات وأرسل
للنبي صلى الله عليه وسلم باسلامه واسلام من معه فأمره صلى الله عليه وسلم على اليمن وفاء بقوله صلى الله عليه
وسلم لرسولي باذان حين أراد الرجوع اليه وقل له ان أسلمت أقرك على ملكك وهو أول أمير في الاسلام

يتعصبون لهم و يمنعون
من أخذ القصاص منهم
فتنتشر الفتنة ويتسع الامر
وهذا الرأي الذي رآه علي
رضي الله عنه ووافقه عليه
كثير من الصحابة وغيرهم
فبايعوه و بعض الصحابة
رأى ان الصواب تعجيل
البحث عنهم وأخذ القصاص
منهم فامتنعوا من البيعة
وقاموا طالبين للبحث عن
قتلة عثمان رضي الله عنه
وقالوا ان الله تعالى في كتابه
أوجب أخذ القصاص
من القاتل فلو أخرنا أخذ
القصاص كنا مخالفين
للقرآن ونظروا أيضا الى
ما ورد عن النبي صلى الله
عليه وسلم من فضائل عثمان
رضي الله عنه ومن انه
يقتل مظلوما وانه على الحق
والهدى وطائفة أخرى
من الصحابة تعارضت
عندهم الادلة فامتنعوا
من الدخول مع احدى
الطائفتين وقالوا لا نبايع
حتى يستقر الامر منهم
سعد بن أبي وقاص رضي

على اليمن وأول من أسلم من ملوك العجم ثم مات واستعمل النبي صلى الله عليه وسلم ابنه شهر بن باذان وقيل ان باذان خرج للوفود على النبي صلى الله عليه وسلم فلحقه العنسي الكذاب الذي ادعى النبوة باليمن فقتله وقيل ان الذي قتله الاسود انما هو ابنه شهر لا هو وأن العنسي تزوج زوجته بعد قتله وكانت مسلمة فاعانت فيروز الديلمي على قتل الاسود فانها امكنته من الدخول عليه الى ان قتله وأمر صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص رضي الله عنه وولى زياد بن لبيد الانصاري رضي الله عنه حضرموت وهو مخلاف باليمن وولى أبا موسى الاشعري رضي الله عنه زبيد وعدن وولى معاذ بن جبل رضي الله عنه الجند ومخاليفها وولى أبا سفيان بن حرب رضي الله عنه نجران وهو موضع باليمن قال بعضهم انه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان أبو سفيان بمكة فاول مدة تلك الولاية لم تطل وولى ابنه يزيد تيماء بلدة بناحية تبوك ثم ان أبا بكر لما جهز الجيوش للشام كان أول أمير عقد رايته يزيد بن أبي سفيان ثم ولى الشام في خلافة عمر رضي الله عنه بعد أبي عبيدة رضي الله عنه وقبل أخيه معاوية وتوفي يزيد رضي الله عنه بالشام وهو أكبر من معاوية قال بعضهم ان يزيد بن أبي سفيان أفضل آل أبي سفيان وكان من فضلاء الصحابة رضي الله عنه وولى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد رضي الله عنه مكة وولى علي بن أبي طالب رضي الله عنه القضاء باليمن وولى عمرو بن العاص رضي الله عنه عمان الى غير ذلك مما بسطه أهل السير وفي هذا القدر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

(باب في ذكر شيء من معجزاته صلى الله عليه وسلم)

اعلم أن معجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة لا يمكن حصرها ولنقتصر على المشهور منها وقد تقدم ذكر شيء مما تقدم في أول بعثته أو مما اندرج في غزواته وسراياه فلا ينبغي الملل والسآمة عند ذكر شيء من ذلك لان بتكراره تزداد الفائدة

أعد ذكر نعمان لنا ان ذكره * هو المسك ما كررته يتضوع

والمعجزة هي الامر الخارق للعادة المقرون بالتحدي أي بطلب المعارضة كانشقاق القمر ونبع الماء من بين الاصابع وسميت معجزة لعجز البشر عن الاتيان بمثلها لانها لا تنسب لكسبهم لكونها خارقة للعادة وهي تدل على صدق من ظهرت على يديه وشرط تسميتها معجزة أن تظهر على يد مدعي الرسالة على طبق دعواه وتقسيم الامر الخارق للعادة الى المعجزة والكرامة وغيرهما مذكور في كتب الكلام فلا حاجة الى الاطالة به ثم ان دلائل رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم كثيرة والاخبار عن شأنه شهيرة فمن ذلك ما وجد في التوراة والانجيل وسائر كتب الله المنزلة من ذكره ونعته بالصفات المميزة له وخروجه بارض العرب وما خرج بين يدي مولده وبعثه من الامور الغريبة العجيبة كقصة الفيل وما أحل الله باصحابه فان تلك القصة مؤيدة لشأن العرب منوهة بذكرهم مشيرة الى أنه سيصير لهم نبأ عظيم وذلك بظهور هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وكخمود نار فارس عند ميلاده عليه الصلاة والسلام وكانوا يعبدونها وكان لها ألف عام لم تخمد وسقوط أربع عشرة من شرفات ايوان كسرى وغيض ماء بحيرة ساوة وكانت متسعة أكثر من ستة فراسخ يركب فيها السفن ويسافر فيها الى ما حولها من البلاد والمدن فاصبحت ليلة المولد ناشفة كان لم يكن بها شيء من الماء ورؤيا الموبذان وهو قاضي المجوس رأى ليلة مولده صلى الله عليه وسلم ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في البلاد فقال له كسرى أي شيء يكون هذا قال حدث يكون من ناحية العرب ومن ذلك ما سمع من هواتف الجن الصارخة بنعوته وانتكاس الاصنام المعبودة وخرورها لوجوهها من غير دافع لها من أمكنتها الى غير ذلك مما روي ونقل في الاخبار المشهورة من ظهور العجائب في ولادته وأيام حضانته وبعدها الى أن بعثه الله نبيا ومن تأمل في جميع مآثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجميع خصاله لم يشك في صحة نبوته وقد اكتفى كثير ممن عاصره صلى الله عليه وسلم بتلك الاشياء فآمن وانقاد له صلى الله عليه وسلم وعلم أن تلك الصفات لا يمكن أن يتصف بها غير نبي فقد أخرج الترمذي عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان من علماء اليهود قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب فصدقه وآمن به وقال لليهود يا معشر يهود اتقوا الله

الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة وعبد الله ابن عمر رضي الله عنهما وكل فريق من الفرق الثلاثة كانوا مجتهدين لا يريدون الا الحق وان اختلفت اجتهاداتهم فالكل منهم مأجور المصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد كما جاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وبقي هذا الاشتباه بين الناس الى زمن الائمة الاربعة فنظروا في الادلة وحرروها بعد انتشار السنة والاحاديث في الامصار وظهر لهم ما كان خفيا من الاحاديث فاتضح لهم ان الحق كان مع علي رضي الله عنه وان غيره كان مخطئا في اجتهاده ومن أخطأ منهم في اجتهاده كان معذورا لم يطلع على الاحاديث التي تدل على أن الحق كان مع علي رضي الله عنه فاياك أن تظن باحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انهم كانوا يقتتلون لطلب الدنيا وحظوظ النفس فان ذلك الظن

واقبلوا ما جاءكم به فوالله انكم لتعلمون أنه رسول الله الذي تجـدونه عندكم مكتوبا في التوراة اسمه وصفته واني أومن به وأصدقه وعن أبي رمثة التميمي رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأيته قلت هذا نبي الله أي لما شاهده من عظمته ونور نبوته فاوقع الله في قلبه علما ضروريا بصدقه صلى الله عليه وسلم وروى مسلم أن ضماد بن ثعلبة الازدي كان صديقا للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وكان يغيب في قومه ثم يقدم وافدا الى مكة فقدم مرة في أول مبعثه صلى الله عليه وسلم وسمع الناس يقولون فيه ما قالوا أي من نسبته للسحر أو الكهانة أو الجنون وكان ضماد عاقلا يطبب ويرقي في الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون جاءه وقال اني راق فهل بك من شئ فارقيك فاجابه صلى الله عليه وسلم بقوله ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله فقال له ضماد أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغت قاموس البحر أي وسطه أو لجته ثم قال هات يدك أبايعك فآمن به وصدقه وأسلم وانقاد من غير تردد واكتفى بهذه الكلمات الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم البالغة من الفصاحة والبلاغة غايتها مع ما شاهده من نور وجهه الشريف وحسن بهجته وقال بعضهم في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يقرأ قرآنا أي وان لم يظهر معجزة كما قال ابن رواحة رضي الله عنه

لو لم يكن فيه آيات مبينة * لكان منظره ينبيك بالخبر

ومع ذلك لم يكن معه صلى الله عليه وسلم ما يستميل به القلوب من مال فيطمع فيه ولا قوة فيقهر بها الرجال ولا أعوان على الدين الذي أظهره ودعا اليه وكانوا مجتمعين على عبادة الاصنام وتعظيم الازلام مقيمين على عادة الجاهلية في العصبية والحمية والتعادي والتباغي وسفك الدماء وشن الغارات لا تجمعهم ألفة دين ولا يمنعهم من سوء أعمالهم نظر في عاقبة ولا خوف عقوبة ولا لوم لائم فألف صلى الله عليه وسلم بين قلوبهم وجمع كلمتهم حتى اتفقت الآراء وتناصرت القلوب وتتابعت الايدي في التعاون والتناصر على اظهار الحق فصاروا جمعا واحدا في نصرته ناظرين الى طاعته ليذبوا عنه ما يكره ويعاونوه على ما يريد وهجروا بلادهم وأوطانهم وجفوا أقوامهم وعشائرهم في محبته وبذلوا أرواحهم في نصرته ونصبوا وجوههم لوقع السيوف والسهام والرماح ووطنوا أنفسهم على اصابة ذلك لوجوههم وصدورهم لاجل اعزاز كلمته واعلاء دينه واظهاره بلا دنيا بسطها لهم ولا أموال أفاضها عليهم ولا غرض في العاجل أطمعهم في نيله فيرغبون بسببه أو ملك أو شرف في الدنيا يحوزونه بل كان من شأنه صلى الله عليه وسلم أن يجعل الغني فقيرا لانه كان يحمل الاغنياء على صرف أموالهم في الجهاد ونحوه من أنواع القرب ويجعل الشريف مثل الوضيع بتهذيب النفس وعدم الفخر والاعراض عن الاسباب المشعرة بنحو الكبر فهل يلتئم مثل هذه الامور أو يتفق مجموعها لاحد هذا سبيله بالاختيار العقلي والتدبير الفكري لا والذي بعثه بالحق وسخر له هذه الامور وما يشك عاقل في شئ من ذلك وانما هو أمر الهي وشئ غالب سماوي ناقض للعادات تعجز عن بلوغه قوى البشر ولا يقدر عليه الا من له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم أكثرها متواتر رواها جمع عن جمع وكانت تظهر في مواطن اجتماعهم كيوم الخندق وبقية الغزوات وفي محافل المسلمين ومجتمع العساكر والجند ولم ينقل عن أحد من الصحابة مخالفة ولا انكار على من روى ذلك مع شدة تحريهم فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق لانهم منزهون عن السكوت على باطل وعن المداهنة في الكذب كلهم عدول لا يخافون في الله لومة لائم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما أنكر بعضهم على بعض أشياء رواها من السنن والسير وبعض ألفاظ في القرآن ثم نقلت الى من بعدهم قرنا بعد قرن تأخذها طائفة عن طائفة وجماعة عن جماعة قال القاضي عياض في الشفاء فمن اعتنى بطرق النقل لم يشك في صحة هذه القصص المشهورة أي من المعجزات وخوارق العادات كالاخبار بالغيبات ولا يبعد أن يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان أكثر الناس يعلمون بالخبر المتواتر وجود بغداد وانها مدينة عظيمة وانها دار الامامة

لوقعك في التكذيب للآيات الدالة على فضلهم وللاحاديث الصريحة في نزاهتهم عن الاغراض الدنيوية فتكون مكذبا لشهادة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لهم بالبراءة من كل نقص هذا مذهب أهل السنة والجماعة ومن قال بشئ مما يخالف ذلك فهو ملحد مبتدع وسيأتيك في ذكر محاورة الصحابة في هذه المسئلة ما تعلم منه علما قطعيا انهم مجتهدون في ذلك لا يريدون الا الحق (ولما) جاءت الاخبار لعلي رضي الله عنه ان أهل الشام امتنعوا من البيعة له حتى يقتص من قتلة عثمان دعا طلحة والزبير رضي الله عنهما وقال لهما ان الامر الذي أحذركم قد وقع وان الذي قد وقع لا يدرك الا باماتته وانها فتنة كالنار كلما أسعرت ازدادت واستنارت فقالا ائذن لنا أن نخرج من المدينة وقيل بل استأذناه في العمرة

والخلافة وآحادمن الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها أي فهل الجاهل بذلك لا ينفي التواتر فكذا مانحن فيه ومن دلائل نبوّته صلى الله عليه وسلم انه كان أميا لا يخط كتابا بيده ولا يقرؤه ولد في قوم أميين ونشأ بينهم في بلد ليس بها عالم يعرف أخبار الماضين ولم يخرج في سفر قاصدا الى عالم يعكف عليه ليتعلم منه فجاءهم بأخبار التوراة والانجيل والامم الماضية وقد كانت ذهبت تلك الكتب ودرست وحرفت عن مواضعها ولم يبق من المتمسكين بها وأهل المعرفة بصحيحها الا القليل واقانهم لم يجتمع صلى الله عليه وسلم باحد منهم حتى يظن انه أخذ عنهم ثم انه جادل كل فريق من أهل الملل المخالفة له بآيات وبراهين لو اجتمع لردها حذاق المتكلمين وجهابذة النقاد المتقنين لم يتهيأ لهم نقض ذلك وهذا أدل شئ على انه أمر جاء من عند الله تعالى لاصنع لاحد فيه ومن أعظم دلائل نبوّته صلى الله عليه وسلم القرآن العظيم فقد تحداهم بما فيه من الاعجاز ودعاهم الى معارضته والاتيان بسورة من مثله فعجزوا عن الاتيان بشئ منه فكان هذا القرآن الذي أعجزهم أوضح في الدلالة على الرسالة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص لانه أتى أهل البلاغة وأرباب الفصاحة ورؤساء البيان والمقدمين في اللسان بكلام مفهوم المعنى عندهم فكان عجزهم عنه أعجب من عجز من شاهد المسيح عليه السلام عند احياء الموتى لانهم لم يكونوا يطمعون فيه ولا في ابراء الاكمه والابرص وقريش كانت تتعاطى الكلام الفصيح والبلاغة وانشاء الكلام البليغ ارتجالا في المحافل جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة فيأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون بديهة في المقامات وفي كل موضع شديد الخطب ويرتجزون بين الطعن والضرب ويتوصلون بذلك الى مطالبهم ويرفعون من مدحوه بمدحهم ويضعون من ذموه بقدحهم فيأتون من ذلك بالسحر الحلال ويطوّقون الاعناق باحسن من عقد اللآل فيخدعون الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرؤن الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق فكل من البدوي والحضري لهما الحجة البالغة والقوة الدامغة لا يرتابون أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فجاءهم الرسول الكريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبادرت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه جاءهم وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر في السجع والشعر ارتجالا وأوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم من الاعوام بضعا وعشرين على رؤس الملأ أجمعين فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فلم يزل يقرعهم أشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا عاجزون عن معارضته وما ذاك الا ليصير علما على رسالته وصحة نبوّته وهذه حجة قاطعة وبرهان واضح وهو باق دون غيره من المعجزات ومنه تستنبط الاحكام الشرعية والعلوم العقلية ولم تستنبط من معجز سواه فمعجزات الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القرآن باقية الى يوم القيامة وقد قطع صلى الله عليه وسلم بانهم لا يقدرون على معارضة القرآن حيث تحداهم به وقال لهم كما أمره الله تعالى فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار فلولا علمه صلى الله عليه وسلم بان ذلك من عند الله علام الغيوب وانهم لا يقدرون لما قال لهم ولن تفعلوا لانه كان أعقل الرجال من أهل زمانه بل هو أعقل خلق الله على الاطلاق ولكمال عقله لم يحصل له ريب في خبر الله بل قطع القول فيما أخبر به عن ربه

فاذن لهما فلحقا بمكة وكانت عائشة رضي الله عنها قد حجت في ذلك العام فاجتمعا معها بمكة وأجمع رأيهم على الطلب بدم عثمان رضي الله عنه وانه يجب عليهم أخذ القصاص من قاتليه واتفقوا على الخروج الى البصرة ليستعينوا بالناس على أخذ الثار من قتلة عثمان رضي الله عنه حتى يقتصوا منهم وانهم لا يجوز لهم تأخير هذا الامر فخرج معهم جمع كثير فساروا حتى وافوا البصرة فكانت وقعة الجمل من غير قصد من الفريقين كما ستقف عليه مما نذكر (ولما) بلغ عليا رضي الله عنه خروجهم تجهز من المدينة للمسير الى الكوفة وبعث قبله لاهل الكوفة جماعة من أصحابه منهم ابنه الحسن وعمار ابن ياسر رضي الله عنهم فكانا يأمرانهم بالقيام لنصرة الحق فكان عمار رضي الله عنه يقول لهم

بانهم لا يأتون بشئ من مثله وهذا من أحسن ما يكون فى هذا المجال وأبدعه وأبينه فانه نادى عليهم بالعجز عن معارضته ونفى قدرتهم فى المستقبل حيث قال ولن تفعلوا فلو قدروا فعلوا فصار صارخا بعجزهم على رؤس الاشهاد فلم يستطع أحد منهم الالمام به مع توفر الدواعى وتظاهر الاجتهاد وهم فى كل حين ناكصون عن معارضته يخادعون أنفسهم بالتكذيب والافتراء يقولون ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه وأساطير الاولين ورضوا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر أى صمم ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وقنعوا بادعاء القدرة مع عجزهم كما قال تعالى حكاية عنهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وهذه وقاحة ومكابرة لفرط عنادهم فلو استطاعوه ما منعهم أن يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز بضعا وعشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم يقدروا مع استنكافهم أن يغلبوا خصوصا فى الفصاحة وقال تعالى اظهارا لعجزهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أى معينا فهذا نزل ردا لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وانما ذكر سبحانه وتعالى الجن تعظيما للاعجاز القرآن والا فالتحدى انما وقع للانس دون الجن لانهم ليسوا من أهل اللسان العربى الذى جاء القرآن على أساليبه لان للهيئة الاجتماعية من القوة ما ليس للافراد واذا فرض اجتماع الثقلين واعانة بعضهم بعضا ومع ذلك عجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد أعجز فرضيت هممهم الشريفة وأنفسهم الابية بسفك الدماء وهتك الحرم عجزا عن الاتيان بمثله وعنادا فلو قدروا على المعارضة لدفعوا ما حل بهم بالمعارضة فهذا برهان على عجزهم وابطال لقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا فان هذا قاطع بعجزهم وعدم قدرتهم فلا عبرة بقولهم وقد اعترف كثير منهم من أهل الفصاحة والبلاغة بانه لا يقدر أحد على معارضته وانه ليس من كلام البشر فممن اعترف عتبة بن ربيعة وذلك انه ذهب الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى ان كنت تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا أو تطلب الشرف فنحن نسودك علينا وان كان الذى يأتيك رئيا بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك فلما فرغ قال صلى الله عليه وسلم اسمع منى بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته حتى انتهى صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوضع عتبة يده على فم النبى صلى الله عليه وسلم وقال له لا تدع علينا ثم رجع فقالت له قريش ما وراءك فقال والله لقد سمعت قولا ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ وتقدمت قصته مبسوطة بعد ذكر قصة اسلام حمزة رضى الله عنه عند ذكر ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية وروى من حديث اسلام أبى ذر رضى الله عنه كما رواه مسلم انه حين بلغه بعثة النبى صلى الله عليه وسلم بمكة بعث أخاه أنيسا ينظر له فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وكان أبو ذر يصف أخاه بقوله والله ما سمعت باشعر من أخى أنيس قد ناقض اثنى عشر شاعرا فى الجاهلية أى عارضهم فى قصائدهم أى فيدل ذلك على فصاحته ومعرفته بالشعر قال فانطلق أنيس الى مكة ثم رجع الى أبى ذر يخبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال رأيت رجلا بمكة يزعم ان الله أرسله قلت فما يقول الناس فيه قال يقولون شاعر كاهن ساحر ولقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أنواع الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على لسان أحد وانه لصادق وانهم لكاذبون وروى البيهقى فى قصة الوليد بن المغيرة وكان سيد قريش فى الفصاحة انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم اقرأ على شيأ انظر فيه فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون فقال الوليد أعد على قراءتك فاعاد صلى الله عليه وسلم الآية فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وما يقول هذا بشر ثم قال لقومه والله ما فيكم رجل أعلم بالاشعار منى ولا باقوال الجن منى والله ما يشبه الذى يقول شيأ من ذلك والله ان لقوله الذى يقول لحلاوة وان عليه لطلاوة وانه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلى عليه وانه ليحطم ما تحته وقد سبق عند ذكر استهزاء المستهزئين به صلى الله عليه وسلم ان الوليد بن المغيرة هذا قال فى حق النبى صلى الله عليه وسلم ما هو بكاهن ولا بمجنون ولا بشاعر ولكن أقرب

هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم استنفركم الى زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى طلحة والزبير وانى أشهد انها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة فانظروا ثم انظروا فى الحق فقاتلوا معه وقال الحسن رضى الله عنه أيها الناس أجيبوا دعوة أميركم وسيروا الى اخوانكم فانه سيوجد لهذا الامر من ينفر له فاجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم وكان أبو موسى الاشعرى رضى الله عنه أميرا على الكوفة فى بعض مدة خلافة عثمان رضى الله عنه فلما بويع على رضى الله عنه كتب له فكتب له أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم وبين الكاره منهم للذى كان والراضى وكان رأى أبى موسى الامساك عن الدخول فى هذا الامر والتوقف فيه فلما جاء الحسن وعمار بن

القول فيه انه ساحر كما تقدم مبسوطا وروى أبو نعيم من طريق ابن اسحق عن رجل من بني سلمة بكسر اللام بطن من الانصار قال لما أسلم فتيان بني سلمة قال عمرو بن الجموح لابنه معاذ أخبرني ما سمعت من كلام هذا الرجل وكان معاذ أسلم قبل أبيه فقرأ عليه الحمد لله رب العالمين الى قوله الصراط المستقيم فقال عمرو لابنه ما أحسن هذا وأجمله أوكل كلامه مثل هذا قال يا أبت وأحسن من هذا * قال في المواهب نقلا عن بعضهم ان هذا القرآن لو وجد مكتوبا في مصحف في فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله تعالى وان البشر وغيرهم لاقدرة لهم على تأليف ذلك فكيف اذا جاء على يد أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقد قال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم ان يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فكيف يبقى مع هذا شك

(ذكر وجوه اعجاز القرآن)

اعلم ان وجوه اعجاز القرآن لا تنحصر فمنها الايجاز أي قلة اللفظ وكثرة المعاني والبلاغة الخارقة لعادة العرب حتى كان في الحد الاعلى مثل قوله ولكم في القصاص حياة فجمع في كلمتين عدد حروفهما عشرة أحرف معاني كثيرة وحكى أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام أي انما كان سجوده لانه هزه العجب لفصاحته ولدهشته من بلاغته حتى ذل ومرغ وجهه في التراب وسمع اعرابي آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال أشهد أن مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام أي لاعجاز بلاغته وخروجها عن طوق البشر وحكى الاصمعي انه رأى جارية صغيرة السن بلغت خمس سنين أو ستا وهي تقول أستغفر الله من ذنوبي كلها قال الاصمعي فقلت لها مم تستغفرين وأنت صغيرة لم يجر عليك قلم أي لم تبلغي الحلم فقالت

أستغفر الله لذنبي كله * قتلت انسانا لغير حله * مثل غزال ناعم في دله * انتصف الليل ولم أصله

فقلت لها قاتلك الله ما أفصحك فقالت أوتعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى ان أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في آية واحدة بين أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين فالامران أرضعيه وألقيه والنهيان ولا تخافي ولا تحزني والخبران وأوحينا وفاذا خفت وقيل الخبران والبشارتان انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فهو خبر من جهة وبشارة من جهة وحكى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد فاذا برجل على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاخبره انه من بطارقة الروم وهم قواد الروم وأهل الرياسة فيهم وكان ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من أسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم أيها المسلمون قال فتاملتها فاذا هي قد جمع فيها ما أنزل الله على عيسى بن مريم عليه السلام من أحوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون فكان ذلك سبب اسلامه وقد أراد جماعة من أهل الزيغ والطغيان ممن أوتوا طرفا من البلاغة وحظا من البيان أن يضعوا أشياء يلبسون به على الناس يزعمون انه يشبه القرآن فعجزوا عن ذلك ورأوه مكان النجم من يد المتناول ومنهم من أراد أن يصنع كلاما قلبه لاعلى كتبه نحو سورة الكوثر ليدخل الشبهة على الجهال القاصرة عقولهم عن تمييز الحسن من القبيح فجاء بما يدل على سخافة عقله وجود قريحته وسوء فعله وظهر لاهل التمييز انه ليس من نمط فصاحتهم ولا من جنس بلاغتهم فولوا عنه مدبرين واعترفوا بحقية القرآن مذعنين فمن ذلك قول مسيلمة الكذاب لعنه الله يا ضفدع كم تنقين أعلاك في الماء وأسفلك في الطين لا الماء تكدرين ولا الشرب تمنعين ولما سمع مسيلمة لعنه الله قوله تعالى والنازعات غرقا قال والزارعات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات طحنا والخافرات حفرا والثاردات ثردا واللاقمات لقما لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر الى غير ذلك من الهذيان الدال على سخافة عقله بل كلامه هذا مسلوب عنه أدنى الفصاحة التي ألفوها فيكون حجة على خزيه ومن كلامه وقيل من كلام غيره ألم تر كيف فعل ربك بالحبلى أخرج من بطنها نسمة تسعى من بين شراسيف وأحشا وقال بعض الحمقاء الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وثيل أي ممتد ومشفر طويل وان ذلك من خلق ربنا القليل

بأمر رضي الله عنهم بأمر ان الناس بالقيام لنصرة الحق كان أبو موسى يقول للناس نصيحة لهم على حسب ما كان اجتهاده عليه من الامساك أيها الناس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انها ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الراكب وقد جعلنا الله اخوانا وقد حرم علينا دماءنا وأموالنا وجعل يكفكف الناس و يقول أيها الناس أطيعوني وكونوا جرثومة من جراثيم العرب يأوي اليكم المظلوم ويأمن فيكم الخائف شيموا سيوفكم وقصدوا رماحكم وقطعوا أوتاركم والزموا بيوتكم وأطيعوني يسلم لكم دينكم ودنياكم فلما كان ذلك صار الناس أقساما ثلاثة قسم اتبعوا الحسن وعمارا وتجهزوا معهما وقسم اتجه وا لطلحة والزبير وعائشة رضي الله

ففي هذا الكلام مع قلة حروفه من السخافة ما لا يخفى على من لا يعلم فضلا عن يعلم اذ كل من سمعه يعلم ضرورة هجانته وركته * ومن وجوه الاعجاز الوصف الذي صار به خارجا عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والسجع فلا يشبه نظما ولا نثرا ولا خطبة ولا رسالة ولا سجعا مع أنه يشاركها في أنه مؤلف من كلماتهم ونزل على أساليب كلامهم في البلاغة وقد اشتمل على حسن التأليف والتئام الكلمات وفصاحتها وغير ذلك من وجوه الاعجاز الخارقة لعادة العرب في عجائب تراكيبهم وغرائب أساليبهم وبدائع انشائهم وروائع اشاراتهم الذين هم فرسان الكلام ومن صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب الوضع المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء به القرآن ووقفت عليه مقاطيع آياته وانتهت اليه فواصل كلماته لم يوجد قبله ولا بعده نظيره ولذلك تحيرت عقولهم ودهشت أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله في حسن كلامهم فلا ريب أنه في فصاحته قد قرع القلوب ببديع نظمه وفي بلاغته قد أصاب المعاني بصائب سهمه فانه حجة الله الواضحة ومحجته اللائحة ودليله القاهر وبرهانه الباهر ما رام معارضته شقي الا تهافت تهافت الفراش في الشهاب وذل ذل الغنم بين الليوث الغضاب وقد حكي عن غير واحد ممن رام معارضته أنه أصابته روعة وهيبة منعته عن ذلك كما حكي عن يحيى بن حكيم الاندلسي وكان بليغ الاندلس في زمانه قيل انه بلغ من العمر مائة وثلاثين سنة وتوفي سنة خمس وخمسين ومائتين أنه رام شيأ من المعارضة للقرآن فنظر في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج على منوالها فاعترته خشية ورقة في قلبه حملته على التوبة عما كان رامه وعلم أنه أمر لا يقدر عليه البشر ويحكى أن المقفع بضم الميم وفتح القاف والفاء المشددة قبل العين المهملة وكان أفصح أهل وقته وكان في عصر التابعين طلب المعارضة ورامها فنظم كلاما وجعله مفصلا وسماه سورا فاجتاز يوما بصبي يقرأ في المكتب قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين فقال أشهد أن هذا ما هو من كلام البشر وأن هذا لا يعارض أبدا ثم رجع ومحا ما عمله وأبطله وعلم أنه لا مناسبة بينه وبين كلام الله في شيء وبالتأمل في القرآن المجيد يظهر لك من عجائبه ما لا يمكن حصره فتأمل في مثل قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وقوله تعالى ويا أرض ابلعي ماءك الآية وقوله تعالى فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من أغرقنا وأشباه هذه الآيات بل جميع آيات القرآن اذا دققت النظر فيها تبين لك أن تحت كل لفظة جملا كثيرة وفصولا جمة ووجدت فيها علوما واخترع اعجاز الالفاظ وكثرة المعاني ولطائف العبارات والدعاء الى التوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها كل شيء في موضعه بحيث لا ترى محلا أولى من محل واذا تأملت أيضا القرآن وجدته مودعا فيه مثلات أخبار القرون الماضية منبئا بالحوادث المستقبلة جامعا للحجج والمحتج له واستيفاء هذه الامور منسقة أحسن نسق لا يمكن لغير الله عز وجل فادعاء أنه من عند النبي صلى الله عليه وسلم وأنه تقوله على الله معلوم البطلان بالضرورة بل المعلوم بالضرورة أنه جاء على لسانه من عند الله فان عجز العرب عن الاتيان بمثله معلوم بالضرورة وتحديهم به معلوم بالضرورة كما أن كونه خارقا للعادة معلوم بالضرورة كل ذلك معلوم بعجز المنكرين عن معارضته مع اعترافهم باعجاز بلاغته ثم هو آية معجزة في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء نطاقهم ببيانها مع ما اشتمل عليه من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناسق وجوهه وتشابه أطرافه وانظر الى قصة يوسف عليه السلام على طولها اقصها الله تعالى على أعجب ترتيب وأبدع تهذيب مرتبطا أولها بآخرها لم ينضب ماء بيانها ولم يحل عقد نظامها ثم ان قصصه اذا كررت فيه وذكرت مرة بعد أخرى اختلفت فيها العبارات وذكرت في كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر وحكيت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ وان كان المعنى واحدا حتى تكاد كل واحدة من القصص المكررة تنسي في البيان صاحبتها فيكون سامعها كانه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر ولا نفور للنفوس من تكريرها

عنهم ومن معهم وقسم امسكوا وتخلفوا اتباعا لرأي أبي موسى الاشعري رضي الله عنه وهكذا من كان بمكة والمدينة من الصحابة رضي الله عنهم انقسموا الى الاقسام الثلاثة المذكورة * ثم ان عليا رضي الله عنه لما سار بمن معه من المدينة قاصدا الكوفة بلغ خبره طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم فلما قرب من الكوفة كاتبوه وكاتبهم وترددت الرسل والوسائط منهم حتى تقارب الامر بينهم على الاتفاق وذلك أن عليا رضي الله عنه بعث اليهم القعقاع ابن عمرو التميمي رضي الله عنه وهو صحابي قال فيه أبو بكر رضي الله عنه صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل فلقي عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم واجتمع بهم منفردين ومجتمعين فرأى كلمتهم متفقة على انهم انما قدموا للاصلاح وأخذ القصاص

ولا معاداة لمعادها قال فى الشفاء ومن تفنن فى علوم البلاغة وأرهف خاطره وفكره ولسانه لم يخف عليه جميع ما تقدم وأن كل واحد من تلك الوجوه معجز على حدته فهو كاحياء الموتى وقلب العصا حية وتسبيح الحصى بل أعظم من ذلك لان هذا من جنس ما يتعاطونه ومع ذلك لم يأتوا فيه بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا شمخ الانوف أباة الضيم بحيث لا يرضون ذلك الذل اختيارا ولا يؤثرونه الا اضطرارا فالمعارضة لو كانت من قدرتهم فالشغل بها أهون عليهم وأسرع للنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم أهل القدرة والمعرفة بالكلام من جميع الانام وما منهم أحد الاجهد جهده واستفرغ ما فى وسعه فى اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما أظهروا فى ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا أتوا بقطرة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد والولد فما نطقوا بل انقطعوا *(ومن وجوه اعجازه)* ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات مما سبق ومما كان فى وقت نزوله ومما سيقع بعد ذلك مما لا يعلم علمه الا الله فجاء كما أخبر على الوجه الذى به أخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين أخبر صلى الله عليه وسلم أصحابه بدخوله معهم المسجد الحرام وهو بالمدينة قبل عام الحديبية فظنوا انه ذلك العام فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك فانزل الله سورة الفتح عند منصرفهم من الحديبية وفيها هذه الآية فاخبرهم بانه سيقع بعد ذلك فكان كما أخبر فلما وقع ذلك قال لهم صلى الله عليه وسلم ذلك الذى قلت لكم وكقوله تعالى غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين فاخبر الله تعالى أن الروم تغلب فارس فى بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع فكان كما أخبر الله وذلك أن الروم كانوا أهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون لما تحارب فارس والروم يرجون غلبة فارس للروم ويفرحون بها تفاؤلا بغلبتهم للمسلمين فبعث كسرى جيشا الى الروم فالتقيا باذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك على المسلمين فانزل الله الم غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين وأخبر أبو بكر رضى الله عنه المشركين بذلك وقال ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد أخبر الله نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له أمية بن خلف وقيل أبى بن خلف كذبت فقال له أبو بكر بل أنت كذبت يا عدو الله فقال اجعل بينى وبينك أجلا على عشر قلائص يأخذها الصادق منا فراهنه على ذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار وجعلوا الموعد بينهما ثلاث سنين وأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد فى الرهان فان الله قال فى بضع سنين وهو من الثلاث الى التسع ففعل فجعل القلائص مائة والاجل الى تسع سنين فوقع ذلك أى غلبة الروم لفارس عام الحديبية وهو لم يخرج عن مدة التسع سنين فاخذ القلائص أبو بكر رضى الله عنه من ورثة أمية أو أبى لان أمية قتل يوم بدر وأبى قتله النبى صلى الله عليه وسلم بيده يوم أحد فتمام الاجل انما وقع بعد موتهما فالقلائص انما أخذت من ورثتهما فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابى بكر رضى الله عنه تصدق بها وانما أمره بالتصدق بها وان كان هذا قبل تحريم القمار شكرا لله على تصديق مقالته وتكذيب مقالتهم *ومن الاخبار بالغيب الواقع فى القرآن قوله تعالى ليظهره على الدين كله فهذا وعد من الله بان دين رسوله صلى الله عليه وسلم سيظهر ويغلب سائر الاديان وتقهر أمته صلى الله عليه وسلم جميع الامم وقد وقع ذلك كما أخبر ومن ذلك قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيأ أى ليجعلنهم خلفاء فى أرضه مالكين لها منصورين على أعدائهم والآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومن كان معه من الصحابة رضى الله عنهم فكانت الغلبة لهم على أهل الردة فى خلافة الصديق رضى الله عنه وعلى الروم وفارس فى خلافة عمر ومن بعده وهكذا حتى مكن الله لهم فى البلاد وأبدلهم بعد خوفهم أمنا كما أخبر سبحانه وتعالى ومكن دينهم فى مشارق الارض ومغاربها وملكهم اياها وصاروا خلفاء فيها كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لى الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك

من قتلة عثمان رضى الله تعالى عنه وانهم ان تركوا ذلك كانوا تاركين لما نص عليه القرآن فقال لهم ان هذا الامر دواؤه التسكين فاذا سكن اختلجتم قتلة عثمان واقتصتم القصاص عليهم فاذا أنتم بايعتم عليا رضى الله عنه كان ذلك علامة خير وتباشير رحمة ودرك بثار وان أنتم أبيتم الا مكابرة هذا الامر واعتسافه كان ذلك علامة شر وذهاب فآثروا العافية ترزقوها وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم قبل ولا تعرضونا للبلاء فتتعرضوا له فقالوا له أصبت وأحسنت فرجع فاتى قدم على وهو على رأيك صلح هذا الامر فرجع الى على فاخبره فاعجبه ذلك وأشرف القوم على الصلح وتسامع الناس من أهل البصرة والكوفة فقام على رضى الله عنه خطيبا فى الناس فحمد الله وأثنى عليه وذكر الجاهلية وشقاءها والاسلام

أمتي ما زوي لي منها وكقوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره فالآية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة ناعية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بكى عمه العباس رضي الله عنه فقال ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك فقال انه كما تقول ففتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا أي جماعات كثيرة بعد جماعات كثيرة فلما أعز الله الدين ونشر أعلامه في الخافقين فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب موضع لم يدخله الاسلام بل كلهم أسلموا ثم انتقل صلى الله عليه وسلم الى الدار الآخرة وكان الامر كما أخبر الله وكقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فاخبر سبحانه وتعالى بانه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الازمان بدليل التعبير بالجملة الاسمية المؤكدة بالمؤكدات فكان في المستقبل كما أخبر فلا مبدل لكلماته بخلاف سائر الكتب فانه تعالى وكل حفظها الى الامم المنزلة عليهم كما قال تعالى بما استحفظوا من كتاب الله أي طلب حفظه منهم فوقع فيها التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل منها فالمراد بالذكر في قوله انا نحن نزلنا الذكر القرآن وقد اجتهد كثير من الملحدة في ادخال شيء من التبديل في القرآن بعد أن أجمعوا كيدهم وحواهم وقوتهم في هذه المدة الطويلة فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا على تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه فكان الحفظ حاصلا بالله كما أخبر الله تعالى فالحمد لله على حفظه لكلامه وبقاء رونقه ونظامه وخيبة سعي من سعى في اطفائه وافتضاح جهلة أعدائه (ومما أخبر الله) به من المغيبات في القرآن العزيز قوله تعالى سيهزم الجمع ويولون الدبر نزلت هذه الآية بمكة والمسلمون مستضعفون فلم يدروا ما هذا الجمع الذي سيهزم ولا المراد من الآية فلما كان يوم بدر وكان بعد سبع سنين من نزولها لبس صلى الله عليه وسلم درعه وخرج اليهم وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فقال عمر رضي الله عنه فعلمت المراد منها حينئذ أي سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين أدبارهم أي يجعلون المسلمين متولين على أدبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم بابلغ عبارة ففيها اعجاز لفظا ومعنى وكقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ففيها اخبار بالغيب وذلك أن ناسا من اليمن وبني خزاعة أسلموا وبقوا بمكة بعد أن هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وكثير من أصحابه فلقوا من المشركين أذى شديدا فارسلوا وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصبروا وأبشروا بفرج قريب وأذن الله للمسلمين في الجهاد وأنزل آيات في الامر بالجهاد ومنها هذه الآية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الى آخرها فكان بعدها ما أوقع الله بهم من القتل ونصرة المؤمنين التي شفيت بها صدورهم حتى خربوا ديار المشركين بالسبي والجلاء وسلب النعم وكقوله تعالى لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون أخبر سبحانه وتعالى عن اليهود بانهم لا يقدرون عليكم الا باذية يسيرة كالتهديد بالالسنة وأنهم ان يقاتلوكم يخذلوا ويكون لكم النصر عليهم فكان الامر كذلك * ومما في القرآن من الاخبار بالمغيبات ما فيه من كشف أسرار المنافقين مما كانوا يخفونه في قلوبهم مما لا يعلمه الا الله وكشف أسرار اليهود واظهار كذبهم وما قالوه فيما بينهم وهم يظنون أنه لا يشعر به غيرهم وتقريع الله لهم وتوبيخهم فكانوا يحلفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقالتهم أنها صادقة فنزل الله تكذيبهم كقوله تعالى والله يعلم انهم لكاذبون ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول أي يقول اليهود فيما بينهم وفي تناجيهم في خلواتهم هلا يعذبنا الله في قولنا في حق محمد لو كان نبيا لدعا علينا حتى نعذب ففضح الله مقالتهم وأظهر مناجاتهم وزاد ذلك بقوله حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يعني انهم يسرون في ضمائرهم غير ما يظهرونه لك اذا أتوك وهذا بيان لحال المنافقين ومكرهم والذي أخفوه هو قول بعضهم لبعض في الخلوة يوم أحد لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا فاعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك فاخبرهم بما قالوه فهو من جملة الاخبار بالمغيبات وكقوله تعالى سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه وكقوله تعالى من الذين

والسعادة به وانعام الله على الامة بالجماعة وبالخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الذي يليه قال ثم حدث هذا الحدث الذي جره على الامة قوم طلبوا هذه الدنيا حسدوا من أفاءها الله عليه وأرادوا رد الاسلام والاشياء على أدبارها والله بالغ أمره ألا واني راحل فارتحلوا ولا يرتحل معنا أحد أعان على قتل عثمان بشيء من أمور الناس وليغن السفهاء عني أنفسهم * وخطب الناس أيضا لما وصل الزاوية فقام اليه رجل فساله عن اقدامهم على أهل البصرة فقال له على على الاصلاح واطفاء النائرة لعل الله يجمع شمل هذه الامة بنا ويضع حربهم قال له فان لم يجيبونا قال تركناهم ما تركونا قال فان لم يتركونا قال دفعناهم عن أنفسنا قال فهل لهم من هذا مثل الذي عليهم قال نعم وقام اليه رجل آخر

هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين أي بالتكذيب والسخرية فأخبر الله تعالى بتحريفهم كتابهم وبمقالتهم وعدم طاعتهم وبما يقصدونه بقولهم راعنا من الاستهزاء به صلى الله عليه وسلم ووصفه بالحماقة والرعونة ويظهرونه في صورة التماس نظره ورعايته مكرا منهم وليا بألسنتهم وهو من الاخبار بالغيب فضيحة لهم ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم فهذا اخبار عن المؤمنين بأمر وقع في نفوسهم وودوه وأحبوه وهو مغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه به جبريل عليه السلام حين نزل عليهم هذه الآية وذلك ان الله وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بأحد الامرين الظفر بالعير القافلة من الشام بأموال قريش أو قتل النفير وهم قريش الذين خرجوا من مكة لتخليص تلك العير وكانت الصحابة رضي الله عنهم يودون في أنفسهم أخذ العير لما فيها من المال ولقلة ما عندهم من السلاح والرجال فقدر الله انهم يلقون العدو ويقطع دابر الكافرين فقتل صناديدهم وأيد الله المؤمنين وأعز الدين * ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم خمسة أو سبعة من الكفار كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم أشد الاذى ويسخرون به فأخبره الله تعالى بهلاكهم قبل وقوعه فكان كما قال فلما نزلت هذه الآية عليه صلى الله عليه وسلم بشر أصحابه بهلاكهم وقد تقدم الكلام عليهم في مباحث البعثة * ومن الاخبار بالغيب قوله تعالى والله يعصمك من الناس أي يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوأ وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرسونه صلى الله عليه وسلم في أسفاره فلما نزلت هذه الآية منعهم من الحراسة وما أصابه يوم أحد لا ينافي هذا لان الآية نزلت بعدها أو المراد من هذه الآية حفظه من القتل فكان محفوظا مع كثرة من رام ضره وقصد قتله والأخبار بذلك معروفة منها ما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فأدركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاه فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها وتفرق الناس في الوادي يستظلوا بالشجر فأتاه رجل وهو صلى الله عليه وسلم نائم فأخذ السيف فاستيقظ وهو قائم على رأسه والسيف مصلت في يده فقال له من يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فسقط السيف من يده ووقعت له روعة فأخذ السيف صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فعفا عنه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم للصحابة هاهو جالس وهو ملك قومه فانصرف حين عفا عنه وقال والله لا أكون في قوم هم حرب لك وأمثال هذا كثير وتقدم في الغزوات شيء من ذلك * (ومن وجوه الاعجاز القرآنية) * ما أخبر الله به من أخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ الشاذ من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فأورد الله ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم على أتم حال يليق به وينبغي له وأتى به على غاية مرتبة من كماله ورفعته فاعترف العالمون بذلك بصحته وصدقه مع انه لم ينله بتعليم ومع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ولم يشتغل بمدارسة ومداومة طلب ومجالسة تختلف فيها الركب بالركب ولم يغب عن قومه غيبة يحتمل أنه تعلم فيها ما أخبرهم به ولا جهل حاله أحد منهم من ولادته الى وفاته حتى يتوهم تعلمه ذلك من أهل الكتاب وقد كان أهل الكتاب من أحبار اليهود والنصارى كثيرا ما يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أخبار الامم السالفة فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء عليهم السلام مع أممهم فيذكرها لهم صلى الله عليه وسلم مفصلة بأبلغ عبارة وألطف اشارة كخبر موسى والخضر وخبر يوسف واخوته وكقصة أصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه وأشباه ذلك من الانباء والقصص المذكورة في القرآن عمن مضى من الامم السالفة وكبيان ابتداء الخلق وما جرى في ذلك وخلقه للسموات والارض وآدم وحواء وما في التوراة والانجيل من الاحكام والشرائع والتوحيد وما في الزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها من أهل الكتاب ولم يقدروا على تكذيب شيء منها بل أذعنوا لذلك واعترفوا به فمنهم من وفقه الله وهداه فآمن لما سبق له من العناية الازلية ومنهم من خذله الله فكفر عنادا وحسدا ومع هذا العناد والحسد الذي أظهروه لم يذكر عن واحد من

فقال أترى لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم ان كانوا أرادوا الله بذلك قال نعم قال أفترى لك حجة بتأخير ذلك قال نعم ان الشيء اذا كان لا يدرك أن الحكم فيه أحوطه وأعمه نفعا قال فما حالنا وحالهم ان ابتلينا غدا قال اني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقي قلبه لله الا أدخله الله الجنة * وسأل رجل الزبير رضي الله عنه معاجلة القتال فأبى وقال انا لنعرف أمور الحرب وانهم أهل دعوتنا وهذا أمر لم يكن من قبل اليوم من لم يلق الله فيه بعذر انقطع عذره يوم القيامة وقد فارقنا وفدهم على أمر وانا لنرجو أن يتم لنا الصلح فابشروا واصبروا وأقبل صبرة بن شيمان فقال للزبير وطلحة مقالا عنفهما فيه على تعجيل الحرب فقالا له ان هذا الامر لم يكن قبل اليوم فينزل فيه قرآن أو يكون فيه سنة من رسول

النصارى

النصارى واليهود تكذيب شئ من ذلك مع شدة عداوتهم له صلى الله عليه وسلم وحرصهم على تكذيبه فى شئ من كلامه ومع طول احتجاجه عليهم بما فى كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له عليه الصلاة والسلام وتعنيتهم اياه فى طلب أخبار أنبيائهم وأسرار علومهم ومستودعات سيرهم فكان يعلمهم بمكتوم شرائعهم وما تضمنته كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذى القرنين وأصحاب الكهف وعيسى عليه السلام وكبيان حكم الرجم لما سألوه عن حكم الرجم للزانى المحصن وكانوا قد أنكروه فى شريعتهم فبينه صلى الله عليه وسلم لهم وأخبرهم بانه مذكور فى التوراة وكبيان ما حرم اسرائيل على نفسه واسرائيل هو يعقوب عليه السلام وكان اليهود سألوا النبى صلى الله عليه وسلم امتحانا له عما حرم اسرائيل على نفسه فقال لهم لحوم الابل وألبانها فصدقوه وذلك أن يعقوب عليه السلام نذر أنه ان دخل بيت المقدس سليما من الامراض والآفات أن يذبح آخر أولاده فلما سار اليه وقرب منه بعث الله له ملكا وكز فخذه فمرض بعرق النسا حتى كان من وجعه ما كان وذلك لطف من الله به لئلا يلزمه ذبح ولده لانه اشترط فى النذر الدخول الى بيت المقدس سليما من الامراض والآفات فلم يحصل الشرط فحرم على نفسه ما مر لانه يضر عرق النسا وكان ذلك باجتهاد منه والانبياء يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح وسألوه صلى الله عليه وسلم أيضا عما حرم على بنى اسرائيل من الطيبات والانعام التى كانت أحلت لهم فحرمها الله عليهم ببغيهم أى عقوبة لهم بسبب ظلمهم وأنزل الله فى ذلك وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فحرم الله عليهم ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهائم والطيور كالابل والنعام والاوز والبط وقيل كل ذى مخلب من الطيور وكل ذى حافر من الدواب وحرم عليهم شحم البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه فى سورة الانعام وقوله ببغيهم اى بقتل انبيائهم وأخذهم اموال الناس بالباطل وكانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم لم يحرم الله علينا شيأ فان حرم علينا شيأ فبينه فانزل الله هذه الآية الصريحة فى تكذيبهم فافتضحوا وجاء أن اليهود قالوا له صلى الله عليه وسلم تزعم أنك على ملة ابراهيم وأنت تأكل لحم الابل وألبانها وذلك محرم فى شرعه فانزل الله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فكبتوا ولم يجدوا فيها ما ادعوه * ومن الاخبار بما فى الكتب السابقة قوله تعالى فى وصف أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل الآية والاشارة لقوله تعالى سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ولم يذكر عن أحد منهم أنه كذبه فى شئ من ذلك بل كثير منهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته وبانهم انما جحدوا نبوته حسدا وعنادا كأهل نجران وعبد الله بن صوريا وحيى بن أخطب وغيرهم من أحبار اليهود والنصارى حتى ان نصارى نجران لما طلب مباهلتهم امتنعوا وخافوا من نزول العذاب عليهم واعترفوا بنبوته فيما بينهم وامتنعوا من اتباعه ظاهرا بغيا وعنادا وصالحوه وانصرفوا كما سيأتى وعن صفية أم المؤمنين رضى الله عنها وكانت بنت حيى بن أخطب قالت كان عمى أبو ياسر أحسن رأيا من أبى كان يقول لابى أليس هو الذى نجده فى كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما فى نفسك منه فيقول معاداته وقد فضح الله أهل الكتاب الذين حسدوه صلى الله عليه وسلم وأظهر كثيرا مما أخفوه قال تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير أى حلمه وستره عليهم رجاء هدايتهم بتوفيق الله تعالى *(ومن وجوه اعجازه)* ما ذكره تعالى من عجز قوم فى قضايا واعلامه بانهم لا يفعلونها فما فعلوا وما قدروا على ذلك كاليهود لما ادعوا دعاوى باطلة وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وكذبهم الله وألزمهم الحجة فقال خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين أى ان كنتم صادقين انكم من أهل الجنة وانها مخصوصة بكم فتمنوا الموت لان من تيقن دخول الجنة اشتاق اليها وأحب التخلص من هذه الدار وأكدارها ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه قال الله تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم

الله صلى الله عليه وسلم وقد زعم قوم انه لا يجوز تحريكه وهم على ومن معه وقلنا نحن انه لا ينبغى لنا تركه وقد قال على ان ترك هؤلاء القوم شر وهو خير من شر منه وقد كاد يتبين لنا وقد جاءت الاحكام بين المسلمين باجماعها منفعة وكان الزبير يقول ان هذه هى الفتنة التى كنا نحدث بها فقال له مولاه أتسميها فتنة فقال ويلك انا لنبصر ولا نبصر ما كان أمر قط الا وأنا أعلم موضع قدمى فيه غير هذا الامر فانى لا أدرى أمقبل أنا فيه أم مدبر (وقال) علقمة بن وقاص لما خرج طلحة والزبير وعائشة رضى الله عنهم أعنى لطلب الاخذ بدم عثمان رضى الله عنه رأيت طلحة وأحب المجالس اليه أخلاها وهو ضارب بلحيته على صدره فقلت له يا أبا محمد أرى أحب المجالس اليك أخلاها وأنت ضارب بلحيتك على صدرك فقال لى يا علقمة بينا نحن

فنفى عنهم تمني الموت في جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وأبدا وماقدمت أيديهم هو كفرهم بالله وتحريفهم
التوراة في هذه الآية من المعجزات الاخبار بالغيب وهو انتفاء تمنيهم الموت في المستقبل فكان كما أخبر اذلم
يتمنوه ولو تمناه أحد منهم لمات ولم يقع التمني من أحد منهم مع توفر الدواعي على نقله لو وقع والتمني وان كان من
أعمال القلب الخفية الا ان النطق بقولهم تمنينا ممكن وروى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا والذي نفسي بيده لايقولها رجل منهم الاغص بريقه يعني
يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ماأوحي اليه ولم يتمنه أحد منهم
لخوفهم الموت ولحرصهم على الحياة وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا على تكذيبه بان يتمنوا ولا يموتوا
ولكن الله يفعل مايريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته وفي الشفاء من أعجب أمر اليهود انه لايوجد منهم
أحد يقدم على تمني الموت ولا يجيب اليمين يوم نزول هذه الآية لشدة تخوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم
على حب الحياة كما قال تعالى ولتجدنهم أحرص الناس على حياة وهذا المذكور من امتناعهم من التمني
موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنهم به * ومثل ما تقدم في الاخبار بالغيب عن المستقبل قوله تعالى وان كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاتقوا النار فقوله ولن تفعلوا اخبار بالغيب وتعجيز لهم * (ومن وجوه اعجازه) * الروعة التي تلحق
قلوب سامعيه عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لما فيه من الحالة القوية باعتبار مافيه من المواعظ
والانذار قال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا لما فيه من الروعة
التي تهد الجبل فما بالك بالرجال وهذه الروعة على المكذبين به أعظم منها على المؤمنين حتى كانوا يستثقلون
سماعه لصعوبة مافيه عليهم ويزيدهم سماعه نفورا عن الحق والاصغاء اليه ويودون انقطاعه لكراهتهم
له لخبث طباعهم قال تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا واذا ذكر الله
وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم القرآن صعب مستصعب على
من كرهه وهو الحاكم الفاصل بين الحق والباطل والبر والفاجر وأما المؤمن فلا تزال روعته به أي فزعه
وخوفه من زواجره ومواعظه اجلالا وهيبة توليه عند تلاوته انجذابا فيميل قلبه ويحمله لحب استماعه ويزداد
هشاشة ونشاطا لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله أي يعرض لجلد ذي الخشية عند القرآن قشعريرة من الخوف من هيبته فاذا تأمله
وتدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به ولذا ترى الصالحين اذا تلي القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى
ذلك الى الغشي وشق الثياب ونحوه ومثله لاينكر ومن لم يذق لايعرف وأغلب ما يقع مثل هذا من الصحابة رضي
الله عنهم لان مقامهم مقام تمكين ومما يدل على ان ما يحدث للقلوب من الروعة والمهابة شيء يختص به القرآن
دون غيره من الكلام انه أمر يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره وماذاك الالسر فيه وأمر رباني ولذلك
يثاب قارئه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره وفي الشفاء للقاضي عياض ان نصرانيا مر بقارئ يتلو القرآن
جهرا فوقف ليسمع قراءته وهو يبكي فقيل له مم بكيت فقال للشجا والنظم والمراد بالشجا الطرب وبالنظم
رونق انتظامه وحسن انسجامه فما أثر ذلك في نفسه وهو لا يفهم حتى أبكاه وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل
الاسلام عند سماعهم القرآن فمنهم من أسلم لهذه الروعة لاول وهلة وآمن به وصدق ومنهم من كفر روى
البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في صلاة المغرب
بالطور وذلك قبل اسلامه حين جاء الى المدينة ليكلم النبي صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر قال فلما بلغ
هذه الآية أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أم عندهم
خزائن ربك أم هم المسيطرون كاد قلبي أن يطير أي حدث عنده فزع وخوف شديد حتى ظن أن قلبه يفنى
ويطير زاد في رواية وذلك أول ما وقر الايمان في قلبي أي لانه لما سمعها وفهمها علم مافيها من برهان الايمان
القاطع لعرق الكفر لدلالتها على ان لا خالق يستحق العبادة الا الله فسكن الايمان في قلبه بعد اضطرابه

يد واحدة على من سوانا اذ
صرنا جبلين من حديد
يطلب بعضنا بعضا انه كان
مني في عثمان شيء ليس توبتي
الا أن يسفك دمي في طلب
دمه * فتأمل كلام علي
وطلحة والزبير يتبين لك
صحة مذهب أهل السنة
وان الكل منهم كان مجتهدا
في ارادة الحق وان اختلفت
اجتهاداتهم وليس لهم شيء
من حظوظ النفس فالمصيب
منهم له أجران والمخطئ له
أجر واحد * ثم ان قتلة
عثمان لما سمعوا قول علي
رضي الله عنه ولا يرتحل
معنا أحد أعان على قتل
عثمان وليغنين السفهاء
أنفسهم عني علموا ان أمر
الصلح تقارب وانهم بعد
ذلك يقتصون منهم اجتمعوا
فيما بينهم وتشاوروا على
أن يفعلوا شيأ ينتقض به
ذلك فاتفقوا بتدبير ابن
سبا على انهم اذا تقارب
الفريقان ينشبون القتال
وقال لهم لا تفرغوهم للنظر
فاذا وقع القتال فمن أنتم معه

وفي رواية فقد وقع في قلبي وفي رواية انه لما سمع قوله تعالى والطور وكتاب مسطور في رق منشور تغير واندهش فلما سمع ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع جاس وخاف ان العذاب ينزل به فلما سمع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين أخذه خوف شديد فلما وصل الى قوله أم هم المسيطرون قال كاد قلبي يطير الى آخر الحديث ففيه دليل لروعة القرآن لمن سمعه وان تلك الروعة سبب لاسلامه رضي الله عنه *(ومن وجوه اعجازه)* ان قارئه لا يمله ولو أعاده مرارا مع ان القلوب جبلت على معاداة المعادات وسامعه لا يعرض عنه ولا يكره تكراره على سمعه بل الملازمة لتلاوته تزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وحسنا وبهجة وقبولا ولا يزال غضا طريا لا تتغير بهجته ونضارته فكانه في كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة ما بلغ يمل مع الترديد ويعادي اذا أعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته عند نزول الكربات وسواه من الكتب لا يوجد فيه ذلك حتى أحدث لها أصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها أو المراد ان غير القرآن يخترع له أسباب تحمل الناس على الرغبة فيه والاقبال عليه ولاختصاص القرآن بعدم ملال قارئه وصفه صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تشبع منه العلماء ولا تلتبس به الالسن ولا تخلق على الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم *(ومن وجوه اعجازه)* جمعه لعلوم ومعارف لم تعرفها العرب ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي عليه بل ولا يحيط أحد من علماء الامم بها ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقلية والرد على فرق الامم ببراهين قوية بينة سهلة الالفاظ رام المتحذلقون أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا كقوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وكقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم وكقوله تعالى قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وكقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفيه من دقائق علم النجوم كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ومن دقائق علم الطب كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومن دقائق علم الهندسة انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب ففيه اشارة الى شكل مثلث مع بعض أحكامه التي لا يعرفها الا الراسخون في علم الهندسة وفيه جمل من علوم السير والاخلاق الجيدة وتزكية النفس وأنباء الامم والمواعظ والحكم وجوامع الكلم وأخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم والامثال والاشياء التي دلت على البعث وآياته والاخبار بما كان وما يكون وما فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامتناع من اراقة الدماء وما فيه من صلة الارحام الى غير ذلك قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل وأخرج ابن أبي شيبة ان الله تعالى قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة أي كتابا يشبه التوراة لكثرة ما اشتمل عليه تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وفيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب وعن كعب الاحبار عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة وقال الله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال هذا بيان للناس وهدى فجمع الله فيه مع وجازة ألفاظه وجوامع كلمه أضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف منه مرات *(ومن وجوه اعجازه)* ان الله جمع فيه بين الدليل والمدلول وذلك ان الله احتج بنظم القرآن البديع المعجز وحسن تأليفه وايجازه وبلاغته فهذا دليل وفي اثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده وغير ذلك من المقاصد العظيمة فهي مدلول فالقارئ يفهم الحجة والتكليف من كلام

لا يجد بدا من أن يمتنع ويشغل الله عليا وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما يكرهون فاعجبهم قوله وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون فلما سار علي رضي الله عنه من الزاوية يريد البصرة وسار طلحة والزبير وعائشة من الفرضة فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد وأقاموا ثلاثة أيام وهم يتلاحقون ولم يكن بينهم قتال والرسل يترددون بينهم لاتمام الامر والتقى علي وطلحة والزبير ووقع بينهم عتاب وقال علي للزبير أتذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني غنم فنظر الي فضحك وضحكت اليه فقلت له لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقاتلنه وانت له ظالم فقال الزبير اللهم نعم ولو ذكرت ذلك ما سرت مسيري هذا والله لا أقاتلك أبدا ثم بعث اليهم علي رضي الله عنه

واحد وسورة منفردة (ومن وجوه اعجازه) تيسير الله تعالى حفظه لمتعلمه قال تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وكانت سائر الامم لا يحفظ كتبها الا الواحد النادر مع طول أعمارهم وامتداد أزمنتهم قال سعيد بن جبير ان بنى اسرائيل لم يكن فيهم من يحفظ التوراة فكانوا لا يقرؤنها الا نظرا فى صحفها غير موسى وهرون ويوشع ابن نون وعزير وقد من الله تعالى على هذه الامة بان يسر عليهم حفظ كتابه وجعل فيهم حفظة له لا تحصى ويسر حفظه للغلمان فى أقرب مدة *(ومن وجوه اعجازه)* مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلاف أنواعها والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة الى أخرى والخروج من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة الى أمر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتقرير لبعض ما شرع وترغيب وترهيب الى غير ذلك من فوائده كضرب الامثال وذكر القصص للاعتبار بها دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه فتامل أول ص وما جمع فيها من أخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر فيها من تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به والخبر عن انطلاق الملأ منهم واجتماعهم على الكفر وما ظهر من الحسد فى كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزى الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبى صلى الله عليه وسلم على أذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ فى ذكر داود عليه السلام وقصص الانبياء كسليمان وأيوب عليهما السلام وكل هذا فى أوجز كلام وأحسن نظام على أتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقل فصاحته *(ومن وجوه اعجازه)* ان الله وسع على الامة بقراءته على أوجه متنوعة وطرق متعددة وهى طرق القراءة المشهورة ومع ذلك لا يختل شئ من بلاغته وجميع أنواع اعجازه كل طريق من طرق قراءته مشتمل على تلك الوجوه وهذا لا يمكن مثله فى كلام البشر فان الشاعر البليغ اذا اجتهد فى انشاء قصيدة بليغة فانها تختل لو غير شئ من كلماتها ولا تبقى على بلاغتها لو أريد قراءتها على أوجه متنوعة بخلاف القرآن العزيز قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فلم يقدر أحد أن يأتى بمثل القرآن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بعده الى زمننا هذا بل الى يوم الدين وكيف يقدر عليه أحد وقد عجزت عنه العرب الفصحاء والخطباء والبلغاء من قريش وغيرها فعجز غيرهم أولى وهم قد عرفوا انه صلى الله عليه وسلم من قبل نبوته بار بعين سنة لا يحسن نظم كتاب ولا عقد حساب ولم يتعلم شيأ ولم ينشد شعرا لغيره فضلا عن انشائه ولا يحفظ خبرا ولا يروى أثرا حتى أكرمه الله بالوحى المنزل والكتاب المفصل فدعاهم اليه وحاجهم به قال تعالى قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون وشهد له سبحانه وتعالى فى كتابه بذلك قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون ووجوه اعجاز القرآن كثيرة وعجائبه لا تنقضى ولا تتناهى واذا عرفت ما تقدم عرفت انه لا يحصى عدد معجزات القرآن بالف ولا ألفين ولا أكثر لانه صلى الله عليه وسلم قد تحداهم بسورة منه فعجزوا عنها واقصر السور انا أعطيناك الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها منه معجزة ثم فيها نفسها معجزات كما تقدم وجاء فى حديث قدسى من شغله القرآن عن دعائى ومسالتى أعطيته أفضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلوبنا وشفاء همومنا وغمومنا ونور أبصارنا واجعلنا من المنتفعين به العاملين بما فيه التالين له حق تلاوته انك على كل شئ قدير والله سبحانه وتعالى أعلم

(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر)

اعلم ان معجزاته صلى الله عليه وسلم ترجع الى ثلاثة أقسام ماض وجد قبل وجوده ومستقبل وجد بعد وفاته ومقارن له من حين حمله الى ان نقله الله الى محل فضله فاما القسم الماضى وهو ما كان قبل وجوده فكثير كقصة الفيل وتبشير الانبياء والكهان به وغير ذلك مما هو تاسيس لنبوته وارهاص لرسالته وهذا القسم سماه بعضهم ارهاصا وجوز بعضهم تسمية ذلك معجزة وأما القسم الثانى وهو ما وقع بعد وفاته صلى الله عليه وسلم

حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب يقولون لهم ان كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع فكفوا حتى ننظر فى هذا الامر فردوا حكيما ومالكا الى على رضى الله عنه انا على ما فارقنا عليه القعقاع وكان بعض القوم يخرجون الى بعض ولا يذكرون الا الصلح وبعث على رضى الله عنه عبد الله بن عباس الى طلحة والزبير وبعثاهما الى على محمد بن طلحة وبات الناس بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية التى أشرفوا عليها وبات الناس الذين أثاروا على عثمان بشر ليلة وقد أشرفوا على الهلكة وباتوا يتشاورون فيما بينهم فاجتمعوا على انشاب الحرب وكان فى كل من الجيشين طوائف من مضر وربيعة واليمن فاتفقوا على أن كل قبيلة تنشب الحرب مع قبيلتها التى فى الجيش ويكون الامر على الرأى الذى اتفقوا عليه من قبل فغدوا مع الغلس متسللين وعليهم

فكثير جدا الذى كل حين يقع لخواص أمته من الكرامات وخوارق العادات بسببه مالا يحصى فكرامات الاولياء من تتمات معجزاته صلى الله عليه وسلم ورحم الله الابوصيرى حيث يقول

والكرامات منهم معجزات * حازها من نوالك الاولياء

وأما القسم الثالث وهو ما كان معه من حين ولادته الى حين وفاته فما وجد قبل البعثة يسمى أيضا ارهاصا وذلك كالنور الذى خرج معه حتى أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأت أمه قصور بصرى وروى ابن سعد عن ابن عباس رضى الله عنهما ان آمنة قالت لما فصل منى تعنى النبى صلى الله عليه وسلم خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب وغير ذلك مما شوهد حال ولادته وفى رضاعه وكتظليل الغمام فانه انما كان قبل البعثة وكذا كل ما كان قبل بعثته وما وجد بعد البعثة فكثير جدا منه انشقاق القمر وقد نطق القرآن به قال تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وروى أحاديثه أهل السنن كالبخارى ومسلم والامام أحمد والبيهقى وبقية أهل السنن رووا ذلك عن جمع من الصحابة منهم على وابن مسعود وابن عمر وجبير بن مطعم وأنس بن مالك وعبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان وغيرهم ورواه عنهم جمع عن جمع حتى بلغ مبلغ التواتر قال العلامة عبد الوهاب بن السبكى ان انشقاق القمر متواتر منصوص عليه فى القرآن مروى فى الصحيحين وغيرهما من طرق ولم ينشق لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وهو من أمهات معجزاته صلى الله عليه وسلم قال فى المواهب وقد أجمع أهل السنة والمفسرون على وقوعه لاجله صلى الله عليه وسلم قال الخطابى انشقاق القمر آية عظيمة لا يكاد يعدلها شئ من آيات الانبياء ولذا اختص بها سيدهم وذلك انه ظهر فى ملكوت السموات خارجا عن جملة طباع ما فى هذا العالم المركب من الطبائع فليس مما يطمع فى الوصول اليه بحيلة فلذلك صار البرهان به أظهر من غيره وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفى رواية عن أنس رضى الله عنه ان أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فاراهم انشقاق القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما وكان انشقاق القمر قبل الهجرة بخمس سنين وكان أنس بالمدينة صغيرا فروايته كانت عن ابن مسعود رضى الله عنه وكذا رواية ابن عباس رضى الله عنهما لانه اذ ذاك لم يولد وفى رواية للبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما فى قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال قد كان ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انشق فلقتين فلقة دون الجبل وفلقة خلف الجبل أى فوقه كما فى الحديث قبله فقال صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفى رواية للامام أحمد عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فرقة على هذا الجبل وفرقة على هذا الجبل فقالوا أى الكفار سحرنا محمد فقال رجل منهم أى وهو أبو جهل ان كان سحرنا فانه لا يستطيع أن يسحر الناس وفى رواية عن ابن مسعود رضى الله عنه فقال كفار قريش سحركم ابن أبى كبشة فقال رجل منهم ان كان محمد سحر القمر فانه لم يبلغ سحره أن يسحر الارض كلها فاسألوا من يأتيكم من بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فسألوا فأخبروهم انهم رأوا مثل ذلك وفى رواية لابن مسعود رضى الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كفار قريش هذا سحر ابن أبى كبشة ثم قالوا انظروا ما يأتيكم به السفار فان محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم فجاء السفار فأخبروهم بذلك رواه أبو داود والطيالسى وفى رواية للبيهقى عن ابن مسعود رضى الله عنه انشق القمر بمكة فقالوا سحركم ابن أبى كبشة فسلوا السفار فان كانوا رأوا ما رأيتم فقد صدق فانه لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم وان لم يكونوا رأوا ما رأيتم فهو سحر فسألوا السفار وقد قدموا من كل وجه فقالوا رأيناه فقال الكفار هذا سحر مستمر وفى رواية لابى نعيم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اجتمع المشركون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل والعاص بن وائل والاسود بن المطلب والنضر بن الحرث ونظراؤهم فقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فانشق وفى رواية فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول

ظلمة فغدا مضرهم الى مضرهم وربيعتهم الى ربيعتهم ويمنهم الى يمنهم فوضعوا فيهم السلاح فثار أهل البصرة وكل قوم فى وجوه أصحابهم الذين أتوهم فقال طلحة والزبير ما هذا قالوا طرقنا أهل الكوفة ليلا فقالا لقد علمنا أن عليا غير منته حتى يسفك الدماء وعلمنا انه لن يطاوعنا فرد أهل البصرة أولئك الكوفيين الى عسكرهم فسمع على رضى الله عنه وأهل الكوفة الصوت فقال له بعض أولئك الثائرين ما شعرنا الا وقوم من أهل البصرة وقد بيتونا فرددناهم فركبوا وثار الناس فقال على لقد علمت ان طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفك الدماء وانهما لن يطاوعانا والقتال قائم لم يسكن فنادى على فى الناس أن كفوا والثائرون لا يريدون الامر الا تهيجا وانتشب الحرب بين القوم وأقبل كعب بن سور لما

الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا ورواه البخاري مختصرا عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ ان القمر انشق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس رضي الله عنهما وان لم يشاهد القصة كما تقدم ففي بعض طرقه أنه حمل الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه وجاء في رواية لعبد الرزاق والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه رأيت القمر منشقا شقتين شقة على أبي قبيس وشقة على السويداء والسويداء بالمد والتصغير ناحية خارج مكة عندها جبل وفي شرح المواهب أن التعبير بأبي قبيس من تغيير بعض الرواة لان الغرض ثبوت رؤيته منشقا احدى الشقتين على جبل والاخرى على جبل آخر ولا يغاير ذلك قول الراوي الآخر رأيت الجبل بينهما أي بين الفرقتين لانه اذا ذهبت فرقة عن يمين الجبل وفرقة عن يساره صدق أنه بينهما وأي جبل آخر كان في جهة يمينه أو يساره صدق عليه أنها عليه أيضا ووقع في بعض روايات ابن مسعود رضي الله عنه أن انشقاق القمر كان والنبي صلى الله عليه وسلم بمنى وفي روايات أنس أن ذلك كان بمكة ولا تعارض لان مراد أنس رضي الله عنه أن ذلك كان وهم بمكة قبل أن يهاجروا الى المدينة ويصدق على منى أنها من جملة مكة بل جاءت رواية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بمكة قبل أن نصير الى المدينة فظهر أن المراد بذكر مكة في رواية أنس الاشارة الى أن ذلك وقع قبل الهجرة وقيل ان الشق تعدد فمرة كان وهم بمنى ومرة وهم بمكة وقيل ان مدة الشق كانت بقدر ما بين العصر الى الليل فيحتمل أنهم كانوا بمنى ثم رجعوا الى مكة فمرة ذكروا حراء ومرة ذكروا أبا قبيس فقد روى أبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما انشق القمر ليلة أربع عشرة نصفا على الصفا ونصفا على المروة قدر ما بين العصر الى الليل وجاء أنه تباعد ما بين الفرقتين فأراهم النبي صلى الله عليه وسلم احدى الفرقتين وقال اشهدوا ثم أراهم الفرقة الاخرى وقال اشهدوا وعلى هذا حمل بعضهم الرواية التي فيها أنه أراهم انشقاق القمر مرتين وجزم بعضهم بتكرر الانشقاق وأنه وقع مرتين فلا تنافي بين الروايات قال القاضي عياض في الشفاء وحيث أجمع المفسرون وأهل السنة على وقوعه وتواترت أحاديثه فلا التفات الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا الانشقاق ثابتا لم يخف على أهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم وحاصل الرد عليه أنه لم ينقل لنا عن أهل الارض أنهم رصدوه تلك الليلة وترقبوه ونظروا الى مطلعه فلم يروا انشق بل لو فرض أنهم فعلوا ذلك لما كانت بهم حجة علينا به اذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الارض لاختلاف أحواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع في ليلة في بعض البلاد دون بعض وقد يطلع على قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابلهم من أقطار الارض أو يحول بين قوم وبينه سحاب ولهذا توجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا ذو المعرفة فذلك تقدير العزيز العليم وانشقاق القمر وقع بالليل والعادة من الناس في الليل السكون واغلاق الابواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور السماء شيئا الا من رصد ذلك واعتنى به غاية الاعتناء وكثيرا ما يكون خسوف القمر في البلاد وأكثر الناس لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث الثقات بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع وأمور عظام تظهر بالليل في السماء ولا يعلم بها كثير من الناس ومع ذلك قد سألت قريش كثيرا من أهل الآفاق فأخبروهم بانهم شاهدوا ذلك فقالوا سحر مستمر أي عام وكان المخبرون هم السفار المسافرين في الليل غالبا يكونون في ضوء القمر ولا يخفى عليهم ذلك بخلاف غيرهم فان الغالب عليهم أن يكونوا نياما ويكفي ذلك في ثبوت التواتر وان خفي على كثير من أهل الآفاق وقال بعض الملحدة من الفلاسفة ان الاجرام العلوية لا يتهيأ فيها الانخراق والالتئام وكذا قالوا في فتح أبواب السماء ليلة الاسراء الى غير ذلك من انكارهم ما يكون يوم القيامة من تكوير الشمس وغير ذلك وأجيب بانه لا انكار للعقل في ذلك فان القمر مخلوق فلله أن يفعل فيه ما يشاء * يحكى أن أبا بكر بن الطيب لما أرسله صاحب الدولة لملك الروم بقسطنطينية وأخبر ملك الروم بان هذا أجل علماء الاسلام أحضر بعض بطارقته ليناظره فقال له تزعمون أن القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم حتى ترونه دون غيركم فقال

رأى انشاب الحرب على عائشة رضي الله عنها وقال ادركي فقد أبى القوم الا القتال لعل الله أن يصلح بك فركبت الجمل في هودج وألبسوا هودجها الادراع وكان ذلك في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين من الهجرة ولم يزالوا يقتتلون من أول النهار الى العصر وقتل كثير من الشجعان من الفريقين وكانت عائشة رضي الله عنها حال القتال تقول برفع صوتها العن الله قتلة عثمان وتكرر ذلك وكان علي رضي الله عنه يقول مثل قولها العن الله قتلة عثمان وكان أصحاب علي رضي الله عنه عشرين ألفا وأصحاب طلحة والزبير وعائشة ثلاثين ألفا ثم وقعت الهزيمة عليهم وقتل في ذلك القتال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه بسهم أصابه من بعض قومه قال الزرقاني في شرح المواهب رماه بذلك السهم مروان

له وهل بينكم و بين المائدة أخوة ونسب اذ رأيتموها ولم ترها اليهود واليونان والمجوس الذين أنكروها وهم في جواركم فالحم ولم يحرجوا بها *(تنبيه)* ما يذكره بعض القصاص أن القمر دخل في جيب النبي صلى الله عليه وسلم وخرج من كمه فليس له أصل وسئل النووي عن رجلين تنازعا في انشقاق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أحدهما انشق فرقتين دخلت احداهما في كمه وخرجت من الكم الآخر وقال الآخر بل نزل الى بين يديه فرقتين ولم يدخل في كمه فأجاب الاثنان مخطئان بل الصواب أنه انشق وهو في موضعه من السماء وظهرت منها احدى الشقتين فوق الجبل والاخرى دونه هكذا أثبت في الصحيحين من رواية ابن مسعود رضي الله عنه انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم رد الشمس له روت أسماء بنت عميس الخثعمية رضي الله عنها وهي زوج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ثم تزوجها أبو بكر رضي الله عنه بعد استشهاد جعفر رضي الله عنه ثم تزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وفاة أبي بكر رضي الله عنه قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه ورأسه في حجر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فلم يصل علي رضي الله عنه العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت أسماء بنت عميس رضي الله عنها فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر رواه الامام أبو جعفر الطحاوي وقال ان أحمد بن صالح المصري كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن حفظ حديث أسماء لانه من علامات النبوة وأحمد بن صالح من كبار أئمة الحديث الثقات وحسبه ان البخاري روى عنه في صحيحه ولا عبرة باخراج ابن الجوزي لهذا الحديث في الموضوعات فقد أطبق العلماء على تساهله في كتاب الموضوعات حتى أدرج فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة قال السيوطي

ومن غريب ما تراه فاعلم * فيه حديث من صحيح مسلم

قال في المواهب في حديث رد الشمس وصححه الطحاوي والقاضي عياض قال الزرقاني وناهيك بهما وأخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها باسناد حسن ورواه ابن مردويه من حديث أبي هريرة باسناد حسن أيضا ورواه الطبراني في معجمه الكبير باسناد حسن كما حكاه شيخ الاسلام قاضي القضاة ولي الدين العراقي في شرح التقريب عن أسماء ولفظه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء ثم أرسل عليا رضي الله عنه في حاجة فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في حجر علي رضي الله عنه فنام فلم يحركه حتى غابت الشمس فاستيقظ فسأله أصليت قال لا فقال عليه الصلاة والسلام اللهم ان عبدك عليا احتبس بنفسه على نبيه فرد عليه الشمس كي يصلي قالت أسماء فطلعت عليه الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الارض وقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم غابت الشمس وذلك بالصهباء وروا الطبراني أيضا عن أسماء رضي الله عنها بلفظ آخر قالت اشتغل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قسمة الغنائم يوم خيبر حتى غابت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم يا علي أصليت العصر قال لا يا رسول الله فتوضأ صلى الله عليه وسلم وجلس في المجلس فتكلم بكلمتين أو ثلاثة كأنها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضأ وصلى العصر ثم تكلم صلى الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الى مغربها فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشبة وطلعت الكواكب وفي لفظ آخر عند الطبراني أيضا في الكبير كان عليه الصلاة والسلام اذا نزل عليه الوحي يغشى عليه فانزل عليه يوما وهو في حجر علي رضي الله عنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لما سرى عنه صليت العصر قال لا يا رسول الله فدعا الله بكلمتين أو ثلاث فرد عليه الشمس حتى صلى العصر قالت أسماء فرأيت الشمس طلعت بعد ما غابت حتى صلى العصر علي رضي الله عنه ومن القواعد أن تعدد الطرق يفيد أن للحديث أصلا قال الزرقاني في شرح المواهب ومن لطائف الاتفاقات الحسنة أن أبا المظفر الواعظ ذكر يوما قريب الغروب فضائل علي رضي الله عنه ورد الشمس له والسماء مغيمة غيما مطبقا فظنوا أنها غربت

ابن الحكم متأولا قاتلا لان طلحة من قتلة عثمان رضي الله عنهما * ولما وقف علي رضي الله عنه على طلحة وهو ميت بكى حتى اخضلت لحيته وقال أرجو أن أكون أنا وأنت ممن قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وذهب الزبير الى وادي السباع منصرفا عن القتال للحديث المتقدم الذي ذكره به علي رضي الله عنهما فاتبعه عمرو بن جرموز وحضرت الصلاة فنزل الزبير فاستدبره ابن جرموز فطعنه ثم قتله وأخذ فرسه وسلاحه وخاتمه ورجع الى الناس بالخبر فلما بلغ عليا الخبر حزن عليه وقال أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قاتل الزبير في النار وطلب احضار سيف الزبير فلما نظر اليه قال طالما جلا به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما عائشة رضي الله عنها فاحاط

وهموا بالانصراف فاصحت السماء ولاحت الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وقال ارتجالا

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي * مدحي لآل المصطفى ولنجله
وأثني عنانك ان أردت ثناءهم * أنسيت اذ كان الوقوف لاجله
ان كان للمولى وقوفك فليكن * هذا الوقوف لخيله ولرجله

وروى الطبراني في معجمه الاوسط باسناد حسن عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الشمس أن لا تغرب حتى تقدم عير قريش التي رآها ليلة الاسراء وأخبرهم أنها تقدم يوم كذا وولى النهار ولم تجئ فتأخرت ساعة من نهار الى أن قدمت وروى يونس بن أبي بكر عن ابن اسحق امام المغازي قال لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا له متى تجيء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون وقد ولى النهار أي قارب ذلك اليوم أن يتم ويدخل الليل بغروب الشمس ولم تجئ العير فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة حبست عليه الشمس أي أمسكها الله بقدرته حتى قدمت العير قبل غروبها وأما حديث لم تحبس الشمس على أحد الا ليوشع بن نون عليه فهو محمول على أن المعنى لم تحبس على أحد من الانبياء غيري الا ليوشع وقال الحافظ ابن حجر الحصر محمول على الماضي للانبياء قبل نبينا وليس فيه أنها لا تحبس بعد الماضي وحديث حبسها على يوشع لا يعارض حديث علي رضي الله عنه لانه في قصة يوشع كان حبسها قبل الغروب وفي قصة علي كان حبسها بعد الغروب وقوله الا ليوشع بن نون يعني حين قاتل الجبارين بعد وفاة موسى وهرون عليهما السلام وكان يوشع خليفة موسى عليه السلام وهو القائم بالرسالة بعده فدعا الله تعالى أن يدنيه من الارض المقدسة رمية حجر وقاتلهم يوم الجمعة فلما قاربت الشمس الغروب خاف أن تغيب قبل أن يفرغ منهم ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فردّ عليه الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم قيل كان علم النجم صحيحا قبل ذلك فلما وقفت الشمس ليوشع عليه السلام بطل أكثره ولما ردت لعلي رضي الله عنه بطل جميعه *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم كلام الشجر له وانقياده له وشهادته له بالرسالة وأحاديث كلام الشجر له كثيرة شهيرة رواها أهل السنن عن كثير من الصحابة منهم عمر بن الخطاب وعلي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعائشة وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأسامة ابن زيد وأنس بن مالك ويعلى بن مرة وغيرهم ورواها عنهم أضعافهم من التابعين قال القاضي عياض في الشفاء فصارت في انتشارها من القوة حيث هي قال الشهاب الخفاجي يعني أنها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين حتى بلغت التواتر المعنوي وصارت في مرتبة قوية لا يشك فيها أحد من العقلاء روى البيهقي والبزار والدارمي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أين تريد يا أعرابي قال أهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه السمرة وهي بشاطئ الوادي فاقبلت تخدّ الارض أي تشقها بعروقها حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم فاستشهدها ثلاثا أي طلب منها أن تشهد له بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدت له بانه رسول الله حقا ثم رجعت الى مكانها ورجع الاعرابي الى قومه وقال يا رسول الله ان يتبعوني آتك بهم والا رجعت اليك وكنت معك وروى البزار عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية أي علامة تدل على أنه رسول الله فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي أسجد لك أي بعد أن آمن به كما صرح به في رواية فقال له صلى الله عليه وسلم لو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها فقال الاعرابي فاذن لي أقبل يديك

الشجعان من العرب يحملها حين القتال يحمونه خوفا من أن يصيبها شيء وعلي رضي الله عنه يقول للناس احذروا أن يصيب أم المؤمنين شيء وقطعت أيد كثيرة عند خطام الجمل وقتل كثير ثم نادى علي رضي الله عنه اعقروا الجمل قبل أن تصاب أم المؤمنين فانه ان عقر تفرقوا عنه فضرب به رجل فسقط فقال علي رضي الله عنه للناس أنتم آمنون واجتمع القعقاع هو ومن يليه على قطع بطان الجمل ثم حملوا الهودج فوضعوه وانه كالقنفذ لما فيه من السهام وأطافوا به وفر من وراء ذلك من الناس فلما انهزموا أمر علي رضي الله عنه مناديا فنادى ألا لا تتبعوا مدبرا ولا تجهزوا على جريح ولا تدخلوا الدور وكان جملة القتلى من الفريقين عشرة آلاف وقيل ثلاثة عشر ألفا ثم أمر علي رضي الله عنه أن يحملوا الهودج من بين القتلى

ورجليك فاذن له وروى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال آذنت أي أعلمت
النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وان الجن قالوا له من يشهد لك أي بانك رسول الله فقال
هذه الشجرة ثم دعاها للشهادة فجاءت تجر عروقها والواقع وتقدم في مباحث البعثة قبيل باب ذكر تعذيب
قريش للمستضعفين قصة ركانة رضي الله عنه فانه أسلم بعد ذلك وفيها أنه صلى الله عليه وسلم لما طلب منه أن
يسلم قال لا الا أن تريني آية فقال له ان أريتك آية تسلم قال نعم وكان بقربه شجرة سمرة فقال لها أقبلي باذن
الله تعالى فانشقت اثنتين وأقبل نصفها حتى كان بين يديه صلى الله عليه وسلم ويدي ركانة فقال أريتني أمرا
عظيما فمرها فلترجع فقال ان أمرتها فرجعت تسلم قال نعم فأمرها فرجعت والتأمت بقضبانها وفروعها
مع نصفها الآخر فقال له أسلم فأبى وبقي على كفره حتى كان عام الفتح فأسلم رضي الله عنه وتوفي بالمدينة في
خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنين وأربعين وروى البيهقي عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم
شكا الى ربه من قومه في أوائل البعثة قبل قوة الاسلام وأهله وانهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها ان لا مخافة
عليه فاوحى الله اليه أن ائت وادي كذا من أودية مكة فان فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط
الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله أي جعله مدة قائما عنده ثم قال له ارجع كما جئت
فرجع فقال علمت ان لا مخافة علي ورواه بنحو هذا البزار وأبو يعلى والبيهقي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
وذكر فيه انه صلى الله عليه وسلم قال أرني آية لا أبالي من كذبني فذكر نحوه وروى البخاري في تاريخه
والبيهقي والدارمي والترمذي بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال بم أعرف انك رسول الله فقال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة أتؤمن بي قال نعم فدعاه فجعل
ينقز أي يثب حتى أتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه فاسلم الاعرابي وفي رواية فجعل ينزل من النخلة شيأ فشيأ
حتى سقط على الارض فاقبل وهو يسجد ويرفع حتى انتهى الى النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال له ارجع فعاد
فاسلم الاعرابي وقال أشهد انك رسول الله والمراد من العذق العرجون بما فيه من الشماريخ وروى الامام
أحمد عن جابر رضي الله عنه قال جاء جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو جالس حزين
قد خضب بالدماء ضربه بعض أهل مكة حين كذبوه فقال له ما لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل بي
هؤلاء وفعلوا فقال له جبريل أتحب أن أريك آية أي تزيل حزنك فقال نعم فنظر الى شجرة من وراء الوادي
أي الذي كان فيه مع جبريل فقال ادع تلك الشجرة فدعاها قال فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه فقال مرها
فلترجع الى مكانها فأمرها فرجعت الى مكانها فقال صلى الله عليه وسلم حسبي حسبي وفي رواية لا أبالي
من كذبني من قومي بعد هذا أي لان الجماد اذا أطاع دعوته دل ذلك على أن الناس تطيعه لكن تأخير ذلك
لحكم خفية ورواه الدارمي من حديث أنس والبيهقي من حديث عمر رضي الله عنهما وروى الامام
أحمد والطبراني والبيهقي عن يعلى بن مرة الثقفي رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير
فذكر الحديث الى أن قال ثم سرنا حتى نزلنا منزلا فنام النبي صلى الله عليه وسلم فجاءت شجرة تشق الارض
حتى غشيته وفي رواية طافت به ثم رجعت الى مكانها فلما استيقظ صلى الله عليه وسلم ذكرت له ذلك
فقال هي شجرة استأذنت ربها في أن تسلم علي فاذن لها وروى مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنهما قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة حتى نزلنا واديا أفيح أي واسعا فذهب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ير شيأ يستتر به
فاذا شجرتان في شاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احداهما فاخذ بغصن من أغصانها
فقال انقادي معي باذن الله تعالى فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده والمخشوش الذي وضع
له الخشاش وهو عود يجعل في أنف البعير لينقاد بسهولة ثم فعل بالاخرى كذلك حتى اذا كان بالمنصف
بينهما قال التئما علي باذن الله فالتأمتا والمنصف بفتح الميم والصاد بينهما نون ساكنة آخره فاء الموضع
الوسط بين الموضعين والالتئام الاجتماع وفي رواية أنه لما أخذ بغصن احداهما قال لجابر قل لهذه

وأمر أخاها محمد بن أبي بكر
رضي الله عنهما أن يضرب
لها قبة وكان أخوها محمد
من أصحاب علي رضي الله
عنه لانه كان ربيبه لان
عليا رضي الله عنه تزوج
أمه أسماء بنت عميس بعد
وفاة أبي بكر رضي الله عنه
وكانت قبل أبي بكر متزوجة
بجعفر بن أبي طالب
فمحمد بن أبي بكر وعبد
الرحمن بن جعفر بن أبي
طالب أخوان لام ثم قال
علي رضي الله عنه لمحمد بن
أبي بكر انظر هل وصل اليها
شيء من جراحة فادخل
رأسه في هودجها وقيل
أدخل يده فقالت من هذا
الذي يدخل يده على حرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحرقه الله بالنار فقال
يا أختاه قولي نار الدنيا فقالت
نار الدنيا فاستجاب الله
دعاءها فان محمدا قتل بمصر
وأحرق بالنار ثم ان محمدا قال
لها يا أختاه هل أصابك
شيء قالت لا ثم جاءها من
أصحاب علي عمار رضي الله

الشجرة يقول لك رسول الله الحق بصاحبتك حتى أجلس خلفهما فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فرجعت أحضر أي أعدو وأجري وجلست أحدث نفسي بهذا الامر الغريب العجيب فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم والشجرتان قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يمينا وشمالا وهو حديث واحد طوله بعض الرواة واختصره بعضهم وروى البيهقي وأبو يعلى عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي تقصده وتعينه فقلت ان الوادي ما فيه موضع خال عن الناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن ان رسول الله يأمركن أن تقاربن وقل للحجارة مثل ذلك فقلت لهن ذلك فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما فقضى حاجته ثم قال لي قل لهن يفترقن والذي نفسي بيده لرأيتهن يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وروى الامام أحمد والبيهقي والطبراني باسناد صحيح عن يعلى بن سيابة رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وقال في رواية فأمر وديتين أي نخلتين صغيرتين فانضمتا وعن غيلان بن سلمة الثقفي رضي الله عنه مثله في شجرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزوة حنين ولله در الابوصيري حيث يقول

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة * تمشي اليه على ساق بلا قدم
كأنما سطرت سطرا لما كتبت * فروعها من بديع الخط في اللقم

(أي الطريق) *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم تسليم الحجر والشجر عليه وسجودهما له وطاعتهما له روى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث واني لاعرفه الآن قال بعضهم هو الحجر الاسود وقال آخرون هو غيره بزقاق يعرف بزقاق الحجر وبزقاق المرفق بمكة والناس يتبركون بلمسه ويقولون انه هو الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم متى اجتاز به ذكر ذلك في المواهب ثم نقل عن ابن رشد وجماعة من أئمة المالكية منهم الامام أبو حفص الميانشي قال أخبرني كل من لقيته بمكة ان هذا الحجر المبني في الجدار المقابل لدار أبي بكر رضي الله عنه المشهورة هو الذي كلم النبي صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي والدارمي والحاكم وصححه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه قال كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله قال العلماء وانما كان هذا في بدء نبوته تطمينا لقلبه وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعد ذلك واجابتهم لدعوته وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا أمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وروى أبو نعيم عن برة رضي الله عنها قالت لما أراد الله كرامة نبيه صلى الله عليه وسلم كان يمضي الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وكان يرد عليهم وعليكم السلام قال بعضهم فهذا أمر يقربه الحجر فكيف ينكره البشر رواه البزار وأبو نعيم وروى البيهقي عن جابر رضي الله عنه قال لم يكن لنبي صلى الله عليه وسلم أي في ابتداء البعثة يمر بحجر ولا شجر الا سجد له ومن ذلك تأمين أسكفة الباب أي عتبته وحوائط البيت على دعائه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي وابن ماجه عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه يا أبا الفضل لا ترم بكسر الراء أي لا تبرح من منزلك أنت وبنوك حتى آتيكم فان لي فيكم حاجة فانتظروه حتى جاء بعد ما أضحى فدخل عليهم فقال السلام عليكم فقالوا وعليك السلام ورحمة الله وبركاته قال كيف أصبحتم قالوا أصبحنا بخير نحمد الله تعالى فقال لهم تقاربوا تقاربوا فتقاربوا يزحف بعضهم الى بعض حتى اذا أمكنوه أي اتصلوا به اشتمل عليهم بملاءته فقال يارب هذا عمي وصنو أبي أي مثله وهؤلاء أهل بيتي أي من أهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه قال فأمنت أسكفة الباب وحوائط البيت فقالت

عنه فقال يا أماه فقالت لست لك بأم فقال بلى وان كرهت ثم أبرزوا هودجها فوضعوها ليس قربها أحد فجاءها علي رضي الله عنه فقال كيف أنت يا أمه قالت بخير قال يغفر الله لك قالت ولك وجاء أعين بن ضبيعة بن أعين المجاشعي حتى اطلع في الهودج فقالت اليك لعنك الله فقال والله ما أرى الا حميرا فقالت هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورمي عريانا في خربة من خرابات الازد ثم أتى وجوه الناس عائشة رضي الله عنها وفيهم القعقاع بن عمرو فسلم عليها فقالت والله لوددت أني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة فأتى عليا فأخبره فقال علي رضي الله عنه وأنا والله لوددت اني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ثم لما كان الليل أدخلها أخوها محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما البصرة

آمين آمين آمين وبنو العباس هؤلاء هم الفضل وعبد الله وعبيد الله وقثم ومعبد وعبد الرحمن وسعيد وأختهم أم حبيبة رضي الله عنهم وفيهم يقول عبد الله الهلالي

ما ولدت نجيبة من فحل * بجبل نعلمه أو سهل * كسبعة من بطن أم الفضل

أكرم بهم من كهلة وكهل * عم النبي المصطفى ذي الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل

وروى الامام أحمد والبخاري والترمذي وابن ماجه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم أحدا فرجف بهم فقال أثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وروى مسلم مثل هذا عن أبي هريرة رضي الله عنه في حرا وزاد وقال ومعه علي وطلحة والزبير وفي رواية وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم وقال فانما عليك نبي أو صديق اوشهيد وأو للتقسيم وروى مسلم أيضا والترمذي والنسائي في حراء أيضا عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال ومعه عشرة من أصحابه وزاد فيهم عبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وفي رواية انه وقع مثل ذلك وهم على ثبير ويجمع بين الروايات بتعدد القصة وتكررها ولا مانع من ذلك ورجف الجبل هذا هو تحركه طربا بصعودهم عليه أو خوفا وهيبة واجلالا وليست رجفة غضب كرجفته ببني اسرائيل لما حرفوا الكلم وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه أنا الجبار أنا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وروى البخاري ومسلم والبزار والطبراني وأبو يعلى عن جابر بن عبد الله وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم قال كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها و يقول جاء الحق وزهق الباطل فما أشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه حتى ما بقي منها صنم وفي رواية لابن مسعود رضي الله عنه فجعل يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ولا تنافي بين الروايتين لاحتمال أن يحمل قوله يطعنها بانه يشير اليها من غير مس ليوافق ما قبله أو انه لكثرتها كان يشير الى بعضها من غير مس ويطعن بعضها بعصا بلطف لا يقتضي سقوطها عادة فعلى الحالين يكون سقوطها معجزة له صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي والبيهقي في حديث بحيرا الراهب وهو بفتح الباء مقصورا في ابتداء أمره صلى الله عليه وسلم وهو صغير السن لم يبعث حين خرج مع عمه أبي طالب في تجارة وكان الراهب لا يخرج الى أحد فخرج تلك المرة فجعل يتخللهم حتى أخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش من أين عرفت هذا فقال لانه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي ولانه أقبل وعليه غمامة تظلله ولما دنا من القوم وقد سبقوه الى فيء الشجرة جلس صلى الله عليه وسلم فمال الفيء اليه ومما يلتحق بذلك تأثير قدميه صلى الله عليه وسلم في الحجارة والانة الصخر له قال الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء وهذا مما شاع في الاقطار ونظمه الشعراء في فصيح الاشعار فمن ذلك انه صلى الله عليه وسلم كان في بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه في الحجارة بحيث بقي ذلك الى الآن وارتسم فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما في القدس ونقل منه لمصر في أماكن متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباي اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى بجعله عند قبره وهو موجود الى الآن وانه صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الرمل أحيانا لا يكون لقدمه أثر وقال الامام القسطلاني في المواهب اللدنية كان صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا على الالسنة ونطق به الشعراء في قصائدهم النبوية والبلغاء في منثورهم مع اعتضاده بوجود أثر قدمي الخليل عليه الصلاة والسلام في حجر المقام المنوه به في التنزيل في قوله تعالى فيه آيات بينات البالغ تعيينه وأنه أثره مبلغ التواتر وفيه يقول أبو طالب

وموطئ ابراهيم في الصخر وطؤه * على قدميه حافيا غير ناعل

ومما في البخاري من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بتأثير ضربه في الحجر ستا أو سبعا لما فر بثوبه حين

فانزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي عند صفية بنت الحرث العبدرية وتسلل الجرحى من بين القتلى ليلا فدخلوا البصرة فاقام علي رضي الله عنه بظاهر البصرة ثلاثا وأذن للناس في دفن موتاهم فخرجوا اليهم فدفنوهم وكان علي رضي الله عنه قبل ذلك طاف على القتلى فرأى كثيرا من العباد والزهاد من الصحابة وأبناء الصحابة ممن قتل مع عائشة رضي الله عنها فكان كلما مر على رجل منهم يقول انا لله وانا اليه راجعون زعم من زعم انه لم يخرج الينا الا الغوغاء وهذا العابد المجتهد فيهم وصلى علي رضي الله عنه على كل من الفريقين وترحم عليهم ودعا لهم وأمر بالاطراف فدفنت في قبر عظيم وجمع ما كان في العسكر من شيء وبعث به الى مسجد البصرة وقال من عرف شيأ انه له فليأخذه الا سلاحا كان في الخزائن

الا غتسل وقد صح مامن معجزة لنبي الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها ويؤيده وجود أثر حافر بغلته صلى الله عليه وسلم في مسجد بطيبة عرف بمسجد البغلة الى الآن وماذاك الا من سره صلى الله عليه وسلم السارى في البغلة ليكون أوضح في الدلالة على انه أوتي مثل ما أوتي الخليل صلى الله عليه وسلم على وجه أعلى منه وفي شرح المواهب للعلامة الزرقاني ان أثر قدمه صلى الله عليه وسلم وأثر أصابعه موجود على صخرة بيت المقدس وذكر السيوطي في الخصائص ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم انه ماوطئ على صخر الا وأثر فيه قال بعضهم كان ذلك قبل البعثة وبالجملة فهذه المعجزة ثابتة متحققة عند الائمة الجهابذة من أهل الحديث فلا وجه لانكار بعض القاصرين لها وفي فتاوى الجلال السيوطي من جملة أسئلة رفعت اليه فاجاب عنها بانها باطلة ان أبا جهل قال يا محمد ان أخرجت لنا طاوسا من صخرة في دارى آمنت بك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل فصارت الصخرة تئن كانين المرأة الحبلى ثم انشقت عن طاوس صدره من ذهب ورأسه من زبرجد وجناحاه من ياقوت ورجلاه من جوهر فلما رأى ذلك أبو جهل لعنه الله أعرض ولم يؤمن انتهى قال بعض المحققين وفي معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم ما يغني عن حكاية مثل هذه القصة التي لم يرد بها حديث صحيح ولا ضعيف فهي باطلة كما قال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم تسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم وحديثه قد اشتهر ورواه كثير من أهل السنن منهم البيهقي والبزار والطبراني وابن عساكر من حديث أبي ذر وأنس بن مالك رضي الله عنهما ففي رواية عن أبي ذر رضي الله عنه قال كنت أتتبع خلوات النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته يوما خاليا فاغتنمت خلوته فأتيته وهو جالس ليس عنده أحد من الناس وكأني أرى انه في وحي فسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال ما جاء بك قلت الله ورسوله أي حبهما فأمرني أن أجلس فجلست الى جنبه لا أسال عن شئ ولا يذكره لي فمكثت غير كثير فجاء أبو بكر رضي الله عنه يمشي مسرعا فسلم عليه فرد عليه السلام ثم قال ما جاء بك قال الله ورسوله فاشار بيده أن اجلس فجلس الى ربوة مقابل النبي صلى الله عليه وسلم ثم جاء عمر رضي الله عنه ففعل مثل ذلك وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وجلس الى جنب أبي بكر رضي الله عنه ثم جاء عثمان رضي الله عنه كذلك وجلس الى جنب عمر رضي الله عنه ثم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيات سبع أو تسع أو ماقرب من ذلك فسبحن في يده حتى سمع لهن حنين كحنين النحل في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضعهن بالارض فخرسن ثم أخذهن وناولهن أبا بكر رضي الله عنه فسبحن في كف أبي بكر رضي الله عنه حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن ثم تناولهن وناولهن عمر رضي الله عنه فسبحن في كفه كما سبحن في كف أبي بكر رضي الله عنه وفي رواية حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن منه فوضعهن في الارض فخرسن ثم تناولهن من الارض وناولهن عثمان رضي الله عنه فسبحن في كفه كنحو ما سبحن في كف أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وفي رواية حتى سمع لهن حنين كحنين النحل ثم أخذهن فوضعهن في الارض فخرسن ثم دفعهن الينا فلم يسبحن مع واحد منا وفي رواية أنس رضي الله عنه ثم وضعهن في أيدينا رجلا رجلا فما سبحت حصاة منهن واستشكل قوله ثم وضعهن في أيدينا بان ما تقدم يقتضي انه لم يحضر غير أبي بكر وعمر وعثمان وأبي ذر رضي الله عنهم وأجيب بانه يحتمل تكرر القصة أو أن ما تقدم باعتبار أول الامر ثم حضر جماعة من الصحابة منهم أنس رضي الله عنه خصوصا وقد كان خادم النبي صلى الله عليه وسلم فيقل مفارقته له ولم يذكر علي رضي الله عنه لانه لم يكن حاضرا معهم في ذلك المجلس وذلك لا يشين مقامه رضي الله عنه مع ماله من المناقب ولو كان حاضرا لسبحت في كفه قطعا (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم تسبيح الطعام وهو يؤكل روى البخاري والترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نسمع تسبيح الطعام وفي الشفاء للقاضي عياض عن جعفر بن محمد عن أبيه قال مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل عليه السلام بطبق فيه رمان وعنب فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وروى أبو الشيخ عن أنس رضي الله عنه قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم بطعام ثريد فقال ان هذا الطعام يسبح قالوا أو تفقه تسبيحه قال نعم ثم

عليه معه بيت المال وسألت عائشة رضي الله عنها عن قتل من الفريقين فكانت كلما ذكر لها رجل تترحم عليه وتدعو له فقيل لها كيف ذلك فقالت انهم في الجنة وقال علي رضي الله عنه اني لارجو أن لا يكون أحد من هؤلاء نقي قلبه لله الا أدخله الله الجنة * ولما دخل البصرة بايعه أهلها حتى الجرحى والمستأمنة وجعل ابن عباس رضي الله عنهما أميرا على البصرة وزيادا على الخراج وبيت المال وأمر ابن عباس رضي الله عنهما أن يسمع له ويطيع وكان زياد معتزلا للفريقين وأتاه الاحنف ابن قيس ومن كان معه من المعتزلين فبايعوه وكانوا عشرة آلاف واختفى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما بدار رجل من الازد فعلمت به عائشة رضي الله عنها فارسلت اليه أخاها محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما وقالت ائتني بابن

قال لرجل أدن هذه القصعة من هذا الرجل فأدناها فقال نعم يا رسول الله هذا الطعام يسبح ثم قال ردها فردها وظاهر هذا انه كان يسبح وهو فى الاناء وظاهر حديث البخارى انه كان يسبح بعد وضعه فى الفم ولا مانع منهما وفى قوله كنا دليل على تكرره وانه وقع مرارا عديدة وهو آية للنبى صلى الله عليه وسلم أعظم من تسبيح الجبال مع داود وفهم نطق الطير لسليمان عليهما السلام وكذا تسبيح الحصى لان الجبال لم تسبح وهى بيد داود عليه السلام بخلاف الحصى فانها سبحت بيده صلى الله عليه وسلم و بيد من أراد من أمته وتسبيح الطعام أعظم منهما اذ لم يعهد مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وانما كان أعظم من فهم سليمان عليه السلام منطق الطير لان الطير ناطق فى الجملة بخلاف الطعام وروى البيهقى ان أبا الدرداء وسلمان الفارسى رضى الله عنهما كانا اذا كتب أحدهما الى الآخر قال له بآية الصحفة وذلك أنهما بيناهما يأكلان فى صحفة اذ سبحت وما فيها والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم حنين الجذع والمراد بحنينه شوقه وانعطافه الى النبى صلى الله عليه وسلم مع ظهور صوت دال على ذلك الشوق والجذع واحد جذوع النخل وهو بالذال المعجمة وقد روى حديث حنين الجذع عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة تفيد القطع بوقوع ذلك حتى صار متواترا قال القاضى عياض والتاج السبكى والحافظ ابن حجر وغيرهم ان حنين الجذع وانشقاق القمر كل منهما أحاديثه متواترة نقلت نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم ممن لا ممارسة له فى ذلك وهذه الآية من أكبر الآيات والمعجزات الدالة على نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم وقال الشافعى رضى الله عنه ما أعطى الله نبيا مثل ما أعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقيل له أعطى عيسى عليه السلام احياء الموتى فقال أعطى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم حنين الجذع حين سمع صوته فهى أكبر من ذلك وقال القاضى عياض فى الشفاء حديث حنين الجذع مشهور منتشر والخبر به متواتر أى لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة عن جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب أخرجه أهل الصحيح أى الذين التزموا اخراج الاحاديث الصحيحة فى كتبهم كالشافعى والامام أحمد والبخارى وابن خزيمة وابن حبان والترمذى وابن ماجه وأبى يعلى والطبرانى والحاكم والدارمى ورواه من الصحابة جمع كثير منهم أبى بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر ابن الخطاب وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدرى و بريدة بن الحصيب الاسلمى وأم سلمة والمطلب بن أبى وداعة السهمى فمما رواه الشافعى فى مسنده حديث أبى بن كعب رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى مستندا الى جذع اذ كان المسجد عريشا أى مسقوفا بالجريد وكانت الجذوع له كالاعمدة وكان يخطب الى ذلك الجذع فقال رجل من أصحابه أى وهو تميم الدارى رضى الله عنه هل لك أن نجعل منبرا تقوم عليه يوم الجمعة ويسمع الناس خطبتك قال نعم فصنع له ثلاث درجات هى التى على المنبر أى فى خلافة معاوية رضى الله عنه لان مروان زاد فيه ست درجات وقال انما زدت فيه حين كثر الناس واستمر على ذلك الى أن احترق مسجد المدينة سنة أربع وخمسين وستمائة فاحترق ذلك المنبر فلما صنع له صلى الله عليه وسلم المنبر وكان من أثل الغابة وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعه الذى هو فيه فكان اذا بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطب فتجاوز الجذع الذى يخطب عليه خار فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع صوت الجذع فمسحه بيده فسكت ثم رجع الى المنبر وفى رواية للبخارى عن جابر رضى الله عنه فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة رفع أى النبى صلى الله عليه وسلم الى المنبر فصاحت النخلة زاد فى رواية صياح الصبى حتى كادت أن تنشق فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضمها أى النخلة وفى رواية فضمه أى الجذع اليه فجعلت تئن أنين الصبى الذى يسكن قال عليه الصلاة والسلام كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها وفى رواية للبخارى عن جابر أيضا رضى الله عنه كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبى صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليها فسكنت والعشار بكسر العين النوق الحوامل التى انتهت

الخلق فجاءبه الى عائشة رضى الله عنها فبايع عليا رضى الله عنه واختفى كثير من بنى أمية واستجاروا ببعض العرب ثم لحقوا بالشام ثم جهز على عائشة رضى الله عنها الى مكة بكل ما ينبغى لها من مركب وزاد ومتاع وغير ذلك وبعث معها كل من نجا ممن خرج معها الا من أحب المقام واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة وسير معها أخاها محمد بن أبى بكر رضى الله عنهما فلما كان اليوم الذى ارتحلت فيه أتاها على رضى الله عنه فوقف لها وحضر الناس فودعتهم وودعوها وقالت لهم يا بنى لا يعتب بعضنا على بعض وقال على رضى الله عنه لهم والله انها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة وخرجت يوم السبت غرة رجب سنة ست وثلاثين من الهجرة وشيعها على رضى الله عنه أميالا وسرح بنيه معها يوما فكان وجهها الى مكة

في حملها الى عشرة أشهر وفي رواية النسائي في السنن الكبرى عن جابر رضي الله عنه اضطربت تلك السارية كحنين الناقة الخلوج بفتح الخاء وضم اللام الخفيفة آخره جيم الناقة التي انتزع ولدها وفي رواية لابن خزيمة عن أنس رضي الله عنه فحنت الخشبة حنين الوالد وفي رواية للامام أحمد والدارمي وابن ماجه عن أبي ابن كعب رضي الله عنه فلما جاوزه خار الجذع حتى تصدع وانشق يعني انه بالغ في الصياح فأخذ أبي ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلي وصار رفاتا وهذا لا ينافي انه جاء في رواية فأمر به نبي الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر لاحتمال انه ظهر بعد الهدم عند التنظيف فأخذه أبي بن كعب رضي الله عنه وفي رواية لابي يعلى عن أنس رضي الله عنه خار كخوار الثور وارتج المسجد لخواره حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية سهل بن سعد وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت وقال والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة وفي رواية للدارمي عن بريدة بن الحصيب الاسلمي رضي الله عنه فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم للجذع حين سمع حنينه ان شئت أن أردك الى الحائط أي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمر وان شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ثم أصغى له يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اختار دار البقاء أي وهي الجنة على دار الفناء أي وهي الدنيا قال القاضي عياض في الشفاء وكان الحسن البصري رحمه الله اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فأنتم أحق أن تشتاقوا الى لقائه قال في المواهب ان الله خلق في الجذع حياة وعلما حتى صوت واشتاق وقد عامله النبي صلى الله عليه وسلم معاملة الحي فالتزمه كما يلتزم الغائب أهله وأعزته يبرد شوقهم اليه وأسفهم عليه ولله در القائل

وحن اليه الجذع شوقا ورقة * ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته * لكل امرئ من دهره ما تعودا

قال العلامة الزرقاني يعني أنه أمر مسطر في كل من اعتاد أمرا وانقطع عنه فانه يتألم لذلك ويحزن فاذا رجع اليه فرح واطمأن وهذا الجذع لما الف مقامه صلى الله عليه وسلم عنده اعتاد ذلك فصار يتألم لفراقه تألم من فارقته أحبته فلما ضمه سكن وفرح كمقيم ورد عليه أحبته المسافرون سفرا طويلا لاسيما اذا ظن المقيم أن لا يرجع المسافر اليه ولله در القائل

وألقى حتى في الجمادات حبه * فكانت لاهداء السلام له تهدي
وفارق جذعا كان يخطب عنده * فأن أنين الام اذ تجد الفقدا
يحن اليه الجذع يا قوم هكذا * أما نحن أولى أن نحن له وجدا
اذا كان جذع لم يطق فقد ساعة * فليس وفاء أن نطيق له بعدا

(ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم سجود الجمل له وشكواه كثرة العمل وقلة العلف روى الامام أحمد والنسائي باسناد جيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان أهل بيت من الانصار لهم جمل يسنون أي يسقون عليه وانه استصعب عليهم فمنعهم ظهره أي الانتفاع به فجاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انه كان لنا جمل نسني عليه وانه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش النخل والزرع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا فدخل الحائط أي البستان والجمل في ناحيته فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فقالت الانصار يا رسول الله قد صار مثل الكلب الكلب أي العقور وانا نخاف عليك صولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس علي منه باس فلما نظر الجمل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل نحوه حتى خر ساجدا بين يديه أي واضعا مشفره بارك بين يديه فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بناصيته أذل ما كان قط حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق بالسجود لك فقال

فقامت بمكة الى الحج ثم رجعت الى المدينة وقولها عمار رضي الله عنه حين ودعها ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد اليك فقالت والله انك ما علمت لقوال بالحق فقال الحمد لله الذي قضى على لسانك لي * ثم ان عائشة رضي الله عنها ندمت على مسيرها للطلب بدم عثمان رضي الله عنه وعرفت أن الحق كان مع علي رضي الله عنه وأن الصواب ترك الطلب بدم عثمان رضي الله عنه وكانت تقول لو لم أسر مسيري ذلك لكان أحب الي من أن يكون لي ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وكان عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها ولم يكن له بالمدينة نظير فلذلك ضربت به المثل وعلم أهل المدينة بالوقعة يوم الحرب قبل أن تغرب الشمس من

رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر لو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد
لزوجها من عظم حقه عليها وروى الامام أحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح عن يعلى بن مرة الثقفي رضي
الله عنه قال بينما نحن نسير مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ مررنا ببعير يسنى عليه فلما رآه البعير جرجر
أي صوت كثيرا ووضع جرانه وهو بالكسر مقدم العنق فوقف النبي صلى الله عليه وسلم فقال أين صاحب هذا
البعير فجاء فقال صلى الله عليه وسلم له بعنيه فقال بل نهبه لك يا رسول الله وانه لاهل بيت ما لهم معيشة غيره فقال
أما اذ ذكرت هذا من أمره فانه شكا كثرة العمل وقلة العلف فأحسن اليه أي بقلة العمل وكثرة العلف وروى
الدارمي والبزار والبيهقي باسناد جيد عن جابر رضي الله عنه أن جملا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
كان قريبا منه خر الجمل ساجدا فقال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس من صاحب هذا الجمل فقال فتية من الانصار
هو لنا قال فما شأنه قالوا استنونا عليه عشرين سنة فلما كبر سنه أردنا نحره فقال صلى الله عليه وسلم تبيعونيه
قالوا هو لك يا رسول الله فقال أحسنوا اليه حتى يأتي أجله فقالوا يا رسول الله نحن أحق أن نسجد لك من
البهائم فقال لا ينبغي لبشر أن يسجد لبشر ولو كان النساء لازواجهن وفي رواية انه قال لصاحب الجمل ما لبعيرك
يشكوك زعم أنك شنأته حين كبر تريد أن تنحره فقال صدقت والذي بعثك بالحق لا أفعل وروى الطبراني عن
ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا من الانصار كان له فحلان فاغتلما فادخلهما حائطا فسد عليهما الباب ثم
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد أن يدعو له والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد معه نفر من الانصار فقال
يا رسول الله اني جئت في حاجة وانه كان لي فحلان فاغتلما واني أدخلتهما حائطا وسددت عليهما الباب فأحب
أن تدعو لي أن يسخرهما الله عز وجل فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه قوموا معنا فذهب حتى أتى الباب فقال
افتح فشفق الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افتح ففتح فاذا أحد الفحلين قريب من الباب فلما
رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد له فقال صلى الله عليه وسلم ائتني بشيء أشد به رأسه وأمكنك منه فجاء
بخطام فشد به رأسه وأمكنه منه ثم مشى الى أقصى الحائط الى الفحل الآخر فلما رآه وقع له ساجدا فقال ائتني
بشيء أشد به رأسه وأمكنك منه فجاء بخطام فشد به رأسه وأمكنه منه وقال اذهب فانهما لا يعصيانك وروى
الامام أحمد وأبو داود وابن شاهين عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما قال أردفني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه فاسر الي حديثا لا أحدث به أحدا من الناس قال وكان أحب ما استتر به
النبي صلى الله عليه وسلم أي عند قضاء الحاجة هدف وهو كل شيء مرتفع على الارض أو حائش نخل أي وهو
النخل المجتمع فدخل حائطا رجل من الانصار أي لحاجته فاذا جمل فلما رأى الجمل النبي صلى الله عليه وسلم حن
وذرفت عيناه فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه أي وهو الموضع الذي يعرق من قفا البعير عند أذنه
فسكن ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هو لي يا رسول الله فقال ألا تتقي الله في هذه البهيمة
التي ملكك الله اياها فانه شكا الي أنك تجيعه وتدئبه أي تتعبه بكثرة العمل وفي رواية وكان لا يدخل أحد
الحائط الا شد عليه الجمل فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع شفره في الارض وبرك بين يديه فخطمه
أي وضع زمامه الذي يقاد به في رأسه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله
الا عاصي الجن والانس * (ومن معجزاته) * صلى الله عليه وسلم سجود الغنم وطاعتها له صلى الله عليه وسلم
روى الامام أحمد والبزار عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا أي
بستانا للانصاري ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ومعه رجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له أي تعظيما
له لما شاهدت نور نبوته وألهمها الله معرفته فقال أبو بكر يا رسول الله نحن أحق بالسجود لك من الغنم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لاحد أن يسجد لاحد وروى البيهقي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن وهو على بعض حصون خيبر وكان الرجل في غنم يرعاها لاهل
خيبر فقال يا رسول الله كيف لي بالغنم قال احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك أمانتك ويردها الى أهلها
ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى أهلها معجزة له صلى الله عليه وسلم فهذا من طاعات الحيوانات له * (ومن

نسر مربهما ومعه شيء معلق فسقط منه فاذا هو كف فيه خاتم نقشه عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وكان ممن كان مع عائشة رضي الله عنها فقتل في تلك الوقعة فتأمل ما وقع من القتال من علي وعائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم في هذه القصة تعلم علما قطعيا انهم كانوا مجتهدين في ذلك لا يريدون الا الحق والله سبحانه وتعالى أعلم ثم لما عاد علي رضي الله عنه الى البصرة بعد فراغه من قتال أهل الجمل قصد الكوفة ثم أرسل جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه الى أهل الشام يدعوهم الى الدخول في البيعة وكتب الى معاوية رضي الله عنه يعلمه باجتماع المهاجرين والانصار على بيعته ويدعوه الى الدخول فيما دخل فيه المهاجرون والانصار من الطاعة فلما قدم جرير وجد معاوية وأهل الشام ممتنعين من البيعة حتى يقتص من قتلة عثمان

معجزاته)* صلى الله عليه وسلم كلام الذئب واقراره برسالته صلى الله عليه وسلم روى الامام أحمد باسناد جيد والترمذى والحاكم باسناد صحيح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال عدا الذئب على شاة فأخذها فطلبه الراعى فانتزعها منه فاقعى الذئب على ذنبه وقال ألا تتقى الله تنزع منى رزقا ساقه الله الى فقال الراعى ياعجبا ذئب مقع على ذنبه يكلمنى بكلام الانس فقال الذئب ألا أخبرك باعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بانباء ماقد سبق وفى رواية رسول الله فى النخلات بين الحرتين يحدث الناس عن نبأ ماقد سبق وما يكون بعد ذلك وفى لفظ يدعو الناس الى الهدى والى الحق وهم يكذبونه قال أبو سعيد فاقبل الراعى يسوق غنمه حتى دخل المدينة ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنودى بالصلاة جامعة ثم خرج فقال للاعرابى أخبرهم أى بما شاهدته ليسروا ويزداد ايمانهم فاخبرهم وفى رواية وكان الرجل يهوديا فجاء وأسلم وأخبر النبى صلى الله عليه وسلم وصدقه ثم قال صلى الله عليه وسلم انها أمارات بين يدى الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه بما أحدث أهله بعده وفى رواية أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال الذئب للراعى أنت أعجب منى واقف على غنمك وقد تركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه قدرا عنده وقد فتحت له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك و بينه الا هذا الشعب فتصير فى جنود الله قال الراعى من لى بغنمى قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى فذكر قصته واسلامه ووجوده النبى صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها أى لم ينقص منها شئ فعاد فوجدها كذلك فذبح للذئب شاة منها وروى قصة كلام الذئب أيضا الامام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه والبيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما وأبو نعيم عن أنس رضى الله عنه وروى سعيد بن منصور عن أبى هريرة رضى الله عنه قال جاء الذئب فاقعى بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وجعل يبصبص بذنبه أى يحركه فقال صلى الله عليه وسلم هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له من أموالكم شيأ قالوا والله لانفعل وأخذ رجل من القوم حجرا ورماه به فادبر الذئب وله عواء فقال صلى الله عليه وسلم الذئب وما الذئب وهذا الاستفهام مفخم أمره قال القاضى عياض فى الشفاء وقد روى ابن وهب أن الذئب كلم أبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية قبل اسلامهما وذلك انهما وجدا ذئبا يريد أخذ ظبى فجرى الذئب خلف الظبى من الحل فدخل الظبى الحرم فانصرف الذئب عنه فعجبا من ذلك فقال الذئب لما سمع تعجبهما أو علمه من حالهما أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال أبو سفيان لصفوان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة أى لاهلها ليتركنها خلوفا بضم الخاء المعجمة أى فاسدة متغيرة يعنى يقع الفساد والتغير فى أهلها باسلامهم وهجرتهم الى المدينة وسمى ذلك فسادا باعتبار زعمهم الذى كانوا يعتقدونه قبل اسلامهم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم حديث الحمار أخرج ابن عساكر عن ابن منظور رضى الله عنه قال لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أصاب حمارا أسود فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمار فكلمه الحمار فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال يزيد بن شهاب أخرج الله من نسل جدى ستين حمارا كل منهم لا يركبه الا نبى وقد كنت أتوقعك أن تركبنى لانه لم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الانبياء غيرك وقد كنت قبلك لرجل يهودى وكنت أتعثر به عمدا وكان يجيع بطنى و يضرب ظهرى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فانت يعفور وهو اسم ولد الظبى كانه سمى به لسرعته فكان عليه الصلاة والسلام يبعثه الى باب الرجل فيأتى الباب فيقرعه برأسه فاذا خرج اليه صاحب الدار أومأ اليه أن أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى بئر كانت لابى الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الواقدى مات يعفور منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع و به جزم النووى عن ابن الصلاح فيكون موته قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وقد روى حديث الحمار أبو نعيم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه وأخرجه ابن حبان وغيره وأنكره بعضهم وقال انه موضوع وقال بعضهم انه ضعيف وقد تعددت طرقه قال العلامة الزرقانى

فرجع جرير وأخبر عليا رضى الله عنه فتجهز ومن معه من الناس وساروا حتى عبروا الفرات وتجهز معاوية ومن معه من الناس وكانت وقعة صفين المشهورة وكان جيش على رضى الله عنه سبعين ألفا وقيل كان تسعين ألفا وجيش معاوية رضى الله عنه كان ستين ألفا وقيل كان مائة وعشرين ألفا وقتل من الفريقين أزيد من ستين ألفا وفى تاريخ الخميس قتل من أهل العراق خمسة وعشرون ألفا وقتل من عسكر معاوية خمسة وأربعون ألفا والكلام على تفصيل ماوقع طويل (وحاصله) أنهم تكاتبوا وتراسلوا وترددت الرسل والوسائط بينهم على انه يحصل الاتفاق والدخول فى البيعة فقالوا لا نترك المطالبة بدم عثمان وحصل القتال بينهم فى أول ذى الحجة سنة ست وثلاثين من الهجرة واستمر الى دخول المحرم ثم أمسكوا الى أن

وليس فيه ما ينكر شرعا فلا بدع في وقوعه له صلى الله عليه وسلم فنهايته الضعف لا الوضع * (ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم) * حديث الضب بفتح المعجمة وموحدة ثقيلة حيوان بري يشبه الورل قال ابن خالويه لا يشرب الماء ويعيش سبعمائة سنة فصاعدا يقال انه يبول كل أربعين يوما قطرة ولا يسقط له سن ويقال ان اسنانه قطعة واحدة ليست متفرقة وحديثه مشهور على الالسنة وقد رواه البيهقي والطبراني وشيخه الحاكم وشيخها ابن عدي والدارقطني كلهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه اذ جاء اعرابي من بني سليم قد صاد ضبا جعله في كمه ليذهب به الى رحله فيشويه و يأكله فلما رأى الجماعة أي الصحابة قال من هذا قالوا نبي الله وفي رواية الدارقطني فقال على من هؤلاء الجماعة فقيل له على هذا الذي يزعم انه نبي فاتاه فقال يا محمد ما اشتملت النساء على ذي لهجة أكذب منك فلولا أن تسميني العرب عجولا لقتلتك ولسررت الناس أجمعين بقتلك فقال عمر يا رسول الله دعني أقتله فقال صلى الله عليه وسلم أما علمت أن الحليم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل الاعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخرج الضب من كمه وقال واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب وطرحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين وفي رواية فكلمه الضب بلسان طلق فصيح عربي مبين يسمعه وفي رواية يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن أنا قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم الاعرابي زاد الدارقطني وابن عدي فقال الاعرابي أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله حقا ولقد أتيتك وما على وجه الارض أحد هو أبغض الي منك و والله لانت الساعة أحب الي من نفسي وولدي فقد آمن بك شعري و بشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك الى هذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولا يقبله الله الا بصلاة ولا يقبل الصلاة الا بقرآن قال فعلمني فعلمه صلى الله عليه وسلم الفاتحة والاخلاص فقال يا رسول الله ما سمعت في البسيط ولا في الوجيز أحسن من هذا فقال صلى الله عليه وسلم هذا كلام رب العالمين وليس بشعر واذا قرأت قل هو الله أحد مرة فكأنما قرأت ثلث القرآن وان قرأتها مرتين فكأنما قرأت ثلثي القرآن وان قرأتها ثلاثا فكأنما قرأت القرآن كله فقال الاعرابي نعم الاله الهنا يقبل اليسير و يعطي الكثير ثم قال صلى الله عليه وسلم ألك مال فقال ما في سليم قاطبة أفقر مني فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اعطوه فاعطوه حتى أثروه فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اني اعطيه يا رسول الله ناقة عشراء أهديت الي يوم تبوك تلحق ولا تلحق أتقرب بها الى الله دون البختي وفوق العرابي فقال صلى الله عليه وسلم قد وصفت ما تعطي فاصف لك ما يعطيك الله قال نعم قال لك ناقة من درة جوفاء قوائمها من زمرد أخضر وعنقها من زبرجد أصفر عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق تمر بك على الصراط كالبرق الخاطف فخرج الاعرابي من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلقاه ألف اعرابي من بني سليم على ألف دابة بالف رمح و ألف سيف فقال لهم أين تريدون فقالوا هذا الذي يكذب و يزعم أنه نبي فقال الاعرابي اني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا صبوت فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاهم بلا رداء فنزلوا عن ركائبهم يقبلون ما ولوا منه وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله وقالوا يا رسول الله مرنا بامرك فقال كونوا تحت راية خالد بن الوليد قال ابن عمر رضي الله عنهما فلم يؤمن في أيامه صلى الله عليه وسلم من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم وهذا الحديث قد ضعفه بعضهم وادعى بعضهم انه موضوع وذلك مردود كيف وقد رواه الائمة الحفاظ الكبار كابن عدي وتلميذه البيهقي وهو لا يروي موضوعا والدارقطني وناهيك به ولحديث ابن عمر طرق ورواه أبو نعيم وورد مثله عند ابن عساكر عن علي رضي الله عنه ورواه ابن الجوزي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومن حديث عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما غاية الامر أن بعض الطرق ضعيفة لكنها يقوي بعضها بعضا والله أعلم

انقضى المحرم سنة سبع وثلاثين ثم لما دخل شهر صفر اقتتلوا وجملة الايام التي اقتتلوا فيها مائة يوم وقيل مائة وعشرون يوما قبل ابتداء العدد كان من حين مسير الفريقين من الكوفة والشام الى انتهاء الامر في ثلاثة عشر من شهر صفر فزحف جيش علي على جيش معاوية رضي الله عنهما حتى كادوا ينهزمون فرفع أصحاب معاوية المصاحف وقالوا بيننا وبينكم كتاب الله فقال بعض الناس من أصحاب علي رضي الله عنه نجيب الى كتاب الله فقال لهم علي رضي الله عنه ما رفعوها لكم الا خديعة ومكرا فقالوا لا يسعنا ان ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله وقال مسعر بن فدك التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا بعد ذلك خوارج يا علي أجب الى كتاب الله عز وجل اذ دعيت اليه والا دفعناك برمتك الى القوم

(ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم حديث الغزالة أي كلامها له روى حديثها البيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه من طرق يقوى بعضها ببعض فيعلم أن له أصلا فيكون حسنا لغيره وذكره القاضي عياض بلا سند عن أم سلمة رضي الله عنها بدون تمريض فيدل على قوته فلا عبرة بتضعيف بعضهم له ورواه أبو نعيم في الدلائل النبوية عن أنس وعن أم سلمة أيضا رضي الله عنهما قالت بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحراء من الارض اذا هاتف يهتف يا رسول الله ثلاث مرات فالتفت فاذا ظبية مشدودة في وثاق واعرابي منجدل في شملة نائم في الشمس فقال لها ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان أي ولدان في ذلك الجبل فاطلقني حتى أذهب فارضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت عذبني الله عذاب العشار أي المكاس ان لم أرجع فاطلقها فذهبت فارضعتهما ورجعت عن قرب فاوثقها النبي صلى الله عليه وسلم كما كانت فانتبه الاعرابي من نومه فقال يا رسول الله ألك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب برجلها الارض وتقول أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وفي رواية لزيد بن أرقم رضي الله عنه قال فهو والله رأيتها تسبح في البرية وهي تقول لا اله الا الله محمد رسول الله ورواه الطبراني بنحوه وساق الحافظ المنذري لفظ الطبراني في الترغيب والترهيب من باب الزكاة وأنكر السخاوي حديث تكليم الغزالة ثم قال لكنه في الجملة وارد في عدة أحاديث يتقوى بعضها ببعض أوردها شيخنا شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في المجلس الحادي والستين من تخريج أحاديث المختصر الكبير في الاصول لابن الحاجب وقال العلامة ابن السبكي في شرح مختصر ابن الحاجب وحديث تسبيح الحصى وتكليم الغزالة وان لم يكونا اليوم متواترين لعلهما تواترا اذ ذاك وقال الحافظ ابن حجر والذي أقوله انها كلها مشتهرة بين الناس انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم * ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تعظيم داجن البيوت له وانقيادها وطاعتها له وشهادتها عنده صلى الله عليه وسلم والداجن ما ألف البيوت من الحيوانات كالطير والشاة والناقة وقد روى ذلك الامام أحمد والبزار وقاسم بن ثابت السرقسطي الاندلسي عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر أي سكن وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب أي مشى في البيت وتردد فيه لانه ليس ثم من يهابه وقيل معناه لم يقر لعدم رؤيته صلى الله عليه وسلم شوقا له وكلاهما أي الف الحيوان الذي لا يعقل له صلى الله عليه وسلم ومهابته عنده آية ظاهرة وذكره القاضي عياض في الشفاء بسنده الى قاسم بن ثابت أيضا وعن عبد الله بن قرط رضي الله عنه قال قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أوست أوسبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ أي تقدمت كل واحدة منهن اليه صلى الله عليه وسلم رغبة في أن يذبحها وانقيادا له بالهام من الله تعالى رواه الحاكم والطبراني وأبو نعيم وروى الطبراني عن زيد بن ثابت والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بمجمع طرق المدينة بصرنا باعرابي أخذ بخطام بعير حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا نبي الله فرد عليه السلام فجاء رجل وقال ان هذا الاعرابي سرق هذا البعير فرغا البعير وهو صلى الله عليه وسلم منصت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير يشهد بانك كاذب وعبارة الشفاء ومن معجزاته حديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها أنه ما سرقها وانها ملكه وفي الشفاء أيضا ومن هذا القبيل ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لفرسه وقد قام الى الصلاة في بعض أسفاره والفرس غير مربوط لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله في قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلى الله عليه وسلم ففيه معجزة له حيث فهم الحيوان كلامه ومما يندرج في تسخير الحيوانات له صلى الله عليه وسلم ما رواه البخاري في تاريخه والبيهقي في سننه من تسخير الاسد لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد فقال له أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي كتابه فالهمه الله تعالى أن فهم كلامه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه من اليمن مثل ذلك وفي رواية للبزار والبيهقي صححها

أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان وارتفعت الاصوات وامتنعوا من القتال فقال الاشعث بن قيس لعلي رضي الله عنه أرى الناس قد رضوا بما دعوهم اليه من حكم القرآن فان شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد فقال ائته فاتاه وقال لمعاوية لاي شئ رفعتم المصاحف فقال نرجع نحن وأنتم الى ما أمر به الله في كتابه تبعثون رجلا ترضون به ونبعث نحن رجلا نرضى به ونأخذ عليهما العهد والميثاق أن يعملا بما في كتاب الله لا يعدوانه ثم نتبع ما اتفقا عليه فقال له الاشعث هذا هو الحق فعاد الى علي فاخبره فقال الناس قد رضينا وقبلنا فقال أهل الشام قد رضينا عمرو بن العاص رضي الله عنه وقال الاشعث وقوم صاروا بعد ذلك خوارج قد رضينا أبا موسى الاشعري فقال علي رضي الله عنه قد عصيتموني في أول الامر فلا تعصوني الآن لا أرى ان أولي أبا

السيوطي أن سفينة رضي الله عنه كان في سفينة في البحر فانكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد قال فقلت له أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ صلى الله عليه وسلم مرة باذن شاة أي أمسكها باصبعيه ثم خلاها فصار ذلك ميسما فيها وفي نسلها ويلحق بهذا المبحث ماروى الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله الى الملوك خرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه اليهم والواقدي امام جليل من أئمة السير وثقه بعضهم وتكلم فيه بعضهم قال الشهاب الخفاجي وكفى برواية الشافعي عنه دليلا على صحة ما رواه وقد ترجمه الذهبي وابن سيد الناس وغيرهما بترجمة جليلة قال القاضي عياض في الشفاء والاحاديث في هذا الباب كثيرة وقد جئنا منها بالمشهور والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم نبع الماء الطهور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قال القرطبي قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم قد تكررت في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي وقال القاضي عياض هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير والجم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجامع العساكر ولم يرد عن أحد منهم انكار على الراوي ذلك فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته صلى الله عليه وسلم وحديث نبع الماء جاء من رواية أنس عند الشيخين وأحمد وغيرهم من خمسة طرق وعن جابر عندهم من أربعة طرق وعن ابن مسعود عند البخاري والترمذي وعن ابن عباس عند الامام أحمد والطبراني من طريقين فقول ابن بطال لم يرد الا من طريق أنس مردود وهذه المعجزة لم يسمع انها وقعت لغير نبينا صلى الله عليه وسلم وهي أعظم من نبع الماء من الحجر الذي وقع لموسى عليه الصلاة والسلام حين ضرب الحجر بعصاه فتفجر منه اثنتا عشرة عينا لان خروج الماء من الحجارة معهود في الجملة بخلاف نبع الماء من بين لحم ودم فانه ليس بمعهود وما أحسن قول بعضهم

ان كان موسى سقى الاسباط من حجر * فان في الكف معنى ليس في الحجر

قال في المواهب وقد روى حديث نبع الماء جماعة من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود وابن عباس وأبو ليلى رضي الله عنه فاما حديث أنس ففي الصحيحين قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر زاد في رواية وهو بالزوراء موضع بسوق المدينة فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع يده في ذلك الاناء فامر الناس أن يتوضؤا منه فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم وكانوا سبعين أو ثمانين وفي رواية فقلنا لانس كم كنتم قال كنا زهاء ثلثمائة وحمل على تعدد القصة وانهم كانوا مرة ثمانين أو سبعين ومرة ثلثمائة فهما كما قال النووي قضيتان جرتا في وقتين حضرهما جميعا أنس رضي الله عنه وقوله حتى توضؤا من عند آخرهم مبالغة في التعميم حتى كان الآخر هو الذي ابتدئ به اشارة الى أن الآخر أسبغ الوضوء من غير نقص مثل اسباغ الاول بل كانه هو الاول وروى ابن شاهين عن أنس رضي الله عنه قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال المسلمون يارسول الله عطشت دوابنا وابلنا فقال هل من فضلة ماء فجاء رجل في شن أي قربة بالية بشيء من ماء فقال هاتوا صحفة فصب الماء ثم وضع راحته في الماء قال أنس رضي الله عنه فرأيتها أي الصحفة تخلل عيونا أي تتخلل أي تنفذ عيونها بين أصابعه فسقينا ابلنا ودوابنا وتزودنا أي حملنا الماء معنا فقال صلى الله عليه وسلم أكفيتم قلنا نعم يارسول الله فرفع يده من الصحفة فارتفع الماء وأخرج البيهقي عن أنس أيضا رضي الله عنه قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى قباء فاتي من بعض بيوتهم بقدح صغير فادخل يده فلم يسعها القدح فادخل أصابعه الاربعة ولم يستطع أن يدخل ابهامه ثم قال للقوم هلموا الى الشراب قال أنس رضي الله عنه بصر عيني ينبع الماء من بين أصابعه فلم يزل القوم يردون القدح حتى رووا منه جميعا وأما حديث جابر رضي الله عنه ففي الصحيحين من رواية سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي

موسى فقالوا لا نرضى الا به فانه قد حذرنا ما وقعنا فيه وكان أبو موسى قد اعتزل الفريقين ولم يشهد القتال بل أقام بعرض بفتح العين قرية بالشام فقال علي رضي الله عنه لا أرضى به ولا أثق به لانه فارقني وخذل الناس عني وهرب مني حتى أمنته ولكن هذا ابن عباس أوليه ذلك فقالوا والله لا نبالي أنت كنت أم ابن عباس لا نريد الا رجلا هو منك ومن معاوية سواء فقال اجعلوا الاشتر وهو مالك بن الحرث النخعي التابعي قالوا وهل أسعر الارض الا الاشتر فقال قد أبيتم الا أبا موسى قالوا نعم قال فاصنعوا ما أردتم فبعثوا الى أبي موسى فاتاه مولى له فقال له ان الناس قد اصطلحوا فقال الحمد لله قال قد جعلوك حكما فقال انا لله وانا اليه راجعون فجاء أبو موسى حتى دخل العسكر وجاء الاحنف بن قيس عليا رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين انك

الله عنه قال عطش الناس يوم الحديبية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة يتوضأ منها فجهش
الناس حوله أى أسرعوا فقال مالكم قالوا يارسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ به ولا ماء نشربه الا ما بين يديك
فوضع صلى الله عليه وسلم يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا
قال سالم قلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى هذه القصة البخارى أيضا عن
البراء بن عازب رضى الله عنهما وقال كنا أربع عشرة مائة وجمع بينهما بانهم كانوا أكثر من أربع عشرة
مائة فبعضهم جبر الكسر وبعضهم ألغاه ويؤيده انه جاء فى رواية للبخارى كنا ألفا وأربعمائة أو أكثر
واعتمد النووى هذا الجمع قال لصحة الروايات كلها وروى مسلم عن جابر رضى الله عنه انه كان مثل ذلك فى غزوة
بواط وهو اسم جبل من جبال جهينة بقرب ينبع ولفظه قال جابر رضى الله عنه قال لى رسول الله ناد ألا وضوء
فقلت ألا وضوء ألا وضوء ألا وضوء قال ثم قلت يارسول الله ماوجدت فى الركب من قطرة وكان رجل من الانصار
يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه له ماء فى أشجاب على حمارة من جريد قال فقال لى انطلق الى فلان
الانصارى فانظر هل فى أشجابه من شئ فانطلقت اليه فنظرت اليها فلم اجد الا شيئا يسيرا وأنى أفرغه لشربه
يابس الاناء فرجعت فأخبرته قال اذهب فأت به فأتيته به فأخذه بيده فجعل يتكلم بشئ لا أدرى ماهو ويغمز
بيده ثم أعطانيه فقال ياجابر ناد بجفنة فقلت ياجفنة الركب فأتى بها تحمل فوضعها بين يديه فقال صلى الله
عليه وسلم بيده هكذا فبسطها وفرق بين أصابعه ثم وضعها فى قعر الجفنة وقال خذ ياجابر فصب على وقل باسم
الله فصببت عليه وقلت باسم الله فرأيت الماء يفور من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ثم فارت الجفنة ودارت
حتى امتلأت فقال ياجابر نادمن كانت له حاجة بماء قال فأتى الناس فاستقوا حتى رووا وبقى فقلت هل بقى أحد
له حاجة فرفع صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهى ملأى قال الحافظ ابن حجر وهذه القصة أبلغ من جميع
ماتقدم لاشتمالها على قلة الماء وعلى كثرة من استقى منه وقوله فى أشجاب جمع شجب وهى القربة البالية
وروى حديث جابر رضى الله عنه الامام أحمد فى مسنده بلفظ اشتكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش فدعا بعس وهو القدح الكبير فصب فيه شيأ من الماء ووضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده وقال
استقوا فاستقى الناس فكنت أرى العيون تنبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم وفى لفظ عن جابر أيضا
قال فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم كفه فى الاناء ثم قال باسم الله ثم قال أسبغوا الوضوء قال جابر فو الذى
ابتلانى ببصرى أى بفقده وذهابه لانه عمى آخر عمره رضى الله عنه لقد رأيت العيون عيون الماء يومئذ تخرج
من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم فما رفعها أى يده حتى توضؤا أجمعون ورواه أيضا عن جابر والبيهقى فى الدلائل
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر أى وهو الحديبية فاصابنا عطش فجهشنا أى أسرعنا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جابر فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فى تور من ماء وهو بفتح المثناة
الفوقية اناء من حجارة أو صفر يشرب فيه وقيل انه يشبه الطست فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون
قال خذوا باسم الله فشربنا فوسعنا وكفانا ولو كنا مائة ألف لكفانا قلت لجابر كم كنتم قال كنا ألفا وخمسمائة
وأما حديث ابن مسعود رضى الله عنه ففى صحيح البخارى من رواية علقمة عن ابن مسعود رضى الله عنه قال
بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فى سفر قيل هو الحديبية وجزم أبو نعيم بان ذلك فى غزوة خيبر
ورجحه الحافظ ابن حجر وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء وفى رواية فجاؤا باناء فيه ماء قليل
فصبه فى اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مسعود
رضى الله عنه فجعلت أبادرهم الى الماء أدخله فى جوفى أى لطلب البركة وفى رواية قال كنا نعد الآيات بركة
وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاؤا
باناء فيه ماء قليل فأدخل يده فى الاناء ثم قال حى على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من
بين أصابع النبى صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وانما كان النبى صلى الله عليه
وسلم يطلب ماء قليلا ويضع يده فيه ولم يخرجه من غير ملابسة ماء ولا وضع اناء تادبا مع الله تعالى اذ هو المنفرد

قد رميت بحجر الارض
يعنى عمرو بن العاص وانى
قد عجمت أبا موسى وحلبت
شطره فوجدته كليل الشفرة
وانه لا يصلح لهؤلاء القوم
الا رجل يدنو منهم حتى
يصير فى أكفهم ويبعد
حتى يصير بمنزلة النجم منهم
فان أبيت أن تجعلنى حكما
فاجعلنى ثانيا أو ثالثا فانه لم
يعقد عقدة الا حللتها ولا
يحل عقدة عقدتها الا
عقدت أخرى أحكم منها
فابى الناس الا أبا موسى
والرضا بالكتاب فقال
الاحنف ان أبيتم الا أبا
موسى فادفعوا ظهره
بالرجال وحضر عمرو بن
العاص عند على رضى الله
عنه ليكتب القضية
بحضوره فكتبوا بسم
الله الرحمن الرحيم هذا
ما تقاضى عليه أمير المؤمنين
فقال عمرو هو أميركم وأما
أميرنا فلا فقال الاحنف
لا تمح اسم أمير المؤمنين
فانى أخاف انك ان محوتها
لا ترجع اليك أبدا الا تمحها
وان قتل الناس بعضهم

بابتداع

بابتداع المعدومات وايجادها من غير أصل ولئلا يظن بعض القاصرين أنه هو الموجد للماء والاشارة الى أن
الله تعالى أجرى العادة في الدنيا غالبا بالتسبب وحديث ابن مسعود هذا رواه عنه أيضا عبد الله بن عباس
رضي الله عنهما قال دعا النبي صلى الله عليه وسلم بلالا لطلب الماء فقال بلال لا والله ما وجدت الماء فقال هل
من شن فأتى بشن فبسط كفه فيه فانبعثت تحت يده عين فكان ابن مسعود يشرب ويكثر وغيره يتوضأ رواه
الدارمي وأبو نعيم ورواه الطبراني وأبو نعيم من حديث أبي ليلى ورواه أبو نعيم أيضا من طريق القاسم بن
عبد الله بن أبي رافع عن أبيه عن جده أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم * (ومن
معجزاته) * صلى الله عليه وسلم تفجر الماء وكثرته ووجوده ببركته صلى الله عليه وسلم وبمسه له وبدعوته فمن
ذلك ما تقدم ذكره في غزوة تبوك أنه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه جاؤا عين تبوك فوجدوها تبض بشئ
من ماء مثل شراك النعل قال معاذ بن جبل الراوي لهذه القصة فغرفوا من العين قليلا قليلا حتى اجتمع شئ ثم
غسل عليه الصلاة والسلام وجهه ويديه به ثم أعاده فيها فجرت العين بماء كثير وفي رواية فانخرق من الماء ماء
له حس كحس الصواعق فاستقى الناس ثم قال عليه السلام يا معاذ يوشك ان طالت بك حياة أن ترى ما ههنا
قد ملئ جنانا أي بساتين وعمرانا فكان كما أخبر صلى الله عليه وسلم وفي البخاري في غزوة الحديبية من حديث
المسور بن مخرمة رضي الله عنهما ومروان بن الحكم ان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه نزلوا بأقصى الحديبية
على ثمد قليل الماء فلم يلبث الناس حتى نزحوه وشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش فانتزع سهما
من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه والثمد بفتحتين حفرة فيها
ماء قليل وفي رواية للبخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم توضأ فتمضمض ودعا ومج
في بئر الحديبية منه فجاشت بالماء كذلك وفي مغازي أبي الاسود محمد بن عبد الرحمن الاسدي المدني يتيم عروة بن
الزبير عن عروة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم توضأ في الدلو ومضمض فاه ثم مج في الدلو وأمر أن يصب
في البئر ونزع سهما من كنانته وألقاه في البئر ودعا الله تعالى ففارت الى أن ارتفعت حتى جعلوا يغترفون بأيديهم
منها وهم جلوس على شفيرها فجمع في هذه الرواية بين التوضئ والمج والقاء السهم من كنانته ففي رواية البخاري
اختصار وفيه معجزات ظاهرة وبركة سلاحه وما ينسب اليه صلى الله عليه وسلم وهذه القصة غير القصة السابقة
قريبا في ذكر نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم مما رواه البخاري ومسلم في المغازي من حديث
جابر رضي الله عنه لانه قال في حديثه فجعل الماء يفور من بين أصابعه وفي حديث البراء انه صب ماء وضوئه
في البئر فالقصة متعددة فحديث جابر في نبع الماء كان حين حضرت صلاة العصر عند ارادة الوضوء وحديث
المسور والبراء كان في تكثير ماء البئر لارادة ماء أعم من ذلك كشرب وسقي دواب ويحتمل أن يكون الماء
لما تفجر من بين أصابعه ويده في الركوة وتوضؤا كلهم وشربوا أمر حينئذ بصب الماء الذي بقي في الركوة
في البئر فتكاثر الماء فيها قال في فتح الباري وفي حديث زيد بن خالد أنهم أصابهم مطر بالحديبية
فكان ذلك وقع بعد القصتين المذكورتين وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع رضي الله عنهما مما رواه
البخاري ومسلم في قصة الحديبية وهم أربع عشرة مائة وبئرهم لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها
قطرة فقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على شفيرها قال البراء وأتي صلى الله عليه وسلم بدلو منها فبصق ودعا
ثم صبه فيها ثم قال دعوها ساعة قال البراء فتركناها غير بعيد ثم انها أصدرتنا نحن وركابنا وفي رواية
فارووا أنفسهم وركابهم حتى ارتحلوا وفي الصحيحين عن عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنهما وعنا بهما
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قيل هو الحديبية وقيل تبوك وقيل غيرهما فاشتكى الناس
اليه صلى الله عليه وسلم العطش فنزل صلى الله عليه وسلم ودعا الزبير وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وقال
اذهبا فابتغيا الماء فانطلقا فلقيا امرأة على بعير سادلة رجليها بين مزادتين فجاءا بها الى النبي صلى الله
عليه وسلم فدعا باناء فافرغ من أفواه المزادتين وأوكأ أفواههما ثم وضع يده في الماء فجعل يفور ونودي في
الناس اسقوا واستقوا ففعلوا والمرأة قائمة تنظر ما يفعل بمائها ثم قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه اجمعوا لها أي

بعضا فأبى ذلك علي رضي
الله عنه مليا من النهار ثم
ان الاشعث قال امح هذا
الاسم فمحاه فقال علي
رضي الله عنه الله أكبر
سنة بسنة اني لكاتب
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الحديبية فكتبت
محمد رسول الله فقالوا لست
برسول الله ولكن أكتب
اسمك واسم أبيك فأمرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمحوه فقلت لا أستطيع
فقال أرنيه فأريته اياه
فمحاه بيده وقال انك ستدعى
لمثلها فتجيبه فقال عمرو
سبحان الله أتشبه بالكفار
ونحن مؤمنون فسبه علي
رضي الله عنه فقال عمرو
والله لا يجمع بيني وبينك
مجلس بعد هذا اليوم أبدا
فقال علي رضي الله عنه اني
لارجو أن يطهر الله مجلسي
منك ومن أشباهك وكتب
الكاتب هذا ما تقاضى
عليه علي بن أبي طالب
ومعاوية بن أبي سفيان
قاضى علي على أهل الكوفة
ومن معهم وقاضى معاوية

للمرأة أى تطييبا لخاطرها فى مقابلة حبسها فى ذلك الوقت عن السير الى قومها وما نالها من خوف أخذ مائها قال بعضهم انما أخذوها واستجاز وا أخذ مائها لانها كانت حربية وعلى فرض أن يكون لها عهد فضرورة العطش تبيح للمسلم الماء المملوك لغيره على عوض على ان نفس الشارع صلى الله عليه وسلم تفدى بكل نفس فجمعوا لها ما بين عجوة ودقيقة وسويقة حتى جمعوا لها طعاما كثيرا فجعلوه فى ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها وقال لها صلى الله عليه وسلم تعلمين ما رزئنا من مائك شيأ ولكن الله هو الذى سقانا فأتت أهلها وقد احتبست عنهم فقالوا ما حبسك يا فلانة فقالت العجب أى حبسنى العجب لقينى رجلان فذهبا بى الى هذا الرجل الذى يقال له الصابى ففعل كذا وكذا وحكت لهم ما فعل ثم قالت فوالله انه لأسحر الناس كلهم أو انه لرسول الله حقا فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذى هى منه فقالت المرأة يوما لقومها ما أرى أن هؤلاء يدعونكم الا عمدا فهل لكم رغبة فى الاسلام فأطاعوها فدخلوا فى الاسلام وتقدمت هذه القصة فى غزوة تبوك وتقدم فيها أيضا أنه صلى الله عليه وسلم توضأ من ميضأة لابى قتادة رضى الله عنه وبقى فيها شئ من ماء ثم قال صلى الله عليه وسلم لابى قتادة احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ ثم أصابهم عطش شديد فشكوا اليه صلى الله عليه وسلم ذلك فدعا بالميضأة فجعل صلى الله عليه وسلم يصب فى قدحه وأبو قتادة يسقيهم فازدحم الناس على الميضأة بمجرد رؤية الماء لشدة عطشهم فقال صلى الله عليه وسلم أحسنوا الملء أى لأوانيكم فلا تزدحموا على الاخذ كلكم سيروى ففعلوا أى تركوا الازدحام قال أبو قتادة رضى الله عنه فجعل صلى الله عليه وسلم يصب فى قدحه وأسقيهم زاد الامام أحمد فشرب القوم وسقوا دوابهم وركائبهم وملؤا ما كان معهم من قربة ومزادة حتى ما بقى غيرى وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب الماء فقال لى اشرب فقلت لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله قال ان ساقى القوم آخرهم شربا قال فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم فى الوفود عند ذكر وفد بنى فزارة أنهم شكوا اليه القحط فدعا لهم صلى الله عليه وسلم فأمطرت السماء عليهم سبعا حتى قالوا يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير الى ناحية من السحاب الا انفرجت وسال الوادى قناة شهرا وقناة بمنع الصرف بدل من الوادى وهو اسم لواد معين من أودية المدينة بناحية أحد به مزارع ولم يجئ أحد من ناحية الا حدث بالجود بفتح الجيم أى المطر الكثير وتقدم فى غزوة تبوك أنهم عطشوا عطشا شديدا فقال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله ان الله قد عودك فى الدعاء خيرا فادع الله لنا أن يسقينا قال أتحبون ذلك قال نعم فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى قالت السماء أى غيمت وظهر فيها سحاب فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها تجاوز العسكر وروى ابن اسحق فى مغازيه عن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن أبيه عن جده عبد الله أن أبا طالب قال كنت بذى المجاز وهو اسم سوق بقرب عرفة كان يجتمعون فيه فى الجاهلية فأدركنى العطش فشكوت الى ابن أخى يعنى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا ابن أخى عطشت وقلت له ذلك وأنا لا أرى عنده شيأ فثنى وركه ثم نزل عن الدابة وكان صلى الله عليه وسلم رديفا لابى طالب وقال يا عم عطشت فقلت نعم فأهوى بعقبه الى الارض أى ضرب الارض بقدمه فاذا بالماء فقال اشرب يا عم فشربت ورواه أيضا ابن سعد وابن عساكر والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم تكثيرا طعام القليل ببركته ودعائه وروى البخارى ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما فى قصة حفر الخندق قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم خمصا شديدا وهو ضامر البطن من الجوع فأخرجت جرابا فيه صاع من شعير ولنا بهيمة بضم الباء مصغرا وهى الصغيرة من أولاد المعز وفى رواية عناق داجن أى لا تخرج الى المرعى فذبحتها وطحنت الشعير وفى رواية فأمرت امرأتى فطحنت لنا الشعير وفى رواية عن جابر رضى الله عنه انا يوم الخندق نحفر فعرضت لنا كدية شديدة فجاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت فى الخندق فقال أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر

على أهل الشام ومن معهم انا نتزل عند حكم الله وكتابه وأن لا يجمع بيننا وبينه غيره وان كتاب الله بيننا من فاتحته الى خاتمته نحيى ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان فى كتاب الله وهما أبو موسى عبد الله ابن قيس الاشعرى وعمرو ابن العاص عملا به وما لم يجداه فى كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكمان من على ومعاوية رضى الله عنهما ومن الجندين العهود والمواثيق انهما آمنان على أنفسهما وأهلهما والامة لهما أنصار وعلى الذين يتقاضيان عليه وعلى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الامة لا يردانها فى حرب ولا فرقة حتى يعصيا وأجل القضاء الى رمضان وان أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه وان مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام فجعلوا دومة

ولبثنا

ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كثيبا أهيل أو أهيم فقلت
يا رسول الله ائذن لي الى البيت فقلت لامرأتي رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيأ ما كان في ذلك صبر فعندك
شيء قالت عندي شعير وعناق فذبحت العناق وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ثم جئت النبي صلى
الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الاثافي كادت أن تنضج فقالت امرأتي لا تفضحني برسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن معه فجئته فساررته فقلت يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنا صاعا من شعير فتعال أنت
ونفر معك يعني دون العشرة وفي رواية فقلت طعيم لنا صنعته فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان
وكنت أريد أن ينصرف وحده قال كم هو فذكرت له فقال كثير طيب قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من
التنور حتى آتي فصاح النبي صلى الله عليه وسلم يا أهل الخندق ان جابرا صنع سورا فحيهلا بكم اي هلموا
مسرعين والسور الطعام الذي يدعى اليه وفي رواية فقال قوموا فقام المهاجرون والانصار فلما دخل على
امرأته قال ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والانصار ومن معهم قالت هل سالك قلت نعم وفي
رواية قال فلقيت من الحياء مالا يعلمه الا الله تعالى وقلت جاء الخلق على صاع من شعير وعناق فدخلت على
امرأتي أقول افتضحت جاءك رسول الله بالجند أجمعين فقالت هل كان سالك كم طعامك فقلت نعم فقالت
الله ورسوله أعلم نحن أخبرناه بما عندنا وفي رواية أنها خاصمته في أول الامر وقالت بك وبك فلما أعلمها بانه
أعلم به النبي صلى الله عليه وسلم سكن ما عندها وقالت الله ورسوله أعلم لعلمها بامكان خرق العادة ودل ذلك على
وفور عقلها وكمال فضلها رضي الله عنها واسمها سهيلة بنت معوذ الانصارية فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تنزلن برمتكم ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء ثم جاء وفي رواية فجئت وجاء النبي صلى الله عليه وسلم يقدم
الناس فاخرجت المرأة له عجينا فبصق فيه وبارك ثم عمد الى برمتنا فبصق فيها وبارك أي دعا بالبركة ثم قال
لجابر ادع خابزة فلتخبز مع زوجتك ثم قال لها واقدحي أي اغرفي من برمتكم ولا تنزلوها وهم أي القوم الذين
جاؤا معه ألف وأقعدهم عشرة عشرة يأكلون فاقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا أي مالوا عن الطعام
وان برمتنا لتغط أي تغلي وتفور كما هي وان عجيننا ليخبز كما هو وفي رواية فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه
ادخلوا ولا تضاغطوا فجعل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال كلي هذا وأهدي فان الناس
أصابتهم مجاعة وفي رواية فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا أجمعين ويعود التنور والقدر أملأ ما كانا
فقال كلي وأهدي فلم نزل نأكل ونهدي يومنا أجمع وفي رواية فأكلنا وأهدينا لجيراننا فلما خرج صلى الله
عليه وسلم ذهب ذلك وصريح هذا أن الذي باشر الغرف النبي صلى الله عليه وسلم فيخالف ظاهر قوله
واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها الدال على أن مباشر ذلك المرأة ويمكن الجمع بينهما بانها كانت تساعده في
الغرف وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال أبو طلحة زيد بن سهل
الانصاري رضي الله عنه وهو زوج أم أنس لام سليم رضي الله عنها وهي أم أنس رضي الله عنهما لقد سمعت
صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع وفي رواية لمسلم قال أبو طلحة جئت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد عصب بطنه بعصابة فسألت قالوا من الجوع وفي رواية للامام أحمد أن أبا طلحة
رأى النبي صلى الله عليه وسلم طاويا فدخل على أم سليم فقال هل عندك من شيء يأكله النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدي أي تحت
ابطي ولاثتني أي ببعض الخمار أي أدارت بعض الخمار على رأسه كالعمامة ثم أرسلتني الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ومعه الناس فسلمت عليه وفي رواية
فقمت عليهم فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم آأرسلك أبو طلحة قلت نعم قال لطعام أي لاجله قلت نعم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن معه من أصحابه قوموا فانطلق وانطلقوا وهم سبعون أو ثمانون رجلا
وانطلقت بين أيديهم ولابي نعيم أخذ صلى الله عليه وسلم بيدي فشدها ثم أقبل باصحابه حتى اذا دنوا أرسل
يدي فدخلت وأنا حزين لكثرة من جاء معه حتى جئت أبا طلحة فاخبرته بمجيئهم قال يا أنس فضحتنا وللطبراني

الجندل وكانت على عشرة
أيام عن الشام وعشرة أيام
عن الكوفة وعشرة أيام
عن المدينة وشهد بذلك
جماعة من أصحاب علي
رضي الله عنه وجماعة من
أصحاب معاوية رضي الله
عنه وكتبوا أسماءهم في
الصحيفة وأبى الاشتر أن
يكتب شهادته فيها وخرج
الاشعث يقرؤها على
الناس حتى مر على طائفة
من بني تميم فقال عروة بن
أدية تحكمون في أمر الله
الرجال لا حكم الا لله ووافقه
جماعة من قومه ثم شد بسيفه
وضرب به عجز دابة الاشعث
فغضب الاشعث وقومه
وناس كثير من أهل اليمن
وكاد الناس يقتتلون
فسكنهم الاحنف بن قيس
وناس معه وكتب الكتاب
يوم الاربعاء لثلاث عشرة
خلت من صفر سنة سبع
وثلاثين واتفقوا على أن
يوافي علي رضي الله عنه
موضع الحكمين بدومة
الجندل في شهر رمضان
وقيل لعلي ان الاشتر لا يقر

فجعل يرميني بالحجارة ثم قال أبو طلحة يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس وليس عندنا ما نطعمهم أي قدر ما يكفيهم فقالت الله ورسوله أعلم كأنها عرفت أنه فعل ذلك عمدا ليظهر المعجزة في تكثير الطعام ودل ذلك على فضل أم سليم رضي الله عنها ورجحان عقلها فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما أرسلت أنسا يدعوك وحدك ولم يكن عندنا ما يشبع من أرى فقال ان الله مبارك فيه فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة معه حتى دخل على أم سليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلمي يا أم سليم ما عندك فأتت بذلك الخبز الذي كانت أرسلته مع أنس رضي الله عنه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت أي كسر وعصرت أم سليم عكة وفي رواية فقال هل من سمن فقال أبو طلحة قد كان في العكة شيء فجعلا يعصرانها حتى خرج ثم مسح صلى الله عليه وسلم به سبابته ثم مسح الخبز فانتفخ وقال باسم الله فلم يزل يصنع ذلك والخبز ينتفخ حتى رأيته في الجفنة يتسع فأدمته أي صيرت ما خرج من العكة اداما له ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ما شاء أن يقول وفي رواية للامام أحمد فقال بسم الله وفي مسلم فمسحها ودعا فيها بالبركة وفي رواية للامام أحمد فجئت بها ففتح رباطها ثم قال باسم الله اللهم أعظم البركة فيها ثم قال ائذن لعشرة أي بالدخول لانه أرفق ثم لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا والقوم سبعون أو ثمانون ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم وأهل البيت وتركوا سؤرا أي بقية وفي مسلم وفضلت فضلة فأهدينا لجيراننا ولا يبعد حتى أهدت أم سليم لجيرانها وهذه القصة قيل انها جرت أيام حفر الخندق كقصة جابر المتقدمة فعلى هذا يكون المراد بالمسجد هنا الموضع الذي أعده النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة فيه حين حاصره الاحزاب بالمدينة في غزوة الخندق ووقع في هذه القصة اختلاف في الالفاظ في روايات كثيرة وفي بعضها أنهم صنعوا له صلى الله عليه وسلم عصيدة وهو محمول على تعدد القصة وتكرر ذلك وتقدم في غزوة الحديبية وفي غزوة تبوك أيضا أن الصحابة أصابتهم مجاعة فاستأذنوه صلى الله عليه وسلم في نحر بعض ظهورهم فأذن فقال عمر رضي الله عنه يا نبي الله لو أمرتهم أن يجمعوا فضل أزوادهم ثم تدعو الله لهم بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم نعم فأمرهم فجمعوا ذلك فدعا لهم فيه بالبركة ثم قال خذوا في أوعيتكم فأخذوا حتى ما تركوا اناء الا ملؤه فقال صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا اله الا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجز عن الجنة وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عروسا بزينب بنت جحش الاسدية رضي الله عنها فقالت لي أمي أم سليم لو أهدينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فقلت لها افعلي فعمدت الى تمر وسمن وأقط فصنعت حيسا فجعلته في تور وهو اناء من صفر أو حجارة وفي رواية للبخاري في برمة فقالت يا أنس اذهب بهذا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل بعثت بهذا اليك أمي وهي تقرئك السلام فقال صلى الله عليه وسلم ضعه أي التور ثم قال اذهب فادع لي فلانا وفلانا رجالا سماهم وادع لي من لقيت فدعوت من سمى ومن لقيت فرجعت فاذا البيت غاص بأهله قيل لانس كم كان عددكم قال زهاء ثلثمائة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة من القوم الذين اجتمعوا يأكلون منه و يقول لهم اذكروا اسم الله وليأكل كل رجل مما يليه قال فأكلوا كلهم حتى شبعوا ثم قال لي يا أنس ارفع فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال ان أم مالك الانصارية كانت تهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم في عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألون الادم وليس عندهم شيء فتعمد الى الذي كانت تهدي فيه للنبي صلى الله عليه وسلم فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال أعصرتيها فقالت نعم قال لو تركتيها ما زال قائما وروى ابن أبي عاصم وابن أبي خيثمة عن أم مالك الانصارية انها جاءت بعكة سمن الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بلالا بعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة فجاءت فقالت أنزل في شيء قال وما ذاك قالت رددت على هديتي فدعا بلالا فسأله فقال والذي بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحييت فقال هنيأ لك هذه بركة يا أم مالك هذه بركة عجل الله لك ثوابها ثم علمها أن تقول دبر كل صلاة سبحان

عما في الصحيفة ولا نرى الا القتال فقال علي والله ما رضيت ولا أحببت أن ترضوا فاذا أبيتم الا أن ترضوا فقد رضيت واذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا ولا التبديل بعد الاقرار الا أن يعصى الله تعالى و يتعدى كتابه فقاتلوا من ترك أمر الله والله لقد فعلتم فعلة ضعضعت قوة وأسقطت منة وأورثت وهنا و ذلة ولما كنتم الاعلين وخاف عدوكم الاجتياح واستحر بهم القتل ووجدوا ألم الجراح رفعوا المصاحف فدعوكم الى ما فيها ليفتنوكم عنهم و يقطعوا الحرب ويتربصوا بكم المنون خديعة ومكيدة فأعطيتموهم ما سألوا وأبيتم الا أن تجيبوا وأيم الله ما أظنكم بعدها توفقون لرشد ولا تصيبون باب الحزم ثم رجع الناس عن صفين * ولما رجع علي رضي الله عنه من صفين فارقه جماعة ممن كانوا معه وصاروا الخوارج

الله عشرا والحمد لله عشرا والله أكبر عشرا وأخرج الطبراني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أمه رضي الله عنهما قالت كانت لي شاة فجمعت من سمنها في عكة فبعثت بها مع زينب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أفرغوا لها عكتها ففرغت وجاءت بها فجاءت أم سليم فرأت العكة ممتلئة تقطر سمنا فقالت يا زينب أليست أمرتك أن تبلغي هذه العكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يأتدم بها قالت قد فعلت فان لم تصدقيني فتعالي معي فذهبت معها الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال جاءت بها فقالت والذي بعثك بالهدى ودين الحق انها ممتلئة سمنا تقطر فقال أتعجبين يا أم سليم ان الله أطعمك وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رجلا من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه أي أعطاه شطر وسق من شعير فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له لو لم تكله لأكلتم منه أي دائما ولقام بكم أي مدة حياتكم من غير نقص وهذا الرجل قال بعضهم هو جد سعيد بن الحرث استعان بالنبي صلى الله عليه وسلم في انكاحه فانكحه امرأة فالتمس صلى الله عليه وسلم ما سأله فلم يجد فبعث أبا رافع وأبا أيوب بدرعه فرهنها عند يهودي في شطر وسق من شعير فدفعه صلى الله عليه وسلم اليه قال فاطعمنا منه وأكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما أدخلناه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال له لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم والحكمة في ذهاب السمن حين عصرت أم مالك العكة واعدام الشعير حين كاله أن عصرها وكيله مضاد كل منهما للتسليم والتوكل على رزق الله ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة وتكلف الاحاطة باسرار حكم الله وفضله فعوقب فاعله بزواله قاله النووي في شرح مسلم وقيل انما كان ذلك لافشائه سرا من أسرار الله ينبغي كتمه ولا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه لانه فيمن يخشى الخيانة أو كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه الا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط بقاء الباقي مجهولا أو كيلوا عند الشراء أو ادخاله المنزل وروى الترمذي وشيخه الدارمي عن سمرة بن جندب رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم نتداول من قصعة فيها لحم من غدوة حتى الليل يقوم عشرة ويقعد عشرة قلنا فما كانت تمد أي أي شيء كانت تزاد به قال من أي شيء تعجب ما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده الى السماء والمراد من احسان الله معجزة له صلى الله عليه وسلم وفي رواية عن سمرة أيضا رواها الترمذي والدارمي وابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي وأبو نعيم قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها أي قعد عليها عشرة بعد عشرة من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون فقال رجل لسمرة هل كانت تمد فقال ما كانت تمد الا من ههنا وأشار بيده الى السماء وروى الامام أحمد والترمذي والنسائي عن سمرة أيضا رضي الله عنه نحو ذلك وروى البخاري ومسلم عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل مع أحد منكم طعام فاذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه فعجن ثم جاء رجل مشرك مشعان أي ثائر الرأس شعثه طويل جدا بغنم يسوقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبيعا أم عطية أو قال أم هبة قال لا بل بيع فاشترى شاة فصنعت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بسواد البطن أن يشوى وأيم الله ما في الثلاثين ومائة الا وقد حز له النبي صلى الله عليه وسلم حزة من سواد بطنها ان كان شاهدا أعطاه اياه وان كان غائبا خبأ له فجعل منها قصعتين فاكلوا أجمعون وشبعنا ففاضت القصعتان فحملناه على بعير وفيه معجزة ظاهرة وآية باهرة من تكثير القدر اليسير من الصاع ومن اللحم حتى وسع الجمع المذكور وفضل وروى الامام أحمد والبيهقي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه قال لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب أي بمكة في ابتداء البعثة وكانوا أربعين رجلا منهم جماعة الواحد منهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق وهو اناء يسع اثني عشر صاعا وذلك ستة عشر رطلا فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس من لبن والعس قدح من خشب يروي الثلاثة والاربعة فشربوا منه حتى رووا وبقي كانه لم يشرب منه فلما أراد صلى الله عليه وسلم أن يتكلم قال أبو لهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان الغد أعاد لهم ذلك فكان مثل ذلك فاعاد ذلك

وهم الذين أنكروا التحكيم وقالوا الا حكم الرجال في أمر الله وأتوا حروراء فلذلك سموا الحروريين فنزل بها منهم اثنا عشر ألفا ونادى مناديهم ان الامير شبث بن ربعي التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري والامر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلما سمع علي رضي الله عنه وأصحابه ذلك قال أصحابه له في أعناقنا بيعة ثانية نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت فقالت الخوارج لما بلغهم ذلك استبقتم أنتم وأهل الشام الى الكفر كفرسي رهان بايع أهل الشام معاوية على ما أحبوا وكرهوا وبايعتم أنتم عليا على انكم أولياء من والى وأعداء من عادى فقال لهم زياد بن النضر والله ما بسط علي رضي الله عنه يدا فبايعناه قط الا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو على الحق

ثالثا ثم دعاهم الى الله وحذرهم عقابه فقال أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا أبي لهب الى آخر السورة وروى ابن أبي شيبة والطبراني وأبو نعيم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدعو أهل الصفة لطعام يا كلونه عنده فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين أيدينا صحفة فيها طعام فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت أي لم تنقص شيأ الا أن فيها أثر الاصابع قال أبو نعيم في الحلية كان أهل الصفة نيفا وثلثمائة وفي عوارف المعارف أنهم كانوا نحو الاربعمائة وروى الطبراني والبيهقي عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر رضي الله عنه حين قدما المدينة في الهجرة من الطعام زهاء ما يكفيهما أي طعاما يكفي رجلين فقط فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الانصار فدعاهم فأكلوا حتى تركوه أي شبعوا وتركوا الطعام ثم قال أدع ستين فكان مثل ذلك ثم قال أدع سبعين فأكلوا حتى تركوا وما خرج أحد منهم حتى أسلم وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجهاد معه ونصرته لما رأوا من تلك المعجزة وألطافهم قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وكأنه حضر معهم جماعة لم يدعهم حتى بلغوا مائة وثمانين والا فالذين دعاهم مائة وستون وخص النبي صلى الله عليه وسلم أشراف الانصار ليتألفهم وليشاهدوا تلك المعجزة فيسلموا وينصروه وقد كان ذلك وسماهم أنصار العلم صلى الله عليه وسلم بانهم سينصرونه وتفؤلا بذلك وروى ابن سعد عن جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن علي زين العابدين رضي الله عنهم أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فأمرها صلى الله عليه وسلم فغرفت لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له ولعلي رضي الله عنه ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض أي لكثرة ما فيها من الطعام حتى كان يسيل من جوانبها ببركته صلى الله عليه وسلم فأكلت فاطمة رضي الله عنها منها ما شاء الله وروى أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يزود أربعمائة راكب من أحمس من تمر كان في عليه فقال يا رسول الله ما هو الا أصوع أي ايش ذلك التمر يكفي هؤلاء القوم لقلته قال اذهب وافعل ما آمرك به أي ولا تبال بقلة التمر فذهب فزودهم منه وكان التمر قدر الفصيل أي ولد الناقة الصغير الرابض وبقي بحاله بعد اعطائهم لم ينقص منه شئ ورواه البيهقي بسند صحيح من رواية النعمان بن مقرن الا أنه قال أربعمائة راكب من مزينة فيحتمل تعدد القصة أو انه كان بعضهم من أحمس وبعضهم من مزينة وروى البخاري حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في قصة قضاء دين أبيه لما استشهد يوم أحد وعليه دين أراد أداءه لغرمائه وكان قد بذل لغرماء أبيه أصل ماله أي بستانا له ونخلا كان يتقوت منه فلم يقبلوه ولم يكن في ثمره سنين كفاف دينهم فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فكلم الغرماء وكانوا يهودا فلم يرضوا فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمره بجذ الثمار وجعلها بيادر في أصولها أي جعلها كوما كوما في أصول النخل فمشى صلى الله عليه وسلم في أرضها ودعا الله تعالى أن يبارك فيها فنمت وزادت فأوفى منها جابر الغرماء وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجابر رضي الله عنه ائت أبا بكر وعمر فأخبرهما أي ليسرا بذلك ويزدادا ايمانا وروى البيهقي والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أصاب الناس مخمصة أي جوع زاد في رواية في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم وفي أخرى أنها غزوة تبوك فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من شئ قلت نعم شئ من التمر في المزود قال فأتني به فقبض قبضة جاء في رواية أنها بضع عشرة تمرة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال أدع لي عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا ثم قال ادع عشرة فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى أطعم الجيش كلهم وشبعوا وقال لي خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على أكثر مما جئت به فأكلت منه وأطعمت أهلي ومن أردت اطعامه حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما الى ان قتل عثمان رضي الله عنه فانتهب مني فذهب وانما قال له خذ ما جئت به لانه بقي بعد أكلهم ما جاء به بحاله فأمره برده الى محله وأن يأخذ منه كل ما أراد وفي رواية الترمذي فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا

والهدى ومن خالفه ضال مضل وسيأتي تتمة أخبار الخوارج بعد ذكر انقضاء أمر الحكمين (ولما) جاء وقت اجتماع الحكمين أرسل علي رضي الله عنه أربعمائة رجل وأمر عليهم شريح بن هانئ الحارثي وأرسل معهم أبا موسى وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم وأرسل معاوية عمرو بن العاص وأرسل معه أربعمائة رجل من أهل الشام حتى توافوا دومة الجندل باذرح وكان عمرو اذا أتاه كتاب من معاوية لا يدري أحد ما جاء فيه ولا يسأله أهل الشام عن شئ وكان أهل العراق يسألون ابن عباس رضي الله عنهما عن كل كتاب يصله من علي رضي الله عنه فان كتمهم ظنوا به الظنون وقالوا أتراه كتب بكذا وكذا فقال لهم ابن عباس أما ترون رسول معاوية لا يعلم أحد بما جاء به ولا يسمع لهم صياح وأنتم عندي كل يوم تظنون بي

من أوسق فى سبيل الله أى جعلته محمولا معى فى اسفارى وأنا غاز فى سبيل الله وروى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن أباهريرة رضى الله عنه أصابه الجوع مرة فاستتبعه النبى صلى الله عليه وسلم أى طلب منه أن يتبعه فتبعه فوجد صلى الله عليه وسلم فى بيته لبنا فى قدح قد أهدى اليه صلى الله عليه وسلم فامر أباهريرة رضى الله عنه أن يدعو أهل الصفة قال فقلت ما موقع هذا اللبن منهم أى ما مقداره القليل كاف منهم كنت أحق به منهم لشدة جوعى ولابد من امتثال أمر النبى صلى الله عليه وسلم فدعوتهم اليه صلى الله عليه وسلم فامرنى أن أسقيهم فجعلت أعطى الرجل منهم فيشرب حتى يروى ثم يأخذه الآخر حتى روى جميعهم قال أبوهريرة رضى الله عنه فاخذ النبى صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت أنا وأنت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب ومازال يقولها وأشرب حتى قلت لا والذى بعثك بالحق لا أجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله تعالى وسمى وشرب الفضلة وروى البيهقى من حديث خالد بن عبد العزى وهو خالد بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى أسلم قديما وهاجر الى الحبشة فمات فى الطريق وهو ابن أخى خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها وأخو حكيم بن حزام رضى الله عنه وكان خالد هذا ينزل بناحية الجعرانة فمر به النبى صلى الله عليه وسلم مرة فاعطى النبى صلى الله عليه وسلم شاة ليذبحها ويأكلها ضيافة منه له وكان عيال خالد كثيرا ما يذبح الشاة لاجلهم ولا تكفيهم عظاما عظام الكثرتهم فاكل النبى صلى الله عليه وسلم من تلك الشاة وجعل فضلتها فى دلو لخالد ودعا له بالبركة وفى رواية أنه قال اللهم بارك لابى خناش فنثر ذلك لعياله فاكلوا وأفضلوا ببركته صلى الله عليه وسلم وبركة دعائه قال القاضى عياض فى الشفاء وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة أى نبع الماء من بين أصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته فى الصحيح أى من الاحاديث وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة ورواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم وأكثرها فى قصص مشهورة ومجامع مشهودة ولا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يمكن أن يسكت من حضرها على ما أنكره ويلتحق بهذا ما ذكره فى الشفاء مما أخرجه البيهقى وابن سعد وابن عدى عن سعد مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنهم كانوا فى غزوة مع النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا زهاء ثلثمائة فنزلوا على غير ماء وأصابهم عطش فجاءتهم عنز فحلبها النبى صلى الله عليه وسلم أى أمر بحلبها فاروى لبنها الجند حتى زال ما كان بهم من العطش ثم قال صلى الله عليه وسلم لرافع مولاه املكها وما أراك تملكها فربطها ثم رجع فوجدها قد انطلقت أى انحل وثاقها وغابت وفى رواية قال رافع ثم قمت فى بعض الليل فلم أجدها فاخبرت النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رافع ذهب بها الذى جاء بها *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم احياء الموتى وكلامهم له صلى الله عليه وسلم روى البيهقى فى الدلائل أنه صلى الله عليه وسلم دعا رجلا الى الاسلام فقال لا أومن بك حتى تحيى لى ابنتى فقال النبى صلى الله عليه وسلم أرنى قبرها فاراه اياه فقال صلى الله عليه وسلم يا فلانة فقالت لبيك وسعديك فقال صلى الله عليه وسلم أتحبين أن ترجعى فقالت لا والله يا رسول الله انى وجدت الله خيرا لى من أبوى ووجدت الآخرة خيرا لى من الدنيا وهذه القصة أوردها القاضى عياض فى الشفاء بلفظ وعن الحسن أى البصرى أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فذكر أنه طرح بنية له فى وادى كذا فانطلق معه الى الوادى وناداها باسمها يا فلانة احيى باذن الله فخرجت وهى تقول لبيك وسعديك فقال لها ان أبويك قد أسلما فان أحببت أن أردك عليهما قالت لا حاجة لى فيهما وجدت الله خيرا لى منهما وروى ابن عدى وابن أبى الدنيا والبيهقى وأبو نعيم عن أنس رضى الله عنه قال كنا فى الصفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتته عجوز عمياء مهاجرة ومعها ابن لها قد بلغ فلم يلبث ان أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قبض فغمضه النبى صلى الله عليه وسلم وأمره أى أنسا بجهازه فلما أردنا أن نغسله قال يا أنس ائت أمه فاعلمها قال فاعلمتها فجاءت حتى جلست عند قدميه فاخذت بهما ثم قالت مات ابنى فقلنا نعم فقالت اللهم انك تعلم انى أسلمت اليك طوعا وخلعت الاوثان زهدا وخرجت اليك رغبة اللهم لا تشمت بى عبدة الاوثان ولا تحملنى فى هذه المصيبة ما لا طاقة لى بحمله فوالله ما انقضى كلامها حتى حرك قدميه وألقى الثوب عن وجهه وطعم وطعمنا معه وعاش حتى قبض النبى صلى الله

الظنون ولما اجتمع الناس بدومة الجندل حضر معهم عبد الله بن عمرو وعبد الرحمن ابن أبى بكر وعبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة وكثير من الصحابة وأبنائهم ومن التابعين واختلف فى حضور سعد بن أبى وقاص فقيل انه حضر معهم وقيل لم يحضر وكان المغيرة بن شعبة رضى الله عنه ممن اعتزل الناس فى قتال الجمل وفى قتال صفين وحضر التحكيم وكان من دهاة العرب فقال لرجال من قريش قبل التحكيم أترون أحدا منكم يأتى برأى يعلم به هل يجتمع الحكمان أم لا فقالوا لا فقال انى أعلمه منهما فدخل على عمرو بن العاص فقال كيف ترانا معشر من اعتزل الحرب فانا قد شككنا فى الامر الذى استبان لكم فقال عمرو فى التخلف وقال أراكم خلف الابرار وامام الفجار فانصرف المغيرة الى أبى موسى فقال له مثل قوله لعمرو فقال له أبو موسى

عليه وسلم وهلكت أمه وهذا وان كان كرامة للامة فانما أعطيتها ببركته صلى الله عليه وسلم لدخولها في دينه وكل كرامة لولي فهي معجزة لنبيه وروى الطبراني والخطيب البغدادي وابن عساكر وابن شاهين عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا فاقام بها ما شاء الله ثم رجع مسرورا قال سألت ربي عز وجل فاحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها الى الموتى وكذا روي من حديث عائشة رضي الله عنها احياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به وتقدم الكلام على ذلك في أول السيرة مستوفى فارجع اليه ان شئت ومما يلحق بذلك ما رواه ابن أبي الدنيا وابن منده والطبراني وأبو نعيم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال كان خارجة بن زيد من سراة الانصار أي أشرافهم فبينما هو يمشي في طريق من طرق المدينة بين الظهر والعصر اذ خر فتوفي فاعلمت به الانصار فاتوه فاحتملوه الى بيته وسجوه بكساء وبردين وفي البيت نساء من نساء الانصار يبكين عليه ورجال من رجالهم فمكث على حاله مسجى لانهم لم يشكوا في موته لكونه مات فجأة فاخر وا تجهيزه ودفنه حتى اذا كان بين المغرب والعشاء اذ سمعوا صوت قائل يقول أنصتوا أنصتوا فنظروا فاذا الصوت من تحت الثياب المسجى بها فحسروا عن وجهه الغطاء فاذا هو قائل محمد رسول الله النبي الامي خاتم النبيين لا نبي بعده كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق ثم قال هذا رسول الله السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان وكأنه رأى روحه صلى الله عليه وسلم حاضرة عنده لانه ماذكر بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وفي رواية وذكر أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أي أثنى عليهم بخير بما فعلوه وأبدوه به الدين ولم يذكر عليا رضي الله عنه لان ذلك كان قبل ولاية علي رضي الله عنه وانما ألحق هذا بما نحن فيه وان كان بعد وفاته صلى الله عليه وسلم لان هذا الكلام بعد الموت كرامة وكرامات أمته صلى الله عليه وسلم من معجزاته أو يقال انه اذا كان في أمته من يصدر عنه مثل ذلك فكيف لا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ومثل ذلك ما رواه البيهقي عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري قال كنت فيمن دفن ثابت ابن قيس رضي الله عنه وكان قتل باليمامة وهو خطيب الانصار وشهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول محمد رسول الله أبو بكر الصديق عمر الشهيد عثمان البر الرحيم فنظرنا اليه فاذا هو ميت وتقدم في غزوة خيبر حديث الشاة المسمومة وذلك أن يهودية أهدت له صلى الله عليه وسلم شاة مشوية قد سمتها فاكل صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم فقال ارفعوا أيديكم فانها أخبرتني أنها مسمومة وفي المواهب عن سعيد بن المسيب أن رجلا من الانصار توفي فلما كفن وأتاه القوم يحملونه تكلم فقال محمد رسول الله أخرجه أبو بكر بن الضحاك وأخرج أبو نعيم أن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ذبح شاة وطبخها وثرد في جفنة وأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكل القوم وكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم كلوا ولا تكسروا عظما ثم انه عليه الصلاة والسلام جمع العظام ووضع يده عليها ثم تكلم بكلام فاذا الشاة قد قامت تنفض أذنيها فقال خذ شاتك يا جابر بارك الله لك فيها فاخذتها ومضيت وانها لتنازعني أذنها حتى أتيت بها المنزل فقالت المرأة ما هذا يا جابر فقلت والله هذه شاتنا التي ذبحناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الله فاحياها فقالت أشهد أنه رسول الله ورواه أيضا الحافظ محمد بن المنذر المعروف بشكر في كتاب العجائب والغرائب *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم كلام الصبيان له وشهادتهم بنبوته صلى الله عليه وسلم وابراء ذوي العاهات ببركته صلى الله عليه وسلم روى البيهقي والدارقطني والحاكم والخطيب البغدادي عن معرض بضم الميم وفتح العين المهملة وكسر الراء المثقلة ثم ضاد معجمة معيقيب اليماني قال حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فدخلت دارا بمكة فرأيته صلى الله عليه وسلم فيها ووجهه مثل دائرة البدر وفي رواية لابن قانع كأن وجهه القمر ورأيت منه عجبا جاءه رجل من أهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام من أنا قال أنت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعد ذلك حتى شب فكنا نسميه مبارك اليمامة أي لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم بارك الله فيك قال الجلال السيوطي رحمه الله في خصائصه الكبرى وقد وقعت رواية هذا الحديث

أراكم أثبت الناس وأنا فيكم بقية الناس فعاد المغيرة الى أصحابه وقال لهم لا يجتمع هذان على أمر واحد فلما اجتمع الحكمان واختليا قال عمرو يا أبا موسى ألست تعلم أن عثمان قتل مظلوما قال أشهد قال ألست تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه قال بلى قال فما يمنعك منه وبيته في قريش كما علمت فان خفت أن يقول الناس ليس له سابقة فقل وجدته ولي عثمان الخليفة المظلوم والطالب بدمه يحسن السياسة والتدبير وهو أخو أم حبيبة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كاتبه وصهره وعرض له بانه يوليه ولاية عظيمة ان ولاه فقال أبو موسى اتق الله يا عمرو فاما ما ذكرت من شرف معاوية فان هذا ليس على الشرف انما هو لاهل الدين والفضل مع أني لو كنت معطيه أفضل قريش شرفا أعطيته علي ابن أبي طالب وأما تعريضك

من طرق فهو حديث حسن وقد ذكر السيوطي في نظمه المشهور في عدد الذين تكلموا في المهد مبارك اليمامة هذا حيث قال

تكلم في المهد النبي محمد * ويحيى وعيسى وخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي * يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها * وفي زمن الهادي المبارك يختم

أما تكلم النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم في أول السيرة انه تكلم حين خرج من بطن أمه وحمد الله تعالى وكان يناغي القمر ويكلمه وأما بقية هؤلاء الذين تكلموا في المهد فالكلام على قصصهم شهير فلا حاجة الى الاطالة به وروى البيهقي مرسلا ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب أي كبر وصار شابا وهو لم يتكلم أي لانه خلق أخرس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أنا قال أنت رسول الله فانطقه الله معجزة بعد ما كان أبكم فهو بمنزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق وروى الامام أحمد والبيهقي وابن أبي شيبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان امرأة جاءت بابن لها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابني به جنون وانه ليأخذه عند غدائنا وعشائنا فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره بيده الشريفة فثع ثعة بفتح المثلثة وشد العين يعني قاء وخرج من جوفه مثل الجرو الاسود يسعى وشفاه الله وروى ابن أبي شيبة عن أم جندب رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم أتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض فاه وغسل يده وأعطاها اياه وأمرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وتقدم في غزوة أحد أن قتادة بن النعمان رضي الله عنه لما قلعت عينه أخذها بيده فجاء بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان شئت صبرت ولك الجنة وان شئت رددتها فقال يا رسول الله ان الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن اعور ولكن تردها وتسأل الله لي الجنة فاخذها صلى الله عليه وسلم بيده وردها الى موضعها وقال اللهم اكسه جمالا فكانت أحسن عينيه وأحدهما نظرا وكانت لا ترمد اذا رمدت الاخرى وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم بصق على أثر سهم في وجه أبي قتادة وهو الحرث ابن ربعي الانصاري السلمي رضي الله عنه قال رضي الله عنه فما ضرب علي ولا قاح أي ما أوجعني ولا سال منه قيح وروى النسائي والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن رجلا أعمى قال يا رسول الله ادع الله لي أن يكشف عن بصري يعني يزيل عني العمى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم اني أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني أتوجه بك الى ربك أن يكشف عن بصري اللهم شفعه في فما قام القوم من مجالسهم الا ورجع الرجل وقد أبصر وكان عثمان بن حنيف وبنوه يعلمونه للناس فيدعون به عند تعسر قضاء الحاجات فتقضى وقد أخرجه البرهان الحلبي من طرق متعددة قال الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء فلم يبق فيه شبهة فاحفظه وروى أبو نعيم أن ملاعب الاسنة عامر بن مالك أصابه استسقاء فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا يلتمس منه الدعاء وان يشفيه الله ببركته فاخذ صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حثوة من الارض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فاخذها متعجبا يظن أن قد هزئ به فاتاه بها وهو على شفا أي قريب من الموت فشربها أي بعد أن وضعها في ماء فشفاه الله ببركته صلى الله عليه وسلم وروى ابن أبي شيبة والبيهقي والطبراني أن فديك بن عمرو السلاماني جيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان وهو عبارة عن العمى فسأله عما أصابه فقال كنت أقود جملا لي فوقعت رجلي على بيض حية فاصيبت في بصري فلا أبصر شيأ فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فكان يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين سنة وتقدم في غزوة خيبر أنه صلى الله عليه وسلم قال لاعطين الراية غدا الرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ثم بعث الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان به رمد فجيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فوضع رأسه في حجره صلى الله عليه وسلم

لي بالولاية فوالله لو خرج لي معاوية عن سلطانه كله لما وليته وما كنت لارتشي في حكم الله ولكنك ان شئت أن تحيي اسم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يعني فتجعل الامر لعبد الله ابن عمر رضي الله عنهما فقال له عمرو فما يمنعك من ابني عبد الله وأنت تعلم فضله وصلاحه وكان ابنه عبد الله من علماء الصحابة رضي الله عنهم فقال له ان ابنك رجل صدق ولكنك غمسته في هذه الفتنة وكان عبد الله بن عمرو يكره الدخول في تلك الفتنة الا أنه قد قال له النبي صلى الله عليه وسلم أطع أباك بعد أن وضع يده في يده فامره أبوه أن يكون معه فلم يمكنه مخالفته وكان عمرو قد عود أبا موسى أن يقدمه في الكلام يقول له أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسن مني تكلم وتعود ذلك أبو موسى فلما أراده عمرو على ابنه أو على معاوية فابى أبو موسى

ثم بصق فى عينيه وفى رواية فتفل فى كفه وفتح له عينيه فدلكهما فبرأ حتى كأن لم يكن بهما وجع وروى البخارى فى صحيحه عن المكى بن ابراهيم قال حدثنى يزيد بن أبى عبيد قال رأيت أثر ضربة بساق سلمة بن الاكوع رضى الله عنه فقلت يا أبا مسلم ماهذه الضربة قال هذه ضربة أصابتنى يوم خيبر فقال الناس أصيب سلمة فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم فنفث فيها ثلاث نفثات فما اشتكيتها حتى الساعة وهذا من ثلاثيات البخارى وفى الشفاء وروى كلثوم بن الحصين رضى الله عنه يوم أحد فى نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أى فى نحره ومحل جراحته فبرأ وروى الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم تفل على شجة عبد الله بن أنيس فلم تمد أى لم يبق فيها مدة وقيح وروى أبو القاسم البغوى باسناده عن معاوية بن الحكم قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم يعنى فى غزوة الخندق كما قال السيوطى فانزى أخى على بن الحكم فرسا له الخندق فاصاب رجله جدار الخندق فدقها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وما نزل عن فرسه فمسحها وقال باسم الله فما آذاه شئ وقد عده أبو حاتم البغوى فى الثقات وروى ابن اسحق وغيره أن معاذ بن عفراء رضى الله عنه قطعت يده يوم بدر فجاء بها الى النبى صلى الله عليه وسلم فبصق عليها وألصقها فالصقت كما كانت ببركة ريقه الشريف الذى تفله عليها وروى ابن اسحق وغيره أيضا أن خبيب بن اساف رضى الله عنه أصيب يوم بدر بضربة سيف على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح وروى البيهقى والنسائى والطيالسى باسناد صحيح ان قدرا انكفأت على ذراع محمد بن حاطب الجمحى وهو طفل فمسح عليه صلى الله عليه وسلم ودعا له وتفل عليه فبرأ لحينه وروى الطبرانى والبيهقى أن شرحبيل الجعفى رضى الله عنه كانت فى كفه سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبى صلى الله عليه وسلم فجعل يطحنها أى يدير كفه الشريفة عليها بقوة كما تدور الرحى حتى أزالها ولم يبق لها أثر فى قوله يطحنها استعارة لطيفة وروى الطبرانى عن أبى أمامة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سألته جارية وهو يأكل فناولها من الطعام الذى بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت انما أريد من الذى فى فيك فناولها ما فى فيه ولم يكن صلى الله عليه وسلم يسأله أحد شيأ فيمنعه فلما استقر فى جوفها ألقى الله عليها الحياء فلم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها والله سبحانه وتعالى أعلم * (ومن معجزاته) * صلى الله عليه وسلم ظهور الآثار العجيبة فيما لمسه وباشره وزوال العلل والعاهات وتبدل الصفات الذميمة بالصفات الجيدة وانقلاب الاعيان له صلى الله عليه وسلم ببركته وبآثاره صلى الله عليه وسلم روى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ان أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لابى طلحة كان به بطء فى السير فلما رجع صلى الله عليه وسلم قال لابى طلحة وجدنا فرسك بحرا أى كالبحر فى شدة جريه فكان ذلك الفرس لايجارى وروى البخارى ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم نخس جمل جابر بن عبد الله رضى الله عنهما وكان قد أعيا فانشط حتى كان لايملك زمامه قال جابر رضى الله عنه انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة أى وهى غزوة ذات الرقاع فابطابه جمله ومر به صلى الله عليه وسلم فقال له ماشانك فقال له أبطابى جملى واعيا فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب فصار لايقدر على كفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اشتراه صلى الله عليه وسلم منه ثم لما قدم المدينة وفاه ثمنه وزاده ثم وهب له البعير مع الثمن وروى البيهقى انه صلى الله عليه وسلم صنع مثل ذلك بفرس لجعيل بن زياد الاشجعى رضى الله عنه قال كنت فى بعض غزواته صلى الله عليه وسلم على فرس عجفاء ضعيفة فى أخريات الناس فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشانك قلت انها عجفاء ضعيفة فضربها بمخفقة كانت فى يده وقال بارك الله لك فيها فلقد رأيتنى أول الناس ما أملك رأسها بعت من بطنها اعدة كثيرة وفى رواية نخفقها بمخفقة كانت معه قيل انها الدرة وقيل العصا والخفق الضرب وفى رواية انه باع من بطنها باثنى عشر ألفا يعنى من أولادها وأولاد أولادها وروى ابن اسحق وابن سعد عن عبد الله بن أبى طلحة انه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا قطوفا لسعد بن عبادة الانصارى فرده هملاجا أى سريع السير لايساير وروى البيهقى أن خالد بن الوليد رضى الله عنه كانت فى قلنسوته شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم

وأراد عبد الله بن عمر فأبى عمرو ثم قال له عمرو خبرنى ما رأيك قال أرى أن نخلع هذين الرجلين يعنى عليا ومعاوية ونجعل الامر شورى بين المسلمين فيختار المسلمون لانفسهم من أحبوا فقال عمرو والرأى ما رأيت فاقبلا على الناس وهم مجتمعون فقال عمرو يا أبا موسى تكلم فتقدم أبو موسى وقال انا رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله به أمر الامة فقال عمرو صدق وبر تقدم يا أبا موسى فتكلم فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ويحك والله نى لاظن انه قد خدعك ان كنتما اتفقتما على أمر فقدمه ليتكلم قبلك ثم تكلم به بعده ولا آمن أن يكون أعطاك الرضا بينكما فاذا قمت فى الناس خالفك وكان أبو موسى فيه غفلة فتقدم وتكلم فقال انا قد اتفقنا ثم قال أيها الناس انا قد نظرنا فى أمر هذه الامة فلم نر أصلح لامرها ولا ألم لشعثها

فكان لا يشهد قتالا الا رزق النصر وروى مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها انها أخرجت جبة طيالسة أي ذات اعلام خضر وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها ونستشفي بها وروى البيهقي عن أنس بن مالك رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم سكب من فضل وضوئه في بئر قباء فما نزفت بعد أي بعد ما سكب فيها فضل وضوئه وفي رواية انه تفل فيها وروى أبو نعيم انه صلى الله عليه وسلم بزق في بئر كانت في دار أنس بن مالك رضي الله عنه فلم يكن بالمدينة أعذب منها ومر على ماء في بعض اسفاره فسأل عن اسمه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب ببركته صلى الله عليه وسلم وروى ابن ماجه والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم أتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه أي ألقى فيه ماء فمه وريقه فصارت رائحته أطيب من المسك وروى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وهما يبكيان عطشا فسكتا وروى البيهقي انه صلى الله عليه وسلم كان يتفل في أفواه لصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل وفي رواية انه كان يفعل ذلك بهم يوم عاشوراء وتقدم في باب ماجاء في شأنه صلى الله عليه وسلم عن أحبار اليهود عند ذكر قصة سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أعطاه مثل بيضة الدجاج من الذهب وقال أده لغرمائك عما عليك وكان عليه أربعون أوقية فقال سلمان وأين تقع هذه مما علي فأخذها صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه وقال خذها فان الله سيؤدي بها عنك قال سلمان فوزنت لهم منها أربعين أوقية وبقي عندي مثل ما أعطيتهم وروى الامام قاسم بن ثابت في الدلائل عن المسور بن مخرمة رضي الله عنهما عن حنش بن عقيل وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب صلى الله عليه وسلم أولها وشربت آخرها يعني أنه صلى الله عليه وسلم شرب منها أولا لتحصل البركة فيها ثم ناوله الاناء فشرب بقيته قال فما برحت أجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وروى الامام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أعطى قتادة بن النعمان رضي الله عنه وقد صلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال لقتادة انطلق به فانه سيضيء من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق قتادة فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه حتى خرج من بيته كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم دفع لعكاشة بن محصن رضي الله عنه جذل حطب وهو عود غليظ أو أصل من أصول الشجر حين انكسر سيفه يوم بدر وقال اضرب به فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة أبيض اللون شديد المتن أي قوي الجرم صلبا فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى أن استشهد في قتال أهل الردة وكان هذا السيف يقال له العون وروى أهل السير والبيهقي وابن عبد البر في الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم دفع لعبد الله بن جحش رضي الله عنه يوم أحد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع سيفا وقصة شاة أم معبد مشهورة رواها أصحاب السنن والسير وافردها الحافظ العلائي بالتأليف وملخصها أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على خبائها وهو مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ما عندي غير شاة عجفاء لا لبن فيها فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها فدرت فحلب ما كفاه ومن معه وبقي في الاناء بقية فلما جاء زوجها أخبرته بخبره وصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله عليه وسلم المدينة بولد لها صغير وأسلمت رضي الله عنها وتقدم عند ذكر رضاع حليمة له صلى الله عليه وسلم أن حليمة بعد أن أخذته لترضعه قام زوجها لشارفها وهي الناقة المسنة فوجدها حافلة بالدر فحلب منها ما أشبعهم كلهم وباتوا بخير ليلة فقال لحليمة انها نسمة مباركة فقالت اني والله أرجو بركته الى آخر القصة وروى البيهقي قصة شاة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وملخصها أنه كان وهو صغير يرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم هل عندك لبن قال نعم لكني مؤتمن فقال ائتني بشاة لم ينز عليها الفحل فأتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله وأتاه أبو بكر رضي الله عنه بصحفة فحلب

من أمر قد اجتمع رأيي ورأي عمرو عليه وهو ان نخلع عليا ومعاوية ويولي الناس أمرهم من أحبوا واني قد خلعت عليا ومعاوية فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه أهلا ثم تنحى وأقبل عمرو فقام فقال ان هذا قد قال ما سمعتموه وخلع صاحبه وأنا أخلع صاحبه وأثبت صاحبي معاوية فانه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه فقال سعد بن أبي وقاص أو غيره ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايده فقال أبو موسى فما أصنع وافقني على أمر ثم نزع عنه فقال ابن عباس رضي الله عنهما لا ذنب لك يا أبا موسى الذنب لمن قدمك في هذا المقام فقال أبو موسى غدر فما أصنع ثم ذهب أبو موسى الى مكة وذهب عمرو الى الشام ودخل هو وأهل الشام على معاوية فسلموا عليه بالخلافة ورجع ابن عباس وشريح ومن معهم

فهم او قال لأبي بكر رضي الله عنه اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا هو سبب اسلام عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وروى مسلم والبيهقي قصة شاة المقداد بن الاسود رضي الله عنه قال كنت أنا وصاحبان لي قد بلغ منا الجهد أي من الجوع فعرضنا أنفسنا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبلنا أحد فأتينا النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق بنا الى أهله فاذا ثلاثة أعنز فقال احتلبوا هذا اللبن بيننا فكنا نحتلب ونشرب ونرفع للنبي صلى الله عليه وسلم نصيبه فيجيء من الليل ويشرب به فوقع في نفسي ذات ليلة أنه صلى الله عليه وسلم يأتيه الانصار بلبن يشربه فلا حاجة له بهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية أنه اذا لم يجدها يدعو علي فهلك فلم أنم ونام صاحباي فجاء صلى الله عليه وسلم كعادته فكشف الاناء فلم يجد شيأ فرفع بصره الى السماء فقلت يدعو علي فقال اللهم أطعم من أطعمني واسق من سقاني فاخذت الشفرة وانطلقت الى الاعنز لاذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلهن فحلبت في اناء حتى علت الرغوة وجئت اليه صلى الله عليه وسلم به فشرب ثم ناولني فلما علمت أنه روي وأصبت دعوته ضحكت حتى استلقيت فقال صلى الله عليه وسلم احدى سوآتك يا مقداد يعني انك فعلت سوأة فما هي فقلت يا رسول الله كان مني كذا وكذا فقال ما هذه الا رحمة من الله لو كنت أيقظت صاحبيك فاصابا منها فقلت والذي بعثك بالحق ما أبالي اذا أصبتها وأصبت فضلتك من أخطأها من الناس وروى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى بعض أصحابه وقد أرادوا السفر سقاء فيه ماء بعد أن أوكأه ودعا فيه بالبركة فلما حضرت الصلاة نزلوا فحلوا وكاءه فاذا هو لبن حليب وزبدة في فمه وفي الشفاء أنه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس عمير بن سعد وضبطه بعضهم عمرو بن سعد ودعا له بالبركة في عمره وصحبته فمات وهو ابن ثمانين فما شاب أي ببركة مس يده الشريفة لم يشب رأسه وشعره ولم يهرم وروى ابن حبان أنه صلى الله عليه وسلم مسح برأس مدلوك الفزاري رضي الله عنه فكان ما مسته يده اسود وسائر رأسه أبيض يعني أنه لم يشب موضع المس وروى الطبراني والبيهقي أنه كان يوجد لعتبة بن فرقد رضي الله عنه طيب يغلب طيب نسائه أي ان رائحته تزيد على رائحة طيب نسائه حتى قالت زوجته أم عاصم كنا عنده ثلاث نسوة ما منا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب لتكون أطيب ريحا من صاحبتها وعتبة لا يمس طيبا فكان أطيب منا ريحا فقلت له في ذلك فقال أصابني الشرى على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي رواية قال أخذني الشرى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقعدني بين يديه وتجردت من ثيابي فتفل في كفه ودلكها بالاخرى ثم أمرهما على ظهري وبطني فعبق بي ما ترون والشرى بثور صغار حمر حكاكة مكربة تحدث دفعة غالبا وتشتد ليلا وروى الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم سلت الدم عن وجه عائذ بن عمرو المزني رضي الله عنه لما جرح يوم حنين أي مسح صلى الله عليه وسلم وجهه بيده منكبا عليه حتى أخرج ما عليه من الدم ودعا له فكانت له غرة بيضاء منيرة كغرة الفرس من أثر يده الشريفة صلى الله عليه وسلم وروى ابن الكلبي أنه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس قيس بن زيد الجذامي رضي الله عنه ودعا له فمات قيس وهو ابن مائة سنة ورأسه أبيض الا موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه فانه اسود أي لم يشب ببركته صلى الله عليه وسلم وكان يدعى الاغر لما في وجهه من النور وروى البيهقي مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني رضي الله عنه ولا مانع من التعدد وجاء أنه صلى الله عليه وسلم مسح وجه خزيمة بن سواد بن الحرث فصارت له غرة بيضاء وروى أنه مسح أيضا ناصية طلحة بن أم سليم فكانت له غرة وما زال على وجهه نور من آثار أنواره صلى الله عليه وسلم ومسح صلى الله عليه وسلم وجه قتادة بن ملحان رضي الله عنه فكان لوجهه بريق أي لمعان وصفاء وبشرة حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة أي يقابل الناظر اليه وجهه بوجهه فيرى صورة وجهه فيه كالمرآة لشدة صفاء بشرته وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأس حنظلة بن حذيم الحنفي وهو بالحاء المهملة والذال المعجمة بوزن درهم ودعا له بالبركة فكان يؤتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيضع محل الورم من الوجه والضرع على الموضع الذي مسه كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم الذي كان أصابه

الى علي رضي الله عنه وكان لعلي رضي الله عنه بعد ذلك اذا صلى قنت ودعا على معاوية وعمرو ومن معهم فبلغ ذلك معاوية ففعل مثل ذلك هذا خلاصة ما صار في التحكيم واستشكل بعضهم ما وقع من عمرو بن العاص رضي الله عنه في مخالفته لما اتفق عليه مع أبي موسى ومكره به فقال كيف يخرج هذا على مذهب أهل السنة من ثبوت الاجتهاد لكل منهم فان ظاهر ذلك مكر وخديعة وأجاب بعض أهل السنة عن ذلك دفعا للطعن على الصحابة رضي الله عنهم بما حاصله ان كلا منهم كان يرى أن الحق معه وان مخالفه مخطئ فكان كل منهم يسعى ويجتهد في امضاء ما كان يراه وتنفيذه بكل ما أمكنه ويرى أن الحرب خدعة وهذا من متعلقات ذلك ففعل عمرو ذلك توصلا الى تنفيذ ما كان يرى انه الصواب *وقد صرح أكابر أهل السنة

و روى ابن عبد البر فى الاستيعاب أنه صلى الله عليه وسلم نضح فى وجه زينب بنت أم سلمة رضى الله عنهما نضحة من ماء فما كان يعرف فى وجه امرأة من الجمال ما كان بها قال ابن عبد البر فى الاستيعاب دخلت زينب رضى الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل فنضح فى وجهها ماء فلم يزل ماء الشباب بوجهها حتى كبرت وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت من أفقه أهل زمانها وأعقلهم وفى الشفاء أنه صلى الله عليه وسلم مسح على رأس صبى به عاهة فبرأ واستوى شعره ومسح على غير واحد من الصبيان والمجانين فبرئوا وفى الشفاء أيضا وأتاه رجل ذو أدرة وهى انتفاخ فى الخصيتين فامره أن ينضحها بماء من عين مج فيها فنضح فبرأ وروى الطبرى ان المهلب بن يزيد الطائى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه قرع فمسح برأسه فنبت شعره وروى عن طاوس بن كيسان اليمانى لم يؤت النبى صلى الله عليه وسلم باحد به مس أى جنون فصك فى صدره الاذهب المس وروى الامام أحمد عن وائل بن حجر أنه صلى الله عليه وسلم مج فى دلو فيه ماء أخرج من بئر ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك وصح أنه ضرب صدر جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه ودعا له وكان ذكر له أنه لا يثبت على الخيل فصار من أفرس العرب وأثبتهم ومسح صلى الله عليه وسلم على رأس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما أى حقيرا ودعا له بالبركة فى خلقته وسائر أموره ففرع الناس طولا وتماما أى زاد عليهم فى طول وتمام سائر الاعضاء وكمل الله خلقته بدعائه صلى الله عليه وسلم وفى الصحيحين ان أبا هريرة رضى الله عنه شكا اليه صلى الله عليه وسلم النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف بيده فيه أى فعل فعلا اشبه من يغرف من شئ ما يضعه فى آخر ثم أمره بضمه ففعل فما نسى شيأ قال أبو هريرة رضى الله عنه فما كان أحد أحفظ منى لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا عبد الله بن عمرو لتقدم اسلامه ولانه كان يكتب وأنا لا أكتب *(ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم)* اجابة دعائه لاناس دعا لهم أو عليهم وهذا باب واسع جدا قال القاضى عياض فى الشفاء اجابة دعوة النبى صلى الله عليه وسلم لجماعة دعا لهم أو عليهم متواترة معلومة ضرورة وقد جاء فى حديث رواه الامام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل أدركت ولده وولد ولده أى وصل أثر الدعوة وبركتها الى ولده وولد ولده وروى البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قالت أمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله خادمك أنس ادع الله تعالى له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته قال أنس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ليعادون اليوم على نحو المائة أى يزيدون عليها وفى رواية وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت بيدى هاتين مائة من ولدى لا أقول سقطا ولا ولد ولد فقد أجاب الله دعوته صلى الله عليه وسلم وجاء انه مات له فى الطاعون الجارف من نسله سبعون ولدا وفى رواية انه صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه له وأطل حياته وأن أنسا قال فلقد كثر الله مالى حتى ان لى كرما يحمل فى السنة مرتين وولد لصلبى مائة وستة وروى مسلم عن أنس رضى الله عنه أنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا وما هو الا أنا وأمى وأم حرام خالتى فقالت أمى يارسول الله خويدمك أنس أدع الله له فدعا لى بكل خير وكان فى آخر ما دعا لى اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه وفى رواية وأطل عمره واجعله رفيقى فى الجنة فكان أنس رضى الله عنه يقول بعد ان طال عمره وكثر ماله وولده وأنا أرجو هذه يعنى كونه رفيقه صلى الله عليه وسلم فى الجنة ومن دعائه صلى الله عليه وسلم كما رواه البيهقى دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بالبركة أى بان يبارك الله له فيما رزقه قال عبد الرحمن رضى الله عنه فلو رفعت حجرا من مكانه بيدى لرجوت ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله له أبواب الخيرات وكان حين قدم المدينة فقيرا لا يملك شيأ فآخى صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع فاراد سعد بن الربيع أن يطلق احدى زوجتيه ليتزوجها عبد الرحمن وأن يقاسمه ماله فقال لا حاجة لى فى ذلك بارك الله لك فى زوجتيك ومالك ثم قال دلونى على السوق فصار يتعاطى التجارة ففى أقرب زمن رزقه الله مالا كثيرا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم حتى انه لما توفى رضى الله عنه بالمدينة سنة احدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين حفر الذهب من تركته بالفؤس حتى جرحت الايدى من

بانه ينبغى أن نؤول ما صدر منهم باحسن التأويلات ونحمله على أحسن المحامل والمصيب منهم له أجران والمخطئ له أجر واحد ولا نسئ الظن باحد منهم صيانة لحفظ الشريعة التى نقلوها لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقاس على هذا كل ما أشكل من ذلك و بعض المؤرخين ينقلون أشياء لم تثبت باسانيد صحيحة فيها مبالغات كثيرة فى حكايات تلك الوقائع فلا ينبغى الالتفات الى تلك المبالغات ولا الاعتماد عليها بل ما ثبت نقله بالاسانيد الصحيحة يحمل على أحسن المحامل ويطلب له أحسن التأويلات تحسينا للظن بهم والله تعالى أعلم (وأما الخوارج) الذين خالفوا عليا رضى الله عنه فانهم كثيرون ولما أراد على رضى الله عنه أن يبعث أبا موسى للتحكيم أتاه رجلان منهم وهما زرعة الطائى وحرقوص ابن زهير السعدى فقالا له

كثرة العمل وأخذت كل زوجة من زوجاته الاربع ثمانين ألفا وقيل ان نصيب كل واحدة من الاربع مائة ألف وقيل بل صولحت احداهن على نيف وثمانين ألفا من الدنانير وأوصى رضى الله عنه بألف فرس وبخمسين ألف دينار فى سبيل الله وأوصى بحديقة لامهات المؤمنين رضى الله عنهن بيعت بأربعمائة ألف وأوصى لمن بقى من أهل بدر لكل رجل بأربعمائة دينار وكانوا مائة فأخذوها وأخذ عثمان فيمن أخذوهذا كله غير صدقاته الفاشية فى حياته وعوارفه العظيمة فقد أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير وهى الجمال التى تحمل الميرة وكانت تلك العير نحو سبعمائة بعير وردت عليه وكان أرسلها للتجارة فجاءت تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما عليها من طعام وغيره وبأحلاسها وأقتابها وجاء انه تصدق مرة بشطر ماله وكان الشطر أربعة آلاف ثم تصدق بأربعين ألفا ثم بأربعين ألف دينار ثم بخمسمائة فرس فى سبيل الله ثم بخمسمائة راحلة وروى انه رضى الله عنه لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة جاء بأربعة آلاف درهم وقال يا رسول الله كان لى ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربى أربعة آلاف وأمسكت لعيالى أربعة فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له فى ماله ومن دعائه صلى الله عليه وسلم دعاؤه لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما بالتمكين فى البلاد فنال الخلافة وجاء أنه صلى الله عليه وسلم قال ان يغلب معاوية وقد بلغ عليا رضى الله عنه هذه الرواية فقال لو علمت لما حاربته ذكره ملا على فى شرح الشفاء وروى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاوية رضى الله عنه اللهم علمه الكتاب ومكن له فى البلاد وقه العذاب ودعا له مرة وقال اللهم اجعله هاديا مهديا وورد فى فضائله أحاديث أخر فكان أول التمكين له أن استعمله أميرا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضى الله عنهم فكان أميرا على الشام عشرين سنة ثم صار خليفة عشرين سنة وانعقد الامر على استخلافه حين نزل له الحسن بن على رضى الله عنهما عن الخلافة فبايعه الناس وأما ما وقع بينه وبين على رضى الله عنه بسبب طلبه لدم عثمان فينبغى الكف عنه لانه كان باجتهاد للمصيب فيه أجران وللمخطئ أجر واحد وقد وردت أحاديث فيها الوعيد الشديد لمن تعرض لسب أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أو تنقص أحد منهم وقد قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون فبعد أن شهد الله لهم بالصدق وأخبر بانه رضى عنهم ورضوا عنه فلا ينبغى لمؤمن أن يتعرض لاحد منهم بل يفوض ما وقع بينهم الى الله ويترك الخوض فيه ويعتقد أنهم مجتهدون مأجورون وقال تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى وقال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون فيؤخذ من مجموع الآيتين أنهم كلهم فى الجنة رضى الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا أى لا فرضا ولا نفلا والاحاديث فى ذلك كثيرة فنسأل الله أن يحيينا ويميتنا على محبتهم وأن لا يجعل لاحد منهم فى عنقنا ظلامة وأن يجعلهم شفعاء لنا يوم القيامة آمين * وعن المقداد رضى الله عنه أن سعدا رضى الله عنه قال يا رسول الله ادع الله أن يستجيب دعائى فقال يا سعد ان الله لا يستجيب دعاء أحد حتى يطيب طعمته فقال ادع الله أن يطيب طعمتى فانى لا أقوى الا بدعائك فقال اللهم أطب طعمة سعد واستجب دعوته وقد خرج أهل الصحيح كثيرا من دعوات سعد رضى الله عنه المستجابة وهى مشهورة مأثورة فمنها أن رجلا نال من على رضى الله عنه وكرم وجهه بحضرة سعد فقال اللهم ان كان كاذبا فأرنى فيه آية فجاء جمل فتخبطه حتى قتله ومنها ما رواه البخارى أن سعدا رضى الله دعا على أبى سعدة بقوله اللهم أطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن قال الراوى فلقد رأيته شيخا كبيرا سقط حاجباه على عينيه يتعرض للجوارى يغمزهن فيقال له فيقول شيخ مفتون أصابته دعوة سعد وروى الترمذى انه صلى الله عليه وسلم دعا بعز الاسلام أى بأن الله يعز الاسلام أى يقويه وينصره

لا حكم الا لله تب من خطيئتك وارجع عن قضيتك واخرج بنا الى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا فقال على رضى الله عنه قد أردتكم على ذلك فعصيتمونى وقد كتبنا بيننا وبين القوم كتابا وشرطنا شروطا وأعطينا عليها عهودا وقد قال الله تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم فقال حرقوص ذلك ذنب ينبغى أن نتوب منه فقال على رضى الله عنه ما هو ذنب ولكنه عجز عن الرأى فقال زرعة يا على ان لم تدع تحكيم الرجال لاقاتلنك فقال له على رضى الله عنه بؤسا لك ما أشقاك كأنى بك قتيلا تسفى عليك الرياح قال وددت لو كان ذلك فخرجا من عنده يقولان لا حكم الا لله * وخطب على رضى الله عنه يوما فكانت الخوارج فى جانب المسجد تقول لا حكم الا لله فقال على رضى الله عنه الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل ان سكتوا غممناهم وان

باحد الرجلين بعمر بن الخطاب أو بابي جهل فاستجيب له في عمر رضي الله عنه فكانوا قبل اسلام عمر رضي الله عنه لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين فلما أسلم رضي الله عنه صلوا معه عند الكعبة وقد روي من طرق انه صلى الله عليه وسلم خص عمر رضي الله عنه بالدعاء فقال اللهم أعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم أيد الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين بانه أولا دعا بان الله يعز الاسلام باحدهما ثم لما تبين له باعلام من الله والهام منه أن اللائق بذلك عمر خصه بدعائه ثانيا وكرره حتى استجيب له وتقدمت قصة اسلامه رضي الله عنه في باب تعذيب قريش للمستضعفين عند ذكر من هاجر من المسلمين ودعا صلى الله عليه وسلم لابي قتادة رضي الله عنه كما رواه البيهقي في الدلائل بقوله أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة كانه ابن خمس عشرة سنة في نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره ودعا صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدي وهو قيس بن عبد الله لما أنشده قصيدته التي يمدح النبي صلى الله عليه وسلم بها فلما وصل قوله فيها

فلا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه أن يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حليم اذا ما أورد الامر أصدرا

فقال له صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرا اذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة وقيل مائة وأربعين وقيل مائتين وثمانين وروى البخاري ومسلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنهما بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فسمي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم الحبر وترجمان القرآن وكان أعلم الناس بالتفسير والفقه والفرائض وأشعار العرب وأيامها ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم دعا لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيأ الا ربح فيه وروى أبو نعيم أنه صلى الله عليه وسلم دعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر المال قالت ضباعة بنت الزبير وهي زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضاء حاجته فبينما هو جالس خرج جرذ من جحره بدينار ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجاء بها المقداد للنبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبره فقال له أدخلت يدك في الجحر قال لا والذي بعثك بالحق فقال صدقة تصدق الله بها عليك بارك الله لك فيها قالت ضباعة فما فني آخرها حتى رأيت غرائر الورق في بيت المقداد ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وروى البخاري والامام احمد انه صلى الله عليه وسلم دعا لعروة بن ابي الجعد البارقي رضي الله عنه بمثل دعائه للمقداد قال عروة فلقد كنت أقوم بالكناسة وهو اسم سوق بالكوفة أي أقوم فيه للتجارة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفا وقال البخاري في حديث عروة فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم دعا لام أبي هريرة رضي الله عنهما بان يهديها الله للاسلام فاسلمت وحازت شرف الصحبة رضي الله عنها وكان أبو هريرة قبل ذلك حريصا على اسلامها فدعاها للاسلام فابت وأسمعته ما يكره في حق النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يبكي وقال اني كنت أدعوها للاسلام فتأبى فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهديها فقال اللهم اهد أم أبي هريرة فخرج مستبشرا بدعائه فلما أتى الباب سمعت خشف أقدامه فقالت مكانك يا أبا هريرة فسمع صب الماء فاغتسلت ولبست درعها وخمارها وفتحت له الباب فلما دخل قالت يا أبا هريرة اني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع أبو هريرة رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا وقال أبشر يا رسول الله فقد أجيبت دعوتك وهدى الله أمي للاسلام فحمد الله تعالى فقال يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا فقال اللهم حبب عبدك هذا وأمه الى عبادك وحببهم لهما فكان لا يسمع به أحد ولا يراه الا أحبه ورواه البيهقي أيضا في الدلائل وروى البيهقي عن عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنا بهما قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وأقبلت فاطمة ووقعت بين يديه فنظر اليها وقد ذهب الدم من وجهها من الجوع فوضع يده على صدرها وقال اللهم مشبع الجاعة ورافع الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران فرأيت وجهها وقد ذهبت صفرته ثم جئتها فقالت ما جعت يا عمران بعد أي بعد دعائه صلى الله عليه وسلم

تكلموا جمعناهم وان خرجوا علينا قاتلناهم فوثب منهم يزيد بن عاصم المحاربي فقال الحمد لله غير مودع ربنا ولا مستغنى عنه اللهم انا نعوذ بك من اعطاء الدنية في ديننا فان اعطاء الدنية في الدين ادهان في أمر الله وذل راجع باهله الى سخط الله يا علي أبالقتل تخوفنا أما والله اني لارجو أن نضربكم بها عما قليل غير مصفحات ثم لتعلم أينا أولى بها صليا ثم خرج هو واخوة له ثلاثة فاصيبوا مع الخوارج يوم النهروان *ثم خطب علي رضي الله عنه يوما آخر فقال رجل منهم لا حكم الا لله ثم توالى عدة رجال يقولون لا حكم الا لله فقال علي رضي الله عنه الله أكبر كلمة حق أريد بها باطل أما ان لكم عندنا ثلاثا ما صحبتمونا لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا فيها اسمه ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا ولا نقاتلكم حتى تبدؤنا وانما فيكم أمر الله ثم رجع

انها قال البيهقي وكان هذا قبل نزول آية الحجاب وروى ابن اسحق والبيهقي وابن جرير انه صلى الله عليه وسلم دعا للطفيل بن عمرو الدوسي أن يجعل له آية لقومه فقال اللهم نوّر له فسطع له نور بين عينيه فقال يارب انى أخاف أن يقولوا مثلة فتحوّل الى طرف سوطه فكان يضيء فى الليلة المظلمة فسمى الطفيل ذا النور وتقدمت قصته فى باب الوفود عند ذكر وفد دوس وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما رضى الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم دعا على مضر حين تأخروا عن الاسلام فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فاقحطوا حتى أكلوا الجلود والدم والعظام فقال له أبو سفيان انك تأمر بصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مريعا طبقا غدقا عاجلا غير آجل نافعا غير ضار فما أتى عليهم جمعة حتى مطروا وروى الشيخان عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دعا على كسرى حين مزق كتابه أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة فى أقطار الدنيا وروى أبو داود والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم دعا على صبى قطع عليه صلاته أى مر بينه وبين سترته أن يقطع الله أثره فاقعد قال ابن مهران رأيت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن مهران فسألته أى عن سبب اقعاده فقال مررت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال اللهم اقطع أثره فما مشيت بعد وروى مسلم عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال له صلى الله عليه وسلم لا استطعت فلم يرفعها الى فيه وروى الحاكم والبيهقي وابن اسحق من طرق صحيحة انه صلى الله عليه وسلم دعا على عتيبة بالتصغير ابن أبى لهب وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فأكله الاسد وقيل ان المدعو عليه اخوه عتبة بالتكبير لكن الصحيح الاول لان عتبة المكبر ومعتبا أخاهما أسلما عام الفتح وحسن اسلامهما رضى الله عنهما وعقير الاسد انما هو عتيبة المصغر وتقدمت قصته فى باب مراتب الوحى عند تعداد ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية ومن دعائه صلى الله عليه وسلم دعاؤه المشهور على أبى جهل وعقبة بن أبى معيط وغيرهما من عتاة قريش حين وضعوا السلا على كتفيه وهو ساجد مع الفرث والدم فاستجاب الله دعوته عليهم فقتلوا يوم بدر وتقدم الكلام على ذلك فى الباب المذكور عند تعداد ما وقع له صلى الله عليه وسلم من الاذية وروى البيهقي باسناد صحيح انه صلى الله عليه وسلم دعا على الحكم بن أبى العاص بن أمية وهو أبو مروان وكان يختلج بوجهه أى يحرك وجهه وحاجبيه وشفتيه استهزاء بالنبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم كن كذلك فلم يزل يختلج الى أن مات وتقدم الكلام عليه مبسوطا فى الباب المذكور عند ذكر المستهزئين واستهزائهم وروى البيهقي وابن جرير عن ابن عمر رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم دعا على محلم بن جثامة الكنانى الليثى فمات بعد سبع ليال من دعائه ولما دفنوه لفظته الارض ثم دفنوه فلفظته وهكذا مرات فالقوه فى شعب ورضموا عليه الحجارة وسبب دعائه عليه أنه صلى الله عليه وسلم بعثه فى سرية أمر عليها عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقتل محلم عامرا غدرا لامر كان بينهما فلما بلغه صلى الله عليه وسلم دعا عليه ولما أخبروه صلى الله عليه وسلم بأن الارض لفظته قال ان الارض لتقبل من هو شر منه ولكن الله أراد أن يجعله لكم عبرة وهذا الباب واسع جدا لان أدعيته صلى الله عليه وسلم المستجابة كثيرة لا تكاد تنحصر وما ذكرناه قطرة من بحر وفيه كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم *(ومن معجزاته)* صلى الله عليه وسلم اخباره بكثير من المغيبات قال فى الشفاء وهذا بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره أى ماؤه الكثير وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على طريق القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب ولا يكون ذلك الا بوحى من الله تعالى فمن ذلك ما تقدم فى هذا الكتاب فى مواضعه وهو كثير ومن ذلك ما رواه أبو داود عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما أى يخطب فما ترك شيأ مما يكون فى مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثنابه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ورواه البخارى أيضا لكن رواية أبى داود أبسط وبها انه ليكون منه الشئ أى يوجد الشئ مما حدثنا به قد نسيته فاذا رأيته فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم رآه ثم قال حذيفة ما أدرى أنسى أصحابى أم تناسوه أى أظهروا نسيانه خوف الفتن والله ما ترك

الى مكانه من الخطبة * ثم ان الخوارج لقى بعضهم بعضا واجتمعوا فى منزل عبد الله بن وهب الراسبى فخطبهم فزهدهم فى الدنيا وأمرهم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر ثم قال اخرجوا بنا من هذه القرية الظالم أهلها الى بعض كور الجبال أو الى بعض هذه المدائن منكرين لهذه البدع المضلة فقال له حرقوص بن زهير ان المتاع بهذه الدنيا قليل وان الفراق لها وشيك فلا تدعونكم زينتها وبهجتها الى المقام بها ولا تلفتنكم عن طلب الحق وانكار الظلم فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون فقال حمزة بن سنان الاسدى ياقوم ان الرأى ما رأيتم فولوا أمركم رجلا منكم فانه لابد لكم من عماد وسنان وراية تحفون بها وترجعون اليها فعرضوها على زيد بن حصين الطائى فأبى وعرضوها على حرقوص ابن زهير فأبى وعلى حمزة

رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه باسمه واسم أبيه وقبيلته بحيث لم تبق فيه شبهة وروى الامام أحمد والطبرانى عن أبى ذر رضى الله عنه قال لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه الا ذكر لنا منه علما أى يذكر لنا من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره وقد خرج البخارى ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن ما أعلم به أصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور على أعدائه اغلبتهم وفل شوكتهم كفتح مكة فانه أخبرهم به قبل وقوعه ولما فتحت قال لهم هذا الذى قلت لكم وأخبرهم بفتح بيت المقدس وأخبر تميما الدارى رضى الله عنه حين اسلامه بان الله سيفتح بيت المقدس وأقطعه أرضا بها فلما فتح فى خلافة عمر رضى الله عنه أعطى تميما اعطاءه تحقيقا لوعد النبى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة وأخبر بفتح الشأم واليمن والعراق وظهور الامن فى الممالك الاسلامية حتى تظعن المرأة أى تسافر وحدها من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله والحيرة مدينة بقرب الكوفة وقد حقق الله ما أخبر به وأخبر بان المدينة ستغزى فكان ذلك فى وقعة الحرة وأعلمهم بفتح خيبر على يد على رضى الله عنه فكان ذلك كما تقدم وأخبر بما يفتح الله على أمته من البلدان وبما يوسعه الله عليهم من الدنيا ويؤتون من زهرتها وأنهم يقتسمون كنوز كسرى وقيصر فكان ذلك فى خلافة عمر رضى الله عنه ومن بعده من الخلفاء وأخبرهم بما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف وبان أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة وان الناجية منها واحدة وان الناجى من كان على ما أنا عليه وأصحابى فكان ذلك كما أخبر وأخبر بان أمته ستتبع سنن من قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع قال حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن اذن وروى البخارى عن جابر رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال سيكون لامته أنماط وهى جمع نمط كسبب وأسباب وهو البساط يعنى ان أمته يتوسعون فى الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسطة الله لهم الرزق بعدما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة وانهم يغدو أحدهم فى حلة ويروح فى أخرى ويوضع بين يدى أحدهم صحفة وترفع أخرى وانهم يسترون حيطان بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال فى آخر الحديث فى رواية رواها الترمذى وأنتم اليوم خير منكم يومئذ أى لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن كما يشاهد ممن ابتلى به وروى الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم ان أمته اذا مشوا المطيطا أى مشوا بالتبختر وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم والمراد به وقوع العداوة والقتال بينهم وسلط الله شرارهم على خيارهم وأخبر أن الروم ذات قرون أى جماعات وملك قائم بديارهم الى آخر الدهر بخلاف فارس فان الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته صلى الله عليه وسلم وأخبر بذهاب الامثل فالامثل أى الاشرف فالاشرف من الناس وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله أى لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار وهى حشيش يحترق بسرعة والمراد ارتفاع البركة من الاعوام والايام وأخبر بقبض العلم وظهور الفتن وروى الشيخان عن زينب أم المؤمنين رضى الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال ويل للعرب من شر قد اقترب وأخبر بانه زويت له الارض أى جمعت وضم بعضها الى بعض فارى مشارقها ومغاربها وانه سيبلغ ملك أمته ما زوى له منها فكان كذلك فامتدت مملكتهم فى المشارق والمغارب ما بين أرض الهند أقصى المشرق الى بحر طنجة وهى بلدة بساحل بحر المغرب وروى مسلم عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة وأخبر بملك بنى أمية وولاية معاوية رضى الله عنه ووصاه اذا ملك بالعدل والرفق وقال له اذا ملكت فاسجح أى ارفق قال معاوية رضى الله عنه فما زلت أطمع فى الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية انه قال له يا معاوية اذا ملكت فاحسن وروى الترمذى والبيهقى والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو أبى العاص أربعين أو ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا وعباد الله خولا

ابن سنان وشريح بن أبى أوفى العبسى فابيا وعرضوها على عبد الله بن وهب فقال هاتوها أما والله لا آخذها رغبة فى الدنيا ولا أدعها فرقا من الموت فبايعوه لعشر خلون من شوال واجتمعوا فى منزل شريح ابن أبى أوفى العبسى فقال ابن وهب اشخصوا بنا الى بلد نجتمع فيه لانفاذ حكم الله فانكم أهل الحق فقال شريح نخرج الى المدائن فننزلها ونأخذ بابوابها ونخرج منها سكانها ونبعث الى اخواننا من أهل البصرة فيقدمون علينا فقال زيد بن حصين انكم ان خرجتم مجتمعين اتبعتم ولكن اخرجوا وحدانا مستخفين فان المدائن بها من يمنعكم ولكن سيروا حتى تنزلوا جسر النهروان وتكاتبوا اخوانكم من أهل البصرة قالوا هذا الرأى وكتب عبد الله بن وهب الى من بالبصرة منهم يعلمهم ما اجتمعوا عليه ويحثهم

ومال الله دولا أي يتداولونه واحدا بعد واحد والمراد أنهم يستأثرون بالمال و يمنعون الحقوق و يبذرون
و يسرفون و يضيعون بيت مال المسلمين فكان كذلك وروى البيهقي والامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم
أخبر بخروج ولد العباس بالرايات السود حتى ينزلوا بالشام و يقتل الله على أيديهم كل جبار وفي رواية
تخرج الرايات السود من خراسان لا يردها شئ حتى تنصب بايليا أي بيت المقدس وأخبر العباس بان الخلافة
قد تكون في ولده فكانوا يتوقعون ذلك وروى الحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال ان أهل بيتي سيلقون بعدي
من أمتي قتلا وتشريدا وأخبر بقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما رواه الامام أحمد والطبراني وان أشقى
هذه الامة لذي تخضب هذه يعني لحية علي رضي الله عنه من هذه يعني رأسه يشير الى انه يضرب على رأسه
ضربة يسيل منها دمه حتى يبل لحيته وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم أخبر بقتل عثمان بن عفان رضي
الله عنه وهو يقرأ في المصحف فكان كذلك وروى الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعني عثمان رضي الله عنه وان الله عسى أن يلبسه قميصا وانهم يريدون
خلعه وانه قال لعثمان رضي الله عنه فلا تخلعه وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه سيقطر من دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وتكلم في هذا الحديث بعضهم لكن قال
المحب الطبري ان أكثرهم روى ان قطرة من دمه أو قطرات سقطت في المصحف على قوله تعالى فسيكفيكهم
الله ونقل عن حذيفة رضي الله عنه قال أول الفتن قتل عثمان وآخرها خروج الدجال والذي نفسي بيده
لا يموت أحد وفي قلبه مثقال حبة من حب قتلة عثمان الا تبع الدجال ان أدركه وان لم يدركه آمن به في قبره
أخرجه الحافظ السلفي وأخبر صلى الله عليه وسلم ان الفتن يعني بين أصحابه لا تظهر ما دام عمر رضي الله
عنه حيا ولقي عمر رضي الله عنه يوما أباذر رضي الله عنه فاخذ بيده وعصرها فقال دع يدي يا قفل الفتنة فقال له
ما هذا يا أباذر قال جئت يوما ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فكرهت ان تتخطى الناس فجلست في
أدبارهم فقال صلى الله عليه وسلم لا تصيبكم فتنة ما دام هذا فيكم وروى الشيخان ان عمر بن الخطاب رضي الله
عنه قال يوما أيكم يحفظ ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتنة التي تموج كموج البحر فقال حذيفة رضي
الله عنه ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ان بينك و بينها بابا مغلقا قال أيفتح أم يكسر قال يكسر قال اذن
لا يغلق أبدا فقيل لحذيفة من الباب قال هو عمر فقيل له أكان عمر يعلمه قال نعم كما يعلم ان دون غد الليلة
اني حدثته حديثا ليس بالاغاليط وخطب خالد بن الوليد رضي الله عنه مرة بالشام فقال له رجل اصبر أيها
الامير فان الفتن قد ظهرت فقال أما وابن الخطاب حي فلا انما ذاك بعده وروى البيهقي انه صلى الله عليه
وسلم أخبر بمحاربة الزبير لعلي وهو أي الزبير ظالم وكان صلى الله عليه وسلم رآهما يوما وكل منهما يضحك فقال
لعلي رضي الله عنه أتحبه فقال كيف لا أحبه وهو ابن عمتي صفية وعلى ديني فقال للزبير أتحبه فقال كيف
لا أحبه وهو ابن خالي وعلى ديني فقال أما انك ستقاتله وأنت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له علي رضي
الله عنه وقال له ناشدتك الله أسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله انك ستقاتلني وأنت لي ظالم قال
نعم ولكن نسيته منذ سمعته منه صلى الله عليه وسلم ثم ذكرته الآن والله لا أقاتلك فرجع يشق الصفوف
راكبا فعرض له ابنه عبد الله فقال مالك قال ذكرني علي حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لتقاتلنه وأنت ظالم له فقال له ابنه انما جئت لتصلح بين الناس لا لمقاتلته فقال قد حلفت أن لا أقاتله قال
أعتق غلامك وقف حتى تصلح بينهم ففعل فلما اختلف الامر ذهب فلما كان بوادي السباع خرج عليه ابن
جرموز وهو نائم فقتله فقال علي رضي الله عنه أشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قاتل
الزبير في النار وكان سبب هذا القتال أن قتلة عثمان رضي الله عنه بايعوا عليا لما بايعه الناس ولم يرض
بمبايعتهم لكنه خشي الفتنة لكثرتهم وتغلبهم وأراد تأليف الناس فاشتد غيظ الناس من مبايعتهم اياه
وامتنع معاوية وجماعة من البيعة لعلي رضي الله عنه حتى يسلم قتلة عثمان وأرادت عائشة رضي الله عنها أن
تساوي الامر بين علي ومعاوية رضي الله عنهما وتدفع الخوارج حتى يؤخذ منهم بدم عثمان رضي الله عنه

على اللحاق بهم فاجابوا انهم
على اللحاق به فلما عزموا
على السير تعبدوا يومهم
وليلتهم وكان يوم الجمعة
فساروا يوم السبت فخرج
شريح بن أبي أوفى وهو
يقول فخرج منها خائفا
يترقب الى قوله سواء
السبيل وخرج معهم طرفة
ابن عدي الطائي فاتبعه
أبوه ليرده فلم يقدر عليه
فارسل عدي الى سعد بن
مسعود عامل علي على
المدائن يحذره أمرهم
فاخذ أبواب المدينة وخرج
في الخيل في طلبهم فاخبروا
به فاخذوا في طريق آخر
فلحقهم بالكرخ عند
المساء فاقتتلوا ساعة وامتنع
القوم منهم وقال أصحاب
سعد لسعد ما تريد من
قتالهم ولم يأتك أمر فيهم
خلهم فليذهبوا واكتب
الى أمير المؤمنين فان أمرك
باتباعهم فاتبعهم وان
كفاكهم غيرك كان في
ذلك عافية لك فابى عليهم
فلما جن الليل عبر عبد الله
ابن وهب ومن معه دجلة

فسارت

فسارت فى هودجها ومعها جماعة من الصحابة منهم طلحة بن عبيد الله والزبير رضى الله عنهما حتى التقوا مع على رضى الله عنه وأرادوا الصلح بينه وبين معاوية فلم يتم الامر ووقع القتال بينهم فلتة من غير قصد وكانوا كلهم مجتهدين رضى الله عنهم ثم تبين لعائشة رضى الله عنها ان الحق مع على رضى الله عنه فى عدم تسليم قتلة عثمان رضى الله عنه لكثرتهم وانتشارهم وتشعب أمرهم فكان يرى تاخير أمرهم حتى تجتمع كلمة المسلمين ثم يتتبعون و يقتاد منهم فلما تبين لها ذلك اصطلحت معه ورجعت الى المدينة فى عز وا كرام وكان النبى صلى الله عليه وسلم أشار الى هذا القتال وأخبر به وذلك ان عائشة رضى الله عنها كانت مع نساء النبى صلى الله عليه وسلم يوما والنبى صلى الله عليه وسلم جالس وهن يتحدثن فقال أيتكن تنبحها كلاب الحوأب بحاء مهملة و واو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ماء أو موضع فى طريق الذاهب من المدينة الى البصرة وفى حديث آخر أخبرانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعدما كادت فلما كانت وقعة الجمل ومرت عائشة رضى الله عنها بذلك المكان نبحتها كلابه فسألت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحوأب فهمت بالرجوع فخلفوا لها انه ليس الحوأب ثم تبين لها الامر فعادت بعد الصلح كما تقدم وروى الحاكم والبيهقى عن أم سلمة رضى الله عنها قالت ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشة رضى الله عنها أى تعجبا من خروج المرأة على الخليفة فقال انظرى ياحميراء أن لاتكونى أنت ثم التفت الى على رضى الله عنه فقال ان وليت من أمرها شيأ فارفق بها وقد امتثل الامر رضى الله عنه فانه أرسلها الى المدينة ومعها أخوها محمد وشيعها على رضى الله عنه بنفسه أميالا وسرح بنيه معها يوما وممّا أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ان عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية وكان هو مع على بصفين وكان كل من على ومعاوية رضى الله عنهما مجتهدا لكن عليا رضى الله عنه هو المصيب فى تاخير أمر قتلة عثمان ومعاوية رضى الله عنه هو المخطئ فى طلب التعجيل باخذ ثاره قبل استقرار أمر المسلمين واجتماع كلمتهم لكن حيث كان ذلك ناشئا عن اجتهاد فلالوم عليه للحديث المشهور ان المجتهد اذا أصاب له أجران واذا أخطا له أجر واحد فلا يجوز تنقيص واحد منهما رضى الله عنهما هذا مذهب أهل السنة والجماعة وما عداه زيغ وضلال نسأل الله الحفظ منه *ومن اخباره صلى الله عليه وسلم بالغيب قوله لعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ويل للناس منك وويل لك من الناس و ويل هنا للتحسر والتاسف لا للدعاء بالهلاك وسبب قوله ذلك انه صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى دمه لعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ليدفنه وكان صغيرا فتوارى وشربه فلما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك قال له أما انك لن تمسك النار وقال له أيضا ويل للناس منك وويل لك من الناس حتى كان ما كان من أمره وأمر عبد الملك بن مروان الى أن وجه اليه الحجاج فقاتله ثم قتله وكان عبد الله بن الزبير رضى الله عنه يكر على الصفوف فيهزمها وكان الناس يرون أن ما عنده من القوة والشجاعة انما كان من ذلك الدم (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب قوله فى حق قزمان انه من أهل النار وذلك ان قزمان قاتل فى بعض الغزوات أى غزوة خيبر وقيل حنين قتالا شديدا حتى أعجب الصحابة رضى الله عنهم وكان شجاعا وهو مولى لبعض الانصار فلما رأى الصحابة اقدامه وشجاعته أخبروا النبى صلى الله عليه وسلم بخبره فقال انه من أهل النار ثم لم يزل يقاتل حتى أثخن بالجراحة فجعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل انه أخرج من كنانته سهما فنحر به نفسه فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم به فقال ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وأمر مناديا أن ينادى فى الناس انه لايدخل الجنة الا مؤمن وقوله صلى الله عليه وسلم فيه انه من أهل النار اما لكونه منافقا أو انه ارتد قبل موته لما كثرت عليه الجراحة أو انه استحل قتل نفسه فلا ينافى أن قتل الشخص نفسه لا يقتضى كفره وروى الطبرانى والبيهقى انه صلى الله عليه وسلم قال فى حق جماعة من الصحابة كانوا عنده فيهم أبو هريرة وحذيفة بن اليمان وسمرة بن جندب آخركم موتا فى النار فكان بعضهم يسأل عن البعض فكان سمرة آخرهم موتا كبر سنه فاصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفأ منه فاوقدت له نار ليصطلى بها فاحترق فيها لغفلة أهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم وأبهم لهم النار حيث

وساروا الى النهروان وسار جماعة من الكوفيين يريدونهم ليكونوا معهم فردهم أهلوهم كرها وبلغ عليا رضى الله عنه ان سالم ابن ربيعة العبسى يريد الخروج فاحضره عنده فنهاه فانتهى (ولما) خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليا رضى الله تعالى عنه أصحابه فبايعوه وقالوا نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت فشرط عليهم العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه ربيعة بن أبى شداد الخثعمى وكان شهد معه الجمل وصفين وكانت معه راية خثعم فقال له على رضى الله عنه بايع على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربيعة على سنة أبى بكر وعمر فقال له على رضى الله عنه ويلك لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونا على شئ من الحق فبايعه فنظر اليه على رضى الله عنه فقال

لم يبين لهم أنهم انار الدنيا اجتهدوا في أعمالهم ويدأبوا على الخوف والمراقبة أو أنه لم يؤذن له في ذلك وذلك من
الحكم الخفية قال ابن حكيم الضبي كنت اذا لقيت أباهريرة رضي الله عنه سألني عن سمرة فاذا أخبرته بحياته
فرح فسألته عن ذلك فقال كنا عشرة في بيت فقال صلى الله عليه وسلم آخركم موتا في النار فمات منا ثمانية
ولم يبق غيري وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى مات قبله وفي رواية للبيهقي كان اذا أراد أحد
أن يغيظ أباهريرة قال مات سمرة فيضعف ويغشى عليه ثم مات أبوهريرة قبل سمرة رضي الله عنهما وروى ابن
اسحق عن عاصم بن عمر بن قتادة أنه صلى الله عليه وسلم قال في حنظلة بن أبي عامر الانصاري الغسيل الذي
استشهد يوم أحد اني رأيت الملائكة تغسله فسألوا امرأته عنه فسألوها فقالت انه خرج جنبا أعجله الحال
عن الغسل وكان عروسا ابتنى بجميلة بنت عبدالله بن أبي ابن سلول المنافق وكانت امرأة صالحة قال أبو سعيد
الخدري رضي الله عنه ووجد رأسه تقطر ماء أي وذلك من أثر تغسيل الملائكة (ومن اخباره) صلى الله عليه
وسلم بالغيب ما رواه الامام أحمد والترمذي بل وأصحاب الكتب الستة من قوله صلى الله عليه وسلم الخلافة
بعدي ثلاثون ثم تكون ملكا عضوضا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال الخلافة في
قريش ولن يزال هذا الامر في قريش ما أقاموا الدين أي فاذا غيروا غيرهم الله وقد وقع كما قاله صلى الله عليه
وسلم وروى مسلم والبيهقي أنه صلى الله عليه وسلم قال يكون في ثقيف كذاب ومبير أي مهلك يكثر القتل قال
العلماء ان المراد بهما الحجاج والمختار بن أبي عبيد قال النووي أجمع العلماء على أن المبير هو الحجاج والكذاب
هو المختار بن أبي عبيد الثقفي كان يزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه وكان يتكهن ويزعم أنه يوحى اليه وكان
له كرسي يضاهي به تابوت بني اسرائيل فهو ضال مضل وكان في أول أمره يظاهر الصلاح والتنسك ويزعم أنه
يأخذ بثار الحسين حتى استحوذ على الكوفة وقتل خلقا كثيرا واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير
وأما الحجاج فأمره أشهر من أن يذكر (ومما أخبر به) صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن ابن
عباس رضي الله عنهما أن مسيلمة الكذاب يعقره الله وفي رواية يقتله وكان ادعى النبوة في آخر حياة النبي صلى
الله عليه وسلم فجهز اليه الصديق رضي الله عنه جيشا وأمر عليه خالد بن الوليد فقاتلوا مسيلمة وقومه حتى قتله
الله وكان قتله على يد وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وشاركه فيه ناس في التعبير عن قتله بالعقر اشارة الى أنه
بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية (ومما أخبر به) صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عائشة
رضي الله عنها أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنته صلى الله عليه وسلم أول أهله لحوقا به أي أول أهل بيته
لحوقا به فماتت بعده بستة أشهر (ومما أخبر به) صلى الله عليه وسلم من المغيبات أنه أنذر أصحابه بمن يرتد بعده
من العرب وبما يكون من قتالهم فوقع ذلك في خلافة أبي بكر رضي الله عنه فارتد بعد انتقاله صلى الله عليه وسلم
كثير من العرب الا أهل الحرمين وأهل البحرين فكفى الله أمر المرتدين بابي بكر رضي الله عنه بعد أن قاسى
منهم أمورا شديدة فما توفي رضي الله عنه حتى رجعت العرب الى الاسلام (ومما أخبر به) صلى الله عليه وسلم من
المغيبات ما رواه البزار عن أبي عبيدة رضي الله عنه والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه من قوله صلى الله
عليه وسلم ان هذا الامر أي دين الاسلام بدئ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون
عتوا وجبرية من الجبر وهو الاكراه والقهر وفسادا في الامة فكان الامر كما أخبر (ومما أخبر به) من
المغيبات ما رواه مسلم وغيره من التنويه بشأن أويس القرني رضي الله عنه وكان قد اشتغل ببر أمه عن
الاجتماع بالنبي صلى الله عليه وسلم والا فقد أدرك زمن النبوة وهو خير التابعين بشهادة النبي صلى الله عليه
وسلم وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتيكم أويس بن عامر مع
أمداد من أهل اليمن من مراد من قرن كان به بياض أي برص فبرأ منه الا موضع درهم أي لانه دعا الله تعالى
أن يزيله الا لمعة يتذكر بها نعمته تعالى عليه فمن أدركه منكم فاستطاع أن يستغفر له فليفعل ووصفه
صلى الله عليه وسلم لهم بانه أشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه الى صدره رام
ببصره الى موضع سجوده يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول في أهل الارض معروف في السماء لو

أما والله لكأني بك وقد
نفرت مع هؤلاء الخوارج
فقتلت وكأني بك وقد
وطئتك الخيل بحوافرها
فكان الامر كذلك فانه
قتل يوم النهروان مع
خوارج البصرة * وتقدم
أن عليا رضي الله عنه لما
رجع من صفين فرقه
الخوارج وأتوا حروراء
فنزل بها منهم اثنا عشر ألفا
ونادى مناديهم ان أمير
القتال شبث بن ربعي
التميمي وأمير الصلاة
عبدالله بن الكوا اليشكري
وذكرنا هنالك ان تتمة ذلك
تأتي وحاصل ذلك أن عليا
رضي الله عنه بعث اليهم
عبدالله بن عباس رضي
الله عنهما فلما خرج اليهم
ابن عباس رضي الله عنهما
لبس حلتين من أحسن
الحلل وكان رضي الله عنه
جميلا قال فأتيت القوم
فلما نظروا الي قالوا مرحبا
بابن عباس فما هذه الحلة
قال وما تنكرون من ذلك
لقد رأيت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم حلة من

أقسم على الله لأبره تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء ألا وانه اذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف واشفع فيشفعه الله في ربيعة ومضر يا عمر ويا على اذا أنتما لقيتماه فاطلبا منه أن يستغفر لكما فمكثا عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التي توفي فيها عمر رضي الله عنه قام على أبي قبيس فنادى بأعلى صوته يا أهل اليمن هل فيكم أويس فقام شيخ وقال لا ندري ما أويس ولكن انه أخ لي أخمل ذكرا وأهون من أن نرفعه اليك وهو في ابلنا يرعاها فعمي عليه عمر رضي الله عنه كأنه لا يريده ثم قال أين هو فقال بأراك عرفات فركب عمر وعلى رضي عنهما اليه فاذا هو قائم يصلي فسلما عليه وقالا من الرجل قال راعى ابل أجير فقالا لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبيد الله ما اسمك الذي سمتك به أمك قال ما تريدان مني فاخبراه بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما وسألاه أن يكشف لهما عن البياض الذي تحت منكبه الايسر لتحقق العلامة فكشف لهما وتحقق عندهما الوصف كما أخبر صلى الله عليه وسلم وسألاه الدعاء كما أمرهما صلى الله عليه وسلم ثم سألهما من هما فعرفاه بأنفسهما فقام لهما وعظمهما وسلم عليهما وقال لهما جزاكما الله خيرا عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم واستغفر لهما كما أمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمر رضي الله عنه مكانك يرحمك الله حتى آتيك بنفقة من عطائي وكسوة من ثيابي فقال لا ميعاد لي ولا تراني بعد اليوم وما أصنع بالنفقة والكسوة ثم أقبل على العبادة وجاء في حديث صحيح أن خير التابعين رجل يقال له أويس القرني وقال الامام أحمد ان سعيد بن المسيب أفضل التابعين قال القرافي لعل الامام أحمد لم يقف على هذا الحديث أو لم يصح عنده وقال النووي أفضلية أويس بشدة زهده وخشيته وأفضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه فلا منافاة وقيل أفضلهم الحسن البصري وقيل حفصة بنت سيرين قال بعضهم ولا شك ان الأفضلية على الاطلاق لأويس وبالعلم النافع لسعيد بن المسيب والله أعلم (ومما أخبر به) صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه من اخباره بانه سيكون أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ولفظه كيف أنت اذا كنت وعليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرني قال صل الصلاة لوقتها فان أدركتها فصل معهم فانها لك نافلة وقد وقع ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم (ومما أخبر) عنه صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه البزار والطبراني بسند صحيح انه صلى الله عليه وسلم قال يوشك أن يكثر فيكم العجم يأكلون أفياءكم ويضربون رقابكم وقد وقع ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن يعني عظم البدن لكثرة أكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم في عواقب الأمور وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال هلاك أمتي على يد أغيلمة من قريش قال أبو هريرة رضي الله عنه راوي الحديث لو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان وأراد يزيد وبعض بني مروان ولم يسمهم خوف الفتنة وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول أعوذ بالله من رأس الستين وامارة الصبيان فتوفي قبل ذلك وكانت ولاية يزيد عام الستين فعلموا بذلك انه هو الذي أراده أبو هريرة رضي الله عنه وكان ذلك باعلام من النبي صلى الله عليه وسلم وأخبر صلى الله عليه وسلم بظهور القدرية في حديث رواه الترمذي وأبو داود والحاكم وأخبر انهم مجوس هذه الأمة وكذا أخبر بظهور الرافضة في أحاديث رواها البيهقي من طرق متعددة منها قوله صلى الله عليه وسلم يكون في أمتي قوم يسمون الرافضة فارفضوهم وفي رواية فاقتلوهم فانهم مشركون وأخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البغوي وغيره بانها لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها وقد وقع ذلك من كثير من أهل البدع يتناولون كثيرا من الصحابة وأهل البيت وكثير من السفهاء يتعاطون سب كثير من الاولياء كسيدي محيي الدين بن العربي وسيدي عمر بن الفارض رضي الله عنهما فنعوذ بالله من أمثال ذلك فانه من موجبات سوء الخاتمة ونسأل الله أن ينفعنا ببركاتهم وان يحشرنا في زمرتهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الانصار يقلون حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولي منكم شيأ يضر فيه قوما وينفع آخرين فليقبل

أحسن الحلل ثم تلوت عليهم قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده قالوا فما جاء بك قلت جئتكم من عند أمير المؤمنين ومن عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عند المهاجرين والانصار لابلغكم ما يقولون فما تنقمون من على ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره قال فاقبل بعضهم على بعض فقال بعضهم لا تكلموه فان الله تعالى يقول بل هم قوم خصمون وقال بعضهم ما يمنعنا من كلام ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يدعونا الى كتاب الله قالوا ننقم عليه خلالا ثلاثا قال وما هي قالوا حكم الرجال في أمر الله وما للرجال وحكم الله وقاتل ولم يسب ولم يغنم يعنون في قتاله أهل الجمل فان كان من قاتل قد حل قتالهم فقد حل سبيهم وان لم يكن حل سبيهم فما يحل قتالهم ومحا من اسمه أمير المؤمنين فان لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير المشركين

من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم وقال لهم انكم ستلقون أثرة بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الحوض
فكان ذلك كله كما أخبر صلى الله عليه وسلم وأخبر بشأن الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه وبيان
ذلك في أحاديث رواها الشيخان وغيرهما أنه أخبر بأن آيتهم رجل اسود احدى ثدييه مثل ثدي المرأة ومثل
البضعة تدردر فلما قاتلهم علي رضي الله عنه خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا ذا الثدية فطلبوه
فوجدوه تحت القتلى فجاؤا به فقال شقوا قميصه فلما رأى احدى ثدييه مثل ثدي المرأة عليه شعرات سجد
شكرا لله اذ صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم انه رضي الله عنه على الحق وهم على الباطل أي زاده ذلك
يقينا وأخبر ان سيماهم التحليق أي حلق رؤسهم ولم يكن في الصدر الاول حلق الرؤس الا في نسك وأخبر
صلى الله عليه وسلم ان من أشراط الساعة ان ترى رعاء الشاء رؤس الناس والعراة الحفاة يتطاولون في
البنيان وهذا كناية عن توسع من لا قدرة له في الدنيا عليها وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله
(ومما أخبر عنه) من المغيبات ما رواه الشيخان ان قريشا لا يغزونه بعد غزوة الاحزاب وانه هو الذي
يغزوهم فكان كذلك وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم أخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت
المقدس والموتان على زنة البطلان والمراد منه الموت الكثير فكان ذلك في خلافة عمر رضي الله عنه بعد فتح
بيت المقدس ويسمى طاعون عمواس بفتحتين قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكر المسلمين وهو أول
طاعون وقع في الاسلام مات فيه سبعون ألفا في ثلاثة أيام وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال أتيت
النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت
المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين وهو داء تموت به الغنم ثم استفاضة
المال وفتنة وهدنة بينكم وبين بني الاصفر وروى أبو داود عن أنس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال
له يا أنس ان الناس يمصرون أمصارا وان مصرا منها يقال لها البصرة فان أنت مررت بها أو دخلتها فاياك
وسباخها وكلاءها وسوقها وباب أمرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف ومسخ
وضواحيها نواحيها وكلاؤها بشد اللام مرسى سفنها ففي هذا الحديث من اعلام نبوته ومن الاخبار بالغيب
ما لا يخفى فاستمصرت البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه سنة سبع عشرة بناها عتبة بن غزوان رضي الله عنه
وسكنت سنة ثماني عشرة وكان أنس رضي الله عنه ممن سكنها ومن شرفها أنه لم يعبد بها صنم (ومن أخباره)
صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الشيخان ان أمته يغزون في البحر كالملوك على الاسرة ولم يكن ذلك في حياته
صلى الله عليه وسلم فكان ذلك كما أخبر والحديث مروي في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن خالته
أم حرام بنت ملحان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام عندها يوما ثم استيقظ صلى الله عليه وسلم وهو
يتبسم فقالت له ما أضحكك يا رسول الله فقال أناس من أمتي عرضوا علي يركبون ثبج البحر أي وسطه كالملوك
على الاسرة قالت أدع الله أن يجعلني منهم فدعا لها ثم نام فرأى مثل ذلك فسألته فقال لها مثل ما قال أولا فقالت
ادع الله أن يجعلني منهم فقال لها أنت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه
مع المسلمين الغزاة مع معاوية في خلافة عثمان رضي الله عنهما فركبوا البحر فلما رجعوا قربوا لها دابة
لتركبها فوقعت وماتت شهيدة رضي الله عنها وكان عمر رضي الله عنه يمنع الناس من ركوب البحر فلما سمع
هذا الحديث أذن للناس في ركوبه وأم حرام رضي الله عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف يزار وأخبر صلى
الله عليه وسلم ان الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من أبناء فارس وقد حقق الله ذلك بسلمان الفارسي
والامام أبي حنيفة والبخاري وأمثالهم رضي الله عنهم وظهر فيهم من الاولياء والعلماء والتصانيف ما لا يعد
ولا يحصى وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال هاجت ريح والنبي صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته
أي وهي غزوة تبوك وقيل غزوة بني المصطلق فقال انها هاجت لموت منافق يعني رفاعة بن زيد بن التابوت
وكان من عظماء اليهود كهف المنافقين وكان بالمدينة فلما رجعوا وجدوا ذلك كما أخبر صلى الله عليه وسلم
ووجدوا هلاكه وقت اخباره صلى الله عليه وسلم وروى الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله عنه أنه صلى الله

قال فقلت لهم هل غير هذا
قالوا حسبنا هذا قال فقلت
أرأيتم ان خرجت من هذا
بكتاب الله وسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم راجعون أنتم
قالوا وما يمنعنا من الرجوع
قلت أما تحكيم الرجال في
أمر الله فاني سمعت الله
عز وجل يقول في كتابه
يحكم به ذوا عدل منكم في
ثمن صيد أرنب ونحوه
ويكون قيمته ربع درهم
فرد الحكم فيه الى الرجال
ولو شاء أن يحكم لحكم
وقال تعالى وان خفتم
شقاق بينهما فابعثوا حكما
من أهله وحكما من أهلها
ان يريدا اصلاحا يوفق الله
بينهما أخرجت من هذه
قالوا نعم قلت وأما قولكم
قاتل ولم يسب ولم يغنم فانه
قاتل أمكم وقد قال الله
تعالى النبي أولى بالمؤمنين
من أنفسهم وأزواجه
أمهاتهم فان زعمتم أنها
ليست بأمكم فقد كفرتم
وان قلتم انها أمكم فما حل
سباها أخرجت من هذه
قالوا نعم قلت وأما قولكم

عليه وسلم قال يوما لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار مثل أحد قال أبو هريرة رضي الله عنه فذهب القوم كلهم أي ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة ولم يعينه لكراهته أو طلبا للستر وروى أبو داود والنسائي عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بالذي غل خرزا من خرز يهود خيبر وكان قد توفي فأخبر صلى الله عليه وسلم به ليصلي عليه فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس فقال ان صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشوا متاعه وما معه فوجدت تلك الخرزات التي غلها في رحله وروى البيهقي أن ناقته صلى الله عليه وسلم ضلت فطلبها الناس فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد أنه يعلم الغيب ولا يعلم خبر ناقته ألا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل وأخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ما أزعم أني أعلم الغيب وما أعلمه ولكن الله أخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي فهي في الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا فخرجوا يسعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاؤا بها وآمن ذلك المنافق وهو زيد بن اللصيب (ومن أخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب ما أعلم به أصحابه حين تجهز عام الفتح وقد أراد اخفاءه أمره من ان حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه كتب الى أهل مكة يعلمهم بمسيره صلى الله عليه وسلم اليهم وأخفى الكتاب وبعث به مع امرأة وقال لها أخفيه ما استطعت وقال صلى الله عليه وسلم لعلي والزبير والمقداد رضي الله عنهم انطلقوا الى روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فأتوني به فانطلقوا وجاؤا بالكتاب فسأل صلى الله عليه وسلم حاطبا فاعتذر وحلف أنه ما فعل ذلك نفاقا ولا ارتدادا فقبل صلى الله عليه وسلم عذره كما تقدم ذلك مبسوطا في غزوة الفتح (ومما أخبر به) صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما أظهره صلى الله عليه وسلم من شأن عمير بن وهب بن خلف لما قدم المدينة وأظهر أنه جاء اطالب فك ابنه وهب من الاسر وقد توافق مع صفوان بن أمية في الحجر على أن صفوان يتحمل دينا كان عليه وهو يتوجه الى المدينة لقتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدم المدينة سأله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك قال جئت لهذا الاسير فأحسنوا فيه فقال صلى الله عليه وسلم بل قعدت أنت وصفوان بالحجر وذكرتما أصحاب القليب وقلت لولا دين علي وعيالي خرجت الى محمد حتى أقتله فتحمل دينك وعيالك وجئت لتقتلني فقال أشهد أنك رسول الله وقد كان كذلك وهذا أمر لم يحضره الا أنا وصفوان فوالله اني لأعلم انه ما أتاك به الا الله فالحمد لله الذي هداني للاسلام أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم فقهوا أخاكم وتقدم ذلك في غزوة بدر عند تعداد الاسراء (ومن اخباره) بالغيب قوله صلى الله عليه وسلم لابي بن خلف أنا أقتلك ان شاء الله حين قال له أبي عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا أقتلك عليها وقد حقق الله قول نبيه صلى الله عليه وسلم فانه قتل أبيا يوم أحد كما تقدم في غزوة أحد (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وذكرهم واحدا واحدا مشيرا الى مصارعهم فصرعوا كذلك ما تجاوز أحد منهم موضعه الذي أشار اليه (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الشيخان وغيرهما من قوله صلى الله عليه وسلم في الحسن بن علي رضي الله عنهما ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك وذلك أنه لما قتل علي كرم وجهه بايع الناس الحسن على الموت وكان الذين بايعوه أكثر من أربعين ألفا وكانوا أطوع له وأحب من أبيه فبقي نحو سبعة أشهر خليفة بالعراق وخراسان وما وراء النهر ثم سار الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءى الجمعان بناحية الانبار علم الحسن رضي الله عنه أنه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين وعلم معاوية رضي الله عنه مثل ذلك فسعى بينهما جماعة بالصلح وأرسل له معاوية رضي الله عنه رقا أبيض وقال اكتب فيه ما شئت وأنا ألتزمه فاصطلحا على ان الحسن يفوض الامر له بشرط أن لا يطالب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشئ كان في أيام أبيه فأجابه معاوية رضي الله عنه الى ذلك واشترط أن يكون الامر له بعد معاوية فالتزم معاوية ذلك كله وحقن الله دماء المسلمين وحقق الله قول نبيه صلى الله عليه وسلم ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به وفي رواية

محا من اسمه أمير المؤمنين فاني أنشدكم بذلك هل ترضون أما تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقد جرى الكتاب بينه وبين سهيل ابن عمرو وقال يا علي اكتب هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيل ابن عمرو فقال لو نعلم انك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاتلناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فقال اللهم انك تعلم اني رسول الله ثم أخذ الصحيفة فمحاها بيده ثم قال اكتب يا علي هذا ما صالح عليه محمد ابن عبد الله سهيل بن عمرو فوالله ما أخرجه الله بذلك من النبوة أخرجت من هذه قالوا نعم فرجع كثير منهم وبقي الباقون وهم على الضلالة وانصرفوا الى النهروان مع من انحازوا بها وقتلوا معهم كما سيأتي وقيل ان عليا رضي الله عنه جاءهم أيضا بنفسه وابن عباس يكلمهم فقال اللهم هذا مقام من يفلح فيه كان

ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه الشيخان من قوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون وذلك ان سعدا رضي الله عنه مرض بمكة وكان يكره أن يموت بالارض التي هاجر منها واشتد مرضه حتى أشفى أي أشرف على الموت فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده ولم يكن لسعد الا بنت فقال يا رسول الله أوصي بمالي كله قال لا الى ان قال الثلث والثلث كثير وهو حديث مشهور ثم قال له صلى الله عليه وسلم لعلك تخلف أي تعيش حتى ينتفع بك أقوام ويستضر بك آخرون فشفاه الله من ذلك المرض وفتح الله العراق على يديه وهدى الله به أناسا أسلموا على يديه وغنموا معه وأضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبي وكانت المدة التي عاش فيها بعد ذلك المرض نحو خمسين سنة قال النووي فهذا الحديث من المعجزات وقد تحقق ما أخبر به فيه (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه من اخباره صلى الله عليه وسلم بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا وبينه وبينهم مسيرة شهر أو أزيد وذلك أنه بعث جيشا جهة الشام وقال أميركم زيد بن حارثة فان أصيب فجعفر بن أبي طالب فان أصيب فعبد الله بن رواحة فان أصيب فمن يرتضيه المسلمون فلما التقوا مع المشركين كشف الله له عن موضع قتالهم وجاء في رواية أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لي الارض حتى رأيت معركتهم فنعاهم لاصحابه وقال أخذ الراية زيد فاصيب ثم أخذها جعفر فاصيب ثم أخذها ابن رواحة فاصيب وعيناه صلى الله عليه وسلم تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد رضي الله عنه ففتح الله عليهم فلما أتاه يعلي بن أمية رضي الله عنه وكان رسولا من الجيش قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت أخبرني وان شئت أخبرتك فقال أخبرني فاخبره ووصفهم له فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وروى الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بموت النجاشي يوم مات وهو بارضه يعني أرض الحبشة وخرج بهم الى المصلى فصف بهم وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم أخبر رسول كسرى بموت كسرى يوم مات فلما تحقق ذلك أسلم وروى الماوردي في اعلام النبوة ان النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بان فيروز الديلمي قتل الاسود العنسي الذي ادعى النبوة بصنعاء فكان كذلك وروى الامام أحمد أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أبا ذر رضي الله عنه بخروجه من المدينة وأنه يعيش وحده ويموت وحده فسكن الربذة في آخر عمره حتى مات بها وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم أخبر ان أسرع زوجاته لحوقا به أطولهن يدا أي من الطول بفتح الطاء وهو الجود والانعام وكانت زينب بنت جحش رضي الله عنها أكثرهن صدقة فكانت أول الزوجات موتا وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم أخبر بقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما بالطف وهو مكان بناحية الكوفة ويعرف بكربلاء وأخرج صلى الله عليه وسلم بيده تربة وقال فيها مضجعه وفي رواية ان جبريل عليه السلام جاءه بها وروى ابن عدي والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال في زيد بن صوحان العبدي رضي الله عنه يسبقه عضو من أعضائه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وروى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال في الذين كانوا معه على حراء حين تحرك بهم وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير أثبت فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير رضي الله عنهم وعد بعضهم سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد مات بالطاعون وهو نوع من أنواع الشهادة وروى البيهقي أنه صلى الله عليه وسلم قال لسراقة بن مالك حين تعرض له في طريقه وهو مهاجر الى المدينة كيف بك اذا لبست سواري كسرى وتقدمت قصة تعرضه للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه أخذ أمانا ثم أسلم عام الفتح رضي الله عنه فلما سلب الله كسرى ملكه في خلافة عمر رضي الله عنه أتي بسواريه لعمر رضي الله عنه فالبسهما سراقة رضي الله عنه تحقيقا لما أخبر به صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى وألبسهما سراقة وكانتا من ذهب وليس هذا من استعمال الذهب المحرم لانه انما فعل ذلك تحقيقا وتصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان يقرهما بعد ذلك ومثل ذلك لا يعد

أولى بالفلاح يوم القيامة ثم قال لهم من زعيمكم قالوا ابن الكوا فقال علي رضي الله عنه ما أخرجكم علينا قالوا حكومتك يوم صفين فقال أنشدكم الله أتعلمون انهم حيث رفعوا المصاحف وقلتم نجيبهم قلت لكم ان ذلك مكر وخديعة فلا تجيبوهم فابيتم الا اجابتهم ثم قال لهم قد اشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فان حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف وان أبيا فنحن عن حكمهما برآء قالوا فخبرنا أترى ان عدلا تحكيم الرجال في الدماء فقال انا لسنا حكمنا الرجال انما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق انما يتكلم به الرجل قالوا فخبرنا عن الاجل لم جعلته بينكم قال ليعلم الجاهل ويتثبت العالم ولعل الله يصلح في هذه الهدنة هذه الامة ادخلوا مصركم فدخلوا من عند آخرهم وجاء في

استدما الاعرما وروى أبو نعيم في الدلائل والخطيب البغدادي في تاريخه أنه صلى الله عليه وسلم قال تبنى مدينة بين دجلة والصراة وهو نهر بالعراق مشهور تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بتلك المدينة وهي بغداد وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من بنائها في الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقي أمر الخسف وسيظهر كما أخبر به صلى الله عليه وسلم وروى الامام أحمد والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي فكانوا يرون أنه الوليد ابن عبد الملك ثم تبين أنه ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان مفتاح أبواب الفتن على هذه الامة وكان سفيها مدمنا للخمر تفاءل يوما في المصحف فخرج له واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فرمى المصحف بالسهام ومزقه وأنشأ يقول أتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر * فقل يارب مزقني الوليد

وفي هذا الحديث معنى لطيف وهو أن فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد بن مصعب فشاركه في التسمية بالوليد وبويع له بعد عمه هشام بن عبد الملك سنة خمس وعشرين ومائة ثم سلط الله عليه الجند فقتلوه ومزقوه بالسلاح كما مزق المصحف ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان دعواهما واحدة وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي ومعاوية رضي الله عنهما وكانت دعواهما في اعتقادهما ودينهما واحدة وهو الاسلام وكل منهما كان مجتهدا وروى البيهقي والحاكم انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في سهيل بن عمرو العامري رضي الله عنه عسى أن يقوم مقاما يسرك يا عمر فكان كذلك فان سهيلا رضي الله عنه قام في أهل مكة يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطبهم وثبتهم نحو قيام أبي بكر رضي الله عنه في أهل المدينة وخطبته لهم وتثبيته اياهم كما تقدم بيان قيام سهيل لاهل مكة عند ذكره في جملة أسرى بدر وروى ابن اسحق والبيهقي انه صلى الله عليه وسلم قال لخالد بن الوليد رضي الله عنه حين أرسله لاكيدر دومة انك تجده يصيد البقر فخرج خالد بن الوليد ومعه أربعمائة وعشرون فارسا فأتوه في ليلة مقمرة فوجدوه يصطاد بقر الوحش هو وأخوه حسان فشدوا عليهما فقتلوا أخاه حسان وأسروا أكيدر فقدموا به على النبي صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله ومات على نصرانيته وقيل أسلم وعده ابن منده وأبو نعيم في الصحابة والله أعلم (ومن اخباره) صلى الله عليه وسلم بالغيب ما كان يخبر به أصحابه عن المنافقين مما أسروه وأخفوه ببواطنهم من النفاق والكفر ومن أقوالهم فيه صلى الله عليه وسلم وفي المؤمنين حتى ان بعضهم كان يقول لصاحبه أسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء وتقدم في قصة فتح مكة انه صلى الله عليه وسلم أمر بلالا رضي الله عنه أن يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحرث بن هشام رضي الله عنهم جلوس بفناء الكعبة قبل أن يتمكن الاسلام في قلوبهم فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا اذ لم ير هذا اليوم وقال الحرث أما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الاسود فقال أبو سفيان لا أقول شيا ولو تكلمت لاخبرته هذه الحصباء فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال علمت الذي قلتم وذكر مقالتهم فقال الحرث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك (ومن اخباره بالغيب) ما في الصحيحين من اعلامه صلى الله عليه وسلم بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم اليهودي وانه في مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وأنه في بئر ذروان والمشاطة ما يسقط من الشعر والجف وعاء الطلع الذي يكون عليه كالغشاء فكان كما قال صلى الله عليه وسلم ووجد على تلك الصفة فارسل صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه فاستخرجوه وصار ماء البئر كنقاعة الحناء وروى البيهقي وغيره انه صلى الله عليه وسلم أعلم عمه أبا طالب بأكل الارضة ما في صحيفة قريش التي تظاهروا بها على بني هاشم حين امتنعوا من تسليم النبي صلى الله عليه وسلم لقريش يقتلونه وان الارضة أبقت فيها اسم الله تعالى فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم وتقدمت القصة في ابتداء البعثة بتمامها * هذا كله مع ما أخبر به من الحوادث التي تكون بعده فجاء كثير منها كما أخبر

رواية انه لما قال لهم قلت لكم ان ذلك مكر وخديعة فلا تجيبوهم فابيتم الا اجابتهم قالوا له صدقت قد كنا كما ذكرت وكان ذلك كفرا منا وقد تبنا الى الله فتب كما تبنا حتى نبايعك والا فنحن مخالفون * وزعمت الخوارج انهم بايعوه بعد ذلك وقال ادخلوا فلنمكث ستة أشهر حتى نجبي المال ويسمن الكراع ثم نخرج الى عدونا وقد كذب الخوارج فيما زعموا هذا كله كان قبل اجتماع الحكمين فلما اجتمع الحكمان وصار من أمرهما ما تقدم ذكره وانصرف أبو موسى الى مكة ورجع ابن عباس رضي الله عنهما ومن معه الى البصرة قام علي رضي الله عنه بالكوفة وخطب الناس وقال في خطبته ان هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهرهما وأحييا ما أمات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من

وبقي بعض سيظهر كما أخبر صلى الله عليه وسلم فما أخبر به مما يكون بعده مارواه البخاري في صحيحه عن أبي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء
أعناق الابل ببصرى أي وهي مدينة معروفة بالشام وهي مدينة حوران بينها وبين دمشق نحو ثلاث مراحل
وفي كامل ابن عدي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يسيل
واد من أودية الحجاز بالنار تضيء له أعناق الابل ببصرى قال الحافظ ابن حجر في شرحه على البخاري وكذلك
العلامة القسطلاني وهذا ينطبق على النار التي ظهرت بالمدينة في المائة السابعة وتقدمتها زلزلة وكان
ابتداؤها يوم الاحد مستهل جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وستمائة وقيل ابتدأت يوم الثلاثاء
ثالث الشهر المذكور وجمع بان الاول نظر لابتدائها الخفي على بعض الناس والثاني نظر الى ظهورها
للخاص والعام واشتدت حركتها وعظمت رجفتها وارتجت الارض بمن عليها وعجت الاصوات لبارئها تتوسل
ان ينظر اليها ودامت حركة بعد حركة حتى أيقن أهل المدينة بالهلكة وزلزلوا زلزالا شديدا فلما كان يوم
الجمعة في نصف النهار ثار في الجو دخان متراكم أمره متفاقم ثم شاع شعاع النار وعلا حتى غشي الابصار ونقل
العلامة القسطلاني عن القرطبي في تذكرته انه كان بدؤها زلزلة عظيمة ليلة الاربعاء ثالث جمادى الآخرة
سنة أربع وخمسين وستمائة وان النار تزايدت الى ضحى يوم الجمعة فسكنت بقريظة عند قاع التنعيم بطرف
الحرة ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط بها عليه شراريف كشراريف الحصون وأبراج ومآذن
ويرى رجال يقودونها لا تمر على جبل الا دكته وأذابته ويخرج من مجموع ذلك نهر أحمر ونهر أزرق له دوي
كدوي الرعد يأخذ الصخور والجبال بين يديه وينتهي الى محط الركب العراقي فاجتمع من ذلك ردم
صار كالجبل العظيم وانتهت النار الى قرب المدينة وكان يأتي المدينة ببركة النبي صلى الله عليه وسلم نسيم بارد
ويشاهد من هذه النار غليان كغليان البحر وانتهت الى قرية من قرى اليمن فاحرقتها قال القرطبي وقال لي
بعض أصحابنا لقد رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام من المدينة وسمعت أنها رؤيت من مكة ومن
جبال بصرى وقال أبو شامة وردت كتب من المدينة في بعضها أنه ظهرت نار بالمدينة انفجرت من الارض
وسال منها واد من نار حتى حاذى جبل أحد وفي آخر سال منها واد مقداره أربعة فراسخ وعرضه أربعة أميال
يجري على وجه الارض يخرج منها مهاد وجبال صغار قال السيد السمهودي في تاريخ المدينة ان النفوس
حينئذ سكرت من حلول الوجل وفنيت من نزول الاجل وعج المجاورون بالجؤار بالاستغفار وعزموا على
الاقلاع عن الاصرار وعلى التوبة عما اجترحوا من الاوزار وفزعوا بالصدقة بالاموال ونالهم من الخوف
والفزع ما لا يمكن ذكره وحصره ثم صرفها الله عنهم ذات اليمين وذات الشمال وظهر حسن بركة نبينا صلى الله
عليه وسلم في أمته ويمن طلعته في رفقته بعد فرقته وفي المواهب ان مدة اقامة تلك النار اثنان وخمسون
يوما وكان انطفاؤها في السابع والعشرين من شهر رجب ليلة الاسراء والمعراج وفي شرح البخاري للعلامة
القسطلاني فقد ظهر ان النار المذكورة في حديث الباب هي النار التي ظهرت بنواحي المدينة كما فهمه
القرطبي وغيره وكذلك قال النووي في شرح مسلم وكان ظهورها في أيامه وقد تضمن الحديث ثلاثة أمور
خروجها من الحجاز وسيلان واد منه بالنار وقد وجدا وأما الثالث وهو اضاءة أعناق الابل ببصرى قال العلامة
القسطلاني فقد جاء من أخبر به فاذا ثبت هذا فقد صحت الامارات وتمت العلامات ثم ذكر أنه جاء من أخبر أنه
أبصرها من تيماء وبصرى على مثل ما هي عليه بالمدينة فتعين أنها المراد وارتفع الشك والعناد وأما النار
التي تسوق الناس الى أرض المحشر فنار أخرى لم تظهر الى الآن وهي تخرج من قعر عدن *(ومن اخباره)*
صلى الله عليه وسلم عما سيقع ما رواه أبو داود في سننه من قوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب
يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن ذلك اخباره باشراط الساعة
وظهور المهدي وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وخروج
الدابة وذكر الحشر والنشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيامة وغير ذلك

الله فحكما بغير حجة بينة ولا
سنة ماضية فاستعدوا
وتأهبوا للمسير الى الشام
وأصبحوا في معسكركم ان
شاء الله يوم الاثنين ثم نزل
وكتب للخوارج بسم الله
الرحمن الرحيم من عبد الله
علي بن أبي طالب الى زيد
ابن حصين وعبد الله بن
وهب ومن معهما من
الناس أما بعد فان هذين
الرجلين اللذين ارتضيناهما
حكمين قد خالفا كتاب الله
واتبعا هواهما فلم يعملا
بالسنة ولم ينفذا القرآن
حكما فاذا بلغكم كتابي هذا
فأقبلوا الينا فانا سائرون
الى عدونا وعدوكم ونحن
على الامر الذي كنا عليه
فكتبوا له أما بعد فانك لم
تغضب لربك وانما غضبت
لنفسك فان شهدت على
نفسك بالكفر واستقبلت
التوبة نظرنا فيما بيننا
وبينك والا فقد نبذناك
على سواء ان الله لا يحب
الخائنين فلما قرأ كتابهم
أيس منهم ورأى أن يدعهم
ويمضي بالناس حتى يلقى

وحسبك هذا الفصل أن يكون مؤلفا مفردا يشتمل على أجزاء وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

(ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم ما فضله الله به زائدا على غيره من كمال خلقته وجمال صورته ونهاية قوته وفرط شجاعته ووفور علمه وعظيم حلمه وكل ما أكرمه الله به وميزه به على غيره من الاخلاق الزكية والاوصاف المرضية ومعرفة ذلك كله من تمام الايمان فان من الايمان التصديق بان الله تعالى جعل خلق بدنه الشريف على هيئة لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمي مثله فكل ما يشاهد من بدنه صلى الله عليه وسلم آيات ومعجزات لمن شاهده وهي تدل على عظيم أخلاق باطنه فان المشاهد الظاهرة تدل على الباطن وذلك الباطن دليل على ما أودع في قلبه من العلوم والمعارف ولله در الابوصيري حيث يقول

فهو الذي تم معناه وصورته * ثم اصطفاه حبيبا بارئ النسم

منزه عن شريك في محاسنه * فجوهر الحسن فيه غير منقسم

يعني حقيقة الحسن الكامل كائنة فيه وهي غير منقسمة بينه وبين غيره لانه الذي تم معناه وصورته دون غيره والمراد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى أعلى الصفات اللائقة بالبشر وشاركه غيره في الاتصاف ببعضها فيكون ذلك البعض مشتركا وتميز المصطفى صلى الله عليه وسلم بالزيادة التي لم يؤتها غيره وأما قوله صلى الله عليه وسلم أعطى يوسف شطر الحسن فالمراد منه أنه أوتي شطر الحسن الذي أوتيه نبينا وفي الاثر ان خالد بن الوليد رضي الله عنه خرج في سرية من السرايا فنزل ببعض الاحياء فقال له سيد ذلك الحي صف لنا محمدا فقال أما أني أفصل فلا أي لان صفاته لا يمكن الاحاطة بها فقال الرجل أجمل فقال خالد رضي الله عنه الرسول على قدر المرسل أي على حالة تليق به وهو رسول الله بعثه لتبليغ أحكامه فمن لازمه أنه بالغ الغاية فكل ما تصوره من كمال دون ما ثبت له فان الملك اذا بعث رسولا لقضاء مارب ما انما يرسل من يقدر على ذلك بحيث يكون ذا مرتبة شريفة وتصرف تام ولا يلزم منه مساواته لبقية الرسل لان عموم رسالته ونسخها الشرائع من قبله يقتضي رتبة زائدة عليهم فمن ذا الذي تصل قدرته الى معرفة ما أعطى صلى الله عليه وسلم وفي المواهب نقلا عن القرطبي عن بعضهم أنه قال لم يظهر لنا تمام حسنه صلى الله عليه وسلم لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما أطاقت أعيننا رؤيته صلى الله عليه وسلم لعجزنا عن ذلك ولقد أحسن الابوصيري رحمه الله حيث قال

أعيا الورى فهم معناه فليس يرى * في القرب والبعد منه غير منفحم

كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتكل الطرف من أمم

وهذا مثل قوله في الهمزية انما مثلوا صفاتك للنا * س كما مثل النجوم الماء

يعني أن واصفيه لم يبلغوا حقيقته صلى الله عليه وسلم لانهم لم يحيطوا بها وانما غاية ما وصلوا اليه تصوير صورها الحاكية لمبادئها كما أن الماء يحكي الاجرام صورها لا غير ولنشرع في ذكر جملة من أوصاف ذاته الشريفة فنقول أما وجهه الشريف فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسنهم خلقا وروى الترمذي والامام أحمد والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه ومعناه أن جريان الشمس في فلكها كجريان الحسن في وجهه أي ان شدة النور والبريق واللمعان يعم جهة الشريف ولا تختص ببعض منه دون باقيه فهو شبيه بجريان الشمس في فلكها ولله در القائل

لم لا يضيء بك الوجود وليله * فيه صباح من جمالك مسفر

فبشمس حسنك كل يوم مشرق * وببدر وجهك كل ليل مزهر

وفي البخاري سئل البراء بن عازب رضي الله عنهما أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل القمر فكأن السائل أراد مثل السيف في الطول فرد عليه البراء ردا بليغا فقال بل مثل القمر أي في التدوير أو ان السائل أراد مثل السيف في اللمعان والصقالة فقال بل فوق ذلك وعدل الى التشبيه

أهل الشام فيناجزهم فقام خطيبا في أهل الكوفة وحثهم ورغبهم في المسير لقتال أهل الشام وكتب الى ابن عباس وهو عامله على البصرة أن يبعث اليه أهل البصرة وقال أقم أنت في عملك حتى يأتيك أمري وأرسل الى عامله بالمدائن أن يبعث من كان عنده من الناس فاجتمع الناس من كل وجه وبلغ عليا رضي الله عنه ان ناسا يقولون لو سار بنا الى قتال الخوارج فاذا فرغنا منهم توجهنا لقتال أهل الشام فقال لهم بلغني انكم قلتم كيت وكيت وان غير هؤلاء الخوارج أهم الينا فنادوه الناس ان سر بنا يا أمير المؤمنين حيث أحببت نحن حزبك وأنصارك نعادي من عاداك ونوالي من أناب الى طاعتك من كانوا وأينما كانوا فانك ان شاء الله لن تؤتى من قلة عدد وضعف نية أتباع وكانت الخوارج قد ظهرت منهم أشياء توجب ان الناس

بالقمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان فهو رد لتوهم السائل أن لمعانه كلمعان السيف بانه وان شاركه في اللمعان لكن لمعان الوجه الشريف لا يساويه شئ وقال بعضهم يحتمل أن السائل سأل عنهما جميعا ففي هذا الحديث اشارة الى أن التشبيه ممن لا يحسنه لا يليق الاقرار عليه لان السائل شبه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف ولو شبهه بالقمر لكان أولى فلذلك رد عليه البراء فقال بل مثل القمر وأبدع في تشبيهه لان القمر يملأ الارض بنوره ويؤنس كل من يشاهده ونوره من غير حر يفزع ولا ثقل في العين يضعفها والناظر الى القمر متمكن من النظر بخلاف الشمس فان النظر اليها يحصل للبصر منه كلال وضعف وروى مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما أن رجلا قال له أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر والمراد أنه مثل الشمس في البهاء والاشراق ومثل القمر في الاستدارة والنور فقد كان مستدير الاطويلا والمراد الاستدارة مع الاسالة كما في حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أسيل الخدين وفي حديث عن علي رضي الله عنه كان في وجهه تدوير أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل ولم يكن كثير السمن ولا نحيفا والمراد أنه ما كان في غاية التدوير بل كان فيه سهولة وهي أحلى عند العرب وغيرهم من كل ذي ذوق سليم وطبع قويم فالمقصود تشبيهه بمحاسن كل حسن وروى الترمذي عن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة وعليه حلة حمراء فجعلت أنظر اليه والى القمر فلهو في عيني أحسن من القمر وفي رواية بعد قوله حمراء فجعلت أماثل بينه وبين القمر فهو عندي أحسن من القمر وروى البخاري عن كعب بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه وقالت عائشة رضي الله عنها دخل على النبي صلى الله عليه وسلم يوما مسرورا تبرق أسارير وجهه وهي جمع أسرار جمع سر بكسر السين وهي الخطوط التي في الجبهة تبرق عند الفرح ولذلك قال كعب كأنه قطعة قمر اشارة الى موضع الاستنارة وهو الجبين وهذه الاستنارة التي تحصل عند السرور زائدة على ما هو موجود قبل من النور والبهاء المشبه بضياء الشمس ونور القمر وروى الطبراني عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال التفت الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه مثل شقة القمر وهي بكسر الشين قطعة القمر وهذا محمول على صفته عند الالتفات او أنه كان متلثما فلا ينافي أن وجهه كله يوصف بتلك الاستنارة وقد أخرج الطبراني حديث كعب بن مالك رضي الله عنه من طرق في بعضها كأنه دارة قمر وروى أبو نعيم عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كدارة القمر وروى البيهقي عن امرأة من همدان نسي اسمها بعض الرواة قالت حججت مع النبي صلى الله عليه وسلم فرأيته على بعير له يطوف بالكعبة بيده محجن عليه البردان يكاد يمس شعره منكبه اذا مر بالحجر استلمه بالمحجن ثم يرفعه الى فيه فيقبله قال أبو اسحق البيهقي الراوي عنها فقلت لها شبهيه فقالت كالقمر ليلة البدر لم أر قبله ولا بعده مثله وروى الدارمي والبيهقي وأبو نعيم والطبراني عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال قلت للربيع بنت معوذ رضي الله عنهما صفي لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لو رأيته لقلت الشمس طالعة وروى مسلم عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي الصحابي رضي الله عنه وهو آخر الصحابة موتا ولد عام الهجرة وتوفي عام مائة حدث يوما في آخر عمره فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بقي على وجه الارض أحد رآه غيري فقيل له صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان أبيض مليح الوجه وروى الترمذي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سألت خالي هند بن أبي هالة وهو أخو السيدة فاطمة رضي الله عنها من أمها خديجة رضي الله عنها وأبوه أبو هالة واسمه النباش وقيل مالك وقيل زرارة وكانت خديجة متزوجة به قبل النبي صلى الله عليه وسلم ثم مات عنها وأما هند ابنه فصحابي رضي الله عنه أسلم وهاجر وقتل سنة ست وثلاثين يوم الجمل وهو مع علي رضي الله عنه وهو خال الحسن والحسين رضي الله عنهما قال الحسن بن علي رضي الله عنهما كان خالي هند بن أبي هالة وصافا لحلية النبي صلى الله عليه وسلم وكنت أشتهي أن يصف لي منها شيئا أتعلق به فقال

يعتدون بقتالهم قبل قتال أهل الشام منها ان الطائفة الخارجة من البصرة حين دنت من النهروان رأى عصابة منهم رجلا يسوق امرأة على حمار فدعوه فانتهروه فأفزعوه وقالوا له من أنت قال أنا عبد الله بن خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أفزعناك قال نعم قالوا لا روع عليك حدثنا عن أبيك حديثا سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفعنا به فقال حدثني أبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي فيها مؤمنا ويصبح كافرا ويصبح كافرا ويمسي مؤمنا قالوا لهذا الحديث سألناك فما تقول في أبي بكر وعمر فأثنى عليهما خيرا قالوا ما تقول في عثمان في أول خلافته وفي آخرها قال انه كان محقا في أولها وفي آخرها قالوا فما تقول في علي قبل التحكيم وبعد

لى يوما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما أى عظيما فى نفس الامر معظما فى صدور الصدور
وعيون العيون يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقالت أم معبد حين وصفته لزوجها مبلج الوجه تعنى
مشرقه مضيئه ومنه تبلج الصبح اذا أسفر قال فى المواهب وما أحسن قول السيد على وفا رضى الله عنه حيث قال

ألا يا صاحب الوجه المليح * سألتك لا تغيب فانت روحى * متى ما غاب شخصك عن عيانى
وجعت فلا ترى الا ضريحى * بحقك جد لزوارك يا حبيبى * وداوى لوعة القلب الجريح
ورق لمغرم فى الحب أمسى * وأصبح فى الهوى دنفا طريح
محب ضاق بالاشواق ذرعا * وآوى منك للكرم الفسيح

وفى المواهب نقلا عن النهاية لابن الاثير أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا سر فكان وجهه المرآة وكأن الجدر
تلاحك وجهه والملاحكة شدة الموافقة والمراد أنه يرى شخص الجدر فى وجهه صلى الله عليه وسلم لشدة
ضيائه وقول ابن أبى هالة رضى الله عنه فى حديثه المتقدم يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فيه تشبيه
وجهه الشريف بالبدر وهو أبلغ فى العرف من التشبيه بالقمر لان البدر هو القمر وقت كماله وكان عمر بن
الخطاب رضى الله عنه كما رأى النبى صلى الله عليه وسلم يتمثل بهذا البيت

لو كنت من شئ سوى بشر * كنت المنور ليلة البدر

وقد صادف تشبيهه صلى الله عليه وسلم معناه الحقيقى أيضا فمن أسمائه صلى الله عليه وسلم البدر فقد روى
ان الله قال لموسى صلى الله عليه وسلم ان محمدا هو البدر الباهر والنجم الزاهر والبحر الزاخر ولهذا أنشد نساء
الانصار لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة فى الهجرة ومن غزوة تبوك

طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

وما أحسن قول ابن الحلاوى فى صفته صلى الله عليه وسلم

يقولون يحكى البدر فى الحسن وجهه * وبدر الدجى عن ذلك الحسن بمنحط
كما شبهوا غصن النقا بقوامه * لقد بالغوا فى المدح للغصن واشتطوا

أى فقد حصل للبدر والغصن غاية فى الفخر بهذا التشبيه على أن هذه التشبيهات الواردة فى صفاته صلى الله
عليه وسلم انما هى على عادة الشعراء والعرب والا فلا شئ فى هذه التشبيهات المحدثات يعادل صفاته الخلقية
والخلقية ولله در سيدى محمد وفا رضى الله عنه حيث قال

كم فيه للابصار حسن مدهش * كم فيه للارواح راح مسكر * سبحان من أنشاه من سبحانه
بشرا بأسرار الغيوب يبشر * قاسوه جهلا بالغزال تغزلا * هيهات يشبهه الغزال الاحور
هذا وحقك ماله من مشبه * وأرى المشبه بالغزالة يكفر * يأتى عظيم الذنب فى تشبيهه
لولا لرب جماله يستغفر * طلب الملاح بحسنه وجماله * وبحسنه كل المحاسن تفخر
فجماله مجلى لكل جميلة * وله منار كل وجه نير * جنات عدن فى جنى وجناته
ودليله أن المرشف كوثر * هيهات ألهو عن هواه بغيره * والغير فى حشر الاجانب يحشر
كتب الغرام على فى أسفاره * كتبا تؤول بالهوى وتفسر * فدع الدعى وما ادعاه فى الهوى
* فرعيه بالهجر فيه تهجر *

وقوله بالهجر هو بضم الهاء الهذيان والتخليط والتهجر الاذى والهلاك ويقال تهجر سار وقت
الهاجرة أى شدة الحر فكانه قال مدعى المحبة بمجرد اللفظ شبيه بالسائر فى شدة الحر فاتعب نفسه وآذاها
بما يلام عليه عاجلا وآجلا * (وأما بصره الشريف) * صلى الله عليه وسلم فقد وصفه الله فى كتابه العزيز بقوله
تعالى ما زاغ البصر وما طغى أى ما مال بصره عما رآه ليلة الاسراء وما تجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا أو ما عدل عن
رؤية العجائب التى أمر برؤيتها وما جاوزها وقد قال تعالى فى علة الاسراء لنريه من آياتنا فقوله تعالى ما زاغ
البصر وما طغى يفيد أنه صلى الله عليه وسلم أعطى قوة البصر بحيث أنه لا يحصل له تخيل فى شئ رآه حتى يكون

التحكيم قال انه أعلم بالله
منكم وأشد توقيا على دينه
وأنفذ بصيرة قالوا انك تتبع
الهوى وتوالى الرجال على
أسمائها لا على أفعالها
والله لنقتلنك قتلة ما قتلناها
أحدا فأخذوه وكتفوه ثم
أقبلوا به وبامرأته وهى
حبلى متم حتى نزلوا تحت
نخل بواقر فسقطت منه
رطبة فأخذها أحدهم
فتركها فى فيه فقال آخر
أخذتها بغير حلها وبغير ثمنها
فألقاها ثم مر بهم خنزير
لاهل الذمة فضربه
أحدهم بسيفه فقالوا له
هذا فساد فى الارض فلقى
صاحب الخنزير فأرضاه فلما
رأى ذلك منهم ابن خباب
قال لئن كنتم صادقين فيما
أرى فما على بأس منكم
انى مسلم ما أحدثت فى
الاسلام حدثا ولقد
أمنتمونى قلتم لا روع عليك
فاضجعوه فذبحوه فسال دمه
فى الماء فأقبلوا على المرأة
فقالت المرأة ألا تتقون الله
فبقروا بطنها وقتلوا ثلاث
نسوة من طيئ وقتلوا أم

على خلاف الواقع بل حتى تعلق بمبصر أدركه على ما هو به فى الواقع وان كان فى غاية الخفاء وروى البيهقى
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار
فى الضوء والمعنى ان رؤيته فى النهار الصافى والليل المظلم متساوية لان الله تعالى لما رزقه الاطلاع بالباطن
والاحاطة بادراك مدركات القلوب جعل له مثل ذلك فى مدركات العيون وروى البيهقى وابن عدى عن عائشة
رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى فى الظلماء كما يرى فى الضوء وصح أنه صلى الله عليه
وسلم كان يرى المحسوس من وراء ظهره كما يراه من أمامه فقد روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله
عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتى ههنا فوالله ما يخفى على ركوعكم ولا سجودكم وفى رواية ما يخفى
على خشوعكم ولا ركوعكم انى لاراكم من وراء ظهرى وفى رواية لمسلم عن أنس رضى الله عنه أنه صلى الله
عليه وسلم قال أيها الناس انى امامكم فلا تسبقونى بالركوع ولا بالسجود فانى أراكم من أمامى ومن خلفى
وعن مجاهد انه صلى الله عليه وسلم كان يرى من خلفه من الصفوف كما يرى من بين يديه وهذه الرؤية رؤية ادراك
وابصار حقيقية خاصة به صلى الله عليه وسلم انخرقت له فيها العادة فهى من المعجزات والرؤية عند أهل
السنة لا تتوقف عقلا على مقابلة ولا على انفصال أشعة من الرائى متصلة بالمرئى نعم ذلك شرط بحسب العادة
وقد خرق الله العادة لنبيه صلى الله عليه وسلم كما يخرقها للمؤمنين يوم القيامة فيرون ربهم من غير شرط من تلك
الشروط ومما يدل على قوة بصره صلى الله عليه وسلم وان الله أعطاه قوة خارقة للعادة أنه كان يرى فى الثريا اثنى
عشر نجما لم يتحقق للناس منها غير ستة أو سبعة فلم ير جميعها غير النبى صلى الله عليه وسلم لقوة جعلها الله
فى بصره ومن قوة بصره صلى الله عليه وسلم أنه كان يرى الملائكة والشياطين ورفع له النجاشى حتى صلى عليه
ورأى بيت المقدس حين وصفه لقريش ورأى الكعبة من المدينة حين بنى مسجده ورأى جبريل فى صورته
وله ستمائة جناح وجاء فى حديث ابن أبى هالة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا التفت التفت جميعا
خافض الطرف نظره الى الارض أكثر من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة فقوله اذا التفت التفت جميعا
أراد أنه لا يسارق النظر ولا يلوى عنقه يمنة ولا يسرة اذ لا يفعل ذلك الا الطائش الخفيف ولكنه صلى الله عليه
وسلم كان يقبل جميعا و يدبر جميعا وقوله خافض الطرف معناه أنه اذا نظر الى شئ خفض بصره ولا ينظر
الى الاطراف والجوانب بلا سبب بل لم يزل مطرقا متوجها الى عالم الغيب مشغولا بحاله متفكرا فى أمور
الآخرة لان هذا شأن المتواضع المتفكر المشتغل بربه وقيل هو كناية عن شدة حيائه ولين جانبه أو عدم
كثرة سؤاله واستقصائه وقوله نظره الى الارض أكثر من نظره الى السماء أى حال السكوت وعدم التحدث
لانه أجمع للفكرة وأوسع للاعتبار لاشتغاله بالباطن واعماله جنانه فيما بعث لاجله أو لكثرة حيائه وأدبه
مع ربه أو لانه بعث لتربية أهل الارض لا أهل السماء والاول أحسن وقوله جل نظره الملاحظة معناه أنه
يلحظ الشئ بمؤخر عينه من غير التفات فلا ينافى قوله واذا التفت التفت جميعا وقيل المراد من الملاحظة المراقبة
وقيل المراد أن نظره الى الاشياء لم يكن كنظر أهل الحرص على الدنيا وزخرفها عملا بقوله تعالى ولا تمدن
عينيك الآية وفى حديث الشمائل فى وصف على رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم قال كان صلى الله
عليه وسلم أدعج العينين وهو شدة سواد العين مع سعتها أهدب الاشفار جمع شفر بالضم وهى حروف الاجفان
التى ينبت عليها الشعر والمراد أنه طويل شعر الاشفار مشرب العين بحمرة وهى عروق حمر رقاق وفى رواية
لجابر بن سمرة رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم أشكل العينين والشكلة هى الحمرة تكون فى بياض
العين وذلك محبوب محمود قال الحافظ العراقى وهى احدى علامات نبوته صلى الله عليه وسلم ولما سافر مع
ميسرة الى الشام سأل عنه الراهب فقال أفى عينيه حمرة فقال ما تفارقه فقال الراهب هو هو وفى رواية عن
على رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان أدعج العينين أهدب الاشفار مقرون الحاجبين وفى رواية أزج
الحواجب سوابغ من غير قرن يعنى ان طرفى حاجبيه قد سبغا أى طالا حتى كادا يلتقيان ولم يلتقيا وهذا هو
مراد من قال مقرون الحاجبين فلا تنافى بين الروايتين وفى رواية بعد قوله أزج الحواجب سوابغ من غير

قرن

سنان الصيداني فلما بلغ
عليا رضى الله تعالى عنه
قتلهم ابن خباب واعتراضهم
الناس بعث اليهم الحرث
ابن مرة العبدى ليأتيهم
و ينظر ما بلغه عنهم و يكتب
به اليه ولا يكتمه فلما دنا
منهم ليسألهم قتلوه وأتى
عليا رضى الله تعالى عنه
الخبر والناس معه فقالوا
يا أمير المؤمنين علام ندع
هؤلاء وراءنا يخلفونا فى
عيالنا وأموالنا سر بنا اليهم
فاذا فرغنا منهم سرنا الى
عدونا من أهل الشام
وقام اليه الاشعث بن قيس
وكلمه بمثل ذلك وكان الناس
يتهمونه قبل ذلك انه يرى
رأيهم لانه قال يوم صفين
أنصفنا قوم يدعوننا الى
كتاب الله عز وجل فلما قال
هذه المقالة علم الناس انه لم
يكن يرى رأى الخوارج
فاجمع على رضى الله عنه
على الخروج لقتالهم
فارسل الى أهل النهروان
ان ادفعوا الينا قتلة اخواننا
اقتلهم بهم ثم أنا تارككم
حتى آتى أهل الشام فلعل

قرن بينهما عرق يدره الغضب أي يحركه ويظهره أي يظهره ويرتفع عند الغضب وفي المواهب عن علي رضي الله عنه قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقمت لاخطب يوما أي أعظهم وأذكرهم ليتمكن ايمان من آمن ويؤمن من لم يكن آمن فخطبت وحبر من أحبار اليهود واقف بيده سفر أي كتاب كبير ينظر فيه فلما رآني قال لي صف لي أبا القاسم فقلت ليس بالطويل البائن ولا بالقصير الحديث يعني المذكور فيه جملة من أوصافه صلى الله عليه وسلم قال علي رضي الله عنه ثم سكت فقال الحبر وماذا فقلت هذا ما يحضرني الآن أي من صفته قال الحبر في عينيه حمرة حسن اللحية فقال علي هذه والله صفته قال الحبر فاني أجد هذه الصفة التي وصفتها يا علي والتي ذكرتها الآن في سفر آبائي واني أشهد أنه رسول الله الى الناس كافة (وأما سمعه الشريف) صلى الله عليه وسلم فحسبك أنه قال اني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى رواه الترمذي والامام أحمد وابن ماجه والحاكم وصححوه كلهم من رواية أبي ذر رضي الله عنه وقوله أطت بفتح الهمزة وشد الطاء أي صاحت من ازدحام الملائكة وكثرة الساجدين فيها وروى أبو نعيم عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه اذ قال لهم تسمعون ما أسمع قالوا ما نسمع من شئ قال اني لاسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط ومافيها موضع شبر الا وعليه ملك ساجد أو قائم * (وأما جبينه) * صلى الله عليه وسلم فقد جاء في وصفه أنه كان واضح الجبين والمراد جنس الجبين لان لكل انسان جبينين وهما مايكتنفان الجبهة يمينا وشمالا وفي رواية صلت الجبين أي واسع الجبينين والمراد بسعتهما امتدادهما طولا وعرضا وسعتهما محمودة عند كل ذي ذوق سليم وذكر ابن أبي خيثمة أنه صلى الله عليه وسلم كان أجلى الجبين اذا طلع جبينه أي اذا طلع بوجهه على الناس تراءى جبينه كأنه السراج المتوقد يتلألأ وكانوا يقولون هو كما قال حسان رضي الله عنه

متى يبد في الليل البهيم جبينه * يلح مثل مصباح الدجا المتوقد
فمن كان أومن قد يكون كأحمد * نظام لحق أو نكال لملحد

وروى البيهقي عن رجل من الصحابة رضي الله عنهم ولا ضرر في ابهامه لان الصحابة كلهم عدول قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل حسن الجسم عظيم الجبهة دقيق الحاجبين ولله در سيدي محمد وفا رضي الله عنه حيث يقول في وصفه صلى الله عليه وسلم

جبينه مشرق من فوق طرته * يتلو الضحى ليله والليل كافره
بالمسك خطت على كافور جبهته * من فوق نوناتها سينا ضفائره
مكمل الخلق ماتحصى خصائصه * منضر الحسن قد دقت نظائره

وعن مقاتل أوحى الله الى عيسى عليه السلام اسمع وأطع يا ابن الطاهرة البتول اني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين فاياي فاعبد وعلى فتوكل فسر لاهل سور أني أنا الله الحي القيوم لا أزول فصدقوا النبي الامي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة والنعلين والهراوة الجعد الرأس الصلت الجبين المقرون الحاجبين الاهدب الاشفار الادعج العينين الاقنى الانف الواضح الخدين ليس فيهما نتوء ولا ارتفاع الكث اللحية عرقه في وجهه كاللؤلؤ وريحه كالمسك ينفح منه كان عنقه ابريق فضة وفي حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وسلم قال كان صلى الله عليه وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة وفي حديث آخر من رواية هند بن أبي هالة رضي الله عنه كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة والمراد وصف عنقه بالدمية وهو العاج في الاشراق والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال لان صورة العاج يتأنق الناس في صنعتها وبالفضة في اللون والاشراق والجمال وقوله في الحديث السابق أقنى الانف القنا في الانف طوله ودقة أرنبته مع حدب في وسطه وهو بمعنى قول ابن الاثير وهو السائل الانف المرتفع وسطه ووصف صلى الله عليه وسلم بانه دقيق العرنين أي أعلى الانف حيث يكون الشمم وهو ما تحت مجتمع الحاجبين وقال ابن أبي هالة رضي الله عنه أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم أي وليس هو بأشم والاشم الطويل قصبة الانف مع

الله يقبل بقلوبكم ويردكم الى خير ما أنتم فيه فقالوا كلنا قتلناهم وكلنا مستحل لدمائكم ودمائهم فخرج اليهم قيس بن سعد بن عبادة فقال لهم عباد الله أخرجوا الينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الامر الذي خرجتم منه وعودوا بنا الى قتال عدونا وعدوكم فانكم ركبتم عظيما من الامر تشهدون علينا بالكفر وتسفكون دماء المسلمين فقال له عبد الله بن شجرة ان الحق قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم أوتأتونا بمثل عمر بن الخطاب فقال ما نعلمه غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم قالوا لا قال نشدتكم الله في أنفسكم أن تهلكوها فاني لا أرى الفتنة الا وقد غلبت عليكم وخطبهم أبو أيوب الانصاري رضي الله عنه فقال عباد الله انا واياكم على الحال التي كنا عليها ليس بيننا وبينكم فرقة فعلام تقاتلوننا فقالوا ان تبعناكم اليوم حكمتم غدا قال فاني

استواء أعلاه (وأما رأسه الشريف) صلى الله عليه وسلم فقد دل على وصفه قول غير واحد انه صلى الله عليه وسلم كان عظيم الهامة أى الرأس وفى رواية البيهقى عن على رضى الله عنه ضخم الرأس أى عظيمه من غير افراط وهو محبوب ممدوح لانه أعون على الادراكات ونيل الكمالات اما مع الافراط فى العظم فهو آية البلادة * (وأما فمه الشريف) * صلى الله عليه وسلم ففى مسلم من حديث جابر بن سمرة رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان ضليع الفم أى عظيمه أو واسعه من غير افراط والعرب تمدح به وتذم بصغر الفم لدلالة السعة على الفصاحة والصغر على ضدها والمولدون من الشعراء يمدحون صغره وهو خطأ منهم أولمعنى لا يلتفت اليه أو ان ذلك بالنسبة للنساء وزاد فى حديث ابن أبى هالة رضى الله عنه كان يفتتح الكلام ويختتمه باشداقه أى جوانب فمه وفى حديث عن البزار والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسع الفم أشنب مفلج الاسنان والشنب رونق الاسنان وماؤها وتحديدها ومفلج الاسنان متفرقها وقال على رضى الله عنه مبلج الثنايا بالموحدة أى براقها وجاء فى رواية براق الثنايا أى مضيئها وفى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما كان صلى الله عليه وسلم أفلج الثنيتين أى بعيد ما بين الثنايا والرباعيات اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه وكان صلى الله عليه وسلم قوى الاسنان وهذا هو المراد من رواية عظيم الاسنان فالمراد شدتها وقوتها وتمامها ولا يتوهم فى سياق المدح غير هذا وكان عليه الصلاة والسلام أحسن عباد الله شفتين وألطفهم ختم فم وكان صلى الله عليه وسلم ضخم الكراديس وهى رؤس العظام وذلك يدل على وفور المادة وقوة الحواس وكثرة الحرارة وكمال القوى وفى رواية جليل المشاش والكتد وفسر برؤس العظام كالركبتين والمرفقين أى عظيمهما وفى الصحاح المشاش رؤس الاصابع اللينة التى يمكن مضغها والكتد بفتحتين مجتمع الكتفين وفى المواهب عن أبى قرصافة بالقاف وهو جندرة بن خيشنة الكنانى الليثى الصحابى رضى الله عنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأمى وخالتى فلما رجعنا قالت لى أمى وخالتى يابنى ما رأينا مثل هذا الرجل أى خلقا وخلقا أحسن وجها ولا أنقى ثوبا ولا ألين كلاما ورأينا كالنور يخرج من فيه (وأما ريقه) صلى الله عليه وسلم فحسبك ما تقدم فى قصة فتح خيبر لما بصق فى عينى على رضى الله عنه وهو أرمد يجىء به يقاد فشفى حتى كان لم يكن به وجع وروى الطبرانى انه عليه الصلاة والسلام دخلت عليه عميرة بنت مسعود الانصارية هى واخواتها يبايعنه فوجدنه يأكل قديدا أى لحما قددا فمضغ لهن قديدة فاخذتها فمضغت كل واحدة منهن قطعة منها فلقين الله أى متن وما وجد لافواههن خلوف أى تغير رائحة وتقدم فى معجزة ظهور الآثار العجيبة فيما للمهذ كرجملة من بركات ريقه صلى الله عليه وسلم وروى ابن عساكر أنه صلى الله عليه وسلم أعطى الحسن بن على رضى الله عنهما لسانه وكان قد اشتد ظمؤه فمصه حتى روى وروى الطبرانى ان امرأة بذيئة اللسان جاءته صلى الله عليه وسلم وهو يأكل قديدا فقالت ألا تطعمنى فناولها من بين يديه فقالت لا الا الذى فى فيك فاخرجه فاعطاها اياه فاكلته فلم يعلم منها بعد ذلك شئ مما كانت عليه من البذاءة (وأما فصاحة لسانه) صلى الله عليه وسلم وجوامع كلمه وبديع بيانه وحكمه فكان صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله كلاما وأعظمهم نظاما وأسرعهم اداء حتى ان كلامه ليأخذ بمجامع القلوب ففصاحة كلامه غاية لا يدرك مداها ومنزلة لا يدانى منتهاها وكيف لا يكون كذلك وقد جعل الله لسانه سيفا من سيوفه يبين عنه مراده ويدعو اليه عباده ويكشف عن مراده بحقيقة ذكره فهو أفصح خلق الله اذا لفظ وأنصحهم اذا وعظ لا يقول هجرا ولا ينطق هذرا أى لا يخلط فى كلامه ولا ينطق بما لا ينبغى لانه كان أشد حياء من العذراء فى خدرها كلامه كله يثمر علما ويشرع أو حكما لا يتفوه بشر بكلام أحكم منه فى مقالته ولا أجزل منه فى عذوبته وخليق بمن عبر عن مراد الله بلسانه وأقام الله به الحجة على عباده ببيانه وبين مواضع فروضه وأوامره ونواهيه وزواجره ووعده ووعيده وارشاده أن يكون أحكم الخلق جنانا وأفصحهم لسانا وأوضحهم بيانا وقد كان عليه الصلاة والسلام اذا تكلم تكلم بكلام مفصل بين يعده العاد ليس بهذ مسرع لا يحفظ وروى مسلم والبخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث سردا وفى رواية انما كان

أنشدكم الله أن تجعلوا فتنة الطغام مخافة ما يأتى فى القابل ثم أتاهم على رضى الله عنه فقال أيتها العصابة التى أخرجها داوة المراء واللجاجة وصدها عن الحق الهوى فصحت فى الخطب العظيم انى نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الامة غدا صرعى بأثناء هذا الوادى بغير بينة من ربكم ولا برهان مبين ألم تعلموا انى نهيتكم عن الحكومة ونبأتكم انها مكيدة فعصيتمونى فلما فعلت شرطت واستوثقت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة فنبذنا أمرهما ونحن على الامر الاول فمن أين أتيتم فقالوا انا حكمنا فلما حكمنا أثمنا وكنا بذلك كافرين وقد تبنا فان تبت فنحن معك ومنك وان أبيت فانا منابذوك على سواء فقال على رضى الله عنه أصابكم حاصب أبعد ايمانى برسول الله

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما تفهمه القلوب كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه والمراد المبالغة فى الترتيل والتفهيم وروى الترمذى عن أنس رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يعيد الكلمة ثلاثا حتى تعقل عنه وروى ابن عساكر وأبو نعيم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له يارسول الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا فقال كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءنى بها جبريل فحفظتها وروى العسكرى ان على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما قدم بنو نهد على النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث المتقدم فى المكاتبات وفيه ذكر خطابتهم وما أجابهم به النبى صلى الله عليه وسلم وكلمهم بما هو معروف من لغتهم قال على فقلنا يانبى الله نحن بنو أب واحد ونشأنا فى بلد واحد وانك لتكلم العرب بلسان ماتعرف أكثره قال ان الله عز وجل أدبنى فاحسن تاديبى ونشأت فى بنى سعد بن بكر وتقدم فى المكاتبات جمل كثيرة من مخاطباته ومكاتباته صلى الله عليه وسلم لقبائل العرب وتكليم كل قبيلة بما تعرفه وذلك يدل على كمال فصاحته وبلاغته ومعرفته وسعة اطلاعه على لغات العرب قال فى المواهب وبالجملة فلا يحتاج العلم بفصاحته الى مشاهد ولا ينكرها موافق ولا معاند وقد جمع العلماء من كلامه الموجز البديع الذى لم يسبق اليه دواوين وفى كتاب الشفاء للقاضى عياض من ذلك مايشفى الغليل ثم ذكر فى المواهب جملة من ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وكقوله الذنب لاينسى والبر لايبلى والديان لايموت فكن كما شئت وقوله جمال الرجل فصاحة لسانه وقوله انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم وفى رواية ولكن ليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق وقوله الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقوله الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه وقوله القناعة مال لاينفد وكنز لايفنى وقوله الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم وحسن الخلق نصف الدين وقوله لاعقل كالتدبير ولا ورع كالكف عن الحرام ولا حسب كحسن الخلق وقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ماحرم الله وقوله التجاوز عن الذنب لايزيد العبد الا عزا وصنائع المعروف تقى مصارع السوء والتواضع لايزيد العبد الا رفعة وما نقص مال من صدقة وقوله أخسر الناس صفقة من أذهب آخرته بدنيا غيره وقوله ان من كنوز البر كتمان المصائب وقوله لاتظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك ومن عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله وقوله من ضمن لى مابين لحييه ورجليه ضمنت له على الله الجنة وقوله لايكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه وقوله السعيد من وعظ بغيره وقوله انما الاعمال بالنيات وقوله نية المؤمن خير من عمله ونية الفاجر شر من عمله وأمثال هذه الاحاديث الجوامع مما أطال العلماء فى شرحها وبيان مااشتملت عليه من المعانى والاحكام روى الترمذى عن عطية بن عروة السعدى رضى الله عنه قال قال لى النبى صلى الله عليه وسلم ما أغناك الله فلا تسال الناس شيأ فان اليد العليا هى المعطية والسفلى هى المنطاة ومال الله مسؤل ومنطى قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقد كان من معجزاته وخصائصه صلى الله عليه وسلم أن يكلم كل ذى لغة بلغته على اختلاف لغة العرب وتركيب ألفاظها وأساليب كلمها وكان أحدهم لايتجاوز لغته وان سمع لغة غيره فكالعجمية يسمعها العربى وماذلك منه صلى الله عليه وسلم الا بقوة الهية وموهبة ربانية لانه بعث الى الكافة طرا والى الناس سود وحمرا فعلمه الله جميع اللغات قال تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أى لغتهم فلما بعثه للجميع علمه الجميع وكان كلامه صلى الله عليه وسلم باى لغة يقع فى غاية البيان ولا يوجد غالبا متكلم بغير لغته الا قاصرا فى الترجمة نازلا عن الاصيل فى تلك اللغة الا نبينا صلى الله عليه وسلم فانه زاده الله تكريما وتشريفا اذا تكلم باى لغة كان أفصح بها من أهلها وهو جدير بذلك فقد أوتى فى سائر القوى البشرية المحمودة زيادة ومزية على الناس مع اختلاف الاصناف والاجناس مما لاينضبطه قياس ولا يدخل فى تحقيقه الباس ومن تكلمه صلى الله عليه وسلم بلغة الحبشة مارواه البخارى من قوله صلى الله عليه وسلم لام خالد وهى بنت خالد بن سعيد بن العاص سناه سناه وفى رواية سنه سنه يعنى حسنة

صلى الله عليه وسلم وهجرتى معه وجهادى فى سبيل الله أشهد على نفسى بالكفر لقد ضللت اذا وما أنا من المهتدين ثم انصرف عنهم وقيل من كلامه لهم ياهؤلاء ان أنفسكم قد سولت لكم فراقى لهذه الحكومة التى أنتم بدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره وأنبأتكم ان القوم انما طلبوها مكيدة ووهنا فأبيتم على اباء المخالفين وعندتم عنود النكد العاصين حتى صرفت رأيى الى رأيكم وأنتم معشر أخفاء الهام سفهاء الاحلام فلم آت لا أبا لكم هجرا والله ماخلتكم عن أموركم ولا أخفيت شيأ من هذا الامر عنكم ولا أوطأتكم عشوة ولا أدنيت لكم الضراء فأجمع رأيى ورأيكم ان اختاروا رجلين فاخذنا عليهما أن يحكما بما فى القرآن ولا يعدواه فتاها فتركا الحق والثقة فى أيدينا حتى خالفا سبيل الحق وأتيا بما لايعرف فبينوا لنا بم

وصف لها خميصة أعطاها اياها وأم خالد رضى الله عنها ولدت بارض الحبشة وتربت بها فعرفت شيأ من كلامهم وكقوله يكثر الهرج وفسروه بالقتل على لغة الحبشة وقوله فى قصة طعام جابر رضى الله عنه ان جابرا قد صنع لكم سورا ومعناه بالفارسية الطعام الذى يدعى اليه ورواى ابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال هجر النبى صلى الله عليه وسلم وهجرت وصليت ثم جلست فالتفت الى وقال شكم درد فقلت نعم يارسول الله فقال قم فصل فان فى الصلاة شفاء وشكم بكسر الشين وفتح الكاف وسكون الميم معناه بالفارسية البطن ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء مهملة ساكنة ومعناه بالفارسية الوجع وهم يقدمون المضاف اليه على المضاف فقوله شكم درد معناه وجع بطن والمعنى على الاستفهام أى أبك وجع بطن فقال أبو هريرة رضى الله عنه نعم فقال له قم فصل فان فى الصلاة شفاء ورواه بعضهم دردم بزيادة ميم فى آخره وهذه الميم فى اللغة الفارسية ضمير المتكلم قال العلامة منلا على القارى فى شرحه على الشفاء انه لا يظهر لى وجه خطاب أبى هريرة رضى الله عنه بهذه الكلمة اللهم الا أن يحمل على المزاح والمطايبة فى المخاطبة يعنى كما اذا رأيت انسانا يشكو شيأ فاظهرت له أن بك مثل ما به من الشكوى اظهارا للمطايبة فى المخاطبة لزيادة المحبة وضبطه بعضهم أشكنب درد بفتح الهمزة وسكون الشين وفتح الكاف ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة ومعناها عندهم الكرش وقد يزيدون لها هاء فيقولون أشكنبه وذكر الكرش لا يناسب تفسيره بوجع البطن الا ان يقال ان الكرش قد تطلق ويراد بها البطن قال منلا على وحديث العنب دودو يعنى اثنين اثنين والتمر يك يك يعنى واحدة واحدة فمشهور على ألسنة العامة ولا أصل له عند الخاصة والله سبحانه وتعالى أعلم *وأما صوته الشريف صلى الله عليه وسلم فقد روى ابن عساكر عن أنس رضى الله عنه قال ما بعث الله نبيا قط الا بعثه حسن الوجه حسن الصوت حتى بعث الله نبيكم صلى الله عليه وسلم فبعثه حسن الوجه حسن الصوت وروى نحوه عن على رضى الله عنه وفى الصحيحين عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال قرأ النبى صلى الله عليه وسلم فى العشاء والتين والزيتون فلم أسمع صوتا أحسن منه وعن جبير بن مطعم رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم حسن النغمة رواه أبو الحسن بن الضحاك وروى الطبرانى والترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تكلم رؤى كالنور يخرج من ثناياه وكان صوته يبلغ حيث لا يبلغه صوت غيره وروى البيهقى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسمع العواتق فى خدورهن وروى أبو نعيم عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوم الجمعة على المنبر فقال للناس اجلسوا فسمعه عبد الله بن رواحة فى بنى غنم فجلس فى مكانه وروى ابن سعد عن عبد الرحمن بن معاذ التيمى ابن عم طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه وكان من مسلمة الفتح قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى ففتحت أسماعنا حتى كنا نسمع ما يقول ونحن فى منازلنا وروى ابن ماجه عن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها قالت كنا نسمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فى جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشى أى سريرى قال العلامة الزرقانى فسماعها له وهى على سريرها داخل بيتها البعيد عن محل القراءة دليل على قوته *(وأما ضحكه)* صلى الله عليه وسلم ففى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا أى ضحكا تاما بحيث ينفتح فمه حتى أرى لهواته انما كان يتبسم واللهوات بفتح اللام جمع لهاة وهى اللحمة التى باعلى الحنجرة من أقصى الفم وأما حديث أبى هريرة رضى الله عنه الذى فيه فضحك حتى بدت نواجذه أى أضراسه فهذا كان منه نادرا ولم تره عائشة رضى الله عنها ورآه أبو هريرة رضى الله عنه فرواه وقال ابن أبى هالة رضى الله عنه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام أى يبدى أسنانه ضاحكا وحب الغمام هو البرد بفتحتين فشبه أسنانه بالبرد فى الصفاء والبياض واللمعان والرطوبة قال الحافظ ابن حجر والذى يظهر من مجموع الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم كان معظم أحواله لا يزيد على التبسم وربما زاد على ذلك فضحك أى ولم يقهقه والمكروه من الضحك انما هو الاكثار منه أو الافراط فيه لانه يذهب الوقار فالذى ينبغى أن يقتدى به صلى الله

تستحلون قتالنا والخروج عن جماعتنا وتضعون أسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس تضربون رقابهم ان هذا لهو الخسران المبين فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيؤا للقاء الله الرواح الرواح الى الجنة فعاد على عنهم ثم انه عبى أصحابه فجعل على ميمنته حجر بن عدى وعلى ميسرته شبث ابن ربعى أو معقل بن قيس الرياحى وعلى الخيل أبا أيوب الانصارى وعلى الرجالة أبا قتادة الانصارى وعلى أهل المدينة وهم سبعمائة أو ثمانمائة قيس بن سعد ابن عبادة وعبت الخوارج فجعلوا على ميمنتهم زيد بن حصين الطائى وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسى وعلى خيلهم زيد بن سنان الاسدى وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير السعدى وأعطى على رضى الله عنه أبا أيوب الانصارى رضى الله عنه راية الامان فناداهم أبو أيوب من جاء تحت هذه

عليه وسلم من أفعاله ماواظب عليه من ذلك وهو التبسم فيقتصر عليه وضحكه كان لبيان الجواز (وقد روى) البخارى فى الادب المفرد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب وروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه واذا ضحك صلى الله عليه وسلم يتلألأ أى يضىء فى الجدر بضم الجيم والدال جمع جدار أى يشرق نوره عليها اشراقا كاشراق الشمس عليها وكان صلى الله عليه وسلم اذا كان حديث عهد بجبريل عليه السلام لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه اعظاما له بترك الاشتغال بشئ يشغله عنه أو اعتبارا وتفكرا فيما أتاه به وكان صلى الله عليه وسلم اذا خطب أو ذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم رواه مسلم من حديث جابر بن سمرة رضى الله عنهما *(وأما بكاؤه)* صلى الله عليه وسلم فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كالم يكن ضحكه بقهقهة ولكن تدمع عيناه حتى تهملا ويسمع لصدره أزيز يبكى رحمة لميت وخوفا على أمته وشفقة من خشية الله وعند سماع القرآن وأحيانا فى الصلاة وقد حفظه الله من التثاوب ففى تاريخ البخارى ومصنف ابن أبى شيبة عن يزيد بن الاصم بن أخت ميمونة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت ماتثاءب النبى صلى الله عليه وسلم قط وفى رواية ماتثاءب نبى قط وفى البخارى مرفوعا ان الله يحب العطاس ويكره التثاوب وأما يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد بانه كان شثن الكفين أى غليظهما وغليظ أصابعهما من غير قصر ولا خشونة وذلك جمال فى الرجال وذم فى النساء وبانه عبل الذراعين أى قويهما ضخمهما رحب الكفين أى واسعهما ويكنون بذلك عن السخاء والكرم وقد مسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة خد جابر بن سمرة رضى الله عنهما تأنيسا وشفقة قال جابر فوجدت ليده بردا وريحا كانما أخرجها من جونة عطار والبرد كناية عن لين كفه ورطوبته أو هو بمعنى الراحة واللذة والطيب قال ابن الاثير كل محبوب عندهم بارد وبرد الظل طيب العيش والغنيمة الباردة الهنية قال بعضهم ان برد اليد حقيقة ممدوح عند العرب لاسيما فى الزمن الحار ولا بعد فى انه خاص به صلى الله عليه وسلم مع كمال حرارته الغريزية وروى الطبرانى والبيهقى عن وائل بن حجر رضى الله عنه لقد كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدى جلده فاتعرفه بعد فى يدى أى فاعرف أثره بعد مفارقته لى وانه لأطيب رائحة من المسك وقال يزيد بن الاسود رضى الله عنه ناولنى رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فاذا هى أبرد من الثلج وأطيب ريحا من المسك رواه البيهقى وروى الطبرانى عن المستورد بن شداد عن أبيه رضى الله عنهما قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاخذت بيده فاذا هى ألين من الحرير وأبرد من الثلج وروى الامام أحمد من حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم دخل على سعد بن أبى وقاص يعوده حين اشتكى عام حجة الوداع قال سعد فوضع يده صلى الله عليه وسلم على جبهتى فمسح وجهى وصدرى وبطنى فمازلت يخيل الى انى أجد برد يده على كبدى حتى الساعة وفى البخارى من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم قال مامسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت ريحا قط أو عرفا قط أطيب من ريح أو عرف النبى صلى الله عليه وسلم والمراد اللين فى الجلد فلا ينافى الغلظ فى العظام الذى جاء فى وصف على وابن أبى هالة رضى الله عنهما حيث قالا غليظهما أى الكفين فى خشونة أى فى العظام أى فيكون قد جمع له نعومة البدن وقوته فكانت كفه صلى الله عليه وسلم ممتلئة لحما غير انها مع ضخامتها كانت لينة كما فى حديث أنس رضى الله عنه وروى الطبرانى والبزار عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال أردفنى النبى صلى الله عليه وسلم خلفه فى سفر فما مسست شيأ قط ألين من جلده صلى الله عليه وسلم وأصيب عائذ بن عمرو المزنى فى وجهه يوم حنين فسال الدم على وجهه وصدره فسلت النبى صلى الله عليه وسلم الدم أى أزاله بيده عن وجهه وصدره ثم دعا له فكان أثر يده عليه الصلاة والسلام الى منتهى مامسح من صدره غرة سائلة كغرة الفرس رواه الحاكم وأبو نعيم وغيرهما وتقدمت جملة من بركات يده صلى الله عليه وسلم فى معجزة ظهور الآثار فيما لمسه *(وأما بياض ابطه)* صلى الله عليه وسلم فقد جاء فى عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة

الراية فهو آمن ومن لم يقاتل ولم يستعرض فهو آمن ومن انصرف منكم الى الكوفة أو الى المدائن فهو آمن لاحاجة لنا بعد أن نصيب قتلة اخواننا منكم فى سفك دمائكم فقال فروة بن نوفل الاشجعى والله ماادرى على أى شئ نقاتل عليا رضى الله تعالى عنه أرى ان أنصرف حتى تتضح لى بصيرتى فى قتاله أو أتابعه فانصرف فى خمسمائة فارس حتى نزل البندنيجين والدسكرة وخرجت طائفة أخرى متفرقين فنزلوا الكوفة وخرج الى على نحو مائة وتابعوه وكانوا كلهم أربعة آلاف فبقى مع عبدالله بن وهب ألف وثمانمائة فزحفوا الى قتال على رضى الله عنه وكان على قد قال لاصحابه كفوا عنهم حتى يبدؤكم فتنادوا الرواح الى الجنة وحملوا على الناس فافترقت خيل على رضى الله عنه فرقتين فرقة نحو الميمنة وفرقة نحو الميسرة واستقبلت الرماة وجوههم

قال الحافظ ابن حجر واختلف فى المراد من ذلك فقيل المراد انهما كلون جسده الشريف وانه لم يكن تحت ابطيه شعر البتة وقيل كان يداوم تعهده فلا يبقى فيه شعر وعند مسلم فى حديث حتى رأينا عفرة ابطيه ولا تنافى بينهما لان الاعفر ما بياضه ليس بناصع وهذا شان المغابن يكون لها فى البياض دون بقية الجسد وقال الطبرى من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان الابط من جميع الناس متغير اللون الاهو عليه الصلاة والسلام قال الولى العراقى الخصائص لاتثبت بالاحتمال ولم يثبت ذلك بوجه من الوجوه ولا يلزم من ذكر أنس وغيره بياض ابطيه أن لايكون له شعر لاحتمال انه كان يديم تعهده فان الشعر اذا نتف بقى المكان أبيض وان بقى فيه آثار الشعر وقال عبد الله بن أرقم الخزاعى رضى الله عنه كنت أنظر الى عفرة ابطيه والعفرة بياض ليس بالناصع فهذا يدل على أن أثر الشعر هو الذى جعل المكان أعفر والافلو كان المكان خاليا عن نبات الشعر جملة لم يكن أعفر نعم الذى نعتقده انه لم يكن لابطه رائحة كريهة انتهى كلام الحافظ ولى الدين العراقى قال العلامة الزرقانى وقد يمنع دلالته على ماقال بما تقدم عن الحافظ ان شأن المغابن كونها أقل بياضا من باقى الجسد وروى البزار عن رجل من بنى حريش وهم بطن من الانصار قال ضمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على من عرق ابطيه مثل ريح المسك *(وأما بطنه وظهره)* صلى الله عليه وسلم فقد جاء أنه صلى الله عليه وسلم كان فاض البطن أى مستوى البطن مع الصدر عظيم مشاش المنكبين والمشاش بضم الميم ومعجمتين رؤس العظام كالركبتين ووصف بعض الصحابة ظهره صلى الله عليه وسلم بقوله اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ليلا فنظرت الى ظهره كانه سبيكة فضة وروى البخارى عن البراء بن عازب رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم كان بعيد ما بين المنكبين أى عريض الصدر وقد روى ابن سعد عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم رحب الصدر أى واسعه *(وأما قلبه)* الشريف صلى الله عليه وسلم فقد ثبت له من الكمال مالم يثبت لغيره وقد جعل الله القلوب محل السر والاخلاص الذى هو سر الله يودعه قلب من شاء من عباده فاول قلب أودعه السر قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه اول مخلوق وصورته صلى الله عليه وسلم آخر صورة ظهرت من صور الانبياء فهو أولهم بوجود صورته النور به المخلوقة قبل الانبياء كلها وآخرهم ظهورا فى هذا العالم اذ لانبى بعده وقد جعل الله سبحانه وتعالى أخلاق القلوب اعلاما على أسرار القلوب فمن تحقق قلبه بسر الله اتسعت أخلاقه لجميع خلق الله فيعاملهم برفق ولين على مقتضى الحال فيعامل كل انسان بما يليق بحاله بغاية الرفق حتى العصاة ينهاهم عن معصيتهم ببيان مايضرهم وماينفعهم كما قال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاذا لم يهد فى كفهم عن المعاصى الا الزجر الشديد عاملهم به وأقام عليهم الحدود ليكفهم عن العود الى ماصدر منهم وذلك من سعة الخلق لانه نفع لهم بل قتال الكفار والبغاة من سعة الخلق ولذلك جعل الله لنبينا صلى الله عليه وسلم جثمانية اختص بها من بين سائر العالمين فتكون خواص جثمانيته آيات دالة على أحوال نفسه الشريفة وعظيم خلقه وتكون أحواله وأخلاقه العظيمة آيات على سر قلبه المقدس المطهر ولما كان قلبه صلى الله عليه وسلم أوسع قلب اطلع الله عليه كان هو الاولى أن يكون هو قلب العبد الذى يقول فيه تعالى ماوسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن ومعناه وسع قلبه الايمان بى ومحبتى ومعرفتى والا فمن قال ان الله يحل فى قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصوا من ذلك بالمسيح وحده وقد روى الطبرانى عن أبى عتبة الخولانى يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم ان لله آنية من أهل الارض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين وأحبها اليه ألينها وأرقها وكان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء بمنزلة سائر النبيين بضيق صدره من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء به كما قال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فلما أسرى به زاده الله قوة فاتسع قلبه وانشرح صدره وقد صح ان جبريل عليه السلام شق قلبه صلى الله عليه وسلم واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك أى هذا هو الموضع الذى يتوصل الشيطان منه الى وسوسة الناس ثم غسله فى طست وانما خلقت هذه العلقة فى ذاته الكريمة ثم استخرجت منه لانها من جملة الاجزاء الانسانية التى اقتضت

بالنبل وعطفت عليهم الخيل من الميمنة والميسرة ونهض اليهم الرجال بالرماح والسيوف فمالبثوا ان أناموهم فلما رأى حمزة بن سنان الهلاك نادى ان انزلوا فذهبوا لينزلوا فلم يلبثوا ان حمل عليهم الاسود بن قيس المرادى وجاءتهم الخيل من نحو على فأهلكوا فى ساعة فكأنما قيل لهم موتوا فماتوا وجاء أبو أيوب الانصارى الى على رضى الله عنهما فقال يا أمير المؤمنين قتلت زيد بن حصين الطائى طعنته فى صدره حتى خرج السنان من ظهره وقلت له أبشر ياعدو الله بالنار فقال ستعلم غدا أينا أولى بها صليا فقال له على رضى الله عنه هو أولى بها صليا وجاءه هانئ بن خطاب الازدى وزياد بن خصفة يحتجان فى قتل عبد الله بن وهب فقال كيف صنعتما قالا لما رأيناه عرفناه فابتدرناه وطعناه برمحينا فقال كلاكما قاتل وحمل حبيش بن

الحكمة وجودها في الانسان تخلقها تكملة للخلق الانساني فلابد منها ونزعها أمر رباني طرأ بعد خلقها فاخراجها بعد خلقها أدل على مزيد الرفعة والتعظيم وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها وأيضا لو خلق سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته فاظهره الله على يد جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر وهذا الشق وقع له صلى الله عليه وسلم أربع مرات الاولى في بني سعد وهو ابن أربع سنين عند حليمة السعدية رضي الله عنها والثانية وهو ابن عشر والثالثة عند البعثة والرابعة عند المعراج وذكر بعضهم خامسة ولم تثبت فالاولى والثانية ليتقوى من صغره وينشأ على قوة الايمان والرحمة والثالثة ليتقوى لتحمل أعباء الوحي والرابعة ليتقوى على مشاهدة ما أراه الله اياه ليلة الاسراء من عجائب الارض والسماء والشق باقسامه هو المراد بقوله تعالى ألم نشرح لك صدرك فانه لولم يشرح لكان ضيقا والقلب اذا ضاق لا يجد للطاعة لذة ولا للاسلام حلاوة واذا طرد العدو في الابتداء حصل الامن وزال الضيق وانشرح الصدر واتسع وتيسر له القيام باداء العبودية ووجد للطاعة لذة وللايمان حلاوة وههنا نكتة دقيقة لطيفة هي أنه تعالى قال حكاية عن موسى عليه السلام رب اشرح لي صدري وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ألم نشرح لك صدرك فاعطى بلا سؤال قال الاستاذ أبو علي الدقاق رضي الله عنه كان موسى عليه السلام مريدا اذ قال رب اشرح لي صدري ونبينا صلى الله عليه وسلم مرادا اذ قال الله له ألم نشرح لك صدرك وفرق بين المريد والمراد *(وأما جماعه) * صلى الله عليه وسلم فقد كان يدور على نسائه أي يجامعهن في الساعة الواحدة من النهار والليل وهن احدى عشرة قال قتادة بن دعامة لانس بن مالك رضي الله عنه أوكان يطيقه أي الدوران عليهن فقال أنس كنا نتحدث انه أعطى قوة ثلاثين وفي رواية أربعين رجلا زاد أبو نعيم عن مجاهد كل رجل من رجال الجنة وروى أبو نعيم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع يعني من أهل الجنة وروى الامام أحمد والحاكم عن زيد بن أرقم انه صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة في الاكل والشرب والجماع والشهوة فاذا ضربنا أربعين في مائة بلغت أربعة آلاف وبهذا يندفع ما استشكل من كونه صلى الله عليه وسلم أعطى قوة أربعين فقط وسليمان عليه السلام أعطى قوة مائة رجل أو ألف رجل فان مثار الاشكال حملها على رجال الدنيا وليس كذلك بل ما ورد في سليمان عليه السلام محمول على رجال الدنيا لعدم ورود ما يخالف ذلك وفي نبينا عليه السلام على رجال الجنة كما ورد وذلك باربعة آلاف فقد زاد على سليمان عليه السلام بكثير وزال الاشكال وذكر ابن العربي انه كان له عليه الصلاة والسلام من القوة في الوطء الزيادة الظاهرة على الخلق وكان له في الاكل القناعة فاكثر كما بلغه ليجمع الله له الفضيلتين في الامور الاعتيادية كما جمع له الفضيلتين في الامور الشرعية وهما ما شاركه أمته فيه من التكاليف وما خص به منها ومن كل ما يقرب به الى الله تعالى مما لم يطلع عليه أحد من الخلق حتى يكون حاله كاملا في الدارين وروى ابن سعد عن أنس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه التسع في ليلة وروى مرسلا أنه صلى الله عليه وسلم قال أتاني جبريل عليه السلام بقدر فاكلت منها فاعطيت قوة أربعين رجلا من رجال الجنة ووصله أبو نعيم والديلمي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يعين فيه ما في القدر وروى ابن سعد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه شكا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل قلة الجماع فتبسم جبريل حتى تلألأ مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من بريق ثناياه جبريل عليه السلام فقال له أين أنت من أكل الهريسة فان فيها قوة أربعين رجلا وأخذ من هذا وما أشبهه انه يستحب للرجل تناول ما يقوي شهوته لاستكثار الوقاع كالادوية المقوية للمعدة لتعظم شهوتها للطعام وكالادوية المثيرة للشهوة ورده الغزالي بانه صلى الله عليه وسلم انما فعله لانه كان عنده من النساء عدد كثير يحرم على غيره نكاحهن ان طلقهن أومات عنهن فكان طلبه القوة لهذا المعنى لا للتمتع والتلذذ مع انه لا يشغل قلبه عن ربه شيء ولا تقاس الملائكة بالحدادين قال وما مثال من يفعل ما يعظم شهوته الا كمن بلي بسباع ضارية وبهائم عادية فتنام عنه احيانا فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل

ربيعة الكناني على حرقوص ابن زهير فقتله وكان علي رضي الله عنه يحدث أصحابه قبل ظهور الخوارج ان قوما يخرجون يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية علامتهم رجل مخدج اليد أي ناقص اليد سمعوا ذلك منه مرارا فلما خرج أهل النهروان وسار علي رضي الله عنه اليهم وكان من أمرهم ما كان فلما فرغ أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج فالتمسوه فقال بعضهم ما نجده حتى قال بعضهم ما هو فيهم وعلي رضي الله عنه يقول والله انه لفيهم والله ما كذبت ولا كذبت ثم انه جاءه رجل فبشره فقال يا أمير المؤمنين قد وجدناه وقيل بل خرج علي رضي الله عنه في طلبه قبل أن يبشره الرجل ومعه سليم بن ثمامة الحنفي والبركات بن صبرة فوجدوه في حفرة على شاطئ النهر في خمسين قتيلا فلما استخرجه نظر الى عضده فاذا لحم مجتمع

بعلاجها واستئصالها فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يراد التخلص منها وروى الدارقطني من حديث حذيفة رضي الله عنه بلفظ أطعمني جبريل الهريسة أشدّ بها ظهري وأتقوّى بها وروى مثل ذلك من حديث جابر بن سمرة وابن عباس رضي الله عنهم وكلها أحاديث واهية أوردها ابن الجوزي في الموضوعات بل صرح الحافظ ابن ناصر الدين أيضا بأنها موضوعات في جزء له سماه رفع الدسيسة بوضع حديث الهريسة وقد حفظ الله النبي صلى الله عليه وسلم من الاحتلام بل جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ما احتلم نبي قط أي لانه من تلاعب الشيطان ولا سلطان له عليهم * (وأما صفة قدمه) * الشريف صلى الله عليه وسلم فقد وصفه غير واحد كعلي وهند وأنس رضي الله عنهم بانه كان شثن القدمين أي غليظ أصابعهما مع غاية النعومة رواه الترمذي وغيره وفي رواية ضخم القدمين وجاء من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم منهوس القدمين أي قليل لحم العقب فيهما وعن ميمونة بنت كردم الثقفية رضي الله عنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نسيت طول أصبع قدميه السبابة على سائر أصابعه رواه الامام أحمد والطبراني وعلى هذا يحمل ما اشتهر على الالسنة ان سبابة النبي صلى الله عليه وسلم كانت أطول من الوسطى وربما يتوهم بعض الناس ان ذلك في يديه قال الحافظ ابن حجر لما سئل عنه وهو غلط ممن قاله وانما ذلك في أصابع رجليه وعن عبد الله بن بريدة رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم أحسن البشر قدما رواه ابن سعد (وأما طوله) صلى الله عليه وسلم فقال علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم لا قصير ولا طويل وهو الى الطول أقرب رواه البيهقي ورواه الترمذي بلفظ لم يكن بالطويل ولا بالقصير وروى عبد الله بن الامام أحمد عن علي رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالذاهب أي المفرط طولا وفوق الربعة اذا جاء مع القوم غمرهم أي زاد عليهم في الطول فكان فوق كل من معه وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة وهو الى الطول أقرب وفي رواية عند الترمذي عن علي رضي الله عنه لم يكن بالطويل الممغط أي المتناهي في الطول ولا بالقصير المتردد وكان ربعة من القوم وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها ولم يكن يماشيه أحد من الناس ينسب الى الطول الا طاله أو زاد عليه صلى الله عليه وسلم ولربما اكتنفه الرجلان الطويلان فيطولهما أي يزيد عليهما طولا اكراما من الله حتى لا يزيد عليه أحد صورة فاذا فارقاه نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الربعة رواه ابن عساكر والبيهقي واختلف في زيادة طوله صلى الله عليه وسلم هل هو باحداث الله له طولا حقيقة حينئذ ولا مانع منه أو ان ذلك يرى في أعين الناظرين فقط وجسده باق على أصل خلقته على حد قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم قال الزرقاني وهذا هو الظاهر فهو مثل تطور الولي وذلك كيلا يتطاول عليه أحد صورة كما لا يتطاول معنى فمثل ارتفاعه المعنوي في عين الناظر فرآه رفعة حسية وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى ابن سبع في الخصائص انه صلى الله عليه وسلم كان اذا جلس يكون كتفه أعلى من جميع الجالسين وحكمته أن لا يزيد أحد عليه صورة كما تقدم ووصفه ابن أبي هالة بانه صلى الله عليه وسلم بادن متماسك أي معتدل الخلق كأن أعضاءه يمسك بعضها بعضا من غير ترجرج وفسره بعضهم بانه ليس بمسترخي البدن (وأما شعره) الشريف صلى الله عليه وسلم فعن قتادة قال سألت أنسا رضي الله عنه عن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شعر بين شعرين لا رجل ولا سبط أي مسترسل والمراد ان شعره ليس نهاية في الجعودة وهي تكسره الشديد ولا في السبوطة وهي عدم تكسره وتثنيه بالكلية بل كان وسطا بينهما وخير الامور أوساطها قال الزمخشري الغالب على العرب جعودة الشعر وعلى العجم سبوطته فقد أحسن الله برسوله صلى الله عليه وسلم الشمائل وجمع فيه ما تفرق في الطوائف من الفضائل وكان شعر رأسه صلى الله عليه وسلم يضرب الى منكبيه وفي رواية الى انصاف أذنيه وجمع بانه تارة يكون الى نصف الاذن وتارة الى المنكب وفي رواية كان له شعر فوق الجمة ودون الوفرة والجمة هي الشعر الذي نزل الى المنكبين والوفرة ما نزل الى شحمة الاذنين وملخص ذلك ان شعره تارة يكون كذا

كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود فاذا مدت امتدت حتى تحاذي يده الطولى ثم تترك فتعود الى منكبيه فلما رآه قال الله أكبر ما كذبت ولا كذبت لولا أن تتكلوا على العمل لاخبرتكم بما قص الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لمن قاتلهم مستبصرا في قتالهم عارفا للحق الذي نحن عليه وقال حين مر بهم وهم صرعى بؤسا لكم فقد ضركم من غركم قالوا يا أمير المؤمنين من غرهم قال الشيطان ونفس أمارة بالسوء غرتهم بالاماني وزينت لهم المعاصي ونبأتهم انهم ظاهرون وأخذ ما في عسكرهم من شئ فاما السلاح والدواب وما شهر عليه فقسمه بين المسلمين وأما المتاع والاماء والعبيد فانه رده الى أهله وطاف عدي بن حاتم في القتلى حتى وجد فيهم ولده طرفة فقتيلا فدفنه ودفن رجال من المسلمين قتلاهم ولم يقتل من أصحاب علي

وتارة كذا فلا تنافي بين الروايات وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركون يفرقون رؤسهم وكان أهل الكتاب يسدلون رؤسهم وكان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء تألفا لهم ثم فرق صلى الله عليه وسلم رأسه قال القرطبي حبه لموافقتهم كان أولا في الوقت الذي كان يستقبل فيه قبلتهم ليتألفهم حتى يصغوا الى ما جاء به فلما غلبت عليهم الشقوة ولم ينفع فيهم ذلك أمر بمخالفتهم في أمور كثيرة كقوله ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم وسدل الشعر ارساله والمراد انه يتركه على حاله يشبه شعر الناصية المقصوص وأما الفرق فهو فرق الشعر بعضه من بعض روى ابو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت أنا فرقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه أي شعر رأسه قال العلماء والفرق سنة لانه الذي رجع اليه صلى الله عليه وسلم والصحيح جواز الفرق والسدل معا لكن الفرق أفضل وروى الترمذي عن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمة تعني يوم فتح مكة وله أربع غدائر أي ذوائب وفي رواية لها رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا ضفائر أربع قال في شرح المصابيح لم يحلق رأسه صلى الله عليه وسلم في سني الهجرة الا عام الحديبية ثم عام القضاء ثم في حجة الوداع فليعتبر الطول والقصر منه بالمسافات الواقعة منه في تلك الازمنة وأقصرها ما كان بعد حجة الوداع فانه توفي بعدها بثلاثة أشهر (وأما شعر لحيته) صلى الله عليه وسلم فقد كان صلى الله عليه وسلم أسود اللحية حسن الشعر كما رواه البيهقي وروى مسلم من حديث ابن سيرين قال سألت أنس بن مالك رضي الله عنه هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخضب فقال لم يبلغ الخضاب كان في لحيته عليه الصلاة والسلام شعرات بيض وفي رواية له لم يرمن الشيب الا قليلا لو شئت أن أعد شمطات كن في رأسه فعلت وجاء أن الذي ابيض في لحيته ورأسه كان سبع عشرة أو ثماني عشرة شعرة أو عشرين شعرة وفي رواية ما شانه الله ببيضاء وانما كان كذلك لان النساء يكرهن الشيب غالبا ومن كره من النبي صلى الله عليه وسلم شيأ كفر فرحمهن الله بعدم شيبه ولان فيه ازالة لبهجة الشباب ورونقه والحاقه بالشيوخ الذين يكون الشيب فيهم دالا على ضعف القوة ومفارقة قوة الشباب والنشاط واطلاق الشين على الشيب يحمل على هذه الاعتبارات فلا ينافي انه وقار ونور روى ابن عساكر عن أنس رضي الله عنه مرفوعا الشيب نور من خلع الشيب فقد خلع نور الاسلام وروى الديلمي عن أنس مرفوعا أيما رجل نتف شعرة بيضاء متعمدا صارت رمحا يوم القيامة يطعن به وروى ابن سعد ان حجاما أخذ من شاربه صلى الله عليه وسلم فرأى شيبة في لحيته فأهوى اليها فامسك صلى الله عليه وسلم بيده وقال من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيامة وروى البيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا الشيب نور المؤمن لا يشيب رجل شيبة في الاسلام الا كانت له بكل شيبة حسنة ورفع بها درجة وقول أنس رضي الله عنه انه لم يبلغ الخضاب يدل على انه صلى الله عليه وسلم ما خضب لحيته ولا يعارضه ما في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصبغ بالصفرة فانه محمول عند العلماء على صبغ الثياب لما في سنن أبي داود كان يصبغ بالورس والزعفران حتى عمامته وحمله بعضهم على عمومه وقال يصبغ شعره واستدل بما في السنن انه كان يصفر بهما لحيته وأجيب باحتمال انه كان مما يتطيب به لانه كان يصبغ بهما والحاصل انه اختلف العلماء هل خضب النبي صلى الله عليه وسلم شيبه أم لا قال القاضي عياض منعه الاكثرون وهو مذهب مالك أي فوافق أنسا على الانكار وتأول حديث ابن عمر بحمله على الثياب لا الشعر وقال النووي المختار انه صبغ شعره حقيقة لان التأويل خلاف الاصل لكنه فعل ذلك في وقت وتركه في معظم الاوقات فاخبر كل بما رأى وكان صلى الله عليه وسلم اذا ادهن لم يتبين شيبه لتفرقه وكان كثير شعر اللحية وكان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته بالماء وقد وصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بانه ذو مسربة وفسرت بخيط الشعر بين الصدر والسرة ووصفه أيضا ابن أبي هالة رضي الله عنه بانه كان صلى الله عليه وسلم موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين أي لم يكن عليهما شعر أشعر الذراعين

رضي الله عنه الاسبعة وكانت الوقعة سنة ثمان وثلاثين وكان فيمن قتل من أصحاب علي رضي الله عنه يزيد بن نويرة الانصاري وله صحبة وسابقة وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان أول من قتل وقد وردت أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما فيها ذكر هؤلاء الخوارج منها قوله صلى الله عليه وسلم يخرج من أمتي قوم يقرؤن القرآن ليست قراءتكم الى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم الى صلاتهم بشيء ولا صيامكم الى صيامهم بشيء يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى الله لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم لنكلوا عن العمل وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد ليس له ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات وعن

والمنكبين وأعالي الصدر وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة الا في يد رجل أي فيتبعونها تبركا وجاء أنه صلى
الله عليه وسلم لم يحلق رأسه في غير نسك فتبقية الشعر في الرأس وعدم ازالته الا لنسك اقتداء به صلى الله
عليه وسلم سنة قال في المواهب ومنكرها مع علمه يجب تأديبه ومن لم يستطع التبقية يباح له ازالته وعن محمد بن
سيرين قال قلت لعبيدة السلماني عندنا شيء من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس فقال لأن
تكون عندي شعرة منه أحب الي من الدنيا ومافيها (وأما مشيه) صلى الله عليه وسلم فعن علي رضي
الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفؤا أي تمايل الى قدام كأنما ينحط
من صبب أي كأنما ينزل في موضع منحدر والمراد أن مشيه ليس فيه تبختر ولا تصنع رواه الترمذي وروى
البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها وعند
الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه مارأيت أحدا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس
تجري في وجهه ومارأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض
تطوى له أي كأنما تجمع وتجعل مطوية تحت قدميه مع كونه على غاية من التأني وعدم العجلة أي بالنسبة له
لا لمن يماشيه بدليل قول أبي هريرة رضي الله عنه وانا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث أي غير مبال بجهدنا
أو غير مسرع بحيث تلحقه مشقة أي فكان يمشي على هينته ويقطع ما نقطع بالجهد من غير جهد منه
وروى ابن سعد عن يزيد بن مرثد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى أسرع حتى يهرول
الرجل وراءه فلا يدركه قال الزمخشري أراد السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت امتثالا لقوله تعالى واقصد
في مشيك أي اعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا يدب دبيب المتماوتين ولا يثب وثب الشياطين وروى
أنه كان اذا مشى يمشي مجتمعا أي قوي الاعضاء غير مسترخ في المشي وعند ابن عساكر عن ابن عباس
رضي الله عنهما كان يمشي مشيا يعرف فيه أنه ليس بعاجز ولا كسلان وكان أصحابه صلى الله عليه وسلم
يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول خلوا ظهري للملائكة ولم يكن له صلى الله عليه وسلم ظل في شمس
ولا قمر لأنه كان نورا رواه الترمذي الحكيم عن ذكوان وروى ابن المبارك وابن الجوزي عن ابن عباس
رضي الله عنهما لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع الشمس قط الا غلب ضوءه ضوء الشمس
ولم يقم مع سراج قط الا غلب ضوءه ضوء السراج قال ابن سبع كان صلى الله عليه وسلم نورا فكان اذا
مشى في الشمس أو القمر لا يظهر له ظل لان النور لا ظل له ويشهد له قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه واجعلني
نورا (وأما لونه) الشريف الازهر صلى الله عليه وسلم فقد وصفه جمهور أصحابه الواصفين له بالبياض منهم
أبو بكر وعمر وعلي وأبو جحيفة وابن عمر وابن عباس وابن أبي هالة والحسن بن علي والطفيل بن واثلة وابن
مسعود والبراء بن عازب وعائشة وأنس رضي الله عنهم وروايتهم في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها كان
أبيض مليحا وفي بعضها أبيض مليح الوجه وفي رواية لأبي الطفيل ما أنسى شدة بياض وجهه مع شدة
سواد شعره وفي شعر أبي طالب وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل
وفي رواية عن علي رضي الله عنه أبيض مشرب بحمرة وقال أبو هريرة رضي الله عنه كان صلى الله عليه
وسلم أبيض كأنما صيغ من فضة أي كأنما خلق منها والتشبيه بالفضة باعتبار ما كان يعلو بياضه من
الاضاءة ولمعان الانوار والبريق الساطع فلا ينافي أنه مشرب بحمرة وفي رواية لانس أزهر اللون وهو
بمعنى قول علي أبيض مشرب بحمرة وفي رواية لانس أزهر اللون ليس بأبيض أمهق أي شديد البياض
كلون الجص وفي رواية ولا آدم أي شديد السمرة قال الحافظ ابن حجر مبينا المجموع ما يؤخذ من الاحاديث
المتفرقة أنه ليس بالابيض الشديد البياض ولا بالآدم الشديد الادمة وانما يخالط بياضه حمرة والعرب
قد تطلق على من كان كذلك أسمر ولهذا جاء في بعض روايات أنس رضي الله عنه كان أسمر اللون
فالمراد ان بياضه يميل الى السمرة أي فيه حمرة قليلة وفي الشفا عمن قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أسود

أبي سعيد الخدري رضي
الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تمرق
مارقة من الناس يقتلهم
أولى الطائفتين بالله عز وجل
وعن ابن مسعود رضي الله
عنه قال أتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم منزل أم سلمة
رضي الله عنها فجاء علي
رضي الله عنه فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم
هذا قاتل القاسطين
والناكثين والمارقين
من بعدي ولما فرغ علي
رضي الله عنه من قتال أهل
النهروان خطب الناس
ورغبهم في المسير لقتال
أهل الشام فقالوا يا أمير
المؤمنين نفدت نبالنا وكلت
سيوفنا وفصلت أسنة
رماحنا فارجع الى مصرنا
فنستعد ولعل أمير المؤمنين
يزيد في عدتنا فان ذلك
أقوى لنا على عدونا فاقبل
علي رضي الله عنه بهم حتى
نزل النخيلة فأمر الناس أن
يلزموا معسكرهم ويوطنوا
أنفسهم على الجهاد وأن
يقلوا زيارة أبنائهم

يقتل (وأما طيب ريحه وعرقه ودمه وفضلاته) صلى الله عليه وسلم فقد كانت الرائحة الطيبة صفته صلى الله عليه وسلم وان لم يمس طيبا وروى ابن مردويه عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسري به ريحه ريح عروس وأطيب من ريح عروس والمراد أنه ازداد طيب ريحه بعد الاسراء فلا ينافي أنه طيب الرائحة من حين ولد كما رواه أبو نعيم والخطيب ان أمه آمنة لما ولدته قالت ثم نظرت اليه فاذا هو كالقمر ليلة البدر ريحه يسطع كالمسك الاذفر وروى الامام أحمد عن أنس رضي الله عنه ما شممت ريحا قط ولا مسكا ولا عنبرا أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية للبخاري ومسلم ولا شممت مسكة ولا عنبرة أطيب من رائحة النبي صلى الله عليه وسلم واذا أودع الله بعض الحيوان محاسن بعض المشمومات كالمسك من الغزال والزباد من الهرة فلا بدع في أن يدع في أشرف خلقه ما هو أطيب من ذلك في نفس خلقته وفي رواية للترمذي ولا شممت مسكا قط ولا عطرا كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو يعلى والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني زوجت ابنتي وأنا أحب أن تعينني بشيء فقال ما عندي شيء ولكن اذا كان غدا فاتني بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة وآية ما بيني وبينك أن أجيف ناحية الباب فلما كان الغد أتاه بذلك فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يسلت العرق عن ذراعيه حتى امتلأت القارورة فقال خذها وأمر ابنتك أن تغمس هذا العود في القارورة فتطيب به فكانت اذا تطيبت به شم أهل المدينة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين وروى الدارمي والبيهقي وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم خصال أي خارقة للعادة منها أنه لم يكن يمر في طريق فيتبعه أحد الا عرف أنه سلكه من طيب عرقه وعرفه ولم يكن يمر بحجر الا سجد له ولله در من قال

ولو أن ركبا يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل به الركب

وروى أبو يعلى والبزار عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق من طرق المدينة وجدوا منه أي الطريق رائحة الطيب وقالوا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق قال بعض العارفين ان القلب الطاهر الحي يشم منه رائحة الطيب كما أن القلب الخبيث الميت يشم منه رائحة النتن لان نتن القلب والروح يتصل بباطن البدن أكثر من ظاهره والعرق يفيض من الباطن فالنفس الطيبة يقوى طيبها ويفوح عرفها حتى يبدو على الجسد والخبيثة بضدها وما أحسن قول من قال

يروح على غير الطريق التي غدا * عليها فلا ينهى علانه انه تنفسه في الوقت أنفاس عطره
فمن طيبه طابت له طرقاته * تروح له الارواح حيث تنسمت * له سحرا من حبه نسماته

وروى ابن عساكر وأبو نعيم والخطيب باسناد حسن عن عائشة رضي الله عنها قالت كنت قاعدة أغزل والنبي صلى الله عليه وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبهت فقال ما لك بهت قلت جعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره حيث يقول

ومبرأ من كل غبر حيضة * وفساد مرضعة وداء مغيل
واذا نظرت الى أسرة وجهه * برقت بروق العارض المتهلل

هكذا اقتصر عليه العلامة الزرقاني في شرح المواهب وزاد في شرح الشهاب الخفاجي على الشفاء قالت عائشة رضي الله عنها فقام النبي صلى الله عليه وسلم وقبل بين عيني وقال ما سررت بشيء كسروري بهذا وقوله غبر حيضة بضم الغين وشد الباء ومعناه أن أمه لم تحمل به في آخر الحيض بل بعد انقضائه وحصول الطهر وهو محمود مصلح للولد به يكون صحيح الجبلة محكم البنية وحيضة بكسر الحاء وقوله وفساد مرضعة اي ولا جاءت عليه في حال رضاعه فيفسد رضاعه والمغيل بوزن مكرم بالكسر من الغيل بفتح المعجمة وسكون التحتية وهي ان ترضعه وهي حامل وروى أبو نعيم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأنورهم لونا لم يصفه واصف قط الا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر وكان عرقه في وجهه مثل اللؤلؤ

ونساءهم حتى يسيروا الى عدوهم فاقاموا فيها أياما ثم تسللوا من معسكرهم فدخلوا الا رجالا من وجوه الناس وتركوا المعسكر خاليا فلما رأى علي رضي الله عنه ذلك دخل الكوفة وانكسر عليه رأيه في المسير ثم بعد أيام قال لهم استعدوا للمسير الى عدوكم ومن في جهاده القربة الى الله تعالى وهم يتباطؤن فتركهم أياما حتى اذا أيس من ان يفعلوا دعا رؤساءهم ووجوههم فسالهم عن رأيهم وما الذي يبطئ بهم فمنهم المعتل ومنهم المستكره فلم يزل يخطبهم ويحثهم ويرغبهم ويوبخهم وهم متثاقلون حتى انقضت الايام والليالي الكثيرة وحدث في أثناء ذلك حوادث يطول الكلام بذكرها منها ان أهل الشام انتزعوا مصر من عامله محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما وقتلوه فارسل الاشتر أميرا على مصر بدل محمد بن ابي بكر

أى فى البياض والصفاء وأطيب من المسك الاذفر أى طيب الرائحة ورروى مسلم عن أنس رضى الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندنا أى نام وقت القائلة فعرق فجاءت أمى أم سليم بنت ملحان الانصارية رضى الله عنها بقارورة فجعلت تسلت العرق وتجعله فيها قال القاضى عياض كانت محرما له من قبل الرضاع فاستيقظ صلى الله عليه وسلم فقال يا أم سليم ماهذا الذى تصنعين قالت هذا عرقك نجعله فى طيبنا وفى رواية لطيبنا وهو أطيب الطيب وفى رواية كان صلى الله عليه وسلم يدخل بيت أم سليم وليست فيه فينام على فراشها أى لعلمه برضاها وفرحها به قال فجاء ذات يوم فنام على فراشها فقيل لها هذا النبى صلى الله عليه وسلم نائم فى بيتك على فراشك فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره فى قواريرها ففزع صلى الله عليه وسلم فقال ماتصنعين يا أم سليم قالت يارسول الله نرجو بركته لصبياننا قال أصبت والعتيدة كالصندوق الصغير الذى تترك فيه المرأة ما يعز عليها من متاعها وقيل حقة للمرأة تعد ها للطيب وفى رواية قالت هذا عرقك أدوف أى أخلط به طيبى وروى أبو نعيم عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت كفه صلى الله عليه وسلم ألين من الحرير وكان كفه كف عطار مسها الطيب أولم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها أى طيبا خلقيا خصه الله به معجزة وتكرمة ويضع يده على رأس الصبى فيعرف من بين الصبيان بريحها وروى الطبرانى عن وائل بن حجر رضى الله عنه قال كنت أصافح رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يمس جلدى جلده فأتعرفه بعد فى يدى وانه لأطيب من ريح المسك وفى الشفاء والمواهب أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يتغوط انشقت الارض وابتلعت بوله وغائطه وفاحت لذلك رائحة طيبة ولم يطلع على مايخرج منه بشر قط يعنى اذا بال أو تغوط على الارض فلا ينافى ذلك مارواه الحاكم والدار قطنى والطبرانى وأبو نعيم عن أم أيمن رضى الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل الى فخارة فى جانب البيت فبال فيها فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت مافيها وأنا لا أشعر أنه بول أى لطيب ريحه فلما أصبح النبى صلى الله عليه وسلم قال يا أم أيمن قومى فاهريقى مافى تلك الفخارة فقلت قد والله شربت مافيها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال أما والله لا يجعن بطنك أبدا وروى عبد الرزاق وأبو داود عن أميمة بنت بجاد بن عبد الله التيمى وأمها رقيقة بنت خويلد أخت خديجة رضى الله عنها فرقيقة خالة السيدة فاطمة رضى الله عنها وكانت أميمة رضى الله عنها صحابية من المبايعات قالت كان للنبى صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يبول فيه وعيدان بفتح المهملة واسكان التحتية ومهملة مفتوحة جمع عيدانة بالهاء وهو الطوال من النخل وكان يوضع تحت سريره فجاء فاذا القدح ليس فيه شئ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله عنهما وكانت أم حبيبة من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين رضى الله عنهن وكانت بركة جاءت معها من الحبشة فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم أين البول الذى كان فى القدح قالت شربته قال صحة يا أم يوسف أى جعله الله صحة فما مرضت قط حتى كان مرضها الذى ماتت فيه وصحح ابن دحية انهما قصتان احداهما قصة أم أيمن والثانية قصة بركة أم يوسف قال فى المواهب وقد وضح أن بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن لان أم يوسف كانت تخدم أم حبيبة رضى الله عنها وجاءت معها من الحبشة وأم أيمن هى مولاته صلى الله عليه وسلم وحاضنته قال القاضى عياض والنووى حديث شرب المرأة البول صحيح وفيه دلالة على طهارة بوله وكذا سائر فضلاته صلى الله عليه وسلم وحديث شرب البول كاف فى الاحتجاج لكل الفضلات قياسا وكذا حديث الدم الذى شربه عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما وروى ابن سعد عن عائشة رضى الله عنها قالت يارسول الله انك تأتى الخلاء فلا نرى منك شيأ من الاذى فقال ياعائشة أوما علمت ان الارض تبتلع مايخرج من الانبياء فلا يرى منه شئ وروى ابن سبع عن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال صحبته صلى الله عليه وسلم فى سفر فلما أراد قضاء الحاجة تأملته قد دخل مكانا فقضى حاجته فدخلت الموضع الذى خرج منه فلم أرله أثر غائط ولا بول ورأيت فى ذلك الموضع ثلاثة أحجار فأخذتهن فوجدت لهن رائحة طيبة وعطرا أى طيبا وكانت الصحابة رضى الله عنهم يتبركون

رضى الله عنهما فمات فى الطريق مسموما * ومنها انهم أرسلوا عبد الله بن الحضرمى الى البصرة لينتزعها فصار بينه وبين عامل على رضى الله عنه على البصرة قتال يطول الكلام بذكره ثم قتل عبد الله بن الحضرمى * ومنها أنه خرج عليه خوارج فى هذه المدة منهم بنو ناجية ورئيسهم الخريت ابن راشد الناجى ومعه ثلاثمائة كانوا شهدوا الجمل وصفين مع على رضى الله عنه كانوا معه بالكوفة الى هذا الوقت فرأوا رأى الخوارج وخرجوا منابذين له فخاف أن يفسدوا غيرهم فأرسل خلفهم بعض أصحابه وأردفهم بالرجال فقاتلوهم حتى قطعوا دابرهم ثم خرج بعدهم أشرس بن عوف الشيبانى بالدسكرة فى مائتين فأرسل اليهم من قاتلهم حتى أبادهم ثم خرج هلال بن علقمة بن تيم الرباب فى مائتين فأرسل اليهم من قاتلهم حتى أبادهم ثم الاشهب بن بشر فى مائة

بدمه صلى الله عليه وسلم وشعره وماء وضوئه وجميع آثاره وروى البزار والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني الدم بعد فراغه من الحجامة فقال اذهب يا عبد الله فغيبه وفي رواية ذهب بهذا الدم فواره حيث لا يراه أحد فذهبت فشربته ثم أتيته صلى الله عليه وسلم فقال ما صنعت قلت غيبته قال لعلك شربته قلت شربته وفي رواية قلت جعلته في أخفى مكان ظننت انه خاف عن الناس قال لعلك شربته قلت شربته قال ويل لك من الناس وويل للناس منك فقوله ويل لك للتحسر والتألم وذلك اشارة الى محاصرته وتعذيبه وقتله وصلبه على يد الحجاج وقوله وويل للناس منك اشارة لما أصابهم من حروبه ومحاصرة مكة بسببه وقتل من قتل وما أصاب أمه وأهله من المصائب وما لحق قاتليه من الاثم العظيم وتخريب الكعبة فهو بيان لما تسبب عن شرب دمه فانه بضعة من النبوة نورانية قوت قلبه حتى زادت شجاعته وعلت همته عن الانقياد لغيره ممن لا يستحق امارة فضلا عن الخلافة وفي رواية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حملك على ذلك قال قد علمت ان دمك لا تصيبه نار جهنم فشربته لذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمسك النار ومسح على رأسه وجاء في رواية ان ابن الزبير رضي الله عنهما لما شرب دمه صلى الله عليه وسلم تضوع فمه مسكا وبقيت رائحته في فمه الى أن صلب بعد قتله رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين من الهجرة وكانت خلافته بمكة تسع سنين قال الامام مالك رضي الله عنه وكان أحق بها من عبد الملك وأبيه مروان وروى الزبير بن بكار انه حين ولدته أمه رآه صلى الله عليه وسلم فقال هو هو ومنعته أمه فامسكت عن رضاعه فقال أرضعيه ولو بماء عينيك كبش بين ذئاب في ثياب ليمنعن البيت وليقتلن دونه وهذا مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ووقع كما أخبر فقد بويع له بالخلافة سنة خمس وستين بعد وفاة معاوية فأطاعه أهل الحجاز واليمن والعراقين وخراسان وحج بالناس ثمان سنين حتى ثارت الفتنة بينه وبين عبد الملك بن مروان فبعث اليه الحجاج فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوما حتى لم يبق معه أحد فقاتل حتى قتل رضي الله عنه سنة ثلاث وسبعين وعمره اثنتان وسبعون سنة وأيام وروى الشعبي قال هاج الدم برسول الله صلى الله عليه وسلم فحجمه أبو طيبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشكموه فأعطوه دينارا وقال لابن الزبير واره يعني الدم فتوارى ابن الزبير رضي الله عنهما فشرب الدم فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله فقال اما انه لا تصيبه النار أو لا تمسه النار قال الشعبي فقيل لابن الزبير كيف وجدت طعم الدم فقال أما الطعم فطعم العسل وأما الرائحة فرائحة المسك وهذا من باب قلب الاعيان الذي عد من معجزاته صلى الله عليه وسلم وروى ابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال حجم النبي صلى الله عليه وسلم غلام لبعض قريش فلما فرغ من حجامته أخذ الدم فذهب به من وراء الحائط فنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا فحساه أي شرب دمه حتى فرغ ثم أقبل فنظر صلى الله عليه وسلم في وجهه فقال ويحك ما صنعت فقلت غيبته في بطني فقال صلى الله عليه وسلم اذهب فقد أحرزت نفسك من النار ولا منافاة لاحتمال تعدد الواقعة وفي سنن سعيد بن منصور أن مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه لما جرح النبي صلى الله عليه وسلم في وجهه يوم أحد مص جرحه حتى أنقاه ولاح بعد المص أبيض فقال مجه فقال لا والله لا أمجه أبدا ثم ازدرده أي ابتلعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من أراد أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا فاستشهد يومئذ باحد فظهر صدق قوله صلى الله عليه وسلم انه من أهل الجنة وفي رواية انه قال من سره أن ينظر الى رجل خالط دمي دمه فلينظر الى مالك بن سنان (وكان صلى الله عليه وسلم) يتستر عند البراز وغيره فمن تستره وحسن أدبه ما دل عليه قول عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط رواه ابن ماجه والترمذي وعن علي رضي الله عنه قال أوصاني النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يغسله غيري فانه لا يرى أحد عورتي الا طمست عيناه وروى الحاكم وأبو عوانة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما بال رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما منذ أنزل عليه القرآن وفي رواية قالت من حدثكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يبول قائما فلا تصدقوه ما كان يبول الا قاعدا وفي رواية الا جالسا والمراد من

وثمانين فارسل اليهم من قاتلهم حتى أفناهم ثم سعيد ابن قفل التيمي في مائتين فأرسل اليهم من قاتلهم حتى هلكوا ثم أبو مريم السعدي في مائتين وقيل في أربعمائة فارسل اليهم من قاتلهم فقتل أكثرهم وكل هذه الحوادث كانت في سنة تسع وثلاثين وفرق أهل الشام سراياهم في العراق وأطرافه ووقع بينهم وبين عمال علي رضي الله عنه وقائع يطول الكلام بذكرها * ثم عزم الناس على قتال أهل الشام فبايع عليا رضي الله عنه أربعون ألفا على الموت فبينما هم يتجهزون للمسير وقع قتل علي رضي الله تعالى عنه واذا أراد الله أمرا فلا مرد له وحاصل قصة مقتله رضي الله تعالى عنه انه في سنة تسع وثلاثين وقيل في سنة أربعين اجتمع عبد الرحمن ابن ملجم لعنه الله والبرك ابن عبد الله التميمي الصريمي وعمرو بن بكر التميمي السعدي وكلهم كانوا من الخوارج فتذاكروا أمر الناس وعابوا عمل ولاتهم ثم ذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم فلو شرينا أنفسنا وقتلنا أئمة الضلالة وأرحنا منهم البلاد فقال ابن ملجم لعنه الله أنا أكفيكم عليا وكان ابن ملجم من أهل

حدثكم ان تلك عادته فلا ينافي ما صح عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم سباطة قوم فبال قائما والسباطة المزبلة وموضع القمامة والاوساخ فهذا كان منه صلى الله عليه وسلم للتشريع وبيان الجواز أو لكونه لم يجد في السباطة المذكورة موضعا خاليا عن الاوساخ يجلس فيه وأيضا عائشة رضي الله عنها ما شاهدت هذه الحالة فأخبرت بما شاهدته من أحواله المستمرة وعادته الدائمة وقيل السبب في بوله قائما ما روي عن الامامين الشافعي وأحمد رضي الله عنهما ان العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بالبول قائما فلعله كان به وجع صلب وروى البيهقي والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال انما بال صلى الله عليه وسلم قائما لجرح كان بمأبضه والمأبض بهمزة ساكنة بعدها موحدة مكسورة ثم ضاد معجمة باطن الركبة فكأنه لم يتمكن لاجله من القعود وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يدخل الخلاء قال اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث أي ذكران الشياطين واناثهم وكان عليه الصلاة والسلام يستعيذ اظهارا للعبودية والا فهو معصوم من الشياطين كسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويجهر بذلك للتعليم وكان اذا أراد قضاء الحاجة لا يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض واذا خرج من الخلاء قال غفرانك الحمد لله الذي أذهب عني الاذى وعافاني منه وكان يقول اذا أتى أحدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره وبقية الآداب شهيرة ولا حاجة الى الاطالة بها والله سبحانه وتعالى أعلم (ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم ما أكرمه الله به من الاخلاق الزكية والاوصاف المرضية زيادة على ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وسكناته ففي ذلك ما خصه الله به من كمال العلم والحلم والصبر والشكر والزهد والعدل والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب والمعاشرة وغير ذلك من الاخلاق الحميدة التي جماعها حسن الخلق وقد اتصف بها جميعها صلى الله عليه وسلم ونحن اذا شاهدنا من اتصف بصفة أو صفتين وجدناه يعظم قدره ويضرب به الامثال ويتقرر له بذلك الوصف في القلوب مكرمة يتفرد بها كما نراه في اشتهار حاتم بالكرم وكسرى بالعدل وحسان بالفصاحة وعنتر بالشجاعة فيقولون أجود من حاتم وأعدل من كسرى وأفصح من حسان وأشجع من عنتر فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل الصفات الجميلة الى ما لا يأخذه عد ولا احصاء ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة وانما يكون بتفضل الكبير المتعال ومن تأمل في صفاته صلى الله عليه وسلم وجده حائزا لجميع صفات الكمال محيطا بشتات محاسنها بلا خلاف بين نقلة الاخبار من ثقات الرجال بل بلغ ذلك مبلغ القطع بالتواتر لا يشك فيه الا مخذول مستغرق في بحار الضلال وناهيك بقوله تعالى له وانك لعلى خلق عظيم وقوله وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما * ولنشرع في ذكر جملة من أخلاقه العظيمة فنقول (أما وفور عقله وحلمه وذكائه) صلى الله عليه وسلم فلا مرية انه كان أعقل الناس وأذكاهم فطنة وفهما ومن تفكر في تدبيره أمر بواطن الخلق وظواهرهم بحسن تصرفه وسياسته العامة والخاصة لم يشك في رجحان عقله وثقوب فهمه وقد أطلعه الله على ظواهر أحوال الخلائق وخفياتها حتى يصلحها ويرشدهم للاحسن منها وهو مبعوث لسائر العباد داع الى الله وهذا انما يكون باصلاح بواطنهم وظواهرهم وهو يتوقف على معرفة ذلك فموسى عليه الصلاة والسلام كان ينظر في أحكام أمته بالظاهر والخضر عليه السلام أعطاه الله العلم بباطن الامر والنظر اليه ونبينا صلى الله عليه وسلم أعطاه العلم بالظاهر والباطن فكان ينظر الى ظواهر الخلائق وبواطنهم ويعامل كل انسان بما يقتضيه حاله من رعاية ظاهره أو باطنه فكان يسوس الخلق على حسب اختلاف أحوالهم حتى انه يأتيه الاعرابي الجلف فيتلطف به ويسوسه حتى ينطق بالحكمة في أقرب زمن وكانت الاعراب كالوحش الشارد فساسهم واحتمل جفاهم وصبر على أذاهم الى أن انقادوا اليه واجتمعوا عليه وقاتلوا دونه أهلهم وآباءهم وأبناءهم واختاروه على أنفسهم وهجروا في رضاه أوطانهم وأحباءهم وكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل انسان منهم على قدر عقله ويفتيه على حسب حاله وهذا مع ما أفاضه صلى الله عليه وسلم عليهم من العلم وقرره لهم من الشرع وكل

مصر وقال البرك بن عبد الله أنا أكفيكم معاوية وقال عمرو بن بكر أنا أكفيكم عمرو بن العاص فتعاهدوا على أن لا ينكص منهم أحد عن صاحبه الذي توجه اليه حتى يقتله أو يموت دونه وكانت معاهدتهم وهم بمكة في الحطيم فاخذوا سيوفهم فسموها وتواعدوا لسبع عشرة من رمضان سنة أربعين وقصد كل الجهة التي يريد فأتى ابن ملجم الكوفة فلقي أصحابه من الخوارج بالكوفة وأخبرهم بما يريد واستكتمهم أمره ورأى يوما أصحابا له من تيم الرباب وكان علي رضي الله عنه قد قتل منهم يوم النهروان عدة فتذاكروا قتلى النهروان ولقي معهم امرأة من تيم الرباب اسمها قطام وقد قتل أبوها وأخوها يوم النهروان وكانت فائقة الجمال فلما رآها ابن ملجم لعنه الله أخذت قلبه فخطبها فقالت لا أتزوجك حتى تشتفي لي فقال لها وما تريدين قالت ثلاثة آلاف وعبدا وقينة وقتل علي بن أبي طالب فقال لها ما قتل علي فما أراك ذكرتيه وأنت تريدينني لاني اذا قتلته أقتل فيه قالت بلى التمس غرته فان أصبت شفيت نفسك ونفسي ونفعك العيش معي وان قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قال والله

ذلك دون تعلم سبق له من غيره ولا ممارسة تقدمت لشيء من ذلك ولا مطالعة الكتب فمن تأمل ذلك كله تحقق انه صلى الله عليه وسلم أعقل العالمين قال وهب بن منبه قرأت في أحد وسبعين كتابا من كتب الله المنزلة فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم أرجح الناس عقلا وأفضلهم رأيا وفي رواية فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا أي لم يعطهم جميعا منه شيئا نسبته الى عقله الا كنسبة حبة بالنسبة الى رمالها ولما كان عقله عليه الصلاة والسلام أوسع العقول اتسعت أخلاق نفسه الكريمة اتساعا لا يضيق عن شيء فمن ذلك اتساع خلقه في الحلم والعفو مع القدرة وصبره على ما يكره وغير ذلك من كريم أخلاقه (أما صبره) فحسبك في صبره عليه الصلاة والسلام على الكافرين وعفوه عن المقاتلين المحاربين له مع ما ناله منهم من الجراح والجهد بحيث كسرت رباعيته اليمنى السفلى وشج وجهه يوم أحد حتى صار الدم يسيل على وجهه الشريف فصار ينشفه ويقول لو وقع شيء منه على الارض انزل عليهم العذاب من السماء وشق ذلك على أصحابه وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة أي لمن أراد الله اخراجه من الكفر الى الايمان ثم قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وفي رواية اللهم اهد قومي وهو المراد من قوله اللهم اغفر لهم فان المغفرة لا تكون الا بعد الهداية فالدعاء بالمغفرة متضمن للدعاء لهم بالهداية وفي الشفاء عن عمر رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه بابي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت علينا لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت أن تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وههنا دقيقة وهي ان حلمه صلى الله عليه وسلم وعفوه انما هو فيما يتعلق بنفسه الشريفة وأما اذا انتهكت حرمات الله فكان يغضب أشد غضب ولهذا لما شغله المشركون عن الصلاة يوم الخندق قال اللهم املأ بطونهم نارا وفي رواية ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا فالصلاة عماد الدين فرجح حق خالقه ودعا على من شغله عنها بخلاف شج وجهه فانه حقه صلى الله عليه وسلم فعفا فالصبر على الاذى هو جهاد النفس الاكبر وقد جبل الله النفس على التألم بما يفعل بها وكان الكفار والمنافقون يفعلون معه صلى الله عليه وسلم كثيرا من الاذى فكان يصبر ويعفو اذا كان في حق نفسه لما علم من جزيل ثواب الصابرين والعافين أما اذا كان لله فانه يمتثل فيه أمر الله من الشدة كما قال تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (وأما حلمه صلى الله عليه وسلم) وعفوه مع القدرة فيدل عليه ما رواه الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي ان زيد بن سعنة بفتح السين المهملة وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها هاء أحد أحبار اليهود الذين أسلموا قال لم يبق من علامات النبوة شيء وفي رواية ما بقي شيء من نعت محمد في التوراة الا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما منه يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فكنت أتلطف له توصلا لان أخالطه فاعرف حلمه وجهله فابتعت أي اشتريت منه تمرا الى أجل وفي رواية لابي نعيم فاعطاه زيد بن سعنة ثمانين مثقالا ذهبا في تمر معلوم الى أجل معلوم قال زيد بن سعنة فلما كان قبل مجيء الاجل بيومين أو ثلاثة أتيته فاخذت بمجامع قميصه وردائه على عنقه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضيني يا محمد حقي فوالله انكم يا بني عبد المطلب مطل فقال عمر وفي رواية أبي نعيم فنظر اليه عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير فقال أي عدو الله اتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسمع وتفعل به ما أرى فوالله لولا ما أحاذر فوته أي من بقاء الصلح بين المسلمين وبين قومه لضربت بسيفي رأسك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى عمر بسكون وتؤدة وتبسم ثم قال أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر أن تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التباعة وفي رواية تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من أجله ثلاث فتكرم صلى الله عليه وسلم بالتعجيل وقال اذهب يا عمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعا مكان ما روعته أي في مقابلة ترويعك له ففعل ذلك عمر رضي الله عنه قال زيد فقلت يا عمر كل علامات النبوة قد عرفتها في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت اليه الا اثنتين لم أخبرهما

فاجابه الا قتل علي قال ما سألت قالت أطلب لك من يشد ظهرك ويساعدك وبعثت الى رجل من قومها اسمه وردان وكلمته فاجابها وأتى ابن ملجم رجلا من أشجع اسمه شبيب بن بجرة فقال له هل لك في شرف الدنيا والآخرة قال وماذا قال قتل علي فقال شبيب ثكلتك أمك لقد جئت شيئا ادا كيف تقدم على قتله قال انه رجل لا حرس له ويخرج الى المسجد منفردا فاكمن له في المسجد فاذا خرج الى صلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه فان نجونا فقد شفينا أنفسنا وان قتلنا سعدنا بالذكر في الدنيا والآخرة وما كان لنا عند الله خير من الدنيا وما فيها قال ويحك لو كان غير علي كان أهون قد عرفت سابقته وفضله وبلاه في الاسلام وما أجدني أنشرح لقتله قال أما تعلمه حكم الرجال في دين الله وقتل أهل النهروان العباد الصالحين قال بلى قال فنقتله بمن قتل من أصحابنا فلا تشكن في دينك فاجابه فلما كان ليلة الجمعة سبع عشرة من رمضان وهي الليلة التي تواعد ابن ملجم هو وأصحابه على قتل علي ومعاوية وعمرو فيها أخذ سيفه ومعه شبيب ووردان ودخلوا على قطام وكانت معتكفة في المسجد

يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما فقد اختبرتهما أى بما رأيت من فعله صلى الله عليه وسلم فاشهد يا عمر انى قد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وفى رواية ما حملنى على ما رأيتنى صنعت يا عمر الا انى كنت رأيت صفاته التى فى التوراة كلها الا الحلم فاختبرت حلمه اليوم فوجدته على ما وصف فى التوراة وانى أشهدك ان هذا التمر وشطر مالى فى فقراء المسلمين وأسلم هو وأهل بيته كلهم الا شيخا غلبت عليه الشقوة وروى أبو داود والبيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ثم قام فقمنا حين قام فنظرنا الى اعرابى قد أدركه فجذبه بردائه فحمر رقبته وكان رداء خشنا فالتفت اليه صلى الله عليه وسلم فقال له الاعرابى احملى على بعيرى هذين أى حلهما الى طعاما من مال الله الذى عندك فانك لا تحملى من مالك ولا من مال أبيك فقال له صلى الله عليه وسلم لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله لا وأستغفر الله أى لا أحلك من مالى ولا من مال أبى وفى رواية المال مال الله وأنا عبده أى أتصرف فيه باذنه وأعطى من يأمرنى باعطائه ثم قال لا أحلك حتى تقيدنى من جبذتك التى جبذتنى أى تمكننى من القود من نفسك فافعل معك مثل ما فعلت معى من جذب ردائى قال الاعرابى والله لا أقيدكها قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك صلى الله عليه وسلم أى تطمينا لقلبه اذ ابدى بالمسرة بمقابلته وسرورا بما رآه من حسن ظنه به وانه لم يفعل ذلك تنقيصا له وهذا يقتضى انه كان مسلما غير منافق غيران فيه جفاء البادية ثم دعا صلى الله عليه وسلم رجلا وفى رواية دعا عمر فقال احمل له على بعير به هذين على بعير تمرا وعلى الآخر شعيرا وروى البخارى ومسلم عن أنس رضى الله عنه قال كنت أمشى مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجرانى غليظ الحاشية فادركه اعرابى فجبذ برداءه جبذة شديدة قال أنس رضى الله عنه فنظرت الى صفحة عاتقه وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته وفى رواية مسلم وانشق البرد وذهبت حاشيته فى عنقه ثم قال يا محمد مرلى من مال الله الذى عندك فالتفت اليه فضحك ثم أمر له بعطاء والعطاء المذكور يحتمل انه تحميل البعيرين المذكورين آنفا ويحتمل انه غيره وتكون هذه قصة أخرى وفى هذا بيان حلمه صلى الله عليه وسلم وصبره على الاذى فى النفس والمال والتجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الاسلام وروى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها وقد سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت لم يكن فاحشا ولا متفحشا أى متكلفا الفحش أى لم يقم به فحش طبعا ولا تكلفا ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ومثل ذلك روى عن أنس وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم وروى الحاكم وغيره عن عائشة رضى الله عنها ما لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلما بذكر صريح اسمه وما ضرب بيده شيئا قط الا أن يضرب فى سبيل الله ولا سئل شيئا قط فمنعه الا أن يسئل مأثما ولا انتقم لنفسه الا ان تنتهك حرمات الله فيكون لله ينتقم وفى رواية عن أنس رضى الله عنه فان انتهكت حرمات الله كان أشد الناس غضبا وقد وصفه الله بحسن الخلق فى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وأمر بقوله ادفع بالتى هى أحسن الآية روى ان اعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان فصيح اللسان قوى الجنان وكان قد صنع شعرا مشتملا على حكمة وظن أن أحدا لا يقدر أن يأتى بما فيه من الحكمة فقال للنبى صلى الله عليه وسلم اصغ الى أوصلك ثم قال

تحيتك الحسنى فقد ترفع الثقل * فى ذوى الاضغان تسلى نفوسهم
وان خنسوا عنك الكلام فلا تسل * فان هتفوا بالقول فاعف تكرما
كأن الذى قالوا وراءك لم يقل * فان الذى يؤذيك منه استماعه

فقرأ عليه صلى الله عليه وسلم ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم فقال الاعرابى ليس هذا من كلام البشر وكان سبب اسلامه رضى الله عنه ومما يدل على كمال حلمه وبره وعفوه صلى الله عليه وسلم اتساع خلقه للمنافقين قال ابن عباس رضى الله عنهما كان المنافقون من الرجال ثلثمائة ومن النساء مائة وسبعين وكانوا يؤذونه صلى الله عليه

وسلم

فى قبة ضربتها لنفسها فدعت لهم ثم ذهبوا وجلسوا مقابل السدة التى يخرج منها على رضى الله عنه للصلاة وكان على رضى الله عنه لما دخل رمضان تلك السنة يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن أخيه جعفر رضى الله عنهم ولا يزيد على ثلاث لقم يقول أحب أن يأتينى أمر الله وأنا خميص البطن فلما كانت الليلة التى قتل فى صبحها أكثر الخروج والنظر الى السماء ويقول والله ما كذبت ولا كذبت وانها الليلة التى وعدت ولما خرج لصلاة الفجر أقبل الاوز التى كانت فى داره يصحن فى وجهه فطاردوهن عنه فقال ذروهن فانهن نوائح وكان فى تلك الليلة رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من الاود واللود يعنى من العوج والخصومات فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ادع الله عليهم فقال على رضى الله عنه اللهم أبدلنى بهم من هو خير منهم وأبدلهم بى من هو شر منى وأخبر ابنه الحسن رضى الله عنه بتلك الرؤيا سحرا قبيل خروجه الى الصلاة فلما جاءه المؤذن يؤذنه بالصلاة خرج وهو ينادى ويقول أيها الناس الصلاة الصلاة

وسلم اذا غاب ويتملقون اذا حضر وذلك مما تنفر منه النفوس البشرية حتى تؤيدها العناية الربانية وكان صلى الله عليه وسلم كلما أذن له فى التشديد عليهم فتح لهم بابا من الرحمة لانه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين فكان يستغفر لهم ويدعو لهم حتى أنزل الله تعالى عليه استغفر لهم أو لا تستغفر لهم فقال عليه الصلاة والسلام خيرنى ربى فاخترت أن أستغفر لهم ولما قال الله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال صلى الله عليه وسلم فوالله لازيدن على السبعين وفى رواية فانا أستغفر سبعين سبعين سبعين الى أن أنزل الله عليه فى سورة المنافقين سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم فترك الاستغفار وروى ابن منده أن الحباب بن عبد الله بن أبى ابن سلول جاء يستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه لما بلغه بعض مقالاته فى النبى صلى الله عليه وسلم لنفاقه وكان ابنه صحابيا صالحا فأبى صلى الله عليه وسلم أن يأذن له فى قتله وأمره ببره وحسن صحبته وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما لما مرض عبد الله بن أبى جاءه النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فقال قد فهمت ما تقول فامنن على وكفنى فى قميصك وصل على ففعل فكان طلب ذلك منه نفاقا لا عن حقيقة ايمان ولما مات كفنه النبى صلى الله عليه وسلم فى ثوب خلعه عن بدنه صلى الله عليه وسلم وصلى عليه تطييبا لقلب ابنه وتألفا لبقية المنافقين ولما قيل له صلى الله عليه وسلم فى ذلك قال وما يغنى عنه قميصى وانى لارجو أن يسلم بذلك ألف من قومه روى أن ألفا من الخزرج أسلموا لما رأوه يستشفع بثوبه ويتوقع اندفاع العذاب عنه وجاء أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أراد النبى أن يصلى عليه منعه وصار يجذبه بثوبه ويقول يا رسول الله أتصلى على رأس المنافقين فنثر ثوبه من عمر رضى الله عنه أى جذبه منه بقوة وقال اليك عنى يا عمر وصلى عليه فخالف مؤمنا حق عدو منافق كل ذلك رحمة منه لامته لكمال شفقته صلى الله عليه وسلم على من تعلق بطرف من الدين ولتطييب قلب ولده الصحابى الصالح ولتألف الخزرج لرياسته فيهم لانه لو لم يجب ابنه الى ما سأل وترك الصلاة عليه قبل ورود النهى الصريح لكان سبة على ابنه وعارا على قومه فاستعمل صلى الله عليه وسلم أحسن الامرين فى السياسة حتى كشف الله الغطاء فانزل ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره الآية فما صلى على منافق بعد ولا قام على قبره وهذه من الآيات التى جاءت موافقة لرأى عمر رضى الله عنه وقيل انما كفنه صلى الله عليه وسلم فى قميصه مكافأة له لانه ألبس العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم قميصا حين أسر يوم بدر فكافأه بقميصه حتى لا يكون له على عمه منة وفى ذلك كله بيان عظيم مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من الايذاء له كقوله ليخرجن الاعز منها الاذل وقوله لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا وتوليه كبر الافك ومع ذلك كله قابله بالحسنى وألبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له قال مجمع بن جارية رضى الله عنه ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أطال الصلاة على جنازة قط ما أطال على جنازة ابن أبى ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه وفى البخارى عن عمر رضى الله عنه لما صلى النبى صلى الله عليه وسلم على ابن أبى قال فصلينا معه قال أبو نعيم ففيه أن عمر رضى الله عنه ترك رأى نفسه وتابعه صلى الله عليه وسلم ومن مكارم أخلاقه صلى الله عليه وسلم عفوه عن لبيد بن الاعصم اليهودى حين صنع له صلى الله عليه وسلم سحرا فاعلمه الله به فارسل واستخرجه من بئر ذروان ولم يعاقبه وقال قد شفانى الله وكرهت أن أثير شرا وعفا عن اليهودية التى سمت له الشاة بالنسبة لنفسه صلى الله عليه وسلم فلا ينافى أنه قتلها بعد ذلك لما مات بشر بن البراء قصاصا وتقدمت القصة بتمامها فى غزوة خيبر ورحم الله القائل فى حقه صلى الله عليه وسلم

وما الفضل الا خاتم أنت فصه * وعفوك نقش الفص فاختم به عذرى

وحسبك ما نقل فى كتب السنة الصحيحة نقلا متواترا بلغ مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش وأذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة الى أن أظفره الله عليهم وحكمه فيهم عام الفتح وهم لا يشكون فى استئصال جماعتهم وقطعه دابرهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون انى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم

ضربة شبيب بالسيف فوقع سيفه بعضادة الباب وضربه ابن ملجم لعنه الله على قرنه بالسيف وقال الحكم لله لا لك يا على ولا لاصحابك فقال على رضى الله عنه لا يفوتنكم الكلب فشد الناس عليه من كل جانب فأخذوه وهرب شبيب ووردان فلما أمسكوا ابن ملجم قال على رضى الله عنه احبسوه فان مت فاقتلوه ولا تمثلوا به وان لم أمت فالامر الى فى العفو أو القصاص وصلى الصبح بالناس جعدة بن هبيرة وأمه أم هانئ بنت أبى طالب أخت على رضى الله عنهما وكانت صلاته بالناس بامر من على رضى الله عنه وكان على رضى الله عنه يعرف ابن ملجم ويعلم انه قاتله بعلامات أخبره بها النبى صلى الله عليه وسلم وقد جاءت أحاديث صحيحة عن النبى صلى الله عليه وسلم فيها الاخبار بان أشقى الاولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتل على رضى الله عنه * منها ما رواه الامام أحمد رضى الله عنه عن على رضى الله عنه قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على أتدرى من أشقى الاولين قلت الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة ثم قال أتدرى من أشقى الآخرين قلت الله ورسوله أعلم قال

وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا فأنتم الطلقاء فانطلقوا كأنما نشروا من قبورهم وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال هبط ثمانون رجلا من التنعيم عام الحديبية صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بغتة فأمسكهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وجاؤا بهم اليه صلى الله عليه وسلم فأعتقهم وأطلقهم وأنزل الله تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم الآية وقد لاطف صلى الله عليه وسلم أبا سفيان فقال له ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم وتشهد أن لا اله الا الله فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما أحلمك وأوصلك فانظر الى هذه اللطافة منه صلى الله عليه وسلم لأبي سفيان مع ما كان منه من المحاربة وتحزيب الاحزاب وغير ذلك مما صدر منه فعطاياه ولا طفه بالقول والفعل ومن رحمته صلى الله عليه وسلم ما رواه الدارقطني والحاكم وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يصغي أي يميل الى الهرة الاناء حتى تشرب ثم يتوضأ بفضلها ومن رحمته شفقته على أهل الكبائر من أمته وأمره اياهم بالستر حيث قال من ابتلي بهذه القاذورات فليستتر وأمر أمته أن يستغفروا له ويدعوا ويترحموا عليه لما اغتاظوا عليه فسبوه ولعنوه فقال قولوا اللهم اغفر له اللهم ارحمه (وأما تواضعه) صلى الله عليه وسلم وحسن عشرته مع أهله وخدمه وأصحابه مع ما خصه الله به من الرفعة وعلو المقام فأمر لا تدرك له غاية كما يأتي وصفه قال بعضهم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان المشاهدة في قلبه وانما يحصل ذلك برياضة النفس ومجاهدتها في الاقبال على الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه فعند ذلك تذوب النفس وتفنى قواها عن ميلها الى الشهوات ويتيسر لها استعمال القوى والجوارح في الطاعات كل الاوقات وعند ذلك تصفو من غش الكبر وتطمئن بذكر الله وتقبل عليه بجملتها فلم يبق لها تعلق بشيء من مألوفها فتاهي الحق والخلق لمحوآثارها وسكون وهجها وغبارها وقد كان الحظ الاوفر من التواضع لنبينا صلى الله عليه وسلم فكلما ازداد قربا ازداد تواضعا ومن سبل من تواضعه عليه الصلاة والسلام أن خيره ربه بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا تواضعا لربه مع أنه لو كان نبيا ملكا ما ضره ولكن رأى التواضع يزيده قربا من ربه فأعطاه الله بتواضعه أن جعله أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع فلم يأكل متكئا بعد أن اختار العبودية حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري والترمذي وغيرهما لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم انما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله والمعنى لا تجاوزوا الحد في مدحي بان تقولوا ما لا يليق بي كما تجاوزته النصارى ولكن قولوا الخ فأثبت لنفسه ما هو ثابت له من العبودية والرسالة وسلم لله ما هو له تعالى لا لسواه ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه كان لا ينهر خادما روى البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف قط وفي رواية لأبي نعيم فما سبني قط وما ضربني من ضربة ولا انتهرني ولا عبس في وجهي ولا أمرني بأمر فتوانيت فيه فعاتبني عليه فان عاتبني أحد قال دعوه ولو قدر شيء كان وفي رواية البخاري ولا قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وفي رواية ولكن يقول قدر الله وما شاء الله فعل ولو قدر الله كان ولو قضى لكان وكذلك كان صلى الله عليه وسلم مع عبيده وامائه ما ضرب منهم أحدا قط وهذا أمر لا تتسع له الطباع البشرية ولا تطيقه ولا تقدر عليه لولا التأييدات الربانية وما ذاك الا لكمال معرفته صلى الله عليه وسلم أنه لا فاعل ولا معطي ولا مانع الا الله وان الخلق آلات ووسائط فالغضب على المخلوق في شيء فعله كالاشراك المنافي للتوحيد وقيل سبب ذلك أنه كان يشهد تصريف محبوبه فيه وتصريف المحبوب في المحب لا يعلل بل يسلم ليستلذ فكل ما يفعله الحبيب محبوب وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه ما رأيت أحدا أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ قط ولا ضرب امرأة ولا خادما الا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء فينتقم من صاحبه الا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله ثم يستثني

قاتلك وفي رواية أشقى الآخرين الذي يضربك على هذه فيبل منها هذه وأخذ بلحيته وجاء في رواية لهذا الحديث عن صهيب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشقى الآخرين الذي يضربك على هذه وأشار الى يافوخه فكان علي رضي الله عنه يقول لأهله والله لوددت ان لو بعث أشقاها وعن ابن سبيع قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول ما ينتظر أشقاها عهد الي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخضبن هذه من هذه وأشار الى لحيته ورأسه فقال يا أمير المؤمنين خبرنا من هو حتى نبتدره فقال أنشد الله رجلا قتل بي غير قاتلي وعن عبد الله بن عبد العزيز العبدري انه سمع أباه يقول جاء عبد الرحمن ابن ملجم يستحمل عليا فحمله ثم قال اما ان هذا قاتلي قيل فما يمنعك منه قال انه لم يقتلني بعد وكان عبد الرحمن بن ملجم يتردد على علي رضي الله عنه فيعطيه ويحسن اليه وكان اذا أدبر عنه يقول

أريد حباءه ويريد قتلي
عذيرك من خليلك من مراد

ولما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليا رضي الله عنه وامسكوه لعنه الله قال علي رضي الله عنه احضروه فلما دخل عليه فقال أي عدو

من ذلك ما رواه النسائي عن طفيل الاشجعي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب فرسه لما رآه متخلفا عن الناس وقال اللهم بارك فيها قال طفيل فلقد رأيتني ما أملك رأسها ولقد بعت من بطنها باثني عشر ألفا أي وذلك من بركة قوله صلى الله عليه وسلم اللهم بارك فيها ووكز جمل جابر رضي الله عنه حتى سبق الناس بعدما كان متأخرا عنهم وذلك معجزة فلا يشكل على قول عائشة رضي الله عنها ما ضرب شيأ قط وروى ابن سعد وغيره عن عائشة رضي الله عنها وقد سئلت كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته قالت كان ألين الناس بساما ضحاكا لم يرقط مادا رجليه بين أصحابه وروى أبو نعيم عن عائشة أيضا رضي الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من أصحابه الا قال لبيك وروى أبو داود والترمذي عن أنس والبزار عن أبي هريرة رضي الله عنهما ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحى رأسه عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ وروى الامام أحمد وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويرقع دلوه ويفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق ويفعل ذلك ارشادا للتواضع وترك التكبر ومع ذلك فهو المشرف بالوحي والنبوة المكرم بالرسالة والآيات وتفلية الثوب انما كانت للتعليم أو لتفتيش نحو خرق فيه ليرقعه أو لما علق به من نحو شوك أو وسخ لانه صلى الله عليه وسلم نور ولا عفونة فيه وأكثر القمل من العفونة ومن العرق وعرقه طيب فلا يلزم من التفلية وجود القمل وقيل كان في ثوبه قمل ولا يؤذيه وانما يفليه استقذارا له وقيامه بخدمة نفسه صلى الله عليه وسلم دليل على كمال تواضعه وهذا لا ينافي أنه كان له خدم يقومون بخدمته فيحمل قيامه بخدمة نفسه على بعض الاوقات فكان تارة يخدم نفسه وتارة يخدمه غيره وتارة بالمشاركة لتعليم أمته وبيان ندب الانسان الى خدمة نفسه وأنه لا يخل بمنصبه وان جل وكان يركب الحمار تارة موكفا وتارة عريا ليس عليه شئ وفي ذلك غاية التواضع وارشاد للعباد وبيان أن ركوبه كذلك لا يخل بمروءة ولا رفعة بل فيه غاية التواضع وكسر النفس وكان يردف خلفه الذكر والانثى فقد أردف صفية أم المؤمنين رضي الله عنها في رجوعه من خيبر وأركب معه الصغار والكبار فكان اذا قدم من غزواته تقبله الصبيان فيركبهم معه ويأمر أصحابه بارکاب من بقي وركب يوم بني قريظة والنضير وخيبر على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف من ليف وهذا نهاية التواضع وأي تواضع أعظم من هذا وقد ظهر له صلى الله عليه وسلم من النصرة عليهم والظفر بأموالهم ما هو معروف وروى أبو داود وغيره عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أراد الانصراف قرب له سعد حمارا ليركبه ووطأ عليه بقطيفة وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أي كن معه في خدمته قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت أن أركب أي تأدبا معه لا مخالفة لامره فقال اما أن تركب واما أن تنصرف أي ترجع ولا تمشي معي فوافقه على الركوب فقال له اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها وفي رواية لابن منده فارسل ابنه معه ليرد الحمار فقال صلى الله عليه وسلم أحمله بين يدي قال سعد سبحان الله أتحمله بين يديك قال نعم هو أحق بصدر حماره قال هو لك يا رسول الله قال أحمله اذن خلفي وجاء في بعض روايات هذه القصة أنه صلى الله عليه وسلم جاء على حمار مردفا أسامة خلفه فعلى هذا تقريب سعد رضي الله عنه الحمار لا لعدم دابة يركبها صلى الله عليه وسلم بل ليرجع عليه وحده ويبقى اسامة على الحمار الذي جاء عليه وفي البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر واني لرديف أبي طلحة وهو يسير وبعض نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني صفية رضي الله عنها اذ عثرت الناقة فقلت المرأة أي وقعت أو أوقعتها الدابة فقال صلى الله عليه وسلم انها أمكم تذكيرا لهم بوجوب تعظيمها فشدت الرحل وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبت خلفه وصح عن معاذ بن جبل رضي

الله ألم أحسن اليك قال بلى قال فما حملك على هذا قال شحذته يعني سيفه أربعين صباحا وسألت الله أن يقتل به شر خلقه فقال علي رضي الله عنه لا أراك مقتولا الا به وما أراك الا من شر خلق الله ثم قال النفس بالنفس ان هلكت فاقتلوه كما قتلني وان بقيت رأيت فيه رأيي يا بني عبد المطلب لا أرينكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قد قتل أمير المؤمنين ألا لا يقتلن الا قاتلي انظر يا حسن ان أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم والمثلة ولو بالكلب العقور هذا كله وابن ملجم مكتوف فقالت له أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه أي عدو الله لا بأس على أبي والله مخزيك فقال فعلام تبكين والله ان سيفي اشتريته بألف وسممته بألف ولو كانت هذه الضربة بأهل مصر ما بقي منهم أحد ودخل جندب بن عبد الله على علي رضي الله عنه فقال ان فقدناك نبايع الحسن قال ما آمركم ولا أنهاكم أنتم أبصر ثم دعا الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال لهما أوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ولا تبكيا على شئ زوي عنكما وقولا الحق وارحما

الله عنه قال بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وسلم ليس بيني وبينه الا آخرة الرحل وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة استقبله أغيلمة بني عبد المطلب فحمل واحدا بين يديه وآخر خلفه وروى البخاري أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقد حمل قثم بن العباس رضي الله عنهما بين يديه والفضل خلفه أو قثم خلفه والفضل بين يديه شك الراوي وذكر المحب الطبري في مختصر السيرة النبوية التي صنفها أنه صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عريا الى قباء وأبو هريرة رضي الله عنه معه فقال يا أبا هريرة أحملك قال ما شئت يا رسول الله أي فافعله فقال اركب فوثب أبو هريرة رضي الله عنه ليركب فلم يقدر فاستمسك أي تعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك قال ما شئت يا رسول الله فقال اركب فلم يقدر أبو هريرة رضي الله عنه فتعلق برسول الله صلى الله عليه وسلم فوقعا جميعا ثم ركب صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أبا هريرة أأحملك فقال لا والذي بعثك بالحق لا رميتك ثالثا وذكر المحب الطبري أيضا في كتابه المذكور أنه عليه الصلاة والسلام كان في سفر وأمر أصحابه باصلاح شاة أي ثم يشتهالا كل فقال رجل يا رسول الله على ذبحها وقال آخر يا رسول الله على سلخها وقال آخر يا رسول الله على طبخها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمع الحطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل فقال قد علمت انكم تكفوني ولكن أكره أن أتميز عليكم فان الله يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه وروى ابن اسحق والبيهقي عن أبي قتادة رضي الله عنه قال وفد وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نحن نكفيك قال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وأنا أحب أن أكافئهم وروى أبو الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وأنا غلام اذ أقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته رواه أبو داود وروى أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل أبوه من الرضاع فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وفي الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة كان في عقلها شئ فقالت ان لي اليك حاجة فقال اجلسي في أي سكك المدينة شئت أجلس اليك زاد مسلم حتى أقضي حاجتك فخلا معها في بعض الطريق حتى فرغت من حاجتها وروى النسائي عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قال كان عليه الصلاة والسلام لا يأنف أن يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي له الحاجة وفي رواية للبخاري كانت الامة تأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت وفي رواية للامام أحمد ان كانت الوليدة من ولائد المدينة لتجيء فتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به لحاجتها فما ينزع يده من يدها حتى تذهب به حيث شاءت والمقصود من الاخذ باليد لازمه وهو الانقياد فقد اشتمل ذلك على أنواع من المبالغة في التواضع لذكره المرأة دون الرجل والامة دون الحرة وحيث عم الاماء أي أمة كانت وبقوله حيث شاءت أي من الامكنة والتعبير باليد اشارة الى غاية التصرف حتى لو كانت حاجتها خارج المدينة والتمست منه مساعدتها في تلك الحالة لساعدها على ذلك بالخروج معها وهذا من مزيد تواضعه وبراءته من جميع أنواع الكبر صلى الله عليه وسلم ومن ثم أورده البخاري في باب الكبر اشارة الى براءته صلى الله عليه وسلم منه ووصفه صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه بانه لم ير قدمار كبتيه بين يدي جليس له وفي رواية وكان لا يخرج شيأ من أطرافه وهو بين أصحابه أي كقطع ظفره أو قلع وسخه أو طرح بزاقه أو مخاطه وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان امتنع ويكني أصحابه ويدعوهم باحب أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلي الاخفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته ودخل الحسن السبط ابن علي رضي الله عنهما عليه صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وقد سجد فركب على ظهره فابطأ صلى الله عليه وسلم في سجوده

حتى

اليتيم واعينا الضائع واصنعا للآخرة وكونا للظالم خصما وللمظلوم ناصرا واعملا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم ثم نظر الى أخيهما محمد بن الحنفية فقال هل حفظت ما أوصيت به أخويك قال نعم قال فاني أوصيك بمثله وأوصيك بتوقير أخويك العظيم حقهما عليك تزين أمرهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم قال لهما أوصيكما به فانه ابن أبيكما وقد علمتما ان أباكما كان يحبه وقال للحسن أوصيك أي بني بتقوى الله واقام الصلاة لوقتها وايتاء الزكاة عند محلها وحسن الوضوء فانه لا صلاة الا بطهور أوصيك بغفر الذنب وكظم الغيظ وصلة الرحم والحلم عن الجاهل والتفقه في الدين والتثبت في الامر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الفواحش ثم أمر بكتب وصيته ولم ينطق الا بلا اله الا الله حتى مات رضي الله عنه وأرضاه وأقام علي رضي الله عنه الجمعة والسبت وتوفي ليلة الاحد وغسله الحسن والحسين وعبد الله ابن جعفر ومحمد بن الحنفية وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة وصلى عليه الحسن رضي الله عنه ودفن عند مسجد الجماعة

حتى نزل الحسن رضى الله عنه فلما فرغ قال له بعض أصحابه يارسول الله قد أطلت سجودك قال ان ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله أى جعلنى كالراحلة فركب على ظهرى ودخل عليه مرة جابر بن عبد الله رضى الله عنهما والحسن والحسين رضى الله عنهما على ظهره صلى الله عليه وسلم راكبين فقال لهما جابر رضى الله عنه نعم الجمل جملكما فقال له صلى الله عليه وسلم ونعم الراكبان هما وتقدم انه كان يحمل فى الصلاة أمامة بنت زينب ابنته من أبى العاص رضى الله عنهما ومثل هذا لايشغل أرباب الكمال عما هم فيه من حسن الحال حيث وصلوا الى مرتبة جمع الجمع وهم الذين لاتحجبهم التفرقة ولا تمنعهم الوحدة عن الكثرة ولا الكثرة عن الوحدة فهم كائنون بائنون قريبون غريبون عرشيون فرشيون بحسب الارواح اللطيفة والاشباح الشريفة فالذى مازاغ بصره وماطغى فيما رأى من آيات ربه الكبرى كيف يشغل قلبه قطعة من لحم وهذا كله من شدة تواضعه وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان يعود المرضى الشريف منهم والوضيع والحر والعبد حتى عاد مرة غلاما يهوديا كان يخدمه صلى الله عليه وسلم فقعد عند رأسه فقال له أسلم فنظر الى أبيه فقال له أبوه اطع أبا القاسم فاسلم فخرج صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذى أنقذه من النار رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه والعيادة فيها مع التواضع رضا الله وحيازة الثواب ففى الترمذى مرفوعا من عاد مريضا ناداه مناد طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا ولابى داود من توضأ فاحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم محتسبا بوعد من جهنم سبعين خريفا وانما كان فيها تواضع لان فيها خروج الانسان من مقتضى جاهه وتنزهه عن مرتبته الى مادون ذلك وكان صلى الله عليه وسلم يشهد الجنازة سواء كانت لشريف أو وضيع فينا أكد التأسى به صلى الله عليه وسلم وآثر قوم العزلة ففاتهم خير كثير وروى البيهقى وابن اسحق عن أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم لما فتحت مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ رأسه على رحله حتى كاد يمس رحله تواضعا لله تعالى وأخرج الترمذى عن أنس رضى الله عنه انه عليه الصلاة والسلام حج على رحل رث وعليه قطيفة أى كساء له خمل لايساوى أربعة دراهم وذلك لانه فى أعظم مواطن التواضع اذ الحج حالة تجرد واقلاع وخروج من المواطن وسفر الى الله ألا ترى الى مافيه من الاحرام فانه اشارة الى ان المراد احرام النفس من الملابس تشبيها بالفارين الى الله وليكون تذكرة للموقف الحقيق وقال فى تلبيته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله حجا لارياء فيه ولا سمعة وهذا قاله تخشعا وتذللا وعدا لنفسه كواحد من الآحاد فيكون دالا على عظيم تواضعه لان الرياء لا يكون ممن حج على رحل رث وانما يكون ممن حج على مراكب نفيسة وملابس فاخرة وأغشية محبرة أوكوار مفضضة هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم أهدى فى هذا الحج مائة بدنة وأهدى أصحابه مالا يسمع مثله فمن جملة ما أهداه عمر رضى الله عنه بعيرا أعطى فيه ثلثمائة دينار فابى قبولها رواه أبو داود ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا صلى الصبح جاءه خدم أهل المدينة بآنيتهم فيها الماء يريدون التبرك باثر يده الشريفة صلى الله عليه وسلم فما يؤتى باناء الاغمس يده فيه فربما جاؤه فى الغداة الباردة فيغمس يده فيها ولايمتنع لاجل البرد وهذا من مزيد لطفه وحسن خلقه وكمال تواضعه صلى الله عليه وسلم رواه مسلم والترمذى وغيرهما وفى ذلك دليل على بروزه للناس وقربه منهم ليصل كل ذى حق لحقه وليعلم الجاهل ويقتدى بافعاله وهكذا ينبغى للائمة بعده وروى أبو نعيم فى الدلائل عن أنس رضى الله عنه كان صلى الله عليه وسلم أشد الناس لطفا والله ما كان يمتنع فى غداة باردة من عبد ولا أمة تاتيه بالماء فيغسل وجهه وذراعيه وما كلمه أحد قط الا أصغى اليه فلا ينصرف حتى يكون هو الذى ينصرف عنه وما تناول أحد يده قط الا ناوله اياها فلا ينزعها حتى يكون هو الذى ينزعها ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم انه كان حسن العشرة مع أزواجه فكان ينام معهن فى فراش واحد ولو كانت حائضا مع مواظبته على قيام الليل فينام مع احداهن فاذا أراد القيام لوظيفته قام فتركها فيجمع بين وظيفته من قيام الليل وأداء حقها المندوب وعشرتها بالمعروف وقد علم من هذا ان اجتماع الزوج مع زوجته فى فراش واحد أفضل من نوم كل فى فراش اذا قصد الانس لا الجماع لاسيما ان عرف من حالها حرصها على ان ينام معها فيتأكد الاستحباب

بالكوفة وقيل دفن بدار الامارة بالكوفة وقيل ان الحسن رضى الله عنه نقله بعد ذلك الى المدينة *وقيل لما قتل حملوه ليدفنوه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فبينما هم فى مسيرهم ليلا اذند الجمل الذى هو عليه فلم يدر أين ذهب ولم يقدر عليه فلذلك يقول الرافضة انه فى السحاب *وقيل ان البعير وقع فى بلاد طيئ فاخذوه والصحيح من هذه الاقوال الاول وهو انه دفن عند مسجد الجماعة بالكوفة وهو الموضع الذى يزار الآن ويتبرك به وقيل انهم أخفوا قبره لئلا تتسلط عليه الخوارج فتنبشه وكان عمره رضى الله عنه ثلاثا وستين سنة وقيل أربعا وستين وقيل ثمانية وخمسين وكانت مدة خلافته خمس سنين الاثلاثة أشهر ولما فرغوا من دفنه رضى الله عنه بعث الحسن الى ابن ملجم فاحضره فقال للحسن هل لك فى خصلة انى والله أعطيت الله عهدا ان لاأعاهد عهدا الاوفيت به وانى عاهدت الله عند الحطيم أن أقتل عليا ومعاوية وعمرو بن العاص أو أموت دونهما فان شئت خليت بينى وبينه فلك لله على ان لم أقتل وبقيت بعد قتلهما أن آتيك حتى أضع يدى فى يدك فقال له الحسن لا والله حتى تعاين النار

ويكون تركه مكروها ولا يلزم من نومه معها الجماع ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم مارواه الشيخان أنه صلى الله عليه وسلم كان يسرب أي يرسل لعائشة رضي الله عنها بنات الانصار يلعبن معها وذلك في أول تزوجه بها لانها كانت صغيرة وروى مسلم انه صلى الله عليه وسلم اذا شربت عائشة رضي الله عنها من الاناء يأخذه فيضع فمه على موضع فمها ويشرب اشارة الى مزيد حبها وهذا من شدة تواضعه صلى الله عليه وسلم واذا تعرقت عرقا بفتح العين واسكان الراء وهو العظم الذي عليه اللحم أخذه فوضع فمه على موضع فمها وكان يتكئ في حجرها ويقبلها وهو صائم رواه الشيخان وروى أصحاب السنن الستة انه صلى الله عليه وسلم كان يقبل نساءه وهو صائم كل ذلك للتلطف بهن وحسن العشرة معهن وهذا لا يكون الا من حسنت أخلاقه وكمل تواضعه وجاء انه صلى الله عليه وسلم وقف لعائشة رضي الله عنها يسترها وهي تنظر الى الحبشة يلعبون بالحراب وهي متكئة على منكبه قالت فقال لي أما شبعت أما شبعت فجعلت أقول لا لا رواه الترمذي وقال حسن صحيح وروى الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال صلى الله عليه وسلم للناس تقدموا فتقدموا ثم قال تعالي حتى أسابقك فسبقته فسكت عني حتى حملت اللحم وبدنت وسمنت وخرجت معه في بعض أسفاره فقال للناس تقدموا ثم قال تعالي أسابقك فسبقني فجعل يضحك ويقول هذه بتلك وانما فعل ذلك تلطفا بها وتطييبا لخاطرها رضي الله عنها وذلك من كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم وروى الطبراني في الصغير والاوسط عن أنس رضي الله عنه انهم يعني الصحابة رضي الله عنهم كانوا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها اذ أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحفة من بيت أم سلمة رضي الله عنها فوضعت بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال ضعوا أيديكم أي لاجل الأكل فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده ووضعنا أيدينا فأكلنا وعائشة رضي الله عنها تصنع طعاما عجلته حين رأت الصحفة التي أتي بها من بيت أم سلمة رضي الله عنها فلما فرغت من طعامها جاءت به فوضعته ورفعت صحفة أم سلمة فكسرتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا باسم الله أي من صحفة عائشة غارت أمكم ثم أعطى صحفتها أم سلمة رضي الله عنها وقال طعام مكان طعام واناء مكان اناء وهذا الحديث رواه البخاري بلفظ كان صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه فأرسلت احدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم فسقطت الصحفة فانفلقت فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقول غارت أمكم ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها فدفع الصحفة الى التي كسرت صحفتها وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت واتفقوا على ان التي كان في بيتها هي عائشة رضي الله عنها واختلفوا في التي جاء الطعام من عندها فجاء في رواية انها أم سلمة وفي أخرى انها صفية وحمل بعضهم ذلك على التعدد ولا مانع منه وفي رواية عن عائشة رضي الله عنها قالت ثم رجعت الى نفسي وندمت فقلت يارسول الله ما كفارته قال اناء كاناء وطعام كطعام وجاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه وسلم حين كسرت لم يثرب عليها أي لم يلمها ولم يعبها فوسع خلقه الشريف آثار غيرتها ولم يتأثر من فعلها ذلك بحضوره وحضور أصحابه لمزيد حلمه وعلمه بما تؤدي اليه الغيرة وقضى عليها بحكم الله في التقاص بجعل المكسورة عندها ودفع الصحيحة لضرتها وهكذا كانت أحواله صلى الله عليه وسلم مع أزواجه لا يؤاخذ عليهن ويعذرهن ويرفع اللوم عنهن وان أقام عليهن ميزان العدل من غير قلق ولا غضب فهو رؤف رحيم حريص عليهن وعلى غيرهن عزيز عليه أي شديد عليه ما يعنتهم أي ما يشق عليهم وفي الحديث اشارة الى أن المرأة ينبغي ان لا تؤاخذ فيما يصدر عنها من الغيرة لانها في تلك الحالة يكون عقلها محجوبا بالشدة الغضب الذي أثارته الغيرة وقد أخرج أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الغيرى أي المرأة الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه وروى البزار والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه اذ أقبلت امرأة عريانة فقام اليها رجل فألقى عليها ثوبا وضمها اليه فتغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم فقال بعض جلسائه أحسبها أي أظنها امرأته فقال صلى الله عليه

ثم قدموه فقتلوه وقيل انهم قطعوا أطرافه ثم قتلوه وأحرقوه وان الحسن رضي الله عنه نهاهم عن ذلك فلم ينتهوا وأما البرك ابن عبد الله الذي ذهب الى الشام لقتل معاوية فانه قعد لمعاوية تلك الليلة التي ضرب فيها علي رضي الله عنه فلما خرج معاوية ليصلي الغداة شد عليه بالسيف فوقع في أليته وانقطع بسبب ذلك عرق الولد وبرئ من ذلك وكان بعد ذلك لا يولد له وأخذ البرك ابن عبد الله فقتل وقيل لم يقتله وانما قطع يده ورجله وأما عمرو بن بكر الذي ذهب الى مصر ليقتل عمرو بن العاص فانه جلس لعمرو تلك الليلة فلم يخرج وكان اشتكى بطنه فأمر خارجة ابن أبي حبيب وكان صاحب شرطته وهو من بني عامر بن لؤي فخرج ليصلي بالناس فشد عليه وهو يرى انه عمرو بن العاص فضربه فقتله فأخذه الناس الى عمرو فسلموا على عمرو بالامارة فقال من هذا قالوا عمرو بن العاص قال فمن قتلت قالوا خارجة قال أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك فقال عمرو أردتني وأراد الله خارجة ثم أمر به عمرو فقتل * والى هذه القصة أشار بعضهم بقوله فليتها اذ فدت عمرا بخارجة فدت عليا بمن شاءت من البشر

وسلم أحسبها فبرى ان الله كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال فمن صبر منهن كان له أجر شهيد وفى
المواهب عن عائشة رضى الله عنها قالت أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بخزيرة طبختها له وقلت لسودة أم
المؤمنين رضى الله عنها والنبى صلى الله عليه وسلم بينى وبينها كلى فأبت فقلت لها كلى فأبت فقلت لها لتأكلن
أو لألطخن بها وجهك فأبت فوضعت يدى فى الخزيرة فلطخت بها وجهها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوضع رأسى على فخذه وقال لسودة الطخى وجهها اقتصاصا فلطخت بها وجهى فضحك رسول الله صلى الله عليه
وسلم والخزيرة لحم يقطع صغارا ويصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذر عليه الدقيق وبالجملة فمن تأمل سيرته عليه
الصلاة والسلام مع أهله وأصحابه وغيرهم من الفقراء والايتام والارامل والاضياف والمساكين علم أنه
قد بلغ من رقة القلب ولينه الغاية التى لامرمى وراءها لمخلوق وان كان يشتد فى حدود الله وحقوقه ودينه حتى
قطع يد السارق وحد الزانى الى غير ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يلاطف أصحابه ويباسطهم بالقول والفعل
بما يوجب حبه فى القلوب تطمينا لهم وتقوية لايمانهم وتعليما لهم أن يباسطوا بعضهم بعضا لانهم اذا رأوا
ذلك من أكمل الخلق وأفضلهم وقد علموا قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لاطمأنت
قلوبهم على فعل ذلك مع بعضهم وروى عبد الرزاق والترمذى عن أنس رضى الله عنه ان رجلا من البادية
يسمى زهيرا وفى رواية زاهر بن حرام الاشجعى وكان يهادى النبى صلى الله عليه وسلم بوجود البادية أى بما
يستطرف ويستملح منها وكان صلى الله عليه وسلم يهاديه ويكافئه بوجود الحاضرة أى بما يستطرف منها
وكان صلى الله عليه وسلم يقول زهير باديتنا ونحن حاضرته وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فمشى صلى الله عليه
وسلم الى السوق فوجده قائما يبيع متاعه فجاءه من قبل ظهره وضمه بيده الى صدره فأحس زهير بانه رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فجعلت أمسح ظهرى فى صدره رجاء حصول بركته وفى رواية فاحتضنه صلى الله عليه
وسلم من خلفه وهو لا يبصره فقال أرسلنى من هذا فالتفت فعرف أنه النبى صلى الله عليه وسلم فجعل لا يألو
ما ألصق ظهره أى لا يقصر فى الصاق ظهره بصدر النبى صلى الله عليه وسلم حين عرفه تبركا وتلذذا فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ملاطفة معه من يشترى العبد فقال زهير يارسول الله اذن تجدنى كاسدا فقال
له صلى الله عليه وسلم أنت عند الله غال وفى رواية لكن عند الله لست بكاسد فهذا من تواضعه صلى الله عليه وسلم
وشدة ملاطفته باصحابه وأخرج أبو يعلى عن زيد بن أسلم أن رجلا يلقب بعبد الله الحمار كان يهدى للنبى صلى الله
عليه وسلم العكة من السمن تارة والعسل أخرى فاذا جاء صاحبه يتقاضاه أى يطالبه الثمن جاء به الى النبى صلى
الله عليه وسلم فقال اعط هذا ثمن متاعه فما يزيد النبى صلى الله عليه وسلم على أن يتبسم ويأمر فيعطى الثمن
وفى رواية وكان لا يدخل الى المدينة طرفة الا اشترى منها ثم جاء فقال يارسول الله هذا أهديته لك فاذا جاء
صاحبه يطالب ثمنه جاء به فيقول اعط هذا الثمن فيقول ألم تهده لى فيقول ليس عندى ما أعطيه فيضحك
صلى الله عليه وسلم ويأمر لصاحبه بثمنه ووقع نحو ذلك للنعيمان بالتصغير ابن عمرو بن رفاعة الانصارى
رضى الله عنه ذكر الزبير بن بكار فى كتاب الفكاهة والمزاح انه كان لا يدخل المدينة طرفة الا اشترى منها
ثم جاء به الى النبى صلى الله عليه وسلم فيقول هذا أهديته لك فاذا جاء صاحبه يطالب نعيمان بثمنه أحضره الى
النبى صلى الله عليه وسلم فيقول اعط هذا ثمن متاعه فيقول أولم تهده لى فيقول والله لم يكن عندى ثمنه ولقد
أحببت أن تأكله فيضحك ويأمر لصاحبه بثمنه وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا وذلك ان الناس
مأمورون بالاقتداء به وبهديه فلو ترك الطلاقة والبشاشة ولزم العبوس لأخذ الناس نفوسهم بذلك على ما فى
مخالفة الغريزة من المشقة والعناء فمزح ليمزحوا وقال بعض السلف كان للنبى صلى الله عليه وسلم مهابة فلولا
انه كان يتبسط لاصحابه ويداعبهم لما استطاعوا مكالمته ولا المقام معه لشدة ما أفاضه الله عليه من الهيبة والجلال
روى الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قالوا يارسول الله انك تداعبنا قال انى لا أقول الا حقا وروى
الترمذى وأبو داود وغيرهما ان رجلا كان به بله أى غفلة فى أمور الدنيا قال يارسول الله احملنى أى مرلى ببعير
أركبه عليه لاغزو معكم فقال مباسطة صلى الله عليه وسلم فقال انى حاملك على ابن الناقة فسبق لخاطره استصغار ابن

ثم ان الناس بعد مقتل على
رضى الله عنه بايعوا ابنه
الحسن بن على رضى الله
عنهما والله سبحانه وتعالى
أعلم ولد الحسن رضى الله
عنه فى النصف من رمضان
فى السنة الثالثة من الهجرة
وقد جاءت أحاديث كثيرة
فى فضله وفضل أخيه الحسين
رضى الله عنهما فمن ذلك
مارواه البخارى ومسلم عن
البراء بن عازب رضى الله
عنهما قال رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم والحسن
على عاتقه وهو يقول اللهم
انى أحبه فاحبه وأخرج
البخارى عن ابن عمر رضى
الله عنهما قال قال النبى
صلى الله عليه وسلم هما
ريحانتاى من الدنيا يعنى
الحسن والحسين وأخرج
الترمذى والحاكم عن أبى
سعيد الخدرى رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحسن
والحسين سيدا شباب أهل
الجنة وأخرج الترمذى
عن أسامة بن زيد رضى
الله عنهما قال رأيت رسول
الله صلى الله عليه وسلم
والحسن والحسين على
وركيه فقال هذان ابناى
وابنا ابنتى اللهم انى أحبهما
فاحبهما وأحب من يحبهما
وأخرج الترمذى عن أنس
رضى الله عنه قال سئل
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أى أهل بيتك أحب
اليك قال الحسن والحسين

وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أقبل النبي صلى الله عليه وسلم وقد حمل الحسن على رقبته فلقيه رجل فقال نعم المركب ركبت يا غلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعم الراكب هو وأخرج ابن سعد عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسن بن علي فاذا رأى الصبي حمرة اللسان بهش اليه وروى الامام أحمد من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة * والآيات والاحاديث الواردة في فضله وفضل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة لاحاجة الى الاطالة بها ولولم يرد في ذلك الا قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقوله تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى لكفى * وكان الحسن رضي الله عنه سيدا كريما حليما زاهدا ذا سكينة ووقار وحشمة جوادا ممدوحا أخرج أبو نعيم في الحلية ان الحسن رضي الله عنه قال اني لاستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش الى بيته فمشى عشرين حجة وأخرج الحاكم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال لقد

الناقة فقال يارسول الله ماعسى ان يغني عني ابن الناقة فقال صلى الله عليه وسلم ويحك وهل يلد الجمل الا الناقة أي لو تدبرت وتأملت لادركت وفهمت ان ابن الناقة يصدق على الجمل الكبير وجاءته امرأة فقالت يارسول الله احملني على بعير فقال احملوها على ابن بعير فقالت وما أصنع به وما يحملني يارسول الله فقال هل يجيء بعير الا ابن بعير وروى الترمذي وغيره أنه صلى الله عليه وسلم باسط عمته صفية بنت عبد المطلب أم الزبير ابن العوام رضي الله عنه حين قالت يارسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال ياأم فلان ان الجنة لايدخلها عجوز فجزعت فقيل لها انك تعودين الى صورة الشباب في الجنة ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا وكان عليه الصلاة والسلام يمازح أصحابه بالقول والفعل للملاطفة ويخالطهم ويحادثهم تانيسا لهم وجبرا لقلوبهم ويأخذ معهم في تدبير أمورهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره جاءته أم قيس رضي الله عنها بابن لها صغير لم يأكل الطعام فأجلسه في حجره فبال على ثوبه فدعا بماء فنضحه ولم يقل شيأ وهو صلى الله عليه وسلم مع ذلك قلبه يجول في الملكوت حيث أراد الله به وماورد عنه عليه الصلاة والسلام في النهي عن المداعبة محمول على الافراط لمافيه من الشغل عن ذكر الله وعن التفكر في مهمات الدين وغير ذلك كقسوة القلب وكثرة الضحك وذهاب ماء الوجه بل كثيرا مايولد الايذاء والحقد والعداوة وجراءة الصغير على الكبير قال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به فكل ذلك محمول على الافراط ولذا قيل

فاياك اياك المزاح فانه * يجرّي عليك الطفل والرجل النذلا
ويذهب ماء الوجه من كل سيد * ويورثه من بعد عزته ذلا

والذي يسلم من ذلك هو المباح الذي لا يؤدي الى حرام ولا الى مكروه فان صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم فهو مستحب وروى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا وكان لي أخ يقال له أبو عمير وكان له نغر يلعب به فمات فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم حزينا فقال ماشانه فقالوا مات نغره فقال يا أبا عمير مافعل النغير ملاطفة وتانيسا له وتسلية وذلك من حسن الخلق وكرم الشمائل والتواضع وفي رواية للترمذي عن أنس رضي الله عنه قال ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى يقول لاخ لي يا أبا عمير مافعل النغير والنغير تصغير نغر بوزن رطب وهو طائر صغير كالعصفور والجمع نغران كصرد وصردان ومع ذلك كله كان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة والعظمة في القلوب قبل بعثته وبعدها قدرا عظيما حتى ان قومه الذين كانوا يكذبونه بعد البعثة اذا واجهوه عظموه وقضوا حاجته لما ألقي عليه من الجلال والمهابة التي تدهش القلوب وتحيرها فمن رآه بديهة هابه قال الابوصيري

كانه وهو فرد من جلالته * في عسكر حين تلقاه وفي حشم

أي فلاانه ومهابته عند رؤيته وهو منفرد أعظم من مهابة أعظم ملك عند رؤيته وهو مع عسكره وحشمه ولقد جاء اليه صلى الله عليه وسلم رجل لحاجة يذكرها فقام بين يديه فاخذته رعدة شديدة ومهابة فقال له هوّن عليك فاني لست بملك ولا جبار وانما أنا ابن امرأة من قريش تاكل القديد بمكة أي اللحم المقدد فنطق الرجل بحاجته فقام صلى الله عليه وسلم فقال ياأيها الناس اني أوحي الي أن تواضعوا ألا فتواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد وكونوا عباد الله اخوانا وانما قال ذلك لانه لمارأى تواضعه كان سببا في تسكين روع الرجل حث الناس على التواضع ليتمكن الناس من قضاء حاجاتهم والتواضع انكسار القلب وخفض جناح الذل والرحمة للخلق حتى لا يرى له عند أحد حقا بل يرى الحق لغيره وقوله صلى الله عليه وسلم فاني لست بملك قصد به سلب صفة الملوك عنه لما يلزمها من الجبروتية والتكبر والافتخار وقال أنا ابن امرأة تاكل القديد تواضعا لان القديد طعام أهل المسكنة فكأنه قال أنا ابن امرأة مسكينة تاكل من مفضول الاكل فكيف تخاف مني وروى أبو داود وغيره أن قيلة بنت مخرمة التميمية رأته جالسا في المسجد فارعدت من الفرق أي الخوف والفزع فقال لها صلى الله عليه وسلم يا مسكينة عليك السكينة فلما قال لها ذلك ذهب عنها

ما

ما كان به لهما من الرعب وروى مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال صحبت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما ملأت عيني منه قط حياء منه وتعظيما له ولو قيل لي صفه أي بجميع أوصافه لما قدرت
واذا كان هذا قوله وهو من عظماء الصحابة فما بالك بغيره ويبين ذلك ويوضحه ما روى أنه عليه الصلاة والسلام
كان اذا فرغ من صلاة الليل حدث عائشة رضي الله عنها ان كانت مستيقظة والا اضطجع بالارض ثم خرج
بعد ذلك للصلاة وما ذاك الا أنه صلى الله عليه وسلم كان يتهجد ليلا ويشتغل بما يقربه من الله فيظهر عليه حال
حتى يظن أنه ليس من البشر فلو خرج على تلك الحالة التي كان عليها وما حصل له من القرب والتداني في مناجاته
وسماع كلام ربه وغير ذلك من الاحوال التي يكل اللسان عن وصف بعضها لما استطاع بشر أن يلقاه فكان
عليه الصلاة والسلام يتحدث مع عائشة ويضطجع بالارض حتى يحصل التأنيس بجنسهم وهو التأنيس
بعائشة التي هي من البشر أو من جنس أصل الخلقة الذي هو الارض ثم يخرج اليهم ليتمكن الناس من
مخالطته والتكلم معه وما كان يفعل ذلك الا رفقا بهم وكان بالمؤمنين رؤفا رحيما وقد جاء في الحديث انه لما
اخبر على لسان اسرافيل بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا نظر عليه الصلاة والسلام الى جبريل عليه السلام
كالمستشير له فنظر جبريل الى الارض يشير الى التواضع وفي رواية فاشار الى جبريل أن تواضع فقلت نبيا عبدا
فاختار عليه الصلاة والسلام العبودية تواضعا فلذلك أورثه الله الرفعة حتى رفع الى السماء وأطلعه الله على
الملكوت الاعلى وفي البخاري أن محمود بن الربيع الانصاري الخزرجي رضي الله عنه وقف على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو ابن خمس سنين فمج عليه الصلاة والسلام في وجهه مجة من ماء بئر في دارهم مازحا بها فكان
في ذلك المج من البركة أنه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النبي صلى الله عليه وسلم الا تلك المجة فعد بسبب
ذلك من الصحابة فقد علمت أنه عليه الصلاة والسلام كان مع أصحابه وأهله ومع القريب والغريب في غاية
ونهاية من سعة الصدر ودوام البشر وحسن الخلق ولين الجانب حتى يظن كل واحد من أصحابه أنه أحبهم
اليه وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويقف مع من استوقفه ويمزح مع الصغير والكبير أحيانا اذا اقتضاه المقام
ويجيب الداعي وهذا الميدان لا تجد فيه الا واجبا أو مستحبا أو مباحا فكان يباسط الخلق ويلابسهم ليستضيؤا
بنور هدايته من ظلمات دياجي الجهل ويقتدوا ويهتدوا به صلى الله عليه وسلم وكانت مجالسته صلى الله عليه وسلم
مع أصحابه رضي الله عنهم عامتها مجالس تذكير بالله تعالى وترغيب وترهيب اما بتلاوة القرآن أو بما آتاه
الله من الحكمة والمواعظ الحسنة وتعليم ما ينفع في الدين كما أمره الله أن يذكر ويعظ ويقص وأن يدعو
الى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يبشر وينذر فلذلك كانت تلك المجالس توجب لاصحابه رقة
القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه ما كنت أظن أحدا من
الصحابة يريد الدنيا حتى نزل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم
أنه ما عاب ذواقا قط ولا عاب طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه واعتذر كاعتذاره لما رفع يده عن الضب بانه
لم يكن بارض قومه وهذا من حسن الادب لان المرء قد لا يشتهي الشئ ويشتهيه غيره وكل ماذون من جهة
الشرع لا عيب فيه أما اذا كان حراما فانه يعيبه ويذمه وينهى عنه للمنع منه شرعا لا من حيث ذاته فقد يكون
حسن المذاق والصنعة فالعيب ان كان من جهة صنعة الآدميين فقد يجوز وأما من حيث صنعة الله فالعيب
لا يجوز قال النووي ومن آداب الطعام المتأكدة أن لا يعاب كقوله مالح حامض قليل الملح غليظ رقيق غير
ناضج ونحو ذلك ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أن هذه الدنيا شاع سبها في العالمين قديما وحديثا فقال صلى
الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر فكان الذين يسبونها
يظهرون الاستغناء عنها وعدم الاعتبار بها مع أنه خلاف الواقع لان الله جعلها وسيلة لتحصيل الخير فمدحه
صلى الله عليه وسلم لها ونهيه عن سبها فيه اظهار للحق من احتياج من فيها اليها وقال صلى الله عليه وسلم
لا تسبوا الدهر وفي رواية لا تقولوا خيبة الدهر فان الله هو الدهر أي هو الفاعل لما يحدث فيه والمعنى انكم
اذا سببتم الدهر وقع السب على الله لانه الفعال لما يريد لا الدهر فجالب الحوادث ومتوليها هو الله لا غيره

حج الحسن خمسا وعشرين
حجة ماشيا وان الجنائب
لتقاد بين يديه وأخرج أبو
أبو نعيم أنه خرج من ماله
مرتين وقاسم الله ماله ثلاث
مرات حتى انه كان ليعطي
نعلا ويمسك نعلا ويعطي
خفا ويمسك خفا وسمع
رجلا يسأل الله عز وجل
عشرة آلاف درهم فبعث
بها اليه وجاءه رجل يشكو
اليه حاله فاعطاه خمسين
ألف درهم وخمسمائة
دينار ولم يكن عنده غيرها
ولي الخلافة رضي الله عنه
بعد مقتل أبيه رضي الله
عنه وبايعه بالكوفة أكثر
من أربعين ألفا كانوا قد بايعوا
أباه على الموت فاقام ستة
أشهر وأياما خليفة حق
وامام عدل وصدق تحقيقا
لما أخبر به جده الصادق
المصدوق صلى الله عليه
وسلم بقوله الخلافة بعدي
ثلاثون سنة فان تلك الستة
الاشهر هي المكملة لتلك
الثلاثين فكانت خلافته
منصوصا عليها وقام عليها
الاجماع * ثم سار الى معاوية
في أربعين ألفا وسار اليه
معاوية فلما تراءى الجمعان
علم الحسن انه لن يغلب
أحد الفئتين حتى يذهب
أكثر الاخرى فكاتب مع
معاوية وترددت الرسل
بينهما وبعث اليه معاوية
برق أبيض وقال اكتب
ما شئت فيه فانا ألتزمه وفي
صحيح البخاري عن الحسن

وجاء في رواية أنا الدهر بيدي الليل والنهار أي أقلبهما كيف شئت وأدبر مافيهما كيف أريد فهو كالتفسير لقوله أنا الدهر ومن تواضعه وحسن خلقه صلى الله عليه وسلم انه ماخير بين أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن له بواب راتب روى البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة وهي تبكي عند قبر فقال لها اتقي الله واصبري فقالت اليك عني فانك خلو من مصيبتي وفي رواية فانك لم تصب بمصيبتي وخاطبته بذلك ولم تعرفه صلى الله عليه وسلم فجاوزها ومضى فمر بها رجل وهو الفضل بن العباس رضي الله عنهما فقال لها ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ماعرفته أي لانه صلى الله عليه وسلم من تواضعه لم يكن يستتبع الناس وراءه اذا مشى كعادة الملوك والكبراء وأيضا فقد كانت هي في غاية من الوجد والبكاء فقال الفضل للمرأة انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم زاد مسلم في رواية فأخذها مثل الموت من شدة الكرب الذي أصابها لما عرفت أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت الى بابه فلم تجد عليه بوابا أي فكأنها تعجبت لانها لما قيل لها انه رسول الله صلى الله عليه وسلم استشعرت خوفا وهيبة في نفسها فتصورت أنه كالملوك له حاجب وبواب يمنع الناس من الوصول اليه فوجدت الامر بخلاف ماتصورته فقالت له صلى الله عليه وسلم معتذرة لم أعرفك فقال انما الصبر عند الصدمة الاولى وكونه صلى الله عليه وسلم ليس له بواب انما هو باعتبار أغلب الاحوال فلا ينافي أنه صلى الله عليه وسلم لما جلس على بئر أريس كان أبو موسى الاشعري رضي الله عنه جالسا على باب الحائط كالبواب لايدخل أحد عليه صلى الله عليه وسلم حتى يستأذن له وجمع بعضهم بينهما بانه كان عليه الصلاة والسلام اذا لم يكن في شغل من أهله ولا انفراد من أمره يرفع حجابه بينه وبين الناس ويبرز لطالب الحاجة اليه واذا اشتغل بامر نفسه اتخذ بوابا * وأما حياؤه صلى الله عليه وسلم فحسبك مافي البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها واذا كره شيئا عرف في وجهه وهو اشارة الى أنه لم يكن يواجه أحدا بما يكرهه بل يتغير وجهه فيفهم أصحابه كراهته لذلك وأخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان صلى الله عليه وسلم يغتسل من وراء الحجرات وما رأى أحد عورته قط أي وهذا من شدة حيائه صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايواجه أحدا في وجهه بشيء يكرهه فدخل عليه يوما رجل وعليه أثر صفرة فلما قام قال لاصحابه لو غير أو نزع هذه الصفرة وفي رواية لو أمرتم هذا أن يغسل هذه الصفرة وعلى حسب حياة القلب ويقظته ومعرفته لما يضره وينفعه في الدارين تكون فيه قوة خلق الحياء وقلة الحياء من موت القلب أي من فقد صفاته المقتضية للكمال وكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم ولذا كان تمام الحياء في النبي صلى الله عليه وسلم اذ لا قلب أحيا من قلبه وفي الشرع الحياء خلق يبعث على اجتناب القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق ولذا جاء في الحديث الحياء من الايمان والحياء خير كله واذا لم تستح فاصنع ماشئت والحياء أقسام كثيرة منها حياء الكرم كحيائه صلى الله عليه وسلم من القوم الذين دعاهم الى وليمة زينب بنت جحش رضي الله عنها لما تزوجها وطولوا المقام بعد الاكل فاستحيا أن يقول لهم انصرفوا فقام فقاموا الا ثلاثة أو اثنين فمكثوا حتى انطلق صلى الله عليه وسلم الى أزواجه فسلم عليهن ثم قاموا فاخبره أنس رضي الله عنه بقيامهم فجاء فدخل على زينب رضي الله عنها وأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لايستحيي من الحق ومنها حياء العبودية وهو حياء يمتزج بمحبة وخوف ومشاهدة عدم صلاحية عبوديته لمعبوده وان قدر المعبود أعلى وأجل فعبوديته له توجب استحياءه منه لامحالة ومنها حياء المرء من نفسه وهو حياء النفوس الشريفة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص وقناعتها بالدون فيجد نفسه مستحييا من نفسه حتى كان له نفسين يستحيي باحداهما من الاخرى وهذا من أكمل مايكون من الحياء فان العبد اذا استحيا من نفسه فهو بان يستحيي من غيره أجدر وأحق

والحياء

البصري قال استقبل الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال فقال عمرو بن العاص لمعاوية اني لارى كتائب لاتولي حتى تقتل أقرانها فقال معاوية وكان والله خير الرجلين أي عمرو ان قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء من لي بامور المسلمين من لي بنسائهم من لي بضيعتهم فبعث اليه رجلين من قريش من بني عبد شمس عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر فقال اذهبا الى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا اليه فدخلا عليه وتكلما وقالا له وطلبا اليه فقال لهم الحسن بن علي رضي الله عنهما انا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال وان هذه الامة قد عاثت في دمائها قالا له فانه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب اليك ويسالك قال من لي بهذا قالا نحن لك به فما سألهما شيئا الا قالا نحن لك به فصالحه انتهى * واشترط الحسن رضي الله عنه ان تكون الخلافة له بعده وان لايطلب أحدا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه وعلى أن يقضي عنه ديونه فاجابه معاوية الى ماطلب فنزل عن الخلافة وسلمها لمعاوية وبايعه ثم بايعه من كان معه من أهل العراق وكان في ذلك تحقيق لمعجزة

والحياء لا يأتي الا بخير لان من استحيا أن يراه الناس يأتي بقبيح دعاه ذلك الى أن يكون حياؤه من ربه أشد فلا يضيع فريضة ولا يرتكب خطيئة وهو من الايمان لانه يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي وأكمل الحياء وأولاه الحياء من الله وهو أن لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك وكله انما ينشأ عن المعرفة ودوام المراقبة والحياء غريزي ومكتسب فالمكتسب هو الذي جعله الشارع من الايمان وهو المكلف به غير ان من كان فيه غريزة منه فانها تعينه على المكتسب حتى يكاد يكون المكتسب غريزة وكان صلى الله عليه وسلم قد جمع له النوعان فكان في الغريزي أشد حياء من العذراء في خدرها حتى روي انه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد أي لا يديم نظره فيه ولا يتأمله (وأما خوفه) صلى الله عليه وسلم من ربه جل وعلا فكان على غاية لا يساويه به أحد فيها وكان أتقى الناس وأشدهم خشية وكان صلى الله عليه وسلم يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل لغاية الخشية وكان يصلي ويبكي وتسيل دموعه من غير صوت ويسمع لجوفه صوت خفي والمرجل القدر من النحاس وفي رواية أنين كأنين الرحا وكان صلى الله عليه وسلم يقول لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وخوفه صلى الله عليه وسلم كان خوف هيبة وتعظيم واجلال وهذا لا يكون الا مع كمال المعرفة والمحبة فهو تعظيم مقرون بالحب قال بعضهم الخوف لعامة المؤمنين والخشية للعلماء العاملين والهيبة للمحبين والاجلال للمقربين فهو صلى الله عليه وسلم أكمل المحبين المقربين فكان خوفه خوف هيبة واجلال وقد جمع الله له بين علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فكان يشهد الاشياء عيانا مع الخشية القلبية واستحضار العظمة الالهية على وجه لم يجتمع لغيره صلى الله عليه وسلم ولذا قال ان أتقاكم وأعلمكم بالله أنا (وأما شجاعته) صلى الله عليه وسلم فانه قد كان أشجع خلق الله وقد تواترت بذلك الاحاديث والاخبار فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت على فرس عري لابي طلحة والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وفي رواية كان فزع من عدو بالمدينة فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا من أبي طلحة يقال له المندوب فركبه عليه الصلاة والسلام فلما رجع قال ما رأينا من شئ أي يوجب الفزع وان وجدناه أي الفرس لبحرا أي واسع الجري قال الراوي وكان فرسا يبطئ أي لا يسرع في مشيه وفي رواية ان أهل المدينة فزعوا مرة أي ليلا فركب صلى الله عليه وسلم فرسا لابي طلحة كان يقطف أو فيه قطاف أي بطء فلما رجع قال وجدنا فرسكم هذا بحرا فكان بعد لا يجارى وفي رواية فما سبق بعد ذلك ففي هذا الحديث بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم وذلك مأخوذ من شدة عجلته في الخروج الى العدو قبل الناس كلهم بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس وفيه بيان عظيم بركته ومعجزته في انقلاب الفرس سريعا بعد ان كان بطيئا قال القاضي عياض وقد كان في أفراسه صلى الله عليه وسلم فرس اسمه مندوب فلعله صار اليه بعد وقال النووي يحتمل انهما فرسان اتفقا في الاسم قال الزرقاني وهذا أولى وروى الامام أحمد والنسائي وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ما رأيت أشجع ولا أنجد من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجدة الشجاعة والشدة وفي رواية ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطف أجود على أنجد للمناسبة بينهما اذ الجواد لا يخاف الفقر والشجاع لا يخاف الموت ولان النجدة جود بالنفس وهو أقصى مراتب الجود وروى ابن اسحق والحاكم وغيرهما انه كان بمكة رجل يقال له ركانة وكان شديد القوة يحسن الصراع وكان الناس يأتونه للمصارعة فيصرعهم فبينما هو ذات يوم في شعب من شعاب مكة اذ لقيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ركانة ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك اليه فتؤمن بالله ورسوله فقال له ركانة يا محمد هل لك من شاهد يدل على صدقك فقال أرأيت ان صرعتك أتؤمن بالله ورسوله قال نعم يا محمد فقال له تهيأ للمصارعة فقال تهيأت فدنا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه ثم صرعه فتعجب من ذلك ركانة ثم سأله الاقالة والعود ففعل به ذلك ثانيا وثالثا فوقف ركانة متعجبا وقال ان شأنك لعجيب قال الحافظ ابن

من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وهو ما أخرجه البخاري عن أبي بكرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه ينظر الى الناس مرة واليه مرة ويقول ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين وفي رواية بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقد ذكر العلامة ابن حجر في الصواعق ههنا كلاما طويلا فلنذكره بتمامه تتميما للفائدة قال رحمه الله تعالى فانظر الى ترجيه صلى الله عليه وسلم الاصلاح به وهو صلى الله عليه وسلم لا يرجو الا الامر الحق الموافق للواقع فترجيه للاصلاح من الحسن يدل على صحة نزوله لمعاوية عن الخلافة والا لو كان الحسن باقيا على خلافته بعد نزوله عنها لم يقع بنزوله اصلاح ولم يحمد الحسن على ذلك ولم يترج صلى الله عليه وسلم مجرد النزول من غير ان يترتب عليه فائدته الشرعية وهو استقلال المنزول له بالامر وصحة خلافته ونفاذ تصرفه ووجوب طاعته على الكافة وقيامه بامور المسلمين فكان ترجيه صلى الله عليه وسلم لوقوع الاصلاح بين تينك الفئتين العظيمتين من المسلمين بالحسن فيه دلالة أي دلالة على صحة ما فعله الحسن وعلى انه مختار فيه

حجر في الاصابة ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف المطلبي روى البلاذري انه قدم من سفر فاخبر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم أي دعواه النبوة وكان أشد الناس فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ان صرعتني آمنت بك فصرعه فقال أشهد أنك ساحر ثم أسلم بعد وأطعمه النبي صلى الله عليه وسلم خمسين وسقا وقيل لقيه في بعض جبال مكة فقال يا ابن أخي بلغني عنك شيء فان صرعتني علمت انك صادق فصارعه فصرعه ثم أسلم ركانة في فتح مكة وقيل عقب مصارعته ومات في خلافة معاوية رضي الله عنه وقيل في خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل عاش الى سنة احدى وأربعين وجاء في بعض روايات هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم صارع يزيد بن ركانة فلعل تلك المصارعة قد تعددت فمرة مع ركانة ومرة مع ابنه يزيد وكل منهما صحبي رضي الله عنهما وروى الخطيب البغدادي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء يزيد بن ركانة الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ثلثمائة من الغنم فقال يا محمد هل لك أن تصارعني قال وما تجعل لي ان صرعتك قال مائة من الغنم فصارعه فصرعه ثم قال هل لك في العود قال وما تجعل لي قال مائة أخرى فصارعه فصرعه وذكر الثالثة فقال يا محمد ما وضع جنبي في الارض أحد قبلك وما كان أحد أبغض الى منك وأنا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فقام عنه ورد عليه غنمه فاتضح بهذا انه صلى الله عليه وسلم صارع ركانة وابنه جميعا وصارع جماعة غيرهما منهم أبو الاسود الجمحي كما قاله السهيلي ورواه البيهقي وكان شديدا بلغ من شدته انه كان يقف على جلد البقرة ويتجاذب أطرافه عشرة لينزعوه من تحت قدميه فيتفرى الجلد أي يتقطع ولم يتزحزح عنه فدعا أبو الاسود رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتني آمنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن به وقد حضر صلى الله عليه وسلم المواقف الصعبة كبدر وأحد وحنين وفر الكماة والابطال عنه وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة الا النبي صلى الله عليه وسلم روى البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنهما وقد سأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا وفي رواية انهزموا فاكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام وفرت الاعراب ومن تعلم من الناس ولقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحرث آخذ بزمامها وهو صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب * أنا ابن عبد المطلب وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة لانه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى وقد انكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست بسريعة ولا تصلح لكر ولا فر ولا هرب وليست من مراكب الحرب بل من مراكب الطمأنينة فركوبها دليل على النهاية في الشجاعة والثبات وان الحرب عنده كالسلم وهو مع ذلك يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه صلوات الله وسلامه عليه وكل ذلك مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو وروى مسلم من حديث البراء أيضا رضي الله عنه قال كنا اذا احمر البأس أي اشتد اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم وان الشجاع منا الذي يحاذيه ومعنى قوله اتقينا به جعلناه قداما واستقبلنا العدو به وقمنا خلفه وروى الامام أحمد والنسائي عن علي رضي الله عنه كنا اذا حمي البأس وفي رواية اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا وروى أبو الشيخ في الاخلاق عن عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنابهما قال ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة الا كان أول من يضرب أي يقبل على ضربهم ويتوجه الى حربهم وبالجملة فقد كان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس كما يومئ اليه قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم مع ما ورد من اعطائه قوة أربعين رجلا وربما قاوم بعض الرجال ألفا كبعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم أجمعين بل له من القوة الالهية ما تعجز عنها القوى البشرية والملكية (وأما كرمه) صلى الله عليه وسلم فكان لا يوازى ولا يبارى فيه وقد وصفه بذلك كل من عرفه وشاع ذلك واشتهر حتى بلغ مبلغ التواتر وقد

وعلى ان تلك الفوائد الشرعية وهي صحة خلافة معاوية وقيامه بامور المسلمين وتصرفه فيها بسائر ما تقتضيه الخلافة مترتبة على ذلك الصلح فالحق ثبوت الخلافة لمعاوية من حينئذ وانه بعد ذلك خليفة حق وامام صدق كيف وقد أخرج الترمذي وحسنه عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصحابي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا وأخرج الامام أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال قال معاوية ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاوية اذا ملكت فاحسن * فتأمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له في الحديث الاول بان الله يجعله هاديا مهديا والحديث حسن كما علمت فهو مما يحتج به على فضل معاوية رضي الله عنه وانه لا ذم يلحقه بتلك الحروب لما علمت انها مبنية على اجتهاد وانه لم يكن له الا اجر واحد لان المجتهد اذا أخطأ لا ملام

روى البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان أجود الناس أي وذلك لانه صلى الله عليه وسلم لما كانت نفسه أشرف النفوس ومزاجه أعدل الامزجة وشكله أملح الاشكال وخلقه أحسن الاخلاق فلا بد أن يكون فعله أحسن الافعال فلا شك يكون أجود الناس وأنداهم يدا وكيف لا وهو مستغن عن الفانيات بالباقيات الصالحات وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ الا أعطاه فجاءه رجل فأعطاه صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال ياقوم أسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخاف الفقر أي وذلك آية لنبوته صلى الله عليه وسلم وهذا الرجل الذي أعطاه الغنم بين الجبلين قيل هو صفوان بن أمية وقيل غيره وروى مسلم والترمذي عن صفوان بن أمية الجمحي رضي الله عنه قال لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وانه لابغض الناس الي فما برح يعطيني حتى انه لاحب الناس الي قال ابن شهاب الزهري أعطاه يوم حنين مائة من الغنم ثم مائة ثم مائة وجاء انه طاف معه صلى الله عليه وسلم يتصفح الغنائم وكان على دين قومه اذ مر بشعب مملوء ابلا وغنما فاعجبه وجعل ينظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب قال نعم قال هو لك بما فيه فقال صفوان أشهد انك رسول الله ما طابت بهذا نفس أحد قط الا نفس نبي ثم أسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وعاش الى سنة اثنتين وأربعين من الهجرة وقيل توفي أيام قتل عثمان رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين والحكمة في كون اعطائه لم يكن دفعة واحدة بل تدريجا ان هذا العطاء دواء لدائه والحكيم لا يعطي الدواء دفعة واحدة بل تدريجا لانه أقرب الى الشفاء وقد علم صلى الله عليه وسلم ان داءه لا يزول الا بهذا الدواء وهو الاحسان فعالجه به حتى برئ من داء الكفر وأسلم رضي الله عنه وهذا من كمال شفقته صلى الله عليه وسلم ورحمته ورأفته اذ عامله بكمال الاحسان وأنقذه من حر النيران الى برد لطف الجنان وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه اذا وصف النبي صلى الله عليه وسلم قال كان أجود الناس كفا وأصدق الناس لهجة رواه الترمذي وروى أبو يعلى عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أخبركم عن الاجود الله الاجود وأنا أجود ولد آدم وأجودهم من بعدي رجل تعلم علما فانتشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاهد في سبيل الله حتى يقتل فهو صلى الله عليه وسلم بلا ريب أجود بني آدم على الاطلاق كما أنه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم قال في المواهب ورحم الله ابن جابر حيث قال في وصف كرمه صلى الله عليه وسلم

هذا الذي لا يتقي فقرا اذا	أعطى ولو كثر الانام وداموا
وادمن الانعام أعطى آملا	فتحيرت لعطائه الاوهام

وقال ابن جابر أيضا في وصفه صلى الله عليه وسلم

يروى حديث الندى والبشر عن يده	ووجهه بين منهل ومنسجم
من وجهه أحمد لي بدر ومن يده	بحر ومن فمه در لمنتظم
يمم نبيا تباري الريح أنمله	والمزن من كل هامي الودق مرتكم
لو عامت الفلك فيما فاض من يده	لم تلق أعظم بحرا منه ان تعم
تحيط كفاه بالبحر المحيط فلذ	به ودع كل طامي الموج ملتطم
لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت	كل الانام وروت قلب كل ظمي

فسبحان من أطلع أنوار الجمال من أفق جبينه وأنشأ أمطار السحائب من غمائم يمينه وروى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم حمل اليه تسعون ألف درهم قال بعضهم هي التي جاءته من البحرين وقيل غيرها فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وروى الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عليه ولا ذم يلحقه بسببه ذلك لانه معذور ولذا كتب له أجر وهم ما يدل لفضله الدعاء له في الحديث الثاني بان يعلم ذلك ويوقى العذاب ولا شك ان دعاءه صلى الله عليه وسلم مستجاب فعلمنا منه انه لا عقاب على معاوية فيما فعل من تلك الحروب بل له الاجر كما تقرر وقد سمى النبي صلى الله عليه وسلم فئته المسلمين وساواهم بفئة الحسن في وصف الاسلام فدل على بقاء حرمة الاسلام للفريقين وانهم لم يخرجوا بتلك الحروب عن الاسلام وانهم فيه على حد سواء فلا فسق ولا نقص يلحق احدهما لما قررناه من ان كلا منهما متأول تأويلا غير قطعي البطلان وفئة معاوية وان كانت هي الباغية لكنه بغي لا فسق به لانه انما صدر عن تأويل يعذر به أصحابه وتأمل انه صلى الله عليه وسلم أخبر معاوية بانه يملك وأمره بالاحسان تجد في الحديث اشارة الى صحة خلافته وانها حق بعد تمامها بنزول الحسن له عنها فان أمره بالاحسان المرتب على الملك يدل على حقية ملكه وخلافته وصحة تصرفه ونفوذ أفعاله من حيث صحة الخلافة لا من حيث التغلب لان المتغلب فاسق معاقب لا يستحق أن يبشر ولا أن يؤمر بالاحسان فيما تغلب عليه بل انما يستحق الزجر

أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله أن يعطيه فقال ما عندي شئ ولكن ابتع علي أي اشتر واحسب علي الشراء وفي رواية ما عندي شئ أعطيك ولكن استقرض حتى يأتينا شئ فنعطيك وفي رواية فاذا جاءنا شئ قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر أي ما ليس حاصلا عندك فكره النبي صلى الله عليه وسلم قول عمر رضي الله عنه لما فيه من حرمان السائل فقال رجل من الانصار حين رأى كراهة النبي صلى الله عليه وسلم للمنع يا رسول الله أنفق ولا تخش من ذي العرش اقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه وقال بهذا أمرت وقيل ان القائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر هو بلال رضي الله عنه ولعل القصة تعددت وانما قال عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر شفقة عليه صلى الله عليه وسلم لعلمه بكثرة السائلين له وتهافتهم عليه والانصاري راعى حاله صلى الله عليه وسلم فلذا سره كلامه فقوله بهذا أمرت اشارة الى انه أمر خاص به ومن يمشي على قدمه وذكر ابن فارس انه صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة يوم حنين فانشدت شعرا تذكر فيه أيام رضاعه في هوازن فرد عليهم ما أخذه المسلمون من السبايا فكان ذلك عطاء كثيرا حتى قوم ما أعطاهم ذلك اليوم فكان خمسمائة ألف ألف قال ابن دحية وهذا نهاية الجود الذي لم يسمع بمثله في الوجود وفي البخاري من حديث أنس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم أتي بمال من خراج البحرين فقال انثروه يعني صبوه في المسجد وكان أكثر مال أتي به صلى الله عليه وسلم أي من الدراهم أو الخراج فلا ينافي انه غنم في حنين ما هو أكثر منه من أموالهم وقسمه ورد عليهم سبيهم قال أنس رضي الله عنه فخرج صلى الله عليه وسلم الى المسجد ولم يلتفت اليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس اليه أي عنده فما كان يرى أحدا الا أعطاه اذ جاء العباس عمه صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أعطني فاني فاديت نفسي يوم بدر وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثى في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه علي فقال لا قال فارفعه أنت علي فقال لا وانما فعل ذلك تنبيها له على الاقتصاد وترك الاستكثار من المال فنثر العباس رضي الله عنه منه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه علي قال لا قال فارفعه أنت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله فالقاه على كاهله قال ابن كثير كان العباس رضي الله عنه شديدا طويلا نبيلا فاحتمل شيأ يقارب أربعين ألفا وانطلق وهو يقول انما أخذت ما وعد الله فقد أنجز يشير الى قوله تعالى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم قال أنس رضي الله عنه فما قام صلى الله عليه وسلم من ذلك المجلس وثم أي هناك منها درهم واشترى صلى الله عليه وسلم من جابر رضي الله عنه جملا ثم أعطاه ثمنه وزاده عليه ثم قال له اذهب بالجمل والثمن بارك الله لك فيهما وقد كان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله في ابتغاء مرضاته فتارة كان يبذل المال لفقير أو محتاج وتارة ينفقه في سبيل الله وتارة يتألف به على الاسلام من يقوى الاسلام باسلامهم وتارة يؤثر على نفسه وأولاده فيعطي ما بيده للمحتاجين ويتحمل المشقة هو وعياله فيأتي عليه الشهر والشهران لا توقد في بيته نار وربما ربط الحجر على بطنه الشريف من الجوع حتى ان ابنته فاطمة رضي الله عنها جاءته تشكو ما تلقى من الرحى وخدمة البيت وكانت سمعت بسبي جاءه فطلبت منه خادما فقال لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وأمرها ان تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد فمنع احب أهله شفقة على الفقراء وهذه القصة رواها الامام احمد وغيره عن علي رضي الله عنه انه قال لفاطمة رضي الله عنها لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقد جاء الله أباك بسبي فاذهبي فاستخدميه فقالت وأنا والله لقد طحنت حتى مجلت يداي بفتح الجيم وكسرها أي نفطت من كثرة الطحن فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما جاء بك أي بنية قالت جئت لأسلم عليك واستحيت أن تسأله ورجعت فقال ما فعلت قالت استحييت أن أسأله فأتياه جميعا النبي صلى الله عليه وسلم فقال علي يا رسول الله لقد سنوت حتى اشتكيت صدري وقالت فاطمة لقد طحنت حتى مجلت يداي وقد جاء الله بسبي وسعة فأخدمنا فقال والله لا أعطيكم وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع لا أجد ما أنفق عليهم ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم فرجعا فأتاهما النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلا في قطيفتهما اذا غطت رؤسهما كشفت أقدامهما واذا غطت أقدامهما

كشفت

والمقت والاعلام بقبيح أفعاله وفساد أحواله فلو كان معاوية متغلبا لاشار له صلى الله عليه وسلم الى ذلك أو صرح له به فلما لم يشر له فضلا عن أن يصرح الا بما يدل على حقية ما هو عليه علمنا انه بعد نزول الحسن له خليفة حق وامام صدق انتهى كلام العلامة ابن حجر في الصواعق ثم قال بعد كلام عند قول بعضهم وأول الملوك معاوية فلا يتوهم منه ان لا خلافة لمعاوية لان معناه ان خلافته وان كانت صحيحة الا انه غلب عليها مشابهة الملك لانها خرجت عن سنن خلافة الخلفاء الراشدين في كثير من الامور فهي حق وصحيحة من حين نزول الحسن له واجتماع الناس أهل الحل والعقد عليه والملك من حيث انه وقع فيها أمور ناشئة عن اجتهادات غير مطابقة للواقع لا يأثم بها المجتهد لكنها تؤخر عن درجات ذوي الاجتهادات الصحيحة المطابقة للواقع وهم الخلفاء الاربعة والحسن رضي الله عنه فمن أطلق على ولاية معاوية انها ملك أراد من حيث ما وقع في خلالها من تلك الاجتهادات التي ذكرناها ومن أطلق عليها انها خلافة أراد انه بنزول الحسن له واجتماع أهل الحل والعقد عليه صار

كشفت رؤسهما فثارا فقال مكانكما ثم قال ألا أخبركما بخير مما سألتماني قالا بلى قال كلمات علمنيهن جبريل عليه السلام تسبحان في دبر كل صلاة عشرا وتحمدان عشرا وتكبران عشرا فاذا أويتما الى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين واحمدا ثلاثا وثلاثين وكبرا أربعا وثلاثين والحديث في البخاري ومسلم عن علي رضي الله عنه وفي شرح الزرقاني على المواهب أن من واظب على هذا الذكر عند النوم لم يصبه اعياء لان فاطمة رضي الله عنها اشتكت التعب من العمل فاحالها عليه وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه أنه ما ترك هذا الذكر منذ سمعه قيل له ولا يوم صفين قال ولا يوم صفين ومن كرمه صلى الله عليه وسلم ما رواه البخاري ان امرأة أتته صلى الله عليه وسلم ببردة فقالت يا رسول الله أكسوك هذه قال نعم فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم محتاجا اليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال يا رسول الله ما أحسن هذه البردة فاكسنيها فقال صلى الله عليه وسلم نعم فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع فطواها فارسل بها اليه فلام الناس السائل وقالوا ما أحسنت حين رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذها محتاجا اليها ثم سألته اياها وقد عرفت انه لا يسئل شيأ فيمنعه وفي رواية لا يرد سائلا فقال رجوت بركتها حين لبسها النبي صلى الله عليه وسلم لعلي أكفن فيها وفي رواية فقال الرجل والله ما سألتها الا لتكون كفني يوم أموت قال سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه فكانت كفنه وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم أمر أن يصنع له غيرها فمات قبل أن يفرغ منها والرجل الذي سألها فكانت كفنه هو عبد الرحمن بن عوف أو سعد بن أبي وقاص كما قيل بكل ويحتمل تعدد القصة لكن استبعده بعضهم واستنبط السادة الصوفية من هذه القصة جواز استدعاء المريد خرقة التصوف من المشايخ تبركا بهم وبلباسهم كما استدلوا لالباس الشيخ للمريد بحديث انه صلى الله عليه وسلم ألبس أم خالد بنت سعيد بن العاص رضي الله عنهما خميصة سوداء ذات علم رواه البخاري قال في الشفاء وهذه الخصال الممدوحة كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث أي لان هذه الفضائل والشمائل طبعت في أصل فطرته ومادة خلقته قبل بعثته بل قبل حصول ولادته كما ورد كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقد قالت له خديجة رضي الله عنها وكذا ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة رضي الله عنها انك تحمل الكل وتكسب المعدوم وروى الترمذي عن معوذ بن عفراء قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع من رطب يعني بقوله قناع طبقا وأجر زغب أي قثاء صغار فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا وفي مسند الامام أحمد عن ابنة الربيع بالتصغير قالت بعثني معوذ بن عفراء بقناع من رطب وعليه أجر زغب من قثاء وكان صلى الله عليه وسلم يحب القثاء فاعطاني ملء كفه حليا أو ذهبا وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيأ لغد أي لسماحة نفسه وسخاوة كفه وثقته بربه وهذا بالنسبة لخاصة نفسه لقوة حاله فلا ينافيه انه كان يدخر قوت سنة لعياله أي تسكينا لقلوبهم وهذا وقع في بعض السنين دون بعض وفي الشفاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم يسأله أي شيأ من العطاء فاستلف له نصف وسق فلما جاء لرجل أي رب الدين يتقاضاه أي يطالب النبي صلى الله عليه وسلم بوفاء التمر أعطاه وسقا بكماله وقال نصفه قضاء ونصفه نائل أي عطاء قال الشيخ أبو علي الدقاق الفتوة غاية الكرم والايثار وهذا الخلق لا يكون الا للنبي صلى الله عليه وسلم فان كل واحد في القيامة يقول نفسي نفسي وهو صلى الله عليه وسلم يقول أمتي أمتي *(وأما أمانته)* صلى الله عليه وسلم وعدله وعفته وصدق لهجته فقد كان صلى الله عليه وسلم أعظم الناس أمانة وأعدل الناس وأعفهم وأصدقهم لهجة ولقد اعترف له بذلك أعداؤه وكان يسمى قبل النبوة الامين روى الامام أحمد والحاكم والطبراني انه حين اختلفت أكابر قريش عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر الاسود حكموا أن يكون الواضع أول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فطرش صلى الله عليه وسلم رداءه المبارك ووضع الحجر عليه وأمر كل رئيس أن يأخذ بطرف منه وهو آخذ من تحته ثم أخذه فوضعه في موضعه وكانوا قبل بعثته صلى الله عليه وسلم يتحاكمون اليه في كثير من قضاياهم وقال صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء وأمين في الارض وروى الترمذي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

تطلبة حتى مطلقا بحيلة من حيث الطواعية والانقياد ما يجب للخلفاء الراشدين قبله ولا يقال بنظار ذلك فيمن بعده لان أولئك ليسوا من أهل الاجتهاد بل منهم صحابة فسقة ولا يعدون من جملة الخلفاء بوجه بل من جملة الملوك بل من أشرارهم الا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فانه ملحق بالخلفاء الراشدين وكذلك ابن الزبير ثم قال وأما ما يستبيحه بعض المبتدعة من سب معاوية ولعنه فله فيه أسوة أي أسوة بالشيخين وعثمان وأكثر الصحابة فلا يلتفت لذلك ولا يعول عليه فانه لم يصدر الا من قوم حمقى جهلاء أغبياء طغاة لا يبالي الله بهم في أي واد هلكوا فلعنهم الله وخذلهم أقبح اللعنة والخذلان وأقام على رؤسهم من سيوف أهل السنة وحججهم المؤيدة باوضح الدلائل والبرهان ما يقمعهم عن الخوض في تنقيص أولئك الائمة الاعيان ولقد استعمل معاوية عمر وعثمان رضي الله عنهم وكفاه ذلك شرفا وذلك ان أبا بكر رضي الله عنه لما بعث الجيوش الى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان فلما مات أخوه يزيد استخلفه على دمشق فاقره عمر ثم عثمان وجمع له الشام كله فاقام

ورضى الله عنه ان أباجهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك أى لا ننسبك الى الكذب لثبوت صدقك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وفى رواية لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب وروى البيهقي والطبراني وغيرهما أن الاخنس بن شريق بفتح الشين المعجمة وكسر الراء لقى أباجهل يوم بدر فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيرى وغيرك يسمع كلامنا فيما بيننا أخبرنى عن محمد صادق أم كاذب فقال أبوجهل والله ان محمدا الصادق وما كذب محمد قط زاد فى رواية ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فهذا يدل على انه ما منعه عن توحيد الله الا طلب الجاه فطلب الجاه حجاب عظيم عن الحق والاخنس بن شريق اختلف فيه فقيل له اسلام وصحبة وقيل قتل كافرا يوم بدر وقيل الذى قتل كافرا شريق لا الاخنس وجاء أن هرقل لما سأل أباسفيان رضى الله عنه فقال له هل كنتم تتهمونه بالكذب قال لا وروى البيهقي عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النضر بن الحرث العبدرى قال لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا أرضاكم فيكم أى أكثركم أفعالا مرضية وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم انه ساحر لا والله ماهو بساحر وسبب قوله ذلك ان أباجهل أراد أن يرضخ رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وهو يصلى تحت الكعبة فتمثل له جبريل فى صورة فحل ففرها رباو يبست يده على الحجر فلما سمع بذلك النضر بن الحرث قال يا معشر قريش والله قد نزل فيكم أمر ما أتيتم فيه بحيلة قد كان محمد الى آخر ما تقدم زاد فى رواية وقد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم وقلتم انه كاهن والله ماهو بكاهن وقد رأينا الكهنة وسمعنا سجعهم وقد قلتم شاعر والله ماهو بشاعر وقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه هزجه ورجزه وقلتم مجنون والله ماهو بمجنون فما هو بخنقه ولا تخليطه ولا وسوسته فانظروا فى شأنكم والله قد نزل بكم أمر عظيم وهذا غاية منه فى الانصاف وكان من شياطين قريش ومن أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم وكان يقول فى القرآن أساطير الاولين فاخذ أسيرا يوم بدر فامر النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضى الله عنه فقتله بالصفراء عقيب الوقعة وأما النضير بالتصغير فهو أخوه وقد أسلم عام الفتح وكان من المؤلفة وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين مائة من الابل فاحذر أن يتصحف ويلتبس عليك ومن أمانته صلى الله عليه وسلم ما رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت ما مست يده صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط لا يملك رقها أى لا يملكها نكاحا و ما لكافان التزويج يسمى رقا قال صلى الله عليه وسلم لاسماء رضى الله عنها التزويج رق المرأة فلتنظر أين تضع رقها ومن عدله صلى الله عليه وسلم قوله أبلغوا عنى حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من أبلغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها آمنه الله يوم الفزع الاكبر وفى رواية ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة وكان صلى الله عليه وسلم لا يخير فى أمرين الا اختار أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد الناس منه وكان لا يؤاخذ أحدا بذنب أحد ولا يصدق أحدا على أحد رواه أبوداود عن الحسن البصرى مرسلا ومن عفته صلى الله عليه وسلم ما رواه البيهقي عن على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما هممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين عصمنى الله بينى و بين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمنى الله برسالته قلت ليلة لغلام كان معى يرعى لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا أى لعبا بالمعازف وهى الملاهى من الدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر فضرب على أذنى أى أنامنى الله فنمت فما أيقظنى الا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيأ ثم عرانى مرة أخرى مثل ذلك أى مثل ما هممت فى المرة الاولى فعصمنى الله ثم لم أهم بعد ذلك بسوء قط وكان صلى الله عليه وسلم يعرض عمن تكلم بغير جميل وكان مجلسه مجلس حكم وعلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير وأما زهده صلى الله عليه وسلم فى الدنيا فقد تقدم من الاخبار ما يكفى وحسبك من تقلله منها واعراضه عن زهرتها وقد سيقت اليه بحذافيرها فاعرض عنها ولقد توفى ودرعه مرهونة عند يهودى فى نفقة عياله وكان يقصد بذلك

عشرين سنة قال كعب الاحبار لن يملك أحد هذه الامة ما ملك معاوية قال الذهبى توفى كعب قبل أن يستخلف معاوية وصدق كعب فيما نقله فان معاوية بقى خليفة عشرين سنة لا ينازعه أحد الامر فى الارض بخلاف غيره ممن بعده فانه كان لهم مخالف وخرج عن أمرهم بعض الممالك وفى اخبار كعب بذلك قبل استخلاف معاوية دليل على ان خلافته منصوص عليها فى بعض كتب الله المنزلة فان كعبا كان حبرها فله من الاطلاع عليها والاحاطة باحكامها ما فاق سائر أحبار أهل الكتاب وفى هذا من التقوية لشرف معاوية وحقية خلافته بعد نزول الحسن له مالا يخفى وكان نزوله له عنها واستقراره فيهما من ربيع الآخر أو من جمادى الاولى سنة احدى وأربعين فسمى هذا العام عام الجماعة لاجتماع الامة فيه على خليفة واحد انتهى ولما توفى معاوية وجاء الخبر ابن الزبير بمكة قال وددت انه بقى لنا ما بقى أبوقبيس لانه ساس الخلق سياسة عجيبة وألف بينهم وجمع كلمتهم وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول ان معاوية ساس الخلق بكلمة سمعها من

التشريع لامته كيلا يرغبوا فيها فتشغلهم عن الله تعالى وكان يقول فى دعائه اللهم اجعل رزق آل محمد فى
الدنيا قوتا وفسر القوت بما يمسك رمق الانسان والمراد قدر الكفاية وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها
قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا حتى مضى لسبيله وفى رواية ما شبع من خبز شعير
يومين متتابعين ولو شاء لأعطاه مالم يخطر ببال وفى رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من
خبز بر حتى لقى الله وروى مسلم عن عائشة أيضا رضى الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا
درهما ولا شاة ولا بعيرا وفى رواية للبخارى عن جويرية أم المؤمنين رضى الله عنها ما ترك صلى الله عليه وسلم
الا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها ولقد مات وما فى بيتى شئ يأكله
ذو كبد الا شطر شعير فى رف لى فأكلت منه حتى طال على فكلته ففنى فيا ليتنى لم أكله وقال لى انى عرض على
أن تجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب أجوع يوما فأصبر وأشبع يوما فأشكر فأما اليوم الذى أجوع فيه
فأتضرع اليك وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك وفى حديث آخر أن جبريل عليه السلام نزل
عليه فقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك أتحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت
فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له أى لقلة
معرفته بحقيقة الدنيا من سرعة فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وما فاته من الآخرة باعتبار
درجاتها فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وفى رواية للبيهقى انه صلى الله عليه وسلم قال يوما لجبريل
ما أمسى لآل محمد كفة سويق ولا سفة دقيق فأتاه اسرافيل فقال ان الله تعالى سمع ما ذكرت فبعثنى اليك
بمفاتيح الارض وأمرنى أن أعرض عليك ان أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة
فعلت وفى رواية للامام أحمد والله لو شئت لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة وفى رواية لابن عساكر
لو شئت لسارت معى جبال الذهب وفى أخرى للطبرانى لو سألت الله أن يجعل لى تهامة كلها ذهبا لفعل وروى
الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء
وروى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو
وأهل بيته من خبز الشعير وروى ابن ماجه والترمذى عن عائشة وأبى امامة وابن عباس رضى الله عنهم كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالى المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء وروى البخارى عن أنس
رضى الله عنه قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة ولا خبز له مرقق ولا رأى شاة
سميطا قط والخوان ما يؤكل عليه كالكرسى على عادة المترفهين لئلا يحتاجوا الى الانحناء حال أكلهم فالصحابة
انما كانوا يأكلون على السفر المبسوطة فى الارض والسكرجة فارسى معرب وهو بضم الثلاثة وشد الراء اناء
صغير يؤكل فيه القليل من الادم وأكثر ما يوضع فيه وأمثاله ما يعتاده المترفهون من احضار الخلالات ونحوها
من المهضمات والمرغبات فى أطراف المأكولات والمرقق الرغيف الابيض اللين الواسع والسميط بمعنى
المسموط المشوى بجلده بعد اخراج ما فيه من القاذورات والنجاسات فان لم تخرج كان حراما وكذا حكم الرؤس
والدجاج وانما يحسن السمط فى صغار الغنم وروى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت انما كان فراشه
صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه أدما أى جلدا مدبوغا وروى الترمذى عن حفصة أم المؤمنين رضى الله
عنها قالت كان فراش النبى صلى الله عليه وسلم فى بيتى مسحا أى من شعر أبيض وقيل أسود نثنيه ثنيتين فينام
عليه فثنيناه له ليلة بأربع طاقات فلما أصبح قال ما فرشتم لى الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطاءته
أى لينته منعتنى أى كمال حضورى فى صلاتى أو شغلتنى عن القيام لصلاتى وقراءتى ولم يسألهم صلى الله عليه
وسلم فى ابتداء الليلة لاستغراقه فى شهود نوره ووجود حضوره وروى الشيخان والترمذى انه صلى الله عليه وسلم
كان ينام أحيانا على سرير مرمول أى منسوج بشريط مفتول من سعف حتى تؤثر خشونة الشريط فى
جنبه لكونه يرقد عليه من غير حائل بينه وبينه وعن عائشة رضى الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبى صلى الله
عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى لاحد قط أى لاحد من أصحابه وزوجاته وكانت الفاقة أحب اليه من

النبى صلى الله عليه وسلم
وهو قوله صلى الله عليه
وسلم له يا معاوية لا تفتش
الناس فانك ان فتشتهم
أفسدتهم أو كدت أن
تفسدهم ولما انتهى الصلح
بين الحسن ومعاوية رضى
الله عنهما خطب الحسن
الناس فحمد الله وأثنى
عليه وصلى على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم وقال
أيها الناس ان أكيس
الكيس التقى وأحمق الحمق
الفجور الى أن قال وقد
علمتم ان الله تعالى جل
ذكره وعز اسمه هداكم
بجدى وأنقذكم من
الضلالة وخلصكم من
الجهالة وأعزكم به بعد
الذلة وكثركم به بعد القلة
وان معاوية نازعنى حقا
هو لى دونه فنظرت لاصلاح
الامة وقطع الفتنة وقد كنتم
بايعتمونى على أن تسالموا
من سالمنى وتحاربوا من
حاربنى فرأيت أن أسالم
معاوية وأضع الحرب بينى
وبينه وقد بايعته ورأيت
أن حقن الدماء خير من
سفكها ولم أرد بذلك الا
اصلاحكم وبقاءكم وان
أدرى لعله فتنة لكم ومتاع
الى حين * ومما شرح الله به
صدره فى هذا الصلح ظهور
معجزة النبى صلى الله عليه
وسلم فى قوله فى حق الحسن
رضى الله عنه ان ابنى هذا
سيد وسيصلح الله به بين
فئتين عظيمتين من

الغني وان كان ليظل جائعا طول ليله فلا يمنعه أي جوعه صيام يومه وهذا كله لكمال زهده واقبال قلبه على ربه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها قالت عائشة رضي الله عنها ولقد كنت أبكي له رحمة مما أرى به من الجوع وأمسح بطنه وأقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة مالي وللدنيا اخواني من أولي العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فأكرم مآبهم وأجزل ثوابهم فاجدني أستحي ان ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو أحب الي من اللحوق باخواني وأخلائي قالت رضي الله عنها فما أقام الا في الدنيا بعد أي بعد قوله ذلك الا شهرا حتى توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية لابن أبي حاتم عن عائشة رضي الله عنها قالت ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه وقال يا عائشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد يا عائشة ان الله لم يرض من أولي العزم من الرسل الا بالصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ولم يرض مني الا أن يكلفني ما كلفهم فقال اصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل واني والله لاصبرن كما صبروا جهدي ولا قوة الا بالله قال العلماء من قال مالي صدقة على أعقل الناس يعطى للزهاد لان العاقل من طلق الدنيا كما قيل

طلق الدنيا ثلاثا * واطلبن زوجا سواها * انها زوجة سوء * لا تبالي من أتاها

أنت تعطيها مناها * وهي تعطيك قفاها * فاذا نالت مناها * منك ولتك وراها

روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال صلى الله عليه وسلم ان أهل الشبع في الدنيا هم أهل الجوع غدا في الآخرة أي لان من كثر شبعه ورغب فيه ربما حصل مالا كله من غير وجهه فيجازى بالجوع في الآخرة اما في الموقف أو في النار ان دخلها للتطهير لا بعد دخول الجنة اذ لا عذاب فيها والجوع عذاب وروى ابن ماجه والحاكم عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أكثر الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعا في الآخرة وذلك لان شأن المؤمن الكامل أن يشتد خوفه ويكثر فكره فيشفق على نفسه من استيفاء شهوته فيقل أكله كما ورد في حديث لابي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من كثر تفكره قل مطعمه ومن قل تفكره كثر مطعمه وقسا قلبه أي لان كثرة المطعم تورث قسوة القلب وقال جمع من الصحابة منهم عمرو بن العاص رضي الله عنه البطنة تذهب الفطنة ومن قل طعامه قل شربه وخف نومه ومن خف منامه ظهرت بركة عمره أي لما يباشره من الطاعات في يقظته ومن امتلأ بطنه كثر شربه ومن كثر شربه ثقل نومه ومن كثر نومه محقت بركة عمره ولا تدخل الحكمة معدة ملئت طعاما فاذا اكتفى بدون الشبع حسن اغتذاء بدنه وصلح حال نفسه ومن امتلأ جوفه من الطعام ساء غذاء بدنه وبطرت نفسه وقسا قلبه فلا تنجع فيه موعظة ولا تدخله حكمة روى أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط كان اذا تغدى أي أكل في غدوة النهار وبكرته لم يتعش أي لم يأكل في المساء واذا تعشى لم يتغد وكان في أهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان أطعموه أكل أي ان قدموه له ليأكل أكل وما أطعموه قبله منهم وما سقوه أي من الاشربة لبن أو غيره شرب وروى مثل هذا عن عائشة رضي الله عنها ثم ان ما استفيد من كراهة الشبع محمول على الشبع الذي يثقل المعدة ويثبط عن القيام بالعبادة ويفضي الى النوم والكسل والبطر والاشر وقد تنتهي كراهة الشبع الى التحريم بحسب ما يترتب عليه من المفسدة وروى البخاري ومسلم ان عائشة رضي الله عنها كانت تقول لعروة بن الزبير تحمله على التاسي بالنبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به في التقلل والله يا ابن أختي ان كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الاسودان التمر والماء وروى مسلم عنها رضي الله عنها لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين خصت الزيت لانهم كانوا يأتدمون به كثيرا ومع ذلك لم يأكله في اليوم الا مرتين زهدا في الدنيا وعن أبي حازم سلمة بن دينار انه سأل سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه هل رأيتم في زمان النبي صلى الله عليه

وسلم

المسلمين رواه البخاري وأخرج الدولابي عن الحسن رضي الله عنه انه قال كانت جماجم العرب بيدي يسالمون من سالمت ويحاربون من حاربت فتركتها ابتغاء لوجه الله تعالى وحقن دماء المسلمين وكان بعض أصحابه يقولون له يا عار المؤمنين فيقول العار خير من النار وقال له رجل السلام عليك يا مذل المؤمنين فقال لست مذل المؤمنين ولكني كرهت أن أقتلكم على الملك ثم ارتحل من الكوفة الى المدينة وأقام بها والحاصل أن نزول الحسن عن الخلافة كان باجتهاد منه وكان ذلك الاجتهاد مظهر المعجزة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين وقوله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة فمن اعتقد ان ذلك كان خطأ يلزمه ان يخطئ الحسن وجميع الصحابة الذين كانوا في زمنه بل يلزمه تخطئة جميع المسلمين الذين وافقوه وبايعوا معاوية وتخطئتهم أجمعين لا تجوز اذ لا تجتمع الامة على ضلالة وقد تقدم بعض الآيات والاحاديث الدالة على فضل الحسن والحسين رضي الله عنهما ويلتحق بذلك سائر أهل بيت النبي صلى الله عليه

وسلم النقى يعنى الخبز الحوارى قال لاقات كنتم تنخلون الشعير قال لا ولكنا كنا ننفخه رواه البخارى وفى رواية
هل أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى قال مارأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى من حين ابتعثه الله
حتى قبضه فقلت هل كان لكم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخل فقال مارأى النبى صلى الله عليه
وسلم منخلا من حين ابتعثه الله حتى قبضه قلت كيف كنتم تاكلون الشعير غير منخول قال كنا نطحنه وننفخه
فيطير ماطار ومابقى ثريناه فاكلناه أى نديناه وليناه ثم خبزناه فاكلناه وروى مسلم والترمذى عن أبى هريرة
رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فى ساعة لايخرج فيها أحد ولا يلقاه فيها أحد
فاذا هو بابى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قال كل منهما أخرجنا الجوع
يارسول الله قال وأنا والذى نفسى بيده أخرجنى الذى أخرجكما وهذا قاله تسلية وتانيسا لهما فانطلقوا الى منزل
أبى الهيثم بن التيهان الانصارى رضى الله عنه وكان رجلا كثير النخل والشياه واذا هو ليس فى بيته فلما رأت
امرأته النبى صلى الله عليه وسلم قالت مرحبا وأهلا وفى رواية مرحبا بنبى الله وبمن معه فقال لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم أين فلان يعنى زوجها قالت ذهب يستعذب لنا الماء أى يستقى لنا الماء عذبا من بئر بعيدة
وكانت أكثر مياه المدينة مالحة فبينما هم على ذلك اذ جاء الانصارى فوضع القربة ثم جاء يلتزم النبى صلى
الله عليه وسلم ويفديه بابيه وأمه وفى رواية فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله أى
أى على هذه التى لم يظفر بها غيرى فى هذا اليوم ما أحد اليوم أكرم أضيافا منى فانطلق بهم الى بستانه
فجاءهم بقنو فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية أى السكين ليذبح لهم فقال له النبى صلى الله عليه
وسلم اياك والحلوب أى باعد نفسك عن ذات اللبن فلا تذبحها فذبح لهم فشوى نصف اللحم وطبخ نصفه وأتاهم
به فلما وضع بين يديه صلى الله عليه وسلم أخذ من ذلك فجعله فى رغيف وقال للانصارى أبلغ بهذا فاطمة رضى
الله عنها فانها لم تصب مثله منذ أيام فذهب به اليها فاكلوا من الشاة ومن القنو وشربوا من ذلك الماء العذب
فلما أن شبعوا ورووا قال صلى الله عليه وسلم لابى بكر وعمر رضى الله عنهما والذى نفسى بيده لتسئلن عن هذا
النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وفى رواية أنه قال هذا
والذى نفسى بيده من النعيم الذى تسئلون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء بارد ثم انطلق أبو الهيثم
يصنع لهم طعاما وهذه تدل على انه قال لهم ذلك قبل أكلهم من الشاة وفى رواية فكبر ذلك على أصحابه أى
كون هذا من النعيم الذى يسئلون عنه فقال اذا أصبتم مثل هذا فصار بايديكم فقولوا باسم الله فاذا شبعتم
فقولوا الحمد لله الذى أشبعنا وأنعم علينا وأفضل فان هذا كفاف فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله انا
لمسؤلون عن هذا يوم القيامة قال نعم الا من ثلاث كسرة يسد بها الرجل جوعته أو ثوب يستر به عورته أو جحر
يدخل فيه من القر والحر وفى هذه القصة فوائد منها ان اتيانهم دار أبى الهيثم رضى الله عنه لا ينافى شرفهم
فقد استطعم قبلهم موسى والخضر عليهما السلام لارادة الله تسلية الخلق بهم وان يستنوا بهم ففعلوا ذلك
تشريعا للامة وفى قول امرأة أبى الهيثم يستعذب لنا الماء دليل على أن طلب الماء العذب لا باس به وانه لا ينافى
الزهد وان السبب لا ينافى التوكل اذ التوكل اعتماد القلب على الله وأن لا يكون للعبد وثوق بسوى ربه
فالحركة الظاهرة لا تنافيه وقصده صلى الله عليه وسلم بيت الانصارى رضى الله عنه من هذا القبيل ومن زهده
صلى الله عليه وسلم مارواه مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيدى ذات يوم الى منزله فاخرج اليه فلق من خبز فقال مامن أدم أى هل عندكم شئ من الادم آكل الخبز به
قالوا الاشئ من خل قال نعم الادم الخل قال جابر فمازلت أحب الخل منذ سمعتها من نبى الله صلى الله عليه
وسلم وروى ابن أبى الدنيا عن ابن عجير رضى الله عنه قال أصاب النبى صلى الله عليه وسلم الجوع يوما فعمد الى
حجر فوضعه على بطنه ثم قال ألا رب نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا جائعة عارية يوم القيامة ألا رب مكرم لنفسه وهو
لها مهين ألا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم وروى الترمذى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن أبى طلحة زوج
أمه رضى الله عنهما قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر فرفع

وسلم فقد برهم أخرج أبو يعلى
عن سلمة بن الاكوع رضى
الله عنه ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال النجوم أمان
لاهل السماء وأهل بيتى
أمان لامتى من الاختلاف
وفى رواية للامام أحمد فاذا
ذهبت النجوم ذهبت
السماء واذا ذهب أهل
بيتى ذهب أهل الارض
وفى رواية فاذا هلك أهل
بيتى جاء أهل الارض من
الآيات ما كانوا يوعدون
وأخرج الحاكم عن أنس
رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
وعدنى ربى فى أهل بيتى
من أقر منهم لله تعالى
بالتوحيد ولى بالبلاغ أن
لايعذبهم وأخرج ابن
عدى والديلمى عن على
رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
أثبتكم على الصراط أشدكم
حبا لاهل بيتى وأخرج
الترمذى وابن ماجه
والحاكم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال أنا
حرب لمن حاربهم سلم لمن
سالمهم وأخرج ابن ماجه
عن العباس بن عبد المطلب
رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال
والذى نفسى بيده لايدخل
قلب امرئ الايمان حتى
يحبهم لله ولقرابتى وفى رواية
لايؤمن عبد بى حتى يحبنى
ولايحبنى حتى يحب أهل
بيتى وفى رواية لايدخلوا

الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوهم لله ولرسوله وأخرج الطبراني والبيهقي وابن منده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو يخطب على المنبر ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ألا ومن آذى نسبي وذوي رحمي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى وفي رواية من آذاى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى وأخرج الديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال من أحب الله أحب القرآن ومن أحب القرآن أحبني ومن أحبني أحب أصحابي وقرابتي وأخرج الملا في سيرته انه صلى الله عليه وسلم قال لا يحبنا أهل البيت الا مؤمن تقي ولا يبغضنا الا منافق شقي وأخرج الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما وروى مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه عن حجرين وانما رفع لهم ليعلمهم أن ليس عنده ما يستأثر به عليهم وتسلية لهم لا شكاية أن مابهم من الجوع أصابه فوقه حتى احتاج الى حجرين وفي قصة جابر رضي الله عنه في حفر الخندق قام صلى الله عليه وسلم الى الكدية وبطنه معصوب بحجر وما أحسن قول البوصيري رحمه الله

وشد من سغب أحشاءه وطوى * تحت الحجارة كشحا مترف الادم

والكشح ما بين الخاصرة وأقصر ضلع وانما حصل له الجوع في بعض الاوقات ليحصل له تضعيف الاجور مع حفظ قوته ونضارة جسمه حتى أن من رآه لا يظن به جوعا وانما يعرفه بعض الخواص كأبي طلحة بالصوت ونحوه لان جسمه صلى الله عليه وسلم كان يرى أشد نضارة وحسنا من أجسام المترفين المتلذذين بالنعم في الدنيا وهذا المعنى هو الذي قصده البوصيري رحمه الله بقوله مترف الادم أي حسن الجلد ناعمه وهو من باب الاحتراس والتكميل لانه لما ذكر انه شد من سغب أي جوع خاف أن يتوهم أن جسمه الشريف يظهر فيه أثر الجوع وهو الضعف فاحترس ورفع ذلك الايهام بقوله مترف الادم وحصول الجوع في بعض الاوقات لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم حين سألوه عن مواصلته في الصوم لست كأحدكم اني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني لان كلا منهما حصل له في وقت فأحاديث الوصال تدل على انه يستغني عن الطعام والشراب في بعض الاوقات وان الله يعطيه قوة الآكل الشارب فيهما وفي بعض الاوقات يحصل له شئ من الجوع حتى يظهر لبعض أصحابه ويكون حكمة ذلك حصول الاجر والثواب وليقتدوا به ويتصبروا اذا حصل لهم شئ من ذلك فهو تشريع لهم ولمن بعدهم ليزهدوا في الدنيا ويتقللوا منها وقيل ان عصب الحجر على البطن ليس لاجل الجوع بل لان عادة العرب أو أهل المدينة انهم يفعلوا ذلك اذا خلت أجوافهم وغارت بطونهم ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم تطييبا لقلوبهم بفعل ما يعتادون فعله وليعلموا انه ليس عنده ما يستأثر به عليهم ومن زهده صلى الله عليه وسلم انه أوتي مفاتيح خزائن الارض فاعرض عنها وفتح كثير من البلاد في حياته صلى الله عليه وسلم وجاءته أموالهم فقسمها بين أصحابه وما استأثر بشئ منها ولا أمسك دينارا ولا درهما بل صرفها في مصارفها وبالجملة فما من خلق كريم الا واتصف صلى الله عليه وسلم بأكمله وأعلاه وفي الشفاء عن علي رضي الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته أي طريقته المبنية على شريعته وحقيقته فقال المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب أساسي والشوق مركبي وذكر الله أنيسي والثقة بالله كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين قوت روحي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي رواية وثمرة فؤادي في ذكر ربي وغمي لاجل أمتي وشوقي الى ربي قال ملا علي القاري في شرحه على الشفاء والمصنف ثبت ثقة حجة فحسن الظن به انه ما رواه أي هذه الالفاظ الا عن بينة اهـ

(ومن معجزاته) صلى الله عليه وسلم التي اختص بها امداده بالملائكة ورؤية أصحابه لهم وقتالهم معه ومع أصحابه يوم بدر حتى هزموا المشركين وكانوا زهاء ألف والمسلمون ثلثمائة وثلاثة عشر حتى سمع بعض الحاضرين زجر الملائكة خيلها وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى أبو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب وكان يومئذ على دين قومه رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض وأرى النبي صلى الله عليه وسلم مرة جبريل لعمه حمزة رضي الله عنه فخر مغشيا عليه من عظمته وهيئته وحديثه رواه البيهقي وفي مسلم ان الملائكة كانت تسلم على عمران بن حصين رضي الله عنهما وعنابهما وروى ابن سعد انها كانت تصافحه *(ومن دلائل نبوته)* صلى الله عليه وسلم ما تتابعت به الاخبار عن الرهبان والاحبار ومن الكهان على ألسنة الجان وعلى غير ألسنتهم وما سمع من الهواتف ومن بعض الوحوش وما جاء عن علماء أهل الكتاب من صفته وصفة أمته واسمه وعلاماته كما تقدم بسطه أول الكتاب في مواضعه قال كعب الاحبار نجد في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وأمته الحامدون يحمدون الله تعالى في السراء والضراء وقال وهب بن منبه في الزبور يا داود سيأتي من بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صادقا سيدا لا أغضب عليه أبدا وقد غفرت له قبل أن يعصيني ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأمته مرحومة

واعطيتهم

وأعطيتهم من النوافل مثل ما أعطيت الانبياء وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الانبياء والرسل حتى يأتوا يوم القيامة نورهم مثل نور الانبياء وروى البيهقي أنه لما قدم الجارود بن العلاء وكان أسقفا للنصارى على النبي صلى الله عليه وسلم رآه وتحقق صفاته قال والله لقد جئت بالحق ونطقت بالصدق والذي بعثك بالحق نبيا لقد وجدت وصفك في الانجيل وبشر بك ابن البتول فطول التحية لك والشكر لمن أكرمك لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين مد يدك فاني أشهد أن لا اله الا الله وأنك محمد رسول الله وفي دلائل النبوة للبيهقي ان ثلاثة من اليهود أسلموا على يد النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر وأخبروا أن حبرا من يهود الشام يقال له ابن الهيبان قدم المدينة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فأقام عند اليهود فكانوا يستسقون به فحضرته الوفاة فجاؤه فقال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الرخاء الى أرض البؤس قالوا أنت أعلم قال انما خرجت أتوقع مبعث نبي قد أطل زمانه ومهاجره هذه البلاد فاتبعوه فلا يسبقكم اليه أحد فانه يبعث بسفك دماء من خالفه وسبي ذراريهم ثم مات فلما فتحت خيبر قال أولئك النفر الثلاثة وكانوا شبانا أحداثا يا معشر يهود والله انه للذي كان يذكر لكم ابن الهيبان قالوا ما هو به قالوا بلى ثم نزلوا وأسلموا وخلوا أموالهم وأولادهم وأهلهم في الحصن فردها عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما ذكر في التوراة من صفاته وصفات أمته قال موسى رب اني أجد في التوراة أمة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال اني أجد فيها أمة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد قال أجد أمة أناجيلهم في صدورهم يقرؤنها فاجعلهم أمتي قال تلك أمة محمد وفي الزبور يا داود يأتي بعدك نبي يسمى أحمد ومحمدا صادقا وسيدا أمته مرحومة افترضت عليهم أن يتطهروا لكل صلاة كما افترضت على الانبياء وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الانبياء وأمرتهم بالحج والجهاد يا داود اني فضلت محمدا وأمته على الامم كلها أعطيتهم ستا لم أعطها غيرهم لا أؤاخذهم بالخطا والنسيان وكل ذنب فعلوه عمدا اذا استغفروني منه غفرته لهم وما قدموه لآخرتهم طيبة به أنفسهم عجلته لهم أضعافا مضاعفة ولهم في المذخور عندي أضعاف مضاعفة وأعطيتهم على المصائب اذا صبروا وقالوا انا لله وانا اليه راجعون الصلاة والهدى والرحمة الى جنات النعيم فان دعوني استجبت لهم فاما ان يروه عاجلا أو أصرف عنهم سوأ أو أدخره لهم في الآخرة ومما أخبر الله به في القرآن انه مذكور في التوراة والانجيل من صفاته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ولو لم يكن هذا مكتوبا عندهم في التوراة لكان الاخبار به على خلاف الواقع من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول دعوته صلى الله عليه وسلم لان الكذب والبهتان من أعظم المنفرات والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله وينفر الناس عن قبول مقاله فلما قال لهم هذا دل على ان ذلك النعت كان مذكورا في التوراة والانجيل وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته لكن اهل الكتاب كما قال تعالى يكتمون الحق وهم يعلمون ويحرفون الكلم عن مواضعه والافهم فانهم قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم كما عرفوا أبناءهم وحرفوا ما وجدوه في التوراة والانجيل وبدلوه ليطفؤا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون وفي البخاري عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أي وكان عبد الله ممن قرأ التوراة قلت أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا وفي رواية لابن اسحق ولا صخب بالاسواق ولا متزين

عز وجل فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله عز وجل وخذوا به وحث ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي ثلاث مرات وسمى القرآن وأهل بيته ثقلين لان الثقل كل نفيس خطير مصون وهما كذلك اذ كل منهما معدن العلوم اللدنية والحكم العلمية والاحكام الشرعية ولذا حث على الاقتداء والتمسك بهما واخرج الديلمي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون قال مسؤلون عن ولاية علي وأهل البيت وروى البخاري في صحيحه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال يا أيها الناس ارقبوا محمدا صلى الله عليه وسلم في أهل بيته واحفظوه فيهم والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي أن أصل من قرابتي وفي رواية لان أصلكم أحب الي من ان أصل قرابتي وأخرج الدارقطني عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال تحببوا الى الاشراف وتوددوا واتقوا على أعراضكم من السفلة واعلموا انه لا يتم شرف الا بولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي رواية يا أيها الناس ان الفضل والشرف والمنزلة الولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته فلا تذهبن بكم الاباطيل وأخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري

بالفحش ولا قوال الخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خلق كريم ثم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره
والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق
شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد
الخمالة وأسمي به بعد النكرة وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء
متشتتة وأمم متفرقة واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس (وأخرج) ابن سعد عما هو مذكور في بعض
الكتب المنزلة ان ابراهيم عليه السلام لما أمر باخراج هاجر حملها على البراق فكان لا يمر بارض عذبة سهلة
الا قال انزل ههنا يا جبريل فيقول له لا حتى أتى مكة فقال جبريل انزل يا ابراهيم قال حيث لا ضرع ولا زرع
قال نعم ههنا يخرج النبي الذي من ذرية ابنك الذي تتم به الكلمة العليا وفي التوراة مما هو مختار بعد
الحذف والتحريف والتبديل ما ذكره ابن ظفر وابن قتيبة في اعلام النبوة تجلى الله من سيناء وأشرق من
ساعير واستعلن من جبال فاران فسيناء هو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام وساعير هو الجبل
الذي كلم الله فيه عيسى فظهرت فيه نبوته وجبال فاران هي جبال بني هاشم التي بمكة التي كان النبي صلى الله
عليه وسلم يتحنث في أحدها وفيه فاتحة الوحي وهو حراء قال ابن قتيبة ولا اشكال في هذا لان تجلى الله من سيناء
انزاله التوراة على موسى عليه السلام بطور سيناء ويجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله على المسيح
الانجيل وأن يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم وهي جبال مكة
وليس بين المسلمين وأهل الكتاب في ذلك اختلاف فان قال قائل منهم ان جبال فاران ليست بمكة قلنا له أليس
في التوراة ان الله أسكن هاجر واسمعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران
والنبي الذي أنزل عليه كتابا بعد المسيح أوليس استعلن وعلن بمعنى واحد وهو ما ظهر وانكشف فهل تعلمون
دينا ظهر ظهور الاسلام وفشا في مشارق الارض ومغاربها فشوه قال في المواهب وفي التوراة أيضا مما
ذكره ابن ظفر في اثناء خطاب لموسى عليه السلام والمراد به الذين اختارهم لميقات ربه ما نصه وسأقيم لهم
نبيا مثلك من اخوتهم وأجعل كلامي في فمه فيقول لهم كل شيء آمره وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي
فاني أنتقم منه وفي هذا الكلام أدلة على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله نبيا من اخوتهم وموسى
وقومه من بني اسحق واخوتهم بنو اسمعيل ولو كان هذا النبي الموعود به من بني اسحق لكان من أنفسهم
لا من اخوتهم ولقوله نبيا مثلك وقد قال في التوراة لا يقوم في بني اسرائيل أحد مثل موسى عليه السلام وفي
ترجمة أخرى مثل موسى لا يقوم في بني اسرائيل أبدا فذهبت اليهود الى أن هذا النبي الموعود به هو يوشع بن
نون وذلك باطل لان يوشع لم يكن كفؤا لموسى عليه السلام بل كان خادما له في حياته ومؤكدا الدعوته بعد
وفاته فتعين أن يكون المراد به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم فانه كفؤ موسى لانه ماثله في نصب الدعوة
والتحدي بالمعجزة وشرح الاحكام واجراء النسخ على الشرائع السالفة وقوله تعالى أجعل كلامي في فمه
واضح في ان المقصود به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لان معناه أوحي اليه بكلامي فينطق به على ما سمعه
ولا أنزل صحفا ولا ألواحا لانه أمي لا يحسن أن يقرأ المكتوب وفي الانجيل عن عيسى عليه السلام اني أطلب
الى ربي فارقليط يكون معكم الى الابد وفيه أيضا على لسانه فارقليط روح القدس الذي يرسله ربي باسمي
أي بالنبوة يعلمكم جميع الاشياء ويذكركم ما قلته واني قد أخبرتكم بهذا قبل أن يكون حتى اذا كان
تؤمنوا به وفيه أيضا أقول لكم الآن حقا انطلاقي عنكم خير لكم فان لم انطلق عنكم الى ربكم لم يأتكم
الفارقليط وان انطلقت أرسلته اليكم فاذا جاء يفيد العالم ويؤنبهم ويوبخهم ويوقفهم على الخطيئة
والبر وروح اليقين يرشدكم ويعلمكم ويدبر لجميع الخلق لانه ليس يتكلم بدعة من تلقاء نفسه وفيه
أيضا مما ذكره ابن ظفر بان في الدر المنظم عن المسيح عليه السلام انه قال أنا أطلب لكم من الله أن يعطيكم
فارقليط آخر يثبت معكم الى الابد روح الحق الذي لن يطيق العالم أن يقتلوه فهذا تصريح بان الله سيبعث
اليهم من يقوم مقامه وينوب عنه في تبليغ رسالة ربه وسياسة خلقه وتكون شريعته باقية مخلدة أبدا فهل

رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غضب الله على من آذاني في عترتي وصح انه صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن ينسأ أي يؤخر في أجله وان يمتع بما خوله الله تعالى فليخلفني في أهلي خلافة حسنة فمن لم يخلفني فيهم خلافة حسنة بتر عمره وورد علي يوم القيامة مسودا وجهه وأخرج الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهلي من بعدي وصح عنه صلى الله عليه وسلم من طرق كثيرة انه قال انما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وفي رواية هلك ومثل أهل بيتي فيكم كمثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له وأخرج ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم قال استوصوا باهل بيتي خيرا فاني أخاصمكم عنهم غدا ومن أكن خصمه أخصمه ومن أخصمه دخل النار ومن حفظني في اهل بيتي فقد اتخذ عند الله عهدا وأخرج ابن سعد أيضا انه صلى الله عليه وسلم قال انا وأهل بيتي شجرة في الجنة وأغصانها في الدنيا فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وأخرج الترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني لحب الله تعالى وأحبوا أهل بيتي لحبي وأخرج البيهقي والديلمي انه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن عبد حتى

هذا الا محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت النصارى فى تفسير الفارقليط فقيل هو الحامد وقيل المخلص فان وافقناهم على انه المخلص أفضى بنا الامر الى أن المخلص رسول يأتى بخلاص العالم وذلك من غرضنا لان كل نبى مخلص لامته من الكفر و يشهد له قول المسيح فى الانجيل انى جئت لخلاص العالم فاذا ثبت ان المسيح هو الذى وصف نفسه بانه مخلص العالم وهو الذى سال الله أن يعطيكم فارقليط آخر ففى مقتضى اللفظ ما يدل على انه قد تقدم فارقليط أول حتى يأتى فارقليط آخر وان تنزلنا معهم على القول بانه الحامد فاى لفظ أقرب الى أحمد ومحمد من هذا وفى بعض تراجم الانجيل ان الفارقليط هو رسول يرسله الله وهو روح القدس وهو مصدق بالمسيح و يعلم الخلق كل شئ و يذكرهم وفى الانجيل الفارقليط اذا جاء وبخ العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه ما يسمع يكلمهم به و يسوسهم بالحق و يخبرهم بالحوادث وفيه أيضا اذا جاء روح الحق ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع من الذى أرسله وهذا كما قال تعالى فى حقه صلى الله عليه وسلم وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى قال ابن ظفر فمن ذا الذى وبخ العالم على كتم الحق وتحريف الكلام عن مواضعه و بيع الدين بالثمن البخس ومن ذا الذى أنذر بالحوادث وأخبر بالغيوب الا محمد صلى الله عليه وسلم ولله در أبى محمد الشقراطسى حيث قال

توراة موسى أتت عنه فصدقها * انجيل عيسى بحق غير مفتعل

أخبار أحبار أهل الكتب قد وردت * عما رأوا ورووا فى الاعصر الاول

و يعجبنى قول العارف الربانى أبى عبد الله بن النعمان

هذا النبى محمد جاءت به * توراة موسى للانام تبشر

وكذا انجيل المسيح موافق * ذكر لاحمد معرب ومذكر

وفى الدلائل للبيهقى عن الحاكم باسناد لا باس به عن أبى امامة الباهلى عن هشام بن العاص الاموى قال بعثت أنا ورجل آخر الى هرقل صاحب الروم ندعوه الى الاسلام فذكر الحديث وانه أرسل اليهما ليلا قال فدخلنا عليه فدعا بشئ كهيئة الربعة العظيمة مذهبة فيها بيوت صغار عليها أبواب ففتح واستخرج حريرة سوداء فنشرها فاذا فيها صورة حمراء فاذا رجل ضخم العينين عظيم الاليتين لم ير مثل طول عنقه واذا له ضفيرتان أحسن ما خلق الله تعالى قال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا آدم عليه السلام ثم فتح بابا آخر فاستخرج حريرة سوداء فاذا فيها صورة بيضاء فاذا رجل أحمر العينين ضخم الهامة حسن اللحية فقال أتعرفون هذا قلنا لا قال هذا نوح عليه السلام ثم فتح بابا آخر واخرج حريرة فاذا فيها صورة بيضاء فاذا فيها والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتعرفون هذا قلنا محمد رسول الله ونبينا قال والله انه لهو ثم قام قائما ثم جلس وقال انه لهو قلنا نعم انه كأنه ينظر اليه فامسك ساعة ينظر اليها ثم قال أما والله انه لآخر البيوت ولكنى عجلته لكم لانظر ما عندكم الحديث وفيه ذكر صور الانبياء ابراهيم وموسى وعيسى وسليمان وغيرهم عليهم السلام قال قلنا له من أين لك هذه الصور فقال ان آدم عليه السلام سال ربه أن يريه الانبياء من ولده فانزل الله عليه صورهم فكانت فى خزانة آدم عليه السلام عند مغرب الشمس فاستخرجها ذو القرنين و وضعها عند دانيال عليه السلام فى الزبور فى مزبور وأربعة وأربعين فاضت النعمة من شفتيك من أجل هذا باركك الله الى الابد تقلد أيها الجبار السيف فان شرائعك وسنتك مقرونة بهيبة يمينك وسهامك مسنونة وجميع الامم يخرون تحتك فهذا المزبور بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فالنعمة التى فاضت من شفتيه هى القول الذى يقوله وهو الكتاب الذى أنزل عليه والسنة التى سنها وفى قوله تقلد أيها الجبار دلالة على انه النبى العربى اذ ليس يتقلد السيوف أمة من الامم سوى العرب فكلهم يتقلدونها على عواتقهم وفى قوله فان شرائعك وسنتك نص صريح انه صاحب شريعة وسنة وانها تقوم بسيفه والجبار هو الذى يجبر الخلق بالسيف على الحق و يصرفهم عن الكفر جبرا وعن وهب بن منبه قال قرأت فى بعض الكتب القديمة قال الله تبارك وتعالى وعزتى وجلالى لانزلن على جبال العرب نورا يملأ ما بين المشرق والمغرب ولاخرجن من ولد اسمعيل نبيا

أكون أحب اليهم من نفسه وتكون عترتى أحب اليهم من نفسه وتكون أهلى أحب اليه من أهله وأخرج الديلمى انه صلى الله عليه وسلم قال أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وعلى قراءة القرآن وأخرج الحافظ السلفى عن محمد بن الحنفية انه قال فى تفسير قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا لا يبقى مؤمن الا وفى قلبه ود لعلى وأهل بيته وأخرج الديلمى انه صلى الله عليه وسلم قال من أراد التوسل الى وأن يكون له عندى يد أشفع له بها يوم القيامة فليصل أهل بيتى و يدخل السرور عليهم وأخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع الى أهل بيتى يدا كافأته عليها يوم القيامة وفى خبر آخر أربعة أنا شفيع لهم يوم القيامة المكرم لذريتى والقاضى لهم حوائجهم والساعى لهم فى أمورهم عندما اضطروا اليه والمحب لهم بقلبه وأخرج الطبرانى انه صلى الله عليه وسلم قال من صنع الى آل عبد المطلب يدا فلم يكافئه بها فى الدنيا فعلى مكافاته غدا وأخرج البزار والطبرانى عن الحسن بن على رضى الله عنهما حديثا طويلا ذكر فيه قوله وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عزوجل مودتهم فقال فيما نزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى وفى رواية وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على

عربيا أميا يؤمن به عدد نجوم السماء ونبات الارض كلهم يرضى بالله ربا وبه رسولا يكفرون بملل آبائهم
ويفرون منها قال موسى سبحانك وتقدست أسماؤك لقد كرمت هذا النبي وشرفته قال الله ياموسى اني
أنتقم من عدوه في الدنيا والآخرة وأظهر دعوته على كل دعوة وأذل من خالف شريعته بالعدل بينته
وللقسط أخرجته وعزتي لاستنقذن به أمما من النار فتحت الدنيا بابراهيم واختمها بمحمد صلى الله عليه وسلم
فمن أدركه ولم يؤمن به ولم يدخل في شريعته فهو من الله بريء نقله في المواهب عن ابن ظفر (ومن دلائل
نبوته) صلى الله عليه وسلم خبر ورقة بن نوفل بن أسد فانه عرف نبوته عن الرهبان وقد أخبرته خديجة بنت
خويلد رضي الله عنها بما رأته منه من أعلام النبوة وبما أخبرها به غلامها ميسرة من قول الراهب وانه رأى
ملكين يظلانه فقال ان كان هذا حقا فمحمد نبي هذه الامة وقد عرفت ان لها نبيا ينتظر وهذا زمانه ثم انه
كان يستبطئ الامر حتى قال

تبكر أم أنت العشية رائح * وفي الصدر من اضمارك الحزن فادح * لفرقة قوم لا أحب فراقهم
كأنك عنهم بعد يومين نازح * وأخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح
فذاك الذي يعتام بالخير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاصح * الى سوق بصرى والركاب التي غدت
وهن من الاحمال قعص ذوابح * يخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق أبواب لهن مفاتح
بان ابن عبد الله أحمد مرسل * الى كل من ضمت عليه الاباطح * وظني به أن سوف يبعث صادقا
كما بعث العبدان هود وصالح * وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء وميسور من الذكر واضح
ويتبعها حيا لؤي جماعة * شبابهم والاشيبون الجحاجح * فان أبق حتى يدرك الناس دهره
فاني به مستبشر الود فارح * والا فاني يا خديجة فاعلمي * عن أرضك في الارض العريضة سائح

وهذه شواهد صدق بايمانه مع ماذكره بعضهم من انه صحابي بل هو أول الصحابة بناء على انه اجتمع به بعد
الرسالة اذ صح انه أتاه بعد مجيء جبريل عليه السلام اليه واخباره عن ربه بانه رسول هذه الامة بعد انزال
اقرأ باسم ربك الذي خلق عليه وبعد قول ورقة له أبشر فانا أشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على ناموس
عيسى وانك نبي مرسل وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم رآه في الجنة وعليه ثياب خضر وفي مستدرك الحاكم
انه صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا ورقة فاني رأيته في الجنة وعليه جبة أو جبتان قال ملا علي القاري في
شرح الشفاء وأما مانقله الذهبي عن ابن منده انه قال الاظهر انه مات بعد النبوة وقبل الرسالة فيرده جدا ورده
مافي صحيح البخاري عنه صريحا وبالجملة فاخبار الاحبار والرهبان الواردة في ذكره صلى الله عليه وسلم
وشهاداتهم بانه النبي الموعود به لا تكاد تنحصر وانما امتنع من امتنع منهم من الدخول في الاسلام حسدا
وعنادا واختيار البقاء على الشقاء وقد قرع اسماعهم بانه مذكور في كتبهم وان صفته عندهم كذا
وصفة أصحابه كذا كقوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار الى قوله ذلك مثلهم في التوراة
ثم قال ومثلهم في الانجيل كزرع الآية فقد احتج عليهم صلى الله عليه وسلم بما انطوت عليه صحفهم وذمهم
بتحريف ذلك وكتمانه ولي ألسنتهم ببيان أمره وتبيان ذكره ودعاهم الى المباهلة فما منهم الا من فر عن
معارضته وعن ابداء ما ألزمهم باظهاره من كتبهم كآية الرجم وغيرها ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره
أهون عليهم من بذل النفوس وتخريب الديار ونبذ القتال *(ومن دلائل نبوته)* صلى الله
عليه وسلم ماسمع من أجواف الاصنام وماوجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا
في الحجارة والقبور بالخط القديم وأكثر ذلك مشهور وتقدم جملة من ذلك أول هذا الكتاب وكان ذلك سببا
لاسلام كثير ممن شاهدوه (ومن دلائل نبوته) صلى الله عليه وسلم ماظهر من خوارق العادات عند مولده وفي
أيام رضاعه عند حليمة رضي الله عنها وماحكته أمه آمنة في مدة حملها وعند ولادتها وماحكاه من حضر مولده
من العجائب كما تقدم ذلك كله مبسوطا في باب ذكر الخوارق التي ظهرت في رضاعه وقبله وبعده أيضا فارجع
اليه ان شئت *(ومن دلائل نبوته)* صلى الله عليه وسلم انه كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان

كل مسلم وأنزل الله فيهم قل
لا أسألكم عليه أجرا الا المودة
في القربى ومن يقترف حسنة
نزد له فيها حسنا واقتراف
الحسنة مودتنا أهل البيت
وأخرج الامام أحمد عن
ابن عباس رضي الله عنهما
في قوله تعالى ومن يقترف
حسنة نزد له فيها حسنا قال
الحسنة مودة آل محمد صلى
الله عليه وسلم وأخرج الامام
أحمد والطبراني والحاكم
عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه لما نزل قوله تعالى
قل لا أسألكم عليه أجرا
الا المودة في القربى قالوا
يا رسول الله من قرابتك
هؤلاء الذين وجبت علينا
مودتهم قال علي وفاطمة
وابناهما وأخرج الطبراني
ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله جعل ذرية كل نبي
في صلبه وان الله جعل ذريتي
في صلب علي بن ابي طالب
وأخرج أبو يعلى والطبراني
انه صلى الله عليه وسلم قال كل
بني آدم ينتمون الى عصبة الا
ولد فاطمة فانا وليهم وعصبتهم
وأخرج الامام أحمد والحاكم
عن المسور بن مخرمة رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فاطمة بضعة
مني يغضبني مايغضبها ويبسطني
مايبسطها وان الانساب
تنقطع يوم القيامة غير نسبي
وصهري وروى أبو الخير
القزويني عن أنس بن مالك
رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما زوج
عليا فاطمة رضي الله عنهما
دعا لهما فقال جمع الله شملكما
وأعز جدكما وبارك عليكما
وأخرج منكما كثيرا طيبا

نورا وكان لا يقع الذباب على جسده ولا ثيابه قال القاضي عياض قد أتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة وجمل من علامات نبوته مقنع في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير سوى ماذكرنا وبحسب هذا الباب لو تقصى أن يكون دواوين جامعا يشتمل على مجلدات عديدة ومعجزات نبينا أظهر من معجزات سائر الرسل بوجهين أحدهما كثرتها وثانيهما انه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو ماهو أبلغ منها أما كثرتها فهذا القرآن وكله معجز وأقصر سورة منه معجزة وكل آية منه كذلك وقال بعضهم كل جملة منه معجزة وفي القرآن نحو من سبعة وسبعين ألف كلمة ونيف واعجازه من طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء معجزتان فتضاعف العدد ثم فيه وجوه اعجاز آخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة الخبر عن أشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد وان نظرت الى بقية وجوه الاعجاز المتقدمة أوجب ذلك التضعيف الى مالا يكاد يحصى ولا يستقصى هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاخبار والاحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في أبواب خوارق العادات والاخبار بالمغيبات تبلغ نحو ذلك من التضعيف مع مافي معجزاته صلى الله عليه وسلم من الشهرة والوضوح وكانت معجزات الرسل على حسب حال أهل زمانهم فلما كان زمن موسى عليه السلام كان غاية علم أهله السحر فبعث الله اليهم موسى عليه السلام بمعجزة تشبه مايدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ماخرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وأبطل سحرهم وكان في زمن عيسى عليه السلام أوفر ما كانوا عليه الطب فجاءهم بأمر لا يقدرون عليه وأتاهم بمالم يحتسبوا من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص دون معالجة للطب وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانت بقدر علم أهل زمانهم ثم ان الله بعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وجلة معارف العرب وعلومها أربعة البلاغة المقرونة بالفصاحة والشعر والاخبار بانساب العرب وأيامها ووقائعها والكهانة وهي مزاولة الخبر عن الكائنات واظهارها وادعاء معرفة أسرارها فانزل الله القرآن الخارق لهذه الاربعة بسبب مافيه من الفصاحة والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن السبك الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في أساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الحوادث والاسرار والمخبآت التي كانت على وفق ما أخبر فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من أصلها برجم الشياطين بالشهب وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وأنباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية مايعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه ثم بقيت هذه المعجزة أعني القرآن بما فيه ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل أمة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه منضما الى ما أخبر به من الغيوب فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور ما أخبر به على وفق ما أخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس أشد طمأنينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عنده احقا وجميع معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بانتقالهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل والى هذا أشار صلى الله عليه وسلم بقوله فيما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن الانبياء نبي الا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله الى فارجو اني أكثرهم تابعا يوم القيامة وقوله مامن الانبياء نبي الا أعطي ما مثله آمن عليه البشر معناه ليس نبي منهم الا أعطاه الله من المعجزات شيأ ألجأ من شاهده الى الايمان به نفص كل نبي بما أثبت دعواه من خوارق العادة التي أعطاه ولاه في زمانه وبعد انقراضه اختفى شأنه ولم يبق سلطانه ولم يلمع برهانه كقلب العصا لموسى حية تسعى وانما كان الذي أوتيت وحيا معجزا في أعلى طبقات البلاغة وأقصى غايات الفصاحة كريم الفائدة عميم العائدة على السابقين واللاحقين من هذه الامة قرنا بعد قرن على مرور الازمنة فلذا رتب عليه قوله فارجو أي بسبب بقائه وظهور ضيائه اني أكثرهم تابعا وقيل المراد انه وحي وكلام لا يمكن فيه التخييل ولا التحيل فان غير معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم قد قصد

قال أنس فوالله لقد أخرج الله منهما الكثير الطيب وأخرج البزار وأبو يعلى والطبراني والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فاطمة أحصنت فرجها فحرمها الله وذريتها على النار واعلم ان شرط محبة أهل البيت النافعة محبة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعدم الطعن في أحد منهم وتقدم في أول الكتاب أحاديث كثيرة في فضل الصحابة والتحذير من التعرض لاحد منهم بشئ فيه تنقيص أحد منهم فمحبتهم ومحبة أهل البيت مقترنان لا ينتفع باحداهما دون الاخرى * فاحذر أيها المشفق على دينه ان تصغي الى شئ مما اختلقه الرافضة والخوارج في حق أحد من الصحابة أو أهل البيت من الافك والتنقيص فان أهل السنة هم العارفون بما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأولئك المارقون الطاعنون في أحد منهم وتقدم في أول الكتاب الاحاديث الدالة على أن أولئك الطاعنين هم شر الخليقة وكلاب أهل النار فنسأل الله أن يحفظنا مما وقعوا فيه وأن يحيينا ويميتنا على محبة الصحابة وأهل البيت وان يحشرنا في زمرتهم وأن لا يجعل لاحد منهم في عنقنا ظلامة نطالب بها يوم القيامة فان ذلك مما لا يغفر وتوفي سيدنا الحسن رضي الله عنه بالمدينة مسموما سنة خمسين من الهجرة ودفن

المعاندون ابطالها باشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وما أشبه ذلك مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للتخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر وخطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه ثم ان عجز العرب عن معارضته من أكبر آياته وهو من جنس مقدورهم ورضوا بالبلاء والعناء والجلاء عن أوطانهم والسبي والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد فذلك أبين آية واظهر علامة وأبهر دلالة للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته فعجزهم عما هو من جنس مقدورهم أبلغ من خرق العادة بالافعال البديعة في أنفسها كقلب العصا حية ونحوه فانه قد يسبق الى بال الناظر مبادرة قبل التامل ان ذلك من الاختصاص بمزيد المعرفة في ذلك الفن كما توهم فرعون حيث قال انه لكبيركم الذي علمكم السحر بخلاف ما لا يعرف انه معجز الا بالتامل والفكر فانه حينئذ يتحقق الفهم ويضمحل الوهم ويتبين للقلب الحي ان قلب العصا حية ونحوه مما لا يدخل تحت طوق البشر اذ هو فعل الفاعل القوي القادر والتحدي للخلائق المئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يفعلوا مع توفر الدواعي على المعارضة ابلغ واظهر من خرق العادة بغيره ولما دقت أنظار العرب وتوفرت عقولهم وكان لهم من الادراك ما ليس لغيرهم جاءتهم الآيات المحتاجة لدقة النظر وحسن المعرفة بوجوه الاعجاز وأما غيرهم من القبط قوم فرعون وبني اسرائيل قوم موسى عليه السلام وغيرهم ما عدا العرب فانهم لم يكونوا بهذه الطريقة بل كانوا على غاية من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم فاستخف قومه فاطاعوه وأضل فرعون قومه وما هدى وجوز عليهم السامري ربوبية العجل فعبدوه بعد ايمانهم وعبدت طائفة من بني اسرائيل المسيح عيسى عليه السلام فجاءتهم من الآيات الظاهرات البينة للابصار بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير والعرب مع جهلها بامور الشريعة والديانة أكثرها يعترف بوجوب الصانع وانما كانت تشرك معه غيره ومنهم من آمن بالله وحده قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كزيد ابن عمرو بن نفيل وقس بن ساعدة ومنهم من أدرك بعثته صلى الله عليه وسلم فلما جاءهم بكتاب الله فهموا حكمته لحدة فطنتهم وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا وكنسبوا احسانا وايقانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وعن همته وبركة متابعته وهجروا ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته فجميع هذه الاشياء لم توجد في غير القرآن من بقية المعجزات ولم تكن لغير نبينا صلى الله عليه وسلم ممن أوتي خوارق العادات وأما كونه لم يؤت أحد من الانبياء شيأ من المعجزات الا وعند نبينا مثلها أو أبلغ منها فقد تصدى العلماء لبيان ذلك فقالوا انه صلى الله عليه وسلم أعطي ما أعطيه جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام واختص باشياء لم يعطها أحد غيره فمن ذلك أنه أوتي جوامع الكلم وكان نبيا وآدم بين الروح والجسد وغيره من الانبياء لم يكن نبيا الا في حال نبوته أي بعد بعثته وزمان رسالته ولما اعطي صلى الله عليه وسلم هذه المنزلة علمنا أنه المدد لكل انسان كامل مبعوث فمنه أفاض الله على جميع من تقدمه من الانبياء والمرسلين أحوالا كثيرة زيادة على ما عندهم من الفضائل ورحم الله الابوصيري حيث يقول

وكل آي أتى الرسل الكرام بها * فانما اتصلت من نوره بهم

فانه شمس فضل هم كواكبها * يظهرن أنوارها للناس في الظلم

يعني أن كل معجزة أتى بها كل واحد من الرسل فانما اتصلت بكل واحد من نور محمد صلى الله عليه وسلم الذي أوجده الله قبل وجوده في هذا العالم وما أحسن قوله فانما اتصلت من نوره بهم فانه يعطي أن نوره صلى الله عليه وسلم لم يزل قائما به ولم ينقص منه شئ ولو قال فانما هي من نوره لتوهم أنه وزع عليهم وقد لا يبقى منه شئ وانما كانت آيات كل واحد من نوره صلى الله عليه وسلم لانه شمس فضل هم كواكب تلك الشمس يظهرن أي تلك الكواكب أنوار تلك الشمس للناس في الظلم فالكواكب ليست مضيئة بالذات وانما هي مستمدة

بالبقيع في قبة أهل البيت المعروفة سمته زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس باغراء يزيد بن معاوية وأما أخوه سيدنا الحسين رضي الله عنه فاستشهد بكربلا سنة احدى وستين من الهجرة وقصة استشهاده مشهورة لا حاجة لنا الى الاطالة بذكرها ولنذكر شيأ مما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل عائشة وطلحة والزبير واصحاب الجمل وصفين لئلا يتعرضهم أحد بشئ من التنقيص لان خروجهم لطلب الاخذ بدم عثمان رضي الله عنه كان باجتهاد منهم فهم ماجورون في اجتهادهم وان اخطؤا فيه فمما جاء في فضل عائشة رضي الله عنها ما رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وروي ان جبريل جاء بصورتها قبل أن يتزوجها صلى الله عليه وسلم في خرقة حرير خضراء الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال هذه زوجتك في الدنيا والآخرة وتقدم قول علي رضي الله عنه انها زوجة نبيكم في الدنيا والآخرة وروى البخاري ان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة فكلم زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة ان تكلم النبي صلى الله عليه وسلم أن يامر الناس أن يهدوا اليه حيثما كان أو حيثما دار قالت أم سلمة فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاعرض

من الشمس فهى عند غيبة الشمس تظهر نور الشمس فكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبل وجوده عليه الصلاة والسلام كانوا يظهرون فضله بالصفات التى اشتملوا عليها وأوصلوها الى أممهم فانما وصلت اليهم من نوره صلى الله عليه وسلم والحاصل أن جميع ما ظهر على أيدى الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين قبله صلى الله عليه وسلم من الانوار فانما هو من نوره الفائض الكثير الذى عم المشارق والمغارب ومدده الواسع من غير أن ينقص منه شئ فيكون ذلك كنور السراج اذا أوقد من نحو شمعة فنورها لم ينقص منه شئ ونور السراج نشأ من نورها مع بقاء نورها بحاله وأول ما ظهر ذلك فى آدم عليه السلام حيث جعله الله تعالى خليفة وأمده بالاسماء من مقام جوامع الكلم التى لمحمد صلى الله عليه وسلم فظهر بعلم الاسماء كلها على الملائكة القائلين أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ثم توالت الخلفاء فى الارض أى تتابعت الرسل بعد آدم عليه السلام الى عيسى عليه السلام فلما أراد الله ابراز صورة جسم نبينا صلى الله عليه وسلم لاظهار منزلته وشرفه عند الله ظهر اندراج كل نور فى نوره وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الانبياء ودخلت الرسالات كلها فى صلب نبوته والنبوات كلها تحت لواء رسالته فلم يعط أحد منهم كرامة أو فضيلة الا وقد أعطى صلى الله عليه وسلم مثلها فجمع فيه ما فرق فيهم فآدم عليه السلام أعطى ان الله خلقه بيده فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم شرح صدره فقد تولى الله شرح صدره وخلق فيه الايمان والحكمة وهو الخلق النبوى قال تعالى ألم نشرح لك صدرك فتولى من آدم عليه السلام الخلق الوجودى ومن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الخلق النبوى مع أن المقصود من خلق آدم خلق نبينا فى صلبه فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المقصود وآدم الوسيلة والمقصود سابق على الوسيلة وأما سجود الملائكة لآدم فقال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره ان الملائكة أمروا بالسجود لآدم لاجل أن نور نبينا صلى الله عليه وسلم كان فى جبهته ظاهرا ولله در القائل

تجليت جل الله فى وجه آدم * فصلى له الاملاك حين توسل

وفى المواهب عن الامام سهل بن محمد قال هذا التشريف الذى شرف الله به سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية أتم وأجمع من تشريف آدم عليه الصلاة والسلام بأمر الملائكة له بالسجود لانه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة فى ذلك التشريف لاستحالته فى حقه سبحانه اذ السجود من صفات الاجسام فالتشريف الذى يصدر عنه تعالى وعن الملائكة والمؤمنين أبلغ من تشريف تختص به الملائكة وهو السجود وأما تعليم آدم الاسماء فقد روى الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى رافع والحاكم من حديث أم حبيبة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلت لى أمتى فى الماء والطين وعلمت الاسماء كلها كما علم آدم الاسماء كلها بل هو صلى الله عليه وسلم علم الاسماء والمسميات وحقائقها وخواصها وأسرارها ومنافعها ومضرتها فذات العلوم وحقائقها له صلى الله عليه وسلم والذى لآدم من ذلك بالنسبة له صلى الله عليه وسلم الاسماء فقط ولله در الابوصيرى حيث يقول

لك ذات العلوم من عالم الغيب * ومنها لآدم الاسماء

ولا ريب أن المسميات أعلى من الاسماء لان الاسماء يؤتى بها لتبيين المسميات فهى المقصودة بالذات والبه الاسماء بقوله لك ذات العلوم والاسماء مقصودة لغيرها وهو المسميات فهى دونها فافضل العالم بحسب فضل معلومه فنبينا صلى الله عليه وسلم أفضل من آدم عليه السلام وأما ادريس عليه الصلاة والسلام فرفعه الله مكانا عليا وأعطى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم المعراج ورفع الى مكان لم يرفع اليه غيره لا رسول ولا ملك وأما نوح عليه الصلاة والسلام فنجاه الله ومن آمن معه من الغرق وأعطى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أنه لم تهلك أمته بعذاب من السماء قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وأما ابراهيم عليه الصلاة والسلام فكانت عليه نار نمرود بردا وسلاما فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نظير ذلك وهو اطفاء نار الحرب عنه عليه الصلاة والسلام أى ابطال مكايد الكفار التى كانوا يديرونها الحربه وناهيك بنار حطبها السيوف وحرها الحتوف وموقدها الجسد ومطلبها الروح والجسد قال تعالى كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله فكم أردوا

عنى فلما عادالى ذكرت له ذلك فاعرض عنى فلما كان فى الثالثة ذكرت له ذلك فقال يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة فانه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها ثم أرسل الزوجات فاطمة رضى الله عنها للنبى صلى الله عليه وسلم تكلمه فيما كلمته أم سلمة فقال لفاطمة ألست تحبين ما أحب قالت بلى قال فاحبى هذه يعنى عائشة رضى الله عنها وروى البخارى أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها يوما يا عائش هذا جبريل يقرئك السلام فقالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى تريد بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى البخارى أيضا ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى الناس أحب اليك قال عائشة قيل له فمن الرجال قال أبوها قال القسطلانى فى شرح البخارى وقد حفظت عن النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا حتى قيل ان ربع الاحكام الشرعية منقول عنها قال عطاء بن أبى رباح كانت عائشة رضى الله عنها أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأيا فى العامة وقال عروة بن الزبير ما رأيت احدا أعلم بفقه ولا بطب ولا بشعر من عائشة رضى الله عنها وقال الزهرى لو جمع علم عائشة رضى الله عنها الى علم جميع أزواج النبى صلى الله عليه وسلم وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل * ومن خصائصها انها كانت أحب أزواج النبى صلى الله عليه وسلم

أن يطفؤا النور بالنار وأبى الجبار الا أن يتم نوره وأن يخمد شرر رهم ويحفظ محمدا صلى الله عليه وسلم سره ورهطه وفي المواهب انه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج مر على بحر النار الذي دون سماء الدنيا مع سلامته منه وروى النسائي أن محمد بن حاطب رضي الله عنه قال كنت طفلا فانصبت القدر على واحترق جلدي كله فحملني أبي وفي رواية أمي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتفل عليه الصلاة والسلام في جلدي ومسح بيده على المحترق وقال أذهب الباس رب الناس فصرت صحيحا لا باس بي ورواه الامام أحمد أيضا والبخاري في تاريخه وقد خمدت نار فارس لنبينا صلى الله عليه وسلم وكان لها ألف عام لم تخمد وروى ابن سعد عن عمرو بن ميمون قال أحرق المشركون عمار بن ياسر رضي الله عنهما بالنار فكان صلى الله عليه وسلم يمر به ويمر يده على رأسه فيقول يا نار كوني بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم وروى أبو نعيم عن عباد بن عبد الصمد قال أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فقال يا جارية هلمي المائدة نتغدى فأتت بها ثم قال هلمي المنديل فأتت بمنديل وسخ فقال أسجري التنور فأوقدته فأمر بالمنديل فطرح فيه فخرج أبيض كأنه اللبن فقلنا ما هذا قال هذا منديل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح به وجهه فاذا اتسخ صنعنا به هكذا لان النار لا تأكل شيأ مر على وجوه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد ألقي غير واحد من أمته صلى الله عليه وسلم في النار فلم تؤثر فيه روى ابن وهب عن ابن لهيعة أن الاسود العنسي لما ادعى النبوة وغلب على صنعاء أخذ ذؤيب بن كليب فألقاه في النار لتصديقه بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم تضره النار فذكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه بالمدينة فقال عمر رضي الله عنه الحمد لله الذي جعل في امتنا مثل ابراهيم الخليل وروى ابن عساكر أن الاسود بن قيس العنسي بعث الى أبي مسلم الخولاني فأتاه فقال أتشهد اني رسول الله قال ما أسمع قال أتشهد ان محمدا رسول الله قال نعم فأتى بنار عظيمة فألقاه فيها فلم تضره فقيل للاسود ان لم تنف هذا عنك أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فقدم المدينة وقد قبض النبي صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه فقال أبو بكر الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد صلى الله عليه وسلم من صنع به كما صنع بابراهيم عليه الصلاة والسلام وأما ما أعطيه ابراهيم عليه السلام من مقام الخلة فقد أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم وزاد بمقام المحبة ومما أعطيه ابراهيم عليه الصلاة والسلام انفراده في الارض بعبادة الله وتوحيده والانتصاب للاصنام بالكسر والقسر وقد أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كسرها بحضر من أولي نصرها عام الفتح وهم اذلاء لا يستطيعون نصرها وكان كسرها بقضيب ليس مما يكسر الا بقوة ربانية ومادة الهية اجتزأ فيها بالانفاس عن الفاس وما عول على المعول ولا عرض في القول بل قال جهرا غير سر جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقد دخل صلى الله عليه وسلم مكة عام الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت رواه الشيخان وتقدم بسط ذلك ومما أعطيه الخليل عليه السلام بناء البيت الحرام الذي بوأه الله له ولا خفاء ان البيت جسد وروحه الحجر الاسود بل هو سويداء القلب بل جاء انه يمين الرب وذلك على التمثيل ولله المثل الاعلى روى الديلمي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم الحجر يمين الله فمن مسحه فقد بايع الله ومسحه كناية عن استلامه كما استلم الايمان بفتح الهمزة جمع يمين وهو العضو المخصوص عند عقد العهود والمعنى انه يستلم باليد كما يستلم من أراد عهدا أو يمينا يمين صاحبه عند المعاهدة والحلف كما كانت عادتهم وقد أعطى الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم أن وضعه بيده كما تقدم قبيل باب ما جاء في شأنه عن أحبار اليهود وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من قلب العصا حية غير ناطقة فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حنين الجذع وقد مرت قصته مفصلة وكذا مشي الاشجار بين يديه وتكليمها له فان ذلك أعجب من العصا ولما أراد أبو جهل أن يرميه عليه الصلاة والسلام بالحجر رأى عند كتفيه صلى الله عليه وسلم ثعبانين فانصرف مرعوبا كما انصرف فرعون مرعوبا عند القاء العصا وأما ما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام من اليد البيضاء النورانية من غير سوء أي برص فقد أعطي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه لم يزل نورا ينتقل في أصلاب الآباء وبطون الامهات من لدن آدم الى ان انتقل الى

عبد

النبوة لرجل من عائشة عند عمار بن ياسر رضي الله عنهم فقال أعزب مقبوحا أتؤذي حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما مرض صلى الله عليه وسلم مرضه الذي توفي فيه جعل يدور في نسائه ويقول أين أنا غدا أين أنا غدا حرصا على أن يكون في بيت عائشة رضي الله عنها فلما كان يومها سكنت قالت وتوفاه الله بين سحري ونحري ولو لم يكن لعائشة رضي الله عنها الا قصة الافك لكفى فان الله عز وجل أنزل براءتها في وحي يتلى في محاريب المسلمين الى يوم الدين وقال فيه والطيبات للطيبين أولئك مبرؤن مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم وقد أفردت مناقبها بالتاليف وفي هذا القدر كفاية توفيت رضي الله عنها بالمدينة ودفنت بالبقيع سنة سبع وخمسين وقيل ثمان وخمسين من الهجرة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان وقد قارب عمرها سبعين سنة وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه وأما طلحة بن عبيد الله بن عثمان ابن عمرو بن كعب بن سعد ابن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فيلتقي نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب ومع أبي بكر في عمرو ابن كعب فان أبا بكر رضي الله عنه هو عبد الله بن عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة * وطلحة

عبد الله أبيه ثم منه الى أمه آمنة وكان بينا ظاهرا فى جباههم وتقدم تفصيل ذلك وأعطى النبى صلى الله عليه وسلم قتادة بن النعمان وقد صلى العشاء فى ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فأضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد وضربه حتى خرج رواه أبو نعيم والامام أحمد والطبرانى وأخرج البيهقى وصححه الحاكم عن أنس رضى الله عنه قال كان عباد بن بشر وأسيد بن حضير رضى الله عنهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة فتحدثا عنده حتى ذهب من الليل ساعة فى ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل واحد منهما عصا فأضاءت لهما عصا أحدهما فمشيا فى ضوئها اكراما لهما ببركته صلى الله عليه وسلم حتى اذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما فى ضوء عصاه حتى بلغ مقصده رواه البخارى وغيره وأخرج البخارى فى تاريخه والبيهقى وأبو نعيم عن حمزة بن عمرو الاسلمى رضى الله عنه قال كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سفر فتفرقنا فى ليلة ظلماء فأضاءت أصابعى حتى جمعوا عليها ظهرهم أى ركابهم وما سقط من متاعهم وان أصابعى لتنير أى تضىء ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام أيضا انفلاق البحر فأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر فهو نظير انفلاق البحر بل أعظم فموسى تصرف فى عالم الارض بضربه البحر بعصاه فانفلق وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تصرف فى عالم السماء لما سأل الله انشقاق القمر حين طلبوه منه والفرق بينهما واضح فاذا عرضت الآيتين على العقول حق العرض سمت آية السماء على آية الارض وذكر ابن حبيب ان بين السماء والارض بحرا يسمى المكفوف تكون بحار الارض بالنسبة اليه كالقطرة فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء حتى جاوزه وهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه السلام لان بحار الارض قد يقع فيها زوال الماء فى مواضع منها بحيث يمكن المشى فى الارض التى بينها والبحر الذى بين السماء والارض لا مقر له من الارض حتى يسلك فيه بل هو على صفة الله أعلم بها ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام اجابة دعائه فى قوله رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى الآية قال تعالى قد أوتيت سؤلك يا موسى وقال ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم قال الله تعالى قد أجيبت دعوتكما وأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك أعنى اجابة الدعاء ما لا يحصر كما تقدم كثير من ذلك ومما أعطيه موسى عليه الصلاة والسلام تفجير الماء له من الحجارة كما قال تعالى واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان الماء تفجر من بين أصابعه وهذا أبلغ فى المعجزة لان الحجر من جنس الارض التى ينبع الماء منها بل قال تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء ولم تجر العادة بنبع الماء من اللحم بل لم يقع لغير المصطفى صلى الله عليه وسلم ورحم الله القائل

وكل معجزة للرسل قد سلفت * وافى بأعجب منها عند اظهار
فما العصا حية تسعى بأعجب من * شكوى البعير ولا من مشى أشجار
ولا انفجار عيون الماء من حجر * أشد من سلسل من كفه جار

ومما أعطيه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام الكلام فأعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثله ليلة الاسراء وزيادة الدنو والتدلى والقرب المعنوى مع الرؤية التى منعها موسى عليه السلام وأما ما أعطيه هرون عليه الصلاة والسلام من فصاحة اللسان فقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل وتقدم تفصيل ذلك وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام من شطر الحسن فقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم الحسن كله ومن تأمل ما تقدم فى نعوته وشمائله صلى الله عليه وسلم تبين له التفضيل لنبينا صلى الله عليه وسلم على كل مشهور بالحسن فى كل جيل وأما ما أعطيه يوسف عليه الصلاة والسلام أيضا من تعبير الرؤيا فالذى نقل عنه من ذلك نزر يسير بالنسبة لما أعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك لانه أعطى من ذلك ما لا يدخله الحصر ومن تصفح الاخبار وتتبع الآثار وجد من ذلك العجب العجاب

ابن عبيد الله رضى الله عنه من السابقين للاسلام ومن العشرة المشهود لهم بالجنة ومن الستة أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر رضى الله عنه وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأخرج الامام أحمد والترمذى عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما عن أبيه قال كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعان فذهب ينهض الى صخرة فلم يستطع فبرك طلحة بن عبيد الله تحته وصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره حتى صعد على الصخرة قال الزبير فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أوجب طلحة يعنى أوجب الجنة لنفسه بفعله هذا وصح انه يوم أحد قاتل بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم وثبت معه يقيه بنفسه حتى أصيب ببضع وثلاثين بين طعنة وضربة ورمية وأخرج البخارى فى صحيحه عن قيس بن أبى حازم قال رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد فشلت يومئذ وأخرج الملا فى سيرته عن أبى هريرة رضى الله عنه ان طلحة لما جرح يوم أحد مسح رسول الله صلى الله عليه وسلم جسده وقال اللهم اشفه وعافه فقام صحيحا ورجع الى مبارزة العدو وأخرج الحافظ أبو القاسم الدمشقى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة وقد سقط رحله من يسوى رحلى وله الجنة فبدر طلحة ابن عبيد الله رضى الله عنه

وأماما أعطيه داود عليه السلام من تليين الحديد فكان في يده كالعجين والشمع يزرقه كيف شاء من غير احماء ولا طرق بآلة ولا قوة فأعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ان العود اليابس اخضر في يده وأورق ومسح صلى الله عليه وسلم شاة أم معبد الجرباء الهزيلة فدرت وقد تقدمت قصتها وأماما أعطيه سليمان عليه الصلاة والسلام من كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والملك فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وزيادة أما كلام الطير والوحش فنبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الحجر وسبح في كفه الحصى حتى سمعه الحاضرون وتكليم الجماد أغرب من تكليم الحيوان وكلمه ذراع الشاة المسمومة كما تقدم تفصيل ذلك وذلك أقوى في الاعجاز وأبلغ من احياء الانسان لانه جزء حيوان دون بقيته فهو معجزة لو كان متصلا بالبدن فكيف وقد أحياه الله وحده منفصلا عن بقيته مع موت البقية فصار الجزء حيا قادرا على النطق ولم يكن حيوانه يتكلم فهو أبلغ من احياء الموتى لعيسى عليه السلام واحياء الطيور لابراهيم عليه السلام وكذلك كلمه الظبي والضب وشكا اليه البعير وتقدم كل ذلك مفصلا وروى ان طيرا فجع بولده فجعل يرفرف على رأسه صلى الله عليه وسلم ويكلمه فقال أيكم فجع هذا بولده فقال رجل أنا فقال اردده رواه أبو داود والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه وقصة كلام الذئب مشهورة وقد تقدمت وأما الريح التي سخرها الله لسليمان عليه السلام فكان غدوها شهرا ورواحها شهرا وكانت تحمله أينما أراد من أقطار الارض فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم البراق الذي هو أسرع من الريح بل أسرع من البرق الخاطف فحمله من الفرش الى العرش في ساعة زمانية وأقل مسافة ذلك سبعة آلاف سنة وتلك مسافة السموات وأما الى المستوى والرفرف فذلك مالا يعلمه الا الله وهذا كله بناء على ان العروج الى السموات كان على البراق والذي اختاره السيوطي ان العروج كان على المعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم والاسراء على البراق انما كان لبيت المقدس وأيضا فالريح سخرت لسليمان عليه السلام لتحمله لنواحي الارض ونبينا صلى الله عليه وسلم زويت له الارض حتى رأى مشارقها ومغاربها وفرق بين من يسعى الى الارض ومن تسعى اليه الارض وأماما أعطيه من تسخير الشياطين فقد روى ان ابا الشياطين ابليس اعترض سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فامكنه الله منه وربطه بسارية من سوارى المسجد وهذا أمكن ومما زاد به صلى الله عليه وسلم على سليمان اعيان الجن به صلى الله عليه وسلم فسليمان عليه السلام استخدمهم ولم يؤمنوا به والنبي صلى الله عليه وسلم استسلمهم ولا شئ أعلى من الاسلام وأماعد الجن والطير من جنود سليمان عليه السلام في قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فخير منه عد الملائكة جبريل ومن معه في جملة اجناده باعتبار الجهاد في بدر العظمى وباعتبار تكثير السواد في غيره لارهاب العدو على طريقة الاجناد وتعشيش حمامة الغار وتوكيرها في الساعة الواحدة وحمايتها له من عدوه اذ الغرض من استكثار الجند انما هو الحماية من الاعداء وقد حصلت حمايته صلى الله عليه وسلم منهم بذلك التعشيش وأماما أعطيه سليمان عليه السلام من الملك فنبينا صلى الله عليه وسلم خير بلا طلب بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار صلى الله عليه وسلم أن يكون نبيا عبدا ولله در القائل

* يا خير عبد على كل الملوك ولي * أي جعلت له الولاية عليهم وكفى بذلك شرفا وأماما أعطيه عيسى عليه الصلاة والسلام من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى باذن الله فقد أعطى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه رد العين اقتادة رضي الله عنه الى مكانها بعد ما سقطت فعادت أحسن ما كانت وروى ان امرأة معاذ بن عفراء رضي الله عنه كانت برصاء فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عليها بعصا فاذهب الله عنها البرص ولم يمسها بيده لانها أجنبية وتقدم تسبيح الحصى في كفه وتسليم الحجر عليه وحنين الجذع لفراقه وذلك أبلغ من تكليم الموتى لان هذا من جنس مالا يتكلم فحلول الحياة والادراك والعقل في الحجر الذي كان يخاطبه صلى الله عليه وسلم أبلغ من حياة الحيوان لانه كان محلا للحياة في وقت بخلاف الحجر لا حياة فيه قبل ذلك بالكلية قال أبو نعيم ونظير خلق الطين طيرا جعل العسيب سيفا كما تقدم وفي دلائل النبوة للبيهقي قصة الرجل الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أرني قبرها

فأراه

فتبواه منه كعب فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا طلحة هذا جبريل يقرئك السلام ويقول أنا معك في اهوال يوم القيامة حتى أنجيك منها وأخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه قال سمعت اذني من في رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول طلحة والزبير جاراي في الجنة وأخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وأخرج الترمذي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من أحد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قرأ هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا فقام اليه رجل فقال من هؤلاء يا رسول الله فاقبل طلحة بن عبيد الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيها السائل هذا منهم وأخرج الملا في سيرته عن أنس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لطلحة بن عبيد الله ابشر يا أبا محمد ان الله قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقد ثبت اسمك في ديوان المقربين وأخرج عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلحة بن عبيد الله أنت في حفظ الله ونظري الى أن تلحق بي وأخرج أيضا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

فاراه اياه فاتاه فقال يافلانة فقالت لبيك وسعديك وتقدمت القصة بتمامها والحاصل أن النبي صلى الله عليه وسلم شارك عيسى في ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وزاد بتكليم الجماد له واحياء الجزء من الميت بعد انفصاله كما في كلام ذراع الشاة المسمومة ولم يعهد مثله لغيره صلى الله عليه وسلم وأما نزول المائدة فكانت محنة لبني اسرائيل لا نعمة ولذلك لعنوا بسببها لما كفروا بها أو على تقدير الكرامة فهي اجابة دعوة لعيسى عليه السلام فنظير ذلك لنبينا صلى الله عليه وسلم اجابته حين خفت أزواد القوم فجمعها فكانت كربضة العنز الاخفاء انه طعام أقل من العشرة فدعا بالبركة فملأ الناس أوعيتهم والطعام بحاله وهم زهاء ألف ونيف فهذه مائدة نزلت من السماء وطعام مبارك قال الله له كن فكان بدون تهديد ولا وعيد ولا تشديد ولا محنة ولا فتنة ولا سد باب التوبة بتقدير كفران النعمة بل كانت نعمة محضة وروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رجل أهله فرأى ما بهم من الحاجة فخرج الى البرية يلتمس شيأ فقالت امرأته اللهم ارزقنا ما نعجن ونخبز فاذا الجفنة ملأى خبزا والرحى تطحن والتنور مملوء شواء فجاء زوجها وسمع الرحى فقامت اليه لتفتح له الباب فقال ماذا كنت تطحنين فاخبرته وان رحاهما لتدور وتصب دقيقا فلم يبق في البيت وعاء الا ملئ فرفع الرحى وكنس ما حولها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما فعلت بالرحى قال رفعتها ونفضتها فقال صلى الله عليه وسلم لو تركتموها ما زالت كما هي لكم حياتكم وفي رواية لو تركتموها لدارت الى يوم القيامة وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من انه كان يعرف ما تخفيه الناس في بيوتهم كما قال تعالى وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم أي بالمغيبات من أحوالكم التي لا تشكون فيها فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد فقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك ما لا يحصى وتقدم جملة من أخباره بالمغيبات وأما ما أعطيه عيسى عليه السلام من رفعه الى السماء وهو حي فقد أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم ذلك ليلة المعراج وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجاة وزيادة المحبة ورفعة المنزلة في الحضرة المقدسة بالمشاهدات فهذا تفصيل بعض ما أوتيه في نظير ما أوتيه الانبياء وبالجملة فقد خص الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من خصائص التكريم بما لم يعطه أحدا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتفصيل ذلك متعسر أو متعذر وروى الامام أحمد والبخاري وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل أحمر وأسود وأحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل حيث كان زاد في رواية وكان من قبلي انما يصلون في كنائسهم وفي رواية ولم يكن من الانبياء أحد يصلي حتى يبلغ محرابه ونصرت بالرعب مسيرة شهر زاد في رواية يقذف في قلوب أعدائي الرعب من مسيرة شهر وهذه الخصوصية حاصلة له مطلقا حتى لو كان وحده بلا عسكر وأعطيت الشفاعة أي العظمى في اراحة الناس من هول الموقف وفي رواية وأعطيت الشفاعة فاخترتها لامتي فهي لمن لا يشرك بالله شيأ وفي رواية فهي لكم ولمن يشهد أن لا اله الا الله فعلى هذا المراد بالشفاعة الشفاعة الخاصة وليس المراد حصر خصائصه في هذه الخمس المذكورة لان العدد لا مفهوم له فلا ينافي ما ورد من خصائصه صلى الله عليه وسلم بل جاء في بعض روايات الحديث المتقدم زيادة على الخمس فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا فضلت على الانبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وأرسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون وفي رواية وأعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وفي رواية وأعطيت مفاتيح الارض وجعلت أمتي خير الامم وغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأعطيت الكوثر وفي رواية وان صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه والحاصل ان خصائصه صلى الله عليه وسلم كثيرة فكان كلما أعلمه الله بشئ منها أعلم أمته به وقد أفردت خصائصه صلى الله عليه وسلم بالتآليف وفيما ذكر كفاية والله سبحانه وتعالى أعلم

(باب في وجوب طاعته ومحبته واتباع طريقته وسنته)

الله عليه وسلم لطلحة أنت سلفي في الآخرة وأخرج الحافظ الدمشقي عن زيد بن أبي أوفى رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لطلحة والزبير أنتما حواري كحواري عيسى بن مريم عليه السلام والحواري الناصر والحواريون الانصار والحواري الخالص من كل شئ وأخرج ابن عبد البر عن علي رضي الله عنه انه قال والله اني لارجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وكان طلحة رضي الله عنه مشهورا بالجود تصدق يوما بمائة ألف وعن الحسن البصري قال باع طلحة رضي الله عنه أرضا له بسبعمائة ألف فبات أرقا مخافة بقاء ذلك المال حتى أصبح ففرقه وفي رواية انه لما جيء له بالمال قال ان رجلا يبيت عنده هذا في بيته ما يدري ما يطرقه من أمر الله فبات ورسله تختلف في سكك المدينة حتى أسحر وما عنده منها درهم أخرجه صاحب الصفوة وعن جابر رضي الله عنه قال صحبت طلحة ابن عبيد الله فما رأيت رجلا أعطى لجزيل مال من غير مسئلة منه وأخرج الفضائلي عن طلحة بن مصرف ان علي ابن أبي طالب رضي الله عنه انتهى الى طلحة يوم الجمل وقد قتل فنزل عن دابته وأجلسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه ولحيته وهو يترحم عليه ويقول ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة ولما توفي طلحة رضي الله عنه كان عمره

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وقال تعالى وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا يعني من أطاع الرسول لكونه رسولا مبلغا الى الخلق أحكام الله فهو في الحقيقة ما أطاع الا الله وذلك في الحقيقة لا يكون الا بتوفيق الله ومن أعماه الله عن الرشد وأضله عن الطريق فان أحدا لا يقدر على ارشاده وهذه الآية من أقوى الادلة على ان الرسول معصوم في جميع الاوامر والنواهي وفي كل ما يبلغه عن الله تعالى لانه لو أخطأ في شيء منها لم تكن طاعته طاعة الله تعالى وقال تعالى ومن يطع الرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الآية وهذا عام في المطيعين لله من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم وعام في المعية في هذه الدار وان فاتت فيها معية الابدان وقد ذكروا في سبب نزول هذه الآية ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فأتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله مابي وجع غير اني اذا لم أرك اشتقتك واستوحشت وحشة عظيمة حتى ألقاك فذكرت الآخرة حيث لا أراك هناك لاني ان دخلت الجنة فانت تكون في درجات النبيين فلا أراك فنزلت هذه الآية وروى أيضا عن عكرمة مرسلا قال أتى فتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ان لنا منك نظرة في الدنيا ويوم القيامة لا نراك فانك في الجنة في الدرجات العلى فانزل الله هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت معي في الجنة والعبرة في الآية بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ففي الآية الحث على الطاعة والترغيب فيها وهي عامة لجميع المكلفين وهو ان كل من أطاع الله وأطاع الرسول فقد فاز بالدرجات العالية والمراتب الشريفة عنده تعالى وليس المراد الطاعة في شيء واحد أو شيئين والا لدخل الفساق والكفار بل المراد الطاعة بفعل المامورات وترك المنهيات حسب الاستطاعة وليس المراد ان الكل في درجة واحدة لانه لا يجوز أن يسوى بين المفضول والفاضل بل المراد كونهم في الجنة مع التمكن من الرؤية والمشاهدة وان بعد المكان لان الحجاب اذا زال شاهد بعضهم بعضا واذا أرادوا الرؤية والتلاقي قدروا على ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب والمعية والمحبة الحقيقية انما هي بالروح لا بمجرد البدن فهي بالقلب لا بالقالب ولهذا كان النجاشي معه صلى الله عليه وسلم ومن أقرب الناس اليه وهو بين النصارى بارض الحبشة وعبد الله بن أبي من أبعد الخلق عنه وهو معه في المدينة وذلك ان العبد اذا أراد بقلبه أمرا من طاعة أو معصية أو شخص من الاشخاص فهو بارادته ومحبته معه لا يفارقه فالارواح تكون مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وبينها وبينهم من المسافة الزمانية والمكانية بعد عظيم قال بعض السلف ادعى قوم محبة الله فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فجعل سبحانه وتعالى اتباع الرسول عليه الصلاة والسلام مشروطا بمحبتهم لله وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط ممتنع بدون تحقق شرطه فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة فانتفاء محبتهم لله لازم لانتفاء محبة الله لهم الكائن بترك المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكفي في العبودية وجود أصل المحبة حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ومتى كان عنده شيء أحب اليه منهما فهذا هو الشرك الذي لا يغفر لصاحبه البتة ولا يهديه الله قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين فكل من قدم طاعة أحد من هؤلاء على طاعة الله ورسوله أو قول أحد منهم على قول الله ورسوله ومرضاة أحد منهم على مرضاة الله ورسوله أو خوف أحد منهم ورجاءه والتوكل عليه على خوف الله ورجائه والتوكل عليه أو معاملة أحد منهم على معاملة الله ورسوله فهو ممن ليس الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وان قاله بلسانه فهو كذب منه واخبار بما ليس هو عليه وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته

والله تعالى أعلم * وأما الزبير ابن العوام بن خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصي يلتقي نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في قصي وهو من السابقين للاسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة ومن الستة أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر رضي الله عنه وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأمه عمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي صفية بنت عبد المطلب ابن هاشم وعمته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها روى ابن عبد البر عن سعيد بن المسيب ان الزبير بن العوام أول من سل سيفا في سبيل الله فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ان جبريل يقول ان الله يقرئك السلام ويبشرك ان الله أعطاه مثل ثواب كل من سل سيفا في سبيل الله الى أن تقوم الساعة من غير أن ينقص من أجورهم شيأ وأخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير وأخرج مسلم في صحيحه قال ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري وحواري الزبير وأخرجه الترمذي عن علي رضي الله عنه وأخرج الامام أحمد عن النبي صلى الله عليه وسلم الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي وأخرج ابو الفرج

واتبعوه لعلكم تهتدون فجعل رجاء الاهتداء أثر الامرين الايمان بالرسول واتباعه تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو في الضلالة وكل ما أتى به الرسول عليه الصلاة والسلام يجب علينا اتباعه فيه الا ما خصه الدليل ثم ان محبته صلى الله عليه وسلم هي المنزلة التي يتنافس فيها المتنافسون واليها يشخص العاملون والى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهي قوت القلوب وغذاء الارواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الاموات والنور الذي من فقده ففي بحار الظلمات والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام وهي روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل أثقال السائرين الى بلد لم يكونوا بالغيه الا بشق الانفس وتوصلهم الى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها وتبوؤهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولاها داخليها وهي مطايا القوم مسراهم في ظهورها دائما الى الحبيب وطريقهم الاقوم الذي يبلغهم الى منازلهم الاولى من قريب تالله لقد ذهب أهلها بشرف الدنيا والآخرة اذ لهم من معية محبوبهم أوفر نصيب وقد قدر الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ان المرء مع من أحب فيالها من نعمة على المحبين سابغة فقد سبق القوم السعادة وهم على الفرش نائمون ولقد تقدموا الركب بمراحل وهم في سيرهم واقفون

من لي بمثل سيرك المذلل * تمشي رويدا وتجي في الاول

أجابوا مؤذن الشوق اذ نادى بهم حي على الفلاح وبذلوا أنفسهم في طلب الوصول الى محبوبهم وكان بذلهم بالرضا والسماح وواصلوا اليه السير بالادلاج والغدو والرواح ولقد حمدوا عند الوصول سراهم وانما يحمد القوم السرى عند الصباح وقد وضعوا للمحبة رسوما باعتبار أسبابها وعلاماتها وثمراتها فمنها قول بعضهم المحبة موافقة الحبيب في المشهد والمغيب وقال آخر هي محو المحب لصفاته واثبات المحبوب لذاته وقال آخر هي استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك وقال آخر هي استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك وقال آخر هي معانقة الطاعة ومباينة المخالفة وقال آخر أن تهب كلك لمن أحببت فلا تبقى لك منك شيأ وقال آخر أن تمحو من القلب ماسوى المحبوب وقال آخر غض طرف المحب عما سوى المحبوب وقال آخر هي ميلك الى الشيء بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك في حبه وقال آخر هي سكر لا يصحو صاحبه الا بمشاهدة محبوبه وقال آخر هي الميل لحب الصور الجميلة أو لوجود احسان أو نعام وهذا تعريف ببيان أسباب المحبة فقد جبلت القلوب على حب من أحسن اليها فاذا كان الانسان يحب من منحه من دنياه مرة أو مرتين معروفا فانيا منقطعا أو استنقذه من هلكة أو مضرة لا تدوم فما بالك من منحه منحا لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم مالا يفنى ولا يحول واذا كان المرء يحب غيره لما فيه من صورة جميلة وسيرة حميدة فكيف بهذا النبي الكريم والرسول العظيم الجامع لمحاسن الاخلاق والتكريم المانح لنا جوامع المكارم والفضل العميم ولقد أخرجنا الله به من ظلمات الكفر الى نور الايمان وخلصنا به من نار الجهل الى جنات المعارف والايقان فهو السبب في وصولنا للبقاء الابدي في النعيم السرمدي فاي احسان أجل قدرا وأعظم خطرا من احسانه الينا فلا منة لاحد بعد الله كما له علينا ولا فضل لبشر كفضله لدينا فكيف ننهض ببعض شكره أو نقوم من واجب حقه بمعشار عشره فقد منحنا الله به منح الدنيا والآخرة وأسبغ علينا نعمه باطنة وظاهرة فاستحق أن يكون حظه من محبتنا له أوفى وأزكى من محبتنا لانفسنا وأولادنا وأهلنا وأموالنا والناس أجمعين بل لو كان في كل منبت شعرة منا محبة تامة له صلوات الله وسلامه عليه لكان ذلك بعض ما يستحقه علينا وقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده وفي رواية عن أنس رضي الله عنه والناس أجمعين وفي رواية أخرى لن يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه قال القرطبي كل من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم ايمانا صحيحا لا يخلو حاله من

عن عباد بن حمزة بن الزبير قال كان على الزبير عمامة صفراء معتجرا بها يوم بدر فنزلت الملائكة عليها عمائم صفر قال المحب الطبري يحتمل انها نزلت على سيماه لانها أول حرب ويحتمل انها نزلت على سيما أول محارب في سبيل الله عز وجل وقال له النبي صلى الله عليه وسلم فداك أبي وأمي يوم الاحزاب لما جاءه بخبر بني قريظة ولما قتل كفار قريش خبيبا رضي الله عنه وصلبوه على خشبة عند التنعيم قال النبي صلى الله عليه وسلم أيكم يحمل خبيبا من خشبته وله الجنة فقال الزبير رضي الله عنه أنا وصاحبي المقداد فخرجا يسيران الليل والنهار حتى أنزلاه من خشبته وحول الخشبة أربعون من كفار قريش يحرسونه ونزل فيه وفي المقداد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله الآية وهذا أحد الاقوال في سبب نزول هذه الآية ونزل فيه وفيمن خرج خلف قريش من الصحابة رضي الله تعالى عنهم عند انصرافهم من قتال أحد الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم وتقدم في فضائل طلحة قول النبي صلى الله عليه وسلم طلحة والزبير جاراي في الجنة وتقدم في فضائل أبي بكر رضي الله عنه ذكر الزبير في العشرة المبشرين بالجنة وفي حديث تحرك حراء قوله صلى الله عليه وسلم أثبت فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد وكان الزبير ابن العوام منهم وأخرج الملا في سيرته ان النبي صلى الله

وجد ان شيء من تلك المحبة الراجحة غير انهم متفاوتون فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الاوفى ومنهم من اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اشتاق الى رؤيته بحيث يؤثرها على أهله وماله وولده ويبذل نفسه في الامور الخطيرة ويجد رجحان ذلك من نفسه وجدانا لا تردد فيه وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره صلى الله عليه وسلم ورؤية موضع آثاره على جميع ما ذكر لما وقر في قلوبهم من محبته غير ان ذلك سريع الزوال لتوالي الغفلات وتفاوت المحبين في محبته صلى الله عليه وسلم بسبب استحضار ما وصل اليهم من جهته من النفع الشامل لخير الدارين والغفلة عن ذلك ولاشك ان حظ الصحابة رضي الله عنهم في هذا المعنى أتم لان هذا ثمرة المعرفة وهي فيهم أتم روى ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد فاخبروها بذلك فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا هو بحمد الله كما تحبين فقالت أرونيه حتى أنظره فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل تعني صغيرة ورواه البيهقي في الدلائل وفي بعض روايات هذا الحديث لما كثرت الصوارخ بالمدينة خرجت امرأة من الانصار فاستقبلت باخيها وابنها وزوجها وأبيها قتلى لاتدري بايهم استقبلت وكلما مرت بواحد منهم صريعا قالت من هذا قالوا أخوك وأبوك وزوجك وابنك قالت فما فعل النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون أمامك حتى ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذت بناحية ثوبه ثم جعلت تقول بابي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي اذا سلمت من عطب وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه ما كان أحد أحب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظما * ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وانك في أهلك فقال زيد والله ما أحب ان محمدا في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني لجالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت أحدا من الناس يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا وفي المواهب ان عبد الله بن زيد الانصاري رضي الله عنه كان يعمل في جنة له فاتاه ابنه فاخبره ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي فقال اللهم أذهب بصري حتى لا أرى بعد حبيبي محمد أحدا فكف بصره وفي الصحيحين عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه الا الله وان يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار وقال صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا فعلق ذوق الايمان بالرضا بالله ربا الخ وعلق وجدان حلاوته بما هو موقوف عليه ولا يتم الا به وهو كونه سبحانه هو ورسوله أحب الاشياء الى العبد ومعنى حلاوة الايمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في الدين وايثار ذلك على اغراض الدنيا ومحبة العبد لله تحصل بفعل طاعته وترك مخالفته وفي قوله عليه الصلاة والسلام حلاوة الايمان استعارة تخييلية فانه شبه رغبة المؤمن في الايمان بشيء حلو واثبت له لازم ذلك وقال العارف بالله ابن أبي جمرة اختلف في الحلاوة المذكورة هل هي محسوسة أو معنوية فحملها قوم على المعنى وهم الفقهاء وحملها قوم على المحسوس وأبقوا اللفظ على ظاهره من غير أن يتأولوه وهم الصوفية ويشهد الى ما ذهبوا اليه أحوال الصحابة والسلف الصالح وأهل المعاملات مع الله فانه حكي عنهم انهم وجدوا الحلاوة محسوسة فمن ذلك حديث بلال رضي الله عنه حين صنع به ما صنع في الرمضاء اكراها على الكفر وهو يقول أحد أحد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وكذلك أيضا عند موته أهله يقولون واكرباه وهو يقول واطرباه * غدا ألقى الاحبه محمدا وصحبه * فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقا وهي حلاوة الايمان ومنه حديث الصحابي الذي سرق فرسه بليل وهو في الصلاة فرأى السارق حين أخذه فلم يقطع لذلك صلاته فقيل له في ذلك فقال ما كنت فيه ألذ من ذلك وما ذاك الا الحلاوة الايمان التي وجدها محسوسة في وقته ذلك وأمثال ذلك كثير قال العارف بالله تعالى تاج الدين بن عطاء الله ان القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى تتنعم بملذوذات المعاني كما تتنعم النفوس بملذوذات الاطعمة وانما ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا لانه لما رضي

عليه وسلم قال الزبير بن العوام ركن من أركان الاسلام وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وقد نام فجلس الزبير يذب عن وجهه حتى استيقظ فقال له يا أبا عبد الله لم تزل أنت بابي وأمي هذا جبريل يقرئك السلام ويقول لك أنا معك يوم القيامة حتى اذب عن وجهك شرر جهنم وكان رضي الله عنه من المشهورين بالجود أخرج ابن عبد البر عن كعب قال كان للزبير ألف مملوك يؤدون الخراج فما كان يدخل بيته منها درهم واحد بل كان يتصدق بذلك كله وبعث الزبير رضي الله عنه الى عائشة بغرارتين تبلغ ثمانين ومائة ألف درهم واخرج الفضائلي عن أبي اسحق السبيعي قال سألت مجلسا فيه أكثر من عشرين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا الزبير وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما وتقدم ذكر استشهاده يوم الجمل سنة ست وثلاثين وعمره سبع وستون سنة ولما اخبر علي رضي الله عنه بقتله قال بشر قاتل الزبير بالنار وأسند ذلك النبي صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى أعلم ولنتمم الكلام على فضائل بقية العشرة رضي الله عنهم تتميما للفائدة والباقون منهم هم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد ابن زيد وأبو عبيدة عامر بن الجراح فاما عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد

بالله ربا استسلم له وانقاد لحكمه وألقى قياده اليه فتوجد لذة العيش وراحة القلب ومن لم يرض بالله ربا كان له الرضا من الله وأوجده الله حلاوة ذلك ليعلم ما من الله به عليه وليعرف احسان الله عليه ولما سبقت لهذا العبد العناية دون قلبه من المرض فادرك لذاذة الايمان وحلاوته لصحة ادراكه وسلامة ذوقه وقوله صلى الله عليه وسلم وبالاسلام دينا معناه ان من رضى بما رضى به المولى فقد رضى بالاسلام دينا ولازم من رضى بمحمد نبيا أن يكون له وليا وان يتادب باآدابه ويتخلق باخلاقه زهدا فى الدنيا وخروجا عنها وصفحا عمن جنى عليه وعفوا عمن أساء اليه الى غير ذلك من تحقيق المتابعة قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا فمن رضى بالله استسلم له ومن رضى بالاسلام عمل له ومن رضى بمحمد صلى الله عليه وسلم تابعه ولا يكون واحد منها الا بكلها اذ محال أن يرضى بالله ربا ولا يرضى بالاسلام دينا أو يرضى بالاسلام دينا ولا يرضى بمحمد نبيا وتلازم ذلك بين لاخفاء به ومحبة الله على قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التى تبعث على امتثال الاوامر والانتهاء عن المعاصى على حسب الاستطاعة فمن وقع فى معصية من فعل محرم أو ترك واجب فلتقصيره فى محبة الله تعالى حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون مع الاسترسال فى المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية للتوسل فى الرجاء فيقدم على المعصية والندب أن يواظب على النوافل ويجتنب الشبهات والمتصف بذلك فى عموم الاوقات والاحوال نادر وفى البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى أنه قال ما تقرب الى عبدى بمثل أداء ما افترضته عليه وفى رواية بشئ أحب الى من أداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه وما ترددت فى شئ أنا فاعله ترددى عن قبض نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ففى الحديث دلالة على أن العبد اذا أدى الفرائض ودام على اتيان النوافل من صلاة وصوم وغيرهما أفضى به ذلك الى محبة الله تعالى وقد استشكل قوله كنت سمعه الخ بانه كيف يكون البارى جل وعلا سمع العبد وبصره الخ وأجيب باجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت كسمعه وبصره فى ايثار أمرى فهو يحب خدمتى ويؤثر طاعتى كما يحب هذه الجوارح ومنها أن المعنى ان كليته مشغولة بى فلا يصغى بسمعه الا الى ما يرضينى ولا يرى ببصره الا ما أمرته به ومنها ان المعنى كنت له فى النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله فى المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف أى كنت حافظ سمعه الذى يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك ومنها ان المعنى كنت مسموعه كقولهم فلان أملى بمعنى مأمولى والمعنى انه لا يسمع الا ذكرى ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابى ولا يانس الا بمناجاتى ولا ينظر الا فى عجائب ملكوتى ولا يمد يده الا فيما فيه رضاى ولا يمشى برجله الا لما فيه رجتى وبالجملة فالكلام كناية عن نصرة العبد وتاييده واعانته حتى كأنه سبحانه تنزل عنده منزلة الآلات التى يستعين بها ويدخل فى ذلك سرعة اجابته فى الدعاء ونجحه فى الطلب قال أبو عثمان الحيرى معناه أسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاستماع وعينه فى النظر ويده فى اللمس ورجله فى المشى والمراد بالحديث حصر أسباب محبته فى أمرين اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل حتى يصير محبوبا لله فاذا صار محبوبا لله أوجبت محبة الله له محبة أخرى فوق المحبة الاولى فتغلب هذه المحبة قلبه فلا يفكر ولا يهتم بغير محبوبه وملك عليه روحه ولم يبق فيه متسع لغير محبوبه البتة فصار ذكر محبوبه مالكا لزمام قلبه مستوليا على روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق فى محبته الذى قد اجتمعت قوى قلبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان أبصر أبصر به وان نظر نظر به وان مشى مشى به فهو قلبه ونفسه وأنيسه وصاحبه فالباء فى قوله فبى يسمع الخ للمصاحبة وهى مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم بها فالمسئلة حالية لا علمية محضة ولما حصلت الموافقة من العبد لربه فى محابه حصلت موافقة الرب لعبده فى حوائجه ومطالبه فقال ولئن سألنى لاعطينه ولئن استعاذنى لاعيذنه أى كما وافقنى فى مرادى بامتثال أمرى والتقرب الى محابى

الحرث بن فهر بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة ابن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان فهو يلتقى نسبه مع نسب النبى صلى الله عليه وسلم فى كلاب بن مرة وهو أيضا من السابقين للاسلام أسلم على يد أبى بكر رضى الله عنه وهو من العشرة المبشرين بالجنة ومن الستة أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر رضى الله عنه وقال توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض وأخرج الدارقطنى ان النبى صلى الله عليه وسلم سمى عبد الرحمن بن عوف الصادق البار وأخرج ابن عبد البر عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان عبد الرحمن بن عوف قال لاصحاب الشورى هل لكم ان أختار لكم وانتفى فقال على رضى الله عنه أنا أول من رضى فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنت أمين فى أهل السماء وأنت أمين فى اهل الارض وفى رواية عبد الرحمن بن عوف أمين فى الارض وأمين فى السماء وأخرج الملا فى سيرته عن على رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف وكيل الله فى الارض وأخرج الواحدى وأبو الفرج انه نزل فيه وفى عثمان رضى الله عنهما الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى الآية أما عثمان رضى الله عنه فقد تقدم ذكره * وأما عبد الرحمن بن عوف فجاءة

فاذا أوافقه فى رغبته وقوى أمر هذه الموافقة حتى اقتضى تردد الرب سبحانه فى اماتته لانه يكره الموت والرب يكره ما يكره عبده و يكره مساءته فمن هذه الجهة يقتضى أن لا يميته ولكن مصلحته فى اماتته فانه ما أماته الا ليحييه وما أمرضه الا ليصحه ولم يخرجه من الجنة فى صلب أبيه الا ليعيده اليها على أحسن أحواله فهذا هو الحبيب فى الحقيقة لا سواه والقصد بقوله وما ترددت الخ بيان عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وبالجملة فلا حياة للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا عيش الا عيش المحبين الذين قرت أعينهم بحبيبهم وسكنت نفوسهم اليه واطمأنت به قلوبهم واستأنسوا بقربه وتنعموا بمحبته ففى القلب طاقة لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته كلها هموم وغموم وآلام وحسرات ولن يصل العبد الى هذه المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدى اليه بطريق توصله اليه ويخرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من شواهد الآخرة فيقبل عليها بكليته ويدأب فى تصحيح التوبة والقيام بالمأمورات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه بخطوة يكرهها الله ولا بخطرة فيصطو لذلك قلبه بذكر الله ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه الى فضاء الخلوة بربه وذكره فحينئذ يجتمع قلبه وخواطره وحديث نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق فى ذلك رزق محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعل النبى صلى الله عليه وسلم امامه واستاذه ومعلمه وشيخه كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع مبادى أموره وكيفية نزول الوحى اليه ويعرف صفاته وأخلاقه وآدابه ومعاشرته لاهله وأصحابه الى غير ذلك مما منحه الله حتى يصير كأنه معه من بعض أصحابه فاذا رسخ فى قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحى المنزل عليه من ربه بحيث اذا قرأ السورة شاهد قلبه ماذا أنزلت عليه وماذا أريد بها وحظه المختص به منها من الصفات والاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد فى التخلص منها كما يجتهد فى الشفاء من الامراض * (وللمحبة الرسول عليه الصلاة والسلام علامات) * أعظمها الاقتداء به واستعمال سنته وسلوك طريقته والاهتداء بهديه وسيرته والوقوف على ما حد لنا من شريعته قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فجعل تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم آية محبة العبد لربه عز وجل وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم محبة الله تعالى اياه قال الشاعر

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

وهذه المحبة تنشأ من مطالعة العبد منة الله عليه بنعمه الظاهرة والباطنة فبقدر مطالعة ذلك تكون قوة المحبة ومن أعظم منة الله على عبده منته عليه بتأهيله لمحبته ومعرفته ومتابعة حبيبه صلى الله عليه وسلم وأصل هذا نور يقذفه الله فى قلب العبد فاذا دام ذلك النور أشرقت له ذاته فرأى ما أهلت له نفسه من الكمالات والمحاسن فتعلو همته وتقوى عزيمته وتنقشع عنه ظلمات نفسه وطبعه لان النور والظلمة لا يجتمعان الا ويطرد أحدهما الآخر فوقعت الروح حينئذ بين الهيبة والانس الى الحبيب الاول

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل فى الارض يألفه الفتى * وحنينه أبدا لاول منزل

وبحسب هذا الاتباع توجد المحبة والمحبوبية معا ولا يتم الامر الا بهما فليس الشان أن تحب الله بل الشان أن يحبك الله ولا يحبك الا اذا اتبعت حبيبه ظاهرا وباطنا وصدقته خبرا وأطعته أمرا وأجبته دعوة وآثرته طوعا وفنيت عن حكم غيره بحكمه وعن محبة غيره من الخلق بمحبته وعن طاعة غيره بطاعته قال المحاسبى علامة المحبة لله اتباع مرضاة الله والتمسك بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه ظهرت ثمرة ذلك على جوارحه ولسانه فاستحلى اللسان ذكر الله تعالى وما والاه وأسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان فى القلب كما يدخل حب الماء الشديد البرد فى اليوم الشديد الحر للظمآن الشديد العطش فيرتفع عنه تعب الطاعة لاستلذاذه بها بل تبقى الطاعة غذاء لقلبه وسروره وقرة

النبى صلى الله عليه وسلم بأربعة آلاف درهم صدقة وقال كان عندى ثمانية آلاف فأمسكت أربعة آلاف لنفسى وعيالى وأربعة آلاف أقرضها ربى فقال صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت ونزلت الآية وأخرج الملاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال وردت قافلة من تجارة الشام لعبد الرحمن بن عوف فحملها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له النبى صلى الله عليه وسلم ونزل جبريل فقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك أقرئ عبد الرحمن ابن عوف السلام وبشره بالجنة وأخرج الامام أحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قدمت عير من الشام تحمل من كل شئ وكانت سبعمائة بعير فارتجت المدينة من الصوت وكانت لعبد الرحمن بن عوف فحملها عبد الرحمن بأحمالها وأقتابها فى سبيل الله ولما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة دومة الجندل عممه بيده وسدلها بين كتفيه وقال له سر باسم الله وقال عبد الرحمن بن عوف سيد من سادات المسلمين ومن خصائصه رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى خلفه كما صلى خلف أبى بكر رضى الله عنه ولم يصل خلف أحد غيرهما وقصة صلاته خلفه رويت فى الصحاح عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه قال تخلفت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فتبرز وذكر وضوءه ثم عمد الناس وعبد الرحمن بن عوف يصلى بهم فصلى مع الناس

عين في حقه ونعيما لروحه يلتذ بها أعظم من اللذات الجسمانية فلا يجد في الاوراد والاذكار وبقية الاعمال كلفة وروى الترمذي عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحيا سنتي فقد أحبني ومن أحبني كان معي في الجنة قال ابن عطاء من ألزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه وقال أبو اسحق الرقي وكان من أقران الجنيد علامة محبة الله ايثار طاعته ومتابعة نبيه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لا يظهر على أحد شيء من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة فأما من أعرض عن الكتاب والسنة ولم يتعلق بالعلم من مشكاة الرسول عليه الصلاة والسلام فان ادعى علماً لدنياً أوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا روحانيا بموافقته لما جاء الرسول به من ربه تعالى والا فهو من الشيطان والنفس فاتباع هذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم هو حياة القلوب وروضة البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وأنس المستوحشين ودليل المتحيرين ومن علامات محبته أن يرضى مدعيها بما شرعه الله حتى لا يجد في نفسه حرجا مما قضى قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا مما قضاه ولم يسلم له قال العارف بالله تاج الدين بن عطاء الله الشاذلي رضي الله عنه وأذاقنا حلاوة مشربه في هذه الآية دلالة على ان الايمان الحقيقي لا يحصل الا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على نفسه قولا وفعلا وأخذا وتركا وحبا وبغضا ويشتمل ذلك على حكم التكليف وحكم التعريف والتسليم والانقياد على كل مؤمن في كليهما فاحكام التكليف الاوامر والنواهي المتعلقة باكتساب العبد وأحكام التعريف هو ما أورده عليك من فهم المراد فتبين لك من هذا انه لا يحصل لك حقيقة الايمان الا بأمرين الامتثال لامره والاستسلام لقهره ثم انه سبحانه لم يكتف بنفي الايمان عمن لم يحكم أو حكم ووجد الحرج في نفسه حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم رأفة وعناية وتخصيصا ورعاية لانه لم يقل فلا والرب انما قال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ففي ذلك تأكيد بالقسم وتأكيد في المقسم به علما منه سبحانه بما النفوس منطوية عليه من حب الغلبة والنصرة سواء كان الحق عليها أولها وفي ذلك اظهار لعنايته برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جعل حكمه حكمه وقضاءه قضاءه فأوجب على العباد الاستسلام لحكمه والانقياد لامره ولم يقبل منهم الايمان حتى يذعنوا لاحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لم يكتف بالتحكيم الظاهر بل اشترط ان لا يوجد الحرج في نفوسهم من أحكامه صلى الله عليه وسلم سواء كان الحكم موافقا لما في أهوائهم أو مخالفا لها وانما تضيق النفوس لفقدان الانوار ووجود الاغيار فعنه يكون الحرج وهو الضيق والمؤمنون ليسوا كذلك اذ نور الايمان ملأ قلوبهم فاتسعت وانشرحت فكانت واسعة بنور الواسع العليم ممدودة بوجود فضله العظيم مهيأة لواردات أحكامه مفوضة له في نقضه وابرامه وقال سهل بن عبد الله رضي الله عنه من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في سائر الاحوال ويرى نفسه في ملكه لم يذق حلاوة سنته لانه صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من نفسه قال العارف بالله أبو عبد الله القرشي حقيقة المحبة ان تهب كلك لمن أحببت ولا تبقى لك منك شيأ فمن آثر هذا النبي الكريم على نفسه كشف الله له عن حضرة قدسه ومن كان معه بلا اختيار ظهرت له خبايا حقائق أسرار أنسه * (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم) * نصر دينه بالقول والفعل والذب عن شريعته والتخلق بأخلاقه في الجود والايثار والحلم والصبر والتواضع وغيرها فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الايمان ومن وجدها استلذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين وآثر ذلك على اعراض الدنيا * (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم) * التسلي عن المصائب ولا يجد من مسها ما يجده غيره حتى كأنه اكتسى طبيعة ثانية ليست طبيعة الخلق بل يقوى سلطان المحبة حتى يلتذ بكثير من المصائب أعظم من التذاذ الخلي بحظوظه وشهواته والذوق والوجود شاهد بذلك فكرب المحبة ممزوجة بالحلاوة فاذا فقد تلك الحلاوة اشتاق الى تلك الكرب كما قيل

الركعة الاخيرة فلما سلم عبد الرحمن قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يتم صلاته فلما قضاها أقبل عليهم وقال قد أصبتم وأحسنتم يغبطهم ان صلوا الصلاة لوقتها وفي رواية فأراد عبد الرحمن أن يتأخر فأومأ اليه النبي صلى الله عليه وسلم أن مضي قال المغيرة فصليت أنا والنبي صلى الله عليه وسلم خلفه وفي رواية أخرجها الشافعي في مسنده قال المغيرة فأردت تأخير عبد الرحمن فقال النبي صلى الله عليه وسلم دعه وفي رواية فجاء النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخل بهم في ركعة فصلى خلفه وأتم الذي فاته وقال ما قبض نبي حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته وأخرج الحافظ أبو القاسم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في منزل فاطمة رضي الله عنها والحسن والحسين يبكيان جوعا فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يصلنا بشيء فطلع عبد الرحمن بن عوف بصحفة فيها حيس ورغيفان بينهما اهالة فقال النبي صلى الله عليه وسلم كفاك الله امر دنياك وأما آخرتك فانا لها ضامن وعن أنس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الرحمن بن عوف بارك الله لك وخفف عليك حسابك يوم القيامة وفي رواية للدارقطني انه صلى الله عليه وسلم قال سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة وأخرج الملا في سيرته عن أويس بن أبي أويس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعبد الرحمن بن عوف

تشتكي المحبون الصبابة ليتني * تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لقلبي لذة الحب كلها * فلم يلقها قبلي محب ولا بعدي

(ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم) كثرة ذكره وكثرة الصلاة عليه فمن أحب شيأ أكثر من ذكره قال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقال آخر ذكر المحبوب على عدد الانفاس وقال آخر للمحب ثلاث علامات أن يكون كلامه ذكر المحبوب وصمته فكرا فيه وعمله طاعته وقال المحاسبي علامة المحبين كثرة الذكر للمحبوب على طريق الدوام لا ينقطعون ولا يملون ولا يفترون وقد أجمع الحكماء على ان من أحب شيأ أكثر من ذكره فذكر المحبوب هو الغالب على قلوب المحبين لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا ولو قطعوا عن ذكر محبوبهم لفسد عيشهم وما تلذذ المتلذذون بشيء ألذ من ذكر المحبوب فالمحبون قد اشتغلت قلوبهم بلزوم ذكر المحبوب عن اللذات وانقطعت أوهامهم عن عارض دواعي الشهوات ورقت الى معادن الذخائر وبغية الطلبات وربما تزايد وجد الحب وهاج الحنين وباح الانين وتحركت المواجيد وتغير اللون وفتر البدن واقشعر الجلد وربما صاح وربما بكى وربما شهق وربما وله وربما سقط وربما زاد الوجد على الحب فقتله *(ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم)* تعظيمه عند ذكره واظهار الخشوع والخضوع والانكسار مع سماع اسمه فكل من أحب شيأ خضع له كما كان كثير من الصحابة رضي الله عنهم اذا ذكروه خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كان كثير من التابعين فمن بعدهم يفعلون ذلك محبة وشوقا أو تهيبا وتوقيرا قال بعض السلف واجب على كل مؤمن متى ذكره أو ذكر عنده أن يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ من هيبته واجلاله بما كان يأخذ به لو كان بين يديه ويتأدب بما أدبنا الله به وكان أيوب السختياني رحمه الله اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى نرحمه وكان جعفر بن محمد رضي الله عنه كثير المزح والدعابة فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وكان عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى لونه كأنه قد نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع وكان الزهري اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم يتغير وكأنك ما عرفته ولا عرفك وكان صفوان بن سليم من المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه *(ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم)* كثرة الشوق الى لقائه اذ كل حبيب يحب لقاء حبيبه قال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وعن معروف الكرخي رضي الله عنه المحبة الشوق لمشاهدة الصفات أو مشاهدة أسرار الصفات فيرى بلوغ النوال ولو بمشاهدة الرسول ولهذا كانت الصحابة اذا اشتد بهم الشوق وأزعجهم لواعج المحبة قصدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشفعوا بمشاهدته وتلذذوا بالجلوس معه والنظر اليه والتبرك به صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان ما كان خالد يأوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أصحابه من المهاجرين والانصار يسميهم ويقول هم أصلي وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل رب قبضي اليك فالقلب اذا ذاق طعم المحبة اشتاق وتأججت نيران الحب والطلب فيه ويجد صبره عن محبوبه من أعظم كبائره كما قيل

الصبر يحمد في المواطن كلها * الا عليك فانه لا يحمد

وعن زيد بن أسلم قال خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكاء بالاسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار هل تجمعني وحبيبي الدار تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي ثم قام الى باب خيمتها فقال السلام عليكم ثلاث مرات وقال لها أعيدي على قولك فأعادته بصوت حزين فبكى وقال عمر ولا تنسيه يرحمك الله فقالت وعمر فاغفر له يا غفار ويحكى انه رؤيت امرأة بعد موتها وقد كانت مسرفة على نفسها فقيل

لها

ولما قدم المدينة مهاجرا آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع فقال له سعد بن الربيع اني أكثر الانصار مالا فاقسم لك نصف مالي وانظر أي زوجتي هويت فأنزل لك عنها فاذا حلت تزوجتها فقال له عبد الرحمن لا حاجة لي في ذلك دلوني على السوق فصار يبيع ويشتري فيه ودعا له النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة حتى كثر ماله وكان أكثر الصحابة مالا وأوصى لكل واحد من أهل بدر بأربعمائة دينار وكان أهل المدينة عيالا على عبد الرحمن بن عوف ثلث يقرضهم وثلث يقضي دينهم وثلث يصلهم وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله تعالى قال ابن عبد البر وأعتق في يوم واحد ثلاثين عبدا وأخرج صاحب الصفوة عن جعفر بن برقان قال بلغني ان عبد الرحمن بن عوف أعتق ثلاثين ألفا وأخرج الملا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تصدق عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بأربعة آلاف درهم ثم بأربعين ألف درهم ثم بأربعين ألف دينار ثم بخمسمائة فرس في سبيل الله ثم وردت له قافلة من تجارة الشام فحملها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل وقال ان الله يقرئك السلام ويقول لك أقرئ عبد الرحمن بن عوف السلام وبشره بالجنة وعن صالح بن عبد الرحمن بن عوف قال صالحنا امرأة عبد الرحمن ابن عوف التي طلقها في مرضه

لها ما فعل الله بك قالت غفر لي بقبل بها إذا قالت يحيي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشوقي النظر اليه فنوديت من اشتهى النظر الى حبيبنا نستحي أن نذله بعتابنا بل نجمع بينه وبين من يحبه * (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم) * حب القرآن الذي أتى به وتخلق به واذا أردت أن تعرف ما عندك وعند غيرك من محبة الله ومحبة رسوله صلى الله عليه وسلم فانظر محبة القرآن من قلبك فانه من المعلوم أن من احب محبوبا كان كلامه وحديثه أحب شيء اليه وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال لو طهرت قلوبنا ما شبعت من كلام الله تعالى وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله ابن مسعود رضي الله عنه اقرأ علي قال اقرأ عليك وعليك أنزل قال فاني أحب أن أسمعه من غيري فاستفتح وقرأ سورة النساء حتى بلغ فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك فرفع رأسه فاذا عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان من البكاء رواه البخاري وهذا يجده من استنار قلبه ورق عند سماع الكتاب العزيز قال تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق قال صاحب عوارف المعارف أذاقنا الله حلاوة مشربه هذا السماع هو السماع الحق الذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الايمان محكوم لصاحبه بالهداية وهذا السماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدمع لانه تارة يثير حزنا والحزن حار وتارة يثير شوقا والشوق حار وتارة يثير ندما والندم حار فاذا أثار السماع هذه الصفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين بكى وأدمع لان الحرارة والبرودة اذا اصطدمتا عند الم السماع بالقلب ظهر أثر ذلك في الجسد واقشعر منه الجلد قال الله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم وتارة يعظم وقعه ويرتفع أثره نحو الدماغ فتندفق منه العين بالدمع وتارة يصل أثره الى الروح فتموج منه الروح موجا تكاد تضيق منه فيكون من ذلك الصياح والاضطراب وهذه كلها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الاحوال وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ربما مر بآية من ورده فتخنقه العبرة ويسقط ويلزم البيت اليوم واليومين حتى يعاد ويحسب انه مريض وكان الصحابة رضي الله عنهم اذا اجتمعوا يقولون لابي موسى رضي الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يسمعون فكانوا يجدون في السماع القرآني من الوجد واللذة والحلاوة والسرور أضعاف ما يجد أهل السماع الشيطاني فاذا رأيت الرجل ذوقه وطربه ونشأته في سماع الابيات دون سماع الآيات وفي سماع الالحان دون سماع القرآن فتقرأ عليه الختمة وهو جامد كالحجر واذا أنشد بين يديه شيء من الشعر يميل كالنشوان فاعلم أن هذا من أقوى الادلة على فراغ قلبه من محبة الله ورسوله أدام الله لنا حلاوة محبته ولا سلك بنا غير سبيل سنته ورحمته * (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم) * محبة سنته وقراءة حديثه فان من دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله تعالى أو من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرمنها روحه وقلبه ونفسه وتعمه تلك الكلمة حتى تصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول

لي حبيب خياله نصب عيني * وسره في ضمائري مدفون
ان تذكرته فكلي قلوب * أو تأملته فكلي عيون

فحينئذ يستنير قلبه ويظهر سره وتتلاطم عليه أمواج التحقيق عند ظهور البراهين ويرتوي بري عطف محبوبه الذي لا شيء أروى لقلبه من عطفه عليه ولا شيء أشد لهيبه وحريقه من اعراضه عنه ولهذا كان عذاب أهل النار باحتجاب ربهم عنهم أشد عليهم من العذاب الجسماني كما أن نعيم أهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله أعظم من النعيم الجسماني لا حرمنا الله ذوق حلاوة هذا المشرب * (ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم أن يلتذ محبه بذكره الشريف ويطرب عند سماع اسمه المنيف وقد يوجب له ذلك سكرا يستغرق قلبه وروحه وسمعه وسبب هذا السكر اللذة القاهرة للعقل وسبب اللذة ادراك المحبوب عليه الصلاة والسلام فاذا كانت المحبة قوية وادراك هذا المحبوب قويا كانت اللذة بادراكه تابعة لقوة هذين الامرين فصور في نفسك حال فقير معدم عاشق للدنيا أشد العشق ظفر بكنز عظيم فاستولى عليه آمنا مطمئنا

من ربع عنها بثلاثة وثمانين ألفا وأوصى بحديقة لامهات المؤمنين بيعت بأربعمائة ألف وأخرج صاحب الصفوة عن المسور بن مخرمة رضي الله تعالى عنهما قال باع عبد الرحمن ابن عوف رضي الله تعالى عنه أرضا له بأربعين ألف دينار فقسم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين وبعث الى عائشة رضي الله عنها معي من ذلك المال فقالت سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة وفضائله رضي الله عنه كثيرة توفي رضي الله عنه في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة احدى وثلاثين من الهجرة وعمره خمس وسبعون سنة ودفن بالبقيع وصلى عليه عثمان رضي الله عنه وارسلت اليه عائشة رضي الله عنها حين نزل به الموت ان هلم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اخوانك تريد أنه يدفن في حجرتها فقال ما كنت مضيقا عليك بيتك اني كنت عاهدت عثمان بن مظعون أينا مات دفن الى جنب صاحبه فيكون على هذا قبر عثمان بن مظعون وقبر عبد الرحمن بن عوف في قبة ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم فينبغي ان يزار هنالك والله سبحانه وتعالى أعلم * وأما سعد بن أبي وقاص فهو سعد ابن مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب يلتقي نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في كلاب بن مرة وهو أيضا من السابقين للاسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة ومن الستة أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر رضي الله

كيف يكون سكر من الفرح أو من غاب عنه غلام معيال عظيم مدة سنين حتى أضر به العدم فقدم عليه من
غير انتظار له بماله كله وقد كسب أضعافه وعماية وى هذه اللذة سماع الاصوات الحسنة المطربة بالانشادات
بالصفات النبوية لذا صادفت محلا قابلا فلا تسأل عن سكرة السامع وسبب ذلك اجتماع لذة الالحان ولذة
الاشجان فتسكر الروح سكرا عجيبا ألذ وأطيب من سكر الشراب وفي الحديث أن داود عليه السلام يقوم يوم
القيامة عند ساق العرش ويمجد الله فاذا سمع أهل الجنة صوته انغمرت لذة نعيمهم في لذة السماع وأعظم
من ذلك اذا سمعوا كلام الرب جل جلاله وخطابه لهم فاذا انضاف الى ذلك رؤية وجهه الكريم التي تغنيهم
عن الجنة ونعيمها فأمرهم حينئذ لا تدركه العبارة ولا تحيط به الاشارة وهذه صلة لا تلج كل اذن وصيب لا تحيا
به كل أرض وعين لا يشرب منها كل وارد وسماع لا يطرب عليه كل سامع ومائدة لا يجلس عليها طفيلي والله
سبحانه وتعالى أعلم * (ومن علامات محبته) * صلى الله عليه وسلم محبة أصحابه وأهل بيته وذريته وقرابته
وذلك أن الله تعالى لما اصطفى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع من سواه وخصه بما فضله به وحباه
أعلى ببركته من انتمى اليه نسبا أو نسبا ورفع قدر من أطاعه وكان معه نصرة وصحبة ألزم الله مودة قرباه كافة
بريته وفرض المحبة لاهل بيته المعظم وذريته فقال تعالى قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وقال تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وهذه الآية نزلت في نساء النبي صلى الله عليه
وسلم بحسب سياق الآيات التي قبلها والتي بعدها ولكنها دلت على ذلك فمن ذلك انه صلى الله عليه وسلم
جاء ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين آخذ كل منهما بيده حتى دخل فادنى عليا وفاطمة وأجلسهما بين يديه
وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم ثوبه أو قال كساء ثم تلا هذه الآية انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وأهل بيتي أحق رواه الامام
أحمد عن واثلة بن الاسقع زاد في رواية قال واثلة وأنا يا رسول الله من أهلك قال وأنت من أهلي قال واثلة وانها
من أرجى ما أرتجي وروى الامام أحمد أيضا عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
في بيتها اذ جاءت فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فدخلت عليه بها فقال ادعي زوجك وابنيك قالت فجاء
علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة وتحته كساء قالت وأنا في الحجرة أصلي فأنزل
الله عز وجل هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأخذ فضل الكساء
فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي أي خاصتي فأذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة رضي الله عنها فأدخلت رأسي من البيت فقلت وأنا معكم يا رسول الله
قال انك الى خير انك الى خير وروى مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد أيها الناس انما أنا بشر مثلكم يوشك أن يأتيني رسول ربي عز
وجل فأجيبه واني تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله عز وجل فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به
وحث عليه ورغب فيه ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله عز وجل في أهل بيتي ثلاث مرات فقيل لزيد من أهل بيته
أليس نساؤه من أهل بيته قال بلى ان نساءه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم عليهم الصدقة بعده قيل
ومن هم قال هم آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس قيل كل هؤلاء تحرم عليهم الصدقة قال نعم
والثقلان تثنية ثقل بالتحريك كما في القاموس وهو كل شئ نفيس مصون ومراد زيد بن أرقم أن لا يقتصر
على الازواج فقط بل هن مع آله ولا يشك من تدبر القرآن ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم داخلات في الآية
الكريمة أعني انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت لان سياق الكلام معهن ولهذا قال بعد هذا
كله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وروى الامام أحمد أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اني أوشك أن أدعى فأجيب واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي
كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي وان اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا
حتى يردا علي الحوض فانظروا بما تخلفوني فيهما وعترة الرجل أهله ورهطه أي أقاربه وروى البخاري عن

أبي

عنهم أخبر أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم توفي وهو عنهم
راض وكان اسلام سعد على
يد أبي بكر رضي الله عنه قال
ابن عبد البر أسلم بعد ستة
هو سابعهم وفي صحيح البخاري
عن سعد رضي الله عنه قال
لقد رأيتني وأنا ثلث الاسلام
وفي رواية ما أسلم أحد الا في
اليوم الذي أسلمت فيه ولقد
مكثت سبعة أيام وأنا ثلث
الاسلام وهاجر وشهد المشاهد
كلها ولم يزل ملازما لرسول الله
صلى الله عليه وسلم الى أن توفي
وهو أول من رمى بسهم في
سبيل الله ودعا له النبي صلى
الله عليه وسلم باستجابة الدعاء
فقال اللهم استجب لسعد اذا
دعاك فكان ذا دعوة مجابة وعن
جبير بن مطعم رضي الله عنه
ان سعدا رضي الله عنه قال
يا رسول الله ادع الله لي أن
يستجيب دعائي قال يا سعد
ان الله لا يستجيب دعاء عبد
حتى يطيب طعمته قال فادع
الله أن يطيب طعمتي فاني
لا أقوى الا بدعائك فقال اللهم
طيب طعمة سعد فكان سعد
اذا رأى السنبلة من القمح
في حشيش دوابه يقول ردوها
من حيث حصدتموها ولما ولاه
عمر رضي الله عنه العراق
شكاه أهل الكوفة الى عمر
رضي الله عنه فقالوا لا يحسن
الصلاة فقال سعد أما أنا
فكنت أصلي بهم صلاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم أركز في
الاولين وأخفف في الاخريين
فقال عمر ذاك الظن بك يا أبا
اسحق وبعث عمر رضي الله
عنه رجالا يسألون عنه في
مساجد الكوفة فلا يأتون
مسجدا من مساجد الكوفة

أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال أيها الناس ارقبوا محمدا في أهل بيته أي احفظوهم فلا تؤذوهم وروى البخاري أيضا عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي أن أصل من قرابتي وروى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي وقال صلى الله عليه وسلم من أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم وروى الامام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم من أبغض أهل البيت فهو منافق وروى ابن سعد عنه صلى الله عليه وسلم من صنع الى أحد من أهل بيتي معروفا فعجز عن مكافأته في الدنيا فانا المكافئ له يوم القيامة ولله در القائل

يا آل بيت رسول الله حبكمو * فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكمو * من لم يصل عليكم لا صلاة له

ولقد أحسن القائل

رأيت ولائي آل طه فريضة * على رغم أهل البعد يورثني القربى

فما طلب المبعوث أجرا على الهدى * بتبليغه الا المودة في القربى

وروى الترمذي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم قال في حسن وحسين اللهم اني أحبهما فاحبهما وأحب من يحبهما وروى الترمذي من أحبني وأحب هذين وأشار الى حسن وحسين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة وروى الامام أحمد عنه صلى الله عليه وسلم من آذى عليا فقد آذاني وأخرج الذهبي عنه صلى الله عليه وسلم من أحب عليا فقد أحبني وقال صلى الله عليه وسلم العباس ابن عبد المطلب مني وأنا منه لا تؤذوا العباس فتؤذوني من سب العباس فقد سبني وروى الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم قال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ورسوله وأخرج البغوي أنه صلى الله عليه وسلم قال لعقيل بن أبي طالب اني أحبك حبين حبا لقرابتك مني وحبا لما كنت أعلم به من حب عمي لك وروى الدارقطني انه صلى الله عليه وسلم قال أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب خير أهلي أو من خير أهلي وأخرج الحاكم وصححه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يبغضنا أهل البيت أحد الا أدخله الله النار وأما أصحابه رضوان الله عليهم فمحبتهم من محبته صلى الله عليه وسلم وتوقيرهم من توقيره وبرهم من بره فالمؤمن الكامل هو الذي يحبهم ويوقرهم ويقتدي بأقوالهم وأفعالهم ويحسن الثناء عليهم ويمسك عما حصل من الاختلاف بينهم ويعادي من يعاديهم ولا يلتفت الى أخبار المؤرخين وجهلة الرواة ولا الى ما يحكيه الرافضة والمبتدعة مما يقدح في أحد منهم بل ينبغي له أن يلتمس لما كان بينهم من الفتن أحسن التاويلات ويحمله على أصوب المخارج لانهم أهل لذلك ولا يذكر أحدا منهم بسوء لان الله قد أثنى عليهم في كثير من الآيات قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وعن الامام مالك قال بلغني أن النصارى كانوا اذا رأوا الصحابة الذين فتحوا الشام يقولون والله لهؤلاء خير من الحواريين واستنبط الامام مالك من قوله تعالى ليغيظ بهم الكفار تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال لانهم يغيظونهم ومن غاظه الصحابة فهو كافر ووافقه على ذلك جماعة من السلف وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ويكفي ثناء الله عليهم ورضاه عنهم وقد وعدهم الله مغفرة وأجرا عظيما ووعد الله حق وصدق لا يخلف لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وقال تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا

الا أثنوا عليه خيرا حتى أتوا مسجدا من مساجد بني عبس فقال رجل يقال له أبو سعدانة كان لا يسير بالسرية ولا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية فقال سعد أما والله لادعون عليك بثلاث اللهم ان كان كاذبا فاطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن فاستجاب الله دعوته فطال عمره وفقره وعرضه للفتن فكان ذلك الرجل بعد ذلك اذا سئل يقول شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد قال جابر بن سمرة رضي الله عنهما فانا رأيته بعد ان سقط حاجبه على عينيه من الكبر وانه ليتعرض للجواري في الطرق فيغمزهن وقال عبد الملك بن عمير الراوي عن جابر بن سمرة وأنا رأيته يتعرض للاماء في السكك واذا قيل له كيف أنت يا أبا سعد يقول كبير مفتون أصابتني دعوة سعد وصح قوله صلى الله عليه وسلم لسعد اللهم سدد سهمه وأجب دعوته وظهر في كثير من القضايا اجابة دعوته فكان مشهورا باجابة الدعوة وروى مسلم في صحيحه عن علي رضي الله عنه قال ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه لاحد غير سعد بن مالك فانه جعل يقول له يوم أحد ارم فداك أبي وأمي قال ابن عبد البر لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فداك أبي وأمي فيما بلغنا الا لسعد والزبير فانه قال لكل واحد منهما ذلك وأخرج الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا خالي فليرني امرؤ خاله وانما كان خال النبي صلى الله عليه وسلم لانه سعد

وروى عبد بن حميد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وروى الترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدى أبى بكر وعمر ورواه الحاكم أيضا عن ابن مسعود رضى الله عنه وروى البزار وأبو يعلى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابى كمثل الملح فى الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال صلى الله عليه وسلم الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه وروى مسلم وغيره لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وروى أبو نعيم عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وروى الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه اذا ذكر أصحابى فامسكوا وروى الديلمى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله اختار أصحابى على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لى منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابى وفى أصحابى كلهم خير وروى الطبرانى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه مرفوعا من أحب عمر فقد أحبنى ومن أبغض عمر فقد أبغضنى قال الامام مالك رضى الله عنه وغيره من أبغض الصحابة وسبهم فليس له فى فىء المسلمين حق وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال أيوب السختيانى رحمه الله من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن أبغض أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وروى الطبرانى عن سهل بن يوسف بن سهل ابن أخى كعب بن مالك عن أبيه عن جده قال لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انى راض عن أبى بكر فاعرفوا له ذلك أيها الناس انى راض عن عمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبى عبيدة فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس ان الله غفر لاهل بدر والحديبية احفظونى فى أصحابى وأصهارى وأختانى لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب فى القيامة غدا وقوله أصهارى هم آباء زوجاته كأبى بكر وعمر وأبى سفيان رضى الله عنهم وقوله وأختانى هم أزواج بناته كعثمان وعلى وأبى العاص بن الربيع رضى الله عنهم وروى أبو نعيم عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم احفظونى فى أصحابى وأصهارى فانه من حفظنى فيهم حفظه الله فى الدنيا والآخرة ومن لم يحفظنى فيهم تخلى الله عنه ومن تخلى الله عنه يوشك أن يأخذه وروى سعيد بن منصور عن النبى صلى الله عليه وسلم من حفظنى فى أصحابى كنت له حافظا يوم القيامة وروى الطبرانى من حفظنى فى أصحابى ورد على الحوض ومن لم يحفظنى فى أصحابى لم يرد على الحوض ولم يرنى الا من بعيد وروى عن كعب الاحبار ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاعة يوم القيامة قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه فنسأل الله دوام محبتهم والتوفيق لطريقتهم والفوز بشفاعتهم والله سبحانه وتعالى أعلم

(باب فى ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم)

وهذا الباب مضمونه يسكب المدامع من الاجفان ويجلب الفجائع لاثارة الاحزان ويلهب نيران الموجدة على أكباد ذوى الايمان ولما كان الموت مكروها بالطبع لما فيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبى من الانبياء حتى يخير وقد عرف الله النبى صلى الله عليه وسلم اقتراب أجله بنزول سورة اذا جاء نصر الله والفتح فان المراد من هذه السورة انك يا محمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس فى دينك الذى دعوتهم اليه أفواجا فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ وما

ابن مالك بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وأم النبى صلى الله عليه وسلم آمنة ابنة وهب ابن عبد مناف بن زهرة فوهب أبوها ومالك أبو سعد أخوان فمالك أبو سعد هو خال النبى صلى الله عليه وسلم وسعد بن خاله وانما أطلق عليه خالا على عادة العرب فانهم يسمون أقارب الام أخوالا وقد تقدم ذكر الحديث الذى فيه العشرة المشهود لهم بالجنة وفيه سعد بن مالك فى الجنة وأخرج الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوما أول من يدخل من هذا الباب من أهل الجنة فدخل سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه وفى رواية عن أنس رضى الله عنه بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلع سعد بن أبى وقاص رضى الله تعالى عنه حتى اذا كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع سعد * وكان سعد رضى الله عنه يحرس النبى صلى الله عليه وسلم فى مغازيه وهو أحد من كان على الجبل حين تحرك فقال النبى صلى الله عليه وسلم أثبت فما عليك الا نبى أو صديق أو شهيد فكانت شهادة من النبى صلى الله عليه وسلم له بالشهادة ولعله حين توفى قام به بعض أسباب الشهادة وكان رضى الله عنه أحد الفرسان والشجعان المشهورين وتولى قتال فارس وكان على يديه فتح القادسية وغيرها وانما عزله عمر رضى

عنــد ذالك خير من الدنيا فاستعد للنقلة الينا وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه السورة
قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل نعيت الى نفسي فقال له جبريل وللآخرة خير لك من الاولى وروى
البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان
عبدا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا و بين ما عنده فاختار ما عنده فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال يارسول
الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ماشاء و بين ما عند الله وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا
قال فكان رسول الله هو المخير وكان أبو بكر أعلمنا به فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان أمن الناس علي
في صحبته وماله أبو بكر رضي الله عنه فلو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبابكر ولكن اخوة
الاسلام لايبقى في المسجد خوخة الا سدت الا خوخة أبي بكر رضي الله عنه وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض
باقتراب أجله في آخر عمره حتى مرض وكان مرضه في أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما
وكان ابتداء مرضه يوم السبت وقيل الاثنين وقيل الاربعاء في بيت ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها وقيل في
بيت زينب بنت جحش رضي الله عنها وكان يتنقل في بيوت زوجاته رضي الله عنهن على حسب ما كان في صحته
ثم لما اشتد وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيت عائشة رضي الله عنها فاذن له فخرج يهادى بين العباس
ابن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما حتى دخل بيت عائشة رضي الله عنها وفي البخاري عن
عائشة رضي الله عنها قالت لما دخل بيتي واشتد وجعه قال أهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن
لعلي أعهد الى الناس فاجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم طفقنا نصب عليه الماء من
تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده ان قد فعلتن الحديث وفيه انه قال ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت
بخيبر وهذا أوان انقطاع أبهري من ذلك السم وأصابته صلى الله عليه وسلم حمى شديدة روى ابن ماجه
والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كانت عليه قطيفة فكانت الحمى تصيب
من يضع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال انا معاشر الانبياء كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا
الاجر وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك أي يحم
وعكا شديدا فقلت يارسول الله انك توعك وعكا شديدا قال أجل اني أوعك كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان
لك الاجرين قال أجل ذلك كذلك وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت دعا النبي صلى الله عليه وسلم
فاطمة رضي الله عنها في شكواه الذي قبض فيه فسارها بشيء فبكت ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت فسألناها
بعد ذلك عن ذلك فقالت سارني النبي صلى الله عليه وسلم انه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت ثم سارني
فاخبرني اني أول أهل بيته يتبعه فضحكت ولما اشتد به صلى الله عليه وسلم مرضه وتعذر عليه الخروج للصلاة
قال مروا أبابكر فليصل بالناس فقالت له عائشة رضي الله عنها يارسول الله ان أبابكر رجل رقيق اذا قام مقامك
لا يسمع الناس من البكاء قال مروا أبابكر فليصل بالناس فعاودته مثل مقالتها فقال انكن صواحبات يوسف
مروا أبابكر فليصل بالناس وفي بعض روايات الحديث ان عائشة رضي الله عنها قالت لقد راجعته وما حملني
على كثرة مراجعته الا انه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا وجملة الصلوات التي صلى
فيها الصديق بالناس سبع عشرة صلاة فكان في تقديم الصديق رضي الله عنه للصلاة اشارة الى أنه الخليفة
بعده صلى الله عليه وسلم فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم رضيه لديننا أفلا نرضاه لدنيانا ولما رأت الانصار
رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه
وسلم فاعلمه بمكانهم واشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه علي رضي الله عنه فاعلمه بمثل
ذلك فخرج صلى الله عليه وسلم متوكئا على علي والفضل رضي الله عنهما وتقدم العباس أمامهم والنبي صلى
الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس في أسفل مرقاة من المنبر وثار الناس اليه فحمد الله
وأثنى عليه وقال أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم هل خلد نبي قبلي فيمن بعث اليه فاخلد فيكم

الله عنه عن الكوفة صيانة له
عن طعن من طعن فيه وقطعا
للنزاع والفتنة ولهذا قال عمر
رضي الله عنه للستة أصحاب
الشورى ان أصاب الامر سعدا
فذاك والا فليستعن به أيكم
أمر فاني لم أعزله عن عجز ولا
خيانة وقيل ان عمر رضي الله
عنه أراد أن يوليه الكوفة
بعد أن عزله فقال لاتعيدوني الى
قوم يزعمون أني لا أحسن أن
أصلي فتركه ولما صارت الفتنة
بعد قتل عثمان رضي الله عنه
اعتزل الناس ولم يكن مع أحد
من الفريقين ولزم بيته وأمر
اهله أن لايخبروه من أخبار
الناس بشيء وعن سعد رضي
الله عنه قال نزل قوله تعالى ولا
تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي في ستة أنا
وابن مسعود منهم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قال
سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول سعد بن أبي
وقاص يعدل بألف فارس
وفضائله رضي الله عنه كثيرة
توفي بالعقيق على عشرة أميال
من المدينة وحمل على أعناق
الرجال ودفن بالبقيع وصلى
عليه مروان بن الحكم وكان
أميرا على المدينة في خلافة
معاوية رضي الله عنه وكانت
وفاته سنة خمس وخمسين
وقيل أربع وخمسين وقيل
ثمان وخمسين وعمره سبعون
وقيل بضع وثمانون وقيل بضع
وتسعون ومر بجنازته على
حجر أمهات المؤمنين رضي الله
عنهن فصلين عليه والله سبحانه
وتعالى أعلم * وأما سعيد بن
زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد
العزى بن رباح بن عبد الله
ابن قرط بن رزاح بن عدي

ألا انى لاحق بربي وانكم لاحقون بى فاوصيكم بالمهاجرين الاولين خيرا وأوصى المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول والعصران الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وان الامور تجرى باذن الله ولا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم وأوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم أن تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم فى الثمار ألم يوسعوا لكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ألا فمن ولى أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ألا ولا تستاثروا عليهم ألا وانى فرط لكم وأنتم لاحقون بى ألا فان موعدكم الحوض ألا فمن أحب أن يرده على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغى وفى رواية للبخارى عن أنس رضى الله عنه فى ذكر هذه القصة قال مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الانصار وهم يبكون فقالا ما يبكيكم فقالوا ذكرنا مجلس النبى صلى الله عليه وسلم منا فدخل أحدهما على النبى صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك فخرج النبى صلى الله عليه وسلم وقد عصب رأسه بحاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أوصيكم بالانصار فانهم كرشى وعيبتى وقد قضوا الذى عليهم وبقى الذى لهم فقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وقوله كرشى وعيبتى أراد انهم بطانته وموضع سره وأمانته وانهم الذين يعتمد عليهم فى أموره وقيل أراد بالكرش الجماعة أى جماعتى وصحابتى وفى المواهب عن الواحدى بسند وصله الى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت عائشة رضى الله عنها فقال حياكم الله بالسلام رحمكم الله جبركم الله رزقكم الله نصركم الله رفعكم الله آواكم الله أوصيكم بتقوى الله واستخلفه عليكم وأحذركم الله انى لكم نذير مبين أن لا تعلوا على الله فى بلاده وعباده فانه قال لى ولكم تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين قلنا يا رسول الله متى أجلك قال دنا الفراق والمنقلب الى الله والى جنة المأوى قلنا يا رسول الله من يغسلك قال رجال من أهل بيتى الادنى فالادنى قلنا يا رسول الله فيم نكفنك قال فى ثيابى هذه وان شئتم فى ثياب مصر أو حلة يمنية قلنا يا رسول الله من يصلى عليك قال اذا أنتم غسلتمونى وكفنتمونى فضعونى على سريرى هذا على شفير قبرى ثم اخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ملك الموت ومعه جنود من الملائكة ثم ادخلوا على أفواجا أفواجا فصلوا على وسلموا تسليما ولا تؤذونى بتزكية ولا رنة وليبدأ بالصلاة على رجال أهل بيتى ثم نساؤهم ثم أنتم واقرؤا السلام على من غاب من أصحابى ومن تبعنى على دينى من يومى هذا الى يوم القيامة قلنا يا رسول الله من يدخلك قبرك قال أهل بيتى مع ملائكة ربى وكذا رواه الطبرانى وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول انه لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده فى الجنة ثم يخير فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذى غشى عليه فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فقلت اذا لا يختارنا فعرفت انه حديثه الذى كان يحدثنا وهو صحيح وفى رواية انها أصغت اليه قبل أن يموت وهو مستند الى ظهره وهو يقول اللهم اغفر لى وارحمنى والحقنى بالرفيق الاعلى وروى عبد الرزاق عن طاوس رفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم قال خيرت بين ان أبقى حتى أرى ما يفتح على أمتى وبين التعجيل فاخترت التعجيل وروى ابن حبان عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أسأل الله الرفيق الاعلى الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل وظاهره ان الرفيق الاعلى المكان الذى تحصل فيه المرافقة مع المذكورين وقال ابن الاثير أراد جماعة الانبياء الذين يسكنون أعلى عليين وقيل المراد به الله تعالى يقال الله الرفيق بعباده من الرفق والرحمة والرأفة وقيل المراد به حضرة القدس قال فى المواهب لما تجلى له الحق ضعفت العلاقة بينه وبين المحسوسات والحظوظ الضرورية فكانت أحواله صلى الله عليه وسلم فى زيادة الترقى ولذلك روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كل يوم لا أزداد فيه قربا من الله فلا بورك لى فى طلوع شمسه وكما فارق مقاما

واتصل

ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فهو يلتقى نسبه مع نسب النبى صلى الله عليه وسلم فى كعب بن لؤى ومع عمر بن الخطاب فى نفيل فهو ابن عمه وهو من السابقين الى الاسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة وبعثه النبى صلى الله عليه وسلم هو وطلحة بن عبيد الله الى الشام قبل غزوة بدر يتجسسان أخبار عير قريش ولم يحضر القتال يوم بدر وقدما المدينة يوم وقعة بدر فضرب لهما النبى صلى الله عليه وسلم بسهم وأجرهما فعدودان من البدريين وكان سعيد بن زيد رضى الله عنه مجاب الدعوة روى مسلم فى صحيحه أن أروى بنت أويس خاصمته فى أرض وقالت انه ظلمنى فى أرض فقال دعوها فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ظلم بنت أويس شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين اللهم ان كانت كاذبة فلا تمتها حتى تعمى بصرها وتجعل قبرها فى بئرها فلم تمت حتى ذهب بصرها وجعلت تمشى فى دارها فوقعت فى بئرها فكانت قبرها فكان أهل المدينة يقولون أعماك الله كما أعمى أروى يريدونها * ولما فتح الشام أرسل عمر رضى الله عنه لابى عبيدة يسأله عن حال الناس فكتب له كثيرا من أحوالهم ومن جملة ذلك ان أخويك سعيد بن زيد ومعاذ بن جبل كما عهدت الا أن السودد زادهما فى الدنيا زهدا وفى الآخرة

واتصل بما هو أعلى منه ملع الاول وبين النقص وسار على ظهر المحبة ونعمت المطية لقطع هذه المراحل والمقامات والاحوال والسفر الى حضرة ذى الجلال الذى كل شئ هالك الا وجهه قال السهيلى الحكمة فى اختتام كلامه صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة كونها تتضمن التوحيد والذكر بالقلب حتى يستفاد منه الرخصة لغيره انه لا يشترط أن يكون الذكر باللسان لان بعض الناس قد يمنعه من النطق مانع فلا يضره اذا كان قلبه عامرا بالذكر قال الحافظ ابن رجب وقد يروى ما يدل على انه قبض ثم رأى مقعده فى الجنة ثم ردت اليه نفسه ثم خير ففى المسند عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من نبى الا تقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه فيخير فكنت قد حفظت ذلك فانى لمسندته الى صدرى فنظرت اليه حين ارتفع ونظر فقلت اذا والله لا يختارنا فقال مع الرفيق الاعلى فى الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وفى صحيح ابن حبان عن عائشة رضى الله عنها قالت أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه فى حجرى فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء فلما أفاق قال أسأل الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل ولما احتضر صلى الله عليه وسلم واشتد به الامر قالت عائشة رضى الله عنها ما رأيت الوجع على أحد أشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده فى القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعنى على سكرات الموت وفى رواية وجعل يقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات قال العلماء وكانت تلك السكرات من شدة الوجع لرفعة منزلته ولتقتدى به أمته فى الصبر وروى الحافظ ابن رجب أنه عليه الصلاة والسلام قال اللهم انك تاخذ الروح من بين القصب والعصب والانامل فاعنى عليه وهونه على والقصب عظام اليدين والرجلين ونحوهما قالت عائشة رضى الله عنها ولما تغشاه الكرب قالت فاطمة رضى الله عنها واكرب أبتاه فقال لها لا كرب على أبيك بعد اليوم والمراد بالكرب ما كان يجده من شدة الموت وفى البخارى من حديث أنس رضى الله عنه ان المسلمين بينما هم فى صلاة الفجر من يوم الاثنين وأبو بكر يصلى لهم لم يفجأهم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف سجف حجرة عائشة رضى الله عنها فنظر اليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم تبسم يضحك فنكص أبو بكر رضى الله عنه على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج الى الصلاة قال أنس وهم المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحا برسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار اليهم بيده صلى الله عليه وسلم أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر زاد فى رواية فتوفى من يومه وفى رواية لم يخرج الينا صلى الله عليه وسلم ثلاثا فاقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب فرفعه فلما وضح لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظرا قط كان أعجب الينا من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وضح لنا فاومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر أن يتقدم وأرخى الحجاب وروى مسلم ان أبا بكر رضى الله عنه كان يصلى لهم فى وجع النبى صلى الله عليه وسلم الذى توفى فيه حتى كان يوم الاثنين وهم فى صفوف الصلاة كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة فنظر الينا وهو قائم كان وجهه ورقة مصحف ثم تبسم صلى الله عليه وسلم ضاحكا أى فرحا باجتماعهم على الصلاة واتفاق كلمتهم واقامة شريعته وروى البيهقى عن جعفر بن محمد عن أبيه قال لما بقى من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل فقال يا محمد ان الله قد أرسلنى اليك اكراما لك وتفضيلا لك وخاصة يسألك عما هو أعلم به منك يقول كيف تجدك قال أجدنى يا جبريل مغموما وأجدنى يا جبريل مكروبا ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال له مثل ذلك ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استأذن ملك الموت فقال جبريل يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمى قبلك ولا يستأذن على آدمى بعدك قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يا رسول الله ان الله عز وجل أرسلنى اليك وأمرنى ان أطيعك فى كل ما تأمرنى به ان أمرتنى ان أقبض روحك قبضتها وان أمرتنى ان أتركها تركتها فقال جبريل يا محمد ان الله قد اشتاق الى لقائك قال صلى الله عليه وسلم فامض يا ملك الموت الى ما أمرت به فقال جبريل يا رسول الله هذا آخر موطئى من الارض انما

رغبة * وكان أبو زيد يطالب دين الحنيفية قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وكان لا يذبح للانصاب ولا يأكل الميتة ولا الدم وكان يقول لكفار قريش يا معشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيرى وكان يحيى الموؤدة ويقول للرجل اذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها وأنا أكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وخرج زيد الى الشام لطلب الدين الحق فلقيه راهب فقال له ان الذى تطلب أمامك فتوفى على التوحيد قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وقال ابنه سعيد للنبى صلى الله عليه وسلم ان زيدا كان كما قد رأيت وبلغك استغفر له قال نعم فاستغفر له وقال انه يبعث يوم القيامة أمة وحده ولم ينقل فى فضل أحد من آباء العشرة ما نقل فى فضل زيد بن عمرو وكانت وفاة ابنه سعيد رضى الله عنه سنة خمسين أو احدى وخمسين وعمره بضع وسبعون سنة وصلى عليه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ودفن بالبقيع ونزل فى قبره سعد بن أبى وقاص وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم والله سبحانه وتعالى أعلم * واما أبو عبيدة عامر بن عبد الله ابن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان فهو يلتقى نسبه مع نسب النبى صلى الله عليه وسلم فى فهر بن مالك ولذلك

كنت حاجتي من الدنيا فقبض روحه فلما توفي صلى الله عليه وسلم سمعوا صوتا من ناحية البيت السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا فانما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال علي رضي الله عنه أتدرون من هذا هو الخضر عليه السلام ورواه أيضا غير البيهقي كالحاكم في المستدرك وابن أبي الدنيا ولفظه عن أنس رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل كثير شعر المنكبين في ازار ورداء يتخطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بعضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على أصحابه فقال ان في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل فائت الحديث وفيه ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر علي بالرجل فنظروا يمينا وشمالا فلم يروا أحدا فقال أبو بكر رضي الله عنه لعل هذا الخضر جاء يعزينا قالت عائشة رضي الله عنها توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري والسحر موضع القلادة من الصدر والمراد انه صلى الله عليه وسلم توفي ورأسه بين حنكها وصدرها قال السهيلي ان أول كلمة تكلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسترضع عند حليمة الله أكبر وآخر كلمة تكلم بها الرفيق الاعلى وفي رواية جلال ربي الرفيع وتمكن انه تكلم بهما ولما توفي صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر رضي الله عنه غائبا بالسنح يعني العالية وهي منازل بني الحرث بن الخزرج عند زوجته حبيبة بنت خارجة بن زيد الخزرجي رضي الله عنهما وكان عليه الصلاة والسلام قد أذن له في الذهاب اليها فسل عمر بن الخطاب رضي الله عنه سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انما أرسل اليه كما أرسل الى موسى فلبث عن قومه أربعين ليلة والله اني لارجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم فاقبل أبو بكر رضي الله عنه من السنح حين بلغه الخبر الى بيت عائشة رضي الله عنها فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثا يقبله ويبكي ويقول توفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حيا وميتا بابي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين وأشار بذلك الى الرد على من يزعم أنه سيحيى فيقطع أيدي رجال لانه لو صح ذلك لزم ان يموت موتة أخرى فاخبر بانه أكرم على الله أن يجمع عليه موتتين وقيل انه أراد لا يجمع الله عليك موت نفسك وموت شرعك وعن عائشة رضي الله عنها ان عمر رضي الله عنه قام يقول والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أبو بكر رضي الله عنه فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال بابي أنت وأمي طبت حيا وميتا والذي نفسي بيده لا يذيقك الله موتتين أبدا ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك فلما تكلم أبو بكر رضي الله عنه جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه ثم قال ألا من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وقال تعالى انك ميت وانهم ميتون قال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية فنشج الناس يبكون رواه البخاري يقال نشج الباكي اذا غص بالبكاء في حلقه من غير انتحاب وعن سالم بن عبيد الاشجعي رضي الله عنه قال لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أجزع الناس كلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاخذ بقائم سيفه وقال لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا قال وقال الناس يا سالم اطلب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجت الى المسجد فاذا بابي بكر رضي الله عنه فلما رأيته أجهشت بالبكاء فقال يا سالم أمات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا أسمع أحدا يقول مات رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ضربته بسيفي هذا فاقبل أبو بكر رضي الله عنه حتى دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو مسجى فوضع البرد عن وجهه ووضع فاه على فيه واستنشى الريح ثم سجاه والتفت الينا وقال وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين وقال انك ميت وانهم ميتون يا أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال عمر فوالله لكأني لم أتل هذه الآية قط وروى الامام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت سجيت رسول الله صلى

الله

يقال له القرشي الفهري وهو من السابقين الى الاسلام ومن العشرة المبشرين بالجنة وكان اسلامه على يد أبي بكر رضي الله تعالى عنه وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج البخاري عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لكل أمة أمينا وأمين هذه الامة أبو عبيدة بن الجراح فكان يدعى القوي الامين وقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه يوم السقيفة رضيت لكم أحد هذين الرجلين عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح وكان احد الامراء المسيرين الى الشام والذين فتحوا دمشق ولما ولي عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الخلافة عزل خالد بن الوليد واستعمل أبا عبيدة فقال خالد ولي عليكم أمين هذه الامة وقال ابو عبيدة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان خالد السيف مسلول من سيوف الله ولما كان يوم بدر وكانت الوقعة كان أبوه مع كفار قريش فجعل يتصدى لابنه أبي عبيدة فيقتله وجعل أبو عبيدة يحيد عنه فلما أكثر أبوه قصده قتله أبو عبيدة فأنزل الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم الآية ولما قدم عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه الشام تلقاه أمراء الاجناد وعظماء أهل الارض فقال عمر أين أخي قالوا من قال أبو عبيدة قالوا يأتيك

الله عليه وسلم ثوبا فجاء عمر والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما فاستأذنا فأذنت لهما وجذبت الحجاب فنظر عمر اليه فقال واغشياه ثم قاما فقال المغيرة يا عمر مات قال كذبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يفني الله المنافقين ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه فرفعت الحجاب فنظر اليه فقال انا لله وانا اليه راجعون مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية للبخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان أبا بكر رضي الله عنه خرج وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يكلم الناس فقال اجلس يا عمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال أبو بكر رضي الله عنه أما بعد من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت قال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية قال والله لكأن الناس لم يعلموا ان الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس كلهم فما سمع بشر من الناس الا يتلوها وروى ابن أبي شيبة عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان أبا بكر مر بعمر رضي الله عنهما وهو يقول ما مات رسول الله ولن يموت حتى يقتل الله المنافقين قال وكانوا أظهروا الاستبشار ورفعوا رؤسهم فقال أيها الرجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ألم تسمع الله تعالى يقول انك ميت وانهم ميتون وقال وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ثم أتى المنبر الحديث وروى الطبراني ان العباس رضي الله عنه لما سمع عمر رضي الله عنه يقول من قال ان محمدا قد مات ضربته بسيفي قال له هل عندكم عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك قال لا قال فانه قد مات ولم يمت حتى حارب وسالم ونكح وطلق وترككم على محجة بيضاء وهذا من موافقة العباس للصديق رضي الله عنهما وفي المواهب لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم طاشت العقول فمنهم من خبل ومنهم من أقعد ولم يطق القيام ومنهم من أخرس فلم يطق الكلام ومنهم من أضنى وكان عمر رضي الله عنه ممن خبل وكان عثمان رضي الله عنه ممن أخرس فكان لا يستطيع أن يتكلم وكان علي رضي الله عنه ممن أقعد فلم يستطع أن يتحرك وأضنى عبد الله بن أنيس فمات كمدا وكان أثبتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه جاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد وغصصه تتصاعد وترتفع فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأكب عليه وكشف الثوب عن وجهه وقال طبت حيا وميتا وانقطع لموتك ما لم ينقطع للانبياء قبلك فعظمت عن الصفة وجللت عن البكاء ولو أن موتك كان اختيارا لجدنا لموتك بالنفوس اذكرنا يا محمد عند ربك ولنكن على بالك وفي رواية قبل جبهته وقال واصفياه واخليلاه وفي رواية فجعل يقبله ويبكي ويقول بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا ثم خرج الى الناس الحديث قال القرطبي وهذا أدل دليل على كمال شجاعة الصديق رضي الله عنه لان الشجاعة هي ثبوت القلب عند حلول المصائب ولا مصيبة أعظم من موت النبي صلى الله عليه وسلم فظهرت عنده شجاعة الصديق وعلمه رضي الله عنه وذكر الوائلي أبو عبد الله في كتاب الابانة عن أنس رضي الله عنه انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بويع أبو بكر رضي الله عنه في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوى على منبره عليه الصلاة والسلام تشهد ثم قال أما بعد فاني قلت لكم أمس مقالة وانها لم تكن كما قلت واني والله ما وجدت المقالة التي قلت لكم في كتاب الله ولا في عهد عهده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا ويكون آخرنا موتا فاختار الله لرسوله صلى الله عليه وسلم الذي عنده على الذي عندكم وهذا الكتاب الذي هدى الله رسوله به فخذوا به تهتدوا والمقالة التي قالها ثم رجع عنها هي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت ولن يموت حتى يقطع أيدي وأرجل أناس من المنافقين وكان ذلك لعظيم ما ورد عليه ولكونه خشي الفتنة وظهور المنافقين فلما شاهد قوة يقين الصديق الاكبر وتفوهه بقول الله عز وجل كل نفس ذائقة الموت وقوله انك ميت وانهم ميتون وخرج الناس يتلونها في سكك المدينة كأنها لم تنزل قط الا ذلك اليوم رجع عن مقالته المذكورة وروى البخاري ان فاطمة رضي الله عنها لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه يا أبتاه من الى جبريل ننعاه زاد في رواية رواها الطبري يا أبتاه من ربه ما أدناه وقد عاشت فاطمة رضي الله عنها بعده صلى الله عليه وسلم ستة أشهر فما ضحكت تلك المدة وحق لها

الآن فجاء على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه وسأله ثم قال للناس انصرفوا عنا فسار معه حتى أتى منزله فنزل عليه فلم ير في بيته الا سيفه وترسه فقال عمر لو اتخذت متاعا أو قال شيأ قال أبو عبيدة يا أمير المؤمنين ان هذا سيبلغنا المقيل وروى معمر عن قتادة قال قال أبو عبيدة رضي الله تعالى عنه لوددت اني كبش يذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقي قال وقال عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما لوددت اني كنت رمادا تسفيني الريح في يوم عاصف حيث قال عروة بن الزبير لما نزل طاعون عمواس كان أبو عبيدة معافى منه وأهله فقال اللهم نصيبك في آل عبيدة قال فخرجت بأبي عبيدة في خنصره بثرة فجعل ينظر اليها فقيل له انها ليست بشئ فقال اني لارجو أن يبارك الله فيها فانه اذا بارك الله في القليل كان كثيرا فتوفي بها سنة ثمان عشرة وعمره ثمان وخمسون سنة ولما حضرته الوفاة استخلف معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه على الناس والله سبحانه أعلم وقد انتهى الكلام على فضائل العشرة المبشرين بالجنة والقصد بيان مقامات الصحابة رضي الله تعالى عنهم وعظم شأنهم عند الله تعالى حتى لا يتعرضهم أحد بسوء أو تنقيص وقد تقدم ذكر معاوية رضي الله تعالى عنه وكان اسلامه عام الفتح وقيل انه أسلم عام عمرة القضاء ولقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتم اسلامه عن أبيه وأمه وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذلك وأخرج أبو نعيم عن علي رضي الله عنه قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد ملك الموت باكيا الى السماء والذي بعثه بالحق لقد سمعت صوتا من السماء ينادي وامحمداه وهذه مصيبة أصيبها المسلمون لم يصابوا قط بمثلها كل مصيبة تهون عندها روى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه أيها الناس ان أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فان أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي قال ابن الجوزي كان الرجل من أهل المدينة اذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه وقال له يا عبد الله اتق الله فان في رسول الله أسوة حسنة ورحم الله القائل

اصبر لكل مصيبة وتجلد * واعلم بان المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها * نوب تنوب اليوم تكشف في غد
واذا أتتك مصيبة تشجى بها * فاذكر مصابك بالنبي محمد

وقال آخر

تذكرت لما فرق الدهر بيننا * فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا * فمن لم يمت في يومه مات في غد

كادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقته صلى الله عليه وسلم فكيف بقلوب المؤمنين ولما فقده الجذع الذي كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح وكان الحسن البصري اذا حدث بهذا الحديث يبكي و يقول هذه خشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتم أحق ان تشتاقوا اليه وروى ان بلالا رضي الله عنه كان يؤذن بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وقبل دفنه فاذا قال أشهد أن محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن صلى الله عليه وسلم ترك بلال الاذان ما أمر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الالباب

لو ذاق طعم الفراق رضوى * لكان من وجده يميد
قد حملوني عذاب شوق * يعجز عن حمله الحديد

وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس في الوقت الذي دخل فيه المدينة حين هجرته صلى الله عليه وسلم وكانت يوم الاثنين بلا خلاف وكان دفنه يوم الثلاثاء وقيل ليلة الاربعاء وقيل يوم الاربعاء ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراثي كثيرة منها قولها

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا * وكنت بنا برا ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما * ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكي النبي لفقده * ولكنني أخشى من الهجر آتيا
وكان على قلبي لذكر محمد * على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فدى لرسول الله أمي وخالتي * وعمي وخالي ثم نفسي وماليا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا * سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية * وأدخلت جنات من العدن راضيا
أرى حسنا أيتمته وتركته * يبكي و يدعو جده اليوم ثانيا

ورثاه أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال

أرقت فبت ليلي لا يزول * وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها * تكاد بنا جوانبها تميل

حينئذ واتخذه النبي صلى الله عليه وسلم كاتبا بعد أن استشار جبريل عليه السلام فقال اتخذه فانه أمين ولما سير أبو بكر رضي الله تعالى عنه الجيوش الى الشام سار معاوية مع أخيه يزيد بن أبي سفيان وكان يزيد من أمراء الجيش وولي دمشق فلما مات يزيد استخلفه على عمله بالشام وهو دمشق فلما بلغ خبر وفاة يزيد الى عمر قال لابي سفيان أحسن الله عزاءك في يزيد رحمه الله تعالى فقال له أبو سفيان من وليت مكانه قال اخاه معاوية قال وصلتك الرحم يا أمير المؤمنين فبقي اميرا على الشام مدة خلافة عمر ثم أبقاه عثمان رضي الله تعالى عنه مدة خلافته وجمع له الشام كله وقال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به وقال له أيضا ان وليت فأحسن وفي رواية انك ستلي امر أمتي فارفق بهم قال معاوية ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان وليت فأحسن * ولما حضره الموت أوصى أن يكفن في قميص كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كساه اياه وان يجعل مما يلي جسده وكان عنده قلامة أظفار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوصى أن تسحق وتجعل في عينيه وفمه وقال افعلوا ذلك وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين وقال صلى الله عليه وسلم اني سألت الله أن لا يعذب من صاهرني أو صاهرته وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أخته أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي

فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذلك أحق ما سالت عليه * نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا * بما يوحى اليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذاك عذر * وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ورثاه الصديق رضي الله عنه بقوله

ودعنا الوحي اذ وليت عنا * فودعنا من الله الكلام
سوى ما قد تركت لنا رهينا * تضمنه القراطيس الكرام

ورثاه الصديق رضي الله عنه أيضا بقوله

لما رأيت نبينا متجندلا * ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه * والعظم مني ما حييت كسير
أعتيق ويحك ان حبك قد ثوى * فالصبر عنك لما بقيت يسير
ياليتني من قبل مهلك صاحبي * غيبت في جدث علي صخور
فلتحدثن بدائع من بعده * تعيى بهن جوانح وصدور

ورثاه حسان رضي الله عنه بمراثي كثيرة منها قوله

وكنت السواد لناظري * فعمي عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفاته صلى الله عليه وسلم بقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه ورجع الى قومه قال وهو يبكي بابي أنت وأمي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال من يطع الرسول فقد أطاع الله بابي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الانبياء وذكرك في أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بابي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا بابي أنت وأمي يارسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك ما لم يتبع نوحا في كثرة سنيه وطول عمره فقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل وأخرج ابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذلي رضي الله عنه قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عليل فاوجس أهل الحي خيفة وبت بليلة طويلة حتى اذا كان قرب السحر نمت فهتف بي هاتف يقول

خطب أجل أناخ بالاسلام * بين النخيل ومقعد الآطام
قبض النبي محمد فعيوننا * تذرى الدموع عليه بالتسجام

فوثبت من نومي فزعا فنظرت الى السماء فلم أر الا سعد الذابح فعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم قبض أو هو ميت أي قريب الموت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا أهلوا بالاحرام فقلت مه فقيل قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن عجيب ما اتفق انهم حين أرادوا غسل النبي صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندري أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا أم نغسله وعليه ثيابه فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل الا وذقنه في صدره ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو اغسلوا

الله تعالى عنهما فهو صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت وفاته لثمان بقين من رجب سنة تسع وخمسين والاصح ان وفاته سنة ستين وهو ابن ثمان وسبعين سنة وقيل ابن ست وثمانين وقيل ابن اثنين وثمانين وأما ما كان بينه وبين علي رضي الله تعالى عنهما فكان باجتهاد كما تقدم وكل منهما مأجور المصيب له أجران والمخطئ له أجر واحد وتقدم أيضا أن الحق كان مع علي رضي الله تعالى عنه وكان عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه مع معاوية رضي الله عنه لانه وافق اجتهاده اجتهاده وقد جاء في فضله أحاديث منها ما رواه الترمذي عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عمرو بن العاص من صالحي قريش وقال صلى الله عليه وسلم فيه وفي ابنه عبد الله وأمه نعم الرجل عبد الله وأبو عبد الله وأم عبد الله وأمه ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمي رضي الله تعالى عنهما واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص أميرا على جيش السرية المسماة بذات السلاسل واستعمله أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمان فلم يزل عليها الى أن توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سيره أبو بكر رضي الله تعالى عنه أميرا الى الشام فشهد فتوحه وولي فلسطين لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم سيره عمر رضي الله عنه في جيش الى مصر ففتحها ولم يزل واليا عليها الى أن مات عمر فأمره عليها عثمان رضي

النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فقاموا أي انتبهوا من النوم فغسلوه وعليه قميصه يصبون الماء فوق القميص ويدلكونه بالقميص رواه البيهقي في دلائل النبوة باسناد جيد وغسله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وكان العباس وابنه الفضل رضي الله عنهما يعينانه في تقليب جسمه الشريف وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبون الماء وأعينهم كلهم معصوبة حتى لا ينظروا جسده الشريف وهو يغسل خيفة أن يبدو ما لم يؤذن في النظر اليه وقوله وأعينهم كلهم معصوبة أي الا عليا رضي الله عنه فكان يقول وهو يغسله بأبي أنت وأمي طبت حيا وميتا وروى أن عليا رضي الله عنه نودي وهو يغسله أن ارفع طرفك نحو السماء خوفا أن يديم النظر اليه وروى البيهقي عن علي رضي الله عنه قال غسلته صلى الله عليه وسلم فذهبت أنظر ما يكون من الميت أي من الفضلات الخارجة فلم أر شيأ كان طيبا حيا وميتا وسطعت ريح طيبة لم يجدوا مثلها قط وعن جعفر الصادق رضي الله عنه قال كان الماء يستنقع أي يجتمع في جفون النبي صلى الله عليه وسلم فكان علي رضي الله عنه يحسوه أي يشربه وكفنوه صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة واختلف في معنى هذا الحديث فقال الجمهور ليس في الكفن قميص ولا عمامة أصلا وقال آخرون منهم الامام أبو حنيفة رضي الله عنه معناه كفن في ثلاثة أثواب غير القميص والعمامة ثم لما فرغوا من جهازه صلى الله عليه وسلم وضع على سريره في بيته ثم دخل الناس عليه صلى الله عليه وسلم أرسالا أي جماعات متتابعين يصلون عليه ولم يؤم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد وفي رواية ان أول من صلى عليه الملائكة أفواجا ثم أهل بيته ثم الناس فوجا فوجا ثم النساء واختلفوا في موضع دفنه فقال أناس عند المنبر وقال أناس بالبقيع فقال أبو بكر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما مات نبي قط الا يدفن حيث تقبض روحه فقال علي وأنا أيضا سمعته رواه الترمذي وابن ماجه وفي رواية الموطا ما دفن نبي قط الا في مكانه الذي توفي فيه فحفر له صلى الله عليه وسلم في المكان الذي توفي فيه وكان المباشر للحفر أبو طلحة زيد بن سهل الانصاري رضي الله عنه حفر لحدا في موضع فراشه حيث قبض صلى الله عليه وسلم واختلف الناس فيمن أدخله قبره وأصح ما روى انه نزل في قبره عمه العباس وعلي والفضل وقثم ابنا عباس رضي الله عنهم ويقال دخل معهم أوس بن خولي رضي الله عنه وكان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس رضي الله عنهما لانه آخر من خرج من القبر حتى خرجوا وقبله وروى انه بني في قبره تسع لبنات وفرش تحته قطيفة نجرانية كان يتغطى بها صلى الله عليه وسلم فرشها شقران رضي الله عنه وقال والله لا يلبسها أحد بعدك وهذا الفرش خصوصية له أما غيره فالجمهور على كراهية الفرش في القبر ولما دفن صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة رضي الله عنها أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول

ماذا على من شم تربة أحمد * أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها * صبت على الايام عدن لياليا

وقالت رضي الله عنها ترثيه

اغبر آفاق السماء وكورت * شمس النهار وأظلم العصران
والارض من بعد النبي كئيبة * أسفا عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها * وليبكه مضر وكل يمان

ورش قبره صلى الله عليه وسلم بلال بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه من حصباء العرصة حمراء وبيضاء ورفع قبره عن الارض قدر شبر ولما قبض صلى الله عليه وسلم تزينت الجنان ليوم قدوم روحه المقدسة وأظلمت الدنيا قال أنس رضي الله عنه ما رأيت يوما كان أحسن ولا أضوأ من يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أظلم من يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله

عليه

الله تعالى عنه أربع سنين أو نحوها ثم عزله عنها واستعمل عبد الله بن سعد بن أبي سرح ثم استعمل معاوية عمرا على مصر وبقي بها الى ان توفي وكان اسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه في صفر سنة ثمان من الهجرة قبل فتح مكة بستة أشهر ويجتمع نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في كعب بن لؤي لانه عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤي بن غالب فهو من بني سهم ولذلك يقال له القرشي السهمي وتوفي ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين وقيل سبع وأربعين وقيل ثمان وأربعين وقيل احدى وخمسين والاول اصح وكان له أخ اصغر منه اسمه هشام بن العاصي كان قديم الاسلام أسلم والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة وهاجر الى أرض الحبشة ثم قدم الى مكة حين بلغه ان النبي صلى الله عليه وسلم هاجر الى المدينة فحبسه قومه بمكة حتى قدم المدينة بعد الخندق وكان خيرا فاضلا واستشهد رضي الله تعالى عنه يوم أجنادين في خلافة أبي بكر رضي الله تعالى عنه سنة ثلاث عشرة وقيل بل استشهد باليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه وفي أسد الغابة لابن الاثير وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابنا العاصي مؤمنان أخرجه الثلاثة يعني ابن منده وأبا نعيم وابن عبد البر ولعمرو بن العاص أخ آخر لامه وهو عمرو بن أثاثة العدوي كان صحابيا قديم الإسلام وهاجر الى الحبشة

عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شئ فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شئ وما نفضنا أيدينا من التراب وانا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا يريد انهم وجدوها تغيرت عما عهدوه في حياته من الالفة والصفاء والرقة لفقدان ما كان يمدهم به من التعليم والتأييد (ومن آياته) صلى الله عليه وسلم بعد موته ما ذكر من حزن حماره يعفور عليه حتى تردى أي ألقى نفسه في بئر وكذا ناقته فانها لم تأكل ولم تشرب حتى ماتت (ومن ذلك) ظهور ما أخبر انه كائن بعد موته مما لا نهاية له ولا يعد يحصيه وقد تقدم في المعجزات كثير من ذلك روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا أراد بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا بين يديها واذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حي فاهلكها وهو ينظر فاقر عينه بهلكها حين كذبوه وعصوا أمره أي كما وقع لامة نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام وانما كان قبض النبي قبل امته خيرا لانهم اذا قبض واقبله انقطعت أعمالهم واذا أراد الله بهم خيرا جعل خيرهم مستمرا ببقائهم محافظين على ما أمروا به من العبادات وحسن المعاملات نسلا بعد نسل وعقبا بعد عقب * هذا ما يسره الله من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ونسأل الله أن يجعلنا من التابعين له المتمسكين بشريعته المقتفين لآثاره المقتدين به وان يحشرنا في زمرته وزمرة أصحابه وأهل بيته وان يمنحنا من المدد المحمدي ما منحه عباده الصالحين وان يمتعنا بلذة النظر الى وجهه الكريم من غير عذاب يسبق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

ومات بها وأما عبد الله بن عمرو ابن العاص فكان من علماء الصحابة توفي سنة ثلاث وستين وكان أصغر من أبيه باثنتي عشرة سنة وكان اسلامه قبل أبيه وأما عبد الله بن الزبير رضي الله عنه فله فضائل كثيرة وهو أول مولود ولد في الاسلام بعد الهجرة للمهاجرين فحنكه النبي صلى الله عليه وسلم بتمرة لاكها في فيه ثم حنكه بها فكان ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم أول شئ دخل جوفه وسماه عبد الله واحتجم النبي صلى الله عليه وسلم يوما وأعطاه دمه ليدفنه فشربه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أما انك لن تمسك النار وقال له ويل لك من الناس وويل الناس منك فكانوا يرون أن الشجاعة التي كانت فيه بسبب شربه دم النبي صلى الله عليه وسلم وبويع بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ثم لما ولي عبد الملك بن مروان سير الحجاج لقتاله فحاصره بمكة الى أن قتل رضي الله عنه سنة اثنتين وسبعين من الهجرة وألحق كثير من العلماء عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بالخلفاء الراشدين وجعلوه معدودا منهم لانه أظهر العدل في زمن الجور وولي الخلافة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك ابن مروان سنة تسع وتسعين بعهد من سليمان اليه وأقام العدل * فأول شئ ابتدأ به أنه لما فرغ من دفن سليمان جيء له بمركب من مراكب الخلافة وكان لكل دابة سائس فقال ما هذا فقالوا مركب الخلافة فقال بغلتي أوفق بي وركب بغلته التي كان يركبها قبل ثم

أتاه أصحاب مراكب الخلافة يطلبون علفها فأمر بها فبيعت وجعل ثمنها فى بيت المال وقال تكفينى بغلتى هذه ولما رجع من جنازة سليمان ابن عبد الملك رآه مولى له مغتما فسأله فقال ليس أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فى شرق الارض وغربها الا وأنا أريد أن أؤدى اليه حقه من غير طلب منه وقال لامرأته وجواريه انه قد شغل عما فى عنقه من النساء وخيرهن بين أن يقمن عنده أو يفارقهن فبكين واخترن المقام معه وأدخل ما كان تحت يده (٣١٢) من الاموال والاقطاعات بيت المال قال مولاه مزاحم قال لى عمر بن عبد العزيز يا مزاحم ان أهلى أقطعونى ما لم يكن لى ان آخذه ولا لهم ان يعطونيه وانى قد هممت برده الى أربابه قال مزاحم فقلت له فكيف تصنع بأولادك فجرت دموعه وقال أكلهم الى الله تعالى وكان لعمر ولد صالح اسمه عبد الملك قال مزاحم فدخلت على ابنه عبد الملك فقلت له ان أمير المؤمنين قد عزم على كذا وكذا وهذا أمر يضركم وقد نهيته عنه فقال عبد الملك بئس وزير الخليفة أنت ثم قام فدخل على أبيه وقال له ان مزاحما أخبرنى بكذا وكذا فقال له عمر نعم أريد أن أقوم به العشية قال عجله فما يؤمنك أن يحدث لك حدث أو يحدث بقلبك حديث فرفع عمر يديه وقال الحمد لله الذى جعل فى ذريتى من يعيننى على دينى ثم قام به من ساعته وردها وقال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك ان أردت صحبتى فردى ما معك من مال وحلى وجواهر الى بيت مال المسلمين فانه لهم وانى لا أجتمع أنا وأنت وهو فى بيت واحد فردته جميعه فلما توفى عمر وولى أخوها يزيد بن عبد الملك أراد رده عليها وقال لها ان عمر ظلمك قالت لا والله وامتنعت من أخذه وقالت ما كنت أطيعه حيا وأعصيه ميتا فأخذه يزيد وفرقه على أهله ولما ولى الخلافة أراد وكيل بيت المال ان يحمل اليه ما كان يحمله للخلفاء من بيت المال فمنعه وقال يكفينى كل يوم درهمان فكانت نفقته من بيت المال كل يوم درهمين وسيرة عمر رضى الله عنه طويلة أفردت بالتأليف توفى سنة مائة وواحد ومدة خلافته سنتان وخمسة أشهر والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(يقول راجى غفران المساوى مصححه محمد الزهرى الغمراوى)

بعد حمد الله على مزيد نعمائه وشكره على ترادف آلائه وسؤاله ادامة الصلاة والتسليم على سيدنا محمد ذى المقام الكريم وعلى آله ذوى المفاخر العليه وأصحابه أصحاب النفوس الشريفة الابيه والتابعين لآثارهم والمحبين لهم والناظمين لعقد فخارهم فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب السيرة النبويه والآثار المحمديه للعلامة الفاضل والفهامة الكامل من تعطرت بمحاسن شيمه صحائف الزمان واخضلت بتحقيقاته حدائق العرفان وأعادت تآليفه عهد السلف الماضى وأقام على خبايا أسراره اللدنيه البرهان القاضى العلامة السيد أحمد زينى المشهور بدحلان جزاه الله عن حسن مسعاه دار الجنان وهو كتاب سهل العبارة كبير الفائدة دقيق الاشارة سلك فيه أجمل المشارب وأوضح به من السيرة النبوية ما يهم كل مؤمن لحق طالب وساق فيه من الشمائل المصطفوية ما انتثرت جواهره فى بحار المؤلفات وغرقت فى تطلبه سفن الافكار مع طول الاوقات وقد تحلت طرره ووشيت غرره بكتاب

الفتح المبين فى فضائل الخلفاء الراشدين وأهل البيت الطاهرين رضى الله عنهم أجمعين

للمؤلف المذكور ضاعف الله له الاجور وذلك بالمطبعة الميمنية بمصر المحمية بجوار

سيدى احمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير ادارة المفتقر

لعفو ربه القدير أحمد البابى الحلبى ذى العجز والتقصير

وذلك فى شهر رمضان المعظم سنة ١٣١٠

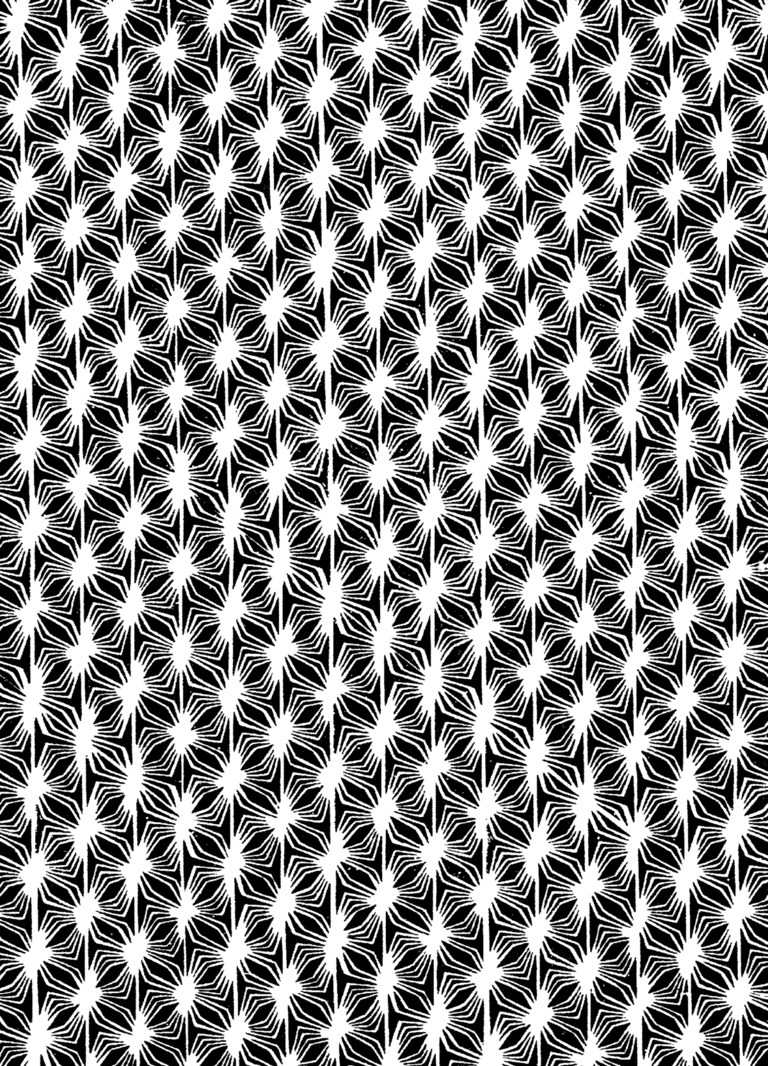
هجريه على صاحبها أفضل الصلاة

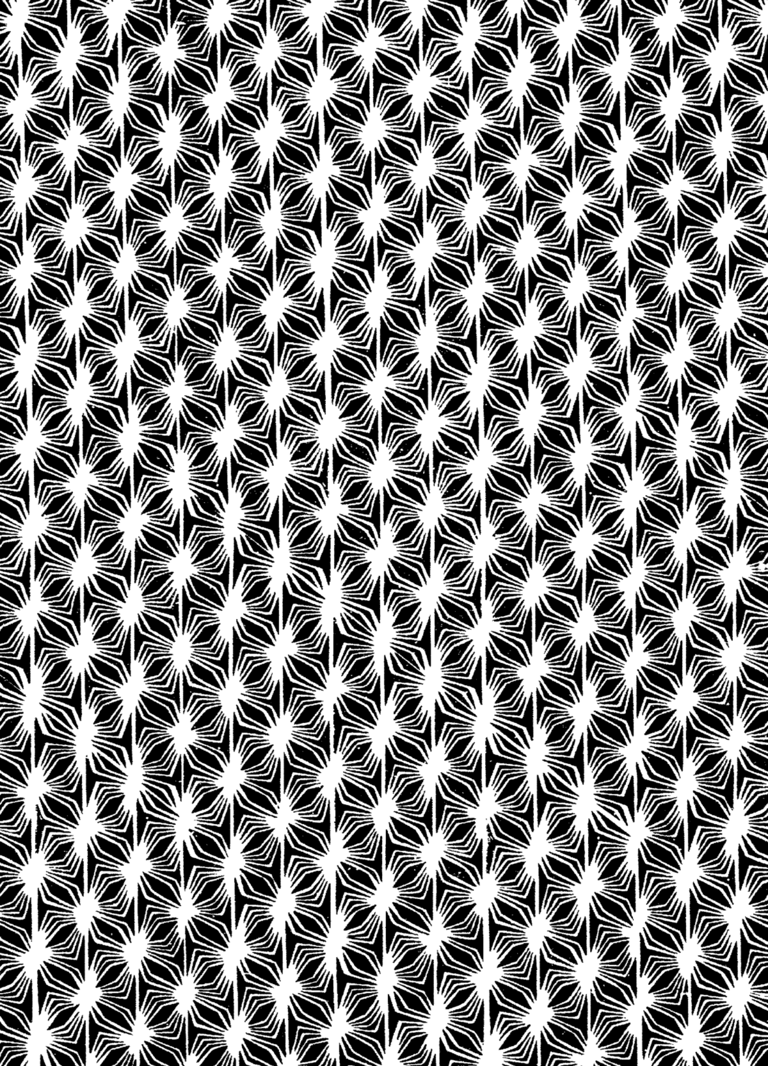
وأزكى التحية آمين

آمين آمين

آمين

المطبعة الميمنية بمصر ١٣٠٦






Bibliotheca Alexandrina
03382587